مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية

السلام عليك يا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

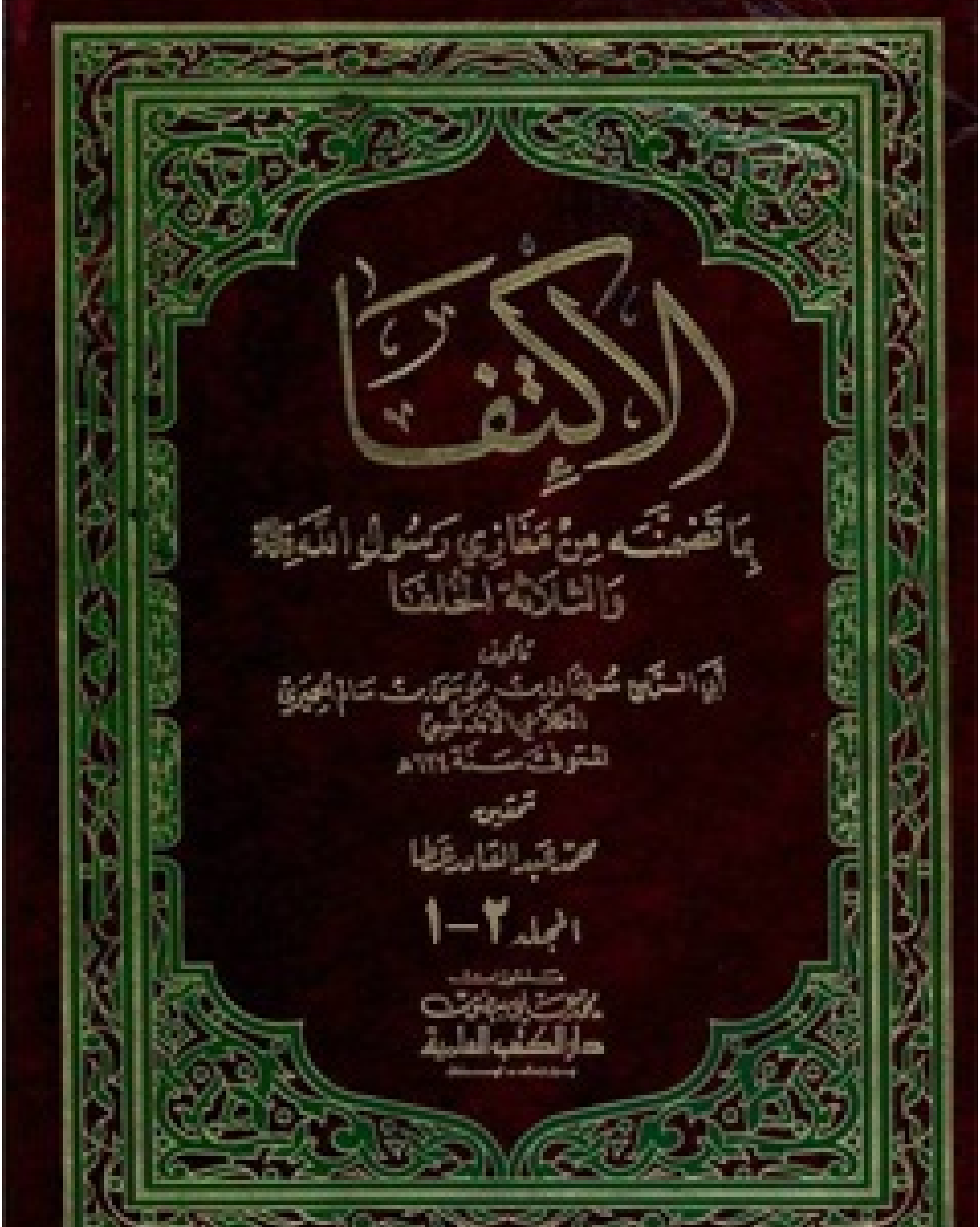
الاكتفا
بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ
والثلاثة الخلفا
تأليف
تحقيق
محمد عبد القادر عطا
المجلد ٢-١
دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحیم

الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الثلاثة الخلفاء

كاتب:

ابوالربيع حميرى كلاعى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الاکتفاء بما تضمنه من مغازی رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم و الثلاثة الخلفاء ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
[المقدمة] ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
ترجمة المصنف «۱» ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
من مؤلفاته: ----- ۱۴
عملنا فی التحقیق ----- ۱۵
الجزء الأول ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
مقدمة المصنف ----- ۱۶
ذکر نسب رسول الله صلی الله علیه و علی آله و سلم تسلیما و کیف طهره الله نفسا و خیما و شرفه حدیثا و قدیما و ألقی إلی آبائه الأقدمین من الدلائل
ذکر أولیة بیت الله المحرم و رکنه المستلم و من تولی بناءه من ملائکته و أنبیائه صلی الله علی جمیعهم و سلم ----- ۳۵
ذکر دخول الحبشة أرض الیمن و استیلائهم علی ملکها و ذکر السبب فی ذلک مع ما یتصل به من أمر الفیل ----- ۶۹
ذکر حفر عبد المطلب زمزم و ما یتصل بذلک من حدیث مولد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ----- ۸۱
ذکر بنیان قریش الکعبة مع ذکر ما أحدثوه فی المناسک ----- ۱۰۲
ذکر ما حفظ عن الأحبار و الرهبان و الکهان من أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قبل مبعثه سوی ما تقدم من ذلک مع ذکر شیء مما سمع من ذل
ذکر المبعث ----- ۱۲۴
ذکر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضی الله عنه ----- ۱۴۱
ذکر الهجرة إلی أرض الحبشة ----- ۱۴۸
ذکر الحدیث عن إسلام عمر بن الخطاب رضی الله عنه ----- ۱۵۴
ذکر الحدیث عن مسری رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ----- ۱۷۴

ذکر خروج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی الطائف بعد مهلک عمه أبی طالب ----- ۱۸۳

ذکر عرض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نفسه علی قبائل العرب ----- ۱۸۵

بدء إسلام الأنصار و ذکر العقبة الأولی ----- ۱۹۱

إسلام سعد بن معاذ و أسید بن حضیر علی یدی مصعب بن عمیر رضی الله عنه ----- ۱۹۳

ذکر العقبة الثانیة ----- ۱۹۵

بدء الهجرة إلی المدینة ----- ۲۰۱

ذکر الحدیث عن خروج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أبی بکر الصدیق رضی الله عنه مهاجرین إلی المدینة ----- ۲۰۷

شروع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی حرب المشرکین و ذکر مغازیه التی أعز الله بها الإیمان و المؤمنین ----- ۲۳۳

غزوة بدر الکبری «۱» ----- ۲۳۸

أمر بنی قینقاع ----- ۲۶۶

سریة زید بن حارثة «۲» ----- ۲۶۷

مقتل کعب بن الأشرف ----- ۲۶۸

غزوة أحد «۴» ----- ۲۷۰

غدر عضل و القارة بأصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ----- ۲۹۴

غزوة بئر معونة «۳» ----- ۲۹۷

ذکر غزوة بنی النضیر «۲» و السبب الذی هاج الخروج إلیهم ----- ۲۹۸

غزوة ذات الرقاع «۴» ----- ۳۰۱

غزوة الخندق «۳» ----- ۳۰۵

مقتل سلام بن أبی الحقیق ----- ۳۲۲

ذکر إسلام عمرو بن العاص و خالد بن الولید رضی الله عنهما ----- ۳۲۳

غزوة بنی لحیان «۲» ----- ۳۲۵

غارة عیینة بن حصن علی سرح المدینة و خروج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فی أثره، و هی غزوة ذی قرد «۲» ----- ۳۲۵

غزوة بنی المصطلق و هی غزوة المریسیع «۳» ----- ۳۲۹

غزوة الحدیبیة ----- ۳۳۶

غزوة خيبر ----- ۳۴۵

عمرة القضاء «۱» و هى غزوة الأمن ----- ۳۵۴

غزوة مؤتة من أرض الشام «۱» ----- ۳۵۵

غزوة الفتح ----- ۳۶۰

غزوة حنين «۱» ----- ۳۷۴

غزوة الطائف «۲» ----- ۳۸۴

غزوة تبوک «۱» ----- ۳۹۶

ذکر إسلام ثقيف ----- ۴۰۶

ذکر حج أبى بکر الصديق رضى الله عنه بالناس سنة تسع و توجيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بن أبى طالب بعده بسورة براءة ----- ۴۱۱

السرايا ----- ۴۱۲

ذکر الوفود على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ملخصا من کتاب ابن إسحاق و الواقدى و غيرهما ----- ۴۲۶

اشارة ----- ۴۲۶

وفد بنى تميم «۱» ----- ۴۲۷

وفد بنى عامر «۱» ----- ۴۳۰

وفد تجيب «۱» ----- ۴۳۱

فروة بن مسيک المرادى «۱» ----- ۴۳۲

وفد زبيد عمرو بن معدى کرب «۱» ----- ۴۳۳

وفد بنى ثعلبة ----- ۴۳۴

وفد بنى سعد هذيم «۲» ----- ۴۳۴

وفد بنى فزارة «۱» ----- ۴۳۵

وفد بنى أسد «۲» ----- ۴۳۶

وفد بهراء «۱» ----- ۴۳۶

وفد بنى عذرة ----- ۴۳۷

وفد بلى «۲» ----- ۴۳۷

ضمام بن ثعلبة «۲» ---- ۴۳۸
وفد عبد القیس «۱» ---- ۴۳۹
وفد بنی مرة ---- ۴۴۰
وفد خولان ---- ۴۴۱
وفد محارب «۲» ---- ۴۴۱
وفد طیء «۲» ---- ۴۴۲
وفد کندة «۲» ---- ۴۴۴
وفد صداء ---- ۴۴۵
وفد غسان «۱» ---- ۴۴۶
وفد سلامان «۱» ---- ۴۴۷
وفد بنی عبس ---- ۴۴۸
وفد الأزد و وفد جرش «۳» ---- ۴۴۸
وفد غامد ---- ۴۴۹
وفد بنی الحارث بن کعب «۲» ---- ۴۴۹
وفد بنی حنیفة «۲» ---- ۴۵۲
وفد همدان ---- ۴۵۲
وفد النخع ---- ۴۵۳
فهرس محتویات الجزء الأول ---- ۴۵۴
الجزء الثانی ---- ۴۵۷
اشارة ---- ۴۵۷
ذکر بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم إلی الملوک، و کتابه إلیهم یدعوهم إلی الله و إلی الإسلام ---- ۴۵۷
ذکر کتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی قیصر، و ما کان من خبر دحیة معه «۶» ---- ۴۵۸
ذکر توجه عبد الله بن حذافة إلی کسری بکتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و ما کان من خبره معه «۱» ---- ۴۶۲
ذکر إسلام النجاشی، و کتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلیه مع عمرو بن أمیة الضمری «۱» ---- ۴۶۳

کتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المقوقس صاحب الإسكندرية مع حاطب بن أبى بلتعة «۳» ---- ۴۶۴

ذكر كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المنذر بن ساوى العبدى مع العلاء بن الحضرمى بعد انصرافه من الحديبية «۱» ---- ۴۶۶

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى جيفر و عبد ابنى الجلندى الأزديين، ملكى عمان، مع عمرو بن العاص «۱» ---- ۴۶۷

كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى هوذة بن على مع سليط بن عمرو العامرى، و ما كان من خبره معه «۲» ---- ۴۶۸

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى مع شجاع بن وهب «۱» ---- ۴۷۰

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى فروة بن عمرو الجذامىّ ثم النفاثى، و ما كان من تبرعه بالإسلام هداية من الله عز و جل له «۱» ---- ۴۷۳

ذكر حجة الوداع «۳» و تسمى أيضا حجة التمام، و حجة البلاغ ---- ۴۷۵

ذكر مصيبة الأولين و الآخرين من المسلمين بوفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و على آله أجمعين ---- ۴۷۹

بيعة أبى بكر رضى الله عنه و ما كان من تحيز الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، و منتهى أمر المهاجرين معهم ---- ۴۸۹

ذكر غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دفنه، و ما يتصل بذلك من أمره صلوات الله عليه و سلامه و رحمته و بركاته ---- ۴۹۵

ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه «۱» و ما حفظ عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الإيماء إليها و الإشارات الدالة عليها مع ما كان من تن

ذكر بدء الردة بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ما كان من تأييد الله لخليفة رسوله عليه السلام فيها ---- ۵۱۷

وصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه، خالد بن الوليد حين بعثه فى هذا الوجه ---- ۵۲۴

ذكر مسير خالد بن الوليد رضى الله عنه، إلى بزاخة و غيرها ---- ۵۲۶

ذكر رجوع بنى عامر و غيرهم إلى الإسلام ---- ۵۲۹

قصة مسيلمة الكذاب وردة أهل اليمامة «۱» ---- ۵۳۳

ذكر تقديم خالد بن الوليد الطلائع أمامه من البطاح «۱» ---- ۵۳۸

ذكر ردة بنى سليم ---- ۵۵۴

ردة البحرين «۱» ---- ۵۵۶

ذكر ردة أهل دبا و أزد عمان «۱» ---- ۵۶۰

ذكر ردة صنعاء ---- ۵۶۱

ذكر ردة كندة و حضرموت ---- ۵۶۳

ذكر بدء الغزو إلى الشام و ما وقع فى نفس أبى بكر الصديق رضى الله عنه، من ذلك و ما قوى عزمه عليه «۱» ---- ۵۶۸

وقعة أجنادين ---- ۵۹۱

وقعة مرج الصفر ----- ۵۹۴
ذکر الخبر عن وفاة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، و ما کان من عهده إلی عمر بن الخطاب، جزاهما الله عن دینه الحق أفضل الجزاء ----- ۵۹۵
استخلاف عمر بن الخطاب ----- ۵۹۸
ذکر الخبر عما صار إلیه أمر دمشق من الفتح و الصلح بعد طول الحصار فی خلافة عمر بن الخطاب، علی نحو ما ذکره من ذلک أصحاب فتوح الشام ۱
ذکر بیسان «۲» ----- ۶۰۵
ذکر طبریة «۳» ----- ۶۰۵
حدیث مرج الروم من روایة سیف أیضا ----- ۶۰۵
وقعة فحل حسبما فی کتب فتوح الشام ----- ۶۰۷
فتح حمص فیما حکاه أصحاب فتوح الشام «۱» ----- ۶۱۸
حدیث حمص آخر ----- ۶۲۱
فتح قنسرین «۱» ----- ۶۲۲
جمع الروم للمسلمین ----- ۶۲۳
وقعة الیرموک «۲» علی نحو ما حکاه أصحاب کتب فتوح الشام ----- ۶۲۸
قصة صلح إیلیاء و قدوم عمر رضی الله عنه الشام ----- ۶۵۵
ذکر ما وعدنا به قبل من سیاقة فتح قیساریة حیث ذکرها أصحاب فتوح الشام خلافا لما أوردناه قبل ذلک عن سیف بن عمر، مما لا یوافق هذا مساقا و
ذکر فتح مصر ----- ۶۶۹
ذکر فتح أنطابلس ----- ۶۹۰
فتح أطرابلس ----- ۶۹۰
ذکر انتقاض الإسکندریة فی خلافة عثمان رضی الله عنه ----- ۶۹۱
ذکر غزو إفریقیة و فتحها ----- ۶۹۲
ذکر صلح النوبة ----- ۶۹۵
ذکر البحر و الغزو فیه ----- ۶۹۵
غزو معاویة بن أبی سفیان قبرس ----- ۶۹۶
غزوة ذات الصواری ----- ۶۹۷

ذكر فتح العراق و ما والاه على ما ذكره سيف بن عمر و أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى عنه و عن غيره ----- ۶۹۹
أخبار الأيام فى زمان خالد بن الوليد رضى الله عنه «۱» ----- ۷۰۱
حديث الثّنى و المذار «۱» ----- ۷۰۴
حديث الولجة «۱» و هى مما يلى كسكر من البر ----- ۷۰۵
حديث ألّيس، و هى على صلب الفرات «۱» ----- ۷۰۶
حديث أمغيشيا و كيف أفاءها الله بغير قتال «۱» ----- ۷۰۸
حديث يوم المقر و فم فرات بادقلى مع ما يتصل به من حديث الحيرة «۲» ----- ۷۰۸
حديث الأنبار «۱» و هى ذات العيون «۲» ----- ۷۱۳
حديث عين التمر «۳» ----- ۷۱۴
حديث دومة الجندل و ما بعدها من الأيام بحصيد و الخنافس و مصيخ و البشر و الفراض «۱» ----- ۷۱۵
حديث المثنى بعد خالد «۱» ----- ۷۱۹
ذكر ما كان من خبر العراق فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ما كان من أمر المثنى بن حارثة معه، و ذكر أبى عبيد بن مسعود، على ما فى ذ
حديث وقعة الجسر «۱» ----- ۷۲۴
حديث البويب و وقعة مهران «۱» ----- ۷۲۹
حديث غارة المثنى على سوقى الخنافس و بغداد «۱» ----- ۷۳۶
حديث السرايا من الأنبار «۱» ----- ۷۳۸
ذكر ما هيج حرب القادسية على ما ذكره سيف عن أشياخه «۱» ----- ۷۳۸
تأمير عمر، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص على العراق و ذكر الخبر عن حرب القادسية «۱» ----- ۷۳۹
يوم أرماث ----- ۷۶۱
ذكر اليوم الثانى من أيام القادسية، و هو يوم أغواث ----- ۷۶۹
حديث يوم عماس، و هو اليوم الثالث من أيام القادسية ----- ۷۷۳
خبر اليوم الرابع من أيام القادسية ----- ۷۷۵
ذكر فتح المدائن «۱» و ما نشأ بينه و بين القادسية من الأمور ----- ۷۸۶
حديث «۱» وقعة جلولاء «۲» ----- ۷۹۹

حدیث یوم تکریت «۲» ۸۰۳

ذکر یوم ماسبذان «۱» و یوم قرقیسیا «۲» ۸۰۵

ذکر الحدیث عن تمصیر الکوفة و البصرة و تحول سعد بن أبی وقاص عن المدائن إلی الکوفة و ما یندرج مع ذکر البصرة من فتح الأبلة «۱» ۸۰۵

ذکر الجزیرة، و ذکر السبب الذی دعا عمر إلی الأمر بقصدها «۱» ۸۱۰

ذکر فتح سوق الأهواز و مناذر و نهرتیر «۱» ۸۱۲

حدیث فتح الأهواز و مدینة سرق ۸۱۳

ذکر غزو المسلمین أرض فارس «۱» ۸۱۴

ذکر فتح رامهرمز و السوس و تستر و أسر الهرمزان «۱» ۸۱۶

ذکر فتح السوس ۸۱۸

فتح جندی‌سابور ۸۱۹

حدیث وقعة نهاوند «۱» ۸۲۰

ذکر الانسیاح فی بلاد فارس، و عمل المسلمین به بإذن عمر رضی الله عنه، فیه بعد منعه إیاهم، و ما تبع ذلک من الفتوح فی بقیة خلافته و قتال الترک

ذکر الخبر عن أصبهان «۱» ۸۳۲

ذکر فتح همذان ثانیة و قتال الدیلم «۱» ۸۳۳

فتح الری «۱» ۸۳۴

ذکر فتح قومس و جرجان ۸۳۵

ذکر فتح طبرستان ۸۳۵

فتح أذربیجان ۸۳۶

حدیث فتح الباب «۱» ۸۳۶

ذکر مسیر یزدجرد إلی خراسان و دخول الأحنف إلیها غازیا «۱» ۸۳۹

فتح توج ۸۴۲

حدیث اصطخر ۸۴۳

حدیث فسا و دارابجرد «۱» ۸۴۴

حدیث فتح کرمان ۸۴۵

فتح سجستان ----- ٨٤٥

فتح مكران ----- ٨٤۶

حديث بيروذ ----- ٨٤۶

غزوة سلمة بن قيس الأشجعى الأكراد ----- ٨٤٨

ذكر الخبر عن إحرام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه إلى حين مقتله ----- ٨٤٩

ذكر خلافة ذى النورين أبى عمرو عثمان بن عفان أمير المؤمنين، رضى الله عنه و مبايعة أهل الشورى له بعد وفاة عمر، رضى الله عنه ----- ٨۵٣

ذكر غزوة الوليد بن عقبة أذربيجان و أرمينية لمنع أهلها ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر بن الخطاب «١» ----- ٨۵۴

ذكر انتقاض فارس، و مسير عبد الله بن عامر إليها و فتحه إياها «١» ----- ٨۵۵

ذكر مقتل يزدجرد «١» ----- ٨۵۶

ذكر فتح أبرشهر، و طوس، و بيورد، و نسا، و سرخس، و صلح مرو ----- ٨۵٧

ذكر فتح مروالروذ و الطالقان و الفارياب و الجوزجان و طخارستان ----- ٨۵٩

ذكر جرى الصلح بين الأحنف و بين أهل بلخ «١» ----- ٨۶٠

فتح عمورية و انتقاضها ----- ٨۶١

مقتل عثمان رضى الله عنه ----- ٨۶١

الخاتمة ----- ٨۶۴

فهرس محتويات الجزء الثانى ----- ٨۶۴

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ٨۶٨

الاکتفاء بما تضمنه من مغازی رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم و الثلاثة الخلفاء

اشارة

نام کتاب: الاکتفاء بما تضمنه من مغازی رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم و الثلاثة الخلفاء

نویسنده: ابوالربیع حمیری کلاعی

وفات: ۶۳۴ ق

تعداد جلد واقعی: ۲

زبان: عربی

موضوع: رسول خدا صلّی الله علیه و آله و سلّم

ناشر: دار الکتب العلمیة

مکان نشر: بیروت

سال چاپ: ۱۴۲۰ ق

نوبت چاپ: اوّل

[المقدمة]

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

ترجمة المصنف «۱»

اشارة

هو أبو الربیع سلیمان بن موسی بن سالم بن حسان بن سلیمان بن أحمد بن عبد السلام الحمیری الکلاعی البلنسی الأندلسی المالکی المعروف بابن سالم.

ولد سنة خمس و ستین و خمسمائة (۵۶۵ ه)، و نشأ ببلنسیة، و تلقی العلوم فی رحلته إلی إشبیلیة و شاطبة و غرناطة و الإسکندریة.

توفی شهیدا سنة أربع و ثلاثین و ستمائة للهجرة (۶۳۴ ه) فی موقعة أنیشة حاملا اللواء بنفسه.

من مؤلفاته:

۱- أحادیث مصافحة أبی بکر ابن العربی الإمامین.

۲- أحادیث مصافحة أبی علی الإمامین.

۳- أربعون السباعیة من الحدیث.

۴- الأربعون حدیثا عن أربعین شیخا لأربعین من الصحابة فی أربعین معنی.

۵- الإعلام بأخبار البخاری الإمام و من بلغت روایته عنه من الأغفال و الأعلام.

(۱) انظر ترجمته فی تاریخ الإسلام للذهبی (وفیات سنة ۶۳۴)، و تذکرة الحفاظ (۴/ ۱۴۱۷)، و سیر أعلام النبلاء (۲۳/ ۱۳۴)، و العبر للذهبی (۵/ ۱۳۷)، و الوافی (۱۵/ ۴۳۲)، و مرآة الجنان (۵/ ۸۵)، و شذرات الذهب (۵/ ۱۶۴)، و هدیة العارفین (۱/ ۳۹۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،المقدمة،ص:۲

۶- الاکتفاء؛ و هو الکتاب الذی بین أیدینا.

۷- الامتثال لمثال المبهج فی ابتداع الحکم و اختراع الأمثال.

۸- برنامج مروياته.

۹- تحفة الرواد فی العوالی البلدیة الإسناد.

۱۰- جنی الرطب فی سنی الخطب.

۱۱- جهد النصیح فی معارضة المعری فی خطبة الفصیح.

۱۲- حلیة الأمالی فی الواقعات و العوالی.

۱۳- دیوان الرسائل.

۱۴- دیوان شعره.

۱۵- الصحف المبشرة فی القطع المعشرة.

۱۶- مجازفة اللحن للاحن الممتحن.

۱۷- المسلسلات و الإنشادات.

۱۸- مصباح الظلام فی المستغیثین بخیر الأنام فی الیقظة و المنام.

۱۹- المعجم فیمن وافقت کنیته زوجته.

۲۰- مفاوضة القلب و العلیل فی منابذة الأمل الطویل بطریقة المعری و ملقی السبیل.

۲۱- میدان السابقین و حلبة الصادقین المصدقین.

۲۲- نتیجة الحب الصمیم و زکاة النثیر و النظیم.

۲۳- نکتة الأمثال و نفثة السحر الحلال. بنی فیه الکلام علی التوشیح بما تضمنه کتاب أبی عبید من أمثال العرب و اضطرار الکلام إلیها.

الاکتفاء، الکلاعی ،المقدمة،ص:۳

عملنا فی التحقیق

۱- قمنا بنسخ المخطوط من النسخة المحفوظة بدار الکتب المصریة بمکتبة طلعت تحت رقم ۲۰۷۴، و هی نسخة جیدة کتبت بخط مشرقی دقیق، ثم قمنا بضبطها بالاستعانة بالنسخة المطبوعة بالقاهرة.

۲- قمنا بتخریج آیات القرآن الکریم و إثبات التخریج عقب الآیة بین معقوفتین.

۳- قمنا بتخریج الأحادیث المذکورة بالکتاب.

۴- ترجمنا لبعض الأعلام و إن کان قلیلا.

۵- قمنا بالتعلیق علی بعض المواضع بالکتاب، و شرح بعض الألفاظ الغریبة.

۶- قمنا بتخریج بعض الأبیات الشعریة.

۷- قمنا بعمل عجالة للتعريف بالمؤلف.

و اللّه سبحانه المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، و أن ينفع به، إنه بعباده رءوف رحيم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱

الجزء الأول

اشارة

صورة الصفحة الأولى من الخطوط

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المصنف

قال الشيخ الفقيه الخطيب المحدث الثبت الشهيد أبو الربيع، سليمان بن موسى بن سالم، الكلاعى، البلنسى، كرم الله مثواه، و جعل الجنة مستقره و مأواه:

الحمد لله الذى منّ علينا بالإسلام، و أكرمنا بنبيه محمد عليه أفضل الصلوات و السلام، و جعل آثاره الكريمة ضالتنا المنشودة، و الاقتداء بهديه الأهدى، و نوره الأوضح الأبدى غايتنا المقصودة و أمنيتنا المودودة، و أنعم على قلوبنا بالارتياح و الاهتزاز عند سماع مصدره أو إليه منتماه.

و إنه لأثر رجاء فى هذه القلوب البطالة و أثاره خير يرجى، أن يذودها عن مشارع الجهالة و منازع الضلالة، فإن الارتياح للذكر شهادة الحب و أمارة المحب.

و قد روى عنه صلوات الله عليه نقلة السنة أن من أحبه كان معه فى الجنة. فنسأل الله أن يكتبنا فى محبيه حقيقة، و يسلك بنا من الوقوف عند مقتضيات أوامره و نواهيه طريقة بالسعادة خليقة.

فما نزال طالبين ذلك من أكرم مطلوب لديه، راغبين فيه إلى خير مرغوب إليه. و إن لم نكن أهلا للإسعاف بتقصيرنا فى الأعمال، فإنه جل جلاله أهل الجود و الإفضال.

و نصلى قبل و بعد على هذا النبىّ المبارك الكريم، صلى الله عليه و على آله الطاهرين و صحبه المنتخبين، خير صحب و خير آل.

و هذا كتاب ذهبت فيه إلى إيقاع الإقناع، و إمتاع النفوس و الأسماع، باتساق الخبر عن سيرة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر نسبه و مولده و صفته و مبعثه، و كثير من خصائصه، و أعلام نبوته و مغازيه، و أيامه من لدن مولده إلى أن استأثر به و قبض روحه الطيبة إليه، صلوات الله و بركاته عليه.

مقدما لذلك ما يجب تقديمه، و متمما من ذكر أوليته المباركة بلدا و محتدا، بما يحسن علمه و تعليمه، ملخصا جميعه من كتب أئمة هذا الشأن الذين صرفوا إليه اعتناءهم،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴

و استنفذوا فى آنائهم، ككتاب محمد بن إسحاق، الذى تولى عبد الملك بن هشام تهذيبه و اختصاره، و كتاب موسى بن عقبة، الذى

استحسن الأئمة اقتصاده و اقتصاره، و غیرهما من المجموعات التی لا یدیم الإنصاف قصد جماعها و لا یذم الاختبار اختیاره.

و لکنه عظم المعول بحکم الخاطر الأول علی کتاب ابن إسحاق، إیاه أردت و تجریده من اللغات و کثیر من الأنساب و الأشعار قصدت، و علی ترتیبه غالبا جریت، و منزعه فی أکثر ما یخص المغازی تحریت.

فإنه الذی شرب ماء هذا الشأن فأنقع، و وقع کتابه من نفوس الخاص و العام أجل موقع.

إلا أنه یتخلله، کما أشرنا إلیه قبل، أشیاء من غیر المغازی تقدح عند الجمهور فی إمتاعه، و تقطع بالخواطر المستجمعة لسماعه.

و إن کانت تلک القواطع عریقة فی نسب العلم، و حقیقة بالتقیید و النظم. فسعی أن یکون لها مکان هو بإیرادها أخص، إذ لکل مقام لا یحسن فی غیره الإیراد له و النص.

و لذلک نویت فیه أن أحذف ما تخلله من مشبع الأنساب التی لیس احتیاج کل الناس إلیها بالضروری الحثیث، و نفیس اللغات المعوق اعتراضها اتصال الأحادیث، حتی لا یبقی إلا الأخبار المجردة، و خلاصة المغازی التی هی فی هذا المجموع المقصودة المعتمدة.

ظنا منی أنه إذا أذن الله فی تمامه، و تکفل تعالی بتیسیر محاولته وفق المأمول و تقریب مرامه، استأنفت النفوس له قبولا و علیه إقبالا، و لم یزده هذا النقص لدی جمهورهم إلا کمالا.

ثم بدا لی أن أزید علی هذا المقدار ما یحسن فی هذا المضمار، و أعوض مما حذفت منه من اللغات و الأنساب و الأشعار، بما یکون له إن شاء الله مزیة الاختیار، و یروق علیه رونق الإیثار، منتقیا ذلک من الدواوین التی طار بها فی الناس طائر الاشتهار، و متخیرا له من الأماکن التی لا یستقل بحصر فوائدها و انتقاء فرائدها کل مختار.

ککتاب ابن عقبة، و قد سمیته، فإنه و إن اختصره جدا فقد أحسن العبارة، و أتی مواضع من المغازی حذاها بسطه و حماها اختصاره.

و سأضع علی کثیر منها میسمه و أرسمها فی هذا المختصر علی نحو ما رسمه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵

و قد وقفت علی کتاب محمد بن عمر الواقدی فی المغازی، و لم یحضرنی الآن، لکنی رأیته کثیرا ما یجری مع ابن إسحاق، فاستغنیت عنه به لفضل فصاحة ابن إسحاق فی الإیراد، و حسن بیانه الذی لا یفقد معه استحسان الحدیث المعاد.

و للواقدی أیضا کتاب المبعث، و هو مشبع فی بابه، ممتع باستیفائه و استیعابه، قد نقلت هنا منه جملا، تناسب الغرض المسطور، و تصد المعترض أن یجور.

و کذلک کتاب الزبیر بن أبی بکر القاضی رحمه الله فی أنساب قریش، و هو کما سمعت شیخنا الخطیب أبا القاسم ابن حبیش رحمه الله یحکی عن شیخه أبی الحسن ابن مغیث أنه کان یقول فیه: هو کتاب عجب لا کتاب نسب.

التقطت أیضا من درره نفائس معجبة، و تخیرت من فوائده نخبا لمتخیرها موجبة.

و مثله التاریخ الکبیر لأبی بکر ابن أبی خیثمة، و ناهیک به من بحر لا تکدره الدلاء، و غمر لا ینفذه الأخذ الدراک و لا یستنزفه الورد الولاء.

و کم شیء أستحسنه من غیر هذه الکتب المسماة فأنظمه فی هذا النظام، و أضطر إلی الإفادة به مساق الکلام. إما متمما لحدیث سابق، و إما مفیدا بغرض لما تقدمه مطابق.

فإن لم یکن بینهم فی الأحادیث اختلاف یشعر بنقض، فکثیرا ما أدخل حدیث بعضهم فی حدیث بعض، لیکون المساق أبین و الاتساق أحسن.

و إن عرض عارض خلاف فالفصل حینئذ أرفع للإشکال و أدفع للمقال.

و ربما فصلت بین بعض أحادیثهم و إن اشتبهت معانیها، بحسب ما تدعو إلیه ضرورة الموضع، أو تحمل علی إعادته حلاوة الموقع.

و کل ذلک یشهد الله أن المراد فیه بالقصد الأول وجهه الکریم، و إحسانه العمیم، و رحمته التی منها شق لنفسه أنه الرحمن الرحیم.

ثم القصد الثانی متوفر علی إیثار الرغبة فی إیناس الناس بأخبار نبیهم صلی اللّه علیه و سلم، و عمارة خواطرهم بما یکون لهم فی العاجل و الآجل أنفع و أسلم.

و قد عم علیه الصلاة و السلام ببرکة دعائه سامع حدیثه و مبلغه، و قال صلی اللّه علیه و سلم: «ما أفاد المسلم أفضل من حدیث حسن بلغه فبلغه».

و لا أحسن بعد کتاب الله الذی هو أحسن القصص و أصدق القصص، و أفضل

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۶

الحصص، و أجلی الأشیاء للغصص من أخبار رسول الله صلی اللّه علیه و سلم التی بالوقوف علیها توجد حلاوة الإسلام، و یعرف کیف تمهدت السبل إلی دار السلام.

فإنه لا یخلو الحاضرون لهذا الکتاب من أن یسمعوا ما صنع الله لرسوله فی أعداء تنزیله، فیستجزلوا ثواب الفرح بنصر الله، أو یستمعوا ما امتحنه الله به من المحن التی لا یطیق احتمالها إلا نفوس أنبیاء الله بتأیید الله، فیعتبروا بعظیم ما لقیه من شدائد الخطوب، و یصطبروا لعوارض الکروب، تأدبا بآدابه، و جریا فی الصبر علی ما یصیبهم و الاحتساب لما ینوبهم علی طریقة صبره و احتسابه.

و تلک غایات لن نبلغ عفوها بجهدنا، و لن نصل أدانیها بنهایة رکضنا و شدنا، و إنما علینا بذل الجهد فی قصد الاهتداء، و علی الله سبحانه المعونة فی الغایة و الابتداء.

و إذا استوفیت بفضل الله طلق هذا المعنی کما نویت، و بلغت حاجة نفسی منه و قضیت، فلی نیة، إن ساعدت المشیئة علیها، فی أن أصل هذا الغرض المتقدم، من ذکر مغازی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، بذکر مغازی الخلفاء الثلاثة الأول، رضی الله عنهم، منتحلا علی رجاء معونة الله أسبابها، و منتخلا من کتاب شیخنا الخطیب أبی القاسم، رحمه الله، و من غیره مما هو فی نحو معناه، صفوها و لبابها، لتنتظم الفائدتان معا، و یکون الخبر عن مغازی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و مغازی خلفائه، الذین بهدیهم الائتمام، فی مکان واحد مجتمعا.

و أرجو بحول الله الذی له الطول و بیده القوة و الحول، أن یکون هذا المجموع کافیا فی البابین، وافیا بالغرضین المتنابین، و لذلک ترجمته بکتاب: الاکتفاء بما تضمنه من مغازی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و مغازی الخلفاء.

و فضله جل جلاله نعم الکفیل أن یجزی به خیر الجزاء، و یجعله من عددنا النافعة یوم اللقاء، فهو عز وجهه الملجأ و المعول، و به أستعین و علیه أتوکل، لا إله إلا هو سبحانه، هو حسبی و إلیه أنیب.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۷

ذکر نسب رسول الله صلی الله علیه و علی آله و سلم تسلیما و کیف طهره الله نفسا و خیما و شرفه حدیثا و قدیما و ألقی إلی آبائه الأقدمین من الدلائل علی اصطفائه إیاه فی الآخرین و ابتعاثه له رحمة للعالمین ما صیره لدیهم قبل وجوده بطوائل السنین معلوما

فی الصحیح من حدیث واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «إن الله اصطفی من ولد إبراهیم إسماعیل، و اصطفی من ولد إسماعیل بنی کنانة، و اصطفی من بنی کنانة قریشا، و اصطفی من قریش بنی هاشم، و اصطفانی من بنی هاشم» «۱».

و فی حدیث عن عبد الله بن عباس، أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «لم یزل الله عز و جل ینقلنی من الأصلاب الطیبة إلی الأرحام الطاهرة، صفیا مهذبا، لا تتشعب شعبتان إلا کنت فی خیرهما» «۲».

و خرج أبو عیسی محمد بن عیسی الترمذی، من حدیث المطلب بن أبی وداعة، أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قام علی المنبر فقال: «من أنا»؟ فقالوا: «أنت رسول الله علیک السلام» قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلنی فی

خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين، فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا، فجعلنى فى خيرهم بيتا، و خيرهم نفسا». و فى رواية:

«فأنا خيرهم نفسا، من خيرهم بيتا» «۳».

---

(۱) أخرجه الترمذى (۳۶۰۵)، الإمام أحمد فى المسند (۴/ ۱۰۷)، الألبانى فى السلسلة الضعيفة (۱۶۳)، الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (۹/ ۸۹)، السيوطى فى الدر المنثور (۳/ ۲۹۴، ۴/ ۲۷۴)، ابن أبى شيبة فى المصنف (۱۱/ ۴۷۸).

(۲) أخرجه السيوطى فى الدر المنثور (۳/ ۲۹۴، ۵/ ۹۸).

(۳) أخرجه الترمذى (۱/ ۷۶) باب ما جاء فى فضل النبىّ، البيهقى فى السنن الكبرى (۷/ ۳۸۷، ۳۸۸، ۱۰/ ۵۷)، الحاكم فى المستدرک (۲/ ۶۴، ۳/ ۲۵۸)، ابن أبى شيبة فى المصنف (۱۱/ ۲۰)، الطبرانى فى الكبير (۷/ ۳۸۳، ۱۷/ ۱۳۶)، الهيثمى فى المجمع (۱/ ۲۲،-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۸

و صدق صلى اللّه عليه و سلم، و الصدق شيمته، و فوق العالمين طرا قدره الرفيع و قيمته، هو أشرفهم حسبا و أفضلهم نسبا و أكرمهم أما و أبا.

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب «۱» بن هاشم- و اسمه عمرو- بن عبد مناف- و اسمه المغيرة- بن قصى- و اسمه زيد- بن كلاب بن مرة بن كعب، ابن لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا الصحيح المجتمع عليه فى نسبه، و ما فوق ذلک مختلف فيه.

و لا خلاف فى أن عدنان من ولد إسماعيل نبى الله، ابن إبراهيم خليل الله، عليهما السلام، و إنما الاختلاف فى عدد من بين عدنان و إسماعيل من الآباء. فمقلل و مكثر.

و كذلک من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام، لا يعلم ذلک على حقيقته إلا الله.

روى عن ابن عباس قال: كان النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إذا انتهى إلى عدنان أمسک ثم يقول:

«كذب النسابون»، قال الله تعالى: «وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِکَ كَثِيراً» [الفرقان: ۳۸].

و من عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل.

فولد عدنان رجلين: معد بن عدنان، و عک بن عدنان.

فصارت عک فى دار اليمن، لأن عكا تزوج فى الأشعريين منهم و أقام فيهم، فصارت الدار و اللغة واحدة.

و الأشعريون هم بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب ابن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان «۲».

و قحطان هو عند جمهور العلماء بالنسب أبو اليمن كلها، و إليه يجتمع نسبها، و العرب كلها عندهم من ولد إسماعيل و قحطان. و بعض اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، و إسماعيل أبو العرب كلها. و الله أعلم.

۴/ ۲۳۸، ۲۴۴، ۱۰/ ۳۷۵)، شرح السنة للبغوى (۳/ ۲۳۹، ۹/ ۲۴۶)، الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (۲/ ۲۰۶، ۷/ ۱۹۴)، المتقى الهندى فى الكنز (۲۹۶۸۷).

(۱) قال ابن إسحاق فى السيرة: اسم عبد المطلب شيبة بن هاشم. و انظر ذكر نسب النبىّ فى:

السيرة (۱/ ۲۳، ۲۴)، و البداية و النهاية كتاب سيرة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و نسبه (۲/ ۲۵۷).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۷) ذكر نسب ولد إسماعيل.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۹

و أما معد، فذكر الزبير بن أبى بكر رحمه الله، أن بختنصر لما أمر بغزو بلاد العرب و إدخال الجنود عليهم فيها، و قتل مقاتلهم لانتهاكهم معاصى الله، و استحلالهم محارمه و قتلهم أنبياءه، و ردهم رسالاته، أمر أرميا بن حلقيا، و كان فيما ذكر نبى بنى إسرائيل فى ذلك الزمان: أن ائت معد بن عدنان الذى من ولده محمد خاتم النبيين، فأخرجه عن بلاده و احمله معك إلى الشام، و تول أمره قبلك.

و يقال: بل المحمول عدنان، و الأول أكثر.

و فى حديث عن ابن عباس، أن الله بعث ملكين، فاحتملا معدا، فلما أدبر الأمر رده فرجع إلى موضعه من تهامة، بعد ما دفع الله بأسه عن العرب، فكان بمكة و ناحيتها مع أخواله من جرهم، و بها منهم بقية هم ولاة البيت يومئذ، فاختلط بهم و ناكحهم.

فولد معد بن عدنان نفرا، منهم قضاعة، و كان بكره الذى به يكنى فيما يزعمون، و قنص، و نزار، و إياد.

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ و انتمت إلى ابنه مالك بن حمير، حتى قال قائل منهم يفخر بذلك:

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهرقضاعة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكرفى الحجر المنقوش تحت المنبر «۱» و أنكر كثير من الناس منتماهم هذا، و جرت بينهم و بين من قال به من القضاعيين فى ذلك أقاويل معروفة و أشعار محفوظة.

قال الزبير: و لم يجتمع رأى قضاعة على الانتساب فى اليمن، بل أهل العلم منهم و الدين مقيمون على نسبهم فى معد.

و أما قنص بن معد، فهلكت بقيتهم فيما زعموا، و كان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة «۲».

و احتج من قال ذلك بأن عمر- رضى الله عنه- حين أتى بسيف النعمان بن

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۸).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۰

المنذر، دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى «۱»، فسلحه إياه، ثم قال: ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر؟.

فقال: كان من أشلاء، قنص بن معد.

و كان جبير أنسب قريش لقريش و العرب قاطبة، و كان يقول: إنما أخذت النسب من أبى بكر الصديق.

و كان أبو بكر رضى الله عنه، أنسب العرب «۲».

و قد قيل فى نسب النعمان غير ذلك، مما سيأتى ذكره عند تأدية الحديث إليه، إن شاء الله تعالى.

و قد ذكر أيضا فى بنى معد الضحاك بن معد.

ذكر الزبير بإسناد له إلى مكحول قال: أغار الضحاك بن معد على بنى إسرائيل فى أربعين رجلا من بنى معد، عليهم دراريع الصوف خاطمى خيلهم بحبال الليف، و سبوا و ظفروا، فقالت بنو إسرائيل: يا موسى، إن بنى معد أغاروا علينا، و هم قليل، فكيف لو كانوا كثيرا و أغاروا علينا و أنت نبينا؟ فادع الله عليهم.

فتوضأ موسى و صلى، و كان إذا أراد حاجة من الله صلى، ثم قال: يا رب إن بنى معد أغاروا على بنى إسرائيل فقتلوا و سبوا و ظفروا، و سألونى أن أدعوك عليهم.

فقال الله تعالى: يا موسى لا تدع عليهم، فإنهم عبادى، و إنهم ينتهون عند أول أمرى، و إن فيهم نبيا أحبه و أحب أمته.

قال: یا رب، ما بلغ من محبتک له؟.

قال: أغفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر.

قال: یا رب ما بلغ من محبتک لأمته؟.

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب (۱/ ۳۰۳)، الإصابة ترجمة رقم (۱۰۹۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۶۹۸)، نسب قریش (۲۰۱)، طبقات خلیفة ترجمة رقم (۴۳)، التاریخ الکبیر (۲/ ۲۲۳)، المعارف (۴۸۵)، الجرح و التعدیل (۲/ ۵۱۲)، مشاهیر علماء الأمصار الترجمة رقم (۳۵)، جمهرة أنساب العرب (۱۱۶)، العقد الثمین (۳/ ۴۰۸).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۱

قال: یستغفرنی مستغفرهم فأغفر له، و یدعونی داعیهم فأستجیب له.

قال: یا رب فاجعلهم من أمتی.

قال: نبیهم منهم.

قال: یا رب فاجعلنی منهم.

قال: تقدمت و استأخروا.

قال الزبیر: و حدثنی علی بن المغیرة قال: لما بلغ بنو معد عشرین رجلا أغاروا علی عسکر موسی علیه السلام، فدعا علیهم فلم یجب فیهم، ثم أغاروا، فدعا علیهم فلم یجب فیهم، ثلاث مرات.

فقال: یا رب، دعوتک علی قوم فلم تجبنی فیهم بشیء.

فقال: یا موسی، دعوتنی علی قوم منهم خیرتی فی آخر الزمان.

و أما نزار بن معد، و اسمه مشتق من النزر و هو القلیل، فیقال: إن أباه معدا لما ولد له نظر إلی نور بین عینیه، ففرح لذلک فرحا شدیدا، و نحر و أطعم، و قال: إن هذا کله لنزر فی حق هذا المولود.

و ما کان الذی رآه إلا نور النبوة، الذی لم یزل ینتقل فی الأصلاب، حتی انتهی إلی نبینا محمد صلی اللّه علیه و سلم، فطبق الأرض نورا، و هدی الله به من أراد سعادته من عباده، صراطا مستقیما.

و کل هذه الأنوار و الآثار شاهدة له- علیه السلام- بعظیم عنایة الله، و کریم المکانة عنده، فلم تزل برکته صلی اللّه علیه و سلم متعرفة فی آبائه الماضین، و ظاهرة علی أسلافه الأکرمین، تشیر المخایل اللائحة فیهم إلیه، و تدل الدلائل الواضحة فی أولیتهم علیه، صلوات الله و برکاته علیه.

فولد نزار بن معد: مضر و ربیعة و أنمارا و إیادا، و إلیه دفع أبوه حجابة الکعبة فیما ذکر الزبیر. و أمه سودة بنت عک بن عدنان.

و قیل هی أم مضر خاصة، و أم إخوته الثلاثة أختها شقیقة ابنة عک بن عدنان.

و قد قیل: إن إیادا شقیق لمضر، أمهما معا سودة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۲

فأنمار هو أبو بجیلة و خثعم، و قد تیامنت بجیلة إلا من کان منهم بالشام و المغرب، فإنهم علی نسبهم إلی أنمار بن نزار.

و جریر بن عبد الله «۱» صاحب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من سادات بجیلة و له یقول القائل:

لو لا- جریر هلکت بجیلةنعم الفتی و بئست القبیلة و کذلک تیامنت الدار أیضا بخثعم، و هم بنو أقیل بن أنمار، و إنما خثعم جبل تحالفوا عنده فسموا به، و هم بالسراة علی نسبهم إلی أنمار.

و إذا کان بین مضر و الیمن فیما هنالک حرب، کانت خثعم مع الیمن علی مضر «۲».

و یروی أن نزارا لما حضرته الوفاة، قسم ماله بین بنیه الأربع: مضر و ربیعة و إیاد و أنمار.

فقال: هـذه القبـة لقبة کانت له حمراء من أدم، و ما أشـبهها من المال لمضـر، و هذا الخباء الأسود و ما أشـبهه لربیعة، و هذه الخادم، و کانت شمطاء، و ما أشبهها لإیاد. و هذه البدرة و المجلس لأنمار یجلس فیه.

و قال لهم: إن أشکل علیکم الأمر فی ذلک و اختلفتم فی القسمة، فعلیکم بالأفعی الجرهمی. و کان بنجران.

فاختلفوا بعـده و أشـکل أمر القسـمة علیهم، فتوجهوا إلی الأفعی. فبینا هم فی مسـیرهم إلیه إذ رأی مضـر کلأ قد رعی، فقال: إن البعیر الذی رعی هذا لأعور.

فقال ربیعة: و هو أزور. و قال إیاد: و هو أبتر. و قال أنمار: و هو شرود.

فلم یسـیروا إلا قلیلا، حتی لقیهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعیر، فقال له مضـر: أ هو أعور؟ قال: نعم. قال ربیعـة: أ هو أزور؟ قال: نعم. قال إیاد: أ هو أبتر؟ قال نعم. قال أنمار: و هو شرود؟ قال: نعم، هذه و الله صفة بعیری دلونی علیه. فحلفوا له ما

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمـة رقم (۳۲۶)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۳۹)، أسد الغابة الترجمة (۷۳۰)، طبقات ابن سعد (۶/ ۲۲)، طبقات خلیفة (۱۱۶، ۱۳۸)، تاریخ خلیفة (۲۱۸)، التاریخ الکبیر (۲/ ۲۱۱)، الجرح و التعدیل (۲/ ۵۰۲)، تهذیب الکمال (۱۹۱)، تاریخ الإسلام (۲/ ۲۷۴)، العبر (۱/ ۵۷)، تهذیب التهذیب (۲/ ۷۳)، خلاصة تذهیب الکمال (۶۱)، شذرات الذهب (۱/ ۵۷، ۵۸).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۷۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۳

رأوه، فلزمهم و قال: کیف أصدقکم و أنتم تصـفون بعیری بصفته!! فساروا حتی قدموا نجران، فنزلوا بالأفعی الجرهمی، فنادی صاحب البعیر: بعیری، و صفوا لی صفته، ثم قالوا: لم نره!

فقال لهم الأفعی: کیف وصفتموه، و لم تروه؟

فقال له مضر: رأیته یرعی جانبا و یدع جانبا فعرفت أنه أعور.

و قال ربیعة: رأیت إحدی یدیه ثابتة الأثر و الأخری فاسدة الأثر، فعلمت أنه أفسدها لشدة وطئه لازوراره.

و قال إیاد: عرفت بتره باجتماع بعره، و لو کان ذیالا لمصع به.

و قال أنمار: عرفت أنه شرود، أنه کان یرعی فی المکان المتلف نبته، ثم یجوزه إلی مکان أرق منه و أخبث.

قال الشیخ: لیسوا بأصحاب بعیرک، فاطلبه.

ثم سألهم من هم؟

فأخبروه، فرحب بهم و قال: تحتاجون إلی و أنتم کما أری!

فدعا لهم بطعام، فأکل و أکلوا و شرب و شربوا.

فقال مضر: لم أر کالیوم خمرا أجود لو لا أنها نبتت علی قبر.

و قال ربیعة: لم أر کالیوم لحما أطیب لو لا أنه ربی بلبن کلبة.

و قال إیاد: لم أر کالیوم رجلا سرنی لو لا أنه لیس لأبیه الذی یدعی له.

و قال أنمار: لم أر کالیوم کلاما أنفع فی حاجتنا.

و سمع صاحبهم کلامهم، فقال: ما هؤلاء؟! إنهم لشیاطین.

ثم أتی أمه، فسألها، فأخبرته أنها کانت تحت ملک لا یولد له، فکرهت أن یذهب الملک، فأمکنت رجلا نزل بهم من نفسـها، فوطئها،

فجاءت به.

و قال للقهرمان: الخمر التی شربناها ما أمرها؟

قال: من حبلة غرستها علی قبر أبیک.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۴

و سأل الراعی عن اللحم، فقال: شاة أرضعناها من لبن کلبة، و لم یکن ولد فی الغنم غیرها. فأتاهم، فقال: قصوا علی قصتکم، فقصوا علیه ما أوصی به أبوهم، و ما کان من اختلافهم.

فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر. فصارت إلیه الدنانیر و الإبل، و هی حمر، فسمیت مضر الحمراء.

قال: و ما أشبه الخباء الأسود من دابة و مال فهو لربیعة. فصارت له الخیل، و هی دهم، فسمی ربیعة الفرس.

قال: و ما أشبه الخادم، و کانت شمطاء، من مال فیه بلق، فهو لإیاد. فصارت له الماشیة البلق. و قضی لأنمار بالدراهم و الأرض. فساروا من عنده علی ذلک.

و کان یقال: مضر و ربیعة هما الصریحان من ولد إسماعیل.

و روی میمون بن مهران، عن عبد الله بن العباس، أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «لا تسبوا مضر و ربیعة فإنهما کانا مسلمین» «۱».

و قال صلی اللّه علیه و سلم فیما روی عنه: «إذا اختلف الناس فالحق مع مضر» «۲».

و سمع علیه السلام قائلا یقول:

إنی امرؤ حمیری حین تنسبنی لا من ربیعة آبائی و لا مضرا فقال صلی اللّه علیه و سلم: «ذلک أبعد لک من الله و من رسوله» «۳».

و مما یؤثر من حکم مضر بن نزار و وصایاه: من یزرع شرا یحصد ندامة، و خیر الخیر أعجله، فاحملوا أنفسکم علی مکروهها فیما أصلحکم، و اصرفوها عن هواها فیما أفسدها، فلیس بین الصلاح و الفساد إلا صبر فواق.

فولد مضر بن نزار رجلین: إلیاس بن مضر، و عیلان بن مضر.

قال الزبیر: و أمهما الحنفاء بنت إیاد بن معد.

---

(۱) أخرجه ابن حجر فی الفتح (۷/ ۱۴۶)، المتقی الهندی فی الکنز (۲۳۹۸۷).

(۲) أخرجه المتقی الهندی فی الکنز (۳۳۹۸۹)، ابن حجر فی المطالب العالیة (۴۱۸۸)، ابن عدی فی الکامل فی الضعفاء (۱۴۵۶)، ابن أبی شیبة فی المصنف (۱۲/ ۱۹۸).

(۳) أخرجه أبو داود فی السنن کتاب البیوع باب (۸۸)، البیهقی فی السنن الکبری (۶/ ۱۷۴)، الزیلعی فی نصب الرایة (۴/ ۱۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۵

و قال ابن هشام: أمهما جرهمة. و لما أدرک إلیاس بن مضر، أنکر علی بنی إسماعیل ما غیروا من سنن آبائهم و سیرهم، و بان فضله علیهم و لان جانبه لهم، حتی جمعهم علی رأیه، و رضوا به رضا لم یرضوه بأحد من ولد إسماعیل بعد أدد.

فردهم إلی سنن آبائهم، حتی رجعت سنتهم تامة علی أولها.

و هو أول من أهدی البدن إلی البیت، أو فی زمانه.

و أول من وضع الرکن للناس بعد هلاکه، حین غرق البیت و انهدم زمن نوح علیه السلام.

فکان أول من سقط علیه إلیاس، أو فی زمانه، فوضعه فی زاویة البیت للناس.

و من الناس من یقول: إنما هلک الرکن بعد إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام. و هو الأشبه، إن شاء الله.

و لم تبرح العرب تعظم إلياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة، كلقمان و أشباهه.

فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر: مدركة، و طابخة، و قمعة.

و أمهم خندف بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، و اسمها ليلى، و اسم مدركة عامر، و اسم طابخة عمرو، و اسم قمعة عمير.

و إنما حالت أسماؤهم إلى الذى ذكرنا أولا عنهم، فيما ذكروا، أن أرنبا أنفرت إبل إلياس بن مضر، فصاح ببنيه هؤلاء أن يطلبوا الإبل و الأرنب.

فأما عمير فاطلع من المظلة ثم قمع. فسمى قمعة.

و خرج عامر و عمرو فى آثار الإبل، و خرجت أمهم ليلى تسعى خلفهم.

فقال لها زوجها إلياس: أين تخندفين؟ أى أين تسعين. فسميت خندف «۱».

و مر عامر و عمرو بظبى، فرماه عمرو فقتله، و يقال: بل رمى الأرنب التى أنفرت الإبل، فقال له عامر: اطبخ صيدك، و أنا أكفيك الإبل. فطبخ عمرو، فسمى طابخة.

و أدرك الإبل عامر، فسمى مدركة.

---

(۱) قال ابن حجر فى فتح البارى (۶/ ۶۳۳): خندف هى بكسر المعجمة و سكون النون و فتح الدال بعدها فاء، و هو اسم امرأة إلياس بن مضر، و اسمها: ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، لقبت بخندف لمشيتها و الخندف: الهرولة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۶

و اشتهر بنو خندف هؤلاء بأمهم خندف للذى سار من فعلها فى الناس.

و ذلك أنه لما مرض زوجها إلياس وجدت لذلك وجدا شديدا، و نذرت إن هلك، ألا تقيم فى بلد مات فيه، و لا يظلها بيت بعده، و أن تسيح فى الأرض. و حرمت الرجال و الطيب.

فلما هلك إلياس خرجت سائحة فى الأرض حتى هلكت حزنا.

و كانت وفاته يوم الخميس، فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم تبكيه حتى تغيب، فصارت خندف و ما صنعت عجبا فى الناس، يتحدثون به و يذكرونه فى أشعارهم.

فقيل لرجل من إياد، أو همدان، و قد هلكت امرأته: أ لا تبكى عليها؟

فقال: لو كان ذلك يردها لفعلت كما فعلت خندف على إلياس. ثم اندفع يقول:

لو أنه يغنى بكيت كخندفعلى إلياس حتى ملها الشر تندب

إذا مونس لاحت خراطيم شمسهبكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب

و لم تر عيناها سوى الدفن قبرهفساحت و ما تدرى إلى أين تذهب

فلم يغن شيئا طول ما بلغت بهو ماطلها دهر و عيش معذب و فقدت امرأة من غسان أخاها ثم أباها، فمكثت دهرا تبكى عليهما، فنهاها قومها، فقالت:

تلحون سلمى أن بكت أباهاو قبل ما قد ثكلت أخاها

فحولوا العذل إلى سواهاعصتكم سلمى إلى هواها

كما عصت خندف من نهاهاخلت بنيها أسفا وراها

تبكى على إلياس فما أتاها

فولد مدركة بن إلياس نفرا، منهم خزيمة بن مدركة، و هذيل بن مدركة.

و أمهما امرأة من قضاعة، قيل: هى سلمى بنت سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. و قيل غير ذلك.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۷

فولد خزيمة بن مدركة كنانة و أسدا و أسدة و الهون.

و أم كنانة منهم، عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. و قيل: هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان. قرأته بخط أحمد بن يحيى بن جابر.

فولد كنانة بن خزيمة جماعة منهم: النضر، و به كان يكنى، و نضير، و مالك، و ملكان، و عمرو، و عامر، و أمهم برة بنت مر، خلف عليها كنانة بعد أبيه خزيمة، على ما كانت الجاهلية تفعله، إذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها.

فنهى الله عن ذلك بقوله: وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ [النساء: ۲۲] «۱».

و يقال: إن برة هذه، لما أهديت أولا إلى خزيمة بن مدركة، قالت له: إنى رأيت فى المنام كأنى ولدت غلامين من خلاف بينهما سابياء، فبينا أنا أتأملهما إذا أحدهما أسد يزأر و إذا الآخر قمر ينير.

فأتى خزيمة كاهنة بتهامة، فقص عليها الرؤيا، فقالت: لئن صدقت رؤياها لتلدن منك غلاما يكون لولده قلوب باسلة، ثم لتموتن عنها فيختلف عليها ابن لك، فتلد منه غلاما يكون لولده عدل و عدد و قروم مجد و عز إلى آخر الأبد.

ثم توفى خزيمة، فخلف عليها كنانة بعد أبيه، فولدت له النضر و إخوته، و إنما سمى النضر، لنضارة وجهه و جماله.

و أتى أبوه كنانة بن خزيمة و هو نائم فى الحجر، فقيل له: تخير يا أبا النضر بين الصهيل و الهدر و عمارة الجدر و عز الدهر.

فقال: كل يا رب.

فصار هذا كله فى قريش.

و النضر هو جماع قريش فى قول طائفة من أهل العلم بالنسب، و الأكثر على أن فهر بن مالك بن النضر هو قريش.

فمن كان من ولده فهو قرشى، و من لم يكن من ولده فليس بقرشى.

و ذكر الزبير أن هذا هو رأى كل من أدرك من نساب قريش.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۹۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۸

فولد النضر بن كنانة مالكا، و يخلد، و الصلت «۱».

فولد مالك فهر بن مالك. و أمه جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعيد بن الحارث بن مضاض الجرهمى. و هو جماع قريش عند الأكثر.

قال الزبير: قد اجتمع النساب من قريش و غيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فهر.

و يقال: إن قريشا هو اسمه الذى سمته به أمه، و لقبته فهرا.

فولد فهر بن مالك غالبا و محاربا و الحارث و أسدا، و أختهم جندلة. و أم جميعهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة «۲».

و لما حضرت الوفاة فهر بن مالك، قال لابنه غالب: يا بنى، إن فى الحزن إقلاق النفوس قبل المصائب، فإذا وقعت المصيبة برد حرها، و إنما القلق فى غليانها، فإذا أنا مت فبرد حر مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك و خلفك، و عن يمينك و عن شمالك، و بما ترى من آثارها فى محيى الحياة، ثم اقتصر على قليلك، و إن قلت منفعته، فقليل ما فى يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك و إن صار إليك.

فولد غالب بن فهر لؤيا و تيما، و هو الأدرم، كان منقوص الذقن.

و يقال لقومه: بنو الأدرم.

و أمهما فى قول ابن إسحاق «۳»: سلمى بنت عمرو الخزاعى.

و فى قول الزبير: عاتكة بنت يخلد بن النضر.

و روى أن لؤىّ بن غالب قال لأبيه، و هو غلام حديث: يا أبت، من رب معروفة قل إخلاقه، و نضر ماؤه. و من أخلقه أخمله، و إذا أخلق الشيء لم يذكر، و على المولى تكبير صغيره و نشره، و على المولى تصغير كبيره و ستره.

فقال له أبوه غالب: إنى لأستدل بما أسمع من قولك على فضلك، و أستدعى لك به الطول على قومك، فإن ظفرت بطول فعد على قومك بفضلك، و كف غرب جهلهم بحلمك، و لم شعثهم برفقك، فإنما تفضل الرجال الرجال بأفعالها، و من قايسها على أوزانها أسقط الفضل و لم تعل به درجة على أحد، و للعليا فضل أبدا على السفلى.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۹۴- ۹۵).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۹۵).

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۹۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۹

فولد لؤىّ بن غالب كعبا و عامرا، و سامة، و عوفا و سعدا، و خزيمة «۱».

فدخل بنو خزيمة فى شيبان، و يسمون فيهم بعائذة، و هى امرأة من اليمن، كانت أم بنى عبيد بن خزيمة فنسبوا إليها.

و كذلك دخل بنو سعد، فى شيبان، و يسمون فيهم ببنانة حاضنة كانت لهم من قضاعة، و قيل من النمر بن قاسط، فنسبوا إليها.

و أما سامة بن لؤىّ، فخرج إلى عمان، و يزعمون أن عامر بن لؤىّ أخرجه.

و ذلك أنه كان بينهما شيء، ففقأ سامة عين عامر، فأخافه عامر، فخرج إلى عمان.

فيزعمون أن سامة بن لؤىّ بينا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حية بمشفرها، فهصرتها «۲» حتى وقعت الناقة لشقها، ثم نهشت ساقه فقتلته. فقال سامة حين أحس بالموت، فيما يزعمون:

عين فابكى لسامة بن لؤىّعلقت ما بسامة العلاقة

لا أرى مثل سامة بن لؤىّيوم حلوا به قتيلا لناقة

بلغا عامرا و كعبا رسولاأن نفسى إليهما مشتاقة

إن تكن فى عمان دارى فإنيغالبى خرجت من غير فاقة

رب كأس هرقت يا بن لؤىّحذر الموت لم تكن مهراقة

رمت دفع الحتوف يا بن لؤىّما لمن رام ذاك بالحتف طاقة

و خروس السرى تركت رديابعد جد وحدة و رشاقة «۳» قال ابن هشام: و بلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فانتسب إلى سامة بن لؤىّ، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ألشاعر؟» فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

رب كأس هرقت يا ابن لؤىّحذر الموت لم تكن مهراقة قال: «أجل» «۴».

---

(۱) انظر: السيرة (۹۶).

(۲) الهصر: هو الكسر، هصر الشيء يهصره هصرا: جبذه و أماله و اهتصره، و قال أبو عبيدة: هصرت الشيء و وقصته إذا كسرته. انظر: اللسان (مادة هصر).

(۳) خروس السرى: يعنى ناقة صموتا صبورا. السرى: هو سير الليل، و قيل: سير الليل كله.

(۴) ذكره الأصفهانى فى كتاب الأغانى (۹/ ۱۰۴)، و ليس له إسناد يعرف.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۰

قال ابن إسحاق «۱»: و أما عوف بن لؤىّ، فإنه خرج فيما يزعمون فى ركب من قريش، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبطئ به، فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، فحبسه و التاطه و آخاه و زوجه، فانتسب بتلك المؤاخاة إلى سعد بن ذبيان أبى ثعلبة.

و ثعلبة، يزعمون، هو القائل له:

احبس على ابن لؤىّ جملكتركتك القوم و لا مترك لك و يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: لو كانت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لا دعيت بنى مرة بن عوف، إنا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع؛ يعنى عوف بن لؤىّ.

و هم فى نسب غطفان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، و هم يقولون إذا ذكر لهم النسب: ما ننكره و لا نجحده، و إنه لأحب النسب إلينا.

و قيل: إن عمر بن الخطاب قال لرجال من بنى مرة: إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه. و كان القوم أشرافا فى غطفان هم سادتهم و قادتهم، منهم هرم بن سنان ابن أبى حارثة، و أخوه خارجة بن سنان، و الحارث بن عوف، و الحصين بن الحمام، و هشام بن حرملة، قوم لهم صيت و ذكر فى غطفان و قيس كلها، فأقاموا على نسبهم.

على أن الحصين بن الحمام قد تحير فى هذا و اختلف رأيه، فلما سمع قول الحارث ابن ظالم، أحد بنى مرة بن عوف، حين هرب من النعمان بن المنذر و لحق بقريش:

و ما قومى بثعلبة بن سعدو لا بفزارة الشعر الرقابا «۲»

فقومى إن سألت بنو لؤىّبمكة علموا مضر الضرابا

سفهنا باتباع بنى بغيضو ترك الأقربين لنا انتسابا

سفاهة مخلف لما تروىهراق الماء و اتبع السرابا «۳»

فلو طوعت عمرك كنت فيهمو ما ألفيت انتجع السحابا «۴»

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۹۸- ۹۹).

(۲) الشعر: جمع أشعر، و هو الكثير الشعر.

(۳) المخلف: الذى يسقى الماء. هراق: أى صبه.

(۴) انتجع: أى ذهب فى طلب الكلاء فى موضعه. و ذكره ابن إسحاق فى السيرة و زاد فى آخره بيت هو:

و خش رواحة القرشى رحلىبناحية و لم يطلب ثوابا انظر: السيرة (۱/ ۹۸- ۹۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۱

قال الحصين بن الحمام يرد عليه و ينتمى إلى غطفان:

أ لا لستم منا و لسنا إليكمبرئنا إليكم من لؤىّ بن غالب

أقمنا على عز الحجاز و أنتمبمعتلج البطحاء بين الأخاشب يعنى قريشا.

ثم ندم الحصين على ما قال، و عرف صدق الحارث، فأكذب نفسه و قال:

ندمت على قول مضى كنت قلته‌تبينت فيه أنه جد كاذب

فليت لسانى كان نصفين منهمابكيم و نصف عند مجرى الكواكب

أبونا كنانى بمكة قبره‌بمعتلج البطحاء بين الأخاشب

لنا الربع من بيت الحرام وراثةو ربع البطاح عند دار ابن حاطب يعنى أن بنى لؤىّ كانوا أربعة، كعبا، و عامرا، و سامة، و عوفا.

و فى بنى مرة بن عوف كان البسل، و ذلك ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب، يسيرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا، و لا يخافون منهم شيئا، قد عرفوا ذلك لهم لا يدفعونه و لا ينكرونه.

و كان سائر العرب إنما يأمنون فى الأشهر الحرم الأربعة فقط.

و ذكر الزبير عن أبى عبيدة، أنه كانت لقريش فى هذا مزية على سائر العرب قاطبة، و ذلك أن العربى لم يكن ليخرج من داره فى غير الأشهر الحرم إلا فى جماعة، و كان القرشى يخرج حيث شاء و أنى شاء، فيقال: رجل من أهل الله فلا يعرض له عارض، و لا يريبه أحد بمكروه، و يعظمه من لقيه أو ورد عليه، و لذلك قال من قال منهم:

القرشى بكل بلد حرام.

و أما كعب بن لؤىّ، و عامر بن لؤىّ، فهما أهل الحرم و صريح ولد لؤىّ.

و كان كعب منهما عظيم القدر فى العرب، و أرخوا بموته إعظاما له، إلى أن كان عام الفيل فأرخوا به «۱».

و كان بين موته و الفيل، فيما ذكروا، خمسمائة سنة و عشرون سنة. و كان يوم الجمعة يسمى العروبة، فسماه كعب الجمعة لاجتماع قومه فيه يخطبهم و يذكرهم.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۰۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲

فيقول فيما يقول: أيها الناس، اسمعوا وعوا، و افهموا و تعلموا، ليل ساج و نهار ضاح، و السماء بناء، و الأرض مهاد، و النجوم أعلام، لم تخلق عبثا فتضربوا عن أمرها صفحا، الآخرون كالأولين، و الدار أمامكم، و اليقين غير ظنكم، صلوا أرحامكم، و احفظوا أصهاركم، و أوفوا بعهدكم، و ثمروا أموالكم، فإنها قوام مروآتكم، و لا تصونوها عما يجب عليكم، و عظموا هذا الحرم و تمسكوا به فسيكون له نبأ عظيم، و سيخرج به نبى كريم. ثم ينشد أبياتا منها:

صروف و أنباء تقلب أهلهالها عقدة ما يستحيل مريرها

على غفلة يأتى النبىّ محمدفيخبر أخبارا صدوقا خبيرها ثم يقول:

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته‌حين العشيرة تبغى الحق خذلانا أما و الله لو كنت ذا سمع و بصر و يد و رجل لتنصبت فيها تنصب الفحل، و لأرقلت فيها إرقال الجمل، فرحا بدعوته جذلا بصرخته.

فولد كعب بن لؤىّ بن مرة، و هصيصا، و عديا «۱».

و أمهم و حشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك.

و قيل: إن أم عدى وحده امرأة من فهر، و هى حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

فولد مرة بن كعب كلابا، و تيما، و يقظة «۲».

فولد كلاب رجلين: قصيا و زهرة. و أمهما فاطمة بنت سعد بن سيل، أحد الجدرة من خثعمة الأسد من اليمن، حلفاء فى بنى الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، و يقال خثعمة الأسد «۳».

و اسم سيل: خير، و إنما سمى سيلا لطوله. و سيل اسم جبل، و هو خير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر، بن عمرو بن

خثعمة بن یشکر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن الأزد.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۰۲).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۱۰۲).

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۱۰۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۳

و سمی عامر الجادر لأنه بنی جدارا للکعبة، کان و هی من سیل أتی أیام ولایة جرهم البیت.

و کان عامر تزوج منهم بنت الحارث بن مضاض، و قیل لولده الجدرة لذلک.

و ذکر الشرفی بن القطامی، أن الحاج کانوا یتمسحون بالکعبة و یأخذون من طینها و حجارتها تبرکا بذلک، و أن عامرا هذا کان موکلا بإصلاح ما شعث من جدرها، فسمی الجادر. و الله أعلم.

و سعد بن سیل جد قصی بن کلاب، و هو أول من حلی السیوف بالفضة و الذهب، و أهدی إلی کلاب بن مرة مع ابنته فاطمة سیفین محلیین، فجعلا فی خزانة الکعبة.

و قصی هو الذی جمع الله به قریشا، و کان اسمه زیدا، فسمی مجمعا لما جمع من أمرها. و سمی قصیا لتقصیه عن بلاد قومه مع أمه فاطمة بعد وفاة أبیه کلاب بن مرة.

و حدیثه فی ذلک طویل، و سنذکره إن شاء الله عند ذکر ولایته البیت، و هناک نذکر مآثره و عظیم غنائه فی إقامة أمر قومه، إن شاء الله، فإن القصد هنا الإیجاز ما أمکن فی إیراد هذا النسب المبارک، لتحصل لسامعه الفائدة بانتظامه و اتصاله، و لا یضل ذلک علیه بما تخلل أثناءه من القواطع التی تباعد بین أطرافه.

فولد قصی بن کلاب أربعة نفر و امرأتین «۱»:

عبد مناف، و عبد الدار، و عبد العزی، و عبدا، و تخمر، و برة.

و أمهم جمیعا حبی بنت حلیل بن حبشیة بن سلول بن کعب بن عمرو الخزاعی.

و ساد عبد مناف فی حیاة أبیه، و کان مطاعا فی قریش، و هو الذی یدعی القمر لجماله، و اسمه المغیرة.

ذکر الزبیر عن موسی بن عقبة، أنه وجد کتابا فی حجر، فیه: أنا المغیرة بن قصی، آمر بتقوی الله و صلة الرحم.

و إیاه عنی القائل بقوله:

کانت قریش بیضة فتفلقتفالمح خالصه لعبد مناف فولد عبد مناف أربعة نفر: هاشما، و عبد شمس، و المطلب، و نوفلا «۲».

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۰۳- ۱۰۴).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۱۰۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۴

و کلهم لعاتکة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذکوان بن ثعلبة بن بهثة بن سلیم بن منصور بن عکرمة بن خصفة بن قیس بن عیلان بن مضر.

إلا نوفلا فلیس منهم، فإنه لوافدة بنت عمرو المازنیة. مازن بن منصور بن عکرمة.

فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر و خمس نسوة «۱».

عبد المطلب، و أسدا، و أبا صیفی، و نضلة، و الشفاء، و خالدة، و ضعیفة، و رقیة، و حیة، و أم عبد المطلب أمهم سلمی بنت عمرو بن

زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار.

فولد عبد المطلب عشرة نفر و ست نسوة «۲».

العباس، و حمزة، و عبد الله، و أبا طالب، و اسمه عبد مناف، و الزبير، و الحارث، و هو أكبرهم، و الحجل، و المقوم، و ضرارا، و عبد العزى أبا لهب، و صفية، و أم حكيم البيضاء، و عاتكة، و أميمة، و أروى، و برة.

فأم عبد الله و أبى طالب و جميع النساء غير صفية، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤىّ.

فولد عبد الله بن عبد المطلب، محمدا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خاتم النبيين و سيد الأولين و الآخرين، و نخبة الخلق أجمعين، فنسبه صلى اللّه عليه و سلم أشرف الأنساب، و سببه إلى الله سبحانه باصطفائه إياه و اختياره له أفضل الأسباب، و بيته فى قريش أوسط بيوتها الحرمية، و أعرق معادنها الكرمية، لم تخل قط مكة من سيد منهم أو سادات، يكونون خير جيلهم و رؤساء قبيلهم، حتى إذا درجوا سما قسماؤهم فى المجد الصميم، و شركاؤهم فى النسب الكريم إلى ذلك المقام، فعرجوا فصحبوا على ذلك الزمان.

لواؤهم على من ناوأهم منصور، و سؤدد البطحاء عليهم مقصور، و العيون إليهم أية سلكوا صور.

ثم أتى الوادى فطم على القرى، و شد الله أركان مجدهم العريق العتيق بهذا النبىّ الأمى، فاحتازوا المجد عن آخره. و فازوا من شرف الدين و الدنيا بما تعجز ألسنة البلغاء عن أدنى مفاخره.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۰۴).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۱۰۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۵

و أمه صلى اللّه عليه و سلم هى آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، بن زهرة، بن كلاب «۱»، قسمية أبيه من هذا الأب، و كريمة قومها أولى المكان النبيه و الحسب.

و حسبها من الشرف المتين و الكرم المبين و الفخر الممكن غاية التمكين، أن كانت أما لخاتم النبيين، صلى اللّه عليه و سلم و على آله أجمعين.

فكيف و لها من نصاعة الحسب المحسب، و عتاقة المنسب و المنصب، ما يقف عند البطاح، و تعترف له قريش البطاح.

فرسول الله صلوات الله و بركاته عليه، خيرة الخير من كلا طرفيه، و قد اعتنى الناس بنسبه الكريم نثرا و نظما، و نقبوا عن آبائه الأمجاد، و أمهاته الطاهرات الميلاد أبا فأبا و أما فأما.

فرادوا من ذلك الفخار حدائق غلبا، و سادوا من شرف تلك الآثار مراقى شمّا.

و قد تقدمت من ذلك نبذ منثورة أثناء الكلام، و ستأتى إن شاء الله منظومة مع أشكالها، تفوق العقد فى النظام، فى قصيدة فريدة مفيدة، لأبى عبد الله بن أبى الخصال، خاتمة رؤساء الآداب، و العلماء المبرزين فى هذا الباب، سماها «معراج المناقب، و منهاج الحسب الثاقب، فى ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه و سلم و معجزاته و مناقب أصحابه»، قرأتها على شيخنا الخطيب أبى القاسم بن حبيش، عنه فقد رأيت أن أورد منها هنا ما يختص بهذا النسب الكريم على اختصار، يفى إن شاء الله بالغرض المروم، إذ الكلام المنظوم أعذب جريا على الألسان و أهذب رأيا فى الإفادة بالمستحسن.

و أولها:

إليك فهمى و الفؤاد بيثربو إن عاقنى عن مطلع الوحى مغربى

أعلل بالآمال نفسا أغرهابتقديم غاياتى و تأخير مذهبى

و دينى على الأيام زورة أحمدفهل ينقضى دينى و يقرب مطلبى

و هل أردن فضل الرسول بطیبةفیا برد أحشائی و یا طیب مشربی

و هل فضلت من مرکب العمر فضلةتبلغنی أم لا بلاغ لمرکب

ألا لیت زادی شربة من میاههاو هل مثلها ریا لغلة مذنب

---

(۱) انظر نسبها فی: السیرة (۱/ ۱۰۵)، و ذکرها هناک من جهة الأب، و من جهة الأم و قال بعد نسبها من جهة الأب: و أمها برة بنت عبد العزی بن عثمان بن عبد الدار بن قصی بن کلاب بن مرة بن کعب بن لؤیّ بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۶ و یا لیتنی فیها إلی الله صائرو قلبی عن الإیمان غیر مقلب

و إن امرؤ واری البقیع عظامهلفی زمرة تلقی بسهل و مرحب

و فی ذمة من خیر من وطئ الثریو من یعتلقه حبله لا یعذب

و ما لی لا أشری الجنان بعزمةیهون علیها کل طام و سبسب

و ما ذا الذی یثنی عنانی و إننیلجواب آفاق کثیر التقلب

أفقر ففی کفی لله نعمةو بین فقد فارقت قبل بنی أبی

و قد مرنت نفسی علی البعد و انطوتعلی مثل حد السمهری المدرب

و کم غربة فی غیر حق قطعتهافهلا لذات الله کان تغربی

و کم فاز دونی بالذی رمت فائزو أخطأنی ما ناله من تغرب

أراه و أهوی فعلة البر قاعدافیا قعدی البر قم و تلبب

أمانی قد أفنی الشباب انتظارهاو کیف بما أعیی الشباب لأشیب

و قد کانت أسری فی الظلام بأدهمفها أنا أغدو فی الصباح بأشهب

فمن لی و أنی لی بریح تحطنیإلی ذروة البیت الرفیع المطنب

إلی الهاشمی الأبطحی محمدإلی خاتم الرسل المکین المقرب

إلی صفوة الله الأمین لوحیهأبی القاسم الهادی إلی خیر مشعب

إلی ابن الذبیحین الذی صیغ مجدهو لما تصغ شمس و لا بدر غیهب

إلی المنتقی من عهد آدم فی الذرییردد فی سر الصریح المهذب

إلی من تولی الله تطهیر بیتهو عصمته من کل عیص مؤشب

فجاء بریء العرض من کل وصمةفما شئت من أم حصان و من أب

کروض الربا کالشمس فی رونق الضحیکناشئ ماء المزن قبل التصوب

علیه من الرحمن عین کلاءةتجنبه إلمام کل مجنب

إذا أعرضت أعراقه عن قبیلةفما أعرضت إلا لأمر مغیب

و ما عبرت إلا علی مسلک الهدیو لا عثرت إلا علی کل طیب

فمن مثل عبد الله خیر لداتهو آمنة فی خیر ضنء و منصب

إذا اتصلت جاءتک أفلاذ زهرةکأسد الشری من کل أشوس أغلب

و لا خال إلا دون سعد بن مالکو لو کان فی علیا معد و یعرب

و من ذا له جد کشیبة ذی الندیو ساقی الحجیج بین شرق و مغرب

له سؤدد البطحاء غیر مدافعو حومة ما بین الصفا و المحصب

أبو الحارث السامی إلی کل ذروةیقصر عن إدراکها کل کوکب

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۷ به و بما فی برده من أمانةحمی الله ذاک البیت من کل مرهب

و أهلک بالطیر الأبابیل جمعهمفیا لهم من عارض غیر خلب

و فیما رآه شیبة الحمد آیةتلوح لعین الناظر المتعجب

و فی ضربه عنه القداح مروعاو من یرم بین العین و الأنف یرهب

و ما زال یرمی و السهام تصیبهإلی أن وقبه الکوم من نسل أرحب

و کانوا أناسا کلما أمهم أذی تکشف عن صنع من الله معجب

و عاش بنو الحاجات فیهم و أخصبواو إن أصبحوا فی منزل غیر مخصب

و عمرو المعالی هاشم و ثریدهبمکة یدعو کل أغبر مجدب

بمثنی جفان کالجواب منیخةملئن عبیطات السنام المرعب

هو السید المتبوع و القمر الذیعلی صفحته فی الرضا ماء مذهب

بنی الله للإسلام عزا بصهرهإلی منتهی الأحیاء من آل یثرب

و عبد مناف دوحة الشرف الذیتفرع منها کل أروع محرب

مطاع قریش و الکفیل بعزهاو مانعها من کل ضیم و منهب

و زید و من زید قصی مجمعسمعت و بلغنا و حسبک فاذهب

به اجتمعت أحیاء فهر و أحرزتتراث أبیها دون کل مذبذب

و أصبح حکم الله فی آل بیتهفهم حوله من سادنین و حجب

و ما أسلمته عن تراخ خزاعةو لکن کما عض الهناء بأجرب

و لاذت قریش من کلاب بن مرةبجذل حکاک أو بعذق مرحب

و مرة ذو نفس لدی الحرب مرةو فی السلم نفس الصرخدی المذوب

و کعب عقید الجود و الحکم و النهیو ذو الحکم الغر المبشر بالنبی

خطیب لؤیّ و اللواء بکفهلخطبة ناد أو لخطة مقنب

و أول من سمی العروبة جمعةو صدر أما بعد یلحی و یطبی

و أرخ آل الله دهرا بموتهسنین سدی یتعبن کف المحسب

و أضحی لؤیّ غالبا کل ماجدو من غالب یمینه للمجد یغلب

و فهر أبو الأحیاء جامع شملهاو کاسبها من فخره خیر مکسب

تقرش فامتازت قریش بفضلهو سد فسدوا خلة المتأوب

و غادره اسما فی الکتاب منزلایمر به فی آیة کل معرب

و مالک المربی علی کل مالکفتی النضر حابته السیادة بل حبی

هو اللیث فی الهیجاء و الغیث فی الندیو بدر الدیاجی حین یسری و یحتبی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۸ تردی بفضفاض علی المجد نسجهو لیس علیه، فلیجر و یسحب

و للنضر یا للنضر من کل مشهدهو الشمس صعد فی سناها و صوب

و أعرض بحر من كنانة زاخريساق إلى أمواجه كل مذنب

و خير حكما في الصهيل أو الوغا فلم أو البيت أو عز على الدهر مصحب

يقتصر و اختار كلا فحازه إلى غاية العزم المديد المعقب

له البيت محجوبا و عز مخلدو أجرد يعبوب إلى جانب أصهب

و خزم آناف العتاة خزيمةفلاذوا بأخلاق الذلول المغرب

عظيم لسلمى بنت سود بن أسلملكل قضاعى كريم مصعب

و مدركة ذو اليمن و النجح عامرو خير مسمى في العلا و ملقب

تراءى مطلا إذ تقمع صنوهففاز بقدح ظافر لم يخيب

لأم الجبل الشم و القطر و الحصى لخندف إن تستركب الأرض تركب

و إلياس مأوى الناس في كل أزمةو مهربهم في كل خوف و مرهب

و زاجرهم إذ بدلوا الدين ضيلةو أضحوا بلا هاد و لا متحوب

و جاءهم بالركن بعد هلاكهو قد كان في صدع من الرض أنكب

و ما هو إلا معجز لنبوةو بشرى و عقبى للبشير المعقب

و حج و أهدى البدن أول مشعرلها و فروض الحج لم تترتب

و كم حكمة لم تسمع الأذن مثلهاله إن تلح في ناظر العين تكتب

إلى قنص تنميه سوداء نبتهكلا طرفيه من معد لمنسب

و في مضر تاه الكلام و أقبلتمآثر سدت كل وجه و مذهب

و حينا و كاثرنا النجوم بجمعهابأكثر منها في العديد و أثقب

هنالك آتى الله من شاء فضلهو قيل لهذا سر و للآخر اركب

و كانا شقيقى نبعة فتفاوتالعلم و حكم ماله من معقب

و ما منهما إلا حنيف و مسلمعلى نهج إسماعيل غير منكب

و قد سلم الأفعى بنجران حكمهإليهم و لم ينظر إلى متعقب

رأى فطنا أبدت له عن نجارهو كان لنبع فاستحال لأثأب

و تلك علامات النبوة كلهاتشير إلى منظورها المترقب

و قال رسول الله مهما اختلفتمو لم تعرفوا قصد السبيل الملحب

ففي مضر جرثومة الحق فاعمدواإلى مضر تلفوه لم يتنقب

و ما سيد إلا نزار يفوتهو من فاته بدر الدجى لم يؤنب

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۹ قريع معد و الذى سد نفدهمتى يأتهم شعب من الدهر يرأب

أبو أبحر الدنيا و أطوادها التيبها ثبتت طرّا فلم تنقلب

و لم يكفه حتى أعانت معانةبكل عتيق جرهمى مهذب

و جاء و السماء شموسهاو أقمارها في ذيله المتسحب

و بين يديه الأنجم الزهر بثهاعلى الأرض حتى لا مساغ لأجنبي

و قدما تحفى الله من بختنصربه و الورى من هالك و معذب

و جنبه أرض البوار و حازهإلى معقل من حرزه متأشب

و حل بإرمينية تحت حفظهلدى ملكك عن جانبيه مذبب

فلما تجلى الروع أسرى بعبدهإلى حرم أمن لأبنائه اجتبى

و قد كان رد الله عنهم كليمهليالى يدعو دعوة المتغضب

و جاء بنو يعقوب يشكون منهمينادونه هذا قتيل و ذا سبى

فقال له لا تدع موسى عليهمفمنهم نبى أصطفيه و أجتبى

أحبهم فيه رضا و أحبهكذلك من أحببه يكرم و يحبب

و أغفر إن يستغفرونى ذنوبهمو مهما دعا داع أجبه و أقرب

فقال إذن فاجعلهم رب أمتىفمن ترضاه يا رب يرض و يرغب

فقال هم فى آخر الدهر صفوتىيقضون أعدائى و يستنصرون بى

دعائم إيمان و أركان سؤددمضت بعلاها مهدد بنت جلحب

و مصعد عدنان إلى جذم آدمبأبين من قصد الصباح و الحب

و نهى رسول الله صد وجوههاو كان لنا فى نظمها شد ملهب

و إلا فأد بن الهميسع ماثلو نبت بن قيدار سلالة أشجب

و واجه أعراق الثرى كل من ترىو أسمع إسماعيل دعوة مكثب

و قام خليل الله يتلوه آزرأغر صباحى لأدهم غيهب

إلى الناحر ابن الشارع الغمر يرتقىو للداع ثم القاسم الشامخ الأب

و يعبر ينميه إلى المجد شالخإلى الرافد الوهاب بركك و طيب

لسام أبى السامين طرا سما بهملنوح للمكان العلى لمثوب

لإدريس ثم الرائد بن مهلهللقينن ثم الطاهر المتطيب

إلى هبة الرحمن شيث بن آدمأبى البشر الأعلى لطين لأثلب

فمنه خلقنا ثم فيه معادناو منه إلى عدن فسدد و قارب و هنا انتهى ما يخص المنتمى العلى من هذه الكلمة، التى فرى ناظمها فى الإحسان

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۳۰

الفرى المحمود، فاقتصرت منها على ما و فى بالغرض المقصود، و استوفى رجال النسب المجيد و الحسب التليد، تعجيلا لقرى المستفيد، و اكتفاء من القلادة بالقدر المحيط بالجيد، و إنها إن شاء الله لكافية فى الباب، و مقدمة فى الكلام اللباب، و تحفة إنما يعرف قدرها أولو الألباب.

و الله يجزى قائلها الحسنى، و ينفعه بمقصده الأسنى.

و إذ قد انتهينا إلى ما حسن لدينا إيراده فى هذا المعنى وصفا و ذكرا، و خدمنا النسب الأشرف نظما و نثرا، فلنعرج على ذكر البقعة التى اختارها الله لرسوله الكريم منشأ، و جعلها لقومه قرارا و متبوأ، و أولية البيت العتيق الذى جعله الله مثابة و أمنا للناس، و رفعه على أفضل القواعد و أكرم الأساس، ثم دحا الأرض من تحته رفعا للشبهة فى شرفه و الالتباس.

ثم نذكر من وليه من آبائه الكرام، إذا هم أهله الأعلون و أولياؤه الأحقاء به الأولون، و هو مأثرتهم التى لم يزالوا إياها يرعون، و من جرائها يراعون، و تراث المجد الذى إليهم يعزى و إليه يعزون، و بسيما شرفه يعرفون و باسمه يدعون.

و نشیر إلی حرمته العظیمة فی الحرمات، و ما أنزل الله تعالی بمن بغاه بسوء أو أتی فیه بأمر مذموم مشنوء من ألیم العقوبات و عظیم النقمات.

لنخدم البلد کما خدمنا المحتد، و نقضی حق المکان الشریف کما قضینا حق الحسب التلید و الطریف.

حق نخلص إلی ذکر المولد المبارک الذی منه نتدرج إلی المقصود، الذی نحن علیه عاملون، و لتمامه آملون، رجاء أن نجد ذلک مذخورا عند المولی الذی یضاعف لعبیده الحسنات و یعفو عن السیئات و یعلم ما یفعلون.

ذکر أولیة بیت الله المحرم و رکنه المستلم و من تولی بناءه من ملائکته و أنبیائه صلی الله علی جمیعهم و سلم

قال الله العظیم: إِنَّ أَوَّلَ بَیْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِی بِبَکَّةَ مُبارَکاً وَ هُدیً لِلْعالَمِینَ فِیهِ آیاتٌ بَیِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِیمَ [آل عمران: ۹۶].

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۱

و فی الصحیح من حدیث أبی ذر الغفاری، أنه سأل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: أی مسجد وضع فی الأرض أول؟ فقال له: «المسجد الحرام» قال: قلت: ثم أی؟ قال: «ثم المسجد الأقصی» قلت: کم بینهما؟ قال: «أربعون عاما» «۱».

و ذکر الزبیر بن أبی بکر بإسناده إلی جعفر بن محمد الصادق رضی الله عنه، قال:

کنت مع أبی محمد بن علی بمکة فی لیالی العشر قبل الترویة بیوم أو یومین، و أبی قائم یصلی فی الحجر، و أنا جالس وراءه، فجاء رجل أبیض الرأس و اللحیة، جلیل العظام بعید ما بین المنکبین عریض الصدر، علیه ثوبان غلیظان فی هیئة محرم، فجلس إلی جنبه، فخفف أبی الصلاة، فسلم ثم أقبل علیه، فقال له الرجل: یا أبا جعفر، أخبرنی عن بدء خلق هذا البیت کیف کان؟.

فقال له أبو جعفر محمد بن علی: ممن أنت یرحمک الله؟ قال: رجل من أهل الشام.

فقال له محمد بن علی: إن أحادیثنا إذا سقطت إلی الشام جاءتنا صحاحا، و إذا سقطت إلی العراق جاءتنا و قد زید فیها و نقص.

ثم قال: بدء خلق هذا البیت أن الله تبارک و تعالی، قال للملائکة: إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً، فردوا علیه: أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها الآیة.

و غضب علیهم، فعاذوا بالعرش، و طافوا حوله سبعة أطواف یسترضون ربهم، فرضی عنهم و قال لهم: ابنوا لی فی الأرض بیتا فیعوذ به من سخطت علیه من بنی آدم و یطوفون حوله، کما فعلتم بعرشی، فأرضی عنهم.

فبنوا له هذا البیت. فهذا یا عبد الله بدء خلق هذا البیت.

فقال الرجل: یا أبا جعفر، فما بدء خلق هذا الرکن؟.

فقال: إن الله تبارک و تعالی لما خلق الخلق، قال لبنی آدم: أ لست بربکم؟ قالوا: بلی.

و أقروا. و أجری نهرا أحلی من العسل و ألذ من الزبد، ثم أمر القلم فاستمد من ذلک النهر فکتب إقرارهم و ما هو کائن إلی یوم القیامة، ثم ألقم ذلک الکتاب هذا الحجر، فهذا الاستلام الذی تری إنما هو بیعة علی إقرارهم بالذی کانوا أقروا به.

---

(۱) أخرجه البخاری (۴/ ۱۷۷، ۱۹۷)، مسلم فی صحیحه کتاب المساجد (۱، ۲)، البیهقی فی السنن الکبری (۲/ ۴۳۳)، السیوطی فی الدر المنثور (۲/ ۵۲)، ابن کثیر فی التفسیر (۲/ ۶۳، ۵/ ۴۰۹)، القرطبی فی التفسیر (۴/ ۱۳۷)، أبو نعیم فی الحلیة (۴/ ۲۱۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۲

و قال جعفر بن محمد: کان أبی إذا استلم الرکن قال: اللهم أمانتی أدیتها، و میثاقی وفیت به، لیشهد لی عندک بالوفاء. قال: و قام الرجل فذهب.

قال جعفر بن محمد: فأمرنی أبی أن أرده علیه، فخرجت فی أثره و أنا أراه، یحول بینی و بینه الزحام، حتی دخل نحو الصفا، فتبصرته

علی الصفا فلم أره، ثم ذهبت إلی المروهٔ فلم أره علیها، فجئت إلی أبی فأخبرته فقال لی أبی: لم تکن لتجده، و ذلک الخضر علیه السلام؟!!

و خرج الترمذی من حدیث عبد الله بن عباس و صححه، قال: قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

«نزل الحجر الأسود من الجنهٔ و هو أشد بیاضا من اللبن فسودته خطایا بنی آدم» «۱».

و من حدیث عبد الله بن عمرو، مرفوعا و موقوفا، قال: «إن الرکن و المقام یاقوتتان من یاقوت الجنهٔ، طمس الله نورهما، و لو لم یطمس نورهما لأضاءا ما بین المشرق و المغرب» «۲».

و من حدیث ابن عباس أیضا قال: قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی الحجر: «و الله لیبعثه الله یوم القیامهٔ، له عینان یبصر بهما و لسان ینطق، یشهد علی من استلمه بحق» «۳».

و ذکر أبو جعفر محمد بن جریر الطبری من حدیث عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه یقول: إن آدم علیه السلام لما هبط إلی الأرض فرأی سعتها و لم یر فیها أحدا غیره، قال: یا رب أما لأرضک هذه عامر یسبح بحمدک و یقدسک غیری؟

قال الله تعالی: إنی سأجعل فیها من ولدک من یسبح بحمدی و یقدسنی، و سأجعل فیها بیوتا ترفع لذکری و یسبح فیها خلقی و یذکر فیها اسمی، و سأجعل من تلک البیوت بیتا أخصه بکرامتی و أوثره باسمی، فأسمیه بیتی، و علیه وضعت جلالی، ثم أنا

---

(۱) أخرجه الترمذی حدیث رقم (۸۷۷)، ابن خزیمهٔ فی صحیحه (۲۷۳۳)، المتقی الهندی فی الکنز (۳۴۷۳۷)، الزبیدی فی إتحاف السادهٔ المتقین (۴/ ۳۴۴)، التبریزی فی مشکاهٔ المصابیح (۲۵۷۷).

(۲) أخرجه الإمام أحمد فی المسند (۲/ ۲۱۳)، الحاکم فی المستدرک (۱/ ۴۵۶)، المتقی الهندی فی کنز العمال (۳۴۷۴۱)، التبریزی فی مشکاهٔ المصابیح (۲۵۷۹)، السیوطی فی جمع الجوامع (۵۵۷۰).

(۳) أخرجه الترمذی فی سننه حدیث (۹۶۱)، الزبیدی فی إتحاف السادهٔ المتقین (۴/ ۲۷۶)، المتقی الهندی فی الکنز (۳۴۷۲۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۳

مع ذلک فی کل شیء و مع کل شیء، أجعل ذلک البیت حرما آمنا، یتحرم بحرمته من حوله و من تحته و من فوقه، فمن حرمه بحرمتی استوجب بذلک کرامتی و من أخاف أهله فقد أخفر ذمتی و أباح حرمتی، أجعله أول بیت وضع للناس ببطن مکهٔ مبارکا، یأتونه شعثا غبرا علی کل ضامر یأتین من کل فج عمیق، یزجون بالتلبیهٔ زجیجا و یثجون بالبکاء ثجیجا، و یعجون بالتکبیر عجیجا.

فمن اعتمده لا یرید غیره فقد وفد إلی و زارنی و ضافنی، و حق علی الکریم أن یکرم وفده و أضیافه، و أن یسعف کلا بحاجته.

تعمره یا آدم ما کنت حی، ثم تعمره الأمم و القرون و الأنبیاء من ولدک، أمهٔ بعد أمهٔ و قرنا بعد قرن «۱».

و فی حدیث غیر هذا عن عطاء و قتادهٔ، أن آدم علیه السلام، لما أهبطه الله من الجنهٔ و فقد ما کان یسمعه و یأنس إلیه من أصوات الملائکهٔ و تسبیحهم، استوحش حتی شکا ذلک إلی الله تعالی فی دعائه و صلاته، فوجهه إلی مکهٔ، و أنزل الله تعالی یاقوتهٔ من یاقوت الجنهٔ فکانت علی موضع البیت الآن.

و قال الله: یا آدم، إنی قد أهبطت لک بیتا تطوف به، کما یطاف حول عرشی و تصلی عنده کما یصلی عند عرشی.

فانطلق إلیه آدم، فطاف به هو و من بعده من الأنبیاء، إلی أن کان الطوفان، فرفعت تلک الیاقوتهٔ، حتی أمر الله إبراهیم علیه السلام ببناء البیت، فبناه، فذلک قوله تعالی:

وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِیمَ مَکانَ الْبَیْتِ الآیهٔ.

و عن ابن عباس، أن الله أوحی إلی آدم: أن لی حرما بحیال عرشی، فانطلق فابن لی بیتا فیه، ثم حف به کما رأیت ملائکتی یحفون بعرشی، فهنالک أستجیب لک و لولدک، من کان منهم فی طاعتی.

فقال آدم: أی رب، و کیف لی بذلک؟ لست أقوی علیه و لا أهتدی لمکانه.

فقیض الله له ملکا فانطلق به نحو مکة، فکان آدم علیه السلام إذا مر بروضة و مکان یعجبه قال للملک: انزل بنا هاهنا. فیقول له الملک: أمامک.

حتی قدم مکة، فبنی البیت من خمسة أجبل، من طور سیناء، و طور زیتا، و من لبنان، و الجودی، و بنی قواعده من حراء.

---

(۱) أخرجه الطبری فی التاریخ (۱/ ۱۳۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۴

فلما فرغ من بنائه خرج به الملک إلی عرفات، فأراه المناسک کلها، التی یفعلها الناس الیوم، ثم قدم به مکة، فطاف بالبیت أسبوعا ثم رجع إلی أرض الهند فمات بها.

و فی روایة أنه حج من الهند أربعین حجة علی رجلیه.

و ذکر الواقدی عن أبی بکر بن سلیمان بن أبی خیثمة العدوی قال: قلت لأبی جهم ابن حذیفة: یا عم، حدثنی عن بناء البیت و نزول إسماعیل علیه السلام الحرم.

قال: یا ابن أخی سلنی عنه علی نشاط منی فإنی أعلم من ذلک ما لا یعلمه غیری.

قال: فمکثت شهرا أذکره المرة بعد المرة، فیقول مثل قوله الأول، و کان قد کبر و رق و ضعف، فدخلت علیه یوما و هو مسرور، فقال لی: اسمع حدیثک الذی سألتنی عنه.

إن البیت بناؤه حرم فی السماء السابعة و فی الأرض السابعة. یعنی أن ما یقابله حرم.

و إن آدم علیه السلام، أمر بأساسه فبناه هو و حواء، أسساه بصخر أمثال الخلفات، یعنی النوق التی فی بطونها أجنة، واحدتها خلفة. أذن الله عز و جل للصخر أن یطیعهما.

ثم نزل البیت من السماء من ذهب أحمر، و کل به من الملائکة سبعون ألف ملک، فوضعوه علی رأس آدم علیه السلام، و نزل الرکن، و هو یومئذ درة بیضاء، فوضع موضعه الیوم من البیت، و طاف به آدم و صلی فیه. فلما مات آدم علیه السلام ولیه بعده ابنه شیث، فکان کذلک حتی حجه نوح علیه السلام. فلما کان الغرق یعنی الطوفان، بعث الله جل ثناؤه سبعین ألف ملک فرفعوه إلی السماء، کی لا یصیبه الماء النجس، و بقیت قواعده، و جاءت السفینة فدارت به سبعا ثم دثر البیت، فلم یحجه من بین نوح و بین إبراهیم أحد من الأنبیاء علی جمیعهم السلام «۱».

و عن غیر الواقدی فی غیر حدیث أبی الجهم، أن شیث بن آدم علیهما السلام، هو أول من بنی الکعبة، و أنها کانت قبل أن یبنیها خیمة من یاقوتة حمراء یطوف بها آدم و یأنس بها لأنها أنزلت إلیه من الجنة، و کان قد حج إلی موضعها من الهند.

و فی الخبر أن موضعها کان غثاء علی الماء قبل أن یخلق الله السموات و الأرض، فلما

---

(۱) قد أورد الحافظ ابن کثیر فی البدایة و النهایة الکثیر من الأخبار عن بناء البیت. انظرها فی البدایة و النهایة (۱/ ۱۶۷- ۱۷۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۵

بدأ الله خلق الأشیاء، خلق التربة قبل السماء، فلما خلق السماء و قضاهن سبع سماوات، دحا الأرض، أی بسطها، و إنما دحاها من تحت الکعبة، فلذلک سمیت مکة أم القری.

و ذکر ابن هشام أن الماء لم یصل الکعبة حین الطوفان، و لکنه قام حولها، و بقیت هی فی هواء إلی السماء، و أن نوحا قال لأهل السفینة، و هی تطوف بالبیت: إنکم فی حرم الله عز و جل و حول بیته، فأحرموا لله و لا یمس أحد امرأة. و جعل بینهم و بین النساء

حاجزا، فتعدی حام، فدعا علیه نوح بأن یسود الله لون بنیه، فأجابه الله علی وفق ما دعاه، و اسود کوش بن حام و ولده إلی یوم القیامة. و قد قیل فی سبب دعوته غیر هذا، فالله أعلم.

و یروی أنه لما نضب ماء الطوفان، بقی مکان البیت ربوة من مدرة، فحج إلیه بعد ذلک هود و صالح و من آمن معهما، و أن یعرب قال لهود علیه السلام: أ لا تبنیه؟ قال: إنما یبنیه نبی کریم یأتی من بعدی، یتخذه الرحمن خلیلا.

قال أبو الجهم، من حدیث الواقدی «۱»: حتی أراد الله بإبراهیم ما أراد، فولد له إسماعیل و هو ابن تسعین سنة، فکان بکر أبیه، فلما أراد الله عز و جل، أن یبوئ لإبراهیم مکان البیت و أعلامه، أوحی الله إلیه یأمره بالمسیر إلی بلده الحرام، فرکب إبراهیم البراق، و حمل إسماعیل أمامه و هو ابن سنتین، و هاجر خلفه، و معه جبریل یدله علی موضع البیت و معالم الحرم، فکان لا یمر بقریة إلا قال له إبراهیم: بهذه أمرت یا جبریل؟ فیقول جبریل: لا. حتی قدم به مکة، و هی إذ ذاک عضاة و سلم و سمر، و العمالیق یومئذ حول الحرم، و هم أول من نزل مکة و یکونون بعرفة، و کانت المیاه یومئذ قلیلة، و کان موضع البیت قد دثر و هو ربوة حمراء مدرة، و هو یشرف علی ما حوله، فقال جبریل حین دخل من کداء «۲»، و هو الجبل الذی یطلعک علی الحجون «۳» و المقبرة: بهذا أمرت. قال إبراهیم: بهذا أمرت؟ قال: نعم.

---

(۱) انظر ما ذکره ابن کثیر فی البدایة (۱/ ۱۵۹).

(۲) کداء: بفتح أوله ممدود لا یصرف لأنه مؤنث، جبل بمکة، و هو عرفة و هی کلها موقف إلا عرنة فلیست فی الحرم بینها و بین الحرم رمیة حجر. انظر: الروض المعطار (۴۹۰)، معجم ما استعجم (۴/ ۱۱۱۷، ۱۱۱۸).

(۳) الحجون: بفتح الحاء، موضع بمکة عند المحصب، و هو الجبل المشرف بحذاء المسجد الذی یلی شعب الجزارین إلی ما بین الحوضین اللذین فی حائط عوف، و قیل: الحجون مقبرة أهل مکة تجاه دار أبی موسی الأشعری رضی الله عنه. انظر: الروض المعطار (۱۸۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۶

فانتهی إلی موضع البیت، فعمد إبراهیم إلی موضع الحجر فآوی فیه هاجر و إسماعیل، و أمر هاجر أن تتخذ فیه عریشا، فلما أراد إبراهیم أن یخرج، و رأت أم إسماعیل أنه لیس بحضرتها أحد من الناس و لا ماء ظاهر، ترکت ابنها فی مکانه و تبعت إبراهیم، فقالت: یا إبراهیم إلی من تدعنا؟ فسکت عنها، حتی إذا دنا من کداء قال: إلی الله عز و جل أدعکم. فقالت: فالله عز و جل أمرک بهذا؟ قال: نعم. قالت: فحسبی ترکتنا إلی کاف.

و انصرفت هاجر إلی ابنها، و خرج إبراهیم حتی وقف علی کداء، و لا بناء و لا ظل و لا شیء یحول دون ابنه، فنظر إلیه، فأدرکه ما یدرک الوالد من الرحمة لولده، فقال:

رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ رَبَّنا إِنَّکَ تَعْلَمُ ما نُخْفِی وَ ما نُعْلِنُ وَ ما یَخْفی عَلَی اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ.

ثم انصرف إبراهیم راجعا إلی الشام، و عمدت هاجر فجعلت عریشا فی موضع الحجر من سمر و ثمام ألقته علیه و معها شن فیه شیء من ماء، فلما نفد الماء عطش إسماعیل و عطشت أمه، فانقطع لبنها، فأخذ إسماعیل کهیئة الموت، فظنت أنه میت، فجزعت و خرجت جزعا أن تراه علی تلک الحال، و قالت: یموت و أنا غائبة عنه أهون علی، و عسی الله أن یجعل لی فی ممشای خیرا.

فانطلقت فنظرت إلی جبل الصفا، فأشرفت علیه تستغیث ربها عز و جل و تدعوه، ثم انحدرت إلی المروة، فلما کانت فی الوادی خبت حتی انتهت إلی المروة، فعلت ذلک سبع مرار، کلما أشرفت علی الصفا نظرت إلی ابنها، فتراه علی حاله، و إذا أشرفت علی المروة فمثل ذلک.

فکان ذلک أول ما سعی بین الصفا و المروة. و کان من قبلها یطوفون بالبیت و لا یسعون بین الصفا و المروة، و لا یقفون المواقف، حتی کان إبراهیم.

فلما کان الشوط السابع و یئست سمعت صوتا، فاستمعت فلم تسمع إلا الأول، فظنت أنه شیء عرض لسمعها من الظمأ و الجهد.

فنظرت إلی ابنها فإذا هو یتحرک، فأقامت علی المروة ملیا، ثم سمعت الصوت الأول، فقالت: إنی سمعت صوتک فأعجبنی، فإن کان عندک خیر فأغثنی، فإنی قد هلکت و هلک ما عندی.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۳۷

فخرج الصوت یصوت بین یدیها، و خرجت تتلوه قد قویت له نفسها، حتی انتهی الصوت عند رأس إسماعیل، ثم بدا لها جبریل، فانطلق بها حتی وقف علی موضع زمزم، فضرب بعقبه مکان البئر، فظهر الماء فوق الأرض حین فحص بعقبه، و فارت بالرواء، و جعلت أم إسماعیل تحظر الماء بالتراب خشیة أن یفوتها قبل أن تأتی بشنتها، فاستقت و بادرت إلی ابنها فسقته و شربت، فجعل ثدیاها یتقطران لبنا، فکان ذلک اللبن طعاما و شرابا لإسماعیل، و کانت تجتزئ بماء زمزم، فقال لها الملک: لا تخافی أن ینفد هذا الماء، و أبشری، فإن ابنک سیشب و یأتی أبوه من الشام، فتبنون هاهنا بیتا یأتیه عباد الله من أقطار الأرضین ملبین لله جل ثناؤه شعثا غبرا، فیطوفون به و یکون هذا الماء شرابا لضیفان الله عز و جل، الذین یزورون بیته.

فقالت: بشرک الله بخیر، و طابت نفسها، و حمدت الله عز و جل.

و یقبل غلامان من العمالیق یریدان بعیرا لهما أخطأهما، فقد عطشا و أهلهما بعرفة، فنظرا إلی طیر یهوی قبل الکعبة فاستنکرا ذلک، و قالا: أنی یکون الطیر علی غیر ماء؟

فقال أحدهما لصاحبه: أمهل حتی نبرد، ثم نسلک فی مهوی الطیر.

فأبردا ثم تروحا، فإذا الطیر ترد و تصدر، فاتبعا الواردة منها حتی وقفا علی أبی قبیس، فنظرا إلی الماء و إلی العریش، فنزلا و کلما هاجر و سألاها متی نزلت؟ فأخبرتهما، و قالا: لمن هذا الماء؟ فقالت: لی و لابنی. فقالا: من حفره؟ فقالت: سقیا الله جل ثناؤه.

فعرفا أن أحدا لا یقدر علی أن یحفر هناک ماء، و عهدهما بما هناک قریب و لیس به ماء.

فرجعا إلی أهلهما من لیلتهما، فأخبراهم، فتحولوا حتی نزلوا معها علی الماء فأنست بهم، و معهم الذریة، فنشأ إسماعیل مع ولدانهم.

و کان إبراهیم یزور هاجر فی کل شهر علی البراق یغدو غدوة فیأتی مکة، ثم یرجع فیقیل فی منزله بالشام.

فزارها بعد، و نظر إلی من هناک من العمالیق و إلی کثرتهم و عمارة الماء، فسر بذلک.

و لما بلغ إسماعیل علیه السلام، تزوج امرأة من العمالیق، فجاء إبراهیم زائرا لإسماعیل، و إسماعیل فی ماشیة یرعاها و یخرج متنکبا قوسه، فیرمی الصید مع رعیته، فجاء إبراهیم علیه السلام إلی منزله، فقال: السلام علیکم یا أهل البیت.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۳۸

قال: فسکتت فلم ترد، إلا أن تکون ردت فی نفسها، فقال: هل من منزل؟ فقالت:

لاـ هیم الله إذن، قال: فکیف طعامکم و شرابکم و شاؤکم؟ فذکرت جهدا، فقالت: أما الطعام فلا طعام، و أما الشاء فإنما نحلب الشاة بعد الشاة المصر، و أما الماء فعلی ما تری من الغلظ، قال: فأین رب البیت؟ قالت: فی حاجته.

قال: فإذا جاء فأقرئیه السلام، و قولی له غیر عتبة بیتک.

و رجع إبراهیم إلی منزله، و أقبل إسماعیل راجعا إلی منزله بعد ذلک بما شاء الله عز و جل، فلما انتهی إلی منزله سأل امرأته هل جاءک أحد؟ فأخبرته بإبراهیم و قوله و ما قالت له، ففارقها و أقام ما شاء الله أن یقیم.

و کانت العمالیق هم ولاة الحکم بمکة فضیعوا حرمة الحرم و استحلوا منه أمورا عظاما و نالوا ما لم یکونوا ینالون، فقام فیهم رجل منهم یقال له عموق، فقال: یا قوم أبقوا علی أنفسکم، فقد رأیتم و سمعتم من أهلک من هذه الأمم، فلا تفعلوا، تواصلوا و لا تستخفوا

بحرم الله عز و جل و موضع بيته.

فلم يقبلوا ذلك منه، و تمادوا فى هلكة أنفسهم.

ثم إن جرهما و قطوراء، و هما أبناء عم خرجوا سيارة من اليمن، أجدبت البلاد عليهم، فساروا بذراريهم و أموالهم، فلما قدموا مكة رأوا فيها ماء معينا و شجرا ملتفا، و نباتا كثيرا، و سعة من البلاد، و دفئا فى الشتاء.

فقالوا: إن هذا الموضوع يجمع لنا ما نريد.

فأعجبهم و نزلوا به، و كان لا يخرج من اليمن قوم إلا و لهم ملك يقيم أمرهم، سنة فيهم جروا عليها و اعتادوها و لو كانوا نفرا يسيرا.

فكان مضاض بن عمرو على قومه من جرهم، و كان على قطوراء السميدع، رجل منهم.

فنزل مضاض بمن معه من جرهم أعلى مكة بقعيقعان «۱» فما حاز.

و نزل السميدع بقطوراء أسفل مكة بأجياد «۲»، فما حاز.

---

(۱) قعيقعان: جبل بأعلى مكة، قيل سمى قعيقعان لأن مضاض بن عمرو لما سار إلى السميدع معه كتيبة فيها عدتها من الرماح و الدرق و السيوف تقعقع بذلك فسمى قعيقعان، و القصة طويلة.

انظر: الروض المعطار (۴۷۷)، معجم ما استعجم (۳/ ۱۰۸۶).

(۲) أجياد: بفتح أوله و إسكان ثانية و بالياء أخت الواو و الدال المهملة، كأنه جمع جيد، أحد جبال-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۹

و ذهبت العماليق إلى أن ينازعوهم أمرهم فعلت أيديهم على العماليق و أخرجوهم من الحرم كله، فصاروا فى أطرافه لا يدخلونه.

و جعل مضاض و السميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما فكثروا و أثروا، فكان مضاض يعشر، كل من دخل مكة من أعلاها، و كان السميدع يشعر كل من دخل من أسفلها، و كل على قومه لا يدخل أحدهما على صاحبه، و كانوا قوما عربا و كان اللسان عربيا.

و كان إبراهيم يزور إسماعيل، فلما نظر إلى جرهم نظر إلى لسان عجيب و سمع كلاما حسنا، و نظر إسماعيل إلى رعلة بنت مضاض بن عمرو، فأعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها.

فجاء إبراهيم زائرا لإسماعيل، فجاء إلى بيت إسماعيل، فقال: السلام عليكم أهل البيت و رحمة الله، فقامت إليه المرأة فردت عليه و رحبت به، فقال: كيف عيشكم و لبنكم و ماشيتكم؟ فقالت خير عيش بحمد الله عز و جل، نحن فى لبن كثير و لحم كثير و ماؤنا طيب، قال: هل من حب؟ قالت: يكون إن شاء الله و نحن فى نعم. قال: بارك الله لكم.

قال أبو جهم: فكان أبى يقول: ليس أحد يخلى عن اللحم و الماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه، و لعمرى لو وجد عندنا حبا لدعا فيه بالبركة فكانت أرض زرع.

و يقال: إن إبراهيم قال لها: ما طعامكم؟ قالت: اللحم و اللبن. قال: فما شرابكم؟

قالت: اللبن و الماء. قال: بارك الله لكم فى طعامكم و شرابكم، فاللبن طعام و شراب.

قالت: فانزل رحمك الله فاطعم و اشرب. قال: إنى لا أستطيع النزول. قالت: فإنى أراك شعثا أ فلا أغسل رأسك و أدهنه؟ قال: بلى إن شئت. فجاءته بالمقام و هو يومئذ حجر رطب أبيض مثل المهاة، ملقى فى بيت إسماعيل، فوضع عليه قدمه اليمنى و قدم إليها رأسه و هو على دابته فغسلت شق رأسه الأيمن، فلما فرغت حولت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى، و قدم إليها رأسه فغسلت شق رأسه الأيسر، فالأثر الذى فى المقام من ذلك. قال أبو الجهم: فقد رأيت موضع العقب و الإصبع.

- مکة و هو الجبل الأخضر العالى بغربى المسجد الحرام، و فى رأسه منار یذکر أن أبا بکر رضى الله عنه أمر ببنائه ینادى علیه المؤذنون فى رمضان، یقابل من الکعبة الرکن الیمانى یخرج إلیه من باب إبراهیم علیه السلام، و یقابل قعیقعان من ناحیة الغرب. انظر: الروض المعطار (۱۲، ۱۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۰

و عن الواقدى من غیر حدیث أبى الجهم أن أبا سعید الخدرى سأل عبد الله بن سلام عن الأثر الذى فى المقام، فقال: کانت الحجارة على ما هى علیه الیوم إلا أن الله جل ثناؤه، أراد أن یجعل المقام آیة من آیاته.

قال أبو الجهم: فلما فرغت یعنى المرأة، من غسل رأس إبراهیم علیه السلام، قال لها:

إذا جاء إسماعیل فقولى له: أثبت عتبة بابک فإن صلاح المنزل العتبة.

فلما جاء إسماعیل قال: هل جاءک أحد بعدى؟ فأخبرته بإبراهیم و ما صنعت به، ثم قال لها: هل قال لک أن تقولى لى شیئا؟ قالت: قال لى أثبت عتبة بابک فإن صلاح المنزل العتبة.

ففرح إسماعیل و قال: أ تدرین من هو؟ قالت: لا. قال: هذا خلیل الله إبراهیم أبى، و أما قوله: «أثبت عتبة بابک» فقد أمرنى أن أقرک و قد کنت على کریمة و قد ازددت على کرامة. فصاحت و بکت، فقال: ما لک؟ قالت: أ لا أکون علمت بمن هو فأکرمه و أصنع به غیر الذى صنعت! فقال لها إسماعیل: لا تبکى و لا تجزعى فقد أحسنت و لم تکونى تقدرین أن تفعلى فوق الذى فعلت، و لم یکن لیزیدک على الذى صنع بک.

فولدت لإسماعیل عشرة ذکور أحدهم نابت «۱».

فلما بلغ إسماعیل ثلاثین سنة و إبراهیم یومئذ ابن مائة سنة، أوحى الله جل ثناؤه إلى إبراهیم أن ابن لى بیتا. قال إبراهیم: أى رب أین أبنیه؟.

فأوحى الله إلیه: أن اتبع السکینة، و هى ریح لها وجه و جناحان و مع إبراهیم الملک و الصرد.

فانتهوا بإبراهیم إلى مکة، فنزل إسماعیل إلى الموضع الذى بوأه الله جل و عز، لإبراهیم، و موضع البیت ربوة حمراء مدرة مشرفة على ما حولها.

فحفر إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام و لیس معهما غیرهما، أساس البیت، یریدان أساس آدم الأول.

---

(۱) قال ابن هشام فى السیرة (۱/ ۲۴- ۲۸): حدثنا زیاد بن عبد الله البکائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال: ولد إسماعیل بن إبراهیم، علیهما السلام، اثنى عشر رجلا: نابتا، و کان أکبرهم، و قیذر، و أذبل، و میشا، و مسمعا، و ماشى، و دما، و أذر، و طیما، و یطور، و نبش، و قیذما، و أمهم: رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى. قال ابن هشام: و یقال: مضاض، و جرهم بن قحطان، و قحطان أبو الیمن کلها، و إلیه یجتمع نسبها، ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۱

فحفرا عن ربض البیت یعنى حوله، فوجدا صخرة لا یطیقها إلا ثلاثون رجلا و حفرا حتى بلغا أساس آدم ثم بنى علیه، و حلقت السکینة کأنها سحابة، على موضع البیت، فقالت: ابن علیّ.

فلذلک لا یطوف بالبیت أحد أبدا، کافر و لا جبار، إلا رأیت علیه السکینة.

فبنى إبراهیم و إسماعیل البیت، فجعل طوله فى السماء تسع أذرع، و عرضه ثلاثین ذراعا، و طوله فى الأرض اثنین و عشرین ذراعا، و أدخل الحجر و هو سبعة أذرع فى البیت، و کان قبل ذلک زربا لغنم إسماعیل.

و إنما بناه بحجارة بعضها على بعض، و لم یجعل له سقفا، و جعل له بابا و حفر له بئرا عند بابه خزانة للبیت، یلقى فیها ما أهدى للبیت

و جعل الرکن علما للناس.

فذهب إسماعیل إلی الوادی یطلب حجرا، و نزل جبریل بالحجر الأسود، و کان قد رفع إلی السماء حین غرقت الأرض، کما رفع البیت، فنزل به جبریل فوضعه إبراهیم موضع الرکن، و جاء إسماعیل بالحجر من الوادی فوجد إبراهیم قد وضع الحجر، فقال: من أین هذا؟ من جاءک به؟ قال إبراهیم: من لم یکلنی إلیک و لا إلی حجرک «۱».

و عن الواقدی أیضا من غیر حدیث أبی الجهم، أن یزید بن رومان، قال: سمعت ابن الزبیر یقول: إن إبراهیم علیه السلام ابتغی الحجر، فناداه من فوق أبی قبیس: ألا أنا هذا.

فرقی إلیه إبراهیم فأخذه، فوضعه موضعه الذی هو فیه الیوم.

و کان الله جل ثناؤه لما غرقت الأرض استودع أبا قبیس الرکن، و قال: إذا رأیت خلیلی یا بنی لی بیتا فأعطه الرکن.

و عن غیر ابن الزبیر أن أبا قبیس لذلک کان یسمی فی الجاهلیة الأمین، لوفائه بما استودعه الله إیاه.

---

(۱) قال ابن کثیر فی البدایة باب بناء البیت العتیق: قال السدی: لما أمر الله إبراهیم و إسماعیل أن یبنیا البیت، ثم لم یدریا أین مکانه حتی بعث الله ریحا یقال له الخجوج لها جناحان و رأس فی صورة حیة، فکنست لهما ما حول الکعبة عن أساس البیت الأول، و اتبعاها بالمعاول یحفران حتی وضعا الأساس، و ذلک حین یقول تعالی: وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِیمَ مَکانَ الْبَیْتِ فلما بلغا القواعد بنیا الرکن، قال إبراهیم لإسماعیل: یا بنی، اطلب لی الحجر الأسود من الهند، و کان أبیض یاقوتة بیضاء مثل النعامة، و کان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطایا الناس، فجاءه إسماعیل بحجر فوجده عند الرکن، فقال: یا أبتی، من جاءک بهذا؟ قال: جاء به من هو أنشط منک. و انظر ما ورد فی ذکر بناء البیت فی البدایة (۱/ ۱۶۷) و ما بعدها.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۲

قال أبو جهم: و لما فرغ إبراهیم من بناء البیت و أدخل الحجر فی البیت، جعل المقام لاصقا بالبیت عن یمین الداخل، فلما کانت قریش قصر الخشب علیهم، فأخرجوا الحجر، و کان ما أخرجوا منه سبعة أذرع.

و أمر إبراهیم بعد فراغه من البناء أن یؤذن فی الناس بالحج، فقال: یا رب، و ما یبلغ صوتی؟!

قال الله جل ثناؤه: أذّن و علیّ البلاغ.

فارتفع علی المقام و هو یومئذ ملصق بالبیت، فارتفع به المقام حتی کان أطول الجبال، فنادی و أدخل إصبعیه فی أذنیه، و أقبل بوجهه شرقا و غربا، یقول: أیها الناس، کتب علیکم الحج إلی البیت العتیق، فأجیبوا ربکم عز و جل.

فأجابه من تحت البحور السبعة، و من بین المشرق و المغرب إلی منقطع التراب من أطراف الأرض کلها: لبیک اللهم لبیک.

أ فلا تراهم یأتون یلبون؟!

فمن حج من یومئذ إلی یوم القیامة فهو ممن استجاب لله عز و جل.

و ذلک قول الله جل ثناؤه: فِیهِ آیاتٌ بَیِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِیمَ [آل عمران: ۹۷] یعنی نداء إبراهیم علی المقام بالحج فهی الآیة.

قال الواقدی: و قد روی أن الآیة هی أثر إبراهیم علی المقام.

قال أبو الجهم: فلما فرغ إبراهیم من الأذان ذهب به جبریل فأراه الصفا و المروة، و أقامه علی حدود الحرم، و أمره أن ینصب علیها الحجارة، ففعل إبراهیم ذلک، و کان أول من أقام أنصاب الحرم، و یریه إیاها جبریل.

فلما کان الیوم السابع من ذی الحجة، خطب إبراهیم علیه السلام بمکة، حین زاغت الشمس قائما، و إسماعیل جالس، ثم خرجا من الغد یمشیان علی أقدامهما یلبیان محرمین، مع کل واحد منهما إداوة یحملها و عصا یتوکأ علیها، فسمی ذلک الیوم یوم الترویة.

فأتیا منی فصلیا بها الظهر و العصر و المغرب و العشاء و الصبح، و کانا نزلا فی الجانب الأیمن، ثم أقام حتی طلعت الشمس علی ثبیر،

ثم خرج یمشی هو و إسماعیل حتی أتیا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۳

عرفة، و جبریل معهما یریهما الأعلام، حتی نزلا بنمرة، و جعل یریه أعلام عرفات، و کان إبراهیم قد عرفها قبل ذلک، فقال إبراهیم: قد عرفت: فسمیت عرفات.

فلما زاغت الشمس خرج بهما جبریل علیه السلام، حتی انتهی بهما إلی موضع المسجد الیوم، فقام إبراهیم فتکلم بکلمات، و إسماعیل جالس، ثم جمع بین الظهر و العصر، ثم ارتفع بهما إلی الهضاب، فقاما علی أرجلهما یدعوان إلی أن غابت الشمس و ذهب الشعاع، ثم دفعا من عرفة علی أقدامهما، حتی انتهیا إلی جمع فنزلا، فصلی إبراهیم المغرب و العشاء فی ذلک الموضع الذی یصلی فیه الیوم، ثم باتا حتی إذا طلع الفجر وقفا علی قزح، فلما أسفر قبل طلوع الشمس دفعا علی أرجلهما حتی انتهیا إلی محسر، فأسرعا حتی قطعاه ثم عادا إلی مشیهما الأول، ثم رمیا جمرة العقبة بسبع حصیات حملاها من جمع، ثم نزلا من منی فی الجانب الأیمن، ثم ذبحا فی المنحر الیوم، و حلقا رءوسهما، ثم أقاما أیام منی یرمیان الجمار حین تزیغ الشمس ماشیین ذاهبین و راجعین، و صدرا یوم الصدر فصلیا الظهر بالأبطح، و کل هذا یریه جبریل علیه السلام.

قال أبو الجهم: فلما فرغ إبراهیم من الحج انطلق إلی منزله بالشام، فکان یحج البیت کل عام، و حجته سارة، و حجه إسحاق و یعقوب و الأسباط، و الأنبیاء هلم جرا.

و حجه موسی بن عمران علیه السلام.

روی الواقدی بإسناد له عن ابن عباس قال: مر موسی علیه السلام، بصفاح الروحاء یلبی، تجاوبه الجبال، علیه عباءتان قطوانیتان من عباء الشام.

و عن جابر بن عبد الله قال: حج هارون نبی الله البیت، فمر بالمدینة یرید الشام، فمرض بالمدینة فأوصی أن یدفن بأصل أحد، و لا تعلم به یهود، مخافة أن ینبشوه فدفنوه فقبره هناک.

و عن ابن عباس، أن الحواریین کانوا إذا بلغوا الحرم نزلوا یمشون حتی یأتوا البیت.

و عن ابن الزبیر: أن الحواریین خلعوا نعالهم حین دخلوا الحرم، إعظاما أن ینتعلوا فیه.

ثم توفی الله خلیله إبراهیم صلی اللّه علیه و سلم، بعد أن وجه إلیه ملک الموت، فاستنظره إبراهیم، ثم أعاده إلیه لما أراد الله قبضه، فأخبره بما أمر به، فسلم إبراهیم لأمر ربه عز و جل فقال له ملک الموت: یا خلیل الله، علی أی حال تحب أن أقبضک؟ قال: تقبضنی و أنا ساجد، فقبضه و هو ساجد، و صعد بروحه إلی الله عز و جل، و دفن إبراهیم علیه السلام بالشام «۱».

---

(۱) قال ابن کثیر: قد روی ابن عساکر عن غیر واحد من السلف، عن أخبار أهل الکتاب فی-

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۴

و عاش إسماعیل علیه السلام بعد أبیه ما عاش، و توفی بمکة، فدفن داخل الحجر، مما یلی باب الکعبة، و هنالک قبر أمه هاجر، و دفن معها و کانت توفیت قبله.

و لما توفی إسماعیل علیه السلام، و لی البیت بعده ابنه نابت، و لم یله أحد من ولده غیره. ثم مات فدفن فی الحجر مع أمه رعلة بنت مضاض.

فولی البیت بعده جده مضاض بن عمرو، ثم أخواله من جرهم، و قاموا علیه، فکانوا هم ولاته و حجابه و ولاة الأحکام بمکة.

و کان البیت قد دخله السیل من أعلی مکة فانهدم، فأعادته جرهم علی بناء إبراهیم، و جعلت له مصراعین و قفلا.

قال ابن إسحاق: ثم إن جرهما و قطوراء بغی بعضهم علی بعض و تنافسوا الملک بها، و مع مضاض یومئذ إسماعیل و بنو نابت و إلیه

ولاية البيت دون السميدع. فسار بعضهم إلى بعض، فخرج مضاض من قعيقعان فى كتيبته سائرا إلى السميدع، و مع كتيبته عدتها من الرماح و الدرق و السيوف و الجعاب يقعقع بذلك معه.

فيقال: ما سمى قعيقعان قعيقعان إلا لذلك. و خرج السميدع من أجياد و معه الخيل و الرجال. فيقال: ما سمى أجياد أجيادا إلا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه «۱».

و غير ابن إسحاق يقول: إنما سمى أجياد لأن مضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة. و قيل: بل أمر بعض الملوك غير مسمى بضرب رقاب فيه، فكان يقول لسيافه: توسط الأجياد. و هذا و نحوه أصح فى تسمية الموضع بأجياد، مما قال ابن إسحاق.

قال: فالتقوا بفاضح «۲»، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل السميدع و فضحت قطوراء.

فيقال: ما سمى فاضح فاضحا إلا بذلك.

- صفة مجىء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخبارا كثيرة، الله أعلم بصحتها، و قد قيل: إنه مات فجأة، و كذا داود و سليمان، و الذى ذكره أهل الكتاب و غيرهم خلاف ذلك، قالوا: ثم مرض إبراهيم عليه السلام، و مات عن مائة و خمس و سبعين، و قيل: و تسعين سنة، و دفن فى المغارة التى كانت بحبرون الحيثى، عند امرأته سارة، التى فى مزرعة عفرون الحيثى، و تولى دفنه إسماعيل و إسحاق، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، و قد ورد ما يدل أنه عاش مائتى سنة، كما قاله ابن الكلبى. انظر البداية باب ذكر موته عليه السلام (۱/ ۱۷۸) و ما بعدها.

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۰۷- ۱۰۸).

(۲) فاضح: موضع بمكة. انظر الروض المعطار (ص ۴۳۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۵

ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ «۱» شعبا بأعلى مكة، فاصطلحوا به و أسلموا الأمر إلى مضاض.

فلما رجع إليه أمر مكة فصار ملكها له، نحر للناس و أطعمهم، فاطبخ الناس و أكلوا.

فيقال: ما سميت المطابخ إلا لذلك. و بعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت بذلك لما كان تبع نحر بها و أطعم، و كان منزله.

فكان الذى كان بين مضاض و السميدع أول بغى كان بمكة، فيما يزعمون.

ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، و أخوالهم من جرهم ولاة البيت و الحكام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك، لخؤولتهم و قرابتهم، و إعظاما للحرمة أن يكون بها بغى أو قتال.

فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل، انتشروا فى البلاد، فلا يناوءون قوما إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم. الاكتفاء، الكلاعى ج۱ ۴۵ ذكر أولية بيت الله المحرم و ركنه المستلم و من تولى بناءه من ملائكته و أنبيائه صلى الله على جميعهم و سلم ..... ص : ۳۰

إن جرهم بغوا بمكة، و استحلوا [خلالا] «۲» من الحرمة، و ظلموا من دخلها من غير أهلها، و أكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها، فرق أمرهم.

فلما رأت ذلك بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، و غبشان من خزاعة، أجمعوا لحربهم و إخراجهم من مكة، فآذنوهم بالحرب. فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر و غبشان، فنفوهم من مكة.

و كانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلما و لا بغيا، و لا يبغى فيها أحد إلا أخرجته، فكانت تسمى الناسة، و لا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه. فيقال: ما سميت ببكة «۳»، إلا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا.

---

(۱) المطابخ: موضع معروف بمكة. انظر: الروض المعطار (ص ۵۴۳).

(۲) ما بين المعقوفتين فى الأصول: «حلالا»، و ما أوردناه من السيرة. و خلال: جمع خلة و هى الخصلة.

(۳) قال ابن هشام فى السيرة (۱/ ۱۰۹): أخبرنى أبو عبيدة: أن بكة اسم لبطن مكة؛ لأنهم يتباكون فيها، أى: يزدحمون، و أنشدنى: إذا الشريب أخذته أكهفخله حتى يبك بكه أى: فدعه حتى يبك إبله، أى يخليها إلى الماء، فتزدحم عليه، و هو موضع البيت و المسجد، و هذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶

فلم يزل أهلها على وجه الدهر يصونون جنابها و يحافظون على حرمتها.

يقال: إنه اجتمع رأى بنى إسماعيل و خيارهم على أن لا يدعوا أحدا أحدث فى حرم الله حدثا إلا غربوه منه، ثم لم يرجع فيه. و يقال: بل كان ذلك مما سن لهم أولوهم، فصارت سنة فيهم يدينون بها، ثم خلف من خلف بعدهم على ذلك، يرون فيه رأيهم، و تكبر مواقعة الظلم فى حرم الله و التعدى به فى نفوسهم، و يعتقدون أن الباغى فيه معاقب فى دنياه فى نفسه و ماله، و أن الحالف عند البيت حانثا مخوف عليه مما أصاب قبله ممن فعل فعله، و أن دعاء المظلوم عنده و خصوصا فى الشهر الحرام مجاب فى ظالمه، و يوثرون فى ذلك أشياء أراها الله إياهم، صونا لحرمه الكريم، و تنزيها لبيت خليله إبراهيم.

ذكر الواقدى من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، قال: عدا رجل من بنى كنانة بن هذيل على ابن عم له و ظلمه و اضطهده فناشده بالرحم و عظم عليه، فأبى إلا ظلمه، فقال: و الله لألحقن بحرم الله فى هذا الشهر، و لأدعون الله عليك. فقال له ابن عمه مستهزئا به: هذه ناقتى فلانة، فأنا أفقرك ظهرها فاذهب فاجتهد.

فأعطاه ناقة، و خرج حتى جاء الحرم فى الشهر الحرام، فقال: اللهم إنى أدعوك جاهدا مضطرا على ابن عمى فلان، ترميه بداء لا دواء له.

ثم انصرف، فيجد ابن عمه قد رمى فى بطنه فصار مثل الزق، فما زال ينتفخ حتى انشق.

قال عبد المطلب: لحدثت بهذا الحديث ابن عباس، فقال: أنا رأيت رجلا دعا على ابن عم له بالعمى، يعنى فى الحرم، فرأيته يقاد أكمة العميان.

و عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يسأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، كنا فى بنى ضبعاء عشرة، و كان لنا ابن عم، فكنا نظلمه و نضطهده، فكان يذكرنا بالله و الرحم، و كنا أهل بيت نرتكب كل الأمور، فلما رأى ابن عمنا أنا لا ـ نكف عنه و لا ـ نرد إليه ظلامته، أمهل حتى دخلت الأشهر الحرم، انتهى إلى الحرم فجعل يرفع يديه إلى الله جل ثناؤه، و يقول:

لاهم «۱» أدعوك دعاء جاهدااقتل بنى الضبغاء إلا واحدا

---

(۱) لاهم: أى اللهم، و العرب تحذف منها الألف و اللام للتخفيف.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷ ثم اضرب الرجل و دعه قاعداأعمى إذا قيد يعنى القائدا قال: فمات إخوتى تسعة فى تسعة أشهر، فى كل شهر واحد، و بقيت أنا، فعميت، و رمانى الله عز و جل فى رجلى، و كمهت فليس يلائمنى قائد.

قال ابن عباس: فسمعت عمر يقول: سبحان الله إن هذا لهو العجب!

قال: و سمعت عمر يسأل ابن عمهم الذى دعا عليهم، فقال: دعوت عليهم كل ليلة رجب الشهر كله بهذا الدعاء، فأهلكوا فى تسعة أشهر و أصاب الباقى ما أصابه.

قال ابن عباس: وعدا رجل على ابن عم له فاستاق ذودا له، فخرج يطلبه حتى أصابه فى الحرم، فقال: ذودى. فقال اللص: كذبت ليس

لك. قال: فاحلف. قال: إذا أحلف. فحلف عند المقام بالله الخالق رب هذا البيت ما هن لك.

فقيل له: لا سبيل لك عليه.

فقام رب الذود بين الركن و المقام باسطا يديه يدعو على صاحبه، فما برح مقامه يدعو عليه حتى دله فذهب عقله، فجعل يصيح بمكة: ما لى و للذود، ما لى و لفلان رب الذود.

فبلغ ذلك عبد المطلب، فجمع الذود فدفعها إلى المظلوم فخرج بها، و بقى الآخر مدلها حتى تردى من جبل فمات فأكلته السباع.

و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يقول: لو وجدت قاتل الخطاب فى الحرم ما هجته.

و كان يقول: لأن أذنب بركبة سبعين ذنبا أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا فى الحرم. و ركبه خارج الحرم، محاذية لذات عرق.

و ذكر رضى الله عنه، يوما و هو خليفة ما كان يعاقب به من حلف ظلما، يعنى فى الحرم، زمن الجاهلية، فقال: إن الناس ليرتكبون ما هو أعظم منها ثم لا يعجل لهم من العقوبة مثل ما كان يعجل لأولئك، فما ترون ذلك؟

فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين.

قال: إن الله جل ثناؤه، جعل فى الجاهلية، إذ لا دين حرمة حرمها و عظمها و شرفها، و جعل العقوبة لمن استحل شيئا مما حرم، ليتنكب عن انتهاك ما حرم مخافة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۸

تعجيل العقوبة، فلما بعث الله رسوله صلى اللّه عليه و سلم أو عدهم فيما انتهكوا مما حرم الساعة، فقال:

وَ السَّاعَةُ أَدْهى وَ أَمَرُّ [القمر: ۴۶].

فأخر العقاب إلى يوم القيامة، و أراهم الله الاستجابة بعضهم لبعض ليتناهوا عن الظلم، و أخر أهل الإسلام ليوم الجمع، و يستجب الله لمن يشاء، فاتقوا الله و كونوا مع الصادقين.

و من المشهور فى هذا الباب أمر إساف و نائلة، و هما صنما قريش اللذان أقاموهما على زمزم ينحرون عندهما. ذكروا أنهما كان رجلا و امرأة من جرهم، إساف بن بغى، و نائلة بنت ديك، فوقع إساف على نائلة فى الكعبة، فمسخهما الله حجرين. و يقال: أحدثا فيها فمسخهما الله؛ فالله أعلم.

و أمرهما معدود فيما بلغت إليه جرهم من الاستخفاف بحرمة الحرم و قلة مبالاتهم بالبغى فيه، مع ما أراهم الله من عظيم الآية بمسخهما حجرين، فما نهاهم ذلك عن قبيح ما كانوا عليه، حتى أخرجهم الله عن جوار بيته بأيدى آخرين من عباده، فكان من أمرهم مع خزاعة ما كان.

فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى بغزالى الكعبة و بحجر الركن فدفنها فى زمزم، و انطلق هو و من معه من جرهم إلى اليمن، و حزنوا على ما فارقوا من أمر مكة و ملكها حزنا شديدا. فقال عمرو بن الحارث بن مضاض فى ذلك، و ليس بمضاض الأكبر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفاأنيس و لم يسمر بمكة سامر «۱»

بلى نحن كنا أهلها فأبادناصروف الليالى و الجدود العواثر «۲»

و كنا ولاة البيت من بعد نابتنطوف بذاك البيت و الخير ظاهر

و نحن و لينا البيت من بعد نابتبعز فما يحظى لدينا المكاثر

ملكنا فعززنا فأعظم بملكنافليس لحى غيرنا ثم فاخر

أ لم تنكحوا من خير شخص علمتهفأبناؤه منا و نحن الأصاهر

---

(۱) هذه الأبيات ذكرها فى السيرة و ذكر قبل هذا البيت:

و قائلة و الدمع سكب مبادرو قد شرقت بالدمع منها المحاجر انظر: السيرة (۱/ ۱۰۹).

(۲) صورف الليالى: شدائدها. و الجدود: هو البخت و الحظ.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۹ فإن تنثنى الدنيا علينا بحالهافإن لها حالا و فيها التشاجر

فأخرجنا منها المليك بقدرةكذلك يا للناس تجرى المقادر

أقول إذا نام الخلى و لم أنمإذا العرش لا يبعد سهيل و عامر

و بدلت منها أوجها لا أحبهاقبائل منها حمير و يحابر

و صرنا أحاديثا و كنا بغبطةبذلك عضتنا السنون الغوابر

فسحت دموع العين تبكى لبلدةبها حرم أمن و فيها المشاعر

و تبكى لبيت ليس يؤذى حمامهيظل به أمنا و فيه العصافر

و فيه و حوش لا ترام أنيسةإذا خرجت منه فليست تغادر و قال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا و غبشان و ساكنى مكة الذين خلفوا فيما بعدهم:

يا أيها الناس سيروا إن قصركمأن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حثوا المطى و أرخوا من أزمتهاقبل الممات و قضوا ما تقضونا

كنا أناسا كما كنتم فغيرنادهر فأنتم كما كنا تكونونا قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، و حدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب، و أنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن و لم يسم لنا قائلها «۱».

ثم إن غبشان من خزاعة و ليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة.

و غبشان لقب، و اسمه الحارث، و خزاعة يقال: إنهم من ولد قمعة بن إلياس بن مضر، و أن أباهم عمرو بن لحى، هو عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف، و خزاعة يأبون هذا النسب، و يقولون: إنهم من ولد كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن غسان.

و قد روى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «أريت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار، فسألته عمن بينى و بينه من الأمم، فقال: هلكوا» «۲».

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۱۱).

(۲) أخرجه البخارى فى صحيحه (۴/ ۲۲۴، ۶/ ۶۹)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۴۰۹۵)، الخطيب البغدادى فى تاريخه (۵/ ۱۷۳)، السيوطى فى الحاوى للفتاوى (۲/ ۳۷۵)، الطحاوى فى مشكل الآثار (۲/ ۲۰۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۰

فقيل له: و من عمرو بن لحى؟ قال: أبو هؤلاء الحى من خزاعة، و هو أول من غير الحنيفية دين إبراهيم، و أول من نصب الأوثان حول الكعبة «۱».

فإن كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال هذا، فرسول الله أعلم و ما قال فهو الحق.

و عمرو بن ربيعة الذى تنتسب إليه خزاعة يقال: هو عمرو بن لحى، و إن حارثة بن ثعلبة بن عمرو خلف على أم لحى، و لحى هو ربيعة، بعد أن تأيمت من قمعة، و لحى صغير، فتبناه حارثة و انتسب إليه.

فيكون النسب على هذا صحيحا بالوجهين، إلى قمعة بالولادة وفق ما روى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قاله، و إلى حارثة بن ثعلبة بالتبنى، و الانتساب به موجود كثيرا فى العرب.

فلما ولیت خزاعة البیت حفظوه مما کانت جرهم استباحته، و توافروا علی تعظیمه و الذب عنه، و کان الذی یلیه منهم عمرو بن الحارث الغبشانی، ثم قومه من بعده، و قریش إذ ذاک حلول و صرم «۲» متقطعون و بیوتات متفرقون فی قومهم من بنی کنانة.

فأقامت خزاعة علی ولایة البیت، یتوارثون ذلک کابرا عن کابر، حتی کان آخرهم حلیل بن حبشیة بن سلول بن کعب بن عمرو الخزاعی. و بعده انتقلت ولایة البیت إلی قصی بن کلاب.

و کان من حدیث قصی «۳» أنه لما هلک أبوه کلاب بن مرة، خلف ولدیه زهرة و قصیا، مع أمهما فاطمة بنت سعد بن سیل من عذرة، و زهرة یومئذ رجل، و قصی فطیم، فقدم مکة بعد مهلک کلاب حاج مع قضاعة فیهم ربیعة بن حرام بن ضنة بن عبد کبیر بن عذرة، فتزوج فاطمة بنت سعد فاحتملها إلی بلاده، فاحتملت ابنها قصیا لصغره، و أقام زهرة فی قومه.

فولدت فاطمة لربیعة رزاحا، فکان أخا قصی لأمه، و کان لربیعة بنون ثلاثة من امرأة أخری، و هم: حن و محمود و جلهمة، بنو ربیعة.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۸۱)

(۲) قال فی اللسان (مادة صرم): الصرم بالکسر: الأبیات المجتمعة المنقطعة من الناس، و هو الفرقة من الناس لیسوا بالکثیر و الجمع أصرم و أصاریم و صرمان.

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۱۱۵- ۱۲۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۱

و أقام قصی بأرض قضاعة لا ینسب إلا إلی ربیعة بن حرام.

فناضل یوما رجلا من قضاعة یدعی رفیعا، فنضله قصی، و هو یومئذ شاب، فغضب المنضول، فوقع بینهما حتی تقاولا و تنازعا، فقال رفیع: أ لا تلحق ببلدک و بقومک، فإنک لست منا!.

فرجع قصی إلی أمه، و قد وجد فی نفسه مما قال، فسألها عن ذلک فقالت: أو قد قال هذا؟ أنت و الله یا بنی أکرم منه نفسا و والدا و نسبا و أشرف منزلا، أنت ابن کلاب بن مرة بن کعب بن لؤیّ بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر بن کنانة القرشی، و قومک بمکة عند البیت الحرام و فیما حوله، تفد العرب إلی ذلک البیت، و قد قالت لی کاهنة رأتک: هذا یلی أمرا جلیلا، فطب نفسا.

فأجمع قصی الخروج إلی قومه و اللحوق بهم، و کره الغربة بأرض قضاعة، و ضاق ذرعا بالمقام فیهم، فقالت له أمه: لا تعجل حتی یدخل علیک الشهر الحرام، فتخرج فی حاج العرب، فإنی أخشی علیک أن یصیبک بعض الناس.

فأقام قصی حتی إذا دخل الشهر الحرام و خرج حاج قضاعة خرج معهم، و هم یظنون أنه إنما یرید الحج ثم یرجع إلی بلاده، حتی قدم مکة، فلما فرغ من الحج أقام بها، و عالجه القضاعیون علی الخروج معهم فأبی.

و کان رجلا جلدا نهدا نسیبا، فلم ینشب أن خطب إلی حلیل بن حبشیة ابنته حبی، فعرف حلیل النسب و رغب فی الرجل فزوجه، و حلیل یومئذ یلی أمر مکة و الحکم فیها و حجابة البیت.

فأقام قصی معه بمکة، و ولدت له حبی بنیه عبد الدار و عبد مناف و عبد العزی و عبدا.

فلما انتشر ولد قصی و کثر ماله و عظم شرفه هلک حلیل، فرأی قصی أنه أولی بالکعبة و بأمر مکة من خزاعة و بنی بکر، و أن قریشا قرعة إسماعیل بن إبراهیم علیهما السلام، و صریح ولده.

فکلم رجالا من قریش و بنی کنانة، و دعاهم إلی إخراج خزاعة و بنی بکر من مکة، فأجابوه إلی ذلک، فکتب عند ذلک قصی إلی أخیه من أمه رزاح بن ربیعة، یدعوه إلی نصرته و القیام معه، فخرج رزاح و معه إخوته لأبیه، حن و محمود و جلهمة، فیمن تبعهم من قضاعة فی حاج العرب، و هم مجمعون لنصر قصی و القیام معه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۲

فلما اجتمع الناس بمکة و فرغوا من الحج و لم یبق إلا أن یصدر الناس، کان أول ما تعرض له قصی من المناسک أمر الإجازة للناس بالحج.

و کانت صوفة هی التی تلی ذلک مع الدفع بهم من عرفة و رمی الجمار، و هم ولد الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلیاس بن مضر «۱».

و الغوث هو أول من ولی ذلک منهم.

و ذلک أن أمه کانت امرأة من جرهم، و کانت لا تلد، فنذرت لله إن هی ولدت ولدا أن تصدق به علی الکعبة عبدا لها یخدمها و یقوم علیها، فولدت الغوث و کان یقوم علی الکعبة فی الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولی الإجازة بالناس من عرفة لمکانه الذی کان به من الکعبة، و ولده من بعده حتی انقرضوا.

فقال مر بن أد أبو الغوث لوفاء نذر أمه:

إنی جعلت رب من بنیهربطة بمکة العلیة

فبارکن لی بها إلیهو اجعله لی من صالح البریه و کان الغوث بن مر، زعموا، إذا دفع بالناس قال:

لا هم إنی تابع تباعهإن کان إثم فعلی قضاعه و ذلک أن قضاعة کان منهم أحیاء یستحلون الحرمة فی الجاهلیة، فکانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، و تجیز بهم إذا نفروا من منی إذا کان یوم النفر أتوا لرمی الجمار، و رجل من صوفة یرمی للناس، لا یرمون حتی یرمی، فکان ذوو الحاجات المتعجلون یأتونه فیقولون له: قم فارم حتی نرمی معک. فیقول: لا- و الله حتی تمیل الشمس. فیظل ذوو الحاجات الذین یحبون التعجیل یرمونه بالحجارة و یستعجلونه بذلک، و یقولون له:

ویلک قم فارم بنا. فیأبی علیهم، حتی إذا مالت الشمس قام فرمی و رمی الناس معه.

فإذا فرغوا من رمی الجمار و أرادوا النفر من منی أخذت صوفة بجانبی العقبة فحبسوا الناس و قالوا: أجیزی «۲» صوفة. فلم یجز أحد من الناس حتی یرموا، فإذا نفذت صوفة و مضت خلی سبیل الناس فانطلقوا بعدهم، فکانوا کذلک حتی انقرضوا.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۱۶).

(۲) أجیزی: جزت الطریق و جاز الموضع: أی سار فیه و سلکه، و أجازه: حلفه و قطعه، و أجازه: أنفذه. انظر: اللسان (مادة جوز).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۳

فورثهم ذلک من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زید مناة بن تمیم، و کانت من بنی سعد فی آل صفوان بن الحارث بن شجنة بن عطارد بن عوف بن کعب بن سعد.

فکان صفوان هو الذی یجیز للناس بالحج من عرفة، ثم بنوه من بعده، حتی کان آخرهم الذی قام علیه الإسلام کرب بن صفوان.

و فی ذلک یقول ابن مغراء السعدی:

لا- یبرح الناس ما حجوا معرفهمحتی یقال أجیزوا آل صفوانا فأما قول ذی الإصبع العدوانی، و اسمه حرثان بن عمرو، و قیل له ذو الإصبع لحیة لدغته فی إصبعه فقطعها:

عذیر الحی من عدوان کانوا حیة الأرض «۱»

بغی بعضهم ظلمافلم یرع علی بعض

و منهم کانت السادات و الموفون بالقرض

و منهم من یجیز الناس بالسنة و الفرض

و منهم حكم يقضى‌فلا ينقض ما يقضى و إنما قال ذلك لأن الإفاضة من المزدلفة كانت فى عدوان، و هو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيارة عميلة بن الأعزل.

قال حويطب بن عبد العزى: رأيت أبا سيارة يدفع بالناس من جمع على أتان له عقوق. و ذكروا أنه أجاز عليها أربعين سنة «۲».

قالوا: و كان إذا وقف بالناس قال: اتقوا الله ربكم، و أصلحوا أموالكم، و احفظوا جيرانكم، و قاتلوا أعداءكم، اللهم حبب بين نسائنا، و بغض بين رعائنا، و اجعل أمر الناس بأيدى صالحائنا؛ ثم يقول: أفيضوا على بركة الله.

و فيه يقول شاعر من العرب:

نحن دفعنا عن أبى سياره‌و عن مواليه بنى فزاره

---

(۱) حية الأرض: يقال حية فلان و حية الوادى، إذا كان مهيبا شديد الشكيمة حاميا لحوزته، أراد أنهم كانوا ذوى إرب و شدة لا يضيعون ثأرا. انظر: اللسان (مادة حيا).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۱۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۴ حتى أجاز سالما حماره‌مستقبل القبلة يدعو جاره قوله: «حكم يقضى» يعنى عامر بن ظرب العدوانى، و كانت العرب لا يكون بينها ثائرة و لا عضلة «۱» فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ثم رضوا بما قضى فيه.

فاختصم إليه، فى بعض ما كانوا يختلفون فيه، فى رجل خنثى له ما للرجل و له ما للمرأة، أ يجعله رجلا أو امرأة؟ و لم يأتوه بأمر كان أعضل منه.

فقال: حتى أنظر فى أمركم، فو الله ما نزل بى مثل هذه منكم يا معشر العرب.

فاستأخروا عنه، فبات ليلته ساهرا يقلب أمره و ينظر فى شأنه فلا- يتوجه له من وجه، و كانت له جارية يقال لها: سخيلة، ترعى عليه غنمه، فكان يعاتبها إذا سرحت فيقول:

صبحت و الله يا سخيل. و إذا راحت عليه يقول: مسيت و الله يا سخيل. و ذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس، و تؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس.

فلما رأت سهره و قلة قراره على فراشه قالت: ما لك لا أبا لك! ما عراك فى ليلتك هذه؟! قال: ويلك دعينى، أمر ليس من شأنك. ثم عادت له بمثل قولها، فقال فى نفسه:

عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج. فقال: و يحك، اختصم إلى فى ميراث خنثى، أ أجعله رجلا أو امرأة؟ فو الله ما أدرى ما أصنع و ما يتوجه لى فيه وجه.

فقالت: سبحان الله! لا أبا لك! اتبع القضاء المبال، أقعده، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، و إن بال من حيث تبول المرأة فهو امرأة. قال: مسى سخيل بعدها أو صحى، فرجتها و الله. ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذى أشارت إليه «۲».

و هذا كله من الخبر معترض قطع اتصال حديث صوفة و قصى، فنرجع الآن إليه و نصله بموضع انقطاعه.

حيث ذكر أن صوفة هى التى كانت تلى الإجازة بالناس من منى و الدفع بهم من عرفة، و أن قصيا عزم على انتزاع ذلك من أيديهم و القيام به دونهم، و استدعى لمظاهرته على ذلك أخاه رزاحا فوصله مع من ذكر وصوله معه.

فلما كان ذلك العام فعلت صوفة مثل ما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، و هو دين فى أنفسهم من عهد جرهم و خزاعة.

---

(۱) العضلة: الأمر الشديد، و قيل: الاعوجاج، و العضلة أيضا من أسماء الداهية.

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۱۱۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۵

فأتاهم قصی بمن معه من قومه من قریش و کنانهٔ و قضاعهٔ عند العقبهٔ، فقال: لنحن أولی بهذا الأمر منکم.

فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالا شدیدا، ثم انهزمت صوفهٔ و غلبهم قصی علی ما کان بأیدیهم من ذلک.

و انحازت عند ذلک خزاعهٔ و بنو بکر عن قصی، و عرفوا أنه سیمنعهم کما منع صوفهٔ، و أنه سیحول بینهم و بین الکعبهٔ و أمر مکهٔ، فلما انحازوا عنه بادأهم و أجمع لحربهم، و خرجت له خزاعهٔ و بنو بکر فالتقوا، فاقتتلوا قتالا شدیدا بالأبطح، حتی کثرت القتلی فی الفریقین جمیعا، و فشت الجراح فیهم و أکثر ذلک فی خزاعهٔ.

ثم إنهم تداعوا إلی الصلح و إلی أن یحکموا بینهم رجلا من العرب، فحکموا یعمر ابن عوف بن کعب بن عامر بن لیث بن بکر بن عبد مناهٔ بن کنانهٔ بن قصی.

فقضی بینهم أن قصیا أولی بالکعبهٔ و أمر مکهٔ من خزاعهٔ، و أن کل دم أصابه قصی من خزاعهٔ و بنی بکر موضوع یشدخه «۱» تحت قدمیه، و أن ما أصابت خزاعهٔ و بنو بکر من قریش و کنانهٔ و قضاعهٔ ففیه الدیهٔ مؤداهٔ، و أن یخلی بین قصی و بین الکعبهٔ و مکهٔ.

فسمی یعمر بن عوف یومئذ الشداخ، لما شدخ من الدماء، و وضع منها، و یقال:

الشداخ أیضا.

فولی قصی البیت و أمر مکهٔ، و جمع قومه من منازلهم إلی مکهٔ، و تملک علی قومه و أهل مکهٔ فملکوه، إلا أنه قد أقر العرب علی ما کانوا علیه، و ذلک أنه کان یراه دینا فی نفسه لا ینبغی تغییره.

فأقر آل صفوان و عدوان و النسأهٔ و مرهٔ بن عوف علی ما کانوا علیه؛ حتی جاء الإسلام فهدم الله به ذلک کله «۲».

و بنو مرهٔ بن عوف هم أهل البسل و قد تقدم ذکرهم.

و أما النسأهٔ «۳» فهم بنو فقیم بن عدی بن عامر بن ثعلبهٔ بن الحارث بن مالک بن کنانهٔ بن خزیمهٔ بن مدرکهٔ بن إلیاس بن مضر.

---

(۱) یشدخه: الشدخ الکسر فی کل شیء رطب، و قیل: هو التهشیم یعنی به کسر الیابس و کل أجوف. و قال اللیث: الشدخ کسرک الشیء الأجوف کالرأس و نحوه. انظر: اللسان (مادهٔ اشدخ).

(۲) انظر: السیرهٔ (۱/ ۱۱۶).

(۳) انظر: السیرهٔ (۱/ ۵۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۶

و هم الذین کانوا ینسئون الشهور علی العرب فی الجاهلیهٔ، فیحلون الشهر من أشهر الحرم و یحرمون مکانه الشهر من أشهر الحل و یؤخرون ذلک الشهر، ففیه أنزل الله سبحانه: إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَهٌٔ فِی الْکُفْرِ یُضَلُّ بِهِ الَّذِینَ کَفَرُوا یُحِلُّونَهُ عاماً وَ یُحَرِّمُونَهُ عاماً لِیُواطِؤُا عِدَّهَٔ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَیُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُیِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ [التوبهٔ: ۳۷].

و کان أول من نسأ الشهور منهم علی العرب، فأحلت منها ما أحل و حرمت منها ما حرم: القلمس، و هو حذیفهٔ بن عبد بن فقیم بن عدی، و توارث ذلک بنوه من بعده، حتی کان آخرهم الذی قام علیه الإسلام أبو ثمامهٔ جنادهٔ بن عوف بن أمیهٔ بن قلع بن عباد بن حذیفهٔ، و هو القلمس.

قال الزبیر: و کان أبعدهم ذکرا و أطولهم أمرا، یقال: إنه نسأ أربعین سنهٔ.

و کانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إلیه، فحرم الأشهر الحرم الأربعهٔ:

رجبا، و ذا القعدهٔ، و ذا الحجهٔ، و المحرم. فإذا أراد أن یحل منها شیئا أحل المحرم فأحلوه، و حرم مکانه صفرا فحرموه، لیواطئوا عدهٔ الأربعهٔ الأشهر الحرم.

فإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم إنى قد أحللت أحد الصفرين، الصفر الأول، و نسأت الآخر للعام المقبل.

و فى ذلك يقول عمير بن قيس، جذل الطعان، أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، يفخر بالنسأة على العرب:

لقد علمت معد أن قومى كرام الناس إن لهم كراما «۱»

فأى الناس فاتونا بوترو أى الناس لم نعلك لجاما «۲»

ألسنا الناسئين على معدشهور الحل نجعلها حراما فهذا كان شأن النسأة فى الجاهلية، فأقره قصى على ما كان عليه، مع سائر ما ذكر إقراره العرب عليه، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله.

فكان قصى أول بنى كعب بن لؤىّ أصاب ملكا أطاع له به قومه، فكانت إليه

---

(۱) أن لهم كراما: أراد أن لهم آباء كراما أو أخلاقا كراما.

(۲) الوتر: قيل طالب الثأر، و قيل: هو الظلم فى الرّحل، و قيل هو الزحل عامة. و قوله: لم نعلك لجاما: أى لم نزجرهم كما ينزجر الفرس باللجام. و تقول: أعلكت الفرس لجامه، إذا رددته من نشاطه فعلك اللجام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۷

الحجابة و السقاية، و الرفادة، و الندوة، و اللواء. فحاز شرف مكة كله، و قطع مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها.

و يزعم الناس أن قريشا هابوا قطع الشجر من الحرم فى منازلهم، فقطعها قصى بيده و أعوانه؛ فسمته قريش مجمعا، لما جمع من أمرها، و تيمنت بأمره، فما تنكح امرأة و لا يزوج رجل من قريش، و لا يشاورون فى أمر نزل بهم، و لا يعقدون لواء لحرب قوم غيرهم إلا فى داره، يعقده لهم بعض ولده، و لا يعذر غلام إلا فى داره، و لا تدرع جارية «۱» من قريش إلا فى داره، يشق عليها فيها درعها إذا بلغت ذلك، ثم تدرعه ثم ينطلق بها إلى أهلها.

و لا تخرج عير من قريش فيرحلون إلا من داره، و لا يقدمون إلا نزلوا فى داره.

فكان أمره فى قريش فى حياته و من بعد موته كالدين المتبع، لا يعمل بغيره.

و اتخذ لنفسه الندوة، و جعل بابها إلى المسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها.

و لما فرغ قصى من حربه انصرف أخوه رزاح إلى بلاده بمن معه من قومه، فلما استقر فى بلاده نشره الله و نشر حبا، فهما قبيلا عذرة اليوم.

فهذا حديث قصى فى ولاية البيت بعد حليل بن حبشية و إخراج خزاعة عنه «۲».

و خزاعة تزعم أن حليلا أوصى بذلك قصيا و أمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر، و قال: أنت أولى بالكعبة و بالقيام عليها و بأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصى ما طلب.

قال ابن إسحاق: و لم يسمع ذلك من غيرهم؛ فالله أعلم.

و قد ذكر الواقدى الأمرين على نحو ما ذكر ابن إسحاق.

قال: و قد سمعنا فى ذلك وجها آخر، ذكر أن أبا غبشان رجلا من خزاعة، كان ولى الكعبة فباع حجابتها من قصى بن كلاب بيعا. و ذكر غيره أنه باع منه مفتاح الكعبة بزق خمر. فلذلك قيل: أخسر صفقة من أبى غبشان.

---

(۱) تدرع جارية: من درع: و درع المرأة: قميصها و هو أيضا الثوب الصغير فى بيتها و الجمع أدرع.

و فى التهذيب: الدرع: ثوب تجوب المرأة وسطه و تجعل له يدين و تخيط فرجته. انظر: اللسان (مادة درع).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۱۱۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸

و ذكر الواقدى أيضا بإسناد له، أن رجلا من قضاعة يقال له: أبو الشموس؛ حدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و هو خليفة حديث قصى بن كلاب، و كيف استعان بإخوته على خزاعة، فاستمع له عمر و تعجب لأول الحديث و قال: ذكرتنا أمرا كان دثر منا، فالحمد لله رب العالمين، إن الله عز و جل ليصنع لهذا الحى من قريش، و هم أولى الناس أن يتقوا الله و تحسن سيرة من ولى منهم، بصنع الله لهم، جعل فيهم الإمامة و قبل ذلك النبوة.

قالوا: فلما كبر قصى ورق، و كان عبد الدار بكره، و كان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه و ذهب كل مذهب، و عبد العزى و عبد، قال قصى لعبد الدار: أما و الله يا بنى لألحقنك بالقوم و إن كانوا قد شرفوا عليك.

لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له، و لا يعقد لقريش لواء إلا أنت بيدك، و لا يشرب رجل بمكة إلا من سقايتك، و لا يأكل أحد من أهل الحرم طعاما إلا من طعامك، و لا تقطع قريش أمرا من أمورها إلا فى دارك.

فأعطاه دار الندوة التى لا تقضى قريش أمرا من أمورها إلا فيها، و أعطاه الحجابة و اللواء و السقاية و الرفادة.

و كانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب، فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة و لا زاد «۱».

و ذلك أن قصيا فرضها على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قريش، إنكم جيران الله و أهل بيته و أهل الحرم، و إن الحجاج ضيف الله و زوار بيته، و هم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما و شرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم».

ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاما للناس أيام منى، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى فى الإسلام إلى يومنا هذا، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج.

فمضى أمر قصى فى عبد الدار ابنه، و جعل إليه كل ما كان بيده من أمر قومه؛ و كان قصى لا يخالف و لا يرد عليه شىء صنعه.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۹

ثم إن قصيا هلك، فأقام أمره فى قومه و فى غيرهم بنوه من بعده. فاختطوا مكة رباعا بعد الذى كان قصى قطع لقومه بها، فكانوا يقطعونها فى قومهم و فى غيرهم من حلفائهم و يبيعونها.

فأقامت قريش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف و لا تنازع «۱».

ثم إن بنى عبد مناف بن قصى: عبد شمس و هاشما و المطلب و نوفلا أجمعوا أن يأخذوا ما فى يدى بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل إلى عبد الدار من الحجابة و اللواء و السقاية و الرفادة، و رأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم و فضلهم فى قومهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة منهم مع بنى عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم، و كانت طائفة مع بنى عبد الدار يرون ألا ينزع منهم ما كان قصى جعل إليهم.

فكان صاحب أمر بنى عبد مناف، عبد شمس بن عبد مناف؛ و ذلك أنه كان أسنهم.

و كان صاحب أمر بنى عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

و كانت بنو أسد بن عبد العزى بن قصى، و بنو زهرة بن كلاب، و بنو تيم بن مرة ابن كعب، و بنو الحارث بن فهر مع بنى عبد مناف.

و كان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، و بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، و بنو جمح بن عمرو بن هصيص، و بنو عدى بن كعب

مع بنی عبد الدار.

و خرجت عامر بن لؤیّ و محارب بن فهر، فلم یکونوا مع واحد من الفریقین.

فعقد کل قوم علی أمرهم حلفا مؤکدا علی أن لا یتخاذلوا و لا یسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة «۲».

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طیبا «۳» فوضعوها لأحلافهم فی المسجد عند

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۲۰)

(۲) قال فی اللسان (مادة صوف): صوف البحر شیء علی شکل هذا الصوف الحیوانی واحدته صوفة، و من الأبدیات قولهم: لا آتیک ما بل بحر صوفة.

(۳) قال فی السیرة: یزعمون أن بعض نساء بنی عبد مناف قد أخرجته لهما، و لم یسمها. و قال السهیلی فی الروض الأنف: سماها الزبیر فی موضعین من کتابه فقال: هی أم حکیم البیضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و توأمة أبیه. انظر: الروض الأنف (۱/ ۱۵۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۰

الکعبة، ثم غمس القوم أیدیهم فیها فتعاقدوا و تعاهدوا هم و حلفاؤهم، ثم مسحوا الکعبة بأیدیهم توکیدا علی أنفسهم، فسموا المطیبین.

و تعاقد بنو عبد الدار و تعاهدوا هم و حلفاؤهم عند الکعبة حلفا مؤکدا علی أن لا یتخاذلوا و لا یسلم بعضهم بعضا، فسموا الأحلاف.

ثم سوند بین القبائل و لز بعضها ببعض، فعبئت عبد مناف لبنی سهم، و عبئت بنو أسد لبنی عبد الدار، و عبئت زهرة لبنی جمح، و عبئت تیم لبنی مخزوم، و عبئت بنو الحارث بن فهر لبنی عدی، ثم قالوا: لتغن کل قبیلة من أسند إلیها.

فبینما الناس علی ذلک قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلی الصلح علی أن یعطوا بنی عبد مناف السقایة و الرفادة، و أن تکون الحجابة و اللواء و الندوة لبنی عبد الدار کما کانت، ففعلوا، و رضی کل واحد من الفریقین بذلک، و تحاجز الناس عن الحرب، و ثبت کل قوم مع من حالفوا، حتی جاء الله بالإسلام، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «ما کان من حلف فی الجاهلیة فإن الإسلام لم یزده إلا شدة» «۱».

فهذا حلف المطیبین «۲».

و قد کان فی قریش حلف آخر بعده، و هو حلف الفضول «۳»، تداعت إلیه قبائل من قریش، فاجتمعوا إلیه فی دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم بن مرة، لشرفه و سنه، فتعاقدوا و تعاهدوا علی أن لا یجدوا بمکة مظلوما من أهلها و غیرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، و کانوا علی من ظلمه حتی ترد علیه مظلمته، فسمت قریش ذلک الحلف حلف الفضول.

و اختلف فی السبب الذی دعا قریشا إلی هذا الحلف، و لم سمی بهذا الاسم، فأما ما

---

(۱) أخرجه البیهقی فی السنن الکبری (۶/ ۳۳۵).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۱۲۰- ۱۲۲).

(۳) قال السهیلی فی الروض الأنف (۱/ ۱۵۵): قال ابن قتیبة: کان قد سبق قریشا إلی مثل هذا الحلف جرهم فی الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم و من تبعهم، أحدهم: الفضل بن فضالة، و الثانی: الفضل بن وداعة، و الثالث: فضیل بن الحارث، هذا قول القتبی. و قال الزبیر: الفضیل ابن شراعة، و الفضل بن وداعة، و الفضل بن قطاعة، فلما أشبه حلف قریش الآخر فعل هؤلاء الجرهمیین سمی: حلف الفضول، و الفضول جمع فضل، و هی أسماء أولئک الذین تقدم ذکرهم، و هذا الذی قال ابن قتیبة حسن.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۶۱

دعاهم إلیه، فذکر الزبیر و غیره أن رجلا من أهل الیمن من بنی زبید قدم مکة معتمرا و معه بضاعة له، فاشتراها رجل من بنی سهم، و یقال: إنه العاص بن وائل، فلوی الرجل بحقه، فسأله ماله فأبی علیه، و سأله متاعه فأبی علیه، فجاء إلی بنی سهم یستعدیهم علیه، فأغلظوا له، فعرف أن لا سبیل إلی ماله، فطوف فی قبائل قریش یستعین بهم، فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأی ذلک قام علی الحجر، و یقال: بل أشرف علی أبی قبیس حین أخذت قریش مجالسها ثم نادی بأعلی صوته ثم قال:

یا آل فهر لمظلوم بضاعتهببطن مکة نائی الدار و النفر

و أشعث محرم لم یقض حرمتهبین الإله و بین الحجر و الحجر

أ قائم من بنی سهم بذمتهمأم ذاهب فی ضلال مال معتمر فلما سمعت ذلک قریش أعظموه و تکلموا فیه، فقال المطیبون: و الله لئن قمنا فی هذا لتغضبن الأحلاف، و قال الأحلاف: و الله لئن تکلمنا فی هذا لیغضبن المطیبون. فقال ناس من قریش: تعالوا فلنکن حلفا فضولا دون المطیبین و دون الأحلاف، فلذلک قیل له:

حلف الفضول.

فاجتمعوا فی دار عبد الله بن جدعان، و صنع لهم طعاما کثیرا، و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یومئذ معهم قبل أن یوحی إلیه، فاجتمعت بنو هاشم و بنو المطلب و زهرة و أسد و تیم، فتحالفوا علی أن لا یظلم بمکة قریب و لا غریب و لا حر و لا عبد إلا کانوا معه، حتی یأخذوا له بحقه و یردوا إلیه مظلمته من أنفسهم و من غیرهم، ثم عمدوا إلی ماء من ماء زمزم فجعلوه فی جفنة، ثم بعثوا به إلی البیت فغسلت فیه أرکانه، ثم أتوا به فشربوه، ثم انطلقوا إلی الرجل الذی تعدی علی الرجل المستصرخ، العاص بن وائل أو غیره. فقالوا:

و الله لا نفارقک حتی تؤدی إلیه حقه.

فأعطی الرجل حقه، فمکثوا کذلک لا یظلم أحد حقه بمکة إلا أخذوه له، و قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «لقد شهدت فی دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لی به حمر النعم، و لو أدعی به فی الإسلام لأجبت» «۱».

و حکی الزبیر أیضا أنه إنما سمی حلف الفضول لأنهم تحالفوا علی أن لا یترکوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه. و قیل: إنما سمی بذلک لأنه لما تداعی له من ذکر من قبائل قریش کره ذلک سائر المطیبین و الأحلاف بأسرهم، و سموه حلف الفضول، عیبا

---

(۱) أخرجه البیهقی فی السنن الکبری (۶/ ۱۶۷)، القرطبی فی تفسیره (۶/ ۳۳، ۱۰/ ۱۶۹)، ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۲/ ۲۹۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۶۲

له، و قالوا: هذا من فضول القوم.

و قیل: بل کان هذا الحلف علی مثل حلف تقدم إلیه نفر من جرهم یقال لهم:

الفضل و فضال و الفضیل، فسمی لذلک هذا الآخر حلف الفضول، و أیا ما کان من ذلک، فهی مأثره لقریش من مآثرها الکرام، و آثارها العظام، نالتهم فیه برکة حضور رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فهو و إن کان فعلا- جاهلیا دعتهم السیاسة إلیه، فقد صار لحضور رسول الله صلی اللّه علیه و سلم له و ما قاله بعد النبوة فیه و أکده من أمره، حکما شرعیا و فعلا نبویا.

و قد نشأ بین حسین بن علی بن أبی طالب رضی الله عنهما، و بین الولید بن عتبة بن أبی سفیان زمن معاویة، و الولید یومئذ أمیر المدینة من قبله منازعة فی مال کان بینهما بذی المروة، فکأن الولید تحامل علی حسین فی حقه لسلطانه، فقال له حسین: أحلف بالله لتنصفنی من حقی أو لآخذن سیفی ثم لأقومن فی مسجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، ثم لأدعون بحلف الفضول.

فقال عبد الله بن الزبیر و هو عند الولید: و أنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سیفی ثم لأقومن معه حتی ینصف من حقه أو نموت

جمیعا. و بلغت المسور بن مخرمـة الزهری فقال مثل ذلک. و بلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبید الله التیمی فقال مثل ذلک. فلما بلغ ذلک الولید أنصف الحسین من حقه حتی رضی. و لم تکن بنو عبد شمس دخلت فی هذا الحلف.

و قـد سأل عبـد الملک بن مروان عن ذلک محمد بن جبیر بن مطعم إذ قدم علیه حین قتل ابن الزبیر، و اجتمع الناس علی عبد الملک بن مروان، و کـان محمـد بن جبیر أعلم قریش، فلمـا دخـل علیه قال: یا أبا سـعید، أ لم نکن نحن و أنتم، یعنی بنی عبـد شـمس و بنی نوفـل ابنی عبـد مناف، فی حلف الفضول؟ قال: أنت أعلم. قال عبـد الملک: لتخبرنی یا أبا سـعید بالحق من ذلک. فقال: لا و الله، لقد خرجنا منه نحن و أنتم. قال: صدقت.

فکان عتبة بن ربیعة بن عبد شمس یقول: لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس، حتی أدخل فی حلف الفضول.

و کانت لقریش أحلام عظام، کانوا منها فی جاهلیتهم علی مثل السلطان الضابط، عنایة من الله بهم و منا منه سبحانه علیهم، هم سکان الحرم، و أهل الله و حجاب بیته، و أهل السـقایة و الرفادة و الرئاسـة و اللواء و النـدوة و مکارم مکة، و کانوا علی إرث من دین أبویهم إبراهیم و إسماعیل صلی الله علیهما، من قری الضیف و رفد الحاج و تعظیم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۳

الحرم و منعه من البغی فیه و الإلحاد، و قمع الظالم و منع المظلوم.

إلا أنه دخلت علی أولیتهم أحـداث غیرت أصول الحنیفیـة عندهم، و طال الزمان حتی أفضـی ذلک بهم إلی جهالات بشـرائع الدین و ضلالات عن سنن التوحید فتدارک الله ذلک کله بنبیه صلی اللّه علیه و سلم، فهدی من الضلالة و علم من الجهالة.

فیقال: إنه کان أول من غیر الحنیفیة دین إبراهیم و نصب الأوثان حول الکعبة و دعا إلی عبادتها: عمرو بن لحی بن قمعة بن إلیاس بن مضر.

روی أبو هریرة أنه سمع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول لأکثم بن الجون الخزاعی: «یا أکثم، رأیت عمرو بن لحی بن قمعة بن خندف یجر قصبه فی النار، فما رأیت رجلا أشبه برجل منک به و لا بک منه». فقال أکثم: عسی أن یضرنی بشبهه یا نبی الله، قال: «لا، لأنـک مؤمن و هو کـافر، إنه کان أول من غیر دین إسـماعیل، فنصب الأوثان و بحر البحیرة و سیب السائبـة و وصل الوصیلة و حمی الحامی» «۱».

فالبحیرة «۲»: عنـد العرب الناقـة تشق أذنهـا و لاـ یرکب ظهرهـا و لاـ یجزّ وبرهـا و لاـ یشـرب لبنها إلا ضـیف، أو یتصـدق به، و تهمل لآلهتهم.

و السائبة: التی ینذر الرجل إن برئ من مرضه أو أصاب أمرا یطلبه أن یسیبها ترعی لا ینتفع بها.

و الوصـیلة: التی تلـد أمهـا اثنین فی کـل بطن، فیجعـل صاحبهـا لآـلهته الإناث منها و لنفسه الـذکور، فتلـدها أمها و معها ذکر فی بطن فیقولون: وصلت أخاها، فیسیب أخوها معها فلا ینتفع به.

و الحامی: الفحل إذا نتـج له عشـر إناث متتابعات لیس بینهن ذکر حمی ظهره، فلم یرکـب و لم یجز و بره و خلی فی إبله یضـرب فیها، لا ینتفع منه بغیر ذلک.

فلما بعث الله رسوله صلی اللّه علیه و سلم أنزل علیه: ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِیرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِیلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لکِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا یَفْتَرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ وَ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ [المائدة: ۱۰۳].

---

(۱) أخرجه الطبری فی تفسیره (۷/ ۵۶)، ابن کثیر فی تفسیره (۳/ ۲۰۴)، الألبانی فی السلسلة الصحیحة (۱۶۷۷).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۹۰- ۹۲)، أمر البحیرة و السائبة و الوصیلة و الحامی.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۶۴

و ذكر بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء و بها يومئذ العماليق و هم من ولد عملاق، و يقال:

عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها و نستمطرها فتمطرنا و نستنصرها فتنصرنا.

فقال لهم: أ فلا تعطوننى منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له: «هبل»؛ فقدم به مكة، فنصبه و أمر الناس بعبادته و تعظيمه.

قال ابن إسحاق: و يزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم و التمسوا الفسيح فى البلاد، إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه و طافوا به كطوافهم بالكعبة. حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوه من الحجارة، و أعجبهم حتى خلفت الخلوف «۱» و نسوا ما كانوا عليه و استبدلوا بدين إبراهيم و إسماعيل غيره فعبدوا الأوثان و صاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات «۲».

و فيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها، من تعظيم البيت و الطواف به و الحج و العمرة و الوقوف على عرفة و المزدلفة و هدى البدن و الإهلال بالحج و العمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه.

فكانت كنانة و قريش إذا أهلوا قالوا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك تملكه و ما ملك»، فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، و يجعلون ملكها بيده! يقول الله تبارك و تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه و سلم: وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ۱۰۶]، أى ما يوحدوننى بمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى.

و قد كانت لقوم نوح أصنام عكفوا عليها، قص الله تبارك و تعالى خبرها على رسوله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً [نوح: ۲۳].

و ذكر الواقدى بإسناد له عن أبى هريرة أن أول ما عبدت الأصنام فى زمن نوح عليه

---

(۱) الخلوف: جمع خلاف، و هو القرن بعد القرن.

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۸۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۶۵

السلام، و أن ودا و سواعا و يغوث و يعوق و نسرا كانوا رجالا صالحين من قوم نوح، أهل عبادة و فضل، فماتوا، فوجد عليهم أهلوهم و توحش الناس لفقدهم، فقال لهم رجل: أ لا أصورهم لكم صورا من خشب فتنظرون إليهم و تسكنون إلى رؤيتهم؟ قالوا: بلى إن قدرت، قال: أنا أقدر على تصويرهم، و لا أقدر أن أنفخ الروح فيهم.

فجاء بالصور كهيئتهم أحياء، فأخذ أهل كل بيت صورة صاحبهم فوضعوها فى منزلهم ينظرون إليها، فأذهب ذلك بعض حزنهم.

فكانوا على ذلك ما شاء الله، حتى هلك ذلك القرن، ثم خلف قرن آخر ثم ثالث بعده فكانوا على ما كان عليه القرن الأول حتى هلكوا.

ثم خلف القرن الرابع، فقالوا: لو أنا عبدنا هؤلاء لقربونا إلى الله و شفعوا لنا عنده، و لا يزيدونا إلا خيرا إنما نريد ما يقربنا منه، فعبدوها حتى هلكوا، و عبدها من بعدهم.

فلما غرقت الأرض زمن نوح عليه السلام، غرقت تلك الأصنام، فمكثت ما شاء الله أن تمكث، ثم استخرجها عمرو بن لحى ففرقها فى القبائل. فالله تعالى أعلم.

و قد خرج البخارى فى صحيحه من حديث عبد الله بن عباس موقوفا عليه فى التفسير نحو ما ذكره الواقدى مختصرا، أن ودا و سواعا و يغوث و يعوق و نسرا أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشياطين إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون إليها أنصابا و سموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك و نسخ العلم عبدت.

قال ابن إسحاق: و اتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، و إذا قدم من سفره تمسح به، و كان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمد صلى اللّه عليه و سلم بالتوحيد قالت قريش: أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ [ص: ۵] «۱».

(۱) ذكر الإمام أحمد فى مسنده (۱/ ۲۲۷) أن هذه الآية نزلت حين مرض أبو طالب فدخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل و شكوا النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لعمه أبى طالب فقال له أبو طالب: أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم و تقول و تقول و أكثروا عليه من القول و تكلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «يا عم إنى أريدهم على لمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب و تؤدى إليهم بها العجم الجزية»، ففزعوا لكلمته و لقوله، فقال القوم: كلمة واحدة، نعم و أبيك عشرا، قالوا: فما هى؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، و هم يقولون: أَ جَعَلَ-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۶

و كانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، و هى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة و حجاب، و تهدى إليها كما تهدى للكعبة، و تطوف بها كطوافها، و تنحر عندها، و هى تعرف فضل الكعبة عليها، لأنها قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام و مسجده.

و سيمر فى تضاعيف هذا الكتاب بعض أخبار هذه الطواغيت و كيف جعل الله عاقبة أمرها خسرا، فأزهق الحق باطلها و عفى الإسلام آثارها، و أكمل الله تعالى دينه، و تم نوره و نعمته، و نصر دين الهدى و الحق، فأظهره على الدين كله.

و مع إصفاق العرب مضرها و يمنها على هذا الضلال، فقد كان وقع إلى بعضهم باليمن دين اليهودية فدانوا به، و وقع أيضا دين النصرانية بنجران من أرض العرب على ما نذكره.

فأما موقع اليهودية باليمن فمن جهة تبع الآخر، و هو تبان أسعد أبو كرب بن كلكى ابن كرب بن زيد، و هو تبع الأول بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار. و تبان أسعد هو الذى قدم المدينة و ساق الحبرين من يهود إلى اليمن، و عمر البيت الحرام و كساه.

و كان قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة، و كان قد مر بها فى بدأته فلم يهج أهلها و خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة، فقدمها، و هو مجمع لإخرابها و استئصال أهلها و قطع نخلها.

فجمع له هذا الحى من الأنصار، و رئيسهم عمرو بن ظلة أخو بنى النجار، و قد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له: أحمر، عدا على رجل من أصحاب تبع، حين نزل بهم، فقتله. و ذلك أنه وجده فى عذق له يجده «۱»، فضربه بمنجله فقتله، و قال: إنما التمر لمن أبره «۲». فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم.

فاقتتلوا، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار و يقرونه بالليل! فيعجبه ذلك منهم، و يقول: و الله إن قومنا لكرام.

- الْآلِهَةَ الآية، فزل فيهم: ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ.

و أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير (۳۲۳۲). و ذكره ابن كثير فى البداية (۳/ ۱۳۵).

(۱) العذق: كل غصن له شعب، و قيل: هى النخلة عند أهل الحجاز، و يجده: أى يقطعه.

(۲) أبره: أى أصلحه، و الأبر: العامل، و المؤتبر: رب الزرع، و المأبور: الزرع و النخل المصلح. انظر: اللسان (مادة أبر).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۷

فبينا تبع على ذلك من حربهم إذ جاءه حبران من أحبار يهود من بنى قريظة عالمان راسخان، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة و أهلها، فقالا له: أيها الملك: لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بيتك و بينها، و لم نأمن عليك عاجل العقوبة. فقال لهما: و لم ذلك؟ قالا: هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان، تكون داره و قراره.

فتناهى و رأى أن لهما علما، و أعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة و اتبعهما على دينهما.

و هذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود، الذين كانوا بين أظهرهم، و إنما أراد هلاكهم فمنعوهم منه، ثم انصرف عنهم، و لذلك قال فى شعره:

حنقا على سبطين حلا يثرباأولى لهم بعقاب يوم مفسد و ذكر ابن هشام أن الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع «۱».

و كان تبع و قومه أصحاب أوثان يعبدونها، فوجه إلى مكة و هى طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عسفان و أمج «۲» أتاه نفر من هذيل بن مدركة فقالوا له: أيها الملك:

أ لا ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ و الزبرجد و الياقوت و الذهب و الفضة؟ قال: بلى. قالوا: بيت بمكة يعبده أهله و يصلون عنده «۳».

و إنما أراد الهذليون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك و بغى عنده. فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين، فسألهما عن ذلك، فقالا: ما أراد القوم إلا هلاكك و هلاك جندك، و ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره، و لئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن و ليهلكن من معك جميعا.

---

(۱) قال السهيلى فى الروض الأنف (۱/ ۲۹): الشعر الذى زعم ابن هشام أنه مصنوع، قد ذكره فى كتاب التيجان و هو قصيد مطول أوله:

ما بال عينيك لا تنام كأنماكحلت مآقيها بسم الأسود انتهى باختصار.

(۲) أمج: بفتح أوله و ثانيه و بالجيم، قرية جامعة ما بين مكة و المدينة على أميال من قديد لها سور، و هى كثيرة المزارع و أهلها من خزاعة، و بها آثار كثيرة و بها نخل، و هى محلة بنى نمرة و جماعة من الناس. انظر: الروض المعطار (ص ۳۰، ۳۱).

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۳۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۸

قال: فما ذا تأمرانى أن أصنع إذا قدمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله، تطوف به و تعظمه و تكرمه، و تحلق رأسك عنده، و تذلل له حتى تخرج من عنده.

قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما و الله إنه لبيت أبينا إبراهيم، و إنه لكما أخبرناك، و لكن أهله حالوا بيننا و بينه بالأوثان التى نصبوها حوله، و بالدماء التى يهريقون عنده، و هم نجس أهل شرك؛ أو كما قالا له.

فعرف نصحهما و صدق حديثهما، فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم و أرجلهم.

ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت و نحر عنده، و حلق رأسه، و أقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس و يطعم أهلها و يسقيهم العسل.

و رأى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف «۱»، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المعافر، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء و الوصائل، فكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت.

و أوصى به ولاته من جرهم، و أمرهم بتطهيره، و أن لا يقربوه دما و لا ميتة و لا مئلاة «۲» و هى المحائض و جعل له بابا و مفتاحا. ثم

خرج موجها إلى اليمن بمن معه من جنوده و بالحبرين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن.

و يقال: إنه لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه و بين ذلك، و قالوا: لا تدخلها علينا و قد فارقت ديننا. فدعاهم إلى دينه و قال: إنه خير من دينكم. قالوا: فحاكمنا إلى النار، قال: نعم.

و كان باليمن فيما يزعم أهل اليمن، نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم و لا تضر المظلوم.

فخرج قومه بأوثانهم و ما يتقربون به فى دينهم، و خرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه، فخرجت النار عليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها و هابوها، فذمرهم من حضرهم من الناس و أمروهم بالصبر لها. فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان و ما قربوا معها، و من حمل ذلك من

(۱) الخصف: سفائف تسف من سعف النخل، فيسوى منها شقائق تلبس بيوت الأعراب، و قيل: هى ثياب غلاظ. انظر: اللسان (مادة/ خصف).

(۲) مثلاة: هى خرقة الحائض و هى أيضا خرقة النائحة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۹

رجال حمير.

و خرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما. فأصفقت عند ذلك حمير على دينه. من هنالك و عن ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

قال ابن إسحاق «۱»: و قد حدثنى محدث أن الحبرين و من خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها و قالوا: من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها، فدنت منهم لتأكلهم، و حادوا عنها و لم يستطيعوا ردها، و دنا منها الحبران بعد ذلك، و جعلا يتلوان التوراة و تنكص «۲» عنهما حتى رداها إلى مخرجها الذى خرجت منه.

فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما. فالله أعلم أى ذلك كان.

و كان رئام بيتا لهم يعظمونه و ينحرون عنده و يكلمون منه إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا و بينه. قال: فشأنكما به. فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن، كلبا أسود، فذبحاه ثم هدما ذلك البيت.

قال ابن إسحاق «۳»: فبقاياه اليوم كما ذكر لى، بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه. و تبع هذا هو أحد الملوك الذين و طئوا البلاد و دوخوا الأرض و دانت لهم الممالك، و يقال: إنه المسمى فى قوله تعالى: أَ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْناهُمْ [الدخان: ۳۷]، ذلك لأنه لما آمن فى آخر عمره و وحد، خالفته حمير فتفرقوا عنه، فانتقهم الله منهم.

و حكى الحسن بن أحمد الهمدانىّ: أنه أول ملك بشر برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و آمن به، و هو رتب الملوك و أبناء الملوك من قومه فى قبائل العرب و العجم و مدائنها و أمصارها، و كان لكل قبيلة من العرب و لكل حى من العجم ملك من قومه، إما حميرى و إما كهلانى يسمع له و يطاع.

و يذكر أنه جمع الملوك و أبناء الملوك و الأقاول و أبناء الأقاول من قومه، و قال لهم:

أيها الناس: إن الدهر نفد أكثره و لم يبق إلا أقله، و إن الكثير إذا قل إلى النقصان

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۴۰- ۴۱).

(۲) تنكص: من النكوص: و هو الإحجام عن شيء، و قيل: هو الرجوع إلى الوراء، و قيل: هو القهقرى. انظر: اللسان (مادة/ نكص).

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۴۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۷۰

أجری منه إلی الزیادة، سارعوا إلی المکارم، فإنها تقربکم إلی الفلاح، و اعملوا، علی أنه من سلم من یومه لم یسلم من غده، و من سلم من الغد لا یسلم مما بعده، و إنکم لتئوبون مآب الآباء و الأجداد و تصیرون إلی ما صاروا إلیه، و الموت کل یوم أقرب إلی المرء من حیاته منه، و لکل زمان أهل، و لکل دائرة سبب، و سبب عطلان هذه الفترة التی من عز فیها بز من هو دونه، ظهور نبی یعز الله به دینه و یخصه بالکتاب المبین، علی یأس من المرسلین، رحمة للمؤمنین و حجة علی الکافرین، فلیکن ذلک عندکم و عند أبنائکم بعدکم و أبناء أبنائکم قرنا فقرنا و جیلا فجیلا، لیتوقعوا ظهوره و لیؤمنوا به و لیجتهدوا فی نصره علی کافة الأحیاء، حتی یفیء الناس له إلی أمر الله.

و أنشد له:

شهدت علی أحمد أنهرسول من الله باری النسم

فلو مد دهری إلی دهرهلکنت وزیرا له و ابن عم

و ألزمت طاعته کل منعلی الأرض من عرب أو عجم

و لکن قولی له دائماسلام علی أحمد فی الأمم فی أبیات ذکرها، و أشعار غیر هذا أثبت فی «إکلیله» کثیرا منها.

قال: و ذکروا أن الملوک و أبناء الملوک من حمیر و کهلان لم تزل تتوقع ظهور النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و تبشر به، و توصی بالطاعة له و الإیمان به و الجهاد معه و القیام بنصره، منذ ذلک العصر إلی أن ظهر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فکانوا بذلک حین بعث من أحرص الناس علی نصره و طاعته.

فمنهم من سمع له و أطاع و آمن به قبل أن یراه، و منهم من وصل إلیه کتابه فسمع و أطاع و آمن و صدق، و منهم من آواه و نصره و أیده و جاهد فی سبیل الله دونه، نطق بذلک الکتاب المنیر فی قوله: وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ [الحشر: ۹].

و قوله تبارک و تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّةٍ عَلَی الْکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ [المائدة: ۵۴، ۵۵] إلی آخر الآیة.

قال الهمدانیّ: عن أبی الحسن الخزاعی یقال: إنهم همدان. ثم أشار إلی ذکر سیف

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۷۱

ابن ذی یزن للنبی صلی اللّه علیه و سلم و ما ألقاه من أمره إلی جده عبد المطلب عند وفادته علیه.

قال: و ذکروا أنه لم یکن لسیف بن ذی یزن ذلک العلم فی قصة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلا من جهة تبع، و ما تناهی إلیه مما کان ألقاه إلیهم و عرفهم به من خبر النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و سنذکر خبر سیف هذا فی موضعه إن شاء الله.

و أما موقع النصرانیة «۱» بأرض العرب، فقد کان بنجران بقایا من أهل دین عیسی ابن مریم علی الإنجیل، أهل فضل و استقامة من أهل دینهم، لهم رأس یقال له عبد الله ابن الثامر، و کان موقع أصل ذلک الدین بنجران، و هی بأوسط أرض العرب فی ذلک الزمان، و أهلها و سائر العرب کلها أهل أوثان یعبدونها أن رجلا من بقایا أهل ذلک الدین یقال له: «فیمیون»، وقع بین أظهرهم فحملهم علیه فدانوا به.

فحدث وهب بن منبه: أن فیمیون کان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فی الدنیا مجاب الدعوة، و کان سائحا ینزل القری، لا یعرف فی قریة إلا خرج منها إلی قریة لا یعرف بها، و کان لا یأکل إلا من کسب یده، و کان بناء یعمل الطین، و کان یعظم الأحد، فإذا کان یوم الأحد لم یعمل فیه شیئا، و خرج إلی فلاة من الأرض، فصلی فیها حتی یمسی.

قال: و كان فى قريـة من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالـح، فأحبه صالـح حبا لم يحب شيئا كان قبله مثله، فكان يتبعه حيث ذهب و لا يفطن له فيميون، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع، و قـد أتبعه صالح، و فيميون لا يدرى، فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه لا يحب أن يعلم بمكانه، و قام فيميون يصلـى، فبينا هو يصلـى إذ أقبل نحوه التنين، الحيـة ذات الرءوس السبعة، فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، و رآها صالـح و لم يدر ما أصابها فخاف عليه فعيل عوله فصرخ: يا فيميون التنين قد أقبل نحوك.

فلم يلتفت إليه و أقبل على صلاته حتى فرغ منها.

و أمسى فانصرف و عرف أنه قد عرف، و عرف صالح أنه قد رأى مكانه، فقال له: يا فيميون تعلم و الله أنى ما أحببت شيئا قط حبك، و قد أردت صحبتك و الكينونة معك حيثما كنت.

قال: ما شئت، أمرى كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم. فلزمه صالـح، و قد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، و كان إذا ما جاءه العبد به الضر دعا له فشفى، و إذا

---

(۱) راجع السيرة (۱/ ۴۶)، و ما بعدها. أمر عبد الله بن الثامر، و أصحاب الأخدود.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۷۲

دعى إلى أحد به ضر لم يأته.

و كـان لرجـل من أهـل القريـة ابن ضـرير، فسـأل عن شـأن فيميون، فقيـل له: إنه لاـ يأتى أحـدا دعاه، و لكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأـجر، فعمـد الرجـل إلى ابنه ذلـك فوضـعه فى حجرته و ألقى عليه ثوبا، ثم جاءه فقال: يا فيميون، إنى قـد أردت أن أعمل فى بيتى عملا، فانطلق معى حتى تنظر إليه فأشارطك عليه.

فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا؟ قال:

كـذا و كـذا. ثم انتشط الثوب عن الصبى و قال: يا فيميون: عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له. فدعا له فيميون فقام الصبى ليس به بأس «۱».

و عرف فيميون أنه قـد عرف، فخرج من القريـة، و اتبعه صالـح، فبينا هو يمشـى فى بعض الشام إذ مر بشـجرة عظيمـة فناداه منها رجل فقـال: يـا فيميون مـا زلت أنتظرك و أقول: متى هو جـاء، حتى سـمعت صوتـك فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم على، فإنى ميت الآن.

قـال: فمـات. و قـام عليـه حتى واراه، ثم انصـرف و معه صالـح، حتى وطئـا بعض أرض العرب، فاحتفظتهمـا سـيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران، و أهل نجران يومئـذ على دين العرب يعبـدون نخلـة طويلـة بين أظهرهم لها عيد فى كل سـنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه و حلى النساء، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوما.

فابتاع فيميون رجل من أشرافهم، و ابتاع صالحا آخر، فكان فيميون إذا قام من الليل يصلى فى بيت أسكنه إياه سيده، استسرج له البيت نورا حتى يصبح، من غير مصباح، فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه فأخبره به، و قال له فيميون: إنما أنتم فى باطل، إن هذه النخلة لا تضـر و لا تنفع، لو دعوت عليها إلهى الذى أعبد أهلكها، و هو الله وحده لا شـريك له، فقال له سـيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا فى

---

(۱) قـال فى الروض الأنف (۱/ ۴۶): ذكر الطبرى قصـة الرجـل الـذى دعى لابنه فشـفى بأتم مما ذكره ابن إسـحاق، قال: فيميون حين دخل الرجل و كشف له عن ابنه: اللهم عبـد من عبادك دخل عليه عـدوك فى نعمتك ليفسـدها عليه فاشـفه و عافه و امنعه منه، فقام

الصبى ليس به بأس، فتبين من هذا أن الصبى كان مجنونا لقوله: دخل عليه عدوك: يعنى الشيطان، و ليس هذا فى حديث ابن إسحاق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۷۳

دينك و تركنا ما نحن عليه.

فقام فيميون فتطهر و صلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله ريحا فجعفتها من أصلها فألقتها. فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران، فيما ذكر وهب بن منبه فى حديثه هذا.

و أما محمد بن كعب القرظى، و بعض أهل نجران، فذكروا أن أهل نجران كانوا أهل شرك، يعبدون الأوثان، و كان فى قرية من قراها ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيميون و لم يسمه محمد بن كعب و لا شركاؤه فى الحديث، قالوا: رجل نزلها ابتنى خيمة بين نجران و بين تلك القرية التى بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، فبعث الثامر ابنه عبد الله مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته و عبادته، فجعل يجلس إليه و يسمع منه، حتى أسلم فوحد الله و عبده، و جعل يسأله عن شرائع الإسلام، حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، و كان يعلمه، فكتمه إياه، فقال: يا ابن أخى إنك لن تحمله، أخشى عليك ضعفك عنه.

و الثامر أبو عبد الله بن الثامر، لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان.

فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه و تخوف ضعفه فيه، عمد إلى قداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه فى قدح، لكل اسم قدح، حتى إذا أحصاها أو قد لها نارا، ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا، حتى إذا مر بذلك الاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا، فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الذى كتمه، فقال: و ما هو؟ قال: هو كذا و كذا قال: و كيف علمته؟ فأخبره بما صنع، قال أى ابن أخى، قد أصبته فأمسك على نفسك و ما أظن أن تفعل.

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال له: يا عبد الله، أتوحد الله و تدخل فى دينى فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم.

فيوحد الله و يسلم، و يدعو له فيشفى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۷۴

حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره و دعا له فعوفى. حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال: أفسدت على أهل قريتى و خالفت دينى و دين آبائى، لأمثلن بك.

قال: لا تقدر على ذلك، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس، و جعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يقع أحد فيها إلا هلك، فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس ..

فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر: إنك و الله لا تقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت سلطك الله على، فقتلتنى. فوحد الله ذلك الملك و شهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله، و هلك الملك مكانه.

و استجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، و كان على ما جاء به عيسى من الإنجيل و حكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث. فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظى و بعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، فالله أعلم أى ذلك كان «۱».

و حديث عبد الله بن الثامر هذا قد ورد فى الصحيح مرفوعا إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم من طرق ثابتة، خرجه مسلم بن الحجاج من

حديث صهيب، و بينه و بين حديث ابن إسحاق اختلاف، و فيه مع ذلك زوائد تحسن لأجلها إعادة الحديث.

فروى عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، و كان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إنى قد كبرت، فابعث إلى غلاما أعلمه السحر.

فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان فى طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه و سمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب و قعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسنى أهلى، و إذا خشيت أهلك فقل: حبسنى الساحر.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۴۶- ۴۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۷۵

فبينما هو كذلك، إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل. فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس.

فرماها فقتلها، و مضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أى بنى، أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى و إنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل على.

و كان الغلام يبرئ الأكمه و الأبرص و يداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع به جليس للملك، و كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتنى.

قال: إنى لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله، فإن آمنت بالله، دعوت الله فشفاك. فآمن بالله، فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربى، قال: و لك رب غيرى؟! قال: ربى و ربك الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجىء بالغلام فقال له الملك: أى بنى، قد بلغ من سحرك ما يبرئ الأكمة و الأبرص و تفعل و تفعل. فقال: إنى لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجىء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جىء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدعا بالمنشار فوضع فى مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جىء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال:

اذهبوا به إلى جبل كذا و كذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه و إلا فاطرحوه، فذهبوا به، و صعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا.

و جاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقورة فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه و إلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا و جاء يمشى إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۷۶

فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، قال: و ما هو؟.

قال: تجمع الناس فى صعيد واحد، و تصلبنى على جذع، ثم خذ سهما من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. فجمع الناس فى صعيد واحد و صلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع

السهم فی کبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم فی صدغه، فوضع یده فی صدغه فی موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأتی الملک فقیل له: أ رأیت ما کنت تحذر؟ قد و الله نزل بک حذرک، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود بأفواه السکک فخدت و أضرم النیران، و قال: من لم یرجع عن دینه، یعنی فأقحموه فیها. أو قیل له: اقتحم. ففعلوا، حتی جاءت امرأة و معها صبی لها، فتقاعست أن تقع فیها، فقال لها الغلام: یا أمه، اصبری فإنک علی الحق!!.

فهذا حدیث مسلم عن عبد الله بن الثامر و أهل نجران، و إن وقعت الأسماء فیه مبهمة، فقد فسرها العلماء بما ورد من ذلک مبینا فی حدیث ابن إسحاق و غیره، و جعلوا ذلک کله حدیثا واحدا «۱».

و ذکر ابن إسحاق «۲» أنه لما کان من اجتماع أهل نجران علی دین عبد الله بن الثامر ما تقدم الحدیث به، سار إلیهم ذو نواس بجنوده، فدعاهم إلی الیهودیة، و خیرهم بینها و بین القتل، فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود، فحرق بالنار، و قتل بالسیف، و مثل بهم، حتی قتل منهم قریبا من عشرین ألفا.

ففی ذی نواس و جنده ذلک أنزل الله علی نبیه محمد صلی اللّه علیه و سلم: قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَیْها قُعُودٌ وَ هُمْ عَلی ما یَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِینَ شُهُودٌ وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ یُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ إلی آخر الآیات «۳».

و الأخدود هنا هو الحفر المستطیل فی الأرض، کالخندق و الجدول، و یقال أیضا لأثر السیف و السوط و السکین و نحوه فی الجلد: أخدود.

---

(۱) انظر: غوامض الأسماء المبهمة لابن بشکوال (۸/ ۵۳۴، ۵۳۵). و انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۶/ ۱۷)، الدر المنثور للسیوطی (۶/ ۳۳۴).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۴۸).

(۳) ذکره ابن کثیر فی تفسیره (۸/ ۳۹۰)، و الطبری فی التاریخ (۱/ ۴۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۷۷

قال ابن إسحاق: و یقال: کان فیمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم و إمامهم. و حدث عن عبد الله بن أبی بکر أنه حدث أن رجلا من أهل نجران حفر خربة من خرب نجران فی زمن عمر بن الخطاب، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا یده علی ضربة فی رأسه ممسکا علیها بیده، فإذا أخرت یده عنها تثعبت دما، و إذا أرسلت یده ردها علیها فأمسک دمها، فی یده خاتم مکتوب فیه: ربی الله.

فکتب فیه إلی عمر، فکتب إلیهم: أن أقروه علی حاله و ردوا علیه الدفن الذی کان علیه. ففعلوا «۱».

و ذو نواس هذا هو زرعة بن تبان أسعد أبی کرب، و هو تبع الآخر، و قد تقدم خبره، و ابنه زرعة ذو نواس هذا کان من صغار بنیه، و صار إلیه ملک الیمن، و أمر حمیر بعد أبیه بزمان.

و ذلک أنه ملک الیمن بین أضعاف ملوک التبابعة، ربیعة بن نصر بن أبی حارثة ابن عمرو بن عامر، و کان من سادات الیمن و أهل الشرف منها. و هو صاحب الرؤیا التی یعرف من تأویلها استیلاء الحبشة علی الیمن، و البشارة بظهور النبیّ صلی اللّه علیه و سلم.

و ذلک أنه رأی رؤیاه هالته و فظع بها، فلم یدع کاهنا و لا ساحرا و لا عائفا و لا منجما من أهل مملکته إلا جمعه إلیه، فقال لهم: إنی قد رأیت رؤیا هالتنی و فظعت بها، فأخبرونی به و بتأویلها. قالوا: اقصصها علینا نخبرک بتأویلها. قال: إنی إن أخبرتکم بها لم أطمئن إلی خبرکم عن تأویلها، إنه لا یعرف تأویلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها.

فقال له رجل منهم: فإن کان الملک یرید هذا فلیبعث إلی سطیح «۲» و شق «۳»، فإنه

(۱) ذكره ابن كثير فى تفسيره (۸/ ۳۹۱) من طريق ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنى محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا ....

و ساق القصة.

(۲) اسم سطيح هو: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان. و قال السهيلى فى الروض الأنف (۱/ ۲۷): كان سطيح جسما ملقى لا جوارح له، فيما يذكرون، و لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس، و كان شعه شعّة إنسان، فيما يذكرون، إنما له يد واحدة و رجل واحدة و عين واحدة، و يذكر عن وهب بن منبه أنه قال: قيل لسطيح: أنى لك هذا العلم؟ فقال: لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى عليه السلام، فهو يؤدى إلىّ من ذلك ما يؤديه.

(۳) اسم شق هو ابن صعب، بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار بن إراش، و أنمار أبو بجيلة و خثعم. قاله ابن إسحاق. انظر: السيرة (۱/ ۳۰) و ما بعدها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۷۸

ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه. فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال: إنى قد رأيت رؤيا هالتنى و فظعت بها، فأخبرنى بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

فقال: أفعل. رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة.

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئا يا سطيح، فما عندك فى تأويلها؟.

فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش، ليهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبين «۱» إلى جرش «۲».

فقال الملك: و أبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أ فى زمانى أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين.

قال: أ فيدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع و سبعين من السنين، ثم يقاتلون و يخرجون منها هاربين. قال: و من يلى ذلك من قتلهم و إخراجهم؟ قال: يليه إرم بن ذى يزن، يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحدا باليمن.

قال: أ فيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع. قال: و من يقطعه؟ قال:

نبى زكى، يأتيه الوحى من قبل العلى. قال: و ممن هو هذا النبىّ؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر.

قال: و هل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون و الآخرون، يسعد فيه المحسنون و يشقى فيه المسيئون. قال: أحق ما تخبرنى؟ قال: نعم، و الشفق و الغسق، و القمر إذا اتسق، إن ما أنبأتك لحق، ثم قدم عليه شق، له كقوله لسطيح، و كتمه ما قال سطيح، لينظر أ يتفقان أم يختلفان.

قال: نعم، رأيت حممه خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة و أكمة فأكلت منها كل ذات نسمة. فلما قال له ذلك عرف أن قد اتفقا و أن قولهما واحد، إلا أن سطيحا

---

(۱) أبين: بلاد باليمن، قيل فيه بكسر الألف و فتحها، و هو اسم رجل فى الزمن القديم إليه تنيب عدن و أبين من بلاد اليمن و بينها و بين عدن اثنا عشر ميلا. انظر: الروض المعطار (ص ۱۱).

(۲) جرش: بلاد باليمن، و هى من البلاد التى كان أهلها اتخذوا الأصنام بعد دين إسماعيل عليه السلام، و هم مذحج بن أدد، و هم الذين قالوا: لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً انظر: الروض المعطار (ص ۱۵۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۷۹

قال: «بأرض تهمة، فأکلت منها کل ذات جمجمة»، و قال شق: «وقعت بین روضة و أکمة فأکلت منها کل ذات نسمة».

فقال الملک: ما أخطأت یا شق منها شیئا، فما عندک فی تأویلها؟ قال: أحلف بما بین الحرتین من إنسان، لیهبطن أرضکم السودان، فلیغلبن علی کل طفلة البنان، و لیملکن ما بین أبین إلی نجران «۱».

قال له الملک: و أبیک یا شق إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتی هو کائن؟ أ فی زمانی أم بعده؟ فقال، لا، بل بعده بزمان، ثم یستنقذکم منهم عظیم ذو شان، و یذیقهم أشد الهوان.

قال: و من هذا العظیم الشأن؟ قال: غلام لیس بدنی و لا مدن یخرج من بیت ذی یزن. قال: أ فیدوم سلطانه أم ینقطع؟ قال: بل ینقطع برسول مرسل یأتی بالحق و العدل، بین أهل الدین و الفضل، یکون الملک فی قومه إلی یوم الفصل.

قال: و ما یوم الفصل؟ قال: یوم یجزی فیه الولاة، یدعی فیه من السماء بدعوات، یسمع منها الأحیاء و الأموات، و یجمع فیه الناس للمیقات، یکون فیه لمن اتقی الفوز و الخیرات.

قال: أحق ما تقول؟ قال: إی و رب السماء و الأرض و ما بینهما من رفع و خفض، إن ما أنبأتک لحق ما فیه أمض، فوقع فی نفس ربیعة بن نصر ما قالا، فجهز بنیه و أهل بیته إلی العراق بما یصلحهم، و کتب لهم إلی ملک من ملوک فارس یقال له سابور بن خرزاد فأسکنهم الحیرة.

فمن بقیة ولد ربیعة بن نصر فیما یزعمون، النعمان بن المنذر، فهو فی نسب الیمن و علمهم: النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدی بن ربیعة بن نصر، ذلک الملک.

و قد تقدم قول من قال من العلماء أن النعمان من ولد قنص بن معد. و قد قیل أیضا إن النعمان من ولد الساطرون صاحب الحضر، و هو حصن عظیم کالمدینة علی شاطئ الفرات، و هو الذی ذکره عدی بن زید فی قوله:

---

(۱) نجران: من بلاد الیمن، سمیت بنجران بن زید بن سبأ بن یشجب بن یعرب بن قحطان. انظر: الروض المعطار (ص ۵۷۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۸۰ و أخو الحضر إذا بناه و إذ دجلة تجبی إلیه و الخابور

شاده مرمرا و جلله کلسا فللطیر فی ذراه و کور «۱»

لم یهبه ریب المنون فباد الملک عنه فبابه مهجور و أما شق و سطیح، فإن شقا هو ابن صعب بن یشکر من بنی أنمار بن نزار أبی بجیلة و خثعم. و کان شق إنسان فیما زعموا، إنما له ید واحدة و رجل واحدة و عین واحد، و لذلک سمی بشق «۲».

و سطیح هو ربیع بن ربیعة من بنی ذبیان بن عدی بن مازن بن غسان، و کانت العرب تسمیه الذیبی، و إیاه عنی میمون بن قیس الأعشی بقوله:

ما نظرت ذات أشفار کنظرتها حقا کما نطق الذیبی إذ سجعا و إنما قیل له سطیح، لأنه کان جسدا ملقی له رأس و لیس له جوارح، فیما ذکروا.

و کان لا یقدر علی الجلوس، فإذا غضب انتفخ و جلس. و ذکر أنه قیل له: أنی لک هذا العلم؟

فقال: لی صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سیناء، حین کلم الله منه موسی علیه السلام، فهو یؤدی إلی من ذلک ما یؤدیه. و عاش سطیح بعد هذا الحدیث زمانا طویلا، حتی أدرک مولد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

فذکر الخطابی و غیره من حدیث هانئ بن هانئ المخزومی، و أتت علیه مائة و خمسون سنة، أنه لما کانت اللیلة التی ولد فیها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ارتجس إیوان کسری فسقط منه أربع عشرة شرفة، و غاضت بحیرة ساوة، و فاض وادی السماوة، و خمدت

نار فارس و لم تخمد قبل ذلك ألف عام. و أرى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة و انتشرت فى بلادها.

فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فصبر عليه تشجعا، حتى إذا عيل صبره رأى ألا يدخر ذلك عن قومه و مرازبته، فلبس تاجه و قعد على سريره، ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال: أ تدرون فيم بعثت فيكم؟ قالوا: لا، إلا أن يخبرنا الملك.

فبينا هم كذلك، إذ ورد عليه كتاب بخمود النار، فازداد غما إلى غمه، ثم أخبر بما

---

(۱) شاده: أى بناه و أعلاه. و المرمر: الرخام. و جلله: أى كساه. و كلسا: هو ما طلى به الحائط من حصى و جيار. وكور: جمع وكر و هو عش الطائر.

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۳۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۸۱

رأى و ما هاله من ذلك. فقال الموبذان: و أنا أصلح الله الملك قد رأيت فى هذه الليلة رؤيا. ثم قص عليه رؤيا فى الإبل. فقال: أى شيء يكون هذا يا موبذان؟ قال: حدث يكون من ناحية العرب. و كان أعلمهم فى أنفسهم.

فكتب عند ذلك كسرى إلى النعمان بن المنذر أن يوجه إليه برجل عالم بما يريد أن يسأله عنه. فوجد إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة الغسانى. فلما قدم عليه قال له الملك: أ لك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرنى الملك عما أحب، فإن كان عندى منه علم و إلا أخبرته بمن يعلمه.

فأخبره بالذى وجه إليه فيه. فقال له: علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام، يقال له سطيح. قال: فائته فسله عما سألتك عنه، ثم ائتنى بتفسيره. فخرج عبد المسيح حتى أتى إلى سطيح و قد أشفى على الموت، فسلم عليه و كلمه، فلم يرد عليه سطيح جوابا، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن أم فاد فاز لم به شأو العنن

يا فاصل الخطة أعيت من و من أتاك شيخ الحى من آل سنن

و أمه من آل ذئب بن حجن أبيض فضفاض الرداء و البدن

رسول قيل العجم يسرى للوسن لا يرهب الوغد و لا ريب الزمن

تجوب بى الأرض علنداة شزن ترفعنى و جنا و تهوى فيه و جن

حتى أتى عارى الجاحى و القطن تلفه فى الريح بوغاء الدمن فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول: عبد المسيح، أتى إلى سطيح، على جمل مشيح، و قد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان و خمود النيران، و رؤيا الموبذان، رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة و انتشرت فى بلادها.

عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، و ظهر صاحب الهراوة، و فاض وادى السماوة، و غاضت بحيرة ساوة، و خمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك و ملكات على عدد الشرفات، و كل ما هو آت آت.

ثم قضى سطيح مكانه، فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بمقالة سطيح.

فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور. فملك منهم عشرة إلى أربع سنين و ملك الباقون إلى خلافة عثمان رضى الله عنه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۸۲

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله إلى حسان بن تبان أسعد أبى كرب، فسار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب و أرض الأعاجم حتى إذا كان بأرض العراق كرهت حمير و قبائل اليمن المسير معه و أرادوا الرجعة إلى بلادهم و أهلهم، فكلموا أخا له

يقال له عمرو و كان معه فى جيشه فقالوا له: اقتل أخاك حسان و نملكك علينا و ترجع بنا إلى بلادنا. فأجابهم.

فاجتمعوا على ذلك إلا ذو رعين الحميرى، فإنه نهاه عن ذلك و لم يقبل منه. فقال ذو رعين الحميرى:

ألا من يشترى سهرا بنوم‌سعيد من يبيت قرير عين

فإما حمير غدرت و خانت‌فمعذرة الإله لذى رعين ثم كتبهما فى رقعة و ختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له: ضع لى هذا الكتاب عندك. ففعل. ثم قتل عمرو أخاه حسان و رجع بمن معه إلى اليمن «۱».

فلما نزل اليمن منع منه النوم و سلط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء و الحزاة «۲» من الكهان و العرافين عما به؛ فقال له قائل منهم: إنه و الله ما قتل رجل أخاه أو ذا رحمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه و سلط عليه السهر.

فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن حتى خلص إلى ذى رعين. فقال له ذو رعين: إن لى عندك براءة. قال: و ما هى؟ قال:

الكتاب الذى دفعت إليك.

فأخرجه فإذا فيه البيتان، فتركه و رأى أنه قد نصحه. و هلك عمرو، فمرج أمر حمير عند ذلك و تفرقوا، فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له لخنيعة «۳» ينوف ذو شناتر «۴»، فقتل خيارهم و عبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حمير:

تقتل أبناها و تنفى سراتهاو تبنى بأيديها لها الذل حمير

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۴۱).

(۲) الحزاة: جمع حاز، و الحازى هو الذى ينظر فى الأعضاء و فى خيلان الوجه يتكهن، و قال الليث: هو الكاهن.

(۳) لخنيعة: قال ابن دريد: و هو من اللخع، و هو استرخاء فى الجسم.

(۴) ذو شناتر: الشناتر هو الأصابع بلغة حمير، واحدها: شنترة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۸۳ تدمر دنياها بطيش حلومهاو ما ضيعت من دينها فهو أكثر

كذاك القرون قبل ذاك بظلمهاو إسرافها تأتى الشرور فتخسر و كان لخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه و جنده قد أخذ مسواكا فجعله فى فيه علامة للفراغ من خبيث فعله.

حتى بعث إلى زرعة ذى نواس، بن تبان أسعد، أخى حسان، و كان صبيا صغيرا حين قتل حسان، ثم شب غلاما جميلا و سيما ذا هيئة و عقل، فلما أتاه رسوله عرف ما يريد به، فأخذ سكينا حديدا لطيفا فخبأه بين قدمه و نعله، ثم أتاه فلما خلا معه وثب إليه، فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله، ثم حز رأسه فوضعه فى الكوة التى كان يشرف منها، و وضع مسواكه فى فيه ثم خرج على الناس، فسألوه فأشار لهم إلى الرأس فنظروا فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا فى أثر ذى نواس حتى أدركوه، فقالوا: ما ينبغى أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث فملكوه، و اجتمعت عليه حمير و قبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير، و يسمى يوسف، فأقام فى ملكه سنين «۱».

قال ابن قتيبة: ثمانيا و ستين سنة. إلى أن كان منه فى أهل نجران ما تقدم ذكره، فكان ذلك سببا لاستئصال ملكه و استيلاء الحبشة على اليمن.

ذكر دخول الحبشة أرض اليمن و استيلائهم على ملكها و ذكر السبب فى ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل

و لما انتهی زرعة ذو نواس إلی ما انتهی إلیه بأهل نجران من التحریق و القتل، أفلت منهم رجل من سبأ یقال له دوس ذو ثعلبان علی فرس له، فسلک الرمل فأعجزهم، فمضی علی وجهه ذلک حتی أتی قیصر صاحب الروم، فاستنصره علی ذی نواس و جنوده، و أخبره بما بلغ منهم، فقال له: بعدت بلادک منا، و لکنی سأکتب لک إلی ملک الحبشة فإنه علی هذا الدین، و هو أقرب إلی بلادک. فکتب إلیه یأمره بنصره و الطلب بثأره.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۴۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۸۴

فقدم دوس علی النجاشی بکتاب قیصر، فبعث سبعین ألفا من الحبشة، و أمر علیهم رجلا منهم یقال له أریاط، و معه فی جنده أبرهة الأشرم، فرکب أریاط البحر حتی نزل بساحل الیمن و معه دوس، فسار إلیه ذو نواس فی حمیر، و من أطاعه من قبائل الیمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس و أصحابه، فلما رأی ذو نواس ما نزل به و بقومه وجه فرسه إلی البحر، ثم ضربه فدخل به، فخاض به ضحضاح «۱» البحر حتی أفضی به إلی غمره فأدخله فیه، فکان آخر العهد به.

و دخل أریاط الیمن، فملکها «۲».

فأقام بها سنین فی سلطانه ذلک، ثم نازعه فی أمر الحبشة بالیمن أبرهة الحبشی، حتی تفرقت الحبشة علیهما، فانحاز إلی کل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلی الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلی أریاط أنک لا تصنع بأن تلقی الحبشة بعضها ببعض حتی تفنیها شیئا، فابرز لی و أبرز لک، فأینا أصاب صاحبه انصرف إلیه جنده. فأرسل إلیه أریاط: أنصفت.

فخرج إلیه أبرهة، و کان رجلا قصیرا لحیما، و کان ذا دین فی النصرانیة، و خرج إلیه أریاط، و کان رجلا عظیما جمیلا طویلا، و فی یده حربة له، و خلف أبرهة غلام له یقال له عتودة یمنع ظهره، فرفع أریاط الحربة فضرب أبرهة یرید یافوخه «۳»، فوقعت الحربة علی جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه و أنفه و عینه و شفته، فبذلک سمی أبرهة الأشرم.

و حمل عتودة علی أریاط من خلف أبرهة فقتله. فانصرف جند أریاط إلی أبرهة، فاجتمعت علیه الحبشة بالیمن، و ودی أبرهة أریاط. فلما بلغ ذلک النجاشی غضب غضبا شدیدا و قال: عدا علی أمیری فقتله بغیر أمری! ثم حلف لا یدع أبرهة حتی یطأ بلاده و یجز ناصیته.

فحلق أبرهة رأسه و ملأ جرابا من تراب الیمن ثم بعث به إلی النجاشی، و کتب إلیه:

أیها الملک إنما کان أریاط عبدک، و أنا عبدک، اختلفنا فی أمرک، و کل طاعته لک، إلا أنی کنت أقوی علی أمر الحبشة و أضبط لها و أسوس منه و قد حلقت رأسی کله حین

---

(۱) الضحضاح: هو الماء القلیل یکون فی الغدیر، و قیل: هو الماء الیسیر، و قیل: هو ما لا غرق فیه و لا له غمر، و قیل: هو الماء إلی الکعبین إلی أنصاف السوق. انظر: اللسان (مادة، ضحح).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۴۹- ۵۰).

(۳) یافوخه: أی وسط رأسه و یجمع علی یآفیخ.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۸۵

بلغنی قسم الملک، و بعثت إلیه بجراب من تراب أرضی لیضعه تحت قدمیه، فیبر قسمه فی.

فلما انتهی ذلک إلی النجاشی رضی عنه، و کتب إلیه: أن اثبت بأرض الیمن حتی یأتیک أمری «۱».

فأقام بها، ثم إن أبرهة بنی القلیس «۲» بصنعاء، فبنی کنیسة لم یر مثلها فی زمانها بشیء من الأرض، ثم کتب إلی النجاشی: إنی قد

بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، و لست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب.

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى غضب رجل من النسأة أحد بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها، ثم لحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة؛ فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: رجل من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة، لما سمع قولك: «أصرف إليها حج العرب» غضب فجاء فقعد فيها، أى أنها ليست لذلك بأهل «۳».

فغضب عند ذلك أبرهة، و حلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه. ثم أمر الحبشة فتهيأت و تجهزت، ثم ساروا و خرج معه بالفيل. و سمعت بذلك العرب فأعظموه و فظعوا به، و رأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن و ملوكهم يقال له ذو نفر، فدعا قومه و من أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة و جهاده عن بيت الله، و ما يريد من هدمه و إخرابه.

فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نفر و أصحابه، و أخذ له ذو نفر فأتى به أسيرا، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلنى، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك من قتلى.

و كان أبرهة رجلا حليما، فتركه من القتل و حبسه عنده فى وثاق.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۵۳- ۵۴).

(۲) القليس: هى الكنيسة التى بناها أبرهة على باب صنعاء، و سميت القليس لارتفاع بنيانها و علوه.

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۸۶

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلى خثعم «۱»: شهران و ناهس، و من تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، و أخذ له نفيل أسيرا فأتى به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب، و هاتان يداى لك على قبيلى خثعم، شهران و ناهس، بالسمع و الطاعة.

فخلى سبيله و خرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب ابن مالك الثقفى فى رجال ثقيف، فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف، و ليس بيتنا هذا البيت الذى تريد. يعنون اللات، إنما تريد البيت الذى بمكة، و نحن نبعث من يدلك عليه.

فتجاوز عنهم. و اللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة، فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة. فخرج أبرهة و معه أبو رغال، حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس «۲».

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا- من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش و غيرهم، و أصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم، و هو يومئذ كبير قريش و سيدها.

فهمت قريش و كنانة و هذيل و من كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

و بعث أبرهة حناطة الحميرى إلى مكة و قال له: سل عن سيد أهل هذا البلد و شريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم. فإن هو لم يرض حربى فائتنى به.

---

(۱) قال فى الروض الأنف: خثعم اسم جبل سمى به بنو عفرس لأنهم نزلوا عنده، و يقال: إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه، و

قيل: بل خثعم ثلاث: شهران، و ناهس، و أكلب عند أهل النسب هو ابن لهيعة بن نزار.

(۲) المغمس: مكان يبعد عن مكة بثلثى فرسخ، و هو فى طرف الحرم فيه بركك محمود فيل أبرهة حين توجه به إلى مكة لأخراب الكعبة بزعمه، و الميم الثانية فى المغمس مكسورة و روى فتحها فأما الأولى فمضمومة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۸۷

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش و شريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم. فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة؛ فقال له عبد المطلب: و الله ما نريد حربه و ما لنا بذلك منه طاقة، هذا بيت الله الحرام و بيت خليله إبراهيم أو كما قال فإن يمنعه منه فهو بيته و حرمته، و إن يخل بينه و بينه، فو الله ما عندنا دفع عنه.

فقال حناطة: فانطلق إليه، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب و معه بعض بنيه، حتى أتى المعسكر فسأل عن ذى نفر، و كان له صديقا، حتى دخل عليه فى محبسه فقال له: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: و ما غناء رجل أسير فى يدى ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا! ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى فسأرسل إليه فأوصيه بك و أعظم عليه حقك، و أسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، و يشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. قال: حسبى.

فبعث: ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش و صاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل و الوحوش فى رءوس الجبال، و قد أصاب له الملك مائتى بعير، فاستأذن له عليه و انفعه عنده بما استطعت. قال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة، قال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، فأذن له فليكلمك فى حاجته. و وصفه له بما وصفه ذو نفر لأنيس.

فأذن له أبرهة، و كان عبد المطلب أوسم الناس و أجمله و أعظمه، فلما رآه أبرهة أجله و أكرمه عن أن يجلسه تحته، و كره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه و أجلسه معه عليه إلى جنبه. ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال: حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى. فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى! أ تكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، و تترك بيتا هو دينك و دين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه!؟.

قال عبد المطلب: أنا رب الإبل، و إن للبيت ربا سيمنعه. قال: ما كان ليمتنع منى.

قال: أنت و ذاك. و يزعم بعض أهل العلم أنه كان ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة يعمر ابن نفاثة بن عدى بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، و هو يومئذ سيد بنى بكر، و خويلد بن واثلة الهذلى، و هو يومئذ سيد هذيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۸۸

على أن يرجع عنهم و لا يهدم البيت، فأبى عليهم، فالله أعلم أ كان ذلك أم لا.

فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر و أمرهم بالخروج من مكة و التحرز فى شعف الجبال و الشعاب، تخوفا عليهم من معرة الجيش.

ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، و قام معه نفر من قريش يدعون الله و يستنصرونه على أبرهة و جنده. فقال عبد المطلب و هو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هم إن العبد يمنع رحله فامنع حلالك «۱»

لا يغلبن صليبهمو محالهم غدوا محالك ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، و انطلق هو و من معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهیأ لدخول مکة و هیأ فیله و عبی جیشه. و کان اسم الفیل محمودا، و أبرهة مجمع لهدم البیت و الانصراف إلی الیمن، فلما وجهوا الفیل إلی مکة قام نفیل بن حبیب إلی جنب الفیل، ثم أخذ بأذنه فقال له: ابرک محمود و ارجع راشدا من حیث جئت، فإنک فی بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه فبرک الفیل و خرج نفیل یشتد حتی أصعد فی الجبل.

و ضربوا الفیل لیقوم فأبی، و ضربوه فی رأسه بالطبرزین «۲» لیقوم فأبی، فأدخلوا محاجن لهم فی مراقه فبزغوه بها لیقوم فأبی، فوجهوه راجعا إلی الیمن فقام یهرول، و وجهوه إلی الشام ففعل مثل ذلک، و وجهوه إلی المشرق ففعل مثل ذلک، و وجهوه إلی مکة فبرک.

و أرسل الله علیهم طیرا من البحر أمثال الخطاطیف و البلسان مع کل طائر منها ثلاثة أحجار، یحملها حجر فی منقاره و حجران فی رجلیه، أمثال الحمص و العدس لا تصیب منهم أحدا إلا هلک، و لیس کلهم أصابت.

و خرجوا هاربین یبتدرون الطریق الذی منه جاءوا و یسألون عن نفیل بن حبیب

---

(۱) لا ـ هم: أی اللهم، و العرب تحذف منها الألف و اللام للتخفیف، حلالک: جمع حلة و هی جماعة البیوت و ربما أرید بها القوم المجتمعون لأنهم یحلون فیها.

(۲) الطبرزین: آلة من الحدید. و قال السهیلی فی الروض الأنف: طبر هو الفأس، و ذکر الطبرستان بفتح الباء و قال معناه: شجر قطع بفأس.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۸۹

لیدلهم علی الطریق إلی الیمن، فقال نفیل حین رأی ما أنزل الله بهم من نقمته:

أین المفر و الإله الطالبو الأشرم المغلوب لیس الغالب و قال نفیل أیضا:

أ لا حییت عنا یا ردینانعمناکم مع الإصباح عینا

ردینة لو رأیت و لا تریهلدی جنب المحصب ما رأینا

إذا لعذرتنی و حمدت أمریو لم تأسی علی ما فات بینا

حمدت الله إذ أبصرت طیراو خفت حجارة تلقی علینا

فکل القوم یسأل عن نفیل کأن علیّ للحبشان دینا «۱» فخرجوا یتساقطون بکل طریق و یهلکون بکل مهلک علی کل منهل، و أصیب أبرهة فی جسده و خرجوا به معهم یسقط أنملة أنملة، کلما سقطت أنملة منها اتبعتها مدة تمث قیحا و دما، حتی قدموا به صنعاء و هو مثل فرخ الطائر، فما مات حتی انصدع صدره عن قلبه، فیما یزعمون.

و یقال: إنه أول ما رئیت الحصبة و الجدری بأرض العرب ذلک العام، و إنه أول ما رئی بها مرائر الشجر الحرمل «۲» و الحنظل و العشر «۳» ذلک العام.

فلما بعث الله محمدا صلی اللّه علیه و سلم کان مما یعد الله علی قریش من نعمته علیهم و فضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم و مدتهم، فقال تبارک و تعالی: أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِیلِ أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ وَ أَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبابِیلَ تَرْمِیهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّیلٍ فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ.

و قالت عائشة رضی الله عنها: لقد رأیت قائد الفیل و سائسه بمکة أعمین مقعدین یستطعمان.

قال ابن إسحاق: فلما رد الله الحبشة عن مکة و أصابهم ما أصابهم به من النقمة،

---

(۱) ذکر هذه الأبیات فی السیرة (۱/ ۶۲). فقال:

أ لا حییت عنا یا ردینانعمناکم مع الإصباح عینا

أتانا قابس منكم عشاءفلم يقدر لقابسكم لدينا ثم ذكرها سواء.

(۲) الحرمل: حب نبات معروف يخرج السوداء و البلغم إسهالا.

(۳) العشر: شجر مر يحمل ثمرا كالأترج و ليس فيه منتفع.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۹۰

أعظمت العرب قريشا، و قالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم و كفاهم مئونة عدوهم، فقالوا فى ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة و ما رد عن قريش من كيدهم، فقال عبد الله بن الزبعرى السهمى:

تنكلوا عن بطن مكة إنهاكانت قديما لا يرام حريمها

لم تخلق الشعرى ليالى حرمتإذ لا عزيز من الأنام يرومها

سائل أمير الحبش عنها ما رأىو لسوف ينبى الجاهلين عليمها

ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهمبل لم يعش بعد الإياب سقيمها

كانت بها عاد و جرهم قبلهمو الله من فوق العباد يقيمها و قال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخطمى، من قصيدة سيأتى ذكرها بجملتها:

فقوموا فصلوا ربكم و تمسحوابأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكم منه بلاء مصدقغداة أبى يكسوم هادى الكتائب

كتيبته بالسهل تمشى و رجلهعلى القاذفات فى رءوس المناقب «۱»

فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهمجنود المليك بين ساف و حاصب

فولوا سراعا هاربين و لم يؤبإلى قومه ملحبش غير عصائب «۲» و قالت سبيعة بنت الأحب بن زبينة من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور، لابنها خارجة بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، تعظم عليه حرمة مكة و تنهاه عن البغى فيها و تذكر تبعا و تذلّله لها، و الفيل و هلاك جيشه عندها:

أبنى لا تظلم بمكة لا الصغير و لا الكبير

و احفظ محارمها بنى و لا يغرنك الغرور

أبنى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

أبنى يضرب وجههو يلح بخديه السعير

أبنى قد جربتهافوجدت ظالمها يبور

الله آمنها و مابنيت بعرصتها قصور

و الله آمن طيرهاو العصم «۳» تأمن فى ثبير

و لقد غزاها تبعفكسا بنيتها الحبير «۴»

---

(۱) القاذفات: أعالى الجبال البعيدة. و المناقب: جمع منقبة، و هى الطريق فى رأس الجبل.

(۲) ملحبش: أى من الحبش، و العصائب: الجماعات.

(۳) العصم: جمع أعصم، و هو الوعل، قيل له ذلک لأنه يعتصم بالجبال.

(۴) الحبير: هو الثور الحبير: أى هو الجديد الناعم، و قيل: الثياب الموشية.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۹۱ و أذل ربى ملكهفيها فأوفى بالنذور

یمشی إلیها حافیابفنائها ألفا بعیر

و یظل یطعم أهلهالحم المهاری و الجزور

یسقیهم العسل المصفی و الرحیض من الشعیر

و الفیل أهلک جیشه یرمون فیها بالصخور

و الملک فی أقصی البلاد و فی الأعاجم و الجزیر

فاسمع إذا حدثت وافهم کیف عاقبهٔ الأمور و لم یزل شعراء أهل الجاهلیهٔ یذکرون ذلک فی أشعارهم معتدین بصنع الله فیه، و قد جری علی ذلک شعراء الإسلام، فقال الفرزدق بن غالب التمیمی، یمدح سلیمان بن عبد الملک بن مروان و یعرض للحجاج بن یوسف، و یذکر الفیل و جیشه:

فلما طغی الحجاج حین طغی بهغنی قال إنی مرتق فی السلالم

فقال کما قال ابن نوح سأرتقیإلی جبل من خشیهٔ الماء عاصم

رمی الله فی جثمانه مثل ما رمیعن القبلهٔ البیضاء ذات المحارم

جنودا تسوق الفیل حتی أعادهمهباء و کانوا مطرخیمی الطراخم «۱»

نصر کنصر البیت إذ ساق فیلهإلیه عظیم المشرکین الأعاجم قال ابن إسحاق «۲»: فلما هلک أبرههٔ ملک الحبشهٔ ابنه یکسوم بن أبرههٔ، و به کان یکنی، فلما هلک یکسوم ملک الیمن فی الحبشهٔ أخوه مسروق بن أبرههٔ.

فلما طال البلاء علی أهل الیمن، خرج سیف بن ذی یزن الحمیری حتی قدم علی قیصر ملک الروم، فشکا إلیه ما هم فیه، و سأله أن یخرجهم عنه، و یلیهم هو، و یبعث إلیهم من شاء من الروم، فلم یشکه.

فخرج حتی أتی النعمان بن المنذر، و هو عامل کسری علی الحیرهٔ و ما یلیها من أرض العراق، فشکا إلیه أمر الحبشهٔ، فقال له النعمان: إن لی علی کسری وفادهٔ فی کل عام، فأقم حتی یکون ذلک؛ ففعل.

ثم خرج معه فأدخله علی کسری، و کان کسری یجلس فی إیوان مجلسه الذی فیه تاجه، و کان تاجه مثل القلنقل العظیم، فیما یزعمون، یضرب فیه الیاقوت و الزبرجد

---

(۱) الطراخم: جمع الطراخم و هو الممتلئ کبرا المتعظم.

(۲) انظر: السیرهٔ (۱/ ۶۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۹۲

و اللؤلؤ بالذهب و الفضهٔ، معلقا بسلسلهٔ من ذهب فی رأس طاقهٔ فی مجلسه ذلک، و کانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما یستر بالثیاب حتی یجلس فی مجلسه ذلک، ثم یدخل رأسه فی تاجه، فإذا استوی فی مجلسه کشفت عنه الثیاب، فلا یراه رجل لم یره قبل ذلک إلا برک هیبهٔ له.

فلما دخل علیه سیف بن یزن برک، و قیل: إنه لما دخل علیه طأطأ رأسه، فقال الملک:

إن هذا لأحمق! یدخل علی من هذا الباب الطویل ثم یطأطئ رأسه!.

فقیل ذلک لسیف، فقال: إنما فعلت هذا لهمی، لأنه یضیق عنه کل شیء. ثم قال:

أیها الملک، غلبنا علی بلادنا الأغربهٔ.

فقال کسری: أی الأغربهٔ؟ الحبشهٔ أم السند؟ قال: بل الحبشهٔ، فجئتک لتنصرنی و یکون ملک بلادی لک. قال: بعدت بلادک مع قلهٔ خیرها، فلم أکن لأورط جیشا من فارس بأرض العرب، لا حاجهٔ لی بذلک.

ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف، و كساه كسوة حسنة. فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس. فبلغ ذلك الملك فقال: إن لهذا لشأنا.

ثم بعث إليه فقال: عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس! فقال: و ما أصنع بهذا؟! ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب و فضة، يرغبه فيها.

فجمع كسرى مرازبته «۱» فقال: ما ذا ترون فى أمر هذا الرجل و ما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك إن فى سجونك رجالا حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت، و إن ظفروا كان ملكا ازددته.

فبعث معه كسرى من كان فى سجونه، و كانوا ثمانمائة رجل، و استعمل عليهم رجلا- منهم يقال له: و هرز و كان ذا سن فيهم و أفضلهم حسبا و بيتا، فخرجوا فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان و وصلت إلى ساحل عدن ست سفائن.

فجمع سيف إلى و هرز من استطاع من قومه و قال له: رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا. قال و هرز: أنصفت.

و خرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن و جمع إليه جنوده، فأرسل إليهم و هرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم، فقتل ابن و هرز، فزاده ذلك حنقا عليهم. فلما تواقف الناس

---

(۱) مرازبته: أى وزراءه. و قيل: هو الفارس الشجاع المقدم عند الملك.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۹۳

على مصافهم قال و هرز: أرونى ملكهم. قالوا له: أ ترى رجلا- على الفيل عاقدا تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟. قال: نعم. قالوا: ذلك ملكهم. قال: اتركوه.

فوقفوا طويلا ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحول على الفرس. قال: اتركوه. فوقفوا طويلا. ثم قال: علام هو؟ قالوا: على البغلة. قال و هرز: بنت الحمار! ذل و ذل ملكه، إنى سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم، فإنى قد أخطأت الرجل، و إن رأيتم القوم قد استداروا و لاثوا به فقد أصبت الرجل، فاحملوا عليهم.

ثم أوتر قوسه، و كانت فيما يزعمون، لا- يوترها غيره من شدتها، و أمر بحاجبيه فعصبا له، ثم رمى فصك الياقوتة التى بين عينيه فتغلغلت النشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه؟ و نكس عن دابته، و استدارت الحبشة و لاثت به، و حملت عليهم الفرس و انهزموا فقتلوا و هربوا فى كل وجه.

و أقبل و هرز ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايتى منكسة أبدا، اهدموا الباب. فهدم، ثم دخلها ناصبا رايته. و قال فى ذلك أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى، و تروى لابنه أمية بن أبى الصلت:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن‌مذيم فى البحر للأعداء أحوالا

يهم قيصر لما حاز رحلته‌فلم يجد عنده بعض الذى سالا

حتى أتى ببنى الأحرار يحملهم‌إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا «۱»

لله درهم من عصبة خرجوا‌ما إن أرى لهم فى الناس أمثالا

بيضا مرازبة غلبا أساورة‌أسدا تربب فى الغيضات أشبالا

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد‌أضحى شريدهم فى الأرض فلالا «۲»

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا‌فى رأس غمدان دارا منك محلالا «۳»

و اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم‌و أسبل اليوم فى برديك إسبالا «۴»

(۱) بنو الأحرار: أراد بهم الفرس، و القلقال: التحرك بسرعة.

(۲) الفلال: جمع فل و هم القوم المنهزمون.

(۳) رأس غمدان: قال ياقوت فى معجم البلدان (۴/ ۲۱۰): قيل إنه قصر بناه يشرح بن يحصب على أربعة أوجه و بنى فى داخله قصرا على سبعة سقوف، و قيل: إن الذى بناه سليمان بن داود عليهما السلام، و قيل: إنه بين صنعاء و طيوه و هدم غمدان فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه.

(۴) شالت نعامتهم: أى هلكوا، و الإسبال: إرخاء الثوب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۹۴ تلك المكارم لا قعبان من لبن‌شيبا بماء فعادا بعد أبوالا و أقام و هرز و الفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم.

و كان ملك الحبشة باليمن منذ دخلها أرياط إلى أن أخرجتهم الفرس عنها اثنتين و سبعين سنة، وفق ما ذكره سطيح و شق فى تأويل رؤيا ربيعة بن نصر.

ثم مات و هرز، فأمر كسرى ابنه المرزبان بن و هرز على اليمن، ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان، ثم مات فأمر كسرى ابن التينجان، ثم عزله و ولى باذان، فلم يزل عليها حتى بعث الله محمدا صلى اللّه عليه و سلم «۱».

فلما بلغ مبعثه كسرى كتب إلى باذان: إنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى، فسر إليه فاستتبه، فإن تاب و إلا فابعث إلى برأسه. فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فكتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا.

فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر و قال: إن كان نبيا فسيكون ما قال. فقتل الله كسرى على يد ابنه شيرويه فى اليوم الذى قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلام من معه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فقالت الرسل من الفرس: إلى من نحن يا رسول الله، قال: «أنتم منا و إلينا أهل البيت».

قال الزهرى: فمن ثم قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «سلمان منا أهل البيت» «۲».

و كأن هذه الأخبار و إن قطعت بعض ما كنا بسبيله من أمر بنى قصى فلها أيضا من الإفادة بنحو ما قصدناه و حسن الإمتاع بالشأن المناسب لما اعتمدناه ما يحسن اعتراضها و ينظم فى سلك واحد مع ما مر من ذلك أو يأتى أغراضها.

و علينا بمعونة الله فى تجويد الترتيب لذلك كله تطبيق المنفصل ورد هذه الأحاديث المتفرقة فى حكم الحديث المتصل، فنطيل و لا نمل، و نقصر فلا نخل كل ذلك ببركة

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۷۴). الاكتفاء، الكلاعى ج ۱ ۹۴ ذكر دخول الحبشة أرض اليمن و استيلائهم على ملكها و ذكر السبب فى ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل ..... ص : ۸۳

(۲) انظر الحديث فى: المستدرك للحاكم (۳/ ۵۹۸)، المعجم الكبير للطبرانى (۶/ ۲۶۱)، تفسير الطبرى (۲۱/ ۸۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۲/ ۱۸۰، ۴/ ۹۹)، طبقات ابن سعد (۷/ ۶۵)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۳۳۴۰)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۴۱۸)، كشف الخفاء للعجلونى (۱/ ۵۵۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۹۵

المختار الذى يمننا تخليد أوليته، و تيمنا بخدمة آثاره و سيرته، صلى الله عليه و على آله الأكرمين و صحابته.

و كنا انتهينا من شأن بنى قصى بعده، إلى ما تراضوا به بينهم من الصلح على أن تكون السقاية و الرفادة لبنى عبد مناف، و تكون حجابة البيت و اللواء و الندوة لبنى عبد الدار، على نحو ما جعله قصى إلى أبيهم.

فولی السقایة و الرفادة هاشم بن عبد مناف. و ذلک أن عبد شمس کان رجلا سفارا قلما یقیم بمکة، و کان مقلا ذا ولد کثیر، و کان هاشم موسرا، و کان فیما یزعمون، إذا حضر الحج قام صبیحة هلال ذی الحجة فیسند ظهره إلی الکعبة من تلقاء بابها، فیحض قومه علی رفادة الحاج التی سنها لهم قصی، و یقول لهم فی خطبته: یا معشر قریش، أنتم سادة العرب، أحسنها وجوها، و أعظمها أحلاما، و أوسط العرب أنسابا، و أقرب العرب بالعرب أرحاما.

یا معشر قریش، إنکم جیران بیت الله، أکرمکم الله بولایته و خصکم بجواره دون بنی إسماعیل، حفظ منکم أحسن ما حفظ جار من جاره، و إنه یأتیکم فی هذا الموسم زوار الله، یعظمون حرمة بیته، فهم ضیف الله، و أحق الضیف بالکرامة ضیفه، فأکرموا ضیفه و زواره، فإنهم یأتون شعثا غبرا من کل بلد علی ضوامر کالقداح، و قد أزحفوا و أرملوا فأقروهم و أعینوهم، فو رب هذه البنیة لو کان لی مال یحمل ذلک لکفیتکموه، و أنا مخرج من طیب مالی و حلاله، ما لم تقطع فیه رحم، و لم یؤخذ بظلم، و لم یدخل فیه حرام فواضعه، فمن شاء منکم أن یفعل مثل ذلک فعله. و أسألکم بحرمة هذا البیت ألا یخرج رجل منکم من ماله لکرامة زوار بیت الله و معونتهم إلا طیبا لم تقطع فیه رحم، و لم یؤخذ غصبا «۱».

فکانت بنو کعب بن لؤیّ و سائر قریش یجتهدون فی ذلک و یترافدون علیه، و یخرجون ذلک من أموالهم حتی یأتوا به هاشم بن عبد مناف فیضعوه فی داره، حتی أن کان أهل البیت لیرسلون بالشیء الیسیر علی قدرهم. و کان هاشم یخرج فی کل سنة مالا کثیرا. و کان قوم من قریش أهل یسار، ربما أرسل کل إنسان منهم بمائة مثقال هرقلیة.

و کان هاشم یأمر بحیاض من أدم، فتجعل فی موضع زمزم من قبل أن تحفر، ثم یستقی فیها من البیار التی بمکة، فیشرب الحاج.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۲۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۹۶

و کان یطعمهم أول ما یطعمهم بمکة قبل الترویة بیوم، ثم بمنی، و بجمع و عرفة، یثرد لهم الخبز و اللحم، و الخبز و السمن، و السویق و التمر، و یحمل لهم الماء، فیطعمهم و یسقیهم حتی یصدروا.

و کان اسم هاشم عمرا، و یقال له: عمرو العلا. و إنما سمی هاشما لهشمه الخبز بمکة لقومه، و هو فیما یذکرون أول من سن الرحلتین لقریش، رحلة الشتاء و الصیف. و فی ذلک یقول بعض شعرائهم:

عمرو العلا هشم الثرید لقومهقوم بمکة مسنتین عجاف «۱»

سنت إلیه الرحلتان کلاهماسفر الشتاء و رحلة الأصیاف و ذلک أن قریشا کانوا قوما تجارا، و کانت تجارتهم لا تعدو مکة، إنما یقدم الأعاجم بالسلع فیشترون منهم و یتبایعون فیما بینهم، و یبیعون ممن حولهم من العرب. فلم یزالوا کذلک حتی ذهب هاشم إلی الشام، فکان یذبح کل یوم شاة، فیصنع جفنة ثرید، و یدعو من حوله فیأکلون.

و کان هاشم من أحسن الناس و أجملهم، إلی شرف نفسه و کرم فعاله. فذکر لقیصر فدعا به فلما رآه و کلمه أعجب به و أدناه. فلما رأی هاشم مکانه منه، طلب منه أمانا لقومه لیقدموا بلاده بتجاراتهم. فأجابه إلی ذلک. و کتب لهم قیصر کتاب أمان لمن أتی منهم. فأقبل هاشم بذلک الکتاب، فکلما مر بحی من أحیاء العرب أخذ من أشرافهم إیلافا لقومه یأمنون به عندهم و فی أرضهم من غیر حلف، و إنما هو أمان الطریق.

و استوفی أخذ ذلک ممن بین مکة و الشام، فأتی قومه بأعظم شیء أتوا به قط برکة، فخرجوا بتجارة عظیمة، و خرج هاشم معهم لیوفیهم إیلافهم الذی أخذ لهم من العرب، فلم یزل یوفیهم إیاه، و یجمع بینهم و بین العرب حتی قدم بهم الشام.

فهلک هاشم فی سفره ذلک بغزة من أرض الشام. و کان أول بنی عبد مناف هلکا.

و خرج المطلب بن عبد مناف، و هو یسمی الفیض لسماحته و فضله، إلی الیمن، فأخذ من ملوکهم أمانا لمن تجر من قومه إلی

بلادهم، ثم أقبل یأخذ لهم الإیلاف ممن

---

(۱) هشم الثرید: به سمی هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب جد النبیّ صلی اللّه علیه و سلم کان یسمی عمرا و هو أول من ثرد الثرید و هشمه فسمی هاشما، فقالت فیه ابنته هذه الأبیات، و قال ابن بری: الشعر لابن الزبعری. انظر هذا القول و البیت فی اللسان (۱۲/ ۶۱۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۹۷

کان علی طریقه من العرب، کما فعل أخوه هاشم، حتی أتی مکة، ثم رجع إلی الیمن، فمات بردمان.

و خرج عبد شمس بن عبد مناف إلی ملک الحبشة، فأخذ منه أمانا کذلک لمن تجر من قریش إلی بلاده، ثم أخذ الإیلاف من العرب الذین علی الطریق إلیها حتی بلغ مکة، و توفی بها فقبره بالحجون.

و خرج نوفل بن عبد مناف، و کان أصغر ولد أبیه إلی العراق، فأخذ عهدا من کسری لتجار قریش، ثم أقبل یأخذ الإیلاف ممن مر به من العرب حتی قدم مکة، ثم رجع إلی العراق فمات بسلمان من ناحیة العراق.

فجبر الله قریشا بهؤلاء النفر الأربعة من بنی عبد مناف، فنمت أموالهم، و اتسعت تجارتهم، فکان بنو عبد مناف یسمون لأجل ذلک المجیزین، و العرب تسمیهم أقداح النضار، لطیب أحسابهم، و کرم فعالهم.

و قال مطرود بن کعب الخزاعی یبکیهم جمیعا حین أتاه نعی نوفل منهم، و کان آخرهم هلکا:

یا لیلة هیجت لیلاتیإحدی لیالی القسیات «۱»

و ما أقاسی من هموم و ماعالجت من رزء المنیات

إذا تذکرت أخی نوفلاذکرنی بالأولیات

ذکرنی بالأزر الحمر و الأردیة الصفر القشیبات «۲»

أربعة کلهم سیدأبناء سادات لسادات

میت بردمان و میت بسلمان و میت بین غزات «۳»

و میت أسکن لحدا لدی الحجون شرقی البنیات

أخلصهم عبد مناف فهممن لوم من لام بمنجاة

إن المغیرات و أبناءهامن خیر أحیاء و أموات «۴»

---

(۱) القسیات: من القسوة أی لا لین عندهن و لا رأفة، و القسی: الشدید.

(۲) القشیبات: واحدها القشب: و هو الجدید و الناس تقول ثوب قشیب أی جدید.

(۳) ردمان: بفتح أوله و هو فعلان من الردم و هو موضع بالیمن. اسم ماء قدیم جاهلی و به قبر نوفل بن عبد مناف، و کان فی الجاهلیة طریق إلی تهامة من العراق. غزات: أی غزة.

(۴) المغیرات: المقصود بها بنو المغیرة و هو عبد مناف.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۹۸

و إنما سماهم المغیرات لأن عبد مناف أباهم کان اسمه المغیرة. فقیل لمطرود فیما یزعمون: لقد قلت فأحسنت، و لو کان أفحل مما هو کان أحسن.

فقال: أنظرونی لیالی. فمکث أیاما ثم قال:

یا عین جودی و أذری الدمع و انهمری و ابکی علی السر من کعب المغیرات
یا عین و اسحنفری بالدمع و احتفلی و ابکی خبیئة نفسی فی الملمات «۱»
و ابکی علی کل فیاض أخی ثقةضخم الدسیعة و هاب الجزیلات «۲»
محض الضریبة عالی الهم مختلقجلد النجیزة ناء بالعظیمات «۳»
صعب البدیهة لا نکس و لا و کلماضی العزیمة متلاف الکریمات
صقر توسط من کعب إذا نسبوابحبوحة المجد و الشم الرفیعات
ثم اندبی الفیض و الفیاض مطلباو استخرطی بعد فیاض بجمات
أمسی بردمان عنا الیوم مغتربایا لهف نفسی علیه بین أموات
و ابکی لک الویل إما کنت باکیةلعبد شمس بشرقی البنیات
و هاشم فی ضریح وسط بلقعةتسفی الریاح علیه بین غزات
و نوفل کان دون القوم خالصتیأمسی بسلمان فی رمس بموماة
لم ألق مثلهم عجما و لا عرباإذا استقلت بهم أدم المطیات
أمست دیارهم منهم معطلةو قد یکونون زینا فی السریات «*»
أفناهم الدهر أم کلت سیوفهمأم کل من عاش أزواد المنیات
أصبحت أرضی من الأقوام بعدهمبسط الوجوه و إلقاء التحیات
یا عین و ابکی أبا الشعث الشجیاتیبکینه حسرا مثل البلیات «**»
یبکین أکرم من یمشی علی قدمیعولنه بدموع بعد عبرات

---

(۱) اسحنفری: أی أدیمی الدمع. و الخبیئة: الشیء المخبوء یرید أنه ذخیرة عند نزول الشدائد.

(۲) الدسیعة: العطیة و ضخم الدسیعة أی کثیر العطیة.

(۳) محض الضریبة: أی مخلص الطبیعة. و المختلق: تام الخلق. و النجیزة: الطبیعة من العین المختلف من کل شیء.

(*) السریات: جمع سریة و هی طائفة من الجیش یبلغ أقصاه أربعمائة و سموا بذلک لأنهم یکونون خلاصة العسکر و خیارهم من الشیء السری النفیس و قیل سموا بذلک لأنهم ینفذون سرا و خفیة. انظر: اللسان (مادة سرا).

(**) البلیات: جمع بلیة، و هی: الناقة کانت تشد فی الجاهلیة عند قبر صاحبها حتی تموت، و کانوا یقولون: یبعث صاحبها علیها. انظر: اللسان (مادة بلا).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۹۹ یبکین شخصا طویل الباع ذا فخرأبی الهضیمة فراج الجلیلات
یبکین عمرو العلا إذ حان مصرعهسمح السجیة بسام العشیات
یبکینه مستکینات علی حزنیا طول ذلک من حزن و عولات
یبکین لما جلاهن الزمان لهخضر الخدود کأمثال الحمیات
محتزمات علی أوساطهن لماجر الزمان من أحداث المصیبات
أبیت لیلی أراعی النجم من ألمأبکی و تبکی معی شجوی بنیاتی
ما فی القروم لهم عدل و لا خطرو لا لمن ترکوا شروی بقیات
أبناؤهم خیر أبناء و أنفسهمخیر النفوس لدی جهد الألیات

کم وهبوا من طمر سابح أرنو من طمرة نهب فی طمرات

و من سیوف من الهندی مخلصةو من رماح کأشطان الرکیات

و من توابع مما یفضلون بهاعند المسائل من بذل العطیات

فلو حسبت و أحصی الحاسبون معیلم أحص أفعالهم تلک الهنیات

هم المدلون إما معشر فخرواعند الفخار بأنساب نقیات

زین البیوت التی خلوا مساکنهافأصبحت منهم وحشا خلیات

أقول و العین لا ترقا مدامعهالا یبعد الله أصحاب الرزیات و کان هاشم بن عبد مناف قد قدم المدینة فتزوج بها سلمی بنت عمرو أحد بنی عدی بن النجار، و کانت قبله عند أحیحة بن الجلاح فیما ذکر ابن إسحاق. قال:

و کانت لا تنکح الرجال لشرفها حتی یشترطوا لها أن أمرها بیدها، إن کرهت رجلا فارقته.

فولدت لهاشم عبد المطلب فسمته شیبة «۱»، فترکه هاشم عندها حتی کان وصیفا أو فوق ذلک. ثم خرج إلیه عمه المطلب لیقبضه فیلحقه ببلده و قومه، فقالت له سلمی:

لست بمرسلته معک.

فقال لها المطلب: إنی غیر منصرف حتی أخرج به معی، إن ابن أخی قد بلغ و هو غریب فی غیر قومه، و نحن أهل بیت شرف فی قومنا نلی کثیرا من أمرهم، و رهطه و عشیرته و بلده خیر له من الإقامة فی غیرهم. أو کما قال.

و قال شیبة لعمه المطلب فیما یزعمون: لست بمفارقها إلا أن تأذن لی. فأذنت له

---

(۱) قال الطبری فی تاریخه (۱/ ۵۰۱): سمی شیبة لشیبة کانت فی رأسه و یکنی بأبی الحارث و الحارث أکبر ولده.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۰۰

و دفعته إلیه، فاحتمله فدخل به مکة مردفه علی بعیره، فقالت قریش: عبد المطلب ابتاعه.

فبها سمی شیبة: عبد المطلب. فقال المطلب: و یحکم إنما هو ابن أخی هاشم قدمت به من المدینة «۱».

و ذکر الزبیر أن شیبة إنما سمی عبد المطلب، لأن عمه المطلب لما قدم به من یثرب و دخل به مکة ضحوة مردفه خلفه و الناس فی أسواقهم و مجالسهم، قاموا یرحبون به و یقولون: من هذا معک؟ فیقول: عبد لی ابتعته بیثرب، فلما کان العشیة ألبسه حلة ابتاعها له، ثم أجلسه فی مجلس بنی عبد مناف و أخبرهم خبره، فجعل بعد ذلک یخرج فی تلک الحلة فیطوف فی سکک مکة، و کان أحسن الناس، فیقولون: هذا عبد المطلب، لقول المطلب فیه ذلک، فلج اسمه عبد المطلب، و ترک شیبة.

و کان یقال لعبد المطلب: شیبة الحمد، و إنما سمی شیبة لأنه کان فی ذؤابته شعرة بیضاء.

ثم ولی عبد المطلب بن هاشم السقایة و الرفادة بعد عمه المطلب، فأقامها للناس و أقام لقومه ما کان آباؤه یقیمون لقومهم من أمرهم قبله، و شرف فی قومه شرفا لم یبلغه أحد من آبائه، و أحبه قومه و عظم خطره فیهم.

و یقال: کان یعرف فی عبد المطلب نور النبوة و هیبة الملک.

قال الزبیر: و مکارم عبد المطلب أکثر من أن أحیط بها، کان سید قریش غیر مدافع نفسا و أبا و بیتا و جمالا و بهاء و فعالا و کمالا. فصلی الله علی المنتخب من ذریته، المخصوص بأولیة الفخر و آخریته، و علی آله الأکرمین و عترته و سلم تسلیما.

ذکر حفر عبد المطلب زمزم و ما یتصل بذلک من حدیث مولد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم

قد تقدم الخبر عن زمزم أنها بئر إسماعیل بن إبراهیم علیهما السلام، التی سقاه الله حین ظمأ و هو صغیر.

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۲۵- ۱۲۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۰۱

و كانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة بين صنمى قريش إساف و نائلة عند منحر قريش، فبقى أمرها كذلك إلى أن أمر عبد المطلب بن هاشم بحفرها.

فذكر ابن إسحاق «۱» و غيره من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: قال عبد المطلب: إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت فقال: احفر طيبة. قلت: و ما طيبة؟ ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر برة.

فقلت: و ما برة؟ ثم ذهب عنى.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر المضنونة.

فقلت: و ما المضنونة؟ ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال: احفر زمزم. قلت: و ما زمزم؟.

قال: لا تنزف أبدا و لا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، و هى بين الفرث و الدم، عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل «۲». فلما بين له شأنها و دل على موضعها و عرف أنه قد صدق، غدا بمعوله و معه ابنه الحارث، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر.

فلما بدا لعبد المطلب الطى كبر. فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، و إن لنا فيها حقا فأشر كنا معك فيها.

قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر خصصت به دونكم و أعطيته من بينكم.

قالوا له: فأنصفنا، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال: اجعلوا بينى و بينكم من شئتم نحاكمكم إليه. قالوا: كاهنة بنى سعد بن هذيم، قال: نعم. و كانت بأطراف الشام.

فركب عبد المطلب و معه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف، و ركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: و الأرض إذ ذاك مفاوز. قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز و الشام فنى ماء عبد المطلب و أصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، و قالوا: إنا بمفازة و نحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم و ما يتخوف على نفسه و أصحابه قال: ما ذا

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۳۰).

(۲) قال السهيلى فى الروض الأنف (۱/ ۱۶۹): قرية النمل لا تحرث و لا تبذر و تجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۰۲

ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت. قال: فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم رجلا واحدا، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا.

قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل رجل منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا. ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: و الله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب فى الأرض و لا نبتغى لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا.

فارتحلوا، حتى إذا فرغوا، و من معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب، فكبر عبد المطلب و كبر أصحابه، ثم نزل فشرب و شرب أصحابه و استقوا حتى ملأوا أسقيتهم.

ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلم إلى الماء، فقد سقانا الله فاشربوا و استقوا.

فجاءوا فشربوا و استقوا، ثم قالوا: قد و الله قضی لک علینا یا عبد المطلب، و الله لا نخاصمک فی زمزم أبدا، إن الذی سقاک الماء بهذه الفلاة لهو الذی سقاک زمزم، فارجع إلی سقایتک راشدا.

فرجع و رجعوا معه و لم یصلوا إلی الکاهنة و خلوا بینه و بینها. و فی غیر حدیث علی ابن أبی طالب رضی الله عنه، أن عبد المطلب قیل له حین أمر بحفر زمزم:

ثم ادع بالماء الروی غیر الکدریسقی حجیج الله فی کل مبر

لیس یخاف منه شیء ما عمر

فخرج عبد المطلب حین قیل له ذلک إلی قریش، فقال: تعلمون أنی قد أمرت أن أحفر زمزم، قالوا: فهل بین لک أین هی؟ قال: لا. قالوا: فارجع إلی مضجعک الذی رأیت فیه ما رأیت فإن یک حقا من الله یبین لک، و إن یک من الشیطان فلن یعود إلیک.

فرجع عبد المطلب إلی مضجعه فنام فیه فأتی فقیل له: احفر زمزم، إنک إن حفرتها لم تندم، و هی تراث من أبیک الأعظم لا تنزف أبدا و لا تذم، تستقی الحجیج الأعظم،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۰۳

مثل نعام جافل «۱» لم یقسم، ینذر فیها ناذر لمنعم، تکون میراثا و عقدا محکم، لیست کبعض ما قد تعلم، و هی بین الفرث و الدم.

فزعموا أنه حین قیل له ذلک قال: و أین هی؟ قیل له: عند قریة النمل حیث ینقر الغراب غدا. فغدا عبد المطلب و معه ابنه الحارث و لیس له یومئذ ولد غیره، فوجد قریة النمل و وجد الغراب ینقر عندها، بین الوثنین إساف و نائلة اللذین کانت قریش تنحر عندهما ذبائحهما.

فجاء بالمعول و قام لیحفر حیث أمر، فقامت إلیه قریش حین رأوا جده، فقالوا: و الله لا نترکک تحفر بین وثنینا هذین اللذین ننحر عندهما. فقال عبد المطلب لابنه الحارث:

ذب عنی فو الله لأمضین لما أمرت به.

فلما عرفوا أنه غیر نازع خلوا بینه و بین الحفر و کفوا عنه، فلم یحفر إلا یسیرا حتی بدا له الطی، فکبر و عرف أنه قد صدق، فلما تمادی به الحفر وجد فیها غزالین من ذهب، و هما الغزالان اللذان دفنت جرهم فیها حین خرجت من مکة، و وجد فیها أسیافا قلعیة «۲» و أدراعا.

فقالت له قریش: یا عبد المطلب لنا معک فی هذا شرک و حق، قال: لا، و لکن هلموا إلی أمر نصف بینی و بینکم، فضرب علیها بالقداح. قالوا: و کیف نصنع؟ قال: أجعل للکعبة قدحین ولی قدحین و لکم قدحین، فمن خرج قدحاه علی شیء فهو له و من تخلف قدحاه فلا شیء له، قالوا: أنصفت.

فجعل قدحین أصفرین للکعبة، و قدحین أسودین لعبد المطلب، و قدحین أبیضین لقریش. ثم أعطوا القداح الذی یضرب بها عند هبل، و هبل صنم فی جوف الکعبة، و هو أعظم أصنامهم، و هو الذی عنی أبو سفیان بن حرب لما نادی یوم أحد: اعل هبل، أی أظهر دینک.

و قام عبد المطلب یدعو الله، و ضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران علی

---

(۱) جافل: الجفول هو سرعة الذهاب و الندور فی الأرض، یقال: جفلت الإبل جفولا إذا شردت.

انظر: اللسان (مادة جفل).

(۲) قلعیة: اسم معدن ینسب إلیه الرصاص الجید، قیل: و هو جبل بالشام، و قیل أیضا: هو قلعة عظیمة فی أول بلاد الهند من جهة الصین فیه معدن الرصاص القلعی لا یکون إلا فی قلعتها و فی هذه القلعة تضرب السیوف القلعیة و هی الهندیة العتیقة. انظر: معجم

البلدان (۴/ ۳۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۰۴

الغزالین، و خرج الأسودان علی الأسیاف و الأدراع لعبد المطلب، و تخلف قدحا قریش.

فضرب عبد المطلب الأسیاف بابا للکعبة، و ضرب فی الباب الغزالین من ذهب، فکان أول ذهب حلیته الکعبة، فیما یزعمون «۱».

و ذکر الزبیر أن عبد المطلب لما أنبط الماء فی زمزم حفرها فی القرار ثم بحرها حتی لا تنزف، ثم بنی علیها حوضا فطفق هو و ابنه ینزعان علیها فیملآن ذلک الحوض، فیشرب منه الحاج. و کان قوم حسدة من قریش لا یزالون یکسرون حوضه ذلک باللیل و یغتسلون فیه، فیصلحه عبد المطلب حین یصبح.

فلما أکثروا فساده دعا عبد المطلب ربه، فقیل له فی المنام: قل: اللهم إنی لا أحلها لمغتسل، و هی لشارب حل و بل.

فقام عبد المطلب فی المسجد فنادی بالذی أری، ثم انصرف فلم یکن یفسد حوضه ذلک علیه أحد من قریش أو یغتسل فیه إلا رمی فی جسده بداء، حتی ترکوا حوضه ذلک و سقایته فرقا.

و ذکر الزبیر أیضا أن عبد المطلب لما حفر زمزم و أدرک منها ما أدرک وجدت قریش فی أنفسها مما أعطی، فلقیه خویلد بن أسد بن عبد العزی، فقال: یا ابن سلمی، لقد سقیت ماء رغدا و نثلت عادیة حتدا، قال: یا ابن أسد، أما إنک تشرک فی فضلها، و الله لا یساعفنی أحد علیها ببر و لا یقوم معی بأزر إلا بذلت له خیرا لصهر.

فقال خویلد بن أسد:

أقول و ما قولی علیهم بسنةإلیک ابن سلمی أنت حافر زمزم

حفیرة إبراهیم یوم ابن آجرو رکضة جبریل علی عهد آدم فقال عبد المطلب: ما وجدت أحدا ورث العلم الأقدم غیر خویلد بن أسد.

ثم إن عبد المطلب أقام سقایة زمزم للحجاج، و کانت قریش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمکة «۲»، و کانت خارجا من مکة آبار حفائر قدیمة من عهد مرة بن کعب و کلاب بن

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۳۲- ۱۳۳).

(۲) قال ابن هشام فی السیرة (۱/ ۱۳۳- ۱۳۶): و کانت قریش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمکة، فیما حدثنا زیاد بن عبد الله البکائی عن محمد بن إسحاق، ثم أخذ یذکر أسماء الآبار التی حفرت قبل زمزم فقال: حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوی، و هی البئر التی بأعلی مکة عند البیضاء، دار محمد بن یوسف الثقفی. و حفر هاشم بن عبد مناف بذر، و هی البئر التی-

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۰۵

مرة و کبراء قریش الأول، منها یشربون، فعفت زمزم علی تلک البئار التی کانت قبلها یسقی علیها الحاج.

و انصرف الناس إلیها لمکانها من المسجد الحرام، و لفضلها علی ما سواها من المیاه، و لأنها بئر إسماعیل بن إبراهیم علیهما السلام، و افتخرت بها بنو عبد مناف علی قریش کلها و علی سائر العرب.

و کان عبد المطلب فیما یزعمون «۱» و الله أعلم، قد نذر حین لقی من قریش ما لقی عند حفر زمزم: لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتی یمنعوه، لینحرن أحدهم لله عز و جل عند الکعبة.

فلما توافی بنوه عشرة و عرف أنهم سیمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره و دعاهم إلی الوفاء به، فأطاعوه و قالوا: و کیف نصنع؟ قال: لیأخذ کل رجل منکم قدحا ثم یکتب اسمه فیه ثم ائتونی ففعلوا، ثم أتوه فدخل بهم علی هبل فی جوف الکعبة، و کان علی بئر فی جوف الکعبة، فیها یجمع ما یهدی للکعبة، و کان عند هبل قداح سبعة بها یضربون علی ما یریدون، و إلی ما تخرج به القداح ینتهون فی أمورهم.

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه. و أخبره بنذره الذى نذر، و أعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه. و كان عبد الله بن عبد المطلب أحب بنى أبيه إليه فيما يزعمون، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى.

فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله،

- عند المستنذر، خطم الخندمة على فم شعب أبى طالب، و حفر سجلة، و هى بئر المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم، و يزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم، و يزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم، فاستغنوا بها عن تلك الآبار و حفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه. و حفرت بنو أسد بن عبد العزى: شفية، و هى بئر بنى أسد. و حفرت بنو عبد الدار: أم أحراد. و حفرت بنو جمح السنبلة، و هى بئر خلف بن وهب.

و حفرت بنو سهم: الغمر، و هى بئر بنى سهم. و كانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب، و كلاب بن مرة، و كبراء قريش الأوائل منها يشربون، و هى رم، و رم: بئر مرة بن كعب بن لؤىّ. و خم، و خم: بئر بنى كلاب بن مرة. و الحفر. انتهى باختصار.

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۳۶- ۱۳۹)، تاريخ الطبرى (۲/ ۲۳۹، ۲۴۳)، طبقات ابن سعد (۱/ ۸۸، ۸۹).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۰۶

ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده و أخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف و نائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها و قالوا: ما ذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه. فقالت له قريش و بنوه: و الله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا؟!.

و قال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، و كان عبد الله بن أخت القوم، أمه و أم أخويه الزبير و أبى طالب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم:

و الله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. و قالت له قريش و بنوه: لا تفعل و انطلق إلى الحجاز فإن بها عرافة لها تابع، فتسألها ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته و إن أمرتك بأمر لك و له فيه فرج قبلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها فيما يزعمون، بخيبر، فركبوا حتى جاؤها فسألوها، و قص عليها عبد المطلب خبره و خبر ابنه و ما أراد به و نذره فيه. فقالت لهم:

ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله.

فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءنى الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، و كانت كذلك، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم و قربوا عشرة من الإبل، ثم اضربوا عليه و عليها بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، و إن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم و نجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله و عشرا من الإبل، و عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، و قام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل، و ما زالوا كذلك يزيدون عشرا فعشرا من الإبل و يضربون عليها، كل ذلك يخرج القدح على عبد الله، حتى بلغت الإبل مائة من الإبل، و قام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت قريش: قد انتهى، رضى ربك يا عبد المطلب.

فزعموا أن عبد المطلب قال: لا و الله حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبد الله و على الإبل، و قام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية و الثالثة و عبد المطلب قائم يدعو الله، فخرج القدح فى كلتيهما على الإبل.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۰۷

فنحرت، ثم تركت لا يصد عنها إنسان و لا يمنع.

ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله، فمر به فيما يزعمون، على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى «۱»، و هى أخت ورقة بن نوفل بن أسد، و هى عند الكعبة.

قال الزبير: و كان عبد الله أحسن رجل رئى فى قريش قط، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله. قال: مع أبى. قالت: لك مثل الإبل التى نحرت عنك وقع على الآن، قال: أنا مع أبى و لا أستطيع خلافه و لا فراقه.

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، و هو يومئذ سيد بنى زهرة سنا و شرفا، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب و هى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا و موضعا.

فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم خرج من عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت، فقال لها: مالك لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالأمس، قالت له: فارقك النور الذى كان معك بالأمس، فليس لى بك اليوم حاجة، و قد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل، و كان تنصر و اتبع الكتب، أنه كائن فى هذه الأمة نبى.

و يقال: إن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة ابنة وهب، و قد عمل فى طين له و به آثار من الطين، فدعاها إلى نفسها، فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين، فخرج من عندها، فتوضأ و غسل ما كان به من ذلك، ثم خرج عائدا إلى آمنة، فمر بتلك المرأة فدعته إلى نفسها فأبى عليها، و عمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم مر بامرأته تلك فقال لها: هل لك؟ قالت: لا، مررت بى و بين عينيك غرة فدعوتك فأبيت، و دخلت على آمنة فذهبت بها.

فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث: أنه مر بها و بين عينيه مثل غرة الفرس، قالت:

فدعوته رجاء أن تكون تلك بى، فأبى على و دخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

---

(۱) قال السهيلى فى الروض الأنف (۱/ ۱۸۰): و اسم هذه المرأة رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل تكنى أم قتال و بهذه التكنية وقع ذكرها فى رواية يونس بن إسحاق و ذكر البرقى عن هشام الكلبى، قال: إنما مر على امرأة اسمها فاطمة بنت مر، كانت من أجمل النساء و أعفهن، و كانت قد قرأت الكتب، فرأت نور النبوة فى وجهه فدعته إلى نفسها فلما أبى قالت شعرا.

انتهى باختصار.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۰۸

فكان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أوسط قومه نسبا، و أعظمهم شرفا، من قبل أبيه و أمه صلى اللّه عليه و سلم، و يزعمون فيما يتحدث الناس، و الله أعلم، أن أمه كانت تحدث أنها أتيت حين حملت به، فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولى: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا.

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أن هلك و أمه حامل به.

هذا قول ابن إسحاق «۱». و خالفه كثير من العلماء، فقالوا: إن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم كان فى المهد حين توفى أبوه. ذكره الدولابى و غيره. و ذكر ابن أبى خيثمة أنه كان ابن شهرين، و قيل أكثر من ذلك. و الله أعلم.

و ولد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم الاثنين، لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل. قيل: بعد الفيل بخمسين يوما «۲».

و حكى الواقدى عن سليمان بن سحيم قال: كان بمكة يهودى يقال له يوسف، فلما كان اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل أن يعلم به أحد من قريش قال: يا معشر قريش قد ولد نبى هذه الأمة فى بحرتكم هذه اليوم. و جعل يطوف فى أنديتهم فلا يجد خبرا، حتى انتهى إلى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له: ولد لابن عبد المطلب غلام.

فقال: هو نبى و التوراة.

و قال حسان بن ثابت: و الله إنى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۴۰- ۱۴۱).

(۲) هذا قول ابن إسحاق. انظر: السيرة (۱/ ۱۴۲).

و ذكره ابن كثير فى البداية باب مولد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم (۲/ ۲۶۴- ۲۶۷) و قال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ولد عام الفيل على قول الجمهور، فقيل: بعده بشهر، و قيل: بأربعين يوما، و قيل: بخمسين يوما، و هو أشهر. و عن أبى جعفر الباقر: كان قدوم الفيل للنصف من المحرم و مولد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعده بخمس و خمسين ليلة، و قال آخرون: بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعشر سنين قاله ابن أبزى. و قيل: بثلاث و عشرين سنة، رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده. و قيل: بعد الفيل بثلاثين سنة، قاله موسى بن عقبة عن الزهرى رحمه الله، و اختاره موسى بن عقبة أيضا رحمه الله. و قال أبو زكريا العجلانى: بعد الفيل بأربعين عاما، رواه ابن عساكر و هذا غريب جدا، و أغرب منه ما قال خليفة بن خياط: حدثنى شعيب بن حبان عن عبد الواحد بن أبى عمرو عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، قال: ولد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل الفيل بخمس عشرة سنة، و هذا حديث غريب و منكر و ضعيف أيضا، قال خليفة بن خياط:

و المجتمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۰۹

أسمع إذا سمعت يهوديا يصرخ على أطمة بيثرب: يا معشر يهود. حتى إذا اجتمعوا قالوا: ويلك! مالك! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به «۱».

و ذكر ابن السكن من حديث عثمان بن أبى العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله، أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليلا. قالت: فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، و إنى لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إنى لأقول لتقعن على.

و ذكر ابن مخلد فى تفسيره أن إبليس رن أربع رنات، رنة حين لعن، و رنة حين أهبط، و رنة حين ولد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و رنة حين أنزلت فاتحة الكتاب!

قال ابن إسحاق «۲»: فلما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام، فائته فانظر إليه. فأتاه و نظر إليه، و حدثته بما رأت حين حملت به، و ما قيل لها فيه، و ما أمرت أن تسميه.

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله و يشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها. و يروى أن عبد المطلب إنما سماه محمدا لرؤيا رآها.

زعموا أنه أرى فى منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء و طرف فى الأرض و طرف فى المشرق و طرف فى المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، و إذا أهل المشرق و المغرب يتعلقون بها.

فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق و المغرب و يحمده أهل السماء و الأرض. فلذلك سماه محمدا، مع ما حدثته أمه.

و لا يعرف فى العرب أحد تسمى بهذا الاسم قبله، سوى نفر سموا به من أجله منهم محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى، و محمد بن

أحيحة بن الجلاح، و آخر من ربيعة.

و كان آباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك ممن كان عنده علم بالكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبیّ صلى اللّه عليه و سلم و تقارب زمانه، و باسمه، و كان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا، فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا.

ففعلوا ذلك رجاء أن يكونه. و الله أعلم حيث يجعل رسالاته. و قد وقع فی مواضع أخر أن هؤلاء النفر كانوا أربعة، و لم يذكر فيهم محمد بن أحيحة، و حديثهم مخالف لما ذكرناه خلافا يسيرا.

---

(۱) ذكره البيهقی فی دلائل النبوة (۱/ ۹۱).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۱۴۳).

الاكتفاء، الكلاعی، ج۱،ص:۱۱۰

روينا من حديث عبد الملك بن أبی سوية عن أبيه عن جده قال: سألت محمد بن عدی بن ربيعة: كيف سماك أبوك محمدا؟ فقال: سألت أبی عما سألتنی عنه، فقال:

خرجت رابع أربعة من بنی تميم أنا فيهم، و سفيان بن مجاشع بن دارم و أسامة بن مالك ابن خندف و يزيد بن ربيعة، نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا إلى غدير عليه شجرات و قربه شخص نائم، فتحدثنا فاستمع كلامنا و أشرف علينا فقال: إن هذه لغة ما هی لغة أهل هذه البلاد. فقلنا: نحن قوم من مضر قال: من أی المضريين؟

قلنا: من خندف. قال: أما إنه يبعث فيكم وشيكا نبی خاتم النبيين فسارعوا إليه و خذوا بحظكم منه ترشدوا.

فقلت له: ما اسمه؟ قال: محمد: فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل رجل منا ابن سماه محمدا. و التمس لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم الرضعاء، فاسترضع له من امرأة من بنی سعد بن بكر يقال لها: حليمة بنت أبی ذؤيب «۱».

و كانت تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها و ابن لها ترضعه، فی نسوة من بنی سعد بن بكر تلتمس الرضعاء. قالت: و فی سنة شهباء «۲» لم تبق لنا شيئا.

قالت: فخرجت على أتان لی قمراء «۳» معنا شارف لنا «۴»، و الله ما تبض بقطرة و لا ننام ليلتان أجمع من صبينا الذی معنا من بكائه من الجوع، ما فی ثديی ما يغنيه و ما فی شارفنا ما يغذيه، و لكنا نرجو الغيث و الفرج.

فخرجت على أتانی تلك، فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم، ضعفا و عجفا. حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا و قد عرض عليها رسول الله

---

(۱) هی حليمة بنت أبی ذؤيب، و أبو ذؤيب هو عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناضرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن غيلان بن مضر. و انظر ترجمتها: فی الاستيعاب الترجمة رقم (۳۳۳۶)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۰۵۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۸۵۵).

(۲) سنة شهباء: إذا كانت مجدبة بيضاء من الجدب لا يرى فيها خضرة، و قيل الشهباء التی ليس فيها مطر. انظر: اللسان (مادة شهب).

(۳) القمراء: لون يميل إلى الخضرة، و قيل بياض، فيه كدرة يقال: حمار أقمر و أتان قمراء أی بيضاء و ليلة قمراء أی مضيئة. انظر: اللسان (مادة قمر).

(۴) الشارف: الناقة التی قد أسنت و قال أبو الأعرابی الشارف الناقة الهمة، و الشارف من الإبل المسن و المسنة و الجمع شوارف. انظر: اللسان (مادة شرف).

الاكتفاء، الكلاعی، ج۱،ص:۱۱۱

صلى اللّه عليه و سلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، و ذلک أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى، فكنا نقول: يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده!! فكنا نكرهه لذلک.

فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى. فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى: و الله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى و لم آخذ رضيعا، و الله لأذهبن إلى ذلک اليتيم فلآخذنه.

قال: لا عليک أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته، و ما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره.

فلما أخذته رجعت به إلى رحلى، فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن، فشرب حتى روى و شرب معه أخوه حتى روى. ثم ناما و ما كنا ننام معه قبل ذلک. و قام زوجى إلى شارفنا تلک فإذا إنها لحافل «۱»، فحلب منها ما شرب و شربت حتى انتهينا ريا و شبعا.

فبتنا بخير ليلة، يقول صاحبى حين أصبحنا: تعلمى و الله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة! قلت: و الله إنى لأرجو ذلک. ثم خرجنا، و ركبت أتانى و حملته عليها معى، فو الله لقطعت بالركب، ما يقدر على شىء من حميرهم، حتى إن صواحبى ليقلن: يا بنت أبى ذؤيب ويحک! اربعى «۲» علينا! أ ليست هذه أتانک التى كنت خرجت عليها؟! فأقول لهن: بلى و الله إنها لهى. فيقلن: و الله إن لها لشأنا.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بنى سعد، و لا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا، فنحلب و نشرب و ما يحلب إنسان قطرة لبن و لا يجدها فى ضرع، حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم:

ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب. فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن و تروح غنمى شباعا لبنا.

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة و الخير، حتى مضت سنتان و فصلته. و كان يشب شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جعفرا. فقدمنا به على أمه و نحن أحرص شىء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته.

---

(۱) حافل: ممتلئة الضرع من اللبن، و الحفل اجتماع اللبن فى الضرع، و المحفلة التى اجتمع لبنها فى ضرعها أياما.

(۲) اربعى: أى انتظرينا، و هى من ربع يربع إذا وقف و انتظر. انظر: اللسان (مادة ربع).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۱۲

فكلمنا أمه و قلت لها: لو تركت بنى عندى حتى يغلظ، فإنى أخشى عليه و باء مكة. فلم نزل بها حتى ردته معنا، فرجعنا به.

فو الله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفى بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لى و لأبيه ذاک أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه.

قالت: فخرجت أنا و أبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا وجهه. قالت: فالتزمته و التزمه أبوه، فقلنا: ما لک يا بنى؟ قال: «جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو» «۱».

قالت: فرجعنا به إلى خبائنا و قال لى أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلک به.

قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمک به يا ظئر «۲» و لقد كنت حريصة عليه و على مكثه عندک؟.

قلت: قد بلغ و الله بابنى، و قضيت الذى على، و تخوفت الأحداث عليه، فأديته عليک كما تحبين. قالت: ما هذا شأنک، فاصدقينى خبرک. قالت: فلم تدعنى حتى أخبرتها.

قالت: أ فتخوفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم.

قالت: كلا و الله ما للشيطان عليه سبيل، و إن لبنى لشأنا، أ فلا أخبرک خبره، قلت:

بلى. قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى قصور بصرى من أرض الشام.

ثم حملت به، فو الله ما رأيت من حمل قط كان أخف و لا أيسر منه، و وقع حين ولدته و إنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى

السماء. دعيه عنك و انطلقى راشدة «۳».

---

(۱) قصة شق صدر النبىّ، و هو عند حليمة السعدية مشهوره، و قد رواها الإمام مسلم فى صحيحه (۱/ ۱۰۱، ۱۰۲) عن أنس بن مالك: «أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أتاه جبريل، و هو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرجه، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لزمه ثم أعاده إلى مكانه، و جاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعنى مرضعته، أن محمدا قد قتل فاستقبلوه و هو منتقع اللون».

(۲) الظئر: مهموز العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس و الإبل الذكر و الأنثى فى ذلك سواء و الجمع اظئار. انظر: اللسان (مادة ظئر).

(۳) انظر: السيرة (۱۴۴- ۱۴۶).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۱۳

و يروى أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قالوا له: يا رسول الله: أخبرنا عن نفسك. قال: «نعم، أنا دعوة أبى إبراهيم، و بشارة عيسى ابن مريم، و رأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، و استرضعت فى بنى سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا، أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا، فأخذانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى و بطنى بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزننى بعشرة فوزنتهم. ثم قال زنه بمائة من أمته. فوزننى بهم فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته. فوزننى بهم فوزنتهم. فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنها» «۱».

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: «ما من نبى إلا و قد رعى الغنم». قيل: و أنت يا رسول الله؟ قال: «و أنا» «۲».

و كان يقول لأصحابه: «أنا أعربكم، أنا قرشى و استرضعت فى بنى سعد بن بكر» «۳».

و زعم الناس فيما يتحدثون «۴»، و الله أعلم، أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها فى الناس و هى مقبلة به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب فقالت له: إنى قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعلى مكة أضلنى، فو الله ما أدرى أين هو.

فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده، فيزعمون أنه وجده و رقة بن نوفل و رجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب فقالا: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة. فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه و هو يطوف بالكعبة يعوذه و يدعو له؛ ثم أرسل به إلى أمه آمنة.

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير القرطبى (۲/ ۱۳۱)، تفسير الطبرى (۱/ ۴۳۵)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۱۳۹، ۵/ ۲۰۷)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۱۸۳۳، ۳۱۸۳۴، ۳۱۸۳۵، ۳۱۸۸۹)، دلائل النبوة للبيهقى (۱/ ۶۹)، طبقات ابن سعد (۱/ ۱/ ۹۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۲/ ۲۷۵).

(۲) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۹۲۴۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۲۴).

(۳) انظر الحديث فى: كشف الخفاء للعجلونى (۱/ ۲۳۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۱۸۸۴)، طبقات ابن سعد (۱/ ۱/ ۷۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۲/ ۲۷۷).

(۴) انظر: السيرة (۱/ ۱۴۸).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۱۴

و ذكر بعض أهل العلم «۱» أن مما هاج أمه السعدية على رده، ما ذكرت لأمه و ما أخبرتها عنه، أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه و سألوها عنه، و قلبوه، ثم قالوا لها: لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به إلى ملكنا و بلدنا، فإن هذا

غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره. فلم تكد تنفلت به منهم.

و ذكر الواقدى أن أمه حليمة السعدية بعد أن رجعت به من عند أمه حضرت به سوق ذى المجاز، و بها يومئذ عراف من هوازن يؤتى إليه بالصبيان ينظر إليهم، فلما نظر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و إلى الحمرة فى عينيه و إلى خاتم النبوة، صاح: يا معشر العرب فاجتمع إليه أهل الموسم، فقال: اقتلوا هذا الصبى. و انسلت به حليمة. فجعل الناس يقولون: أى صبى هو؟ فيقول: هذا الصبى. فلا يرون شيئا، قد انطلقت به أمه، فيقال له:

ما هو؟ فيقول: رأيت غلاما، و آلهتكم، ليغلبن أهل دينكم و ليكسرن أصنامكم و ليظهرن أمره عليكم. فطلب بعكاظ فلم يوجد.

و رجعت به حليمة إلى منزلها، فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من الناس. و لقد نزل بهم عراف، فأخرج إليه صبيان أهل الحاضر، و أبت حليمة أن تخرجه إليه، إلى أن غفلت عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فخرج من المظلة فرآه العراف فدعاه فأبى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دخل الخيمة، فجهد بهم العراف أن يخرج إليه فأبت. فقال: هذا نبى.

و قد عرضه عمه أبو طالب على عائف من لهب، كان إذا قدم من مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم و يعتاف لهم، فأتاه به أبو طالب و هو غلام مع من يأتيه، قال:

فنظر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم شغله عنه شيء فقال: الغلام على به. فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه، فجعل يقول: ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا، فو الله ليكونن له شأن.

و انطلق به أبو طالب. و كانت حليمة بعد رجوعها به من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا. فغفلت عنه يوما فى الظهيرة، فخرجت تطلبه حتى تجده مع أخته. فقالت:

فى هذا الحر؟! فقالت أخته: يا أمه، ما وجد أخى حرا، رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت و إذا سار سارت، حتى انتهى إلى هذا الموضع.

تقول أمها: أ حقا يا بنية؟ قالت: إى و الله. قال: تقول حليمة: أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابنى. فكان ابن عباس يقول: رجع إلى أمه و هو ابن خمس سنين. و كان غيره يقول: رجع إليها و هو ابن أربع سنين. هذا كله عن الواقدى.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۴۸– ۱۴۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۱۵

قال ابن إسحاق: فكان النبىّ صلى اللّه عليه و سلم مع أمه آمنة و جده عبد المطلب فى كلاءة الله و حفظه، ينبته الله نباتا حسنا لما يريد من كرامته. فلما بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة و المدينة «۱».

و كان قد قدمت به إلى أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم، فماتت و هى راجعة به إلى مكة. فكان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مع جده عبد المطلب.

و كان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له. فكان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يأتى و هو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابنى فو الله إن له لشأنا.

ثم يجلسه معه عليه و يمسح ظهره بيده و يسره ما يراه يصنع «۲».

قالوا: و كانت أم أيمن تحدث تقول: كنت أحضن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فغفلت عنه يوما فلم أدر إلا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول: يا بركة، قلت: لبيك، قال: أ تدرين أين وجدت ابنى؟ قلت: لا أدرى. قال: وجدته مع غلمان قريبا من السدرة، لا تغفلى عن ابنى، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نبى هذه الأمة، و أنا لا آمن عليه منهم.

و كان لا يأكل طعاما إلا قال: على بابنى. فيؤتى به إليه.

و حدث كعب بن مالك عن شيوخ من قومه أنهم خرجوا عمارا، و عبد المطلب يومئذ حى بمكة، و معهم رجل من يهود تيماء، صحبهم للتجارة يريد مكة أو اليمن، فنظر إلى عبد المطلب، فقال: إنا نجد فى كتابنا الذى لم يبدل أنه يخرج من ضئضئ هذا نبى يقتلنا و قومه قتل عاد.

و جلس عبد المطلب يوما فى الحجر و عنده أسقف نجران: و كان صديقا له، و هو يحادثه و هو يقول: إنا نجد صفة نبى بقى من ولد إسماعيل، هذه مولده، من صفته كذا و كذا.

و أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على هذا الحديث، فنظر إليه الأسقف و إلى عينيه و إلى ظهره و إلى قدميه، فقال: هو هذا. فقال الأسقف: ما هذا منك؟ قال: ابنى. قال الأسقف: لا،

---

(١) انظر: السيرة (١/ ١۴٩).

(٢) انظر: السيرة (١/ ١۴٩).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج١،ص:١١۶

ما نجد أباه حيّا. قال عبد المطلب: هو ابن ابنى مات أبوه و أمه حبلى به. قال: صدقت.

قال عبد المطلب: تحفظوا بابن أخيكم، أ لا تسمعون ما يقال فيه؟!.

و خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوما يلعب مع الغلمان حتى بلغ الردم، فرآه قوم من بنى مدلج فدعوه، فنظروا إلى قدميه و إلى أثره، ثم خرجوا فى طلبه حتى صادفوا عبد المطلب قد لقيه فاعتنقه، فقالوا لعبد المطلب: ما هذا منك؟ قال: ابنى. قالوا: فاحتفظ به، فإنا لم نر قدما قط أشبه بالقدم الذى فى المقام من قدمه.

فقال عبد المطلب لأبى طالب: اسمع ما يقول هؤلاء. فكان أبو طالب يحتفظ به.

و قد روى أبو داود السجستانى من حديث ابن عباس، قال: أتى نفر من قريش امرأة كاهنة، فقالوا: أخبرينا بأقربنا شبها بصاحب هذا المقام.

قالت: إن جررتم على السهلة عباءة و مشيتم عليها أنبأتكم بأقربكم شبها به. فجروا عليها عباءة، ثم مشوا عليها، فرأت أثر قدم لمحمد صلى اللّه عليه و سلم، فقالت: هذا و الله أقربكم شبها به.

قال ابن عباس: فمكثوا بعد عشرين سنة، ثم بعث محمد صلى اللّه عليه و سلم. و لما ظهر سيف بن ذى يزن على الحبشة، و ذلك بعد مولد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم أتته وفود العرب و أشرافها و شعراؤها يهنئونه و يمدحونه و يذكرون من حسن بلائه و طلبه بثأر قومه.

فأتاه وفد قريش و فيهم عبد المطلب بن هاشم فى أناس من وجوه قريش، فقدموا عليه صنعاء فأذن لهم، فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه فى الكلام، فقال:

إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك.

فقال عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا، شامخا باذخا، و أنبتك منبتا طابت أرومته و عزت جرثومته، و ثبت أصله، و بسق فرعه، فى أكرم موطن، و أطيب معدن.

و أنت أيها الملك رأس العرب الذى به تنقاد، و عمودها الذى عليه العماد، و معقلها الذى يلجأ إليه العباد، سلفك لك خير سلف، و أنت لنا فيه خير خلف، فلم يخمل من أنت سلفه، و لن يهلك من أنت خلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله و سدنة بيته، أشخصنا إليك الذى أبهجنا بكشف الكرب الذى فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج١،ص:١١٧

فقال له سيف: و أيهم أنت أيها المتكلم؟ فقال: أنت عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن أختنا؟ قال: نعم؟ قال: أدنه، فأدناه. ثم أقبل عليه و على القوم، فقال لهم: مرحبا و أهلا، قد سمع الملك مقالتكم و عرف قرابتكم و قبل وسيلتكم، و أنتم أهل الليل و النهار، فلكم الكرامة ما أقمتم و الحباء إذا ظعنتم.

ثم أنهضوا إلى دار الضيافة و الوفود، فأقاموا شهرا لا يصلون إليه و لا يأذن لهم بالانصراف. ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب، فقال له: إنى مفوض إليك من سنى علمى أمرا لو يكون غيرك لم أبح له به، و لكنى رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مكنونا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره.

إنى أجد فى الكتاب المكنون و العلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا و اجتبيناه دون غيرنا خيرا عظيما و خطرا جسيما، فيه شرف الحياة و فضيلة الوفاة، للناس عامة و لرهطك كافة، و لك خاصة.

فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سر و بر، فما هو؟ فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر .. فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة و لكم به الزعامة إلى يوم القيامة.

فقال له عبد المطلب: لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد، و لو لا هيبة الملك و إجلاله و إعظامه لسألته من ساره إياى ما أزداد به سرورا.

فقال له ابن ذى يزن: هذا حينه الذى يولد فيه، أو قد ولد، اسمه محمد، يموت أبوه و أمه و يكفله جده و عمه، قد ولدناه مرارا و الله باعثه جهارا و جاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه و يذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عرض، و يستبيح بهم كرائم الأرض، و يكسر الصلبان و يخمد النيران و يعبد الرحمن و يدحر الشيطان، قوله فصل و حكمه عدل، يأمر بالمعروف و يفعله، و ينهى عن المنكر و يبطله.

فقال له عبد المطلب: عز جدك و علا كعبك و دام ملكك و طال عمرك، فهل الملك سارى بإفصاح، فقد أوضح لى بعض الإيضاح.

فقال له ابن ذى يزن: و البيت و الحجب، و العلامات و النصب، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب. فخر عبد المطلب ساجدا، فقال له: ارفع رأسك ثلج صدرك و علا أمرك، هل أحسست بشىء مما ذكرت لك؟.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ١،ص:١١٨

فقال عبد المطلب: كان لى ابن، و كنت عليه رفيقا، فزوجته كريمة من كرائم قومه، فجاء بغلام فسميته محمدا، فمات أبوه و أمه، و كفلته أنا.

فقال له ابن ذى يزن: إن الذى قلت لك كما قلت، فاحتفظ بابنك و احذر عليه اليهود، فإنهم أعداؤه، و لن يجعل الله عليه سبيلا، و اطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنى لا آمن أن تدخلهم التعاسة من أن تكون لكم الرئاسة، فيطلبون له الغوائل و ينصبون له الحبائل، و هم فاعلون و أبناؤهم، و لو لا أنى أعلم أن الموت مخترمى قبل مبعثه لسرت بخيلى و رجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه، فإنى أجد فى الكتاب الناطق و العلم السابق أن بيثرب استحكام أمره و أهل النصرة له، و موضع قبره، و لو لا أنى أخاف عليه الآفات و احذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه بذكره، و لكنى صارف ذلك إليك، من غير تقصير بمن معك.

ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد و عشر إماء، و حلس من البرود، و مائة من الإبل، و خمسة أرطال ذهب، و عشرة أرطال فضة، و كرش مملوءة عنبرا. و أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك كله، و قال له: إذا حال الحول فائتنى. فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول، فكان عبد المطلب كثيرا ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطنى أحدكم بجزيل عطاء الملك و إن كثر، فإنه إلى نفاد، و لكن ليغبطنى بما يبقى لى و لعقبى من بعدى ذكره، و فخره و شرفه. فإذا قيل له: فما ذاك؟ قال: ستعلمون نبأه و لو بعد حين.

و حديث سيف بن ذى يزن هذا عن غير ابن إسحاق و هو عندنا بالإسناد، و قد تقدم ما ألقاه تبع الآخر إلى ملوك حمير و أبنائهم من أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أن علم سيف بذلك إنما كان من تلك الجهات. و الله أعلم.

ثم إن عبـد المطلب بن هاشم هلک عن سن عالیة مختلف فی حقیقتها «۱». أدناها فیما انتهی إلی و وقفت علیه، خمس و تسعون سنة؛ ذکره الزبیر.

و أعلاها فیما ذکر الزبیر أیضا، عن نوفل بن عمارة قال: کان عبید بن الأبرص ترب عبد المطلب، و بلغ مائة و عشرین سنة، و بقی عبد المطلب بعده عشرین سنة.

و قال محمد بن سعید بن المسیب: لما حضرت الوفاة عبد المطلب و عرف أنه میت جمع بناته و کن ستا: صفیة، و برة، و عاتکة، و أم حکیم البیضاء، و أمیمة و أروی، فقال

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۴۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۱۹

لهن: ابکین علی حتی أسمع ما تقلن قبل أن أموت. فقالت کل واحدة منهن شعرا ترثیه به و أنشدته إیاه، فأشار برأسه، و قد أصمت: أن هکذا فابکیننی. و ذکر ابن إسحاق تلک الأشعار «۱».

و قال ابن هشام: إنه لم یر أحدا من أهل العلم بالشعر یعرفها «۲».

قال ابن إسحاق: و قال حذیفة بن غانم أخو بنی عدی بن کعب یبکی عبد المطلب بن هاشم، و یذکر فضله، و فضل قصی علی قریش و فضل ولده من بعده علیهم:

أ عینی جودا بالدموع علی الصدرو لا تسأما أسقیتما سبل القطر «۳»

و جودا بدمع و اشفحا کل شارق‌بکاء امرئ لم یشوه نائب الدهر «۴»

و سحا و جما و اسجما ما بقیتماعلی ذی حیاء من قریش و ذی ستر

علی رجل جلد القوی ذی حفیظةجلیل المحیا غیر نکس و لا هذر

علی المزد البهلول ذی البأس و الندی‌ربیع لؤیّ فی القحوط و فی العسر

علی خیر حاف من معد و ناعل‌کریم المساعی طیب الخیم و النجر «۵»

علی شیبة الحمد الذی کان وجهه‌یضیء سواد اللیل کالقمر البدر

و ساقی الحجیج ثم للخیر هاشم‌و عبد مناف ذلک السید الفهری

طوی زمزما عند المقام فأصبحت‌سقایته فخرا علی ذی فخر

لیبک علیه کل عان بکربةو آل قصی من مقل و ذی وفر

بنوه سراة کهلهم و شبابهم‌تفلق عنهم بیضة الطائر الصقر

---

(۱) انظر ما ذکره ابن إسحاق فی: السیرة (۱/ ۱۵۰- ۱۵۴).

(۲) هذا قول ابن هشام فی السیرة و قد ذکر أنه ذکرها لأنه رواه عن محمد بن سعید بن المسیب فکتبه. انظر: السیرة (۱/ ۱۵۰).

(۳) سبل: أی المطر، و قیل: هو المطر بین السحاب و الأرض حین یخرج من السحاب و یخرج من الأرض. انظر: اللسان (مادة سبل).

(۴) کل شارق: الشارق أی کل یوم طلعت فیه الشمس، و قیل: الشارق قرن الشمس. و لم یشوه:

الإشواء یوضع موضع الإبقاء، قال أبو منصور: هذا کله من إشواء الرامی و ذلک إذا رمی فأصاب الأطراف و لم یصیب المقتل فیوضع الإشواء موضع الخطأ و الشیء الهین.

(۵) أورد فی السیرة بعد هذا البیت بیتین لم یذکرهما هنا هما:

و خیرهم أصلا و فرعا و معدناو أحظاهم بالمکرمات و بالذکر

و أولاهم بالمجد و الحلم و النهی و بالفضل عند المجحفات من الغبر انظر: السیرة (۱/ ۱۵۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۲۰ قصی الذی عادی کنانة کلهاو رابط بیت الله فی العسر و الیسر

فإن تک غالته المنایا و صرفهافقد عاش میمون النقیبة و الأمر

و أبقی رجالا سادة غیر عزلمصالیت أمثال الردینیة السمر

أبو عتبة الملقی إلی حباءهأغر هجان اللون من نفر غر

و حمزة مثل البدر یهتز للندینقی الثیاب و الذمام من الغدر

و عبد مناف ماجد ذو حفیظةوصول لذی القربی رحیم بذی الصهر

کهولهم خیر الکهول و نسلهمکنسل الملوک لا تبور و لا تحری

متی ما تلاقی منهم الدهر ناشئاتجده بإجریا أوائله یجری

هم ملأوا البطحاء مجدا و سؤدداإذا استبق الخیرات فی سالف العصر

و هم حضروا و الناس باد فریقهمو لیس بها إلا شیوخ بنی عمرو

بنوها دیارا جمة و طووا بهابئرا تسح الماء من ثبج بحر

لکی یشرب الحجاج منها و غیرهمإذا ابتدروها صبح تابعة النحر

ثلاثة أیام تظل رکابهممحبسة بین الأخاشب و الحجر

و قدما غنینا قبل ذلک حقبةو لا نستقی إلا بخم أو الحفر

هم یغفرون الذنب ینقم دونهو یعفون عن قول السفاهة و الهجر

أ خارج إما أهلکن فلا تزللهم شاکرا حتی تغیب فی القبر

و لا تنس ما أسدی ابن لبنی فإنهقد أسدی یدا محقوقة منک بالشکر

و أنت ابن لبنی من قصی إذا انتمواوبحیث انتهی قصد الفؤاد من الصدر

و أمک سر من خزاعة جوهرإذا حصل الأنساب یوما ذوو الخبر

إلی سبأ الأبطال تنمی و تنتمیو أکرم بها منسوبة فی ذری الدهر «*» ابن لبنی هذا أبو لهب عبد العزی بن عبد المطلب، و هو أبو عتبة الذی ذکره قبل فی هذا الشعر. و کانت أمه امرأة من خزاعة اسمها لبنی بنت هاجر. و لذلک قال: «و أمک سر من خزاعة» «۱».

و نماها إلی سبأ الأبطال بناء علی ما قدمناه من انتماء خزاعة إلی عمرو بن عامر، من

(*) أورد فی السیرة بعد هذا البیت بیتین لم یذکرهما هنا هما:

أبو شمیر منهم و عمرو بن مالکو ذو جدن من قومها و أبو الجبر

و أسعد قاد الناس عشرین حجةیؤید فی تلک المواطن بالنصر انظر: السیرة (۱/ ۱۵۷، ۱۵۸).

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۵۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۲۱

غسان و انتفائهم من المضریة. و الید التی ذکر هذا الشاعر أنها ترتبت علیه لأبی لهب:

و ذکر ابن إسحاق أنه کان أخذ بغرم أربعة آلاف درهم بمکة، فوقف بها، فمر به أبو لهب فافتکه.

و نسب الزبیر هذا الشعر لحذافة بن غانم، و دلیله قوله فیه:

«أ خارج إما أهلكن» ... البيت.

فإن خارجة هو ابن حذافة و حذيفة الذى نسب ابن إسحاق إليه الشعر هو أخو حذافة، و لا يعرف له ابن يسمى خارجة، و إنما هو والد أبى جهم بن حذيفة، و اسم أبى جهم عبيد «۱»، و هو الذى بعث إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالخميصة ذات الأعلام التى ألهته عن صلاته، و أمر أن يؤتى بأنبجانية.

و لما هلك عبد المطلب، ولى زمزم و السقاية عليها ابنه العباس و هو يومئذ من أحدث إخوته سنا، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام و هى بيده، فأقرها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على ما مضى من ولايته، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يجله إجلال الولد الوالد.

يقول كريب مولى ابن عباس: و ما ينبغى لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يجل إلا والدا أو عما، فضيلة خص الله بها العباس دون من سواه. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «احفظونى فى عمى عباس، فإن عم الرجل صنو أبيه» «۲».

و طلع يوما على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «هذا العباس أجود قريش كفّا و أوصلها» «۳».

و لم يزل العباس سيدا فى الجاهلية و الإسلام، يمنع الجار و يبذل المال و يعطى فى النوائب.

قال الزبير: و كان يقال: كان للعباس بن عبد المطلب ثوب لعارى بنى هاشم، و جفنة

---

(۱) هو: أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب القرشى العدوى، قيل: اسمه عامر بن حذيفة، و قيل: عبيد الله بن حذيفة.

انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۹۲۹)، الإصابة الترجمة رقم (۹۷۰۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۷۸۰).

(۲) أخرجه الطبرانى فى الصغير (۱/ ۲۰۷)، الخطيب البغدادى فى التاريخ (۱۰/ ۶۸)، الهيثمى فى المجمع (۹/ ۲۶۹)، المتقى الهندى فى الكنز (۳۳۳۸۹، ۳۳۳۹۵، ۳۳۳۹۶، ۳۳۴۱۱)، ابن عدى فى الضعفاء (۲/ ۷۶۸).

(۳) أخرجه ابن كثير فى البداية و النهاية (۷/ ۱۶۱)، السيوطى فى اللآلئ المصنوعة (۱/ ۲۲۳)، الحاكم فى المستدرك (۳/ ۳۲۸، ۳۲۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۲۲

لجائعهم، و مقطرة لجاهلهم. و المقطرة: خشبة ذات سلسلة يحبس فيها الناس. و فى ذلك يقول إبراهيم بن على بن هرمة:

و كانت لعباس ثلاث نعدهاإذا ما جناب الحى أصبح أشهبا

فسلسلة تنهى الظلوم و جفنةتناخ فيكسوها السنام المرغبا

و حلمة عصب ما تزال معدةلعار ضريكك ثوبه قد تهدبا و قال ابن شهاب: لقد جاء الله بالإسلام و إن جفنة العباس لتدور على فقراء بنى هاشم، و إن قيده و سوطه لمعد لسفهائهم. قال: فكان ابن عمر يقول: هذا و الله الشرف، يطعم الجائع و يؤدب السفيه!.

و كان أبو بكر و عمر فى ولايتهما لا يلقى العباس واحد منهما و هو راكب إلا نزل عن دابته و قادها و مشى مع العباس حتى يبلغ منزله أو مجلسه فيفارقه. و بقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد مهلك جده عبد المطلب مع عمه أبى طالب. و كان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون.

و ذلك أن عبد الله أبا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبا طالب أخوان لأب و أم، فكان أبو طالب هو الذى يلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد جده، فكان إليه و معه «۱».

و ذكر الواقدى أن أبا طالب كان مقلا من المال، و كانت له قطعة من الإبل تكون بعرنة، فيبدو إليها فيكون فيها، و يؤتى بلبنها إذا كان حاضرا بمكة.

فكان عيال أبى طالب إذا أكلوا جميعا و فرادى لم يشبعوا، و إذا أكل معهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم شبعوا. فكان أبو طالب إذا

أراد أن يعشيهم أو يغديهم يقول: كما أنتم حتى يأتى ابنى.

فيأتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم؛ و إن كان لبنا شرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أولهم، ثم يناول العيال القعب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم من القعب الواحد، و إن كان أحدهم ليشرب قعبا!. فيقول أبو طالب: إنك لمبارك!. و كان الصبيان يصبحون شعثا رمضا و يصبح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم دهينا كحيلا.

و قالت أم أيمن «۲»، و كانت تحضنه: ما رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم شكا جوعا قط و لا

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۵۹).

(۲) هى: بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، غلبت عليها كنيتها. انظر ترجمتها فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۲۸۷)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۹۲۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۲۳

عطشا، و كان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: لا أريده أنا شبعان.

قال ابن إسحاق «۱»: ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجرا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل صب به «۲» رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما يزعمون، فرق له أبو طالب و قال: و الله لأخرجن به معى و لا يفارقنى و لا أفارقه أبدا أو كما قال.

فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى «۳» من أرض الشام، و بها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له، و كان إليه علم أهل النصرانية، و لم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر.

فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى و كانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم و لا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا، و ذلك فيما يزعمون عن شىء رآه و هو فى صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الركب حين أقبلوا و غمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة و تهصرت «۴» أغصان الشجرة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته و قد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إنى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش و أحب أن تحضروا كلكم صغيركم و كبيركم و عبدكم و حركم. فقال له رجل منهم:

و الله يا بحيرى إن لك اليوم لشأنا! ما كنت تصنع هذا بنا، و قد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟.

قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، و لكنكم ضيف، و قد أحببت أن أكرمكم و أصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم. فاجتمعوا إليه و تخلف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم، فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف

---

(۱) هذه قصة بحيرى، و قد ذكرها ابن إسحاق فى السيرة (۱/ ۱۶۰- ۱۶۲).

(۲) صب به: الصبابة الشوق، و قيل: رقته و حرارته، و قيل: رقة الهواء، و صب الرجل إذا عشق يصب صبابا. انظر: اللسان (مادة صبب).

(۳) بصرى: موضع بالشام من أعمال دمشق و هى قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب. انظر:

معجم البلدان (۱/ ۴۴۱).

(۴) تهصرت: قال الجوهرى: هصرت الفض بالكسر إذا أخذت برأسه فأملته إليك، و تهصرت أغصان الشجر أى تهدلت عليه. انظر: اللسان (مادة هصر).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۲۴

و يجد عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى.

فقالوا له: يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام، و هو أحدث القوم سنا، فتخلف فى رحالهم. فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.

فقال رجل من قريش: و اللات و العزى، إن كان للؤما بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا. ثم قام إليه فاحتضنه و أجلسه مع القوم.

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا و ينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم و تفرقوا قام إليه بحيرى فقال: يا غلام أسألك بحق اللات و العزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه. و إنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما. فزعموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «لا تسألنى باللات و العزى شيئا، فو الله ما أبغضت شيئا قط بغضهما». فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه. قال له: سلنى عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه و هيئته و أموره، و يخبره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته و أموره و يخبره. ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده. فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب، فقال:

ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى، قال: ما هو بابنك، و ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخى. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات و أمه حبلى به.

قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، و احذر عليه يهود، فو الله لئن رأوه و عرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده «۱».

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

فزعموا أن نفرا من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما رأى بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب، فأرادوه فردهم عنه بحيرى، و ذكرهم الله

---

(۱) ذكر قصة بحيرى: الترمذى فى السنن (۳۶۲۰)، ابن أبى شيبة فى المصنف (۱۱/ ۴۷۹، ۱۴/ ۲۸۶)، أبو نعيم فى الدلائل (۱۲۹)، الحاكم فى المستدرك (۲/ ۶۱۶)، ابن حجر فى الفتح (۸/ ۵۸۷)، ابن هشام فى السيرة (۱/ ۱۶۰)، ابن سعد فى الطبقات (۱/ ۱۲۰)، الطبرى فى التاريخ (۲/ ۲۷۷)، ابن عساكر فى تاريخ دمشق (۱، ۱۰)، السهيلى فى الروض الأنف (۱/ ۲۰۵- ۲۰۸).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱، ص:۱۲۵

و ما يجدون فى الكتاب من ذكره و صفاته، و أنهم إن أجمعوا إلى ما أرادوا لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم و صدقوه بما قال، فتركوه و انصرفوا عنه.

فشب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يكلؤه الله و يحفظه، و يحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته و رسالته. حتى بلغ أن كان رجلا- أفضل قومه مروءة، و أحسنهم خلقا، و أكرمهم حسبا، و أحسنهم جوارا، و أعظمهم حلما، و أصدقهم حديثا و أعظمهم أمانة، و أبعدهم من الفحش و الأخلاق التى تدنس الرجال، تنزها و تكرما. حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

و كان صلى اللّه عليه و سلم يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره و أمر جاهليته، أنه قال: لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى و أخذ إزاره و جعله على رقبته يحمل عليها الحجارة، فإنى لأقبل معهم كذلك و أدبر إذ لكمنى لاكم ما أراه لكمة وجيعة، ثم قال: شد عليك إزارك. قال: فأخذته فشددته على، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى و

إزارى على من بين أصحابى «۱». و ذكر البخارى عنه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «ما هممت بسوء من أمر الجاهلية إلا مرتين» «۲».

و روى غيره أن إحدى المرتين كان فى غنم يرعاها هو و غلام من قريش، فقال لصاحبه: «اكفنى أمر الغنم حتى آتى مكة»، و كان بها عرس فيها لهو، فلما دنا من الدار ليحضر ذلك ألقى عليه النوم، فنام حتى ضربته الشمس، عصمة من الله له!. و المرة الأخرى مثل الأولى سواء.

و ذكر الواقدى عن أم أيمن قالت: كانت بوانة صنما تحضره قريش و تعظمه و تنسك له و تحلق عنده و تعكف عليه يوما إلى الليل فى كل سنة، فكان أبو طالب يحضره مع قومه و يكلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يحضر ذلك العيد معهم فيأبى ذلك.

قالت: حتى رأيت أبا طالب غضب عليه و رأيت عماته غضبن يومئذ أشد الغضب، و جعلن يقلن: إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا. و يقلن: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا و لا تكثر لهم جمعا؟!

فلم يزالوا به حتى ذهب، فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا، فقلن له: ما

---

(۱) ذكره ابن إسحاق فى السيرة (۱/ ۱۶۲- ۱۶۳)، البيهقى فى دلائل النبوة (۲/ ۳۱)، ابن حجر فى فتح البارى (۷/ ۱۸۱)، ابن كثير فى البداية و النهاية (۲/ ۲۸۷).

(۲) أخرجه الهيثمى فى المجمع (۸/ ۲۲۶)، المتقى الهندى فى الكنز (۳۵۴۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۲۶

دهاك؟ قال: إنى أخشى أن يكون بى لمم. فقلن: ما كان الله عز و جل ليبتليك بالشيطان و فيك من خصال الخير ما فيك، فما الذى رأيت؟.

قال: إنى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى: وراءك يا محمد لا تمسه. قالت: فما عاد إلى عيد لهم حتى نبئ صلوات الله عليه و على آله.

و لما بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خمسا و عشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد، فيما ذكره غير واحد من أهل العلم «۱».

و ذكر الواقدى بإسناد له إلى نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية، و قد رويناه أيضا من طريق أبى على بن السكن، و حديث أحدهما داخل فى حديث الآخر مع تقارب اللفظ، و ربما زاد أحدهما الشيء اليسير، و كلاهما ينمى إلى نفيسة.

قالت: لما بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، خمسا و عشرين سنة و ليس له بمكة اسم إلا الأمين، لما تكاملت فيه من خصال الخير، قال أبو طالب: يا ابن أخى أنا رجل لا مال لى، و قد اشتد الزمان علينا و ألحت علينا سنون منكرة، و ليست لنا مادة و لا تجارة، و هذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، و خديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عيراتها فيتجرون لها فى مالها و يصيبون منافع.

فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك و فضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك، و إن كنت لأكره أن تأتى الشام و أخاف عليك من يهود، و لكن لا تجد من ذلك بدا.

و كانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف و مال كثير و تجارة تبعث بها إلى الشام، فتكون عيرها كعامة عير قريش، و كانت تستأجر الرجال و تدفع إليهم المال مضاربة.

و كانت قريش قوما تجارا، و من لم يكن تاجرا من قريش فليس عندهم بشيء.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: فلعلها ترسل إلى فى ذلك. فقال أبو طالب: إنى أخاف أن تولى غيرك، فتطلب أمرا مدبرا. فافترقا، و بلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له، و قبل ذلك ما قد بلغها من صدق حديثه، و عظم أمانته و كريم أخلاقه، فقالت: ما علمت أنه يريد هذا.

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۶۵)، طبقات ابن سعد (۸/ ۱۴- ۱۹)، الروض الأنف للسهيلى (۴/ ۲۶۷)، تاريخ الطبرى (۳/ ۱۶۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۲۷

ثم أرسلت إليه فقالت: إنه دعانى إلى البعث إليك ما بلغنى من صدق حديثك و عظم أمانتك و كرم أخلاقك، و أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك. ففعل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و لقى أبا طالب فذكر له ذلك، فقال: إن هذا لرزق ساقه الله إليك. فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام، و جعل عمومته يوصون به أهل العير، حتى قدم الشام فنزلا فى سوق بصرى فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له:

نسطورا. فاطلع الراهب إلى ميسرة و كان يعرفه، فقال: يا ميسرة، من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة؟.

فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى. ثم قال له: فى عينيه حمرة. قال ميسرة: نعم، لا تفارقه.

فقال الراهب: هو هو، و هو آخر الأنبياء، و يا ليت أنى أدركه حين يؤمر بالخروج.

فوعى ذلك ميسرة. ثم حضر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سوق بصرى، فباع سلعته التى خرج بها و اشترى، فكان بينه و بين رجل اختلاف فى سلعة، فقال الرجل: احلف باللات و العزى. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ما حلفت بهما قط. فقال الرجل: القول قولك.

ثم قال لميسرة، و خلا به: يا ميسرة، هذا نبى، و الذى نفسى بيده إنه لهو، تجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة. ثم انصرف أهل العير جميعا. و كان ميسرة يرى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا كانت الهاجرة و اشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس و هو على بعيره.

قال: و كان الله عز و جل قد ألقى على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المحبة من ميسرة، فكان كأنه عبد لرسول الله. فلما رجعوا و كانوا بمر الظهران تقدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة، و خديجة فى علية لها، معها نساء فيهن نفيسة بنت منية، فرأت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين دخل و هو راكب على بعيره، و ملكان يظلان عليه، فأرته نساءها، فعجبن لذلك.

و دخل عليها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فخبرها بما ربحوا، فسرت بذلك. فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت، فقال لها ميسرة: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام. و أخبرها بقول الراهب نسطورا، و قول الآخر الذى خالفه فى البيع. قالوا: و قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بتجارتها، فربحت ضعف ما كانت تربح، و أضعفت له ما سمت له. فلما استقر عندها هذا، و كانت امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من الكرامة و الخير، و هى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۲۸

يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، و أعظمهن شرفا، و أكثرهن مالا، و كل قومها كان حريصا على نكاحها لو يقدر عليه، عرضت عليه نفسها.

فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عم، إنى قد رغبت فيك لقرابتك وصيتك فى قومك و أمانتك، و حسن خلقك، و صدق حديثك. فلما قالت له ذلك، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها. هكذا ذكر ابن إسحاق «۱».

و ذكر الواقدى و غيره من حديث نفيسة، أن خديجة أرسلت إليه دسيسا، فدعته إلى تزوجها. فلما أجاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد فحضر، و دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى عمومته فزوجه أحدهم. و قال عمرو: هذا

الفحل لا یقدح أنفه.

قال ابن هشام: و أصدقها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عشرین بکرة «۲». و کانت أول امرأة تزوجها، و لم یتزوج علیها غیرها حتی ماتت.

قال ابن إسحاق فولدت خدیجة لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم ولده کلهم، إلا إبراهیم: القاسم و به کان یکنی و الطاهر، و الطیب، و زینب، و رقیة، و أم کلثوم، و فاطمة «۳».

فأما القاسم و الطاهر و الطیب فهلکوا فی الجاهلیة. و أما بناته فکلهن أدرکن الإسلام، فأسلمن و هاجرن معه. هذا قول ابن إسحاق فی ذکور البنین، أنهم هلکوا فی الجاهلیة «۴».

و قال الزبیر بن بکار، و هو من أئمة هذا الشأن: ولدت له القاسم، و عبد الله و هو الطاهر و الطیب، ولد بعد النبوة و مات صغیرا «۵». و فی مسند الفریابی، ما یدل علی أنه مات قبل أن یتم رضاعه و بعد النبوة.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۶۵- ۱۶۸).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۱۶۶).

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۱۶۶).

(۴) انظر: السیرة (۱/ ۱۶۷).

(۵) قیل: أن عبد الله یسمی الطیب و الطاهر و هو ولد بعد النبوة علی الصحیح و هو الذی مات بمکة صغیرا، فقال العاص بن وائل السهمی: قد انقطع ولده فهو أبتر، یعنی النبیّ، فنزل فیه قوله تعالی: إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ. و انظر: المختصر الصغیر (۶۸)، تاریخ دمشق لابن عساکر (۱/ ۱۰۳- ۱۰۸)، ابن الجوزی فی تلقیح فهوم أهل الأثر (۳۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۲۹

و ذلک أن خدیجة دخل علیها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعد موت القاسم و هی تبکی علیه، فقالت: یا رسول الله، لو کان عاش حتی تکمل رضاعته لهون علی. فقال: إن له مرضعا فی الجنة تستکمل رضاعته. فقالت: لو أعلم ذلک لهون علی. فقال: إن شئت أسمعتک صوته فی الجنة. فقالت: بل أصدق الله و رسوله.

قال ابن هشام «۱»: و أما إبراهیم فأمه ماریة سریة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم التی أهداها إلیه المقوقس من حفن من کورة أنصنا. و هی قبطیة من قبط مصر، و هذا هو الصهر الذی ذکره لهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی قوله: «الله الله فی أهل الذمة، أهل المدرة السوداء السحم الجعاد، فإن لهم نسبا و صهرا» «۲».

قال مولی غفرة: نسبهم أن أم إسماعیل النبیّ علیه السلام منهم، و صهرهم أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم تسرر فیهم. و فی حدیث آخر أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خیرا، فإن لهم ذمة و رحما».

قال ابن إسحاق «۳»: و کانت خدیجة بنت خویلد قد ذکرت لورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزی و کان ابن عمها و کان نصرانیا قد تتبع الکتب و علم من علم الناس، ما ذکر لها غلامها میسرة من قول الراهب و ما کان یری منه إذ کان الملکان یظلانه.

فقال ورقة: لئن کان هذا حقا یا خدیجة إن محمدا لنبی هذه الأمة، قد عرفت أنه کائن لهذه الأمة نبی ینتظر، هذا زمانه. أو کما قال.

فجعل ورقة یستبطئ الأمر و یقول:

حتی متی؟! و قال فی ذلک:

لججت و کنت فی الذکری لجوجالهم طالما بعث النشیجا «۴»

و وصف من خدیجة بعد وصففقد طال انتظاری یا خدیجا

ببطن المکتین علی رجائی‌حدیثک أن أری منه خروجا

بما خبرتنا من قول قس‌من الرهبان أکره أن یعوجا «۵»

بأن محمدا سیسود یوماو یخصم من یکون له حجیجا

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۶۷).

(۲) أخرجه المتقی الهندی فی الکنز (۳۴۰۲۳)، الهیثمی فی المجمع (۱۰/ ۶۳)، السیوطی فی جمع الجوامع (۹۶۵۹).

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۱۶۷).

(۴) النشیجا: هو البکاء مع صوت، و الألف الملقحة للإطلاق.

(۵) القس: هو عابد النصاری.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۳۰ و یظهر فی البلاد ضیاء نوریقیم به البریة أن تموجا

فیلقی من یحاربه خساراو یلقی من یسالمه فلوجا

فیا لیتی إذا ما کان ذاکم‌شهدت فکنت أولهم ولوجا

ولوجا فی الذی کرهت قریش‌و لو عجت بمکتها عجیجا

أرجی بالذی کرهوا جمیعاإلی ذی العرش إن سلفوا عروجا

و هل أمر السفاهة غیر کفربمن یختار من سمک البروجا

فإن یبقوا و أبق تکن أموریضج الکافرون لها ضجیجا

و إن أهلک فکل فتی سیلقی‌من الأقدار متلفة حروجا و قال ورقة بن نوفل أیضا فی ذلک، و هو مما رواه یونس بن بکیر عن ابن إسحاق:

أ تبکر أم أنت العشیة رائح‌و فی الصدر من إضمارک الحزن قادح

لفرقة قوم لا أحب فراقهم‌کأنک عنهم بعد یومین نازح

و أخبار صدق خبرت عن محمدیخبرها عنه إذا غاب ناصح

فتاک الذی وجهت یا خیر حرةبغدو و بالنجدین حیث الصحاصح

إلی سوق بصری فی الرکاب التی غدت‌و هن من الأحمال قعص دوالح

فخبرنا عن کل حبر بعلمه‌و للحق أبواب لهن مفاتح

بأن ابن عبد الله أحمد مرسل‌إلی کل من ضمت علیه الأباطح

و ظنی به أن سوف یبعث صادقاکما أرسل العبدان هود و صالح

و موسی و إبراهیم حتی یری له‌بهاء و منشور من الذکر واضح

و یتبعه حیا لؤیّ بن غالب‌شبابهم و الأشیبون الجحاجح

فإن أبق حتی یدرک الناس دهره‌فإنی به مستبشر الود فارح

و إلا فإنی یا خدیجة فاعلمی‌عن أرضک فی الأرض العریضة سائح

ذکر بنیان قریش الکعبة مع ذکر ما أحدثوه فی المناسک

و لما بلغ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خمسا و ثلاثین سنة، اجتمعت قریش لبنیان الکعبة. قال موسی بن عقبة: و إنما حمل قریشا

على ذلك أن السيل كان أتى من فوق الردم الذى صنعوا فأخربه، فخافوا أن يدخلها الماء، و كان رجل يقال له: مليح سرق طيب الكعبة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۳۱

فأرادوا أن يشدوا بنيانها، و أن يرفعوا بابها، حتى لا يدخلها إلا من شاءوا و أعدوا لذلك نفقة، و عمالا، ثم عمدوا إليها ليهدموها على شفق و حذر من أن يمنعهم الله الذى أرادوا.

قال ابن إسحاق «۱»: و كانوا يهمون بذلك ليسقفوها و يهابون هدمها، و إنما كانت رضما «۲» فوق القامة، فأرادوا رفعها و تسقيفها، و ذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة، و إنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة.

قال: و كان الذى وجد عنده الكنز دويك مولى لبنى مليح بن عمرو، من خزاعة قال ابن هشام: فقطعت قريش يده. و تزعم قريش أن الذين سرقوه و ضعوه عند دويك.

قال: و كان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، و كان بمكة رجل قبطى نجار، فتهيأ فى أنفسهم بعض ما يصلحها.

و كانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها ما يهدى لها، فتتشرف على جدار الكعبة، و كانت مما يهابون، و ذلك أنه كان لا يدخلها أحد إلا احزألت «۳» و كشت «۴» و فتحت فاها، فكانوا يهابونها. فبينا هى يوما تتشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائرا فاختطفها، فذهب بها.

فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا، عندنا عامل رفيق و عندنا خشب، و قد كفانا الله الحية.

فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها و بنيانها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم، فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلا طيبا، لا تدخلوا فيها معر بغى و لا بيع ربا، و لا مظلمة أحد من الناس. و الناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم «۵».

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۶۸).

(۲) رضما: الرضم الحجارة يجعل بعضها على بعض.

(۳) احزألت: أى رفعت رأسها.

(۴) كشت: صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض.

(۵) ذكره الطبرى فى تاريخه (۱/ ۵۲۵)، البيهقى فى الدلائل (۲/ ۶۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۳۲

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبنى عبد مناف و زهرة، و كان ما بين الركن الأسود و الركن اليمانى لبنى مخزوم و قبائل من قريش انضموا إليهم، و كان ظهر الكعبة لبنى جمح و بنى سهم، و كان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قصى، و لبنى أسد بن عبد العزى بن قصى، و لبنى عدى بن كعب رهو الحطيم.

ثم إن الناس هابوا هدمها و فرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها و هو يقول: اللهم لم ترع، و يقال: لم نزع اللهم إنا لا نريد إلا الخير.

ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، و قالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا و رددناها كما كانت، و إن لم يصبه شىء هدمنا، فقد رضى الله ما صنعنا.

فأصبح الوليد من ليلته غاديا إلى عمله، فهدم و هدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم أفضوا إلى

حجارة خضر، کالأسنة آخذ بعضها بعضا.

و قال ابن إسحاق «۱»: فحدثنی بعض من یروی الحدیث: أن رجلا من قریش ممن کان یهدمها، أدخل عتلة بین حجرین منها لیقلع بها أحدهما، فلما تحرک الحجر تنقضت مکة بأسرها، فانتهوا عن ذلک الأساس.

قال «۲»: و حدثت أن قریشا وجدوا فی الرکن کتابا بالسریانیة، فلم یدروا ما هو حتی قرأه لهم رجل من یهود، فإذا هو: أنا الله ذو بکة، خلقتها یوم خلقت السموات و الأرض، و صورت الشمس و القمر، و حففتها بسبعة أملاک حنفاء، لا تزول حتی یزول أخشباها، مبارک لأهلها فی الماء و اللبن.

و حدثت أنهم وجدوا فی المقام کتابا فیه: مکة بیت الله الحرام، یأتیها رزقها من ثلاثة سبل، لا یحلها أول من أهلها. و زعم لیث بن أبی سلیم أنهم وجدوا حجرا فی الکعبة قبل مبعث النبیّ صلى اللّه علیه و سلم بأربعین سنة إن کان ما یذکر حقا، مکتوبا فیه: من یزرع خیرا یحصد غبطة، و من یزرع شرا یحصد ندامة، تعملون السیئات، و تجزون الحسنات!! أجل کما لا یجتنى من الشوک العنب.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۷۰- ۱۷۱).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۱۷۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۳۳

قال ابن إسحاق «۱»: ثم إن القبائل من قریش، جمعت الحجارة لبنیانها، کل قبیلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنیان موضع الرکن، فاختصموا فیه، کل قبیلة ترید أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تجاوزوا و تحالفوا، و أعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم و بنو عدی على الموت، و أدخلوا أیدیهم فی ذلک الدم فی تلک الجفنة، فسموا لعقة الدم.

فمکثت قریش على ذلک أربع لیال أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا فی المسجد، فتشاوروا و تناصفوا.

فزعم بعض أهل الروایة، أن أبا أمیة بن المغیرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و کان عائذ أسن قریش کلها، قال: یا معشر قریش، اجعلوا بینکم فیما تختلفون فیه، أول من یدخل من باب هذا المسجد یقضی بینکم؛ ففعلوا. فکان أول داخل رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فلما رأوه، قالوا: هذا الأمین، رضینا، هذا محمد. فلما انتهى إلیهم و أخبروه الخبر قال صلى اللّه علیه و سلم:

«هلم إلی ثوبا». فأتی به، فأخذ الرکن فوضعه فیه بیده ثم قال: «لتأخذ کل قبیلة بناحیة من الثوب ثم ارفعوه جمیعا». ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بیده صلى اللّه علیه و سلم، ثم بنى علیه «۲».

و کانت الکعبة على عهد النبیّ صلى اللّه علیه و سلم، ثمانی عشرة ذراعا، کانت تکسى القباطی، ثم کسیت البرود. و أول من کساها الدیباج، الحجاج بن یوسف. هذا قول ابن إسحاق «۳». و قال الزبیر: أول من کساها الدیباج عبد الله بن الزبیر.

و ذکر جماعة سواهما منهم الدّارقطنی: أن نتلة بنت جناب، أم العباس بن عبد المطلب، کانت قد أضلت العباس یومئذ و هو صغیر، فنذرت إن هی وجدته أن تکسو الکعبة الدیباج، ففعلت ذلک حین وجدته.

و ذکر الزبیر أن الذی أضلته نتلة بنت جناب إنما هو ابنها ضرار بن عبد المطلب شقیق العباس، و نذرت أن تکسو البیت إن وجدته، فکسته حین وجدته ثیابا بیضا، فالله تعالى أعلم.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۷۱).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۳/ ۴۲۵)، مسند أبی داود الطیالسی (۱۱۳)، مستدرک الحاکم (۱/ ۴۵۸)، دلائل النبوة للبیهقی (۲/ ۵۶، ۵۷)، مصنف عبد الرزاق (۵/ ۹۸، ۱۰۰)، الهیثمی فی المجمع (۳/ ۲۹۲).

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۱۷۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۳۴

قال ابن إسحاق «۱»: و کانت قریش لا أدری أقبل الفیل أم بعده ابتدعت أمر الحمس «۲»، رأیا رأوه و أداروه.

فقالوا: نحن بنو إبراهیم و أهل الحرمة و ولاة البیت، و قاطن مکة و ساکنها، فلیس لأحد من العرب مثل حقنا، و لا مثل منزلتنا، و لا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شیئا من الحل کما تعظمون الحرم، فإنکم إن فعلتم ذلک استخفت العرب بحرمتکم، و قالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم.

فترکوا الوقوف علی عرفة و الإفاضة منها و هم یعرفون و یقرون أنها من المشاعر و الحج و دین إبراهیم، و یرون لسائر العرب أن یقفوا علیها، و أن یفیضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، و لیس ینبغی لنا أن نخرج من الحرمة، و لا نعظم غیرها کما نعظمها، نحن الحمس، و الحمس أهل الحرم. ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساکن الحل و الحرم مثل الذی لهم بولادتهم إیاهم، یحل لهم ما یحل لهم و یحرم علیهم ما یحرم علیهم.

ثم ابتدعوا فی ذلک أمورا لم تکن لهم، حتی قالوا: لا ینبغی للحمس أن یأتقطوا الأقط «۳»، و لا یسألوا السمن «۴» و هم حرم، و لا یدخلوا بیتا من شعر، و لا یستظلوا إن استظلوا إلا فی بیوت الأدم ما کانوا حرما.

ثم رفعوا فی ذلک فقالوا: لا ینبغی لأهل الحل أن یأکلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلی الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارا، و لا یطوفوا بالبیت إذا قدموا أول طوافهم إلا فی ثیاب الحمس، فإن لم یجدوا منها شیئا طافوا بالبیت عراة، فإن تکرم منهم متکرم من رجل أو امرأة، و لم یجد ثیاب أحمس فطاف فی ثیابه التی جاء بها من الحل، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم ینتفع بها، و لم یمسها هو و لا أحد غیره أبدا، فکانت العرب تسمی تلک الثیاب اللقی.

فحملوا علی ذلک العرب فدانت به، فوقفوا علی عرفات و أفاضوا منها، و طافوا بالبیت عراة، أما الرجال فیطوفون عراة، و أما النساء فتضع إحداهن ثیابها کلها إلا ثوبا مفرجا علیها، ثم تطوف فیه.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۷۳- ۱۷۷).

(۲) الحمس: جمع أحمس، و هو شدید الصلب.

(۳) الأقط: شیء یتخذ من المخیض الغنمی، و جمعه أقطان.

(۴) یسلئوا السمن: یقال سلأت السمن و استلأته إذا طبخ.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۳۵

فکانوا کذلک حتی بعث الله رسوله محمدا صلی اللّه علیه و سلم، فأنزل الله علیه حین أحکم له دینه و شرع له سنن حجه: ثُمَّ أَفِیضُوا مِنْ حَیْثُ أَفاضَ النَّاسُ الآیة [البقرة: ۱۹۹]. یعنی قریشا، و الناس العرب. فرفعهم فی سنة الحج إلی عرفات و الوقوف علیها و الإفاضة منها.

و أنزل علیه فیما کانوا حرموا علی الناس من طعامهم و لبوسهم عند البیت، حین طافوا عند البیت عراة و حرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام: یا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَةَ اللَّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ الآیة کلها [الأعراف: ۳۱- ۳۲].

فوضع الله أمر الحمس، و ما کانت قریش ابتدعت منه عن الناس، بالإسلام حین بعث الله به رسوله «۱». و لم یکن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بالموافق قومه علی تغییر مشاعر الحج و العدول عن مواقف الناس.

قال جبیر بن مطعم: لقد رأیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قبل أن ینزل علیه الوحی، و إنه لواقف علی بعیره بعرفات مع الناس من بین قومه حتی یدفع معهم، توفیقا من الله له «۲».

و قد تقدم ما أحدثوه فى النسىء، و ما أبطل الله من حكمه بقوله سبحانه: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِی الْكُفْرِ [التوبة: ٣٧]، فأغنى ذلك عن إعادته.

ذكر ما حفظ عن الأحبار و الرهبان و الكهان من أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شىء مما سمع من ذلك عند الأصنام أو هتفت به الهواتف

قال ابن إسحاق «٣»: و كانت الأحبار من يهود، و الرهبان من النصارى، و الكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه. أما الأحبار من اليهود، و الرهبان من النصارى، فعما وجدوا فى كتبهم من صفته و صفة زمانه، و ما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه.

---

(١) انظر: السيرة (١/ ١٧٧).

(٢) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٢/ ٣٠٥).

(٣) انظر: السيرة (١/ ١٧٧- ١٨٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١،ص:١٣٦

و أما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع، إذ كانت لا تحجب عن ذلك، و كان الكاهن و الكاهنة، لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره لا تلقى العرب لذلك فيه بالا، حتى بعثه الله و وقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها.

فلما تقارب أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و حضر مبعثه، حجبت الشياطين عن السمع، و حيل بينها و بين المقاعد التى كانت تقعد فيها لاستراقه، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد.

يقول الله لنبيه صلى اللّه عليه و سلم حين بعثه يقص عليه خبرهم إذ حجبوا: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً وَ أَنَّا لا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً [الجن: ١، ١٠].

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشىء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجة و قطع الشبهة، فآمنوا به و صدقوا. ثم: وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

و قول الجن: وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِ الآية [الجن:

٦]، هو أن الرجل من العرب من قريش و غيرهم كان إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه قال: إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه.

و ذكر «١» أن أول العرب فزع للرمى بالنجوم، حين رمى بها، ثقيف، و أنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية، أحد بنى علاج، و كان أدهى العرب و أنكرها رأيا فقالوا له: يا عمرو، أ لم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم؟.

قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر و البحر، و تعرف

---

(١) انظر: السيرة (١/ ١٧٩).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۳۷

بها الأنواء من الصيف و الشتاء، لما يصلح الناس فى معايشهم، هى التى يرمى بها فهو و الله طى الدنيا، و هلاك هذا الخلق الذى فيها. و إن كانت نجوما غيرها، و هى ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق.

فما هو؟!.

و قد قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لنفر من الأنصار: «ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به؟». قالوا: يا نبى الله، كنا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات ملك، ملّك ملك ولد مولود، مات مولود، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ليس ذلك كذلك، و لكن الله تبارك و تعالى، كان إذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا، فسبح من تحتهم لتسبيحهم، فسبح من تحت ذلك، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبحوا. ثم يقول بعضهم لبعض: مم سبحتم؟ فيقولون: سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم. فيقولون: أ لا تسألون من فوقكم مم سبحوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حملة العرش، فيقال لهم: مم سبحتم؟ فيقولون: قضى الله فى خلقه كذا و كذا؟ للأمر الذى كان. فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا، فيتحدثوا به، فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم و اختلاف، ثم يأتون به الكهان فيخطئون بعضا و يصيبون بعضا، ثم إن الله حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون بها، فانقطعت الكهانة اليوم، فلا كهانة» «۱».

و ذكر أبو جعفر العقيلى بإسناد له، إلى لهيب بن مالك اللهبى قال: حضرت عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فذكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبى أنت و أمى نحن أول من عرف حراسة السماء و زجر الشياطين، و منعهم من استراق السمع عند قذف النجوم، و ذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له: خطر بن مالك، و كان شيخا كبيرا، قد أتت عليه مائة سنة و ثمانون سنة، و كان من أعلم كهاننا، فقلنا: يا خطر، هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها؟ فإنا قد فزعنا لها و خفنا سوء عاقبتها.

فقال: ائتونى بسحر، أخبركم الخبر، أ لخير أم ضرر، و لأمن أو حذر. قال: فانصرفنا عن يومنا، فلما كان من غد فى وجه السحر أتيناه، فإذا هو قائم على قدميه شاخص فى السماء بعينيه، فناديناه: يا خطر، يا خطر. فأومأ إلينا أن أمسكوا فأمسكنا.

---

(۱) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب السلام باب تحريم الكهانة (۵۷۱)، الترمذى فى سننه (۳۲۲۴)، الإمام أحمد فى المسند (۱/ ۲۱۸)، البيهقى فى الدلائل (۲/ ۲۳۶، ۲۳۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۳۸

فانقض نجم عظيم من السماء، و صرخ الكاهن رافعا صوته: أصابه أصابه، خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا ويحه ما حاله، بلبله بلباله، عاوده خباله، تقطعت حباله، و غيرت أحواله.

ثم أمسك طويلا و قال: يا معشر بنى قحطان، أخبركم بالحق و البيان، أقسمت بالكعبة و الأركان، و البلد المؤتمن السدان، لقد منع السمع عتاة الجان، بثاقب، بكف ذى سلطان من أجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتنزيل و القرآن و بالهدى و فاصل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان. قال: فقلنا: يا خطر، إنك لتذكر أمرا عظيما، فما ذا ترى لقومك؟. فقال:

أرى لقومى ما أرى لنفسى أن يتبعوا خير بنى الإنس

برهانه مثل شعاع الشمس يبعث فى مكة دار الحمس

بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلنا له: يا خطر، و ممن هو؟ فقال: و الحياة و العيش، إنه لمن قريش، ما فى حلمه طيش و لا فى خلقه هيش يكون فى جيش و أى جيش! من آل قحطان و آل أيش. فقلنا:

بين لنا من أى قريش هو؟. فقال: و البيت ذى الدعائم، إنه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، و قتل كل ظالم. ثم قال:

هـذا هو البیان، أخبرنی به رئیس الجان. ثم قال: الله أکبر، جاء الحق و ظهر، و انقطع عن الجن الخبر. ثم سـکت و أغمی علیه، فما أفاق إلا بعد ثالثة، فقال: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «سبحان الله، لقد نطق عن مثل نبوة، و إنه لیبعث یوم القیامة أمة وحده».

قال ابن إسحاق «۱»: و حـدثنی بعض أهل العلم أن امرأة من بنی سـهم یقال لها الغیطلة، کانت کاهنة فی الجاهلیة، جاءها صاحبها لیلة من اللیـالی فانقض تحتها «۲»، ثم قـال: بـدر مـا بـدر، یوم عقر و نحر. فقـالت قریش حین بلغهـا ذلک: ما یریـد؟ ثم جاءها لیلـة أخری فانقض تحتها، ثم قال: شعوب ما شعوب، تصرع فیه کعب لجنوب. فلما بلغ

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۸۰).

(۲) انقض تحتها: أی تکلم بصوت خفی.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۳۹

ذلک قریشا، قالوا: ما ذا یریـد؟ إن هـذا لأمر هو کائن فانظروا ما هو. فما عرفوه حتی کانت وقعـة بـدر و أحد بالشـعب، فعرفوا أنه کان الذی جاء به إلی صاحبته.

قال «۱»: و حـدثنی علی بن نافع الجرشـی أن جنبا «۲» بطنـا من الیمن، کان لهم کاهن فی الجاهلیـة، فلما ذکر أمر رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم و انتشر فی العرب قالت له جنب: انظر لنا فی أمر هذا الرجل. و اجتمعوا له فی أسفل جبله.

فنزل علیهم حین طلعت الشـمس فوقف لهم قائما متکئا علی قوس له، فرفع رأسه إلی السـماء طویلا، ثم جعل ینزو ثم قال: أیها الناس، إن الله أکرم محمدا و اصطفاه، و طهر قلبه و حشاه، و مکثه فیکم أیها الناس قلیل. ثم أسند فی جبله راجعا من حیث جاء.

و حدثنی من لا أتهم «۳»، أن عمر بن الخطاب بینا هو جالس فی الناس فی مسـجد رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم، إذ أقبل رجل من العرب یرید عمر، فلما نظر إلیه عمر قال: إن الرجل لعلی شـرکه ما فارقه، أو لقد کان کاهنا فی الجاهلیة، فسـلم علیه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر: هل أسـلمت؟ قال: نعم یا أمیر المؤمنین، قال: فهل کنت کاهنا فی الجاهلیة؟ فقال الرجل: سبحان الله یا أمیر المؤمنین! لقد خلت فی و استقبلتنی بأمر ما أراک قلته لأحد من رعیتک منذ و لیت، فقال عمر: اللهم غفرا، قد کنا فی الجاهلیة علی شر من هذا، نعبد الأصنام و نعتنق الأوثان، حتی أکرمنا الله برسوله و بالإسلام، قال:

نعم، و الله یا أمیر المؤمنین، لقد کنت کاهنا فی الجاهلیة. قال: فأخبرنی، ما جاء به صاحبک، قال: جاءنی قبیل الإسـلام بشـهر أو شـیعه، فقال: أ لم تر إلی الجن و إبلاسها «۴» و إیاسها من دینها، و لحوقها بالقلاص «۵» و أحلاسها «۶»!.

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۸۰).

(۲) جنبا: جنب من مزحش و هم عبد الله، و أنس الله، و زید الله، و أوس الله، و جعفی و الحکم و جروة بنو سـعد العشـیرة بن مزحش، و مزحش هو مالک بن أدد و سموا جنبا لأنهم جانبوا بنی عمهم صداء و یزید ابنی سعد العشیرة بن مزحش.

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۱۸۱).

(۴) إبلاسها: أبلس الرجل إذا سکت ذلیلا أو مغلوبا.

(۵) القلاص: القلاص من الإبل: الفتیة.

(۶) أحلاسها: جمع حلاس، و هو کساء جلد یوضع علی ظهر البعیر ثم یوضع علیه الرجل لیقیه من الدبر.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۴۰

قال ابن هشام: هذا الکلام سجع و لیس بشعر، و أنشدنی بعض أهل العلم بالشعر:

عجبت للجن و إبلاسهاو شدها العيس بأحلاسها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى‌ما مؤمن الجن كأنجاسها فقال عمر رضى الله عنه، عند ذلك، يحدث الناس: و الله إنى لعند و ثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش، قد ذبح لهم رجل من العرب عجلا، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت قط أنفذ منه، و ذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه يقول: يا ذريح أمر نجيح، رجل يصيح يقول: لا إله إلا الله «۱».

قال ابن هشام: و يقال: رجل يصيح بلسان فصيح يقول: لا إله إلا الله. و هذا الرجل الذى ظن به عمر رضى الله عنه، ما ظن، هو سواد بن قارب الدوسى «۲»، و كان يتكهن فى الجاهلية.

و قد ذكر خبره غير ابن إسحاق، فساقه سياقة أحسن من هذه و أتم، و ذكر فيه أنه كان نائما على جبل من جبال السراة ليلة من الليالى، فأتاه آت، فضربه برجله و قال: قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لؤىّ بن غالب. قال: فرفعت رأسى و جلست فأدبر و هو يقول:

عجبت للجن و تطلابهاو شدها العيس بأقتابها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى‌ما صادق الجن ككذابها

فارحل إلى الصفوة من هاشم‌ليس قداماها كأذنابها «۳» و أتاه فى الليلة الثانية، فضربه برجله، و قال: قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لؤىّ بن غالب. قال: فرفعت رأسى و جلست، فأدبر و هو يقول:

عجبت للجن و أخبارهاو رحلها العيس بأكوارها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى‌ما مؤمنوها مثل كفارها

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى فى كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر، رضى الله عنه (۷/ حديث رقم ۳۸۶۶).

(۲) هو: سواد بن قارب الدوسى. كذا قال الكلبى، و قال ابن أبى خيثمة: سواد بن قارب سدوسى من بنى سدوس. انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۱۱۴)، الإصابة الترجمة رقم (۳۵۹۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۳۳۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۴۸)، الوافى بالوفيات (۱۶/ ۳۵)، التاريخ الكبير (۴/ ۲۰۲)، الأعلام (۳/ ۱۴۴).

(۳) انظر الأبيات فى: الاستيعاب (۲/ ۲۲۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۴۱ فارحل إلى الصفوة من هاشم‌ليس قداماها كأدبارها و أتاه فى الليلة الثالثة بعد ما نام، فضربه برجله و قال: قم يا سواد بن قارب أتاك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من لؤىّ بن غالب قال: فرفعت رأسى فجلست، فأدبر و هو يقول:

عجبت للجن و إبلاسهاو رحلها العيس بأحلاسها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى‌ما مؤمنوها مثل أرجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم‌و ارم بعينيك إلى رأسها قال: فلما أصبحت اقتعدت بعيرى فأتيت مكة، فإذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد ظهر، فأخبرته الخبر و بايعته. و فى بعض طرق حديثه أنه أنشد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم شعرا منه فى معنى ما جاءه به رئيه «۱»:

أتانى رئى بعد هدء و هجعةو لم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلةأتاك رسول من لؤىّ بن غالب

فرفعت أذيال الإزار و شمرت‌بى العرمس الوجنا هجول السباسب

فأشهد أن الله لا شى‌ء غيرهو أنك مأمون على كل غائب

و أنك أدنى المرسلين وسيلةإلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك من وحى ربناو إن كان فيما جئت شيب الذوائب

و كن لى شفيعا حين لا ـ ذو قرابة ـ بمغن فتيلا ـ عن سواد بن قارب و لسواد بن قارب هذا مقام حميد فى قومه دوس، حين بلغهم وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يثبتهم فى الدين و يحضهم على التمسك بالإسلام، سنذكره إن شاء الله مع نظائره بعد استيفاء الخبر عن وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و ذكر الواقدى بإسناد له قال: كان أبو هريرة يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا، و كانوا يتحاكمون إلى أصنامهم، فيقال لأبى هريرة: هل كنت أنت تفعل ذلك؟ فيقول: قد و الله فعلت فأكثرت، فالحمد لله الذى تنقذنى بمحمد صلى اللّه عليه و سلم.

قال أبو هريرة: فبينا الخثعميون عند صنمهم إذ سمعوا هاتفا يهتف:

يا أيها الناس ذوو الأجسامو مسندو الحكم إلى الأصنام

أكلكم أوره كالكهام________________________________

(۱) ذكرها فى الاستيعاب (۲/ ۲۲۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۴۲ أ لا ترون ما أرى أمامىمن ساطع يجلو دجى الظلام

ذاك نبى سيد الأناممن هاشم فى ذروة السنام

مستعلن بالبلد الحرامجاء بهدم الكفر بالإسلام

أكرمه الرحمن من إمام

قال أبو هريرة: فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا، فلم تمض بهم ثالثة حتى فجأهم خبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنه قد ظهر بمكة. قال: فما أسلم الخثعميون حتى استأخر إسلامهم و رأوا عبرا عند صنمهم.

و ذكر الواقدى أيضا أن رجلا من الأنصار حدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: انطلقت أنا و صاحبان لى نريد الشام، حتى إذا كانا بقفرة من الأرض نزلنا بها، فبينا نحن كذلك لحقنا راكب، فكنا أربعة و قد أصابنا سغب شديد، و التفت فإذا أنا بظبية عضباء ترتع قريبا منى فوثبت إليها. فقال الرجل الذى لحقنا: خل سبيلها، لا أبا لك، و الله لقد رأيتنا و نحن نسلك هذا الطريق و نحن عشرة أو أكثر فيختطف بعضنا بعضا، فما هو إلا أن كانت هذه الظبية فما يهاج بها أحد.

فأبيت و قلت: لا لعمر الله لا أخليها، فارتحلنا و قد شددتها معى، حتى إذا ذهب سدف من الليل إذا هاتف يهتف بنا و يقول:

يا أيها الركب السراع الأربعةخلوا سبيل النافر المفزعة

خلوا عن العضباء فى الوادى سعهلا تذبحن الظبية المروعة

فيها لأيتام صغار منفعه

قال: فخليت سبيلها، ثم انطلقنا حتى أتينا الشام، فقضينا حوائجنا، ثم أقبلنا حتى إذا كنا بالمكان الذى كنا فيه هتف بنا هاتف من خلفنا:

إياك لا تعجل و خذها من ثقهفإن شر السير سير الحقحقه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۴۳ قد لاح نجم فأضاء مشرقهيخرج من ظلما عسوف موبقه

ذاك رسول مفلح من صدقهالله أعلى أمره و حققه قال الرجل: فأتيت مكة فإذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يدعو إلى الإسلام. فقال عمر: الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى اللّه عليه و سلم.

و روينا عن أبى المنذر هشام بن محمد الكلبى بإسناد متصل إليه قال: لقيت شيوخا من شيوخ طيئ المقدمين، فسألتهم عن قصة مازن يعنى مازن بن الغضوبة الطائى، و سبب إسلامه و وفوده على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و إقطاعه أرض عمان، و ذلك بمن الله و فضله.

و كان مازن بأرض عمان بقرية تدعى سنابل. قال مازن: فعترت ذات يوم عتيرة، و هى الذبيحة، فسمعت صوتا من الصنم يقول: يا مازن أقبل أقبل، فاسمع ما لا تجهل، هذا نبى مرسل، جاء بحق منزل، فآمن به كى تعزل، عن حر نار تشعل، وقودها بالجندل.

قال مازن: فقلت: إن هذا و الله لعجب، ثم عترت بعد أیام عتیرة أخری، فسمعت صوتا أبین من الأول، و هو یقول: یا مازن اسمع تسر، ظهر خیر و بطن شر، بعث نبی من مضر، بدین الله الأکبر، فدع نحیتا من حجر، تسلم من حر سقر.

قال مازن: فقلت إن هذا و الله لعجب و إنه لخیر یراد بی، و قدم علینا رجل من أهل الحجاز فقلنا: ما الخبر وراءک؟ قال: خرج بتهامة رجل یقول لمن أتاه: أجیبوا داعی الله، یقال له: أحمد.

فقلت: هذا و الله نبأ ما سمعت. فثرت إلی الصنم فکسرته جذاذا و شددت راحلتی و رحلت، حتی أتیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فشرح لی الإسلام فأسلمت، فأنشأت أقول:

کسرت یاجر أجذاذا و کان لناربا نطیف به ضلا بتضلال

بالهاشمی هدانا من ضلالتناو لم یکن دینه منا علی بال

یا راکبا بلغن عمرا و إخوتهاأنی لمن قال ربی یاجر قالی و قلت: یا رسول الله، إنی امرؤ مولع بالطرب و شرب الخمر و بالهلوک إلی النساء، و ألحت علی السنون، فأذهبن الأموال و أهزلن الذراری و الرجال، و لیس لی ولد، فادع الله أن یذهب عنی ما أجد و یأتینی بالحیاء، و یهب لی ولدا. فقال النبیّ صلی اللّه علیه و سلم: «اللهم أبدله

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۴۴

بالطرب قراءة القرآن، و بالحرام الحلال، و آتهم بالحیاء، وهب له ولدا» «۱».

قال مازن: فأذهب الله عنی کل ما أجد، و أخصبت عمان، و تزوجت أربع حرائر، و وهب الله لی حیان بن مازن، و أنشأت أقول:

إلیک رسول الله سقت مطیتی تجوب الفیافی من عمان إلی العرج

لتشفع لی یا خیر من وطئ الحصیفیغفر لی ربی فأرجع بالفلج

إلی معشر خالفت فی الله دینهمفلا رأیهم رأیی و لا شرجهم شرجی

و کنت امرأ بالزغب و الخمر مولعاشبابی حتی أذن الجسم بالنهج

فأصبحت همی فی جهاد و نیتیفلله ما صومی و لله ما حجی و مما یلحق بهذا الباب من حسان أخبار الکهان و إن کان بعد المبعث بزمان و لکنه یجتمع مع الأحادیث السابقة فی الدلالة علی صدق الرسول، و الإعلام بالغیب المجهول، و الإرشاد إلی سواء السبیل، ما ذکره أبو علی إسماعیل بن القاسم فی أمالیه بإسناد له إلی ابن الکلبی عن أبیه قال:

کان خنافر بن التوأم الحمیری کاهنا، و کان قد أوتی بسطة فی الجسم و سعة فی المال، و کان عاتیا، فلما وفدت وفود الیمن علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و ظهر الإسلام أغار علی إبل لمراد فاکتسحها، و خرج بأهله و ماله و لحق بالشحر فحالف جودان بن یحیی الفرضمی، و کان سید منیعا، و نزل بواد من أودیة الشحر مخصب کثیر الشجر من الأیک و العرین.

قال خنافر: و کان رئیی فی الجاهلیة لا یغیب عنی، فلما شاع الإسلام فقدته مدة طویلة و ساءنی ذلک، فبینا أنا لیلة فی ذلک الوادی نائما إذ هوی هوی العقاب، فقال خنافر: قلت شصار؟ فقال: اسمع أقل. قلت: أسمع. فقال: عه تغنم، لکل مدة نهایة و کل ذی أمد إلی غایة. قلت: أجل. فقال: کل دولة إلی أجل ثم یتاح لها حول، انتسخت النحل و رجعت إلی حقائقها الملل، إنک سجیر موصول و النصح لک مبذول.

إنی آنست بأرض الشام نفرا من أهل العزام حکاما علی الحکام یذکرون ذا رونق من الکلام، لیس بالشعر المؤلف، و لا بالسجع المتکلف فأصغیت فزجرت، فعاودت فظلفت، فقلت: بم تهینمون و إلام تعتزون؟ فقالوا: خطاب کبار جاء من عند الملک الجبار، فاسمع یا شصار عن أصدق الأخبار، و اسلک أوضح الآثار تنج من أوار النار.

قلت: و ما هذا الکلام؟ قالوا: فرقان بین الکفر و الإیمان، رسول من مضر، ابتعث

(۱) أخرجه البيهقى فى الدلائل (۲/ ۳۶، ۲۵۶)، الهيثمى فى المجمع (۸/ ۲۴۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۴۵

فظهر، فجاء بقول قد بهر، و أوضح نهجا قد دثر، فيه مواعظ لمن اعتبر، و معاذ لمن ازدجر، ألف بالآى الكبر.

فقلت: و من هذا المبعوث من مضر؟ قالوا: أحمد خير البشر، فإن آمنت أعطيت الشبر، و إن خالفت أصليت سقر. فآمنت يا خنافر، و أقبلت إليك أبادر، فجانب كل نجس كافر، و شايع كل مؤمن طاهر، و إلا فهو الفراق عن لا تلاق.

قلت: من أين أبغى هذا الدين؟ قال: من ذات الإحرين و النفر الميامين أهل الماء و الطين. قلت: أوضح. قال: الحق بيثرب ذات النخل، و الحرة ذات النعل، فهنالك أهل الفضل و الطول و المواساة و البذل.

ثم أملس عنى فبت مذعورا أراعى الصباح، فلما برق لى النور امتطيت راحلتى و آذنت أعبدى و احتملت بأهلى، حتى وردت الجوف فرددت الإبل على أربابها بحولها و سقابها، و أقبلت أريد صنعاء، فأصبت فيها معاذ بن جبل أميرا لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فبايعته على الإسلام، و علمنى من القرآن. فمن الله على بالهدى بعد الضلالة، و العلم بعد الجهالة، و قلت فى ذلك:

أ لم تر أن الله عاد بفضلهفأنقذ من لفح الزخيخ خنافرا

و كشف لى عن حجمتى عماهماو أوضح لى نهجى و قد كان داثرا

دعانى شصار للتى لو رفضتهالصليت جمرا من لظى الهوب واهرا

فأصبحت و الإسلام حشو جوانحىو جانبت من أمسى عن الحق نائرا

و كان مضلى من هديت برشدهفلله مغو عاد بالرشد آمرا

نجوت بحمد الله من كل قحمةتؤرث هلكا يوم شايعت شاصرا

فقد أمنتنى بعد ذاك يحابربما كنت أغشى المنديات يحابرا

فمن مبلغ فتيان قومى ألوكةبأنى من أقتال من كان كافرا

عليكم سواء القصد لا ـ فل حذكمفقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا و ذكر ابن هشام أن بعض أهل العلم حدثه، أنه كان لمرداس أبى عباس بن مرداس السلمى و ثن يعبده، و هو حجر يقال له: ضمار، فلما حضر مرداسا الموت قال لعباس:

أى بنى اعبد ضمار، فإنه ينفعك و يضرك. فبينما العباس يوما عند ضمار، إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول:

قل للقبائل من سليم كلهاأودى ضمار و عاش أهل المسجد

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۴۶ إن الذى ورث النبوة و الهدىبعد ابن مريم من قريش مهتدى

أودى ضمار و كان يعبد مرةقبل الكتاب إلى النبىّ محمد فحرق العباس ضمار، و لحق بالنبى صلى اللّه عليه و سلم فأسلم. و الأخبار فى هذا الباب مما نقل من ذلك عن الكهان، أو سمع عند الأصنام، أو هتفت به هواتف الجان كثيرة جدا، و قد أتينا منها بما استحسناه مما ذكره ابن إسحاق، أو ذكره سواه.

قال ابن إسحاق «۱»: و حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله لنا و هداه، لما كنا نسمع من أحبار يهود.

كنا أهل شرك أصحاب أوثان، و كانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، و كانت لا تزال بيننا و بينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبى يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد و إرم، فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى اللّه عليه و سلم أجبناه حين دعانا إلى الله و عرفنا ما كانوا يتواعدوننا به، فبادرنا إليه، فآمنا به و كفروا به، ففينا و فيهم نزلت هذه الآية من البقرة: وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ [البقرة: ۸۹] «۲».

قال «۳»: و حدثنى صالح بن إبراهيم، عن محمود بن لبيد، عن سلمة بن سلامة بن و قش، و كان من أصحاب بدر، قال كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل، فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل، فذكر القيامة و البعث و الحساب و الميزان و الجنة و النار، فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا له: و يحك يا فلان أو ترى هذا كائنا، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة و نار، يجزون فيها بأعمالهم. قال: نعم و الذى يحلف به: ولود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن ينجو من تلك النار غدا، فقالوا له: و يحك يا فلان، و ما آية ذلك؟ قال: نبى مبعوث من نحو هذه البلاد، و أشار بيده إلى مكة و اليمن. قالوا: و متى نراه؟ قال: فنظر إلى، و أنا من أحدثهم سنا، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه.

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۸۲).

(۲) أخرجه الطبرى فى تفسيره (۱/ ۳۲۵)، ابن كثير فى تفسيره (۱/ ۱۷۸).

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۱۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۴۷

قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل و النهار حتى بعث الله رسوله محمدا صلى اللّه عليه و سلم و هو حى بين أظهرنا، فآمنا به و كفر به بغيا و حسدا. فقلنا له: و يحك يا فلان! أ لست بالذى قلت لنا فيه ما قلت؟! قال: بلى، و لكن ليس به! «۱».

قال «۲»: و حدثنى عاصم بن عمر، عن شيخ من بنى قريظة، قال: قال لى: هل تدرى عم كان إسلام ثعلبة بن سعية و أسيد بن سعية و أسد بن عبيد، نفر من هدل إخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم، ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال:

فإن رجلا- من يهود من أهل الشام يقال له: ابن الهيبان، قدم علينا قبل الإسلام بيسير، فحل بين أظهرنا، لا و الله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا. فيقول: لا و الله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة. فنقول له: كم؟ فيقول: صاعا من تمر أو مدين من شعير. فنخرجهما ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقى لنا، فو الله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب و نسقى، قد فعل ذلك غير مرة و لا مرتين و لا ثلاث، ثم حضرته الوفاة عندنا. فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود، ما ترون أنه أخرجنى من أرض الخمر و الخمير إلى أرض البؤس و الجوع؟ قلنا: أنت أعلم.

قال: فإنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظل زمانه، و هذه البلدة مهاجرة، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، و قد أظلكم زمانه، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء و سبى الذرارى و النساء ممن خالفه، فلا يمنعنكم ذلك منه.

فلما بعث الله رسوله صلى اللّه عليه و سلم و حاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية، و كنا شبابا أحداثا: يا بنى قريظة، و الله إنه للنبى الذى عهد إليكم فيه ابن الهيبان، قالوا: ليس به. قالوا: بلى و الله، إنه لهو بصفته. فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم و أموالهم و أهاليهم «۳». قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا عن أحبار يهود.

قال «۴»: و حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى، عن محمود، عن ابن عباس، قال: حدثنى سلمان الفارسى من فيه، قال: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان، من

(۱) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (۳/ ۴۶۷).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۱۸۳- ۱۸۴).

(۳) أخرجه البيهقى فى الدلائل (۲/ ۸۰- ۸۱)، و ذكره ابن سيد الناس فى عيون الأثر (۱/ ۱۳۱).

(۴) انظر: السيرة (۱/ ۱۸۴- ۱۸۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۱۴۸

أهل قرية يقال لها: جىّ، و كان أبى دهقان قريته، و كنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية، و اجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها، و لا يتركها تخبو ساعة، و كانت لأبى ضيعة عظيمة، فشغل فى بنيان له يوما، فقال لى: يا بنى، إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى، فاذهب إليها فاطلعها. و أمرنى فيها ببعض ما يريد، ثم قال لى: و لا تحتبس عنى، فإنك إن احتبست عنى كنت أهم إلى من ضيعتى و شغلتنى عن كل شىء من أمرى، فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها و هم يصلون، و كنت لا أدرى ما أمر الناس، لحبس أبى إياى فى بيته.

فلما سمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم، و رغبت فى أمرهم و قلت: هذا و الله خير من الدين الذى نحن عليه. فو الله ما برحتهم حتى غربت الشمس، و تركت ضيعة أبى فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، فرجعت إلى أبى و قد بعث فى طلبى، و شغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أى بنى أين كنت؟ أ لم أكن عهدت إليك ما عهدت؟! قلت: يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت فى دينهم، فو الله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أى بنى ليس فى ذلك الدين خير، دينك و دين آبائك خير منه، فقلت له: كلا و الله، إنه لخير من ديننا، قال: فخافنى، فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته، و بعثت إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم، فقدم عليهم تجار من النصارى، فأخبرونى. فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم و أرادوا الرجعة إلى بلادهم، فآذنونى بهم. الاكتفاء، الكلاعى ج ۱ ۱۴۸ ذكر ما حفظ عن الأحبار و الرهبان و الكهان من أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شىء مما سمع من ذلك عند الأصنام أو هتفت به الهواتف ..... ص : ۱۳۵

ل: فلما أرادوا الرجعة أخبرونى بهم، فألقيت الحديد من رجلى، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة. فجئته فقلت له: إنى قد رغبت فى هذا الدين، و أحببت أن أكون معك و أخدمك فى كنيستك، و أتعلم منك، و أصلى معك. قال: ادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة و يرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه و لم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب و ورق. فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع، ثم مات. و اجتمعت النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۱۴۹

يأمركم بالصدقة و يرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه و لم يعط المساكين منها شيئا. فقالوا لى: و ما علمك بذلك. فقلت: أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا و ورقا، فلما رأوها، قالوا: و الله لا ندفنه أبدا.

فصلبوه و رجموه بالحجارة.

و جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس، رأى أنه أفضل منه، أزهد فى الدنيا و لا أرغب فى الآخرة، و لا أدأب ليلا و نهارا منه، فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله، فأقمت معه زمانا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إنى كنت معك و أحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك و قد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصى بى، و بم تأمرنى.

فقال: أى بنى، و الله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه، لقد هلك الناس و بدلوا و تركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل «۱» و هو فلان، و هو على ما كنت عليه.

فلما مات و غيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك، و أخبرنى أنك على أمره.

فقال لى: أقم عندى.

فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه. فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانا أوصى بى إليك، و

أمرنی بـاللحوق بک، و قـد حضـرک من أمر الله ما ترى، فإلى من توصـى بی؟ و بم تأمرنی؟ فقال: یا بنی، و الله ما أعلم رجلا على ما کنا علیه إلا رجلا بنصیبین «۲»، و هو فلان فالحق به.

فلما مـات و غیب لحقت بصـاحب نصـیبین، فأخبرته خبری، و ما أمرنی به صاحبی فقال: أقم عنـدی. فأقمت عنـده، فوجـدته على أمر صـاحبیه، فـأقمت مع خیر رجـل، فو الله مـا لبث أن نزل به الموت، فلمـا حضـر قلت له: یـا فلان إن فلانا کان أوصـى بی إلى فلان، ثم أوصى بی فلان إلیک، فإلى من توصی بی: و بم تأمرنی.

---

(۱) الموصل: فی الجانب الغربی من دجلة، و سمیت بهذا الاسم؛ لأنها وصلت بین الفرات و دجلة، و شراب أهلها من ماء الدجلة. انظر: الروض المعطار (ص ۵۶۳)، نزهة المشتاق (۱۹۹).

(۲) نصـیبین: مدینـة فی دیار ربیعـة العظمى، و هی من بلاد الجزیرة بین دجلـة و الفرات، و هی قدیمـة عظیمـة کثیرة الأنهار، و لها نهار عظیم، یقال له الهرماس علیه قناطر حجارة، و أهلها قوم من ربیعة من بنی تغلب، و افتتحها عیاض بن غنم الفهری فی خلافة عمر رضی الله عنه سـنة ثمان عشـرة، و کانت مدینة رومیة، فلما افتتحها عیاض أسکنها المسلمین. انظر: الروض المعطار (ص ۵۷۷)، نزهة المشتاق (۱۹۹)، آثار البلاد (۴۶۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۵۰

قال: یا بنی، و الله ما أعلمه بقی أحد على أمرنا آمرک أن تأتیه، إلا رجلا بعموریة «۱» من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن علیه، فإن أحببت فأته. فلما مات و غیب، لحقت بصاحب عموریة، فأخبرته خبری، فقال: أقم عندی.

فأقمت عند خیر رجل على هدى أصحابه و أمرهم، و اکتسبت حتى کانت لی بقرات و غنیمة، ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: یا فلان، إنی کنت مع فلان فأوصى بی إلى فلان، ثم أوصى بی فلان إلى فلان، ثم أوصى بی فلان إلیک، فإلى من توصی بی؟ و بم تأمرنی؟.

قـال: أی بنی، و الله مـا أعلمه أصبح على مثل مـا کنـا علیه أحـد من النـاس آمرک أن تـأتیه و لکنه قـد أظل زمان نبی مبعوث بـدین إبراهیم، یخرج بـأرض العرب، مهاجره إلى أرض بین حرتین «۲» بینهما نخل، به علامات لا تخفى، یأکل الهدیـة، و لا یأکل الصدقة، بین کتفیه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلک البلاد، فافعل. ثم مات و غیب.

فمکثت بعموریة، ما شاء الله أن أمکث، ثم مر بی نفر من کلب تجار. فقلت لهم:

احملونی إلى أرض العرب و أعطیکم بقراتی هذه و غنیمتی هذه، فقالوا: نعم.

فأعطیتموها و حملونی معهم، حتى إذا بلغوا وادی القرى ظلمونی، فباعونی من رجل یهودی عبـدا، فکنت عنده فرأیت النخل، فرجوت أن یکون البلد الذی وصف لی صاحبی، و لم یحق فی نفسی.

فبینا أنا عنـده إذ قـدم علیه ابن عم له من بنی قریظـة من المدینة، فابتاعنی منه، فاحتملنی إلى المدینة، فو الله ما هو إلا أن رأیتها فعرفتها بصفة صاحبی فأقمت بها.

و بعث رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و أقام بمکة ما أقام لا أسمع له بذکر، مع ما أنا فیه من شغل الرق.

ثم هـاجر إلى المدینـة، فو الله إنی لفی رأس عـذق لسیـدی أعمل له فیه بعض العمل، و سیـدی جالس تحتی، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف علیه. فقال: یا فلان قاتل الله بنی قیلة، و الله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم علیهم من مکة الیوم یزعمون أنه نبی.

---

(۱) عموریة: فی بلاد الروم من ناحیة بلاد طوس و تفسیره المشرق، و هی مدینة کبیرة مشهورة فی بلاد الروم و بلاد المسلمین، أزلیة، غیر أن الفتوح تتوالى علیهـا من عهـد المسـلمین و الروم، و لها سور حصـین، و هی على نهر کبیر یصب فی الفرات، و منها الطریق إلى

طرسوس، و بین عموریة و الخلیج مائة و خمسة و سبعین میلا، و کانت منزلا لبعض ملوک الروم. انظر: الروض المعطار (ص ۴۱۳، ۴۱۴)، نزهة المشتاق (۲۶۰).

(۲) حرتین: الحرة کل أرض ذات حجارة سود متشیطة من أثر احتراق برکانی.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۱۵۱

فلما سمعتها أخذتنی العرواء حتی ظننت أنی سأسقط علی سیدی، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلک: ما ذا تقول؟ فغضب سیدی فلکمنی لکمة شدیدة، ثم قال: ما لک و لهذا، أقبل علی عملک. فقلت: لا شیء إنما أردت أن أستثبته عما قال.

و قد کان عندی شیء جمعته، فلما أمسیت أخذته ثم ذهبت به إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو بقباء، فدخلت علیه فقلت له: إنه قد بلغنی أنک رجل صالح، و معک أصحاب لک غرباء ذوو حاجة، و هذا شیء کان عندی للصدقة، فرأیتکم أحق به من غیرکم، فقربته إلیه. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لأصحابه: «کلوا». و أمسک یده فلم یأکل.

فقلت فی نفسی: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شیئا، و تحول رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی المدینة، ثم جئته به، فقلت: إنی قد رأیتک لا تأکل الصدقة و هذه هدیة أکرمتک بها. فأکل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم منها و أمر أصحابه فأکلوا معه.

فقلت فی نفسی هاتان ثنتان. ثم جئت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو ببقیع «۱» الغرقد قد تبع جنازة من أصحابه، علی شملتان لی و هو جالس فی أصحابه، فسلمت علیه ثم استدرت أنظر إلی ظهره، هل أری الخاتم الذی وصف لی صاحبی؟ فلما رآنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أستدیر به، عرف أنی أستثبت فی شیء وصف لی، فألقی الرداء عن ظهره، فنظرت إلی الخاتم فعرفته، فأکببت علیه أقبله و أبکی. فقال لی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «تحول». فتحولت فجلست بین یدیه، فقصصت علیه حدیثی کما حدثتک یا ابن عباس.

فأعجب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أن یسمع ذلک أصحابه. ثم شغل سلمان الرق، حتی فاته مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بدر و أحد. قال سلمان: ثم قال لی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «کاتب یا سلمان». فکاتبت صاحبی علی ثلاثمائة نخلة أحییها له بالفقیر «۲» و أربعین أوقیة.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أعینوا أخاکم» فأعانونی بالنخل، الرجل بثلاثین ودیة، و الرجل بعشرین ودیة، و الرجل بخمس عشرة و الرجل بعشر، یعین الرجل بقدر ما عنده، حتی اجتمعت إلی ثلاثمائة ودیة، فقال لی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «اذهب یا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتنی، أکن أنا أضعها بیدی».

---

(۱) بقیع: أصل البقیع فی اللغة الموضع الذی فیه أروم الشجر من ضروب شتی و به سمی بقیع الغرقد، و الغرقد کبار العوسج و هو مقبرة أهل المدینة، و هی داخل المدینة. انظر: معجم البلدان (۱/ ۴۷۳).

(۲) أحییها له بالفقیر: أی بالحفر و الغرس، بفقرات الأرض إذا حفرتها، و منها سمیت البئر فقرا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۱۵۲

ففقرت و أعاننی أصحابی حتی إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج معی إلیها، فجعلنا نقرب إلیه الودی و یضعه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بیده حتی فرغت. فو الذی نفس سلمان بیده، ما ماتت منها ودیة واحدة، فأدیت النخل و بقی علی المال فأتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بمثل بیضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسی المکاتب فدعیت له فقال:

«خذ هذه فأدها مما علیک یا سلمان». قلت: و أین تقع هذه یا رسول الله مما علی؟! قال:

«خذها فإن الله سیؤدی بها عنک». فأخذتها فوزنت لهم منها، و الذی نفس سلمان بیده، أربعین أوقیة، فأوفیتهم حقهم، فشهدت مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الخندق حرا. ثم لم یفتنی معه مشهد «۱».

و عن سلمان أنه قال: لما قلت: و أين تقع هذه من الذى على يا رسول الله؟! أخذها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقلبها على لسانه. ثم قال: «خذها فأوفهم منها». فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية «۲».

و عنه أيضا أنه قال لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين أخبره خبره: أن صاحب عمورية قال له:

ايت كذا و كذا من أرض الشام، فإن بها رجلا بين غيضتين، يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزا، يعترضاه ذوو الأسقام. فلا يدعو لأحد منهم إلا شفى، فسله عن هذا الدين الذى تبتغى، فهو يخبرك عنه.

قال سلمان: فخرجت حتى جئت حيث وصف لى، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه الناس مرضاهم، لا يدعو لمريض إلا شفى، و غلبونى عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل، إلا منكبه فتناولته فقال: من هذا؟ و التفت إلى، فقلت:

يرحمك الله أخبرنى عن الحنيفية دين إبراهيم. قال: إنك لتسأل عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلك زمان نبى يبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فائته فهو يحملك عليه.

ثم دخل. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لئن كنت صدقتنى يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم» «۳».

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۴۴۳)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۳۳۵)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۱/ ۱۶۹)، المعجم الكبير للطبرانى (۶۰۶۵).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۴۴۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۳۳۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۲/ ۳۱۰).

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۱/ ۳۶۵)، طبقات ابن سعد (۴/ ۱/ ۵۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۲/ ۳۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۵۳

و من حديث غير ابن إسحاق، عن أبى سفيان بن حرب قال: خرجت أنا و أمية بن أبى الصلت، و آخر سقط اسمه من كتابى، تجارا إلى الشام. قال أبو سفيان: فكلما نزلنا منزلا أخرج أمية سفرا يقرأه علينا، فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى، فرأوه و عرفوه و أهدوا له فذهب معهم إلى بيعتهم، ثم رجع فى وسط النهار، فطرح ثوبيه، و استخرج ثوبين أسودين، فلبسهما ثم قال: يا أبا سفيان، هل لك فى عالم من علماء النصارى إليه تناهى علم الكتب تسله عما بدا لك؟. قال: قلت لا أرب لى فيه، و الله لئن حدثنى ما أحب لا أثق به، و لئن حدثنى ما أكره لأوجلن منه.

قال: و ذهب يخالفه شيخ من النصارى، فدخل علينا فقال، يعنى له و للآخر الذى كان معه: ما منعكما أن تذهبا إلى هذا الشيخ؟ قلنا: لسنا على دينه. قال: و إن، فإنكما تسمعان عجبا و تريانه. قال: قلنا: لا أرب لنا فى ذلك. قال أثقفيان أنتما؟ قلنا: لا و لكن من قريش.

قال: فما منعكما من الشيخ، فو الله إنه ليحبكم و يوصى بكم.

و خرج من عندنا، و مكث أمية عنا حتى جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه، فو الله ما قام و لا نام حتى أصبح. قال: فأصبح كئيبا حزينا، ساقطا غبوقه على صبوحه ما يكلمنا، ثم قال: أ لا ترحلان؟ قلنا: و هل بك من رحيل؟ قال:

نعم، فارحلا.

فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين من همه و بثه. ثم قال ليلة: أ لا تحدث يا أبا سفيان؟ قلت:

و هل بك من حديث! فو الله ما رأيت مثل الذى رجعت به من عند صاحبك. قال: أما إن ذلك شىء لست فيه إنما ذلك شىء و جلت به من منقلبى. قلت: و هل لك من منقلب؟ قال: إى و الله لأموتن و لأحاسبن. قلت: فهل أنت قابل أمانى؟ قال: و على ما ذا؟ قلت: على أنك لا تبعث و لا تحاسب؛ فضحك ثم قال: بلى و الله يا أبا سفيان لنبعثن و لنحاسبن، و ليدخلن فريق فى الجنة و فريق فى النار. قلت: فى أيتهما أنت أخبرك صاحبك. قال: لا علم لصاحبى بذلك فى و لا فى نفسه.

فكنا فى ذلك ليلتنا، يعجب منا و نضحك منه، حتى قدمنا غوطة دمشق و إياها كنا نريد، فبعنا متاعنا و أقمنا بذلك شهرين، ثم ارتحلنا حتى نزلنا بتلك القرية من قرى النصارى، فلما رأوه جاءوه فأهدوا له، و ذهب معهم إلى بيعتهم، حتى جاءنا مع نصف النهار، فلبس ثوبيه الأسودين، فذهب و لم يدعنا إليه كما دعانا أول مرة، ثم جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه، ثم رمى بنفسه على فراشه فو الله ما نام و لا قام، فأصبح

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۱۵۴

مبثوثا حزينا، لا يكلمنا و لا نكلمه ثم قال لى: أ لا ترحلان؟ قلت: بلى إن شئت. قال: فارحلا.

فرحلنا فسرنا كذلك من بثه و حزنه ليالى. ثم قال لى ليلة: يا أبا سفيان، هل لك فى المسير؟ و تخلف هذا الغلام يستأنس بأصحابنا و يستأنسون به؟ قلت له: ما شئت. قال:

فسر. فسرنا حتى برزنا. قال: هى يا صخرا! قلت: ما لك؟. قال: هى عن عتبة بن ربيعة أ يجتنب المحارم و المظالم؟ قلت: إى و الله. قال: و يصل الرحم و يأمر بصلتها؟

قلت: نعم و يصل الرحم و يأمر بصلتها. قال: و كريم الطرفين، واسط فى العشيرة؟

قلت: كريم الطرفين واسط فى العشيرة. قال: فهل تعلم قرشيا أشرف منه؟ قلت: لا و الله ما أعلم. قال: و محوج هو؟ قلت: لا بل ذو مال.

قال: فكم أتى له؟ قلت: هو ابن سبعين نظر إليها قد قاربها، هو لها، هو ابنها. قال: فالسن و الشرف أزريا به؟ قلت:

و ما لهما أزريا به؟ لا و الله بل هما زاداه خيرا. قال: هو ذاك هل لك فى المبيت؟ قلت:

هل لك فيه حاجة؟ قال: فاضطجعنا. حتى مر الثقل فسرنا حتى نزلنا فكنا فى المنزل و بتنا.

ثم رحلنا، فلما كان الليل قال: يا أبا سفيان. قلت: لبيك. قال: هل لك فى البارحة؟ قلت: هل لى. قال: فسرنا على ناقتين ناجيتين، حتى إذا برزنا قال: يا صحر، إيه عن عتبة. قلت: إيه عنه. قال: أ يجتنب المحارم و المظالم و يأمر بصلة الرحم و يصلها؟

قلت: و يفعل. قال: و محوج؟ قلت: و محوج.

قال: هل تعلم قرشيا أسود منه؟ قلت: و الله ما أعلمه. قال: أو كم أتى له؟ قلت:

سبعون هو لها هو ابنها قد واقعها. قال: فإن السن و الشرف أزريا به. قلت: لا و الله ما أزريا به و لكنهما زاداه، و أنت قائل شيئا فقله.

قال: و الله لا تذكر حديثى حتى يأتى ما هو آت. قلت: و الله لا أذكره. قال: الذى رأيت أصابنى فإنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء.

قلت: أخبرنى عن هذا النبىّ الذى ينتظر؟ قال: هو رجل من العرب. قلت:

قد علمت فمن أى العرب؟ قال: هو من أهل بيت تحجه العرب. قلت: فينا بيت تحجه العرب. قال: لا، هم إخوتكم و جيرانكم من قريش. قال: فأصابنى و الله شىء ما أصابنى مثله قط. و خرج من يدى فوز الدنيا و الآخرة، و كنت أرجو أن أكون أنا هو.

قلت: فإذا كان ما كان فصفه لى؟ قال: بلى، هو شاب حين دخل فى الكهولة بدء أمره، إنه يجتنب المحارم و المظالم، و يصل الرحم و يأمر بصلتها، و هو محوج ليس ينازع

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۱۵۵

شرفا كريم الطرفين، متوسط فى العشيرة أكثر جنده من الملائكة قلت: و ما آية ذلك؟

قال: قد رجف بالشام منذ هلك عيسى ابن مريم ثمانون رجفة كلها فيهم مصيبة عامة، و بقيت رجفة عامة، فيها مصيبة يخرج على أثرها.

قال أبو سفيان: قلت: و إن هذا هو الباطل، لئن بعث الله رسولا، لا يأخذه إلا شريفا مسنا. قال: و الذى يحلف به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان. هل لك فى المبيت. فبتنا حتى مر بنا الثقل، فرحلنا حتى إذا كان بيننا و بين مكة ليلتان، أدركنا الخبر من خلفنا:

أصاب الشام بعدکم رجفة دمر أهلها و أصابتهم فیها مصیبة عظیمة. قال: کیف تری یا أبا سفیان؟ قلت: أری و الله ما أظن صاحبک إلا صادقا.

و قدمنا مکة فقضیت ما کان معی، ثم انطلقت حتی جئت أرض الحبشة تاجرا، فمکثت بها خمسة أشهر، ثم أقبلت حتی قدمت مکة فبینا أنا فی منزلی، جاءنی الناس یسلمون علی، حتی جاءنی فی آخرهم محمد بن عبد الله صلی اللّه علیه و سلم، و عندی هند جالسة تلاعب صبیة لها، فسلم علی و رحب بی و سألنی عن سفری و مقدمی، ثم انطلق.

فقلت: و الله إن هذا الفتی لعجب، ما جاءنا أحد من قریش له معی بضاعة، إلا سألنی عنها و ما بلغت و و الله إن له معی لبضاعة، ما هو بأغناهم عنها، ثم ما سألنی فقالت: أو ما علمت بشأنه؟ قلت و فزعت: ما شأنه؟! قالت: و الله إنه لیزعم أنه رسول الله. قال:

فوقذنی ذلک و ذکرنی قول النصرانی، و وجمت حتی قالت لی: ما لک؟ فانتبهت و قلت:

إن هذا و الله لهو الباطل، لهو أعقل من أن یقول هذا. قالت: بلی و الله إنه لیقوله، و یؤتی علیه و إن له لصاحبة معه علی أمره. قلت: هو و الله باطل.

فخرجت فبینا أنا أطوف إذ لقیته، فقلت: إن بضاعتک قد بلغت و کان فیها خیر، فأرسل إلیها فخذها، و لست آخذا فیها ما آخذ من قومک قال: فإنی غیر آخذها حتی تأخذ منی ما تأخذ من قومی. قلت: ما أنا بفاعل. قال: فو الله إذا لا آخذها. قلت:

فأرسل إلیها. فأخذت منها ما کنت آخذ، و بعثت إلیه ببضاعته.

و لم أنشب أن خرجت تاجرا إلی الیمن فقدمت الطائف فنزلنا علی أمیة، فتغدیت معه ثم قلت: یا أبا عثمان، هل تذکر حدیث النصرانی؟ قال: أذکره. قلت: فقد کان، قال: و من؟ قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. ثم قصصت علیه خبر هند. قال:

فالله یعلم أنه تصبب عرقا ثم قال: یا أبا سفیان لعله، و إن صفته لهیه، و لئن ظهر و أنا حی لأبلین الله فی نصرته عذرا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۵۶

و مضیت إلی الیمن فلم أنشب أن جاءنی هناک استهلاله، و أقبلت حتی قدمت الطائف فنزلنا علی أمیة بن أبی الصلت. قلت: قد کان من هذا الرجل ما قد بلغک و سمعت.

قال: قد کان. قلت: فأین أنت؟ قال: ما کنت لأؤمن برسول لیس من ثقیف! قال أبو سفیان: فأقبلت إلی مکة و و الله ما أنا منه ببعید حتی جئت فوجدته هو و أصحابه یضربون و یقهرون، فجعلت أقول: فأین جنده من الملائکة؟! و دخلنی ما دخل الناس من النفاسة.

و وقع فی هذا الحدیث من قول أبی سفیان: أن عتبة بن ربیعة ذو مال، و وقع بعد ذلک من قول أبی سفیان أیضا أنه محوج، و لا یصح أن یجتمع الأمران، و أحدهما غلط من الناقل، و الله أعلم.

و المشهور من حال عتبة أنه کان فقیرا و کان یقال: لم یسد من قریش مملق إلا عتبة و أبو طالب، فإنهما سادا بغیر مال. و أما أمیة بن أبی الصلت فرجل من ثقیف، لم یرض دین أهل الجاهلیة، و لا وفقه الله للدخول فی السمحة الحنیفیة.

فکان کما روی عن عروة بن الزبیر قال: سئل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عن أمیة بن أبی الصلت فقال: «أوتی علما فضیعه». و کما روی عن الحسن و قتادة أنهما قالا- فی قول الله تعالی: وَ اتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَیْناهُ آیاتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّیْطانُ فَکانَ مِنَ الْغاوِینَ [الأعراف: ۱۷۵] أنه أمیة بن أبی الصلت.

و لغیرهما من العلماء فی المعنی بهذه الآیة قول أشهر من هذا، و هو أن المراد بها بلعام بن باعوراء، فالله تعالی أعلم.

قال ابن إسحاق «۱»: و اجتمعت قریش یوما فی عید لهم عند صنم من أصنامهم، کانوا یعظمونه، و ینحرون له، و یعکفون عنده، فخلص منهم أربعة نفر نجیا «۲»، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا و لیکتم بعضکم علی بعض.

قالوا: أجل. و هم: ورقة بن نوفل، و عبید الله بن جحش، و عثمان بن الحویرث بن أسد بن عبد العزی، و زید بن عمرو بن نفیل، فقال بعضهم لبعض: تعلموا و الله ما قومکم علی شیء، لقد أخطئوا دین أبیهم إبراهیم، ما حجر نطیف به لا یسمع و لا یبصر، و لا یضر و لا

ينفع!!. يا قوم: التمسوا لأنفسكم فإنكم و الله ما أنتم على شيء.

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۹۱- ۱۹۲).

(۲) نجى: النجى جماعة يتحدثون سرا يخفون حديثهم عن غيرهم، و هو لفظ يستوى فيه الواحد و الاثنان و الجماعة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۵۷

فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم.

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية، و اتبع الكتب من أهلها. و ذكر الزبير بن أبى بكر بإسناد له إلى عروة بن الزبير قال: سئل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن ورقة بن نوفل.

فقال: «لقد رأيته فى المنام عليه ثياب بيض، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض». و كان يذكر الله فى شعره فى الجاهلية، و يسبحه و هو الذى يقول:

لقد نصحت لأقوام و قلت لهمأنا النذير فلا يغرركم أحد

لا تعبدن إلها غير خالقكمفإن دعوكم فقولوا بيننا حدد

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم لهرب البرية فرد واحد صمد

سبحان ذى العرش سبحانا نعود لهو قبل سبحه الجودى و الجمد

مسخر كل ما تحت السماء لهلا ينبغى أن ينادى ملكه أحد

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتهيبقى الإله و يودى المال و الولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنهو الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

و لا سليمان إذ تجرى الرياح لهو الإنس و الجن فيما بينها برد

أين الملوك التى كانت لعزتهامن كل أوب إليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذبلا بد من ورده يوما كما وردوا و فى هذا الشعر ألفاظ عن غير الزبير، و البيت الأخير كذلك، و فيه أبيات تروى لأمية بن أبى الصلت.

قال ابن إسحاق «۱»: و أما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة، و معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة، فلما قدماها تنصر و فارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانيا، و خلف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعده على امرأته أم حبيبة، و كان حين تنصر يمر بأصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيقول: فقحنا و صأصأتم. أى أبصرنا و أنتم تلتمسون البصر و لم تبصروا بعد.

و أما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر و حسنت منزلته عنده.

و ذكر الزبير: أن قيصر ملكه على أهل مكة، و كتب له إليهم كتابا. فأنفت قريش أن يدينوا لأحد، و صاح فيه ابن عمه أبو زمعة الأسود بن المطلب بن أسد و الناس فى الطواف: إن قريشا لقاح لا تملك و لا تملك فمضت قريش على كلامه، و منعوا عثمان

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۵۸

ما جاء يطلب، فرجع إلى قيصر و مات بالشام مسموما. يقال: سمه عمرو بن حفنة الغسانى الملك، و كان يقال لعثمان: هذا البطريق، و لا عقب له.

قال ابن إسحاق «۱»: و أما زید بن عمرو بن نفیل فوقف فلم یدخل فی یهودیة و لا نصرانیة و فارق دین قومه، فاعتزل الأوثان، و المیتة و الدم، و الذبائح التی تذبح علی الأوثان و نهی عن قتل الموؤدة، و قال: أعبد رب إبراهیم، و بادی قومه بعیب ما هم علیه.

قالت أسماء بنت أبی بکر الصدیق رضی الله عنهما: لقد رأیت زید بن عمرو بن نفیل شیخا کبیرا مسندا ظهره إلی الکعبة، و هو یقول: یا معشر قریش، و الذی نفس زید بن عمرو بیده، ما أصبح منکم أحد علی دین إبراهیم غیری. ثم یقول: اللهم لو أنی أعلم أی الوجوه أحب إلیک عبدتک به، و لکن لا أعلمه. ثم یسجد علی راحلته «۲».

و سأل ابنه سعید بن زید و ابن عمه عمر بن الخطاب بن نفیل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: أ نستغفر لزید بن عمرو؟ قال: «نعم، فإنه یبعث أمه وحده» «۳».

و قال زید بن عمرو بن نفیل فی فراق دین قومه:

أربا واحدا أم ألف ربأدین إذا تقسمت الأمور

عزلت اللات و العزی جمیعاکذلک یفعل الجلد الصبور

فلا عزی أدین و لا ابنتیهاو لا صنمی بنی عمرو أزور

و لا غنما «*» أدین و کان ربالنا فی الدهر إذ حلمی یسیر

عجبت و فی اللیالی معجباتو فی الأیام یعرفها البصیر

بأن الله قد أفنی رجالاکثیرا کان شأنهم الفجور

و أبقی آخرین ببر قومفیربل منهم الطفل الصغیر

و بینا المرء یعثر ثاب یوماکما یتروح الغصن المطیر «۴»

و لکن أعبد الرحمن ربیلیغفر ذنبی الرب الغفور

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۱۹۳).

(۲) ذکره البخاری فی صحیحه تعلیقا فی کتاب مناقب الأنصار، باب حدیث زید بن عمرو بن نفیل (۷/ ۱۴۳).

(۳) انظر الحدیث فی: دلائل النبوة للبیهقی (۲/ ۱۲۴)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۲/ ۲۳۹)، المطالب العالیة لابن حجر (۴۰۵۵).

(*) هکذا فی الأصول، و فی السیرة (۱/ ۱۹۴): «و لا هبلا».

(۴) ثاب: رجع. یتروح: یهتز و یحتضر، و ینبت ورقة بعد سقوطه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۵۹ فتقوی الله ربکم احفظوهامتی ما تحفظوها لا تبوروا

تری الأبرار دارهم جنانو للکفار حامیة سعیر

و خزی فی الحیاة و إن یموتوایلاقوا ما تضیق به الصدور و قال زید بن عمرو بن نفیل، و ذکر ابن هشام: أن أکثرها لأمیة بن أبی الصلت «۱»، فی قصیدة له:

إلی الله أهدی مدحتی و ثنائیا قولا رصینا لا ینی الدهر باقیا

إلی الملک الأعلی الذی لیس فوقهإله و لا رب یکون مدانیا

ألا أیها الإنسان إیاک و الردیفإنک لا تخفی من الله خافیا

فإیاک لا تجعل مع الله غیرهفإن سبیل الرشد أصبح بادیا

حنانیک إن الجن کانت رجاؤهمو أنت إلهی ربنا و رجائیا

رضیت بک اللهم ربا فلن أریأدین إلها غیرک الله ثانیا

و أنت من فضل من و رحمةبعثت إلى موسى رسولا مناديا

فقلت له اذهب و هارون فادعواإلى الله فرعون الذى كان طاغيا

و قولا له آنت سويت هذهبلا وتد حتى اطمأنت كما هيا

و قولا له آنت رفعت هذهبلا عمد أرفق إذا بك بانيا «۲»

و قولا له آنت سويت وسطهامنيرا إذا ما جنه الليل هاديا

و قولا له من يرسل الشمس غدوةفيصبح ما مست من الأرض ضاحيا

و قولا له من ينبت الحب فى الثرىفيصبح منه البقل يهتز رابيا

و يخرج منه حبه فى رءوسهو فى ذاك آيات لمن كان واعيا

و أنت بفضل منك نجيت يونساو قد بات فى أضعاف حوت لياليا

و إنى و إن سبحت باسمك ربنالأكثر إلا ما غفرت خطائيا

فرب العباد ألق سيبا و رحمةعلى و بارك فى بنى و ماليا و قال زيد بن عمرو أيضا:

و أسلمت وجهى لمن أسلمتله الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما رآها استوتعلى الماء أرسى عليها الجبالا

---

(۱) أمية بن الصلت بن أبى ربيعة بن عبد عوف بن عقدة بن غيرة. انظر ترجمته فى: الشعر و الشعراء (ص ۳۰۰).

(۲) أرفق إذا بك بانيا: هذا على التعجب، أى أرفقك بانيا؟.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۶۰ و أسلمت وجهى لمن أسلمتله المزن تحمل عذبا زلالا

إذا هى سيقت إلى بلدةأطاعت فصبت عليها سجالا و يروى أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال: لبيك حقّا حقّا تعبدا و رقا، عذت بما عاذ به إبراهيم مستقبل القبلة و هو قائم، إذ قال: إنى لك عان راغم، مهما تجشمنى فإنى جاشم، البر أبقى لا الخال، ليس مهجر كمن قال. و يقال: البر أبقى لا الحال «۱».

و كان الخطاب بن نفيل قد آذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة. فنزل حرا مقابل مكة. و كان الخطاب عمه و أخاه لأمه، و كل به شبابا من شباب قريش و سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة. فكان لا يدخلها إلا سرا منهم، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه و آذوه، مخافة أن يفسد عليهم دينهم و أن يتابعه أحد منهم على فراقه «۲».

و كان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم، فكانت امرأته صفية بنت الحضرمى كلما رأته تهيأ للخروج أو أراده، آذنت به الخطاب بن نفيل، و كان الخطاب و كلها به و قال: إذا رأيته هم بأمر فآذنينى به «۳».

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۱۹۶).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۱۹۷)، و هناك أورد شعر قاله فى ذلك و هو:

لاهم إنى محرم لا حله‌و إن بيتى أوسط المحلة عند الصفا ليس بذى مضله

(۳) ذكره فى السيرة و ذكر هناك شعر يعاتب فى امرأته على ذلك و هو:

لا تحبسينى فى الهوان صفى ما دابى و دابه

إنى إذا خفت الهوان مشيع ذلل ركابه

دعموص أبواب الملوك و جائب للخرق نابه

قطاع أسباب تذلبغير أقران صعابه

و إنما أخذ الهوان العير إذ يوهى إهابه

و يقول إنى لا أذلبصكك جنبيه صلابه

و أخى ابن أمى ثمعمى لا يواتينى خطابه

و إذا يعاتبنى بسوء قلت أعيانى جوابه

و لو أشاء لقلتما عندى مفاتحه و بابه انظر السير: (۱/ ۱۹۵- ۱۹۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۶۱

ثم خرج يطلب دين إبراهيم و يسأل الرهبان و الأحبار، حتى بلغ الموصل و الجزيرة كلها، ثم أقبل فجال الشام كلها، حتى انتهى إلى راهب بميفعة «۱» من أرض البلقاء «۲»، كان ينتهى إليه علم النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال: إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، و لكن قد أظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق به فإنه مبعوث الآن، هذا زمانه.

و قد كان زيد رام اليهودية و النصرانية فلم يرض منها شيئا، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكة، حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه. فقال ورقة بن نوفل يبكيه «۳»:

رشدت و أنعمت ابن عمرو و إنماتجنبت تنورا من النار حاميا

بدينك ربا ليس رب كمثلهو تركك أوثان الطواغى كما هيا

و إدراكك الدين الذى قد طلبتهو لم تك عن توحيد ربك ساهيا

فأصبحت فى دار كريم مقامهاتعلل فيها بالكرامة لاهيا

تلاقى خليل الله فيها و لم تكنمن الناس جبارا إلى النار هاويا

و قد تدرك الإنسان رحمة ربهو لو كان تحت الأرض سبعين واديا قال ابن إسحاق «۴»: و كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مما أثبت لهم يحنس الحوارى حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى ابن مريم إليهم فى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: من أبغضنى فقد أبغض الرب، و لو لا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة، و لكن من الآن بطروا، و ظنوا أنهم يعزوننى و أيضا للرب، و لكن لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس، أنهم أبغضونى مجانا، أى باطلا، فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب، روح القسط هو الذى من عند الرب خرج

---

(۱) ميفعة: أصل الميفعة الموضع المرتفع من البقاع.

(۲) البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبلقاء بن سورية من بنى عبيل بن لوط و هو بناها، و بها كان اجتماع الحكمين أبى موسى و عمرو بن العاص، رضى الله عنهما، فكان من أمرهما ما كان، و قيل كان ذلك بدومة الجندل على عشرة أيام من دمشق. انظر: الروض المعطار (ص ۹۶، ۹۷).

(۳) انظر الأبيات فى: السيرة (۱/ ۱۹۸).

(۴) انظر: السيرة (۱/ ۱۹۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۶۲

فهو شهيد على، و أنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معى، هذا قلت لكم لكيلا تشكوا.

و المنحمنا بالسريانية هو محمد صلى اللّه عليه و سلم، و هو بالرومية البرقليطس.

قال ابن هشام: و بلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرئاسة إلى غيره ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى قبله و لم يكسرها، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم يمشى فعثر، فقال ابنه: تعس الأبعد. يريد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فقال له أبوه: لا تفعل فإنه نبى و اسمه فى الوضائع. يعنى الكتب. فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم، فوجد ذكر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فأسلم فحسن إسلامه و حج.

و هو الذى يقول:

إليك تعدو قلقا و ضينهامعترضا فى بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

و قد جاءت أحاديث حسان بما وقع من صفة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى التوراة، لم يذكر ابن إسحاق منها شيئا. فمن ذلك ما ذكره الواقدى عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص فقلت: أخبرنى عن صفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى التوراة؟ فقال: أجل و الله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى الفرقان: يا أيها النبىّ إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا و حرزا للأميين، أنت عبدى و رسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ و لا غليظ و لا صخاب فى الأسواق، و لا يدفع السيئة بالسيئة، و لكن يعفو و يغفر، و لن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، يفتح بها أعينا عميا و آذانا صما و قلوبا غلفا.

قال عطاء: ثم لقيت كعب الأحبار فسألته فما اختلفا فى حرف! و ذكر الواقدى أيضا، عن النعمان السبئى قال: و كان من أحبار اليهود باليمن، فلما سمع بذكر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم قدم عليه فسأله عن أشياء، ثم قال: إن أبى كان يختم على سفر يقول: لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب، فإذا سمعت به فافتحه.

قال نعمان: فلما سمعت بك فتحت السفر، فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، و إذا فيه ما تحل و ما تحرم، و إذا فيه أنك خير الأنبياء و أمتك خير الأمم و اسمك أحمد صلى الله عليك و سلم، و أمتك الحمادون، قربانهم دماؤهم و أناجيلهم صدورهم، لا يحضرون

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۶۳

قتالا إلا و جبريل معهم، يتحنن الله إليهم كتحنن الطير على أفراخه.

ثم قال لى: إذا سمعت به فاخرج إليه و آمن به و صدق به. فكان النبىّ صلى اللّه عليه و سلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه، فأتاه يوما فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «يا نعمان حدثنا»، فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يتبسم، ثم قال: «أشهد أنى رسول الله» «۱»، و يقال: إن النعمان هذا هو الذى قتله الأسود العنسى و قطعه عضوا عضو و هو يقول:

أشهد أن محمدا رسول الله، و أنك كذاب مفتر على الله عز و جل. ثم حرقه بالنار.

ذكر المبعث

قال ابن إسحاق «۲»: فلما بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين و كافة للناس. و كان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالإيمان به و التصديق له و النصر على من خالفه، و أخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم و صدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق.

فيه يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه و سلم: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِی أى ثقل ما حملتكم من عهدى قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران: ۸۱]. فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له و النصر و أدوا ذلك إلى من آمن بهم و صدقهم من أهل هذين الكتابين.

و عن عائشة رضى الله عنها، أن أول ما ابتدئ به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من النبوة حين أراد الله كرامته و رحمة العباد به، الرؤيا الصادقة، لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، و حبب الله إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده «۳».

---

(۱) أخرجه البخارى (۴/ ۸۸، ۷/ ۱۰۳)، مسلم كتاب الإيمان (۱۷۸)، البيهقى فى الدلائل (۱/ ۱۴۲)، السيوطى فى الدر المنثور (۱/ ۲۷۳)، ابن كثير فى البداية (۶/ ۱۹۰)، العجلونى فى كشفا الخفاء (۱/ ۱۴۲)، أبو نعيم فى الدلائل (۱۶۵).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۱۹۹).

(۳) انظر الحديث فى: البخارى فى صحيحه كتاب بدء الوحى (۱/ ۲۲)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (۱/ ۲۵۲)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۱۵۳، ۲۳۲، ۲۳۳). مستدرك الحاكم (۳/ ۱۸۳، ۱۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱،ص:۱۶۴

و عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين أراده الله بكرامته و ابتدائه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت و يفضى إلى شعاب مكة و بطون أوديتها، فلا يمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، بحجر و لا شجرة إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيلتفت حوله عن يمينه و شماله و خلفه فلا يرى إلا الشجر و الحجارة، فمكث كذلك يرى و يسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله و هو بحراء فى رمضان «۱».

و عن عبيد بن عمير بن قتادة الليثى، يحدث كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من النبوة حين جاءه جبريل قال: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يجاور فى حراء من كل سنة شهرا، و كان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية، و التحنث: التبرر.

فكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله، ثم يرجع إلى بيته «۲».

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به فيه ما أراد من كرامته، و ذلك الشهر رمضان، خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره و معه أهله، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته و رحم العباد بها جاءه جبريل بأمر الله.

قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فجاءنى و أنا نائم بنمط «۳» من ديباج فيه كتاب «۴»، فقال: اقرأ.

قلت: «ما أقرأ» فغتنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ. فقلت: «ما أقرأ» فغتنى «۵» به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، قلت: «ما أقرأ» فغتنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى فقال: اقرأ: قلت: «ما ذا أقرأ؟»، ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع، قال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ

---

(۱) ذكره ابن سعد فى الطبقات (۱/ ۱۵۷)، البيهقى فى دلائل النبوة (۲/ ۱۴۶)، الحاكم فى المستدرك (۴/ ۷۰).

(۲) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۲).

(۳) النمط: هو ضرب من البسط.

(۴) كتاب: قال فى الروض الأنف: قال بعض المفسرين فى قوله تعالى: الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ إنها إشارة إلى الكتاب الذى جاء به جبريل حين قال له: اقرأ.

(۵) فغتنى: قال ابن الأثير: الغت و الغط سواء كأنه أراد عصرنى عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقة، كما يجد من يغمس فى الماء قهرا.

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱،ص:۱۶۵

مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ۱، ۵]، فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى و هببت من نومى، «فكأنما كتبت فى قلبى كتابا».

فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله و أنا جبريل، فرفعت رأسى إلى السماء أنظر، فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، و أنا جبريل.

فوقفت أنظر إليه فما أتقدم و ما أتأخر، و جعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء، فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى و ما أرجع ورائى، حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى، فبلغوا مكة و رجعوا إليها و أنا واقف فى مكانى ذلك، ثم انصرف عنى و انصرفت عنه راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها. فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فو الله لقد بعث رسلى فى طلبك فبلغوا مكة و رجعوا إلى، ثم حدثتها بالذى رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عمى و اثبت، فو الذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل و هو ابن عمها، و كان قد تنصر و قرأ الكتب و سمع من أهل التوراة و الإنجيل، فأخبرته بما أخبرها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنه رأى و سمع، فقال ورقة: قدوس قدوس، و الذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، و إنه لنبى هذه الأمة، فقولى له فليثبت، فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبرته بقول ورقة.

فلما قضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جواره و انصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل و هو يطوف بالكعبة، فقال له: يا ابن أخى، أخبرنى بما رأيت و سمعت، فأخبره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال له ورقة: و الذى نفسى بيده، إنك لنبى هذه الأمة، و لقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى، و لتكذبنه و لتؤذينه و لتخرجنه و لتقاتلنه، و لئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى منزله «۱».

و يروى عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أى ابن عم، أ تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال: «نعم». قالت: فإذا جاءك فأخبرنى به،

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۱۴۶، ۱۴۹)، فتح البارى لابن حجر (۸/ ۵۸۸، ۵۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۶۶

فجاءه جبريل كما كان يصنع، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «يا خديجة، هذا جبريل قد جاءنى»، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى، فقام فجلس عليها، قالت:

هل تراه؟ قال: «نعم». قالت: فتحول فاقعد على فخذى اليمنى، فتحول فقعد على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم». قالت: فتحول فاجلس فى حجرى، فتحول فجلس فى حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: «نعم»؛ فتحسرت و ألقت خمارها و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جالس فى حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: «لا». قالت: يا ابن عم، اثبت و أبشر، فو الله إنه لملك ما هذا بشيطان «۱».

و يروى أن خديجة أدخلت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بينها و بين درعها، فذهب عند ذلك جبريل، و ابتدئ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالتنزيل فى رمضان.

يقول الله عز و جل: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ [البقرة: ۱۸۱]، و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر:

۱] إلى خاتمة السورة.

و قال: حم وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ [الدخان: ۱، ۴]، و قال: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ [الأنفال: ۴۲]، يعنى ملتقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و المشركين ببدر، و ذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان.

هكذا أورد ابن إسحاق «۲» رحمه الله هذه الآيات كالمستشهد بها على ابتداء التنزيل فى شهر رمضان على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. و فى صورة هذا الاستشهاد نظر. فإن ظاهر قوله سبحانه: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عموم نزول القرآن بجملته فيه.

و كذلك قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ و إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ.

و لم يقع الأمر فى إنزاله على رسوله صلى اللّه عليه و سلم هكذا، بل أنزله الله عليه فى رمضان و فى غيره متفرقا، آيات و سورا، بحسب سؤال السائلين، أو أحداث المحدثين، أو ما شاء الله من هداية العالمين.

و قد قيل فى قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ أى

---

(۱) انظر الحديث فى: الجامع الكبير (۲/ ۷۲۱).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۰۴).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱، ص:۱۶۷

الذى أنزل فى شأنه القرآن، أى نزل الأمر من الله عز و جل، بصيامه كتابا يتلى و قرآنا لا يدرس و لا يبلى.

كما يقال: «نزل القرآن بالصلاة» أى نزل جزء منه بفرضها و «نزل القرآن فى عائشة» رضى الله عنها، و إنما نزلت منه آيات براءتها من الإفك. و مثل هذا الإطلاق موجود فى الأحاديث و الآثار كثيرا.

و لنسلم أن معنى قوله: أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أى ابتدئ فيه إنزاله، فقد قيل ذلك و ليس ببعيد فى المفهوم و لا مما تضيق عنه سعة الكلام، ثم نجرى ذلك المجرى الآيتين الأخيرتين، و هما: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، و إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، و إن بعد ذلك فيهما لما ورد من الآثار المصححة لحكم عمومهما حسبما نذكره بعد، فما بال الآية الأخرى التى هى: وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ تنتظم فى هذا النظام، و قد أعقبها مفسرا بأن المعنى بذلك يوم بدر، و هو الحق؟!.

و هل كان يوم بدر إلا فى السنة الثانية من الهجرة، و بعد اثنتى عشرة سنة من البعث و نزول الوحى، أو بعد خمس عشرة سنة، على ما ورد من الخلاف فى مدة مكث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمكة بعد النبوة، و ما زال القرآن المكى و المدنى ينزل فى ماضى تلك السنين!.

فإن كان ابن إسحاق عنى ما ذكرناه عنه و نسبناه إليه فقد بينا وجه رده و استوفينا التنبيه عليه، و إن كان عنى غير ذلك فقصر عنه تحرير عبارته أو سقط على الناقل من كلامه ما كان يفى لو بقى بإفهامه، فالله تعالى أعلم. و الرجل أولى منا بأن يصيب و يسلم، إلا أنه لا ينكر أن يغلط هذا البشر.

و نعوذ بالله أن نقصد بهذا الاعتداء على ذى علم أو الغض من ذى حق، فإن العلماء هم آباؤنا الأقدمون و هداتنا المتقدمون، بأنوارهم نسرى فنبصر و نستبصر، و إلى غاياتهم نجرى فطورا نصل و أطوارا نقصر، فلهم دوننا قصب السبق، و لهم علينا فى كل الأحوال أعظم الحق، إذا أصابوا اعتمدنا، و إذا أخطئوا استفدنا، و إذا أفادوا استمددنا، فجزاهم الله عنا أفضل الجزاء، و وفقنا لتوفية حقوق الأئمة و العلماء.

و بعد: فمن أحسن ما يتقلد فى تلك الآيات الثلاث التى صدر بها كلامه، مما يحفظ حكم عمومها و يطابق ظاهر مفهومها، ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين، أن القرآن أنزل جملة واحدة فى شهر رمضان إلى سماء الدنيا، فجعل فى بيت العزة، ثم أنزل على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم شيئا فشيئا إلى حين وفاته.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۶۸

و قيل للشعبى: شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، أ ما كان ينزل فى سائر السنة؟

قال: بلى، و لكن جبريل عليه السلام، كان يعارض محمدا صلى اللّه عليه و سلم فى شهر رمضان ما أنزل فى ماضى السنة فيمحو الله ما يشاء و يثبت.

قال ابن إسحاق «۱»: ثم تتام الوحى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو مؤمن بالله مصدق لما جاءه منه، قد قبله بقبوله و تحمل منه ما حمله على رضا العباد و سخطهم. و للنبوة أثقال و مئونة لا يحملها، و لا يستطيع بها إلا أهل القوة و العزم من الرسل بعون الله و توفيقه، لما يلقون من الناس و ما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله عز و جل.

فمضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف و الأذى.

و آمنت به خديجة بنت خويلد، و صدقت بما جاءه من الله، و آزرته على أمره. فكانت أول من آمن بالله و رسوله و صدق بما جاء منه.

فخفف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه و تكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته و تخفف عليه و تصدقه و تهون عليه أمر الناس. يرحمها الله «۲».

ثم فتر عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الوحى حتى شق عليه و أحزنه. فجاءه جبريل بسورة وَ الضُّحى، يقسم له ربه جل و علا، و هو الذى أكرمه بما أكرمه به، ما ودعه و لا قلاه.

فقال: وَ الضُّحى وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى، يقول: ما حرمك فتركك، و ما أبغضك منذ أحبك، وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى أى لما عندى من مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا، وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى من الفلج فى الدنيا و الثواب فى الآخرة، أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى «۳».

يعرفه بما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره، و منه عليه فى يتمه و عيلته و ضلالته، و استنفاذه من ذلك برحمته، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ أى لا تكن جبارا و لا متكبرا و لا فحاشا فظا على الضعفاء من بعاد الله، وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ اذكرها و ادع إليها «۴».

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۰۴).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۰۵).

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۲۰۶).

(۴) انظر: السيرة (۱/ ۲۰۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۶۹

فجعل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يذكر ما أنعم الله به عليه و على العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن به إليه من أهله. و افترضت عليه الصلاة، فصلى صلوات الله و سلامه عليه و رحمته و بركاته.

قالت عائشة رحمها الله: افترضت الصلاة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة، ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعا و أقرها فى السفر على فرضها الأولى ركعتين «۱».

و عن بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أتاه جبريل و هو بأعلى مكة فهمز له بعقبة فى ناحية الوادى فانفجرت له منه عين، فتوضأ جبريل و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ينظر، ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به و صلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بصلاته، ثم

انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خديجة فتوضأ ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها ثم صلى بها كما صلى به جبريل فصلت بصلاته «۲».

و عن نافع بن جبير بن مطعم، و كان كثير الرواية عن ابن عباس، قال: لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر. ثم صلى به الظهر حين كان ظله مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق. ثم قال: يا محمد، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم و صلاتك بالأمس «۳».

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۱/ ۴۶۴)، سنن أبى داود (۱۱۹۸)، النسائى (۱/ ۲۲۵)، أحمد فى المسند (۶/ ۲۷۲).

(۲) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۱/ ۵۳۵، ۵۳۶)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۲۲۳، ۲۲۴)، و ذكره السهيلى فى الروض الأنف (۱/ ۲۸۳، ۲۸۴).

(۳) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (۱/ ۳۹۳)، سنن الترمذى (۱۴۹)، مسند الإمام أحمد (۳۰۸۱)، مستدرك الحاكم (۱/ ۱۹۳).

و ذكره السهيلى فى الروض الأنف (۱/ ۲۸۴)، و قال: هذا الحديث لم يكن ينبغى له أن يذكره فى هذا الموضع، لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة كانت فى الغد من ليلة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۷۰

قال ابن إسحاق «۱»: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و صلى و صدق بما جاءه من الله تبارك و تعالى، علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، و هو ابن عشر سنين يومئذ.

و كان مما أنعم الله به عليه أنه كان فى حجر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل الإسلام. و ذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، و كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للعباس عمه، و كان من أيسر بنى هاشم: «يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه»، قال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ما شئتما، و يقال: عقيلا و طالبا، فأخذ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عليّا فضمه إليه، و أخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علىّ مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى بعثه الله نبيا فاتبعه على و آمن به و صدقه، و لم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم و استغنى عنه «۲».

و ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، و خرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من أبى طالب و من جميع أعمامه و سائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصليان فقال لرسول الله: يا ابن أخى، ما هذا الدين الذى أراك تدين به؟! قال: «أى عم، هذا دين الله و دين ملائكته و رسله، و دين أبينا إبراهيم». أو كما قال صلى اللّه عليه و سلم. «بعثنى الله به رسولا إلى العباد، و أنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة و دعوته إلى الهدى، و أحق من أجابنى إليه و أعاننى عليه». أو كما قال.

فقال أبو طالب: أى ابن أخى، إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى و ما كانوا عليه، و لكن و الله لا يخلص إليك بشىء تكرهه ما بقيت «۳».

- الإسراء، و ذلك بعد ما نبئ بخمسة أعوام، و قد قيل: إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام و نصف، و قيل: بعام، فذكره ابن إسحاق فى بدء نزول الوحى، و أول أحوال الصلاة.

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۰۸- ۲۰۹).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۱۶۲).

(۳) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۳۱۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۷۱

و ذكروا أنه قال لعلى: أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه؟. فقال: يا أبت، آمنت برسول الله و صدقت بما جاء به و صليت معه لله و اتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

قال ابن إسحاق «۱»: ثم أسلم زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فكان أول ذكر أسلم و صلى بعد على بن أبى طالب، و عن غير ابن إسحاق أن زيدا أصابه فى الجاهلية سباء فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد و قيل: بل وهبه لها، فوهبته خديجة لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأعتقه و تبناه، و ذلك قبل أن يوحى إليه، و كان حارثة أبوه قد جزع عليه جزعا شديدا و بكى عليه حين فقده، فقال:

بكيت على زيد و لم أدر ما فعل أ حى فيرجى أم أتى دونه الأجل

فو الله ما أدرى و إنى لسائل أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل

و يا ليت شعرى هل لك الدهر أوبةفحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعهاو تعرض ذكراه إذا غربها أفل

و إن هبت الأرواح هيجن ذكرهفيا طول ما حزنى عليه و ما وجل

سأعمل نص العيس فى الأرض جاهداو لا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتى أو تأتى على منيتىفكل امرئ فإن و إن غره الأمل ثم إن أناسا من كلب حجوا فرأوا زيدا فعرفهم و عرفوه، فأعلموا أباه و وصفوا له موضعه و عند من هو. فخرج أبوه حارثة و عمه كعب ابنا شراحيل لفدائه.

و قدما مكة فسألا عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فدخلا عليه فقالا: يا ابن عبد المطلب بن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله و جيرانه، تفكون العانى و تطعمون الأسير، جئناك فى ابننا عبدك، فامنن عليه و أحسن إلينا فى فدائه. قال: «من هو؟» قالوا: زيد بن حارثة.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «فهلا غير ذلك؟» قالوا: ما هو؟ قال: «أدعوه فأخيره، فإن اختاركم فهو لكم، و إن اختارنى فو الله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحدا».

قالا: قد زدتنا على النصف و أحسنت.

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم. قال: «من هذا؟» قال: أبى و هذا عمى.

قال: «فأنا من قد علمت و رأيت صحبتى لك فاخترنى أو اخترهما». قال زيد: ما أنا بالذى اختار عليك أحدا، أنت منى مكان الأب و العم!، فقالا: و يحك يا زيد! أ تختار

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۷۲

العبودية على الحرية، و على أبيك و عمك و أهل بيتك! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذى أختار عليه أحدا أبدا.

فلما رأی ذلک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أخرجه إلی الحجر فقال: «یا من حضر، اشهدوا أن زیدا ابنی یرثنی و أرثه». فلما رأی ذلک أبوه و عمه طابت نفوسهما، فانصرفوا «۱».

فدعی: زید بن محمد، حتی جاء الله بالإسلام فنزلت: ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ الآیة [الأحزاب: ۴]. فدعی من یومئذ زید بن حارثة «۲».

قال ابن إسحاق «۳»: ثم أسلم أبو بکر بن أبی قحافة، و اسمه عتیق، و قیل: عبد الله، و عتیق لقب، لحسن وجهه و عتقه، فیما قال ابن هشام. و اسم أبی قحافة عثمان بن عامر ابن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم بن مرة بن کعب بن لؤیّ.

فلما أسلم أظهر إسلامه و دعا إلی الله و إلی رسوله. و کان أبو بکر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا، و کان أنسب قریش لقریش و أعلم قریش بها و بما کان فیها من خیر و شر، و کان رجلا تاجرا ذا خلق و معروف، و کان رجال قومه یأتونه و یألفونه لغیر واحد من الأمر، لعلمه و تجارته و حسن مجالسته، فجعل یدعو إلی الإسلام من وثق به من قومه ممن یغشاه و یجلس إلیه.

قال «۴»: فأسلم بدعائه فیما بلغنی، عثمان بن عفان بن أبی العاص بن أمیة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصی، و الزبیر بن العوام بن خویلد بن أسد بن عبد العزی بن قصی، و عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن کلاب، و سعد بن أبی وقاص مالک بن أهیب بن عبد مناف بن زهرة، و طلحة بن عبید الله بن عثمان بن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم بن مرة، فجاء بهم إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین استجابوا له فأسلموا و صلوا.

فکان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول فیما بلغنی «ما دعوت أحدا إلی الإسلام إلا کانت فیه عنده کبوة و نظر و تردد، إلا ما کان من أبی بکر بن أبی قحافة، ما عکم عنه حین ذکرته له و ما تردد فیه» «۵».

---

(۱) انظر الحدیث فی: معجم الطبرانی الکبیر (۵/ ۶۶، ۱۲/ ۱۱۴)، تفسیر ابن کثیر (۳/ ۴۶۹) کنز العمال للمتقی الهندی (۳۶۴۹۳، ۳۶۴۹۶).

(۲) ذکره الهیثمی فی المجمع (۹/ ۲۷۴).

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۲۱۱).

(۴) انظر: السیرة (۱/ ۲۱۲۹).

(۵) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۱/ ۱۰۸، ۳/ ۲۷)، الدلائل للبیهقی (۲/ ۱۶۴).

قال «۱»: فکان هؤلاء النفر الثمانیة الذین سبقوا الناس بالإسلام فصلوا و صدقوا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و صدقوا بما جاءه من الله، ثم أسلم أبو عبیدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهیب بن ضبة بن الحارث بن فهر.

و أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و الأرقم بن أبی الأرقم بن أسد أبی جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و عثمان بن مظعون بن حبیب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصیص بن کعب بن لؤیّ.

و أخواه قدامة و عبد الله ابنا مظعون، و عبیدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصی، و سعید بن زید بن عمرو بن نفیل بن عبد العزی بن عبد الله بن قرط بن ریاح بن رزاح بن عدی بن کعب بن لؤیّ.

و امرأته فاطمة بنت عمه الخطاب بن نفیل أخت عمر بن الخطاب، و أسماء بنت أبی بکر الصدیق، و عائشة بنت أبی بکر الصدیق و هی صغیرة، و خباب بن الأرت حلیف بنی زهرة، و عمیر بن أبی وقاص، أخو سعد بن أبی وقاص، و عبد الله بن مسعود الهذلی، حلیف بنی زهرة، و جماعة سوی هؤلاء سماهم ابن إسحاق «۲».

قال: ثم دخل الناس فی الإسلام أرسالا من الرجال و النساء، حتی فشا ذکر الإسلام بمکة و تحدث به، ثم إن الله عز و جل أمر رسوله صلی اللّه علیه و سلم أن یصدع بما جاءه منه و أن یبادی الناس بأمره و یدعو إلیه، و کان بین ما أخفی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم

أمره و استسر به إلى أن أمره الله بإظهار ثلاث سنين فيما بلغنى، من مبعثه، ثم قال الله له: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر: ۹۴]، ثم قال: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء: ۱۱۴، ۱۱۵]. و فى موضع آخر: وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ قُلْ إِنِّى أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ [الحجر: ۸۹].

قال «۳»: و كان أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب و استخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم ناس من المشركين و هم يصلون، فناكروهم و عابوا

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۱۲).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۱۲- ۲۱۶).

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۲۱۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۷۴

عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فضرب سعد يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير «۱» فشجه. فكان أول دم هريق فى الإسلام.

فلما بادى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قومه بالإسلام و صدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه و لم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم و عابها. فلما فعل ذلك أعظموه و ناكروه، و أجمعوا خلافه و عداوته، إلا من عصم الله منهم بالإسلام، و هم قليل مستخفون.

و حدب «۲» على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عمه أبو طالب و منعه و قام دونه و مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على أمره الله مظهرا له، لا يرده عنه شيء.

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه، من فراقهم و عيب آلهتهم، و رأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه و قام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرافهم إلى أبى طالب، عتبة و شيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس و أبو سفيان بن حرب، و أبو البخترى بن هشام، و الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى، و الأسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى، و أبو جهل بن هشام بن المغيرة، و نبيه و منبه ابنا الحجاج، و العاص بن وائل، و من مشى منهم.

فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا و عاب ديننا و سفه أحلامنا و ضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، و إما أن تخلى بيننا و بينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيه. فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، و ردهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه.

و مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على ما هو عليه، يظهر دين الله و يدعو إليه، ثم شرى الأمر «۳» بينه و بينهم، حتى تباعد الرجال و تضاغنوا، و أكثرت قريش ذكر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بينها، فتذامروا فيه و حض بعضهم بعضا عليه.

ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنا و شرفا و منزلة فينا، و إنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، و إنا و الله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله و إياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. أو كما قالوا له.

---

(۱) لحى بعير: اللحى العظم الذى على الخد، و هو من الإنسان العظم الذى تنبت عليه اللحية.

(۲) حدب: أى عطف عليه و منعه، يقال: فلان حدب على فلان، إذا كان عاطفا عليه مانعا له.

(۳) شرى الأمر: أى كثر و استفحل، يقال: شرى البرق إذا كثر لمعانه، و يقال: شرى الرجل إذا غضب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۷۵

ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبى طالب فراق قومه و عداوتهم، و لم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لا خذلانه. و

ذكر أن أبا طالب حين قالت له قريش هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

فقال له: يا ابن أخى، إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا و كذا، للذى قالوا له فأبق على و على نفسك و لا تحملنى من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء، و أنه خاذله و مسلمه، و أنه قد ضعف عن نصرته و القيام معه، فقال له: «يا عم، و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته!»، ثم استعبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فبكى! ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخى، فأقبل عليه، فقال: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشىء أبدا «۱».

ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و إسلامه، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش و أجمله، فخذه فلك عقله و نصره و اتخذه ولدا، و أسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك و دين آبائك و فرق جماعة قومك و سفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل كرجل، قال: و الله لبئس ما تسوموننى! أ تعطوننى ابنكم أغذوه لكم و أعطيكم ابنى تقتلونه! هذا و الله ما لا يكون أبدا. فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف:

و الله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك و جهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال له أبو طالب: و الله ما أنصفونى، و لكنك قد أجمعت خذلانى و مظاهرة القوم على، فاصنع ما بدا لك أو كما قال. فحقب الأمر و حميت الحرب و تنابذ القوم و بادى بعضهم بعضا «۲».

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۴۸)، الألبانى فى السلسلة الضعيفة (۹۰۹)، و قال: هذا إسناد ضعيف معضل، يعقوب بن عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين مات سنة ثمان و عشرين و مائة، و قد وجدت للحديث طريقا أخرى بسند حسن لكن بلفظ: «ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك، على أن تستشعلوا لى منها شعلة» يعنى الشمس، و قد خرجته فى الأحاديث الصحيحة (۹۲).

(۲) قال فى السيرة بعد أن ذكر ما أورد ابن هشام هنا: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرض بالمطعم ابن عدى، و يعم من خذله من بنى عبد مناف، و من عاداه من قبائل قريش، و يذكر ما سألوه، و ما تباعد من أمرهم:

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۷۶

قال «۱»: ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الذين أسلموا معه. فوثب كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم. و منع الله تبارك و تعالى، رسوله منهم بعمه أبى طالب، و قد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم و بنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و القيام دونه، فاجتمعوا إليه و قاموا معه و أجابوه إلى ما دعاهم إليهم، إلا ما كان من أبى لهب.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جدهم و حدبهم عليه جعل يمدحهم و يذكر قديمهم و فضل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيهم و مكانه منهم ليشد لهم رأيهم و ليحدبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يوما قريش لمخفرفعبد مناف سرها و صميمها «۲»

فإن حصلت أشراف عبد منافهافى هاشم أشرافها و قديمها

و إن فخرت يوما فإن محمداهو المصطفى من سرها و كريمها

تداعت قريش غثها و سمينهاعلينا فلم تظفر و طاشت حلومها «۳»

و كنا قديما لا نقر ظلامةإذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

-

ألا قل لعمرو و الولید و مطعمألا لیت حظى من حیاطتکم بکر

من الخور حبحاب کثیر رغاؤهیرش على الساقین من بوله قطر

تخلف خلف الورد لیس بلا حقإذا ما علا الفیفاء قیل له و بر

أرى أخوینا من أبینا و أمناإذا سئلا قالا إلى غیرنا الأمر

بلى لهما أمر و لکن تجرجماکما جرجمت من رأس ذى علق صخر

أخص خصوصا عبد شمس و نوفلاهما نبذانا مثل ما ینبذ الجمر

هما أغمزا للقوم فى أخویهمافقد أصبحا منهم أکفهما صفر

هما أشرکا فى المجد من لا أبا لهمن الناس إلا أن یرس له ذکر

و تیم و مخزوم و زهرة منهمو کانوا لنا مولى إذا بغى النصر

فو الله لا تنفک منا عداوةو لا منهم ما کان من نسلنا شفر

فقد أسفهت أحلامهم و عقولهمو کانوا کجفر بئس ما صنعت جفر انظر: السیرة (۱/ ۲۱۹- ۲۲۰).

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۲۲۰).

(۲) سرها و صمیمها: أى خالصها و کریمها.

(۳) غثها و سمینها: الغث اللحم الضعیف، و السمین الماقبل أو العکس. طاشت حلومها: أى ذهبت عقولها.

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۱،ص:۱۷۷ و نحمى حماها کل یوم کریهةو نضرب عن أحجارها من یرومها

بنا انتعش العود الذوى و إنماأکنافنا تندى و تنمى أرومها ثم إن الولید بن المغیرة اجتمع إلیه نفر من قریش، و کان ذا سن فیهم، و قد حضر الموسم، فقال لهم: یا معشر قریش، إنه قد حضر هذا الموسم، و إن وفود العرب ستقدم علیکم فیه، و قد سمعوا بأمر صاحبکم هذا فأجمعوا فیه رأیا واحدا و لا تختلفوا فیکذب بعضکم بعضا، قالوا: فأنت یا أبا عبد شمس، فقل و أقم لنا رأیا نقول فیه، قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول: کاهن. قال: و الله ما هو بکاهن، لقد رأینا الکهان فما هو بزمزمة «۱» الکاهن و لا سجعه. قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأینا الجنون و عرفناه، فما هو بخنقه و لا تخالجه «۲» و لا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر کله رجزه و هزجه و قریضه و مقبوضه و مبسوطه فما هو بالشعر قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، قد رأینا السحار و سحرهم، فما هو بنفثه و لا عقده «۳»، قالوا: فما نقول یا أبا عبد شمس؟ قال: و الله إن لقوله لحلاوة و إن أصله لعذق «۴» و إن فرعه لجناة، و ما أنتم بقائلین من هذا شیئا إلا عرف أنه باطل، و إن أقرب القول فیه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر، یفرق به بین المرء و أبیه، و بین المرء و أخیه، و بین المرء و زوجه، و بین المرء و عشیرته، فتفرقوا عنه بذلک، فجعلوا یجلسون لسبل الناس حین قدموا الموسم، لا یمر بهم أحد إلا حذروه إیاه، و ذکروا لهم أمره، و صدرت العرب من ذلک الموسم بأمر رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فانتشر ذکره فى بلاد العرب کلها «۵».

فلما خشى أبو طالب دهماء العرب أن یرکبوه مع قومه قال قصیدته التى یعوذ فیها بحرم مکة و بمکانه منها، و تودد فیها أشراف قومه، و هو على ذلک یخبرهم و غیرهم فى ذلک من شعره أنه غیر مسلم رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و لا تارکه لشىء أبدا حتى یهلک دونه.

و أولها:

---

(۱) زمزمة الکاهن: أى کلام خفى لا یهم.

(۲) التخالج: اختلاج الأعضاء و تحركها عن غير إراده.

(۳) نفثه و عقده: هذه إشارة إلى ما كان يفعل الساحر إذ كان يأخذ خيطا فيعقده ثم ينفث عليه بلا ريق.

(۴) العـذق: الكثير الشـعب و الأطراف، و من رواه عـذق فمعناه كثير الماء، و العـذق: كل غصن له شـعب، و أيضا هو النخلـة عند أهل الحجاز. انظر: اللسان (مادة عذق).

(۵) انظر: السيرة (۱/ ۲۲۲- ۲۲۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۷۸ و لما رأيت القوم لاود فيهمو قد قطعوا كمل العرى و الوسائل «۱»

و قد صارحونا بالعداوة و الأذىو قد طاوعوا أمر العدو المزايل

و قد حالفوا قوما علينا أظنةيعضون غيظا خلفنا بالأنامل «۲»

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحةو أبيض عضب من تراث المقاول

و أحضرت عند البيت رهطى و إخوتىو أمسكت من أثوابه بالوصائل

قياما معا مستقبلين رتاجهلدى حيث يقضى حلفه كل نافل

و حيث ينيخ الأشعرون ركابهمبمفضى السيول من إساف و نائل

موسمة الأعضاء أو قصراتهامخيسة بين السديس و بازل

ترى الودع فيها و الرخام و زينةبأعناقها معقودة كالعثاكل

أعوذ برب الناس من كل طاعنعلينا بسوء أو ملح بباطل

و من كاشح يسعى لنا بمعيبةو من ملحق فى الدين ما لم نحاول

و ثور و من أرسى ثبيرا مكانهو راق ليرقى فى حراء و نازل

و بالبيت حق البيت من بطن مكةو بالله إن الله ليس بغافل

و بالحجر الأسود إذ يمسحونهإذا اكتنفوه بالضحى و الأصائل

و موطئ إبراهيم فى الصخر وطأةعلى قدميه حافيا غير ناعل

و أشواط بين المروتين إلى الصفاو ما فيهما من صورة و تماثل

و من حج بيت الله من كل راكبو من كل ذى نذر و من كل راجل

و بالمشعر الأقصى إذا عمدوا لهإلال إلى مفضى الشراج القوابل «۳»

و توقافهم فوق الجبال عشيةيقيمون بالأيدى صدور الرواحل

و ليلة جمع و المنازل من منىو هل فوقها من حرمة و منازل

و جمع إذا ما المقربات أجزنهسراعا كما يخرجن من وقع وابل «۴»

و بالجمرة الكبرى إذا صمدوا لهايؤمنون قذفا رأسها بالجنادل

و كندة إذ هم بالحصاب عشيةتجيز بهم حجاج بكر بن وائل

حليفان شدا عقد ما اختلفا لهوردا عليه عاطفات الوسائل

---

(۱) الوسائل: جمع وسيلة، و هى الوصلة و القربة، و قيل: هى المنزلة عند الملك.

(۲) أظنة: جمع ظنين، و هو المتهم الذى تظن به التهمة.

(۳) إلال: بالفتح هو جبل بعرفات، و سمى إلال لأن الحجيج إذا رأوه الوا فى السير و اجتهدوا ليدركوا الموقف.

(۴) المقربات: الخیل التی تقرب مرابطها من البیوت لکرمها. وابل: المطر الشدید.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۷۹ و حطمهم سمر الصفاح و سرحهو شبرقه و خد النعام الجوافل «۱»

فهل بعد هذا من معاذ لعائذو هل من معید یتقی الله عاذل

یطاع بنا الأعدا و ودوا لو أنناتسد بنا أبواب ترک و کابل

کذبتم و بیت الله نترک مکةو نظعن إلا أمرکم فی بلابل

کذبتم و بیت الله نبزی محمداو لما نطاعن دونه و نناضل

و نسلمه حتی نصرع حولهو نذهل عن أبنائنا و الحلائل

و ینهض قوم فی الحدید إلیکمنهوض الروایا تحت ذات الصلاصل «۲»

و حتی نری ذا الضغن یرکب ردعهمن الطعن فعل الأنکب المتحامل

و إنا لعمرو الله إن جد ما أریلتلتبسن أسیافنا بالأماثل

بکفی فتی مثل الشهاب سمیدعأخی ثقة حامی الحقیقة باسل «۳»

و ما ترک قوم لا أبا لک سیدایحوط الذمار غیر ذرب مواکل «۴»

و أبیض یستسقی الغمام بکفهثمال الیتامی عصمة للأرامل

یلوذ به الهلاک من آل هاشمفهم عنده فی رحمة و فواضل «۵»

جزی الله عنا عبد شمس و نوفلاعقوبة شر عاجلا غیر آجل

بمیزان قسط لا یخیس شعیرةله شاهد من نفسه غیر عائل

---

(۱) سمر: یحتمل أن یکون أصله سمرا بفتح فضم و هو من شجر الطلح. الصفاح: هو جمع صفح، و هو عرض الجبل، و یقال: أسفله حیث یسیل ماؤه، سرحه: السرح: شجر. شبرقة: الشبرق بالکسر نبات غض، و قیل: شجر منبته نجد و تهامة، و ثمرته شاکة صغیرة الجرم حمراء مثل الدم و واحدته شبرق. و خد النعام: الوخد ضرب من سیر الإبل و هو سعة الخطوة فی المشی.

(۲) الروایا: الإبل التی تحمل الماء. الصلاصل: واحدتها صلصلة و هی الصوت و ذات الصلاصل: الزادات التی فیها بقیة من الماء یسمع لها صوت حین تسیر الإبل.

(۳) سمیدع: السید من الرجال. الباسل: الأسد لکراهة منظره و قبحه، و البسالة الشجاعة، و الباسل الشدید، و قیل الشجاع، و الجمع بسلاء و بسل.

(۴) جاء فی السیرة قبل هذه البیت بیت آخر و هو:

شهورا و أیاما و حولا مجرماعلینا و تأتی حجة بعد قابل

و ما ترک قوم ...... مواکل انظر: السیرة (۱/ ۲۲۶).

(۵) ذکر بعد هذا البیت فی السیرة أبیات آخر لم یذکرها هنا. انظرها فی: السیرة (۱/ ۲۲۷- ۲۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۸۰ لقد سفهت أحلام قوم تبدلوابنی خلف قیضا بنا و الغیاطل «۱»

و نحن الصمیم من ذؤابة هاشمو آل قصی فی الخطوب الأوائل

و سهم و مخزوم تمالوا و ألبواعلینا العدی من کل طمل و خامل

فعبد مناف أنتم خیر قومکمفلا تشرکوا فی أمرکم کل واغل «۲»

لعمری لقد و هنتم و عجزتمو جئتم بأمر مخطئ للمفاصل «۳»

فإن يك قوما نتئر ما صنعتمو تحتلبوها لقحة غير باهل «۴»

فأبلغ قصيا أن سينشر أمرناو بشر قصيا بعدنا بالتخاذل

و لو طرقت ليلا قصيا عظيمةإذا ما لجأنا دونهم فى المداخل

و لو صدقوا ضربا خلال بيوتهملكنا أسى عند النساء المطافل

فإن نك كعب من لوى صميمةفلا بد يوما مرة من تزايل «۵»

فكل صديق و ابن أخت نعدهلعمرى وجدنا غبه غير طائل

سوى أن رهطا من كلاب بن مرةبراء إلينا من معقة خاذل «۶»

و نعم ابن أخت القوم غير مكذبزهير حساما مفردا من حمائل

أشم من الشم البهاليل ينتمىإلى حسب فى حومة المجد فاضل «۷»

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمدو إخوته دأب المحب المواصل

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلهاو زينا لمن والاه رب المشاكل

فمن مثله فى الناس أى مؤملإذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائشيوالى إلها ليس عنه بغافل «۸»

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۲۸).

(۲) الواغل: هو الداخل على القوم فى شرابهم و هو الذى يهجم على الشراب ليشرب معهم و ليس منهم.

(۳) ذكر فى السيرة بعد هذا البيت بيتان لم يذكرهما. انظرهما فى: السيرة (۱/ ۲۲۸).

(۴) ذكر فى السيرة بعد هذا البيت أبيات لم يذكرها هنا، انظرهما فى: السيرة (۱/ ۲۲۹).

(۵) هذا البيت لم يذكره فى السيرة.

(۶) ذكر فى السيرة بعد هذ البيت أبيات لم يذكرها هنا، انظرها فى: السيرة (۱/ ۲۲۹).

(۷) أشم: قيل: جبل أشم أى طويل الرأس. البهاليل: جمع بهلول و هو العزيز الجامع لكل خير، و قيل: هو الحيى الكريم.

(۸) الأبيات التى وردت هنا بعد هذا البيت غير موجود فى السيرة بهذا الترتيب فقد ذكرها هناك بترتيب أخر و هو:

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۸۱ فأيده رب العباد بنصرهو أظهر دينا حقه غير باطل

فو الله لو لا أن أجئ بسبةتجر على أشياخنا فى القبائل

لكنا ابتعناه على كل حالةمن الدهر جدا غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذبلدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد فى أرومةتقصر عنها سورة المتطاول

حدبت بنفسى دونه و حميتهو دافعت عنه بالذّرا و الكلاكل و القصيدة أطول من هذا، و إنما تركنا ما تركنا منها اختصارا.

و ذكر ابن هشام أن بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها «۱»، قال: و حدثنى من أثق به قال: أقحط أهل المدينة فأتوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فشكوا إليه ذلك، فصعد المنبر فاستسقى، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحى يشكون منه الغرق. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم حوالينا و لا علينا». فانجاب السحاب عن المدينة، فصار حواليها كالإكليل «۲»، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره»، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول اللّه أردت لقوله:

و أبيض يستسقى الغمام بوجههثمال اليتامى عصمة للأرامل قال: «أجل» «۳».

-

فو الله لو لا أن أجئ بسبةتجر على أشياخنا فى المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالةمن الدهر جدا غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذبلدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد فى أرومةتقصر عنها سورة المتطاول

حدبت بنفسى دونه و حميتهو دافعت عنه بالذرا و الكلاكل

فأيده رب العباد بنصرهو أظهر دينا حقه غير باطل

رجال كرام غير ميل نماهمإلى الخير آباء كرام المحاصل

فإن تك كعب من لؤىّ صقيبةفلا بد يوما مرة من تزايل انظر: السيرة (۱/ ۲۳۰).

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۳۰).

(۲) الإكليل: هو شبه عصابة مزينة بالجواهر، و قيل: يريد أن الغيم تقشع عنها و استدار بآفاقها، و قيل: هو منزل من منازل القمر و هى أربعة أنجم. انظر: اللسان (مادة كلل).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۲/ ۱۵، ۳۵، ۳۷، ۳۸، ۴۰، ۸/ ۹۲)، مسلم كتاب الاستسقاء (۸/ ۹)، النسائى (۳/ ۱۶۰، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۶، ۱۶۷)، سنن ابن ماجه-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۸۲

قال ابن إسحاق «۱»: فلما انتشر أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى العرب و بلغ البلدان، ذكر بالمدينة، و لم يك حى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين ذكر و قبل أن يذكر من الأوس و الخروج، و ذلك لما كانوا يسمعون من أخبار يهود، و كانوا لهم حلفاء و معهم فى بلادهم.

فلما وقع ذكره بالمدينة و تحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف، قال أبو قيس بن الأسلت الأوسى، و كان يحب قريشا، و كان يقيم فيهم السنين بامرأته أرنب بنت أسد ابن عبد العزى بن قصى، قصيدة يعظم فيها الحرمة، و ينهى قريشا عن الحرب و يذكر فضلهم و أحلامهم، و يأمرهم بالكف بعضهم عن بعض و عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و يذكرهم بلاء الله عندهم و دفعه الفيل عنهم فقال:

و يا راكبا إما عرضت فبلغنمغلغلة عنى لؤىّ بن غالب «۲»

رسول امرئ قد راعه ذات بينكمعلى النأى محزون بذلك ناصب

و قد كان عندى للهموم معرسو لم أقض منها حاجتى و مآربى

أعيذكم بالله من شر صنعكمو شر تباغيكم و دس العقارب

و إظهار أخلاق و نجوى سقيمةكوخز الأثافى وقعها حق صائب «۳»

فذكرهم بالله أول و هلةو إحلال إحرام الظباء الشوازب «۴»

- (۱۲۶۹)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۰۴، ۱۸۷، ۱۹۴، ۲۶۱، ۲۷۱، ۴/ ۲۳۶)، البيهقى فى السنن الكبرى (۳/ ۳۵۳، ۳۵۴، ۳۵۵، ۳۵۶، ۴/ ۲۲۱)، الدر المنثور للسيوطى (۶/ ۲۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۱۲)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۵۹۰۲)، نصب الراية للزيلعى (۲/ ۲۳۹)، فتح البارى (۲/ ۴۱۳، ۵۰۱، ۵۰۸، ۵۱۰، ۵۱۲، ۵۱۹، ۱۰/ ۵۰۴، ۱۱/ ۱۴۳)، صحيح ابن خزيمة (۱۴۲۳، ۱۷۸۹)، شرح السنة

للبغوى (۴/ ۴۱۴)، كنز العمال للمتقى الهندى (۲۳۵۴۰، ۲۳۵۴۸)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۱۹۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۰۷، ۵/ ۸۹، ۶/ ۱۰۲، ۱۰۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۸۹، ۶/ ۱۳۹، ۱۴۴)، طبقات ابن سعد (۱/ ۱/ ۱۷، ۱/ ۲/ ۴۲)، المعجم الكبير للطبرانى (۱۰/ ۳۴۶)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۰/ ۲۱۹، ۳۴۶، ۱۱/ ۴۸۱).

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۳۲).

(۲) مغلغله: قال السهيلى: المغلغلة: الداخل إلى أقصى ما يراد بلوغه منها أى محموة من بلد إلى بلد و قيل: المسرعة من الفلفلة و هى سرعة السير. انظر: اللسان (مادة غلغل).

(۳) الوخز: الطعن الغير نافذ، و قيل: هو الطعن النافذ فى جنب المطعون. الأشافى: جمع إشفى، و هى حديدة يفرز بها الإسكافى.

(۴) إحرام الظباء: التى يحرم صيدها فى الحرم. الشوازب: المضمرات، و قيل: الشازب الضامر اليابس من الناس و غيرهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۸۳ و قل لهم و الله يحكم حكمهذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب

متى تبعثوها تبعثوها ذميمةهى الغول للأقصين أو للأقارب

تقطع أرحاما و تهلك أمةو تبرى السديف من سنام و غارب «۱»

فإياكم و الحرب لا تغلقنكمو حوضا و خيم الماء مر المشارب «۲»

تزين للأقوام ثم يرونهابعاقبة إذ بينت أم صاحب «۳»

تحرق لا تشوى ضعيفا و تنتحىذوى العز منكم بالحتوف الصوائب

أ لم تعلموا ما كان فى حرب داحسفتعتبروا أو كان فى حرب حاطب

و كم قد أصابت من شريف مسودطويل العماد ضيفه غير خائب

و ماء هريق فى الضلال كأنماأذاعت به ريح الصبا و الجنائب «۴»

يخبركم عنها امرؤ حق عالمبأيامها و العلم علم التجارب

فبيعوا الحراب ملمحارب و اذكرواحسابكم و الله خير محاسب

ولى امرئ فاختار دينا فلا يكنعليكم رقيبا غير رب الثواقب

أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتملنا غاية قد يهتدى بالذوائب

و أنتم لهذا الناس نور و عصمةتؤمون و الأحلام غير عوازب

و أنتم إذا ما حصل الناس جوهملكم سره البطحاء شم الأرانب «۵»

تصونون أجسادا كراما عتيقةمهذبة الأنساب غير أشائب

ترى طالبى الحاجات نحو بيوتكمعصائب هلكى تهتدى بعصائب

---

(۱) تبرى: تقطع. السديف: هو اللحم الذى يكون فى أعلى ظهر الإبل، و هو ما يسمى بالسنام، و الغارب: أعلى الظهر.

(۲) ذكر فى السيرة قبل هذا البيت بيتان لم يذكرهما هنا و هما:

و تستبدلوا بالأتحمية بعدهاشليلا و أصداء ثياب المحارب

و بالمسك الكافور غبرا سوابغاكأن قتيريها عيون الجنادب انظر: السيرة (۱/ ۲۳۴).

(۳) بينت: أى ظهر أمرها و اتضح. أم صاحب: قال السهيلى فى الروض الأنف: أى عجوز كأم صاحب لك إذا لا يصحب الرجل إلا الرجل فى سنه.

(۴) ريح الصبا: ريح معروفة تقابل الدبور، و قيل: الصبا ريح و مهبها المستوى أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل و

النهار، و ينحتها الدبور، و قيل: الصبا ريح تستقبل البيت. انظر: اللسان (مادة صبا).

(۵) سرة: قيل: سرة الشيء، خيره و أعلاه. الشم: ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه و إشراف الأرنبة قليلا. الأرانب: جمع أرنبة و هي القصبة التي فيها ثقب الأنف.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۸۴ لقد علم الأقوام أن سراتكمعلى كل حال خير أهل الجباجب «۱»

فقوموا فصلوا ربكم و تمسحوابأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكم منه بلاء و مصدقغداة أبي يكسوم هادى الكتائب

كتيبته بالسهل تمسى و رجلهعلى القاذفات في رءوس المناقب «۲»

فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهمجنود إله بين ساف و حاصب

فولوا سراعا هاربين و لم يؤبإلى قومه ملحبش غير عصائب

فإن تهلكوا نهلك و تهلك عصائبيعاش بها قول امرئ غير كاذب ثم إن قريشا اشتد أمرهم، للشقاء الذى أصابهم، في عداوة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و من أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله صلى اللّه عليه و سلم سفهاءهم، فكذبوه و آذوه و رموه بالشعر و السحر و الكهانة و الجنون، رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم، و اعتزال أوثانهم، و فراقه إياهم على كفرهم.

فحدث عروة بن الزبير أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما كانوا يظهرون من عداوته؟ قال: حضرتهم و قد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط! سفه أحلامنا و شتم آباءنا و عاب ديننا و فرق جماعتنا و سب آلهتنا، لقد صبرنا معه على أمر عظيم. أو كما قالوا. فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول.

قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: «أ تسمعون يا معشر قريش؟! و الذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح». قال:

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى أن أشدهم وصاة فيه قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فو الله ما كنت جهولا. قال: فانصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى إذا كان الغد

---

(۱) الجباجب: بالضم هو المستوى من الأرض و هي هنا أسماء منازل بمنى سميت به لأنه كروش الأضاحى تلقى فيها أيام الحج.

(۲) القاذفات: أعالى الجبال، و قيل: هي كل ما أشرف من رءوس الجبال و أعاليها. المناقب: جمع منقبة، الطريق الضيق بين دارين أو جبلين لا يستطاع سلوكه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۸۵

اجتمعوا في الحجر و أنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم و ما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه!.

فبيناهم في ذلك طلع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذى تقول كذا و كذا، للذى يقول من عيب آلهتهم. فيقول رسول الله:

«نعم أنا الذى أقول ذلك». فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه، فقام أبو بكر دونه و هو يبكى و يقول: أ تقتلون رجلا أن يقول

ربى الله!! ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط «۱».

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

قال ابن إسحاق «۲»: و حدثنى رجل من أسلم، كان واعية، أن أبا جهل مر برسول الله صلى اللّه عليه و سلم عند الصفا فآذاه و شتمه و نال منه بعض ما يكره من العيب لدينه و التضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. و مولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك. ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم. فلم يلبث حمزة ابن عبد المطلب أن أقبل متوحشا قوسه راجعا من قنص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، و كان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف و سلم و تحدث معهم، و كان أعز فتى فى قريش و أشده شكيمة.

فلما مر بالمولاة، و قد رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام! و جده هاهنا جالسا فآذاه و سبه و بلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمد. فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى لم يقف على أحد، معدا لأبى جهل إذا لقيه أن يقع به.

فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه بها شجة منكرة، ثم قال: أ تشتمه، فأنا على دينه أقول ما يقول، فرد على إن استطعت. فقامت رجال بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل،

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۲۷۶)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۶۶)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۵).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۴۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۸۶

فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنى و الله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا. و تم حمزة على إسلامه و على ما بايع عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من قوله. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد عز و امتنع، و أن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه «۱».

و عن محمد بن كعب القرظى، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، و كان سيدا، قال يوما و هو جالس فى نادى قريش، و النبىّ صلى اللّه عليه و سلم جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش، أ لا أقوم إلى محمد فأكلمه و أعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء و يكف عنا؟

و ذلك حين أسلم حمزة و رأوا أن أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يزيدون و يكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلمه.

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا ابن أخى، إنك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة و المكان فى النسب، و إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم، و عبت به آلهتهم و دينهم، و كفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منا بعضها.

فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قل يا أبا الوليد أسمع».

قال: يا ابن أخى، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، و إن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، و إن كان هذا الذى يأتيك رئيا لا تستطيع رده من نفسك طلبنا لك الطب و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يسمع منه قال: «أ قد فرغت يا أبا الوليد؟» قال:

نعم. قال: «فاسمع منی». قال: أفعل، قال: بسم الله الرحمن الرحیم حم تَنْزِیلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ بَشِیراً وَ نَذِیراً فَأَعْرَضَ أَکْثَرُهُمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُونَ وَ قالُوا قُلُوبُنا فِی أَکِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَیْهِ وَ فِی آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَیْنِنا وَ بَیْنِکَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ [فصلت: ۱، ۴]. و مضی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیها یقرؤها علیه، فلما سمعها عتبة أنصت لها و ألقی یدیه خلف ظهره معتمدا علیها

---

(۱) ذکره أبو نعیم فی حلیة الأولیاء (۱/ ۴۰)، و فی الدلائل (۱۹۴)، الهیثمی فی المجمع (۹/ ۲۶۷)، ابن عساکر فی التاریخ (۱۲/ ۷۲۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۸۷

یستمع منه، ثم انتهی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی السجدة منها، فسجد ثم قال: «قد سمعت یا أبا الولید ما سمعت فأنت و ذاک». فقام عتبة إلی أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءکم أبو الولید بغیر الوجه الذی ذهب به.

فلما جلس إلیهم قالوا: ما وراءک یا أبا الولید؟ قال: ورائی أنی سمعت قولا ما سمعت مثله قط، و الله ما هو بالشعر و لا بالسحر و لا بالکهانة، یا معشر قریش أطیعونی و اجعلوها بی، و خلوا بین هذا الرجل و بین ما هو فیه فاعتزلوه فو الله لیکونن لقوله الذی سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد کفیتموه بغیرکم، و إن یظهر علی العرب فملکه ملککم و عزه عزکم و کنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرک و الله یا أبا الولید بلسانه، قال: هذا رأیی فیه، فاصنعوا ما بدا لکم «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: ثم إن الإسلام جعل یفشو بمکة فی قبائل قریش فی الرجال و النساء، و قریش تحبس من قدرت علی حبسه، و تفتن من استطاعت فتنته من المسلمین، ثم إن أشراف قریش من کل قبیلة، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الکعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلی محمد فکلموه و خاصموه حتی تعذروا فیه.

فبعثوا إلیه فجاءهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سریعا، و هو یظن أن قد بدا لهم فیما کلمهم فیه بداء، و کان علیهم حریصا یحب رشدهم و یعز علیه عنتهم، حتی جلس إلیهم، فقالوا: یا محمد، إنا قد بعثنا إلیک لنکلمک، و إنا و الله ما نعلم رجلا من العرب أدخل علی قومه ما أدخلت علی قومک، لقد شتمت الآباء، و عبت الدین، و شتمت الآلهة، و سفهت الأحلام، و فرقت الجماعة، فلما بقی أمر قبیح إلا قد جئته فیما بیننا و بینک، أو کما قالوا به، فإن کنت إنما جئت بهذا الحدیث تطلب به مالا جمعنا لک من أموالنا حتی تکون أکثرنا مالا، و إن کنت إنما ترید به الشرف فینا فنحن نسودک علینا، و إن کنت ترید به ملکا ملکناک علینا، و إن کان هذا الذی یأتیک رئیا تراه قد غلب علیک، و کانوا یسمون التابع من الجن رئیا، فربما کان ذلک، بذلنا أموالنا فی طلب الطب لک حتی نبرئک منه أو نعذر فیک.

فقال لهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «ما بی ما تقولون، ما جئت بما جئت به أطلب أموالکم و لا

---

(۱) انظر الحدیث فی: کنز العمال للمتقی الهندی (۳۵۴۲۸)، دلائل النبوة للبیهقی (۲/ ۲۰۴، ۲۰۵)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۶۲- ۶۴).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۲۴۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۸۸

الشرف فیکم و لا الملک علیکم، و لکن الله بعثنی إلیکم رسولا و أنزل علی کتابا، و أمرنی أن أکون لکم بشیرا و نذیرا، فبلغتکم رسالات ربی و نصحت لکم، فإن تقبلوا منی ما جئتکم به فهو حظکم فی الدنیا و الآخرة، و إن تردوه علی أصبر لحکم الله حتی یحکم الله بینی و بینکم». أو کما قال صلی اللّه علیه و سلم، قالوا: یا محمد، فإن کنت غیر قابل شیئا مما عرضنا علیک فإنک قد علمت أنه لیس أحد من الناس أضیق بلدا و لا أقل ماء و لا أشد عیشا منا، فسل لنا ربک الذی بعثک بما بعثک به فلیسیر عنا هذه الجبال التی قد

ضيقت علينا، و ليبسط لنا بلادنا و ليخرق فيها أنهارا كأنهار الشام و العراق، و ليبعث لنا من مضى من آبائنا، و ليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، فإن صدقوك و صنعت ما سألناك صدقناك و عرفنا به منزلتك من الله و أنه بعثك رسولا إلينا كما تقول.

فقال لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، و قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة، و إن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم»، قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول و يراجعنا عنك، و سله فليجعل لك جنانا و قصورا و كنوزا من ذهب و فضة يغنيك بها عما نراك تبتغى، فإنك تقوم بالأسواق و تلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك و منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ما أنا بفاعل و ما أنا بالذى يسأل ربه هذا و ما بعثت إليكم بهذا، و لكن الله بعثنى بشيرا و نذيرا». أو كما قال: «فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة، و إن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم».

قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن بك إلا أن تفعل. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل». قالوا:

يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك و نسألك عما سألناك عنه و نطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به و يخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به؟ إنه بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، و إنا و الله ما نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، و إنا و الله لا نترككك، و ما بلغت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا.

و قال قائلهم: نحن نعبد الملائكة و هى بنات الله. و قال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله و الملائكة قبيلا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۸۹

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم قام عنهم، و قام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و هو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا، فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول و يصدقوك و يتبعوك، فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم و منزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل. أو كما قال له، فو الله لا أؤمن لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه و أنا أنظر، حتى تأتيها، ثم تأتى معك بصك معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، و أيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك. ثم انصرف عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، و لما رأى من مباعدتهم إياه.

فلما قام عنهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، و شتم آبائنا، و تسفيه أحلامنا، و شتم آلهتنا، و إنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله، أو كما قال، فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: و الله لا نسلمك لشىء أبدا فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف، ثم جلس لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم ينتظره، و غدا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كما كان يغدر، و كان بمكة و قبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركنين: الركن اليمانى و الحجر الأسود و جعل الكعبة بينه و بين الشام.

فقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يصلى، و قد غدت قريش فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده. و قامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه

عرض لی دونه فحل من الإبل لا و الله ما رأیت مثل هامته و لا قصرته، و لا أنیابه لفحل قط، فهم بی أن یأکلنی.

قال ابن إسحاق «۱»: فذکر لی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «ذلک جبریل، لو دنا لأخذه» «۲».

---

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۲۴۶).

(۲) انظر الحدیث فی: دلائل النبوة للبیهقی (۲/ ۱۹۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۹۰

فلما قال لهم ذلک أبو جهل قام النضر بن الحارث بن کلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصی، فقال لهم: یا معشر قریش، إنه و الله قد نزل بکم أمر ما أتیتم له بحیلة بعد، قد کان محمد فیکم غلاما حدثا أرضاکم فیکم و أصدقکم حدیثا و أعظمکم أمانة، حتی إذا رأیتم فی صدغیه الشیب و جاءکم بما جاءکم به قلتم: ساحر.

لا و الله ما هو بساحر، قد رأینا السحرة نفثهم و عقدهم. و قلتم: کاهن. لا و الله ما هو بکاهن، قد رأینا الکهنة تخالجهم و سمعنا سجعهم. و قلتم: شاعر، لا و الله ما هو بشاعر، لقد رأینا الشعر و سمعنا أصنافه کلها هزجه و رجزه. و قلتم: مجنون. لا و الله ما هو بمجنون، لقد رأینا الجنون فما هو بخنقه و لا وسوسته و لا تخلیطه، یا معشر قریش، انظروا فی شأنکم فإنه و الله لقد نزل بکم أمر عظیم.

فلما قال لهم ذلک النضر بن الحارث بعثوه و بعثوا معه عقبة بن أبی معیط إلی أحبار یهود بالمدینة، و قالوا لهما: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته و أخبراهم بقوله، فإنهم أهل الکتاب الأول، و عندهم علم لیس عندنا من علم الأنبیاء.

فخرجا حتی قدما المدینة فسألا أحبار یهود عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و وصفا لهم أمره و أخبراهم ببعض قوله، و قالا لهم: إنکم أهل التوراة و قد جئناکم لتخبرونا عن صاحبنا هذا!.

فقالت لهما أحبار یهود: سلوه عن ثلاث نأمرکم بهن، فإن أخبرکم بهن فهو نبی مرسل، و إن لم یفعل فالرجل متقول فروا فیه رأیکم، سلوه عن فتیة ذهبوا فی الدهر الأول ما کان أمرهم؟ فإنه کان لهم حدیث عجیب، و سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما کان نبأه؟ و سلوه عن الروح ما هو؟ فإذا أخبرکم بذلک فاتبعوه فإنه نبی، و إن لم یفعل فهو رجل متقول فاصنعوا فی أمره ما بدا لکم.

فأقبل النضر بن الحارث و عقبة بن أبی معیط حتی قدما مکة، فقالا: یا معشر قریش، قد جئناکم بفصل ما بینکم و بین محمد. أمرنا أحبار یهود أن نسأله عن أشیاء، فإن أخبرکم عنها فهو نبی، و إن لم یفعل فالرجل متقول، فروا فیه رأیکم.

فجاءوا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فسألوه عن تلک الأشیاء، فقال لهم: «أخبرکم بما سألتم عنه غدا»، و لم یستثن، فانصرفوا عنه، و مکث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیما یذکرون خمس عشرة لیلة لا یحدث الله عز و جل، إلیه فی ذلک وحیا و لا یأتیه جبریل، حتی أرجف آل مکة، و قالوا: وعدنا محمد غدا، و الیوم خمس عشرة لیلة قد أصبحنا منها لا یخبرنا بشیء مما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۹۱

سألناه عنه. و حتی أحزن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مکث الوحی عنه و شق علیه ما یتکلم به أهل مکة، ثم جاءه جبریل من الله بسورة أصحاب الکهف، فیها معاتبته إیاه علی حزنه علیهم و خبر ما سألوه عنه من أمر الفتیة و الرجل الطواف و الروح.

فذکر لی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال لجبریل حین جاءه: «لقد احتبست عنی یا جبریل حتی سؤت ظنا». فقال له جبریل: وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ لَهُ ما بَیْنَ أَیْدِینا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَیْنَ ذلِکَ وَ ما کانَ رَبُّکَ نَسِیًّا [مریم: ۶۴] «۱».

فلما جاءهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بما عرفوا من الحق، و عرفوا صدقه فیما حدث و موقع نبوته فیما جاءهم به من علم الغیوب حین سألوه عما سألوه عنه، حال الحسد منهم له بینهم و بین اتباعه و تصدیقه، فعتوا علی الله و ترکوا أمره عیانا و لجوا فیما هم علیه من

الکفر، فقال قائلهم: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَغْلِبُونَ [فصلت:

۲۶] أی اجعلوه لغوا و باطلا، و اتخذوه هزوا لعلکم تغلبونه بذلک، فإنکم إن ناظرتموه و خاصمتموه غلبکم.

فقال أبو جهل بن هشام یوما و هو یهزأ برسول الله صلی اللّه علیه و سلم و ما جاء به من الحق: یا معشر قریش، یزعم محمد أنما جنود الله الذین یعذبونکم فی النار و یحبسونکم فیها تسعة عشر، و أنتم أعظم الناس عددا و کثرة، أ فیعجز کل مائة رجل منکم عن رجل منهم؟!.

فأنزل الله فی ذلک من قوله: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِکَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِینَ کَفَرُوا لِیَسْتَیْقِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ وَ یَزْدادَ الَّذِینَ آمَنُوا إِیماناً [المدثر:

۳۱] إلی آخر القصة «۲».

فلما قال ذلک بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بالقرآن و هو یصلی یتفرقون عنه و یأبون أن یستمعوا له، فکان الرجل منهم إذا أراد أن یستمع من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعض ما یتلو من القرآن و هو یصلی استرق السمع دونهم فرقا منهم، فإن رأی أنهم قد عرفوا أنه یستمع ذهب خشیة أذاهم فلم یستمع، و إن خفض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صوته فظن الذی یستمع أنهم لا یسمعون شیئا من قراءته و سمع هو شیئا دونهم أصاخ یستمع له «۳».

---

(۱) ذکره الواحدی فی أسباب النزول (۲۵۲)، ابن حجر فی فتح الباری (۸/ ۲۸۴).

(۲) ذکره الشوکانی فی فتح القدیر (۵/ ۴۷۱)، و قال: أخرجه ابن جریر و ابن مردویه عن ابن عباس و لم یذکر له إسنادا.

(۳) ذکره الطبری فی تفسیره (۱۵/ ۱۶۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۹۲

و قال عبد الله بن عباس «۱»: إنما نزلت هذه الآیة: وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَیْنَ ذلِکَ سَبِیلًا [الإسراء: ۱۱۰] من أجل أولئک النفر «۲».

یقول: لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ فیتفرقوا عنک وَ لا تُخافِتْ بِها فلا یسمعها من یحب أن یسمعها ممن یسترق ذلک دونهم، لعله یرعوی إلی بعض ما یستمع فینتفع بذلک.

و کان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بمکة عبد الله بن مسعود فیما حدث به عروة بن الزبیر «۳» قال: اجتمع یوما أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فقالوا: و الله ما سمعت قریش هذا القرآن یجهر لها به قط، فمن رجل یسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود:

أنا. قالوا: إنا نخشاهم علیک، إنما نرید رجلا له عشیرة یمنعونه من القوم إن أرادوه. قال:

دعونی فإن الله سیمنعنی. قال: فغدا ابن مسعود حتی أتی المقام فی الضحی، و قریش فی أندیتها، حتی قام عند المقام ثم قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ رافعا بها صوته الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ. ثم استقبلها یقرؤها، و تأموه فجعلوا یقولون: ما قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه لیتلو بعض ما جاء به محمد.

فقاموا إلیه فجعلوا یضربون فی وجهه و جعل یقرأ حتی بلغ منها ما شاء الله أن یبلغ، ثم انصرف إلی أصحابه و قد أثروا بوجهه. فقالوا: هذا الذی خشینا علیک. قال: ما کان أعداء الله أهون علی منهم الآن، و لئن شئتم لأغادینهم بمثلها قالوا: لا، حسبک، فقد أسمعتهم ما یکرهون «۴».

و ذکر الزهری «۵» أن أبا سفیان بن حرب و أبا جهل بن هشام و الأخنس بن شریق خرجوا لیلة لیستمعوا من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو یصلی من اللیل فی بیته، فأخذ کل رجل منهم مجلسا یستمع فیه، و کل لا یعلم بمکان صاحبه فباتوا یستمعون له، حتی إذا

طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا و قال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا.

ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۵۹).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى حديث رقم (۷۴۹۰)، صحيح مسلم كتاب الصلاة (۱/ ۱۴۵)، سنن الترمذى (۳۱۴۶).

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۲۵۹- ۲۶۰).

(۴) ذكره القرطبى فى تفسيره (۷/ ۱۴۷)، الطبرى فى تاريخه (۲/ ۳۳۴، ۳۳۵).

(۵) انظر: السيرة (۱/ ۲۶۰- ۲۶۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۹۳

يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة. ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود. فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال: أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، و الله لقد سمعت أشياء أعرفها و أعرف ما يراد بها، و سمعت أشياء ما عرفت معناها و لا ما يراد بها.

قال الأخنس: و أنا و الذى حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ما ذا سمعت؟ تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب و كنا كفرسى رهان قالوا: منا نبى يأتيه الوحى من السماء!!.

فمن يدرك هذه؟! و الله لا نؤمن به أبدا و لا نصدقه. فقام عنه الأخنس و تركه «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا تلا عليهم القرآن و دعاهم إلى الله قالوا يستهزءون به: قلوبنا فى أكنة لا نفقه ما تقول، و فى آذاننا وقر لا نسمع ما تقول، و من بيننا و بينك حجاب قد حال بيننا و بينك، فاعمل بما أنت عليه إنا عاملون بما نحن عليه، إنا لا نفقه عنك شيئا، فأنزل الله عليه فى ذلك من قولهم: وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً إلى قوله: وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً [الإسراء: ۴۵، ۴۶].

أى كيف فهموا توحيدك ربك، إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة و فى آذانهم وقرا و بينك و بينهم حجابا بزعمهم؟ أى أنى لم أفعل. نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً [الإسراء: ۴۷].

أى ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثك به إليهم. انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا [الإسراء: ۴۸]، أى أخطئوا المثل الذى ضربوا لك، فلا يصيبون

---

(۱) ذكره ابن كثير فى تفسيره (۵/ ۸۱).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۶۱- ۲۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۹۴

به هدى و لا يعتدل بهم فيه قول وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً [الإسراء: ۴۹] أى قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما و رفاتا و ذلك ما لا يكون. قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [الإسراء: ۵۰، ۵۱] أى الذى خلقكم مما تعرفون، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه. و سئل ابن

عباس عن قول الله عز و جل: أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ما الذى أراد الله به؟ فقال: الموت.

قال ابن إسحاق «۱»: ثم إنهم عدوا على من أسلم و اتبع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب و الجوع و العطش، و برمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم، منهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه، و منهم من يصلب لهم و يعصمه الله منهم.

فكان بلال بن رباح و هو ابن حمامة لبعض بنى جمح «۲» مولدا من مولديهم، و كان صادق الإسلام طاهر القلب، فكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له:

لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد و تعبد اللات و العزى فيقول و هو فى ذلك البلاء: أحد أحد.

و كان ورقة بن نوفل يمر به و هو يعذب بذلك، و هو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد و الله يا بلال! «۳» ثم يقبل على أمية و من يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا.

أى: لأتخذن قبره منسكا و مسترحما، و الحنان: الرحمة. حتى مر به أبو بكر الصديق يوما و هم يصنعون ذلك به فقال لأمية: أ لا تتقى الله فى هذا المسكين؟! حتى متى؟!

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۶۲).

(۲) بنى جمح: ينتسبون إلى جمح بن عمرو، و هو بطن من العدنانية. انظر: معجم قبائل العرب (۱/ ۲۰۲، ۲۰۳).

(۳) قال ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۰۷): قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفى بعد البعثة فى فترة الوحى، و إسلام من أسلم إنما كان بعد نزول: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فكيف يمر ورقة ببلال و هو يعذب؟ و فيه نظر.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۹۵

قال: أنت الذى أفسدته فأنقذه. فقال أبو بكر: أفعل: عندى غلام أسود أجلد منه و أقوى، على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، و أخذ بلالا فأعتقه «۱».

و أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم، عامر ابن فهيرة، و أم عبيس «۲»، و زنيرة «۳»، فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات و العزى. فقالت: كذبوا و بيت الله، ما تضر اللات و العزى و لا تنفعان. فرد الله إليها بصرها «۴».

و أعتق النهدية و ابنتها، و كانتا لامرأة من بنى عبد الدار، فمر بهما أبو بكر و قد بعثتهما سيدتهما بطحين لها و هى تقول: و الله لا أعتقكما أبدا. فقال أبو بكر: حلا يا أم فلان. فقالت: حل أنت، أفسدتهما فأعتقهما. قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا و كذا.

قال: قد أخذتهما، و هما حرتان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: أو ذلك إن شئتما «۵».

و مر بجارية بنى نوفل حى من بنى عدى، و عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام و هو يومئذ مشرك، فابتاعها أبو بكر فأعتقها. و قال له أبوه أبو قحافة: يا بنى، إنى أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا- جلداء يمنعونك و يقومون دونك؟ فقال أبو بكر: يا أبت إنى إنما أريد ما أريد.

فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه و فيما قال أبوه: فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى إلى آخر السورة [الليل: ۷] «۶».

---

(۱) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء (۱/ ۱۴۸)، ابن سعد فى الطبقات (۱/ ۲۴۳).

(۲) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب (۴/ ۵۰۰): أم عبيس، قال الزبير: كانت فتاة لبنى تيم بن مرة فأسلمت، و كانت ممن يعذب فى الله فاشتراها أبو بكر فأعتقها.

(۳) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب (۴/ ۴۰۶): زنيرة: مولاة أبى بكر الصديق، هى أحد السبعة الذين كانوا يعذبون فى الله، فاشتراهم أبو بكر و أعتقهم. انظر ترجمتها فى: أسد الغابة الترجمة رقم (۶۹۴۸)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۲۲۲).

(۴) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۰۷).

(۵) ذكره ابن كثير فى البداية (۳/ ۱۰۷).

(۶) ذكره الطبرى فى تفسيره (۳۰/ ۲۲۱)، الحاكم فى المستدرك (۲/ ۵۲۵)، و ابن كثير فى تفسيره (۸/ ۴۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۹۶

و كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر و بأبيه و أمه، و كانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيقول فيما بلغنى:

«صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» «۱». فأما أمه فقتلوها و هى تأبى إلا الإسلام.

و كان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم، فى رجال من قريش، إذا سمع بالرجل له شرف و منعة قد أسلم أنبه و أخزاه فقال: تركت دين أبيك و هو خير منك! لنسفهن حلمك و لنفيلن رأيك و لنضعن شرفك. و إن كان تاجرا قال: و الله لنكسدن تجارتك و لنهلكن مالك. و إن كان ضعيفا ضربه و أغرى به.

و قال سعيد بن جبير لعبد الله بن عباس «۲»: أ كان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم؟ قال: نعم و الله، إن كانوا ليضربون أحدهم و يجيعونه و يعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له: اللات و العزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له: أ هذا الجعل إلهك من دون الله؟

فيقول: نعم. افتداء منهم مما يبلغون من جهده «۳».

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق «۴»: فلما رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما يصيب أصحابه من البلاء، و ما هو فيه من العافية بمكانه من الله و من عمه أبى طالب، و أنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد،

---

(۱) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۳۸۳)، المطالب العالية لابن حجر (۴۰۳۴)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۷۳۶۶، ۳۷۳۶۸)، حلية الأولياء لأبى نعيم (۱/ ۱۴۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۵۹).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۶۵).

(۳) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۷۱). و قال: و فى مثل هذا أنزل الله تعالى: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ الآية، فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة و العذاب البليغ، أجارنا الله من ذلك بحوله و قوته.

(۴) انظر: السيرة (۱/ ۲۶۶- ۲۶۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۹۷

و هى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه» «۱».

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة و فرارا بدينهم إلى الله. فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام.

و كان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة بنت سهيل، و الزبير بن العوام، و عبد الرحمن بن عوف، و مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، و أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى معه امرأته أم سلمة، و عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، و عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب بن نفيل معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة، و سهل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر، و أبو سبرة بن أبى رهم، و يقال: بل أبو حاطب بن عمرو. و يقال: هو كان أول من قدمها.

و كان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين، ثم خرج جعفر بن أبى طالب و تتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة منهم من خرج بأهله و منهم من خرج بنفسه.

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا أو ولدوا بها، ثلاثة و ثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر فيهم، و هو يشك فيه.

و كان مما قيل من الشعر فى الحبشة أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم، حين أمنوا بأرض الحبشة و حمدوا جوار النجاشى، و عبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا قال:

يا راكبا بلغن عنى مغلغلةمن كان يرجو بلاغ الله و الدين «۲»

كل امرئ من عباد الله مضطهدببطن مكة مقهور و مفتون

أنا وجدنا بلاد الله واسعةتنجى من الذى و المخزاة و الهون

فلا تقيموا على ذل الحياة و خزى فى الممات و غيب غير مأمون

إنا تبعنا رسول الله و اطرحواقول النبىّ و عالوا فى الموازين

فاجعل عذابك بالقوم الذين بغواو عائذا بك أن يعلوا فيطغونى و قال عبد الله بن الحارث أيضا، يذكر نفى قريش إياهم من بلادهم و يعاتب بعض

---

(۱) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۶۶).

(۲) مغلغلة: بفتح العين هى الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۱۹۸

قومه فى ذلك:

أبت كبدى لا أكذبنك قتالهمعلى و تأباه على أناملى

و كيف قتالى معشرا أدبوكمعلى الحق ألا تأشبوه بباطل

نفتهم عباد الجن من حر أرضهمفأضحوا على أمر شديد البلابل «۱»

فإن تك كانت فى عدى أمانةعدى بن سعد عن تقى أو تواصل

فقد كنت أرجو أن ذلك فيهمبحمد الذى لا يطبى بالجعائل

و بدلت شبلا شبل كل ضعيفةبذى فجر مأوى الضعاف الأرامل «۲» و قال عبد الله بن الحارث أيضا:

و تلك قريش تجحد الله حقه‌كما جحدت عاد و مدين و الحجر «۳»

فإن أنا لم أبرق فلا یسعنی من الأرض بر ذو فضاء و لا بحر

بأرض بها عبد الإله محمدأبین ما فی النفس إذ بلغ النفر فسمی عبد الله یرحمه الله، المبرق ببیته الذی قال.

و قال عثمان بن مظعون یعاتب أمیة بن خلف و هو ابن عمه، و کان یؤذیه فی إسلامه، و کان أمیة شریف قومه فی زمانه ذلک:

أتیم بن عمرو للذی جاء بغضهو من دونه الشرمان و البرک أکتع «۴»

أ أخرجتنی من بطن مکة آمناو أسکنتنی فی صرح بیضاء تقذع

تریش نبالا لا یواتیک ریشهاو تبری نبالا ریشها لک أجمع

و حاربت أقواما کراما أعزةو أهلکت أقواما بهم کنت تقرع

ستعلم إن نابتک یوما ملمةو أسلمک الأوباش ما کنت تصنع و تیم بن عمرو، الذی یدعو عثمان، هو جمح بن عمرو، کان اسمه تیما.

قال ابن إسحاق «۵»: فلما رأت قریش أن أصحاب رسول الله صلى اللّه علیه و سلم قد أمنوا و اطمأنوا

---

(۱) حر أرضهم: هی الأرض الکریمة. البلابل: شدة الهم و الوساوس فی الصدور و حدیث النفس.

(۲) لا یطبی: أی لا یستمال و لا یستدعی. الجعائل: جمع جعالة و هی الرشوة.

(۳) الحجر: هو اسم دیار ثمود بوادی القری من المدینة و الشام، و قیل: هو من وادی القری علی یوم بین جبال و بها قامت منازل ثمود. انظر: معجم البلدان (۲/ ۲۲۱).

(۴) الشرم: لجة البحر، و قیل: موضع فیه: و قیل: هو أبعد قعره و الشروم غمرات البحر واحدها شرم. انظر: اللسان (مادة شرم). البرک: هو جماعة الإبل البارکة، و قیل: اسم موضع.

(۵) انظر: السیرة (۱/ ۲۷۵- ۲۷۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۱۹۹

بأرض الحبشة، و أنهم قد أصابوا بها دارا و قرارا، ائتمروا بینهم أن یبعثوا فیهم رجلین من قریش جلدین إلی النجاشی، فیردهم علیهم، لیفتنوهم فی دینهم، و یخرجوهم من دارهم، التی اطمأنوا بها و أمنوا فیها.

فبعثوا عبد الله بن أبی ربیعة، و عمرو بن العاص و جمعوا لهما هدایا للنجاشی و لبطارقته ثم بعثوهما.

فقال أبو طالب، حین رأی ذلک من رأیهم و ما بعثوهما فیه، أبیاتا یحض النجاشی علی حسن جوارهم و الدفع عنهم:

ألا لیت شعری کیف فی النأی جعفرو عمرو و أعداء العدو الأقارب

و هل نالت أفعال النجاشی جعفراو أصحابه أو عاق ذلک شاغب

تعلم أبیت اللعن أنک ماجدکریم فلا یشقی لدیک المجانب «۱»

تعلّم فإن الله زادک بسطةو أسباب خیر کلها بک لازب

و أنک فیض ذو سجال غزیرةینال الأعادی نفعها و الأقارب و ذکر ابن إسحاق: من حدیث «۲» أم سلمة زوج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، تعنی مع زوجها الأول أبی سلمة، جاورنا بها خیر جار النجاشی، أمنا علی دیننا، و عبدنا الله تعالی لا نؤذی و لا نسمع شیئا نکرهه، فلما بلغ ذلک قریشا، ائتمروا بینهم أن یبعثوا إلی النجاشی فینا رجلین منهم جلیدین، و أن یهدوا للنجاشی هدایا مما یستظرف من متاع مکة، و کان من أعجب ما یأتیه منها الأدم، فجمعوا له أدما کثیرا، و لم یترکوا من بطارقته بطریقا إلا أهدوا لهم، ثم بعثوا بذلک عبد الله بن أبی ربیعة، و عمرو بن العاص، و أمروهما بأمرهم، و قالوا لهما: ادفعا إلی کل بطریق هدیته قبل أن تکلما النجاشی فیهم، ثم قدما إلی النجاشی هدایاه، ثم اسألاه أن یسلمهم إلیکما قبل أن یکلمهم.

قالت: فخرجا حتی قدما إلی النجاشی، و نحن عنده بخیر دار، عند خیر جار، فلم یبق من بطارقته بطریق إلا دفعا إلیه هدیته قبل أن

يكلماه، و قالا لكل بطريق: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا فى دينكم، و جاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن و لا أنتم، و قد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم

---

(۱) أبيت اللعن: هذه تحية العرب فى الجاهلية للملوك. المجانب: أراد به الداخل فى حماه.

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۰۲)، مجمع الزوائد (۶/ ۲۴، ۲۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۰۰

إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا و لا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا «۱»، و أعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قربا هداياهما إلى النجاشى فقبلها، ثم قالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا فى دينك، جاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن و لا أنت، و قد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائرهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عينا، و أعلم بما عابوا عليهم و عاتبوهم فيه.

قالت: و لم يكن شىء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة، و عمرو بن العاص من أن لا يسمع كلامهما النجاشى. فقالت بطارقته: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى بلادهم و قومهم.

فغضب النجاشى، ثم قال: لاها الله، إذا لا أسلمهم إليهما، و لا يكاد قوم جاورونى و نزلوا بلادى، و اختارونى على من سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، و رددتهم إلى قومهم، و إن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم، و أحسنت جوارهم ما جاورونى. ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول و الله ما علمنا، و ما أمرنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوا، و قد دعا النجاشى أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم، و لم تدخلوا به فى دينى و لا فى دين أحد من هذه الملل؟.

قالت: فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب، قال: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار، و يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه، فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث، و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم و قذف المحصنات، و أمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة و الزكاة و الصيام. قالت: فعدد عليه أمور الإسلام.

---

(۱) أعلى بهم عينا: أى أبصر بهم، و قيل: أى عينهم و أبصارهم فوق عين غيرهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۰۱

فصدقناه و آمنا به، و اتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، و حرمنا ما حرم علينا، و أحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، و فتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا و ظلمونا، و ضيقوا علينا و حالوا بيننا و بين ديننا، خرجنا إلى بلادك، و اخترناك على من سواك و رغبنا فى جوارك، و رجونا ألا نظلم عندك أيها الملك، فقال له النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شىء؟ فقال له جعفر: نعم.

قال: فاقرأه علىّ. فقرأ عليه صدرا من: كهيعص، فبكى و الله النجاشى حتى أخضل لحيته، و بكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما يتلى عليهم.

ثم قال لهم النجاشى: إن هذا و الذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة «۱» واحدة، انطلقا، فو الله لا أسلمهم إليكما أبدا و لا يكادون.

فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: و الله لآتينه عنهم غدا بما أستأصل به خضراءهم «۲». قالت: فقال له عبد الله بن أبى ربيعة، و كان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحاما، و إن كانوا قد خالفونا. قال: و الله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد. ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما، فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه، و لم ينزل مثلها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ما ذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ فقالوا: نقول و الله ما قال الله، و ما جاءنا به نبينا، كائنا فى ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون فى عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر ابن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا، نقول: عبد الله و رسوله و روحه و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشى بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت «۳» بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: و إن نخرتم و الله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى أى آمنون، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، فما أحب أن لى دبرا من ذهب و أنى

---

(۱) مشكاة: أى الثقب الذى يوضع فيه الفتيل و المصباح، و هى الكوة غير النافذ.

(۲) استأصل به خضراءهم: أى جماعتهم و قوتهم و معظمهم، و قيل: شجرتهم التى تفرعوا منها.

(۳) تناخرت: أى تكلمت و كأنه كلام من غضب و نفور.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۰۲

آذيت رجلا منكم. و يقال دبرا، و هو الجبل بلسان الحبشة فيما قال ابن هشام.

ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه، و ما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، و أقمنا عنده بخير دار مع خير جار، قالت: فو الله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه فو الله ما علمتنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه.

و سار إليه النجاشى و بينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير بن العوام: أنا قالوا: فأنت.

و كان من أحدث القوم سنا، فنفخوا له قربة فجعلنها فى صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: و دعونا الله للنجاشى بالظهور على عدوه و التمكين له فى بلاده. فو الله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير يسعى، فلمع بثوبه يقول: ألا أبشروا فقد ظهر النجاشى و أهلك الله عدوه فو الله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها.

و رجع النجاشى، و قد أهلك الله عدوه و مكن له فى بلاده و استوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده فى خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

قال الزهرى «۱»: فحدثت عروة بن الزبير هذا الحديث، فقال: هل تدرى ما قوله: «ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه، و ما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه» قلت: لا و الله.

قال: فإن عائشة أم المؤمنين حدثتنى أن أباه كان ملك قومه، و لم يكن له ولد إلا النجاشى، و كان للنجاشى عم له من صلبه اثنا عشر رجلا، و كانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشى و ملكنا أخاه، فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، و إن لأخيه من صلبه اثنى عشر رجلا فتوارثوا ملكهم من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا.

فعدوا علی أبی النجاشی فقتلوه و ملکوا أخاه، فمکثوا علی ذلک حینا و نشأ

(۱) انظر: السیرة (۱/ ۲۷۹- ۲۸۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۰۳

النجاشی مع عمه، و کان لبیبا حازما من الرجال، فغلب علی أمر عمه و نزل منه بکل منزلة، فلما رأت الحبشة مکانه منه قالت بینها: و الله لقد غلب هذا الفتی علی أمر عمه، و إنا لنتخوف أن یملکه علینا، و إن ملکه علینا لیقتلننا أجمعین، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه.

فمشوا إلی عمه، فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتی أو لتخرجنه من بین أظهرنا، فإنا قد خفناه علی أنفسنا. قال: ویلکم! قتلت أباه بالأمس و أقتله الیوم! بل أخرجه من بلادکم.

فخرجوا به إلی السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم، فقذفه فی سفینة فانطلق به حتی إذا کان العشی من ذلک الیوم هاجت سحابة من سحائب الخریف فخرج عمه یستمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته.

ففزعت الحبشة إلی ولده فإذا هو محمق لیس فی ولده خیر، فمرج علی الحبشة أمرهم، فلما ضاق علیهم ما هم فیه قال بعضهم لبعض: تعلموا و الله أن ملککم الذی لا یقیم أمرکم غیره الذی بعتموه غدوة، فإن کان لکم بأمر الحبشة حاجة فأدرکوه.

قالت: فخرجوا فی طلبه و طلب الرجل الذی باعوه منه حتی أدرکوه فأخذوه منه، ثم جاءوا به فعقدوا علیه التاج و أقعدوه علی سریر الملک، فجاءهم التاجر الذی کانوا باعوه منه، فقال: إما أن تعطونی مالی و إما أن أکلمه فی ذلک. فقالوا: لا نعطیک شیئا.

قال: إذا و الله أکلمه. قالوا: فدونک.

فجاءه فجلس بین یدیه، فقال: أیها الملک، ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم، فأسلموا إلی غلامی و أخذوا دراهمی، حیث إذا سرت أدرکونی فأخذوا غلامی و منعونی دراهمی.

فقال لهم النجاشی: لتعطنه دراهمه أو لیضعن غلامه یده فی یده فلیذهبن به حیث شاء! قالوا: بل نعطیه دراهمه «۱».

و کان ذلک أول ما خبر من صلابته فی دینه و عدله فی حکمه رحمه الله تعالی، و عن عائشة قالت: لما مات النجاشی کان یتحدث أنه لا یزال یری علی قبره نور.

و ذکر ابن إسحاق «۲» أیضا، عن جعفر بن محمد، عن أبیه، أن الحبشة اجتمعت، فقالوا للنجاشی، یعنی عند ما وافق جعفر بن أبی طالب علی قوله فی عیسی ابن مریم:

(۱) ذکره ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۳/ ۱۲۳- ۱۲۴).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۲۸۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۰۴

إنک فارقت دیننا. و خرجوا علیه، فأرسل إلی جعفر و أصحابه و هیأ سفنا و قال: ارکبوا فیها و کونوا کما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتی تلحقوا بحیث شئتم، و إن ظفرت فاثبتوا.

ثم عمد إلی کتاب فکتب فیه: هو یشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و یشهد أن عیسی عبده و رسوله و روحه و کلمته ألقاها إلی مریم.

ثم جعله فی قبائه عند المنکب الأیمن، و خرج إلی الحبشة و صفوا له، فقال: یا معشر الحبشة، أ لست أحق الناس بکم؟ قالوا: بلی. قال: فکیف رأیتم سیرتی فیکم؟ قالوا:

خیر سیرة. قال: فما لکم؟ قالوا: فارقت دیننا و زعمت أن عیسی عبد. قال: فما تقولون أنتم فی عیسی؟ قالوا: نقول هو ابن الله. قال

النجاشی، و وضع یده علی صدره علی قبائه: هو یشهد أن عیسی لم یزد علی هذا شیئا. و إنما یعنی علی ما کتب. فرضوا و انصرفوا، فبلغ ذلک النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فلما مات النجاشی صلی علیه و استغفر له «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: و لما قدم عمرو بن العاص، و عبد الله بن أبی ربیعة علی قریش، و لم یدرکوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و ردهما النجاشی بما یکرهون، و أسلم عمر بن الخطاب رضی الله عنه، و کان رجلا ذا شکیمة لا یرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و بحمزة حتی عازوا قریشا. الاکتفاء، الکلاعی ج ۱ ۲۰۴ ذکر الهجرة إلی أرض الحبشة ..... ص : ۱۹۶

ان عبد الله بن مسعود یقول: ما کنا نقدر علی أن نصلی عند الکعبة حتی أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قریشا حتی صلی عند الکعبة و صلینا معه «۳».

و قال ابن مسعود فی روایة البکائی عن غیر ابن إسحاق: إن إسلام عمر کان فتحا، و إن هجرته کانت نصرا، و إن إمارته کانت رحمة، و لقد کنا و ما نصلی عند الکعبة، حث أسلم عمر، و ذکر مثل ما تقدم نصا إلی آخره.

---

(۱) وردت من الأحادیث الکثیر فی صلاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم علی النجاشی، و منها ما أخرجه الإمام أحمد فی المسند (۴/ ۳۶۰، ۳۶۳) عن جریر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «إن أخاکم النجاشی قد مات فاستغفروا له».

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۲۸۱- ۲۸۲).

(۳) ذکره الهیثمی فی المجمع (۹/ ۶۲)، ابن سعد فی الطبقات (۱/ ۲۷۰). الحاکم فی المستدرک (۳/ ۸۳ ۸۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۰۵

ذکر الحدیث عن إسلام عمر بن الخطاب رضی الله عنه

حدث عبد الله بن عامر بن ربیعة عن أمه، أم عبد الله بنت أبی حثمة قالت: و الله إنا لنترحل إلی أرض الحبشة، و قد ذهب عامر فی بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتی وقف علی، و هو علی شرکه، قالت: و کنا نلقی منه البلاء أذی لنا و شدة علینا، فقال: إنه للانطلاق یا أم عبد الله! فقلت: نعم، و الله لنخرجن فی أرض الله، آذیتمونا و قهرتمونا، حتی یجعل الله لنا مخرجا! فقال: صحبکم الله! و رأیت له رقة لم أکن أرها، ثم انصرف و قد أحزنه فیما أری خروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلک، فقلت له: یا أبا عبد الله لو رأیت عمر آنفا و رقته علینا! قال: أطمعت فی إسلامه؟

قالت: نعم. قال: لا یسلم الذی رأیت حتی یسلم حمار الخطاب! قالت: یأسا منه لما کان یری منه من غلظته و قسوته عن الإسلام «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: و کان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی الحبشة.

قال: و کان إسلامه فیما بلغنی، أن أخته فاطمة بنت الخطاب کانت قد أسلمت، و أسلم زوجها سعید بن زید، و هم مستخفون بإسلامهم من عمر، و کان نعیم بن عبد الله النحام من بنی عدی قد أسلم، و کان یستخفی بإسلامه فرقا من قومه، و کان خباب بن الأرت یختلف إلی فاطمة بنت الخطاب یقرئها القرآن.

فخرج عمر یوما متوشحا سیفه یرید رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و رهطا من أصحابه، قد ذکروا له أنهم اجتمعوا فی بیت عند الصفا، قریبا من أربعین بین رجال و نساء، و مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عمه حمزة، و أبو بکر الصدیق، و علی بن أبی طالب، فی رجال من المسلمین.

فلقیه نعیم فقال: أین ترید یا عمر؟ قال: أرید محمدا هذا الصابئ الذی فرق أمر قریش و سفه أحلامها و أعاب دینها و سب آلهتها فأقتله. فقال له نعیم: و الله لقد غرتک نفسک من نفسک یا عمر! أ تری بنی عبد مناف تارکیک تمشی علی الأرض، و قد قتلت

محمدا! أ فلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۸۲).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۸۲– ۲۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۰۶

قال: أى أهل بيتى؟ قال: ختنك و ابن عمك سعيد بن زيد و أختك فاطمة، فقد و الله أسلما و تابعا محمدا على دينه، فعليك بهما. فرجع عمر عائدا إلى أخته و ختنه، و عندهما خباب معه صحيفة فيها «طه» يقرؤهما إياها، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خباب فى مخدع لهم، أو فى بعض البيت، و أخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، و قد سمع عمر قراءة خباب، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التى سمعت؟ قالا: ما سمعت شيئا. قال: بلى و الله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه.

و بطش بختنه سعيد، فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته و ختنه: نعم أسلمنا و آمنا بالله و رسوله، فاصنع ما بدا لك!.

و لما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم و ارعوى، و قال لها: أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد. و كان عمر كاتبا، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافى، و حلف لها بآلهته ليردنها إليها إذا قرأها. فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه، فقالت له: يا أخى، إنك نجس على شركك، و إنه لا يمسها إلا الطاهر. فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، و فيها «طه» فقرأها، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام و أكرمه. فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال: يا عمر، و الله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإنى سمعته أمس و هو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك: فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم. فقال له خباب:

هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل منهم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع و هو فزع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف. فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، و إن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ائذن له. فأذن له الرجل. و نهض إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بحجرته أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة. و قال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب، فو الله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة!»، فقال عمر: يا رسول الله، جئت لأؤمن بالله و رسوله و بما جاء من عنده. قال: فكبر رسول

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۰۷

الله صلى اللّه عليه و سلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن عمر قد أسلم. فتفرقوا من مكانهم و قد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر، مع إسلام حمزة، و عرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ينتصفون بهما من عدوهم «۱». فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر.

و قد روى غيرهم إن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعدا و كنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها و أشربها، و كان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة «۲»، فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك فلم أجد فيه منهم أحدا، فقلت: لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها، فجئته فلم أجده، فقلت: فلو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين. فجئت أريد ذلك فإذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قائم يصلى، و كان إذا صلى استقبل الشام و جعل بينه و بينها الكعبة، فكان مصلاه بين الركنين: الركن الأسود و الركن اليمانى، فقلت حين رأيته: و الله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى

أستمع ما يقول.

فقلت: لئن دنوت منه لأروعنه، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشى رويدا و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قائم يصلى يقرأ القرآن حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى و بينه إلا ثياب الكعبة. فلما سمعت القرآن رق له قلبى! فبكيت و دخلنى الإسلام، فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صلاته ثم انصرف، و كان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين، و كانت طريقه حتى يخرج المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب و بين دار ابن أزهر.

فتبعته حتى إذا دخل بينهما أدركته، فلما سمع حسى عرفنى، فظن أنى إنما تبعته لأوذيه فنهمنى ثم قال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟» قلت: جئت لأؤمن بالله و برسوله و بما جاء به من عند الله، فحمد الله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: «قد هداك الله يا عمر»، ثم مسح صدرى و دعا لى بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بيته «۳».

---

(۱) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (۳/ ۹۱)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۲۱۹).

(۲) الحزورة: هى الآن قطعة من المسجد فى مكة.

(۳) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۲۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۰۸

قال ابن إسحاق «۱»: فالله أعلم أى ذلك كان.

و ذكر محمد بن عبد الله بن سنجر الحافظ فى إسلام عمر رضى الله عنه، زيادة لم يذكرها ابن إسحاق، فروى بإسناد له إلى شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب:

خرجت أتعرض لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا و الله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ [الحاقة: ۴۰، ۴۱]، قال: قلت: كاهن علم ما فى نفسى فقرأ: وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ [الحاقة: ۴۲] إلى آخر السورة.

قال: فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع.

قال ابن إسحاق «۲»: و حدثنى نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجمحى. فغدا عليه و غدوت أتبع أثره أنظر ما يفعل، و أنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمت و دخلت فى دين محمد؟! فو الله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، و اتبعه عمر، و اتبعت أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، و هم فى أنديتهم حول الكعبة، ألا إن ابن الخطاب قد صبأ، قال: يقول عمر من خلفه: كذب و لكنى أسلمت و شهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله، و ثاروا إليه، فما برح يقاتلهم و يقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم.

قال: و طلع فقعد، و قاموا على رأسه و هو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، فبيناهم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة و قميص موشى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرا فما ذا تريدون؟ أ ترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم. هكذا عن الرجل. فو الله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه. فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت و هو يقاتلونك؟ جزاه الله خيرا. قال: أى بنى، ذلك العاص بن وائل السهمى، لا جزاه الله خيرا «۳».

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۸۶).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۸۶).

(۳) ذكره ابن كثر فى البداية و النهاية (۳/ ۱۲۹– ۱۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۰۹

و هذا الدعاء عليه و له مما زاده ابن هشام عن غير ابن إسحاق.

و عن بعض آل عمر قال عمر «۱»: لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أى الناس أشد عداوة لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت، قال: قلت: أبو جهل. و كان عمر ابنا لحنتمة بنت هشام بن المغيرة، فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه، فخرج إلى فقال: مرحبا و أهلا يا ابن أختى، ما جاء بك؟ قلت: جئتك أخبرك أنى قد آمنت بالله و برسوله محمد و صدقت بما جاء به، فضرب الباب فى وجهى و قال: قبحك الله و قبح ما جئت به.

و فيما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عمر رضى الله عنه، قال حين أسلم.

الحمد لله ذى المن الذى وجبت‌له علينا أياد كلها عبر

و قد بدأنا فكذبنا فقال لناصدق الحديث نبى عنده الخبر

و قد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى‌ربى عشية قالوا قد صبا عمر

لما دعت ربها ذا العرش جاهدةو الدمع من عينها عجلان يبتدر

أيقنت أن الذى تدعوه خالقهاتكاد تسبقنى من عبرة درر

فقلت أشهد أن الله خلقناو أن أحمد فينا اليوم مشتهر

نبى صدق أتى بالحق من ثقةو فى الأمانة ما فى عوده خور قال ابن إسحاق «۲»: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا و قرارا، و أن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم، و أن عمر قد أسلم فكان هو و حمزة مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه، و جعل الإسلام يفشوا فى القبائل، اجتمعوا و ائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على نبى هاشم و بنى المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم و لا ينكحوهم، و لا يبيعوهم شيئا و لا يبتاعوا منهم.

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا و تواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم.

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه و اجتمعوا إليه و خرج من بنى هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم، و لقى هندا

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۲۸۷).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۸۷– ۲۸۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۱۰

بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه و ظاهر عليم قريشا، فقال لها: يا بنت عتبة، هل نصرت اللات و العزى و فارقت من فارقهما و ظاهر عليهما؟ قالت: نعم، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة.

و قال أبو طالب فيما صنعت قريش من ذلك و اجتمعوا عليه:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننالؤيا و خصا من لؤىّ بنى كعب

أ لم تعلموا أنا وجدنا محمدانبيا كموسى خط فى أول الكتب

و أن عليه فى العباد محبةو لا خير ممن خصه الله بالحب

و أن الذی لصقتم من کتابکملکم کائن نحسا کراغیة السقب «۱»

أفیقوا أفیقوا قبل أن یحفر الثریو یصبح من لم یجن ذنبا کذی الذنب

و لا تبتغوا أمر الوشاة و تقطعواأواصرنا بعد المودة و القرب

و تستجلبوا حربا عوانا و ربماأمر علی من ضاقه حلب الحرب

فلسنا و رب البیت نسلم أحمدالعزاء من عض الزمان و لا کرب

و لما تبن منا و منکم سوالفو أید أترت بالقساسیة الشهب «۲»

بمعترک ضنک تری کسر القنابه و النسور الطخم یعکفن کالشرب

کأن مجال الخیل فی حجراتهو معمعة الأبطال معرکة الحرب «۳»

أ لیس أبونا هاشم شد أزرهو أوصی بنیه بالطعان و بالضرب

و لسنا نمل الحرب حتی تملناو لا نتشکی ما قد ینوب من النکب

و لکننا أهل الحفائظ و النهیإذا طار أرواح الکماة من الرعب فأقاموا علی ذلک سنتین أو ثلاثا حتی جهدوا لا یصل إلیهم شیء إلا سرا، مستخفیا به من أراد صلتهم من قریش.

و قد کان أبو جهل فیما یذکرون، لقی حکیم بن حزام معه غلام یحمل قمحا یرید به عمته خدیجة و هی مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی الشعب فتعلق به و قال: أ تذهب بالطعام إلی بنی هاشم؟ فقال له أبو البختری: طعام کان لعمته عنده، أ فتمنعه أن یأتیها بطعامها؟

خل سبیل الرجل.

---

(۱) کراغیة السقب: الراغیة من الرغاء بضم أوله و هو أصوات الإبل. و السقب ولد الناقة.

(۲) تبن: تنفصل. السوالف: صفحات الأعناق. أترت: یعنی قطعت. القساسیة: سیوف تنسب إلی قساس و هو جعل لبنی أسد فیه معدن الحدید.

(۳) مجال الخیل: إجالة الفرسان إیاها. حجراته: أی النواحی. معمعة: الصوت.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۱۱

فأبی أبو جهل حتی نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البختری لحی بعیر فضربه، فشجه و وطئه وطأ شدیدا، و حمزة بن عبد المطلب قریب یری ذلک و هم یکرهون أن یبلغ ذلک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه فیشمتوا بهم.

و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علی ذلک یدعو قومه لیلا و نهارا و سرا و جهرا، مبادیا لأمر الله لا یتقی فیه أحدا من الناس.

فجعلت قریش حین منعه الله منها و قام عمه و قومه من بنی هاشم و بنی المطلب دونه و حالوا بینهم و بین ما أرادوا من البطش به، یهمزونه و یستهزءون به و یخاصمونه و جعل القرآن ینزل فی قریش بأحداثهم، و فیمن نصب لعداوته، منهم من سمی لنا، و منهم من نزل فیه القرآن فی عامة من ذکر الله من الکفار.

فکان من سمی لنا من قریش ممن نزل فیه القرآن عمه أبو لهب و امرأته أم جمیل بنت حرب بن أمیة، حمالة الحطب، و إنما سماها الله عز و جل حمالة الحطب أنها کانت فیما بلغنی، تحمل الشوک فتطرحه علی طریق رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حیث یمر.

و کان أبو لهب یقول فی بعض ما یقول: یعدنی محمد أشیاء لا أراها، یزعم أنها کائنة بعد الموت، فما ذا وضع فی یدی بعد ذلک! ثم ینفخ فی یدیه و یقول: تبا لکما ما أری فیکما شیئا مما یقول محمد!

فأنزل الله عز و جل فیهما: تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ ما أَغْنی عَنْهُ مالُهُ وَ ما کَسَبَ سَیَصْلی ناراً ذاتَ لَهَبٍ وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِی

جِیدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ [المسد: ۱، ۵] «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: فذکر لی أن أم جمیل حین سمعت ما نزل فیها و فی زوجها من

---

(۱) ذکره الشوکانی فی فتح القدیر (۵/ ۷۴۵).

و روی البخاری فی سبب نزول هذا السورة عن ابن عباس أن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم خرج إلی البطحاء فصعد الجبل فنادی «یا صباحاه» فاجتمعت إلیه قریش: فقال: أ رأیتم إن حدثتکم أن العدم مصبحکم أو ممسیکم أ کنتم تصدقونی؟» قالوا: نعم، قال: «فإنی نذیر لکم بین یدی عذاب شدید»، فقال أبو لهب أ لهذا جمعتنا؟ تبا لک فأنزل الله تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَ إلی آخرها.

و فی روایة فقام ینفض یدیه و هو یقول: تبا لک سائر الیوم أ لهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ.

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۲۹۱- ۲۹۲).

القرآن، أتت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو جالس فی المسجد عند الکعبة و معه أبو بکر الصدیق و فی یدها فهر «۱» من حجارة، فلما وقفت علیهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فلا تری إلا أبا بکر، فقالت: یا أبا بکر، أین صاحبک؟ فقد بلغنی أنه یهجونی، و الله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما و الله إنی لشاعرة، ثم قالت:

مذ مما عصیناو أمره أبینا و عن غیر ابن إسحاق: و دینه قلینا، ثم انصرفت. فقال أبو بکر: یا رسول الله، أ ما تراها رأتک؟ فقال: «ما أرتنی، لقد أخذ الله ببصرها عنی» «۲».

و کانت قریش إنما تسمی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مذمما ثم یسبونه، فکان علیه السلام، یقول:

«أ لا تعجبون لما صرف الله عنی من أذی قریش! یسبون و یهجون مذمما و أنا محمد!» «۳».

و أمیة بن خلف الجمحی، کان إذا رأی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم همزه و لمزه، فأنزل الله فیه:

وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ [الهمزة: ۱] إلی آخر السورة «۴».

و العاص بن وائل السهمی، کان خباب بن الأرت، قد باع منه سیوفا عملها له و کان قینا بمکة، فجاءه یتقاضاه، فقال له: یا خباب، أ لیس یزعم محمد صاحبکم هذا الذی أنت علی دینه أن فی الجنة ما ابتغی أهلها من ذهب أو فضة أو ثیاب أو خدم؟! قال: بلی.

قال: فأنظرنی إلی یوم القیامة یا خباب حتی أرجع إلی تلک الدار فأقضیک هنالک حقک، فو الله لا تکون أنت و أصحابک یا خباب آثر عند الله منی و لا أعظم حظا فی ذلک!.

فأنزل الله فی ذلک: أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی کَفَرَ بِآیاتِنا وَ قالَ لَأُوتَیَنَّ مالًا وَ وَلَداً أَطَّلَعَ الْغَیْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً کَلَّا سَنَکْتُبُ ما یَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا وَ نَرِثُهُ ما یَقُولُ وَ یَأْتِینا فَرْداً [مریم: ۷۷، ۸۰] «۵».

---

(۱) الفهر: حجر علی مقدار ملء الکف.

(۲) انظر الحدیث فی: دلائل النبوة للبیهقی (۲/ ۱۹۵)، تفسیر ابن کثیر (۸ م ۵۳۶، ۳۵۷)، مجمع الزوائد للهیثمی (۷/ ۱۴۴)، المطالب العالیة لابن حجر (۳/ ۳۹۹). مستدرک الحاکم (۲/ ۳۶۱).

(۳) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری کتاب المناقب (۳۵۳۳)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۲۴۴، ۳۶۹).

(۴) ذکره ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۳/ ۱۳۵).

(۵) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری کتاب البیوع (۲۰۹۱)، صحیح مسلم کتاب صفات المنافقین (۴/ ۳۵).

و لقى أبو جهل بن هشام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما بلغنى، فقال له: و الله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذى بعثك، فأنزل الله تعالى: وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ [الأنعام: ۱۰۸]، فذكر لى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كف عن سب آلهتهم و جعل يدعوهم إلى الله «۱».

و النضر بن الحارث بن كلدة، من شياطين قريش ممن كان يؤذى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ينصب له العداوة، و كان قدم الحيرة و تعلم بها أحاديث ملوك الفرس، فكان إذا جلس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مجلسا فذكر فيه بالله و دعا فيه إلى الله و حذر قومه ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، خلفه فى مجلسه إذا قام ثم قال: أنا و الله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، فهلم فأنا أحدثكم أحسن من حديثه. ثم يحدثهم عن رستم الشيذ و اسبنديار و ملوك فارس، ثم يقول: بما ذا محمد أحسن حديثا منى؟ و الله ما محمد بأحسن حديثا منى، و ما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها، فأنزل الله عز و جل فيه:

وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً [الفرقان: ۵، ۶] و كل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن، و أنزل أيضا فيه: وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ [الجاثية: ۷، ۸] «۲». و هو القائل: سأنزل مثل ما أنزل الله! فيما ذكر ابن هشام.

قال ابن إسحاق «۳»: و جلس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما بلغنى، يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد، فجاء النضر بن الحارث فجلس معهم فى المجلس، و فيه غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فعرض له النضر، فكلمه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أفحمه، ثم تلا عليه و عليهم: إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَ كُلٌّ فِيها خالِدُونَ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ هُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ [الأنبياء: ۹۸، ۱۰۰] «۴».

ثم قام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس، فقال له الوليد: و الله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا و ما قعد، و قد زعم محمد أنا

---

(۱) ذكره الطبرى فى تفسيره (۷/ ۲۰۷).

(۲) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۳۶).

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۲۹۴- ۲۹۵).

(۴) ذكره ابن كثير فى تفسيره (۵/ ۳۷۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۱۴

و ما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال ابن الزبعرى: أما و الله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدا: أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة و اليهود تعبد عزيرا و النصارى تعبد عيسى ابن مريم.

فعجب الوليد و من كان معه من قول ابن الزبعرى، و رأوا أنه قد احتج و خاصم.

فذكر ذلك لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال لهم: «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين و من أمرتهم بعبادته». فأنزل الله عليه: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ [الأنبياء: ۱۰۱]، أى عيسى و عزيرا و من عبدوا من الأحبار و الرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله «۱».

و نزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة و أنها بنات الله: وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ إلى قوله:

وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ [الأنبياء: ۲۶، ۲۹] «۲».

و أنزل فيما ذكر من أمر عيسى أنه يعبد من دون الله و عجب الوليد و من حضر من حجته و خصومته: وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ثم قال: إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِى إِسْرائِيلَ وَ لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ [الزخرف: ۵۷، ۶۱]، أى ما وضعت على يديه من إحياء الموتى و إبراء الأسقام فكفى به دليلا على علم الساعة، يقول: فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ.

و الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة، و كان من أشراف القوم و ممن يستمع منه، فكان يصيب من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و يرد عليه، فأنزل الله فيه: وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ [ن: ۱۰، ۱۳]، إلى قوله: زَنِيمٍ.

و لم يقل: «زنيم» لعيب فى نسبه، إن الله لا يعب أحدا بنسبه و لكنه حقق بذلك نعته

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۷/ ۱۰۴)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۱۷)، مستدرك الحاكم (۳/ ۲۸۴، ۲۸۵).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۹۶).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱، ص:۲۱۵

ليعرف، و الزنيم العديد للقوم «۱». قال الخطيم التميمى، فى الجاهلية:

زنيم تداعاه الرجال زيادةكما زيد فى عرض الأديم الأكارع «۲» و الوليد بن المغيرة، قال: أ ينزل على محمد و أترك و أنا كبير قريش و سيدها، و يترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف و نحن عظيما القريتين! فأنزل الله فيه، فيما بلغنى: وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا إلى قوله: وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [الزخرف: ۲۰، ۲۲].

و أبى بن خلف الجمحى و عقبة بن أبى معيط، و كانا متصافيين حسنا ما بينهما، فكان عقبة بن أبى معيط قد جلس إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و سمع منه، فبلغ ذلك أبيا فأتى عقبة فقال: أ لم يبلغنى أنك جالست محمدا و سمعت منه؟! ثم قال: وجهى من وجهك حرام أن أكلمك، و استغلظ من اليمين، إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتتفل فى وجهه.

ففعل ذلك عدو الله عقبة، فأنزل الله فيه: وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا [الفرقان: ۲۷، ۲۹].

و مشى أبى بن خلف إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعظم بال قد ارفتّ فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما [أرمّ] «۳»؟! ثم فته بيده ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله و إياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار» «۴»، فأنزل الله فيه: وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ [يس: ۷۸، ۸۰].

و اعترض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم [و هو يطوف بالكعبة] «۵»، فيما بلغنى، الأسود بن المطلب

---

(۱) العديد للقوم: الذى يعد فى الناس و ليس منهم.

(۲) الأكارع: جمع كراع بضم الكاف بمعنى الأطراف.

(۳) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «أرى»، و ما أوردناه من السيرة. و أرم: أى بليت.

(۴) ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (۶/ ۲۸۳)، الطبرى فى تفسيره (۲۳/ ۲۱)، الحاكم فى المستدرك (۲/ ۴۲۹)، الواحدى فى أسباب النزول (۳۰۸).

(۵) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل و ما أوردناه من السيرة، و المصنف ينقل منها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۱۶

و الوليد بن المغيرة، و أمية بن خلف، و العاص بن وائل، و كانوا ذوى أسنان فى قومهم، فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد و تعبد ما نعبد فنشترك نحن و أنت فى الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، و إن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه!.

فأنزل الله فيهم: قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ، السورة كلها، أى إن كنتم لا تعبدون الله إلا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لى بذلك منكم، لكم دينكم ولى دين.

و أبو جهل بن هشام، لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا بها لهم، قال يا معشر قريش:

هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا. قال: عجوة يثرب بالزبد! و الله لئن استمكنا منها لنتزقّمنّها تزقما «۱»!.

فأنزل الله فيه: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ [الدخان: ۴۳]، و وقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و رسول الله يكلمه و قد طمع فى إسلامه، فبينا هو فى ذلك مر به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و جعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك منه على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أضجره، و ذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد و ما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا، و تركه، فأنزل الله فيه: عَبَسَ وَ تَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى إلى قوله: فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ [عبس: ۱، ۱۴] «۲».

أى: إنما بعثتك بشيرا و نذيرا لم أخص بك أحدا دون أحد، فلا تمنعه ممن ابتغاه و لا تتصد به لمن لا يريده.

قال ابن إسحاق «۳»: و لما بلغ أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة فأقبلوا لما بلغهم ذلك، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ذلك كان باطلا، فلم يدخل أحد منهم، إلا بجوار أو مستخفيا.

و ذكر موسى بن عقبة أن رجوع هؤلاء الذين رجعوا كان قبل خروج جعفر و أصحابه إلى أرض الحبشة، و أنهم الذين خرجوا أولا قبله ثم رجعوا حين أنزل الله سورة النجم.

---

(۱) لنتزقمنها تزقما: أى تبتلعها ابتلاعا.

(۲) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۵/ ۳۳۱)، تفسير الطبرى (۳۰/ ۳۳)، فتح القدير للشوكانى (۵/ ۵۴۴)، المستدرك للحاكم (۲/ ۵۱۴).

(۳) انظر: السيرة (۱/ ۳۰۰- ۳۰۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۱۷

قال: و كان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه و أصحابه، و لكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود و النصارة بمثل الذى يذكر به آلهتنا من الشتم و الشر.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد اشتد عليه ما ناله و أصحابه من أذاهم و تكذيبهم، و أحزنه ضلالتهم و كان يتمنى هداهم فلما أنزل الله تعالى سورة «النجم» قال: أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى [النجم: ۱۹، ۲۰]، ألقى الشيطان عندها على لسانه كلمات حين ذكر الطواغيت فقال: و إنهم لمن الغرانيق العلى و إن شفاعتهن لهى التى ترتجى «۱».

كان ذلك من سجع الشيطان و فتنته، فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة و ذلت بها ألسنتهم و تباشروا بها و قالوا: إن

محمدا قد رجع إلى دينه الأول و دين آبائه. فلما بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم آخر «و النجم» سجد و سجد كل من حضره من مسلم أو مشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا، فرفع ملء كفه ترابا فسجد عليه.

فعجب الفريقان كلاهما من اجتماعهم فى السجود لسجود رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان و لا يقين، و لم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطان على ألسنة المشركين.

و أما المشركون فاطمأنت نفوسهم إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه لما ألقى الشيطان فى أمنية النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فسجدوا لتعظيم آلهتهم.

و فشت تلك الكلمة فى الناس و أظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة و من بها من المسلمين، عثمان بن مظعون و أصحابه، و حدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفيه، و حدثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة. فأقبلوا سراعا و قد نسخ الله ما ألقى الشيطان و أحكم الله آياته، و قال عز من قائل: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ

---

(۱) ذكره البيهقى فى دلائل النبوة (۲/ ۶۶)، و أشار إلى أن هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، و قد جرح رواتها. و ذكره القاضى عياض فى الشفاء (۲/ ۱۱۶- ۱۲۳) و قال: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، و لا رواه ثقة بسند سليم متصل، مع ضعف نقلته، و اضطراب روايته، و انقطاع إسناده، و اختلاف كلمته.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۱۸

وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ [الحج: ۵۲، ۵۴].

فلما بين الله قضاءه فبرأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالتهم و عداوتهم للمسلمين فاشتدوا عليهم. فلهذا الذى ذكره ابن عقبة لم يستطع أحد ممن رجع من أرض الحبشة أن يدخل مكة إلا بجوار أو مستخفيا، كما ذكر ابن إسحاق.

قال: فكان جميع من قدم مكة منهم ثلاثة و ثلاثين رجلا، دخل منهم بجوار، فيمن سمى لنا: عثمان بن مظعون الجمحى، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، و أبو سلمة بن عبد الأسد بجوار خاله أبى طالب.

فأما عثمان «۱» فإنه لما رأى ما فيه أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من البلاء، و هو يغدو و يروح فى أمان الوليد، قال: و الله إن غدوى و رواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، و أصحابى و أهل دينى يلقون من البلاء و الأذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى.

فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك و قد رددت إليك جوارك، قال: لم يا ابن أخى؟ لعله آذاك أحد من قومى؟ قال: لا و لكنى أرضى بجوار الله و لا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فرد على جوارى علانية كما أجرتك علانية.

فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان جاء يرد على جوارى. قال:

صدق، قد وجدته و فيا كريم الجوار، و لكنى أحببت أن لا أستجير بغير الله. ثم انصرف عثمان، و لبيد بن ربيعة فى مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد «۲»:

---

(۱) هو: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص القرشى الجمحى، يكنى أبا السائب، و أمه سخيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن جمح، و هى أم السائب و عبد الله. انظر ترجمته فى: الاستيعاب (۳/ ۱۶۵) الترجمة رقم

(۱۷۹۸).

(۲) هو: لبيد أبى ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى، و يكنى لبيد بن عقيل و كان من شعراء الجاهلية و أدرك لبيد الإسلام و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى وفد بنى كلاب فأسلموا و رجعوا إلى بلادهم. انظر ترجمته فى: الشعر و الشعراء (ص ۶۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۱۹ ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال عثمان: صدقت. قال:

و كل نعيم لا محالة زائل قال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول.

قال لبيد: يا معشر قريش، و الله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم! فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه فى سفهاء معه فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك منه.

فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها و الوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما و الله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت فى ذمة منيعة، قال: بل و الله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله: و إنى لفى جوار من هو أعز منك و أقدر يا أبا عبد شمس.

فقال له الوليد: هلم يا ابن أخى إن شئت إلى جوارك. فقال: لا «۱».

و أما أبو سلمة بن عبد الأسد، فإنه لما استجار بأبى طالب مشى إليه رجال بنى مخزوم فقالوا: يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمدا، فما لك و لصاحبنا تمنعه منا؟

فقال: إنه استجار بى و هو ابن أختى، و إن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى. فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، و الله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون توثبون عليه فى جواره من بين قومه، و الله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد. فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، و كان لهم وليا و ناصرا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأبقوا على ذلك.

فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما قال، و رجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال يحرضه على ذلك:

و إن امرأ أبو عتيبة عمهلفى روضة ما إن يسام المظالما

أقول له و أين منه نصيحتىأبا معتب ثبت سوادك قائما «۲»

و لا تقبلن الدهر ما عشت خطةتسب بها إما هبطت المواسما

و ول سبيل العجز غيرك منهمفإنك لم تخلق على العجز لازما

---

(۱) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء (۱/ ۱۰۳، ۱۰۴)، ابن الأثير فى أسد الغابة (۳/ ۵۹۸، ۵۹۹).

(۲) ثبت سوادك: يريد كثر قومك و لا تقللهم بفراقك و السواد الشخص.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۰ و حارب فإن الحرب نصف و لن ترىأخا الحرب يعصى الخسف حتى يسالما

و كيف و لم يجنوا عليك عظيمةو لم يخذلوك غانما أو مغارما

جزى الله عنا عبد شمس و نوفلاو تيما و مخزوما عقوقا و مأثما

بتفريقهم من بعد ود و ألفةجماعتنا كيما ينالوا المحارما

كذبتم و بيت الله نبزى محمداو لما تروا يوما لدى الشعب قائما و كان أبو بكر رضى الله عنه، كما حدثت عائشة رضى الله عنها، حين ضاقت عليه مكة و أصابه فيها الأذى، و رأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه ما رأى، قد استأذن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الهجرة فأذن له، فخرج مهاجرا حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة، أخو بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة، و هو يومئذ سيد الأحابيش فقال: أين يا أبا بكر؟.

قال: أخرجنى قومى و آذونى و ضيقوا على. قال: لم؟ فو الله إنك لتزين العشيرة و تعين على النوائب و تفعل المعروف و تكسب المعدوم، فارجع فأنت فى جوارى. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير، قالت: فكفوا عنه.

و كان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح فكان يصلى فيه، و كان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف عليه الصبيان و العبيد و النساء يعجبون لما يرون من هيئته، فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا له: إنك لم تجر هذا ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى و قرأ ما جاء به محمد يرق و كانت له هيئة و نحو، فنحن نتخوف على صبياننا و نسائنا و ضعفتنا أن يفتنهم، فائته فأمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء، فمشى ابن الدغنة فقال: يا أبا بكر، إنى لم أجرك لتؤذى قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت به و تأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت، قال: أو أرد عليك جوارك و أرضى بجوار الله؟ قال: فاردد على جوارى. قال: قد رددته عليك. فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبى قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم «۱».

و عن القاسم بن محمد أن أبا بكر لقيه سفيه من سفهاء قريش و هو عامد إلى الكعبة، فحثا على رأسه التراب، فمر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل فقال أبو بكر: أ لا ترى

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب الكفالة (۲۲۹۷)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۱۹۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۱

ما يصنع هذا السفيه؟ قال: أنت فعلت هذا بنفسك، و هو يقول: أى رب ما أحلمك أى رب ما أحلمك! «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: ثم إنه قام فى نقض الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم و بنى المطلب نفر من قريش، و لم يبل أحد فيها أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل، و ذلك أنه كان ابن أخى نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، فكان هشام لبنى هشام و اصلا، و كان ذا شرف فى قومه، فكان فيما بلغنى ليلا بالبعير قد أوقره طعاما، حتى إذا أقبله فى فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه ليدخل الشعب عليهم، و يأتى به قد أوقره [برّا] «۳» فيفعل به مثل ذلك.

ثم إنه مشى إلى زهير بن أمية بن المغيرة، و أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام و تلبس الثياب و تنكح النساء، و أخوالك حيث قد علمت لا يباعون و لا يبتاع منهم و لا ينكحون و لا ينكح إليهم، أما إنى أحلف بالله، أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا.

فقال: و يحك يا هشام، فما ذا أصنع؟ أنما أنا رجل واحد. و الله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلا. قال: من هو؟ قال: أنا.

قال له زهير: ابغنا ثالثا.

فذهب إلى المطعم بن عدى فقال له: يا مطعم، أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف و أنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه! أما و الله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا قال: و يحك فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانيا.

قال: من هو؟ قال: أنا. قال: أبغنا ثالثا. قال: قد فعلت. قال: من هو؟

قال: زهير بن أبى أمية. قال: ابغنا رابعا.

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۳۰۶).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۳۰۶- ۳۰۸).

(۳) ما بين المعقوفتين كذا فى الأصل، و فى السيرة: بزا. و قال السهيلى فى الروض الأنف: بزا بالزى المعجمة و فى غير نسخة الشيخ

أبى بحر: براء و فى رواية يونس: بزا أو براء على الشك من الراوى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۲

فذهب إلى أبى البخترى بن هشام، فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدى. فقال:

و هل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبى أمية و المطعم ابن عدى و أنا معك. قال: ابغنا خامسا.

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه و ذكر له قرابتهم و مكانهم.

فقال: و هل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد؟ قال: نعم. ثم سمى له القوم.

فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم و تعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها. و قال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، و غدا زهير عليه حلة، فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أ نأكل الطعام و نلبس الثياب و بنو هاشم هلكى لا يباعون و لا يبتاع منهم! و الله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل، و كان فى ناحية المسجد: كذبت و الله لا تشق. قال زمعة بن الأسود: أنت و الله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت. قال أبو البخترى: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها و لا نقر به. قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها و مما كتب فيها. و قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان. و أبو طالب جالس فى ناحية المسجد، و قام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم. و كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فشلت يده فيما يزعمون.

و ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لأبى طالب: «يا عم، إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته و نفت منها القطيعة و الظلم و البهتان». قال: أربك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: فو الله ما يدخل عليك أحد. ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخى أخبرنى بكذا و كذا، فهلم صحيفتكم فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا، و إن كان كاذبا دفعت إليكم ابن أخى. قال القوم: رضينا. فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فزادهم ذلك شرا، فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا «۱».

---

(۱) ذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى (۱/ ۲۵۰، ۲۵۱)، ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۹۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۳

قال ابن إسحاق «۱»: فلما مزقت الصحيفة و بطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك الذين قاموا فى نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربناعلى نأيهم و الله بالناس أرود «۲»

فنخبرهم أن الصحيفة مزقتو أن كل ما لم يرضه الله مفسد

تراوحها إفك و سحر مجمعو لم يلف سحر آخر الدهر يصعد «۳»

جزى الله رهطا بالحجون تتابعواعلى ملأ يهدى لحزم و يرشد

قعودا لدى خطم الحجون كأنهممقاولة بل هم أعز و أمجد

أعان عليها كل صقر كأنهإذا ما مشى فى رفرف الدرع أحرد

جرى على جل الخطوب كأنهشهاب بكفى قابس يتوقد

من الأكرمين من لؤىّ بن غالبإذا سيم خسفا وجهه يتربد

طويل النجاد خارج نصف ساقهعلى وجهه نسقى الغمام و نسعد

عظيم الرماد سيد و ابن سيديحض على مقرى الضيوف و يحشد

و يا بنى لأفياء العشيرة صالحاإذا نحن طفنا فى البلاد و يمهد

ألظ بهذا الصلح كل مبرأعظيم اللواء أمره ثم يحمد

قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحواعلى مهل و سائر الناس رقد

هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياو سر أبو بكر بها و محمد

متى شرك الأقوام فى جل أمرناو كنا قديما قبلها نتودد

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۳۰۹).

(۲) بحرينا: يقصد به من هاجر من المسلمين فى البحر.

(۳) ذكر بعد هذا البيت، أبيات آخره لم يذكرها هنا و هى:

تداعى لها من ليس فيها بقرقرفطائرها فى رأسها يتردد

و كانت كفاء رقعة بأثيمةليقطع منها ساعد و مقلد

و يظعن أهل المكتين فيهربوافرائصهم من خشية الشر ترعد

و يترك حراث يقلب أمرهأ يتهم فيهم عند ذاك و ينجد

و تصعد بين الأخشبين كتيبةلها حدج سهم و قوس و مرهد

فمن ينش من حضار مكة عزهفعزتنا فى بطن مكة أ تلد

نشأنا بها و الناس فيها قلائلفلم ننفكك نزداد خيرا و نحمد

و نطعم حتى يترك الناس فضلهمإذا جعلت أيدى المفيضين ترعد انظر: السيرة (۱/ ۳۰۹- ۳۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۴ و كنا قديما لا نقر ظلامةو ندرك ما شئنا و لا نتشدد

فيا لقصى هل لكم فى نفوسكمو هل لكم فيما يجىء به غد

فإنى و إياكم كما قال قائللديك البيان لو تكلمت أسود هنا اسم جبل كان قتل فيه قتيل لم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلم لأبان عن القائل و لعرف بالجانى، و لكنه لا يتكلم، فذهبت مقالتهم تلك مثلا.

قال ابن إسحاق «۱»: فكان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة و يدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، و جعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس و من قدم عليهم من العرب.

فكان طفيل بن عمرو الدوسى «۲» و كان رجلا شريفا شاعرا لبيبا يحدث أنه قدم مكة و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بها، فمشى إليه رجال من قريش فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، و هذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا «۳»، فرق جماعتنا و شتت أمرنا، و إنما قوله كالسحر يفرق به بين الرجل و بين أبيه، و بين الرجل و بين أخيه و بين الرجل و بين زوجته، و إنا نخشى عليك و على قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه و لا تسمعن منه.

قال: فو الله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا و لا أكلمه، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفا «۴» فرقا من أن يبلغنى شىء من قوله، و أنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قائم يصلى عند الكعبة، فقمت قريبا منه، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله، فسمعت كلاما حسنا، فقلت فى نفسى: و اثكل أمى! و الله إنى لرجل لبيب شاعر و ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل، فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته، و إن كان قبيحا تركته.

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۳۱۲- ۳۱۳).

(۲) هو: الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسى من دوس. انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۲۸۳)، طبقات ابن سعد (۴/ ۱/ ۱۷۵)، طبقات خليفة (۱۳/ ۱۱۴)، تاريخ خليفة (۱۱۱) الجرح و التعديل (۴/ ۴۸۹)، العبر (۱/ ۱۴)، تاريخ ابن عساكر (۷/ ۶۲).

(۳) أعضل بنا: أى أشد أمره و لم يوجد له وجه.

(۴) كرسفا: الكرسف يعنى القطن.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۵

فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لى كذا و كذا، فو الله ما برحوا يخوفوننى امرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى فسمعت قولا حسنا، فاعرض على أمرك، فعرض على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الإسلام و تلا على القرآن، فلا و الله ما سمعت قولا قط أحسن منه و لا ـ أمرا أعدل منه، فأسلمت و شهدت شهادة الحق، و قلت: يا نبى الله، إنى امرؤ مطاع فى قومى و إنى راجع إليهم و داعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: اللهم اجعل له آية.

فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت على ثنية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين عينى مثل المصباح. قلت: اللهم فى غير وجهى، إنى أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم. قال: فتحول فوقع فى رأس سوطى، فجعل أهل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق، و أنا أهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم، فلما نزلت أتانى أبى و كان شيخا كبيرا، فقلت: إليك عنى يا أبا فلست منك و لست منى.

قال: لم يا بنى؟ قلت: أسلمت و تابعت دين محمد. قال: أى بنى فدينى دينك. فقلت:

فاذهب فاغتسل و طهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت. فذهب فاغتسل و طهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها: إليك عنى فلست منك و لست منى. قالت: لم بأبى أنت و أمى؟! قلت: فرق بينى و بينك الإسلام و تابعت دين محمد. قالت: فدينى دينك. قلت: فاذهبى إلى حنا ذى الشرى.

قال ابن هشام «۱»: و يقال: حمى ذى الشرى، فتطهرى منه، و كان ذو الشرى صنما لدوس و الحنا حمى حموه له، به و شل من ماء يهبط من جبل. فقالت: بأبى أنت و أمى، أ تخشى على الصبية من ذى الشرى شيئا؟ قلت: لا أنا ضامن لذلك. فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطئوا على، ثم جئت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمكة، فقلت يا نبى الله، إنه غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم. فقال: اللهم اهد دوسا، ارجع إلى قومك فادعهم و ارفق بهم.

فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المدينة، و مضى بدر و أحد و الخندق، ثم قدمت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمن أسلم معى من قومى، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس، ثم لحقنا

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۳۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۶

برسول الله صلى اللّه عليه و سلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين، ثم لم أزل مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، حتى فتح الله عليه مكة قلت: يا رسول الله، ابعثنى إلى ذى الكفين، صنم عمرو بن حممة، حتى أحرقه.

قال ابن إسحاق «۱»: فخرج إليه فجعل و هو يوقد عليه النار يقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكاميلادنا أقدم من ميلادكا

إنى حشوت النار فى فؤادكا «۲»

ثم رجع، فكان بالمدينة حتى قبض الله رسوله، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة و من أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة و معه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا و هو متوجه إلى اليمامة فقال لأصحابه: إنى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى. رأيت أن رأسى حلق، و أنه خرج من فمى طائر، و أنه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها و أرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى.

قالوا: خيرا؛ قال: أما أنا و الله فقد أولتها. قالوا: ما ذا؟ قال: أما حلق رأسى فوضعه، و أما الطائر الذى خرج من فمى فروحى، و أما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تحفر لى و أغيب فيها، و أما طلب ابنى إياى ثم حبسه عنى فإنى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى، فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة، و جرح ابنه جراحة شديدة ثم [استبلّ] «۳» منها ثم قتل عام اليرموك فى زمان عمر شهيدا «۴».

و ذكر ابن هشام «۵» أن أعشى بنى قيس بن ثعلبة «۶» خرج إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يريد

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۳۱۴).

(۲) انظر: الأبيات فى الاستيعاب الترجمة رقم (۱۲۸۳)، الإصابة الترجمة رقم (۴۲۷۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۶۱۳).

(۳) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «استقل»، و ما أوردناه من السيرة. و استبل منها: يقال بل و أبل و استبل المريض من مرضه إذا أفاق و برىء.

(۴) ذكره بنحوه ابن عبد البر فى الاستيعاب الترجمة رقم (۱۲۸۳)، ابن حجر فى الإصابة (۳/ ۲۸۷) بنحوه مختصرا، ابن لأثير فى أسد الغابة (۳/ ۷۸)، ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۹۹).

(۵) انظر: السيرة (۱/ ۳۱۷- ۳۱۹).

(۶) قال فى كتاب الشعر و الشعراء (۱۵۴): هو من سعد بن ضبيعة بن قيس، و كان أعمى، و يكنى أبا بصير، و كان أبوه قيس يدعى قتيل الجوع.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۷

الإسلام، و قال قصيدة يمدحه فيها، نذكرها بعد. فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضاه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليسلم.

فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرم الزنا. فقال الأعشى: و الله إن ذلك لأمر ما لى فيه من أرب. فقال: يا أبا بصير، فإنه يحرم الخمر «۱».

فقال: أما هذه فو الله إن فى النفس منها لعلالات، و لكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آتيه فأسلم.

فانصرف فمات فى عامه ذلك و لم يعد إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، هذا ما ذكر ابن هشام فى قصة الأعشى، و ظاهره يقتضى أن قصده كان إلى مكة و أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيها حينئذ لم يهاجر بعد.

و يعارض هذا الظاهر ما ذكر من تحريم الخمر، فإن أهل النقل مجمعون على أن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد أن مضى بدر و أحد و نزل تحريمها فى سورة المائدة و هى من آخر ما نزل من القرآن فإن صح أن خروج الأعشى كان قبل الهجرة كما فى ظاهر الخبر فلعل المشرك الذى لقيه و أخبره عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بتحريم الخمر، أراد بهذا القول تنفيره عن الإسلام و إبعاده عنه، مع ما كان من كراهية رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أبدا للخمر و تنزيه الله إياه عنها.

أ لا تراه ليلة الإسراء لما عرضت عليه آنية الخمر و اللبن اختار اللبن فقيل له: هديت للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك. و الإسراء

إنما کان بمکة فی صدر الإسلام. و قد یمکن أن یکون قصد الأعشی إلی المدینة بعد الهجرة و بعد تحریم الخمر فتلقاه بعض المشرکین من قریش ممن لم یکن أسلم بعد.

و لعل هذا هو الأولی بدلیل قوله فی قصیدته الآتیة بعد:

ألا أیهذا السائلی أین یممت‌فإن لها فی أهل یثرب موعدا و الله أعلم بالحقیقة فی ذلک کله، و القصیدة التی مدح بها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم هی قوله:

---

(۱) قال السهیلی فی الروض الأنف (۲/ ۱۳۶): هذه غفلة من ابن هشام، و من قال بقوله: فإن الناس مجمعون علی أن الخمر لم ینزل تحریمها إلا بالمدینة بعد أن مضیت بدر و أحد، و حرمت فی سورة المائدة و هی من أخر ما نزل، و فی الصحیحین من ذلک قصة حمزة حین شربها، و غنته القینتان: ألا یا حمز للشرف النواء، فبقر خواصر الشارفین، و اجتنب أسمنتها، و قوله للنبی صلی اللّه علیه و سلم:

هل أنتم إلا عبید لآبائی، و هو ثمل، ... الحدیث، فإن صح خبر الأعشی و ما ذکر له فی الخمر، فلم یکن هذا بمکة، و إنما کان بالمدینة، و یکون القائل له: أ ما علمت أنه یحرم الخمر من المنافقین أو من الیهود، فالله أعلم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۲۸ أ لم تغتمض عیناک لیلة أرمداو بت کما بات السلیم مسهدا «۱»

و ما ذاک من عشق النساء و إنماتناسیت قبل الیوم خلة مهددا

و لکن أری الدهر الذی هو خائن‌إذا أصلحت کفای عاد فأفسدا

کهولا و شبابا فقدت و ثروةفلله هذا الدهر کیف ترددا

و ما زلت أبغی المال مذ أنا یافع‌ولیدا و کهلا حین شبت و أمردا

و أبتذل العیس المراقیل تعتلی‌مسافة ما بین النجیر فصرخدا «۲»

ألا أیهذا السائلی أین یممت‌فإن لها فی أهل یثرب موعدا

فإن تسألی عنی فیا رب سائل‌حفی عن الأعشی به حیث [أصهدا] «۳»

أجدت برجلیها النجاء و راجعت‌یداها خنفا لینا غیر أحردا

و فیها إذا ما هجرت عجرفیةإذا خلت حرباء الظهیرة أصیدا «۴»

و آلیت لا آوی لها من کلالةو لا من حفی حتی تلاقی محمدا

متی ما تناخی عند باب ابن هشام‌تراحی و تلقی من فواضله ندا

نبیا یری ما لا ترون و ذکره‌أغار لعمری فی البلاد و أنجدا «۵»

له صدقات ما تغب و نائل‌و لیس عطاء الیوم مانعه غدا

أجدک لم تسمع وصاة محمدنبی الإله حین أوصی و أشهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقی‌و لاقیت بعد الموت من قد تزودا

ندمت علی أن لا تکون کمثله‌فترصد للموت الذی کان أرصدا

فإیاک و المیتات لا تقربنهاو لا تأخذن سهما حدیدا لتقصدا

و ذا النصب المنصوب لا تنسکنّه‌و لا تعبد الأوثان و الله فاعبدا «۶»

و لا تقربن حرة کان سرهاعلیک حراما فانکحن أو تأبدا

---

(۱) الأرمد: الذى يشتكى عينيه من الرمد. المسهد: الذى منع النوم.

(۲) العيس: الإبل البيض يخالطها حمرة. المراقيل: مأخوذ من الإرقال و هو السرعة فى السير. النجير: موضع فى حضرموت فى اليمن. صرخد: موضع بالجزيرة.

(۳) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «أصعدا»، و ما أوردناه من السيرة. و أصهدا: أى ذهب.

(۴) العجرفية: أى تخليط من غير استقامة. الحرباء: بكسر فسكون دويبة تكون فى أعلى الشجرة.

(۵) أغار لعمرى: معناه بلغ الغور و هو منخفض من الأرض. أنجد: بلغ النجد و هو ما ارتفع من الأرض.

(۶) النصب: حجارة كان يذبحون لها. النسك: الدم كانوا يعترون عند أصناهم ثم يطلون رءوس الأصنام بدماء العتائر.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۲۹ و ذا الرحم القربى فلا تقطعنه‌لعاقبة و لا الأسير المقيدا

و سبح على حين العشيات و الضحى‌و لا تحمد الشيطان و الله فاحمدا

و لا تسخرن من بائس ذى ضرارةو لا تحسبن المال للمرء مخلدا قال ابن إسحاق «۱»: و قد كان عدو الله أبو جهل مع عداوته رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بغضه إياه، يذله الله إذا رآه.

حدثنى «۲» عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى، و كان واعية، قال: قدم رجل من إراش «۳» بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها، فأقبل الإراشى حتى وقف على ناد من قريش و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جالس فى ناحية المسجد، فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤدينى على أبى الحكم بن هشام، فإنى غريب ابن سبيل و قد غلبنى على حقى.

فقال له أهل ذلك المجلس: أ ترى ذلك الرجل؟ لرسول الله صلى الله عليه و سلم يهزأون به لما يعلمون بينه و بين أبى جهل من العداوة، اذهب إليه فهو يؤديك عليه.

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام غلبنى على حق لى قبله و أنا غريب ابن سبيل، و قد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه، يأخذ لى حقى منه، فأشاروا لى إليك فخذ لى حقى منه يرحمك الله.

قال: انطلق إليه. و قام معه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم:

اتبعه فانظر ما يصنع.

قال: و خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال: من هذا؟ فقال:

محمد. فاخرج إلى. فخرج إليه و ما فى وجهه من رائحة، لقد انتقع لونه، فقال: أعط هذا حقه. قال نعم، لا يبرح حتى أعطيه الذى له.

فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيرا، فقد و الله أخذ لى حقى. و جاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا و يحك، ما ذا رأيت؟ قال: عجبا من العجب! و الله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج

---

(۱) انظر: السيرة (۱/ ۳۱۸).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۳۱۸- ۳۱۹).

(۳) إراش: هو ابن الغوث أو ابن عمرو بن الغوث ابن بنت مالك و هو والد أنمار الذى ولد بجيله و خثعم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۳۰

إليه و ما معه روحه، فقال: أعط هذا الرجل حقه. قال: نعم، لا يبرح حتى أخرج إليه حقه. فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه، ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا: ويلك! ما لك؟ و الله ما رأينا مثل ما صنعت قط، قال: و يحكم! و الله ما هو إلا أن ضرب على بابى و سمعت صوته فملئت رعبا، ثم خرجت إليه و إن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته و لا قصرته و لا أنيابه لفحل قط، و الله

لو أبيت لأكلنى «۱».

و ذكر الواقدى عن يزيد بن رومان قال: بينا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جالسا فى المسجد معه رجال من أصحابه أقبل رجل من بنى زبيد يقول: يا معشر قريش، كيف تدخل عليكم المادة أو يجلب إليكم جلب أو يحل تاجر بساحتكم و أنتم تظلمون من دخل عليكم فى حرمكم. يقف على الحلق حلقة حلقة.

حتى انتهى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى أصحابه، فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: و من ظلمك؟

فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال كانت خيرة إبله، فسامه أبو جهل ثلث أثمانها ثم لم يسمه بها لأجله سائم، قال: فأكسد على سلعتى و ظلمنى. قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «و أين أجمالك؟» قال: هى هذه بالحزورة. فقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معه و قام أصحابه، فنظر إلى الجمال فرأى جمالا فرها. فساوم الزبيدى حتى ألحقه برضاه، فأخذها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فباع جملين منها بالثمن، و أفضل بعيرا باعه و أعطى أرامل بنى عبد المطلب ثمنه، و أبو جهل جالس فى ناحية من السوق لا يتكلم. ثم أقبل إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «يا عمرو، إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابى فترى منى ما تكره». فجعل يقول: لا أعود يا محمد، لا أعود يا محمد، فانصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أقبل عليه أمية بن خلف و من حضر من القوم، فقالوا: ذللت فى يدى محمد، فإما أن تكون تريد أن تتبعه و إما رعب دخلك منه. قال: لا أتبعه أبدا، إن الذى رأيتم منى لما رأيت معه، لقد رأيت رجالا عن يمينه و شماله معهم رماح يشرعونها إلى، لو خالفته لكانت إياها. أى لأتوا على نفسى.

و ذكر محمد بن إسحاق «۲» عن أبيه قال: كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب أشد قريش، فخلا يوما برسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بعض شعاب مكة، فقال له: يا ركانة، أ لا تتقى الله و تقبل ما أدعوك إليه؟! قال: لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعتك. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أ فرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم. قال: فقم

---

(۱) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۹۴- ۹۵).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۳۱۹- ۳۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۳۱

حتى أصارعك. فقام إليه ركانة فصارعه، فلما بطش به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أضجعه لا يملك من نفسه شيئا، ثم قال: عد يا محمد. فعاد فصرعه. فقال: يا محمد، إن ذا للعجب أ تصرعنى!! قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «و أعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله و اتبعت أمرى»، قال: ما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى». قال: ادعها. فدعا بها، فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال لها: «ارجعى إلى مكانك، فرجعت إلى مكانها»، فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بنى عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فو الله ما رأيت أسحر منه قط. ثم أخبرهم بالذى رأى و صنع «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: ثم قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك، من النصارى، يقال: إنهم من أهل نجران، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه فى المسجد، فجلسوا إليه و كلموه و سألوه، و رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عما أرادوا دعاهم إلى الله و تلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له و آمنوا به و صدقوه و عرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم و صدقتموه! ما نعلم ركبا أحمق منكم. أو كما قالوا. فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه و لكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا.

فیقال و الله أعلم: فیهم نزلت هؤلاء الآیات: الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ یُؤْمِنُونَ وَ إِذا یُتْلی عَلَیْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا کُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِینَ إلی قوله: لَنا أَعْمالُنا وَ لَکُمْ أَعْمالُکُمْ سَلامٌ عَلَیْکُمْ لا نَبْتَغِی الْجاهِلِینَ [القصص: ۵۲، ۵۵].

فقال «۳»: و قد سألت الزهری فقال: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلت فی النجاشی و أصحابه. و الآیات من المائدة قول الله عز و جل: وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۱۰۳)، دلائل النبوة للبیهقی (۶/ ۲۵۰)، أبی داود فی المراسیل (۳۰۸)، البیهقی فی السنن الکبری (۱۰/ ۱۸).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۳۲۰- ۳۲۱).

(۳) انظر: السیرة (۱/ ۳۲۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۳۲

لِلَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ قالُوا إِنَّا نَصاری ذلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّیسِینَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا یَسْتَکْبِرُونَ وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَی الرَّسُولِ تَری أَعْیُنَهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ یَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاکْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِینَ [المائدة: ۸۲، ۸۳].

و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إذا جلس فی المسجد فجلس إلیه المستضعفون من أصحابه، خباب و عمار و أبو فکیهة یسار و صهیب و أشباههم هزئت بهم قریش و قال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه کما ترون، أ هؤلاء من الله علیهم من بیننا بالهدی و الحق! لو کان ما جاء به محمد خیرا ما سبقنا هؤلاء إلیه و ما خصهم الله به دوننا.

فأنزل الله علیهم: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَیْکَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَیْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِکَ عَلَیْهِمْ مِنْ شَیْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَکُونَ مِنَ الظَّالِمِینَ وَ کَذلِکَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِیَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنْ بَیْنِنا أَ لَیْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاکِرِینَ وَ إِذا جاءَکَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِآیاتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَیْکُمْ کَتَبَ رَبُّکُمْ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْکُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ [الأنعام: ۵۲، ۵۴] «۱».

و هؤلاء أیضا، و من قال بقولهم هم الذین عنی الله سبحانه بقوله: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا لَوْ کانَ خَیْراً ما سَبَقُونا إِلَیْهِ وَ إِذْ لَمْ یَهْتَدُوا بِهِ فَسَیَقُولُونَ هذا إِفْکٌ قَدِیمٌ [الأحقاف: ۱۱].

قال ابن إسحاق «۲»: و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیما بلغنی کثیرا ما یجلس عند المروة إلی مبیعة غلام نصرانی یقال له: جبر، عبد لبنی الحضرمی، و کانوا یقولون: و الله ما یعلم محمدا کثیرا مما یأتی به إلا جبر النصرانی، فأنزل الله فی ذلک من قولهم: إِنَّما یُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِی یُلْحِدُونَ إِلَیْهِ أَعْجَمِیٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ [النحل: ۱۰۳] «۳».

و کان العاص بن وائل إذا ذکر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: دعوه، فإنما هو رجل أبتر، لو قد مات لقد انقطع ذکره و استرحتم منه، فأنزل الله عز و جل، فی ذلک من قوله: إِنَّا

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم کتاب الفضائل (۴/ ۴۶)، سنن ابن ماجه (۴۱۲۷)، تفسیر الطبری (۷/ ۱۲۷).

(۲) انظر: السیرة (۱/ ۳۲۲).

(۳) انظر الحدیث فی: مستدرک الحاکم (۲/ ۳۵۷)، الواحدی فی أسباب النزول (ص ۲۳۵)، تفسیر الطبری (۱۴/ ۱۱۹، ۱۲۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۳۳

أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ [الکوثر: ۱، ۴] «۱»، أی أعطیناک ما هو خیر من الدنیا و ما فیها. و الکوثر

العظيم. و قيل لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ما الكوثر الذى أعطاك الله؟ قال: «نهر كما بين صنعاء إلى أيلة آنيته كعدد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كأعناق الإبل». قال عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة.

قال: «آكلها أنعم منها» «۲».

و دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قوما إلى الإسلام، فقال له زمعة بن الأسود و النضر بن الحارث و الأسود بن عبد يغوث و أبى بن خلف و العاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس و يرى معك؟ فأنزل الله فى ذلك: وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ [الأنعام: ۸، ۹] «۳».

و مر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالوليد بن المغيرة و أمية بن خلف و أبى جهل، فهمزوه و استهزءوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله عليه: لا وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ [الأنعام: ۱۰] «۴».

ذكر الحديث عن مسرى رسول الله صلى الله عليه و سلم

قال ابن إسحاق «۵»: ثم أسرى برسول الله صلى اللّه عليه و سلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۷/ ۱۴۳)، أسباب النزول للواحدى (ص ۴۰۴).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۲۲۰، ۲۲۱، ۲۳۶)، مجمع الزوائد للهيثمى (۱۰/ ۳۶۰، ۳۶۱).

(۳) ذكره الشوكانى فى فتح القدير (۲/ ۱۴۷).

(۴) ذكره الشوكانى فى فتح القدير (۲/ ۱۴۸).

(۵) انظر: السيرة (۲/ ۵- ۷).

قلت: و لم يذكر ابن إسحاق تحديد السنة التى وقع فيها الإسراء، و قد تعرض ابن كثير فى البداية و النهاية لذلك، فقال: ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء فى أوائل البعثة، و أما ابن إسحاق فذكرها فى هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين، و روى البيهقى من طريق موسى بن عقبة، عن الزهرى أنه قال: أسرى برسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل خروجه إلى المدينة بسنة ... ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدى أنه قال: فرض على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الخمس ببيت المقدس ليلة أسرى به-

و هو بيت المقدس من إيلياء، و قد فشا الإسلام مكة فى قريش و فى القبائل كلها.

فكان من الحديث فيما بلغنى، عن مسراه صلوات الله عليه و سلامه، عن عبد الله بن مسعود، و أبى سعيد الخدرى، و عائشة زوج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و معاوية بن أبى سفيان، و أم هانئ بنت أبى طالب، و الحسن بن أبى الحسن، و ابن شهاب الزهرى، و قتادة و غيرهم من أهل العلم ما اجتمع فى هذا الحديث، كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين أسرى به.

و كان فى مسراه و ما ذكر منه بلاء و تمحيص و أمر من الله فى قدرته و سلطانه، فيه عبرة لأولى الألباب و هدى و رحمة و ثبات لمن آمن و صدق.

و كان من أمر الله على يقين، فأسرى به كيف شاء و كما شاء ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره و سلطانه العظيم و قدرته التى يصنع بها ما يريد.

فكان عبد الله بن مسعود، فيما بلغنى عنه، يقول أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالبراق، و هى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها فى منتهى طرفها، فحمل عليه، ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السموات و الأرض حتى انتهى إلى

بیت المقدس، فوجد فیه إبراهیم و موسی و عیسی فی نفر من الأنبیاء علیهم السلام قد جمعوا له، فصلی بهم ثم أتی بثلاثة آنیة، إناء فیه لبن، و إناء فیه خمر، و إناء فیه ماء، قال:

فسمعت قائلا یقول: إن أخذ الماء فغرق و غرقت أمته، و إن أخذ الخمر فغوی و غوت أمته، و إن أخذ اللبن هدی و هدیت أمته. قال: «فأخذت إناء اللبن فشربت، فقال له جبریل: هدیت و هدیت أمتک یا محمد» «۱».

قال «۲»: و حدثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «بینا أنا نائم فی الحجر

- قبل مهاجره بستة عشر شهرا. فعلی قول السدی یکون الإسراء فی شهر ذی القعدة، و علی قول الزهری و عروة یکون فی ربیع الأول. ثم ذکر عن جابر، و ابن عباس قالا: ولد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عام الفیل یوم الإثنین الثانی عشر من ربیع الأول، و فیه بعث و فیه عرج به إلی السماء و فیه هاجر و مات. و فیه انقطاع، ثم ذکر أن المقدسی أورد حدیثا لا یصح سند: أن الإسراء کان لیلة السابع و العشرین من رجب و الله أعلم. انظر: المنتظم لابن الجوزی (حاشیة ۳/ ۲۶) تحقیقنا.

(۱) ذکره ابن کثیر فی تفسیره (۵/ ۲۸)، ابن حجر فی فتح الباری (۷/ ۲۵۶)، الهیثمی فی المجمع (۱/ ۷۸)، السیوطی فی الخصائص الکبری (۱/ ۲۶۸، ۲۶۹).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۳۵

جاءنی جبریل فهمزنی بقدمه، فجلست فلم أر شیئا، فعدت لمضجعی، فجاءنی الثانیة فهمزنی بقدمه فجلست فلم أر شیئا، فعدت لمضجعی فجاءنی الثالثة فهمزنی بقدمه فجلست فأخذ بعضدی، فقمت معه فخرج بی إلی باب المسجد، فإذا دابة أبیض، بین البغل و الحمار، فی فخذیه جناحان یحفز بهما رجلیه. یضع یدیه فی منتهی طرفه، فحملنی علیه ثم خرج معی لا یفوتنی و لا أفوته» «۱».

و فی حدیث قتادة أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «لما دنوت منه لأرکبه شمش فوضع جبریل یده علی معرفته ثم قال: أ لا تستحی یا براق مما تصنع! فو الله ما رکبک عبد الله قبل محمد أکرم علیه منه. فاستحیا حتی ارفض عرقا ثم قر حتی رکبته» «۲».

و فی حدیث الحسن من انتهاء جبریل بالنبی صلی اللّه علیه و سلم إلی بیت المقدس و إمامته فیه بمن وجد عنده من الأنبیاء، علی جمیعهم السلام، نحو ما تقدم من ذلک فی حدیث ابن مسعود.

قال: ثم أتی بإناءین فی أحدهما خمر و فی الآخر لبن، فأخذ إناء اللبن و ترک إناء الخمر، فقال له جبریل: هدیت للفطرة و هدیت أمتک و حرمت علیکم الخمر.

و ذکر تحریم الخمر هنا غریب جدا، و الذی علیه العلماء أن الخمر إنما حرمت بالمدینة بعد سنین من الهجرة.

قال الحسن: ثم انصرف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی مکة، فلما أصبح غدا علی قریش فأخبرهم الخبر. فقال أکثر الناس: هذا و الله الأمر البین «۳»، و الله إن العیر لتطرد شهرا من مکة إلی الشام مدبرة و شهرا مقبلة، أ فیذهب ذلک محمد فی لیلة واحدة و یرجع إلی مکة!. قال: فارتد کثیر ممن کان أسلم، و ذهب الناس إلی أبی بکر، فقالوا: هل لک یا أبا بکر فی صاحبک! یزعم أنه جاء هذه اللیلة بیت المقدس و صلی فیه و رجع إلی مکة.

فقال لهم أبو بکر: إنکم تکذبون علیه. فقالوا: بلی ها هو ذاک فی المسجد یحدث به الناس.

فقال أبو بکر: و الله لئن کان قاله لقد صدق، فما یعجبکم من ذلک؟! فو الله إنه

---

(۱) انظر الحدیث فی: تفسیر الطبری (۱۵/ ۳، ۴).

(۲) انظر الحدیث فی: سنن الترمذی (۳۳۳۱)، تفسیر الطبری (۱۵/ ۱۲، ۱۳)، فتح الباری لابن حجر (۷/ ۲۴۷)، مسند الإمام أحمد (۳/

۱۶۴).

(۳) الأمر البین: هو الأمر العظیم أو الشنیع، و قیل: هو العجب.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۳۶

لیخبرنی أن الخبر لیأتیه من السماء إلی الأرض فی ساعة من لیل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد ما تعجبون منه، ثم أقبل حتی انتهی إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال: یا نبی الله، أحدثت هؤلاء أنک جئت بیت المقدس هذه اللیلة؟ قال: «نعم». قال: یا نبی الله، فصفه لی فإنی قد جئته.

قال الحسن: فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «فرفع لی حتی نظرت إلیه»، فجعل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یصفه لأبی بکر، و یقول أبو بکر: صدقت أشهد أنک رسول الله. کلما وصف له منه شیئا قال: صدقت أشهد رسول الله. حتی إذا انتهی قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لأبی بکر:

و أنت یا أبا بکر الصدیق أشهد أنک. فیومئذ سماه الصدیق.

قال الحسن: و أنزل الله فیمن ارتد عن إسلامه لذلک: وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِی الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما یَزِیدُهُمْ إِلَّا طُغْیاناً کَبِیراً [الإسراء: ۶۰]، فهذا حدیث عن مسری رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و ما دخل فیه من حدیث قتادة «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: و حدثنی بعض آل أبی بکر أن عائشة کانت تقول: ما فقد جسد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و لکن أسری بروحه «۳».

و کان معاویة بن أبی سفیان إذا سئل عن مسری رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: کانت رؤیا من الله صادقة «۴».

فلم ینکر ذلک من قولهما لقول الحسن إن هذه الآیة نزلت فی ذلک، قول الله:

وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ و لقوله تعالی فی الخبر عن إبراهیم إذ قال لابنه: یا بُنَیَّ إِنِّی أَری فِی الْمَنامِ أَنِّی أَذْبَحُکَ [الصافات: ۱۰۲] ثم مضی علی ذلک، فعرفت أن الوحی من الله یأتی الأنبیاء أیقاظا و نیاما.

---

(۱) ذکر البخاری فی صحیحه (۴۷۱۶) کتاب التفسیر باب وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ، من حدیث ابن عباس، قال: هی رؤیا عین رأیها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لیلة أسری به و الشجرة الملعونة هی شجرة الزقوم. و أخرجه أحمد فی مسنده (۱/ ۲۲۱، ۳۷۰)، الترمذی فی کتاب التفسیر (۳۱۳۴)، الحاکم فی المستدرک (۲/ ۳۶۲).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۹).

(۳) ذکره الطبری فی تفسیره (۱۵/ ۱۳).

(۴) ذکره الطبری فی تفسیره (۱۵/ ۱۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۳۷

و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: «تنام عینی و قلبی یقظان» «۱». فالله أعلم أی ذلک کان قد جاءه و عاین ما عاین من أمر الله، علی أی حالیه کان نائما أو یقظان، کل ذلک حق و صدق.

و زعم الزهری عن سعید بن المسیب أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم وصف لأصحابه إبراهیم و موسی و عیسی حین رآهم فی تلک اللیلة صلوات الله علی جمیعهم، فقال: «أما إبراهیم فلم أر رجلا أشبه بصاحبکم، و لا صاحبکم أشبه به منه، و أما موسی فرجل آدم طویل ضرب جعد أقنی کأنه من رجال شنوءة، و أما عیسی ابن مریم فرجل أحمر بین القصیر و الطویل، سبط الشعر کثیر خیلان الوجه کأنه خرج من دیماس تخال رأسه یقطر ماء و لیس فیه ماء، أشبه رجالکم به عروة بن مسعود الثقفی» «۲».

قال ابن هشام «۳»: و كانت صفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما ذكر عمر مولى غفرة، عن إبراهيم بن محمد بن على بن أبى طالب، قال: كان علىّ إذا نعت النبىّ صلى اللّه عليه و سلم يقول: لم يكن بالطويل الممغط و لا القصير المتردد، كان ربعة من القوم، و لم يكن بالجعد القطط و لا بالسبط كان جعدا رجلا، و لم يكن بالمطهم و لا بالمكلثم، و كان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش و الكتد دقيق المسربة أجرد شثن الكفين و القدمين، إذا تمشى تقلع كأنما يمشى فى صبب، و إذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة، و هو صلى اللّه عليه و سلم خاتم النبيين أجود الناس كفا و أجرأ الناس صدرا و أصدق الناس لهجة و أوفى الناس بذمة و ألينهم عريكة و أكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه و من خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله و لا بعده مثله، صلى اللّه عليه و سلم «۴».

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۱۵/ ۱۳).

(۲) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۱۵/ ۱۲).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۱۱).

(۴) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۳۶۳۸)، و قال: حديث حسن غريب ليس إسناده بمتصل.

و قال أبو عيسى: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين، يقول: سمعت الأصمعى يقول فى تفسير صفة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: الممغط: الذاهب طولا، و قال: سمعت أعرابيا يقول فى كلامه تمغط فى نشابته، أى مدها مدا شديدا. و المتردد: الداخل بعضه فى بعض قصرا. و أما القطط: فالشديد الجعودة.

و الرجل: الذى فى شعره حجونة، أى تثن قليل. و أما المطهم: فالبادن الكثير اللحم. و المكلثم:

المدور الوجه. و المشرب: الذى فى بياضه حمرة. و الأدعج: الشديد سواد العين. و الأهدب:

الطويل الأشفار. و الكتد: مجتمع الكتفين و هو الكامل. و المسربة: هو الشعر الدقيق الذى كأنه قضيب من الصدر إلى السربة. و الشثن: الغليظ الأصابع من الكفين و القدمين. و التقلع: أن-

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱، ص:۲۳۸

قال ابن إسحاق «۱»: و كان فيما بلغنى عن أم هانئ بنت أبى طالب أنها كانت تقول: ما أسرى برسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلا و هو فى بيتى، نام عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام و نمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلما صلى الصبح و صلينا معه قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت معكم صلاة الغداة الآن كما ترين، ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه، فتكشف عن بطنه و كأنه قبطية مطوية، فقلت: يا نبى الله، لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك و يؤذوك، قال: و الله لأحدثنهموه. فقلت لجارية لى حبشية: و يحك، اتبعى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى تسمعى ما يقول للناس و ما يقولون له، فلما خرج إلى الناس أخبرهم فعجبوا و قالوا: ما آية ذلك يا محمد، فإنا لم نسمع بمثل هذا قط؟ قال: آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا، فأنفرهم حسن الدابة، فند لهم بعير فدللتهم عليه و أنا موجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كانت بضجنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما و لهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء، فكشفت غطاءه و شربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان، و آية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء، ثنية التنعيم، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء و الأخرى برقاء، فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل، كما وصف لهم، و سألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوء ماء ثم غطوه، و أنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوا و لم يجدوا فيه ماء، و سألوا الآخرين و هم بمكة فقالوا: صدق و الله، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر و ندّ لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه «۲».

قال ابن إسحاق «۳»: و حدثنى من لا أتهم، عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: لما فرغت

مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج، و لم أر شيئا قط أحسن منه، و هو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له: باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة يقال له:

- يمشى بقوة. و الصبب: الحدور، يقال: انحدرنا فى صبوب و صبب. و قوله: جليل المشاش: يريد رءوس المناكب. العشرة: الصحبة. و العشير: الصاحب. و البديهة: المفاجأة، يقال: بدهته بأمر أى فجأته.

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۱۲- ۱۳).

(۲) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۱۵/ ۲)، تفسير ابن كثير (۵/ ۳۹)، مجمع الزوائد للهيثمى (۱/ ۷۶، ۹/ ۴۲)، عيون الأثر لابن سيد الناس (۱/ ۱۷۴).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۱۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۳۹

إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك.

يقول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين حدث بهذا الحديث: وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ [المدثر: ۳۱]، فلما دخل بى قال: «من هذا يا جبريل؟ قال: محمد. قال: أو قد بعث؟

قال: نعم، فدعا لى بخير». و قاله «۱».

قال «۲»: و حدثنى بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: ثم تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقنى ملك إلا ضاحكا مستبشرا، يقول خيرا و يدعو به، حتى لقينى ملك من الملائكة فقال مثل ما قالوا و دعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، و لم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: من هذا الملك الذى قال لى مثل ما قالت الملائكة و لم يضحك و لم أر منه من البشر مثل الذى رأيت منهم. فقال جبريل: أما إنه لو كان ضحك إلى أحد قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك لضحك إليك، و لكنه لا يضحك، هذا مالك صاحب النار.

قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: فقلت لجبريل، و هو من الله بالمكان الذى وصف لكم مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ [التكوير: ۲۱] أ لا تأمره أن يرينى النار؟ فقال: بلى، يا مالك أر محمدا النار، فكشف عنها غطاءها ففارت و ارتفعت حتى ظننت لتأخذن ما أرى.

فقلت لجبريل: مره فليردها إلى مكانها. فأمره، فقال لها: اخبى فرجعت إلى مكانها الذى خرجت منه، فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل، حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها «۳».

قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه «۴» عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال: لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيرا و يسر به، و يقول: روح طيبة خرجت من جسد طيب، و يقول لبعضها إذا عرضت عليه أف، و يعبس بوجهه، روح خبيثة خرجت من جسد خبيث.

قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته، فإذا

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۳۹۰)، تفسير ابن كثير (۵/ ۲۰، ۲۲)، البداية و النهاية (۳/ ۱۱۰، ۱۱۱)، الكامل فى الضعفاء لابن عدى (۵/ ۷۹).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۱۴).

(۳) لم أقف على تخريجه، بهذا اللفظ فيما بين يديه من مصادر.

(۴) تقدم تخريجه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۴۰

مرت به روح المؤمن منهم سر بها و إذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها و كرهها.

قال: ثم رأيت رجالا ـ لهم مشافر كمشافر «۱» الإبل، فى أيديهم قطع من نار كالأفهار «۲» يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما.

ثم رأيت رجالا ـ لهم بطون لم أر مثلها قط، بسبيل آل فرعون، يمرون عليهم كالإبل المهيومة «۳» حتى يعرضوا على النار، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا.

ثم رأيت رجالا ـ بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن و يتركون السمين الطيب، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء، و يذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن.

ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم. قال: ثم صعد بى إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ابن مريم، و يحيى بن زكريا.

قال: ثم أصعد بى إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب، ثم أصعد بى إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل، فسألته من هو؟ فقال: هذا إدريس. قال: يقول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا [مريم: ۵۷].

قال: ثم أصعد بى إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس و اللحية عظيم العثنون لم أر كهلا أجمل منه. قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبب فى قومه:

هارون بن عمران.

قال: ثم أصعد بى إلى السماء السادسة فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى كأنه من رجال شنوءة فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران.

---

(۱) مشافر: جمع شفر، و هو للبعير كالشفة للإنسان و الجعفلة للفرس. انظر: اللسان (مادة شفر).

(۲) الأفهار: جمع فهر بكسر فسكون و هو الحجر قدر ما يدق به الجوز و نحوه و تصغيرها فهير.

انظر: اللسان (مادة فهر).

(۳) المهيومة: العطشى، و قيل: هو من الداء، و قيل: الهيم الإبل التى يصيبها داء فلا تروى من الماء.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۴۱

ثم أصعد بى إلى السماء السابعة فإذا كهل جالس على كرسى إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة، لم أر رجلا أشبه بصاحبكم و لا صاحبكم أشبه به منه. قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم.

ثم دخل بى الجنة فرأيت فيها جارية لعساء فسألتها لمن أنت؟ و قد أعجبتنى فقالت:

لزيد بن حارثة. فبشر بها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم زيدا.

و من حديث عبد الله بن مسعود «۱» أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد. فيقولون: أو قد بعث؟ فيقول: نعم. فيقولون حياه الله من أخ و صاحب. حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم.

قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران، و نعم الصاحب كان لكم، سألنى: كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة فى كل يوم.

قال: إن الصلاة ثقيلة و إن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك فسله أن يخفف عنك و عن أمتك. فرجعت فسألت ربى فوضع عنى عشرا، ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك، فرجعت فسألت ربى فوضع عنى عشرا ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت إليه، فأرجع فأسأل حتى انتهيت إلى أن وضع عنى ذلك إلا خمس صلوات فى كل يوم و ليلة.

ثم رجعت على موسى فقال لى مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربى و سألته حتى استحييت منه، فلما أنا بفاعل. فمن أداهن منكم إيمانا و احتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة «۲».

قال ابن إسحاق «۳»: فأقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على أمر الله صابرا محتسبا مؤديا إلى قومه النصيحة، على ما يلقى منهم من التكذيب و الأذى و الاستهزاء، و كان عظماء المستهزئين خمسة نفر من قومه، و كانوا ذوى أسنان و شرف فى قومهم: الأسود بن المطلب الأسدى، أبو زمعة، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه

---

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۱۷).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى اللّه عليه و سلم (۱/ ۲۵۹).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۱۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۴۲

و استهزائه به فقال: «اللهم أعم بصره و أثكله ولده» «۱».

و الأسود بن عبد يغوث الزهرى، و الوليد بن المغيرة المخزومى، و العاص بن وائل السهى، و الحارث بن الطلاطلة الخزاعى. فلما تمادوا فى الشر و أكثروا برسول الله صلى اللّه عليه و سلم الاستهزاء أنزل الله عليه: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر: ۹۴، ۹۶].

فأتى جبريل عليه السلام، رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هم يطوفون بالبيت، فقام و قام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى، و سيأتى بعد أنه أصيب له يوم بدر ثلاثة من ولده، ابناه زمعة و عقيل و ابن ابنه الحارث بن زمعة، فاستوفى الله سبحانه بذلك فيه لرسوله صلى اللّه عليه و سلم إجابة دعوته عليه بالعمى و الثكل.

ثم مر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا، و عن غير ابن إسحاق أنه لما نزل: إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [الحجر: ۹۵] نزل جبريل عليه السلام، فحنا ظهر الأسود بن عبد يغوث الزهرى، فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خالى خالى فقال له جبريل: خله عنك، ثم حناه حتى قتله.

قال ابن إسحاق: و مر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله أصابه قبل ذلك بسنين و هو يجر سبله، فانتقض به فقتله. و مر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته. و مر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فقتله «۲».

قال «۳»: و كان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بيته أبو لهب، و الحكم بن أبى العاص بن أمية، و عقبة بن أبى معيط، و عدى ابن حمراء الثقفى، و ابن الأصداء الهذلى، و كانوا جيرانه لم يسلم أحد منهم إلا الحكم.

فكان أحدهم فيما ذكر لى، يطرح عليه رحم الشاة و هو يصلى، و كان أحدهم يطرحها فى برمته إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حجرا يستتر به منهم إذا

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۰۵)، تفسير الطبرى (۱۴/ ۴۸)، تفسير ابن كثير (۴/ ۴۷۰).

(۲) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (۴/ ۴۷۰)، تفسير الطبرى (۱۴/ ۴۸).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۲۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۴۳

صلى. فكان صلى اللّه عليه و سلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود فيقف به على بابه ثم يقول: يا بنى عبد مناف أى جوار هذا؟! ثم يلقيه فى الطريق «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: ثم إن خديجة بنت خويلد و أبا طالب هلكا فى عام واحد، فتتابعت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المصائب بهلك خديجة، و كانت له وزير صدق على الإسلام، يسكن إليها، و بمهلك أبى طالب عمه، و كان له عضدا و حرزا فى أمره و منعة و ناصرا على قومه، و ذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين.

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب، حتى اعترضاه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا، فدخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بيته و التراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب و هى تبكى، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول لها: «لا تبكى يا بنية، فإن الله مانع أباك.

و يقول بين ذلك: ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب» «۳».

قال: و لما اشتكى أبو طالب و بلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض: إن حمزة و عمر قد أسلما، و قد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه و لنعطه منا فإنا و الله ما نأمن أن يبتزونا «۴» أمرنا.

فمشوا إلى أبى طالب فكلموه، و هم أشراف قومه، عتبة و شيبة ابنا ربيعة، و أبو جهل ابن هشام، و أمية بن خلف، و أبو سفيان بن حرب فى رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، و قد حضرك ما ترى و تخوفنا عليك، و قد علمت الذى بيننا و بين ابن أخيك، فادعه و خذ له منا و خذ لنا منه ليكف عنا و نكف عنه و ليدعنا و ديننا و ندعه و دينه، فبعث إليه أبو طالب فجاء فقال: يا ابن أخى، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك و ليأخذوا منك، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب و تدين لكم بها العجم. فقال أبو جهل: نعم و أبيك، و عشر كلمات، قال: تقولون: لا إله إلا الله، و تخلعون ما تعبدون من دونه.

---

(۱) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (۱/ ۲۰۱)، تاريخ الطبرى (۱/ ۵۵۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۳۴، ۱۳۵).

(۲) انظر: السيرة (۱/ ۲۷).

(۳) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۱/ ۵۵۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۲۲).

(۴) يبتزونا: البز هو السلب و معناه يسلبوننا إياه و يغلبوننا عليه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۴۴

قال: فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أ تريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا؟! إن أمرك لعجب. ثم قال بعضهم لبعض: و الله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون، فانطلقوا و امضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم و بينه. ثم تفرقوا «۱».

فقال أبو طالب لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: و الله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا. فلما قالها طمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيه فجعل يقول له: أى عم، فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة. فلما رأى حرص رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: يا ابن أخى و الله لو لا مخافة السبة عليك و على بنى أبيك من بعدى، و أن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك به. فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنيه، فقال: يا ابن أخى، و الله لقد

قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لم أسمع» «۲».

و خرج مسلم بن الحجاج فى صحيحه من حديث المسيب بن حزن قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فوجد عنده أبا جهل و عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل و عبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب أ ترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يعرضها عليه و يعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، و أبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«أما و الله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» «۳».

فأنزل الله عز و جل: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ [التوبة: ۱۱۳]. و أنزل فى أبى طالب فقال لرسوله صلى اللّه عليه و سلم: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص: ۵۶].

و فى الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: إن أبا طالب كان يحوطك

---

(۱) انظر الحديث فى: المستدرك للحاكم (۲/ ۴۳۲)، تفسير الطبرى (۲۳/ ۷۹)، البيهقى فى السنن الكبرى (۹/ ۱۸۸)، أسباب النزول للواحدى (ص ۳۰۹).

(۲) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۲۳۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۲۳).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۲/ ۱۱۹)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (۳۹)، طبقات ابن سعد (۱/ ۱/ ۷۷)، تفسير ابن كثير (۶/ ۲۵۶)، الدر المنثور للسيوطى (۵/ ۱۳۴)، تفسير القرطبى (۸/ ۲۷۲)، تفسير الطبرى (۱۱/ ۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۴۵

و ينصرك و يغضب لك، فهل ينفعه ذلك؟ قال: «نعم، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح» «۱».

و فيه أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه» «۲».

و عن ابن عباس أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب، و هو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه» «۳».

و يروى أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه و قلب العرب، فيكم السيد المطاع و فيكم المقدم الشجاع و الواسع الباع، و اعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا احترتموه، و لا شرفا إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، و لهم به إليكم الوسيلة، و إنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة للرب و قواما للمعاش و ثباتا للوطأة، صلوا أرحامكم و لا تقطعوها فإن فى صلة الرحم منسأة فى الأجل و زيادة فى العدد، و اتركوا البغى و العقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم، أجيبوا الداعى و أعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة و الممات، عليكم بصدق الحديث و أداء الأمانة، فإن فيها محبة فى الخاص و مكرمة فى العام، و إنى أوصيتم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش و الصديق فى العرب، و هو الجامع لكل ما أوصيتكم به، و قد جاء بأمر قبله الجنان و أنكره اللسان مخافة الشنآن، و أيم الله لكأنى أنظر إلى صعاليك العرب و أهل البر فى الأطراف و المستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته و صدقوا كلمته و عظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۱۹۵)، مسند الحميدى (۴۶۰).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۵/ ۶۶، ۸/ ۱۴۴)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۵۱۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۳۴۷)،

كنز العمال للمتقى الهندى (۳۴۰۹۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۲۵)، تفسير القرطبى (۸/ ۱۶۳)، فتح البارى لابن حجر (۱۱/ ۴۱۷)، السلسلة الصحيحة للألبانى (۱/ ۵۴).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الإيمان (۳۶۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۹۰)، مستدرك الحاكم (۴/ ۵۸۱)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۵۶۶۸)، مسند أبو عوانة (۱/ ۹۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۳۴۸)، كنز العمال للمتقى الهندى (۹۱۵۱۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۲۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۴۶

فصارت رؤساء قريش و صناديدها أذنابا و دورها خرابا و ضعفاؤها أربابا و إذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، و أبعدهم منه أخطأهم عنده، قد محضته العرب ودادها و أعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة و لحزبه حماة، و الله لا يسلك أحد منهم سبيله إلا رشد، و لا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، و لو كان لنفسى مدة و لأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز و لدافعت عنه الدواهى.

ذكر خروج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى الطائف بعد مهلك عمه أبى طالب

قال ابن إسحاق «۱»: و لما هلك أبو طالب و نالت قريش من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما لم تكن تنال منه فى حياته، خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الطائف وحده يلتمس النصرة من ثقيف و المنعة بهم من قومه، و رجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله.

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ، سادة ثقيف و أشرافهم، و هم إخوة ثلاثة، عبد ياليل و مسعود و خبيب، بنو عمرو بن عمير بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، و عند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح، فجلس إليهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام و القيام على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك؛ و قال الآخر: أ ما وجد الله أحدا يرسله غيرك! و قال الثالث: و الله لا أكلمك أبدا! لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، و لئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك، فقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من عندهم و قد يئس من خير ثقيف، و قد قال لهم فيما ذكر لى: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على. و كره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يبلغ قومه فيذئرهم ذلك عليه. فلم يفعلوا، أغروا به سفهاءهم و عبيدهم يسبونه و يصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

قال موسى بن عقبة: و قعدوا له صفين على طريقه، فلما مر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه و لا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، حتى أدموا رجليه.

و زاد سليمان التيمى أنه صلى اللّه عليه و سلم كان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه و هم يضحكون!.

---

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۲۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۴۷

قال ابن عقبة: فخلص منهم و رجلاه تسيلان دما فعمد إلى حائط من حوائطهم فاستظل فى ظل حبلة منه و هو مكروب موجع، و إذا فى الحائط عتبة و شيبة ابنا ربيعة، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله و رسوله.

و ذكر ابن إسحاق «۱»: أن الحائط كان لهما، و أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما اطمأن، يعنى فى ظل الحبلة، قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، و قلة حيلتى، و هوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، و أنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى و لكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك

الذی أشرقت به الظلمات، و صلح علیه أمر الدنیا و الآخرة من أن ینزل بی غضبک أو یحل علی سخطک، لک العتبی حتی ترضی، و لا حول و لا قوة إلا بک» «۲».

قال: فلما رآه ابنا ربیعة و ما لقی، تحرکت له رحمهما، فدعوا غلاما لهما نصرانیا یقال له: عداس، فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب، فضعه فی هذا الطبق، ثم اذهب به إلی ذلک الرجل، فقل له یأکل منه. ففعل عداس، ثم أقبل به حتی وضعه بین یدی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم قال: له: کل. فلما وضع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیه یده قال: بسم الله ثم أکل، فنظر عداس فی وجهه ثم قال له: و الله إن هذا الکلام ما یقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: من أی البلاد أنت یا عداس و ما دینک؟ قال: نصرانی و أنا من أهل نینوی «۳». فقال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أمن قریة الرجل الصالح یونس ابن متی؟ قال له عداس: و ما یدریک ما یونس ابن متی؟ قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: ذاک أخی کان نبیا و أنا نبی. فأکب عداس علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقبل رأسه و یدیه و قدمیه. فلما جاءهما عداس قالا له: ویلک، مالک تقبل رأس هذا الرجل و یدیه و قدمیه؟ قال: یا سیدی ما فی الأرض شیء خیر من هذا، لقد أعلمنی بأمر لا یعلمه إلا نبی. قالا: و یحک یا عداس لا یصرفنک عن دینک فإن دینک خیر من دینه «۴».

---

(۱) انظر: السیرة (۲/ ۳۰).

(۲) انظر الحدیث فی: تفسیر الطبری (۱/ ۸۰، ۸۱)، و ضعفه الألبانی فی ضعیف الجامع (۱/ ۳۵۸).

(۳) نینوی: هی قریة یونس بن متی علیه السلام بالموصل و بسواد الکوفیة، ناحیة یقال لها نینوی منها کربلاء.

(۴) انظر تخریج الحدیث السابق.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۴۸

و قد خرج البخاری و مسلم من حدیث عائشة رضی الله عنها، أنها قالت للنبی صلی اللّه علیه و سلم:

هل أتی علیک یوم کان أشد علیک من یوم أحد؟ فقال: «لقد لقیت من قومک، و کان أشد ما لقیت منهم یوم العقبة، إذ عرضت نفسی علی ابن عبد یالیل بن عبد کلال، فلم یجبنی إلی ما أردت، فانطلقت علی وجهی و أنا مهموم، فلم أستفق إلا و أنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسی فإذا أنا بسحابة قد أظلتنی، فنظرت فإذا فیها جبریل علیه السلام، فنادانی و قال: إن الله قد سمع قول قومک لک و ما ردوا علیک، و قد بعث إلیک ملک الجبال لتأمره بما شئت فیهم». فنادانی ملک الجبال فسلم علی فقال: یا محمد ذلک لک، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق علیهم الأخشبین. فقال النبیّ صلی اللّه علیه و سلم: «بل أرجو أن یخرج الله من أصلابهم من یعبد الله لا یشرک به شیئا» «۱».

و ذکر ابن هشام «۲» أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما انصرف عن أهل الطائف، و لم یجیبوه إلی ما دعاهم إلیه من تصدیقه و نصرته، سار إلی حراء، ثم بعث إلی الأخنس بن شریق لیجیره، فقال: أنا حلیف و الحلیف لا یجیر. فبعث إلی سهیل بن عمرو فقال: إن بنی عامر لا تجیر علی بنی کعب. فبعث إلی المطعم بن عدی فأجابه إلی ذلک، ثم تسلح المطعم و أهل بیته، و خرجوا حتی أتوا المسجد، ثم بعث إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أن ادخل. فدخل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فطاف بالبیت و صلی عنده ثم انصرف إلی منزله.

و لأجل هذه السابقة التی سبقت للمطعم، قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی أساری بدر: لو کان المطعم بن عدی حیّا ثم کلمنی فی هؤلاء النتنی، لترکتهم له.

و فی انصراف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الطائف، راجعا إلی مکة حین یئس من خیر ثقیف مر به النفر من الجن الذین ذکر الله تعالی، فی کتابه و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بنخلة «۳» قد قام من جوف اللیل یصلی، فمر به أولئک النفر من الجن فیما ذکر

ابن إسحاق قال: و هم فیما ذکر لی سبعة نفر من جن أهل نصیبین، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته و لوا إلی

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۴/ ۱۳۹)، صحیح مسلم کتاب الجهاد (۱۱۲)، إتحاف السادة المتقین للزبیدی (۹/ ۸۸)، مشکاة المصابیح للتبریزی (۵۸۴۸)، فتح الباری لابن حجر (۷/ ۱۶۶)، کنز العمال للمتقی الهندی (۳۱۹۸۲)، تفسیر ابن کثیر (۳/ ۲۵۹).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۳۱).

(۳) نخلة: موضع علی لیلة من مکة، و کان بها لقریش و بنی کنانة بعض الطواغیت التی کانت تعظمها مع الکعبة لأنهم قالوا: أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً فکانت لهم بیوت تعظمها و تطوف بها کطوافها بالکعبة. انظر الروض المعطار (ص ۵۷۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۴۹

قومهم منذرین، قد آمنوا و أجابوا إلی ما سمعوا، فقص الله خبرهم علیه صلی اللّه علیه و سلم «۱»، قال عز من قائل: وَ إِذْ صَرَفْنا إِلَیْکَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ یَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِیَ وَلَّوْا إِلی قَوْمِهِمْ مُنْذِرِینَ قالُوا یا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا کِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسی مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ وَ إِلی طَرِیقٍ مُسْتَقِیمٍ یا قَوْمَنا أَجِیبُوا داعِیَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ یَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ وَ یُجِرْکُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِیمٍ [الأحقاف: ۲۹، ۳۱].

ذکر عرض رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم نفسه علی قبائل العرب

قال ابن إسحاق «۲»: ثم قدم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مکة و قومه أشد ما کانوا علیه من خلافه و فراق دینه، إلا قلیلا مستضعفین ممن آمن به.

فکان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یعرض نفسه فی المواسم إذا کانت علی قبائل العرب، یدعوهم إلی الله و یخبرهم أنه نبی مرسل، و یسألهم أن یصدقوه و یمنعوه حتی یبین عن الله ما بعثه به «۳».

قال ربیعة بن عباد الدؤلی: إنی لغلام شاب مع أبی بمنی، و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقف علی منازل القبائل من العرب فیقول: یا بنی فلان إنی رسول الله إلیکم یأمرکم أن تعبدوا الله و لا تشرکوا به شیئا، و أن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، و أن تؤمنوا بی و تصدقونی و تمنعونی حتی أبین عن الله ما بعثنی به، و خلفه رجل أحول وضیء له غدیرتان، علیه حلة عدنیة، فإذا فرغ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من قوله، و ما دعا إلیه قال ذلک الرجل: یا بنی فلان إن هذا یدعوکم إلی أن تسلخوا اللات و العزی من أعناقکم، و حلفاءکم من الجن من بنی مالک بن أقیش إلی ما جاء به من البدعة و الضلالة، فلا تطیعوه و لا تسمعوا منه.

قال ربیعة: فقلت لأبی: من هذا الرجل الذی یتبعه یرد علیه ما قال؟ قال: هذا عمه

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۴/ ۲۴۰)، سنن الترمذی (۳۳۷۹).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۳۳).

(۳) انظر الحدیث فی: الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (۲/ ۹۳)، عیون الأثر لابن سید الناس (۲/ ۲۵۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۵۰

عبد العزی بن عبد المطلب، أبو لهب «۱».

و عن غیر ربیعة «۲» أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أتی کندة فی منازلهم، فدعاهم إلی الله، و عرض علیهم نفسه، فأبوا علیه «۳».

و أتی کلبا فی منازلهم إلی بطن منهم یقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلی الله و عرض علیهم نفسه حتی إنه لیقول لهم: «یا بنی عبد الله: إن الله قد أحسن اسم أبیکم». فلم یقبلوا منه ما عرض علیهم «۴».

و عرض نفسه على بنى حنيفة فلم يك أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم «۵».

ذكر الواقدى بإسناد له عن عامر بن سلمة الحنفى، و كان قد أسلم فى آخر عمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: نسأل الله عز و جل، أن لا يحرمنا الجنة، لقد رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جاءنا ثلاثة أعوام بعكاظ و بمجنة و بذى المجاز يدعونا إلى الله عز و جل، و أن نمنع له ظهره حتى يبلغ رسالات ربه، و يشرط لنا الجنة، فما استجبنا له و لا رددنا جميلا، لقد أفحشنا عليه و حلم عنا.

قال عامر: فرجعت إلى حجر فى أول عام فقال لى هوذة بن على: هل كان فى موسمكم هذا خبر؟ فقلت: رجل من قريش يطوف على القبائل، يدعوهم إلى الله وحده، و إلى أن يمنعوا ظهره حتى يبلغ رسالة ربه و لهم الجنة. فقال هوذة: من أى قريش؟ قلت: هو من أوسطهم نسبا من بنى عبد المطلب.

قال هوذة: أ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب؟ قلت: هو هو. قال: أما إن أمره سيظهر على ما هاهنا، فقلت: هاهنا قط من بين البلدان؟ قال: و غير ما هاهنا.

ثم وافيت السنة الثانية فقدمت حجرا، فقال: ما فعل الرجل؟ فقلت: رأيته على حاله فى العام الماضى. قال: ثم وافيت فى السنة الثالثة و هى آخر ما رأيته، و إذا بأمره قد أمر،

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۴۹۲، ۴۹۳)، مستدرك الحاكم (۱/ ۱۵)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۳۵)، تاريخ الطبرى (۱/ ۵۵۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۳۸).

(۲) ذكر فى السيرة (۲/ ۳۴) هذا الحديث عن ابن شهاب الزهرى.

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۳۹)، تاريخ الطبرى (۱/ ۵۵۶).

(۴) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۱۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۳۹)، تاريخ الطبرى (۱/ ۵۵۶).

(۵) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۳۹)، تاريخ الطبرى (۱/ ۵۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۵۱

و إذا ذكره كثير فى الناس، و أسمع أن الخزرج تبعته، فقدمت حجرا، فقال لى هوذة: ما فعل الرجل؟ فقلت: رأيت أمره قد أمر و رأيت قومه عليه أشداء. فقال هوذة: هو الذى قلت لك، و لو أنا تبعناه كان خيرا لنا، و لكنا نضن بملكنا. و كان قومه قد توجوه و ملكوه.

قال عامر: فمر بى سليط بن عمرو العامرى، حين بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى هوذة، فضيفته و أكرمته و أخبرنى من خبر هوذة، أنه لم يسلم، و قد رد ردا دون رد. قال:

فأخبرت سليطا خبرى لهوذة، فأخبره سليط رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أسلم عامر بن سلمة، و مات هوذة بن على سنة ثمان من الهجرة كافرا على نصرانيته. و دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنى عبس إلى الإسلام فلم يقبلوا.

قال أبو وابصة العبسى فيما ذكر الواقدى: جاءنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى منزلنا بمنى، فدعانا إلى الله، فو الله ما استجبنا له، و ما خير لنا، و كان معنا ميسرة بن مسروق العبسى فقال لنا: أحلف بالله لو صدقنا هذا الرجل و حملناه حتى نحل به وسط رحالنا لكان الرأى. فقال له القوم: من بين العرب نفعل هذا؟ قال: نعم من بين العرب، فأحلف بالله ليظهرن أمره، حتى يبلغ كل مبلغ. فقال له القوم: دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به.

و طمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ميسرة، فكلمه، فقال ميسرة: ما أحسن كلامك و أنوره، و لكن قومى يخالفوننى، و إنما الرجل بقومه. فانصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و خرج القوم صادرين إلى أهليهم، فقال لهم ميسرة: ميلوا بنا إلى فدك فإن بها يهود، نسألهم عن هذا الرجل. فمالوا إلى يهود، فأخرجوا سفرا لهم فوضعوه، ثم درسوا ذكر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، الأمى العربى يركب الحمار و يجتزئ بالكسرة، و ليس بالطويل و لا بالقصير، و لا بالجعد و لا بالبسط، فى عينيه حمرة مشرب اللون. قالوا: فإن كان

هـذا الـذی دعاکم فأجیبوه، و ادخلوا فی دینه، فإنا نحسـده و لا نتبعه و لنا منه فی مواطن بلاء عظیم، و لا یبقی فی العرب أحد إلا تبعه أو قتله، فکونوا ممن یتبعه.

قـال میسـرة: یـا قوم و الله مـا بقی شـیء، إن هـذا لأمر بین. قال القوم: نرجع إلی الموسم و نلقاه، و رجع القوم إلی بلادهم، فأبی ذلک علیهم رجالهم، فلم یتبعه أحـد منهم، فلما قـدم رسول الله صـلی اللّه علیه و سـلم المدینـة مهاجرا و حج حجة الوداع لقیه میسـرة، فعرفه فقال: یا رسول الله، و الله ما زلت حریصا علی اتباعک منذ یوم رأیتک أنخت بنا حتی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۵۲

کان ما کان، و أبی الله عز و جل، إلا ما تری من تأخر إسلامی، و قد مات عامة النفر الذین کانوا معی، فأین مدخلهم؟ فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «من مات علی غیر الإسلام فهو فی النار». فقال میسرة: الحمد لله الذی تنقدنی. فأسلم، فحسن إسلامه، و کان له عند أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، مکان.

و عن ابن إسحاق «۱»: أن رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم أتی بنی عامر بن صعصعة، فدعاهم إلی الله عز و جل، و عرض علیهم نفسه، فقـال رجـل منهم یقال له بیحرة بن فراس: و الله لو أنی أخـذت هـذا الفتی من قریش لأکلت به العرب، ثم قال له: أ رأیت إن تابعناک علی أمرک، ثم أظهرک الله علی من خالفـک، أ یکون لـنا الأمـر من بعـدک؟ قـال: «الأمـر إلی الله یضـعه حیث یشاء». قال: أ فنهـدف نحورنا للعرب دونک، فإذا أظهرک الله کان الأمر لغیرنا! لا حاجة لنا بأمرک «۲».

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلی شیخ لهم أدرکته السن حتی لا یقدر أن یوافی معهم موسـمهم، فکانوا إذا رجعوا إلیه حدثوه بما یکون فی ذلـک الموسم، فلمـا قـدموا علیه ذلـک العـام سألهم عمـا کـان فی موسـمهم، فقالوا جاءنا فتی من قریش ثم أحـد بنی عبد المطلب یزعم أنه نبی، یدعونا إلی أن نمنعه و نقوم معه و نخرج به إلی بلادنا.

فوضع الشیخ یـدیه علی رأسه ثم قـال: یا بنی عامر، هل لنا من تلاف، هل لـذناباها من مطلب؟ «۳» و الـذی نفس فلان بیده ما تقولها إسماعیلی قط و إنها لحق، فأین رأسکم کان عنکم؟!.

و زاد الواقدی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما قام عن بنی عامر و انصرف إلی راحلته لیرکبها أتاه بیجرة، و نسبه الواقدی: بیجرة بن عبد الله بن سلمة، و رجلان معه فنخسوا به راحلته حتی سقط عنها، و یقال: قطعوا بطان راحلته.

قـال: فقامت امرأة منهم یقال لها: ضـباعة بنت قرط، و کانت قـد أسلمت و کانت تحت عبـد الله بن جـدعان، فکرهته ففارقها و خلف علیها بعده هشام بن المغیرة، و هی أم ابنه سلمة، و صاحت: یا بنی عامر أ یؤذی محمد و أنا شاهدة؟! فقام إلیهم غطیف

---

(۱) انظر: السیرة (۲/ ۳۴- ۳۵).

(۲) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۱۳۹، ۱۴۰)، تاریخ الطبری (۱/ ۵۵۶).

(۳) قال السهیلی فی الروض الأنف (۲/ ۱۸۱): هو مثل یضرب لما فاته منها، و أصله: من ذنابی الطائر إذا أفلت من حباله فطلبت الأخذ بذنابیه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۵۳

و غطفان ابنا سـهیل و عذرة بن عبد الله بن سـلمة بن قشـیر، فضـربوهم حتی هزموهم، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین رآهم صنعوا ما صنعوا: اللهم بارک علی هؤلاء، و العن هؤلاء الآخرین. فأسلم الذین بارک علیهم جمیعا و مات الذین لعن و هم کفار.

و ذکر الواقـدی أیضـا، من حـدیث جهم بن أبی جهم أن رسول الله صـلی اللّه علیه و سـلم وقف علی بنی عامر یـدعوهم إلی الله، فقام رجـل منهـم فقـال له: عجبـا لـک و الله، أعیـاک قومـک ثم أعیـاک أحیـاء العرب کلهـا، حتـی تأتینـا و تردد علینا مرة بعـد مرة! و الله لأجعلنک حدیثا لأهل الموسم.

و نهض إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و کان جالسا فکسر الله عز و جل ساقه، فجعل یصیح من رجله، و انصرف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عنه. قال الواقدی بإسناد ذکره: و أتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم غسان فی منازلهم بعکاظ، و هم جماعة کثیرة، فجلس إلیهم فدعاهم إلی الله تعالی، أن یعبدوه و لا یشرکوا به شیئا.

قال: و أن تمنعوا لی ظهری حتی أبلغ رسالات ربی و لکم الجنة. فقال رجل منهم:

هذا و الله یا قوم الذی تذکر النصاری فی کتبها و الذی یقولون: بقی من الأنبیاء نبی اسمه أحمد، فتعالوا نؤمن به و نتبعه فنکون من أنصاره و أولیائه، فإنهم یزعمون أنه یظهر علی ما بلغ الخف و الحافر، فیجتمع لنا شرف الدنیا مع ما یکون بعد الموت.

قال القوم: فنکون نحن أول العرب دخل فی هذا الأمر فتنصب لنا العرب قاطبة و یبلغ ملوک بنی الأصفر فیخرجوننا من دیارهم، و لکننا نقف عنه و ننظر ما تصنع العرب، ثم ندخل فیما یدخل فیه الناس.

قال الرجل: یا محمد تأبی عشیرتی أن یتبعوا قولی فیک، و لو أطاعونی رشدوا. قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: إن هذه القلوب بید الله عز و جل. فانصرف عنهم، ثم عاد بعد ذلک إلیهم فدعاهم إلی الإسلام فقالوا: نرجع إلی من وراءنا ثم نلقاک قابلا.

فرجعوا فوفد منهم نفر إلی الحارث بن أبی شمر، فذکروا له أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

فقال الحارث: إیاکم أن یتبعه رجل منکم، إذا یبید ملکی من الشام و یتهمنی هرقل.

قال: فأمسکوا عن ذکر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

قال: و أتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بنی محارب بن خصفة بعکاظ فوجدهم فی محالهم فیهم شیخ منهم و هو جالس فی أصحابه، فنزل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عن راحلته و دعا إلی الله

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۲۵۴

و طلب المنعة حتی یبلغ رسالات ربه، فرد علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أقبح الرد و قال له: عجبا لک! یأبی قومک أن یتبعوک، و تأتی إلی محارب تدعوهم إلی ترک ما کان علیه آباؤهم! اذهب فإنه غیر متبعک رجل من محارب آخر الدهر.

و یقبل إلیه سفیه منهم فقال: یا محمد، ما فی بطن ناقتی هذه إن کنت صادقا؟

فلعمری إنک لتدعی من العلم أعظم مما سألتک عنه، تزعم أن الله یوحی إلیک و یکلمک.

فأسکت عنه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و أقبل إلیه رجل منهم یقال له: سلمة بن قیس، و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم جالسا قریبا من منزلهم، فأراد أن یطرحه فی البئر، فقام رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فتنحی عن البئر، فجعل سلمة یقول: لو وقعت فی البئر استراح منک أهل الموسم. و أخذ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بزمام راحلته یقودها و هم یرمونها بالحجارة حتی تواری عنهم و هو یقول: «اللهم إنک لو شئت لم یکونوا هکذا، و إن قلوبهم بیدک و أنت أعلم بهم، فإن کان هذا عن سخط بک علی فلک العتبی، و لا حول و لا قوة إلا بک».

و ذکر قاسم بن ثابت بن حزم العوفی من حدیث عبد الله بن عباس، عن علی بن أبی طالب رضی الله عنه، أنه قال: لما أمر الله رسوله صلی اللّه علیه و سلم أن یعرض نفسه علی قبائل العرب خرج و أنا معه و أبو بکر الصدیق؛ حتی دفعنا إلی مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بکر فسلم و کان رجلا نسابة و مقدما فی کل خیر، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربیعة. قال:

و من رأی ربیعة؟ أمن هامتها أم من لهازمها: قالوا: بل من هامتها العظمی، قال: و أی هامتها العظمی أنتم؟ قالوا: ذهل الأکبر «۱».

فذکر الحدیث فی مناسبة أبی بکر إیاهم و مقاولته لهم، و انبراء دغفل بن حنظلة النسابة إلیهم من بینهم و هو یومئذ غلام حین بقل وجهه، و موافقته لأبی بکر، حتی اجتذب أبو بکر زمام الناقة و رجع إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو حدیث مشهور ترکته لشهرته، مع أن المقصود فیما بعده.

قال علی بن أبی طالب رضی الله عنه: ثم دفعنا إلی مجلس آخر علیهم السکینة و الوقار، فتقدم أبو بکر فسلم و کان مقدما فی کل

خير، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى النبيّ صلى اللّه عليه و سلم فقال: بأبى أنت و أمى هؤلاء غرر فى قومهم. و فيهم مفروق بن عمرو و هانئ بن قبيصة و المثنى بن حارثة و النعمان بن شريك، و كان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا و لسانا، و كانت له غديرتان تسقطان على تربيته و كان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر.

---

(۱) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۸۴- ۱۸۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۲۵۵

فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال له مفروق: إنا لنزيد على ألف و لن تغلب ألف من قلة. فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال: علينا الجهد و لكل قوم جد، قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم و بين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى، و إنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، و إنا لنؤثر الجياد على الأولاد و السلاح على اللقاح و النصر من عند الله، يديلنا مرة و يديل علينا، لعلك أخو قريش؟.

فقال أبو بكر: أو قد بلغكم أنه رسول الله؟ فها هو ذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلام تدعو يا أخا قريش؟.

فتقدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنى رسول الله، و إلى أن تئوونى و تنصرونى، فإن قريشا قد ظاهرت على أمر الله و كذبت رسوله، و استغنت بالباطل عن الحق، و الله هو الغنى الحميد».

فقال مفروق: و إلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الأنعام: ۱۵۱].

فقال مفروق: و إلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ۹۰].

فقال مفروق: دعوت و الله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق و محاسن الأعمال، و لقد أفك قوم كذبوك و ظاهروا عليك. و كأنه أراد أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة.

فقال: و هذا هانئ بن قبيصة شيخنا و صاحب ديننا.

فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، و إنى أرى أن تركنا ديننا و اتباعنا إياك على دينك، لمجلس جلسته إلينا ليس له أول و لا آخر، زلة فى الرأى و قلة نظر فى العاقبة، و إنما تكون الزلة مع العجلة، و من ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا، و لكن ترجع و نرجع و تنظر و ننظر. و كأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال:

و هذا المثنى بن حارثة شيخنا و صاحب حربنا.

فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، و الجواب هو جواب هانئ بن قبيصة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۲۵۶

فى ترك ديننا و اتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول و لا آخر و إنما منزلنا بين صريى اليمامة و السمامة. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما هذان الصريان؟ فقال: أنهار كسرى و مياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور و عذره غير مقبول، و أما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور و عذره مقبول، و إنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا و لا نؤوى محدثا، و إنى أرى أن هذا الأمر الذى تدعونا إليه هو مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك و ننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق، و إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أ

رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم و ديارهم و أموالهم و يفرشكم نساءهم أ تسبحون الله و تقدسونه؟» فقال النعمان: اللهم لك ذا.

فتلا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً [الأحزاب: ۴۵]. ثم نهض النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأخذ بيدى فقال: يا أبا بكر، يا أبا حسن، أية أخلاق فى الجاهلية! ما أشرفها! بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض و بها يتحاجزون فيما بينهم «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: فكان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله و إلى الإسلام و يعرض عليهم نفسه و ما جاء به من الله تعالى من الهدى و الرحمة، و لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم و شرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله و عرض عليه ما عنده.

و قدم سويد بن صامت «۳» أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا، فتصدى له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فدعاه إلى الله و إلى الإسلام فقال له سويد: فلعل الذى معك مثل الذى معى.

---

(۱) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۸۴– ۱۸۵).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۳۵).

(۳) هو: سويد بن الصامت الأوسى، لقى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بسوق ذى المجاز من مكة فى حجة حجها سويد على ما كانوا يحجون عليه فى الجاهلية. انظر ترجمته فى: الاستيعاب (۲/ ۲۳۵، ۲۳۶) الترجمة رقم (۱۱۲۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۵۷

قال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ما الذى معك؟» قال: مجلة لقمان «۱»، يعنى حكمة لقمان.

فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: اعرضها على فعرضها عليه. فقال: «إن هذا الكلام حسن و الذى معى أفضل من هذا، قرآن أنزله الله على هو هدى و نور».

فتلا عليه القرآن و دعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، و قال: إن هذا القول حسن. ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخزرج قبل بعاث. فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل و هو مسلم «۲».

و كان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل، لجلده و شعره و شرفه و نسبه و هو القائل: الاكتفاء، الكلاعى ج ۱ ۲۵۷ ذكر عرض رسول الله صلى الله عليه و سلم نفسه على قبائل العرب ..... ص : ۲۴۹

ألا رب من تدعو صديقا و لو ترىمقاتله بالغيب ساءك ما يفرى

مقالته كالشهد ما كان شاهداو بالغيب مأثور على ثغرة النحر

يسرك باديه و تحت أديمهنميمة غش تبترى عقب الظهر «۳»

تبين لك العينان ما هو كاتممن الغل و البغضاء بالنظر الشزر

فرشنى بخير طال ما قد بريتنىو خير الموالى من يريش و لا يبرى و لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة و معه فتية من بنى عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: هل لكم فى خير مما جئتم له؟ فقالوا له: و ما ذاك؟ قال:

أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله و لا يشركوا به شيئا و أنزل على الكتاب. ثم ذكر لهم الإسلام و تلا عليهم القرآن.

---

(۱) قال السهيلى فى الروض الأنف (۲/ ۱۸۳): مجلة لقمان و هى الصحيفة و كأنها مفصلة من الجلال و الجلالة: أما الجلالة فمن صفة المخلوق، و الجلال من صفة الله تعالى و قد أجاز بعضهم أن يقاس المخلوق: جلا و جلالة و أنشد:

فلا ذا جلال هبته لجلالـۀ و لا ذا ضياع هن يترکن للفقر و لقمان كان نوبيا من أهل آئلة، و هو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا و ابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج و غيره، و قد قيل فى اسمه غير ذلك، و ليس بلقمان بن عاد الحميرى. انتهى.

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۱۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۴۷).

(۳) ذكر هذا البيت ابن عبد البر فى الاستيعاب (۲/ ۲۳۶) فذكر شطره الأول كما ورد هنا أما الثانى:

...منحية شر يفترى عقب الظهر و انظر الأبيات أيضا فى أسد الغابة الترجمة رقم (۲۳۴۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۵۸

فقال إياس بن معاذ، و كان غلاما حدثا: أى قوم، هذا و الله خير لكم مما جئتم له.

فيأخذ أبو الحيسر جفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس و قال: دعنا منک، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس، و قام عنهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و انصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بعاث بين الأوس و الخزرج «۱».

ثم لم يلبث إياس أن هلک، فأخبر من حضر من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله و يكبره و يحمده و يسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلک المجلس حين سمع من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما سمع.

بدء إسلام الأنصار و ذكر العقبة الأولى

قال ابن إسحاق «۲»: فلما أراد الله إظهار دينه و إعزاز نبيه و إنجاز موعوده له، خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال لهم: «من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالى يهود؟» قالوا: نعم، قال: «أ فلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله و عرض عليهم الإسلام و تلا عليهم القرآن.

و كان مما صنع الله به فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم، و كانوا أهل كتاب و علم، و كانوا هم أهل شرک و أصحاب أوثان، و كان قد عزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم: «إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد و إرم».

فلما كلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أولئک النفر و دعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا و الله إنه للنبى الذى توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه.

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۴۲۷)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۲۰، ۴۲۱)، المستدرک للحاكم (۳/ ۱۸۰، ۱۸۱).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۵۹

فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه و قبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام و قالوا له: إنا تركنا قومنا، و لا قوم بينهم من العداوة و الشر ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليک فلا رجل أعز منک. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا و صدقوا «۱».

و هم فيما ذكر لى «۲»، ستة نفر من الخزرج: منهم من بنى النجار: أسعد بن زرارة أبو أمامة «۳»، و عوف بن الحارث بن رفاعة و هو ابن عفراء «۴». و من بنى زريق: رافع بن مالک بن العجلان «۵»، و من بنى سلمة: قطبة بن عامر بن حديدة «۶» و عقبة بن عامر بن نابى

«۷»، و جابر بن عبد الله بن رئاب «۸».

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم؛ فلم يبق دار من دور الأنصار إلا و فيها ذكر من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فيهم من الستة المسمين قبل: أبو أمامة و عوف و رافع و قطبة و عقبة، و من غير الستة من الخزرج أيضا:

---

(۱) انظر الحديث فى: عيون الأثر لابن سيد الناس (۱/ ۲۶۲)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۳۳، ۴۳۴)، تاريخ الطبرى (۱/ ۵۸۸).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۳۹- ۴۰).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۰)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۹۸).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۰۲۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۱۲۸).

(۵) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۷۳۹)، الإصابة الترجمة رقم (۲۵۵۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۵۹۸)، الثقات (۳/ ۱۲۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۷۴)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۴۱)، الجرح و التعديل (۳/ ۲۱۵۹)، تهذيب التهذيب (۳/ ۲۳۲)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۲۱۹)، دائرة معارف الأعلمىّ (۱۸/ ۲۰۲).

(۶) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۱۴۰)، الإصابة الترجمة رقم (۷۱۷۳)، أسد الغابة الترجمة (۴۳۰۸)، الثقات (۳/ ۳۴۷)، الطبقات الكبرى (۹/ ۱۵۹)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۱۵)، الاستبصار (۱۶۳).

(۷) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۸۴۴)، الإصابة الترجمة رقم (۵۶۱۹).

(۸) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۸۹)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۲۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۴۶)، طبقات خليفة الترجمة رقم (۶۲۳)، التاريخ الكبير (۲/ ۲۰۷)، الجرح و التعديل (۲/ ۴۹۲)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۲۵)، تهذيب الكمال (۱۸۲)، تاريخ الإسلام (۳/ ۱۴۳)، تذكرة الحفاظ (۱/ ۴۰)، تذهيب التهذيب (۱/ ۹۹)، خلاصة تذهيب الكمال (۵۰)، شذرات الذهب (۱/ ۸۴)، تهذيب ابن عساكر (۳/ ۳۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱،ص:۲۶۰

ذكوان بن عبد قيس بن خلدة الزرقى «۱»، و عبادة بن الصامت «۲»، و يزيد بن ثعلبة «۳» من بنى غصينة من بلى حليف لهم، و العباس بن عبادة بن نضلة العجلانى «۴»، و معاذ بن الحارث بن رفاعة «۵»، و هو ابن عفراء، و من الأوس: أبو الهيثم بن مالك بن التيهان «۶»، و عويم بن ساعدة «۷»، فلقوه بالعقبة، و هى العقبة الأولى.

قال عبادة بن الصامت: كنت ممن حضر العقبة الأولى، و كنا اثنى عشر رجلا، بايعنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بيعة النساء و ذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئا، و لا نسرق و لا نزنى و لا نقتل أولادنا و لا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا و أرجلنا و لا نعصيه فى معروف. قال: «فإن وفيتم فلكم الجنة، و إن غشيتم من ذلك شيئا فأصبتم بحد فى الدنيا فهو كفارة له، و إن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله، إن شاء عذب و إن شاء غفر» «۸».

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۷۱۰)، الإصابة الترجمة رقم (۲۴۴۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۵۳۱)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۶۷)، الوافى بالوفيات (۱۴/ ۳۸)، الاستبصار (۴۷)، الجرح و التعديل (۳/ ۲۰۳۸).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۳۸۰)، الإصابة الترجمة رقم (۴۵۱۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۷۹۱).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۷۹۱)، الإصابة الترجمة رقم (۹۲۶۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۵۳۶)، الثقات (۳/

۴۴۵)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۱۳۵)، الطبقات الکبری (۱/ ۲۲۰).

(۴) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۳۸۵)، الإصابة الترجمة رقم (۲۵۲۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۷۹۸)، الوافی بالوفیات (۱۶/ ۶۳۴)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۲۹۵)، الثقات (۳/ ۲۸۸).

(۵) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۴۵۰)، الإصابة الترجمة رقم (۸۰۶۸).

(۶) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۳۲۴۶)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۶۸۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۳۳۱)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۲۱۰)، التاریخ لابن معین (۲/ ۱۴۸)، تنقیح المقال (۳/ ۲۴).

(۷) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۰۷۵)، الإصابة الترجمة رقم (۶۱۲۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۱۳۸)، طبقات ابن سعد (۳/ ۲/ ۳۰)، مشاهیر علماء الأمصار (۱۰۷)، حلیة الأولیاء (۲/ ۱۱)، تهذیب الکمال (۱۰۶۸)، تهذیب التهذیب (۸/ ۱۷۴)، خلاصة تذهیب الکمال (۳۰۶).

(۸) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری کتاب مناقب الأنصار (۳۸۹۲، ۳۸۹۳)، صحیح-

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۶۱

قال ابن إسحاق «۱»: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم معهم مصعب بن عمیر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصی، و أمره أن یقرئهم القرآن و یعلمهم الإسلام و یفقههم فی الدین، فکان مصعب یسمی المقرئ بالمدینة، و کان منزله علی أسعد بن زرارة بن عدس أبی أمامة، و کان یصلی بهم، و ذلک أن الأوس و الخزرج کره بعضهم أن یؤمه بعض «۲».

إسلام سعد بن معاذ و أسید بن حضیر علی یدی مصعب بن عمیر رضی الله عنه

ذکر ابن إسحاق عمن سمی من شیوخه «۳» أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمیر یرید به دار بنی عبد الأشهل و دار بنی ظفر، فدخل به حائطا من حوائط بنی ظفر، فجلسا فیه و اجتمع إلیهما رجال ممن أسلم.

فلما سمع بذلک سعد بن معاذ «۴» و أسید بن حضیر «۵» و هما یومئذ سیدا قومهما بنی عبد الأشهل، و کلاهما مشرک علی دین قومه، قال سعد لأسید: لا أبا لک، انطلق إلی هذین الرجلین اللذین أتیا دارینا لیسفها ضعفاءنا فازجرهما و انههما عن أن یأتیا دارینا، فإنه لو لا أن أسعد بن زرارة منی حیث قد علمت کفیتک ذلک، هو ابن خالتی و لا أجد علیه مقدما.

- مسلم کتاب الحدود (۳/ ۴۳)، مسند الإمام أحمد (۵/ ۳۱۶)، دلائل النبوة للبیهقی (۲/ ۲۴۶، ۲۴۷)، مستدرک الحاکم (۲/ ۶۲۴).

(۱) انظر: السیرة (۲/ ۴۳).

(۲) انظر الحدیث فی: تاریخ الطبری (۱/ ۵۵۹)، فتح الباری لابن حجر (۷/ ۲۶۴).

(۳) انظر: السیرة (۲/ ۴۴).

(۴) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۹۶۳)، الإصابة الترجمة رقم (۳۲۱۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۰۴۶)، طبقات خلیفة (۷۷)، التاریخ الکبیر (۴/ ۶۵)، الجرح و التعدیل (۴/ ۹۳)، تهذیب الکمال (۴۷۷)، العبر (۱/ ۷)، تهذیب التهذیب (۳/ ۴۸۱)، خلاصة تذهیب الکمال (۶۳۵)، شذرات الذهب (۱/ ۱۱).

(۵) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۵۴)، الإصابة الترجمة رقم (۱۸۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۷۰)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۲۱)، تهذیب الکمال (۱/ ۱۱۳)، تقریب التهذیب (۱/ ۷۸)، خلاصة تذهیب تهذیب الکمال (۱/ ۹۸)، الوافی بالوفیات (۹/ ۲۵۸)، سیر الإعلام (۱/ ۲۹۹)، تهذیب التهذیب (۱/ ۳۴۷)، الجرح و التعدیل (۲/ ۱۱۶۳)، الأنساب (۱/ ۲۷۸)، الریاض المستطابة (۲۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۶۲

فأخذ أسید حربته ثم أقبل إلیهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سید قومه قد جاءک فاصدق الله فیه. قال: فوقف علیهما متشتما فقال: ما جاء بکما إلینا تسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن کانت بأنفسکما حاجة.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضیت أمرا قبلته و إن کرهته کف عنک ما تکره. قال: أنصفت، ثم رکز حربته و جلس إلیهما، فکلمه مصعب بالإسلام و قرأ علیه القرآن، فقالا فیما ذکر عنهما: و الله لعرفنا فی وجهه الإسلام قبل أن یتکلم فی إشراقه و تسهله، ثم قال: ما أحسن هذا و أجمله، کیف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فی هذا الدین؟ قالا له: تغتسل فتطهر و تطهر ثوبیک ثم تتشهد شهادة الحق ثم تصلی.

فقام فاغتسل و طهر ثوبیه و تشهد شهادة الحق، ثم قام فرکع رکعتین ثم قال لهما:

إن ورائی رجلاـ إن اتبعکما لم یتخلف عنه أحد من قومه و سأرسله إلیکما الآن، سعد ابن معاذ. ثم انصرف إلی سعد و قومه و هم جلوس فی نادیهم، فلما نظر إلیه سعد مقبلا قال: أحلف بالله لقد جاءکم أسید بغیر الوجه الذی ذهب به، فلما وقف علی النادی قال له سعد: ما فعلت؟ قال کلمت الرجلین فو الله ما رأیت بهما بأسا، و قد نهیتهما فقالا: نفعل ما أحببت. و قد حدثت أن بنی حارثة خرجوا إلی أسعد بن زرارة لیقتلوه، و ذلک أنهم عرفوا أنه ابن خالتک لیخفروک «۱».

فقام سعد مغضبا مبادرا متخوفا للذی ذکر له من بنی حارثة، فأخذ الحربة من یده ثم قال: و الله ما أراک أغنیت شیئا. ثم خرج إلیهما فلما رآهما مطمئنین عرف أن أسیدا إنما أراد أن یسمع منهما، فوقف علیهما متشتما ثم قال: یا أبا أمامه، و الله لو لا ما بینی و بینک من القرابة ما رمت هذا منی، أتغشانا فی دارینا بما نکره!.

و قد قال أسعد لمصعب بن عمیر: أی مصعب، جاءک و الله سید من وراءه من قومه، إن یتبعک لا یتخلف عنک منهم اثنان. فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضیت أمرا و رغبت فیه قبلته و إن کرهته عزلنا عنک ما تکره.

قال سعد: أنصفت. ثم رکز الحربة و جلس، فعرض علیه الإسلام و قرأ علیه القرآن.

قالاـ فعرفنا و الله فی وجهه الإسلام قبل أن یتکلم لإشراقه و تسهله، ثم قال لهما: کیف تصنعون إذا أنتم أسلمتم و دخلتم فی هذا الدین؟.

قالا: تغتسل فتطهر ثوبیک، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلی رکعتین. فقام فاغتسل

---

(۱) لیخفروک: أخفره أی نقض عهده و خاس به و غدره، و أخفر الذمة لم یف بها.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۶۳

و طهر ثوبیه و تشهد شهادة الحق و رکع رکعتین، ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلی نادی قومه و معه أسید بن حضیر، فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إلیکم سعد بغیر الوجه الذی ذهب به.

فلما وقف علیهم قال: یا بنی عبد الأشهل کیف تعلمون أمری فیکم؟ قالوا: سیدنا، أفضلنا رأیا و أیمننا نقیبة «۱». قال: فإن کلام رجالکم و نسائکم حرام علی حتی تؤمنوا بالله و رسوله.

قال: فو الله ما أمسی فی دار بنی عبد الأشهل رجل و لا امرأة إلا مسلما أو مسلمة.

و رجع مصعب إلی منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده یدعو الناس إلی الإسلام، حتی لم یبق دار من دور الأنصار إلا و فیها رجال و نساء مسلمون «۲»، إلا ما کان من دار بنی أمیة بن زید و خطمة و وائل و واقف، و تلک أوس الله، و هم من الأوس بن حارثة.

و ذلک أنه کان فیهم أبو قیس بن الأسلت «۳» و کان شاعرا لهم قائدا یسمعون منه و یطیعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتی هاجر رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم و مضی بدر و أحد و الخندق، و قال فیما رأی من الإسلام و ما اختلف الناس فیه من أمره:

أرب الناس أشیاء المتیلف الصعب منها بالذلول

أرب الناس إما إن ضللنافيسرنا لمعروف السبيل

فلو لا ربنا كنا يهوداو ما دين اليهود بذى شكول «۴»

و لو لا ربنا كنا نصارى‌مع الرهبان فى جبل الجليل

و لكنا خلقنا إذ خلقناحنيفا ديننا عن كل جيل «۵»

نسوق الهدى ترسف مذعنات‌مكشفة المناكب فى الجلول

---

(۱) أيمننا نقيبة: النقيبة أيمن النعل، و قال ابن بزرج: اللهم نقيبة أى نفاذ رأى، و رجل ميمون النقيبة: مبارك النفس، مظفر بما يحاول. انظر: اللسان (مادة نقب).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۳۸، ۴۳۹)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۴۲).

(۳) انظر ترجمته فى: طبقات فحول الشعراء (۱/ ۲۲۶).

(۴) قال السهيلى فى الروض الأنف: شكول جمع شكل، و شكل الشيء بالفتح هو مثله، و الشكل بالكسر الدل و الحسن، فكأنه أراد أن دين اليهود بدع فليس له شكول أى: ليس له نظير فى الحقائق و لا مثيل يعضده من الأمر بالمعروف المقبول.

(۵) حنيفا: من حنف إذا مال، أى مائلا عن الأديان الباطلة، و الميل هو الصنف من الناس.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۶۴

ذكر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق «۱»: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، و خرج من خرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله ما أراد من كرامته و النصر لنبيه و إعزاز الإسلام و أهله و إذلال الشرك و أهله.

حدث كعب بن مالك «۲»، و كان ممن شهد العقبة و بايع بها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال:

خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين و قد صلينا و فقهنا، و معنا البراء بن معرور «۳» سيدنا و كبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا و خرجنا من المدينة قال لنا البراء: يا هؤلاء، إنى قد رأيت رأيا و و الله ما أدرى أ توافقونى عليه أم لا. فقلنا: و ما ذاك؟ قال: رأيت ألا أدع هذه البنية منى بظهر، يعنى الكعبة، و أن أصلى إليها. فقلنا: و الله ما بلغنا أن نبينا يصلى إلا إلى الشام، و ما نريد أن نخالفه. فقال: إنى لمصل إليها. فقلنا له: لكنا لا نفعل.

فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام و صلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة، فلما قدمناها و قد كنا عبنا عليه ما صنع، قال لى: يا ابن أخى انطلق بنا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا فإنه و الله لقد وقع فى نفسى منه شيء لما رأيت من خلافكم إياى فيه، فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك، فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عنه فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا. فقال: هل تعرفان العباس عمه؟ قلنا: نعم. و قد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجرا.

قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس.

فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه و هذا كعب بن مالك، فو الله ما أنسى قول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

(۱) انظر: السیرة (۲/ ۴۸- ۴۹).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۲۳۱)، الإصابة الترجمة رقم (۷۴۴۷)، شذرات الذهب (۱ / ۵۶)، تهذیب الکمال (۱۱۴۷)، تاریخ الإسلام (۲/ ۲۴۳)، تهذیب التهذیب (۸/ ۴۴۰، ۴۴۱)، خلاصة تذهیب الکمال (۳۲۱)، طبقات خلیفة (۱۰۳).

(۳) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۷۱)، الإصابة الترجمة رقم (۶۲۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۹۲)، طبقات ابن سعد (۳/ ۲/ ۱۴۶)، شذرات الذهب (۱/ ۹)، العبر (۱/ ۳)، الاستبصار (۱۴۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۶۵

ألشاعر؟ قال: نعم. فقال له البراء بن معرور: یا نبی الله، إنی خرجت فی سفری هذا و قد هدانی الله للإسلام، فرأیت أن لا أجعل هذه البنیة منی بظهر، فصلیت إلیها، و خالفنی أصحابی فی ذلک، حتی وقع فی نفسی منه شیء فما ذا تری یا رسول الله؟

قال: قد کنت علی قبلة لو صبرت علیها. فرجع البراء إلی قبلة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و صلی معنا إلی الشام. قال: و أهله یزعمون أنه صلی إلی الکعبة حتی مات، و لیس کما قالوا، نحن أعلم به منهم «۱».

قال کعب «۲»: ثم خرجنا إلی الحج و واعدنا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم العقبة من أوسط أیام التشریق، فلما فرغنا من الحج و کانت اللیلة التی واعدنا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لها، و معنا عبد الله بن عمرو بن حرام «۳»، أبو جابر، سید من ساداتنا أخذناه معنا و کنا نکتم من معنا من المشرکین أمرنا فکلمناه و قلنا: یا أبا جابر، إنک سید من ساداتنا و شریف من أشرافنا، و إنا نرغب بک أن تکون حطبا للنار غدا.

ثم دعوناه إلی الإسلام و أخبرناه بمیعاد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إیانا العقبة، فأسلم و شهد معنا و کان نقیبا. فنمنا تلک اللیلة مع قومنا فی رجالنا حتی إذا مضی ثلث اللیل خرجنا من رحالنا لمیعاد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نتسلل تسلل القطا مستخفین، حتی اجتمعنا فی الشعب عند العقبة و نحن ثلاثة و سبعون رجلا و معنا امرأتان من نسائنا، نسیبة بنت کعب أم عمارة «۴»، إحدی نساء بنی مازن بن النجار، و أسماء بنت [عمرو بن عدی بن نابی] «۵»، أم منیع «۶»، إحدی نساء بنی سلمة، فاجتمعنا فی الشعب ننتظر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی جاءنا و معه العباس و هو یومئذ علی دین قومه إلا أنه أحب أن یحضر أمر ابن أخیه و یتوثق له.

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۳/ ۴۶۱)، صحیح ابن خزیمة (۴۲۹)، الهیثمی فی المجمع (۶/ ۴۲، ۴۳).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۴۹- ۵۰).

(۳) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۶۳۳)، الإصابة الترجمة رقم (۴۸۵۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۰۸۶)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۳۲۵)، تاریخ الإسلام (۲/ ۲۰۵)، سیر أعلام النبلاء (۱/ ۳۲۴)، حلیة الأولیاء (۲/ ۴)، الأعلام (۴/ ۱۱).

(۴) انظر ترجمتها فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۳۶۲۴)، الإصابة الترجمة رقم (۱۲۱۸۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۷۵۵۰)، تهذیب التهذیب (۱۲/ ۴۷۴)، خلاصة تذهیب الکمال (۴۹۹).

(۵) ما بین المعقوفتین ورد فی الأصل: «عدی بن عمرو»، و التصحیح من السیرة و الاستیعاب.

(۶) انظر ترجمتها فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۳۲۶۳)، الإصابة الترجمة رقم (۶۷۱۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۲۷۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۶۶

فلما جلس کان أول متکلم العباس فقال: یا معشر الخزرج، و کانت العرب إنما یسمون هذا الحی من الأنصار الخزرج، خزرجها و أوسها، إن محمدا منا حیث قد علمتم و قد منعناه من قومنا ممن هو علی مثل رأینا فیه، فهو فی عز من قومه و منعة فی بلده، و إنه قد أبی إلا الانحیاز إلیکم و اللحوق بکم، فإن کنتم ترون أنکم وافون له بما دعوتموه إلیه و مانعوه ممن خالفه فأنتم و ما تحملتم من

ذلک، و إن کنتم ترون أنکم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به إلیکم فمن الآن فدعوه، فإنه فی عز و منعة من قومه و بلده.

فقلنا له: قد سمعنا ما قلت. فتکلم یا رسول الله فخذ لنفسک و لربک ما أحببت.

فتکلم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فتلا القرآن و دعا إلی الله و رغب فی الإسلام، ثم قال: أبایعکم علی أن تمنعونی مما تمنعون منه نساءکم و أبناءکم.

فأخذ البراء بن معرور بیده ثم قال: نعم و الذی بعثک بالحق لنمنعنک مما نمنع منه أزرنا، فبایعنا یا رسول الله، فنحن و الله أهل الحروب و أهل الحلقة ورثناها کابرا عن کابر.

فاعترض القول، و البراء یکلم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، أبو الهیثم بن التیهان، فقال: یا رسول الله، إن بیننا و بین الرجال حبالا و نحن قاطعوها، یعنی الیهود، فهل عسیت إن نحن فعلنا ذلک ثم أظهرک الله أن ترجع إلی قومک و تدعنا؟.

قال: فتبسم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم قال: بل الدم الدم، و الهدم الهدم، أنا منکم و أنتم منی، أحارب من حاربتم و أسالم من سالمتم. قال کعب: و قد قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

أخرجوا إلی منکم اثنی عشر نقیبا یکونون علی قومهم بما فیهم.

فأخرجوا منهم اثنی عشر نقیبا، تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس، من الخزرج:

أبو أمامة أسعد بن زرارة، و سعد بن الربیع «۱»، و عبد الله بن رواحة «۲»، و رافع بن مالک

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۹۳۶)، الإصابة الترجمة رقم (۳۱۶۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۹۹۴)، طبقات ابن سعد (۳/ ۲/ ۷۷)، تاریخ خلیفة (۷۱)، الجرح و التعدیل (۴/ ۸۲- ۸۳)، الاستبصار (۱۱۴).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۵۴۸)، الإصابة الترجمة رقم (۴۶۹۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۹۴۳)، الثقات (۳/ ۲۲۱)، حلیة الأولیاء (۱/ ۱۱۸، ۱۲۱)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۳۱۰)، تهذیب التهذیب (۵/ ۲۱۲)، تهذیب الکمال (۲/ ۶۸۱)، تقریب التهذیب (۱/ ۴۱۵)، خلاصة تذهیب (۲/ ۵۵)، الوافی بالوفیات (۱۷/ ۱۶۸)، سیر أعلام النبلاء (۱/ ۲۳۰)، الأعلام (۴/ ۸۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۶۷

ابن العجلان، و البراء بن معرور، و عبد الله بن عمرو بن حرام، و عبادة بن الصامت، و سعد بن عبادة بن دلیم «۱»، و المنذر بن عمرو «۲». و من الأوس: أسید بن حضیر، و سعد ابن خیثمة «۳»، و رفاعة بن عبد المنذر «۴».

قال ابن هشام «۵»: و أهل العلم یعدون فیهم أبا الهیثم بن التیهان و لا یعدون رفاعة.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم للنقباء: «أنتم علی قومکم بما فیهم کفلاء ککفالة الحواریین لعیسی ابن مریم، و أنا کفیل علی قومی»، قالوا: نعم «۶».

و حدث «۷» عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبیعة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال العباس بن عبادة بن نضلة، أخو بنی سالم بن عوف: یا معشر الخزرج: هل تدرون علام تبایعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنکم تبایعونه علی حرب الأحمر، و الأسود من الناس، فإن کنتم ترون أنکم إذا نهکت أموالکم مصیبة و أشرافکم قتلا أسلمتموه فمن الآن، فهو و الله إن فعلتم خزی الدنیا و الآخرة، و إن کنتم ترون أنکم وافون له بما دعوتموه إلیه علی نهکة الأموال و قتل الأشراف فهو و الله خیر الدنیا و الآخرة، قالوا: فإنا

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۹۴۹)، الإصابة الترجمة رقم (۳۱۸۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۰۱۲)، طبقات ابن سعد (۳/ ۲/ ۱۴۲)، مشاهیر علماء الأمصار الترجمة رقم (۲۰۱)، تهذیب الکمال (۴۷۴)، تهذیب التهذیب (۳/ ۴۷۵)، خلاصة تذهیب الکمال (۲۱۳۴)، شذرات الذهب (۱/ ۲۸).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۵۲۳)، الإصابة الترجمة رقم (۸۲۴۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۱۱۴)، الثقات (۳/ ۳۸۶)، الاستبصار (۱۰۰)، الأعلام (۷/ ۲۹۴)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۹۵).

(۳) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۹۳۴)، الإصابة الترجمة رقم (۳۱۵۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۹۸۶)، شذرات الذهب (۱/ ۹)، سیر أعلام النبلاء (۱/ ۲۶۶)، الوافی بالوفیات (۱۵/ ۲۱۶)، الأعلام (۳/ ۸۴)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۲۱۳).

(۴) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۷۸۰)، الإصابة الترجمة رقم (۲۶۷۵)، أسد الغابة الترجمة (۱۶۹۲)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۱۸۴)، سیر أعلام النبلاء (۱/ ۱۳۵، ۱۸۵)، الوافی بالوفیات (۱۴/ ۱۷۱)، تهذیب التهذیب (۳/ ۲۸۲)، تقریب التهذیب (۱/ ۲۵۱)، حلیة الأولیاء (۱/ ۳۶۶)، خلاصة تذهیب (۱/ ۳۲۷).

(۵) انظر: السیرة (۲/ ۵۴).

(۶) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۱۶۲)، فتح الباری لابن حجر (۷/ ۲۹۲)، تاریخ الطبری (۱/ ۵۶۲، ۵۶۳).

(۷) انظر: السیرة (۲/ ۵۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۶۸

نأخذه علی مصیبة الأموال و قتل الأشراف، فما لنا بذلک یا رسول الله إن نحن و فینا؟

قال: الجنة. قالوا: ابسط یدک. فبسط یده فبایعوه «۱».

قال عاصم: و الله، ما قال ذلک العباس إلا لیشد العقد لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی أعناقهم.

و قال غیره: ما قاله إلا لیؤخر القوم تلک اللیلة رجاء أن یحضرها عبد الله بن أبی بن سلول فیکون أقوی لأمر القوم. فالله أعلم أی ذلک کان.

قال ابن إسحاق «۲»: فبنو النجار یزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة کان أول من ضرب علی یده، و بنو عبد الأشهل یقولون: بل أبو الهیثم بن التیهان.

و فی حدیث معبد بن کعب عن أخیه عبد الله، عن أبیه قال: کان أول من ضرب علی ید رسول الله صلی اللّه علیه و سلم البراء بن معرور، ثم بایع القوم، فلما بایعنا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صرخ الشیطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: یا أهل الجباجب، و هی المنازل، هل لکم فی مذمم و الصباء معه قد اجتمعوا علی حربکم.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «هذا أزب العقبة هذا ابن أزیب، و یقال ابن أزیب، أ تسمع أی عدو الله، أما و الله لأفرغن لک»، ثم قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «ارفضوا إلی رحالکم»، فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: و الذی بعثک بالحق إن شئت لنمیلن علی أهل منی بأسیافنا.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «لم أومر بذلک، و لکن ارجعوا إلی رحالکم». فرجعنا إلی مضاجعنا فنمنا علیها، فلما أصبحنا غدت علینا جلة قریش حتی جاءونا فی منازلنا، فقالوا: یا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنکم جئتم إلی صاحبنا هذا تستخرجونه من بین أظهرنا، و تبایعونه علی حربنا، و إنه و الله ما من حی من العرب أبغض إلینا أن تنشب الحرب بیننا و بینهم منکم.

فانبعث من هنالک من مشرکی قومنا یحلفون بالله ما کان من هذا شیء، و ما علمناه.

و صدقوا، لم یعلموه، و بعضنا ینظر إلی بعض.

ثم قام القوم و فیهم الحارث بن هشام المخزومی «۳»، و علیه نعلان له جدیدان فقلت

---

(۱) انظر الحدیث فی: مجمع الزوائد للهیثمی (۶/ ۴۸)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۱۱۹، ۱۲۰)، تاریخ الطبری (۱/ ۵۶۳)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۱۶۲).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۵۶- ۵۷).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۴۵۲)، الإصابة الترجمة رقم (۱۵۰۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۹۷۹)، تهذيب الكمال (۲۲۳)، تذهيب التهذيب (۱/ ۱۱۶)، خلاصة تذهيب الكمال (۶۹)، تهذيب ابن عساكر (۴/ ۸)، العقد الثمين (۴/ ۳۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۶۹

له كلمة، كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر ما تستطيع و أنت سيد من ساداتنا أن تتخذ مثل نعلى هذا الفتى من قريش؟! فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه، ثم رمى بهما إلى فقال: و الله لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مه، أحفظت و الله الفتى، فاردد إليه نعليه. قلت: و الله لا أردهما، فأل و الله صالح، و الله لئن صدق الفأل لأسلبنه «۱».

و فى حديث غير كعب أنهم أتوا عبد الله بن أبى سلول، فقالوا: مثل ما ذكر كعب من القول، فقال لهم: إن هذا لأمر جسيم، ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا، و ما علمته كان، فانصرفوا عنه.

و نفر الناس من منى، فتنطس «۲» القوم الخبر، فوجدوه قد كان، و خرجوا فى طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر و المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة، و كلاهما كان نقيبا، فأما المنذر فأعجز القوم، و أما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع «۳» رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة، يضربونه و يجذبونه بجمته، و كان ذا شعر كثير.

قال سعد: فو الله، إنى لفى أيديهم إذ طلع علىّ نفر من قريش فيهم رجل وضىء أبيض شعشاع حلو من الرجال، قال فقلت فى نفسى: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا، فلما دنا منى، رفع يده فلكمنى لكمة شديدة، فقلت فى نفسى: لا و الله، ما عندهم بعد هذا من خير، فو الله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى إلى رجل ممن معهم، فقال لى: ويحك! أما بينك و بين أحد من قريش تجارة و لا عهد؟ فقلت: بلى و الله لقد كنت أجيز لجبير بن مطعم تجارة و أمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى، و للحارث بن حرب ابن أمية. قال: و يحك فاهتف باسم الرجلين و اذكر ما بينك و بينهما.

قال: ففعلت، و خرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما، و يذكر أن بينه و بينكما جوارا، قالا: و من هو؟ قال: سعد بن عبادة، قالا: صدق و الله، إن كان ليجيز لنا تجارنا و يمنعهم

---

(۱) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۱۸۱)، فتح البارى لابن حجر (۳/ ۲۶۲).

(۲) تنطس القوم: تنطس عن الأخبار أى بحث و كل مبالغ فى شىء متنطس و تنطست الأخبار تجسستها. انظر: اللسان (مادة تنطس).

(۳) النسع: هو سير يضفر على هيئة لأعنة النعال تشد به الرحال، و الجمع أنساع و نسوع و نسع، و القطعة منه نسعة، و قيل: هو سير مضفور يجعل زماما و غيره و قد تنسج عريضة تجعل على صدور البعير. انظر: اللسان (مادة نسع).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۷۰

أن يظلموا ببلده، قال: فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم، و كان الذى لكم سعدا سهيل ابن عمرو «۱».

قال ابن هشام: و الذى أوى له أبو البحترى بن هشام.

قال ابن إسحاق «۲»: فكان أول شعر قيل فى الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب ابن مرداس «۳»، أخو بنى محارب بن فهر. قال:

تداركت سعدا عنوة فأخذته و كان شفاء لو تداركت منذرا

و لو نلته طلت هناك جراحه و كان حقيقا أن يهان و يهدرا فأجابه حسان بن ثابت «۴» فقال:

و لست إلى عمرو و لا المرء منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

فلو لا أبو وهب لمرت قصائد على شرف البرقاء يهوين حسرا

أ تفخر بالكتان لما لبسته و قد تلبس الأنباط ريطا مقصرا

فلا تک كالوسنان يحلم أنهبقرية كسرى أو بقرية قيصرا

و لا تک كالثكلى و كانت بمعزلعن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا

و لا تک كالشاة التى كان حتفهابحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

و لا تک كالعاوى فأقبل نحرهو لم يخشه سهم من النبل مضمرا

فإنا و من يهدى القصائد نحوناكمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا قال «۵»: فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام، و فى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم: عمرو بن الجموح، و كان ابنه معاذ شهد العقبة و بايع بها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان عمرو سيدا من سادات بنى سلمة، و شريفا من أشرافهم، و كان

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۴، ۴۴۹)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۴۶۰، ۴۶۲)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۴۵)، مستدرک الحاكم (۳/ ۲۵۲).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۵۸- ۵۹).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۲۶۰)، الإصابة الترجمة رقم (۴۱۹۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۵۶۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۷۱)، الثقات (۳/ ۲۰۰)، الوافى بالوفيات (۱۶/ ۳۶۳)، تاريخ بغداد (۱/ ۲۰۰).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب (۱/ ۴۰۰) الترجمة رقم (۵۲۵)، الإصابة الترجمة رقم (۱۷۰۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۱۵۳).

(۵) انظر: السيرة (۲/ ۶۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۷۱

قد اتخذ فى داره صنما من خشب، يقال له: مناة، كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذه إلها يعظمه، و يطهره، فلما أسلم فتيان بنى سلمة، ابنه معاذ، و معاذ بن جبل فى فتيان منهم ممن أسلم و شهد العقبة، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلک، فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة، و فيها عذر الناس، منكسا على رأسه.

فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم، من عدا على آلهتنا هذه الليلة، ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسله و طهره و طيبه، ثم قال: أما و الله، لو أعلم من فعل بک هذا لأخزيته، فإذا أمسى و نام عمرو، عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلک، فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله و يطهره و يطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلک، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما، فغسله و طهره و طيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال له: إنى و الله ما أعلم من يصنع بک ما ترى، فإن كان فيک خير فامتنع فهذا السيف معک، فلما أمسى و نام عمرو، عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس، و غدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه.

فخرج يتتبعه حتى وجده فى تلک البئر منكسا مقرونا بكلب ميت، فلما رآه أبصر شأنه، و كلمه من أسلم من قومه فقال حين أسلم و عرف من الله ما عرف يذكر صنمه ذلک، و ما أبصره من أمره، و يشكر الله الذى أنقذه مما كان فيه من العمى و الضلالة:

و الله لو كنت إلها لم تكنأنت و كلب وسط بئر فى قرن «۱»

أف لملقاک إلها مستدنالآن فتشناک من سوء الغبن «۲»

الحمد لله العلى ذى المننالواهب الرزاق ديان الدين

هو الذى أنقذنى من قبل أنأكون فى ظلمة قبر مرتهن قال ابن إسحاق «۳»: و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب و لم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله تبارک و تعالى، و الصبر على الأذى و الصفح عن الجاهل، فكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه حتى فتنوهم عن دينهم و نفوهم

(۱) القرن: بفتح القاف و الراء، قيل: هو شيء من لحاء شجر يفتل منه حبل، و قيل: الحبل من اللحاء، و قيل: هو الخصلة المفتولة من العهن.

(۲) مستدن: أى ذليل مستبعد، و قال السهيلى فى الروض الأنف: هو من السدانة و هى خدمة البيت. و الغبن: يكون فى الرأى تقول غبن رأى فلان كما تقول سفهت نفس فلان.

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۷۴- ۷۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۷۲

عن بلادهم، فهم من بين مفتون فى دينه و بين معذب فى أيديهم و بين هارب فى البلاد، منهم بأرض الحبشة، و منهم بالمدينة و فى كل وجه.

فلما عتت قريش على الله وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، و كذبوا نبيه و عذبوا و نفوا من عبده و وحده و صدق نبيه و اعتصم بدينه، أذن الله تبارك و تعالى لرسوله صلى اللّه عليه و سلم فى القتال و الامتناع و الانتصار ممن ظلمهم و بغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت فى إذنه فى الحرب و إحلاله له الدماء و القتال لمن بغى عليهم، فيما بلغنى عن عروة بن الزبير، و غيره من العلماء «۱»، قول الله تبارك و تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: ۳۹، ۴۱].

ثم أنزل الله عليه: وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ [البقرة: ۱۹۳] أى و حتى يعبد الله لا يعبد غيره.

بدء الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق «۲»: فلما أذن الله تبارك و تعالى لرسوله فى الحرب، و بايعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام و النصرة له و لمن اتبعه و أوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أصحابه من قومه و من معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة و الهجرة إليها و اللحوق بإخوانهم من الأنصار، و قال: إن الله قد جعل لكم إخوانا و دارا تأمنون بها، فخرجوا أرسالا و أقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة و الهجرة إلى المدينة «۳».

فكان أول من هاجر إليها من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من قريش من بنى مخزوم: أبو

(۱) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۳۱۷۱)، سنن النسائى الكبرى (۶/ ۴۱۱)، المستدرك للحاكم (۲/ ۶۶)، تفسير ابن كثير (۵/ ۴۳۰).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۷۷).

(۳) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۶۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۷۳

سلمة بن عبد الأسد «۱»، هاجر إليها قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، و كان قدم مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش و بلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا «۲».

قالت أم سلمة: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لى بعيره ثم حملنى عليه و حمل معى ابنى سلمة فى حجرى، ثم خرج بى

يقود بعيره، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أ رأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد؟! قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه، و غضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، فقالوا: لا و الله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. فتجاذبوا بنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده! و انطلق به بنو عبد الأسد، و حبسنى بنو المغيرة عندهم، و انطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، ففرق بينى و بين زوجى و بين ابنى، فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكى حتى أمسى، سنة أو قريبا منها. حتى مر بى رجل من بنى عمى فرأى ما بى فرحمنى فقال لبنى المغيرة: أ لا تحرجون من هذه المسكينة! فرقتم بينها و بين زوجها و بين ولدها.

فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت. ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابنى، فارتحلت بعيرى ثم أخذت بنى فوضعته فى حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة و ما معى أحد من خلق الله، قلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى.

حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة «۳»، أخا بنى عبد الدار، فقال: إلى أين يا بنت أبى أمية؟ قلت: أريد زوجى بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت:

لا و الله، إلا الله و بنى هذا! قال: و الله مالك من مترك. فأخذ بخطام البعير يقودنى معه يهوى بى، فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۰۴۳)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۰۴۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۹۷۸)، تهذيب الكمال (۱۶۱۰)، تقريب التهذيب (۲/ ۴۳۰)، تهذيب التهذيب (۱۲/ ۱۱۵).

(۲) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۲۶۸)، تاريخ الطبرى (۱/ ۵۶۵).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۷۹۰)، الإصابة الترجمة رقم (۵۴۵۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۵۸۰)، الثقات (۳/ ۲۶۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۷۳)، تقريب التهذيب (۲/ ۱۰)، تهذيب التهذيب (۷/ ۱۲۴)، تهذيب الكمال (۲/ ۹۱۰)، الجرح و التعديل (۶/ ۱۰۵۵)، سير أعلام النبلاء (۳/ ۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱،ص:۲۷۴

المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فرحله ثم استأخر عنى فقال: اركبى، فإذا ركبت و استويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة، فلما نظرنا إلى قرية بنى عمرو بن عوف و كان أبو سلمة بها، قال: زوجك فى هذه القرية فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعا إلى مكة، فكانت أم سلمة تقول: ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، و ما رأيت صاحبا كان أكرم من عثمان بن طلحة «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة، عامر بن ربيعة «۳» حليف بنى عدى بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم «۴»، ثم عبد الله بن جحش بن رئاب من بنى غنم بن ذودان بن أسد بن خزيمة حليف بنى أمية ابن عبد شمس، احتمل بأهله و بأخيه أبى أحمد [عبد] «۵» بن جحش «۶»، و كان أبو أحمد رجلا ضرير يطوف مكة أعلاها و أسفلها بغير قائد، و كان شاعرا و كانت عنده الفرعة بنت أبى سفيان بن حرب، و كانت أمه أميمة بنت عبد المطلب.

فغلقت دار بنى جحش هجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة و العباس بن عبد المطلب و أبو جهل بن هشام فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يبابا ليس فيها ساكن، فتنفس الصعداء ثم قال:

و كل دار و إن طالت سلامتهايوما ستدركها النكباء و الحوب و لما خرج بنو جحش من دارهم عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة أخى بنى عامر بن لؤىّ، فذكر ذلك عبد الله بن جحش، لما بلغه لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم،

(۱) ذکر هذه القصة ابن حجر فی الإصابة (۸/ ۲۴۰)، البخاری فی التاریخ الکبیر (۴/ ۸۰).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۷۷- ۷۹).

(۳) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۳۳۵)، الإصابة الترجمة رقم (۴۳۳۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۶۹۳)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۲۸۴).

(۴) انظر ترجمتها فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۳۵۱۶)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۷۱۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۷۲۶۱).

(۵) ما بین المعقوفتین ورد فی الأصل: «عبید»، و التصحیح من السیرة، و الاستیعاب.

(۶) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۳۸۸، ۲۸۶۰)، الإصابة الترجمة رقم (۹۵۰۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۶۶۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۷۵

فقال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أ لا ترضی یا عبد الله أن یعطیک الله بها دارا فی الجنة خیرا منها؟» قال: بلی. قال: «فذلک لک».

فلما افتتح رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مکة کلمة أبو أحمد فی دارهم، فأبطأ علیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فقال الناس لأبی أحمد: یا أبا أحمد، إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یکره أن ترجعوا فی شیء أصیب منکم فی الله. فأمسک عن کلام رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و کان بنو غنم بن ذودان أهل الإسلام قد أوعبوا إلی المدینة مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم هجرة رجالهم و نساءهم، فقال أبو أحمد بن جحش یذکر هجرة بنی أسد بن خزیمة من قومه إلی الله تبارک و تعالی و إلی رسوله، و إیعابهم فی ذلک حین دعوا إلی الهجرة:

و لو حلفت بین الصفا أم أحمدو مروتها بالله برت یمینها

لنحن الأولی کنا بها ثم لم نزلبمکة حتی عاد غثا سمینها

بها خیمت غنم بن ذودان و ابتنتو ما أرعدت غنم و خف قطینها

إلی الله تعدو بین مثنی و واحدو دین رسول الله بالحق دینها و قال أبو أحمد أیضا:

و لما رأتنی أم أحمد غادیابذمة من أخشی بغیب و أرهب

تقول فإما کنت لا بد فاعلافیمم بنا البلدان و لتنأ یثرب

فقلت لها ما یثرب بمظنةو ما یشأ الرحمن فالعبد یرکب

إلی الله وجهی و الرسول و من یقمإلی الله یوما وجهه لا یخیب

فکم قد ترکنا من حمیم مناصحو ناصحة تبکی بدمع و تندب

یری أن وترا نأینا عن بلادناو نحن نری أن الرغائب نطلب «۱»

دعوت بنی غنم لحقن دمائهمو للحق لما لاح للناس ملحب

أجابوا بحمد الله لما دعاهمإلی الحق داع و النجاح فأوعبوا

و کنا و أصحابا لنا فارقوا الهدیأعانوا علینا بالسلاح و أجلبوا «۲»

کفوجین أما منهما فموفقعلی الحق مهدی و فوج معذب

طغوا و تمنوا کذبة و أزلهمعن الحق إبلیس فخابوا و خیبوا

(۱) الوتر: طلب الثأر، يريد أنه يستحق أن يطالبوا مخرجهم به. النأى: البعد. الرغائب: جمع رغيبة، و هى من العطاء الكثير.

(۲) أجلبوا: يروى بالجيم و بالحاء المهملة فمن رواه بالحاء المهملة فمعناه أعانوا، و من واه بالجيم فمعناه أحدثوا جلبه و هى الصياح.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۷۶ و رغنا إلى قول النبىّ محمدفطاب ولاة الحق منا و طيبوا

نمت بأرحام إليهم قريبةو لا قرب بالأرحام إذ لا تقرب

فأى ابن أخت بعدنا يأمننكمو أية صهر بعد صهرى يرقب

ستعلم يوما أينا إذ تزايلواو زيل أمر الناس للحق أصوب ثم خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و عياش بن أبى ربيعة المخزومى «۱»، حتى قدما المدينة.

قال عمر رضى الله عنه: لما أردنا الهجرة إلى المدينة اتعدت أنا و عياش بن أبى ربيعة، و هشام بن العاص التناضب من أضاة بنى غفار «۲» فوق سرف، و قلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه. فأصبحت أنا و عياش عندها و حبس عنا هشام و فتن فافتتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا بقباء، و خرج أبو جهل و الحارث أخوه إلى عياش، و كان ابن عمهما و أخاهما لأمهما حتى قدما علينا فقالا له: إن أمك نذرت أن لا تمس رأسها بمشط حق تراك و لا تستظل من شمس حتى تراك.

فرق لها، فقلت له: يا عياش، و الله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فو الله لو قد آذى أمك لامتشطت! و لو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. فقال: أبر قسم أمى، ولى هناك مال فآخذه.

قلت: و الله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالى و لا تذهب معهما.

فأبى على إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه فإنها نجيبة ذلول، فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: و الله يا أخى لقد استغلظت بعيرى هذا أ فلا تعقبنى على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ و أناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ثم دخلا به مكة، و فتناه فافتتن!.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۰۳۲)، الإصابة الترجمة رقم (۶۱۳۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۱۴۵).

(۲) أضاة بنى غفار: الإضاءة الماء المستنقع من سيل، و يقال: هو مسيل الماء إلى الغدير، و غفار قبيلة من كنانة على عشرة أميال من مكة. انظر: معجم البلدان (۱/ ۲۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۷۷

و فى غير حديث عمر أنهما دخلا به مكة نهارا موثقا ثم قالا: يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا «۱».

قال عمر رضى الله عنه، فى حديثه: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفا و لا عدلا و لا توبة، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم و كانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة أنزل الله تبارك و تعالى، فيهم و فى قولنا و قولهم لأنفسهم: يا عِبادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَ أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ [الزمر: ۵۳] «۲».

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: فكتبتها بيدى فى صحيفة و بعثت بها إلى هشام ابن العاص، قال: فقال هشام: لما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه و أصوب و لا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها. فألقى الله فى قلبى أنها إنما نزلت فينا و فيما كنا نقول فى أنفسنا و يقال فينا. فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه، فلحقت برسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة. هذا ما ذكر ابن إسحاق فى شأن هشام.

و ذكر ابن هشام عمن يثق به «۳» أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال و هو بالمدينة: من لى بعياش ابن أبى ربيعة، و هشام بن العاص؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما. فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيا، فلقى امرأة تحمل طعاما، فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ فقالت: أريد هذين المسجونين تعنيهما، فتبعها حتى عرف موضعيهما، و كانا محبوسين فى بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك.

ثم حملهما على بعيره و ساق بهما فعثر فدميت إصبعه فقال:

هل أنت إلا إصبع دميتو فى سبيل الله ما لقيت

---

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۸۲).

(۲) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۲/ ۴۳۵)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۴)، دلائل النبوة (۲/ ۱۴۶)، تفسير الطبرى (۲۴/ ۱۱)، طبقات ابن سعد (۳/ ۲۷۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۶۱)، كشف الأستار (۲/ ۳۷۰).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۷۸

ثم قدم بهما المدينة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «۱».

ثم تتابع المهاجرون أرسالا، فنزل طلحة بن عبيد الله و صهيب بن سنان على خبيب ابن إساف. بالسبخ، و يقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة.

قال ابن هشام «۲»: و ذكر لى أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا و بلغت الذى بلغته، ثم تريد أن تخرج بمالك و نفسك! و الله لا يكون ذلك.

فقال لهم صهيب: أ رأيتم إن جعلت لكم مالى أ تخلون سبيلى؟ قالوا: نعم. قال: فإنى قد جعلت لكم مالى. فبلغ ذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب» «۳»!.

قال ابن إسحاق «۴»: و أقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين، ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة، و لم يتخلف معه أحد بمكة من المهاجرين، إلا من حبس أو فتن، إلا على بن أبى طالب و أبو بكر الصديق، و كان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الهجرة فيقول له: لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبا. فيطمع أبو بكر أن يكونه «۵».

و لما رأت قريش أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد كانت له شيعة و أصحاب من غيرهم بغير بلدهم، و رأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا و أصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و عرفوا أنه مجمع لحربهم، فاجتمعوا له فى دار الندوة، و هى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها، يتشاورون ما يصنعون فى أمره.

فاعترض لهم إبليس فى هيئة شيخ جليل عليه بت «۶»، فوقف على باب الدار فى

---

(۱) ذكره ابن حجر فى فتح البارى (۱/ ۵۵۷)، و قال: من زيادات ابن هشام فى السيرة.

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۸۴).

(۳) انظر الحديث فى: الحلية لأبى نعيم (۱/ ۱۵۱، ۱۵۳)، مستدرك الحاكم (۳/ ۳۹۸)، طبقات ابن سعد (۳/ ۲۲۷، ۲۲۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۷۳، ۱۷۴)، المطالب العالية لابن حجر (۳/ ۳۵۵۲).

(۴) انظر: السيرة (۲- ۸۷).

(۵) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۶۲)، و قال: رواه الطبرانى و فيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقى ضعفه أبو حاتم.

(۶) بت: بفتح الباء و تشديد التاء، الكساء الغليظ من صوف جيد أو خز يلبس كالعباءة و يدل على المكانة و الشرف، و جمعه بتوت.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۲۷۹

اليوم الذى اتعدوا له، و يسمى يوم الزحمة، فلما رأوه واقفا على بابها قالوا: من الشيخ؟

قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون و عسى أن لا يعدمكم منه رأيا و نصحا قالوا: أجل، فادخل. فدخل معهم و قد اجتمع فيها أشراف قريش و غيرهم.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، و إنا و الله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، فتشاوروا ثم قال قائل: احبسوه فى الحديد و أغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيرا و النابغة و من مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ النجدى: لا و الله، ما هذا لكم برأى، و الله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه. فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره.

فتشاوروا ثم قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فو الله ما نبالى أين ذهب و لا حيث وقع إذا غاب عنا و فرغنا منه فأصلحنا أمرنا و ألفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدى: لا و الله، ما هذا لكم برأى، أ لم تروا حسن حديثه و حلاوة منطقه و غلبته على قلوب الرجال لما يأتى به؟! و الله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من أحياء العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله و حديثه حتى يتابعوه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأيا غير هذا، فقال أبو جهل: و الله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: و ما هو يا أبا الحكم، قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدى: القول ما قاله الرجل، هو الرأى لا رأى غيره. فتفرق القوم على ذلك و هم مجمعون له. فأتى جبريل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه، فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۲۸۰

حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: نم على فراشى و تسج بردى هذا الحضرمى الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم. و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ينام فى برده ذلك إذا نام «۱».

فاجتمعوا له و فيهم أبو جهل، فقال و هو على بابه: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب و العجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، و إن لم تفعلوا كان لكم فيه ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها! و خرج عليهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال: نعم، أنا الذى أقول ذلك، أنت أحدهم.

و أخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، و جعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم و هو يتلو هؤلاء الآيات: يس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إلى قوله تعالى: وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ [يس: ۹].

حتى فرغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من هؤلاء الآيات و لم يبق منهم رجل إلا و قد وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث

أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال:

ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدا. قال: خيبكم الله! قد و الله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا، و انطلق لحاجته، أ فلا ترون ما بكم؟!

فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا برد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيقولون: و الله، إن هذا لمحمد نائما عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام على عن الفراش، فقالوا: و الله لقد صدقنا الذى كان حدثنا «۲».

فكان مما أنزل الله من القرآن فى ذلك اليوم و ما كانوا أجمعوا له قول الله سبحانه:

وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ [الأنفال: ۳۰] «۳».

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۶۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۷۶)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲۱۲).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۷۷)، فتح القدير للشوكانى (۴/ ۵۱۰).

(۳) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۴۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۷/ ۲۷)، مستدرك الحاكم (۳/ ۴).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱، ص: ۲۸۱

و أذن الله تبارك و تعالى، عند ذلك لنبيه فى الهجرة.

ذكر الحديث عن خروج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبى بكر الصديق رضى الله عنه مهاجرين إلى المدينة

حدث «۱» عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار، إما بكرة و إما عشية، حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله فى الهجرة و الخروج من مكة من بين ظهرانى قومه، أتانا بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم هذه الساعة إلا من حدث.

فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ليس عند أبى بكر إلا أنا و أختى أسماء، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أخرج عنى من عندك. فقال: يا نبى الله، إنما هما ابنتاى، و ما ذاك فداك أبى و أمى؟.

فقال: «إن الله قد أذن لى فى الخروج و الهجرة». فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، قال: «الصحبة». قالت: فو الله ما شعرت قط قبل ذلك أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ!.

ثم قال: يا نبى الله، إن هاتين الراحلتين قد كنت أعددتهما لهذا. و كان أبو بكر رجلا ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الهجرة، فقال له: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا»، قد طمع بأن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إنما يعنى نفسه، فابتاع راحلتين، فحبسهما فى داره يعلفهما إعدادا لذلك.

و استأجر عبد الله بن أريقط رجلا من بنى الديل بن بكر و كان مشركا، يدلهما الطريق، و دفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق «۲»: و لم يعلم بخروج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين خرج أحد، إلا على بن أبى طالب، و أبو بكر الصديق، و آل أبى بكر. أما على فإن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أخبره بخروجه، و أمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الودائع التى كانت

---

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۹۱).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۸۲

عنده للناس، و لم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه و أمانته.

فلما أجمع عليه السلام الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة «۱» لأبى بكر فى ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثور، جبل بأسفل مكة، فدخلاه.

و أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارا ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر، فكان يفعل ذلك، و أمر عامر بن فهيرة «۲» مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار، فكان عامر يرعى رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما، فاحتلبا و ذبحا، فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة، تبع عامر أثره بالغنم حتى يعفى عليه، و كانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام بما يصلحهما.

و ذكر ابن هشام «۳» عن الحسن بن أبى الحسن قال: انتهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبو بكر إلى الغار ليلا فدخل أبو بكر قبله فلمس الغار لينظر فيه سبع أو حية، يقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنفسه «۴».

و لما فقدت قريش رسول الله صلى اللّه عليه و سلم طلبوه بمكة أعلاها و أسفلها، و بعثوا القافة يتبعون أثره فى كل وجه، فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هناك، فلم يزل يتبعه حتى انقطع له لما انتهى إلى ثور. و شق على قريش خروج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عنهم، و جزعوا لذلك، فطفقوا يطلبونه بأنفسهم فيما قرب منهم، و يرسلون من يطلبه فيما بعد عنهم، و جعلوا مائة ناقة لمن رده عليهم، و لما انتهوا إلى فم الغار، و قد كانت العنكبوت ضربت على بابه بعشاش بعضها على بعض، بعد أن دخله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما ذكروا، قال قائل منهم:

ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: و ما أربكم إلى الغار؟ إن عليه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد!.

---

(۱) خوخة: هى الكوة فى الجدار تؤدى الضوء، و قيل: هى باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب. انظر: اللسان (مادة خوخ).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۳۴۶)، الإصابة الترجمة رقم (۴۴۳۳)، تلقيح المقال (۲/ ۶۰۵۹).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۹۲- ۹۳).

(۴) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۱۸۰)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۲۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۸۳

قالوا: فنهى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم يومئذ عن قتل العنكبوت، و قال: «إنها جند من جنود الله» «۱».

و خرج أبو بكر البزار فى مسنده من حديث أبى مصعب المكى، قال: أدركت زيد ابن أرقم، و المغيرة بن شعبة، و أنس بن مالك، يحدثون: أن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لما كان ليلة بات فى الغار، أمر الله تبارك و تعالى شجرة فنبتت فى وجه الغار فسترت وجه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و أمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار، و أمر الله عز و جل، حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار، و أتى المشركون من كل بطن حتى إذا كانوا من النبىّ صلى اللّه عليه و سلم على قدر أربعين ذراعا، معهم قسيهم و عصيهم، تقدم رجل منهم فنظر فرأى الحمامتين، فرجع فقال لأصحابه: ليس فى الغار شيء، رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد.

فسمع قول النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فعرف أن الله قد درأ بهما عنه، فشمت عليهما و فرض جزاءهما، و اتخذت فى حرم الله ففرخن. أحسبه قال: فأصل كل حمام فى الحرم من فراخهما.

و ذكر قاسم بن ثابت فيما تولى شرحه من الحديث أن الله أنبت الراءة على باب الغار لما دخله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أبو بكر رضى الله عنه، قال: و هى شجرة معروفة. قال غيره: تكون مثل قامة الإنسان، و لها زهر أبيض تحشى به المخاد للينه و خفته.

و حكى الواقدى: أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما دخل الغار، دعا بشجرة كانت أمام الغار، فأقبلت حتى وقفت على باب الغار، فحجبت أعين الكفار و هم يطوفون فى الجبل.

و قال أبو بكر لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم يومئذ: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه. فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما!» «۲».

و أقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبو بكر معه فى الغار ثلاثا، حتى إذا مضت الثلاثة و سكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذى استأجرا ببعيريهما، و أتتهما أسماء بنت أبى بكر بسفرتهما، و نسيت أن تجعل لها عصاما «۳»، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس

---

(۱) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (۳/ ۲۴۰).

(۲) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۳۰۹۶)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۴)، طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۱۲۳)، الدر المنثور للسيوطى (۳/ ۲۴۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۲۶۱۴، ۳۲۵۶۸)، شرح السنة للبغوى (۱۳/ ۳۶۶)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۶۸، ۱۱۱)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۵۸۶۸).

(۳) العصام: الحبل أو شبهه يشد على فم المزادة و نحوها ليحفظ باقيها أو تعلق منها فى وتد.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۸۴

فيها عصام، فتحل نطاقها فتجعله عصاما، ثم تعلقها به، فكان يقال لها: ذات النطاق لذلك فيما ذكر ابن إسحاق «۱».

و أما ابن هشام «۲» فذكر أنها إنما يقال لها: ذات النطاقين، و هو المشهور عنها رضى الله عنها، و ذكر أنه سمع غير واحد من أهل العلم يفسره بأنها شقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحد و انتطقت بالآخر.

قال ابن إسحاق: فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قدم له أفضلهما، ثم قال: اركب فداك أبى و أمى.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: إنى لا أركب بعيرا ليس لى.

قال: فهى لك يا رسول الله بأبى أنت و أمى. قالا: لا، و لكن ما الثمن الذى ابتعتها به؟

قال: كذا و كذا. قال: قد أخذتها بذلك. فركبا و انطلقا، و أردف أبو بكر خلفه مولاه عامر بن فهيرة ليخدمهما فى الطريق «۳».

قال «۴»: فحدثت عن أسماء بنت أبى بكر قالت: لما خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل، فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبى بكر؟ قلت: لا أدرى و الله. فرفع أبو جهل يده و كان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى، ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، و إن الناس ليتبعونه يسمعون صوته و ما يرونه، حتى خرج من أعلى مكة و هو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه‌رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحاأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم و مقعدها للمؤمنين بمرصد قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أن وجهه إلى المدينة «۵».

---

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۹۳).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۹۳- ۹۴).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب الإجارة (۲۲۶۳)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۴۷۳، ۴۷۵).

(۴) انظر: السيرة (۲/ ۹۴).

(۵) انظر الحديث فى: الحاكم فى المستدرك (۳/ ۹، ۱۰)، ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۱۹۲- ۱۹۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۸۵

و عن غير ابن إسحاق و هو عندنا بالإسناد من طرق، أن أم معبد هذه امرأة من بنى كعب من خزاعة، و أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو و أبو بكر و مولاة عامر بن فهيرة و دليلهما الليثى عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية «۱» و كانت امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ثم تسقى و تطعم، فسألوها لحما و تمرا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، و كان القوم مرملين مسنتين، فنظر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى شاة فى كسر الخيمة فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت:

شاة خلفها الجهد عن المغنم. قال: «هل بها من لبن؟» قالت: هى أجهد من ذلك. قال:

«أ تأذنين أن أحلبها؟» قالت: نعم، بأبى أنت و أمى إن رأيت بها حلبا فاحلبها، فدعا بها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فمسح بيده ضرعها و سمى الله و دعا لها فى شاتها فتفاجت عليه و درت و اجترت، و دعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت و سقى أصحابه حتى رووا و شرب آخرهم، ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها و بايعها و ارتحلوا عنها.

فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد «۲» يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزلا ضخامهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب و قال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد؛ و الشاء عازب حيال و لا حلوب فى البيت؟ قالت: لا و الله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا و كذا. قال: صفيه لى يا أم معبد: قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم يعبه ثجلة و لم تزر به صعلة و سيم قسيم فى عينيه دعج و فى و عج و فى أشفاره غطف و فى عنقه سطع و فى صوته صحل و فى لحيته كثافة، أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار و إن تكلم سما و علاه البهاء، أجمل و أبهاه من بعيد و أحسنه و أجمله من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر و لا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا يائس من طول و لا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا و أحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله و إن أمر تبادروا لأمره محفود محشود لا عابس و لا مفند.

---

(۱) هى: عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة، أم معبد الخزاعية، و يقال: عاتكة بنت خالد بن مهاجرا. انظر ترجمتها فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۴۵۷)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۴۵۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۷۰۸۶).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۲۰۹)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۵۵۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۲۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۸۶

قال أبو معبد: هو و الله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، و لقد هممت أن أصحبه و لأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا «۱». و أصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت بمكة علا يسمعون الصوت و لا يدرون من صاحبه، و هو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزاءهرفيقين قالا خيمتى أم معبد

هما نزلاها بالهدى فاهتدت بهفقد فاز من أمسى رفيق محمد

فيا لقصى ما زوى الله عنكمبه من فعال لا تجارى و سؤدد

ليهن بنى كعب مقام فتاتهمو مقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها و إنائهافإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبتله بصريح ضرة الشاة مزبد

فغادرها رهنا لديها لحالبيرددها فى مصدر ثم مورد فلما سمع بذلك حسان بن ثابت جعل يجاوب الهاتف و يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهمو قدس من يسرى إليهم و يغتدى

ترحل عن قوم فضلت عقولهمو حل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهمو أرشدهم من يتبع الحق يرشد

و هل يستوى ضلال قوم تسكعواعمى و هداة يهتدى بمهتدى

لقد نزلت منهم على أهل يثربركاب هدى حلت عليهم بأسعد

نبى يرى ما لا يرى الناس حولهو يتلو كتاب الله فى كل مسجد

و إن قال فى يوم مقالة غائبفتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد

ليهن أبا بكر سعادة جدهبصحبته من يسعد الله يسعد و ذكر أبو منصور محمد بن سعد الماوردى بإسناد له إلى قيس بن النعمان قال: لما انطلق رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أبو بكر معه يستخفيان فى الغار فمرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن فقال: و الله ما لى شاة تحلب، غير أن هاهنا عناقا حملت أول الشاء. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ائتنا بها». فدعا لها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالبركة ثم حلب عسا فسقى أبا بكر، ثم حلب آخر فسقى الراعى، ثم حلب فشرب.

فقال العبد: من أنت؟ فو الله ما رأيت مثلك قط! فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أتراك إن

---

(۱) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (۱/ ۱/ ۱۵۵)، دلائل النبوة للبيهقى (۱/ ۲۷۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۵۶)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۱۵۹، ۱۸۶)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۵۹۴۳)، كنز العمال للمتقى الهندى (۴۶۳۰۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۸۷

حدثتك تكتم على؟» قال: نعم، قال: «فإنى محمد رسول الله». قال: أنت الذى تزعم قريش أنك صابئ؟ قال: «إنهم ليقولون ذلك».

قال العبد: فإنى أشهد أنك رسول الله، و أن ما جئت به الحق، و أنه ليس يفعل فعلك إلا نبى، ثم قال العبد: أتبعك؟ قال: «لا، حتى تسمع بنا أنا قد ظهرنا» «۱».

و خرج البرقانى فى مصافحته من حديث البراء بن عازب «۲» رضى الله عنهما، و أورده الإمامان البخارى و مسلم فى صحيحيهما من حديثه قال: اشترى أبو بكر رضى الله عنه، من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء أن يحمله إلى أهلى. فقال له عازب: حتى تحدثنى كيف صنعت أنت و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين خرجتما من مكة و المشركون يطلبونكم.

قال: ارتحلنا من مكة فأحثثنا يومنا و ليلتنا حتى أظهرنا و قام قائم الظهيرة، فرميت ببصرى هل أرى من ظل نأوى إليه، فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها، فنظرت بقية ظلها فسويته و فرشت لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم فروة و قلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع، ثم ذهبت أنظر ما حوله هل أرى من الطلب أحدا، فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذى أريد، يعنى الظل. فسألته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قال: فلان، رجل من قريش سماه، فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟

قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لى؟ قال: نعم، فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا، فضرب إحدى يديه على الأخرى فحلب لى كثبة من لبن و قد رويت معى لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانتهيت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قد استيقظ، قلت: يا رسول الله اشرب، فشرب حتى رضيت، و قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله، فارتحلنا و القوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم «۳»

على فرس له،

---

(۱) ذكره ابن حجر فى المطالب العالية (۴۲۹۵).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۷۴)، الإصابة الترجمة رقم (۶۱۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۸۹)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۲۷۲)، جمهرة أنساب العرب (۳۴۱)، العقد الفريد (۵/ ۲۸۲)، الوافى بالوفيات (۱۰/ ۱۰۴)، مرآة الجنان (۱/ ۱۴۵)، تقريب التهذيب (۱/ ۹۴)، خلاصة تذهيب التهذيب (۴۶)، شذرات الذهب (۱/ ۷۷، ۷۸)، طبقات الفقهاء (۵۲)، تاريخ الطبرى (۱۰/ ۱۹۲).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۹۲۱)، الإصابة الترجمة رقم (۳۱۲۲)، أسد الغابة-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۸۸

فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، و بكيت، قال: «لا تحزن إن الله معنا!».

قال: فلما دنا فكان بيننا و بينه قدر رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب يا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد بلغنا، و بكيت، قال: «ما يبكيك؟» فقلت: أما و الله ما على نفسى أبكى، و لكنى أبكى عليك، فدعا عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اكفناه بما شئت»، فساخت فرسه فى الأرض إلى بطنها، فوثب عنها و قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه، فو الله لأعمين على من ورائى من الطلب، و هذه كنانتى فخذ منها سهما فإنك ستمر على إبلى و غنمى بمكان كذا و كذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا حاجة لى فى إبلك»، و دعا له، فانطلق راجعا إلى أصحابه. و فى حديث البخارى و مسلم: فجعل لا يلقى أحدا إلا قال: قد كفيتكم ما هنا. فلا يلقى أحدا إلا ردة. قال: و وفى لنا «۱».

و عن سراقة بن مالك بن جعشم فيما أورده ابن إسحاق «۲» قال: لما خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من مكة مهاجرا إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم. قال: فبينما أنا جالس فى نادى قومى أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال: و الله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفا، إنى لأراهم محمدا و أصحابه، قال: فأومأت إليه، يعنى أن أسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم. قال: لعله. ثم سكت.

فمكثت قليلا- ثم قمت فدخلت بيتى، ثم أمرت بفرسى فقيد لى إلى بطن الوادى و بسلاحى فأخرج لى من دبر حجرتى، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لامتى، ثم أخرجت قداحى، فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره: لا يضره. و كنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة، فركبت على أثره، فبينا فرسى يشتد بى عثر بى فسقطت عنه، فقلت: ما هذا؟! ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها

- الترجمة رقم (۱۹۵۵)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱۰)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۸۴)، تهذيب التهذيب (۳/ ۴۵۶)، تهذيب الكمال (۱/ ۴۶۶)، شذرات الذهب (۱/ ۳۵)، الأعلام (۳/ ۸۰)، الأنساب (۷/ ۱۱۶)، العقد الثمين (۴/ ۵۲۳).

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۲۴۶، ۵/ ۴)، صحيح مسلم (۲۳۱۰)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲، ۳)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۴/ ۳۲۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۷۸، ۴۸۵)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۵۲)، شرح السنة للبغوى (۱۳/ ۳۶۹)، الدر المنثور للسيوطى (۳/ ۲۳۹)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۸).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۹۶- ۹۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۸۹

فخرج السهم الذى أكره: لا يضره. فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت فى أثره، فبينا فرسى يشتد بى عثر بى فرسى و ذهبت يداه فى الأرض و

سقطت عنه، ثم انتزع یدیه من الأرض و تبعها دخان کالإعصار، فعرفت حین رأیت ذلک أنه قد منع منی و أنه ظاهر، فنادیت القوم: أنا سراقة بن جعشم، انظرونی أکلمکم، فو الله لا أریبکم و لا یأتیکم منی شیء تکرهونه.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لأبی بکر رضی الله عنه: «قل له: ما تبتغی؟» قال: تکتبوا لی کتابا یکون آیة بینی و بینک. قال: «اکتب یا أبا بکر».

فکتب لی کتابا فی عظم أو فی رقعة أو فی خرقة ثم ألقاه إلی، فأخذته فجعلته فی کنانتی، ثم رجعت فلم أذکر شیئا مما کان، حتی إذا کان فتح مکة علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و فرغ من حنین و الطائف خرجت و معی الکتاب لألقاه فلقیته بالجعرانة فدخلت فی کتیبة من خیل الأنصار فجعلوا یقرعوننی بالرماح و یقولون: إلیک إلیک ما ذا ترید؟، فدنوت من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو علی ناقته، و الله لکأنی أنظر إلی ساقه فی غرزه کأنها جمارة، فرفعت یدی بالکتاب ثم قلت: یا رسول الله هذا کتابک لی، أنا سراقة بن جعشم. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: یوم وفاء و بر ادن. فدنوت فأسلمت. ثم تذکرت شیئا أسأل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عنه فما أذکره، إلا أنی قلت: یا رسول الله الضالة من الإبل تغشی حیاضی و قد ملأتها لإبلی، هل لی من أجر فی أن أسقیها؟ قال: «نعم، فی کل ذات کبد حری أجر» «۱». ثم رجعت إلی قومی فسقت إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صدقتی.

و فی حدیث آخر عن غیر ابن إسحاق أن سراقة بن مالک بن جعشم هذا کان شاعرا مجیدا، و أنه قال یخاطب أبا جهل بن هشام بعد انصرافه عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

أبا حکم و الله لو کنت شاهدالأمر جوادی إذ تسوخ قوائمه

علمت و لم تشکک بأن محمدارسول ببرهان فمن ذا یقاومه

علیک بکف القوم عنه فإننیأری أمره یوما ستبدو معالمه

بأمر یود الناس فیه بأسرهمبأن جمیع الناس طرا یسالمه و ذکر ابن إسحاق من روایة یونس بن بکیر عنه شعرا نسبه إلی أبی بکر الصدیق

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۴/ ۱۷۵)، سنن ابن ماجه (۳۶۸۶)، مستدرک الحاکم (۳/ ۶۱۹)، مسند الحمیدی (۹۰۲)، مجمع الزوائد للهیثمی (۳/ ۱۳۱)، و قال: رواه أحمد و رجاله ثقات.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۹۰

رضی الله عنه یذکر فیه مسیره مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و قصة الغار و أمر سراقة، و هو:

قال النبیّ و لم یجزع یوقرنیو نحن فی سدفة من ظلمة الغار

لا تخش شیئا فإن الله ثالثناو قد توکل لی منه بإظهار

و إنما کید من تخشی بوادرهکید الشیاطین کادته لکفار

و الله مهلکهم طرا بما کسبواو جاعل المنتهی منهم إلی النار

و أنت مرتحل عنهم و تارکهمإما غدوا و إما مدلج ساری

و هاجر أرضهم حتی یکون لناقوم علیهم ذوو عز و أنصار

حتی إذا اللیل و ارتنا جوانبهو سد دون الذی نخشی بأستار

سار الأریقط یهدینا و أنیقهینعین بالقرم نعیا تحت أکوار

یعسفن عرض الثنایا بعد أطولهاو کل سهب رقاق الترب موار

حتی إذا قلت قد أنجدن عارضهامن مدلج فارس فی منصب وار

يردى به مشرف الأقطار معتزم كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى

فقال كروا فقلنا إن كرتنامن دونها لك نصر الخالق البارى

إن يخسف الأرض بالأحوى و فارسهفانظر إلى أربع فى الأرض غوار

فهيل لما رأى أرساغ مقربهقد سخن فى الأرض لم تحفر بمحفار

فقال هل لكم أن تطلقوا فرسىو تأخذوا موثقى فى نصح أسرار

و أصرف الحى عنكم إن لقيتهمو أن أعور منهم عين عوار

فادع الذى هو عنكم كف عدوتنايطلق جوادى و أنتم خير أبرار

فقال قولا رسول الله مبتهلايا رب إن كان منه غير إخفار

فنجه سالما من شر دعوتناو مهر مطلقا من كلم آثار

فأظهر الله إذ يدعو حوافرهو فاز فارسه من هول أخطار و سراقة بن مالك هذا الذى أظهر الله فيه هذا العلم العظيم من أعلام نبوة نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم، قد أظهر الله فيه أثرا آخر من الآثار الشاهدة له عليه السلام بأن الله أطلعه من الغيب فى حياته ما ظهر مصداقه بعد وفاته.

روى سفيان بن عيينة، عن أبى موسى، عن الحسن، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟!» «۱» قال: فلما أتى عمر رضى الله عنه، بسوارى كسرى و منطقته و تاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما.

---

(۱) انظر الحديث فى: إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۱۸)، كشفا الخفاء للعجلونى (۱/ ۶۷۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۹۱

و كان سراقة رجلا أزب كثير شعر الساعدين، و قال له: ارفع يديك فقل: الله أكبر! الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول: أنا رب الناس، و ألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيا من بنى مدلج!! و رفع بها عمر رضى الله عنه، صوته.

قال ابن إسحاق «۱»: و ذكر إسنادا رفعه إلى أسماء بنت أبى بكر، قالت: لما خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و خرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله، خمسة آلاف أو ستة، فدخل علينا جدى أبو قحافة و قد ذهب بصره، فقال: و الله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. فقلت: يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا. فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه ثم قال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، و فى هذا بلاغ لكم، و لا و الله ما ترك لنا شيئا، و لكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك «۲».

و ذكر ابن إسحاق الطريق التى سلك برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بأبى بكر الصديق رضى الله عنه دليلهما عبد الله بن أريقط، و المناقل التى سار بهما عليهما إلى أن قدم بهما قباء على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتد الضحى و كادت الشمس تعتدل «۳».

و قال غير ابن إسحاق: قدمها لثمان خلون من ربيع الأول.

و قال ابن الكلبى: خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول، و وصل المدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة منه. فالله تعالى أعلم.

و ذكر ابن إسحاق «۴»: من حديث عبد الرحمن بن [عويم] «۵» بن ساعدة، قال:

حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من مكة توكفنا قدومه، فكنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظره، فو الله

---

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۹۵- ۹۶).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۳۵۰)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۵۹).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۹۸- ۹۹).

(۴) انظر: السيرة (۲/ ۱۰۰).

(۵) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «عويمر»، و التصحيح من السيرة و الاستيعاب.

و انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۴۵۶)، الإصابة الترجمة رقم (۶۲۴۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۳۷۲)، التاريخ الكبير (۵/ ۳۲۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۹۲

ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلا دخلنا، و ذلك فى أيام حارة.

حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، و قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من يهود و قد رأى ما كنا نصنع و أنا ننتظر قدوم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء.

فخرجنا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو فى ظل نخلة و معه أبو بكر فى مثل سنه، و أكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل ذلك، و ركبه الناس، و ما يعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: فنزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما يذكرون على كلثوم بن هدم «۳»، أخى بنى عمرو بن عوف. و يقال: بل نزل على سعد بن خيثمة.

و يقول من يذكر نزوله على كلثوم أنه صلى اللّه عليه و سلم كان إذا خرج من منزل كلثوم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة، لأنه كان عزبا لا أهل له، فمن هناك يقال: نزل عليه.

و كان يقال لبيت سعد: بيت العزاب، لأنه كان منزل المهاجرين منهم. فالله أعلم أى ذلك كان «۴».

و نزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه، على خبيب بن إساف «۵»، أحد بنى الحارث ابن الخزرج بالسنج، و يقال: على خارجة بن زيد بن أبى زهير «۶» منهم.

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار (۷/ ۲۸۱، ۲۸۲)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲۳۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۴۹۸، ۴۹۹)، شرح السنة للبغوى (۷/ ۱۰۹).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۱۰۰).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۲۳۷)، الإصابة الترجمة رقم (۷۴۵۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۴۹۴)، طبقات ابن سعد (۳/ ۲/ ۱۴۹)، تاريخ خليفة (۵۵)، الاستبصار (۲۹۳).

(۴) ذكره الطبرى فى تاريخه (۱/ ۵۷۱)، ابن كثير فى السيرة (۲/ ۲۷۰)، ابن سعد فى الطبقات (۱/ ۲۳۳).

(۵) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۶۵۱)، الإصابة الترجمة رقم (۲۲۲۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۴۱۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۵۶)، الاستبصار (۱۸۶)، تبصير المنتبه (۳/ ۹۲۷)، الطبقات الكبرى (۸/ ۳۶۰).

(۶) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۶۰۸)، الإصابة الترجمة رقم (۲۱۴۰)، أسد الغابة-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۹۳

و أقام علی بن أبی طالب بمکة ثلاث لیال و أیامها، حتی أدی عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الودائع التی کانت عنده للناس، حتی إذا فرغ منها لحق برسول الله صلی اللّه علیه و سلم فنزل معه. فکان علی رضی الله عنه، و إنما کانت إقامته بقباء لیلة أو لیلتین، یقول: کانت بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، فرأیت إنسانا یأتیها من جوف اللیل فیضرب علیها بابها فتخرج إلیه فیعطیها شیئا معه فتأخذه. قال: فاستربت شأنه، فقلت لها: یا أمة الله، من هذا الذی یضرب علیک بابک کل لیلة فتخرجین إلیه فیعطیک شیئا لا أدری ما هو، و أنت امرأة مسلمة لا زوج لک؟ قالت:

هذا سهل بن حنیف، قد عرف أنی امرأة لا أحد لی، فإذا أمسی عدا علی أوثان قومه فکسرها ثم جاءنی بها فقال: احتطبی بهذا! فکان علی رضی الله عنه، یأثر ذلک فی أمر سهل بن حنیف، حین هلک عنده بالعراق «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: فأقام رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بقباء فی بنی عمرو بن عوف یوم الاثنین و الثلاثاء و الأربعاء و الخمیس، و أسس مسجدهم «۳»، ثم أخرجه الله تعالی، من بین أظهرهم یوم الجمعة. و بنو عمرو بن عوف یزعمون أنه مکث فیهم أکثر من ذلک، فالله أعلم.

فأدرکت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الجمعة فی بنی سالم بن عوف فصلاها فی المسجد الذی فی بطن الوادی، وادی رانوناء، فکانت أول جمعة صلاها بالمدینة «۴».

فأتاه عتبان بن مالک «۵»، و عباس بن عبادة بن نضلة «۶»، فی رجال من بنی سالم، فقالوا: یا رسول الله، صلی الله علیک، أقم عندنا فی العدد و العدة و المنعة. قال: «خلوا سبیلها فإنها مأمورة لناقته، فخلوا سبیلها».

- الترجمة رقم (۱۳۳۰)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۱۴۷)، سیر أعلام النبلاء (۴/ ۴۳۷، ۴۴۶)، روضات الجنات (۳، ۲۷۵)، الاستبصار (۱/ ۱۱۵)، الثقات (۳/ ۱۱۱).

(۱) ذکره الصالحی فی السیرة الشامیة (۳/ ۳۷۹)، ابن سید الناس فی عیون الأثر (۱/ ۳۱۲).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۱۰۲).

(۳) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری کتاب مناقب الأنصار (۳۹۳۲).

(۴) ذکره الطبری فی تاریخه (۲/ ۷)، ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۳/ ۲۱۳، ۲۱۴).

(۵) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۰۴۲)، الإصابة الترجمة رقم (۵۴۱۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۵۴۱).

(۶) انظر ترجمته فی: الاستیعاب (۱۳۸۵)، الإصابة الترجمة رقم (۲۵۲۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۷۹۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۹۴

فانطلقت حتی إذا وازنت دار بنی بیاسة تلقاه زیاد بن لبید و فروة بن عمرو، فی رجال من بنی بیاضة، فقالوا: یا رسول الله، هلم إلیها إلی العدد و العدة و المنعة. «قال:

خلوا سبیلها فإنها مأمورة، فخلوا سبیلها».

حتی إذا مرت بدار بنی ساعدة اعترضاه سعد بن عبادة و المنذر بن عمرو فی رجال منهم، فقالوا: یا رسول الله، هلم إلینا إلی العدد و العدة و المنعة، قال: خلوا سبیلها فإنها مأمورة، فخلوا سبیلها، فانطلقت حتی إذا وازنت دار بنی الحارث بن الخزرج اعترضاه سعد بن الربیع و خارجة بن زید بن أبی زهیر، و عبد الله بن رواحة فی رجال من بلحارث، فقالوا: یا رسول الله، هلم إلینا إلی العدد و العدة و المنعة. قال: خلو سبیلها فإنها مأمورة. فخلوا سبیلها، فانطلقت حتی إذا مرت بدار بنی عدی بن النجار و هم أخواله دنیا أم عبد المطلب، سلمی بنت عمرو إحدی نسائهم، اعترضاه سلیط بن قیس و أبو سلیط أسیرة بن أبی خارجة، فی رجال منهم، فقالوا: یا رسول الله، هلم إلی أخواله دنیا أم عبد المطلب، سلمی بنت عمرو إحدی نسائهم، اعترضاه سلیط بن قیس و أبو سلیط أسیرة بن أبی خارجة، فی رجال

منهم، فقـالوا: یا رسول الله، هلم إلی أخوالک إلی العـدد و العـدة و المنعـة. قال. «خلوا سبیلها»، حتی إذا أتت دار بنی مالک بن النجار برکت علی باب مسجده، و هو یومئذ مربد لغلامین یتیمین من بنی مالک بن النجار، فی حجر معاذ بن عفراء، فلما برکت و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علیها لم ینزل و ثبت، فسارت غیر بعید، و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم واضع لها زمامها لا یثنیها به، ثم التفتت خلفهـا فرجعت إلی مبرکهـا أول مرة فبرکت فیه، ثم تحلحلت و رزمت و وضـعت جرانهـا، فنزل عنها رسول الله صـلی اللّه علیه و سـلم فاحتمل أبو أیوب رحله فوضعه فی بیته.

و نزل علیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی بنی مسجده و مساکنه، و سأل عن المربد لمن هو؟

فقال له معاذ بن عفراء: هو یا رسول الله لسـهل و سـهیل ابنی عمرو، و هما یتیما له و سأرضـیهما منه، فاتخذه مسجدا، فأمر به رسول الله صلی اللّه علیه و سـلم أن یـا بنی، و عمل فیه رسول الله صـلی اللّه علیه و سـلم لیرغب المسـلمین فی العمل فیه، فعمل فیه المهاجرون و الأنصار و دأبوا «۱».

فقال قائل من المسلمین:

لئن قعدنا و النبیّ یعمل لذاک منا العمل المضلل و حدث «۲» أبو أیوب قال: لما نزل علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی بیتی نزل فی السفل و أنا

---

(۱) انظر الحـدیث فی: صـحیح البخاری کتاب مناقب الأنصار (۳۹۰۶)، صـحیح مسلم کتاب الجهاد (۳/ ۱۲۹)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۳۸۱)، سنن أبی داود حدیث رقم (۴۵۳). سنن ابن ماجه (۷۴۲).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۱۰۶- ۱۰۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۲۹۵

و أم أیوب فی العلو، فقلت له: یـا نبی الله بـأبی أنت و أمی! إنی لأـکره و أعظم أن أکون فوقـک و تکون تحتی، فـاظهر أنت فکن فی العلو و ننزل نحن فنکون فی السفل. فقال: «یا أبا أیوب، إن أرفق بنا و بمن یغشانا أن تکون فی سفل البیت» «۱».

فلقد انکسـر حب لنا فیه ماء، فقمت أنا و أم أیوب بقطیفة ما لنا لحاف غیرها ننشف بها الماء، تخوفا أن یقطر علی رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم منه شیء فیؤذیه.

فکنا نصـنع له العشاء ثم نبعث به إلیه، فإذا رد علینا فضـله تیممت أنا و أم أیوب موضع یـده فأکلنا منه، نبتغی بذلک البرکة، حتی بعثنا إلیه بعشائه و قد جعلنا له فیه بصـلا أو ثوما، فرده رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم و لم أر لیده فیه أثرا، فجئته فزعا فقلت: یا رسول الله، بـأبی أنت و أمی رددت عشاءک و لم أر فیه موضع یـدک، و کنت إذا رددته علینا تیممت أنا و أم أیوب موضع یـدک نبتغی بـذلک البرکة. قال: إنی وجدت فیه ریح هذه الشجرة و أنا رجل أناجی، فأما أنتما فکلوه. فأکلناه و لم نصنع له تلک الشجرة بعد «۲».

قال ابن إسحاق «۳»: و تلاحق المهاجرون إلی رسول الله صـلی اللّه علیه و سـلم فلم یبق بمکـة منهم أحـد إلا مفتون أو محبوس، و لم یوعب أهـل هجرة من مکـة بأهلیهم و أموالهم إلی الله تبارک و تعالی و إلی رسوله صـلی اللّه علیه و سـلم، إلا أهل دور مسـمون، بنو مظعون من بنی جمـح، و بنو جحش ابن رئـاب، حلفـاء بنی أمیـة، و بنو البکیر من بنی سـعد بن لیث، حلفـاء بنی عـدی بن کعب، فإن دورهم غلقت بمکة هجرة، لیس فیها ساکن.

فأقام رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بالمدینة إذ قدمها شهر ربیع الأول إلی صفر من السنة الداخلة، بنی له فیها مسجده و مساکنه. قال: و کانت أول خطبة خطبها رسول الله صـلی اللّه علیه و سلم فیما بلغنی عن أبی سلمة بن عبد الرحمن، نعوذ بالله أن نقول علی رسول الله صلی اللّه علیه و سـلم ما لم یقل، أنه قام فیهم فحمد الله و أثنی علیه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أیها الناس، فقدموا لأنفسکم تعلمن و الله لیصـعقن أحـدکم ثم لیـدعن غنمه لیس لها راع، ثم لیقولن له ربه، لیس له ترجمان و لا حاجب یحجبه دونه: أ لم یأتک رسولی

فبلغك و آتيتك مالا و أفضلت عليك فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا و شمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقى وجهه من النار و لو بشق تمرة فليفعل، و من لم

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۴۱۵)، صحيح مسلم كتاب الفتن (۳/ ۱۷۱).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۰۱)، مستدرك الحاكم (۳/ ۴۶۰)، و رواه أبو بكر بن أبى شيبة و ابن أبى عاصم كما فى الإصابة (۱/ ۴۰۵).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۱۰۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۹۶

يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته» «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: ثم خطب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الناس مرة أخرى فقال: «إن الحمد لله أحمده و أستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادى له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك و تعالى، قد أفلح من زينه الله فى قلبه، و أدخله فى الإسلام بعد الكفر، فاختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث و أبلغه، أحبوا ما أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، و لا تملوا كلام الله و ذكره، و لا تقس عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار و يصطفى، فقد سماه الله خيرته من الأعمال و مصطفاه من العباد، و الصالح من الحديث و من كل ما أوتى الناس الحلال و الحرام، فاعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا و اتقوه حق تقاته، و اصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، و تحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده، و السلام عليكم» «۳».

قال ابن إسحاق «۴»: و كتب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتابا بين المهاجرين و الأنصار و ادع فيه يهود و عاهدهم و أقرهم على دينهم و أموالهم، و اشترط عليهم و شرط لهم «۵».

---

(۱) انظر ذكر أول خطبة للنبى صلى اللّه عليه و سلم فى: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۶۵)، تاريخ الطبرى (۲/ ۳۹۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۱۳).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۱۰۹).

(۳) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۲۱۴).

(۴) انظر: السيرة (۲/ ۱۰۹).

(۵) ذكر ابن هشام فى السيرة نص ما اشتراطه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم على المهاجرين و الأنصار، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب، و من تبعهم، فلحق بهم، و جاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، و هم يفدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون الأولى، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۹۷

- الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو النبت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و إن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل «و أن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، و إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، و إن أيديهم عليه جميعا، و لو كان ولد أحدهم، و لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، و لا ينصر كافر على مؤمن، و إن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، و إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، و إنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر و الأسوة، غير مظلومين و لا متناصرين عليهم، و إن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله، إلا على سواء و عدل بينهم، و إن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، و إن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله، و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى و أقومه، و إنه لا يجير مشرك مالا لقريش و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن، و إنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة، فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول، و إن المؤمنين عليه كافة، و لا يحل لهم إلا قيام عليه، و إنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة و آمن بالله و اليوم الآخر، أن ينصر محدثا و لا يؤويه، و أنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله و غضبه يوم القيامة، و لا يؤخذ منه صرف و لا عدل، و إنكم مهما اختلفتم فيه من شىء، فإن مرده إلى الله عز و جل، و إلى محمد صلى اللّه عليه و سلم، و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، و إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، و للمسلمين دينهم، مواليهم و أنفسهم، إلا من ظلم و أثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، و أهل بيته، و إن اليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم و أثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه و أهل بيته، و إن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، و إن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف، و إن البر دون الإثم، و إن موالى ثعلبة كأنفسهم، و إن بطانة يهود كأنفسهم، و إنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى اللّه عليه و سلم، و إنه لا ينحجز على ثار جرح، و إنه من فتك فبنفسه فتك، و أهل بيته، إلا من ظلم، و إن الله على أبر هذا و إن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم، و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، و إن بينهم النصح و النصيحة، و البر دون الإثم، و إنه لم يأثم امرؤ بحليفه، و إن النصر للمظلوم، و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، و إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، و إن الجار كالنفس غير مضار و لا آثم، و إنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، و إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۹۸

و آخى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار، فقال فيما بلغنا و نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تآخوا فى الله أخوين أخوين. ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى. فكان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، سيد المرسلين و إمام المتقين و رسول رب العالمين الذى ليس له خطير و لا نظير من العباد، و على بن أبى طالب أخوين.

ثم سمى ابن إسحاق نفرا ممن آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه و سلم من أصحابه تركنا ذكرهم اختصارا «۱».

قال: و هلك فى تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة، و المسجد يا بنى، أخذته الذبحة أو الشهقة، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بئس الميت أبو أمامة ليهود و لمنافقى العرب، يقولون:

لو كان نبيا لم يمت صاحبه! و لا أملك لنفسى و لا لصاحبى من الله شيئا» «۲».

و لما مات أبو أمامة اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان أبو أمامة نقيبهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هذا كان منا حيث قد علمت، فاجعل منا رجلا مكانه يقيم فى أمرنا ما كان يقيم. فقال لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أنتم أخوالى و أنا

أولى بكم، فأنا نقيبكم» «۳». و كره رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أن يخص بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بنى النجار الذى يعدون على قومهم أن كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نقيبهم.

- الله عز و جل، و إلى محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و إن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة و أبره، و إنه لا تجار قريش و لا من نصرها، و إن بينهم النصر على من دهم يثرب، و إذا دعوا إلى صلح يصالحونه و تلبسونه، فإنهم يصالحونه و يلبسونه، و إنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب فى الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم، و إن يهود الأوس، مواليهم و أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة».

قال ابن هشام: و يقال: مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن إسحاق: «و إن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، و إن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة و أبره، و إنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم و آثم، و إنه من خرج آمن، و من قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، و إن الله جار لمن بر و اتقى، و محمد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم».

انظر: السيرة (۲/ ۱۰۹- ۱۱۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۲۴، ۲۲۵)،

(۱) انظر السيرة (۲/ ۱۱۳- ۱۱۶).

(۲) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (۳۴۹۲)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۹۸)، مستدرك الحاكم (۴/ ۲۱۴).

(۳) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۱۸۶)، طبقات ابن سعد (۳/ ۶۱۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۲۹۹

قال ابن إسحاق «۱»: فلما اطمأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة و اجتمع إليه إخوانه من المهاجرين و اجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام فقامت الصلاة و فرضت الزكاة و الصيام، و قامت الحدود و فرض الحلال و الحرام و تبوأ الإسلام بين أظهرهم، و كان هذا الحى من الأنصار الذين تبوءوا الدار و الإيمان.

و قد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حين قدمها إنما يجتمع إليه الناس للصلاة فى حين مواقيتها بغير دعوة، فهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يجعل بوقا كبوق يهود الذى يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة.

فبيناهم على ذلك رأى عبد الله بن زيد أخو بلحارث بن الخزرج النداء، فأتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال له: يا رسول الله، إنه طاف فى هذه الليلة طائف، مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده، فقلت: يا عبد الله أ تبيع هذا الناقوس؟ قال: و ما تصنع به؟ قلت: ندعوا به إلى الصلاة. قال: أ فلا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: و ما هو؟ قال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتا منك».

فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب و هو فى بيته، فخرج إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو يجر رداءه و هو يقول: يا نبى الله و الذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «فلله الحمد» «۲».

و ذكر ابن هشام «۳» عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب بينا هو يريد أن يشترى خشبتين للناقوس عند ما ائتمر به النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه إذ رأى فى المنام أن لا تجعلوا الناقوس، بل أذنوا بالصلاة، فذهب عمر إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم ليخبره

بالذى رأى، فما راعه إلا

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۱۱۷).

(۲) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (۴۹۹)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۴۳)، السنن الكبرى للبيهقى (۱/ ۳۹۱)، سنن الدارمى (۱۱۸۷)، سنن الترمذى (۱۸۹)، سنن الدارقطنى (۱/ ۲۴۱)، تلخيص الحبير لابن حجر (۲/ ۲۰۸)، البخارى فى خلق أفعال العباد (ص ۴۸)، الإرواء للألبانى (۱/ ۲۶۵).

(۳) انظر: السيرة (۲/ ۱۱۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۰۰

بلال يؤذن، و قد جاء النبىّ صلى اللّه عليه و سلم الوحى بذلك. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين أخبره: «سبقك بذلك الوحى» «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: فلما اطمأنت برسول الله صلى اللّه عليه و سلم داره و أظهر الله بها دينه و سره بما جمع من المهاجرين و الأنصار من أهل ولايته.

قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس «۳»، أخو بنى عدى بن النجار، يذكر ما أكرمهم الله تبارك و تعالى، به من الإسلام، و ما خصهم به من نزول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عليهم:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجةيذكر لو يلقى صديقا مواتيا

و يعرض فى أهل المواسم نفسهفلم ير من يؤوى و لم ير داعيا

فلما أتانا أظهر الله دينهفأصبح مسرورا بطيبة راضيا

و ألفى صديقا و اطمأنت به النوىو كان له عونا من الله [هاديا] «*»

يقص لنا ما قال نوح لقومهو ما قال موسى إذ أجاب المناديا

فأصبح لا يخشى من الناس واحداقريبا و لا يخشى من الناس نائيا

بذلنا له الأموال من جل مالناو أنفسنا عند الوغى و التآسيا

و نعلم أن الله لا شىء غيرهو نعلم أن الله أفضل هاديا

نعادى الذى عادى من الناس كلهمجميعا و إن كان الحبيب المصافيا

أقول إذا أدعوك فى كل بيعةتباركت قد أكثرت لاسمك داعيا

أقول إذا جاوزت أرضا مخوفةحنانيك لا تظهر على الأعاديا

فطأ معرضا إن الحتوف كثيرةو إنك لا تبقى لنفسك باقيا

فو الله ما يدرى الفتى كيف يتقىإذا هو لم يجعل له الله واقيا

و لا تجعل النخل المقيمة ربهاإذا أصبحت ريا و أصبح ثاويا و كان أبو قيس هذا رجلا قد ترهب فى الجاهلية و لبس المسوح و فارق الأوثان و اغتسل من الجنابة و تطهر من الحائض من النساء و هم بالنصرانية، ثم أمسك عنها، و دخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخل عليه فيه طامث و لا جنب، و قال: أعبد رب

(۱) انظر الحديث فى: مصنف عبد الرازق (۱/ ۴۵۶).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۱۱۹).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۲۴۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۵۰۱)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۶۴)، الأعلام (۳۰/ ۲۰۳)، تبصرة المنتبه (۳/ ۹۹۸).

(*) ما بين المعقوفتين كذا فى الأصل و ورد فى السيرة «باديا».

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۰۱

إبراهيم. حتى قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة فأسلم و حسن إسلامه و هو شيخ كبير، و كان قوالا بالحق معظما لله فى جاهليته يقول فى ذلك أشعارا حسانا، هو الذى يقول «۱»:

يقول أبو قيس و أصبح غاديا ألا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا

أوصيكم بالله و البر و التقى و أعراضكم و البر بالله أول

و إن قومكم سادوا فلا تحسدنهم و إن كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا

و إن نزلت إحدى الدواهى بقومكم فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

و إن ناب غرم فادح فارفقوهم و ما حملوكم فى الملمات فاحملوا

و إن أنتم أمعرتم فتعففوا و إن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا «۲» و قال أبو قيس أيضا «۳»:

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه و كل هلال

عالم السر و البيان لدينا ليس ما قال ربنا بضلال

و له الطير تستدير و تأوى فى و كور من آمنات الجبال

و له الوحش بالفلاة تراها فى حقاف و فى ظلال الرمال

و له هودت يهود و دانت كل دين إذا ذكرت عضال

و له شمس النصارى و قاموا كل عيد لديهم و احتفال

و له الراهب الحبيس تراه رهن بؤس و كان ناعم بال

يا بنى الأرحام لا تقطعوها و صلوها قصيرة من طوال

و اتقوا الله فى ضعاف اليتامى ربما يستحل غير الحلال

و اعلموا أن لليتيم وليا عالما يهتدى بغير السؤال

ثم مال اليتيم لا تأكلوه إن مال اليتيم يرعاه و الى

يا بنى النجوم لا تخزلوها إن خزل النجوم ذو عقال

يا بنى الأيام لا تأمنوها و احذروا مكرها و مر الليالى

و اعلموا أن أمرها لنفاد الخلق ما كان من جديد و بالى

و اجمعوا أمركم على البر و التقوى و ترك الخنا و أخذ الحلال

---

(۱) انظر الأبيات فى: السيرة (۲/ ۱۱۹).

(۲) أمعرتم: قال السهيلى: معناها افتقرتم، و قيل أمعر: أى افتقر و فنى زاده كمعر تمعيرا، و أمعرت الأرض: لم يكن فيها نبات أو قل ماؤها.

(۳) انظر الأبيات فى: السيرة (۲/ ۱۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۰۲

قال ابن إسحاق «١»: و نصب عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم العداوة بغيا و حسدا و ضغنا لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم.

و انضاف إليهم رجال من الأوس و الخزرج، ممن كان عسى على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك و التكذيب بالبعث، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره و اجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام و اتخذوه جنة من القتل، و نافقوا فى السر فكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و جحودهم الإسلام.

و كانت أحبار يهودهم الذين يسألون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و يتعنتونه و يأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، إلا ما كان من عبد الله بن سلام و مخيريق فكان القرآن ينزل فيما يسألون عنه إلا قليلا من المسائل فى الحلال و الحرام كان المسلمون يسألون عنها.

و كان من حديث عبد الله بن سلام «٢» و إسلامه، و كان حبرا عالما، قال: لما سمعت برسول الله صلى اللّه عليه و سلم عرفت صفته و اسمه و زمانه الذى كنا نتوكف له، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم المدينة، فلما نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه و أنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، و عمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة، لما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كبرت، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرتى:

خيبك الله! لو كنت سمعت موسى بن عمران قادما ما زدت!.

فقلت لها: أى عمة، هو و الله أخو موسى بن عمران و على دينه، بعث بما بعث به.

فقالت: أى ابن أخى، أ هو النبىّ الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ فقلت لها:

نعم. فقالت: فذاك إذا، قال: ثم رحت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأسلمت ثم رجعت إلى أهلى فأمرتهم فأسلموا و كتمت إسلامى من يهود. ثم جئت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقلت: يا رسول الله، إن يهود قوم بهت، و إنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك و تغيبنى عنهم، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى، فإنهم إن علموا به بهتونى و عابونى.

---

(١) انظر: السيرة (٢/ ١٢٢).

(٢) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٥٧٩)، الإصابة الترجمة رقم (٤٧٤٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٩٨٦)، شذرات الذهب (١/ ٤٠، ٥٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٢٢)، خلاصة تذهيب (٢/ ٦٤)، الوافى بالوفيات (١٧/ ١٩٨)، الأعلام (۴/ ٩٠)، الثقات (٣/ ٢٢٨)، الرياض المستطابة (١٩٣).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج١،ص:٣٠٣

قال: فأدخلنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بعض بيوته، و دخلوا عليه فكلموه و سألوه ثم قال لهم: أى رجل الحصين بن سلام فيكم؟ فقالوا: سيدنا و ابن سيدنا، و حبرنا و عالمنا.

فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود اتقوا الله و اقبلوا ما جاءكم به، فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه و صفته، فإنى أشهد أنه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أومن به و أصدقه و أعرفه. قالوا: كذبت. ثم وقعوا بى! فقلت لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أ لم أخبرك يا نبى الله أنهم قوم بهت، أهل غدر و كذب و فجور؟! قال: فأظهرت إسلامى و إسلام أهل بيتى، و أسلمت عمتى خالدة فحسن إسلامها «١».

قال ابن إسحاق «٢»: و كان من حديث مخيريق، و كان حبرا عالما غنيا كثير الأموال من النخل، و كان يعرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بصفته و ما يجد فى علمه، و غلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، و كان يوم السبت، قال: يا معشر يهود، و الله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه بأحد و عهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها ما أراه

الله.

فلما اقتتل الناس قاتل حتی قتل، و قبض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أمواله، فعامة صدقاته بالمدینة منها. و کان صلی اللّه علیه و سلم فیما بلغنی یقول: «مخیریق خیر یهود» «۳».

قال «۴»: و حدثنی عبد الله بن أبی بکر، قال: حدثت عن صفیة ابنة حیی أنها قالت: کنت أحب ولد أبی إلیه و إلی عمی أبی یاسر، لم ألقهما مع ولد لهما إلا أخذانی دونه، فلما قدم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم المدینة غدا علیه أبی و عمی مغلسین، فلم یرجعا حتی کان مع غروب الشمس، فأتیا کالین کسلانین ساقطین یمشیان الهوینی فهششت إلیهما کما کنت أصنع، فو الله ما التفت إلی واحد منهما مع ما بهما من الغم، و سمعت عمی أبا یاسر و هو یقول لأبی: أ هو هو؟ قال: نعم و الله.

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری کتاب الأنبیاء (۳۳۲۹)، دلائل النبوة للبیهقی (۲/ ۵۳۰، ۵۳۱)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۲۱۱).

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۱۲۶).

(۳) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۲۳۷، ۴/ ۳۶)، طبقات ابن سعد (۱/ ۵۰۲)، عیون الأثر لابن سید الناس (۱/ ۳۳۴).

(۴) انظر: السیرة (۲/ ۱۲۶- ۱۲۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۰۴

قال: أتعرفه و تثبته؟ قال: نعم. قال: فما فی نفسک منه؟ قال: عداوته و الله ما بقیت «۱».

و کان هذان الأخوان الشقیان من أشد یهود للعرب حسدا لما خصهم الله برسوله صلی اللّه علیه و سلم، فکانا جاهدین فی رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله عز و جل فیهما:

وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمانِکُمْ کُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّی یَأْتِیَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ [البقرة: ۱۰۹].

و مر شأس بن قیس، و کان شیخا قد [عمی] «۲» عظیم الکفر، شدید الضغن علی المسلمین، شدید الحسد لهم، علی نفر من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الأوس و الخزرج فی مجلس قد جمعهم یتحدثون فیه، فغاظه ما رأی من ألفتهم و جماعتهم و صلاح ذات بینهم علی الإسلام، بعد الذی کان بینهم من العداوة فی الجاهلیة، فقال: قد اجتمع ملأ بنی قیلة بهذه البلاد، لا و الله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار.

فأمر شابا من یهود کان معه فقال: اعمد إلیهم فاجلس معهم ثم اذکر یوم بعاث و ما کان فیه و أنشدهم بعض ما کانوا تقاولوا فیه من الأشعار. و کان یوما اقتتلت فیه الأوس و الخزرج و کان الظفر فیه للأوس، و کان علیها یومئذ حضیر أبو أسید بن حضیر، و علی الخزرج عمرو بن النعمان البیاضی فقاتلا جمیعا.

ففعل الشاب ما أمره به شأس، فتکلم القوم عند ذلک و تنازعوا و تفاخروا حتی تواثب رجلان من الحیین علی الرکب و هما أوس بن قیظی و جبار بن صخر فتاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة. و غضب الفریقان جمیعا و قالوا: قد فعلنا موعدکم الظاهرة و هی الحرة، السلاح السلاح.

فخرجوا إلیها، و بلغ ذلک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فخرج إلیهم فیمن معه من أصحابه المهاجرین حتی جاءهم فقال: یا معشر المسلمین، الله الله! أ بدعوی الجاهلیة و أنا بین أظهرکم بعد أن هداکم الله للإسلام و أکرمکم به و قطع به عنکم أمر الجاهلیة و استنقذکم به من الکفر و ألف به بینکم.

فعرف القوم أنها نزعة من الشیطان و کید من عدوهم فبکوا و عانق الرجال من

(۱) ذكره ابن سيد الناس فى عيون الأثر (۱/ ۳۳۵).

(۲) ما بين المعقوفتين كذا فى الأصل و ورد فى السيرة «عسا»، و عسا: أى اشتد و قوى، يريد أنه تمكن فى كفره فصعب إخراجه منه. انظر: السيرة (۲/ ۱۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۰۵

الأوس و الخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سامعين مطيعين، و قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس.

فأنزل الله تبارك و تعالى، فى شأن شأس و ما صنع: يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [آل عمران: ۹۹] «۱».

و أنزل الله فى أوس بن قيظى و جبار بن صخر و من كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران: ۱۰۰، ۱۰۳].

قال «۲»: و حدثت عن سعيد بن جبير أنه قال: أتى رهط من يهود رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقالوا له: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ قال: فغضب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل فسكنه فقال: خفض عليك يا محمد، و جاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ.

فلما تلاها عليهم قالوا: فصف لنا يا محمد كيف خلقه؟ كيف ذراعة؟ كيف عضده؟

فغضب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أشد من غضبه الأول و ساورهم، فأتاه جبريل فقال له مثل ما قال أول مرة، و جاءه من الله تبارك و تعالى بجواب ما سألوه عنه، يقول الله جل و علا: وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ [الزمر: ۶۷] «۳».

(۱) ذكره الطبرى فى تفسيره (۴/ ۱۶).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۱۷۸).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب التفسير (۴/ ۱۹)، صحيح البخارى (۴۸۱۱)، تفسير ابن جرير (۱/ ۳۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۰۶

و دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه، بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص و كان من علمائهم و أحبارهم، و معه حبر من أحبارهم يقال له: أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويلك يا فنحاص؟ اتق الله و أسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة و الإنجيل.

فقال فنحاص لأبى بكر: و الله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، و إنه إلينا لفقير، و ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، و إنا عنه لأغنياء و ما هو عنا بغنى، و لو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا و يعطيناه، و لو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا!

فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا، و قال: و الذى نفسى بيده لو لا العهد الذى بيننا و بينك لضربت رأسك أى عدو

الله. فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قال: يا محمد، انظر ما صنع بى صاحبك.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لأبى بكر: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيما، إنه زعم أن الله فقير و أنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه.

فجحد ذلك فنحاص، و قال: ما قلت ذلك. فأنزل الله عز و جل، فيما قال فنحاص ردا عليه و تصديقا لأبى بكر: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ [آل عمران: ۱۸۱] «۱».

و نزل فى أبى بكر و ما بلغه فى ذلك من الغضب: وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [آل عمران: ۱۸۶].

و كان ممن انضاف إلى يهود من المنافقين من الأوس و الخزرج فيما ذكروا و الله أعلم «۲»: من الأوس: جلاس بن سويد بن الصامت من بنى حبيب بن عمرو بن عوف، و هو القائل، و كان ممن تخلف عن غزوة تبوك: لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر.

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۴/ ۱۲۹)، تفسير ابن كثير (۲/ ۱۵۳).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۱۲۷- ۱۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱،ص:۳۰۷

و كان فى حجره عمير بن سعد، خلف جلاس على أمه بعد أبيه، فقال له عمير:

و الله يا جلاس إنك لأحب الناس إلىّ، و أحسنه عندى و أعزهم علىّ أن يصيبه شىء يكرهه، و لقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لفضحتك، و لئن صمت عليها ليهلكن دينى، و لإحداهما أيسر على من الأخرى.

ثم مشى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فذكر له ما قال جلاس، فحلف جلاس لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالله لقد كذب على عمير و ما قلت ما قال.

فأنزل الله فيه: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا وَ ما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ فِى الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ [التوبة: ۷۴] «۱».

فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام و الخير. و أخوه الحارث بن سويد، قتل المجذر بن زياد البلوى. و ذلك أن المجذر فيما ذكر ابن هشام، قتل أباه سويد بن الصامت بعض الحروب إذ كانت بين الأوس و الخزرج، فلما كان يوم أحد طلب الحارث غرة المجذر ليقتله بأبيه، فقتله.

و ذكر ابن إسحاق «۲» أن سويدا إنما قتله معاذ بن عفراء غيلة فى غير حرب، رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث. قال: و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتل الحارث إن هو ظفر به ففاته فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تبارك و تعالى فيه: كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [آل عمران: ۸۶]. إلى آخر القصة.

و نبتل بن الحارث من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك، و هو القائل: إنما محمد أذن، من حدثه شيئا صدقه. فأنزل الله تعالى: وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ [التوبة: ۶۱] «۳».

---

(۱) ذكره الطبرى فى تفسيره (۱۰/ ۱۲۷)، ابن كثير فى تفسيره (۴/ ۱۲۰).

(۲) انظر: السيرة (۲/ ۱۲۹).

(۳) انظر الحديث فى: أسباب النزول للواحدى (ص ۲۰۶)، الشوكانى فى فتح القدير (۲/ ۵۲۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۰۸

و فيه قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما ذكر: «من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل ابن الحارث» «۱»، و كان جسميا أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين.

و ذكر أن جبريل أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: إنه يجلس إليك رجل أدلم «۲» ثائر شعر الرأس أسفع الخدين «۳» أحمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده أغلظ من كبد الحمار، ينقل حديثك إلى المنافقين، فاحذره. و كان تلك صفة نبتل بن الحارث فيما يذكرون.

و عمرو بن خذام، و عبد الله بن نبتل، و حارثة بن عامر بن العطاف و ابناه زيد و مجمع و هم ممن اتخذ مسجد الضرار. و كان مجمع، غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره، و كان يصلى بهم فيه، فلما كان زمان عمر بن الخطاب كلم فى مجمع ليصلى بقومه بنى عمرو بن عوف فى مسجدهم، فقال: لا، أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضرار!.

فقال له مجمع: يا أمير المؤمنين، و الله الذى لا إله إلا هو ما علمت بشىء من أمرهم، و لكنى كنت غلاما قارئا للقرآن و كانوا لا قرآن معهم، فقدمونى أصلى بهم و ما أرى أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا. فزعموا أن عمر رضى الله عنه، تركه فصلى بقومه «۴».

و من الخزرج، ثم من بنى عوف: عبد الله بن أبى بن سلول، و كان رأس المنافقين و إليه يجتمعون. و هو الذى قال فى غزوة بنى المصطلق: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. و سيأتى ذكر ذلك مستوفى و بيان سببه عند الانتهاء إلى غزوة بنى المصطلق، إن شاء الله تعالى.

و قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة و سيد أهلها عبد الله بن أبى هذا، لا يختلف عليه فى شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس و الخزرج قبله و لا بعده على رجل من أحد الفريقين، حتى جاء الإسلام، و معه فى الأوس رجل، هو فى قومه من الأوس شريف مطاع، أبو عامر عبد عمرو بن صيفى بن النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد، و هو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد، و كان قد ترهب و لبس المسوح، فكان يقال له الراهب، فشقيا بشرفهما!.

أما عبد الله بن أبى فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه و يملكوه عليهم، فجاءهم

---

(۱) انظر: الحديث فى: البداية و النهاية (۳/ ۲۳۸).

(۲) أدلم: الرجل الأدلم: الطويل الأسود، و يقال: هو المسترخى الشفتين.

(۳) أسفع الخدين: أسفع من السفعة و هى حمرة تضرب إلى السواد.

(۴) انظر: السيرة (۲/ ۱۳۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۰۹

الله تبارك و تعالى برسوله صلى اللّه عليه و سلم و هم على ذلك، فلما انصرف عنه قومه إلى الإسلام ضغن و رأى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد استلبه ملكا، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق و ضغن «۱».

و حدث أسامة بن زيد حب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: ركب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى سعد بن عبادة يعوده من شكو أصابه على حمار عليه ألحاف فوقه قطيفة فركبه فخطمه «۲» بحبل من ليف و أردفنى خلفه، فمر بعبد الله بن أبى و حوله رجال من قومه، فلما رآه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تذمم أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلم ثم جلس فتلا القرآن و دعا إلى الله و ذكر به و حذر و بشر و أنذر، و عبد الله زام لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: يا هذا إنه لا أحسن من حديثك

هذا إن کان حقا، فاجلس فی بیتک فمن جاءک فحدثه إیاه، و من لم یأتک فلا تغشه به و لا تأته فی مجلسه بما یکره.

فقال عبد الله بن رواحة فی رجال کانوا عنده من المسلمین: بل فاغشنا به و ائتنا فی مجالسنا و دورنا و بیوتنا، فهو و الله ما نحب و مما أکرمنا الله به و هدانا له.

فقال عبد الله حین رأى من خلاف قومه ما رأى:

متى ما یکن مولاک خصمک لم تزل‌تذل و یصرعک الذین تصارع

و هل ینهض البازی بغیر جناحهو إن جد یوما ریشه فهو واقع «۳» قال: و قام رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فدخل على سعد بن عبادة و فی وجهه ما قال عدو الله ابن أبی، فقال: و الله یا رسول الله، إنی لأرى فی وجهک شیئا: لکأنک سمعت شیئا تکرهه؟ قال: «أجل». ثم أخبره بما قال ابن أبی. فقال سعد: یا رسول الله، ارفق به، فو الله لقد جاءنا الله بک و إنا لننظم له الخرز لنتوجه، فإنه لیرى أن قد سلبته ملکا!.

و أما أبو عامر فأبى إلا الکفر و الفراق لقومه حین اجتمعوا على الإسلام، و أتى رسول الله صلى اللّه علیه و سلم حین قدم المدینة فقال: ما هذا الدین الذی جئت به؟ قال: «جئت بالحنیفیة دین إبراهیم». قال: فأنا علیها. فقال له رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: «إنک لست علیها».

قال: إنک أدخلت یا محمد فی الحنیفیة ما لیس منها. قال: «ما فعلت و لکنی جئت بها بیضاء نقیة». قال: الکاذب أماته الله طریدا غریبا وحیدا، یعرض برسول الله صلى اللّه علیه و سلم

---

(۱) انظر: السیرة (۲/ ۱۸۹- ۱۹۰).

(۲) الاختطام: أن یجعل على رأس الدابة و أنفها حبل یمسک منه الراکب.

(۳) انظر الأبیات فی: السیرة (۱۹۱- ۱۹۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۱۰

فقال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: «أجل، فمن کذب یفعل الله ذلک به» «۱».

فکان هو ذلک عدو الله، خرج إلى مکة ببضعة عشر رجلا مفارقا للإسلام و لرسول الله صلى اللّه علیه و سلم فقال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: «لا تقولوا: الراهب، و لکن قولوا الفاسق» «۲». فلما افتتح رسول الله صلى اللّه علیه و سلم مکة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طریدا غریبا وحیدا!.

قال ابن إسحاق «۳»: و کان ممن تعوذ بالإسلام و دخل فیه مع المسلمین و أظهره و هو منافق من أحبار یهود، من بنی قینقاع: سعد بن حنیف، و نعمان بن أوفى، و عثمان بن أوفى، و زید بن اللصیت، و هو الذی قال حین ضلت ناقة رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: یزعم محمد أنه یأتیه خبر السماء و هو لا یدری أین ناقته! فقال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، و دل على ناقته و جاءه الخبر بما قال عدو الله فی رحله: «إن قائلا قال: یزعم محمد أنه یأتیه خبر السماء و هو لا یدری أین ناقته، و إنی و الله ما أعلم إلا ما علمنی الله، و قد دلنی الله علیها فهی فی هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها». فذهب رجال من المسلمین فوجدوها حیث قال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و کما وصف «۴».

و کان هؤلاء المنافقون المسلمون و غیرهم ممن لم یسم یحضرون المسجد فیستمعون أحادیث المسلمین و یسخرون منهم و یستهزءون بدینهم.

فاجتمع یوما فی المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله صلى اللّه علیه و سلم یتحدثون بینهم خافضی أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فأخرجوا من المسجد إخراجا عنیفا.

فقام أبو أیوب خالد بن زید إلی عمرو بن قیس أحد بنی غنم بن مالک بن النجار، و کان صاحب آلهتهم فی الجاهلیة، فأخذ برجله فسحبه حتی أخرجه من المسجد، و هو یقول: أ تخرجنی یا أبا أیوب من مربد بنی ثعلبة!.

ثم أقبل أبو أیوب أیضا، إلی رافع بن ودیعة أحد بنی النجار فلببه بردائه ثم نتره نترا شدیدا ثم لطم وجهه و أخرجه من المسجد و هو یقول: أف لک منافقا خبیثا، أدراجک یا منافق من مسجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

---

(۱) انظر الحدیث فی: المنتظم لابن الجوزی (۳/ ۱۸۴)، عیون الأثر لابن سید الناس (۱/ ۳۵۱).

(۲) انظر الحدیث فی: عیون الأثر لابن سید الناس (۱/ ۳۵۱). الاکتفاء، الکلاعی ج ۱ ۳۱۰ ذکر الحدیث عن خروج رسول الله صلی الله علیه و سلم و أبی بکر الصدیق رضی الله عنه مهاجرین إلی المدینة ..... ص : ۲۸۱

(۳) انظر: السیرة (۲/ ۱۳۵).

(۴) انظر الحدیث فی: دلائل النبوة للبیهقی (۵/ ۲۳۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۱۱

و قام عمارة بن حزم إلی زید بن عمرو، و کان طویل اللحیة، فأخذ بلحیته فقاده بها قودا عنیفا حتی أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة یدیه فلدمه بهما فی صدره لدمة خر منها. قال: یقول: خدشتنی یا عمارة! قال: أبعدک الله یا منافق، فما أعد الله لک من العذاب أشد من ذلک، فلا تقربن مسجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و قام أبو محمد، رجل من بنی النجار، و کان بدریا، إلی قیس بن عمرو فجعل یدفع فی قفاه حتی أخرجه من المسجد. و کان قیس غلاما شابا لا یعلم فی المنافقین شاب غیره.

و قام رجل من بلحارث یقال له: عبد الله بن الحارث إلی رجل یقال له: الحارث بن عمرو و کان ذا جمة فأخذ بجمته یسحبه عنیفا علی ما مر به من الأرض حتی أخرجه من المسجد.

قال: یقول المنافق: لقد أغلظت یا ابن الحارث. فقال له: إنک أهل لذلک یا عدو الله لما أنزل الله فیک، فلا تقرب مسجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فإنک نجس. و قام رجل من بنی عمرو بن عوف إلی أخی ذوی بن الحارث فأخرجه من المسجد إخراجا عنیفا و أفف منه «۱» و قال: غلب علیک الشیطان و أمره.

فهؤلاء من حضر المسجد یومئذ، من المنافقین فأمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بإخراجهم «۲».

ففی هؤلاء من أحبار یهود و المنافقین من الأوس و الخزرج نزل صدر سورة البقرة إلی المائة منها، فیما بلغنی و الله أعلم.

و قدم علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم المدینة وفد نصاری نجران، ستون راکبا، فدخلوا علیه المسجد حین صلی العصر علیهم ثیاب الحبرات جبب و أردیة، فی جمال رجال بنی الحارث بن کعب، یقول بعض من رآهم یومئذ، من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: ما رأینا بعدهم وفدا مثلهم.

و حانت صلاتهم فقاموا یصلون فی المسجد، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: دعوهم. فصلوا إلی المشرق، و کان فیهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، فی الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إلیهم یؤول أمرهم: العاقب أمیر القوم و ذو رأیهم و صاحب مشورتهم الذی لا یصدرون

---

(۱) أفف منه: أی قال له أف، و هی کلمة تقال لکل ما یتفل و یضجر منه.

(۲) انظر: السیرة (۲/ ۱۳۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۱۲

إلا عن رأيه، و اسمه عبد المسيح، و السيد ثمالهم و صاحب رحلهم و مجتمعهم و اسمه الأيهم، و أبو حارثة بن علقمة أحد بنى بكر بن وائل أسقفهم و حبرهم و إمامهم و صاحب مدراسهم و كان أبو حارثة هذا قد شرف فيهم و درس كتبهم حتى حسن علمه فى دينهم، فكان ملوكهم قد شرفوه و مولوه و أخدموه و بنوا له الكنائس و بسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه و اجتهاده فى دينهم «۱».

فلما وجهوا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجها [إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم] «۲» و إلى جنبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة، و يقال كوز بن علقمة، فعثرت بغلة أبى حارثة فقال كوز: تعس الأبعد. يريد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست: قال: و لم يا أخى؟ قال: و الله إنه للنبى الذى كنا ننتظره. فقال له كوز: فما يمنعك منه و أنت تعلم هذا؟! قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا و مولونا و أكرمونا و قد أبوا إلا خلافه، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى.

فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك، فهو كان يحدث عنه هذا الحديث «۳».

و كان أبو حارثة هذا ممن كلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم هو و العاقب و السيد، و هم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم فى عيسى عليه السلام، يقولون: هو الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، و يقولون: هو ولد الله كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله، إذن لذهب كل إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض. سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب و الشهادة فتعالى عما يشركون. و يقولون: هو ثالث ثلاثة. و ما من إله إلا إله واحد.

ففى كل هذا من قولهم قد نزل القرآن مدحضا حججهم و مبطلا دعاويهم، و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل. قال الله العظيم: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِی إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّی وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ [المائدة: ۷۲].

---

(۱) انظر: السيرة (۲/ ۱۸۰).

(۲) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، و ما أوردناه من السيرة.

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۳۸۲، ۳۸۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۵۹)، طبقات ابن سعد (۱/ ۳۵۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۱۳

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [المائدة: ۷۲، ۷۵].

و قال عز من قائل: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [التوبة: ۳۰، ۳۱].

و لما كلموا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أمرهم بالإسلام، فقال له حبران ممن كلمه منهم: قد أسلمنا. فقال لهما: «إنكما لم تسلما فأسلما». فقالا: بلى قد أسلمنا قبلك. فقال:

«كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا و عبادتكما الصليب و أكلكما الخنزير».

قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلم يجيبهما «۱».

فأنزل الله فى ذلك من قولهم و اختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع و ثمانين آية منها.

فافتتح السورة بتنزيه نفسه سبحانه مما قالوا، و توحيده إياها بالخلق و الأمر، ردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر و جعلوا معه من الأنداد ليعرفهم بذلك ضلالتهم. فقال جل قوله و تعالى جده: الم اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آل عمران: ۱، ۶].

ثم استمر سبحانه فيما شاء من التبيان لهم و الإعذار إليهم و الاحتجاج عليهم، و إرشاد عباده المؤمنين إلى سبيل الضراعة إليه بأن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم، و أن يهب لهم من لدنه رحمة، و ما وصل بذلك من قوله الحق و ذكره الحكيم.

---

(۱) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۶۹۹)، تفسير ابن كثير (۲/ ۴۱)، فتح القدير للشوكانى (۱/ ۴۶۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۱۴

ثم استقبل لهم أمر عيسى و كيف كان بدء ما أراد به، فقال: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

ثم ذكر امرأة عمران و نذرها لله ما فى بطنها محررا، أى تعبده له سبحانه لا ينتفع به لشىء من الدنيا، ثم ما كان من وضعها مريم و تعويذها إياها و ذريتها بالله من الشيطان الرجيم.

يقول الله تبارك و تعالى: فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا أى ضمها و قام عليها بعد أبيها و أمها.

ثم قص خبرها و خبر زكريا و ما دعا به و ما أعطاه، إذ وهب له يحيى، ثم ذكر مريم و قول الملائكة لها: يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. يقول الله جل و عز: ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ أى يستهمون عليها، أيهم يخرج سهمه يكفلها. وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها.

يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم، تحقيقا لنبوته و إقامة للحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه. ثم قال تعالى: إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ.

أى هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه، و إن هذه حالاته التى يتقلب بها فى عمره كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا و كبارا، إلا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته، و تعريفا للعباد مواقع قدرته. قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ.

أى يصنع ما أراد و يخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر. و يصور فى الأرحام ما يشاء و كيف يشاء بذكر و بغير ذكر. إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

ثم أخبرها بما يريد به من كرامته و تعليمه الكتاب و الحكمة و التوراة المنزلة على موسى قبله و الإنجيل المنزل عليه، و جعله رسولا إلى بنى إسرائيل، مؤيدا من الآيات بما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۱۵

هو صادر عن إذنه موقوف على مشيئته تحقيقا لما أراد من نبوته، كإبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى بإذن الله، و غير ذلك مما أيده الله به من العجائب المصدقة له، و أمره إياهم بتقوى الله و طاعته و قوله لهم: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ تبريا من الذى يقولون فيه و احتجاجا لربه عليهم. فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ أى هذا الهدى قد حملتكم عليه و جئتكم به. فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ

أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ إلى آخر قولهم.

ثم ذكر رفعه إياه إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ. ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه، كيف رفعه و طهره منهم فقال: إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ثم القصة حتى انتهى إلى قوله: ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآياتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

أى قد جاءك الحق من ربك فلا ترتابن به و لا تمترين فيه، و إن قالوا: كيف خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى و لا ذكر، فكان كما كان عيسى لحما و دما و شعرا و بشرا، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا. فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ أى من بعد ما قصصت عليك من خبره و كيفية أمره فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ.

نبتهل: ندعو باللعنة، و نبتهل أيضا، نجتهد بالدعاء. إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ أى ما أخبرتك به من أمر عيسى وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. فدعاهم الله إلى النصف و قطع عنهم الحجة.

فلما أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الخبر من الله عز و جل، فى شأن عيسى و فصل القضاء بينه و بينهم بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ١،ص:٣١۶

فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب، و كان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ما ترى؟

فقال: «و الله، يا معشر النصارى لقد علمتم أن محمدا لنبى مرسل، و لقد جاءكم من خبر صاحبكم بالحق، و لقد علمتم ما لا عن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم و لا نبت صغيرهم، و إنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا ألف دينكم و الإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم».

فأتوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك و أن نتركك على دينك و نرجع إلى ديننا، و لكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضى.

فقال لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ائتونى العشية أبعث معكم القوى الأمين». فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يقول: ما أحببت الإمارة قط حبى إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجرا، فلما صلى بنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه و يساره فجعلت أتطاول له ليرانى، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة ابن الجراح، فدعاه فقال: أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه. قال عمر:

فذهب بها أبو عبيدة «۱».

و لما قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة قدمها و هى أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء و سقم حتى جهدوا فما كانوا يصلون إلا و هم قعود، و صرف الله ذلك عن نبيه صلى اللّه عليه و سلم فخرج عليهم صلوات الله عليه، و هم يصلون كذلك، فقال لهم:

«اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم». فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف و السقم التماس الفضل! «۲».

و كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ممن أصابته الحمى، و كذلك مولياه عامر بن فهيرة و بلال، قالت عائشة: فدخلت أعودهم قبل أن يضرب علينا الحجاب و هم فى بيت واحد و بهم ما لا يعلمه إلا الله من الوعك، فدنوت من أبى بكر فقلت له: كيف

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب المغازى (۴۳۸۰)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (۴/ ۵۵).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين (۱/ ۱۲۰)، سنن النسائى (۱۶۵۸)، سنن أبى داود (۹۵۰)، سنن ابن ماجه (۱۲۲۹، ۱۲۳۰، ۱۲۳۱)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۱۹۳، ۳/ ۴۲۵، ۶/ ۶۱، ۷۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۲۴)، فتح البارى لابن حجر (۲/ ۶۸۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۱۷ كل امرئ مصبح فى أهلهو الموت أدنى من شراك نعله

فقلت: و الله ما يدرى أبى ما يقول، ثم دنوت إلى عامر فقلت: كيف تجدك يا عامر؟

فقال:

لقد وجدت الموت دون ذوقهإن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقهكالثور يحمى جلده بروقه قالت: و كان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته و قال:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلةبواد و حولى إذخر و جليل

و هل أردن يوما مياه مجنةو هل يبدون لى شامة و طفيل قالت عائشة: فذكرت لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما سمعت منهم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم حبب لنا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، و بارك لنا فى مدها و صاعها، و انقل و باءها إلى مهيعة» «۱»، و هى الجحفة.

شروع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى حرب المشركين و ذكر مغازيه التى أعز اللّه بها الإيمان و المؤمنين

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تهيأ لحربه و قام فيما أمره الله تبارك و تعالى به من جهاد عدوه و قتال من أمره الله بقتاله ممن يليه من مشركى العرب.

و خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة.

حتى بلغ ودّان و هى غزوة الأبواء «۲»، يريد قريشا و بنى ضمرة من بكر بن عبد مناة ابن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، و كان الذى وادعه منهم عليهم مخشىّ بن عمرو الضمرى، و كان سيدهم فى زمانه ذلك.

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار (۳۹۲۶)، صحيح مسلم كتاب الحج (۲/ ۴۸۰)، مسند الإمام أحمد (۵/ ۳۰۹)، السنن الكبرى للبيهقى (۳/ ۳۳۲)، الترغيب و الترهيب للمنذرى (۲/ ۲۲۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۵۶۹)، موطأ الإمام مالك (۲/ ۱۴).

(۲) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (۱/ ۱۱، ۱۲)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۳، ۴)، تاريخ الطبرى (۲/ ۴۰۷)، البداية و النهاية (۳/ ۲۴۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۱۸

ثم رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المدينة و لم يلق كيدا، فأقام بها.

و بعث فى مقامه ذلك عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى «۱» فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد.

فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقى بها جمعا عظيما من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلّا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمى به فى سبيل الله.

و قال سعد فى رميته تلك فيما يذكرون:

ألا هل أتى رسول الله أنى‌حميت صحابتى بصدور نبلى

أذود بها أوائلهم ذيادابكل حزونة و بكل سهل

فما يعتد رام فى عدوّبسهم يا رسول الله قبلى فى أبيات ذكرها ابن إسحاق، و ذكر ابن هشام أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد.

ثم انصرف القوم عن القوم و للمسلمين حامية.

و فرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى «۲» و عتبة بن غزوان «۳»، و كانا مسلمين و لكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار.

و يقال: إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فى غزوة عبيدة هذه:

---

(۱) انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۳۱۲)، الاستبصار (۱۵۸، ۳۰۱)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۶۹)، الأعلام (۴/ ۱۹۸)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۲۵۶)، الإصابة ترجمة رقم (۵۳۹۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۵۳۴).

(۲) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۱۴۴)، طبقات خليفة (۶۱، ۶۷، ۱۶۸)، التاريخ الكبير (۸/ ۵۴)، التاريخ الصغير (۶۰، ۶۱)، المعارف (۲۶۳)، الجرح و التعديل (۸/ ۴۲۶)، حلية الأولياء (۱/ ۱۷۲، ۱۷۶)، تهذيب التهذيب (۱۰/ ۲۸۵)، شذرات الذهب (۱/ ۳۹)، الإصابة ترجمة رقم (۸۲۰۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۰۷۶).

(۳) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۶۹)، التاريخ الكبير (۶/ ۵۲۰، ۵۲۱)، المعارف (۲۷۵)، الجرح و التعديل (۶/ ۳۷۳)، حلية الأولياء (۱/ ۱۷۱، ۱۷۲)، تهذيب التهذيب (۷/ ۱۰۰)، شذرات الذهب (۱/ ۲۷)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۳۰۴)، الإصابة ترجمة رقم (۵۴۲۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۵۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱،ص:۳۱۹ أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث‌أرقيت و أمر فى العشيرة حادث «۱»

ترى من لؤىّ فرقة لا يصدهاعن الكفر تذكير و لا بعث باعث

رسول أتاهم صادق فتكذبواعليه و قالوا لست فينا بماكث

إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبرواو هروّا هرير المحجرات اللواهث «۲»

فكم قد متتنا فيهم بقرابةو ترك التقى شىء لهم غير كارث

فإن يرجعوا عن كفرهم و عقوقهمفما طيبات الحلّ مثل الخبائث

و إن يركبوا طغيانهم و ضلالهمفليس عذاب الله عنهم بلابث

و نحن أناس من ذؤابة غالب‌لنا العز منها فى الفروع الأثائث

فأولى بربّ الراقصات عشية‌حراجيج تجرى فى السريح الرّثائث

كأدم ظباء حول مكة عكف‌يردن حياض البئر ذات النّبائث

لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهمو لست إذا آليت قولا بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق‌تحرم أطهار النساء الطوامث و كانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى الإسلام.

و بعض العلماء يزعم أنه بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصلى إلى المدينة، و أنه بعث فى مقامه بالمدينة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين، فلقى أبا جهل بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز مجدى بن عمرو الجهنى، و كان موادعا للفريقين.

فانصرف بعض القوم عن بعض، و لم يك بينهم قتال.

و بعض الناس يقول: كانت رايـة حمزة أول رايـة عقدها رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم لأحد من المسـلمين، و ذلك أن بعثه و بعث عبيدة كانا معا، فشبه ذلك على الناس.

و قد زعموا أن حمزة قال فى ذلك شعرا يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

فإن كان حمزة قال ذلك فقد صدق إن شاء الله، لم يكن يقول إلا حقّا، فالله أعلم أى ذلك كان.

---

(۱) الدمائث: أى الرمال اللينة.

(۲) هروا: أى وثبوا كما تثب الكلاب. و المجحرات: أى الكلاب التى اجحرت، أى لجئت إلى مواضعها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۲۰

فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا: فعبيدة بن الحارث أول من عقد له.

و الشعر المنسوب لحمزة رضى الله عنه:

ألا يا لقومى للتحكم و الجهل و للنقص من رأى الرجال و للعقل

و للراكبينا بالمظالم لم نطألهم حرمات من سوام و لا أهل «۱»

كأنا تبلناهم و لا تبل عندنالهم غير أمر بالعفاف و بالعدل «۲»

و أمر بإسلام فلا يقبلونه ينزل منهم مثل منزلة الهزل

فما برحوا حتى انتدبت بغارةلهم حيث حلوا ابتغى راحة الفضل

بأمر رسول الله أول خافقعليه لواء لم يكن لاح من قبل

لواء لديه النصر من ذى كرامةإله عزيز فعله أفضل الفعل

عشية ساروا حاشدين و كلنامراجله من غيظ أصحابه تغلى

فلما تراءينا أناخوا فعقلوامطايا و عقلنا مدى غرض النبل

فعلنا لهم حبل الإله نصيرناو ليس لكم إلا الضلالة من حبل

فثار أبو جهل هنالك باغيافخاب ورد الله كيد أبى جهل

و ما نحن إلا فى ثلاثين راكباو هم مائتان بعد واحدة فضل

فيال لؤىّ لا تطيعوا غواتكمو فيئوا إلى الإسلام و المنهج السهل «۳»

فإنى أخاف أن يصب عليكمعذاب فتدعوا بالندامة و الثّكل ثم غزا رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم فى ربيع الأول يريد قريشا حتى بلغ بواط «۴» من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيدا.

ثم غزاهم فسلـك على نقب بنى دينار على فيفاء الحبار، فنزل تحت شـجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصـلى عندها، فثمّ مسجده صـلى اللّه عليه و سـلم، و صنع له عندها طعام فأكل منه و أكل الناس معه، فموضع أثافى البرمة معلوم هنالك، و استقى له من ماء يقال له: المشرب المشترب.

ثم ارتحل حتى هبط بليل، ثم سلك فرش ملل حتى لقى الطريق بصحيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع، فأقام بها جمادى الأولى و ليالى من

---

(۱) السوام: أى الإبل الراعية، و قيل: هى المرسلة فى المرعى.

(۲) تبلناهم: أى عاديناهم.

(۳) فيئوا: أى ارجعوا. و المنهج: أى الطريق الواضح.

(۴) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۸)، البداية و النهاية (۳/ ۲۴۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۲۱

جمادى الآخرة. و وادع فيها بنى مدلج و حلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيدا.

و بعث سرية فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رهط من المهاجرين، فبلغ الخرّار من أرض الحجاز، ثم رجع و لم يلق كيدا.

و لم يقم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة «۱» إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى «۲» على سرح المدينة.

فخرج صلى اللّه عليه و سلم فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم يدركه. و هى غزوة بدر الأولى.

ثم رجع إلى المدينة.

و بعث عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدى «۳» فى رجب مقفلة من تلك الغزاة، و بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، و هم: أبو حذيفة بن عتبة، و سعد بن أبى وقاص، و عكاشة بن محصن، و عتبة بن غزوان، و عامر بن ربيعة، و واقد بن عبد الله التميمى، و خالد بن البكير، و سهيل بن بيضاء. و كتب له كتابا و أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به، و لا يستكره من أصحابه أحدا.

فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة و الطائف، فترصد بها قريشا و تعلم لنا من أخبارهم».

فقال عبد الله: سمعا و طاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن أمضى إلى نخلة أرصد فيها قريشا حتى آتيه منهم بخبر، و قد نهانى أن أستكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة و يرغب فيها، فلينطلق، و من كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

فمضى و مضى معه أصحابه، لم يختلف عنه منهم أحد، و سلك على الحجاز حتى إذا

---

(۱) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (۱/ ۱۲، ۱۳)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۴، ۵)، تاريخ الطبرى (۲/ ۴۰۸)، البداية و النهاية (۳/ ۲۴۶).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۷۴۰۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۴۴۹).

(۳) انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۲۳۷)، صفوة الصفوة (۱/ ۳۸۵)، حلية الأولياء (۱/ ۱۰۸، ۱۰۹)، شذرات الذهب (۱/ ۵۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۰۲)، تهذيب التهذيب (۵/ ۱۴۳)، الجرح و التعديل (۵/ ۲۲، ۱۰۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۲۲

كان بمعدن فوق الفرع يقال له: بحران أضل سعد بن أبى وقاص و عتبه بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه، فتخلفا فى طلبه.

و مضى عبد الله فى بقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا، و أدما، و تجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمى، و عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى و أخوه نوفل، و الحكم بن كيسان، فلما رآهم القوم هابوهم، و قد نزلوا قريبا منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، و كان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، و قالوا:

عمار لا بأس عليكم منهم، و تشاور القوم فيهم، و ذلك فى آخر يوم من رجب، فقالوا:

و الله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمنعن منكم به، و لئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام.

فتردد القوم و هابوا ثم شجعوا أنفسهم و أجمعوا قتل من قدروا علیه منهم، و أخذ ما معهم.

فرمی واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمی بسهم فقتله، و استأسر عثمان بن عبد الله، و الحکم، و أفلت القوم نوفل فأعجزهم.

و أقبل عبد الله بن جحش و أصحابه بالعیر و الأسیرین حتی قدموا علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم المدینة.

و عزل عبد الله بن جحش لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم خمس تلک الغنیمة و قسم سائرها بین أصحابه، و ذلک قبل أن یفرض الله الخمس من المغانم فلما أحل الله الفیء بعد ذلک و أمر بقسمه و فرض الخمس فیه، وقع علی ما کان عبد الله صنع فی تلک العیر.

فلما قدموا علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «ما أمرتکم بقتال فی الشهر الحرام» «۱». فوقف العیر و الأسیرین و أبی أن یأخذ من ذلک شیئا.

فلما قال ذلک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سقط فی أیدی القوم و ظنوا أنهم قد هلکوا، و عنفهم إخوانهم من المسلمین فیما صنعوا، و قالت قریش: قد استحل محمد و أصحابه الشهر الحرام، و سفکوا فیه الدم و أخذوا فیه الأموال، و أسروا فیه الرجال.

فقال من یرد علیهم من المسلمین ممن کان بمکة: إنما أصابوا ما أصابوا فی شعبان.

و قالت یهود، تفاءل بذلک علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: عمرو بن الحضرمی قتله واقد بن عبد

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۲۴۹).

الله: عمرو: عمرت الحرب، و الحضرمی: حضرت الحرب، و واقد بن عبد الله: و قدت الحرب: فجعل الله تبارک و تعالی ذلک علیهم لا لهم.

فلما أکثر الناس فی ذلک، أنزل الله علی رسوله: یَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِیهِ قُلْ قِتالٌ فِیهِ کَبِیرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ وَ کُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَکْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ [البقرة: ۲۱۷].

أی إن کنتم قتلتم فی الشهر الحرام فقد صدوکم عن سبیل الله مع الکفر به، و عن المسجد الحرام، و إخراجکم منه أهله أکبر عند الله من قتل من قتلتم منهم، و الفتنة أکبر من القتل، أی قد کانوا یفتنون المسلم فی دینه حتی یردوه إلی الکفر بعد إیمانه، فذلک أکبر عند الله من القتل.

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر و فرج الله عن المسلمین ما کانوا فیه من الشّفق، قبض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم العیر و الأسیرین، و بعثت قریش فی فدائهما، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

«لا، حتی یقدم صاحبانا، یعنی سعد بن أبی وقاص و عتبة بن غزوان، فإنا نخشاکم علیهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحبیکم». فقدم سعد و عتبة، فأفدی الأسیرین عند ذلک منهم.

فأما الحکم فأسلم فحسن إسلامه، و أقام عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی استشهد یوم بئر معونة، و أما عثمان فلحق بمکة فمات بها کافرا.

فلما تجلی عن عبد الله بن جحش و أصحابه ما کانوا فیه حین نزل القرآن طمعوا فی الأجر، فقالوا: یا رسول الله، أ نطمع أن تکون لنا غزوة نعطی فیها أجر المجاهدین؟

فأنزل الله تبارک و تعالی فیهم: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أُولئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ، وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ [البقرة: ۲۱۸]، فوضعهم الله من ذلک علی أعظم الرجاء.

و قال أبو بکر الصدیق رضی الله عنه فی تلک الغزوة أبیاتا، و یقال بل عبد الله بن جحش، قالها حین قالت قریش: قد أحل محمد و أصحابه الشهر الحرام، فسفکوا فیه الدم و أخذوا المال و أسروا الرجال:

تعدون قتلا فی الحرام عظیمةو أعظم منه لو یری الرشد راشد

صدودکم عما یقول محمدو کفر به و الله راء و شاهد

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۲۴ و إخراجکم من مسجد الله أهلهلئلا یری فی البیت الله ساجد

فإنا و إن عیرتمونا بقتلهو أرجف بالإسلام باغ و حاسد

سقینا من ابن الحضرمی رماحنابنخلة لما أوقد الحرب واقد

دما و ابن عبد الله عثمان بینناینازعه غلّ من القید عاقد

غزوة بدر الکبری «۱»

قال ابن إسحاق «۲»: ثم إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سمع بأبی سفیان بن حرب مقبلا من الشام فی عیر لقریش عظیمة. فندب المسلمین إلیهم، و قال: «هذه عیر قریش، فیها أموالهم، فاخرجوا إلیها لعل الله ینفلکموها» «۳».

فانتدب الناس، فخف بعضهم و ثقل بعضهم، و ذلک أنهم لم یظنوا أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یلقی حربا.

و کان أبو سفیان حین دنا من الحجاز یتجسس الأخبار، و یسأل من لقی من الرّکبان، تخوفا، حتی أصاب من بعضهم خبرا باستنفار رسول الله صلی اللّه علیه و سلم له و لعیره، فحذر عند ذلک، و استأجر ضمضم بن عمرو الغفاری، فبعثه إلی مکة لیخبر قریشا بذلک، و یستنفرهم إلی أموالهم، فخرج ضمضم سریعا.

و کانت عاتکة بنت عبد المطلب «۴» قد رأت قبل قدوم ضمضم مکة بثلاث رؤیا أفزعتها، فقالت لأخیها العباس: یا أخی، و الله لقد رأیت اللیلة رؤیا لقد أفظعتنی و تخوفت أن یدخل علی قومک منها شر و مصیبة، فاکتم عنی ما أحدثک، فقال لها: و ما رأیت؟.

---

(۱) ذکرها ابن الجوزی فی المنتظم (۳/ ۹۷)، الواقدی فی المغازی (۱/ ۱۹)، ابن سعد فی الطبقات (۲/ ۱/ ۶ ط الشعب)، الطبری فی تاریخه (۲/ ۴۲۱)، ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۳/ ۲۵۶)، ابن الأثیر فی الکامل فی التاریخ (۲/ ۱۴).

(۲) انظر السیرة (۲/ ۲۱۱).

(۳) انظر الحدیث فی: الطبقات الکبری لابن سعد (۲/ ۱/ ۶)، الدر المنثور للسیوطی (۳/ ۱۶۸)، تفسیر ابن کثیر (۳/ ۵۵۷)، تفسیر القرطبی (۷/ ۳۷۳)، تفسیر الطبری (۹/ ۱۲۲)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۲۵۶).

(۴) انظر ترجمتها فی: طبقات ابن سعد (۸/ ۴۳)، المعارف (۱۱۸)، الإصابة ترجمة رقم (۱۱۴۵۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۷۰۸۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۲۵

قالت: رأیت راکبا أقبل علی بعیر له حتی وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلی صوته: ألا_ أنفروا یا آل غدر لمصارعکم فی ثلاث، فأری الناس اجتمعوا إلیه، ثم دخل المسجد و الناس یتبعونه، فبیناهم حوله، مثل به بعیره علی ظهر الکعبة، ثم صرخ بمثلها، ألا أنفروا یا آل غدر إلی مصارعکم فی ثلاث، ثم مثل به بعیره علی رأس أبی قبیس «۱» فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوی، حتی إذا کانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقی بیت من بیوت مکة و لا دار إلا دخلتها منها فلقة.

قال العباس: و الله إن هذه لرؤیا، و أنت فاکتمیها و لا تذکریها لأحد.

ثم خرج العباس فلقی الولید بن عتبة بن ربیعة، و کان له صدیقا، فذکرها له و استکتمه إیاها، فذکرها الولید لأبیه عتبة، ففشا الحدیث حتی تحدثت به قریش.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبیت و أبو جهل فی رهط من قریش قعود یتحدثون برؤیا عاتکة، فلما رآنی قال: یا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافک فأقبل إلینا.

فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لى أبو جهل يا بنى عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النّبيئة؟ قال: قلت: و ما ذاك؟ قال: الرؤيا التى رأت عاتكة، فقلت:

و ما رأت؟.

قال يا بنى عبد المطلب، أ ما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساءكم؟ قال:

زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال: انفروا فى ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقّا ما تقول فسيكون، و إن تمض الثلاث و لم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب.

قال العباس: فو الله، ما كان منى إليه كبير، إلا أنى جحدت ذلك و أنكرت أن تكون رأيت شيئا، ثم تفرقنا.

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم، ثم قد تناول النساء و أنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة بشىء مما سمعت؟ فقلت: قد و الله فعلت، و ما كنا منى إليه من كبير، و ايم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفيكنّه.

قال: فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة و أنا حديد مغضب، أرى أنه قد فاتنى

---

(۱) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة من شرقيها. انظر: معجم البلدان (۱/ ۸۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۲۶

أمر أحب أن أدركه منه، فدخلت المسجد فرأيته، و كان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر، فو الله، إنى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال، فأقع به، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، فقلت فى نفسى: ماله، لعنة الله؟! أكل هذا فرقا منى أن أشاتمه! و إذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو [الغفارى] و هو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدعه و حول رحله و شق قميصه و هو يقول:

يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.

قال: فشغلنى عنه، و شغله عنى ما جاء من الأمر.

فتجهز الناس سراعا و قالوا: أ يظن محمد و أصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى؟ كلا و الله ليعلمن غير ذلك.

فكانوا بين رجلين، إما خارج و إما باعث مكانه رجلا.

و أو عبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد، إلا أن أبا لهب تخلف و بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة. و كانت عليه لأبى لهب أربعة آلاف درهم، فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه.

و أجمع أمية بن خلف القعود- و كان شيخا جليلا جسيما ثقيلا- فأتاه عقبة بن أبى معيط و هو جالس فى المسجد بين ظهرى قومه بمجمرة فيها نار و مجمر حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا على، استجمر فإنما أنت من النساء! فقال: قبحك الله و قبح ما جئت به. ثم تجهز و خرج مع الناس.

و لما فرغوا من جهازهم و أجمعوا السير ذكروا حربا كانت بينهم و بين بنى بكر ابن عبد مناة بن كنانة، و قالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، فكاد ذلك يثبتهم، فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى، و كان من أشراف بنى كنانة، فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه.

فخرجوا سراعا.

و خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه، و دفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار «۱»، و كان أبيض، و كان أمام

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۸۰۲۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۹۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۲۷

رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رایتان سوداوان، إحداهما مع علی بن أبی طالب- رضی الله عنه- و الأخری مع بعض الأنصار، و جعل علی الساقة قیس بن أبی صعصعة أخا بنی مازن بن النجار، و کانت رایة الأنصار مع سعد بن معاذ فیما قال ابن هشام.

فسلک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم طریقة من المدینة إلی مکة حتی إذا کان قریبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو «۱»، و عدی بن أبی الزغباء «۲» الجهینیین إلی بدر یتجسسان له الأخبار عن أبی سفیان و غیره.

فمضیا حتی نزلا ـ بدرا، فأناخا إلی تل قریب من الماء، فسمعا جاریتین من جواری الحاضر تتلازما علی الماء، و الملزومة تقول لصاحبتها: إنما ترد العیر غدا أو بعده فأعمل لهم ثم أقضیک. فقال مجدی بن عمرو، و کان علی الماء: صدقت، ثم خلص بینهما.

فلما سمع بذلک عدی و بسبس، انطلقا حتی أتیا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأخبراه.

ثم تقدم أبو سفیان العیر حذرا حتی ورد الماء، فقال لمجدی: هل أحسست أحدا؟

قال: لا، إلا أنی قد رأیت راکبین أناخا إلی هذا التل، ثم استقیا فی شن لهما، ثم انطلقا.

فأتی أبو سفیان مناخهما، فأخذ من أبعار بعیریهما ففته فإذا فیه النوی، فقال: هذه و الله علائف یثرب! فأسرع إلی اصحابه فضرب وجه عیره عن الطریق فساحل بها، و ترک بدرا بیساره.

ثم ارتحل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی أتی وادیا یقال له: «ذفران»، فجزع فیه، ثم نزل.

و أتاه الخبر عن قریش بمسیرهم لیمنعوا عیرهم، فأخبر الناس و استشارهم.

فقام أبو بکر الصدیق فقال و أحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال و أحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: یا رسول الله، امض لما أراک الله فنحن معک، و الله لا نقول لک کما قالت بنو إسرائیل لموسی علیه السلام: «اذهب أنت و ربک فقاتلا إنا هاهنا قاعدون»، و لکن اذهب أنت و ربک فقاتلا إنا معکما مقاتلون، فو الذی بعثک بالحق لو سرت بنا إلی برک الغماد لجالدنا معک من دونه حتی تبلغه.

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۸۱۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۰۵)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۴۸)، معرفة الصحابة (۳/ ۱۷۵).

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۵۴۹۸)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۶۱۳)، الثقات (۳/ ۳۱۶)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۳۷۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۲۸

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خیرا و دعا له، ثم قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أشیروا علی» «۱». و إنما یرید الأنصار، و ذلک أنهم عدد الناس، و أنهم حین بایعوه بالعقبة قالوا: یا رسول الله، إنا برآء من ذمامک حتی تصل إلی دیارنا، فإذا وصلت إلینا فأنت فی ذمتنا، نمنعک مما نمنع منه أبناءنا و نساءنا. فکان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یتخوف أن لا تکون الأنصار تری علیها نصره إلا ممن دهمه بالمدینة من عدوه، و أن لیس علیهم أن یسیر بهم من بلادهم إلی عدو، فلما قال ذلک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال له سعد بن معاذ: و الله لکأنک تریدنا یا رسول الله؟ قال:

«أجل» «۲»، قال: فقد آمنا بک و صدقناک؛ و شهدنا أن ما جئت به هو الحق، و أعطیناک علی ذلک عهودنا و مواثیقنا علی السمع و الطاعة، فامض یا رسول الله لما أردت فنحن معک، فو الذی بعثک بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معک، ما یتخلف

منا رجل واحد، و ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء لعل يريك منا ما تقربه عينك، فسر بنا على بركة الله.

فسر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بقول سعد و نشطه ذلك، ثم قال: «سيروا و أبشروا فإن الله تبارك و تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، و الله لكأنى الآن انظر إلى مصارع القوم» «۳».

ثم ارتحل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من «ذفران» «۴» حتى نزل قريبا من بدر فركب هو و رجل من أصحابه، قيل: هو أبو بكر الصديق، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، و عن محمد و أصحابه، و ما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا اخبر كما حتى تخبرانى ممن أنتما؟

فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: أو ذاك بذاك، قال: «نعم»، قال الشيخ: فإني بلغنى أن محمدا و أصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا و كذا، للمكان الذى به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و بلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا و كذا، للمكان الذى به قريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «نحن من ماء» «۵». ثم انصرف عنه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۳۵۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۲/ ۳۷۷، ۳۸۱).

(۲) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (۵۲۳۳)، مسند الإمام أحمد (۱ / ۲۵۵، ۲۸۴، ۳ / ۴۳۸، ۵ / ۲۸۶، ۳۷۲، ۳۸۱)، الدر المنثور للسيوطى (۵/ ۲۰۵)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۱۳۷۹).

(۳) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (۳/ ۷۲)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۳۳۶).

(۴) ذفران: واد قرب واد الصفراء و الذفر كل ريح من طيب أو نتن. انظر: معجم البلدان (۳/ ۶).

(۵) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۶۴).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱،ص:۳۲۹

قال: يقول الشيخ: ما من ماء! أمن ماء العراق؟

ثم رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى أصحابه، فلما أمسى بعث على بن أبى طالب و الزبير بن العوام، و سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه، فأصابوا راوية لقريش فيهما غلامان لبعضهم، فأتوا بهما فسألوهما، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قائم يصلى، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، و رجوا أن يكونا لأبى سفيان، فضربوهما، فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبى سفيان، فتركوهما.

و ركع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و سجد سجدتيه، ثم سلم و قال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، و إذا كذباكم تركتموهما! صدقا و الله، إنهما لقريش، أخبرانى عن قريش. فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذى ترى». قال: «كم القوم؟» قالا: كثير. قال: «ما عدتهم؟» قالا: ما ندرى. قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوما تسعا و يوما عشرا. قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «القوم ما بين التسعمائة و الألف» «۱».

ثم قال لهما: «من فيهم من أشراف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و أبو البخترى بن هشام، و حكيم بن حزام، و نوفل بن خويلد، و الحارث بن عامر، و طعيمة بن عدى، و النضر بن الحارث، و زمعة بن الأسود، و أبو جهل بن هشام، و أمية ابن خلف، و نبيه و منبه ابنا الحجاج، و سهيل بن عمرو، و عمرو بن عبد ود.

فأقبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على الناس فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» «۲».

و أقبلت قريش؛ فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إنى أرى فيما يرى النائم، و إنى لبين النائم و اليقظان، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف و معه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة، و ابو الحكم بن هشام، و أمية بن خلف و فلان، فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فيما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه.

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (۲/ ۱۳، ۴/ ۱۱)، تفسير الطبرى (۳/ ۱۳۱)، الدر المنثور للسيوطى (۳/ ۱۶۶).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۷۷، ۲۷۸)، تاريخ الطبرى (۲/ ۲۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۷۵، ۷۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۴۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۳۰

فبلغت أبا جهل فقال: و هذا- أيضا- نبى آخر من بنى المطلب! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا.

قال: و لما رأى أبو سفيان قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم خرجتم لتمنعوا عيركم و رجالكم و أموالكم فقد نجاها إله، فارجعوا.

قال أبو جهل: و الله لا نرجع حتى نرد بدرا، و كان موسما للعرب لهم به سوق كل عام، فنقيم عليه ثلاثا، فننحر الجزر، و نطعم الطعام، و نسقى الخمر، و تعزف علينا القيان، و تسمع بنا العرب و بمسيرنا و جمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا.

و قال الأخنس بن شريق الثقفى: يا بنى زهرة، و كان حليفا لهم: قد نجى الله أموالكم و خلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، و إنما نفرتم لتمنعوه و ماله، فاجعلوه بن جنبها و ارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضيعة، لا ما يقول هذا.

فرجعوا فلم يشهدها زهرى واحد، أطاعوه و كان فيهم مطاعا.

و لم يكن بقى من قريش بطن إلا قد نفر منهم ناس إلا بنو عدى بن كعب، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس، فلم يشهد بدرا من هذين القبيلين أحد.

و كان بين طالب بن أبى طالب و كان فى القوم، و بين بعض قريش محاورة، فقالوا:

و الله لقد عرفنا يا بنى هاشم و إن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد. فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، و قال:

لا هم إما يغزون طالبفى عصبة مخالفا محارب

فى مقنب من هذه المقانبفليكن المسلوب غير السالب

و ليكن المغلوب غير الغالب

و مضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل و القلب ببدر فى العدوة الدنيا إلى المدينة.

و بعث الله- عز و جل- السماء، و كان الوادى دهسا، فأصاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه منها ما لبد لهم الأرض و لم يمنعهم من المسير، و أصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

فخرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاءوا أدنى ماء من بدر نزلوا به.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۳۱

فذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى قال: يا رسول الله، أ رأيت هذا المنزل، أ منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه و لا نتأخر عنه؟ أم هو الرأى و الحرب و المكيدة؟

فقال: «بل هو الرأى و الحرب و المكيدة». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نتقاتل القوم، فنشرب و لا يشربون.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لقد أشرت بالرأى» «۱». فنهض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و من معه من الناس، فساروا

حتی إذا اتی ماء إلی القوم نزل علیه، ثم أمر بالقلب فغورت و بنی حوضا علی القلیب الذی نزل علیه فملئ ماء ثم قذفوا فیه الآنیة.

و قال سعد بن معاذ: یا نبی الله، أ لا نبنی لک عریشا تکون فیه، و نعد عندک رکائبک، ثم نلقی عدونا، فإن أعزنا الله و أظهرنا علی عدونا، کان ذلک ما أحببنا، و إن کانت الأخری جلست علی رکائبک فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنک أقوام یا نبی الله ما نحن بأشد حبا لک منهم، و لو ظنوا أنک تلقی حربا ما تخلفوا عنک، یمنعک الله- عز و جل- بهم یناصحونک و یجاهدون معک.

فأثنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علیه خیرا و دعا له بخیر، ثم بنی لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم عریش فکان فیه.

و ارتحلت قریش حین أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم تصوب من الکثیب الذی جاءوا منه، قال: «اللهم هذه قریش قد أقبلت بخیلائها و فخرها تحادک و تکذب رسولک، اللهم فنصرک الذی وعدتنی به، اللهم أحنهم الغداة» «۲».

و قد کان خفاف بن إیماء بن رحضة الغفاری أو أبوه بعث إلی قریش حین مروا به ابنا له بجزائر أهداها لهم، و قال: إن أحببتم أن نمدکم بسلاح و رجال فعلنا. فأجابوه: أن وصلتک رحم، قد قضیت الذی علیک، فلعمری لئن کنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم، و لئن کنا إنما نقاتل الله کما یزعم محمد ما لأحد بالله من طاقة!

فلما نزل الناس أقبل نفر من قریش فیهم حکیم بن حزام حتی وردوا حوض رسول

---

(۱) انظر الحدیث فی: مستدرک الحاکم (۴/ ۴۲۶، ۴۲۷).

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم (۳/ ۵۸)، مسند الإمام أحمد (۲۰۸، ۲۲۱)، تاریخ الطبری (۲/ ۳۰)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۲۶۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۳۳۲

الله صلی اللّه علیه و سلم، فقال: «دعوهم». فما شرب منه یومئذ رجل إلا قتل، إلا ما کان من حکیم بن حزام فإنه لم یقتل، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فکان إذا اجتهد فی یمینه قال: لا، و الذی نجانی من یوم بدر «۱».

و لما اطمأن القوم بعثوا عمیر بن وهب الجمحی فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد.

فدار بفرسه حول العسکر ثم رجع إلیهم، فقال: ثلاثمائة رجل یزیدون قلیلا أو ینقصونه، و لکن أمهلونی حتی أنظر أ للقوم کمین أو مدد، و ضرب فی الوادی حتی أبعد فلم یر شیئا، فرجع إلیهم فقال: ما رأیت شیئا، و لکن قد رأیت یا معشر قریش البلایا تحمل المنایا، نواضح یثرب تحمل الموت الناقع، قوم لیس لهم منعة و لا ملجأ إلا سیوفهم، و الله ما أری أن یقتل رجل منهم حتی یقتل رجلا منکم، فإذا أصابوا منکم أعدادهم فما خیر العیش بعد ذلک، فروا رأیکم.

فلما سمع حکیم بن حزام ذلک مشی فی الناس فأتی عتبة بن ربیعة فقال: یا أبا الولید، إنک کبیر قریش و سیدها و المطاع فیها، هل لک إلی أن لا تزال تذکر منها بخیر إلی آخر الدهر، قال: و ما ذلک یا حکیم؟ قال: ترجع بالناس، و تحمل أمر حلیفک عمرو بن الحضرمی. قال: قد فعلت، أنت علی بذلک إنما هو حلیفی فعلی عقله و ما أصیب من ماله، فأت ابن الحنظلیة- یعنی أبا جهل- فإنی لا أخشی أن یشجر أمر الناس غیره.

ثم قام عتبة خطیبا فقال:

یا معشر قریش، إنکم و الله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا و أصحابه شیئا، و الله لئن أصبتموه لا یزال رجل ینظر فی وجه رجل یکره النظر إلیه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشیرته، فارجعوا و خلوا بین محمد، و بین سائر العرب، فإن أصابوه فذلک الذی أردتم، و إن کان غیر ذلک ألفاکم، و لم تعرضوا منه ما تریدون.

و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رأی عتبة فی القوم علی جمل له أحمر فقال: «إن یک عند أحد من القوم خیر فعند صاحب الجمل الأحمر، إن یطیعوه یرشدوا» «۲».

قال حکیم: فانطلقت حتی جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا له من جرابها فهو یهیئها، فقلت له: یا أبا الحکم، إن عتبة أرسلنی إلیک بکذا و کذا، للذی قال. فقال:

انتفخ و الله سحره حین رأی محمدا و أصحابه، کلا و الله لا نرجع حتی یحکم الله بیننا

---

(۱) ذکره ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۳/ ۲۹۸)، الطبری فی تاریخه (۲/ ۳۰).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۱/ ۱۱۷)، مجمع الزوائد للهیثمی (۶/ ۷۵، ۷۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۳۳

و بین محمد و ما بعتبة ما قال: و لکنه قد رأی أن محمدا و أصحابه أکلة جزور و فیهم ابنه، فقد تخوفکم علیه.

ثم بعث إلی عامر بن الحضرمی، فقال: هذا حلیفک یرید أن یرجع بالناس، و قد رأیت ثأرک بعینیک، فقم فانشد خفرتک، و مقتل أخیک.

فقام عامر بن الحضرمی فاکتشف ثم صرخ: وا عمراه، وا عمراه! فحمیت الحرب و حقب أمر الناس و استوسقوا علی ما هم علیه من الشر و أفسد علی الناس الرأی الذی دعاهم إلیه عتبة.

فلما بلغ عتبة قول أبی جهل: انتفخ و الله سحره، قال: سیعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو؟!

ثم التمس عتبة بیضة لیدخلها فی رأسه فما وجد فی الجیش بیضة تسعة من عظم هامته، فلما ذلک اعتجر علی رأسه ببرد له.

و خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومی و کان رجلا شرسا سیئ الخلق، فقال:

أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه.

فخرج إلیه حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطن قدمه بنصف ساقه و هو دون الحوض، فوقع علی ظهره تشخب رجله دما، ثم حبا إلی الحوض حتی اقتحم فیه یرید. زعم أن یبر یمینه، و أتبعه حمزة فضربه حتی قتله فی الحوض.

ثم خرج بعده عتبة بن ربیعة بین اخیه شیبة و ابنه الولید بن عتبة حتی إذا نصل من الصف دعا إلی المبارزة، فخرج إلیه فتیة من الأنصار ثلاثة، و هم: عوف و معوذ ابنا الحارث و أمهما عفراء، و عبد الله بن رواحة. فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بکم من حاجة، ثم نادی منادیهم: یا محمد، أخرج إلینا أکفاءنا من قومنا.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «قم یا عبیدة بن الحارث، و قم یا حمزة و قم یا علیّ» «۱». فلما قاموا و دنوا منهم، قالوا: من أنتم، فقال عبیدة: عبیدة، و قال حمزة: حمزة، و قال علی: علی.

قالوا: نعم، أکفاء کرام.

فبارز عبیدة، و کان أسن القوم، عتبة، و بارز حمزة شیبة، و بارز علیّ الولید.

فأما حمزة فلم یمهل شیبة أن قتله. و أما علیّ فلم یمهل الولید أن قتله، و اختلف عبیدة

---

(۱) انظر الحدیث فی: سنن أبی داود (۲۶۶۵)، من حدیث علی بن أبی طالب رضی الله عنه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۳۴

و عتبة بینهما ضربتین کلاهما أثبت صاحبه، و کر حمزة و علیّ بأسیافهما علی عتبة فذففا علیه، و احتملا صاحبهما فحازاه إلی أصحابه.

و ذکر ابن عقبة، أنه لما طلب القوم المبارزة فقام إلیهم ثلاثة نفر من الأنصار، استحیا النبیّ صلی اللّه علیه و سلم من ذلک لأنه کان أول قتال التقی فیه المسلمون و المشرکون و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم شاهد معهم، فأحب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم أن تکون الشوکة ببنی عمه، فناداهم أن ارجعوا إلی مصافکم، و لیقم إلیهم بنو عمهم. فعند ذلک قام حمزة و علیّ و عبیدة.

ثم تزاحف الناس و دنا بعضهم من بعض، و أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أصحابه أنه لا یحملوا حتی یأمرهم، و قال: «إن اکتنفکم القوم فانضحوهم عنکم بالنبل» «۱».

و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی العریش معه أبو بکر الصدیق، و کان شعار أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: أحد، أحد.

و عدل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم- یومئذ- صفوف أصحابه و فی یده قدح یعدل به القوم، فمر بسواد بن غزیة- حلیف بنی عدی بن النجار- و هو مستنثل من الصف- أی بارز- فطعن فی بطنة بالقدح و قال: «استو یا سواد». فقال: یا رسول الله أوجعتنی، و قد بعثک الله بالحق و العدل فأقدنی. فکشف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عن بطنه و قال: «استقد»، فاعتنقه فقبل بطنه، فقال له: «ما حملک علی هذا یا سواد؟» «۲» قال: یا رسول الله، حضر ما تری، فأردت أن یکون آخر العهد بک أن یمس جلدی جلدک، فدعا له بخیر، و قاله له.

ثم عدل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الصفوف و رجع إلی العریش، فدخله و معه فیه أبو بکر، لیس معه فیه غیره، و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یناشد ربه ما وعده من النصر و یقول فیما یقول: «اللهم إن تهلک هذه العصابة الیوم لا تعبد». و أبو بکر یقول: یا نبی الله، بعض مناشدتک ربک، فإن الله منجز لک ما وعدک.

و خفق رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خفقة و هو فی العریش، ثم انتبه فقال: «أبشر یا أبا بکر، أتاک نصر الله! هذا جبریل آخذا بعنان فرسه یقوده علی ثنایاه النقع» «۳». یرید الغبار.

و رمی مهجع مولی عمر بن الخطاب بسهم فقتله، فکان أول قتیل من المسلمین.

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۳۹۸۴، ۳۹۸۵)، سنن أبی داود (۲۶۶۳).

(۲) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۲۷۱)، تاریخ الطبری (۲/ ۳۲).

(۳) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۳/ ۲۸۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۳۵

ثم رمی حارثة بن سراقة- أحد بنی عدی بن النجار- و هو یشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتله.

ثم خرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی الناس فحرضهم، ثم قال: «و الذی نفس محمد بیده لا یقاتلهم الیوم رجل فیقتل صابرا محتسبا مقبلا غیر مدبر إلا أدخله الله الجنة» «۱».

فقال عمیر بن الحمام، أخو بنی سلمة و فی یده تمرات یأکلهن: بخ بخ! أ فما بینی و بین أن أدخل الجنة إلا أن یقتلنی هؤلاء! ثم قذف التمرات من یده و أخذ سیفه فقاتل حتی قتل.

و قال- یومئذ- عوف بن الحارث و هو ابن عفراء: یا رسول الله، ما یضحک الرب من عبده؟ فقال: «غمسه یده فی العدو حاسرا» «۲» فنزع درعا کانت علیه فقذفها ثم أخذ سیفه فقاتل القوم حتی قتل.

و قاتل عکاشة بن محصن الأسدی حلیف بنی عبد شمس یوم بدر بسیفه حتی انقطع فی یده، فاتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأعطاه جذلا من حطب، فقال: «قاتل بهذا یا عکاشة» «۳»، فلما أخذه هذه فعاد فی یده سیفا طویل القامة شدید المتن أبیض الحدیدة، فقاتل به حتی فتح الله علی المسلمین، و کان ذلک السیف یسمی العون، ثم لم یزل عنده یشهد به المشاهد مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی قتل فی الردة و هو عنده، قتله طلیحة الأسدی.

ثم إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قریشا ثم قال: «شاهت الوجوه» «۴»، ثم نفحهم بها، ثم أمر أصحابه فقال: «شدوا»، فکانت الهزیمة علیهم.

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الإمارة (۳/ ۱۴۵)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۳۶، ۱۳۷)، مستدرك الحاكم (۳/ ۴۲۶).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۷۱).

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۹۸، ۹۹)، المغازى للواقدى (۱/ ۹۳).

(۴) انظر الحديث فى: صحيح مسلم فى كتاب الجهاد باب (۲۸) رقم (۸۱)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۰۳، ۳۶۸، ۵/ ۲۸۶)، مستدرك الحاكم (۱/ ۱۶۳، ۳/ ۱۵۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۸۴، ۱۸۴، ۸/ ۴، ۲۲۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۱۴۱، ۶/ ۲۴۰)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۱۶۹، ۸/ ۳۲)، الدر المنثور للسيوطى (۵/ ۱۷۴، ۲۲۴، ۲۲۶، ۳۴۵)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۶۹۷، ۲۹۹۲۴، ۲۹۹۲۵، ۳۰۲۱۳، ۳۰۲۰۴)، تفسير ابن كثير (۳/ ۵۷۱، ۵۸۶، ۴/ ۶۹)، تفسير القرطبى (۸/ ۹۸، ۱۶، ۲۶۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۳۶

و جعل الله تلك الحصباء عظيما شانها، لم تترك من المشركين رجلا إلا ملأت عينيه.

و استولى عليهم المسلمون معهم الله و ملائكته يقتلونهم و يأسرونهم و يجدون النفر كل رجل منهم منكبّ على وجهه لا يدرى أين يتوجه، يعالج التراب ينزعه من عينيه.

فقتل الله من قتل من صناديد قريش، و أسر من أسر من أشرافهم.

فلما وضع القوم أيديهم يأسرون و سعد بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم متوشح السيف فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خوف كرة العدو عليه، رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال له:

«لكأنك و الله يا سعد تكره ما يصنع القوم؟» «۱» فقال: أجل و الله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان فى القتل أحب إلى من استقبال الرجال.

و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يومئذ لأصحابه: «إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم و غيرهم أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله، و من لقى أبا البخترى بن هشام فلا يقتله، و من لقى العباس عم رسول الله فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرها». فقال أبو حذيفة: أ نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و عشيرتنا و نترك العباس! و الله لئن وجدته لألحمنه السيف. فبلغت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص». قال عمر: و الله، إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بأبى حفص. «أ يضرب وجه عم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالسيف؟» «۲» فقال عمر: يا رسول الله، دعنى فلأضرب عنقه بالسيف، فو الله لقد نافق.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ و لا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدا رحمه الله.

و إنما نهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن قتل أبى البخترى لأنه كان أكف القوم عنه بمكة، و كان لا يؤذيه و لا يبلغه عنه شىء يكرهه، و كان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم و بنى المطلب.

فلقيه المجذر بن زياد البلوى حليف الأنصار- يوم بدر- فقال له: إن رسول الله

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۸۴)، تاريخ الطبرى (۲/ ۳۴)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۱۲۶).

(۲) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۳۴)، عيون الأثر لابن سيد الناس (۱/ ۳۹۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۳۷

صلى اللّه عليه و سلم قد نهانا عن قتلك، و مع أبى البخترى زميل له خرج معه من مكة، قال: و زميلى؟

قال المجذر: لا و الله ما نحن بتاركى زميلك، ما أمرنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلا بك و حدك.

قال: إذا و الله لأموتن أنا و هو جميعا، لا تحدث عنى نساء مكة إنى تركت زميلى حريصا على الحياة، و قال يرتجز:

لن يسلم ابن حرة زميلهحتى يموت أو يرى سبيله ثم اقتتلا فقتله المجذر، ثم أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: و الذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلنى فقاتلته فقتلته.

هذا الذى ذكر ابن إسحاق فى قتل أبى البخترى «۱».

و قال موسى بن عقبة: يزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البخترى و يأبى أعظم الناس إلا أن المجذر هو الذى قتله.

ثم أضرب ابن عقبة عن القولين، و قال: بل قتله- غير شك- أبو داود المازنى و سلبه سيفه فكان عند بنيه حتى باعه بعضهم من بعض بنى أبى البخترى.

و كان المجذر قد ناشده أن يستأسره، و أخبره بنهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن قتله، فأبى أبو البخترى أن يستأسر و شد عليه المجذر بالسيف و طعنه الأنصارى، يعنى أبا داود المازنى، بين ثدييه فأجهز عليه فقتله.

و يومئذ قال المجذر فيما ذكروا:

إما جهلت أو نسيت نسبىفأثبت النسبة أنى من بلى

الطاعنين برماح اليزنىو الضاربين الكبش حتى ينحنى

بشر بيتم من أبوه البخترىأو بشرن بمثلها منى بنى

أنا الذى يقال أصلى من بلىأطعن بالصعدة حتى تنثنى

و أعبط القرن بعضب مشرفىأرزم للموت كإرزام المرى

فلا ترى مجذرا يفرى فرى

و قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: كان أمية بن خلف لى صديقا بمكة، و كان اسمى عبد عمرو، فلما أسلمت تسميت عبد الرحمن، فكان يلقانى فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟ فأقول نعم. فيقول: فإنى. لا أعرف الرحمن،

---

(۱) انظر السيرة (۲/ ۲۳۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۳۸

فاجعل بينى و بينك شيئا أدعوك به، أما أنت فلا- تجيبنى باسمك الأول، و أما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. فقلت له: يا أبا علىّ، اجعل ما شئت. قال: فأنت عبد الإله.

فقلت: نعم.

حتى إذا كان يوم بدر مررت به و هو واقف مع ابنه على آخذ بيده و معى أدراع لى قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رآنى قال: يا عبد عمرو. فلم أجبه فقال: يا عبد الإله.

فقلت: نعم. قال: هل لك فىّ فأنا خير لك من هذه الأدراع؟ قلت: نعم.

فطرحت الأدراع من يدى و أخذت بيده و يد ابنه، و هو يقول: ما رأيت كاليوم قط! أ ما لكم حاجة فى اللبن؟ يريد الفداء.

و قال عبد الرحمن: قال لى أمية و أنا بينه و بين ابنه آخذ بأيديهما: من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره؟ زائده قلت: ذلك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل.

قال عبد الرحمن: فو الله، إنى لأقودهما إذ رآه بلال، و كان هو الذى يعذبه بمكة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد. فيقول بلال:

أحد أحد. فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجوت، قال: قلت أى بلال أ بأسيرى؟!

قال: لا نجوت إن نجا. قلت: أ تسمع يا ابن السوداء؟ قال: لا نجوت إن نجا. ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا.

فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة، و أنا اذب عنه، فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنة فوقع، و صاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، فقلت: انج بنفسك، و لا نجاء به، فو الله ما أغنى عنك شيئا، فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما، فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالا، ذهبت أدراعى و فجعنى بأسيرى.

و قاتلت الملائكة يوم بدر. قال ابن عباس: و لم تقاتل فى يوم سواه، و كانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا و مددا لا يضربون، و كانت سماهم يوم بدر عمائم بيضاء، قد أرسلوها فى ظهورهم، و يوم حنين عمائم حمرا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۳۹

و ذكر ابن هشام «۱» عن على- رضى الله عنه- فى سيماهم يوم بدر مثل ما قال ابن عباس، إلا جبريل، فإن فى حديث على أنه كانت عليه عمامة صفراء.

و قال ابن عباس: حدثنى رجل من غفار قال: أقبلت أنا و ابن عم لى حتى أصعدنا فى حيل يشرف بنا على بدر، و نحن مشركان ننظر لمن تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب؛ فبينا نحن فى الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم. فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، و أما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت.

و قال أبو أسيد الساعدى بعد أن ذهب بصره، و كان شهد بدرا: لو كنت اليوم ببدر و معى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة، لا أشك و لا أتمارى.

و قال أبو داود المازنى: إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى، فعرفت أنه قد قتله غيرى.

فلما فرغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من عدوه أمر بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى، و قال لهم:

«انظروا إن خفى عليكم فى القتلى إلى أثر جرح فى ركبته، فإنى ازدحمت يوما أنا و هو على مأدبة لعبد الله بن جدعان و نحن غلامان و كنت أشف منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحشت فى إحداهما جحشا لم يزل أثره به» «۲».

---

(۱) انظر السيرة (۲/ ۲۳۷).

(۲) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم (۳/ ۱۱۵) فى ذكر مقتل أبى جهل قصة أصح من هذا و هى فى صحيح البخارى، فقال: أخبرنا عبد الأول، قا: أخبرنا الداوودى، قال: أخبرنا ابن أعين، قال:

أخبرنا الفربرى، قال: حدثنا البخارى، قال: أخبرنا مسدد، قال: حدثنا يوسف بن يعقوب الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن، أنه قال: بينا أنا واقف فى الصف يوم بدر، فنظرت عن يمينى و عن شمالى، فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثه أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزنى أحدهما، فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، و ما حاجتك إليه يا ابن أخى؟ قال: بلغنى أنه يسب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و الذى نفسى بيده لئن رأيته لم يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا، قال:

فغمزنى الآخر، فقال لى مثلها، فتعجبت لذلك ثم لم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس، فقلت لهما: أ لا- تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، فابتدراه فاستقبلهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما:

أنا قتلته، قال: «مسحتما سيفيكما؟»، قالا: لا، فنظر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى السيفين، فقال:

«كلا كما قتله»، و قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۴۰

و كان من حديث عدو الله يوم بدر أنه لما التقى الناس و دنا بعضهم من بعض قال:

اللهم أقطعنا للرحم و آتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح، و أقبل يرتجز و هو يقول:

ما تنقم الحرب العوان منىبازل عامين حديث سنى

لمثل هذا ولدتنى أمى

و كان أول من لقيه ذكر معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمة، قال: سمعت القوم و أبو جهل فى مثل الحربة يقولون: أبو الحكم لا يخلصن إليه.

فلما سمعتها جعلته من شأنى فصمدت نحوه، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقة، فضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى، و أجهضنى القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومى و إنى لأسحبها خلفى، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها و عاش بعد ذلك معاذ هذا- رحمه الله- إلى زمان عثمان رضى الله عنه.

ثم مر بأبى جهل، و هو عقير، معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه و به رمق، و قاتل معوذ حتى قتل.

فمر عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالتماسه فى القتلى. قال عبد الله: و قد كان ضبث بى مرة بمكة فآذانى و لكزنى، فوجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له: أخزاك الله يا عدو الله! قال: و بما ذا أخزانى؟ أعمد من رجل قتلتموه، أخبرنى لمن الدائرة اليوم؟ قلت: لله و لرسوله.

ثم احتززت رأسه، ثم جئت به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل. فقال: «آلله الذى لا إله غيره؟» «۱» و كانت يمين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قلت:

نعم، و الله الذى لا إله غيره. ثم ألقيت رأسه بين يديه، فحمد الله.

و خرج مسلم فى صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف، قال: بينا أنا واقف فى الصف

- و قال ابن الجوزى هما: معاذ بن عمرو، و معاذ بن عفراء.

قلت: و الحديث أخرجه: البخارى فى صحيحه (۶/ ۲۴۶)، مسلم فى صحيحه كتاب الجهاد و السير (۳/ ۴۲)، أحمد فى المسند (۱/ ۱۹۳).

(۱) انظر الحديث فى: السنن الكبر للبيهقى (۹/ ۶۲)، تاريخ الطبرى (۲/ ۳۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۸۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۴۱

يوم بدر نظرت عن يمينى و شمالى، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، فتمنيت لو كنت بين اضلع منهما فغمزنى أحدهما، فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟

قلت: نعم و ما حاجتك إليه يا ابن أخى؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و الذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك، فغمزنى الآخر فقال مثلها.

قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس، فقلت: أ لا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه.

فابتدراه، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبراه، فقال:

«أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا:

لا، فنظر فى السيفين، فقال: «كلاكما قتله». و قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح.

و الرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، و معاذ بن عفراء.

و ذكر ابن عقبة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وقف يوم بدر على القتلى، فالتمس أبا جهل فلم يجده، حتى عرف ذلك فى وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «اللهم لا يعجزن فرعون هذه الأمة».

فسعى له الرجال حتى وجده عبد الله بن مسعود مصروعا، بينه و بين المعركة غير كبير، مقنعا فى الحديد واضعا سيفه على فخذيه، ليس به جرح و لا- يستطيع أن يحرك منه عضوا، و هو مكب ينظر إلى الأرض، فلما رآه ابن مسعود طاف حوله ليقتله و هو خائف أن ينوء إليه، فلما دنا منه و أبصره لا يتحرك ظن أنه مثبت جراحا، فأراد أن يضربه بسيفه، فخاف أن لا يعنى شيئا فأتاه من ورائه، فتناول قائم سيف أبى جهل فاستله و هو مكب لا يتحرك، ثم رفع سابغة البيضة عن قفاه، فضربه فوقع رأسه بين يديه، ثم سلبه، فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح و أبصر فى عنقه حدرا و فى يديه و كتفه مثل آثار السياط.

فأتى ابن مسعود النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأخبره بقتله، و الذى رأى به، فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، زعموا: «ذلك ضرب الملائكة».

و أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالقتلى أن يطرحوا فى القليب فطرحوا فيه إلا- ما كان من أمية ابن خلف، فإنه انتفخ فى درعه فملأها، فذهبوا ليحركوه فتزايل، فأقروه و ألقوا عليه ما غيبه من التراب و الحجارة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۴۲

و يقال: إنهم ألقوا فى القليب وقف عليهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «يا أهل القليب، بئس عشيرة النبىّ كنتم لنبيكم، كذبتمونى و صدقنى الناس، و أخرجتمونى و آوانى الناس، و قاتلتمونى و نصرنى الناس. يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا».

فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلم قوما موتى؟

فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق».

قالت عائشة: و الناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، و إنما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لقد علموا» «۱».

و فى حديث أنس أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين نادى أصحاب القليب: يا رسول الله، أ تنادى قوما قد جيفوا. فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى» «۲».

و ذكر ابن عقبة نحوا من ذلك عن نافع عن عبد الله بن عمر.

و قال حسان بن ثابت:

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحى فى الورق القشيب

تداولها الرياح و كل جون من الوسمى منهمر سكوب

فأمسى رسمها خلقا و أمست يبابا بعد ساكنها الحبيب

فدع عنك التذكر كل يوم ورد حرارة الصدر الكئيب

و خبر بالذى لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب

بما صنع المليك غداة بدر لنا فى المشركين من النصيب

غداة كأن جمعهم حراء بدت أركانه جنح الغروب

فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب مردان و شيب

أمام محمد قد وازروه على الأعداء فى لقح الحروب

بأيديهم صوارم مرهفاتو كل مجرب ماضى الكعوب

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۶)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۹۰، ۹۱)، مستدرك الحاكم (۳/ ۲۲۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۹۲).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الجنة (۴/ ۷۷)، سنن النسائى (۲۰۷۴)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۳۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۴۳ بنو الأوس الغطارف و آزرتهابنو النجار فى الدين الصليب

فغادرنا أبا جهل صريعاو عتبة قد تركنا بالحبوب

و شيبة قد تركنا فى رجالذوى حسب إذا نسبوا حسيب

يناديهم رسول الله لماقذفناهم كباكب فى القليب

أ لم تجدوا كلامى كان حقاو أمر الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا و لو نطقوا لقالواصدقت و كنت ذا رأى مصيب و لما أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم- فيما ذكر- فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: «يا أبا حذيفة، لعلك دخلك من شأن أبيك شيء؟» «۱» أو كما قال صلى اللّه عليه و سلم.

قال: لا- و الله يا رسول الله، ما شككت فى أبى و لا فى مصرعه، و لكنى كنت أعرف من أبى رأيا و حلما و فضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه، و ذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له، أحزننى ذلك.

فدعا له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بخير و قال له خيرا.

و كان فى قريش فتية أسلموا و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمكة، فلما هاجر إلى المدينة حبسهم آباؤهم و عشائرهم بمكة، و فتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعا، فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً [النساء: ۹۷].

و أولئك الفتية: الحارث بن زمعة بن الأسود، و أبو قيس بن الفاكه، و أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، و على بن أمية بن خلف، و العاص بن منبه بن الحجاج.

ثم إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أمر بما فى العسكر مما جمع الناس فجمع.

فاختلف فيه المسلمون، فقال من جمعه: هو لنا. و قال الذين كانوا يقاتلون العدو و يطلبونه: و الله لو لا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم.

و قال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مخافة أن يخالف إليه العدو:

و الله، ما أنتم بأحق به منا، و لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم، و لقد

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۲/ ۲۹۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۴۴

رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، و لكنا خفنا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كرة العدو فقمنا دونه، فما أنتم بأحق به منا.

فكان عبادة بن الصامت إذا سئل عن الأنفال، قال: فينا معاشر أصحاب بدر أنزلت حين اختلفنا فى النفل و ساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله

من أيدينا، فجعله إلى رسوله صلى اللّه عليه و سلم فقسمه بيننا عن بواء. يقول: على السواء. فكان فى ذلك تقوى الله و طاعة رسوله، و صلاح ذات البين.

ثم بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عبد الله بن رواحة بشيرا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله و على المسلمين، و بعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر- حين سوينا على رقية بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خلفنى عليها مع زوجها عثمان- أن زيد بن حارثة قد قدم.

قال: فجئته و هو واقف بالمصلى و قد غشيه الناس و هو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة و أبو جهل بن هشام، و زمعة بن الأسود، و أبو البخترى بن هشام، و أمية ابن خلف، و نبيه و منبه ابنا الحجاج. قلت: يا أبه أحق هذا؟ قال: نعم و الله يا بنى.

ثم أقبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قافلا إلى المدينة و معه الأسارى من المشركين، و فيهم عقبة بن أبى معيط و النضر بن الحارث، حتى إذا خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من مضيق الصفراء، نزل على كثيب يقال له: سير إلى سرحة به، فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء.

ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء، لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه و من معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش: ما الذى تهنئوننا به؟ فو الله، إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعلقة فنحرناها، فتبسم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: «أى ابن أخى؟

أولئك الملأ» «۱».

حتى إذا كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالصفراء، قتل النضر بن الحارث، قتله على بن أبى طالب- رضى الله عنه- ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية، قتل عقبة بن أبى معيط، فقال عقبة حين أمر بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: «النار» «۲».

---

(۱) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۳۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۳۰۵).

(۲) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۳۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۴۵

فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، فى قول ابن عقبة و ابن إسحاق. و قال ابن هشام «۱»: قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه.

و قالت قتيلة أخت النضر بن الحارث لما بلغها مقتل أخيها:

يا راكبا إن الأثيل مظنهٔمن صبح خامسهٔ و أنت موفق «۲»

أبلغ بها ميتا بأن تحيهٔما إن تزال بها النجائب تخفق «۳»

منى إليك و عبرهٔ مسفوحهٔجادت بواكفها و أخرى تخنق

هل يسمعنى النضر إن ناديتهٔأم كيف يسمع ميت لا ينطق

أ محمد يا خير ضنء كريمهٔفى قومها و الفحل فحل معرق «۴»

ما كان ضرك لو مننت و ربمامنّ الفتى و هو المغيظ المحنق

أو كنت قابل فديهٔ فلينفقنبأعز ما يغلو به ما ينفق

فالنضر أقرب من أسرت قرابهٔو أحقهم إن كان عتق يعتق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشهٔلله أرحام هناك تشقق قال ابن هشام: فيقال، و الله أعلم: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغنى هذا قبل مقتله لمننت عليه» «۵».

ثم مضرى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم، و قد كان فرقهم بين أصحابه، و قال: استوصوا

بالأسارى خيرا.

و كان أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه و أمه فى الأسارى، قال: و كنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، و كانوا إذا قدموا غداءهم و عشاءهم خصونى بالخبز، و أكلوا التمر، لوصية رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إياهم بنا، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحنى بها، قال: فاستحى فأردها عليه فيردها على ما يمسها!

قال: و مر بى أخى مصعب و رجل من الأنصار يأسرنى، فقال له: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال له أبو عزيز- فيما ذكر ابن هشام- يا أخى،

---

(۱) انظر السيرة (۲/ ۲۴۹).

(۲) الأثيل: تصغير أثل، و الأثل: هو شجر الطرفاء، ثم سمى به موضع قرب المدينة بين بدر، و وادى الصفراء. و مظنة: موضع لحصول الظن.

(۳) النجائب: كرام الإبل. تخفق: تسرع.

(۴) ضن: النسل و الولد. المعرق: الكريم الذى يأتى بنسل كرام.

(۵) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۳۰۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۴۶

هذه وصاتك بى! فقال له مصعب: إنه أخى دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت ففدته بها.

و ذكر قاسم بن ثابت فى دلائله: أن قريشا لما توجهت إلى بدر مر هاتف من الجن على مكة- فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون- و هو ينشد بأبعد صوت و لا يرى شخصه:

أزار الحنيفيون بدرا وقيعةسينقض منها ركن كسرى و قيصرا

أبادت رجالا من لؤىّ و أبرزتخرائد يضربن الترائب حسرا

فيا ويح من أمسى عدو محمدلقد جار عن قصد الهدى و تحيرا فقال قائلهم: من الحنيفيون؟ فقالوا: هو محمد و أصحابه، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين.

و كان أول من قدم مكة بمصاب قريش: الحيسمان بن عبد الله الخزاعى. فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و أبو الحكم بن هشام، و أمية بن خلف، و زمعة بن الأسود، و نبيه و منبه ابنا الحجاج، و أبو البخترى بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية و هو قاعد فى الحجر: و الله إن يعقل هذا، فسلوه عنى. قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو ذاك جالس فى الحجر، و قد و الله رأيت اباه و أخاه حين قتلا.

و قال أبو رافع مولى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، و كان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس، و أم الفضل، و أسلمت، و كان العباس يهاب قومه، و يكره خلافهم، فكان يكتم إسلامه، و كان ذا مال كثير متفرق فى قومه، و كان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله و أخزاه، و وجدنا فى أنفسنا قوة و عزة، و كنت أعمل الأقداح فى حجرة زمزم، فو الله، إنى لجالس فيها أنحت أقداحى و عندى أم الفضل جالسة، و قد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس إلى طنب الحجرة ظهره إلى ظهرى.

فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم.

فقال أبو لهب: هلم إلى فعندك لعمرى الخبر، فجلس إليه و الناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخى، أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال: و

الله، ما هو إلا أن لقینا القوم منحناهم أکتافنا یقتلوننا کیف شاءوا و یأسروننا کیف شاءوا، و أیم الله مع ذلک ما لمت الناس،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۴۷

لقینا رجالا بیضا على خیل بلق بین السماء و الأرض، و إله ما تلیق شیئا، و لا یقوم لها شیء.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بیدی ثم قلت: تلک و الله الملائکة! فرفع أبو لهب یده فضرب وجهی ضربة شدیدة، و ثاورته فاحتملنی و ضرب بی الأرض، ثم برک علیّ یضربنی و کنت رجلا ضعیفا، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت فی رأسه شجة منکرة. و قالت أ تستضعفه أن غاب عنه سیده! فقام مولیا ذلیلا، فو الله ما عاش إلا سبع لیال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.

و ذکر محمد بن جریر الطبری فی تاریخه أن العدسة قرحة کانت العرب تتشاءم بها، و یرون أنها تعدى أشد العدوى.

فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه، و بقی بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته، و لا یحاول دفنه، فلما خافوا السّبّة فی ترکه حفروا له ثم دفعوه بعود فی حفرته، و قذفوه بالحجارة من بعید، حتى واروه.

و قال ابن إسحاق فی روایة یونس بن بکیر عنه: إنهم لم یحفروا له و لکن أسندوه إلى حائط و قذفوا علیه الحجارة من خلف الحائط، حتى واروه.

و یروى أن عائشة- رضی الله عنها- کانت إذا مرت بموضعه ذلک غطت وجهها.

و خرج البخاری فی صحیحه: أن أبا لهب رآه بعض أهله فی المنام بشرحیبة، أی حالة، فقال: ما لقیت بعدکم راحة، غیر أنی سقیت فی مثل هذه- و أشار إلى النقرة بین السبابة و الإبهام- بعتقی ثویبة.

و ثویبة هذه أرضعت رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و ارضعت عمه حمزة و ابا سلمة بن عبد الأسد.

و روى غیر البخاری أن الذی رأى أبا لهب من أهله هو أخوه العباس، و أنه قال:

مکثت حولا بعد موت أبی لهب لا أراه فی نوم، ثم رأیته فی شر حال، فقال: ما لقیت بعدکم راحة، إلا أن العذاب یخفف عنی کل یوم اثنین.

و ذلک أن رسول الله صلى اللّه علیه و سلم ولد یوم الاثنین، فبشرت أبا لهب بمولده ثویبة مولاته، فقالت له: أشعرت أن آمنة ولدت غلاما لأخیک عبد الله؟ فقال لها: اذهبی فأنت حرة، فنفعه ذلک و هو فی النار، کما نفع أخاه ابا طالب ذبه عن رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و اجتهاده فی منعه و نصرته، فهو أهون أهل النار عذابا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۴۸

و یفعل الله ما یشاء مما یطابق سابق تقدیره، و قد قضى الله- سبحانه- بإحباط عمل الکافرین، فمحال أن یقیم لهم یوم القیامة و زنا، أو ینالوا عنده بشیء قدموه مما یتصور بصورة الأعمال الصالحة نعیما، إلا أنه ربما جعل التفاوت بین جماهیرهم و بین شاء منهم بمقدار العذاب، فیضاعفه على قوم أضعافا، و یضع من شدائده عن آخرین تخفیفا.

و کل عذاب الله شدید، فنعوذ برضا مولانا الکریم من سخطه، و بمعافاته من عقوبته.

و حدث محمد بن إسحاق بن یسار عن یحیى بن عباد، عن أبیه عباد بن عبد الله بن الزبیر، قال: ناحت قریش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فیبلغ محمدا و أصحابه فیشمتوا بکم، و لا تبعثوا فی أسراکم حتى تستأنوا بهم لا یأرب علیکم محمد و أصحابه فی الفداء.

قال: و کان الأسود بن المطلب قد أصیب له ثلاثة من ولده: زمعة و عقیل ابناه، و الحارث بن زمعة و هو ابن ابنه، و کان یحب أن یبکی علیهم، فسمع نائحة من اللیل فقال لغلام له و قد ذهب بصره، انظر هل أحل النحب؟ هل بکت قریش على قتلاها؟

لعلی ابکی على أبی حکیمة- یعنی زمعة- فإن جوفی قد احترق!

فلما رجع إلیه الغلام، قال: إنما هی امرأة تبکی على بعیر لها أضلته. قال: فذاک حین یقول الأسود:

أ تبكى أن يضل لها بعيرو يمنعها من النوم السهود

فلا تبكى على بكر و لكن‌على بدر تقاصرت الجدود فى أبيات ذكرها ابن إسحاق «۱».

و قد تقدم دعاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على الأسود بن عبد المطلب هذا بأن يعمى الله بصره و يثكله ولده، فاستجيب له وفق دعائه، سبق العمى أولا إلى بصره، ثم أصيب يوم بدر بمن سمى آنفا من ولده، فتمت إجابة الله سبحانه رسوله فيه.

و كان فى الأسارى أبو وداعة السهمى، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال، و كأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء أبيه» «۲»، فلما قالت قريش: لا

---

(۱) انظر السيرة (۲/ ۲۵۳).

(۲) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۹۰)، تاريخ الطبرى (۲/ ۴۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۴۹

تعجلوا بفداء أسراكم لا يأرب عليكم محمد و أصحابه، قال المطلب بن أبى وداعة، و هو الذى كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عنى، صدقتم لا تعجلوا. و انسل من الليل فقدم المدينة فأخذ اباه بأربعة آلاف درهم.

ثم بعثت قريش فى فداء الأسارى، فقدم مكرز بن حفص بن الأحنف فى فداء سهيل بن عمرو و كان الذى أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف، فلما قاولهم فيه مكرز و انتهى إلى رضاهم قالوا: هات الذى لنا، قال: اجعلوا رجلى مكان رجله، و خلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه. فخلوا سبيل سهيل، و حبسوا مكرزا مكانه عندهم، فقال مكرز:

فديت بأذواد ثمان سبا فتى‌ينال الصميم غرمها لا المواليا

رهنت يدى و المال أيسر من يدى‌على و لكنى خشيت المخازيا

و قلت سهيل خيرنا فاذهبوا به‌لأبنائنا حتى ندير الأمانيا و كان سهيل قد قام فى قريش خطيبا عند ما استنفرهم أبو سفيان، فقال: يا لغالب أ تاركون أنتم محمدا و الصبا من أهل يثرب يأخذون عيرانكم و أموالكم، من أراد مالا فهذا مالى، و من أراد قوة فهذه قوة.

فيروى أن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- قال لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما أسر سهيل يوم بدر: يا رسول الله، انزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا أمثل به، فيمثل الله بى، و إن كنت نبيا! إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمة» «۱».

فصدق الله و رسوله، و كان لسهيل بعد وفاته صلى اللّه عليه و سلم فى تثبيت أهل مكة على الإيمان مقام سيأتى ذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله.

و كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب أسيرا فى يدى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أسارى بدر، فقيل لأبى سفيان بن حرب: أفد عمرا ابنك. فقال: أ يجمع على دمى و مالى، قتلوا حنظلة و أفدى عمرا؛ دعوه فى أيديهم يمسكونه ما بدا لهم!

---

(۱) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۱۳۳۹۵، ۱۳۴۴۷، ۱۳۴۴۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۳۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۵۰

فبينا هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بنى عمرو بن عوف معتمرا، و معه مرية له، و كان شيخا مسلما فى غنم له بالبقيع، فخرج من هنالك معتمرا و لا يخشى الذى صنع به، لم يظن أنه يحبس بمكة، إنما جاء معتمرا، و قد كان عهد قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمرا إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو. ثم قال:

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بنى عمرو لئام أذلةلئن لم تفكوا عن أسيرهم الكبلا فأجابه حسان بن ثابت فقال:

و لو كان سعد يوم مكة مطلقالأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا

بعضب حسام أو بصفراء نبعةتحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا و مشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبروه خبره، و سألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان، فيفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فبعثوا به إلى أبى سفيان، فخلى سبيل سعد.

و كان فى الأسارى- أيضا- أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ختن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم زوج ابنته زينب، و كان صلى اللّه عليه و سلم يثنى عليه فى صهره خيرا، و كان من رجال مكة المعدودين مالا- و أمانة و تجارة، و هو ابن أخت خديجة- رضى الله عنها- و هى سألت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل أن ينزل عليه الوحى أن يزوجه، و كان لا يخالفها، فزوجه، و كانت تعده بمنزلة ولدها.

فلما أكرم الله رسوله صلى اللّه عليه و سلم بنبوته، آمنت به خديجة و بناته، فصدقنه و دن بدينه، و شهدن أن الذى جاء به هو الحق، و ثبت أبو العاص على شركه.

فلما بادى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قريشا بأمر الله تبارك و تعالى و بالعداوة، قالوا: إنكم فرغتم محمدا من همه، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن. فمشوا إلى أبى العاص فقالوا له: فارق صاحبتك و نحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت. قال: لا ها الله، إذا لا أفارق صاحبتى، و ما أحب أن لى بها امرأة من قريش.

ثم مشوا إلى عتبة بن أبى لهب و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد زوجه رقية أو أم كلثوم، فقالوا له: طلق ابنة محمد و نحن ننكحك أى امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتمونى ابنة أبان بن سعيد بن العاص، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتها. فزوجوه بنت سعيد بن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۵۱

العاص و فارقها، و لم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامة لها و هوانا له. و خلف عليها عثمان بن عفان بعده.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لا يحل بمكة و لا يحرم، مغلوبا على أمره، و كان الإسلام قد فرق بين زينب ابنته و بين أبى العاص، إلا أنه كان لا يقدر أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها و هو على شركه، حتى هاجر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص فأصيب فى الأسارى، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى فداء أبى العاص بمال و بعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها، فلما رآها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رق لها رقة شديدة، و قال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، و تردوا عليها الذى لها فافعلوا» «۱» قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه و ردوا عليها مالها.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد أخذ عليه أن يخلى سبيل زينب إليه، أو وعده أبو العاص بذلك، أو شرطه عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى إطلاقه، و لم يظهر ذلك منه و لا من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيعلم ما هو.

إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة و خلى سبيله، بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكانه زيد بن حارثة، و رجلا من الأنصار، فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها، حتى تأتيانى بها. فخرجا و ذلك بعد بدر بشهر أو سبعة، فلما قدم أبو العباس مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تتجهز.

قالت زينب: بينا أنا أتجهز بمكة لقيتنى هند ابنة عتبة، فقالت: يا ابنة محمد أ لم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ قالت: ما أردت ذلك. قالت: أى ابنة عم لا تفعلى، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندى

حاجتک، فلا تضطنی منی فإنه لا یدخل بین النساء ما یدخل بین الرجال. قالت زینب:

فو الله ما أراها قالت ذلک إلا لتفعل، و لکنی خفتها فأنکرت أن أکون أرید ذلک، و تجهزت.

(۱) انظر الحدیث فی: سنن أبی داود (۲۶۹۲)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۶)، السنن الکبری للبیهقی (۶/ ۳۲۲)، مستدرک الحاکم (۴/ ۴۵)، مشکاة المصابیح للتبریزی (۳۹۷۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۵۲

و لما فرغت بنت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من جهازها قدم إلیها کنانة بن الربیع «۱» أخو زوجها بعیرا فرکبته، و أخذ قوسه و کنانته ثم خرج بها نهارا یقود بها و هی فی هودج لها، و تحدث بذلک رجال قریش، فخرجوا فی طلبها حتی أدرکوها بذی طوی، فکان أول من سبق إلیها هبار بن الأسود الفهری، فروعها هبار بالرمح و هی فی هودج لها، و کانت حاملا- فیما یزعمون- فلما ریعت طرحت ذا بطنها.

و برک حموها کنانة و نثر کنانته ثم قال: و الله، لا یدنو منی رجل إلا وضعت فیه سهما. فتکر کر الناس عنه، و أتی أبو سفیان بن حرب فی جلة من قریش فقال: أیها الرجل، کف عنا نبلک حتی نکلمک. فکف، فأقبل أبو سفیان حتی وقف علیه، فقال:

إنک لم تصب، خرجت بالمرأة علی رءوس الناس علانیة، و قد عرفت مصیبتنا و نکبتنا، و ما دخل علینا من محمد. فیظن الناس إذا خرجت إلیه ابنته علانیة علی رءوس الناس من بین أظهرنا أن ذلک عن ذل أصابنا عن مصیبتنا التی کانت، و أن ذلک من ضعف و وهن، و لعمری! ما لنا بحبسها عن أبیها من حاجة، و ما لنا فی ذلک من ثورة و لکن أرجع المرأة، حتی إذا هدأت الأصوات و تحدث الناس أن قد رددناها، فسلها سرا و ألحقها بأبیها. ففعل، فأقامت لیالی حتی إذا هدأت الأصوات خرج بها لیلا حتی أسلمها إلی زید بن حارثة و صاحبه، فقدما بها علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و لما انصرف الذین خرجوا إلی زینب لقیتهم هند بنت عتبة فقالت لهم:

أ فی السلم أعیار جفاء و غلظة و فی الحرب أشباه النساء العوارک و أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بسریة بعثها بتحریق هبار بن الأسود أو الرجل الذی سبق معه إلی زینب إن ظفروا بهما، ثم بعث إلیهم فقال: «إنی کنت قد أمرتکم بتحریق هذین الرجلین إن أخذتموهما، ثم رأیت أنه لا ینبغی أن یعذب بالنار إلا الله عز و جل، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما» «۲».

و أقام أبو العاص بمکة و أقامت زینب عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، حین فرق بینهما الإسلام، حتی إذا کان قبیل الفتح خرج أبو العاص تاجرا إلی الشام، و کان رجلا مأمونا، بمال له و أموال لرجال من قریش أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته و أقبل قافلا لقیته سریة لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأصابوا ما معه و أعجزهم هاربا، فلما قدمت السریة بما أصابوا من ماله

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۷۴۷۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۵۰۶).

(۲) انظر الحدیث فی: مصنف ابن أبی شیبة (۱۲/ ۳۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۵۳

أقبل أبو العاص تحت اللیل حتی دخل علی زینب بنت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فاستجار بها فأجارته، و جاء فی طلب ماله، فلما خرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی الصبح فکبر و کبر الناس معه صرخت زینب من صفة النساء: أیها الناس: إنی قد أجرت أبا العاص بن الربیع.

فلما سلم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الصلاة أقبل علی الناس فقال: «أیها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «أما و الذی نفس محمد بیده، ما علمت بشیء حتی سمعت ما سمعتم، إنه یجیر علی المسلمین أدناهم».

ثم انصرف، فدخل على ابنته فقال: «أى بنية، أكرمى مثواه و لا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له» «۱». و بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، و قد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا و تردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك، و إن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم، فأنتم أحق به» «۲». قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه، فردوه عليه، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو و يأتى الرجل بالشنه و الإداوة، حتى إن الرجل ليأتى بالشظاظ حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ثم قال: يا معشر قريش، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك و فيا كريما. قال: فإنى أشهد لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و الله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم و فرغت منها، أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و حكى ابن هشام عن أبى عبيدة «۳»، أن أبا العاص لما قدم من الشام و معه أموال المشركين قيل له: هل لك أن تسلم و تأخذ هذه الأموال، فإنها للمشركين؟ فقال: بئس ما أبدأ به إسلامى أن أخون أمانتى.

و من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على نفر من الأسارى من قريش بغير فداء، منهم أبو عزة عمرو ابن عبد الله الجمحى، كان متحاجا ذا بنات، فكلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله، لقد عرفت مالى من مال، و إنى لذو حاجة و ذو عيال، فامنن على. فمن عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا، فقال أبو عزة فى ذلك يمدح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم

---

(۱) انظر الحديث فى: نصب الراية للزيلعى (۳/ ۲۱۱)، سنن البيهقى (۹/ ۹۵)، مستدرك الحاكم (۳/ ۲۳۶، ۲۳۷).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۸۵)، مستدرك الحاكم (۳/ ۲۳۷).

(۳) انظر السيرة (۲/ ۲۶۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۵۴

و يذكر فضله على قومه:

و من مبلغ عنى الرسول محمداأنك حق و المليك حميد

و أنت امرؤ تدعو إلى الحق و الهدىعليك من الله العظيم شهيد

و أنت امرؤ بوئت فينا مباءةلها درجات سهلة و صعود

فإنك من حاربته لمحاربشقى و من سالمته لسعيد

و لكن إذا ذكرت بدرا و أهلهتأوب ما بى حسرة و قعود «۱» و ذكر موسى بن عقبة أن المسلمين جهدوا على أبى عزة هذا عند ما أسر ببدر أن يسلم، فقال: لا، حتى أضرب فى الخزرجية يوما إلى الليل.

و ما وقع فى شعره و محاورته رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مما يقتضى التصريح برسالته، فلا أعلم له مخرجا، إن صح، إلا أن يكون ذلك من جملة ما قصد به أبو عزة أن يخدع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فعاد على عدو الله ما ائتمر، و لم يخدع إلا نفسه و ما شعر، و ذلك أنه لما أخذت قريش قبل أحد فى الإعداد لحرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم طلبا بثأرهم فى يوم بدر قال صفوان ابن أمية لأبى عزة هذا: يا أبا عزة، إنك امرؤ شاعر، فأعنا بلسانك، فاخرج معنا، فقال:

إن محمدا قد منّ علىّ فلا أريد أن أظاهر عليه. قال: بلى، فأعنا بنفسك، فلك الله على إن رجعت أن أعينك، و إن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى، يصيبهن ما أصابهن من عز و يسر.

فخرج أبو عزة يسير فى تهامة و يدعو بنى كنانة و يقول:

أيا بنى عبد مناة الرزام أنتم حماة و أبو كم حام

لا تعدمونى نصركم بعد العام لا تسلمونى لا يحل إسلام ثم كان من الأمر يوم أحد ما كان، و خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد الوقعة مرهبا لعده حتى انتهى إلى حمراء الأسد، فأخذ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى وجهه ذلک أبا عزة الجمحى، فقال: يا رسول الله، أقلنى. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «و الله لا تمسح عارضيک بمکة، تقول:

خدعت محمدا مرتين، اضرب عنقه يا زبير» «۲». فضرب عنقه.

و ذكر ابن هشام- فيما بلغه عن سعيد بن المسيب- أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال له: «إن

---

(۱) ذكر قصته ابن حجر فى فتح البارى (۱۰/ ۵۴۷)، العجلونى فى كشف الخفاء (۲/ ۵۰۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۳۱۲، ۳۱۳)، ابن سيد الناس فى عيون الأثر (۱/ ۴۱۲).

(۲) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۱۰/ ۵۴۷)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۶۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۵۵

المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، اضرب عنقه، يا عاصم بن ثابت» «۱» فضرب عنقه.

و كان عمير بن وهب «۲» شيطانا من شياطين قريش، و ممن كان يؤذى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه بمكة و يلقون منه عنتا، و كان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر، فجلس عمير مع صفوان بن أمية فى الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير، فذكر أصحاب القليب و مصابهم، فقال له صفوان: فو الله، إن فى العيش خير بعدهم. فقال عمير: صدقت و الله، أما و الله لو لا دين على ليس له عندى قضاء و عيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى فيهم علة، ابنى أسير فى أيديهم.

فاغتنمها صفوان فقال: على دينک أنا أقضيه عنک، و عيالک مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شىء و يعجز عنهم، قال: عمير: فاكتم عنى شأنى و شأنک، قال: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له و سم، ثم انطلق حتى قدم المدينة. فبينا عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر و يذكرون ما أكرمهم الله به و ما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، و هذا الذى حرش بيننا «۳» و حزرنا للقوم «۴» يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا بنى الله، هذا عدو الله عمير بن وهب، قد جاء متوشحا سيفه. قال: «فأدخله علىّ». فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها و قال لرجال من الأنصار كانوا معه: ادخلوا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاجلسوا عنده و احذروا عليه هذا الخبيث فإنه غير مأمون. ثم دخل به، فلما رآه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كذلک قال: «أرسله يا عمر، أدن يا عمير». فدنا ثم قال: أنعموا صباحا، و كانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتک يا عمير، بالسلام، تحية أهل الجنة» قال: أما و الله إن كنت بها يا محمد لحديث عهد. قال: «فما جاء بک يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه، قال: «فما

---

(۱) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۶۵)، مشكل الآثار للطحاوى (۲/ ۱۹۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۵۱)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱/ ۳۰).

(۲) انظر ترجمته فى: الجرح و التعديل (۶/ ۲۰۹۱)، الإصابة ترجمة رقم (۶۰۷۳)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۰۹۶)، البداية و النهاية (۳/ ۱۱۳، ۵/ ۸).

(۳) حرش بيننا: أى أفسد بيننا.

(۴) حزرنا للقوم: أی قدر عددنا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۵۶

بال السیف فی عنقک؟» فقال: قبحها الله من سیوف، و هل أغنت شیئا! قال:

«أصدقنی، ما الذی جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلک. قال: «بلی، قعدت أنت و صفوان بن أمیة فی الحجر، فذکرتما أصحاب القلیب من قریش، ثم قلت: لو لا دین علی و عیال عندی لخرجت حتی أقتل محمدا، فتحمل لک صفوان بدینک و عیالک علی أن تقتلنی له، و الله حائل بینک و بین ذلک». قال عمیر: أشهد أنک رسول الله، قد کنا یا رسول الله نکذبک بما کنت تأتینا به من خبر السماء و ما ینزل علیک من الوحی، و هذا أمر لم یحضره إلا أنا و صفوان، فو الله إنی لأعلم ما أتاک به إلا الله، فالحمد لله الذی هدانی للإسلام و ساقنی هذا المساق. ثم شهد بشهادة الحق، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

«فقهوا أخاکم فی دینه، و أقرئوه القرآن، و أطلقوا له أسیره» «۱» ففعلوا.

ثم قال: یا رسول الله، إنی کنت جاهدا علی إطفاء نور الله، شدید الأذی لمن کان علی دین الله، و أنا أحب أن تأذن لی فأقدم مکة فأدعوهم إلی الله و إلی الإسلام، لعل الله یهدیهم، و إلا آذیتهم فی دینهم کما کنت أوذی أصحابک فی دینهم.

فأذن له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فلحق بمکة. و کان صفوان حین خرج عمیر یقول: أبشروا بوقعة تأتیکم الآن فی أیام تنسیکم وقعة بدر. و کان یسأل عنه الرکبان، حتی قدم راکب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا یکلمه أبدا و لا ینفعه بنفع أبدا، فلما قدم عمیر مکة أقام بها یدعو إلی الإسلام و یؤذی من خالفه أذی شدیدا، فأسلم علی یدیه ناس کثیر.

و عمیر هذا أو الحارث بن هشام- یشک ابن إسحاق- هو الذی رأی إبلیس حین نکص علی عقبیه یوم بدر فقال: أین أی سراق؟ و مثل عدو الله فذهب. فأنزل الله- تبارک و تعالی- فیه: وَ إِذْ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَکُمُ الْیَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّی جارٌ لَکُمْ [الأنفال: ۴۸] فذکر استدراج إبلیس إیاهم بتشبهه بسراقة بن مالک بن جعشم لهم حین ذکروا ما بینهم و بین بنی بکر من الحرب، یقول الله عز و جل: فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ و نظر عدو الله إلی جنود الله من الملائکة قد أید الله بهم رسوله و المؤمنین علی عدوهم نَکَصَ عَلی عَقِبَیْهِ وَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ و صدق عدو الله الکذوب، رأی ما لم یروا و قال: إِنِّی أَخافُ اللَّهَ

---

(۱) انظر الحدیث فی: مجمع الزوائد للهیثمی (۸/ ۲۸۶، ۲۸۷)، الخصائص الکبری للسیوطی (۱/ ۳۴۴)، تاریخ الطبری (۲/ ۴۴، ۴۶)، المغازی للواقدیّ (۱/ ۱۲۵)، عیون الأثر لابن سید الناس (۱/ ۴۱۳، ۴۱۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۵۷

وَ اللَّهُ شَدِیدُ الْعِقابِ فذکر أنهم کانوا یرونه فی کل منزل فی صورة سراقة لا ینکرونه، حتی إذا کان یوم بدر و التقی الجمعان نکص علی عقبیة فأوردهم ثم أسلمهم.

و فی ذلک یقول حسان بن ثابت:

قومی الذین هم آووا نبیهمو صدقوه و أهل الأرض کفار

إلا خصائص أقوام هم سلف للصالحین مع الأنصار أنصار

مستبشرین بقسم الله قولهم لما أتاهم کریم الأصل مختار

أهلا و سهلا ففی أمن و فی سعة نعم النبیّ و نعم القسم و الجار

فأنزلوه بدار لا یخاف بها من کان جارهم دارا هی الدار

و قاسموهم بها الأموال إذ قدموا مهاجرین و قسم الجاحد النار

سرنا و ساروا إلی بدر لحینهم لو یعلمون یقین العلم ما ساروا

دلاهم بغرور ثم أسلمهمإن الخبیث لمن والاه غرار
و قال إنی لکم جار فأوردهمشر الموارد فیه الخزی و العار
ثم التقینا فولوا عن سراتهممن منجدین و منهم فرقة غاروا و یروی أن قریشا رأوا سراقة المدلجی بعد وقعة بدر، و هو الذی تمثل لهم إبلیس فی صورته یوم بدر کما تقدم، فقالوا له: یا سراقة، أخرمت الصف و أوقعت فینا الهزیمة؟! فقال: و الله ما علمت بشیء من أمرکم حتی کانت هزیمتکم، و ما شهدت معکم. فما صدقوه حتی اسلموا و سمعوا ما أنزل الله فی ذلک، فعلموا أنه کان إبلیس تمثل لهم.

و لما انقضی أمر بدر، أنزل الله- تبارک و تعالی- فیه من القرآن «الأنفال» بأسرها.

و کان جمیع من شهد بدرا من المسلمین من المهاجرین و الأنصار، من شهدها و من ضرب له بسهمه و أجره ثلاثمائة رجل و أربعة عشر رجلا، من المهاجرین ثلاثة و ثمانون رجلا: ثلاثة منهم ضرب لهم بسهامهم و أجورهم و لم یشهدوا، و هم: عثمان بن عفان، تخلف علی امرأته رقیة بنت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لمرضها الذی توفیت فیه قبل أن یرجع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من بدر، فضرب له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بسهمه. قال: و أجری یا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم؟

قال: «و أجرک». و طلحة بن عبید الله، و سعید بن زید، کانا بالشام فرجعا بعد رجوع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من بدر، فضرب لکلیهما بسهمه. قال: و أجری یا رسول الله؟ قال:

و أجرک.

و من الأوس: واحد و ستون، اثنان منهم ضرب لهما بسهمیهما: عاصم بن عدی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۵۸

العجلانی، رده رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعد أن خرج معه و ضرب له بسهم، و خوّات بن جبیر ضرب له، أیضا، بسهمه.

و من الخزرج مائة و سبعون رجلا، منهم الحارث بن الصمة کسر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بسهمه.

و استشهد یومئذ من المسلمین مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أربعة عشر رجلا: ستة من قریش:

عبیدة بن الحارث بن المطلب، و عمیر بن أبی وقاص الزهری، و ذو الشمالین بن عبد عمرو حلیف بنی زهرة، و عاقل بن البکیر حلیف لبنی عدی، و مهجع مولی عمر بن الخطاب، و صفوان بن بیضاء.

و من الأنصار ثمانیة نفر، خمسة من الأوس: سعد بن خیثمة، و مبشر بن عبد المنذر من بنی عمرو بن عوف، و یزید بن الحارث الذی یقال له: ابن فسحم من بنی الحارث ابن الخزرج، و عمیر بن الحمام من بنی سلمة، و رافع بن المعلی من بنی جشم.

و ثلاثة من الخزرج من بنی النجار: حارثة بن سراقة، و عوف و معوذ ابنا الحارث بن رفاعة منهم، و هم ابنا عفراء، رحمة الله علی جمیعهم و رضوانه.

و کان من المسلمین یوم بدر من الخیل فرس الزبیر بن العوام، و فرس مرثد بن أبی مرثد الغنوی، و فرس المقداد بن عمرو البهرانی.

و ذکر ابن إسحاق أن جمیع من أحصی له من قتلی قریش من المشرکین یوم بدر خمسون رجلا. و قال ابن هشام «۱»: حدثنی أبو عبیدة عن أبی عمرو أن قتلی بدر من المشرکین کانوا سبعین رجلا و الأسری کذلک، و هو قول ابن عباس و سعید بن المسیب.

و فی کتاب الله تبارک و تعالی: أَ وَ لَمَّا أَصابَتْکُمْ مُصِیبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَیْها یقول لأصحاب أحد، و کان من أستشهد منهم سبعین رجلا، یقول: قد أصبتم یوم بدر مثلی من استشهد منکم یوم أحد: سبعین قتیلا و سبعین أسیرا.

و أنشدنی أبو زید الأنصاری لکعب بن مالک من قصیدة له ینعی قتلی بدر:

فأقام بالعطن المعطن منهمسبعون عتبة منهم و الأسود و کان مما قیل فی یوم بدر من الشعر: قول حمزة بن عبد المطلب یرحمه الله، و من أهل العلم من ینکرها له:

(۱) انظر السيرة (۲/ ۳۰۷).

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۱،ص:۳۵۹ أ لم تر أمرا كان من عجب الدهرو للحين أسباب مبينة الأمر

و ما ذاک إلا أن قوما أفادهمفخانوا تواص بالعقوق و بالكفر

عشية راحوا نحو بدر بجمعهمفكانوا رهونا للركية من بدر «۱»

و كنا طلبنا العير لم نبغ غيرهافساروا إلينا فالتقينا على قدر

فلما التقينا لم تكن مثنويةلنا غير طعن بالمثقفة السمر

و ضرب ببيض يختلی الهام حدهامشهرة الألوان بينة الأثر

و نحن تركنا عتبة الغی ثاویاو شيبة فی القتلی تجرجم فی الجفر

و عمرو ثوی فيمن ثوی من حماتهمفشقت جيوب النائحات على عمرو

جيوب نساء من لؤیّ بن غالبكرام تفر عن الذوائب من فهر

أولئک قوم قتلوا فی ضلالهمو خلوا لواء غير محتضر النصر

لواء ضلال قاد إبليس أهلهفخاس بهم إن الخبيث إلی غدر

و قال لهم إذ عاين الأمر واضحابرئت إليكم ما بی اليوم من صبر

فإنی أری ما لا ترون و إننیأخاف عقاب الله و الله ذو قسر «۲»

فقدمهم للحين حتی تورطواو كان بما لم يخبر القوم ذا خبر «۳»

فكانوا غداة البئر ألفا و جمعناثلاث مئين كالمسدمة الزهر «۴»

و فينا جنود الله حين يمدنابهم فی مقام ثم مستوضح الذكر

فشد بهم جبريل تحت لوائنالدی مأزق فيه مناياهم تجری «۵» و قال علی بن أبی طالب- رضی الله عنه- فی يوم بدر، و لم ير ابن هشام أحدا يعرفها من أهل العلم بالشعر:

أ لم تر أن الله أبلی رسولهبلاء عزيز ذی اقتدار و ذی فضل «۶»

بما أنزل الكفار دار مذلةفلاقوا هوانا من إسار و من قتل

فامسی رسول الله قد عز نصرهو كان رسول الله أرسل بالعدل

فجاء بفرقان من الله منزلمبينة آياته لذوی العقل

---

(۱) الرهون: جمع رهن. و الركية: البئر المطوية بالحجارة.

(۲) القسر: الغابة و القهر.

(۳) تورطوا: وقعوا فی هلكة.

(۴) المسدمة: الفحول من الإبل. و الزهر: جمع أزهر و أراد به البيض.

(۵) المأزق: الموضع الضيق فی الحرب.

(۶) أبلی رسوله: منّ عليه و صنع له صنعا حسنا.

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۱،ص:۳۶۰ فأمن أقوام بذاک و أيقنوافأمسوا بحمد الله مجتمعی الشمل

و أنكر أقوام فزاغت قلوبهمفزادهم ذو العرش خبلا على خبل

و أمكن منهم يوم بدر رسولهو قوما غضابا فعلهم أحسن الفعل

بأيديهم ببعض خفاف عصوا بهاو قد حادثوها بالجلاء و بالصقل

فكم تركوا من ناشئ ذى حميةصريع و من ذى نجدة منهم كهل

تبيت عيون النائحات عليهمتجود بإرسال الرشاش و بالوبل

نوائح تنعى عتبة الغى و ابنهو شيبة تنعاه و تنعى أبا جهل

و ذا الرجل تنعى و ابن جدعان فيهممسلبة حرى مبينة الثكل «۱»

ثوى منهم فى بئر بدر عصابةذوى نجدات فى الحروب و فى المحل

دعا الغى منهم من دعا فأجابهو للغى أسباب مرمقة الوصل

فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزلعن الشغب و العدوان فى أشغل الشغل و قال كعب بن مالك أخو بنى سلمة يذكر بدرا:

عجبت لأمر الله و الله قادرعلى ما أراد ليس لله قاهر

قضى يوم بدر أن نلاقى معشرابغوا و سبيل البغى فى النار جائر

و قد حشدوا و استنفروا من يليهممن الناس حتى جمعهم متكاثر

و سارت إلينا لا تحاول غيرنابأجمعها كعب جميعا و عامر

و فينا رسول الله و الأوس حولهله معقل منهم عزيز و ناصر

و جمع بنى النجار تحت لوائهيمشون فى الماذى و النقع ثائر

فلما لقيناهم و كل مجاهدلأصحابه مستبسل النفس صابر

شهدنا بأن الله لا رب غيرهو أن رسول الله بالحق ظاهر

و قد عريت بيض خفاف كأنهامقاييس يزهيها لعينيك شاهر

بهن أيدنا جمعهم فتبددواو كان يلاقى الحين من هو فاجر

فكب أبو جهل صريعا لوجههو عتبة قد غادرته و هو عائر

و شيبة و التيمى غادرن فى الوغىو ما منهم إلا بذى العرش كافر

فأمسوا وقود النار فى مستقرهاو كل كفور فى جهنم صائر

---

(۱) ذا الرجل: أراد به الأسود بن المطلب بن عبد المخزومى، الذى خرج من صفوف المشركين يريد أن يقتحم على المسلمين ليشرب من حوضهم، و قد عاهد الله أن يشرب منه أو يموت فضربه حمزة فقطع قدمه. و الحرى: المحترقة الجوف.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۳۶۱ تلظى عليهم و هى قد شب حميهابزبر الحديد و الحجارة ساجر

و كان رسول الله قد قال أقبلوافولوا و قالوا إنما أنت ساحر

لأمر أراد الله أن يهلكوا بهو ليس لأمر حمه الله زاجر و لضرار بن الخطاب الفهرى فى هذا الروى شعر، ذكر ابن إسحاق أن كعب بن مالك أجابه عنه بهذا الشعر الذى كتبناه آنفا، و الأظهر من مقتضى الشعر أن ضرارا هو الذى أجاب كعب بن مالك و نقض عليه. و هذا شعر ضرار:

عجبت لفخر الأوس و الحين دائرعليهم غدا و الدهر فيه بصائر

و فخر بنى النجار إن كان معشرأصيبوا ببدر كلهم ثم صابر

فإن تك قتلى غودرت من رجالنافإنا رجال بعدهم سنغادر

و تردى بنا جرد عناجيج وسطكمبنى الأوس حتى يشفى النفس ثائر

و وسط بنى النجار سوف نكرهالها بالقنا و الدارعين زوافر

فنترك صرعى تعصب الطير حولهمو ليس لهم إلا الأمانى ناصر

و تبكيهم من أهل يثرب نسوةلهن بها ليل عن النوم ساهر

و ذلك أنا لا تزال سيوفنابهن دم ممن يحاربن مائر

فإن تظفروا فى يوم بدر فإنمابأحمد أمسى جدكم و هو ظاهر

و بالنفر الأخيار هم أولياؤهيحامون فى اللأواء و الموت حاضر

يعد أبو بكر و حمزة فيهمو يدعى على وسط من أنت ذاكر

أولئك لا من نتجت فى ديارهابنو الأوس و النجار حين تفاخر

و لكن أبوهم من لؤىّ بن غالبإذا عدت الأنساب كعب و عامر

هم الطاعنون الخيل فى كل معركغداة الهياج الأطيبون الأكاثر و من شعر حسان بن ثابت يعرض بالحارث بن هشام و فراره عن يوم بدر: الاكتفاء، الكلاعى ج ۱ ۳۶۱ غزوة بدر الكبرى ..... ص : ۳۲۴

إن كنت كاذبة الذى حدثتنيفنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهمو نجا برأس طمرة و لجام «۱» فأجابه الحارث بن هشام- فيما ذكر- فقال:

الله أعلم ما تركت قتالهمحتى علوا فرسى بأشقر مزبد

و عرفت أنى إن أقاتل واحدأقتل و لا ينكى عدوى مشهدى

فصددت عنهم و الأحبة فيهمطمعا لهم بعقاب يوم مفسد

---

(۱) الطمرة: الفرس الكثير الجرى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۶۲

و قال حسان بن ثابت أيضا، و يقال: إنها لعبد الله بن الحارث السهمى، يشبه أنها من قصيدة:

مستشعرى حلق الماذى يقدمهمجلد النحيزة ماض غير رعديد «۱»

أعنى رسول الإله الحق فضلهعلى البرية بالتقوى و بالجود

و قد زعمتم بأن تحموا ذماركمو ماء بدر زعمتم غير مورود «۲»

ثم وردنا و لم نسمع لقولكمحتى شربنا رواء غير تصريد «۳»

مستعصمين بحبل غير منجذممستحكم من حبال الله ممدود

فينا الرسول و فينا الحق نتبعهحتى الممات و نصر غير محدود و قال حسان بن ثابت أيضا:

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكةإبارتنا الكفار فى ساعة العسر

قتلنا سراة القوم عند مجالنافلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر

فكم قتلنا من كريم مرزءله حسب فى قومه نابه الذكر

تركناهم للعاويات ينبنهمو يصلون نارا بعد حامية القعر

لعمرك ما حامت فوارس مالكو أشياعهم يوم التقينا على بدر و قال عبيدة بن الحارث بن المطلب فى يوم بدر، يذكر مبارزته هو و حمزة و علىّ عدوهم، و ما كان من إصابة رجله يومئذ. قال ابن هشام: و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له:

ستبلغ عنا أهل مكة وقعةيهب لها من كان عن ذاك نائيا

بعتبة إذ ولى و شيبة بعدهو ما كان فيها بكر عتبة راضيا «۴»

فإن تقطعوا رجلى فإنى مسلمأرجى بها عيشا من الله دانيا

مع الحور أمثال التماثيل أخلصتمع الجنة العليا لمن كان عاليا

و بعت بها عيشا نغرفت صفوهو عالجته حتى فقدت الأدانيا «۵»

---

(۱) مستشعرى: لابس، تقول: استشعرت الثوب إذا لبسته. و الماذى: الدروع اللينة البيض.

و النحيزة: الطبيعة. و الرعديد: الجبان.

(۲) الرواء: التملؤ من الماء. و التصريد: تقليل الشرب.

(۳) الذمار: ما وجب على المرء أن يحميه.

(۴) بكر عتبة: يريد ولده الأول.

(۵) تعرقت: مزجت، تعرقت التراب إذا مزجته.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۶۳ و أكرمنى الرحمن من فضل منهبثوب من الإسلام غطى المساويا

و ما كان مكروها إلىّ قتالهمغداة دعا الأكفاء من كان داعيا

لقيناهم كالأسد تعثر بالقنانقاتل فى الرحمن من كان عاصيا

فما برحت أقدامنا من مقامناثلاثتنا حتى أزيروا المنانيا قال ابن هشام «۱»: لما أصيبت رجل عبيدة قال: أما و الله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحق منه بما قال حين يقول:

كذبتم و بيت الله نبزى محمداو لما نطاعن حوله و نناضل

و نسلمه حتى نصرع حولهو نذهل عن أبنائنا و الحلائل و لما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجله قالت هند ابنة أثاثة بن عباد بن المطلب ترثيه و كانت وفاته بالصفراء، و بها دفن يرحمه الله تعالى:

لقد ضمن الصفراء مجدا و سؤدداو حلما أصيلا وافر اللب و العقل

عبيدة فابكيه لأضياف غربةو أرملة تهوى لأشعث كالجذل

و بكيه للأقوام فى كل شتوةإذا احمر آفاق السماء من المحل

و بكيه للأيتام و الريح زفزفو تشتيت قدر طال ما أزبدت تغلى

فإن تصبح النيران قد مات ضوؤهافقد كان يذكيهن بالحطب الجزل

لطارق ليل أو لملتمس القرىو مستنبح أضحى لديه على رسل و قال طالب بن أبى طالب يمدح النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و يبكى أصحاب القليب من قريش:

ألا إن عينى أنفدت ماءها سكباتبكى على كعب و ما إن ترى كعبا

ألا إن كعبا فى الحروب تخاذلوا و أرادهم ذا الدهر و اجترحوا ذنبا

و عامر تبكى للملمات غدوةفيا ليت شعرى هل أرى لهما قربا

هما أخواى لن يعدا لغيةتعد و لن يستام جارهما غصبا

فيا أخوينا عبد شمس و نوفلافدا لكما لا تبعثوا بيننا حربا

و لا تصحبوا من بعد ود و ألفةأحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا

أ لم تعلموا ما كان فی حرب داحس و جیش أبی یكسوم إذ ملأوا الشعبا

فلو لا دفاع الله لا شیء غیره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

فما إن جنینا فی قریش عظیمة سوی أن حمینا خیر من وطئ التربا

أخا ثقة فی النائبات مرزأ كریما ثناه لا بخیلا و لا ذربا

---

(۱) انظر السیرة (۲/ ۳۲۷).

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۱،ص:۳۶۴ یطیف به العافون یغشون بابه یؤمون بهرا لا نزورا و لا صربا

فو الله لا تنفك نفسی حزینة تململ حتی تصدقوا الخزرج الضربا و كانت وقعة بدر یوم الجمعة، لسبع عشرة من شهر رمضان، و كان فراغ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم منها فی عقبة أو فی شوال بعده.

فلما قدم المدینة لم یقم بها إلا سبع لیال حتی غزا بنفسه یرید بنی سلیم، فبلغ ماء من میاههم یقال له: الكدر «۱»، فأقام علیه ثلاث لیال، ثم رجع إلی المدینة و لم یلق كیدا، فأقام بها بقیة شوال و ذا القعدة و أفدی فی إقامته تلك جل الأساری من قریش «۲».

و كان أبو سفیان بن حرب حین رجع فل قریش من بدر نذر أن لا یمس رأسه ماء من جنابة حتی یغزو محمدا صلی اللّه علیه و سلم، فخرج فی مائتی راكب من قریش لتبر یمینه، فسلك النجدیة حتی نزل بصدر قناة، علی برید أو نحوه من المدینة، ثم خرج من اللیل حتی أتی بنی النضیر تحت اللیل، فأتی حیی بن أخطب فضرب علیه بابه، فأبی أن یفتح له و خافه، فانصرف عنه إلی سلام بن مشكم، و كان سید بنی النضیر فی زمانه ذلك و صاحب كنزهم، فاستأذن علیه فأذن له فقراه و سقاه و بطن له من خبر الناس، ثم خرج فی عقب لیلته حتی أتی أصحابه، فبعث رجالا منهم، فأتوا ناحیة العریض فحرقوا بها أصوار نخل و قتلوا رجلا من الأنصار و حلیفا له فی حرث لهما، ثم انصرفوا راجعین، و نذر بهم الناس، فخرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی طلبهم حتی بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف و قد فاته أبو سفیان بن حرب و أصحابه، و طرحوا من أزوادهم یتخففون منها للنجاء، و كان أكثر ما طرحوه السویق، فهجم المسلمون علی سویق كثیر، فسمیت غزوة السویق، فقال المسلمون حین رجع بهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: یا رسول، أ تطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم» «۳».

ثم غزا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نجدا یرید غطفان، و هی غزوة ذی أمر، فأقام بنجد ثم رجع و لم یلق كیدا.

---

(۱) و هذه الغزوة تعرف بغزوة: قرقرة الكدر، كما فی الطبقات الكبری (۲/ ۳۱)، أو: قرارة الكدر، كما فی المغازی للواقدی (۱/ ۱۹۶). و تراجع هذه الغزوة فی: البدایة و النهایة لابن كثیر (۳/ ۳۴۴)، المنتظم لابن الجوزی (۳/ ۱۵۶).

(۲) انظر السیرة (۳/ ۵).

(۳) انظر الحدیث فی: الدلائل للبیهقی (۳/ ۱۶۶)، التاریخ للطبری (۲/ ۵۰)، الكامل فی التاریخ (۲/ ۳۹، ۴۰).

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۱،ص:۳۶۵

ثم غزا قریشا حتی بلغ بحران «۱»، معدنا بالحجاز من ناحیة الفرع، ثم رجع منه إلی المدینة و لم یلق كیدا، و ذلك بعد مقامه به نحوا من شهرین، ربیع الآخر و جمادی الأولی من سنة ثلاث.

أمر بنی قینقاع

و كان فیما بین ما ذكر من غزو رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أمر بنی قینقاع.

و كانوا أول یهود نقضوا ما بینهم و بین رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و حاربوا فیما بین بدر و أحد.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جمعهم فى سوقهم، ثم قال: «يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة و أسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم و عهد الله إليكم» «۲».

قالوا: يا محمد، إنك ترى أنا قومك! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا و الله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

فقال ابن عباس «۳»: ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ [آل عمران: ۱۲، ۱۳].

و كان منشأ أمرهم: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق قينقاع "و جلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، و كان يهوديا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم و بين بنى قينقاع.

---

(۱) ذكرها ابن الأثير فى الكامل (۲/ ۱۴۲)، و الطبرى فى تاريخه (۲/ ۵۲)، و الواقدى فى المغازى (۱/ ۱۹۶، ۱۹۷).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳).

(۳) انظر السيرة (۳/ ۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۶۶

فحاصرهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبىّ بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن فى موالى، و كانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: يا محمد أحسن فى موالى، فأعرض عنه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأدخل يده فى جيب درع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان يقال لها: ذات الفضول، فقال له: «أرسلنى»! و غضب صلى اللّه عليه و سلم حتى رأوا لوجهه ظللا، ثم قال: «و يحك أرسلنى». قال: لا و الله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى، أربعمائة حاسر و ثلاثمائة دارع قد منعونى من الأحمر و الأسود تحصدهم فى غداة واحدة! إنى و الله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «هم لك» «۱».

و لما حاربت بنو قينقاع تشبث عبد الله بن أبى بأمرهم و قام دونهم، قال: مشى عبادة بن الصامت، و كان أحد بنى عوف، لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن ابى، إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فخلعهم إليه و تبرأ إلى الله و إلى رسوله من حلفهم، و قال: يا رسول الله، أتولى الله و رسوله و المؤمنين، و أبرأ من حلف هؤلاء الكفار و ولايتهم.

ففيه و فى عبد الله بن أبى نزلت [هذه] القصة من المائدة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يريد عبد الله بن أبىّ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ. ثم القصة فى قوله: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ و ذلك لتولى عبادة بن الصامت الله و رسوله و الذين آمنوا، و تبريه، من بنى قينقاع و حلفهم و ولايتهم وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ [المائدة: ۵۱- ۵۶].

سرية زيد بن حارثة «۲»

و لما كان من وقعة بدر ما كان، خافت قريش طريقهم التى كانوا يسلكون إلى

(۱) انظر الحديث فى: تاريخ للطبرى (۲/ ۴۹)، الطبقات لابن سعد (۲/ ۲۹).

(۲) هذه السرية ذكرها الواقدى فى المغازى (۱/ ۱۹۷، ۱۹۸)، و ابن سعد فى الطبقات (۲/ ۳۶)، و ابن الأثير فى التاريخ (۲/ ۱۴۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۶۷

الشام، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب، و معه فضة كثيرة و هى عظم تجارتهم، و بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم زيد بن حارثة فلقيهم على القردة- ماء من مياه نجد- فأصاب تلك العير و ما فيها و أعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت بقوله فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا فى أخذهم تلك الطريق:

دعوا فلجات الشام قد حال دونهاجلاد كأفواه المخاض الأوارك «۱»

بأيدى رجال هاجروا نحو ربهمو أنصاره حقا و أيدى الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عالجفقولا لها ليس الطريق هنالك «۲»

مقتل كعب بن الأشرف

و لما بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عليه و قتل من قتل من المشركين ببدر، قال كعب بن الأشرف و كان رجلا من طىء، ثم أحد بنى نبهان، و أمه من بنى النضير، حين بلغه هذا الخبر:

أحق هذا؟ أ ترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان؟ فهؤلاء اشراف العرب و ملوك الناس، و الله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لى من ظهرها.

فلما تبين عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فجعل يحرض على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ينشد الأشعار، و يبكى أصحاب القليب من قريش، ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: من لى من ابن الأشراف؟ فقال له محمد بن مسلمة الأشهلى:

أنا لك به يا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنا أقتله قال: فافعل إن قدرت على ذلك.

فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل و لا يشرب إلا ما يعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم فدعاه فقال له: لم تركت الطعام و الشراب؟ فقال يا رسول الله،

(۱) الفلجات: العيون الجارية. و المخاض: الإبل الحوامل. و الأوارك: الإبل التى ترعى الأراك، و هو شجر السواك.

(۲) الغور: الأرض المنخفضة. و بطن عالج: أى موضع كثير الرمل.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۶۸

قلت لك قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا. قال: إنما عليك الجهد، قال: يا رسول الله، لا بد لنا من أن نقول. قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك.

فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة، و سلكان بن سلامة أبو نائلة، و عباد بن بشر و الحارث بن أوس، و كلهم من بنى عبد الأشهل، و أبو عبس بن جبر أخو بنى حارثة، ثم قدموا إلى عدو الله ابن الأشرف سلكان بن سلامة و كان أخاه من الرضاعة، فجاءه فتحدث معه ساعة

ثم قال: و یحک یا ابن الأشرف! إنی قد جئتک لحاجة أرید ذکرها لک فاکتم عنی، قال: أفعل، قال: کان قدوم هذا الرجل علینا بلاء من البلاء، عادتنا العرب و رمتنا عن قوس واحدة، و قطعت عنا السبل حتی ضاع العیال و جهدت الأنفس. فقال کعب: أنا ابن الأشرف! أما و الله لقد کنت أخبرک یا ابن سلامة أن الأمر سیصیر إلی ما أقول. فقال له سلکان: إنی قد أردت أن تبیعنا طعاما و نرهنک و نوثق لک. قال: أ ترهنونی نساءکم؟ قال: کیف نرهنک نساءنا و أنت أشب أهل یثرب و أعطرهم. قال: أ ترهنونی أبناءکم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا، یسب ابن أحدنا فیقال: رهن فی وسق شعیرا! ثم قال له: إن معی أصحابا لی علی مثل رأیی و قد أردت أن آتیک بهم فتبیعهم و تحسن فی ذلک و نرهنک من الحلقة ما فیه وفاء و أراد سلکان أن لا ینکر السلاح إذا جاءوا بها. قال: إن فی الحلقة لوفاء.

فرجع سلکان إلی أصحابه فأخبرهم و أمرهم أن یأخذوا السلاح و یجتمعوا إلیه، فاجتمعوا عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فمشی معهم صلوات الله علیه إلی بقیع الغرقد فی لیلة مقمرة، ثم وجههم و قال: انطلقوا علی اسم الله، اللهم أعنهم. ثم رجع إلی بیته.

فأقبلوا حتی انتهوا إلی حصنه، فهتف به أبو نائلة، و کان حدیث عهد بعرس، فوثب فی ملحفته، فأخذت امرأته بناحیتها و قالت: إنک امرؤ محارب، و إن أصحاب الحرب لا ینزلون هذه الساعة. قال: إنه أبو نائلة لو وجدنی نائما ما أیقظنی. فقالت: و الله إنی لأعرف فی صوته الشر. فقال لها کعب: لو یدعی الفتی لطعنة لأجاب!

فنزل فتحدث معهم ساعة و تحدثوا معه، فقالوا له: هل لک یا ابن الأشرف إلی أن نتماشی إلی شعب العجوز فنتحدث فیه بقیة لیلتنا هذه. قال: إن شئتم.

فخرجوا یتماشون، فمشوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام یده فی فود رأسه ثم شم یده، فقال: ما رأیت کاللیلة طیبا أعطر قط، ثم مشی ساعة ثم عاد لمثلها، حتی اطمأن، ثم مشی ثم عاد لمثلها، فأخذ بفود رأسه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۳۶۹

ثم قال: اضربوا عدو الله، فضربوه فاختلفت علیه أسیافهم فلم تغن شیئا. قال محمد ابن مسلمة: فتذکرت معولا کان فی سیفی حین رأیت أسیافنا لا ـ تغنی شیئا، فأخذته و قد صاح عدو الله صیحة لم یبق حولنا حصن إلا أوقدت علیه نار، قال: فوضعته فی ثنیته ثم تحاملت علیه حتی بلغت غایته فوقع عدو الله و قد أصیب الحارث بن أوس بجرح فی رجله أو رأسه أصابه بعض أسیافنا، فخرجنا حتی أسندنا فی حرة العریض و قد ابطأ علینا الحارث بن أوس صاحبنا و نزفه الدم، فوقفنا له ساعة ثم أتانا یتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلی اللّه علیه و سلم آخر اللیل و هو قائم یصلی، فسلمنا علیه فخرج إلینا فأخبرناه بقتل عدو الله، و تفل علی جرح صاحبنا، ثم رجعنا إلی أهلینا فأصبحنا و قد خافت یهود لوقعتنا بعدو الله، فلیس بها یهودی إلا و هو یخاف علی نفسه.

و ذکر ابن عقبة أن کعب بن الأشرف لما قدم علی قریش یستنفرهم علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال له أبو سفیان و المشرکون، نناشدک الله، أ دیننا أحب إلی الله أم دین محمد و أصحابه؟ و أینا أهدی فی رأیک و أقرب إلی الحق، فإنا نطعم الجزور الکوماء و نسقی اللبن علی الماء و نطعم ما هبت الشمال.

فقال ابن الأشرف: أنتم أهدی سبیلا ـ فأنزل الله فیه و الله أعلم بما ینزل: أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ الْکِتابِ یُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ یَقُولُونَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدی مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا سَبِیلًا [النساء: ۵۱].

و ذکر ابن إسحاق أن هذه الآیة إنما نزلت فی حیی بن أخطب و سلام بن أبی الحقیق و جماعة غیرهما من أحبار یهود، لیس ابن الأشرف مذکورا فیهم، و هم الذین حزبوا الأحزاب من قریش و غطفان علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فلما قدموا علی قریش قالوا: هؤلاء أحبار یهود و أهل العلم بالکتاب الأول فسلوهم: أ دینکم خیر أم دین محمد؟ فسألوهم فقالوا: بل دینکم خیر من دینه و أنتم أهدی منه و ممن اتبعه. فأنزل الله تعالی فیهم الآیة المذکورة. فالله تعالی أعلم.

قال ابن إسحاق: و قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: من ظفرتم به من رجال یهود فاقتلوه. فوثب محیصة بن مسعود الأوسی علی ابن سنینة من تجار یهود، و کان یلابسهم و یبایعهم فقتله، فلما قتله جعل أخوه حویصة بن مسعود و لم یکن أسلم یومئذ و کان أسن من

محيصة، يضربه و يقول: أى عدو الله أ قتلته، و أما و الله لرب شحم فى بطنك من ماله فقال محيصة: و الله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك! قال: فو الله إن كان

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۳۷۰

لأول إسلام حويصة. قال: أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى؟ قال: نعم، و الله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها، قال: و الله إن دينا بلغ منك هذا لعجب! فأسلم حويصة، و قال محيصة فى ذلك:

يلوم ابن أمى لو أمرت بقتلهلطبقت ذفراه بأبيض قاضب «۱»

حسام كلون الملح أخلص صقلهمتى ما أصوبه فليس بكاذب «۲»

و ما سرنى أنى قتلتك طائعاو أن لنا ما بين بصرى و مأرب «۳» و ذكر ابن هشام أن هذا عرض لمحيصة بعد غزوة بنى قريظة و ظفر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بهم، و أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم دفع إليهم منهم كعب بن يهوذا. قال: و كان عظيما فيهم، ليقتله، فقال له أخوه حويصة و كان كافرا: أ قتلت كعب بن يهوذا؟ قال: نعم. قال: أما و الله لرب شحم قد نبت فى بطنك من ماله، إنك للئيم. فقال له محيصة: لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك. فعجب من قوله، ثم ذهب عنه متعجبا فذكروا أنه جعل ينتفض من الليل فيعجب من قول أخيه محيصة حتى أصبح و هو يقول: و الله إن هذا لدين. ثم أتى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأسلم.

غزوة أحد «۴»

و كان من حديث أحد أنه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر و رجع فلهم إلى مكة، و رجع أبو سفيان بن حرب بعيرهم، مشى عبد الله بن أبى ربيعة و عكرمة بن أبى جهل و صفوان بن أمية فى رجال ممن أصيب آباؤهم و أبناؤهم و إخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفيان و من كانت له فى تلك العير تجارة من قريش، و قالوا لهم: إن محمدا قد وتركم و قتل خياركم، فأعينوا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا بمن اصاب منا. ففعلوا.

ففيهم يقال: أنزل الله عز و جل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [الأنفال: ۳۶].

---

(۱) طبقت: قطعت. و الزفران: عظمان ناتئان خلف الأذنين. و القاضب: القاطع.

(۲) الحسام: السيف القاطع.

(۳) بصرى: مدينة بالشام. و مأرب: مدينة باليمن.

(۴) انظر السيرة (۳/ ۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۳۷۱

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين فعل ذلك أبو سفيان و أصحاب العير، و حركوا لذلك من أطاعهم من القبائل و حرضوهم عليه و خرجوا بحدهم وجدهم و أحابيشهم «۱» و من تابعهم من بنى كنانة و أهل تهامة، و خرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة و أن لا يفروا، فخرج أبو سفيان بن حرب و كان قائد الناس بهند بنت عتبة، و كذلك سائر أشراف قريش و كبرائهم خرجوا معهم بنسائهم.

و كان جبير بن مطعم قد أمر غلامه و حشيا الحبشى بالخروج مع الناس و قال له: إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق. فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها قالت: ويها أبا دسمة، و هى كنيته، اشف و اشتف.

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين- جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة.

فلما سمع بهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و المسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال عليه السلام:

«إنى قد رأيت و الله خيرا، رأيت بقرا تذبح، و رأيت فى ذباب سيفى ثلما، فأما البقر، فهى ناس من أصحابى يقتلون، و أما الثلم الذى فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل، و رأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة و تدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام و إن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها» «۲».

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يكره الخروج، و كان عبد الله بن أبى يرى رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ذلك، فقال رجل من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد و غيره ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم. فقال عبد الله بن أبى: يا رسول الله، أقم بالمدينة و لا تخرج إليهم، فو الله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، و لا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس و إن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم و رماهم الصبيان و النساء بالحجارة من فوقهم، و إن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا.

---

(۱) أحابيشهم: أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث فى الحرب التى وقعت بينهم و بين قريش قبل الإسلام.

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۵۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۰۷)، الدلائل للبيهقى (۳/ ۲۲۵، ۲۶۶)، تفسير الطبرى (۴/ ۴۶، ۴۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۷۲

فلم يزل برسول الله صلى اللّه عليه و سلم الناس الذين كان من أمرهم حب لقاء العدو، حتى دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلبس لأمته، و ذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الصلاة، و قد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له: مالك بن عمرو، أخو بنى النجار، فصلى عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم خرج عليهم و قد ندم الناس، فقالوا: يا رسول الله، استكرهناك و لم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى اللّه عليه و سلم عليك. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ما ينبغى للنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل» «۱».

فخرج فى ألف من أصحابه، حتى إذا كانوا بين المدينة و أحد انخذل عنه عبد الله بن أبى بثلث الناس، و قال: أطاعهم و عصانى، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس.

فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق و الريب، و اتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول: يا قوم، أذكركم الله أن تخذلوا قومكم و نبيكم عند ما حضر من عدوهم. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، و لكنا لا نرى أنه يكون قتال. فلما استعصوا عليه و أبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه.

و مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة، فذب فرس بذنبه فأصاب كلّاب سيف فاستله، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان يحب الفأل و لا يعتاف:

«يا صاحب السيف، شم سيفك، فإنى أرى السيوف ستسل اليوم» «۲».

ثم قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من رجل يخرج بنا على القوم من كثب، أى من قرب، من طريق لا تمر بنا عليهم»، فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة: أنا يا رسول الله.

فنفذ به فى حرة بنى حارثة و بين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بن قيظى، و كان منافقا ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و من معه من المسلمين قام يحثى فى وجوههم التراب و يقول: إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطى.

و ذكر أنه أخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال: و الله لو أعلم أنى لا اصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم

ليقتلوه فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر» «۳».

(۱) انظر الحديث فى: الدر المنثور للسيوطى (۲/ ۶۸)، تفسير الطبرى (۴/ ۴۶)، تفسير ابن كثير (۲/ ۹۱).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۴).

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۷۳

و مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى نزل الشّعب من أحد فجعل ظهره و عسكره إلى أحد و قال: «لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال» «۱».

و قد سرحت قريش الظهر و الكراع فى زروع كانت للمسلمين، فقال رجل من الأنصار: أ ترعى زرع بنى قيلة و لما نضارب!

و تعبى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للقتال و هو فى سبعمائة رجل، و أمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف، و هو معلم يومئذ بثياب بيض، و الرماة خمسون رجلا، فقال: انضح الخيل عنا لا يأتوننا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك.

و ظاهر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بين درعين، و دفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار.

و تعبأت قريش و هم ثلاث آلاف و معهم مائتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد و على الميسرة عكرمة بن أبى جهل.

و قد كان أبو عامر عبد عمرو بن صيفى من الأوس، خرج عن قومه إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فكان يعد قريشا أن لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش و عبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر. قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق. و بذلك سماه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان يسمى فى الجاهلية الراهب، فلما سمع ردهم عليه، قال: «لقد أصاب قومى بعدى شر! ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم «۲» بالحجارة» «۳».

و قال أبو سفيان- يومئذ- لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك: يا بنى عبد الدار، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، و إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا و إما أن تخلوا بيننا و بينه فنكفيكموه.

فهموا به و تواعدوه قالوا: أ نحن نسلم إليك لواءنا! ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع.

و ذلك أراد أبو سفيان.

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب.

(۱) انظر الحديث فى: الدر المنثور للسيوطى (۵/ ۶۱).

(۲) راضخهم: رماهم.

(۳) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۵۱۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۷۴

و قاتل أبو دجانة «۱» سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة، حتى أمعن فى الناس، و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لسيف عنده: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة فقال: و ما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى» «۲». قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه، و كان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب، و كان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أخرج

عصابته تلك فعصب بها رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين رآه يتبختر:

«إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن» «۳».

و كان الزبير بن العوام قد سأل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ذلك السيف مع من سأله منه فمنعه إياه، فقال: وجدت فى نفسى حين سألته إياه فمنعنيه و أعطاه أبا دجانة، و قلت: أنا ابن صفية عمته و من قريش و قد قمت إليه فسألته إياه قبله فأعطاه إياه و تركنى! و الله لأنظرن ما يصنع، فأتبعه، فأخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار:

أخرج أبو دجانة عصابة الموت! و هكذا كانت تقول له إذا تعصب لها، فخرج و هو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلى و نحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر فى الكيول أضرب بسيف الله و الرسول «۴» فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله، و كان فى المشركين رجل لا يدع جريحا إلا ذفف عليه: فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه، و ضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها، قال الزبير: فقلت الله و رسوله أعلم.

---

(۱) انظر ترجمته فى: أسد الغابة ترجمة رقم (۵۸۶۳)، الإصابة ترجمة رقم (۹۸۶۶)، تنقيح المقال (۳/ ۱۵)، ريحانة الأدب (۷/ ۹۵)، معجم رجال الحديث (۲۱/ ۱۵۱).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۲۳)، مستدرك الحاكم (۳/ ۲۳۰)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۲/ ۲۰۶، ۱۴/ ۴۰۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۰۹، ۹/ ۱۲۴)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۰۹۷۲، ۱۰۹۷۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۵).

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۳۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۵).

(۴) الكيول: آخر الصفوف فى الحرب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۷۵

و قال أبو دجانة: رأيت إنسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت إليه، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن أضرب به امرأة.

و قاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أحد النفر الذين كانوا يحملون اللواء من بنى عبد الدار، و كان جبير بن مطعم قد وعد غلامه و حشيا بالعتق إن قتل حمزة بعمه طعيمة ابن عدى المقتول يوم بدر، قال وحشى: فخرجت مع الناس و كنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ما أخطئ بها شيئا، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا ما يقوم له شىء، فو الله إنى لأتهيأ له أريده و أستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى الغبشانى، فلما رآه حمزة قال له: هلم إلى يا بن مقطعة البظور. و كانت أمه ختّانة بمكة، قال: فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه، قال: و هززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه و ذهب لينوء نحوى فغلب و تركته و إياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتى و رجعت إلى العسكر فقعدت فيه، و لم تكن لى بغيره حاجه، إنما قتلته لأعتق.

فلما قدمت مكة عتقت، ثم أقمت حتى افتتح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكة هربت إلى الطائف فكنت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليسلموا تعيت على المذاهب، فو الله إنى لفى ذلك إذ قال لى رجل: و يحك إنه و الله ما يقتل أحدا من الناس دخل فى دينه، فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة فلم يرعه إلا بى قائما على رأسه أتشهد شهادة الحق، فلما رآنى قال: أو حشىّ؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة، فحدثته فلما فرغت قال: و يحك! غيب عنى وجهك. فكنت أتنكّبه صلى اللّه عليه و سلم حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله تعالى.

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب خرجت معهم و أخذت بحربتى التى قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما فى يده السيف و ما أعرفه، فتهيأت له و تهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريده، فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه و شدّ عليه الأنصارى فضربه بالسيف، فربك أعلم أينا قتله، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قد قتلت شر الناس!

و ذكر ابن إسحاق «۱» بإسناد له إلى عبد الله بن عمر، و كان شهد اليمامة قال:

سمعت يومئذ صارخا يقول: قتله العبد الأسود.

---

(۱) انظر السيرة (۳/ ۳۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۷۶

قال ابن إسحاق: فبلغنى أن وحشيا لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان.

فكان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، يقول: قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة.

قال ابن إسحاق «۱»: و قاتل مصعب بن عمير «۲» دون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى قتل، قتله ابن قميئة الليثى، و هو يظن أنه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدا.

فلما قتل مصعب أعطى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم اللواء على بن أبى طالب، فقاتل على و رجال من المسلمين.

و لما اشتد القتال يومئذ جلس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تحت راية الأنصار و أرسل إلى على أن قدم الراية، فتقدم فقال: أنا أبو القصم، فناداه أبو سعد بن أبى طلحة: هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ثم انصرف و لم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أ فلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلنى بعورته فعطفتنى عليه الرحم و عرفت أن الله قد قتله.

و يقال: إن أبا سعد هذا خرج بين الصفين و طلب من يبارزه مرارا فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم فى الجنة و قتلانا فى النار، كذبتم و اللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم. فخرج إليه علىّ فاختلفا ضربتين فقتله علىّ. و قد قيل: إن سعد بن أبى وقاص هو الذى قتل أبا سعد هذا.

و قاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح «۳»، فقتل مسافع بن طلحة و أخاه الجلاس ابن طلحة، كلاهما يشعره سهما «۴» فيأتى أمه فيضع رأسه فى حجرها فتقول: يا بنى من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلا يقول رمانى: خذها و أنا ابن أبى الأقلح. فندرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، و كان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا و لا يمسه مشرك أبدا، فتمم الله له ذلك حيا و ميتا حسب ما نذكره عند مقتل عاصم على الرجيع - ماء لهذيل - إن شاء الله تعالى.

---

(۱) انظر السيرة (۳/ ۳۴).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۸۰۲۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۹۳۶).

(۳) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۴۳۶۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۶۶۵).

(۴) يشعره سهما: أى يصيبه به فى جسده، فيصير له مثل الشعار، و الشعار ما ولى الجسد من الثياب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۷۷

و التقى يوم أحد حنظلة بن أبى عامر الغسيل و أبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود بن شعوب قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

إن صاحبکم- یعنی حنظلة- لتغسله الملائکة فسلوا أهله ما شأنه؟ فسئلت صاحبته، فقالت: خرج و هو جنب حین سمع الهاتفة. فقال: رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «لذلک غسلته الملائکة» «۱».

ثم أنزل نصره علی المسلمین و صدقهم وعده فحسوهم بالسیوف حتی کشفوهم عن العسکر و نهکوهم قتلا.

و قد حملت خیل المشرکین علی المسلمین ثلاث مرات، کل ذلک تنضح بالنبل فترجع مفلولة، و کانت الهزیمة لا شک فیها.

فلما أبصر الرماة الخمسون أن الله قد فتح لإخوانهم قالوا: و الله ما نجلس هنا لشیء، قد أهلک الله العدو، و إخواننا فی عسکر المشرکین، فترکوا منازلهم التی عهد إلیهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أن لا یترکوها، و تنازعوا و فشلوا، و عصوا الرسول فأوجفت الخیل فیهم قتلا، و لم یکن نبل ینضحها و وجدت مدخلا علیهم، فکان ذلک سبب الهزیمة علی المسلمین بعد أن کانت لهم.

قال الزبیر بن العوام رضی الله عنه: و الله، لقد رأیتنی أنظر إلی خدم هند بنت عتبة و صواحبها منکشفات هوارب، ما دون أخذهن قلیل و لا کثیر، إذا مالت الرماة إلی العسکر حتی کشفنا القوم عنه، و خلوا ظهورنا للخیل، فأتتنا من خلفنا، و صرخ صارخ: ألا إن محمدا قد قتل، فانکفأنا و انکفأ علینا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتی ما یدنو منه أحد من القوم.

و انکشف المسلمون فأصاب فیهم العدو، و یقال: إن الصارخ هو الشیطان.

و کان یوم بلاء و تمحیص أکرم الله فیه من أکرم من المسلمین بالشهادة. حتی خلص العدو إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فدث بالحجارة حتی وقع لشقه فأصیبت رباعیته و کلمت شفته و شج فی وجهه فجعل الدم یسیل علی وجهه، و جعل صلی اللّه علیه و سلم یمسحه و هو یقول: «کیف یفلح قوم خضبوا وجه نبیهم و هو یدعوهم إلی ربهم» «۲».

---

(۱) انظر الحدیث فی: السنن الکبری للبیهقی (۴/ ۱۵)، دلائل النبوة للبیهقی (۳/ ۲۴۶)، إرواء الغلیل للألبانی (۳/ ۱۶۷)، السلسلة الصحیحة للألبانی (۱/ ۵۸۱).

(۲) انظر الحدیث فی: سنن ابن ماجه (۴۰۲۷)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۲۰۶)، الدر المنثور-

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۷۸

فأنزل الله علیه فی ذلک: لَیْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَیْءٌ أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ أَوْ یُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ [آل عمران: ۱۲۸].

و کان الذی کسر رباعیته و جرح شفته عتبة بن أبی وقاص و شجه عبد الله بن شهاب الزهری فی جبهته و جرح ابن قمیئة و جنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر فی و جنته، و وقع صلوات الله علیه فی حفرة من الحفر التی عمل أبو عامر لیقع فیها المسلمون و هم لا یعلمون، فأخذ علی بن أبی طالب بیده و رفعه طلحة بن عبید الله حتی استوی قائما. و مص مالک بن سنان والد أبی سعید الخدری الدم من وجهه ثم ازدرده، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «من مس دمه دمی لم تصبه النار» «۱».

و قال صلی اللّه علیه و سلم: «من أحب أن ینظر إلی شهید یمشی علی الأرض فلینظر إلی طلحة» «۲».

و نزع أبو عبیدة بن الجراح إحدی الحلقتین من وجهه صلی اللّه علیه و سلم فسقطت ثنیته، ثم نزع الأخری فسقطت ثنیته الأخری، فکان ساقط الثنیتین.

و کان سعد بن أبی وقاص یقول: و الله، ما حرصت علی قتل رجل قط حرصی علی قتل عتبة بن أبی وقاص- و هو أخوه- و إن کان ما علمت لسیئ الخلق مبغضا فی قومه، و لقد کفانی منه قول رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «اشتد غضب الله علی من دمی وجه رسوله» «۳».

و قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین غشیه القوم: «من رجل یشری لنا نفسه؟» فقام زیاد بن السکن فی نفر خمسة من الأنصار، و بعض الناس یقولون: إنما هو عمارة بن زیاد بن السکن، فقاتلوا دون رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رجلا ثم رجلا، یقتلون دونه، حتی کان آخرهم زیاد أو عمارة، فقاتل حتی أثبتته الجراحة، ثم جاءت فئة من المسلمین فأجهضوهم عنه،

- للسيوطى (۲/ ۷۱)، إتحاف السادة المتقين (۷/ ۹۲)، تفسير ابن كثير (۲/ ۹۸)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۳۶۶)، المغنى عن حمل الأسفار للعراقى (۲/ ۳۵۲)، أخلاق النبوة (۷۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۲۳).

(۱) انظر الحديث فى: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۶/ ۱۱۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۲۴).

(۲) انظر الحديث فى: المعجم الكبير للطبرانى (۱/ ۷۶)، السنة لابن أبى عاصم (۲/ ۶۱۴)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۳۳۶۹)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۷/ ۸۰).

(۳) انظر الحديث فى: موارد الظمآن للهيثمى (۲۲۱۲)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۶۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۷۹

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أدنوه منى» «۱». فأدنوه منه فوسده قدمه، فمات و خده على قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قاتلت أم عمارة نسيبه بنت كعب المازنية، يومئذ قالت: خرجت أول النهار و أنا أنظر ما يصنع الناس و معى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو فى أصحابه و الدولة و الريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقمت أباشر القتال و أذب عنه بالسيف و أرمى عن القوس، حتى خلصت الجراح إلىّ.

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع: فرأيت على عاتقها جراحا أجوف له غور فقلت: من أصابك بهذا، قالت: ابن قميئة أقمأه الله، لما ولى الناس عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أقبل يقول: دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا. فاعترضته أنا و مصعب بن عمير و أناس ممن ثبت مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فضربنى هذه الضربة، و لقد ضربته على ذلك ضربات، و لكن عدو الله كانت عليه درعان.

و ترس دون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أبو دجانة بنفسه، يقع النبل فى ظهره و هو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل.

و رمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال سعد: فلقد رأيته يناولنى النبل و يقول: «أرم فداك أبى و أمى» «۲» حتى إنه ليناولنى السهم ماله من نصل فيقول: «ارم به».

و رمى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم أحد عن قوسه حتى اندقت سيتها.

و أصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان «۳» فردها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بيده فكانت أحسن عينيه و أحدهما.

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۳۵).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۴۷، ۵/ ۱۲۴، ۸/ ۵۲)، صحيح مسلم فى كتاب فضائل الصحابة (۴۱، ۴۲)، سنن الترمذى (۲۸۲۹، ۳۷۵۳)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۶۲)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۳۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۲۷، ۸/ ۷۲).

(۳) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۷۰۹۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۲۷۷)، طبقات خليفة (۸۱، ۹۶)، تاريخ خليفة (۱۵۳)، التاريخ الكبير (۷/ ۱۸۴، ۱۸۵)، تاريخ الفسوى (۱/ ۳۲۰)، الجرح و التعديل (۷/ ۱۳۲)، تاريخ ابن عساكر (۱۴/ ۲۰۰)، تهذيب الكمال (۱۱۲۳)، تاريخ الإسلام (۲/ ۵۰)، العبر (۱/ ۲۷)، تهذيب التهذيب (۸/ ۳۵۷، ۳۵۸)، خالصة تذهيب الكمال (۳۱۵)، شذرات الذهب (۱/ ۳۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۸۰

و أصيب فم عبد الرحمن بن عوف فهتم و جرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها فى رجله فعرج.

و أتى أنس بن النضر عم أنس بن مالك و به سمى، إلى عمر بن الخطاب و طلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين و الأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا:

قد قتل محمد رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده! قوموا على ما مات عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، رحمه الله تعالى.

و روى حميد عن أنس، أن عمه أنس بن النضر هذا غاب عن قتال يوم بدر، فقال:

غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المشركين لئن أشهدنى الله قتالا ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعنى المشركين، و أعتذر إليك مما جاء به هؤلاء، يعنى المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أى سعد، و الذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة دون أحد! واها لريح الجنة. فقال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. فوجدناه بين القتلى و به بضع و ثمانون جراحة من ضربة بسيف و طعنة برمح و رمية بسهم، و قد مثلوا به حتى عرفته أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نقول أنزلت هذه الآية: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب: ۲۳] فيه و فى أصحابه.

قال ابن إسحاق «۱»: و كان أول من عرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد الهزيمة و تحدث الناس بقتله: كعب بن مالك الأنصارى، قال: عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى: يا معشر المسلمون أبشروا، هذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأشار إلى أن أنصت. فلما عرف المسلمون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نهضوا به و نهض معهم نحو الشّعب، معه أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب و على بن أبى طالب و طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام و الحارث بن الصمة، و رهط من المسلمين.

فلما أسند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الشعب أدركه أبى بن خلف و هو يقول: أين محمد: لا نجوت إن نجوت! فقال القوم: يا رسول الله، أ يعطف عليه رجل منا؟ فقال: «دعوه» «۲».

---

(۱) انظر السيرة (۳/ ۴۶).

(۲) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۶۲۴)، سنن ابن ماجه (۵۳۰)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۱۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۸۱

فلما دنا تناول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الحربة من الحارث بن الصمة، يقول بعض القوم: فلما أخذها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء من ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا.

و كان أبى بن خلف يلقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمكة فيقول: يا محمد، إن عندى العوذ، فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أنا أقتلك إن شاء الله» «۱».

فلما رجع إلى قريش و قد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال: قتلنى و الله محمدا! فقالوا له: ذهب و الله فؤادك! و الله إن بك بأس. قال: إنه قد كان قال لى بمكة: أنا أقتلك. فو الله لو بصق على لقتلنى.

فمات عدو الله بسرف و هم قافلون به إلى مكة.

و قد قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما قاله يومئذ: «اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله» «۲». فسحقا لأصحاب السعير.

و لما انتهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الشعب خرج على بن أبى طالب حتى ملأ درقته من المهراس، فجاء به إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليشرب منه، فوجد له ريحا فعافه و لم يشرب منه، و غسل عن وجهه الدم فصب على رأسه و هو يقول: «اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله» «۳».

فبينا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذا علت عالية من قريش الجبل فقال: «اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا» «۴» فقاتل عمر بن الخطاب و رهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

و نهض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع، و قد كان بدن

(۱) انظر الحديث فى: تفسير القرطبى (۷/ ۳۸۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۵)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱/ ۳۲).

(۲) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۴/ ۲۷۵)، شرح السنة للبغوى (۱۲/ ۳۳۷)، كنز العمال للمتقى الهندى (۲۹۸۸۵، ۲۹۸۸۷).

(۳) سبق تخريجه.

(۴) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۴/ ۹۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۳۸).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۸۲

و ظاهر بين درعين فجلس تحته بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها، فقال صلى اللّه عليه و سلم:

«أوجب طلحة» «۱».

و صلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الظهر- يومئذ- قاعدا من الجراح التى أصابته، و صلى المسلمون خلفه قعودا.

و لما خرج صلى اللّه عليه و سلم إلى أحد رفع حسيل بن جابر و هو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، و ثابت بن قيس فى الآكام مع النساء و الصبيان، فقال أحدهما لصاحبه و هما شيخان كبيران: لا اب لك! ما ننتظر؟ فو الله إن بقى لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غد، أ فلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لعل الله يرزقنا شهادة معه؟ فأخذا اسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس و لم يعلم بهما.

فأما ثابت فقتله المشركون، و أما حسيل فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه و هم لا يعرفونه، فقال حذيفة: أبى! قالوا: و الله إن عرفناه. و صدقوا. قال حذيفة: يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين. فأراد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده عند رسول الله خيرا.

و كان ممن قتل يوم أحد مخيرق من أحبار اليهود، و قد تقدم خبره و كيف قال- يومئذ- ليهود: لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. فتعللوا عليه بأنه يوم السبت، فقال لهم: لا سبت لكم. و أخذ سيفه و عدّته فلحق برسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقاتل معه حتى قتل بعد أن قال: إن أصبت فمالى لمحمد يصنع فيهما يشاء. و فيه قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«مخيريق خير يهود» «۲».

و كان عمرو بن ثابت و قش أصيرم بنى عبد الأشهل يأبى الإسلام على قومه، فلما

(۱) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۳۷۳۸)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۱۶۵)، السنن الكبرى للبيهقى (۶/ ۳۷۰، ۹/ ۴۶)، مستدرك الحاكم (۳/ ۲۵، ۳۷۳)، موارد الظمآن للهيثمى (۲۲۱۲)، الترغيب و الترهيب للمنذرى (۲/ ۲۸۱)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۳۶۱، ۱۲/ ۹۱)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۶۱۱۲)، شرح السنة للبغوى (۱۴/ ۱۲۰)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۳/ ۱/ ۱۵۵)، السنة لابن أبى عاصم (۲/ ۶۱۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۳۳۶۴)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۳۸).

(۲) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۲/ ۱۸۳)، دلائل النبوة لأبى نعيم (۱/ ۱۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۲۳۷، ۴/ ۳۶)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۳/ ۲۴۵، ۱۰/ ۸۷).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۸۳

كان يوم أحد بدا له فى الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فغزا حتى دخل فى عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة، فبينا رجال من بنى الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به، فقالوا: و الله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه و إنه لمنكر لهذا الحديث.

فسألوه ما جاء بك عمرو؟ أحدب على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ قال: بل رغبة فى الإسلام، آمنت بالله و برسوله و أسلمت ثم

أخذت سیفی فغدوت مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، ثم قاتلت حتی أصابنی ما أصابنی. ثم لم یلبث أن مات فی ایدیهم، فذکروه لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال: «إنه لمن أهل الجنة» «۱».

و کان أبو هریرة یقول: حدثونی عن رجل دخل الجنة لم یصل قط؟ فإذا لم یعرفه الناس سألوه من هو؟ فیقول: أصیرم بنی عبد الأشهل؟

و کان عمرو بن الجموح أعرج شدید العرج، و کان له بنون أربعة مثل الأسد یشهدون مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم المشاهد، فلما کان یوم أحد أرادوا حبسه و قالوا له: إن الله قد عذرک. فأتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال: إن بنی یریدون أن یحبسونی عن هذا الوجه و الخروج معک فیه، فو الله إنی لأرجو أن أطأ بعرجتی هذه فی الجنة. فقال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أما أنت فقد عذرک الله فلا جهاد علیک». و قال لبنیه: «ما علیکم أن لا تمنعوه لعل الله یرزقه الشهادة» «۲» فخرج معه فقتل، یرحمه الله.

و وقعت هند بنت عتبة «۳» و النسوة اللاتی معها یمثلن بالقتلی من المسلمین یجدعن الاذان و الأنوف، حتی اتخذت هند من آذان الرجال و أنوفهم خدما و قلائد، و أعطت خدمها و قلائدها و قرطها و حشیا قاتل حمزة، و بقرت عن کبد حمزة- رضی الله عنه- فلاکتها فلم تستطع أن تسیغها فلفظتها، ثم علت علی صخرة مشرفة فصرخت بأعلی صوتها:

نحن جزیناکم بیوم بدرو الحرب بعد الحرب ذات سعر «۴»

ما کان عن عتبة لی من صبرو لا أخی و عمه و بکر

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۵/ ۴۲۸، ۴۲۹).

(۲) انظر الحدیث فی: إتحاف السادة المتقین (۱۰/ ۳۳۲)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۳۷).

(۳) انظر ترجمتها فی: الإصابة ترجمة رقم (۱۱۸۶۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۷۳۵۰)، الثقات (۲/ ۴۳۹)، أعلام النساء (۵/ ۲۳۹)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۳۱۰)، أزمنة التاریخ الإسلامی (۱۰۰۸)، تلقیح فهوم أهل الأثر (۳۱۹)، و در السحابة (۸۲۴).

(۴) السعر: أی الالتهاب.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۸۴ شفیت نفسی و قضیت نذری‌شفیت وحشی غلیل صدری

فشکر وحشی علیّ عمری‌حتی ترم أضلعی فی قبری فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب، فقالت:

خزیت فی بدر و بعد بدریا منه وقاع عظیم الکفر

صبحک الله غداة الفجربالهاشمیین الطوال الزهر

بکل قطاع حسام یفری‌حمزة لیثی و علی صقری

إذ رام شیب و أبوک غدری‌فخضبا منه ضواحی النحر

و نذرک السوء فشر نذر

و قد کان الحلیس بن زبان أخو بنی الحارث بن عبد مناة، و هو یومئذ سید الأحابیش، مر بأبی سفیان و هو یضرب فی شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح و یقول: ذق عقق، فقال الحلیس: یا بنی کنانة، هذا سید قریش یصنع بابن عمه ما ترون لحما. فقال: و یحک، اکتمها عنی فإنها کانت زلة.

ثم إن أبا سفیان حین أراد الانصراف أشرف علی الجبل ثم صرخ بأعلی صوته:

أنعمت فعال، إن الحرب سجال یوم بیوم بدر، اعل هبل. أی ظهر دینک.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «قم یا عمر فأجبه، فقل: الله أعلی و أجل، لا سواء، قتلانا فی الجنة و قتلاکم فی النار» «۱».

و فی الصحیح من حدیث البراء أن أبا سفیان قال: إنه لنا العزی و لا عزی لکم.

فقال النبيّ صلى اللّه عليه و سلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال قالوا: «الله مولانا و لا مولى لكم» «۲».

و فيه أيضا: أن أبا سفيان أشرف يوم أحد فقال: أ فى القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه.

فقال: أ فى القوم ابن أبى قحافة؟ قال: لا تجيبوه. قال: أ فى القوم ابن الخطاب؟ فلما لم يجبه أحد قال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال:

كذبت يا عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك.

قال ابن إسحاق: فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له: هلم إلي يا عمر، فقال رسول

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۸).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۸۰)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۲۹۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۱۳)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۶/ ۳۹۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۸۵

الله صلى اللّه عليه و سلم لعمر: «ايته فانظر ما شأنه» «۱». فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر:

أ قتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا و إنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندى من ابن قميئه و ابر. لقول ابن قميئة لهم: إنى قد قتلت محمدا، ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان فى قتلاكم مثل، و الله ما رضيت و ما سخطت، و ما أمرت و ما نهيت.

و لما انصرف أبو سفيان و من معه نادى: إن موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لرجل من أصحابه قل: «نعم، هو بيننا و بينكم موعد» «۲».

ثم بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بن أبى طالب فقال: «اخرج فى آثار القوم فانظر ما ذا يصنعون و ما ذا يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل و امتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، و إن ركبوا الخيل و ساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، و الذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم» «۳»؛ فخرج على فرآهم قد جنبوا الخيل و امتطوا الإبل و وجهوا إلى مكة.

و فرغ الناس لقتلاهم و انتشروا يبتغونهم، فلم يجدوا قتيلا إلا و قد مثلوا به إلا حنظلة ابن أبى عامر فإن أباه كان مع المشركين فتركوه له، و زعموا أن أباه وقف عليه قتيلا فدفع صدره بقدمه و قال: قد تقدمت إليك فى مصرعك هذا، و لعمر الله إن كنت لواصلا للرحم برا بالوالدة.

و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع، أ فى الأحياء هو أم فى الأموات؟» «۴» فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل. فنظر فوجده جريحا فى القتلى و به رمق، قال فقلت له: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أمرنى أن أنظر أ فى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ قال: أنا فى الأموات، فأبلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عنى السلام و قل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيّا عن أمته، و أبلغ قومك السلام عنى و قل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم و منكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات. فجئت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبرته خبره.

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۲/ ۹۰).

(۲) انظر الحديث فى: التاريخ لابن كثير (۴/ ۳۸)، تاريخ الطبرى (۲/ ۷۱).

(۳) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۷۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۳۸)، المغازى للواقدى (۱/ ۲۹۸).

(۴) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۸۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۳۸۶

و فى سعد هذا يقول أبو بكر الصديق- رضى الله عنه- و قد دخل عليه رجل و على صدره بنت لسعد جارية صغيرة يرشفها و يقبلها فقال الرجل: من هذه؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه: بنت رجل خير منى، سعد بن الربيع، كان من النقباء ليلة العقبة و شهد بدرا، و استشهد يوم أحد.

و خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده و مثل به فجدع أنفه و أذناه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين رأى ما رأى: «لو لا أن تحزن صفية و يكون سنّة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع و حواصل الطير، و لئن أظهرنى الله على قريش فى مواطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم» «۱».

فلما رأى المسلمون حزن الرسول صلى اللّه عليه و سلم و غيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: و الله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب. فأنزل الله تعالى، فيما قاله من ذلك رسوله صلوات الله عليه و سلامه: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ [النحل: ۱۲۶، ۱۲۷]، فعفا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و صبر و نهى عن المثلة.

و يقال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما وقف على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبدا! ما وقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا» «۲». ثم قال: «جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله» «۳».

ثم أمر به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فسجى ببرده، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى، يوضعون إلى حمزة و صلى عليهم و عليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين و سبعين صلاة.

و أقبلت صفية بنت عبد المطلب «۴» إليه، و كان أخاها لأبيها و أمها فقال رسول الله

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۹).

(۲) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۱/ ۳۷۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۴۰).

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۴۰).

(۴) انظر ترجمتها فى: طبقات ابن سعد (۸/ ۴۱)، طبقات خليفة (۳۳۱)، تاريخ خليفة (۱۴۷)، المعارف (۱۲۸)، تاريخ الإسلام (۳۸۱۲)، الإصابة ترجمة رقم (۱۱۴۱۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۳۸۷

صلى اللّه عليه و سلم لابنها الزبير بن العوام: «القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها». فقال لها: يا أمه، إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يأمرك أن ترجعى. قالت و لم؟ و قد بلغنى أن قد مثّل بأخى، و ذلك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن و لأصبرن إن شاء الله. فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال له: «خل سبيلها». فأتته فنظرت إليه فصلت عليه و استرجعت و استغفرت له.

ثم أمر به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فدفن.

و زعم آل عبد الله بن جحش أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم دفن عبد الله بن جحش مع حمزة فى قبره، و هو ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب، و كان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة، إلا أنه لم يبقر عن كبده و جدع أنفه و أذناه، فلذلك يقال له: المجدع فى الله.

و كان فى أول النهار قد لقى سعد بن أبى وقاص فقال له عبد الله: هلم يا سعد فلندع الله و ليذكر كل واحد منا حاجته فى دعائه و ليؤمن الآخر. فقال سعد: يا رب إذا لقيت العدو فلقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك و يقاتلنى ثم ارزقنى الظفر عليه حتى أقتله و أسلبه سلبه. فأمن عبد الله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك و يقاتلنى فيقتلنى ثم

يجدع أنفى و أذنى، فإذا لقيتك غدا قلت لى: يا عبد الله، فيم جدع أنفك و أذناك؟ فأقول: فيك يا رب و فى رسولك. فتقول لى: صدقت. فأمن سعد على دعوته.

قال سعد: كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتى، لقد رأيته النهار و إن أذنيه و أنفه معلقان فى خيط، و لقيت أنا فلان من المشركين فقتلته و أخذت سلبه.

و ذكر الزبير أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عرجونا فعاد فى يده سيفا منه، فقاتل به فكان ذلك السيف يسمى العرجون، و لم يزل هذا يتوارث حتى بيع من بغا التركى بمائتى دينار.

و احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن ذلك قال: «ادفنوهم حيث صرعوا» «۱».

و لما أشرف صلوات الله عليه و سلامه يوم أحد على القتلى قال: «أنا شهيد على هؤلاء، إن ما من جريح يجرح فى الله إلا و الله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۹۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۸۸

دم و الريح ريح مسك، انظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر» «۱». و كانوا يدفنون الاثنين و الثلاثة فى القبر الواحد.

و قال- يومئذ- حين أمر بدفن القتلى: «انظروا عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا فاجعلوهما فى قبر واحد» «۲».

و ذكر مالك بن أنس فى موطّئه أن السيل حفر قبرهما بعد زمان فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس، و كان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن و هو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، و كان بين أحد و بين يوم حفر عنهما ست و أربعون سنة.

ثم انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم راجعا إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش، فلما لقيت الناس نعى لها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت و استغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت و استغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت و ولولت، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن زوج المرأة منها لبمكان» «۳» لما رأى من تثبتها على أخيها و خالها و صياحها على زوجها.

و مر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بدار من دور الأنصار فسمع البكاء و النوائح على قتلاهم، فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: «لكن حمزة لا بواكى له» «۴».

فلما رجع سعد بن معاذ و أسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهما أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ففعلن فلما سمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن و هن على باب المسجد يبكين عليه، فقال: «ارجعن

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۴۱، ۴۲)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۳/ ۱/ ۷).

(۲) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۵۶۲)، موطأ مالك (۲/ ۴۷۰/ ۴۹).

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۳۰۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۴۶).

(۴) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (۱۵۹۱)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۴۰، ۸۴، ۹۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۴/ ۷۰)، مستدرك الحاكم (۱/ ۳۸۱، ۳/ ۱۹۵)، المعجم الكبير للطبرانى (۳/ ۱۵۹، ۱۱/ ۳۹۲)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۲۰)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱/ ۳۱، ۳/ ۱/ ۵، ۱۰، ۱۱)، مصنف ابن أبى شيبة (۳/ ۳۹۴)، مصنف عبد الرزاق (۶۶۹۴)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۲۱۶، ۳۰۱)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۶۹۴۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۸۹

يرحمكن الله، فقد آسيتن «۱» بأنفسكن» «۲». و قيل: إنه لما سمع بكاءهن قال: «رحم الله الأنصار، فإن المواساة منهم ما علمت لقديمة، مروهن فلينصرفن».

و مر رسول الله فى انصرافه بامرأة من بنى دينار و قد أصيب زوجها و أخوها و أبوها مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل! تريد صغيرة.

فلما انتهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: «اغسلى عن هذا دمه يا بنية، فو الله لقد صدقنى اليوم» «۳»، و ناولها على بن أبى طالب سيفه فقال: و هذا فاغسلى عنه دمه، فو الله لقد صدقنى اليوم. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف و أبو دجانة» «۴».

و كان يقال لسيف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: ذو الفقار. و نادى مناد يوم أحد:

لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لعلى بن أبى طالب: «لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا» «۵».

و كان يوم أحد السبت للنصف من شوال.

فلما كان الغد منه يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بطلب العدو، و أذن مؤذنه:

أن لا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس.

فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله، كان أبى خلفنى على أخوات لى سبع و قال: «يا بنى لا ينبغى لى و لا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، و لست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على نفسى، فتخلف على أخواتك.

فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فخرج معه.

و إنما خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مرهبا للعدو ليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة، و أن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

---

(۱) آسيتن: أى عزيتن و عاونتن.

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۴۷)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۳۰۱، ۳۰۲).

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۴۷).

(۴) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۲۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۴۷).

(۵) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۴۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۹۰

و شهد مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم أحد أخوان من بنى الأشهل فرجعا جريحين، قال أحدهما: فلما أذن مؤذن رسول الله

صلى اللّه عليه و سلم بالخروج فى طلب العدو قلت لأخى أو قال لى: أ تفوتنا غزوة مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟! و الله ما لنا من دابة نركبها و ما منا إلا جريح ثقيل. فخرجنا و كنت أيسر جرحا منه، فكان إذا غلب حملته عقبة و مشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

و انتهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى خروجه ذلك إلى حمراء الأسد، على ثمانية أميال من المدينة. فأقام بها الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء ثم رجع إلى المدينة.

و قد مر به هنالك معبد بن أبى معبد الخزاعى، و كانت خزاعة مسلمهم و مشركهم عيبة نصح رسول الله بتهامة، صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها، و معبد يومئذ مشرك فقال: يا محمد، أما و الله لقد عز علينا ما أصابك فى أصاحبك، و لوددنا أن الله عافاك فيهم.

ثم خرج و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بحمراء الأسد، حتى لقى ابا سفيان بن حرب و من معه بالروحاء و قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه، و قالوا: أصبنا حد أصحابه و قادتهم و أشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم. فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم و ندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط. فقال: و يحك ما تقول؟ قال: و الله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل. قال: فو الله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم. قال: فإنى أنهاك عن ذلك، و الله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا من الشعر. قال: و ما قلت؟ قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتىإذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل «۱»

تردى بأسد كرام لا تنابلةعند اللقاء و لا ميل معازيل «۲»

فظلت عدوا أظن الأرض مائلةلما سموا برئيس غير مخذول

فقلت ويل ابن حرب من لقائكمإذا تغطمطت البطحاء بالجيل «۳»

---

(۱) تهد: تسقط من الإعياء لهول ما رأت من صوت الجيش و كثرته. و الجرد: الخيل العتاق. و الأبابيل: الجماعات.

(۲) تردى: أى تسرع. و التنابلة: القصار. و الميل: أى الذى لا رمح له.

(۳) أبو حرب: هو أبو سفيان. و تغطمطت: أى اهتزت و ارتجت. و الجيل: الصنف من الناس.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۹۱ إنى نذير لأهل البسل ضاحيةلكل ذى إربة منهم و معقول

من جيش أحمد لا وخشا قنابلهو ليس يوصف ما أنذرت بالقيل فثنى ذلك أبا سفيان و من معه.

و مر به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة، قال: و لم؟

قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها إليه و أحمل لكم بهذه غدا زبيبا بعكاظ إذا ما أتيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه و إلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هم بحمراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان و أصحابه فقالوا: «حسبنا الله و نعم الوكيل» «۱».

و يقال: إنهم لما هموا بالرجعة إلى المدينة ليستأصلوا- كما زعموا- بقية أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لهم صفوان بن أمية: لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا و قد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان، فارجعوا. فرجعوا.

فقال النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و هو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة: «و الذى نفسى بيده لقد سومت «۲» لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب» «۳».

و أخذ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى وجهه قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الملك بن مروان أبا أمه و أبا عزة الجمحى، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أسره ببدر ثم من عليه، و قد تقدم ذكر ذلك و ذكر مقتله إياه فى هذه الأخذة الثانية صدر غزوة أحد، و لجأ معاوية بن المغيرة إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل، فأقام بعدها و توارى. فبعث النبىّ زيد بن حارثة و عمار بن ياسر و قال: «إنكما ستجدانه بموضع كذا» «۴». فوجداه فقاتلاه.

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۲۶)، المعجم الكبير للطبرانى (۱۲/ ۱۲۸)، الدر المنثور للسيوطى (۲/ ۱۰۱، ۵/ ۳۳۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۳۱۷)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱/ ۴۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۵۰)، السلسلة الصحيحة للألبانى (۱۰۷۹)، زاد المسير لابن الجوزى (۵/ ۳۳۶، ۵۰۵)، تفسير ابن كثير (۵/ ۱۹۶)، تفسير الطبرى (۴/ ۱۱۹، ۲۹/ ۹۵)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۱۱/ ۸۶).

(۲) سومت: علمت.

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۵۱).

(۴) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۵۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۹۲

و كان يوم أحد يوم بلاء و مصيبة و تمحيص، اختبر الله به المؤمنين و محن به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه و هو مستخف بالكفر فى قلبه، و أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

و كان مما أنزل الله- تبارك و تعالى- من القرآن فى شأن أحد ستون آية من آل عمران فى طاعة من أطاع، و نفاق من نافق، و صفة ما كان فى يومهم، و تعزية المؤمنين فى مصيبتهم و معاتبة من عاتب منهم.

يقول الله تبارك و تعالى- لنبيه صلى اللّه عليه و سلم: وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. أى سميع لما يقولون عليم بما يخفون.

إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا أى تتخاذلا. و الطائفتان: بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة من الأوس، و هما الجناحان، يقول الله تبارك و تعالى: وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما أى المدافع عنهما ما همتا به من ذلك برحمته و عائدته حتى سلمتا و لحقتا بنبيهما. و قيل: إنه لما أنزل الله- تعالى- فى هاتين الطائفتين قالتا: ما نحب أنا لم نهم بما هممنا لتولى الله إيانا فى ذلك.

وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ، أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على و ليستعن بى أعنه على أمره و أدفع عنه حتى أبلغ به و أقويه على نيته.

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ أقل عددا و أضعف قوة فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أى فاتقونى فإنه شكر نعمتى.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، أى إن تصبروا لعدوى و تطيعوا أمر و يأتوكم من وجههم هذا أمددكم بهذا العدد من الملائكة مسومين أى معلمين.

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، أى ما سميت لكم من سميته من جنود ملائكتى إلا لتستبشروا بذلك و تطمئن قلوبكم إليه، لما أعرف من ضعفكم، و ما النصر إلا من عند الله لسلطانى و قدرتى، و ذلك أن العزة و الحكم لى لا إلى أحد من خلقى.

ثم قال لمحمد صلى اللّه عليه و سلم: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۹۳

ظالِمُونَ، أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتى فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى فإنهم ظالمون أى عصوا فاستوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى.

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم و البلاء الذى أصابهم و التمحيص لما كان فيهم و اتخاذه الشهداء منهم، فقال تعزية لهم و تعريفا لهم فيما صنعوا و فيما هو صانع بهم: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ، أى قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب برسلى و الشرك، فى عاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب مدين، فرأوا مثلات قد مضت منى فيهم و لمن هو على مثل ما هم عليه: هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، أى نور و أدب لمن أطاعنى و عرف أمرى.

وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا، أى لا تضعفوا و لا تبتئسوا على ما أصابكم وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ لكم تكون العاقبة و الظهور إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أى أن كنتم صدقتم نبيى بما جاءكم به عنى.

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ أى جراح فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ أى جراح مثلها وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ أى نصرفها للبلاء و التمحيص وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ، أى حسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا كرامة ثوابى و لم أختبركم بالشدة و أبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدق ذلك منكم، الإيمان بى و الصبر على ما أصابكم فىّ.

وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ أى الشهادة مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الخروج بهم إلى عدوهم يوم أحد لما فاتهم من يوم بدر رغبة فى الشهادة، يقول: فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ.

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ، أى لقول الناس: قتل محمد. و انهزامهم عند ذلك و انصرافهم عن عدوهم.

أ فإن مات أو قتل رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم، و تركتم جهاد عدوكم و كتاب ربكم و ما خلف نبيه من دينه معكم و عندكم و قد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت عنكم و مفارق لكم؟! وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ أى يرجع عن دينه فَلَنْ يَضُرَّ

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۹۴

اللَّهَ شَيْئاً أى لن ينقص ذلك عز الله و لا ملكه و لا سلطانه و لا قدرته وَ سَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ أى من أطاعه و عمل بأمره.

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلًا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَ سَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ أى من أراد الدنيا خاصة أتاه منها ما كتب له و ما له فى الآخرة من نصيب، و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن آتاه منها ما وعد به مع ما يجرى عليه فى دنياه من رزقه المقدر له، و ذلك هو جزاء الشاكرين أى المتقين.

وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا، أى و كم من نبى أصابه القتل و معه جماعات من أنصاره، فما وهنوا لفقد نبيهم و ما ضعفوا عن عدوهم و ما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله و عن دينهم، و ذلك هو الصبر وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ.

وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِى أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ، أى فقولوا مثل ما قالوا، و اعلموا أن ذلك بذنوب منكم فاستغفروه كما استغفروا، و امضوا على دينكم كما مضوا على دينهم و لا ترتدوا على أعقابكم راجعين، و سلوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم و ينصركم على القوم الكافرين. فكل هذا من قولهم كان و قد قتل نبيهم، و لم يفعلوا كما فعلتم.

فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا بالظهور على عدوهم وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ الذى به وعدهم وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ أى عن عدوكم فتذهب دنياكم و آخرتكم.

بَلِ اللَّهُ مَوْلاکُمْ وَ هُوَ خَیْرُ النَّاصِرِینَ فإن کان ما تقولون بألسنتکم صدقا عن قلوبکم فاعتصموا به و لا تنتصروا بغیره، و لا ترجعوا کفارا على أعقابکم مرتدین عن دینه.

سَنُلْقِی فِی قُلُوبِ الَّذِینَ کَفَرُوا الرُّعْبَ الذى به کنت أنصرکم علیهم جزاء لهم بما أشرکوا بى، فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر و لا ظهورا علیکم ما اعتصمتم بى

الاکتفاء، الکلاعى ،ج ۱،ص:۳۹۵

و اتبعتم أمرى، و إنما أصابکم منهم ما أصابکم بذنوب قدمتموها لأنفسکم خالفتم بها أمرى و عصیتم فیها نبیى.

وَ لَقَدْ صَدَقَکُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِی الْأَمْرِ وَ عَصَیْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراکُمْ ما تُحِبُّونَ، أى لقد وفیت لکم ما وعدتکم من النصر على عدوکم إذ تحسونهم بالسیوف أى تستأصلونهم قتلا بإذنى و تسلیطى أیدیکم علیهم و کفى أیدیهم عنکم حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ أى تخاذلتم وَ تَنازَعْتُمْ فِی الْأَمْرِ اختلفتم فیه وَ عَصَیْتُمْ بترک أمر نبیکم، یعنى الرماة الذین عهد إلیهم ألا یفارقوا مکانهم فخالفوا أمره حتى أتى المسلمون من قبلهم مِنْ بَعْدِ ما أَراکُمْ ما تُحِبُّونَ أى الفتح لا شک فیه و هزیمة القوم عن نسائهم و أموالهم مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الدُّنْیا أى النهب وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الْآخِرَةَ أى الذین جاهدوا فى الله و لم یخالفوا إلى ما نهوا عنه ثُمَّ صَرَفَکُمْ عَنْهُمْ لِیَبْتَلِیَکُمْ وَ لَقَدْ عَفا عَنْکُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِینَ، أى أنه سبحانه و إن عاقب من یشاء من عباده ببعض الذنوب فى عاجل الدنیا أدبا و موعظة، فإنه غیر مستوف کل ماله فیهم من الحق بما أصابوا من معصیة، فضلا من الله و رحمة.

ثم أنبهم بالفرار عن نبیهم و هو یدعوهم و لا یعطفون علیه فقال: إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ فِی أُخْراکُمْ فَأَثابَکُمْ غَمًّا بِغَمٍّ أى کربا بعد کرب بقتل من قتل من إخوانکم و علو عدوکم علیکم و ما وقع فى أنفسکم حین سمعتم أنه قتل نبیکم لِکَیْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَکُمْ من الظهور على عدوکم بعد أن رأیتموه بأعینکم وَ لا ما أَصابَکُمْ من قتل إخوانکم بما فرجت عنکم من الکرب بوقایة نبیکم و کشف کرب الشیطان فى الصراخ بقتله بینکم، فکان هذا هو الذى فرج الله به عنهم ما تابع علیهم من الغم، فلما رأوا رسول الله صلى اللّه علیه و سلم حیا بین أظهرهم هان علیهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور علیهم و المصیبة التى أصابتهم فیمن قتل منهم.

ثم قال تعالى بعد آیات ذکر فیها ما ذکر من قصة أحد وَ ما أَصابَکُمْ یَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِیَعْلَمَ الْمُؤْمِنِینَ وَ لِیَعْلَمَ الَّذِینَ نافَقُوا وَ قِیلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناکُمْ یعنى عبد الله بن أبى و الراجعین عن رسول الله صلى اللّه علیه و سلم حین سار إلى عدوه عن المشرکین. یقول الله تبارک و تعالى: هُمْ لِلْکُفْرِ یَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِیمانِ یَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَیْسَ فِی قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما یَکْتُمُونَ الَّذِینَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِکُمُ الْمَوْتَ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ.

الاکتفاء، الکلاعى ،ج ۱،ص:۳۹۶

ثم قال لنبیه علیه السلام یرغب المؤمنین فى الجهاد و یهون علیهم القتل: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ فَرِحِینَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ یَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِینَ لَمْ یَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ.

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: قال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: «لما أصیب إخوانکم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طیر خضر ترد أنهار الجنة و تأکل من ثمارها و تأوى إلى قنادیل من ذهب فى ظل العرش، فلما وجدوا طیب مشربهم و مأکلهم و حسن مقیلهم قالوا: یا لیت إخواننا یعلمون ما صنع الله بنا لئلا یزهدوا فى الجهاد و لا ینکلوا عن الحرب» قال الله تبارک و تعالى: فأنا أبلغهم عنکم» «۱»؛ فأنزل الله- عز ذکره- على رسوله صلى اللّه علیه و سلم هذه الآیات: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ إلى آخرها.

و قال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء یخرج علیهم رزقهم من الجنة بکرة و عشیا»

«۲».

و سئل عبد الله بن مسعود عن هؤلاء الآيات: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً فقال: أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة و تأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش فيطلع الله إليهم اطلاعة، فيقول: يا عبادى، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا. ثم يطلع الله إليهم اطلاعه فيقول: يا عبادى، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث نشاء، ثم يطلع إليهم اطلاعة فيقول: يا عبادى، ما

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن أبو داود (۲۵۲۰)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۶)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۶۳)، مستدرك الحاكم (۲/ ۸۸، ۲۹۷)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۳۰۴)، مصنف ابن أبى شيبة (۵/ ۲۹۴)، الدر المنثور للسيوطى (۲/ ۹۵)، زاد المسير لابن الجوزى (۱/ ۴۹۹)، تفسير ابن كثير (۲/ ۱۴۱)، تفسير الطبرى (۴/ ۱۱۳)، تفسير القرطبى (۴/ ۲۶۸).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۶)، مستدرك الحاكم (۲/ ۷۴)، المعجم الكبير للطبرانى (۱۰/ ۴۰۵)، مصنف ابن أبى شيبة (۵/ ۲۹۰)، إتحاف السادة المتقين (۱۰/ ۳۳۸)، موارد الظمآن للهيثمى (۱۶۱۱)، الدر المنثور للسيوطى (۲/ ۹۶)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۲۹۴، ۲۹۸)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۱۰۹۹)، الترغيب و الترهيب للمنذرى (۲/ ۳۲۳)، تفسير الطبرى (۲/ ۳۴، ۴/ ۱۱۳)، تفسير ابن كثير (۲/ ۱۴۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۳۹۷

تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا، إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى».

و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لجابر بن عبد الله: «أ لا أبشرك يا جابر؟» «۱» قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله، ثم قال: ما تحب يا عبد الله ابن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أى رب أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى» «۲».

و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «و الذى نفسى بيده ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من النهار و أن له الدنيا و ما فيها، إلا الشهيد فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل فى الله فيقتل مرة أخرى».

و استشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من المهاجرين و الأنصار خمسة و ستون رجلا، أربعة من المهاجرين و سائرهم من الأنصار و قتل الله من المشركين يومئذ اثنتين و عشرين رجلا.

و كان مما قيل من الشعر فى يوم أحد قول كعب بن مالك الأنصارى رحمه الله:

ألا هل أتى غسان عنا و دونهم من الأرض خرق سيره متنعنع

صحار و أعلام كأن قتامها من البعد نقع هامد متقطع

تظل به البزل العراميس رزحا و يخلو به غيث السنين فيمرع

به جيف الحسرى يلوح صليبها كما لاح كتان التجار الموضع

به العين و الآرام يمشين خلفة و بيض نعام قيضه يتقلع

مجالدنا عن ديننا كل فخمة مذربة فيها القوانس تلمع

و كل صموت فى الصوان كأنها إذا لبست نهى من الماء مترع

و لكن ببدر سائلوا من لقيتم من الناس و الأنباء بالغيب تنفع

و إنا بأرض الخوف لو کان أهلهاسوانا لقد أجلوا بلیل فأقشعوا

---

(۱) انظر الحدیث فی: مجمع الزوائد للهیثمی (۹/ ۳۱۷)، إتحاف السادهٔ المتقین (۵/ ۲۴، ۱۰/ ۳۸۳)، المغنی عن حمل الأسفار للعراقی (۱/ ۲۰۵، ۴/ ۴۸۰)، البدایهٔ و النهایهٔ لابن کثیر (۴/ ۴۴).

(۲) انظر الحدیث فی: البدایهٔ و النهایهٔ لابن کثیر (۴/ ۴۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۹۸ إذا جاء منا راکب کان قوله أعدوا لما یزجی ابن حرب و یجمع

و لما ابتنوا بالعرض قال سراتناعلام إذا لم نمنع العرض نزرع

و فینا رسول الله نتبع أمره إذا قال فینا القول لا نتطلع

تدلی علیه الروح من عند ربه ینزل من جو السماء و یرفع

نشاوره فیما نرید و قصدنا إذا ما اشتهی أنا نطیع و نسمع

و قال رسول الله لما بدوا لنا ذروا عنکم هول المنیات و اطمع

و کونوا کمن یشری الحیاهٔ تقربا إلی ملک یحیا لدیه و یرجع

و لکن خذوا أسیافکم و توکلوا علی الله إن الأمر لله أجمع

فسرنا إلیهم جهرهٔ فی رحالهم ضحیا علینا البیض لا نتخشع

بملمومهٔ فیها السنور و القنا إذا ضربوا أقدامها لا تورع

فجئنا إلی موج من البحر وسطه أحابیش منهم حاسر و مقنع

ثلاثهٔ آلاف و نحن نصیبهٔ ثلاث مئین إن کثرنا و أربع

نعاورهم تجری المنیهٔ بیننا نشارعهم حوض المنایا و نشرع

تهادی قسی النبع فینا و فیهم و ما هو إلا الیثربی المقطع

و منجوفهٔ حرمیهٔ صاعدیهٔ یذر علیها السم ساعهٔ تصنع

و خیل تراها بالفضاء کأنها جراد صبا فی قرهٔ یتریع

فلما تلاقینا و دارت بنا الرحی و لیس لأمر حمه الله مدفع

ضربناهم حتی ترکنا سراتهم کأنهم بالقاع خشب مصرع

لدن غدوهٔ حتی استفقنا عشیهٔ کأن ذکاها حر نار تلفع

و راحوا سراعا موجفین کأنهم جهام هراقت ماءه الریح مقلع

و رحنا و أخرانا بطاء کأنها أسود علی لحم ببیشهٔ ظلع

فنلنا و نال القوم منا و ربما فعلنا و لکن ما لدی الله أوسع

و دارت رحانا و استدارت رحاهم و قد جعلوا کل من الشر یشبع

و نحن أناس لا نری القتل سبهٔ علی کل من یحمی الذمار و یمنع

جلاد علی ریب الحوادث لا تری علی هالک عین لنا الدهر تدمع

بنو الحرب لا نعیا بشیء نقوله و لا نحن مما جرت الحرب نجزع و قال حسان بن ثابت یجیب عبد الله بن الزبعری عن کلمهٔ له علی روی هذا الجواب یفخر فیها بیوم أحد، و کلتا الکلمتین ینکرها بعض أهل العلم لمن نسبت إلیه:

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۳۹۹ أشاقتک من أم الولید ربوع بلاقع ما من أهلهن جمیع

عفاهن ضیفی الریاح و واکفمن الدلو زجاف السحاب هموع

فلم یبق إلا موقد النار حولهرواکد أمثال الحمام کنوع «۱»

فدع ذکر دار بددت بین أهلهانوی لمتینات الحبال قطوع

و قل إن یکن یوم بأحد یعدهسفیه فإن الحق سوف یشیع

فقد صابرت فیه بنو الأوس کلهمو کان لهم ذکر هناک رفیع

و حامی بنو النجار فیه و صابرواو ما کان منهم فی اللقاء جزوع

أمام رسول الله لا یخذلونهلهم ناصر من ربهم و شفیع

وفوا إذ کفرتم یا سخین بربکمو لا یستوی عبد و فی و مضیع

بأیدیهم بیض إذا حمش الوغیفلا بد أن یردی لهن صریع «۲»

کما غادرت فی النقع عتبة ثاویاو سعدا صریعا و الوشیج شروع «۳»

و قد غادرت تحت العجاجة مسنداأبیا و قد بل القمیص نجیع

بکف رسول الله حیث تنصبتعلی القوم مما قد یثرن نقوع

أولئک قوم سادة من فروعکمو فی کل قوم سادة و فروع

بهن نعز الله حتی یعزناو إن کان أمر یا سخین فظیع

فلا تذکروا قتلی و حمزة فیهمقتیل ثوی لله و هو مطیع

فإن جنان الخلد منزلة لهو أمر الذی یقضی الأمور سریع

و قتلاکم فی النار أفضل رزقهمحمیم معا فی جوفها و ضریع «۴» و قال کعب بن مالک یجیب ابن الزبعری و عمرو بن العاص عن کلمتین قالاها فی ذلک:

أبلغ قریشا و خیر القول أصدقهو الصدق عند ذوی الألباب مقبول

أن قد قتلنا بقتلانا سراتکمأهل اللواء ففیما یکثر القیل

و یوم بدر لقیناکم لنا مددفیه مع النصر میکال و جبریل

إن تقتلونا فدین الحق فطرتناو القتل فی الحق عند الله تفضیل

---

(۱) رواکد: الحجارة التی کانوا ینصبونها لوضع القدور علیها. و کنوع: أی لاصقة بالأرض.

(۲) حمش: أی اشتد و قوی. و یردی: أی یهلک.

(۳) ثاویا: أی مقیما.

(۴) الضریع: نبات أخضر یرمی به البحر.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۰۰ و إن تروا أمرنا فی رأیکم سفهافرأی من خالف الإسلام تضلیل

فلا تمنوا لقاح الحرب و اقتعدواإن أخا الحرب أصدی اللون مشغول

إنا بنو الحرب نمریها و ننتجهاو عندنا لذوی الأضغان تنکیل «۵»

إن ینج منها ابن حرب بعد ما بلغتمنه التراقی و أمر الله مفعول «۶»

فقد أفادت له حلما و موعظةلمن یکون له لب و معقول

و لو هبطتم ببطن السیل کافحکمضرب بشاکلة البطحاء ترعیل «۷»

تلقاكم عصب حول النبیّ لهم‌مما يعدون للهيجا سرابيل «۸»

من جذم غسان مسترخ حمائلهم‌لا جناء و لا ميل معازيل

يمشون تحت عمايات القتال كماتمشى المصاعبة الأدم المراسيل «۹»

أو مثل مشى أسود الظل ألثقهايوم رذاذ من الجوزاء مشمول

فى كل سابغة كالنهى محكمةقيامها فلج كالسيف بهلول «۱۰»

ترد حد قدان النبل خاسئةو يرجع السيف عنها و هو مفلول

و لو قذفتم بسلع عن ظهوركمو للحياة و دفع الموت تأجيل «۱۱»

ما زال فى القوم وتر منكم أبداتعفو السلام عليه و هو مطلول «۱۲» و قال كعب- أيضا فى يوم أحد من قصيدة يفخر فيها بقومه:

فإن كنت عن شأننا سائلافسل عنه ذا العلم ممن يلينا

بنا كيف نفعل إن قلصت‌عوانا ضروسا عضوضا حجونا

ألسنا نشد عليها العقاب حتى تدر و حتى تلينا

و يوم له وهج دائم‌شديد التهاول حامى الأرينا

طويل شديد أوار القتال يبغى حواقره المقرفينا

تخال الكماة بأعراضه‌ثمالى على لذة منزفينا

---

(۵) نمريها: نستدرها. و الأضغان: أى العداوة.

(۶) التراقى: عظام الصدر.

(۷) شاكلة البطحاء: أى جانبها. و الترعيل: أى الضرب السريع.

(۸) الهيجا: أى الحرب.

(۹) المصاعبة: الفحول من الإبل.

(۱۰) السالفة: الدرع الكاملة الشاملة.

(۱۱) سلع: اسم جبل.

(۱۲) تعفو: تذهب آثارها. و السلام: الحجارة. و مطول: لم يؤخذ بثأره.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۰۱ تعاور أيمانهم بينهم‌كئوس المنايا بحد الظبينا

شهدنا فكنا أولى بأسه‌و تحت العماية و المعلمينا

بخرس الحسيس حسان رواءو بصرية قد أجمن الجفونا

فما ينفللن و ما ينحنين‌و ما ينتهين إذا ما نهينا

كبرق الخريف بأيدى الكماةيفجعن بالطل هاما سكونا

و علمنا الضرب آباؤناو سوف نعلم أيضا بنينا

جلاد الكماة و بذل التلاد عن جل أحسابنا ما بقينا

إذا مر قرن كفى نسله‌و أورثه بعده آخرينا

تشب و تهلك آباؤناو بينا نربى بنينا فنينا و قال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه:

أ تعرف الدار عفا رسمهابعدك صوب السبل الهاطل «۱»

بین السرادیح فأدمانةفمدفع الروحاء فی حائل «۲»

سألتها عن ذاک فاستعجمتلم تدر ما مرجوعة السائل «۳»

دع عنک دارا قد عفا رسمهاو ابک علی حمزة ذی النائل «۴»

المالئ الشیزی إذا أعصفتغبراء فی ذی الشبم الماحل «۵»

و التارک القرن لدی لبدةیعثر فی ذی الخرص الذابل «۶»

و اللابس الخیل إذ أجحمتکاللیث فی غابته الباسل

أبیض فی الذروة من هاشملم یمر دون الحق بالباطل

مال شهیدا بین أسیافکمشلت یدا وحشی من قاتل «۷»

أی امرئ غادر فی ألةمطرورة مارنة العامل «۸»

---

(۱) عفا: أی غیر و درس. و رسمها: أی أثرها.

(۲) السرادیح: جمع سرادح، و هو الوادی. و أدمانة: اسم موضع. و الروحاء: اسم موضع. و حائل: جبل.

(۳) استعجمت: أی لم ترد جوابا. و مرجوعة السائل: أی رجوع جوابه.

(۴) النائل: أی العطاء.

(۵) الشیزی: الجفان التی تصنع من خشب الشیز.

(۶) القرن: الذی یقاومک فی القتال. و اللبدة: أی الغبار الملبد.

(۷) وحشی: هو قاتل حمزة.

(۸) و الألة: الحربة التی لها سنان طویل. و المطرورة: أی المحددة. و المارنة: أی اللینة. و العامل: أعلی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۰۲ أظلمت الأرض لفقدانهو اسود نور القمر الناصل

صلی علیه الله فی جنةعالیة مکرمة الداخل

کنا نری حمزة حرزا لنافی کل أمر نابنا نازل

و کان فی الإسلام ذا تدرأیکفیک فقد القاعد الخاذل

لا تفرحی یا هند و استحلبیدمعا و أذری عبرة الثاکل

و ابک علی عتبة إذ قطهبالسیف تحت الرهج الجائل

إذا خر فی مشیخة منکممن کل عات قلبه جاهل

أرداهم حمزة فی أسرةیمشون تحت الحلق الفاضل

غداة جبریل وزیر لهنعم وزیر الفارس الحامل و قال عبد الله بن رواحة یبکی حمزة، و تروی- أیضا- لکعب بن مالک رضی الله عنهم أجمعین:

بکت عینی و حق لها بکاهاو ما یغنی البکاء و لا العویل

علی أسد الإله غداة قالواأ حمزة ذاکم الرجل القتیل

أصیب المسلمون به جمیعاهناک و قد أصیب به الرسول

أبا یعلی لک الأرکان هدتو أنت الماجد البر الوصول

علیک سلام ربک فی جنان‌مخالطها نعیم لا یزول و قالت صفیة بنت عبد المطلب تبکی أخاها حمزة رضی الله عنهما:

أ سائلة أصحاب أحد مخافةبنات أبی من أعجم و خبیر

فقال الخبیر إن حمزة قد ثوی‌وزیر رسول الله خیر وزیر

دعاه الإله الحق ذو العرش دعوةإلی جنة یحیا بها و سرور

فذلک ما کنا نرجی و نرتجی‌لحمزة یوم الحشر خیر مصیر

فو الله لا أنساک ما هبت الصبابکاء و حزنا محضری و مسیری

علی أسد الله الذی کان مدرهایذود عن الإسلام کل کفور

فیا لیت شلوی عند ذاک و أعظمی‌لدی أضبع تعتادنی و نسور

أقول و قد أعیی النعی عشیرتی‌جزی الله خیرا من أخ و نصیر و قالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبکی زوجها شماسا و أصیب یوم أحد:

أعلی الرمح.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۰۳ یا عین جودی بفیض غیر إبساس‌علی کریم من الفتیان لباس

صعب البدیهة میمون نقیبته‌حمال ألویة رکاب أفراس «۱»

أقول لما أتی الناعی له جزعاأودی الجواد و أودی المطعم الکاسی «۲»

و قلت لما خلت منه مجالسه‌لا یبعد الله عنا قرب شماس فأجابها أخوها یعزیها فقال:

اقنی حیاءک فی ستر و فی کرم‌فإنما کان شماس من الناس «۳»

لا تقتلی النفس إذ حانت منیته‌فی طاعة الله یوم الروع و الباس «۴»

قد کان حمزة لیث الله فاصطبری‌فذاق یومئذ من کأس شماس و قالت هند بنت عتبة حین انصرف المشرکون عن أحد:

رجعت و فی نفسی بلابل جمةو قد فاتنی بعض الذی کان مطلبی «۵»

من أصحاب بدر من قریش و غیرهم‌بنی هاشم منهم و من أهل یثرب

و لکننی قد نلت شیئا و لم یکن‌کما کنت أرجو فی مسیری و مرکبی و هذه هند أم معاویة بن أبی سفیان، و کانت امرأة فیها مکارة و ذکورة و لها نفس و أنفة، و کان المسلمون قد أصابوا یوم بدر أباها عتبة و عمها شیبة و أخاها الولید، فأصابها من ذلک ما یصیب من مثله النفوس الشهمة و القلوب الکافرة، فخرجت إلی أحد مع زوجها أبی سفیان تبتغی الانتصار و تطلب الأوتار، فهذا قولها- یرحمها الله- و الوتر یقلقها و الکفر یحنقها و الحزن یحرقها و الشیطان ینطقها.

ثم إن الله سبحانه هداها إلی الإسلام و أخذ بحجزتها عن سواء النار، فصلحت حالها و تبدلت أقوالها، حتی قالت لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیما قالت له: و الله یا رسول الله، ما کان علی الأرض أهل خباء أحب إلی أن یذلوا من أهل خبائک، و ما أصبح الیوم الأرض خباء أحب إلی أن یعزوا من أهل خبائک. أو نحو هذا من القول.

فالحمد لله الذی هدانا برسوله أجمعین، و إیاه سبحانه نسأل أن یمیتنا علی خیر ما هدانا إلیه، لا مبدلین و لا مغیرین.

---

(۱) البدیهة: أول الأمر و الرأی. و میمون نقیبته: أی مسعود الفأل. و الألویة: جمع لواء، و هو العلم.

(۲) الناعی: الذی یأتی بخبر المیت.

(۳) اقنی حیاءک: أی حافظی علیه و لا تخرجی عنه.

(۴) المنیة: أی الموت. و الروع: أی الفزع. و البأس: أی الشجاعة.

(۵) البلابل: أی الأحزان.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۰۴

غدر عضل و القارة بأصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم

و قدم علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعد أحد رهط من عضل و القارة، و هم بنو الهون ابن خزیمة بن مدرکة، فقالوا له: یا رسول الله، إن فینا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابک یفقهوننا فی الدین و یقرءوننا القرآن و یعلموننا شرائع الإسلام.

فبعث معهم ستة من أصحابه: مرثد بن أبی مرثد الغنوی «۱» و أمره علیهم، و خالد بن البکیر «۲»، و عاصم بن ثابت بن أبی الأقلح، و خبیب بن عدی «۳»، و زید بن الدثنة «۴»، و عبد الله بن طارق «۵».

فخرجوا حتی إذا کانوا علی الرجیع، ماء لهذیل بناحیة الحجاز من صدر الهدأة «۶»، غدروا بهم فاستصرخوا علیهم هذیلا فلم یرع القوم و هم فی رحالهم إلا الرجال بأیدیهم السیوف قد غشوهم، فأخذوا أسیافهم لیقاتلوا القوم فقالوا لهم: إنا و الله ما نرید قتلکم، و لکنا نرید أن نصیب بکم شیئا من أهل مکة، و لکم عهد الله و میثاقه أن لا نقتلکم.

فأما مرثد و خالد و عاصم فقالوا: و الله لا نقبل من مشرک عهدا و لا عقدا أبدا. و قال عاصم:

ما علتی و أنا جلد نابل و القوس فیها وتر عنابل «۷»

---

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۷۸۹۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۸۳۱)، البدایة و النهایة (۶/ ۳۵۳)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۶۸)، تهذیب الکمال (۳/ ۱۳۱۴)، تهذیب التهذیب (۱۰/ ۸۲).

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۲۱۵۳)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۳۴۸)، طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۲۸۳).

(۳) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۲۲۲۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۴۱۷)، حلیة الأولیاء (۱/ ۱۱۲، ۱۱۴).

(۴) انظر ترجمته فی: أسد الغابة ترجمة رقم (۱۸۳۵)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۱۹۹)، الإصابة ترجمة رقم (۲۶۰۵).

(۵) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۴۷۸۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۰۲۶).

(۶) الهدأة: موضع بین عسفان و مکة.

(۷) النابل: صاحب النبل. و عنابل: أی غلیظ شدید.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۰۵ تزل عن صفحتها المعابل الموت حق و الحیاة باطل

و کل ما حم الإله نازل بالمرء و المرء إلیه آئل

إن لم أقاتلکم فأمی هابل

ثم قاتل القوم حتی قتل و قتل صاحباه رحمهم الله.

فلما قتل عاصم ارادت هذیل أخذ رأسه لیبیعوه من سلافة بنت سعد بن شهید بمکة، و کانت حین أصاب ابنیها یوم أحد نذرت لئن قدرت علی راس عاصم لتشربن فی قحفة الخمر، فمنعه الدبر فقالوا: دعوه حتی یمسی فتذهب عنه فنأخذه. فبعث الله الوادی فاحتمل عاصما فذهب به.

و قد کان عاصم أعطی الله عهدا أن لا یمس مشرکا و ألا یمسه مشرک أبدا، تنجسا!

فکان عمر بن الخطاب یقول: یحفظ الله العبد المؤمن! کان عاصم نذر أن لا یمسه مشرک و لا یمس مشرکا أبدا فی حیاته، فمنعه الله بعد وفاته کما امتنع منه فی حیاته.

و أما زيد بن الدثنة و خبيب بن عدى و عبد الله بن طارق فلانوا و رقوا و رغبوا فى الحياة، فأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران «۱» انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه و استأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران.

و أما خبيب بن عدى و زيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فابتاع خبيبا حجير بن أبى إهاب التميمى لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه.

و أما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، فبعث به مع مولى له يقال له: نسطاس إلى التنعيم، فأخرجوه من الحرم ليقتلوه، و اجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان لما قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أ تحب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه و أنك فى أهلك؟ فقال: و الله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه و أنى جالس فى أهلى!

يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا.

ثم قتله- رحمه الله- نسطاس مولى صفوان.

---

(۱) الظهران: واد قرب مكة عنده قرية يقال لها: مرّ، تضاف إلى هذا الوادى، فيقال: واد الظهران.

انظر: معجم البلدان (۴/ ۶۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۰۶

قال ابن عقبة: و زعموا أنهم رموه بالنبل و أرادوا فتنته فلم يزده إلا إيمانا و يقينا.

و أما خبيب بن عدى فجلس بمكة فى بيت ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب، فكانت تخبر بعد ما أسلمت، قالت: لقد اطلعت عليه يوما و إن فى يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، و و الله ما أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل!

قالت: و قال لى حين حضره القتل: ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل، فأعطيت الموسى غلاما من الحى فقلت: ادخل بها على هذا الرجل، قالت: فو الله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه، فقلت: ما ذا صنعت؟ أصاب و الله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام، فيكون رجلا برجل. فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلىّ؟ ثم خلى سبيله.

ثم خرجوا بخبيب حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا له؛ دونك فاركع. فركع ركعتين أتمهما و أحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما و الله لو لا تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لا ستكثرت من الصلاة.

فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا. ثم قال: اللهم أحصهم عددا و اقتلهم بددا و لا تغادر منهم أحدا. ثم قتلوه.

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول: حضرت- يومئذ- فيمن حضره مع أبى أبى سفيان، فلقد رأيته يلقينى فى الأرض فرقا من دعوة خبيب، و كانوا يقولون: الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه.

و كان ممن حضره- يومئذ- سعيد بن عامر بن جذيم الجمحى «۱»، ثم أسلم بعد ذلك و استعمله عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية بين ظهرى القوم، فذكر ذلك لعمر و قيل: إن الرجل مصاب. فسأله عمر- رحمه الله- فى قدمة قدمها عليه فقال: يا سعيد، ما هذا الذى يصيبك؟ قال: و الله يا أمير

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۳۲۸۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۰۸۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۲۳)، شذرات الذهب (۲)، الجرح و التعديل (۴/ ترجمة ۲۰۵)، حلية الأولياء (۱/ ۳۶۸)، الطبقات الكبرى (۷/ ۲۴۲، ۴۰۲)، صفة الصفوة (۱/ ۶۶۰)، الوافى بالوفيات (۱۵/ ۳۲۰)، البداية و النهاية (۶/ ۱۰۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۰۷

المؤمنين ما بى من بأس، و لكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل و سمعت دعوته، فو الله ما خطرت على قلبى و أنا فى مجلس قط إلا و غشى على فزادته عند عمر خيرا.

و ذكر ابن عقبة أن خبيبا و زيدا قتلا فى يوم واحد، قال: و زعموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال و هو جالس فى ذلك اليوم الذى قتلا فيه: «و عليكما أو و عليك السلام، خبيب قتلته قريش»، لا ندرى أذكر ابن الدثنة معه أم لا.

و قال خبيب- رحمه الله- لما اجتمع القوم لصلبه:

لقد جمع الأحزاب حولى و ألبواقبائلهم و استجمعوا كل مجمع «۱»

و كلهم مبدى العداوة جاهدعلىّ لأنى فى وثاق بمضيع

و قد جمعوا أبناءهم و نساءهمو قربت من جذع طويل ممنع

إلى الله أشكو غربتى ثم كربتىو ما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى

فذا العرش صبرنى على ما يراد بىفقد بضعوا لحمى و قد ياس مطمعى

و ذلك فى ذات الإله و إن يشأيبارك على أوصال شلو ممزع

و قد خيرونى الكفر و الموت دونهو قد هملت عيناى من غير مجزع «۲»

و ما بى حذار الموت إنى لميتو لكن حذارى جحيم نار ملفع «۳»

و لست أبالى حين أقتل مسلماعلى أى جنب كان فى الله مصرعى

فلست بمبد للعدو تخشعاو لا جزعا إنى إلى الله مرجعى و قال حسان بن ثابت يبكى خبيبا:

يا عين جودى بدمع منك منسكبو ابكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب

صقرا توسط فى الأنصار منصبهسمح السجية محضا غير مؤتشب

قد هاج عينى على علات عبرتهاإذ قيل نص إلى جذع من الخشب

يا أيها الراكب الغادى لطيتهأبلغ إليك وعيدا ليس بالكذب «۴»

بنى كهينة أن الحرب قد لقحتمحلوبها الصاب إذ تمرى لمحتلب

فيها أسود بنى النجار تقدمهمشهب الأسنة فى معصوصب لجب

---

(۱) ألبوا: أى جمعوا. و مجمع: مكان الاجتماع.

(۲) هملت عيناى: أى سال دمعها.

(۳) الجحيم: أى الملتهب المتقد. و الملفع: أى المشتمل.

(۴) الطية: ما انطوت عليه نيتك من الجهة التى تريد أن تتوجه إليها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۰۸

و قال حسان- أيضا- يهجو هذيلا:

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدركأحاديث كانت فى خبيب و عاصم

أحاديث لحيان صلوا بقبيحهاو لحيان جرامون شر الجرائم «۱»

أناس هم من قومهم فى صميمهمبمنزلة الزمعان دبر القوائم

هم غدروا يوم الرجيع و أسلمتأمانتهم ذا عفة و مكارم

رسول رسول الله غدرا و لم تكنهذيل توقى منكرات المحارم

فسوف يرون النصر يوما عليهمبقتل الذى يحميه دون المحارم

أبابيل دبر شمس دون لحمهحمت لحم شهاد عظام الملاحم

لعل هذيلا أن يروا بمصابهمصارع قتلى أو مقاما لمأتم

و يوقع فيهم وقعة ذات صولةيوافى بها الركبان أهل المواسم

بأمر رسول الله إن رسولهرأى ذى حزم بلحيان عالم

قبيلته ليس الوفاء يهمهمو إن ظلموا لم يدفعوا كف ظالم

إذا الناس حلوا بالقضاء رأيتهمبمجرى مسيل الماء بين المخارم «۲»

محلهم دار البوار و رأيهمإذا نابهم أمر كرأى البهائم

غزوة بئر معونة «۳»

و بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أصحاب بئر معونة فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد.

و كان من حديثهم أن أبا براء ملاعب الأسنة، و اسمه عامر بن مالك بن جعفر قدم المدينة على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فعرض عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الإسلام و دعاه إليه، فلم يسلم و لم يبعد من الإسلام، و قال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إنى أخشى عليهم أهل نجد» «۴». قال: أنا لهم جار فابعثهم.

---

(۱) صلوا بقبيحها: أى أصابهم شرها. و جرامون: أى كاسبون.

(۲) المخارم: مسائل الماء التى يخرمها السيل، أى يقطعها.

(۳) راجع الغزوة فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۵۱، ۵۴)، المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۱۹۸)، المغازى للواقدى (۱/ ۳۴۶).

(۴) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۲۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۳۳۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۷۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۰۹

فبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة، المعنق ليموت، فى أربعين رجلا من أصحابه، منهم الحارث بن الصمة، و حرام بن ملحان، و عروة بن أسماء بن الصلت السلمى، و نافع بن بديل بن ورقاء، و عامر بن فهيرة، فى رجال مسمين من خيار المسلمين.

فساروا حتى نزلوا بئر معونة و هى بين أرض بنى عامر و حرة بنى سليم، كلا البلدين منها قريب، و هى إلى حرة بنى سليم أقرب.

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلما أتاهم لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه، و قالوا: لن نخفر أبا براء، و قد عقد لهم عقدا و جوارا.

فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم: عصية و رعلا و ذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم رحمهم الله، إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار- يرحمه الله-

فإنهم تركوه و به رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا.

و كان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى، و رجل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف قيل: إنه المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح، فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا: و الله إن لهذا الطير لشأنا.

فأقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم و إذا الخيل التى اصابهم واقفة.

فقال الأنصارى لعمرو بن أمية: ما ترى؟

قال: أرى أن نلحق برسول الله صلى اللّه عليه و سلم فنخبره الخبر. فقال الأنصارى: لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، و ما كنت لتخبرنى عنه الرجال.

ثم قاتل القوم حتى قتل.

و أخذوا عمرو بن أمية أسيرا، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل و جز ناصيته و أعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا معه فى ظل هو فيه فسألهما ممن أنتما؟

فقالا: من بنى عامر. فأمهلهما حتى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۱۰

إذا ناما عدا عليهما فقتلهما، و هو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر فى ما أصابوه من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان مع العامريين عقد من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و جوار لم يعلم به عمرو بن أمية، فلما قدم عمرو على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره الخبر قال: لقد قتيلين لأدينهما. ثم قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «هذا عمل أبى براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا» «۱».

و كان فيمن أصيب- يومئذ- عامر بن فهيرة، فكان عامر بن الطفيل يقول: من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء و الأرض حتى رأيت السماء دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة.

و ذكر ابن عقبة أنه لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يومئذ، فيرون أن الملائكة هى وارته، رحمة الله عليه.

و كان جبار بن سلمى فيمن حضرها- يومئذ- مع عامر بن الطفيل ثم أسلم فكان يقول: إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا منهم بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت و الله! فقلت فى نفسى: ما فاز! أ لست قد قتلت الرجل؟! حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: الشهادة. فقلت: فاز لعمر الله.

و أقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم شهرا يدعو فى صلاة الغداة على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، يدعو على رعل و ذكوان و عصية الذين عصوا الله و رسوله، و أنزل فيمن قتل هنالك قرآن ثم رفع: «بلغوا عنا قومنا أن لقينا ربنا فرضى عنا و رضينا عنه».

ذكر غزوة بنى النضير «۲» و السبب الذى هاج الخروج إليهم

و ذلك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خرج إليهم يستعينهم فى دية العامرين، اللذين قتل عمرة

---

(۱) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۳۷)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۳۴۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۲۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۷۳).

(۲) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (۱/ ۳۶۳)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۴۰)، تاريخ الطبرى (۲/ ۵۵۰)، الكامل (۲/ ۶۴)، صحيح البخارى (۵/ ۸۸)، فتح البارى (۷/ ۳۲۹)، عيون الأثر (۲/ ۶۱)، الدرر لابن عبد البر (۱۶۴)، البداية و النهاية (۴/ ۷۴)، دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۱۷۶، ۳۵۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۱۱

ابن أمیهٔ الضمری، للجور الذی کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عقد لهما، فقالوا له لما کلمهم فی ذلک: نعم، یا أبا القاسم نعینک علی ما أحببت مما استعنت بنا علیه، اجلس حتی تطعم و ترجع بحاجتک.

فجلس رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی ظل جدار من جدر بیوتهم معه نفر من أصحابه فیهم أبو بکر و عمر و علی، ینتظرون أن یصلحوا أمرهم.

فخلا بعضهم ببعض و الشیطان معهم لا یفارقهم، فائتمروا بقتل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و قالوا: إنکم لن تجدوا الرجل علی مثل حاله هذه، فمن رجل یعلو علی هذا البیت فیقلی علیه صخرهٔ فیریحنا منه.

فانتدب لذلک عمرو بن جحاش بن کعب، أحدهم، فقال: أنا لذلک و صعد لیفعل.

فأتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام راجعا إلی المدینهٔ و ترک أصحابه فی مجلسهم، فلما استلبث النبیّ صلی اللّه علیه و سلم أصحابه قاموا فی طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدینهٔ فسألوه عنه فقال: لقیته داخلا المدینهٔ، فأقبلوا حتی انتهوا إلیه فأخبرهم بما کانت یهود أرادت من الغدر به.

و أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بالتهیؤ لحربهم و السیر إلیهم، ثم سار بالناس و نزل بهم، فتحصنوا منه فی الحصون.

و عرض علیهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الجلاء عن أوطانهم و أن یسیروا حیث شاءوا فراسلهم أولیاؤهم من المنافقین- عبد الله بن أبی فی رهط من قومه- حین سمعوا ما یراد منهم: أن اثبتوا و تمنعوا فإنا لن نسلمکم، إن قاتلتم قاتلنا معکم، و إن خرجتم خرجنا معکم.

فغرتهم أمانی المنافقین، و نادوا النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه: إنا و الله لا نخرج، و لئن قاتلتنا لنقاتلنک.

فمضی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لأمر الله فیهم، فلما انتهی إلی أزقتهم و حصونهم کره أن یمکنهم من القتال فی دورهم و حصونهم، فحفظ الله له أمره و عزم له علی رشده، فأمر بالأدنی فالأدنی من دورهم أن تهدم و بالنخیل أن تحرق و تقطع، و کف الله أیدیهم و أیدی المنافقین فلم ینصروهم، و ألقی الله فی قلوب الفریقین کلیهما الرعب، فهدموا الدور التی هم فیها من أدبارها، فلما کادوا یبلغون آخر دورهم و هم ینتظرون المنافقین

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۱۲

و یتربصون من نصرهم ما کانوا یمنونهم به حتی یئسوا مما عندهم، سألوا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الذی کان عرض علیهم قبل ذلک.

فقاضاهم- صلوات الله علیه و سلامه- علی أن یجلیهم و یکف عن دمائهم و علی أن لهم ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقهٔ فقط.

فطاروا بذلک کل مطیر و تحملوا بما أقلت إبلهم، حتی إن الرجل لیهدم بیته عن نجاف بابه فیضعه علی ظهر بعیره فینطلق به. فخرجوا إلی خیبر، و منهم من سار إلی الشام، و کان أشرافهم بنو أبی الحقیق و حیی بن أخطب فیمن سار إلی خیبر، فلما نزلوها دان لهم أهلها.

و خلی بنو النضیر الأموال لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فکانت له خاصهٔ بحکم الله له بها لیضعها حیث شاء، فقسمها علی المهاجرین الأولین دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنیف و أبا دجانهٔ سماک بن خرشهٔ ذکرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلی اللّه علیه و سلم منها.

و کانت الیهود قد عیروا المسلمین حین یهدمون الدور و یقطعون النخل فنادوا: أن محمد قد کنت تنهی عن الفساد و تعیبه علی من صنعه، فما بال قطع النخیل و تحریقها؟

و ما ذنب شجرة و أنتم تزعمون أنكم مصلحون فی الأرض؟!

فأنزل الله- سبحانه- فی قصتهم و ما ذكروه من قولهم و بیان وجه الحكم فی أموالهم سورة الحشر بأسرها. فقال عز من قائل:

سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَكِیمُ هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِیارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ یَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ یُخْرِبُونَ بُیُوتَهُمْ بِأَیْدِیهِمْ وَ أَیْدِی الْمُؤْمِنِینَ فَاعْتَبِرُوا یا أُولِی الْأَبْصارِ، للذی كان منهم من الهدم من أدبار بیوتهم و هدم المسلمین لما یلیهم منها.

وَ لَوْ لا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَیْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِی الدُّنْیا أی بالسیف وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ عَذابُ النَّارِ أی مع ما لقوه فی الدنیا من النقمة.

ثم قال- تعالی- فیما عابوه من قطع النخیل و عدوه من ذلك فسادا: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلی أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ أی فبأمر الله قطعت، لم یكن ذلك فسادا بل نقمة أنزلها بهم وَ لِیُخْزِیَ الْفاسِقِینَ.

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۱،ص:۴۱۳

ثم بین تعالی لرسوله الحكم فی أموالهم و أنها نفل له لا سهم لأحد فیها معه فقال عز ذكره و جل قوله: وَ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ وَ لا رِكابٍ وَ لكِنَّ اللَّهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلی مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ عَلی كُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ، فقسمها رسول الله صلی الله علیه و سلم فیمن أراه الله من المهاجرین الأولین كما تقدم، و أعطی منها الرجلین المسمیین من الأنصار.

و قال علی بن أبی طالب یذكر إجلاء بنی النضیر و ما تقدم قبل ذلك من قتل كعب ابن الأشرف، و یقال: بل قالها رجل من المسلمین غیر علیّ:

عرفت و من یعتدل یعرفو أیقنت حقا و لم أصدف «۱»

عن الكلم المحكم اللاء منلدی الله ذی الرأفة الأرأف

رسائل تدرس فی المؤمنینبهن اصطفی أحمد المصطفی

فأصبح أحمد فینا عزیزاعزیز المقامة و الموقف «۲»

فیا أیها الموعدوه سفاهاو لم یأت جورا و لم یعنف «۳»

أ لستم تخافون أدنی العذابو ما آمن الله كالأخوف

و أن تصرعوا تحت أسیافهكمصرع كعب أبی الأشرف

غداة رأی الله طغیانهو أعرض كالجمل الأحنف

فأنزل جبریل فی قتلهبوحی إلی عبده ملطف

فدس الرسول رسولا لهبأبیض ذی هبة مرهف

فباتت عیون له معولاتمتی ینع كعب لها تذرف «۴»

و قلن لأحمد ذرنا قلیلافإنا من النوح لم نشتف

فخلاهم ثم قال اظعنوادحورا علی رغم الآنف

و أجلی النضیر إلی غربةو كانوا بدار ذوی زخرف

إلی أذرعات ردافی و همعلی كل ذی دبر أعجف «۵»

---

(۱) لم أصدف: لم أعرض.

(۲) المقامة: موضع الإقامة.

(۳) السفاه: الضلال. لم یعتف: أی لم یأتی غیر العفة.

(۴) معولات: باكيات بصوت مرتفع. ينعى: يذكر خبر قتله. تذرف: تسيل بالدموع.

(۵) أذرعات: بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء ينسب إليها الخمر. انظر: معجم البلدان (۱/ ۱۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۱۴

و لم يسلم من بنى النضير إلا رجلان: يامين بن عمير بن كعب «۱»، ابن عم عمرو بن جحاش، و أبو سعد بن وهب «۲»، أسلما خوفا على أموالهما فأحرزاها، و حدث بعض آل يامين أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال ليامين: «أ لم تر ما لقيت من ابن عمك و ما هم به من شأنى؟» «۳» فجعل يامين لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله، فيما يزعمون.

غزوة ذات الرقاع «۴»

ثم أقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع و بعض جمادى، ثم غزا نجدا يريد بنى محارب و بنى ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلا.

و هى غزوة ذات الرقاع و سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم، و قيل: لأجل شجرة بذلك الموضع يقال لها: ذات الرقاع. و قيل: لما كانوا يعصبون على أرجلهم من الخرق إذ نقبت أقدامهم.

فلقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم هنالك جمعا من غطفان، فتقارب الناس و لم يكن بينهم حرب و خاف الناس بعضهم بعضا، حتى صلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يومئذ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بهم.

و فى هذه الغزوة عرض له رجل من محارب يقال له: غورث، و قد قال لقومه من غطفان و محارب: أ لا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: بلى، و كيف تقتله؟ قال: أفتك به. فأقبل إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو جالس و سيفه فى حجره فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟

قال: «نعم» «۵». فأخذه فاستله ثم جعل يهزه و يهم به فيكبته الله، ثم قال: يا محمد، أما

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۹۲۳۳).

(۲) انظر ترجمته فى: الإكمال (۱/ ۳۹۶۰)، الإصابة ترجمة رقم (۱۰۰۱۰)، أسد الغابة (۵۹۵۵).

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۷۶).

(۴) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (۱/ ۳۹۵)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۴۳)، تاريخ الطبرى (۲/ ۵۵)، الكامل (۲/ ۶۶)، دلائل النبوة (۳/ ۳۶۹)، البداية و النهاية (۴/ ۸۳).

(۵) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۹، ۱۰، ۱۳، ۷/ ۱۸۹، ۱/ ۵، ۱۶، ۶۳، ۱۵۳)، صحيح مسلم (۴۲، ۴۴، ۵۶، ۶۱، ۱۶۷، ۲۵۱، ۲۷۵)، سنن الترمذى (۶۶۹، ۷۲۶، ۱۲۰۴)، سنن ابن ماجه (۱۸۱، ۵۵۷، ۸۴۲، ۱۲۳۵، ۱۴۱۴، ۴۳۵، ۵۵۰، ۶۹۶، ۹۷۳، ۱۱۳۵، ۱۲۵۴، ۱۷۵۹، ۱۸۳۵، ۲۷۱۶، ۲۷۱۷، ۱۴۲۵، ۱۴۷۵، ۱۴۷۶-.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۱۵

تخافنى؟ قال: «لا و الله ما أخاف منك». قال: أ ما تخافنى و فى يدى السيف؟ قال: «بلى يمنعنى الله منك» «۱». ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فرده عليه.

فأنزل الله تبارك و تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة: ۱۱].

و قيل: إنها إنما نزلت فى عمرو بن جحاش و ما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم وصل إلى بنى النضير

مستعینا بهم فی دیة العامریین. فالله أعلم أی ذلک کان.

و حدث جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشرکین، فلما انصرف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قافلا أتی زوجها و کان غائبا، فلما أخبر الخبر حلف أن لا ینتهی حتی یهریق فی أصحاب محمد دما، فخرج یتبع أثر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فنزل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم منزلا، فقال: «من رجل یکلؤنا «۲» لیلتنا؟» «۳» قال: فانتدب رجل من المهاجرین، قیل: هو عمار بن یاسر، و رجل من الأنصار، قیل: هو عباد بن بشر، فلما خرج الرجلان إلی فم الشعب قال الأنصاری

- ۱۵۱۰، ۱۷۱۸، ۱۹۱۵، ۱۹۴۵، ۲۹۰۷، ۳۲۳۶، ۳۴۵۱)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۷، ۲۰۴۱، ۵/ ۱۰۰)، سنن الدارمی (۱/ ۱۲)، السنن الکبری للبیهقی (۱/ ۱۵۸، ۱۶۸، ۴۴۲، ۹/ ۴۳)، مستدرک الحاکم (۲/ ۲۱۴)، مصنف ابن أبی شیبة (۸/ ۴۳۱، ۴۸۰، ۹/ ۸۸، ۱۰/ ۵۲۱، ۵۶۴، ۱۱/ ۸، ۱۰، ۱۲/ ۴۱، ۴۲، ۴۵، ۱۴۱، ۱۴/ ۱۴۹، ۳۰۵، ۳۲۴، ۴۳۵، ۴۳۹، ۵۹۴)، المعجم الکبیر للطبرانی (۱/ ۱۷۲، ۲/ ۲۹، ۲۳۱، ۷/ ۲۱، ۱۱/ ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۷۰، ۳۳۱، ۱۲/ ۱۳۴، ۱۵۳، ۱۶۷، ۱۶۸، ۱۸۵، ۱۹۹، ۲۰۰، ۴۳۱، ۴۳۶، ۴۳۷)، کنز العمال للمتقی الهندی (۴۶۶۰/ ۱۲۸۸۴۶، ۱۲۸۵۵، ۳۵۳۴۶، ۳۵۴۴۶، ۳۵۴۸۸، ۳۵۴۹۳، ۳۵۸۶۶، ۳۷۵۲۷، ۳۷۵۶۶، ۳۷۶۶۹، ۴۵۸۹۱)، فتح الباری لابن حجر (۱/ ۸۷، ۱۱/ ۴۹۱)، زاد المسیر لابن الجوزی (۵/ ۶۹)، الترغیب و الترهیب للمنذری (۳/ ۵۹۵)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۳۴۰، ۳۵۴).

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۸۴).

(۲) یکلؤنا: أی یحفظنا.

(۳) انظر الحدیث فی: سنن أبی داود باب (۷۹)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۴۴)، السنن الکبری للبیهقی (۱/ ۱۴۰، ۹/ ۱۵۰)، مستدرک الحاکم (۱/ ۱۵۶)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۸۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۱۶

للمهاجری: أی اللیل تحب أن أکفیکه أوله أو آخره؟ قال: بل اکفنی أوله فاضطجع المهاجری فنام، و قام الأنصاری یصلی، و أتی الرجل فلما رأی شخصه عرف أنه ربیئة القوم، فرماه بسهم فوضعه فیه، قال: فانتزعه عنه و ثبت قائما، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فیه فنزعه فوضعه، و ثبت قائما، ثم عاد له بثالث، فوضعه فیه فنزعه ثم رکع و سجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت. قال: فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به فهرب، فلما رأی المهاجری ما بالأنصاری من الدماء، قال: سبحان الله، أ فلا أهببتنی أول ما رماک؟ قال: کنت فی سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتی أنفذها فلما تابع علی الرمی رکعت فآذنتک، و أیم الله لو لا أن أضیع ثغرا أمرنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بحفظه لقطع نفسی قبل أن أقطعها أو أنفذها!

و قال جابر بن عبد الله: خرجت إلی غزوة ذات الرقاع علی جمل لی ضعیف، فلما قفل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم جعلت الرفاق تمضی و جعلت أتخلف، حتی أدرکنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال: «ما لک یا جابر؟» قلت: یا رسول الله، أبطأ بی جملی، قال: «أنخه» «۱» فأنخته و أناخ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم قال: «أعطنی هذه العصا من یدک أو اقطع لی عصا من شجرة» «۲»، ففعلت، فأخذها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فنخسه بها نخسات ثم قال: «ارکب» «۳»، فرکبت فخرج- و الذی بعثه بالحق- یواهق ناقته مواهقة، و تحدثت معه فقال لی:

«أ تبیعنی جملک هذا یا جابر؟» «۴» قلت: یا رسول الله، بل أهبه لک. قال: «لا و لکن بعینه». قلت: فسمنیه. قال: «قد أخذته بدرهم».

قلت: لا إذن تغبننی یا رسول الله. الاکتفاء، الکلاعی ج ۱ ۴۱۶ غزوة ذات الرقاع ..... ص : ۴۱۴

ل: «فبدرهمین». قلت: لا. فلم یرفع لی حتی بلغ الأوقیة فقلت: أ قد رضیت؟ قال:

«نعم». قلت: فهو لک. قال: «قد أخذته» «۵».

ثم قال: «یا جابر، هل تزوجت بعد؟» «۶» قلت: نعم یا رسول الله، قال: «أ ثیبا أم بکرا؟» قلت: بل ثیبا. قال: «أ فلا جاریة تلاعبها و تلاعبک؟» قلت: یا رسول الله، إن

---

(۱) انظر الحدیث فی: دلائل النبوة للبیهقی (۳/ ۳۸۲).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۲/ ۵۱۷، ۳/ ۳۷۵)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۸۶).

(۳) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۷۶)، المعجم الکبیر للطبرانی (۱۷/ ۳۳۶).

(۴) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۱۶)، دلائل النبوة للبیهقی (۳/ ۳۸۲).

(۵) انظر الحدیث فی: سنن الترمذی (۹۱۶)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۷۶)، سنن الدارقطنی (۳/ ۴۵).

(۶) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۶/ ۳۷۶)، تهذیب تاریخ دمشق لابن عساکر (۳/ ۳۹۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۱۷

أبی أصیب یوم أحد و ترک بنات له سبعا فنکحت امرأة جامعة تجمع رءوسهن و تقوم علیهن. قال: «أصبت إن شاء الله، أما إنه لو قد جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت و أقمنا علیها یومنا ذلک و سمعت بنا فنفضت نمارقها» «۱». قلت: و الله یا رسول الله مالها من نمارق. قال: «إنها ستکون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا کیسا» «۲». قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بجزور فنحرت و أقمنا علیها ذلک الیوم، فلما أمسی دخل و دخلنا، فحدثت المرأة الحدیث و ما قال لی رسول الله صلی الله علیه و سلم، قالت: فدونک فسمع و طاعة.

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتی أنخته علی باب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم جلست فی المسجد قریبا منه، و خرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فرأی الجمل، فقال: «ما هذا؟» «۳» فقالوا: یا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر. قال: «فأین جابر؟» فدعیت له. فقال: «یا ابن أخی خذ برأس جملک فهو لک». و دعا بلالا و قال: «اذهب بجابر فأعطه أوقیة» «۴».

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۵/ ۱۲۳)، صحیح مسلم فی کتاب الفضائل (۸۴)، سنن النسائی (۱/ ۱۷۲)، السنن الکبری للبیهقی (۱/ ۲۵۴، ۶/ ۶۷)، مستدرک الحاکم (۳/ ۳۰۶)، سنن الدارقطنی (۴/ ۲۲۹)، المعجم الکبیر للطبرانی (۱/ ۸۷، ۲/ ۲۹۰)، موارد الظمآن للهیثمی (۹۹۹، ۱۳۳۴)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۰۸، ۳۷۶)، تهذیب تاریخ دمشق لابن عساکر (۶/ ۴۵۳)، کنز العمال للمتقی الهندی (۱۳۵۶۷، ۴۵۶۳۲)، الدر المنثور للسیوطی (۱/ ۲۴۰)، ۴/ ۱۱۰)، منحة المعبود للساعاتی (۱۰۴۹)، تفسیر الطبری (۱/ ۱۳، ۱۴)، تفسیر ابن کثیر (۸/ ۴۷۵)، مجمع الزوائد للهیثمی (۶/ ۶۴)، الطبقات الکبری لابن سعد (۳/ ۱/ ۸۸، ۴/ ۱/ ۱۶۳)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۲۹)، موطأ مالک (۳۶۶).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۷۶).

(۳) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم فی کتاب صلاة المسافرین (۲۹۱)، سنن الترمذی (۱۰۹۴)، سنن النسائی (۳/ ۷۲، ۴/ ۸۴، ۶/ ۱۶۴، ۲۸۰، ۷/ ۳۰، ۲۷۳)، مسند الإمام أحمد (۵/ ۴۳۸)، الطبقات الکبری لابن سعد (۱/ ۲/ ۱۵۷، ۴/ ۱/ ۱۶، ۲۴، ۵۸، ۵۹)، سنن الدارقطنی (۲/ ۵۵، ۸/ ۸۶، ۲۱۵)، مصنف ابن أبی شیبة (۱/ ۱۲۲، ۳۳۷، ۳/ ۲۲۵، ۶/ ۵۵۲، ۸/ ۷۶، ۸۰، ۳۷۹، ۱۱/ ۴۳۷، ۱۴/ ۲۸۰، ۳۲۳)، المعجم الکبیر للطبرانی (۱۱/ ۳۲۰، ۱۲/ ۵، ۹۴، ۹۵، ۱۷/ ۱۳، ۲۴۹، ۱۸/ ۱۷۲، ۱۸۹)، دلائل النبوة للبیهقی (۶/ ۹۹)، مجمع الزوائد للهیثمی (۵/ ۸۶، ۷/ ۲۶۰، ۸/ ۶۸، ۱۲۱، ۹/ ۳۵، ۸۵، ۸۶، ۹۶، ۳۳۶، ۳۳۸، ۱۰/ ۲۴۱، ۲۴۲، ۸۵۲)، السلسلة الصحیحة للألبانی (۳/ ۱۷۹، ۴۴۷)، سنن أبی داود (۴۰۶۸، ۵۲۳۶، ۴۷۴۸)، سنن ابن ماجه (۲۱۳۶، ۴۱۶۰).

(۴) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۴/ ۲۰۹۷)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۷۵، ۳۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۱۸

قال: فذهبت معه فأعطانى أوقية و زادنى شيئا يسيرا، فو الله ما زال ينمى عندى و يرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا! يعنى يوم الحرة.

قال ابن إسحاق «۱»: و لما قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى الآخرة و رجب.

ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان، حتى نزله فأقام عليه ثمانى ليال ينتظره.

و خرج أبو سفيان، فى أهل مكة، حتى نزل مجنة من ناحية، الظهران- و بعض الناس يقول غسفان- ثم بدا له فى الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر و تشربون فيه اللبن، فإن عامكم هذا عام جدب، و إنى راجع فارجعوا. فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

و أقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بدر ينتظر ابا سفيان لميعاده، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى، و هو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة و دان فقال: يا محمد، أ جئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: «نعم يا أخا بنى ضمرة، و إن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا و بينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا و بينك» «۲». قال: لا و الله يا محمد، مالنا بذلك منك من حاجة.

و مر برسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو هناك ينتظر أبا سفيان معبد بن أبى معبد الخزاعى فقال و ناقته تهوى به، و قد رأى مكان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

قد نفرت من رفقتى محمدو عجوة من يثرب كالعنجد «۳»

تهوى على دين أبيها الأتلدقد جعلت ماء قديد موعدى

و ماء ضجان لها ضحى الغد

و قال عبد الله بن رواحة فى ذلك، و يقال: إنها لكعب بن مالك:

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجدلميعاده صدقا و ما كان وافيا

فأقسم لو وافيتنا فلقيتنالأبت ذميما و افتقدت المواليا

---

(۱) انظر السيرة (۳/ ۱۷۸).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۸۸).

(۳) العنجد: حب الزبيب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۱۹ تركنا به أوصال عتبة و ابنهو عمرا أبا جهل تركناه ثاويا

عصيتم رسول الله أف لدينكمو أمركم السيئ الذى كان غاويا

فإنى و إن عنفتمونى لقائلفدا لرسول الله أهلى و ماليا

أطعناه لم نعدله فينا بغيرهشهابا لنا فى ظلمة الليل هاديا و قال حسان بن ثابت فى ذلك:

دعوا فلجات الشام قد حال دونهاجلاد كأفواه المخاض الأوارك

بأيدى رجال هاجروا نحو ربهمو أنصاره حقا و أيدى الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عالجفقولا لها ليس الطريق هنالك

أقمنا على الرس النزوع ثمانيابأرعن جرار عريض المبارك

بكل كميت جوزه نصف خلقهوقب طوال مشرفات الحوارك

ترى العرفج العامى تذرى أصولهمناسم أخفاف المطى الرواتك «۱»

فإن نلق فى تطوافنا و التماسنافرات بن حيان يكن رهن هالك

و إن تلق قيس بن امرئ القيس بعده‌يزد فى سواد لونه لون حالك

فأبلغ أبا سفيان عنى رسالةفإنك من غر الرجال الصعالك ثم انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة، و هى سنة أربع من مقدمه المدينة، ثم غزا دومة الجندل «۲»، ثم رجع قبل أن يصل إليها و لم يلق كيدا، صلى اللّه عليه و سلم.

غزوة الخندق «۳»

و كانت فى شوال من سنة خمس فى قول ابن إسحاق.

و كان من الحديث عن الخندق أنه لما أجلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنى النضير خرج نفر من اليهود- سلام بن أبى الحقيق و حيى بن أخطب و كنانة بن الربيع النضريون، و هوذة بن

---

(۱) مناسم: جمع منسم، و هو طرف خف البعير. و الرواتك: أى المسرعة.

(۲) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (۱/ ۴۰۲)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۴۴)، تاريخ الطبرى (۲/ ۵۶۴)، البداية و النهاية (۴/ ۹۲)، دلائل النبوة (۳/ ۳۸۹).

(۳) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (۲/ ۴۴۰)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۴۷)، تاريخ الطبرى (۲/ ۵۶۴)، الكامل (۲/ ۷۰)، البداية و النهاية (۴/ ۹۲)، دلائل النبوة (۱۳/ ۳۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۲۰

قيس و أبو عمارة الوائليان- فى نفر من بنى النضير و بنى وائل، و هم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، حين قدموا مكة على قريش فاستفزوهم و استنفروهم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دعوهم إلى حربه، و قالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.

فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول و العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد، أ فديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه و أنتم أولى بالحق منه، فهم الذين الله عز و جل فيهم: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً [النساء: ۵۱- ۵۲].

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم و نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاجتمعوا لذلك و اتعدوا له.

ثم خرج أولئك النفر حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى مثل ما دعوا إليه قريشا، و أخبروهم أنهم سيكونون معهم و أن قريشا قد تابعوهم على ذلك.

و جعلت يهود لغطفان تحريضا على الخروج نصف تمر خيبر كل عام.

فزعموا أن الحارث بن عوف أخا بنى مرة قال لعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر و لقومه من غطفان: يا قوم أطيعونى، دعوا قتال هذا الرجل و خلوا بينه و بين عدوة من العرب، فغلب عليهم الشيطان و قطع أعناقهم الطمع و نفذوا لأمر عيينة على قتال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد، فأقبل طليحة الأسدى، فيمن اتبعه من بنى أسد، و هما الحليفان أسد و غطفان.

و كتبت قريش إلى رجال من بنى سليم أشراف بينهم و بينهم أرحام استمدادا لهم، فأقبل أبو الأعور بمن اتبعه من سليم مددا لقريش.

فخرجت قريش و قائدها أبو سفيان بن حرب، و خرجت غطفان و قائدها عيينة بن حصن فى بنى فزارة و الحارث بن عوف فى بنى مرة

و مسعر بن رخيلة الأشجعى فيمن تابعه من قومه من أشجع، و تكامل لهم و لمن استمدوه فأمدهم جمع عظيم، هم الذين سماهم الله «الأحزاب».

فلما سمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بخروجهم و بما أجمعوا له من الأمر أخذ فى حفر الخندق و ضربه على المدينة، فعمل فيه صلى اللّه عليه و سلم ترغيبا للمسلمين فى العمل و الأجر و عمل معه المسلمون، فدأب فيه و دأبوا حتى أحكموه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۴۲۱

و أبطأ عنهم فى عملهم ذلك رجال من المنافقين و جعلوا يورون بالضعيف من العمل و يتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لا إذن، و جعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم و يستأذنه فى اللحوق بحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة فى الخبر و احتسابا له، فأنزل الله فى أولئك من المؤمنين: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور: ۶۲]. فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة و الرغبة فى الحرب و الطاعة لله و لرسوله.

ثم قال تبارك و تعالى، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل و يذهبون بغير إذن من النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ [النور: ۶۳].

و كانت فى حفر الخندق أحاديث فيها من الله عبرة فى تصديق رسوله و تحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون. فمنها: أنه اشتد عليهم فى بعض الخندق كدية فشكوها إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها: فو الذى بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأسا و لا مسحاة.

و دعت عمرة بنت رواحة أم النعمان بن بشير ابنة لها من بشير فأعطتها حفنة من تمر فى ثوبها ثم قالت: أى بنية، اذهبى إلى ابيك و خالك عبد الله بن رواحة بغدائهما.

قالت: فأخذتها فانطلقت فمررت برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أنا ألتمس أبى و خالى، فقال:

تعالى يا بنية، ما هذا معك؟ قالت: قلت: يا رسول الله، هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى، بشير بن سعد و خالى عبد الله بن رواحة يتغديانه. قال: هاتيه. قالت: فصببته فى كفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ فى أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء. فاجتمع اهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه و جعل يزيد حتى صدر أهل الخندق و إنه ليسقط من أطراف الثوب!

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۴۲۲

و قال جابر بن عبد الله: عملنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الخندق و كنا نعمل فيه نهارا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا، فكانت معى شويهة غير جد سمينة، فقلت: و الله لو صنعناها لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعير فصنعت لنا منه خبزا و ذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما أمسينا و أراد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الانصراف عن الخندق قلت: يا رسول الله، إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا و صنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير، فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى. و إنما أريد أن ينصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معى وحده.

فلما قلت له ذلك قال: «نعم». ثم أمر صارخا فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى بيت جابر بن عبد الله. قال: قلت: إنا لله و إنا إليه راجعون! فأقبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و الناس معه فجلس و أخرجناها إليه، فبرك و سمى الله ثم أكل و تواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا و جاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها.

و حدث سلمان الفارسی قال: ضربت فی ناحیة من الخندق فغلظت علی و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قریب منی، فلما رآنی أضرب و رأی شدة المکان علی نزل فأخذ المعول من یدی فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به ضربة أخری فلمعت تحته برقة أخری، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخری، قلت: بأبی أنت و أمی یا رسول الله! ما هذا الذی رأیت لمع تحت المعول و أنت تضرب؟ قال: «أوقد رأیت ذلک یا سلمان»: قلت: نعم.

قال: «أما الأولی فإن الله فتح علی بها الیمن، و أما الثانیة فإن الله فتح علی بها الشام و المغرب، و أما الثالثة فإن الله فتح بها علی المشرق» «۱». فکان أبو هریرة یقول حین فتحت الأمصار فی زمان عمر و زمان عثمان و ما بعده: افتتحوا ما بدا لکم، فو الذی نفس أبی هریرة بیده ما افتتحتم من مدینة و لا تفتتحونها إلی یوم القیامة إلا و قد أعطی الله محمدا صلی اللّه علیه و سلم مفاتیحها قبل ذلک.

و لما فرغ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الخندق أقبلت قریش حتی نزلت بمجتمع الأسیال من رومة بین الجرف و زغابة فی عشرة آلاف من أحابیشهم و من تبعهم من بنی کنانة و أهل تهامة، و أقبلت غطفان و من تبعهم من أهل نجد حتی نزلوا بذنب نقمی إلی جانب أحد.

و خرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و المسلمون حتی جعلوا ظهورهم إلی سلع- فی ثلاثة آلاف

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۹۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۲۳

من المسلمین- فضرب هنالک عسکره و الخندق بینه و بین القوم، و أمر بالذراری و النساء فجعلوا فی الآطام.

و خرج عدو الله حیی بن أخطب حتی أتی کعب بن أسد صاحب عقد بنی قریظة، و عهدهم، و کان قد وادع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علی قومه و عاقده علی ذلک و عاهده، فلما سمع کعب بحیی بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن علیه فأبی أن یفتح له، فناداه حیی: و یحک یا کعب افتح لی. فقال: و یحک یا حیی إنک امرؤ مشئوم، و إنی قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بینی و بینه، و لم أر منه إلا وفاء و صدقا، قال: و یحک افتح لی أکلمک. قال: ما أنا بفاعل. قال و الله: إن أغلقت دونی إلا علی جشیشتک أن آکل معک منها. فأحفظ الرجل ففتح له فقال: و یحک یا کعب! جئتک بعز الدهر و ببحر طام! جئتک بقریش علی قادتها و سادتها حتی أنزلتهم بمجتمع الأسیال من رومة، و بغطفان علی قادتها و سادتها حتی أنزلتهم بذنب نقمی إلی جنب أحد، قد عاهدونی و عاقدونی علی أن لا یبرحوا حتی نستأصل محمدا و من معه.

فقال له کعب: جئتنی و الله بذل الدهر، و بجهام قد هراق ماءه فهو یرعد و یبرق و لیس فیه شیء، ویحک یا حیی فدعنی و ما أنا علیه فإنی لم أر من محمد إلا صدقا و وفاء.

فلم یزل حیی بکعب یفتله فی الذروة و الغارب حتی سمح له، علی أن أعطاه عهدا من الله و میثاقا لئن رجعت قریش و غطفان و لم یصیبوا محمدا أن أدخل معک فی حصنک حتی یصیبنی ما أصابک.

فنقض کعب بن أسد عهده، و بریء مما کان بینه و بین رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

فلما انتهی الخبر إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و إلی المسلمین بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سعد بن معاذ، و هو- یومئذ- سید الأوس و سعد بن عبادة، و هو- یومئذ- سید الخزرج و معهما عبد الله بن رواحة و خوات بن جبیر فقال: «انطلقوا حتی تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم؟ فإن کان حقا فالحنوا إلی لحنا أعرفه و لا تفتوا فی أعضاد الناس، و إن کانوا علی الوفاء فیما بیننا و بینهم فأجهروا به الناس».

فخرجوا حتی أتوهم فوجدوهم علی أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و قالوا: من رسول الله؟! لا عهد بیننا و بین محمد و لا عقد؛ فشاتمهم سعد ابن معاذ و شاتموه، و کان رجلا فیه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنک مشاتمتهم فما

بیننا أربی من المشاتمة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۲۴

ثم أقبلا- و من معهما إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: فسلموا علیه، ثم قالوا: عضل و القارة. أی کغدر عضل و القارة بأصحاب الرجیع- خبیب و أصحابه- فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «الله أکبر، أبشروا یا معشر المسلمین» «۱».

و عظم عند ذلک البلاء و اشتد الخوف و أتاهم عدوهم من فوقهم و من أسفل منهم، حتی ظن المؤمنون کل ظن و نجم النفاق من بعض المنافقین، و حتی قال قائل منهم: کان محمد یعدنا أن نأکل کنوز کسری و قیصر، و أحدنا الیوم لا یأمن علی نفسه أن یذهب إلی الغائط!.

و أقام علیه المشرکون قریبا من شهر لم یکن بینهم حرب إلا الرمیاء. بالنبل و الحصار.

فلما اشتد علی الناس البلاء بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی عیینة بن حصن و إلی الحارث بن عوف، و هما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدینة علی أن یرجعا بمن معهما عنه و عن أصحابه، فجری بینه و بینهما المراوضة فی الصلح حتی کتبوا الکتاب و لم تقع الشهادة و لا عزیمة الصلح، ثم بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی سعد بن معاذ و سعد بن عبادة، فذکر لهما ذلک و استشارهما فیه، فقالا: یا رسول الله، أمرا تحبه فتصنعه؟ أم شیئا أمرک الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شیئا تصنعه لنا؟ قال: «بل شیء أصنعه لکم، و الله ما أصنع ذلک إلا انی رأیت العرب قد رمتکم عن قوس واحدة و کالبوکم من کل جانب فأردت أن أکسر عنکم من شوکتهم إلی أمر ما» «۲».

فقال له سعد بن معاذ: یا رسول الله، قد کنا نحن و هؤلاء القوم علی الشرک بالله و عبادة الأوثان، لا نعبد و لا نعرفه، و هم لا یطمعون أن یأکلوا منها تمرة إلا قری أو بیعا، فحین أکرمنا الله بالإسلام و هدانا له و أعزنا بک و به نعطیهم أموالنا؟! ما لنا بهذا من حاجة، و الله لا نعطیهم إلا السیف حتی یحکم الله بیننا و بینهم.

قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «فأنت و ذلک» «۳». فتناول سعد الصحیفة فمحا ما فیها من الکتب ثم قال: لیجهدوا علینا.

فأقام رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و المسلمون و عدوهم محاصروهم، و لم یکن بینهم قتال، إلا أن فوارس من قریش منهم عمرو بن عبد ود و عکرمة بن أبی جهل و هبیرة بن أبی وهب

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۱۰۴)، دلائل النبوة للبیهقی (۳/ ۴۳۰).

(۲) انظر الحدیث فی: المعجم الکبیر للطبرانی (۳/ ۵۷). البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۱۰۵).

(۳) انظر الحدیث فی: دلائل النبوة للبیهقی (۳/ ۴۳۰، ۴۳۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۲۵

و ضرار بن الخطاب تلبسوا للقتال ثم خرجوا علی خلیهم حتی مروا بمنازل بنی کنانة فقالوا: تهیئوا یا بنی کنانة للحرب فستعلمون من الفرسان الیوم. ثم أقبلوا تعنق بهم خیلهم حتی وقفوا علی الخندق، فلما رأوه قالوا: و الله إن هذه لمکیدة، ما کانت العرب تکیدها! ثم تیمموا مکانا من الخندق ضیقا فضربوا خیلهم فاقتحمت منه فجالت بهم فی السبخة بین الخندق و سلع، و خرج علی بن أبی طالب فی نفر من المسلمین حتی أخذوا علیهم الثغرة التی أقحموا منها خیلهم، و أقبلت الفرسان تعنق نحوهم، و کان عمرو بن عبد ود قد قاتل یوم بدر حتی أثبتته الجراحة فلم یشهد یوم أحد فلما کان یوم الخندق خرج معلما لیری مکانه، فلما وقف هو و خیله قال: من یبارز؟ فبرز علی بن أبی طالب فقال له: یا عمرو إنک کنت عاهدت الله لا یدعوک رجل من قریش إلی إحدی خلتین إلا أخذتها منه، فقال له: أجل؛ فقال له علی: فإنی أدعوک إلی الله و إلی رسوله و إلی الإسلام. قال: لا حاجة لی بذلک. قال: فإنی أدعوک إلی النزال. قال له:

و لم یا ابن أخی! فو الله ما أحب أن أقتلک. قال علی: لکنی و الله أحب أن أقتلک! فحمی عمرو عند ذلک فاقتحم عن فرسه فعقره و ضرب وجهه، ثم أقبل علی علی فتنازلا و تجاولا، فقتله علیّ.

و خرجت خیلهم منهزمة حتی اقتحمت من الخندق هاربة.

و ذکر ابن إسحاق فی غیر روایة البکائی أن عمرا لما نادی یطلب من یبارزه قام علی- رضی الله عنه- و هو مقنع فی الحدید فقال: أنا له یا نبی الله فقال له: «اجلس إنه عمرو» ثم ذکر عمرو النداء و جعل یؤنبهم و یقول: أین جنتکم التی تزعمون أنه من قتل منکم دخلها! أ فلا تبرزون إلی رجلا؟! فقام علی فقال: أنا له یا رسول الله. قال:

«اجلس إنه عمرو». ثم نادی الثالثة و قال:

و لقد بححت من النداأ بجمعکم هل من مبارز

و وقفت إذ جبن المشجعوقفة الرجل المناجز

و کذاک أنی لم أزلمتسرعا نحو الهزاهز

إن الشجاعة فی الفتیو الجود من خیر الغرائز فقال علیّ- رضی الله عنه- فقال: أنا له یا رسول الله. فقال: «إنه عمرو» فقال:

و إن کان عمرا. فأذن له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فمشی إلیه علیّ و هو یقول:

لا تعجلن فقد أتاک مجیب صوتک غیر عاجز

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۲۶ ذو نیة و بصیرةو الصدق منجی کل فائز

إنی لأرجو أن أقیم علیک نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء یبقی ذکرها عند الهزاهز فقال عمرو: من أنت؟ قال: أنا علی، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علی بن أبی طالب. فقال: غیرک یا ابن أخی من أعمامک من هو أسن منک، فإنی أکره أن أهریق دمک. فقال علی: لکنی و الله ما أکره أن أهریق دمک. فغضب و نزل فسل سیفه کأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علی مغضبا. و یقال: إنه کان علی فرسه فقال له علی: کیف أقاتلک و أنت علی فرسک؟ و لکن تنزل معی. فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علیّ بدرقته فضربه عمرو فیها فقدّها و أثبت فیها السیف و أصاب رأسه فشجه، و ضربه علیّ علی حبل العاتق فسقط و ثار العجاج، و سمع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم التکبیر فعرف أن علیا قد قتله، فثم یقول علی رضی الله عنه:

أعلی تقتحم الفوارس هکذاعنی و عنه أخبروا أصحابی

فالیوم یمنعنی الفرار حفیظتیو مصمم فی الرأس لیس بنابی

أدی عمیر حین أخلص صقلهصافی الحدیدة یستفیض ثوابی

فغدوت ألتمس القراع بمرهفعضب مع النتراء فی إقراب

قال ابن عبد حین شد ألیةو حلفت فاستمعوا من الکذاب

أن لا یفر و لا یهلل فالتقیأسدان یضطربان کل ضراب

نصر الحجارة من سفاهة رأیهو نصرت دین محمد بصواب

فصددت حین ترکته متجدلاکالجذع بین دکادک و روابی

و عففت عن أثوابه و لو أننی کنت المجدل بزنی أثوابی

لا تحسبن الله خاذل دینهو نبیه یا معشر الأحزاب و کان شعار أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یوم الخندق و بنی قریظة: «حم لا ینصرون».

و کانت عائشة- رضی الله عنها- یوم الخندق فی حصن بنی حارثة، و کان من أحرز حصون المدینة، و کانت أم سعد بن معاذ معها

فى الحصن، قالت عائشة: و ذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فمر سعد و عليه درع له مقصلة و قد خرجت منها ذراعه كلها و فى يده حربته يرقد بها- أى يسرع بها- فى نشاط، و هو يقول:

لبث قليلا- يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل فقالت أمه: الحق أى بنى فقد و الله أخرت. قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۴۲۷

و الله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى. قالت: و خفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمى سعد بسهم فقطع منه الأكحل، رماه حبان بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر لؤىّ، فلما أصابه قال: خذها و أنا ابن العرقة. فقال له سعد: عرق الله وجهك فى النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك و كذبوه و أخرجوه، اللهم و إن كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم فاجعلها لى شهادة و لا تمتنى حتى تقرعينى من بنى قريظة.

و كان عبد الله بن كعب بن مالك يقول: ما أصاب سعدا- يومئذ- إلا أبو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم، و قال فى ذلك شعرا يخاطب به عكرمة بن أبى جهل:

أ عكرم هلا لمتنى إذ تقول لى‌فداك بآطام المدينة خالد

أ لست الذى ألزمت سعدا مرشةلها بين أثناء المرافق عاند

قضى نحبه منها سعيد فأعولت‌عليه مع الشمط و العذارى النواهد «۱» فى أبيات ذكرها ابن إسحاق.

و يقال: إن الذى رمى سعدا خفافة بن عاصم بن حبان. فالله أعلم أى ذلك كان.

و كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع، أطم حسان بن ثابت، قالت: و حسان معنا فيه مع النساء و الصبيان. قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن و قد حاربت بنو قريظة و قطعت ما بينها و بين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنا، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و المسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت، قالت: قلت يا حسان، إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن، و إنى و الله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، و قد شغل عنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه، فانزل إليه فقتله. قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب! و الله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا. فلما قال لى ذلك و لم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت لحسان: انزل فاسلبه فإنى لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل. قال: ما لى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب.

و أقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و اصحابه فيما وصف الله من الخوف و الشدة لتظاهر عدوهم عليهم و إتيانهم من فوقهم و من أسفل منهم.

---

(۱) النحب: الأصل. و الشمط: جمع شمطاء، و هى المرأة التى خالط شعرها الشيب. و النواهد: جمع ناهد، أى التى ظهر نهدها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۴۲۸

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعى أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله، إنى قد أسلمت و إن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة» «۱».

فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة، و كان لهم نديما فى الجاهلية فقال: يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم و خاصة ما بينى و بينكم. قالوا: صدقت فلست عندنا بمتهم. فقال لهم: إن قريشا و غطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم به أموالكم و ابناؤكم و نساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، و إن قريشا و غطفان قد جاءوا لحرب محمد و أصحابه و قد ظاهرتموهم عليه، و بلدهم و أموالهم و

نساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، و إن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم و خلوا بينكم و بين الرجل ببلدكم، فلا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم تأخذوا حتى منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه.

قالوا: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان و من معه من رجالهم، قد عرفتم ودى لكم و فراقى محمدا، و إنه قد بلغنى أمر رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا عنى قالوا: نفعل. قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد، و قد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش و غطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: نعم. فإن بعث إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى و عشيرتى و أحب الناس إلىّ، و لا أراكم تتهموننى. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم؛ قال: فاكتموا عنى. قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش و حذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت، و كان ذلك من صنع الله لرسوله صلى اللّه عليه و سلم أرسل أبو سفيان بن حرب و رءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف و الحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۴۴۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۱۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۲۹

و نفرغ مما بيننا و بينه؛ فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، و هو يوم لا نعمل فيه شيئا، و قد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم، و لسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب، و اشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم و تتركونا و الرجل فى بلادنا و لا طاقة لنا بذلك.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان: و الله، إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا و الله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها و إن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم و خلوا بينكم و بين الرجل فى بلدكم. فأرسلوا إلى قريش و غطفان: إنا و الله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا. فأبوا عليهم.

و خذل الله بينهم، و بعث عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم و تطرح آنيتهم.

فلما انتهى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما اختلف من أمرهم و ما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلا لينظر ما فعل القوم، فحدث حذيفة- رحمه الله- و قد قال له رجل من أهل الكوفة: يا أبا عبد الله، أ رأيتم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و صحبتموه؟ قال نعم يا ابن أخى. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: و الله لقد كنا نجهد. قال الرجل: و الله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض و لحملناه على أعناقنا. فقال حذيفة: يا بن أخى، و الله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالخندق و صلى هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال:

«من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع- يشرط له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الرجعة- أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة؟» «۱» فما قام رجل من القوم من شدة الخوف و شدة الجوع و شدة البرد، فلما لم يقم أحد دعانى فلم يكن لى بد من القيام حين

دعانی فقال:

«یا حذیفة، اذهب فادخل فی القوم فانظر ما یفعلون و لا تحدثن شیئا حتی تأتینا» «۲».

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۲/ ۳۹۲)، تفسیر الطبری (۲۱/ ۸۰)، تفسیر ابن کثیر (۶/ ۳۸۶)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۱۱۳).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۵/ ۳۹۲)، تفسیر ابن کثیر (۶/ ۳۸۶)، تفسیر الطبری (۲۱/ ۸۰)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۱۱۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۳۰

فذهبت فدخلت فی القوم و الریح و جنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا و لا نارا و لا بناء، فقام أبو سفیان فقال: یا معشر قریش، لینظر امرؤ من جلیسه. قال حذیفة: فأخذت بید الرجل الذی إلی جنبی فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان.

و ذکر ابن عقبة أنه فعل ذلک بمن یلی جانبیه یمینا و یسارا، قال: و بدرهم بالمسألة خشیة أن یظنوا له.

قال حذیفة: ثم قال أبو سفیان: یا معشر قریش، إنکم و الله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلک الکراع و الخف و أخلفتنا بنو قریظة و بلغنا عنهم الذی نکره، و لقینا من شدة الریح ما ترون ما تطمئن لنا قدر و لا تقوم لنا نار و لا یستمسک لنا بناء، فارتحلوا فإنی مرتحل. ثم قام إلی جمله و هو معقول فجلس علیه ثم ضربه فوثب به علی ثلاث فما أطلق عقاله إلا و هو قائم. و لو لا عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی: «أن لا تحدث شیئا حتی تأتینی» ثم شئت لقتلته بسهم.

فرجعت إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو قائم یصلی فی مرط «۱» لبعض نسائه، فلما رآنی أدخلنی إلی رجلیه و طرح علی طرف المرط ثم رکع و سجد و إنی لفیه، فلما سلم أخبرته الخبر.

و سمعت غطفان بما فعلت قریش فانشمروا راجعین إلی بلادهم.

و لما أصبح رسول الله صلی اللّه علیه و سلم انصرف عن الخندق راجعا إلی المدینة و المسلمون معه و قد عضهم الحصار، فرجعوا مجهودین فوضعوا السلاح.

فلما کانت الظهر أتی جبریل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم معتجرا بعمامة من إستبرق علی بغلة علیها رحالة علیها قطیفة من دیباج.

و یقولون فیما ذکر ابن عقبة: أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کان فی المغتسل عند ما جاءه جبریل و هو یرجل رأسه قد رجّل أحد شقیه. فجاءه جبریل علی فرس علیه اللأمة حتی وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز، و إن علی وجه جبریل لأثر الغبار، فخرج إلیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال له جبریل: غفر الله لک! أ قد وضعتم السلاح؟ قال: «نعم». قال جبریل: ما وضعت الملائکة السلاح بعد و ما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله یأمرک یا محمد بالمسیر إلی بنی قریظة فإنی عامد إلیهم فمزلزل بهم.

---

(۱) المرط: أی الکساء.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۳۱

فأمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مؤذنا فأذن فی الناس: من کان سامعا مطیعا فلا یصلین العصر إلا فی بنی قریظة.

و قدم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علی بن أبی طالب برایته إلی بنی قریظة و ابتدرها الناس، فسار علیّ- رضی الله عنه- حتی إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبیحة لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فرجع حتی لقی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بالطریق فقال: یا رسول الله، لا علیک أن لا تدنو من هؤلاء الأخابیث. قال: «لم؟ أظنک سمعت منهم لی أذی» قال: نعم. قال: «لو رأونی لم یقولوا من ذلک شیئا «۱»». فلما دنا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من حصونهم قال: «یا إخوان القردة، هل أخزاکم الله و أنزل بکم نقمته؟» «۲»

قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولا.

و مر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنفر من أصحابه فى طريقة قبل أن يصل إلى بنى قريظة، فقال: «هل مرّ بكم أحد؟» قالوا: يا رسول الله، مر بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ذلك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم و يقذف الرعب فى قلوبهم» «۳».

و تلاحق الناس برسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا يصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة» «۴» فصلوا العصر بها من بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك فى كتابه و لا عنفهم به رسوله.

و ذكر ابن عقبة أن الناس لما حانت العصر و هم فى الطريق ذكروا الصلاة فقال بعضهم: أ لم تعلموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أمركم أن تصلوا العصر فى بنى قريظة. و قال آخرون: هى الصلاة. فصلى منهم طائفة و أخرت الصلاة طائفة حتى صلوها فى بنى قريظة بعد أن غابت الشمس، فذكروا لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم من عجل الصلاة و من أخرها، فذكر أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لم يعنف واحدة من الطائفتين.

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۲۱/ ۹۵، ۹۶).

(۲) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۲۱/ ۹۶).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۸/ ۱۱۷)، إرواء الغليل للألبانى (۳/ ۴۰۳).

(۴) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۲/ ۱۹، ۵/ ۱۴۳)، صحيح مسلم فى كتاب الجهاد باب (۲۳)، رقم (۶۹)، شرح السنة للبغوى (۱۴/ ۱۱)، تغليق التعليق لابن حجر العسقلانى (۳۷۷)، فتح البارى لابن حجر (۲/ ۴۳۶، ۷/ ۴۰۸، ۴۰۹، ۱۳/ ۲۴۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۱۰، ۱۱۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۳۲

و حاصر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنى قريظة خمسا و عشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، و قذف الله فى قلوبهم الرعب.

و كان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش و غطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال لهم كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، و إنى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم. فقالوا: و ما هى؟

قال: نتابع هذا الرجل و نصدقه فو الله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل و أنه للذى تجدونه فى كتابكم، فتأمنون على دمائكم و أموالكم و أبنائكم و نسائكم. و قالوا: لا ـ نفارق حكم التوراة أبدا و لا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا و نساءنا ثم نخرج إلى محمد و اصحابه رجالا ـ مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد، فإن نهلك نهلك و لم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه و إن نظهر فلعمرى لنجدن النساء و الأبناء. قالوا: أ نقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم! قال: فإذا أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت و إنه عسى أن يكون محمد و أصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد و أصحابه غرة. قالوا: أ نفسد سبتنا و نحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازما ليلة واحدة من الدهر!

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، أخا بنى عمرو ابن عوف، و كانوا حلفاء الأوس، نستشيره فى أمرنا، فأرسله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال و جهش إليه النساء و الصبيان يبكون فى وجهه، فرق لهم و قالوا له: يا أبا لبابة، أ ترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. و أشار بيده إلى حلقة: إنه الذبح.

قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله و رسوله. ثم أنطلق أبو لبابة على وجهه و لم يأت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده. و قال: لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت، و عاهد الله: أن لا أطأ بنى قريظة أبدا و لا أرى فى بلد خنت الله و رسوله فيه أبدا.

فلما بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خبره و كان قد استبطأه قال: «أما إنه لو كان جاءنى لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۳۳

عليه» «۱». فنزلت توبته على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو فى بيت أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم من السحر و هو يضحك؛ قلت: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال:

«تيب على أبى لبابة» «۲». قالت: قلت: أ فلا أبشره يا رسول الله. قال: «بلى إن شئت» «۳». قال: فقامت على باب حجرتها، و ذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال لا و الله حتى يكون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم هو الذى يطلقنى بيده. فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.

و ذكر ابن هشام «۴» أن أبا لبابة أقام مرتبطا بالجذع ست ليال تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع.

و الآية التى نزلت فى توبته: وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التوبة: ۱۰۲]، و أنزل الله فى أبى لبابة، فيما روى عن عبد الله بن قتادة:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال: ۲۷].

ثم إن ثعلبة بن سعية و أسيد بن سعية و أسد بن عمير و هم نفر من بنى هدل ليسوا من بنى قريظة و لا بنى النضير، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأحرزوا دماءهم و أموالهم، و كان إسلامهم فيما زعموا عما كان ألقاه إليهم من أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ابن الهيبان القادم عليهم قبل الإسلام متوكفا لخروج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و محققا لنبوته، فنفع الله هؤلاء الثلاثة بذلك و استنقذهم به من النار.

و قد تقدم ذكر خبره فيما مضى من هذا الكتاب.

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۲۱/ ۹۷).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۱۷).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۱۴۱۲، ۲۱۵۱)، السلسلة الصحيحة للألبانى (۳۱۳)، صحيح البخارى (۴/ ۲۶، ۱۲۵)، المعجم الكبير للطبرانى (۶/ ۱۰۹، ۸/ ۲۷۵)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۳۱۲، ۵/ ۶۷)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۷۹۰۵، ۲۹۹۹۳، ۳۰۱۵۴، ۳۷۱۵۵)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۸)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۱/ ۲۰).

(۴) انظر السيرة (۳/ ۲۰۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۳۴

و خرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى. فمر بحرس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و عليه محمد بن مسلمة، فلما رآه قال: «من هذا؟» قال: أنا عمرو بن سعدى. و كان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قال: لا أغدر بمحمد أبدا.

فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام! ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا. فذكر شأنه لرسول الله صلى اللّه

عليه و سلم فقال: «ذلك رجل نجاه الله برفائه» «۱». و بعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأصبحت رمته ملقاة و لا يدرى أين ذهب. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيه تلك المقالة. فالله أعلم أى ذلك كان.

و لما نزل بنو قريظة على حكم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، و قد فعلت فى موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت- يريدون بنى قينقاع- و ما كان من حصار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لهم و نزولهم على حكمه، و كيف سأله إياهم عبد الله بن أبىّ بن سلول فوهبهم له. فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أ لا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم» قالوا: بلى. قال: «فذاك إلى سعد بن معاذ» «۲».

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها:

رفيدة فى مسجده، كانت تداوى الجرحى و تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد قال لقومه حين أصابه السهم فى الخندق:

«اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب» «۳». فلما حكمه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم، و كان رجلا جسيما، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن فى مواليك، فإن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم. فلما أكثروا قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم!

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التى سمع منه.

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۲۱).

(۲) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۲۱/ ۹۷).

(۳) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۲۱/ ۹۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۳۵

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و المسلمين قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قوموا إلى سيدكم» «۱» فاما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد الأنصار. و أما الأنصار فيقولون: قد عم بها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المسلمين. فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم. فقال سعد بن معاذ: عليكم عهد الله و ميثاقه: أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم. قال: و على من هاهنا- فى الناحية التى فيها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم- و هو معرض عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إجلالا له. فقال: رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «نعم». قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال و تقسم الأموال و تسبى و النساء. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» «۲».

ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى المدينة فى دار امرأة من بنى النجار، ثم خرج صلى اللّه عليه و سلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، يخرج بهم إليها أرسالا. و فيهم عدو الله حيى بن أخطب و كعب بن أسد رأس القوم، و هم ستمائة أو سبعمائة، و المكثر يقول: كانوا بين الثمان المائة و التسع المائة.

و قالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أرسالا: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أ فى كل موطن لا تعقلون! أ لا ترون أن الداعى لا ينزع و أن من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو و الله القتل.

فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أتى بعدو الله حيى بن أخطب و عليه حلة فقاحية قد شقها عليه من كل ناحيه قدر أنملة لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: أما و الله ما لمت نفسى فى عداوتك و لكن من يخذل الله يخذل! ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب و قدر و ملحمة كتبت على بنى إسرائيل! ثم جلس فضربت عنقه. فقال فى ذلك

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۸۱، ۵/ ۴۴، ۶/ ۷۲، ۱۳۴)، صحيح مسلم فى كتاب الجهاد باب (۲۲) رقم (۶۴)، سنن أبى داود (۵۲۱۵، ۵۲۱۶)، سنن الترمذى (۸۵۶)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۲۲، ۷۱)، السنن الكبرى للبيهقى (۶/ ۵۸، ۹/ ۶۳، ۹۷)، المعجم الكبير للطبرانى (۶/ ۶)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۳۸)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۴/ ۴۲۵)، دلائل النبوة (۴/ ۱۸)، كنز العمال للمتقى الهندى (۲۵۴۸۳)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۴۶۹۵، ۳۹۶۳۵)، فتح البارى لابن حجر (۱/ ۳۲۰، ۵/ ۵۱، ۱۷۷، ۷۸، ۷/ ۴۱۱، ۱۱/ ۴۹)، زاد المسير لابن الجوزى (۸/ ۱۹۳)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۳/ ۲/ ۴، ۵)، شرح السنة للبغوى (۱۱/ ۹۲)، السلسلة الضعيفة للألبانى (۳۴۶).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۰۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۳۶

جبل ابن جوال الثعلبى:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسهو لكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرهاو قلقل يبغى العز كل مقلقل «۱» بل ابتغى عدو الله ذل الأبد فوجده، و جاهد الله فجهده، فأصبح برأيه القائل و سعيه الخاسر من الذين لهم خزى فى الدينا و لهم فى الآخرة عذاب النار.

و قتل من نساء بنى قريظة امرأة واحدة لم يقتل من نسائهم غيرها، قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: و الله إنها لعندى تحدث معى و تضحك ظهرا و بطنا، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقتل رجالها فى السوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة قالت: أنا و الله، قلت لها: ويلك مالك؟ قالت: أقتل. قلت: و لم؟ قالت: لحدث أحدثته. فانطلق بها فضربت عنقها. فكانت عائشة تقول: و الله لا أنسى عجبا منها، طيب نفسها و كثرة ضحكها و قد علمت أنها تقتل.

قال ابن هشام «۲»: هى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته.

و كان الزبير بن باطا القرظى قد من على ثابت قيس بن شماس فى الجاهلية، أخذه يوم بعاث فجز ناصيته ثم خلى سبيله. فجاءه ثابت لما قتل بنو قريظة و هو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفنى؟ قال: و هل يجهل مثلى مثلك. قال: فإنى أردت أن أجزيك بيدك عندى. قال: إن الكريم يجزى الكريم. ثم أتى ثابت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال:

يا رسول الله، إنه كان للزبير على منة و قد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «هو لك» «۳». فأتاه فقال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد وهب لى دمك فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له و لا ولد فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: بأبى أنت و أمى يا رسول الله امرأته و ولده. قال: «هم لك». فأتاه فقال: قد وهب لى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أهلك و ولدك فهم لك. قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله ماله. قال: هو لك.

فأتاه ثابت فقال: قد أعطانى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مالك فهو لك، فقال: أى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى، كعب بن أسد؟ قال: قتل. قال:

---

(۱) مقلقل: تحرک.

(۲) انظر السیرة (۳/ ۲۱۱).

(۳) انظر الحدیث فی: سنن النسائی فی کتاب البیوع باب (۷۷)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۰۳)، تغلیق التعلیق لابن حجر العسقلانی (۷۳۶)، مجمع الزوائد للهیثمی (۶/ ۱۴۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۳۷

فما فعل سید الحاضر و البادی حیی بن أخطب؟ قال: قتل. قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا و حامیتنا إذا فررنا عزال بن شموال. قال: قتل. قال: فما فعل المجلسان؟، یعنی بنی کعب بن قریظة و بنی عمرو بن قریظة. قال: ذهبوا فقتلوا. قال: فإنی أسألک یا ثابت بیدی عندک إلا ألحقتنی بالقوم، فو الله ما فی العیش بعد هؤلاء من خیر، فما أنا بصابر لله فیلة دلو ناضح حتی ألقی الأحبة. فقدمه ثابت فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بکر الصدیق- رضی الله عنه- قوله: «ألقی الأحبة» قال: یلقاهم و الله فی نار جهنم خالدا مخلدا فیها أبدا.

و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد أمر بقتل کل من أنبت منهم. قال عطیة القرظی: و کنت غلاما فوجدونی لم أنبت فخلوا سبیلی.

و کان رفاعة بن شموال القرظی رجلا قد بلغ فلاذ بسلمی بنت قیس أم المنذر، أخت سلیط بن قیس، و کانت إحدی خالات رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد صلت القبلتین معه و بایعته بیعة النساء، فقالت: یا نبی الله، بأبی أنت و أمی هب لی رفاعة، فإنه زعم أنه سیصلی و یأکل لحم الجمل. فوهبه لها فاستحیته.

ثم إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قسم أموال بنی قریظة و نساءهم و أبناءهم علی المسلمین، و أعلم فی ذلک الیوم سهمان الخیل و سهمان الرجال و أخرج منها الخمس، فکان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان و لفارسه سهم، و للراجل من لیس له فرس سهم. و کانت الخیل یوم بنی قریظة ستة و ثلاثین فرسا، و کان أول فیء وقعت فیه السهمان و أخرج منه الخمس، فعلی سنتها و ما مضی من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیها وقعت المقاسم و مضت السنة فی المغازی.

ثم بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سعد بن زید الأنصاری الأشهلی بسبایا من سبایا بنی قریظة إلی نجد فابتاع له بهم خیلا و سلاحا.

و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد اصطفی لنفسه من نسائهم ریحانة بنت عمرو بن خنافة من بنی عمرو بن قریظة، فکانت عنده حتی توفی عنها و هی فی ملکه، و کان عرض علیها أن یتزوجها و یضرب علیها الحجاب فقالت یا رسول الله، بل تترکنی فی ملکک فهو أخف علی و علیک فترکها. و کانت حین سباها قد تعصت بالإسلام و ابت إلا الیهودیة، فعزلها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و وجد فی نفسه لذلک من أمرها، فبینا هو مع أصحابه إذ سمع

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۳۸

وقع نعلین خلفه فقال: «إن هذا لثعلبة بن سعیة یبشرنی بإسلام ریحانة» «۱». فجاءه فقال:

یا رسول الله، قد أسلمت ریحانة. فسره ذلک من أمرها.

و أنزل الله- عز و جل- فی أمر الخندق و بنی قریظة القصة فی سورة الأحزاب یذکر فیها ما نزل بهم من البلاء، و یذکر نعمته علیهم و کفایته إیاهم حتی فرج عنهم ذلک:

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جاءَتْکُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِیحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ کانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیراً إِذْ جاؤُکُمْ مِنْ فَوْقِکُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْکُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنالِکَ ابْتُلِیَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِیداً وَ إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً [الأحزاب: ۹- ۱۲] فی آیات استوفی فیها

تعالى ذكر ما شاء من قصتهم.

ثم قال سبحانه: وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً [الأحزاب:

۲۴- ۲۷].

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات شهيدا، يرحمه الله.

فذكروا أن جبريل أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين قبض سعد من خوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال: يا محمد، من هـذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء و اهتز له العرش؟! فقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سريعا يجر ثوبه إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات.

و قد كان سعد رجلا بادنا، فلما حمله الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المنافقين: و الله إن كان لبادنا، و ما حملنا من جنازة أخف منه. فبلغ ذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «إن له حملة غيركم، و الذى نفس محمد بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد و اهتز له العرش» «۲».

---

(۱) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۸/ ۱۳۱)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۲۴).

(۲) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۵/ ۳۸۴۹)، مستدرك الحاكم (۳/ ۲۰۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۳۹

و قالت عائشة- رضى الله عنها- لأسيد بن حضير، و هو قافل معها من مكة و بلغه موت امرأة فحزن عليها بعض الحزن: يغفر الله لك أبا يحيى، أ تحزن على امرأة و قد أصبت بابن عمك و قد اهتز له العرش؟ تعنى سعدا.

و قال جابر بن عبد الله: لما دفن سعد و نحن مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سبح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فسبح الناس معه و كبر فكبر الناس معه فقالوا: يا رسول الله، مم سبحت؟ قال: «لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرجه الله عنه» «۱».

و يروى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «إن للقبر لضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد ابن معاذ» «۲».

و لسعد يقول رجل من الأنصار:

و ما اهتز عرش الله من موت هالكسمعنا به إلا لسعد أبى عمرو و قالت أم سعد حين احتمل نعشه و هى تبكيه:

ويل أم سعد سعداصرامة وحدا

و سؤددا و مجداو فارسا معدا

سد به مسدا

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ» «۳».

و قال حسان بن ثابت يبكى سعدا:

لقد سجمت من فيض عينى عبرؤو حق لعينى أن تفيض على سعد

قتيل ثوى فى معرك فجعت بهعيون ذوارى الدمع دائمة الوجد «۴»

على ملة الرحمن وارث جنةمع الشهداء وفدها أكرم الوفد

فإن تك قد ودعتنا و تركتناو أمسيت فى غبراء مظلمة اللحد

فأنت الذى يا سعد أبت بمشهدكريم و أثواب المكارم و الحمد

بحكمك فى حيى قريظة بالذىقضى الله فيهم ما قضيت على عمد

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۶۰)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۱۳۵)، إرواء الغليل للألبانى (۳/ ۱۶۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۲۸).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۲۸).

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۳۰).

(۴) ثوى: أى أقام. و المعرك: موضع القتال. و ذوارى الدمع: أى تسكبه. و الوجد: أى الحزن.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۴۰ فوافق حكم الله حكمك فيهمو لم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد

فإن كان ريب الدهر أمضاك فى الألىشروا هذه الدنيا بجناتها الخلد

فنعم مصير الصادقين إذا دعواإلى الله يوما للوجاهة و القصد و قال حسان يبكى سعدا و رجالا من الشهداء من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

ألا يا لقومى هل لما حم دافعو هل ما مضى من صالح العيش راجع

تذكر عصرا قد مضى فتهافتتبنات الحشا و انهل منى المدامع

صبابة وجد ذكرتنى أخوةو قتلى مضى فيها طفيل و رافع

و سعد فأضحوا فى الجنان و أوحشتمنازلهم فالأرض منهم بلاقع

وفوا يوم بدر للرسول و فوقهمظلال المنايا و السيوف اللوامع

دعا فأجابوه بحق و كلهممطيع له فى كل أمر و سامع

فما نكلوا حتى تولوا جماعةو لا يقطع له فى كل أمر و سامع

فما نكلوا حتى تولوا جماعةو لا يقطع الآجال إلا المصارع

لأنهم يرجون منه شفاعةإذا لم يكن إلا النبيون شافع

فذلك يا خير العباد ملاذناإجابتنا لله و الموت نافع

لنا القدم الأولى إليك و خلفنالأولنا فى ملة الله تابع

و نعلم أن الملك لله وحدهو أن قضاء الله لا بد واقع و لم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر كلهم من الأنصار: سعد بن معاذ، و أنس بن أوس بن عتيك، و عبد الله بن سهل الأشهليون، و الطفيل بن النعمان، و ثعلبة بن غنمة الجشميان. و من بنى دينار بن النجار كعب بن زيد، أصابه سهم غرب فقتله، رحمة الله عليهم.

و استشهد يوم بنى قريظة من المسلمين خلاد بن سويد من بنى الحارث بن الخزرج، طرحت عليه رحى فشدخته شدخا شديدا، فزعموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «إن له لأجر شهيدين».

و مات أبو سنان بن محصن أخو عكاشة بن محصن، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم محاصر بنى قريظة.

و لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: محاصر بنى قريظة.

و لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، و لكنكم تغزونهم» (۱).

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۴۵۸)، تفسير ابن كثير (۶/ ۳۹۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۴۱

فکان کذلک لم تغزوهم قریش بعد ذلک و کان هو صلی اللّه علیه و سلم یغزوهم حتی فتح الله علیه مکة.

و قال حسان بن ثابت فی یوم الخندق یجیب عبد الله بن الزبعری شاعر قریش عن کلمة قالها فی ذلک:

هل رسم دارسة المقام بباب‌متکلم لمحاور بجواب

قفر عفا رهم السحاب رسومه‌و هبوب کل مظلة مرباب

و لقد رأیت بها الحلول یزینهم‌بیض الوجوه ثواقب الأحساب «۱»

فدع الدیار و ذکر کل خریدة‌بیضاء آنسة الحدیث کعاب «۲»

و اشک الهموم إلی الإله و ما تری‌من معشر ظلموا الرسول غضاب

ساروا بأجمعهم إلیه و ألبوا‌أهل القری و بوادی الأعراب

جیش عیینة و ابن حرب فیهم‌متخمطین بحلیة الأحزاب

حتی إذا وردوا المدینة و ارتجوا‌قتل الرسول و مغنم الأسلاب

و غدوا علینا قادرین بأیدهم‌ردوا بغیظهم علی الأعقاب

بهبوب معصفة تفرق جمعهم‌و جنود ربک سید الأرباب

فکفی الإله المؤمنین قتالهم‌و أثابهم فی الأجر خیر ثواب

من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم‌تنزیل نصر ملیکنا الوهاب

و أقر عین محمد و صحابه‌و أذل کل مکذب مرتاب

عاتی الفؤاد موقع ذی ریبة‌فی الکفر لیس بطاهر الأثواب «۳»

علق الشقاء بقلبه ففؤاده‌فی الکفر آخر هذه الأحقاب و قال کعب بن مالک فی ذلک- أیضا- یجیب ابن الزبعری عن کلمته:

أبقی لنا حدث الحروب بقیة‌من خیر نحلة ربنا الوهاب

بیضاء مشرفة الذری و معاطن‌حم الجذوع غزیرة الأحلاب

کاللوب یبذل جمعها و حفیلها‌للجار و ابن العم و المنتاب

و نزائعا مثل السراج نمی بها‌علف الشعیر و جزة المقضاب

---

(۱) الحلول: البیوت المجتمعة. و ثواقب: أی مشرقة.

(۲) الخریدة: أی المرأة الناعمة. و الکعاب: أی التی نهد ثدیها فی أول ما نهد.

(۳) عاتی الفؤاد: أی قاسیه. و موقع ذی ریبة: أصله من التوقیع فی ظهر الدابة، و هو انسلاخ یکون فیه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۴۲ عری الشوی منها و أردف نحضها‌جرد المتون و سار فی الآراب

قودا تراح إلی الصیاح إذ غدت‌فعل الضراء تراح للکلاب

و تحوط سائمة الذمار و تارة‌تردی العدی و تؤوب بالأسلاب

یعدون بالزغف المضاعف شکه‌و بمترصات فی الثقاف صیاب

و صوارم نزع الصیاقل غلبها‌و بکل أروع ماجد الأنساب

یصل الیمین بمارن متقارب‌و کلت وقیعته إلی خباب

و کتیبة ینفی القران قتیرها‌و ترد حد قواحز النشاب

أعیت أبا کرب و أعیت تبعاو أبت بسالتها علی الأعراب

و مواعظ من ربنا نهدی بهابلسان أزهر طیب الأثواب

عرضت علینا فاشتهینا ذکرهامن بعد ما عرضت علی الأحزاب

حکما یراها المجرمون بزعمهمحرجا و یفهمها ذوو الألباب

جاءت سخینة کی تغالب ربهافلیغلبن مغالب الغلاب و لما قال کعب بن مالک هذا البیت: «جاءت سخینة» إلی آخره. قال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «لقد شکرک الله یا کعب علی قولک هذا» «۱».

و قال کعب أیضا:

لقد علم الأحزاب حین تألبواعلینا و راموا دیننا ما نوادع

أضامیم من قیس بن عیلان أصفقتو خندف لم یدروا بما هو واقع «۲»

یذودوننا عن دیننا و نذودهمعن الکفر و الرحمن راء و سامع

إذا غایظونا فی مقام أعاننعلی غیظهم نصر من الله واسع

و ذلک حفظ الله فینا و فضلهعلینا و من لم یحفظ الله ضائع

هدانا لدین الحق و اختاره لناو لله فوق الصانعین صنائع و قال کعب أیضا:

ألا أبلغ قریشا أن سلعاو ما بین العریض إلی الصماد

نواضح فی الحروب مدرباتو خوص بقیت من عهد عاد

رواکد یزخر المران فیهافلیست بالجمام و لا الثماد

بلاد لم تثر إلا لکیمانجالد إن نشطتم للجلاد

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۱۳۴).

(۲) أضامیم: أی جماعات انضم بعضها إلی بعض. و أصفقت: أی اجتمعت و توافقت علی الأمر.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۴۳ أثرنا سکة الأنباط فیهافلم نر مثلها جلهات وادی

قصرنا کل ذی حضر و طولعلی الغایات مقتدر جواد

أجیبونا إلی ما نجتذیکممن القول المبین و السداد

و إلا فاصبروا لجلاد یوملکم منا إلی شطر المذاد

نصبحکم بکل أخی حروبو کل مطهم سلس القیاد

و کل طمرة خفق حشاهاتدف دفیف صفراء الجراد

و کل مقلص الآراب نهدتمیم الخلق من أخر و هاد

خیول لا تضاع إذا أضیعتخیول الناس فی السنة الجماد

ینازعن الأعنة مصغیاتإذا نادی إلی الفزع المنادی

إذا قالت لنا النذر استعدواتوکلنا علی رب العباد

و قلنا لن یفرج ما لقیناسوی ضرب القوانس و الجهاد

و لم فلم نر عصبة فیمن لقینامن الأقوام من قار و باد

أشد بسالة منا إذا ماأردناه و ألین فی الوداد

إذا ما نحن أشرجنا عليهاجياد الجدل فى الأرب الشداد

قذفنا فى السوابغ كل صقركريم غير معتلث الزناد

أشم كأنه أسد عبوس غداة بدا ببطن الجزع غادى

ليظهر دينك اللهم إنابكفك فاهدنا سبل الرشاد و قال حسان بن ثابت يذكر بنى قريظة:

تفاقد معشر نصروا قريشاو ليس لهم ببلدتهم نصير «۱»

هم أوتوا الكتاب فضيعوه و هم عمى من التوراة بور

فهان على سراة بنى لؤىّحريق بالبويرة مستطير و لما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال:

أدام الله ذلك من صنيع و حرق فى طرائقها السعير فى أبيات ذكرها ابن إسحاق لم يأل قائلها أن صدق حسان.

و قال فى ذلك- أيضا- جبل بن جوال الثعلبى، و بكى النضير و قريظة و نعى على سعد بن معاذ إسلامه مواليه منهم خلاف ما فعل عبد الله بن أبى فى بنى قينقاع:

---

(۱) تفاقد: أى فقد بعضهم بعضا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۴۴ ألا يا سعد سعد بنى معاذلما لقيت قريظة و النضير

لعمرك إن سعد بنى معاذغداة تحملوا لهو الصبور

فأما الخزرجى أبو حبابفقال لقينقاع لا تسيروا و يقول فى آخرها:

تركتم قدركم لا شىء فيهاو قدر القوم حامية تفور فقال سعد حين بلغه هذا الشعر: من لقيهم فليحدثهم أنهم خانوا الله و رسوله فأخزاهم الله.

مقتل سلام بن أبى الحقيق

و كان سلام بن أبى الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار- الأوس و الخزرج- كانا يتصاولان مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا فيه عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عناء إلا قالت الخزرج: و الله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و فى الإسلام. فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، و إذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك.

و كانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم و تحريضه عليه، فقالت الخزرج: و الله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا.

فتذاكروا بعد أن انقضى شأن الخندق و بنى قريظة: من رجل لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبى الحقيق و هو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى قتله فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، و مسعود بن سنان، و عبد الله بن أنيس، و أبو قتادة الحارث بن ربعى، و خزاعى بن أسود حليف لهم من أسلم.

فخرجوا، و أمر عليهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عبد الله بن عتيك و نهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة.

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا، فلم يدعوا لهم بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله، و كان فى علية له إليها عجلة فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا، فخرجت عليهم امرأة فقالت من أنتم؟ فقالوا: أناس من العرب نلتمس

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۴۵

الميرة. قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا إليه. قال: فلما دخلنا أغلقنا علينا و عليها الحجرة تخوفا أن يكون دونه مجادلة تحول بيننا و بينه.

قال: و صاحت امرأته فنوهت بنا، و ابتدرناه و هو على فراشه بأسيافنا، و الله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة.

قال: و لما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيكف يده، و لو لا ذلك لفرغنا منها بليل، فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله ابن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه و هو يقول: قطنى قطنى، أى حسبى حسبى.

قال: و خرجنا و كان عبد الله بن عتيك رجلا سيئ البصر، فوقع من الدرجة فوثئت يده وثئا شديدا، قال ابن هشام: و يقال: رجله، و حملناه حتى نأتى منهرا من عيونهم فندخل فيه. قال: و أوقدوا النيران و اشتدوا فى كل وجه يطلبون، حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه و هو يقضى بينهم. فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات؟

فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم. فانطلق حتى دخل فى الناس، قال: فوجدتها و رجال يهود حوله و فى يدها المصباح تنظر فى وجهه و تحدثهم و تقول: أما و الله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت و قلت أنى ابن عتيك بهذه البلاد. ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت: فاظ و إله يهود. فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها.

قال: ثم جاءنا فأخبرنا الخبر، فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبرناه بقتل عدو الله و اختلفنا عنده فى قتله، كلنا ندعيه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «هاتوا أسيافكم». فجئناه بها فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام» «۱».

و قال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف و قتل سلام بن أبى الحقيق:

لله در عصابة لاقيتهم‌يا ابن الحقيق و أنت يا ابن الأشرف

يسرون بالبيض الخفاف إليكم‌مرحا كأسد فى عرين مغرف «۲»

حتى أتوكم فى محل بلادكم‌فسقوكم حتفا ببيض ذفف «۳»

مستنصرين لنصر دين نبيهم‌مستصغرين لكل أمر مجحف

---

(۱) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱/ ۶۶).

(۲) مغرف: ملتف الشجر.

(۳) ذفف: سريعة القتل.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۴۶

ذكر إسلام عمرو بن العاص و خالد بن الوليد رضى الله عنهما

حدث عمرو بن العاص- رحمه الله- قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى و يسمعون منى فقلت لهم: تعلموا و الله إنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا، و إنى قد رأيت أمرا فما ترون فيه؟ قالوا: و ما ذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدى محمد، و إن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير.

قالوا: إن هذا لرأى. قلت: فاجمعوا ما نهدى له، و كان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدما كثيرا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فو الله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى، بعثه إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى شأن جعفر و أصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابى: هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشى سألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد: قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال لى: مرحبا

بصديقى، أهديت لى من بلدك شيئا؟ قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت لك أدما كثيرا. ثم قربته إليه فأعجبه و اشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك و هو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا و خيارنا.

قال: فغضب ثم مد يده و ضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقا منه، ثم قلت له: أيها الملك، و الله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أ تسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله؟! قلت أيها الملك أ كذلك هو؟ قال: و يحك يا عمرو، أطعنى و اتبعه فإنه و الله لعلى الحق و ليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون و جنوده. فقلت:

أ فتبايعنى له على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام.

ثم خرجت إلى أصحابى و قد حال رأيى عما كان عليه، و كتمت أصحابى إسلامى، ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد و ذلك قبيل الفتح، و هو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: و الله لقد استقام المنسم و إن الرجل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۴۴۷

لنبى، أذهب و الله فأسلم، حتى متى؟! قلت: و الله ما جئت إلا لأسلم.

فقدمنا المدينة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم و بايع ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إنى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى و لا أذكر ما تأخر.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، و إن الهجرة تجب ما كان قبلها» «۱»، قال: فبايعته و انصرفت.

و ذكر ابن إسحاق عمن لا يتهم أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار كان معهما أسلم حين أسلما.

و ذكر غيره أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال حين رآهم: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها».

و حدث الواقدى بإسناد له قال: قال عثمان بن طلحة: لقينى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمكة قبل الهجرة فدعانى إلى الإسلام فقلت: يا محمد، العجب لك حين تطمع أن أتبعك و قد خالفت قومك و جئت بدين محدث ففرقت جماعتهم و ألفتهم و أذهبت بهاءهم.

فانصرف، و كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين و الخميس، فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فغلظت عليه و نلت منه و حلم عنى ثم قال: يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت.

فقلت: لقد هلكت قريش- يومئذ- و ذلت. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بل عمرت و عزت يومئذ». و دخل الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال: فأردت الإسلام، فإذا قومى يزبروننى زبرا شديدا و يزرون برأيى، فأمسكت عن ذكره. فلما هاجر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المدينة جعلت قريش تشفق من رجوعه عليها، فهم على ما هم عليه حتى جاء النفير إلى بدر، فخرجت فيمن خرج من قومنا و شهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكة عام القضية غير الله قلبى عما كان عليه و دخلنى الإسلام و جعلت أفكر فيما نحن عليه و ما نعبد من حجر لا يسمع و لا يبصر و لا ينفع و لا يضر، و أنظر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه و ظلف أنفسهم عن الدنيا فيقع ذلك منى فأقول: ما عمل القوم إلا على الثواب لما يكون بعد الموت.

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۴/ ۱۹۹)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۲۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۳۴۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۴۲)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۳۵۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۴۸

و جعلت أحب النظر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى أن رأيته خارجا من باب بنى شيبة يريد منزله بالأبطح، فأردت أن آتيه و آخذ بيده و أسلم عليه فلم يعزم لى على ذلك، و انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم راجعا إلى المدينة، ثم عزم لى على الخروج إليه، فأدلجت إلى بطن يأجج فألقى خالد بن الوليد، فاصطحبنا حتى نزلنا الهدة فما شعرنا إلا بعمرو بن العاص فانقمعنا عنه و انقمع منا، ثم قال: أين يريد الرجلان؟ فأخبرناه فقال: و أنا أريد الذى تريدان.

فاصطحبنا جميعا حتى قدمنا المدينة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فبايعته على الإسلام و أقمت حتى خرجت معه فى غزوة الفتح و دخل مكة، فقال لى: «يا عثمان، ايت بالمفتاح»، فأتيته به فأخذه منى ثم دفعه إلى و قال: «خذوها تالدة خالدة و لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف» «۱».

قال عثمان: فلما و ليت نادانى فرجعت إليه فقال: «أ لم يكن الذى قلت لك؟» فذكرت قوله لى قبل الهجرة بمكة: «لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت»، فقلت بلى، أشهد أنك رسول الله!

قال الواقدى: فهذا أثبت الوجوه فى إسلام عثمان.

غزوة بنى لحيان «۲»

و خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة إلى لحيان يطلبهم بأصحاب الرجيع- خبيب و أصحابه- و أظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة.

فلما انتهى إلى منازلهم بغران و هو واد بين أمج و عسفان وجدهم قد حذروا و تمنعوا فى رءوس الجبال. فلما أخطأه من غرتهم ما أراد قال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة. فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا و راح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قافلا.

---

(۱) انظر الحديث فى: المعجم الكبير للطبرانى (۱۱/ ۱۲۰)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۲۸۵)، الدر المنثور (۲/ ۱۷۵)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۴۷۶۶).

(۲) راجع هذه الغزوة فى: طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۵۶)، المغازى للواقدى (۲/ ۵۳۵)، تاريخ الطبرى (۲/ ۵۹۵)، البداية و النهاية (۴/ ۸۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۴۹

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول حين وجه راجعا:

«آئبون تائبون إن شاء الله، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر و كآبة المنقلب و سوء المنظر فى الأهل و المال» «۱».

غارة عيينة بن حصن على سرح المدينة و خروج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى أثره، و هى غزوة ذى قرد «۲»

و لما قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة من غزوة بنى لحيان لم يقم بالمدينة إلا ليال قلائل، حتى أغار عيينة بن حصن فى جبل من غطفان على لقاح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالغابة، و فيها رجل من بنى غفار و امرأة له، فقتلوا الرجل و احتملوا المرأة فى اللقاح.

و كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى، غدا يريد الغابة متوشحا سيفه و نبله و معه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف فى ناحية سلع ثم صرخ: وا صباحاه. ثم خرج يشد فى آثار القوم

و كان مثل السبع، حتى لحق القوم فجعل يردهم بالنبل و يقول إذا رمى:

خذها و انا ابن الأكوعاليوم يوم الرضع فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمى رمى ثم قال:

خذها و انا ابن الأكوعاليوم يوم الرضع فيقول قائلهم: أ أكيعنا هو أول النهار.

و بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع. فترامت الخيل إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو، و هو الذى يقال له: المقداد بن الأسود. ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد المقداد من الأنصار عباد بن بشر و سعد بن زيد الأشهليان و أسيد بن ظهير الحارثى، يشك فيه، و عكاشة بن محصن، و محرز بن نضلة الأسديان و أبو قتادة السلمى و أبو عياش، الزرقى.

---

(۱) انظر الحديث فى: عمل اليوم و الليلة لابن السنى (۵۲۵)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۲/ ۵۱۹، ۵۲۰).

(۲) راجع هذه الغزوة فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۵۰)، طبقات ابن سعد (۲/ ۸۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۵۰

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أمر عليهم سعد بن زيد و قال: «اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس» «۱». و قال لأبى عياش: «يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالناس». قال أبو عياش: فقلت: يا رسول الله، أنا أفرس الناس. ثم ضربت الفرس فو الله ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى، فعجبت أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: «لو أعطيته أفرس منك» و أقول: أنا أفرس! فأعطى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فرس أبى عياش هذا- فيما زعموا- معاذ ابن ماعص أو عائذ بن ماعص، فكان ثامنا.

فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا، و كان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة الأخرم، و يقال له أيضا: قمير، و لما كان الفزع جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط و هو مربوط بجذع نخل حين سمع صاهلة الخيل، و كان فرسا صنيعا جاما، فقال بعض نساء بنى عبد الأشهل: يا قمير، هل لك فى أن تركب هذا الفرس فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بالمسلمين؟ قال: نعم فأعطينه إياه فخرج عليه فلم يلبث أن بز الخيل بجمامه حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم ثم قال: قفوا بنى اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين و الأنصار، و حمل عليه رجل منهم فقتله، و جال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية فى بنى عبد الأشهل. فقيل: إنه لم يقتل من المسلمين- يومئذ- غيره، و قد قيل: إنه قتل معه وقاص بن محرز المدلجى.

و لما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن و غشاه برده ثم لحق بالناس، و أقبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى المسلمين فإذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة، فاسترجع الناس و قالوا: قتل أبو قتادة، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ليس بأبى قتادة، و لكنه قتيل لأبى قتادة وضع عليه برده ليعرفوا أنه صاحبه» «۲».

و أدرك عكاشة بن محصن أو بارا و ابنه عمرو بن أوبار و هما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا، و استنقذوا بعض اللقاح.

و سار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد و تلاحق به الناس، و أقام عليه يوما و ليلة، و قال له أبو سلمة بن الأكوع: يا رسول الله، لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح و أخذت بأعناق القوم، فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إنهم الآن ليغبقون فى غطفان» «۳».

---

(۱) انظر الحديث فى: المعجم الكبير للطبرانى (۷/ ۳۲)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۴۳).

(۲) انظر الحديث فى: المعجم الكبير للطبرانى (۷/ ۳۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۴۳).

(۳) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم فی کتاب الجهاد (۳/ ۱۳۲/ ۱۴۳۳، ۱۴۴۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۵۱

فقسم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: فی أصحابه فی کل مائة رجل جزورا. و أقاموا علیها ثم رجع قافلا إلی المدینة.

و أفلتت ارمأة الغفاری علی ناقة من إبل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی قدمت علیه فأخبرته الخبر، فلما فرغت قالت: یا رسول الله، إنی قد نذرت لله أن أنحرها إن نجانی الله علیها، فتبسم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم قال: «بئس ما جزیتها أن حملک الله علیها و نجاک بها ثم تنحرینها، إنه لا نذر فی معصیة الله و لا فیما لا تملکین، إنما هی ناقة من إبلی، ارجعی إلی أهلک علی برکة الله» «۱».

فهذا حدیث ابن إسحاق عن غزوة ذی قرد.

و خرج مسلم بن الحجاج- رحمه الله- حدیثا فی صحیحه بإسناده إلی سلمة بن الأکوع فذکر حدیثا طویلا خالف به حدیث ابن إسحاق فی مواضع منه، فمن ذلک:

أن هذه الغزوة کانت بعد انصراف الرسول صلی اللّه علیه و سلم الحدیبیة، و جعلها ابن إسحاق قبل ذلک، و کذلک فعل ابن عقبة.

و فیه أن سلمة بن الأکوع «۲» استنقذ سرح رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بجملته، قال سلمة: فو الله ما زلت أرمیهم و أعقر بهم فإذا رجع إلی فارس أتیت شجرة فجلست فی أصلها ثم رمیته فعقرت به حتی إذا تضایق الجبل فدخلوا فی تضایقه علوت الجبل فجعلت أردیهم بالحجارة. قال: فما زلت کذلک أتبعهم حتی ما خلق الله من بعیر من ظهر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلا خلفته وراء ظهری و خلوا بینی و بینه، ثم اتبعتهم أرمیهم حتی ألقوا أکثر من ثلاثین بردة و ثلاثین رمحا یستخفون، و لا یطرحون شیئا إلا جعلت علیه آراما من الحجارة یعرفها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه حتی أتوا متضایقا من ثنیة فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاری، فجلسوا یتضحّون- أی یتغدون- و جلست علی رأس قرن.

قال الفزاری: ما هذا الذی أری؟ قالوا: لقینا من هذا البرح، و الله ما فارقنا منذ غلس یرمینا حتی انتزع کل شیء فی أیدینا. قال فلیقم إلیه نفر منکم أربعة، قال: فصعد إلی

---

(۱) انظر الحدیث فی: مجمع الزوائد للهیثمی (۴/ ۱۸۷).

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۳۳۷۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۱۵۵)، طبقات ابن سعد (۳۰۵)، طبقات خلیفة ترجمة رقم (۶۸۹)، التاریخ الکبیر (۴/ ۶۹)، المعارف (۲۱۲)، المعرفة و التاریخ (۱/ ۳۳۶)، مشاهیر علماء الأنصار ترجمة رقم (۸۰)، تهذیب الکمال (۵۲۵)، تاریخ الإسلام (۳/ ۱۵۸)، العبر (۱/ ۸۴)، البدایة و النهایة (۹/ ۶)، تهذیب التهذیب (۴/ ۱۵۰)، شذرات الذهب (۱/ ۸۱)، تهذیب ابن عساکر (۶/ ۲۳۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۵۲

منهم أربعة فی الجبل، فلما أمکنونی من الکلام قلت: هل تعرفوننی؟ قالوا: لا، و من أنت؟ قلت: أنا سلمة بن الأکوع و الذی کرم وجه محمد صلی اللّه علیه و سلم لا اطلب رجلا منکم إلا أدرکته و لا یطلبنی فیدرکنی. قال أحدهم: أنا أظن ذلک، فرجعوا.

فما برحت مکانی حتی رأیت فوارس رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یتخللون الشجر، فإذا أولهم الأخرم الأسدی، علی أثره أبو قتادة الأنصاری و علی أثره المقداد بن الأسود الکندی فأخذت بعنان الأخرم فولوا مدبرین، قلت: یا أخرم احذرهم لا یقتطعونک حتی یلحق رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه، قال: یا سلمة، إن کنت تؤمن بالله و الیوم الآخر و تعلم أن الجنة حق و النار حق فلا تحل بینی و بین الشهادة. قال: فخلیته فالتقی هو و عبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه و طعنه عبد الرحمن فقتله، و تحول علی فرسه.

و لحق أبو قتادة فارس رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعبد الرحمن فطعنه فقتله، فو الذی کرم وجه محمد لتبعتهم أعدو علی رجلی

حتى ما أرى من ورائى من أصحاب محمد صلى اللّه عليه و سلم و لا غبارهم شيئا، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد ليشربوا منه و هم عطاش فنظروا إلى أعدو وراءهم فحلأتهم عنه. فما ذاقوا منه قطرة، و يخرجون فيشتدون فى ثنية فأعدو فألحق منهم فأمسكه بسهم فى نغض كتفه، قلت:

خذها و انا ابن الأكوعو اليوم يوم الرضع قال: يا ثكلته أمه أ أكوعه بكرة؟ قلت: نعم يا عدو نفسه أكوعه بكرة.

قال: و أردوا فرسين على ثنية فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و لحقنى عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن و سطيحة فيها ماء فتوضأت و شربت ثم أتيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو على الماء الذى حلأتهم عنه قد أخذ تلك الإبل و كل شىء استنقذته من المشركين و كل رمح و كل بردة، و إذا بلال نحر ناقة من الإبل التى استنقذت من القوم، و إذا هو يشتوى لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم من كبدها و سنامها، قلت: يا رسول الله، خلنى فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته. فضحك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى بدت نواجذه فى ضوء النار قال: «يا سلمة، أتراك كنت فاعلا؟» قلت: نعم، و الذى أكرمك، قال: «إنهم الآن ليقرون بأرض غطفان». قال: فجاء رجل من غطفان فقال:

نحر لهم فلان جزورا فلما كشطوا جلدها رأوا غبارا فقالوا: إياكم القوم فخرجوا هاربين.

فلما أصبحنا قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، و خير رجالنا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۵۳

سلمة». ثم أعطانى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سهمين: سهم الفارس و سهم الراجل فجمعهما لى جميعا.

و ذكر الزبير بن أبى بكر أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مر فى غزوة قرد هذه على ماء يقال له:

بيسان، فسأل عنه فقيل: اسمه يا رسول الله: بيسان و هو مالح. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟:

«لا، بل اسمه نعمان و هو طيب». فغير رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الاسم و غير الله- تعالى- الماء.

فاشتراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به و جاء إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ما أنت يا طلحة إلا فياض». فسمى طلحة الفياض.

و كان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت:

أظن عيينة إذا زارهابأن سوف يهدم فيها قصورا

فأكذبت ما كنت صدقتهو قلتم سنغنم أمرا كبيرا

و ولوا سراعا كشد النعامو لم يكشفوا عن ملط حصيرا

أمير علينا رسول المليك أحبب بذاك إلينا أميرا

رسول نصدق ما جاءهو يتلوا كتابا مضيئا منيرا و قال كعب بن مالك:

أ يحسب أولاد اللقيطة أنناعلى الخيل لسنا مثلهم فى الفوارس

و إنا أناس لا نرى القتل سبةو لا ننثنى عند الرماح المداعس

و إنا لنقرى الضيف من قمع الذرىو نضرب رأس الأبلخ المتشاوس «۱»

نرد كماة المعلمين إذا انتحوابضرب يسلى نخوة المتقاعس

بكل فتى حامى الحقيقة ماجدكريم كسرحان الغضاة مخالس

يذودون عن أحسابهم و تلادهمببيض تقد الهام تحت القوانس

فسائل بنى بدر إذا ما لقيتهمبما فعل الإخوان يوم التمارس

إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتمو لا تكتموا أخباركم فى المجالس

و قولوا زللنا عن مخالب خادربه و حر فى الصدر ما لم يمارس و قال شداد بن عارض الجشمى فى يوم ذى قرد لعيينة بن حصن و كان عيينة يكنى أبا مالك:

---

(۱) القمع: جمع قمعة، و هى أعلى سنام البعير. و الذرا: أى الأسنمة. و الأبلخ: أى المتكبر.

و المتشاوس: هو الذى ينظر بمؤخر عينه نظرة المتكبر.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۵۴ فهلا كررت أبا مالكو خيلك مدبرة تقتل

ذكرت الإياب إلى عسجرو هيهات قد بعد المقفل «۱»

و طمنت نفسك ذا ميعةمسح الفضاء إذا يرسل

إذا قبضته إليك الشمال جاش كما اضطرم المرجل

فلما عرفتم عباد الإله لم ينظر الآخر الأول

عرفتم فوارس قد عودواطراد الكماة إذا أسهلوا

إذا طردوا الخيل تشقى بهمفضاحا و إن يطردوا ينزلوا

فيعتصموا فى سواء المقام بالبيض أخلصها الصيقل «۲»

غزوة بنى المصطلق و هى غزوة المريسيع «۳»

و غزا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست، و كان بلغه أنهم يجمعون له، و قائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية زوج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم.

فلما سمع بهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له:

المريسيع، فتزاحف الناس و اقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق و قتل من قتل منهم و نفل رسوله أبناءهم و نساءهم و أموالهم.

و كان شعار المسلمين فى ذلك اليوم: يا منصور أمت أمت.

و أصاب- يومئذ- رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت رجلا من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن أمية بن ليث بن بكر يقال له: هشام ابن صبابة، و هو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.

فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس و مع عمر بن الخطاب أجير له من غفار يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه و سنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار.

---

(۱) عسجر: موضع بالقرب من مكة. و المقفل: أى الرجوع.

(۲) أخلصها الصقيل: أى أزال ما عليها من الصدأ.

(۳) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (۱/ ۴۰۴)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۴۵)، تاريخ الطبرى (۲/ ۵۹۳)، الكامل (۲/ ۸۱)، البداية و النهاية (۴/ ۱۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۵۵

و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبد الله بن أبى بن سلول فقال: أ قد فعلوها؟ قد نافرونا و كاثرونا فى بلادنا، و الله ما أعدنا و جلابيب قريش هؤلاء إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، و أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه- و فيهم زيد بن أرقم غلام حدث- فقال:

هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم و قاسمتموهم أموالكم، أما و الله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره الخبر، و ذلك عند فراغه من عدوه، و عنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، لا و لكن أذن بالرحيل» «۱».

و ذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يرتحل فيها.

فارتحل الناس و قد مشى عبد الله بن أبى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين بلغة أن زيدا بلغه ما سمع منه، فحلف بالله ما قلت ما قال و لا تكلمت به. و كان فى قومه شريفا عظيما، فقال من حضر من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه و لم يحفظ ما قال الرجل. حدبا على ابن أبى و دفعا عنه.

فلما استقل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و سار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة و سلم عليه ثم قال: يا نبى الله، و الله لرحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها. فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟» قال: و أى صاحب يا رسول الله؟ قال:

«عبد الله بن أبى». قال: و ما قال؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل» «۲».

قال: فأنت و الله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو و الله الذليل و أنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله صلى الله عليك ارفق به، فو الله لقد جاء الله بك و إن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أن قد استلبته ملكا!

ثم مشى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى و ليلتهم حتى أصبح، و سار يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما، و إنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ثم راح

---

(۱) انظر الحديث فى: مصنف ابن أبى شيبة (۱۲/ ۵۴۰، ۱۴/ ۴۳۲).

(۲) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۲۸/ ۷۵).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱، ص:۴۵۶

بالناس، فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم و تخوفوها، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من الكفار» «۱». فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت- أحد بنى قينقاع- و كان من عظماء يهود و كهفا للمنافقين مات ذلك اليوم.

و نزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبى و من كان على مثل أمره. فلما نزلت أخذ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال: «هذا الذى أوفى الله بأذنه» «۲».

و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال:

يا رسول الله، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرنى فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقى معنا» «۳».

و جعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه و يؤاخذونه و يعنفونه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؟ أما و الله لو قتله يوم قلت لى اقتله لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله

لقتلته» «۴»! فقال عمر: قد و الله علمت لأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أعظم بركة من أمرى.

و قدم مقيس بن صبابة من مكة متظاهرا بالإسلام، فقال يا رسول الله، جئتك مسلما، و جئتك اطلب دية أخى قتل خطأ، فأمر له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بدية أخيه هشام بن صبابة، فأقام عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله.

ثم خرج إلى مكة مرتدا و قال فى شعر له:

شفى النفس أن بات بالقاع مسنداتضرج ثوبيه دماء الأخادع «۵»

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۶۱).

(۲) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۴۴۱۳)، سنن الترمذى (۵/ ۳۳۱۳)، فتح البارى لابن حجر (۸/ ۵۱۴).

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۶۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۵۸).

(۴) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۲۸/ ۷۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۵۸).

(۵) تضرج: أى تلطخ. و الأخادع: عروق القفا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۵۷ و كانت هموم النفس من قبل قتله‌تلم فتحمينى و طاء المضاجع

حللت به و ترى و أدركت ثؤرتى‌و كنت إلى الأوثان أول راجع

ثأرت به فهرا و حملت عقله‌سراة بنى النجار أرباب فارع و قال أيضا:

جللته ضربة باتت لها و شل‌من ناقع الجوف يعلوه و ينصرم

فقلت و الموت تغشاه أسرته‌لا تأمنن بنى بكر إذا ظلموا و أصاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من بنى المصطلق سبيا كثيرا، فشا قسمة فى المسلمين، و كان فيمن أصيب- يومئذ- من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها.

قال عائشة رضى الله عنها: و كانت- تعنى جويرية- امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تستعينه فى كتابتها، فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها و عرفت أنه سيرى منها ما رايت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه، و قد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى، قال: «فهل لك فى خير من ذلك؟» قالت: و ما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضى كتابتك و أتزوجك» «۱». قالت: نعم يا رسول الله. قال: «قد فعلت» «۲». و خرج الخبر إلى الناس: أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد تزوج جويرية. فقال الناس: أصهار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزوجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.

و بعث إليهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره أن القوم هموا بقتله و منعوه ما قبلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتى هم رسول

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۷).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۷۸)، المعجم الكبير للطبرانى (۷/ ۲۰۵)، موارد الظمآن للهيثمى (۱۲۱۳)، الطبقات الطبرى لابن سعد (۸/ ۸۳، ۱۰۷)، إتحاف السادة المتقين (۵/ ۴۱)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۱۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۱۵۳۰)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۱/ ۳۰۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۶۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۴۵۸

الله صلى اللّه عليه و سلم يأن يغزوهم، فبينا هم فى ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه و نؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة، فانشمر راجعا، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنا خرجنا إليه لنقتله و و الله ما جئنا لذلك. فأنزل الله فيه و فيهم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ [الحجرات: ۶].

هكذا ذكر ابن إسحاق «۱» أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعث إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة و لم يعين مدة توجيهه إياه إليهم، و قد يوهم ظاهره أن ذلك كان بحدثان إسلامهم، و لا يصح ذلك، إذ الوليد من مسلمة الفتح، و إنما كان الفتح فى سنة ثمان بعد غزوة بنى المصطلق و إسلامهم بسنتين، فلا يكون هذا التوجيه إلا بعد ذلك و لا بد.

و قد قال أبو عمر بن عبد البر: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز و جل: إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ نزلت فى الوليد بن عقبة حين بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى بنى المصطلق مصدقا، و الله سبحانه أعلم.

و أقبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من سفره ذلك حتى إذا كان قريبا من المدينة قال: «أهل الإفك فى الصديقة المبرأة المطهرة عائشة بنت الصديق، رضى الله عنهما، ما قالوا».

فحدثت- يرحمها الله- قالت: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن معه فخرج بى صلى اللّه عليه و سلم. قالت: و كان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهبجهن اللحم فيثقلن، و كنت إذا رحّل لى بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى و يحملوننى فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به.

فلما فرغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل، فارتحل الناس و خرجت لحاجتى و فى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقى و لا أدرى، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده و قد أخذ الناس فى الرحيل، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، و جاء خلافى القوم الذين كانوا يرحلون لى البعير و قد فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج و هم يظنون أنى فيه كما

---

(۱) انظر: السيرة (۳/ ۲۶۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۴۵۹

كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير و لم يشكوا أنى فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، و رجعت إلى العسكر و ما فيه داع و لا مجيب قد انطلق الناس، قالت:

فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكان و عرفت أنه لو قد افتقدت لرجع إلى.

فو الله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى، و كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى، فأقبل حتى وقف على، و قد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآنى قال: إنا لله و إنا إليه راجعون! ظعينة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم! و أنا متلففة فى ثيابى. قال: ما خلفك، رحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير فقال: اركبى. و استأخر عنى، فركبت و أخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس، فو الله ما أدركنا الناس و ما افتقدت حتى أصبحت، و نزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودنى، فقال أهل الإفك ما قالوا. فارتعج العسكر، و الله ما أعلم بشىء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوا شديدا لا يبلغنى من ذلك شىء و قد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و إلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا و لا كثيرا، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعض لطفه بى، كنت إذا

اشتكيت رحمنى و لطف لى فلم يفعل ذلك فى شكوى ذلك فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل على و عندى أمى تمرضنى قال: كيف تيكم، لا- يزيد على ذلك حتى وجدت فى نفسى حين رأيت من جفائه لى. فقلت: يا رسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فتمرضنى؟ قال: «لا عليك».

فانتقلت إلى أمى و لا علم لى بشىء مما كان، حتى نقهت من وجعى بعد بضع و عشرين ليلة، و كنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذ الأعاجم نعافها و نكرهها، إنما كنا نذهب فى فسح المدينة، و إنما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتى و معى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف، و كانت أمها خالة أبى بكر الصديق، فو الله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها فقالت: تعس مسطح. قلت: بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا. قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر؟ قلت: و ما الخبر؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك. قلت: أوقد كان هذا؟ قالت: نعم و الله لقد كان.

فو الله ما قدرت على أن أقضى حاجتى و رجعت، فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۰

أن البكاء سيصدع كبدى. و قلت لأمى: يغفر الله لك! تحدث الناس بما تحدثوا به و لا تذكرين لى من ذلك شيئا؟ قالت: أى بنية خفضى عليك الشأن، فو الله لقل ما كنت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن و كثر الناس عليها.

قالت: و قد قام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الناس فخطبهم و لا أعلم بذلك، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى و يقولون عليهم غير الحق، و الله ما علمت منهم إلا خيرا، و يقولون ذلك لرجل و الله ما علمت منه إلا خيرا، و ما يدخل بيتا من بيوتى إلا و هو معى». قالت: و كان كبر ذلك عند عبد الله بن أبى فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح و حمنة بنت جحش، و ذلك أن أختها زينب كانت عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لم يكن من نسائه امرأة تناصينى فى المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا، و أما حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادنى لأختها، فشقيت بذلك. فلما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تلك المقالة قال أسيد بن خضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفكهم و إن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك فو الله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم. فقام سعد بن عبادة فقال: كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم، أما و الله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، و لو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد: كذبت لعمر الله و لكنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت:

و تثاور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس و الخزرج شر.

و نزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فدعا على بن أبى طالب و أسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى خيرا، ثم قال: يا رسول الله، أهلك و لا- نعلم منهم إلا- خيرا، و هذا الكذب و الباطل. و أما على فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير و إنك لتقدر أن تستخلف، و سل الجارية فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بريرة ليسألها، فقام إليها على فضربها ضربا شديدا و يقول: اصدقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فتقول: و الله ما أعلم إلا خيرا، و ما كنت أعيب على عائشة شيئا إلا أنى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله.

قالت: ثم دخل على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و عندى أبواى و عندى امرأة من الأنصار فأنا أبكى و هى تبكى معى، فجلس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقى الله و إن كنت قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبى إلى الله

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۱

فإن يقبل التوبة عن عباده» «۱». قالت: فو الله إن هو إلا أن قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئا. و انتظرت أبوى أن يجيبا

رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلم يتكلما.

قالت: و أيم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى و أصغر شأنا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المسجد و يصلى به، و لكنى كنت أرجوا أن يرى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى منامه شيئا يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتى أو يخبر خبرا، فأما قرآن ينزل فى فو الله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك.

قالت: فلما لم أرى أبوى يتكلمان قلت لهما: أ لا تجيبان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ فقالا: و الله ما ندرى بما ذا نجيبه. قالت: و و الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام. قالت: فلما استعجما على استعبرت فبكيت ثم قلت: و الله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا، و الله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس و الله يعلم أنى منه بريئة لأقولن ما لم يكن، و لئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى، ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت: و لكنى سأقول كما قال أبو يوسف: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ [يوسف: ١٨].

قالت: فو الله ما برح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجى بثوبه و وضعت له و سادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فو الله ما فرغت و لا باليت، قد عرفت أنى بريئة و أن الله غير ظالمى، و أما أبواى فو الذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس. ثم سرى عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فجلس و إنه ليتحدر منه مثل الجمان و فى يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه و يقول: «أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك» «۲» قلت: بحمد الله.

ثم خرج إلى الناس فخطبهم و تلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ثم أمر بمسطح بن أثاثة و حمنة بنت جحش و حسان بن ثابت، و كانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم.

قالت: فلما نزل القرآن ذكر من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال: إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ

---

(١) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (٨/ ۴۷۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۶۳).

(٢) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (۴/ ۴۷۳۵)، سنن الترمذى (۵/ ۳۱۸۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۲

مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ [النور: ١١] قيل: إنه حسان بن ثابت و أصحابه، و يقال: عبد الله بن أبى و أصحابه.

ثم قال: لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَ قالُوا هذا إِفْكٌ مُبِينٌ أى هلا قلتم إذ سمعتموه كما قال أبو أيوب الأنصارى و صاحبته أم أيوب، و ذلك أنها قالت لزوجها: يا أبا أيوب، أ لا تسمع ما يقول الناس فى عائشة؟

قال: بلى و ذلك الكذب، أ كنت يا أم أيوب فاعلته؟ قال: لا و الله ما كنت لأفعله. قال:

فعائشة و الله خير منك.

ثم قال تعالى: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ.

فلما نزل هذا فى عائشة و فيمن قال لها ما قال قال أبو بكر- رحمه الله و كان ينفق على مسطح لقرابته و حاجته: و الله لا أنفق على مسطح أبدا و لا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة و ادخل علينا. قالت: فأنزل الله فى ذلك وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَ الْمَساكِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور: ٢٢] قالت: فقال أبو بكر: بلى، و الله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه و قال: و الله لا أنزعها منه

أبدا.

و ذكر ابن إسحاق «۱»: أن حسان بن ثابت مع ما كان منه فى صفوان بن المعطل من القول السيئ قال مع ذلك شعرا يعرض فيه بصفوان و من أسلم من مضر يقول فيه:

أمسى الجلابيب قد عزوا و قد كثروا و ابن الفريعة أمسى بيضة- البلد فلما بلغ ذلك ابن المعطل اعترض حسان بن ثابت فضربه بالسيف ثم قال:

تلق ذباب السيف عنى فإننى غلام إذا هو جيت لست بشاعر فوثب عند ذلك ثابت بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه بحبل ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ قال:

أ ما أعجبك ضرب حسان بالسيف؟ و الله ما أراه إلا قد قتله. فقال له ابن رواحة: هل علم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بشىء مما صنعت؟ قال: لا و الله. قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل.

فأطلقه.

---

(۱) انظر السيرة (۳/ ۲۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۳

ثم أتوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فذكروا ذلك له، فدعا حسان و صفوان، فقال صفوان: يا رسول الله، آذانى و هجانى فاحتملنى الغضب فضربته. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لحسان: «يا حسان، أ تشوهت على قومى أن هداهم الله للإسلام؟» ثم قال: «أحسن يا حسان فى الذى أصابك» «۱». قال: هى لك. فأعطاه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عوضا منها بئر «حاء» ماء كان لأبى طلحة بالمدينة فتصدق به إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليضعه حيث شاء فأعطاه حسان فى ضربته، و أعطاه «سيرين» أمة قبطية ولدت له ابنه عبد الرحمن.

و قد روى من وجوه أن إعطاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إياه سيرين إنما كان لذبه بلسانه عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم. و الله تعالى أعلم.

و كانت عائشة- رحمها الله- تقول: لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه حصورا لا يأتى النساء ثم قتل بعد ذلك شهيدا.

و قال بعد ذلك حسان يمدح عائشة- رضى الله عنها- و يعتذر من الذى كان فى شأنها:

حصان رزان ما تزن بريبةو تصبح غرثى من لحوم الغوافل «۲»

عقيلة حى من لؤىّ بن غالب كرام المساعى مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله جنبهاو طهرها من كل سوء و باطل

فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى إلى أناملى

و كيف و ودى ما حييت و نصرتى لآل رسول الله زين المحافل

له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاول

فإن الذى قد قيل ليس بلائط و لكنه قول امرئ بى ماحل و قال قائل من المسلمين فى ضرب حسان و صاحبيه فى فريتهم على عائشة رضى الله عنها:

لقد ذاق حسان الذى كان أهله و حمنة إذ قالوا هجيرا و مسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم و سخطة ذى العرش الكريم فأترحوا

و آذوا رسول الله فيها فجللوا مخازى تبقى عمموها و فضحوا

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۶۳)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۲۳۴).

(۲) الحصان: أى العفيفة. و الرزان: أى الملازمة موضعها. و ما تزن: أى ما تتهم. و غرثى: أى جائعة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۴ و صبت عليهم محصدات كأنهاشآبيب قطر من ذرى المزن تسفح و قد ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ أن قوما أنكروا أن يكون حسان خاض فى الإفك أو جلد فيه، و رووا عن عائشة- رحمها الله- أنها برأته من ذلك، ثم ذكر عن الزبير بن بكار و غيره أن عائشة كانت فى الطواف مع أم حكيم بنت خالد بن العاص و ابنة عبد الله بن أبى ربيعة، فتذاكرن حسان فابتدرتاه بالسب فقالت لهما عائشة: ابن الفريعة تسبان! إنى لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بلسانه، أ ليس القائل:

هجوت محمدا فأجبت عنهو عند الله فى ذاك الجزاء

فإن أبى و والده و عرضىلعرض محمد منكم وقاء فقالتا لها: أ ليس ممن لعنه الله فى الدنيا و الآخرة بما قال فيك؟ قلت: لم يقل شيئا، و لكنه القائل:

حصان رزان ما تزن بريبةو تصبح غرثى من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد قيل عنى قلتهفلا رفعت سوطى إلى أناملى

غزوة الحديبية

و خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ذى القعدة من سنة ست معتمرا لا يريد حربا، و استنفر العرب و من حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه، و هو يخشى من قريش الذى صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت.

فأبطأ عليه كثير من الأعراب، و خرج بمن معه من المهاجرين و الأنصار و من لحق به من العرب، و ساق معه الهدى و أحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، و ليعلم أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت و معظما له.

حتى إذا كان بعسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبى «۱» فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور و قد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا و هذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ما ذا عليهم

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۶۴۶)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۱۱)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۴۸)، الوافى بالوفيات (۱۰/ ۱۳۳)، العقد الثمين (۹/ ۳۶۷)، تقريب التهذيب (۲/ ۹۵، ۱۶۰، ۴/ ۲۹۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۵

لو خلوا بينى و بين سائر العرب فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا، و إن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوة؛ فما تظن قريش؟

فو الله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة» «۱».

ثم قال: «من رجل يخرج بنا على غير طريقهم؟» «۲» فقال رجل من أسلم: أنا، فسلك بهم طريقا وعرا أجرل بين شعاب، فلما خرجوا منه و قد شق عليهم و أفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قولوا: نستغفر الله و نتوب إليه».

فقالوا ذلك، فقال: «و الله إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها» «۳».

فأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الناس فقال: «اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمص فى طريق تخرج على ثنية المرار «۴»»، فهبط

الحدیبیة من أسفل مکة. فسلک الجیش ذلک الطریق، فلما رأت خیل قریش هدة الجیش قد خالفوا عن طریقهم و کفوا راجعین إلی قریش، و خرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی إذا سلک فی ثنیة المرار برکت ناقته، فقال الناس: خلأت.

فقال: «ما خلأت، و ما هو لها بخلق، و لکن حبسها حابس الفیل عن مکة، لا تدعونی قریش الیوم إلی خطة یسلون فیها صلة الرحم إلا أعطیتهم إیاها «۵»»، ثم قال للناس:

«انزلوا». قیل: یا رسول الله، ما بالوادی ماء ننزل علیه. فأخرج صلی اللّه علیه و سلم سهما من کنانته فأعطاه رجلا من أصحابه، فنزل فی قلیب من تلک القلب، فغرزه غی جوفه فجاش بالرواء حتی ضرب الناس عنه بعطن.

فلما اطمأن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أتاه بدیل بن ورقاء فی رجال من خزاعة فکلموه و سألوه ما الذی جاء له، فأخبرهم أنه لم یأت یرید حربا و إنما جاء زائرا للبیت و معظما لحرمته، ثم قال لهم نحوا قال لبسر بن سفیان، فرجعوا إلی قریش فقالوا: إنکم تعجلون علی محمد، إن محمدا لم یأت لقتال إنما جاء زائرا لهذا البیت. فاتهموهم و جبهوهم و قالوا:

إن کان جاء و لا یرید قتالا فو الله لا یدخلها علینا عنوة أبدا و لا تحدث بذلک عنا العرب.

ثم بعثوا إلیه مکرز بن حفص بن الأخیف أخا بنی عامر بن لؤیّ، فلما رآه رسول

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۴/ ۳۲۳)، کنز العمال للمتقی الهندی (۱۱۳۰۷)، تفسیر ابن کثیر (۷/ ۳۲۸)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۱۶۵).

(۲) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۱۶۵).

(۳) انظر الحدیث السابق.

(۴) ثنیة المرار: حشیشة مرة إذا أکلتها الإبل قلصت مشافرها.

(۵) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۴/ ۳۲۳)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۱۶۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۶۶

الله صلی اللّه علیه و سلم مقبلا قال: «هذا رجل غادر» «۱». فلما انتهی إلیه و کلمة قال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نحوا مما قال لبدیل و أصحابه. فرجع إلی قریش فأخبرهم. ثم بعثوا إلیه الحلیس بن علقمة أو ابن زبان، أحد بنی الحارث بن عبد مناة بن کنانة- و کان یومئذ سید الأحابیش- فلما رآه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «إن هذا من قوم یتألهون فابعثوا الهدی فی وجهه حتی یراه» «۲». فلما رأی الهدی یسیل علیه من عرض الوادی فی قلائده قد أکل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلی قریش و لم یصل إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إعظاما لما رأی؛ فقال لهم ذلک، فقالوا له: اجلس. فإنما أنت أعرابی لا علم لک؛ فغضب الحلیس عند ذلک و قال: یا معشر القوم، و الله ما علی هذا حالفناکم و ما علی هذا عاقدناکم، أ یصدّ عن بیت الله من جاء معظما له؟! و الذی نفس الحلیس بیده لتخلن بین محمد و بین ما جاء له أو لأنفرن بالأحابیش نفرة رجل واحد. فقالوا له: کف عنا یا حلیس حتی نأخذ لأنفسنا ما نرضی به.

ثم بعثوا إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عروة بن مسعود الثقفی فقال: یا معشر قریش إنی قد رأیت ما یلقی منکم من بعثتموه إلی محمد إذا جاءکم من التعنیف و سوء اللفظ، و قد عرفت أنکم والد و أنی ولد- و کان لسبیعة بنت عبد شمس- و قد سمعت بالذی نابکم فجمعت من أطاعنی من قومی ثم جئتکم حتی آسیتکم بنفسی. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتی أتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فجلس بین یدیه ثم قال: یا محمد، أجمعت أوشاب الناس ثم جئت إلی بیتک لتفضها بهم؟! إنها قریش قد خرجت معها العوذ المطافیل قد لبسوا جلود النمور یعاهدون الله لا تدخلها علیهم عنوة أبدا، و أیم الله لکأنی بهؤلاء قد انکشفوا عنک.

فرد علیه أبو بکر الصدیق- رضی الله عنه- و قال:

أ نحن ننكشف عنه! ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو كلمة و المغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله فى الحديد، فجعل يقرع يده إذا فعل ذلك و يقول:

اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل أن لا- تصل إليك. فيقول عروة: و يحك ما أفظك و أغلظك. فتبسم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فقال: من هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة» «۳». قال: أى غدر هل غسلت سوءتك إلا بالأمس! يريد أن المغيرة

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۴/ ۳۲۴)، تفسير ابن كثير (۷/ ۳۲۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۶۶).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۶۶).

(۳) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۴/ ۳۲۴)، المطالب العالية لابن حجر (۴۳۴۷)، تفسير ابن كثير (۷/ ۳۲۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۷

كان قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلا من ثقيف فتهايج الحيان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين و الأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية و أصلح ذلك الأمر.

و كلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عروة بنحو مما كلم به أصحابه، و أخبره أنه لم يأت يريد حربا فقام من عنده و قد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، و لا يبصق بصاقا إلا ابتدروه و لا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال:

يا معشر قريش، إنى قد جئت كسرى فى ملكة و قيصر فى ملكه و النجاشى فى ملكه، و إنى و الله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه! و لقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا فروا رأيكم.

و دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خراش بن أمية الخزاعى «۱» فحمله على بعير له و بعثه إلى قريش ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به الجمل و أرادوا قتله فمنعته الاحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و بعثت قريش أربعين رجلا أو خمسين و أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا، فأخذوا أخذا، فأتى بهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فخلى سبيلهم.

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يا رسول الله، إنى أخاف قريشا على نفسى، و ليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى، و قد عرفت قريش عداوتى إياها و غلظتى عليها، و لكنى أدلك على رجل أعز بها منى: عثمان بن عفان.

فدعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عثمان فبعثه إلى أبى سفيان و أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب و أنه جاء زائرا لهذا البيت و معظما لحرمته؛ فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره.

و قال له فيما ذكره غير ابن إسحاق: أقبل و أدبر و لا تخف أحدا بنو سعيد أعزة الحرم.

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان و عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما أرسله به، فقالوا له حين فرغ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال: ما كنت لأفعل

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۲۲۳۸)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۴۲۸)، الثقات (۳/ ۱۰۷)، الطبقات الكبرى (۴/ ۱۳۹)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۵۷)، المغازى للواقدى (۶۰۰)، الجرح و التعديل (۳/ ۳۹۲)، تاريخ الطبرى (۳/ ۶۳۱)، الوافى بالوفيات

(۱۳/ ۳۰۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۸

حتى يطوف به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و المسلمين أن عثمان قد قتل، فقال حين بلغه ذلك: «لا نبرح حتى نناجز القوم» «۱».

و دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم على الموت.

و كان جابر يقول: بايعنا على أن لا نفرّ.

فبايع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الناس و لم يختلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس لصق بإبط ناقته يستتر بها من الناس.

ثم أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن الذى كان من أمر عثمان باطل. و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بايع لعثمان: ضرب بإحدى يديه على الأخرى و قال: «هذه يد عثمان».

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو و قالوا: ايت محمدا فصالحه و لا يكون فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فو الله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا.

فأتى سهيل، فلما رآه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مقبلا قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل» «۲».

فلما انتهى إليه سهيل تكلم فأطال الكلام و تراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر و لم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أ ليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أ و لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أ و ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدنية «۳» فى ديننا! قال أبو بكر: يا عمر، الزم غرزه فإنى أشهد أنه رسول الله. قال عمر: و أنا أشهد أنه رسول الله.

ثم أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله، أ لست برسول الله؟ قال: «بلى». قال: أ و لسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى». قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى» «۴». قال: فعلام

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۶۷).

(۲) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۲۲۱)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۱۴۵).

(۳) الدنية: الذل و الصغار و الخسيس من الأمر.

(۴) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۱۴۱۲، ۲۱۵۱)، السلسلة الصحيحة للألبانى (۳۱۳)، صحيح البخارى (۴/ ۲۶، ۱۲۵)، المعجم الكبير للطبرانى (۶/ ۱۰۹، ۸/ ۲۷۵)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۳۱۲، ۵/ ۶۷)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۷۹۰۵، ۲۹۹۹۳، ۳۰۱۵۴، ۳۷۱۵۵)، فتح البارى لا بن حجر (۷/ ۸)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۱/ ۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۶۹

نعطى الدنية فى ديننا؟! قال: «أنا عبد الله و رسوله لن أخالف أمره و لن يضيعنى» «۱».

فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق و اصوم و اصلى و أعتق من الذى صنعت- يومئذ- مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أنه يكون خيرا.

ثم دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» «۲»، فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا، و لكن اكتب: باسمك اللهم.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اكتب باسمك اللهم» «۳». فكتبها ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن

عمرو». فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو. اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، و من جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، و أن بيننا عيبة مكفوفة، و أنه لا إسلال و لا إغلال «۴»، و أنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد و عهده دخل فيه، و من أحب أن يدخل فى عقد قريش و عهدهم دخل فيه» «۵».

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن فى عقد محمد و عهده. و تواثبت بنو بكر فقالوا: نحن فى عقد قريش و عهدهم.

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۵/ ۲۰۱)، صحيح مسلم فى كتاب النكاح (۱۳۵)، السنن الكبرى للبيهقى (۷/ ۲۲۹)، التاريخ الكبير للبخارى (۳/ ۲۱۷)، تفسير ابن كثير (۴/ ۶۹، ۷/ ۳۳۰)، زاد المسير لابن الجوزى (۷/ ۴۲۵)، موارد الظمآن للهيثمى (۱۳۰۵، ۱۷۰۵، ۲۱۲۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۵۶)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱/ ۱۰۹، ۱۱۳).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۲۶۸، ۴/ ۸۶، ۳۲۵، ۳۳۰)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۲۲۰، ۲۲۷)، مصنف عبد الرزاق (۹۷۲۰)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۴۵، ۱۴۶)، تفسير ابن كثير (۱/ ۳۶، ۷/ ۳۲۴)، تفسير الطبرى (۲۶/ ۵۹، ۶۳)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۵۰۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۶۲۷، ۳۰۱۵۱، ۳۰۱۵۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۷۵).

(۳) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۴/ ۸۶، ۳۲۵، ۳۳۰)، تفسير ابن كثير (۷/ ۳۲۴)، تفسير الطبرى (۲۶، ۵۹، ۶۳)، فتح البارى لابن حجر (۵/ ۳۳۱، ۷/ ۵۰۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۰۱۵۴).

(۴) الأسلال: أى السرقة الخفية. و الأغلال: أى الخيانة.

(۵) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۴۲، ۴/ ۸۷)، تفسير الطبرى (۱۳/ ۱۰۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۰

«و أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، و أنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب: السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها».

فبينا رسول الله يكتب الكتاب هو و سهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل ابن عمرو يرسف «۱» فى الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قد كان أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خرجوا و هم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما رأوا ما رأوا من الصلح و الرجوع و ما يحمل عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون.

فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه و أخذ بتلبيبه ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية بيتى و بينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت. فجعل ينتره بتلبيبه و يجره ليرده إلى قريش، و جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟! فزاد الناس ذلك إلى ما بهم.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «يا أبا جندل اصبر و احتسب، فإن الله جاعل لك و لمن معك من المسلمين فرجا و مخرجا، إنا قد عقدنا بيننا و بين القوم صالحا و أعطيناهم على ذلك و أعطونا عهد الله، و إنا لا نغدرهم» «۲».

فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه و يقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون و إنما دم أحدهم دم كلب!- و يدنى قائم السيف منه- يقول عمر:

رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضن الرجل بأبيه و نفذت القضية.

فلما فرغ من الكتاب اشهد رجالا من المسلمين و رجالا من المشركين، أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب و عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن سهيل بن عمرو، و سعد ابن أبى وقاص و محمود بن مسلمة، و مكرز بن حفص و هو مشرك و على بن أبى طالب و هو كان كاتب الصحيفة.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مضطربا فى الحل و كان يصلى فى الحرم، فلما فرغ من الصلح

---

(۱) انظر ترجمته فى: الثقات (۵/ ۵۶۸)، الإصابة ترجمة رقم (۹۶۹۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۷۷۵).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۴/ ۳۲۵)، تفسير ابن كثير (۷/ ۳۳۰)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۷/ ۱۳۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۶۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۱

قام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه و أهدى عامئذ فى هداياه جملا لأبى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين. فلما رآه الناس قد نحر و حلق تواثبوا ينحرون و يحلقون، و كان فيهم- يومئذ- من قصر فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «يرحم الله المحلقين». قالوا: و المقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين». قالوا: و المقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» «۱». قالوا: و المقصرين يا رسول الله؟ قال:

«و المقصرين» «۲». فقالوا: يا رسول الله، فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟

قال: «لم يشكوا» «۳».

ثم انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من جهة ذلك قافلا، حتى إذا كان بين مكة و المدينة نزلت سورة الفتح: إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً.

ثم ذكر القصة فيه و فى أصحابه، حتى إذا انتهى إلى ذكر البيعة فقال: إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً. ثم ذكر من تخلف عنهم من الأعراب فاستوفى قصتهم. ثم قال: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً وَ مَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ وَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ. عَنْكُمْ وَ لِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً وَ أُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً. ثم قال: وَ هُوَ

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۵۳، ۲/ ۱۶، ۴/ ۷۰، ۶/ ۴۰۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۵/ ۱۳۴)، مشكل الآثار للطحاوى (۲/ ۱۴۴)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۲/ ۱۰۱)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۲۷۳۸، ۱۲۷۳۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۶۹، ۵/ ۱۸۹)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۴/ ۴۵۲، ۴۵۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۱۵۱).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۹۴۵، ۶۴۹)، سنن الترمذى (۹۱۲)، سنن ابن ماجه (۳۰۴۴)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۵۳، ۲/ ۷۹، ۱۳۸، ۲۳۱، ۴۱۱، ۴/ ۷۰، ۵/ ۳۸۱، ۶/ ۳۹۳، ۴۰۲)، سنن الدارمى (۲/ ۶۴)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۴/ ۴۵۲، ۴۵۳)، موطأ مالك (۳۹۵)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۱۵۱)، المعجم الكبير للطبرانى (۱۹/ ۲۷۵)، شرح السنة للبغوى (۷/ ۲۰۲).

(۳) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۵۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۲

الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً، يعنى النفر الذين وجهت قريش بهم ليصيبوا من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أحدا فلم ينالوا شيئا و أخذوا لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم بجملتهم

و سیقوا إلیه فخلی سبیلهم.

ثم قال بعد: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ یعنی سهیل ابن عمرو حین حمی أن یکتب: بسم الله الرحمن الرحیم. و أن محمدا رسول الله:

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى وَ كانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها، أی التوحید: شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبد و رسوله.

ثم قال: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا أی لرؤیا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم التی رأی أنه سیدخل مکة آمنا لا یخاف. و قد قال لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما قدم المدینة بعض من کان معه: أ لم تقل یا رسول الله أنک تدخل مکة آمنا؟ قال: «بلی»، قال:

«أ فقلت لکم من عامی هذا؟» قالوا: لا. قال: «فهو کما قال لی جبریل» «۱» فحقق له سبحانه من موعده ما أنجزه له بعد و صدقه بقوله جل قوله: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ معه فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً صلح الحدیبیة.

یقول الزهری: فما فتح فی الإسلام فتح قبله کان أعظم منه، إنما کان القتال حیث التقی الناس، فلما کانت الهدنة و وضعت الحرب و أمن الناس کلهم بعضهم بعضا و التقوا فتفاوضوا فی الحدیث و المنازعة، فلم یکلم أحد بالإسلام یعقل شیئا إلا دخل فیه، فلقد دخل فی تینک السنتین مثل من کان فی الإسلام قبل ذلک و أکثر.

قال ابن هشام «۲»: و الدلیل علی ما قال الزهری أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خرج إلی الحدیبیة فی ألف و أربعمائة فی قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مکة بعد ذلک بسنتین فی عشرة آلاف.

و ذکر ابن عقبة أنه لما کان صلح الحدیبیة قال رجال من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البیت و صد هدینا. فبلغ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قول أولئک فقال:

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۴/ ۳۳۱)، تفسیر ابن کثیر (۸/ ۱۲۰).

(۲) انظر السیرة (۳/ ۲۹۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۷۳

«بئس الکلام هذا، بل هو أعظم الفتوح، قد رضی المشرکون أن یدفعوکم بالراح عن بلادهم و یسألوکم القضیة و یرغبوا إلیکم فی الأمان، و قد رأوا منکم ما کرهوا و أظفرکم الله علیهم وردکم سالمین مأجورین، فهو أعظم الفتوح، أ تنسون یوم أحد إذ تصعدون و لا تلوون علی أحد و أنا أدعوکم فی أخراکم؟! أنسیتم یوم الأحزاب إذ جاؤکم من فوقکم و من أسفل منکم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا؟» «۱» فقال المسلمون: صدق الله و رسوله فهو أعظم الفتوح، و الله ما فکرنا فیما فکرت فیه، و لأنت أعلم بالله و أمره منا.

و فی الصحیح من حدیث سهل بن حنیف أنه قال یوم صفین: یا أیها الناس اتهموا رأیکم علی دینکم، فلقد رأیتنی یوم أبی جندل و لو أستطیع أن أراد أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لرددته و الله و رسوله أعلم.

و خرج البخاری من حدیث البراء بن عازب قال: تعدون أنتم الفتح فتح مکة و قد کان فتح مکة فتحا، و نحن نعد الفتح بیعة الرضوان یوم الحدیبیة، کنا مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أربع عشرة مائة و الحدیبیة بئر، فنزحناها فلم نترک فیها قطرة، فبلغ ذلک النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فأتاها فجلس علی شفیرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض و دعا ثم صبه فیها فترکناها غیر بعید، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن و رکابنا.

و عن سالم بن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به و لا يشرب إلا ما فى ركوتك. قال: فوضع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قال: فشربنا و توضأنا؛ فقلت لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة «۲».

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۱۶۰)، الدر المنثور للسيوطى (۶/ ۶۸).

(۲) الحديث عن نبع الماء من بين أصابع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و انبجاسه و تدفقه و فورانه متعدد المواضع لتكرر حدوثه، و هو محكى فى البخارى الصحيح ج ۱ ص ۸۹، ۱۰۰، ۱۰۲ (كتاب الوضوء)، ج ۵ ص ۳۵، ۳۶، ۳۸ (كتاب المناقب)، ج ۴ ص ۲۶۰، (باب غزوة الحديبية)، مسلم. الجامع الصحيح ج ۲ ص ۱۳۸- ۱۴۱ (كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة و استحباب تعجيل قضائها)، ج ۷ ص ۵۹ (كتاب الفضائل، باب معجزات النبىّ صلى اللّه عليه و سلم)، ج ۸ ص ۲۳۵، ۲۳۶ (كتاب الزهد و الرقائق، حديث جابر الطويل و قصة أبى اليسر). و راجع: ابن جماعة، المختصر الصغير (ص ۶۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۴

و ذكر ابن عقبة عن ابن عباس قال: لما رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الحديبية كلمة بعض أصحابه فقالوا: جهدنا و فى الناس ظهر فانحروه لنا فلنأكل من لحومه و لندهن من شحومه و لنحتذ من جلوده. فقال عمر: لا تفعل يا رسول الله، فإن الناس إن يكن فيهم بقية ظهر أمثل. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ابسطوا أنطاعكم و عباءكم» «۱» ففعلوا، ثم قال: الاكتفاء، الكلاعى ج ۱ ۴۷۴ غزوة الحديبية ..... ص : ۴۶۴

من كان عنده بقية من زاد و طعام فلينثره» و دعا لهم، ثم قال لهم: «قربوا أوعيتكم» «۲».

فأخذوا ما شاءوا.

قال ابن إسحاق «۳»: و لما قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة- يعنى من الحديبية- أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن حارثة «۴»- و كان ممن حبس بمكة- فكتب فيه أزهر بن عبد عوف و الأخنس بن شريق إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بعثا رجلا من بنى عامر بن لؤىّ و معه مولى لهم، فقدما على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالكتاب، فقال صلى اللّه عليه و سلم: «يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت و لا يصلح لنا فى ديننا الغدر، و إن الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا» «۵».

فانطلق معهما حتى إذا كان بذى الحليفة جلس إلى جدار و جلس معه صاحباه، فقال أبو بصير. أ صارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر؟

فقال: نعم. قال أنظر إليه قال: إن شئت فاسله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله.

و ذكر ابن عقبة أن الرجل هو الذى سل سيفه ثم هزه فقال: لأضربن بسيفى هذا فى الأوس و الخزرج يوما إلى الليل، فقال له أبو بصير: و صارم سيفك هذا؟ فقال: نعم.

فقال: ناولنيه أنظر إليه؛ فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد. قال: و يقال: بل تناول أبو بصير سيف الرجل بفيه و هو نائم فقطع إساره ثم ضربه به حتى برد، و طلب الآخر، فجمز مرعوبا مستخفيا حتى دخل المسجد و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جالس فيه يطن الحصباء من شدة سعيه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين رآه: «لقد رأى هذا ذعرا». قال ابن

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۳۵۴)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۱۱۶)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۵/ ۴۷۹)، فتح البارى لابن حجر (۸/ ۴۶).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۱۱۹).

(۳) انظر السيرة (۳/ ۲۹۶).

(۴) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۹۶۳۳)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۷۳۴).

(۵) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۲۲۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۵

إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «و يحك مالك؟» «۱» قال: قتل صاحبكم صاحبى. فو الله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف فقال: يا رسول الله، وفت ذمتك و أدى الله عنك، أسلمتنى بيد القوم و قد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «و يلمه محش حرب «۲» لو كان معه رجال» «۳».

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذوا إلى الشام، و بلغ المسلمين الذين كانوا احتسبوا بمكة قول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لأبى بصير: «و يلمه محش حرب لو كان معه رجال» فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا منهم.

و ذكر موسى بن عقبة أن أبا جندل بن سهيل بن عمرو الذى رد على قريش مكرها يوم القضية هو الذى انفلت فى سبعين راكبا أسلموا و هاجروا فلحقوا بأبى بصير و كرهوا الثواء بين أظهر قومهم، فنزلوا مع أبى بصير فى منزل كريه إلى قريش فقطعوا مادتهم من طريق الشام. قال: و كان أبو بصير- زعموا- و هو فى مكانه ذلك يصلى لأصحابه، فلما قدم عليهم أبو جندل كان هو يؤمهم.

و اجتمع إلى أبى جندل ناس من غفار و أسلم و جهينه و طوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل و هم مسلمون، فأقاموا مع أبى جندل و أبى بصير، لا يمر بهم عير لقريش إلا اخذوها و قتلوا أصحابها. و قال فى ذلك أبو جندل فيما ذكره غير ابن عقبة:

أبلغ قريشا عن أبى جندلأنا بذى المروة بالساحل

فى معشر تخفق أيمانهمبالبيض فيها و القنا الذابل

يأبون أن يبقى لهم رفقةمن بعد إسلامهم الواصل

أو يجعل الله لهم مخرجاو الحق لا يغلب بالباطل

فيسلم المرء بإسلامهأو يقتل المرء و لم يأتل

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن أبو داود (۴۵۱۹)، السنن الكبرى للبيهقى (۴/ ۲۲۶).

(۲) محش حرب: أى أنه يوقد الحرب و يهيجها و يشعل نارها.

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۳/ ۲۵۷)، سنن أبى داود فى كتاب الجهاد باب (۱۶۷)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۳۳۱)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۲۲۱، ۲۲۲، ۲۲۶، ۲۲۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۱۰۷، ۶۷۳)، الدر المنثور للسيوطى (۶/ ۷۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۷۶)، مصنف عبد الرزاق (۹۷۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۶

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أبا سفيان بن حرب يسألونه و يتضرعون إليه أن يبعث إلى أبى بصير و إلى أبى جندل بن سهيل و من معهم فيقدموا عليه و قالوا: من خرج منا إليك فأمسكه فى غير حرج، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره.

فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يمنع أبا جندل من ابيه بعد القضية أن طاعة رسول الله خير فيما أحبوا و فيما كرهوا، و أن رأيه أفضل من رأيهم و من رأى من ظن أن له قوة و رأيا، و علم أن ما خص الله به نبيه من العون و الكرامة أفضل.

و كتب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى أبى جندل و أبى بصير يأمرهم أن يقدموا عليه و يأمر من معهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم و أهليهم و لا يعرضوا لأحد مر بهم من قريش و عيراتها، فقدم كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم- زعموا- على أبى جندل و أبى بصير و أبو بصير يموت، فمات و كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى يده يقرؤه. فدفنه أبو جندل مكانه و جعل عند قبره مسجدا.

و قدم أبو جندل على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معه أناس من أصحابه و رجع سائرهم إلى أهليهم و أمنت عيرات قريش.

فلم يزل أبو جندل مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و شهد ما أدرك من المشاهد بعد ذلك و شهد الفتح، و رجع مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلم يزل معه بالمدينة حتى توفى صلوات الله عليه و سلامه و قدم أبوه سهيل بن عمرو المدينة أول إمارة عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- فمكث بها أشهر ثم خرج مجاهدا إلى الشام و خرج معه ابنه أبو جندل، فلم يزالا مجاهدين حتى ماتا جميعا هناك، يرحمهما الله.

و هاجرت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى تلك المدة أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط «۱»، فخرج أخواها عمارة و الوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه و بين قريش فى الحديبية، فلم يفعل، أبى الله ذلك و أنزل فيه على رسوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ

(۱) انظر ترجمتها فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۲۲۳۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۷۵۸۵)، الطبقات الكبرى (۸/ ۲۳۰)، تهذيب التهذيب (۱۲/ ۴۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۷

أُجُورَهُنَّ وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَ سْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَ لْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الممتحنة: ۹- ۱۰].

غزوة خيبر

و لما قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة من الحديبية مكث بها ذا الحجة منسلخ سنة ست، و بعض المحرم من سنة سبع.

ثم خرج فى بقية منه إلى خيبر غازيا.

و كان الله وعده إياها و هو بالحديبية بقوله عز من قائل: وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ [الفتح: ۲۰] يعنى بالمعجل صلح الحديبية، و المغانم الموعود بها فتح خيبر.

فخرج إليها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مستنجزا ميعاد ربه و واثقا بكفايته و نصره، و دفع الراية إلى على بن أبى طالب- و كانت بيضاء- فسلك على عصر فبنى له فيها مسجدا، ثم على الصهباء، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم و بين غطفان ليحول بينهم و بين أن يمدوا أهل خيبر و كانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فذكر أن غطفان لما سمعت منزله من خيبر جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم فى أموالهم و أهليهم حسا ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم و أموالهم و خلوا بين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و خيبر.

قال أبو معتب بن عمرو: لما أشرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على خيبر قال لأصحابه و أنا فيهم: «قفوا» «۱». ثم قال: «اللهم رب السموات السبع و ما أظللن، و رب الأرضين السبع و ما أقللن، و رب الشياطين و ما أضللن، و رب الرياح و ما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية و خير أهلها و خير ما فيها، و نعوذ بك من شرها و شر أهلها و شر ما فيها» ثم قال: «أقدموا بسم الله» «۲». قال: و كان يقولها

لكل قرية دخلها.

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۱/ ۱۳۴).

(۲) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۱/ ۴۴۶، ۲/ ۱۰۰)، تفسير القرطبى (۸/ ۱۷۵)، مشكل الآثار للطحاوى (۲/ ۳۱۲، ۳/ ۲۱۵)، زاد المسير لابن الجوزى (۸/ ۲۹۹)، الدر المنثور للسيوطى (۴/ ۲۲۴)، التاريخ الكبير للبخارى (۶/ ۴۷۲)، المعجم الكبير للطبرانى (۸/ ۳۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۸۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۲۰۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۸

و قال أنس بن مالك: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذانا أمسك و إن لم يسمع أذانا أغار، فنزلنا خيبر ليلا، فبات رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى إذا اصبح لم يسمع أذانا فركب و ركبنا معه، فركبت خلف أبى طلحة و إن قدمى لتمس قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و استقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم و مكاتلهم، فلما رأوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و الجيش قالوا: محمد و الخميس معه. فأدبروا هرابا، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «الله أكبر، خربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» «۱».

قال ابن إسحاق «۲»: و تدنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الأموال يأخذها مالا مالا و يفتحها حصنا حصنا، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، و عنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه رحى منه فقتله، ثم القموص حصن أبى الحقيق، و أصاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم منهم سبايا منهن صفية بنت حيى بن أخطب، و كانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق و بنتى عم لها، فاصطفى صفية لنفسه بعد أن سأله إياها دحية بن خليفة الكلبى، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها، و كان بلال هو الذى جاء بصفية و بأخرى معها فمر بها على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت و صكت وجهها و حثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «أغربوا عنى هذه الشيطانة» «۳»، و أمر بصفية فحيزت خلفه و ألقى عليها رداؤه، فعرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه، فذكر أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لبلال حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: «أ نزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامراتين على قتلى رجالهما؟!» «۴».

و كانت صفية قد رأت فى المنام و هى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق أن قمرا وقع فى حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا! فلطم وجهها لطمة حضر عينها منها. فأتى بها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بها أثر منه فسألها ما هو فأخبرته الخبر.

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۱/ ۱۰۴، ۱۵۹، ۲/ ۱۹، ۴/ ۵۸، ۲۵۳)، صحيح مسلم (۱۰۴۳، ۱۰۴۴)، سنن النسائى (۶/ ۱۳۲)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۱۰۲، ۱۶۴، ۱۸۶، ۲۴۶، ۲۶۳)، السنن الكبرى للبيهقى (۲/ ۲۳۰، ۹/ ۵۵، ۷۹، ۸۰، ۱۵۲)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۲۱۵)، موطأ مالك (۴۶۹)، مصنف ابن أبى شيبة (۱۴/ ۴۶۱)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱/ ۷۷، ۷۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۸۳، ۱۸۴، ۱۹۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۲۰۳، ۲۲۷).

(۲) انظر السيرة (۳/ ۳۰۴).

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۹۷).

(۴) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۹۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۷۹

و لما أعرس بها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بخيبر أو ببعض الطريق و بات بها فى قبة له، بات أبو أيوب الأنصارى متوشحا السيف

یحرسه و یطیف بالقبة حتی أصبح رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فلما رأی مکانه قال: «ما لک یا أبا أیوب؟» قال: یا رسول الله خفت علیک من هذه المرأة، و کانت امرأة قد قتلت أباها و زوجها و قومها و کانت حدیثة عهد بکفر فخفتها علیک.

فزعموا أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «اللهم احفظ أبا أیوب کما بات یحفظنی» «۱».

و أتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بکنانة بن الربیع- و کان عنده کنز بنی النضیر- فساله عنه فجحد أن یکون یعلم مکانه، فأتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم برجل من یهود فقال: إنی رأیت کنانة یطیف بهذه الخربة کل غداة. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لکنانة: أ رأیت إن وجدناه عندک أقتلک؟ قال: نعم. فأمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض کنزهم ثم سأله ما بقی فأبی أن یریه، فأمر به الزبیر بن العوام فقال: عذبه حتی تستأصل ما عنده. فکان الزبیر یقدح بزند فی صدره حتی أشرف علی نفسه ثم دفعه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخیه محمود بن مسلمة.

و فشت السبایا من خیبر فی المسلمین و أکل المسلمون لحوم الحمر من حمرها.

قال ابن عقبة: کانت أرضا و خیمة شدیدة الجهد، فجهد المسلمون جهدا شدیدا و أصابهم مسغبة شدیدة فوجدوا أحمرة إنسیة لیهود لم یکونوا أدخلوها الحصن فانتحروها، ثم وجدوا فی أنفسهم من ذلک، فذکروها لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم فنهاهم عن أکلها.

قال أبو سلیط فیما ذکر ابن إسحاق: أتانا نهی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عن أکل لحوم الحمر الإنسیة و القدور تفور بها فکفأناها علی وجوهها.

و ذکر- أیضا- أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قام- یومئذ- فی الناس فنهاهم عن أمور سماها لهم، قال مکحول: نهاهم- یومئذ- عن أربع: عن إتیان الحبالی من النساء، و عن أکل الحمار الأهلی، و عن أکل کل ذی ناب من السباع، و عن بیع المغانم حتی تقسم.

و حدث جابر بن عبد الله و لم یشهد خیبر: أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین نهی الناس عن أکل لحوم الحمر أذن لهم فی لحوم الخیل.

---

(۱) انظر الحدیث فی: کنز العمال للمتقی الهندی (۳۷۸۰۵)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۲۱۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۸۰

و افتتح رویفع بن ثابت قریة من قری المغرب یقال لها: جربه، فقال خطیبا فقال: یا أیها الناس، إنی لا أقول لکم إلا ما سمعت من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول فینا یوم خیبر، قام فینا فقال: «لا یحل لامرئ یؤمن بالله و الیوم الآخر أ، یصیب امرأة من السبی حتی یستبرئها، و لا یحل لامرئ یؤمن بالله و الیوم الآخر أن یبیع مغنما حتی یقسم، و لا یحل لامرئ یؤمن بالله و الیوم الآخر أن یرکب دابة من فیء المسلمین حتی إذا أعجفها ردها فیه، و لا یحل لامرئ یؤمن بالله و الیوم الآخر أن یلبس ثوبا من فیء المسلمین حتی إذا أخلقه رده فیه» «۱».

و قال عبادة بن الصامت: نهانا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یوم خیبر أن نبیع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العین، و تبر الفضة بالورق العین، و قال: «ابتاعوا تبر الذهب بالورق العین، و تبر الفضة بالذهب العین».

و لما أصاب المسلمین بخیبر ما أصابهم من الجهد أتی بنو سهم من أسلم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم. فقالوا: یا رسول الله، لقد جهدنا و ما بأیدینا من شیء. فلم یجدوا عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم شیئا یعطیهم إیاه، فقال: «اللهم إنک قد عرفت حالهم و أن لیست بهم قوة و أن لیس بیدی شیء أعطیهم إیاه فافتح علیهم أعظم حصونها عنهم غناء و أکثرها طعاما و ودکا» «۲». فغدا الناس و فتح الله علیهم حصن الصعب بن معاذ، و ما بخیبر کان أکثر طعاما و ودکا منه.

و لما افتتح رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من حصونهم ما افتتح و حاز من الأموال ما حاز انتهوا إلی حصنیهم «الوطیح» و «السلالم» و کانا آخر حصون أهل خیبر افتتاحا، فحاصرهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بضع عشرة لیلة، و خرج مرحب الیهودی من حصنهم قد

جمع سلاحه و هو ينادى: من يبارز، و يرتجز:

قد علمت خيبر أنى مرحب‌شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا و حينا أضرب‌إذا الليوث أقبلت تحرب

إن حماى للحمى لا يقرب

(۱) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (۲۱۵۸، ۲۱۵۹)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۱۰۸، ۶/ ۳۸۵)، إرواء الغليل للألبانى (۱/ ۲۰۱)، شرح السنة للبغوى (۹/ ۳۲۱)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۴/ ۳۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۹۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۲۴).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۲۲۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۸۱

فأجابه كعب بن مالك فقال:

قد علمت خيبر أنى كعب‌مفرج الغمى جرى‌ء صلب

حيث تشب الحرب ثم الحرب‌معى حسام كالعقيق عضب

نطؤكم حتى يذل الصعب‌نعطى الجزاء أو يفاء النهب

بكف ماض ليس فيه عتب

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من لهذا؟» قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا و الله الموتور الثائر، قتل أخى بالأمس. قال: «فقم إليه، اللهم أعنه عليه» «۱». فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر فجعل أحدهما يلوذ بها من صحابه، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه و صارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيفه فيها فعضت به فأمسكته، و ضربه محمد بن مسلمة حتى قتله.

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر و هو يقول: من يبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام، فيما ذكر هشام بن عروة- فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابنى يا رسول الله، قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله. فخرج الزبير فالتقيا فقتله الزبير.

و حدث سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار «۲»» فدعا على بن أبى طالب- رضى الله عنه- و هو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال: «خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك» «۳». فخرج و هو يهرول بها هرولة و إنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال:

من أنت؟ قال: أنا على بن أبى طالب. قال: اليهودى: علوتم و ما أنزل على موسى- أو كما قال- فما رجع حتى فتح الله على يديه.

و قال أبو رافع، مولى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: خرجنا مع على- رضى الله عنه- حين بعثه

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۸۵)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۳۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۵۰)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۲۱۵)، كنز (۳۰۱۲۲).

(۲) انظر الحديث فى: السنة لابن أبى عاصم (۲/ ۶۰۸)، الأسماء و الصفات للبيهقى (۴۹۸).

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۲۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۸۲

رسول الله صلى اللّه عليه و سلم برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول

علىّ بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

و حدث أبو اليسر كعب بن عمرو قال: إنا لمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم و نحن محاصروهم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟» «۱» فقال أبو اليسر: أنا يا رسول الله، قال: «فافعل». قال:

فخرجت أشتد مثل الظليم، فلما رآنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم موليا قال: «اللهم أمتعنا به!» «۲» قال: فأدركت الغنم و قد دخلت أولاها الحصن فأخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدى ثم أقبلت بهما أشتد كأنه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فذبحوهما فأكلوهما. فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم موتا، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال: أمتعوا بى لعمرى حتى كنت من آخرهم!

و حاصر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أهل خيبر فى حصنيهم «الوطيح» و «السلالم» حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم و أن يحقن لهم دماءهم ففعل. و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد حاز الأموال كلها: الشق و نطاة و الكتيبة؛ و جميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سألوه أن يسيرهم و أن يحقن لهم دماءهم و يخلوا له الأموال ففعل.

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يعاملهم فى الأموال على النصف، و قالوا: نحن أعلم بها منكم و أعمر لها، فصالحهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين.

و كانت فدك خالصة لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل و لا ركاب.

فلما اطمأن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية. و قد سألت أى عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل لها: الذراع فأكثرت فيها من السم. ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۴۲۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۴۹).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۴۲۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۱۹۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۸۳

منها مضغة فلم يسغها و معه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأما بشر فأساغها و أما رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلفظها ثم قال: «إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم» «۱». ثم دعا بها فاعترفت. فقال: «ما حملك على ذلك؟» «۲» قالت: بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت: إن كان ملكا استرحت منه؛ و إن نبيا فسيخبر. فتجاوز عنها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و مات بشر بن البراء من أكلته التى أكل.

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تناول الكتف من تلك الشاة فانتهش منها و تناول بشر عظما فانتهش منه؛ فلما استرط رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لقمته استرط بشر ما فى فيه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرنى أنى بغيت فيها». فقال بشر بن البراء: و الذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها إلا أنى اعظمت أن أنغصك طعامك، فلما أسغت ما فى فيك لم أكن أرغب بنفسى عن نفسك، و رجوت أن لا تكون استرطتها و فيها بغى.

فلم یقم بشر من مکانه حتی عاد لونه مثل الطیلسان و ماطله وجعه حتی کان لا یتحول إلا ما حول.

قال جابر بن عبد الله: و احتجم رسول الله صلی الله علیه و سلم- یومئذ- علی الکاهل، حجمه أبو طیبة مولی بنی بیاضة. و بقی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعده ثلاث سنین حتی کان وجعه الذی توفی منه، فدخلت علیه أم بشر، بنت البراء بن معرور تعوده فیما ذکر ابن إسحاق فقال لها: «یا أما بشر: إن هذه لأوان وجدت انقطاع أبهری من الأکلة التی أکلت مع أخیک بخیبر» «۳».

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۲۱۱).

(۲) انظر الحدیث فی: سنن ابن ماجه (۲۰۶۵)، السنن الکبری للبیهقی (۷/ ۳۸۶، ۹/ ۱۴۷)، مستدرک الحاکم (۱/ ۴۸۳، ۳/ ۳۰۱)، المعجم الکبیر للطبرانی (۱/ ۲۲۷، ۱۱/ ۲۳۶)، مجمع الزوائد للهیثمی (۸/ ۲۹۵، ۲۹۶، ۹/ ۳۰۳، ۳۰۴)، مصنف عبد الرزاق (۱۵۲۵، ۱۵۲۶)، الطبقات الکبری لابن سعد (۸/ ۱۰۹)، الدر المنثور للسیوطی (۳/ ۳۵۳، ۶/ ۱۸۳)، مشکاة المصابیح للتبریزی (۳۳۰۲)، فتح الباری لابن حجر (۱۷/ ۴۹۷)، إرواء الغلیل للألبانی (۷/ ۱۷۹)، تهذیب تاریخ دمشق لابن عساکر (۵/ ۱۰۰)، العلل المتناعیة لابن الجوزی (۱/ ۲۲۹).

(۳) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۲۱۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۸۴

قال: فإن کان المسلمون لیرون أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مات شهیدا مع ما أکرمه الله من النبوة.

و لما فرغ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من خیبر انصرف إلی وادی القری فحاصر أهله لیالی ثم انصرف راجعا إلی المدینة.

قال أبو هریرة: لما انصرفنا مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عن خیبر إلی وادی القری نزلناها أصلا مع مغرب الشمس، و مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم غلام أهداه له رفاعة بن زید الجذامیّ ثم الضبیبی، فو الله إنه لیضع رحل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إذ أتاه سهم غرب فأصابه فقتله، فقلنا:

هنیئا له الجنة. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «کلا و الذی نفس محمد بیده، إن شملته- الآن- لتحرق علیه فی النار، کان غلها من فیء المسلمین یوم خیبر» «۱». فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأتاه فقال له: یا رسول الله، أصبت شراکین لنعلین لی. فقال:

«یقد لک مثلهما من النار» «۲».

و خرج مسلم فی صحیحه من حدیث عمر بن الخطاب- رضی الله عنه- قال: لما کان یوم خیبر أقبل نفر من صحابة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فقالوا: فلان شهید و فلان شهید حتی مروا علی رجل فقالوا: فلان شهید. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «کلا، إنی رأیته فی النار فی بردة غلها أو عباءة». ثم قال: «یا بن الخطاب، أذهب فناد فی الناس: إنه لا یدخل الجنة إلا المؤمنون» «۳». قال: فخرجت فنادیت: ألا إنه لا یدخل الجنة إلا المؤمنون.

و شهد خیبر مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نساء من نساء المسلمات، فرضخ لهن علیه السلام من الفیء، و لم یضرب لهن بسهم. حدثت بنت [أبی] الصلت عن امرأة غفاریة سمتها قالت: أتیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی نسوة من بنی غفار و هو یسیر إلی خیبر: فقلن یا رسول الله، قد أردنا الخروج معک إلی وجهک هذا فنداوی الجرحی و نعین المسلمین بما استطعنا. فقال: «علی برکة الله» «۴». قالت: فخرجنا معه، فلما افتتح خیبر رضح لنا من

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۸/ ۱۷۹)، صحیح مسلم فی کتاب الإیمان باب (۴۸)، رقم (۱۸۳)، السنن الکبری للبیهقی (۹/ ۱۰۰)، مستدرک الحاکم (۳/ ۴۰)، التمهید لابن عبد البر (۲/ ۳).

(۲) انظر الحديث فی: مستدرک الحاکم (۳/ ۴۰).

(۳) انظر الحديث فی: صحيح مسلم، الجامع الصحيح (۱/ ۷۵)، کتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول.

(۴) انظر الحديث فی: مسند الإمام أحمد (۶/ ۳۸۰)، السنن الکبرى للبيهقی (۲/ ۴۰۷)، الطبقات الکبرى لابن سعد (۸/ ۲۱۴)، البداية و النهاية لابن کثير (۴/ ۲۰۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۸۵

الفیء و أخذ هذه القلادة التی تزين فی عنقی فأعطانيها و علقها بيده فی عنقی، فو الله لا تفارقنی أبدا. قالت: فکانت فی عنقها حتى ماتت ثم أوصت أن تدفن معها.

و استشهد بخيبر من المسلمين نحو من عشرين رجلا منهم عامر بن الأکوع عم سلمه ابن عمرو بن الأکوع؛ و کان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد قال له فی مسيره إلى خيبر: «انزل يا ابن الأکوع فخذ لنا من هناتک» «۱» فنزل يرتجز برسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال:

و الله لو لا الله ما اهتدينا و لا تصدقنا و لا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا و إن أرادوا فتنة أبينا

فأنزلن سکينة علينا و ثبت الأقدام إن لاقينا فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «يرحمک الله» «۲». فقال عمر بن الخطاب: وجبت و الله يا رسول الله لو أمتعتنا به! فقتل يوم خيبر شهيدا، و کان قتله أن سيفه رجع عليه و هو يقاتل فکلمه کلما شديدا فمات منه، فکان المسلمون قد شکوا فيه و قالوا: إنما قتله سلاحه، حتى سأل ابن أخيه سلمة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن ذلک و أخبره بقول الناس، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إنه لشهيد» «۳»، و صلى عليه. فصلى عليه المسلمون.

و منهم الأسود الراعی من أهل خيبر، و کان من حديثه أنه أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو محاصر لبعض حصون خيبر و معه غنم کان فيها أجيرا لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، أعرض علیّ الإسلام فعرضه عليه فأسلم. و کان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لا يحقر أحدا أن يدعوه إلى الإسلام و يعرضه عليه، فلما أسلم قال: يا رسول الله، إنی کنت أجيرا لصاحب هذه الغنم و هی أمانة عندی فکيف أصنع بها؟ قال: «اضرب فی وجوهها فإنها سترجع إلى ربها»- أو کما قال- فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء فرمى بها فی وجهها و قال: ارجعی إلى صاحبک فو الله لا أصحبک. و خرجت مجتمعة کأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم الأسود إلى ذلک الحصن ليقتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله، و ما صلى لله صلاة قط، فأتى به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فوضع خلفه و سجى بشملة کانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و معه نفر من أصحابه ثم أعرض

---

(۱) انظر الحديث فی: السنن الکبرى للبيهقی (۴/ ۱۶)، مجمع الزوائد للهيثمی (۶/ ۱۴۸)، التاريخ الکبير للبخاری (۸/ ۱۰۰)، فتح الباری لابن حجر (۷/ ۴۶۵)، الطبقات الکبرى لابن سعد (۴/ ۲/ ۳۷)، البداية و النهاية لابن کثير (۴/ ۱۸۲).

(۲) انظر الحديث فی: البداية و النهاية لابن کثير (۴/ ۱۸۳).

(۳) انظر الحديث فی: السنن الکبرى للبيهقی (۴/ ۱۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۸۶

عنه فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ قال: «إن معه- الآن- زوجتيه من الحور العين!».

و ذکر ابن إسحاق «۱» عن عبيد بن أبی نجيح أن الشهيد إذا ما أصيب نزلت زوجتاه من الحور العين عليه ينفضان التراب عن وجهه و يقولان: ترب الله وجه من تربک و قتل من قتلک.

قال: و لما افتتحت خيبر کلم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الحجاج بن علاط السلمی ثم البهزی فقال: يا رسول الله، إن لی بمکة مالا

عند صاحبتی أم شیبة بنت أبی طلحة و مالا متفرقا فی تجار أهل مکة، فأذن لی یا رسول الله فأذن له؛ قال: إنه لا بد لی یا رسول الله من أن أقول. قال: قل.

قال الحجاج: فخرجت حتی إذا قدمت مکة وجدت بثنیة البیضاء رجالا من قریش یتسمعون الأخبار و یسألون عن أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و قد بلغهم أنه سار إلی خیبر و عرفوا أنها قریة الحجاز ریفا و منعة و جالا، فهم یتحسسون الأخبار و یسألون الرکبان، فلما رأونی و لم یکونوا علموا بإسلامی قالوا: الحجاج بن علاط؟ عنده و الله الخبر، أخبرنا یا أبا محمد فإنه بلغنا أن القاطع سار إلی خیبر و هی بلد یهود و ریف الحجاز. قلت: قد بلغنی ذلک و عندی من الخبر ما یسرکم. قال: فالتبطوا بجنبی ناقتی یقولون: إیه یا حجاج؟ قلت: هزم هزیمة لم تسمعوا بمثلها قط و قتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط و أسر محمد أسرا، و قالوا: لا نقتله حتی نبعث به إلی مکة فیقتلونه بین أظهرهم بمن کان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا و صاحوا بمکة و قالوا: قد جاءکم الخبر و هذا محمد إنما تنظرون أن یقدم به علیکم فیقتل بین أظهرکم.

قال: فقلت أعینونی علی جمع مالی بمکة علی غرمائی فإنی أرید أن أقدم خیبر فأصیب به من أهل محمد و أصحابه قبل أن یسبقنی التجار إلی ما هنالک. فقاموا فجمعوا إلی مالی کأحث جمع سمعت به و جئت صاحبتی فقلت: مالی- و قد کان لی عندها مال موضوع- لعلی ألحق بخیبر فأصیب من فرص البیع قبل أن یسبقنی التجار.

قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر و جاءه عنی أقبل حتی وقف إلی جنبی و أنا فی خیمة من خیام التجار فقال: یا حجاج، ما هذا الذی جئت به؟ قلت: و هل عندک حفظ لما وضعت عندک؟ قال: نعم. قلت: فاستأخر عنی حتی ألقاک علی خلاء

---

(۱) انظر السیرة (۳/ ۳۲۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۸۷

فإنی فی جمع مالی کما تری فانصرف عنی حتی أفرغ قال: حتی إذا فرغت من جمع کل شیء کان لی بمکة و أجمعت الخروج لقیت العباس فقلت: احفظ علی حدیثی یا أبا الفضل- فإنی أخشی الطلب- ثلاثا ثم قل ما شئت. قال: أفعل. قلت: فإنی و الله لقد ترکت ابن أخیک عروسا علی بنت ملکهم- یعنی صفیة بنت حیی- و لقد افتتح خیبر و انتثل ما فیها و صارت له و لأصحابه. قال: ما تقول یا حجاج؟ قلت: إی و الله فاکتم عنی، و لقد أسلمت و ما جئت إلا لآخذ مالی فرقا من أن أغلب علیه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرک فهو و الله علی ما تحب.

قال: حتی إذا کان الیوم الثالث لبس العباس حلة له و أخذ عصاه ثم خرج حتی أتی الکعبة فطاف بها، فلما رأوه قالوا: یا أبا الفضل هذا و الله التجلد لحر المصیبة! قال: کلا و الله الذی حلفتم به، لقد افتتح محمد خیبر و ترک عروسا علی ابنة ملکهم و أحرز أموالهم و ما فیها فأصبحت له و لأصحابه. قالوا: من جاءک بهذا الخبر، قال: الذی جاءکم بما جاءکم به، و لقد دخل علیکم مسلما و أخذ ماله فانطلق لیلحق بمحمد و أصحابه فیکون معه. قالوا: یا عباد الله! انفلت عدو الله، أما و الله لو علمنا لکان لنا و له شأن. و لم ینشبوا أن جاءهم الخبر بذلک.

و قال کعب بن مالک الأنصاری فی یوم خیبر:

و نحن وردنا خیبرا و فروضهبکل فتی عاری الأشاجع مذود

جواد لدی الغایات لا واهن القویجریء علی الأعداء فی کل مشهد

عظیم رماد القدر فی کل شتوةضروب بنصل المشرفی المهند

یری القتل مدحا إن أصاب شهادةمن الله یرجوها و فوزا بأحمد

یذود و یحمی عن ذمار محمدو یدمع عنه باللسان و بالید

و ینصره من کل أمر یریبه‌یجود بنفس دون نفس محمد و ذکر ابن عقبة أن بنی فزارة قدموا علی أهل خیبر فی أول أمرهم لیعینوهم، فراسلهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أن لا یعینوهم و أن یخرجوا عنهم علی أن یعطیهم من خیبر شیئا سماه لهم، فأبوا علیه و قالوا: جیراننا و حلفاؤنا. فلما فتح الله خیبر أتاه من کان هناک من بنی فزارة فقالوا: الذی وعدتنا؟ فقال: «لکم ذو الرقیبة»- لجبل من جبال خیبر- قالوا: إذن نقاتلک؛ قال: «موعدکم جنفاء» فلما سمعوا ذلک من رسول الله خرجوا هاربین.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۸۸

قال ابن إسحاق «۱»: و کانت المقاسم علی أموال خیبر علی الشق و نطاة و الکتیبة، و کانت الشق و نطاة فی سهمان المسلمین، و کانت الکتیبة خمس الله و سهم النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و سهم ذوی القربی و المساکین و طعم أزواج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و طعم رجال مشوا بین رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و بین أهل فدک بالصلح.

و قسمت خیبر علی أهل الحدیبیة من شهد خیبر، و من غاب عنها، و لم یغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقسم له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کسهم من حضرها.

و فی هذه الغزوة بین رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سهمان الخیل و الرجال، فجعل للفرس سهمین و لفارسه سهما و للراجل سهما، فجرت المقاسم علی ذلک فیما بعد، و یومئذ عرب العربی من الخیل و هجن الهجین.

و ذکر ابن عقبة أنه قدم علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بخیبر نفر من الأشعریین فیهم أبو عامر الأشعری، قدموا المدینة مع مهاجرة الحبشة و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بخیبر، فمضوا إلیه و فیهم أبان بن سعید بن العاص و الطفیل- یعنی ابن عمرو الدوسی ذا النور- و أبو هریرة و نفر من دوس، فرأی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و رأیه الحق أن لا یخیب مسیرهم و لا یبطل سفرهم فشرکهم فی مقاسم خیبر و سأل أصحابه ذلک فطابوا به نفسا.

و لم یذکر ابن عقبة جعفر بن أبی طالب فی هؤلاء القادمین علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بخیبر من أرض الحبشة و هو أولهم و أفضلهم، و ما مثل جعفر یتخطی ذکره، و من البعید أن یغیب ذلک عن ابن عقبة، فالله أعلم بعذره.

و قد ذکر ابن إسحاق: أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کان بعث مرو بن أمیة الضمری إلی النجاشی فیمن کان أقام بأرض الحبشة من أصحابه فحملهم فی سفینتین فقدم بهم علیه و هو بخیبر بعد الحدیبیة. فذکر جعفرا أولهم و ذکر معه ستة عشر رجلا قدموا فی السفینتین صحبته. و ذکر ابن هشام عن الشعبی أن جعفرا قدم علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یوم فتح خیبر فقبل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ما بین عینیه و التزمه و قال: «ما أدری بأیتهما أنا أسر، أ بفتح خیبر أم بقدوم جعفر؟» «۲».

و لما جرت المقاسم فی أموال خیبر اتسع فیها المسلمون و وجدوا بها مرفقا لم یکونوا

---

(۱) انظر السیرة (۳/ ۳۲۴).

(۲) انظر الحدیث فی: مصنف ابن أبی شیبة (۱۲/ ۱۰۶، ۱۴/ ۳۴۹)، الطبقات الکبری لابن سعد (۲/ ۱/ ۷۸)، المعجم الکبیر للطبرانی (۲/ ۱۰۷)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۲۰۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۸۹

وجدوه قبل، حتی لقال عبد الله بن عمر- رضی الله عنهما- فیما خرج له البخاری فی صحیحه: ما شبعنا حتی فتحنا خیبر.

و أقر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یهود خیبر فی أموالهم یعملون فیها للمسلمین علی النصف مما یخرج منها کما تقدم.

قال ابن إسحاق: فکان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یبعث إلی أهل خیبر عبد الله بن رواحة خارصا بین المسلمین و بین یهود فیخرص علیهم، فإذا قالوا: تعدیت علینا. قال: إن شئتم فلکم و إن شئتم فلنا. فتقول یهود: بهذا قامت السموات و الأرض!

قال: و إنما خرص علیهم عبد الله عاما واحدا ثم أصیب بمؤتة- یرحمه الله- فکان جبار بن صخر أخو بنی سلمة هو الذی یخرص

عليهم بعده.

فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا فى معاملتهم حتى عدوا فى عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على عبد الله بن سهل أخى بنى حارثة فقتلوه، فاتّهمهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و المسلمون عليه و كتب إليهم أن يدوه أو يأذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه و لا يعلمون له قاتلا، فوداه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من عنده و أقرهم على ما سبق من معاملته إياهم.

فلما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أقرهم أبو بكر الصديق على مثل ذلك حتى توفى، ثم أقرهم عمر صدرا من إمارته، ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان». ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود فقال: إن الله قد أذن فى جلائكم، قد بلغنى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال:

«لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» «۱» فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتنى به أنفذه له، و من لم يكن عنده عهد من رسول الله فليتجهز للجلاء. فأجلى عمر منهم من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قال عبد الله بن عمر: خرجت أنا و الزبير و المقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا فعدى على تحت الليل فقرعت يداى من مرفقى، فلما أصبحت استصرخ على صاحباى فأتيانى فأصالحا من يدى؛ ثم قاما بى على عمر فقال: هذا عمل يهود، ثم قام فى الناس خطيبا فقال: أيها الناس، إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، و قد عدوا على عبد الله بن عمر

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۴/ ۱۲۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۹۰

فعدوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فإنى مخرج يهود. فأخرجهم.

و لما أخرج عمر- رضى الله عنه- يهود خيبر ركب فى المهاجرين و الأنصار و خرج معه بجبار بن صخر- و كان خارص أهل المدينة و حاسبهم- و يزيد بن ثابت، فهما قسما خيبر على أصحاب السهمان التى كانت عليها، و ذلك أن الشق و النطاة اللتين هما سهم المسلمين قسمت فى الأصل على عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى ثمانية عشر سهما: نطاة من ذلك خمسة أسهم و الشق ثلاثة عشر سهما، ثم قسم كل قسم من هذه الثمانية عشر سهما إلى مائة سهم، لكل رجل سهم و لكل فرس سهمان؛ و كانت عدة الذين قسمت عليهم ألف رجل و أربعمائة رجل و مائتى فرس، فذلك ألف سهم و ثمانمائة سهم.

عمرة القضاء «۱» و هى غزوة الأمن

قال ابن إسحاق «۲»: و لما رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من خيبر إلى المدينة أقام بها شهرى ربيع و ما بعده إلى شوال، يبعث فيما بين ذلك سراياه.

ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها، و خرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك، و هى سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه.

قال ابن عقبة: و تغيب رجال من أشرافهم خرجوا إلى بوادى مكة كراهية أن ينظروا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم غيظا و حنقا و نفاسة و حسدا.

و تحدثت قريش بينها فيما ذكر ابن إسحاق: أن محمدا و أصحابه فى عسرة و جهد و شدة فصفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه و إلى أصحابه.

فلما دخل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم المسجد اضطبع بردائه و أخرج عضده الیمنی ثم قال:

(۱) انظر: المغازی للواقدی (۲/ ۷۳۱)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۸۷)، البدایة و النهایة (۴/ ۲۲۶).

(۲) انظر السیرة (۴/ ۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۹۱

«رحم الله امرأ أراهم الیوم من نفسه قوة» «۱» ثم استلم الرکن و خرج یهرول و یهرول أصحابه معه، حتی إذا واراه البیت منهم و استلم الرکن الیمانی مشی حتی یستلم الرکن الأسود، ثم هرول کذلک ثلاثة أطواف و مشی سائرها فکان ابن عباس یقول: کان الناس یظنون أنها لیست علیهم و ذلک أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إنما صنعها لهذا الحی من قریش الذی بلغه عنهم حتی حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها.

و لما دخل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مکة فی تلک العمرة و عبد الله بن رواحة یرتجز بین یدیه:

خلوا بنی الکفار عن سبیله‌خلوا فکل الخیر فی رسوله

یا رب إنی مؤمن بقیله‌أعرف حق الله فی قبوله و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد بعث بین یدیه جعفر بن أبی طالب إلی میمونة بنت الحارث ابن حزن الهلالیة، فخطبها علیه فجعلت أمرها إلی العباس بن عبد المطلب، و کانت تحته أختها أم الفضل بنت الحارث، و قیل: جعلت أمرها إلی أم الفضل، فجعلت أم الفضل أمرها إلی العباس فزوجها العباس رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أصدقها عنه أربعمائة درهم.

و قضی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نسکه، و أقام بمکة ثلاث لیال، و کان ذلک أجل القضیة یوم الحدیبیة. فلما أصبح رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من الیوم الرابع أتاه سهیل بن عمرو و حویطب عبد العزی. [فی نفر من قریش] و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی مجلس الأنصار یتحدث مع سعد بن بن عبادة فصاح حویطب: نناشدک الله و العقد إلا خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث.

فقال سعد: کذبت لا أم لک إنها لیست بأرضک و لا أرض أبیک و الله لا یخرج إلا راضیا، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و ضحک: «یا سعد، لا تؤذ قوما زارونا فی رحالنا». ثم قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «و ما علیکم لو ترکتمونی فأعرست بین أظهرکم و صنعنا لکم طعاما فحضرتموه؟» «۲» قالوا: لا حاجة لنا بطعامک فاخرج عنا.

فأمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أبا رافع مولاه فأذن بالرحیل، و خلف أبا رافع علی میمونة حتی أتاه بها بسرف و قد لقیت و من معها عناء و أذی من سفهاء المشرکین و صبیانهم، فبنی بها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بسرف ثم أدلج فسار حتی قدم المدینة. ثم کان من قضاء الله سبحانه أن ماتت میمونة بسرف بعد ذلک بحین، فتوفیت حیث بنی بها.

قال موسی بن عقبة: و ذکر أن الله- تعالی- أنزل فی تلک العمرة: الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ [البقرة: ۱۹۴].

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم (۲/ ۲۴۰، ۹۲۳)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۰۵، ۳۰۶).

(۲) انظر الحدیث فی: الحاکم فی المستدرک (۴/ ۳۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۹۲

و ذکر ابن هشام أنها یقال لها: «عمرة القصاص» لأنهم صدوا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عن العمرة فی ذی القعدة فی الشهر الحرام من سنة ست فاقتص منهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و دخل مکة فی ذی القعدة فی الشهر الحرام الذی صدوة فیه من سنة سبع.

غزوة مؤتة من أرض الشام «۱»

و لما صدر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من عمرة القضاء إلى المدينة أقام بها نحوا من ستة أشهر، ثم بعث إلى الشام فى جمادة الأولى من سنة ثمان بعثة الذين أصيبوا بمؤنة، و استعمل عليهم زيد بن حارثة، و قال: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة».

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج، و هم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و سلموا عليهم، فلما ودع عبد الله بن رواحة بكى فقالوا: ما يبكيك يا بن رواحة؟ فقال: و الله ما بى حب الدنيا و لا صبابة بكم، و لكنى سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقرأ آية من كتاب الله و يذكر فيها النار: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا [مريم: ۷۱] فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود! فقال المسلمون: صحبكم الله و دفع عنكم وردكم إلينا صالحين. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنى أسأل الرحمن مغفرةو ضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدى حران مجهزةبحربة تنفذ الأحشاء و الكبدا

جتى يقال إذا مروا على جدثى‌ما أرشد الله من غاز و قد رشدا ثم إن القوم تهيئوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فودعه ثم قال:

أنت الرسول فمن يحرم نوافلهو الوجه منه فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن‌فى المرسلين و نصرا كالذى نصروا

إنى تفرست فيك الخير نافلةفراسة خالفت فيك الذى نظروا يعنى المشركين.

ثم خرج القوم، و خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يشيعهم، جتى إذا ودعهم و انصرف عنهم

---

(۱) راجع هذه الغزوة فى: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۱۸)، المغازى للواقدى (۲/ ۷۵۵)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۲/ ۹۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۲۴۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۴۹۳

قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئ ودعته‌فى النخل خير مشيع و خليل و حدث زيد بن أرقم قال: كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجرة، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحلة، فواله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياته هذه:

إذ أدنيتنى و حملت رحلى‌مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمى و خلاك ذمو لا أرجع إلى أهلى ورائى

و جاء المسلمون و غادرونى‌بأرض الشام مشتهى الثواء

و ردك كل ذى رحم قريب‌إلى الرحمن منقطع الرجاء

هنالك لا أبالى طلع بعلو لا نخل أسافلها رواء فلما سمعتهن بكيت فخفقنى بالدرة و قال: و ما عليك يا لكع أن يرزقنى الله الشهادة و ترجع بين شعبتى الرحل؟!

ثم مضى القوم حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم و انضم إليهم من لخم و جذام و القين و بهراء و بلى مائة ألف منهم.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون فى أمرهم و قالوا: نكتب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال و إما أن يأمرنا بأمره فنمضى له. فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال: يا قوم، و الله إن الذى تكرهون

للذی خرجتم تطلبون، الشهادة، و ما نقاتل الناس بعدد و لا قوة و لا کثرة، و ما نقاتلهم إلا بهذا الدین الذی أکرمنا الله به فانطلقوا، فإنما هی إحدی الحسنیین، إما ظهور و إما شهادة، فقال الناس: صدق و الله ابن رواحة. فمضی الناس و قال عبد الله فی مجلسهم ذلک:

جلبنا الخیل من أجأ و فرع‌تعر من الحشیش لها العکوم

حذوناها من الصوان سبتاأزل کأن صفحته أدیم «۱»

أقامت لیلتین علی معان‌فأعقب بعد فترتها جموم

فرحنا و الجیاد مسومات‌تنفس فی مناخرها السموم

---

(۱) حذوناها: أی جعلنا لها حذاء، و هو النعل. و الصوان: حجارة ملس. و السبت: النعال المصنوعة من الجلد المدبوغ.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۹۴ فلا و أبی مآب لنأتینهاو إن کانت بها عرب و روم

فعبأنا أعنتها فجاءت‌عوابس و الغبار لها بریم

بذی لجب کأن البیض فیه‌إذا برزت قوانسها النجوم

فراضیة المعیشة طلقتهاأسنتها فتنکح أو تئیم ثم مضی الناس حتی إذا کانوا بتخوم البلقاء لقیتهم جموع هرقل من الروم و العرب بقریة من قری البلقاء یقال لها: مشارف. ثم دنا العدو و انحاز المسلمون إلی قریة یقال لها: مؤتة، فالتقی الناس عندها. فتعبی لهم المسلمون فجعلوا علی میمنتهم رجلا- من بنی عذرة یقال له: قطبة بن قتادة و علی میسرتهم رجلا من الأنصار یقال له: عبایة بن مالک، و یقال: عبادة. ثم التقی الناس فاقتلوا، فقاتل زید بن حارثة برایة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی شاط فی رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتی إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء. قال أحد بنی مرة بن عوف و کان فی تلک الغزوة: و الله لکأنی أنظر إلیه حین اقتحم عنها ثم عقرها ثم قاتل القوم حتی قتل و هو یقول:

یا حبذا الجنة و اقترابهاطیبة و بارد شرابها

و الروم روم قد دنا عذابهاعلی إذ لاقیتها ضرابها و کان جعفر أول من عقر فی الإسلام فرسه.

و لما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الرایة ثم تقدم بها و هو علی فرسه فجعل یستنزل نفسه و یتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت یا نفس لتنزلنه‌لتنزلن أو لتکرهنه

إن أجلب الناس و شدوا الرنه‌ما لی أراک تکرهین الجنه

قد طال ما قد کنت مطمئنه‌هل أنت إلا نطفة فی شنه و قال أیضا:

یا نفس إلا تقتلی تموتی‌هذا حمام الموت قد صلیت

و ما تمنیت فقد أعطیت‌إن تفعلی فعلهما هدیت یعنی صاحبیه زیدا و جعفرا. ثم نزل فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبک فإنک قد لقیت فی أیامک هذه ما لقیت. فأخذه من یده فانتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة فی ناحیة الناس فقال: و أنت فی الدنیا! ثم ألقاه من یده ثم أخذ سیفه فتقدم فقاتل حتی قتل.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۹۵

ثم أخذ الرایة ثابت بن أرقم أخو بنی العجلان فقال: یا معشر المسلمین، اصطلحوا علی رجل منکم. قالوا: أنت. قال ما أنا بفاعل، فاصطلح القوم علی خالد بن الولید.

فلما أخذ الرایة دافع القوم و خاشی بهم ثم انحاز و انحیز عنه، حتی انصرف بالناس.

و لما أصیب القوم قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أخذ الرایة زید بن حارثة فقاتل بها حتی قتل شهیدا، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتی قتل شهیدا»، ثم صمت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی تغیرت وجوه الأنصار و ظنوا أنه قد کان فی عبد الله بن رواحة

بعض ما یکرهون، ثم قال: «أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتی قتل شهیدا». ثم قال: «لقد رفعوا إلی الجنة فیما یری النائم علی سرر من ذهب، فرأیت فی سریر عبد الله بن رواحة ازورارا عن سریری صاحبیه فقلت: عم هذا؟ فقیل لی: مضیا و تردد عبد الله بعض التردد ثم مضی» «۱».

و ذکر ابن هشام أن جعفرا أخذ اللواء بیمینه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضدیه حتی قتل و هو ابن ثلاث و ثلاثین سنة فأثابه الله بذلک جناحین یطیر بهما حیث شاء.

و یقال: إن رجلا من الروم ضربه- یومئذ- فقطعه نصفین.

و ذکر ابن عقبة أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال بالمدینة لما أصیبوا، قبل أن یأتیه نعیهم: «مر علی جعفر بن أبی طالب فی الملائکة یطیر کما یطیرون له جناحان». قال: و قدم یعلی ابن منبه علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «إن شئت فأخبرنی و إن شئت أخبرتک». قال: فأخبرنی یا رسول الله فأخبره صلی اللّه علیه و سلم خبرهم کله و وصفه له.

فقال: و الذی بعثک بالحق ما ترکت من حدیثهم حرفا واحدا لم تذکره، و إن أمرهم لکما ذکرت. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «إن الله رفع لی الأرض حتی رأیت معترکهم».

و حدثت أسماء بنت عمیس امرأة جعفر قالت: لما أصیب جعفر و أصحابه دخل علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال: «ایتینی ببنی جعفر». و قد کانت غسلتهم و دهنتهم و نظفتهم.

قالت: فأتیته بهم فشمهم و ذرفت عیناه، فقلت: یا رسول الله بأبی أنت ما یبکیک؟

أبلغک عن جعفر و أصحابه شیء؟ قال: «نعم، أصیبوا هذا الیوم». قالت: فقمت أصیح و اجتمع إلی النساء. و خرج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی أهله فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم» «۲».

---

(۱) انظر الحدیث فی: مجمع الزوائد للهیثمی (۶/ ۱۶۰).

(۲) انظر الحدیث فی: سنن ابن ماجه (۱/ ۱۶۱۰)، سنن الترمذی (۳/ ۹۹۸)، السنن الکبری للبیهقی (۴/ ۶۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۹۶

و قالت عائشة رضی الله عنها: لما أتی نعی جعفر عرفنا فی وجه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الحزن.

و لما انصرف خالد قافلا بالناس و دنوا من المدینة تلقاهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و المسلمون، و لقیهم الصبیان یشتدون و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مقبل مع القوم علی دابة، فقال: خذوا الصبیان فاحملوهم و أعطونی ابن جعفر. فأتی بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بین یدیه و جعل الناس یحثون علی الجیش التراب و یقولون: یا فرار، فررتم فی سبیل الله! فیقول رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «لیسوا بالفرار و لکنهم الکرار إن شاء الله» «۱».

و قالت أم سلمة زوج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم لامرأة سلمة بن هشام بن العامر بن المغیرة: ما لی لا أری سلمة یحضر الصلاة مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم؟ قالت: و الله ما یستطع أن یخرج، کلما خرج صاح به الناس: یا فرار، فررتم فی سبیل الله! حتی قعد فی بیته فما یخرج.

و قد قال فیما کان من أمر الناس و أمر خالد و مخاشاته بالناس و انصرافه بهم- قیس ابن المسحر الیعمری یعتذر مما صنع یومئذ و صنع الناس:

و و الله لا تنفک نفسی تلومنیعلی موقفی و الخیل قابعة قبل

وقفت بها لا مستجیزا فنافذاو لا مانعا من کان حم له القتل «۲»

علی أننی آسیت نفسی بخالدألا خالد فی القوم لیس له مثل

و جاشت إلی النفس من نحو جعفربمؤتهٔ إذ لا ینفع النابل النبل

و ضم إلینا حجزتیهم کلیهمامهاجرهٔ لا ـ مشرکون و لا ـ عزل فبین قیس فی شعره ما اختلف الناس فیه من ذلک: أن القوم حاجزوا و کرهوا الموت و حقق انحیاز خالد بمن معه.

و کان مما بکی به أصحاب مؤتهٔ قول حسان بن ثابت:

تأوبنی لیل بیثرب أعسرو هم إذا ما هوم الناس مسهر «۳»

لذکری حبیب هیجت لی عبرهٔسفوحا و أسباب البکاء التذکر

بلی إن فقدان الحبیب بلیهٔو کم من کریم یبتلی ثم یصبر

رأیت خیار المؤمنین تواردواشعوب و خلفا بعدهم یتأخر

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایهٔ و النهایهٔ لابن کثیر (۴/ ۲۵۳).

(۲) مستجیزا: أی منحازا إلی ناحیهٔ.

(۳) تأوبنی: أی عاودنی و رجع إلیّ.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۹۷ فلا یبعدن الله قتلی تباعدواجمیعا و أسباب المنیهٔ تخطر إلی

غداهٔ مضوا بالمؤمنین یقودهمالموت میمون النقیبهٔ أزهر

أغر کضوء البدر من آل هاشمأبی إذا سیم الظلامهٔ یجسر

فطاعن حتی مال غیر موسدبمعترک فیه قنا متکسر

فصار مع المستشهدین ثوابهجنان و ملتف الحدائق أخضر

و کنا نری فی جعفر من محمدوفاء و أمرا حازما حین یأمر

و ما زال فی الإسلام من آل هاشمدعائم عز لا یزلن و مفخر

هم جبل الإسلام و الناس حولهمرضام إلی طود یروق و یقهر

بهالیل منهم جعفر و ابن أمهعلیّ و منهم أحمد المتخیر

و حمزهٔ و العباس منهم و منهمعقیل و ماء العود من حیث یعصر

بهم تفرج الأواء فی کل مأزقعماس إذا ما ضاق بالناس مصدر

هم أولیاء الله أنزل حکمهعلیهم و فیهم ذا الکتاب المطهر و قال کعب بن مالک فی ذلک:

نام العیون و دمع عینک یهملسحا کما و کف الطباب المخضل

فی لیلهٔ وردت علیّ همومهاطورا أحن و تارهٔ أتململ

و اعتادنی حزن فبت کأننیببنات نعش و السماک موکل

و کأنما بین الجوانح و الحشامما تأوبنی شهاب مدخل

وجدا علی النفر الذین تتابعوایوما بمؤتهٔ أسندوا لم ینقلوا

صلی الإله علیهم من فتیهٔو سقی عظامهم الغمام المسبل

صبروا بمؤتهٔ للإله نفوسهمحذر الردی و مخافهٔ أن ینکلوا

فمضوا أمام المسلمین کأنهمفنق علیهن الحدید المرفل

إذ یهتدون بجعفر و لوائهقدام أولهم فنعم الأول
حتی تفرجت الصفوف و جعفرحیث التقی وعث الصفوف مجدل
فتغیر القمر المنیر لفقدهو الشمس قد کسفت و کادت تأفل
قوم علا بنیانه من هاشمفرعا أشم و سؤددا ما ینقل
قوم بهم عصم الإله عبادهو علیهم نزل الکتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة و تکرماو تغمدت أحلامهم من یجهل
لا یطلقون إلی السفاه جباهمو یری خطیبهم بحق یفصل
الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۹۸ بیض الوجوه تری بطون أکفهمتندی إذا اعتذر الزمان الممحل
و بهدیهم رضی الإله لخلقهو بجدهم نصر النبیّ المرسل و قال حسان بن ثابت یبکی جعفرا:
و لقد بکیت و عز مهلک جعفرحب النبیّ علی البریة کلها
و لقد جزعت و قلت حین نعیت لیمن للجلاد لدی العقاب و ظلها «۱»
بالبیض حین تسل من أغمادهاضربا و انهال الرماح و علها
بعد ابن فاطمة المبارک جعفرخیر البریة کلها و أجلها
رزأ و أکرمها جمیعا محتداو أعرها متظلما و أذلها
للحق حین ینوب غیر تنحلکذبا و أنداها یدا و أبلها
بالعرف غیر محمد لا مثلهحی من أحیا البریة کلها و قال شاعر من المسلمین ممن رجع عن غزوة مؤتة:
کفی حزنا أنی رجعت و جعفرو زید و عبد الله فی رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبیلهمو خلفت للبوی مع المتغیر و استشهد یوم مؤتة من المسلمین سوی الأمراء الثلاثة- رضی الله عنهم- من قریش ثم من بنی عدی بن کعب: مسعود بن الأسود بن حارثة. و من بنی مالک بن حسل: وهب بن سعد بن أبی سرح. و من الأنصار: عباد بن قیس من بنی الحارث بن الخزرج، و الحارث بن النعمان بن إساف من بنی غنم بن مالک بن النجار، و سراقة بن عمر بن عطیة بن خنساء من بنی مازن بن النجار، و أبو کلیب و یقال: أبو کلاب، و جابر ابنا عمرو بن زید بن عوف بن مبذول و هما لأب و أم. و عمر و عامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد من بنی مالک بن أفصی. و هؤلاء الأربعة عن ابن هشام.

غزوة الفتح

و أقام رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بعد بعثه إلی مؤتة جمادی الآخرة و رجبا.
ثم عدت بنو بکر بن عبد مناة بن کنانة علی خزاعة، و لم یزالوا قبل ذلک متعادین، و کان الذی هاج ما بینهم أن حلیفا للأسود بن رزن الدیلی خرج تاجرا، فلما توسط أرض خزاعة عدوا علیه فقتلوه و أخذوا ماله، فعدت بنو بکر علی رجل من خزاعة

---

(۱) العقاب: اسم لرایة الرسول صلی اللّه علیه و سلم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۴۹۹
فقتلوه، فعدت خزاعة قبیل الإسلام علی بنی الأسود بن رزن سلمی و کلثوم و ذؤیب و هم منحر بنی کنانة و أشرافهم کانوا فی الجاهلیة یودون دیتین دیتین لفضلهم فی قومهم، فقتلتهم خزاعة بعرفة عند أنصاب الحرم ثم حجز بینهم الإسلام و تشاغل الناس به.
فلما کان صلح الحدیبیة دخلت خزاعة فی عقد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و دخلت بنو بکر فی عقد قریش. فلما کانت الهدنة

اغتنمتها بنو الديل فخرجوا حتى بيتوا خزاعة على الوتير «۱»- ماء لهم- فأصابوا منهم رجلا و تحاجزوا و اقتتلوا و رفدت قريش بنى بكر بالسلاح و قاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا.

فلما تظاهرت بنو بكر و قريش على خزاعة و نقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من العهد و الميثاق بما استحلوا منهم و كانوا فى عقده و عهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعى الكعبى حتى قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة فوقف عليه و هو جالس فى المسجد بين ظهرى الناس فقال:

يا رب إنى ناشد محمداحلف أبينا و أبيه الأتلدا

قد كنتم ولدا و كنا والداثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرا أعتداو ادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجرداأبيض مثل البدر يسمو صعدا

إن سيم خسفا وجهه تربدافى فيلق كالبحر يجرى مزبدا

إن قريشا أخلفوك الموعداو نقضوا ميثاقك المؤكدا

و جعلوا لى فى كداء رصداو زعموا أن لست أدعو أحدا

و هم أذل و أقل عدداهم بيتونا بالوتير هجدا

و قتلونا ركعا و سجدا

يقول: قتلنا و قد أسلمنا.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «نصرت يا عمرو بن سالم»، ثم عرض لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم عنان من السماء فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب» «۲». ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم

---

(۱) الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة.

(۲) انظر الحديث فى: «دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۶، ۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۶۳، ۱۶۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۰۰

و مظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة.

و قد قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للناس: «كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد و ليزيد فى المدة» «۱».

و مضى بديل بن ورقاء فى أصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليشد العقد و يزيد فى المدة و قد رهبوا الذى صنعوا، فلما لقى أبو سفيان بديلا قال: من أين أقبلت يا بديل؟ و ظن أنه قد أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: قال: سيرت فى خزاعة فى هذا الساحل و فى بطن هذا الوادى. قال: أو ما جئت محمدا؟ قال: لا. فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان بديل جاء المدينة لقد علف بها النوى. فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى اللّه عليه و سلم طوته عنه فقال: يا بنية، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أنت رجل نجس مشرك، فلم أحب أن تجلس عليه. قال: و الله يا بنية لقد أصابك بعدى شر!

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى

اللّه عليه و سلم فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ فو الله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به. ثم خرج حتى دخل على علىّ بن أبى طالب و عنده فاطمة بنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و عندها حسن بن على غلام يدب بين يديها فقال: يا على، إنك أمس القوم بى رحما و إنى قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت فاشفع لى، قال: ويحك يا أبا سفيان، و الله لقد عزم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر.

قالت: و الله ما بلغ بنى ذلك أن يجير بين الناس، و ما يجير أحد على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. قال:

يا أبا حسن، إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى. قال: و الله ما أعلم شيئا يغنى عنك شيئا و لكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم ألحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا؟ قال: لا و الله ما أظنه و لكننى لا اجد لك غير ذلك. فقام أبو

---

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۲۸۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج١،ص:٥٠١

سفيان فقال: أيها الناس، إنى قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق. فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدا فكلمته فو الله ما رد على شيئا ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا. ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو. و يقال:

أعدى العدو، ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم، و قد أشار على بشىء صنعته فو الله ما أدرى هل يغنى شيئا أم لا؟ قالوا: و بم أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت.

قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا- قالوا: ويلك! و الله ما زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت. قال: لا و الله ما وجدت غير ذلك.

و أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الناس بالجهاز و أمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة و هى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: أى بنية أمركم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز. قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا و الله ما أدرى.

ثم إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة و أمرهم بالجد و التهيؤ، و قال:

«اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها» «١»؛ فتجهز الناس.

و كتب حاطب بن أبى بلتعة عند ذلك كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الأمر فى السير إليهم ثم أعطاه امرأة و جعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا. فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به. و أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب و الزبير بن العوام فقال: أدركا امرأة كتب معها حاطب إلى قريش يحذرهم ما أجمعنا له فى أمرهم. فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها و التمسا فى رحلها فلم يجدا شيئا، فقال لها على: أحلف بالله ما كذب رسول الله و لا كذبنا و لتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأت الجد منه استخرجت الكتاب من قرون رأسها فدفعته إليه. فأتى به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فدعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حاطبا فقال: «يا حاطب، ما حملك على هذا؟» قال: يا رسول الله، أما و الله إنى لمؤمن بالله و برسوله ما غيرت و لا بدلت، و لكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل و لا عشيرة، و كان لى بين أظهرهم ولد و أهل فصانعتهم عليه؛ فقال عمر: يا رسول الله دعنى فلأضرب عنقه فإن الرجل نافق. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «و ما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» «٢».

---

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۶۴). البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۲۸۸۳).

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (١/ ٧٩، ٨٠، ١٠٥)، سنن الترمذى (٥/ ٣٣٠٥)، صحيح البخارى فى كتاب الجهاد و السير (٦/ ٣٠٠٧).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ١،ص:٥٠٢

فأنزل الله فى حاطب: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِ الآيات كلها إلى قوله: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ [الممتحنة: ١- ٤] إلى آخر القصة.

ثم مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لسفره حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين، و قيل فى اثنى عشر ألفا، فسبعت سليم و قيل: ألفت و ألفت مزينة، و فى كل القبائل عدد و إسلام. و أوعب مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المهاجرون و الأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد.

و قد كان ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و ابن عمته عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة لقياه بنيق العقاب فيما بين مكة و المدينة، فالتمسا الدخول عليه و كلمته أم سلمة فيهما و هى أخت عبد الله منهما فقالت: يا رسول الله، ابن عمك و ابن عمتك و صهرك. قال: «لا حاجة لى بهما، أما ابن عمى فهتك عرضى و أما ابن عمتى و صهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال». فلما خرج الخبر إليهما بذلك قال أبو سفيان- و معه بنى له- و الله ليأذنن لى أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا و جوعا. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رق لهما ثم أذن لهما، فدخلا عليه فأسلما، و أنشده أبو سفيان:

لعمرك إنى يوم أحمل رايةلتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليلهفهذا أوانى حين أهدى و أهتدى

هدانى هاد غير نفسى و قادنىمع الله من طردت كل مطرد فزعموا أنه لما أنشده هذا البيت ضرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى صدره و قال: «أنت طردتنى كل مطرد» «١».

و عميت الأخبار عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على قريش، فلا يأتيهم خبر عنه و لا يدرون ما هو فاعل.

و خرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار. و كان العباس بن عبد المطلب قد لقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ببعض الطريق مهاجرا بعياله، و كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عنه راض.

---

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ١٦٥- ١٦٧)، مستدرك الحاكم (٣/ ٤٣، ٤٤).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ١،ص:٥٠٣

قال العباس: فلما نزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مر الظهران قلت: و اصباح قريش و الله لئن دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فجلست على بغلة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت:

لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه.

فو الله إنى لأسير عليها و ألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان و بديل بن ورقاء و هما يتراجعان و أبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قط و لا عسكرا. قال: يقول بديل: هذه و الله خزاعة حمستها الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أقل و أذل من أن تكون هذه نيرانها و عسكرها. قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتى فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم. قال: مالك فداك أبى و أمى؟! قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الناس و اصباح قريش و الله. قال: فما الحيلة فداك

أبی و أمی؟ قلت: و الله لئن ظفر بک لیضربن عنقک فارکب فی عجز هذه البغلة حتی آتی بک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأستأمنه لک. فرکب خلفی و رجع صاحباه، فجئت به کلما مر بنار من نیران المسلمین قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أنا علیها قالوا: عم رسول الله علی بغلته. حتی مررت بنار عمر ابن الخطاب فقال: من هذا؟ و قام إلی، فلما رأی أبا سفیان علی عجز الدابة قال: أبو سفیان عدو الله! الحمد لله الذی أمکن منک بغیر عقد و لا عهد. ثم خرج یشتد نحو رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و رکضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطیئة الرجل البطیء فاقتحمت عن البغلة فدخلت علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و دخل علیه عمر فقال: یا رسول الله هذا أبو سفیان قد أمکن الله منه بغیر عهد و لا عقد فدعنی فلأضرب عنقه. قلت: یا رسول الله، إنی قد أجرته؛ ثم جلست إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأخذت برأسه فقلت: و الله لا یناجیه اللیلة رجل دونی. فلما أکثر عمر فی شأنه قلت: مهلا یا عمر، فو الله لو کان من رجال بنی عدی بن کعب ما قلت هذا، و لکنک قد عرفت أنه من رجال بنی عبد مناف. فقال: مهلا- یا عباس، فو الله لإسلامک یوم أسلمت کان أحب إلی من إسلام الخطاب لو أسلم، و ما بی إلا أنی عرفت أن إسلامک کان أحب إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من إسلام الخطاب، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «اذهب به یا عباس إلی رحلک فإذا أصبحت فائتنی به»؛ فذهبت به إلی رحلی فبات عندی، فلما أصبحت غدوت به إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فلما رآه قال: «ویحک یا أبا سفیان، أ لم یأن لک أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» قال:

بأبی أنت و أمی ما أحلمک و أکرمک و أوصلک و الله لقد ظننت أن لو کان مع الله إله غیره لقد أغنی شیئا بعد. قال: «ویحک یا أبا سفیان، أ لم یأن لک أن تعلم أنی رسول

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۰۴

الله؟» قال: بأبی أنت و أمی ما أحلمک و أکرمک و أوصلک، أما و الله هذه فإن فی نفسی منها شیئا حتی الآن. قال له العباس: ویحک، أسلم و اشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقک. قال: فشهد شهادة الحق و أسلم.

قال العباس: قلت: یا رسول الله، إن أبا سفیان رجل یحب الفخر، فاجعل له شیئا.

قال: «نعم، من دخل دار أبی سفیان فهو آمن، و من أغلق علیه بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن».

فلما ذهب لینصرف قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «یا عباس، احبسه بمضیق الوادی عند خطم الجبل حتی تمر به جنود الله فیراها». قال: فخرجت فحبسته حیث أمرنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أن أحبسه «۱». فمرت القبائل علی رایاتها کلما مرت قبیلة

قال: یا عباس من هذه؟

فأقول: سلیم. فیقول: ما لی و لسلیم. ثم تمر القبیلة فیقول: من هؤلاء؟ فأقول: مزینة.

فیقول: ما لی و لمزینة. حتی نفذت القبائل ما تمر قبیلة إلا سألنی عنها فإذا أخبرته بهم قال: ما لی و لبنی فلان. حتی مر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی کتیبته الخضراء فیها المهاجرون و الأنصار لا یری منهم إلا الحدق من الحدید قال: سبحان الله، یا عباس من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی المهاجرین و الأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قبل و لا طاقة! و الله یا أبا الفضل لقد أصبح ملک ابن أخیک الغداة عظیما. قلت یا أبا سفیان إنها النبوة. قال: فنعم إذن. قلت: النجاء إلی قومک. حتی إذا جاءهم صرخ بأعلی صوته: یا معشر قریش، هذا محمد قد جاءکم فیما لا- قبل لکم به، فمن دخل دار أبی سفیان فهو آمن. فقامت إلیه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحمیت الدسم الأحمس قبح من طلیعة قوم. قال: ویحکم، لا تغرنکم هذه من أنفسکم، فإنه قد جاءکم مالا قبل لکم به، فمن دخل دار أبی سفیان فهو آمن. قالوا: قاتلک الله، و ما تغنی عنا دارک؟

قال: و من أغلق علیه بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلی دورهم و إلی المسجد.

و لما انتهی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی ذی طوی وقف علی راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء، و إنه لیضع رأسه تواضعا لله حین رأی ما أکرمه الله به من الفتح حتی إن عثنونه لیکاد یمس وسط الرحل.

و لما وقف هناك قال أبو قحافة- و قد كف بصره- لابنة له من أصغر ولده: أى بنية

---

(۱) سبق تخريجه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۰۵

اظهرى بى على أبى قبيس. فأشرفت به عليه، فقال: أى بنية ما ذا ترين؟ قالت: أرى سوادا مجتمعا قال: تلك الخيل. قالت: و أرى رجلا يسعى بين يدى السواد مقبلا و مدبرا. قال: أى بنية ذلك الوازع الذى يأمر الخيل و يتقدم إليها. ثم قالت: قد و الله انتشر السواد. فقال: قد و الله إذن دفعت الخيل فأسرعى بى إلى بيتى. فانحطت به، و تلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته و فى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكة و دخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه صلى اللّه عليه و سلم قال: «هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه!» فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه. قال: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له: «أسلم». فاسلم. و رآه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كأن رأسه ثغامة فقال: «غيروا هذا من شعره» «۱». ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله و الإسلام طوق أختى. فلم يجبه أحد، فقال: أى أخية احتسبى طوقك فو الله إن الأمانة اليوم فى الناس لقليل!

و أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين فرق جيشه من ذى طوى الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كدى، و كان على المجنبة اليسرى، و أمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدا، فذكروا أن سعدا حين وجه داخلا قال: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة».

فسمعها رجل من المهاجرين، قيل: هو عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد، ما نأمن أن تكون له فى قريش صولة. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لعلى بن أبى طالب: «أدركه فخذ الراية فكن أنت تدخل بها» «۲». و يقال: إنه أمر الزبير بذلك و جعله مكان سعد على الأنصار مع المهاجرين. فسار الزبير بالناس حتى وقف بالحجون و غرز بها راية رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و ذكر غير ابن إسحاق أن ضرار بن الخطاب قال- يومئذ- شعرا استعطف فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على قريش حين سمع قول سعد، و هو من أجود شعر قاله:

يا نبى الهدى إليك لحاجى قريش و لات حين لجاء

---

(۱) ذكره الحاكم فى المستدرك (۳/ ۴۶، ۴۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۷۳، ۱۷۴).

(۲) انظر الحديث فى: الإصابة لابن حجر (۵/ ۲۵۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۶۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۰۶ حين ضاقت عليهم سعة الأرض و عاداهم إله السماء

و التقت حلقتا البطان على القوم و نودوا بالصيلم الصلعاء

إن سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون و البطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر و العواء

فانهينه فإنه الأسد الأسود و الليث و الغ فى الدماء

فلئن أقحم اللواء و نادى يا حماة اللواء أهل اللواء

لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع فى أكف الإماء فحينئذ انتزع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الراية من سعد بن عبادة فيما ذكروا. و

الله أعلم.

و أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خالد بن الوليد- و كان على المجنبة اليمنى- فدخل من الليط أسفل مكة، فلقيته بنو بكر فقاتلوه فقتل منهم قريب من عشرين رجلا- و من هذيل ثلاثة أو أربعة، و انهزموا و قتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد، و هرب فضضهم حتى دخلوا الدور، و ارتفعت طائفة منهم على الجبال و اتبعهم المسلمون بالسيوف.

و أقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أذاخر فى المهاجرين الأولين حتى نزل بأعلى مكة و ضربت هناك قبته. و لما علا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثنية كداء نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال: ما هذا و قد نهيت عن القتال؟ فقال المهاجرون: نظن أن خالدا قوتل و بدىء بالقتال فلم يكن بد من أن يقاتل من قاتله، و ما كان يا رسول الله ليعصيك و لا ليخالف أمرك. فهبط رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الثنية فأجاز على الحجون.

و اندفع الزبير بن العوام بمن معه حتى وقف بباب الكعبة.

و جرح رجلان من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم و إن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم: عبد الله بن سعد بن أبى سرح، و كان قد أسلم و كتب الوحى لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم ارتد مشركا ففر يومئذ إلى عثمان بن عفان و كان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد أن اطمأن الناس فاستأمن له. فزعموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صمت طويلا ثم قال: «نعم». فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لمن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۰۷

حوله من أصحابه: «لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه». فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلى يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن النبىّ لا يقتل بالإشارة» «۱». و فى رواية: «إن النبىّ لا ينبغى أن تكون له خائنة أعين».

و منهم: عبد الله بن خطل- رجل من بنى تيم بن غالب- كان مسلما فبعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مصدقا و كان معه رجل مسلم يخدمه فأمره أن يصنع له طعاما و نام، فاستيقظ و لم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا، و كانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأمر بقتلهما معه، فقتلت إحداهما و هربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأمنها.

و قيل- يومئذ- لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة؛ فقال:

«اقتلوه». فقتله سعيد بن حريث المخزومى و أبو برزة الأسلمى اشتركا فى دمه.

و منهم: الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصى و كان ممن يؤذى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمكة، و لما حمل العباس بن عبد المطلب فاطمة و أم كلثوم بنتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من مكة يريد بهما المدينة نخس بهما الحويرث هذا فرمى بهما إلى الأرض، فقتله يوم الفتح على بن أبى طالب.

و منهم: مقيس بن صبابة الليثى، و كان أخوه هشام بن صبابة قد قتله رجل من الأنصار خطأ فقدم مقيس بعد ذلك على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة مظهرا الإسلام حتى إذا وجد غرة من قاتل أخيه عدا عليه فقتله ثم لحق بقريش مشركا. و قد تقدم ذكر ذلك فلأجله أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بقتله، فقتله نميلة بن عبد الله- رجل من قومه- فقالت أخت مقيس فى ذلك:

لعمرى لقد أخزى نميلة رهطهو فجع أضياف الشتاء بمقيس

فلله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تخرس و منهم سارة مولاة لبنى عبد المطلب و لعكرمة بن أبى جهل، و كانت

تؤذی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بمکة فاستؤمن لها فأمنها و بقیت حتی أوطأها رجل من الناس فرسا فی زمان عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها.

و کان صفوان بن أمیة و عکرمة بن أبی جهل و سهیل بن عمرو قد جمعوا أناسا بالخندمة لیقاتلوا، فیهم حماس بن قیس بن خالد أخو بنی بکر، و کان قد أعر سلاحا

(۱) انظر الحدیث فی: سنن أبو داود (۳/ ۲۶۸۳). سنن النسائی (۷/ ۴۰۷۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۰۸

و أصلح منها فقالت له امرأته: لما ذا تعد ما أری؟ قال: لمحمد و اصحابه. قالت: و الله ما أراه یقوم لمحمد شیء! قال: و الله إنی لأرجو أن أخدمک بعضهم! ثم قال:

إن یقبلوا الیوم فما لی علههذا سلاح کامل و أله

و ذو غرارین سریع السلة «۱»

ثم شهد الخندمة، فلما لقیهم المسلمون من أصحاب خالد بن الولید ناوشوهم شیئا من قتال، فقتل کرز بن جابر و خنیس بن خالد کانا فی خیل خالد فشذا عنه و سلکا طریقا غیر طریقه فقاتلاـ جمیعا و أصیب سلمة بن المیلاء الجهنی من خیل خالد، و أصیب من المشرکین ناس ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتی دخل بیته و قال لامرأته: أغلقی علی بابی.

قالت: فأین ما کنت تقول؟ فقال:

إنک لو شهدت یوم الخندمهإذ فر صفوان و فر عکرمه

و استقبلتهم بالسیوف المسلمةیقطعن کل ساعد و جمجمه

ضربا فلا یسمع إلا غمغمهلهم نهیت خلفنا و همهمه

لم تنطقی فی اللوم أدنی کلمه «۲»

و قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لخالد بن الولید: «لم قاتلت و قد نهیتک عن القتال؟» قال: هم بدءونا و وضعوا فینا السلاح و أشعرونا النبل، و قد کففت یدی ما استطعت. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «قضاء الله خیر».

و فر- یومئذ- صفوان بن أمیة عامدا للبحر و عکرمة بن أبی جهل عامدا للیمن، فأقبل عمیر بن وهب بن خلف إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال: یا نبی الله، إن صفوان بن أمیة سید قومه و قد خرج هاربا منک لیقذف نفسه فی البحر فأمنه صلی الله علیک فإنک قد أمنت الأحمر و الأسود. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أدرک ابن عمک فهو آمن». قال: یا رسول الله، فأعطنی آیة یعرف بها أمانک. فأعطاه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عمامته التی دخل فیها مکة. فخرج بها عمیر حتی أدرکه بجدة و هو یرید أن یرکب البحر فقال: یا صفوان فداک أبی و أمی! الله الله فی نفسک أن تهلکها فهذا أمان من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد جئتک به قال: ویلک اغرب عنی فلا تکلمنی.

(۱) ذو غرارین: أی بها سیفا، و الغرار: الحد.

(۲) النهیب: نوع من صیاح الأسد. و الهمهمة: صوت فی الصدر.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۰۹

قال: أی صفوان فداک أبی و أمی! أفضل الناس و أبر الناس و أحلم الناس و خیر الناس ابن عمک، عزه عزک و شرفه شرفک و ملکه ملکک.

قال: إنى أخافه على نفسى. قال: هو أحلم من ذلك و أكرم. فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمنتنى. قال: «صدق». قال:

فاجعلنى فيه بالخيار شهرين. قال: «أنت بالخيار أربعة أشهر» «۱».

و أقبلت أم حكيم بنت الحارث بن هشام و كانت تحت عكرمة بن أبى جهل و هى مسلمة- يومئذ- فقالت: يا رسول الله، آمن زوجى و ائذن لى فى طلبه. فأذن لها و أمنه فأدركته ببعض تهامة و قيل: باليمن فأقبل معها و أسلم، فلما رآه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وثب إليه فرحا و ما عليه رداء.

و كانت فاختة بنت الوليد تحت صفوان بن أمية، و كانت أسلمت أيضا، فلما أسلم عكرمة و صفوان أقر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كل واحدة منهما عند زوجها على النكاح الأول.

و قالت أم هانئ بنت أبى طالب و كانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى: لما نزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بأعلى مكة فر إلى رجلان من أحمائى من بنى مخزوم فدخل على أخى على بن أبى طالب فقال: و الله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما بيتى ثم جئت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين و فاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلى فقال: «مرحبا و أهلا يا أم هانئ، ما جاء بك؟» فأخبرته خبر الرجلين و خبر على فقال: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ و أمنا من أمنت فلا يقتلهما» «۲».

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام و زهير بن أبى أمية بن المغيرة.

و لما نزل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكة و اطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ليستلم الركن بمحجن فى يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده، ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة فقال:

«لا إله إلا الله، صدق الله وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۹۷)، موطأ مالك (۲/ ۵۴۳، ۵۴۴/ ۴۴).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم فى كتاب المسافرين (۱/ ۴۹۸/ ۸۲)، سنن أبى داود (۳/ ۲۷۶۳)، سنن الترمذى (۴/ ۱۵۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۱۰

أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت و سقاية الحاج، ألا و قتيل الخطأ شبه العمد السوط و العصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تعظمها بالآباء، الناس لآدم و آدم من تراب». ثم تلا هذه الآية: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات: ۱۳].

ثم قال: «يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم. ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء» «۱».

ثم جلس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى المسجد فقام إليه على بن أبى طالب- رضى الله عنه- و مفتاح الكعبة فى يديه، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أين عثمان بن طلحة»؟ فدعى له فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء». و قال لعلى فيما حكى ابن هشام: «إنما أعطيكم ما ترزءون لا ما ترزءون» «۲».

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما قضى طوافه نزل فأخرجت الراحلة فركع ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها و قال: «لو لا أن يغلب بنو عبد المطلب على سقياتهم لنزعت منها بيدى». ثم انصرف إلى ناحية المسجد قريبا من مقام إبراهيم- و كان المقام لاصقا بالكعبة- فأخذه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بسجل من ماء فشرب و توضأ

و المسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم و المشركون ينظرون إليهم و يعجبون و يقولون: ما راينا ملكا قط بلغ هذا و لا سمعنا به!

و ذكر ابن هشام- أيضا- أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة و غيرهم، فرأى إبراهيم مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها، فقال: «قاتلهم الله! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام؟! ما شأن إبراهيم و الأزلام» ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [آل عمران: ۶۷] ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست «۳».

---

(۱) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۶۱۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۱۸).

(۲) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۷۷).

(۳) انظر الحديث فى: سنن أبو داود (۲/ ۲۰۲۷)، سنن البيهقى (۵/ ۱۵۸)، المطالب العالية لابن حجر (۴/ ۴۳۶۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۱۱

و عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها و حول البيت أصنام مشددة بالرصاص فجعل النبىّ يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام و هو يقول: جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً [الإسراء: ۸۱] فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه و لا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقى صنم إلا وقع. فقال تميم بن أسد الخزاعى:

و فى الأصنام معتبر و علملمن يرجو الثواب أو العقابا و أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثى قتل النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و هو بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أ فضالة؟» قال: نعم فضالة يا رسول الله قال: «ما ذا كنت تحدث نفسك؟» فقال: لا شىء، كنت أذكر الله. فضحك النبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه. فكان فضالة يقول: و الله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب إلى منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلم إلى الحديث: فقلت لا. و انبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لايأبى عليك الله و الإسلام

لو ما رأيت محمد و قبيلهبالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بيناو الشرك يغشى وجهه الإظلام و أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما دخل الكعبة عام الفتح بلالا أن يؤذن، و كان دخل معه، و أبو سفيان بن حرب و عتاب بن أسيد و الحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب:

لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث: أما و الله لو أعلم أنه محق لا تبعته. و قال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرته عنى هذه الحصباء! فخرج عليهم النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فقال: «قد علمت الذى قلتم» «۱» ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث و عتاب: نشهد أنك رسول الله، و الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك.

و قام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين افتتح مكة على الصفا يدعو و قد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أ ترون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذ فتح الله عليه أرضه و بلده يقيم بها.

فلما فرغ من دعائه قال: ما ذا قلتم؟ قالوا: لا شىء يا رسول الله. فلم يزل بهم حتى

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (۳/ ۱۳۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۱۲

أخبروه فقال: «معاذ الله! المحيا محياكم و الممات مماتكم» «۱».

وعدت خزاعة الغد من يوم الفتح على رجل من هذيل يقال له: ابن الأثوع فقتلوه و هو مشرك برجل من أسلم يقال له: أحمر بأسا و

کان رجلا- شجاعا و کان إذا نام غط غطیطا منکرا لا یخفی مکانه فکان یبیت فی حیه معتنزا، فإذا بیت الحی صرخوا: یا أحمر. فیثور مثل الأسد لا یقوم لسبیله شی. فأقبل غزی من هذیل یریدون حاضره، حتی إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلی: لا تعجلوا حتی أنظر فإذا کان فی الحاضر أحمر فلا- سبیل إلیهم فإن له غطیطا لا یخفی. فاستمع فلما سمع غطیطه مشی إلیه حتی وضع السیف فی صدره ثم تحامل علیه حتی قتله. ثم أغاروا علی الحاضر فصرخوا: یا أحمر و لا أحمر لهم! فلما کان الغد من یوم الفتح أتی ابن الأثوع الهذلی حتی دخل مکة ینظر و یسأل عن أمر الناس و هو علی شرکه فرأته خزاعة فعرفوه فأحاطوا به و هو إلی جنب جدار من جدر مکة یقولون: أنت قاتل أحمر؟ قال: نعم أنا قاتل أحمر فمه. إذ أقبل خراش بن أمیة مشتملا علی السیف فقال: هکذا عن الرجل.

قال بعض من حضرهم: و و الله ما نظن إلا أنه یرید أن یفرج الناس عنه، فلما تفرجوا حمل علیه فطعنه بالسیف فی بطنه، فو الله لکأنی أنظر إلیه و حشوته تسیل من بطنه و إن عینیه لترنقان فی رأسه و هو یقول: أ قد فعلتموها یا معشر خزاعة! حتی انجعف فوقع.

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما بلغه ما صنع خراش بن أمیة: «إن خراشا لقتال». یعیبه بذلک.

و قام صلی اللّه علیه و سلم فی الناس خطیبا فقال: «یا أیها الناس، إن الله حرم مکة یوم خلق السموات و الأرض، فهی حرام من حرام الله إلی یوم القیامة، فلا یحل لامرئ یؤمن بالله و الیوم الآخر أن یسفک فیها دما و لا یعضد فیها شجرا، لم تحلل لأحد کان قبلی و لا تحل لأحد یکون بعدی، و لم تحل لی إلا- هذه الساعة غضبا علی أهلها؛ ألا ثم قد رجعت کحرمتها بالأمس فلیبلغ الشاهد منکم الغائب، فمن قال لکم: إن رسول الله قد قاتل.

فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله و لم یحلها لکم. یا معشر خزاعة ارفعوا أیدیکم عن القتل فقد کثر القتل أن یقع لقد قتلتم قتیلا لأدینه؛ فمن قتل بعد مقامی هذا فهم بخیر النظرین إن شاءوا فدم قاتله و إن شاءوا فعقله» «۲».

ثم ودی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ذلک الرجل الذی قتلت خزاعة.

---

(۱) انظر الحدیث فی: سنن الدّارقطنی (۳/ ۲۳۲، ۵۹، ۶۰)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۵۳۸).

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم (۲/ ۹۸۷، ۹۸۸، ۴۴۶)، سنن الترمذی (۳/ ۸۰۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۱۳

و أقام رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بمکة بعد فتحها خمس عشرة لیلة یقصر الصلاة. و کان فتحها لعشر لیال بقین من رمضان سنة ثمان.

و کان مما قیل من الشعر فی فتح مکة قول حسان بن ثابت، و ذکر ابن هشام أنه قالها قبل الفتح:

عفت ذات الأصابع فالجواءإلی عذراء منزلها خلاء «۱»

دیار من بنی الحسحاس قفرتعفیها الروماس و السماء «۲»

و کانت لا یزال بها أنیسخلال مروجها نعم و شاء

فدع هذا و لکن من لطیفیؤرقنی إذا ذهب العشاء

لشعثاء التی قد تیمتهفلیس لقلبه منه شفاء

کأن سیئة من بیت رأسیکون مزاجها عسل و ماء

إذا ما الأشربات ذکرن یومافهن لطیب الراح الفداء

نولیها الملامة إن ألمناإذا ما کان مغث أو لحاء

و نشربها فتترکنا ملوکاو أسدا ما ینهنهنا اللقاء

عدمنا خیلنا إن لم تروهاتثیر النقع موعدها کداء

ينازعن الأعنة مصغيات‌على أكتافها الأسل الظماء «۳»

تظل جيادنا متمطرات‌يلطمهن بالخمر النساء

فإما تعرضوا عنا اعتمرناو كان الفتح و انكشف الغطاء

و إلا فاصبروا لجلاد يوم‌يغر الله فيه من يشاء

و جبريل رسول الله فيناو روح القدس ليس له كفاء

و قال الله قد أرسلت عبدايقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه‌فقلتم لا نقوم و لا نشاء

و قال الله قد يسرت جنداهم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا فی كل يوم من معدسباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافی من هجاناو نضرب حين تختلط الدماء

---

(۱) عفت: أی درست و تغيرت.

(۲) الحسحاس: الرجل الجواد الذی يطرد الجوع بسخائه. و الروامس: الرياح التی تثير التراب فترمی به الآثار.

(۳) مصغيات: أی مستمعات. و الأسل: أی الرماح.

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۱،ص:۵۱۴ ألا أبلغ أبا سفيان عنی‌مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمدا و أجبت عنه‌و عند الله فی ذاك الجزاء

أ تهجوه و لست له بكفء‌فشر كما لخير كما الفداء

هجوت مباركا برا حنيفاأمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم‌و يمدحه و ينصره سواء

فإن أبی و والده و عرضی‌لعرض محمد منكم و قاء

لسانی صارم لا عيب فيه‌و بحری لا تكدره الدلاء و قول ابن هشام: إن حسان قال هذا الشعر قبل الفتح ظاهر فی غير ما شیء من مقتضياته، و من ذلك: مقاولته لأبی سفيان و هو ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلی اللّه عليه و سلم. و قد أسلم قبل الفتح فی طريق رسول الله صلی اللّه عليه و سلم إلی مكة كما تقدم.

و كذلك ذكر ابن عقبة أن حسان قاله فی مخرج رسول الله صلی اللّه عليه و سلم إلی مكة، و أن رسول الله صلی اللّه عليه و سلم لما دخل مكة نظر إلی النساء يلطمن الخيل بالخمر فالتفت إلی أبی بكر فتبسم لقول حسان فی ذلك: يلطمهن بالخمر النساء.

و قال أنس بن زنيم الديلی يعتذر إلی رسول الله صلی اللّه عليه و سلم مما قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعی:

و أنت الذی تهدی معد بأمره‌بل الله يهديهم و قال لك اشهد

و ما حملت من ناقة فوق رحلهاأبر و أوفی ذمة من محمد

أحث علی خير و أسبغ نائلاإذ راح كالسيف الصقيل المهند

و أكسی لبرد الخال قبل ابتذاله‌و أعطی لرأس السابق المتجرد

تعلم رسول الله أنك مدركی‌و أن وعيدا منك كالأخذ باليد

تعلم رسول الله أنك قادرعلی كل صرم متهمين و منجد

تعلم بأن الركب ركب عويمرهم الكاذبون المخلفون كل موعد

و نبوا رسول الله أنى هجوته‌فلا حملت سوطى إلى إذن يدى

سوى أننى قد قلت و يلم فتية‌أصيبوا بنحس لائط و بأسعد

ذويب و كلثوم و سلمى تتابعواجميعا فإن لا تدمع العين أكمد

أصابهم من لم يكن لدمائهم‌كفاء فعزت عبرتى و تبلدى و قال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح:

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۱۵ نفى أهل الحبلق كل فج‌مزينة غدوة و بنو خفاف

ضربناهم بمكة يوم فتح النبى الخير بالبيض الخفاف

صبحناهم بسلع من سليم‌و ألف من بنى عثمان واف

نطا أكتافهم ضربا و طعناو رشقا بالمريشة اللطاف «۱»

ترى بين الصفوف لها حفيفاكما انصاع الفواق من الرصاف

فرحنا و الجياد تجول فيهم‌بأرماح مقومة الثقاف

فأبنا غانمين بما اشتهيناو آبوا نادمين على الخلاف

و أعطينا رسول الله منامواثقنا على حسن التصافى

و قد سمعوا مقالتنا فهمواغداة الروع منا بانصراف و قال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة:

منا بمكة يوم فتح محمدألف تسيل به البطاح مسوم «۲»

نصروا الرسول و شاهدوا أيامه‌و شعارهم يوم اللقاء مقدم

فى منزل ثبتت به أقدامهم‌ضنك كأن الهام فيه الحنتم

جرت سنابكها بنجد قبلهاحتى استعاد لها الحجاز الأدهم

الله مكنه له و أذله‌حكم السيوف لنا وجد مزحم و قال نجيد بن عمران الخزاعى:

و قد أنشأ الله السحاب بنصرنارکام صحاب الهيدب المتراكب

و هجرتنا فى أرضنا عندنا بهاكتاب أتى من خير ممل و كاتب

و من أجلنا حلت بمكة حرمة‌لندرك ثأرا بالسيوف القواضب و لما فتح الله على رسوله صلى اللّه عليه و سلم مكة بعث السرايا فيما حولها يدعو إلى الله، و لم يأمرهم بقتال.

و كان ممن بعث خالد بن الوليد، و أمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا و لم يبعثه مقاتلا، و معه قبائل من العرب، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة. فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا. فقال رجل منها يقال له جحدم: ويلكم يا بنى جذيمة إنه خالد! و الله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، و ما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق، و الله لا أضع سلاحى أبدا. فأخذه رجال من قومه

---

(۱) رشقا: أى الرمى السريع. و المريشة: أى السهام التى لها ريش.

(۲) البطاح: جمع بطحاء، و هى الأرض السهلة المتسعة. مسوم: أى مرسل.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۱۶

فقالوا: يا جحدم، أ تريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا و وضعت الحرب و أمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه و وضع القوم السلاح لقول خالد.

فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم. و قال لهم جحدم حين وضعوا سلاحه و رأى

ما يصنع بهم: يا بنى جذيمة ضاع الضرب! قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه.

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» «۱».

و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لرجل انفلت منهم فأتاه بالخبر:

«هل أنكر عليه أحد؟» فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه، و أنكر عليه رجل أحمر مضطرب فرجعه فاشتدت مراجعتهما. فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله، و أما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة.

و ذكروا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «رأيت كأنى لقمت لقمة من حيس فالتذذت طعمها فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها فأدخل على يده فنزعه». فقال أبو بكر: هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب و يكون فى بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله «۲».

ثم لما كان من خالد فى بنى جذيمة ما كان دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بن أبى طالب فقال: «يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم و اجعل أمر الجاهلية تحت قدميك». فخرج على حتى جاءهم و معه مال قد بعث به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فودى لهم الدماء و ما أصيب من الأموال حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شىء من دم و لا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم على حين فرغ منه: هل بقى دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا؛ قال: فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم مما لا يعلم و لا تعلمون.

ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره الخبر، فقال: «أصبت و أحسنت».

ثم قام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» «۳»، ثلاث مرات.

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۲/ ۶۳۸۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۱۵).

(۲) ذكره ابن حجر فى فتح البارى (۷/ ۶۵۵).

(۳) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۶۵۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۱۷

و قد قال بعض من يعذر خالدا: إنه قال: ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى و قال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أمر أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام.

و حدث ابن أبى حدرد الأسلمى قال: كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد فقال لى فتى من بنى جذيمة و هو فى سنى و قد جمعت يداه إلى عنقه برمة و نسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى. قلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا بى بعد ما بدا لكم؟ قال قلت:

و الله ليسير ما طلبت. فأخذت برمته فقدته بها أوقفته عليهن فقال: اسلمى حبيش على نفد العيش:

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفيتكم بالخوانق

أ لم يك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى و الودائق

فلا ذنب لى قد قلت إذا أهلنا معا أثيبى بود قبل إحدى الصفائق

أثيبى بود قبل أن تشحط النوى و ينأى الأمير بالحبيب المفارق فقالت: و أنت فحييت سبعا و عشرا و ترا و ثمانيا تترى. قال: ثم انصرفت به فضربت عنقه. فحدث من حضرها أنها قامت إليه حين ضربت عنقه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده.

و خرج النسائى هذه القصة فى مصنفة فى باب «قتل الأسارى» من حديث ابن عباس أن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بعث سرية فغنموا و

فیهم و فیهم رجل قال: إنی لست منهم، عشقت امرأة فلحقتها فدعونی أنظر إلیها نظرة ثم اصنعوا بی ما بدا لکم. قال: فإذا امرأة طویلة أدماء فقال: اسلمی حبیش قبل نفد العیش و ذکر بعض الشعر المتقدم و بعده: قالت: نعم فدیتک. قال: فقدموه فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقفت علیه فشهقت شهقة أو شهقتین ثم ماتت، فلما قدموا علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أخبروه الخبر فقال صلی اللّه علیه و سلم: «أ ما کان فیکم رجل رحیم».

ثم بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خالد بن الولید إلی العزی و کانت بنخلة، و کان بیتا تعظمه قریش و کنانة و مضر کلها، و کان سدنتها و حجابها بنی شیبان من بنی سلیم حلفاء بن هاشم، فلما سمع صاحبها السلمی بسیر خالد إلیها علق علیها سیفه و أسند فی الجبل الذی هو فیه و هو یقول:

أیا عز شدی شدة لا شوی لهاعلی خالد ألقی القناع و شمری

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۱۸ أیا عز إن لم تقتلی المرء خالدافبوئی بإثم عاجل أو تنصری فلما انتهی إلیها خالد هدمها. ثم رجع إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

غزوة حنین «۱»

و لما سمعت «۲» هوازن برسول الله صلی اللّه علیه و سلم و ما فتح الله علیه من مکة، جمعها مالک بن عوف النضری، فاجتمع إلیه مع هوازن ثقیف کلها، و اجتمعت نضر و جشم کلها، و سعد بن بکر و ناس من بنی هلال و هم قلیل، و لم یشهدها من قیس عیلان إلا هؤلاء.

و فی بنی جشم درید بن الصمة شیخ کبیر لیس فیه شیء إلا التیمن برأیه و معرفته بالحرب، و جماع أمر الناس إلی مالک بن عوف.

فلما أجمع السیر إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حط مع الناس أموالهم و نساءهم و أبناءهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إلیه الناس و فیهم درید بن الصمة فی شجار «۳» له یقاد به، فلما نزل قال: «فی أی واد أنتم؟» قالوا: بأوطاس. قال: «نعم مجال الخیل لا حزن ضرس «۴» و لا سهل دهس «۵»، ما لی أسمع رغاء البعیر، و نهاق الحمیر، و بکاء الصغیر و یعار الشاء؟» قالوا: ساق مالک بن عوف مع الناس أموالهم و نساءهم و أبناءهم. قال: «أین مالک؟» فدعی له فقال: «یا مالک، إنک أصبحت رئیس قومک، و إن هذا یوم له ما بعده، ما لی أسمع رغاء البعیر، و نهاق الحمیر، و بکاء الصغیر، و یعار الشاء» قال: سقت مع الناس أموالهم و نساءهم و أبناءهم، أردت أن أجعل خلف کل رجل منهم أهله و ماله لیقاتل عنهم قال: فانقض به، و قال: «راعی ضأن و الله! و هل یرد المنهزم شیء؟ إنها إن کانت لک لم ینفعک إلا رجل بسیفه و رمحه، و إن کانت علیک فضحت فی أهلک و مالک».

ثم قال: «ما فعلت کعب و کلاب؟» قالوا: لم یشهدها منهم أحد. قال: «غاب

---

(۱) راجع هذه الغزوة فی: المنتظم لابن الجوزی (۳/ ۳۳۱- ۳۴۱)، مغازی الواقدی (۳/ ۸۸۵)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۱۰۸)، تاریخ الطبری (۳/ ۷۱)، الکامل (۲/ ۱۳۵)، البدایة و النهایة (۴/ ۳۲۲).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۷۱).

(۳) شجار: شبه الهودج إلا أنه مکشوف من أعلی.

(۴) الحزن: المرتفع من الأرض. الضرس: الذی فیه حجارة محددة.

(۵) سهل دهس: هو کل لین سهل لا یبلغ أن یکون رملا و لیس بتراب و لا طین ..

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۱۹

الحد «۱» و الجد لو کان یوم علاء و رفعة لم تغب عنه کعب و کلاب، و لوددت أنکم فعلتم ما فعلت کعب و کلاب، فمن شهدها

منكم؟» قالوا: عمرو بن عامر و عوف بن عامر. قال: «ذانك الجذعان «۲» لا ينفعان و لا يضران! يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم و علياء قومهم ثم الق الصّبّاء «۳» على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك، و إن كانت عليك ألفاك ذلك و قد أحرزت أهلك و مالك».

قال: و الله لا أفعل، إنك قد كبرت و كبر عقلك و الله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى، و كره أن يكون لدريد فيها ذكر أو أرى، قالوا: أطعناك.

فقال دريد ابن الصمة: هذا يوم لم أشهده و لم يفتنى:

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها و أضع «۴» ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد.

و بعث مالك بن عوف عيونا من رجاله، فأتوه و قد تفرقت أوصالهم فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالا بيضا على خيل بلق و الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فو الله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

و لما سمع بهم نبى الله صلى اللّه عليه و سلم بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى و أمره أن يدخل فى الناس، و يقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم حتى سمع و علم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و سمع من مالك و أمر هوازن ما هم له ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره الخبر «۵».

---

(۱) غاب الحد: أى غابت الشجاعة و الحدة.

(۲) الجذعان: يريد أنهما ضعيفان بمنزلة الجذع فى سنه.

(۳) الصباء: مفردها صابئ و كانوا يسمون المسلمون صباء.

(۴) يا ليتنى فيها جذع: يتمنى أن يكون فى هذه الحرب شابا لم تحطمه الأيام. و أخب: من الخبب، و هو ضرب من السير.

(۵) ذكر فى السيرة (۴/ ۷۳) زيادة فى هذا الموضع فقال: «... فأخبره الخبر، فدعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عمر بن الخطاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبى حدرد، فقال ابن أبى حدرد: إن-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۲۰

فلما أجمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا و سلاحا فأرسل إليه و هو يومئذ مشرك فقال: «يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلقى فيها عدونا غدا»، فقال صفوان: أ غصبا يا محمد؟ فقال: «بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك»، قال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سأله أن يكفيهم حملها ففعل «۱».

ثم خرج أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عامدا لحنين معه ألفان من أهل مكة و عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة، فكانوا اثنى عشر ألفا.

و ذكر «۲» أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال حين فصل من مكة إلى حنين و رأى كثرة من معه من جنود الله: «لن نغلب اليوم من قلة» «۳». و زعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكرة قالها.

و استعمل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس «۴» على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس. ثم مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على وجهه يريد لقاء هوازن.

قال ابن عقبة: و كان أهل حنين يظنون حين دنا منهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يعنى فى توجهه إلى مكة أنه بادئ بهم، و صنع الله لرسوله ما هو أحسن من ذلك، فتح له مكة فأقر بها عينه و كبت بها عدوه.

- كذبتنى فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير منى، فقال عمر: يا رسول الله، أ لا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قد كانت ضالا فهداك الله يا عمر».

هكذا وردت هذه الزيادة فى السيرة.

و انظر هذه الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۲۴)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۱۲۱).

(۱) انظر الحديث فى: مستدرک الحاکم (۳/ ۴۸، ۴۹)، السلسلة الصحيحة للألبانى (۶۳۱)، السنن الكبرى للبيهقى (۶/ ۸۹).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۷۷).

(۳) انظر الحديث فى: مستدرک الحاکم (۱/ ۴۴۳)، سنن أبى داود (۳/ ۲۶۱۱)، سنن الترمذى (۴/ ۱۵۵۵).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۷۷۵)، الإصابة الترجمة رقم (۵۴۰۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۵۳۸)، الثقات (۳/ ۳۰۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۷۰)، تقريب التهذيب (۲/ ۳) خلاصة تذهيب (۲/ ۲۰۸)، شذرات الذهب (۱/ ۵۶)، العبر (۱/ ۱۶)، تهذيب الكمال (۲/ ۹۰۰)، مشاهير علماء الأمصار (۱۵۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۲۱

فلما خرج صلى اللّه عليه و سلم إلى حنين خرج معه أهل مكة ركبانا و مشاة، حتى خرج معه النساء يمشين على غير دين نظارا ينظرون و يرجون الغنائم، و لا يكرهون أن تكون الصدمة برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه.

و حدث «۱» أبو واقد الليثى قال: خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى حنين و نحن حديثوا عهد بالجاهلية، و كانت لكفار قريش و من سواهم من العرب شجرة خضراء عظيمة يقال لها: ذات أنواط. يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم و يذبحون عندها و يعكفون عليها يوما، قال: فرأينا و نحن نسير معه سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «الله أكبر! قلتم و الذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ، قالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف: ۱۳۸] فإنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم» «۲».

و حدث «۳» جابر بن عبد الله قال: لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحدارا قال: و ذلک فى عمامة الصبح، و كان القوم قد سبقونا إلى الوادى فكمنوا لنا فى شعابه و أحنائه و مضايقه، قد أجمعوا و تهيئوا، فو الله ما راعنا و نحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، و انشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد.

و انحاز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ذات اليمين ثم قال: «أيها الناس هلم إلى أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله» قال: فلا شيء! حملت الإبل بعضها على بعض و انطلق الناس، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نفر من المهاجرين و الأنصار و أهل بيته، و فيمن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر و عمرو و من أهل بيته على بن أبى طالب و العباس و أبو سفيان بن الحارث و ابنه و الفضل بن عباس و ربيعة بن الحارث و أسامة بن زيد و أيمن بن عبيد و هو ابن أم أيمن قتل يومئذ «۴».

قال «۵»: و رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۷۵).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۲۱۸)، سنن الترمذى (۴/ ۲۱۸۰).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۷۵).

(۴) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۷۶)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۷۹).

(۵) انظر: السيرة (۴/ ۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۲۲

أمام هوازن و هم خلفه، إذا أدرک طعن برمحه و إذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فبینا ذلک الرجل یصنع ما یصنع إذا أهوی له علی بن أبی طالب و رجل من الأنصار یریدانه قال: فیأتی علی من خلفه فضرب عرقوبی الجمل فوقع علی عجزه و وثب الأنصاری علی الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله.

قال ابن إسحاق «۱»: فلما انهزم الناس و رأی من کان مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من جفاة أهل مکة الهزیمة تکلم رجال منهم بما فی أنفسهم من الضغن فقال أحدهم: لا تنتهی هزیمتهم دون البحر. و إن الأزلام لمعه فی کنانته. و صرخ آخر منهم: ألا بطل السحر الیوم! فقال له صفوان بن أمیة و هو یومئذ مشرک فی المدة التی جعل له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

اسکت فض الله فاک! فو الله لأن یربنی رجل من قریش أحب إلیّ من أن یربنی رجل من هوازن.

و قال شیبة بن عثمان بن أبی طلحة أخو بنی عبد الدار، و کان أبوه قتل یوم أحد، قلت: الیوم أدرک ثأری، الیوم أقتل محمدا. قال: فأردت برسول الله لأقتله فأقبل شیء حتی تغشی فؤادی فلم أطق ذلک و علمت أنی ممنوع منه «۲».

و ذکر ابن أبی خیثمة حدیث شیبة هذا، قال: لما رأیت النبیّ صلی اللّه علیه و سلم یوم حنین أعری ذکرت أبی و عمی قتلهما حمزة، قلت: الیوم أدرک ثأری فی محمد، فجئته عن یمینه فإذا أنا العباس قائما علیه درع بیضاء، قلت: عمه لن یخذله، فجئته عن یساره فإذا أنا بأبی سفیان بن الحارث، قلت: ابن عمه لن یخله، فجئته من خلفه فدنوت و دنوت حتی لم یبق إلا أن أسور سورة بالسیف فرفع إلی شواظ من نار کأنه البرق فنکصت علی عقبی القهقری، فالتفت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال: «یا شیبة ادنه». فدنوت فوضع یده علی صدری فاستخرج الله الشیطان من قلبی فرفعت إلیه بصری فلهو أحب إلی من سمعی و بصری، فقال لی: «یا شیبة قاتل الکفار» «۳». فقاتلت معه صلی اللّه علیه و سلم.

و حدث «۴» العباس بن عبد المطلب قال: إنی لمع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم آخذ بحکمة بغلته البیضاء قد شجرتها بها و کنت امرأ جسیما شدید الصوت و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول حین رأی ما رأی من أمر الناس: «أین أیها الناس؟» فلم أر الناس یلوون علی شیء، فقال: «یا

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۷۶- ۷۷).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۷۷).

(۳) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة (۴/ ۳۳۳)، الدر المنثور للسیوطی (۳/ ۲۲۶).

(۴) انظر: السیرة (۴/ ۷۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۱،ص:۵۲۳

عباس اصرخ: یا معشر الأنصار، یا معشر أصحاب السمرة». قال: فأجابوا: لبیک لبیک.

قال: فیذهب الرجل لیثنی بعیره، فلا یقدر علی ذلک، فیأخذ درعه، فیقذفها فی عنقه، و یأخذ سیفه و ترسه و یقتحم عن بعیره و یخلی سبیله فیؤم الصوت حتی ینتهی إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، حتی إذا اجتمع إلیه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا، فکانت الدعوی أول ما کانت للأنصار ثم خلصت آخرا للخزرج، و کانوا صبرا عند الحرب، فأشرب رسول الله صلی الله علیه و سلم فی رکائبه فنظر إلی مجتلد القوم فقال: «الآن حمی الوطیس» «۱».

قال جابر بن عبد الله فی حدیثه: و اجتلد الناس، فو الله ما رجعت راجعة الناس من هزیمتهم حتی وجدوا الأساری مکتفین عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم!.

قال: و التفت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی أبی سفیان بن الحارث و کان حسن الإسلام و ممن صبر یومئذ معه و هو آخذ بثغر بغلته فقال: «من هذا؟» قال: أنا ابن أمک یا رسول الله «۲».

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما غشيه القتال يومئذ قام فى الركابين و هو على البغلة. و يقولون: نزل. فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول: «اللهم إنى أنشدك ما وعدتنى، اللهم لا ينبغى لهم أن يظهروا علينا». و نادى أصحابه فذمرهم: «يا أصحاب البيعة يوم الحديبية، يا أصحاب سورة البقرة، يا أنصار الله و أنصار رسوله، يا بنى الخزرج». و قبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين و نواحيهم كلها. و قال: «شاهت الوجوه» «۳».

فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم فيها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم و غنمهم الله نساءهم و ذراريهم و شاءهم و إبلهم، و فر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف فى ناس من أشراف قومه.

---

(۱) ذكره الإمام أحمد فى مسنده (۱۷۷۵)، مسلم فى صحيحه (۳/ ۱۳۹۸، ۱۳۹۹/ ۷۶).

(۲) لم أقف على تخريجه فيما بين يدى من مصادر، و قصة أبى سفيان بن الحارث أنه كان أخذ بزمام ناقة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم أخرجها البخارى فى صحيحه كتاب المغازى (۷/ ۴۳۱۵) من طريق أبى إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب ... و فيه: «فيفهم هوزان بالنبل و النبىّ صلى اللّه عليه و سلم على بغلته البيضاء، و أبو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها و النبىّ صلى اللّه عليه و سلم يقول: «أنا النبىّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية (۴/ ۳۳۰)، المعجم الكبير للطبرانى (۱۰/ ۱۸۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۸۲، ۸/ ۶۱۹)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۱۳۱)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۶۱۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۲۴

و أسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة و غيرهم حين رأوا نصر الله و رسوله و إعزاز دينه.

و حدث «۱» جبير بن مطعم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم و الناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا و بين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مثبوت قد ملأ الوادى و لم أشك أنها الملائكة، فلم تكن إلا هزيمة القوم «۲».

و التفت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يومئذ فرأى أم سليم بنت ملحان، و كانت مع زوجها أبى طلحة و هى حازمة وسطها ببرد لها و إنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة، و معها جمل أبى طلحة قد خشيت أن يعزها فأدنت رأسه منها فأدخلت يدها فى خزامته مع الخطام فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أم سليم؟» قالت: نعم، بأبى أنت و أمى يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم أهل، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أو يكفى الله يا أم سليم؟». و قال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر يا أم سليم؟ لخنجر رآه عندها. قالت: خنجر اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به. فقال أبو طلحة:

أ لا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم! «۳».

و حدث «۴» أنس: أن أبا طلحة استلب وحده يوم حنين عشرين رجلا «۵».

و قال أبو قتادة رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان: مسلما و مشركا، فإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم فأتيته فضربت يده فقطعتها و اعتنقنى بيده الأخرى، فو الله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم.

و يروى: ريح الموت. فلو لا أن الدم نزفه لقتلنى، فسقط فضربته فقتلته و أجهضنى عنه القتال. فلما وضعت الحرب أوزارها و فرغنا من القوم، قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: من قتل قتيلا فله سلبه. فقلت: يا رسول الله و الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب فأجهضنى عنه القتال

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۸۱- ۸۲).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۱۴۶)، تاريخ الطبرى (۲/ ۱۶۹)، تفسير ابن كثير (۴/ ۷۲).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الجهاد باب غزوة النساء مع الرجال (۳/ ۱۴۴۲، ۱۴۴۳)، سنن أبو داود (۲۷۱۸)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۹۰، ۲۷۹، ۲۸۶).

(۴) انظر: السيرة (۴/ ۸۱).

(۵) انظر الحديث فى: سنن الدارمى (۲/ ۲۴۸۴)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۱۴، ۱۲۳، ۱۹۰، ۲۷۹)، مستدرک الحاکم (۳/ ۳۵۳)، ابن حبان (۷/ ۴۸۱۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۲۵

فما أدرى من استلبه. فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله فأرضه عنى من سلبه. فقال أبو بكر: لا و الله لا ترضيه منه تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه! اردد عليه سلب قتيله. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: صدق اردد عليه سلبه.

قال أبو قتادة: فأخذته منه فبعته فاشتريت بثمنه مخرفا، فإنه لأول مال اعتقدته «۱».

و لما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة و معه كانت راية بنى مالك.

و كانت قبله مع ذى الخمار، فلما قتل أخذها عثمان فقاتل بها حتى قتل، فلما بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قتله قال: «أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشا» «۲».

و كانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس هرب هو و قومه من الأحلاف فلم يقتل منهم غير رجلين يقال لأحدهما وهب و للآخر الجلاح، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين بلغه قتل الجلاح: «قتل اليوم سيد شباب ثقيف، إلا ما كان من ابن هنيدة» «۳». يعنى الحارث بن أويس.

و لما انهزم المشركون أتوا الطائف و معهم مالك بن عوف و عسكر بعضهم بأوطاس و توجه بعضهم نحو نخلة، و تبعت خيل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من سلك فى نخلة من الناس و لم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن رفيع و كان يقال له: ابن الدغنة، و هى أمه غلبت على اسمه أدرك دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله و هو يظن أنه امرأة، و ذلك أنه كان فى شجار له، فأناخ به فإذا شيخ كبير و إذا هو دريد و لا يعرفه الغلام، فقال له دريد:

ما ذا تريد بى؟ قال: أقتلك. قال: و من أنت؟ قال: انا ربيعة بن رفيع السلمى. ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال: بئس ما سلحتك أمك! خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به و ارفع عن العظام و اخفض عن الدماغ، فإنى كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب و الله يوم قد منعت فيه نساءك.

فزعم بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشف فإذا عجانه و بطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء. فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت: أما

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۳/ ۱۳۷۰، ۱۳۷۱، ۴۱)، مسند الإمام أحمد (۵/ ۳۰۶).

(۲) انظر الحديث فى: مصنف عبد الرزاق (۱۱/ ۱۹۹۰۴).

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۳۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۲۶

و الله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا «۱». و قالت عميرة بنت دريد ترثى أباها:

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوافظل دمعى على السربال ينحدر

لو لا الذى قهر الأقوام كلهمرأت سليم و كعب كيف يأتمر «۲»

و بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعری «۳» فأدرک بعض المنهزمة فناوشوه القتال، فرمی بسهم فقتل، فأخذ الرایة أبو موسی الأشعری «۴» ففتح الله علیه و هزمهم الله، و یزعمون أن سلمة بن درید هو الذی رمی أبا عامر.

و ذکر ابن هشام «۵» عمن یثق به أن أبا عامر الأشعری لقی یوم أوطاس عشرة أخوة من المشرکین، فحمل علیه أحدهم فحمل علیه أبو عامر و هو یدعوه إلی الإسلام و یقول: اللهم اشهد علیه، فقتله أبو عامر، ثم حمل علیه آخر، فحمل علیه أبو عامر، و هو یدعوه إلی الإسلام و یقول: اللهم اشهد علیه، فقتله أبو عامر، ثم جعلوا یحملون علیه رجلا بعد رجل، و یحمل أبو عامر و یقول ذلک، حتی قتل تسعة و بقی العاشر، فحمل علی أبی عامر و حمل علیه أبو عامر، و هو یدعوه إلی الإسلام و یقول: اللهم اشهد علیه. فقال الرجل: اللهم لا تشهد علی، فکف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فکان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إذا رآه قال: «هذا شرید أبی عامر» «۶» و رمی أبا عامر یومئذ- فیما ذکر ابن هشام- خوان من بنی جشم بن معاویة فأصاب أحدهما قلبه و الأخر رکبته فقاتلاه، و ولی الناس أبو موسی الأشعری فحمل علیهما فقتلهما.

و ذکر ابن إسحاق «۷» أن القتل استحر فی بنی نصر بن رئاب، فزعموا أن عبد الله

---

(۱) انظر الحدیث فی: دلائل النبوة للبیهقی (۵/ ۱۴۵)، تاریخ الطبری (۲/ ۱۷۰)، الأصفهانی کتاب الأغانی (۹/ ۱۵، ۱۶).

(۲) ذکر فی السیرة بعد هذان البیتان بیت آخر هو:

إذن لصحبهم غبا و ظاهرةحیث استقرت نواهم جحفل دفر انظر: السیرة (۴/ ۸۷).

(۳) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۳۰۹۲)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۱۸۵)، أسد الغابة الترجمة (۶۰۴۳).

(۴) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۳۲۲۶)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۵۸۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۲۹۴).

(۵) انظر: السیرة (۴/ ۸۹- ۹۰).

(۶) انظر الحدیث فی: فتح الباری لابن حجر (۷/ ۶۳۹)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۳۳۸).

(۷) انظر: السیرة (۴/ ۸۷- ۸۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۲۷

ابن قیس الذی یقال له: ابن العوراء، و هو أحد بنی وهب بن رئاب، قال: یا رسول الله، هلکت بنو رئاب. فزعموا أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «اللهم اجبر مصیبتهم» «۱».

و خرج مالک بن عوف عند الهزیمة فوقف فی فوارس من قومه علی ثنیة من الطریق و قال لأصحابه: قفوا حتی یمضی ضعفاؤکم و تلحق اخراکم. فوقف هنالک حتی مضی من کان لحق بهم منهزمة الناس.

قال ابن هشام «۲»: و بلغنی أن خیلا طلعت و مالک و أصحابه علی الثنیة فقال لأصحابه: ما ذا ترون؟ قالوا: نری قوما واضعی رماحهم بین آذان خیلهم طویلة بوادهم.

فقال: هؤلاء بنو سلیم و لا بأس علیکم منهم، فلما أقبلوا سلکوا بطن الوادی، ثم طلعت خیل اخری تتبعها فقال لأصحابه: ما ذا ترون، قالوا: نری أقواما عارضی أرماحهم أغفالا «۳» علی خیلهم. قال: هؤلاء الأوس و الخزرج و لا بأس علیکم منهم، فلما انتهوا إلی أصل الثنیة سلکوا طریق بنی سلیم ثم اطلع فارس فقال لأصحابه: ما ذا ترون؟ قالوا:

نری فارسا طویل الباد واضعا رمحه علی عاتقه عاصبا رأسه بملاءة حمراء. فقال: هذا الزبیر بن العوام و أحلف باللات لیخالطنکم فاثبتوا له. فلما انتهی الزبیر إلی أصل الثنیة أبصر القوم فصمد لهم فلم یزل یطاعنهم حتی أزاحهم عنها.

و قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یومئذ: «إن قدرتم علی بجاد، رجل من بنی سعد بن بکر، فلا یفلتنکم»، و کان قد أحدث حدثا، فلما ظفر به المسلمون ساقوه و أهله، و ساقوا معه الشیماء بنت الحارث بن عبد العزی أخت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من

الرضاعة، فعنفوا عليها فى السياق فقالت للمسلمين: تعلموا و الله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة. فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فلما انتهوا بها إليه قالت: يا رسول الله إنى أختك. قال: و ما علامة ذلك؟ قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى و أنا متوركتك، فعرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه و خيرها، فقال: إذا أحببت فعندى محبة مكرمة و إن أحببت أن أمتعك و ترجعى إلى قومك فعلت، قالت: بل تمتعنى و تردنى إلى قومى. فمتعها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وردها إلى قومها. فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له: مكحول، و جارية، فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية «۴».

---

(۱) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱۵۲)، الإصابة لابن حجر (۴/ ۱۲۱).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۸۸- ۸۹).

(۳) أغفالا: جمع غفل، و هو الذى لا علامة له، يريد أنهم لم يتخذوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

(۴) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۱۷۱)، الإصابة لابن حجر (۸/ ۱۲۳)، الاستيعاب لابن-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۲۸

و أنزل الله تبارك و تعالى فى يوم حنين لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ [التوبة: ۲۵، ۲۶].

و استشهد من المسلمين يوم حنين من قريش ثم من بنى هاشم: أيمن بن عبيد «۱» مولاهم. و من بنى أسد بن عبد العزى يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب «۲»، جمح به فرس يقال له الجناح فقتل.

و من الأنصار: سراقة بن الحارث العجلانى «۳». و من الأشعريين أبو عامر الأشعرى.

ثم جمعت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سبايا حنين و أموالها فأمر بها إلى الجعرانة فحبست بها حتى أدركها هنالك منصرفه عن الطائف على ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى.

و قال عباس بن مرداس السلمى «۴» فى يوم حنين «۵»:

عفا مجدل من أهله فمتالعفمطلا أريك قد خلافا لمصانع

ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنارخى و صرف الدهر للحى جامع

حبيبة ألوت بها غربة النوىلبين فهل ماض من العيش راجع

فإن تبتغى الكفار غير ملومةفإنى وزير للنبى و تابع

دعانا إليه خير و فد علمتمخزيمة و المرار منهم و واسع

- عبد البر الترجمة رقم (۱۸۷۰، ۴۰۰۳)، أسد الغابة لابن الأثير (۷/ ۱۶۶، ۱۶۷).

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۳۱)، الإصابة الترجمة رقم (۳۹۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۵۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۴۱)، معرفة الصحابة (۲/ ۳۷۲).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۸۰۰)، الإصابة الترجمة رقم (۹۲۸۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۵۵۲).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۹۱۶)، الإصابة الترجمة رقم (۳۱۱۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۹۴۸).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۳۸۷)، الإصابة الترجمة رقم (۴۵۲۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۸۰۱)، تجريد أسماء

الصحابة (۱/ ۲۹۵)، تاريخ جرجان (۲۸۱)، تقريب التهذيب (۱/ ۳۹۹)، تهذيب التهذيب (۵/ ۱۳۰)، خلاصة تذهيب (۲/ ۳۷)، تهذيب الكمال (۲/ ۶۶۰)، الأعلام (۳/ ۲۶۷).

(۵) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۹۵- ۹۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۲۹ فجئنا بألف من سليم عليهملبوس لهم من نسج داود رائع

نبايعه بالأخشبين و إنمايد الله بين الأخشبين نبايع

فجسنا مع المهدى مكة عنوةبأسيافنا و النقع كاب و ساطع

علانية و الخيل يغشى متونهاحميم و آن من دم الجوف ناقع

و يوم حنين حين سارت هوازنإلينا و ضاقت بالنفوس الأضالع

صبرنا مع الضحاك لا يستفزناقراع الأعادى منهم و الوقائع

أمام رسول الله يخفق فوقنالواء كخدروف السحابة لامع

عشية ضحاك بن سفيان معتصبسيف رسول الله و الموت كانع

نذود أخانا عن أخينا و لو نرىمصالا لكنا الأقربين نتابع

و لكن دين الله دين محمدرضينا به فيه الهدى و الشرائع

أقام به بعد الضلالة أمرناو ليس لأمر حمه الله دافع

و قال عباس أيضا «۱»:

تقطع باقى وصل أم مؤملبعاقبة و استبدلت نية خلفا

و قد حلفت بالله لا تقطع النوىفما صدقت فيه و لا برت الحلفا

خفافية بطن العقيق مصيفهاو تحتل فى البادين و جرة فالعرفا «۲»

فإن تتبع الكفار أم مؤملفقد زودت قلبى على نأيها شغفا

و سوف ينبيها الخبير بأننأبينا و لم نطلب سوى ربنا حلفا

و إنا مع الهادى النبىّ محمدو فينا و لم نستوفها معشر ألفا

بفتيان صدق من سليم أعزةأطاعوا فما يعصون من أمره حرفا

خفاف و ذكوان و عوف تخالهممصاعب زافت فى طروقتها كلفا

كأن النسيج الشهب و البيض ملبسأسودا تلاقت فى مراصدها غضفا «۳»

بنا عز دين الله غير تنحلو زدنا على الحى الذى معه ضعفا

بمكة إذ جئنا كأن لواءناعقاب أرادت بعد تحليقها خطفا

على شخص الأبصار تحسب بينهاإذا هى جالت فى مواردها عزفا

---

(۱) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۹۶- ۹۷).

(۲) خفافية: منسوبة إلى بنى خفاف و هم حى من سليم. مصيفها: المكان الذى تقيم فيه فى الصيف.

(۳) غضفا: الغضف: جمع أغضف و هو المسترخى الأذنين.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۳۰ غداة وطئنا المشركين و لم نجدلأمر رسول الله عدلا و لا صرفا

بمعترك لا يسمع القوم وسطهلنا [زجمة] «۴» إلا التذامر و النقفا

ببيض تطير الهام عن مستقرهاو تقطف أعناق الكماة بها قطفا

فكاين تركنا من قتيل ملحبو أرملة تدعو على بعلها لهفا

رضا الله ننوى لا رضا الناس نبتغىو لله ما يبدو جميعا و ما يخفى

و قال عباس أيضا «۱»:

ما بال عينك فيها عائر سهرمثل الحماطة أغضى فوقها الشفر

عين تأوبها من شجوها أرقفالماء يغمرها طورا و ينحدر

كأنه نظم در عند ناظمهتقطع السلك منه فهو منتثر

ما بعد منزل من ترجو مودتهو من أتى دونه الصمان فالحفر

دع ما تقدم من عهد الشباب فقدولى الشباب و زار الشيب و الزعر

و اذكر بلاء سليم فى مواطنهاو فى سليم لأهل الفخر مفتخر

قوم هم نصروا الرحمن و اتبعوادين الرسول و أمر الناس مشتجر

الضاربون جنود الشرك ضاحيةببطن مكة و الأرواح تبتدر

حتى رفعنا و قتلاهم كأنهمنخل بظاهرة البطحاء منقعر

و نحن يوم حنين كان مشهدناللدين عزا و عند الله مدخر

إذ نركب الموت مخضرا بطائنهو الخيل ينجاب عنها ساطع كدر

تحت اللوامع و الضحاك يقدمناكما مشى الليث فى غاباته الخدر

فى مأزق من مجر الحرب كلكلهاتكاد تأفل منه الشمس و القمر

و قد صبرنا بأوطاس أسنتناالله ننصر من شئنا و ننتصر

حتى تأوب أقوام منازلهملو لا المليك و لو لا نحن ما صدروا

فما ترى معشرا قلوا و لا كثرواإلا قد أصبح منا فيهم أثر

و قال عباس بن مرداس أيضا رضى الله عنه «۲»:

يا أيها الرجل الذى تهوى بهو جناء مجمرة المناسم عرمس

---

(۴) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «رحمة»، و التصحيح من السيرة. و زجمة: تقول ما زجم فلان أى ما نطق بكلمة.

(۱) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۹۷- ۹۸).

(۲) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۹۸- ۹۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۳۱ إما أتيت على النبىّ فقل لهحقا عليك إذا اطمأن المجلس

يا خير من ركب المطى و من مشىفوق التراب إذا تعد الأنفس

إنا وفينا بالذى عاهدتناو الخيل تقدع بالكماة و تضرس

إذ سال من أفناء بهثة كلهاجمع تظل به المخارم ترجس

حتى صبحنا أهل مكة فيلقاشهباء يقدمها الهمام الأشوس

من كل أغلب من سليم فوقهبيضاء محكمة الدخال و قونس

و على حنين قد وفى من جمعناألف أمد به الرسول عرندس

كانوا أمام المؤمنين دريئةو الشمس يومئذ عليها أشمس

نمضى و يحرسنا الإله بحفظهو الله ليس بضائع من يحرس

و لقد حبسنا بالمناقب محبسارضى الإله بهم فنعم المحبس

و غداة أوطاس شددنا شدةكفت العدو و قيل منها يحبس

ندعو هوازن بالإخاءة بينناثدى تمد به هوازن أيبس

حتى تركنا جمعهم و كأنهعير تعاقبه السباع مفرس

و قال عباس بن مرداس أيضا «۱»:

نصرنا رسول الله من غضب لهبألف كمى لا تعد حواسره

حملنا له فى عامل الرمح رايةيذود بها فى حومة الموت ناصره

و نحن خضبناها دما فهو لونهاغداة حنين يوم صفوان شاجره

و كنا على الإسلام ميمنة لهو كان لنا عقد اللواء و شاهره

و كنا له يوم الجنود بطانةيشاورنا فى أمره و نشاوره

دعانا فسمانا الشعار مقدماو كنا له عونا على من يناكره

جزى الله خيرا من نبى محمداو أيده بالنصر و الله ناصره

غزوة الطائف «۲»

و لما قدم فل الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، و صنعوا الصنائع للقتال، و لم

---

(۱) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۹۹).

(۲) راجع هـذه الغزوة فى: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۴۱)، مغازى الواقدى (۳/ ۹۲۲)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۱۱۴)، تاريخ الطبرى (۳/ ۸۲).

يشهد حنينا و لا الطائف عروة بن مسعود «۱» و لا غيلان بن سلمة «۲»، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات و المجانيق و الضبور.

ثم سار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الطائف حين فرغ من حنين، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم السير إليها «۳»:

قضينا من تهامة كل ريبو خيبر ثم أجممنا السيوفا

نخيرها و لو نطقت لقالتقواطعهن دوسا أو ثقيفا

فلست لحاضن إن لم تروهابساحة دار كم منا ألوفا

و ننتزع العروش ببطن وجو تصبح دوركم منكم خلوفا

و يأتيكم لنا سرعان خيليغادر خلفه جمعا كثيفا

إذا نزلوا بساحتكم سمعتملها مما أناخ بها رجيفا

بأيديهم قواضب مرهفاتيزرن المصطلين بها الحتوفا

كأمثال العقائق أخلصتهاقيون الهند لم تضرب كتيفا

تخال جدية الأبطال فيهاغداة الروع جاديا مدوفا

أجدهم أ ليس لهم نصيح من الأقوام كان بنا عريفا

يخبرهم بأنا قد جمعناعتاق الخيل و النجب الطروفا

و أنا قد أتيناهم بزحف يحيط بسور حصنهم صفوفا

رئيسهم النبىّ و كان صلبانقى القلب مصطبرا عزوفا

رشيد الأمر ذا حكم و علمو حلم لم يكن نزقا خفيفا

نطيع نبينا و نطيع رباهو الرحمن كان بنا رءوفا

فإن تلقوا إلينا السلم نقبلو نجعلكم لنا عضدا و ريفا

و إن تأبوا نجاهدكم و نصبرو لا يكك أمرنا رعشا ضعيفا

نجالد ما بقينا أو تنيبواإلى الإسلام إذعانا مضيفا

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۸۲۳)، الإصابة الترجمة رقم (۵۵۴۲)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۸۰)، الأعلام (۴/ ۲۲۷)، الثقات (۳/ ۳۱۳)، التحفة اللطيفة (۳/ ۱۸۷)، تبصير المنتبه (۴/ ۱۴۹۵)، العبر (۱/ ۱۰).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۰۹۰)، الإصابة الترجمة رقم (۶۹۴۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۱۹۰).

(۳) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۱۰۶– ۱۰۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۳۳ نجاهد لا نبالى ما لقيناأ أهلكنا التلاد أم الطريفا

و كم من معشر ألبوا علينا صميم الجذم منهم و الحليفا

أتونا لا يرون لهم كفاءفجدعنا المسامع و الأنوفا

بكل مهند لين صقيل نسوقهم بها سوقا عنيفا

لأمر الله و الإسلام حتىيقوم الدين معتدلا حنيفا

و تنسى اللات و العزى و ودو نسلبها القلائد و الشنوفا

فأمسوا قد أقروا و اطمأنوا من لا يمتنع يقبل خسوفا

و سلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على نخلة اليمانية، و انتهى إلى بحرة الرغاة «۱» فابتنى بها مسجدا فصلى فيه و أقاد فيها يومئذ بدم رجل من هذيل قتله رجل من بنى ليث فقتله به، و هو أول دم أقيد به فى الإسلام، و أمر فى طريقه بحصن مالك بن عوف فهدم. ثم سلك فى طريق فسأل عن اسمها فقيل له: الضيقة. فقال: «بل هى اليسرى». ثم خرج منها حتى نزل تحت سدرة يقال لها: الصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إما أن تخرج، و إما أن نخرب عليك حائطك»، فأبى أن يخرج فأمر بإخرابه.

ثم مضى حتى نزل قريبا من الطائف، فضرب به عسكره، فقتل ناس من أصحابه بالنبل، و ذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف، فكانت النبل تنالهم، و لم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم. الاكتفاء، الكلاعى ج ۱ ۵۳۳ غزوة الطائف ..... ص : ۵۳۱

ما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم فحاصرهم بضعا و عشرين ليلة، و قيل «۲»: بضع عشرة ليلة و معه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة، فضرب لهما قبتين، ثم صلى بينهما، فلما أسلمت ثقيف بنى عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك على مصلاه ذلك مسجدا، و كانت فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع

لها نقيض، فحاصرهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قاتلهم قتالا شديدا، و تراموا بالنبل «۳».

و رماهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمنجنيق فيما ذكر ابن هشام، قال: و هو أول من رمى به فى الإسلام إذ ذاك «۴».

---

(۱) بحرة الرغاء: هو موضع من أعمال الطائف قرب ليّة. انظر: معجم البلدان (۱/ ۳۴۶).

(۲) هذا من كلام ابن هشام، قال: و يقال: سبع عشرة ليلة. انظر: السيرة (۴/ ۱۰۹).

(۳) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۴/ ۳۴۶)، الطبرى فى تاريخه (۲/ ۱۷۲).

(۴) انظر: السيرة (۴/ ۱۱۰)، و ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۴/ ۳۴۸).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۳۴

حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تحت دبابة ثم رجعوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها فرمتهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا، فأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بقطع أعتاب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون، و تقدم أبو سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفا أن آمنونا حتى نكلمكم فآمنوهما. فدعوا نساء من نساء قريش و بنى كنانة منهن ابنة أبى سفيان ليخرجن إليهما و هما يخافان عليهن السباء فأبين، فلما أبين قال لهما الأسود بن مسعوديا أبا سفيان و يا مغيرة أ لا أدلكما على خير مما جئتما له؟ إن مال بنى الأسود حيث علمتما، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نازلا بينه و بين الطائف بواد يقال له العقيق، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء و أشد مئونة و لا أبعد عمارة من مال بنى الأسود، و إن محمدا إن قطعه لم يعمر أبدا، فكلماه فليأخذه لنفسه او ليدعه لله و للرحم، فإن بيننا و بينه من القرابة ما لا يجهل.

فزعموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تركه لهم. و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما ذكر لأبى بكر الصديق رضى الله عنه و هو محاصر ثقيفا: «يا أبا بكر، إنى رأيت إنى أهديت إلى قعبة مملوءة زبدا، فنقرها ديك، [فهراق] «۱» ما فيها». فقال: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «و أنا لا أرى ذلك» «۲».

ثم إن خويلة بنت حكيم السلمية «۳»، امرأة عثمان بن مظعون قالت: يا رسول الله أعطنى إن فتح الله عليك الطائف حلى بادية بنت غيلان، أو حلى الفارعة ابنة عقيل.

و كانتا من أحلى نساء ثقيف. فذكر أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لها: «و إن كان لم يؤذن فى ثقيف يا خويلة؟» فخرجت خويلة، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، فدخل عمر على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله، ما حديث حدثتنيه خويلة، زعمت أنك قلته؟ قال: «قد قلته». قال: أو ما أذن فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا». قال: أ فلا أؤذن بالرحيل؟ قال: «بلى»، فأذن عمر بالرحيل «۴».

---

(۱) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، و ما أوردناه من السيرة.

(۲) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۴/ ۳۵۰).

(۳) انظر ترجمتها فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۳۵۵)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۱۱۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۸۸۸)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۲۶۴)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (۳/ ۳۸۰).

(۴) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۱۶۸- ۱۶۹)، ابن كثير فى البداية و النهاية (۴/ ۳۵۰).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۳۵

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد: ألا إن الحى مقيم. يقول عيينة بن حصن «۱»:

أجل، و الله مجدة كراما! فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة؟ أ تمدح المشركين بالامتناع من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و قد جئت تنصره؟ قال: إني و الله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم، و لكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتطئها لها تلد لى رجلا فإن ثقيفا قوم مناكير.

و نزل على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى إقامته عليهم عبيد لهم فأسلموا فأعتقهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد «۲»، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«لا، أولئك عتقاء الله» «۳».

و استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم اثنا عشر رجلا، سبعة من قريش و أربعة من الأنصار و رجل من بنى ليث «۴».

ثم انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن الطائف حتى نزل الجعرانة و إليها كان قدم سبى هوازن و أموالهم «۵»، و قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم فقال: «اللهم اهد ثقيفا و ائت بهم» «۶».

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، و قد أسلموا، و كان معه من سبيهم ستة آلاف من الذرارى و النساء و من الإبل و الشاء ما لا يدرى ما عدته، فقالوا: يا رسول الله إنا أهل و عشيرة و قد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك، و قام رجل منهم من سعد بن بكر يقال له: زهير، يكنى بأبى صرد، فقال: يا رسول الله، إنما فى الحظائر عماتك و خالاتك و حواضنك اللائى كن يكفلنك، و لو أنا ملحنا للحارث بن

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۰۷۸)، الإصابة الترجمة رقم (۶۱۶۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۱۶۶)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۴۳۲)، الاستبصار (۹۴، ۹۵)، العبر (۱۲، ۱۳)، الثقات (۳/ ۳۱۲).

(۲) ذكر ابن إسحاق فى السيرة (۴/ ۱۱۲)، إنه كان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة.

(۳) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۴/ ۳۴۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۱۵۹).

(۴) قد سمهم ابن إسحاق فى السيرة (۴/ ۱۱۳- ۱۱۴).

(۵) راجع أمر أموال هوازن و سباياها فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۱۷۳)، الكامل فى التاريخ (۲/ ۲۶۸)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱۵۲، ۱۵۳)، عيون الأثر لابن سيد الناس (۲/ ۱۹۳).

(۶) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۴۳)، سنن الترمذى (۵/ ۳۹۴۲).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱،ص:۵۳۶

أبى شمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزلا منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه، و عائدته علينا، و أنت خير المكفولين. ثم أنشأ يقول:

امنن علينا رسول الله فى كرمفإنك المرء نرجوه و ننتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدرمفرق شملها فى دهرها غير

أبقت لنا الحرب هتافا على حزنعلى قلوبهم الغماء و الغمر

إن لم تداركهم نعماء تنشرهايا أرجح الناس حلما حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعهاإذ فوك تملأه من محضها الدرر

إذ أنت طفل صغير كنت ترضعهاو إذ يزينك ما تأتى و ما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعامتهو استبق منه فإنا معشر زهر

إنا لنشكر للنعمى و قد كفرتو عندنا بعد هذا اليوم مدخر

فألبس العفو من قد کنت ترضعهمن أمهاتک إن العفو یشتهر

إنا نؤمل عفوا منک تلبسههذی البریة أن تعفو و تنصر

فاعف عفا الله عما أنت راهبهیوم القیامة إذ یهدی لک الظفر

فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أبناؤکم و نساؤکم أحب إلیکم أم أموالکم»؟ فقالوا: یا رسول الله، خیرتنا بین أموالنا و أحسابنا، بل ترد إلینا نساءنا و أبناءنا فهو أحب إلینا. فقال لهم:

«أما ما کان لی و لبنی عبد المطلب فهو لکم و إذا أنا صلیت الظهر بالناس فقوموا فقولوا:

إنا نستشفع برسول الله إلی المسلمین، و بالمسلمین إلی رسول الله فی أبنائنا و نسائنا.

فسأعطیکم عند ذلک و أسأل لکم».

فلما صلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الظهر قاموا فتکلموا بالذی أمرهم به، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أما ما کان لی و لبنی عبد المطلب فهو لکم»، فقال المهاجرون: و ما کان لنا فهو لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم. و قالت الأنصار: ما کان لنا فهو لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم. فقال الأقرع بن حابس «۱»: أما أنا و بنو تمیم فلا. و قال عیینة بن حصن: أما أنا و بنو فزارة فلا.

و قال عباس بن مرداس: أما أنا و بنو سلیم فلا. فقالت بنو سلیم: بلی ما کان لنا فهو لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم. فقال عباس: و هنتمونی؟ فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أما من تمسک منکم

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۶۹)، الإصابة الترجمة رقم (۲۳۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۰۸)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۲۶)، الوافی بالوفیات (۹/ ۳۰۷)، تهذیب تاریخ دمشق (۳/ ۸۹)، تنقیح المقال (۱۰۳۴)، الثقات (۳/ ۱۸)، الجامع فی الرجال (۲۸۱)، التحفة اللطیفة (۱/ ۳۳۷)، جامع الرواة (۱/ ۱۰۷).

الاکتفاء، الکلاعی، ج۱، ص:۵۳۷

بحقه من هذا السبی فله بکل إنسان ست فرائض من أول شیء أصیبه، فردوا إلی الناس أبناءهم و نساءهم» «۱».

و کان عیینة بن حصن أخذ عجوزا من عجائزهم و قال حین أخذها: أری عجوزا، إنی لأحسب أن لها فی الحی نسبا و عسی أن یعظم فداؤها. فلما رد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم السبایا بست فرائض أبی أن یردها، فقال له زهیر أبو صرد: خذها عنک فو الله ما فوها بارد، و لا ثدیها بناهد، و لا بطنها بوالد، و لا زوجها بواجد، و لا درها بماکد، فردها بست فرائض حین قال له زهیر ما قال «۲».

و سأل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و فد هوازن: «ما فعل مالک بن عوف؟» فقالوا: هو بالطائف مع ثقیف. فقال لهم: «أخبروا مالکا أنه إن أتانی مسلما رددت علیه أهله و ماله و أعطیته مائة من الإبل». فأتی مالک بذلک فخاف ثقیفا أن یعلموا بما قال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیحسبوه، فأمر براحلته فهیئت له، و أمر بفرس له فأتی به بالطائف، فخرج لیلا علی فرسه حتی أتی راحلته حیث أمر بها أن تحبس فرکبها فلحق برسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأدرکه بالجعرانة أو بمکة، فرد علیه أهله و ماله و أعطاه مائة من الإبل و أسلم فحسن إسلامه «۳».

و قال:

ما إن رأیت و لا سمعت بمثلهفی الناس کلهم بمثل محمد

أوفی و أعطی للجزیل إذا اجتدیو متی تشأ یخبرک عما فی غد

و إذا الکتیبة عردت أنیابهابالسمهری و ضرب کل مهند

فکأنه لیث علی أشبالهوسط الهباءة خادر فی مرصد

فاستعمله رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علی من أسلم من قومه فکان یقاتل بهم ثقیفا لا یخرج لهم سرح إلا أغار علیه حتی ضیق

عليهم فقال أبو محجن بن حبيب الثقفى «۴»:

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن أبى داود كتاب الجهاد (۲۶۹۴)، السنن الكبرى للبيهقى (۶/ ۳۳۶، ۳۳۷)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۱۸۴، ۲۱۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۸۷، ۱۸۸).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۱۱۹)، و ذكر هناك زيادة بعد هذا و هى: «... فزعموا أن عيينة لقيه الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك و الله ما أخذتها بيضاء غريرة، و لا نصفا و ثيرة».

قلت: ذكره البيهقى فى دلائل النبوة (۵/ ۱۹۳)، الهيثمى فى المجمع (۶/ ۱۸۸).

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۱۹۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۸۹).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۱۹۳)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۵۰۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۲۲۸)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۲۰۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۳۸ هابت الأعداء جانبناثم تغزونا بنو سلمه

و أتانا مالك بهمناقضا للعهد و الحرمه و لما فرغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب و اتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسم علينا فيئنا. للإبل و الغنم، حتى ألجئوه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه فقال: «ردوا على ردائى أيها الناس، فو الله إن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم، ثم ما ألفيتمونى بخيلا و لا جبانا و لا كذوبا» «۱».

ثم قام إلى جنب بعير فأخذ و برة من سنامه فرفعها ثم قال: «أيها الناس، و الله ما لى من فيئكم و لا هذه الوبرة إلا الخمس و الخمس مردود عليكم فأدوا الخائط و المخيط، فإن الغلول يكون على أهله عارا و شنارا و نارا يوم القيامة»، فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر. فقال:

«أما نصيبى منها فلك». قال: أما إذا بلغت ذلك فلا حاجة لى بها. ثم طرحها من يده «۲».

و يروى «۳» أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة و سيفه متلطخ دما فقالت: إنى قد عرفت أنك قد قاتلت فما ذا أصبت من غنائم المشركين؟ قال: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك. فدفعها إليها فسمع منادى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: من أخذ شيئا فليرده حتى الخائط و المخيط. فرجع عقيل فقال: ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت! و أخذها فألقاها فى الغنائم.

و أعطى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المؤلفة قلوبهم، و كانوا أشرافا من أشراف الناس، يتألفهم و يتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب و ابنه معاوية و حكيم بن حزام و الحارث بن الحارث بن كلدة، و الحارث بن هشام، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى و صوفان بن أمية، و كل هؤلاء من أشراف قريش، و الأقرع بن حابس التميمى و عيينة بن حصن الفزارى و مالك بن عوف النصرى، أعطى كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش و غيرهم مائة بعير، و أعطى دون المائة رجالا من قريش منهم

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۶/ ۲۸۲۱)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۸۴)، مصنف عبد الرزاق (۵/ ۹۴۹۷).

(۲) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۰۲)، موطأ مالك (۲/ ۴۵۷، ۴۵۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۳۹).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۱۲۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۳۹

مخرمة بن نوفل و عمير بن وهب، و أعطى سعيد بن يربوع المخزومى و عدى بن قيس السهمى خمسين خمسين، و أعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها و قال يعاتب فيها النبىّ صلى اللّه عليه و سلم:

و كانت نهابا تلافيتهابكرى على المهر فى الأجرع

و إيقاظى القوم أن يرقدواإذا هجع الناس لم أهجع

فأصبح نهبى و نهب العبيد بين عيينة و الأقرع

و قد كنت فى الحرب ذا تدرأفلم أعط شيئا و لم أمنع

إلا أفائل أعطيتهاعديد قوائمه الأربع

و ما كان حصن و لا حابس‌يفوقان مرداس فى مجمع

و ما كنت دون امرئ منهماو من تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه» «۱»، فأعطوه حتى رضى، فكان ذلك قطع لسانه.

و ذكر ابن هشام «۲» أن عباسا أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أنت القائل:

فأصبح نهبى و نهب العبيد بين الأقرع و عيينة»

فقال أبو بكر: بين عيينة و الأقرع، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «هما واحد». فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ [يس: ۶۹] «۳».

و ذكر ابن عقبة ان عباسا لما أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بقطع لسانه فزع لها و قال: من لا يعرف أمر عباس يمثل به، فأتى به إلى الغنائم فقيل له: خذ منها ما شئت، فقال عباس:

إنما أراد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يقطع لسانى بالعطاء بعد أن تكلمت فتكرم أن يأخذ منها شيئا، فبعث إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بحلة فقبلها و لبسها.

و قال لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم قائل من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن و القرع بن حابس مائة مائة و تركت جعيل بن سراقة الضمرى؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۲/ ۷۳۷، ۷۳۸)، كشف الخفاء للعجلونى (۱/ ۱۸۲، ۴۸۴).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۱۲۳).

(۳) انظر الحديث فى: تاريخ ابن كثير (۴/ ۳۶۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۴۰

«أما و الذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة و الأقرع و لكنى تألفتهما ليسلما و وكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه» «۱».

و جاء رجل من بنى تميم يقال له: ذو الخويصرة فوقف على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو يعطى الناس فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«أجل، فكيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت. فغضب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: «و يحك! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: أ لا نقتله؟ فقال: «لا، دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر فى النصل فلا يوجد شىء، ثم فى القدح فلا يوجد شىء، ثم فى الفوق فلا يوجد شىء، سبق الفرث و الدم» «۲».

و لما أعطى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما أعطى فى قريش و فى قبائل العرب و لم يعط الأنصار شيئا، و جدوا فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة و حتى قال قائلهم: لقى و الله رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قومه.

و ذكر ابن هشام «۳» أن حسان بن ثابت قال يعاتبه فى ذلك:

زاد الهموم فماء العين منحدرسحا إذا حفلته عبرة درر

وجدا بشماء إذ شماء بهكنةهيفاء لا ذنن فيها و لا خور

دع عنك شماء إذ كانت مودتهانزرا و شر وصال الواصل النزر

و ائت الرسول فقل يا خير مؤتمنللمؤمنين إذا ما عدد البشر

علام تدعى سليم و هى نازحةقدام قوم هم آووا و هم نصروا

سماهم الله أنصارا ينصرهمدين الهدى و عوان الحرب تستعر

و سارعوا فى سبيل الله و اعترفواللنائبات و ما خافوا و ما ضجروا

و الناس إلب علينا فيك ليس لناإلا السيوف و أطراف القنا وزر

نجالد الناس لا نبقى على أحدو لا نضيع ما توحى به السور

و لا تهز جناة الحرب نادىناو نحن حين تلظى نارها سعر

كما رددنا ببدر دون ما طلبواأهل النفاق و فينا ينزل الظفر

---

(۱) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۴/ ۲۴۶)، حلية الأولياء لأبى نعيم (۱/ ۳۵۳).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۲/ ۷۴۴، ۷۴۵، ۱۴۸)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۲۸۸).

(۳) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۱۲۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۴۱ و نحن جندك يوم النعف من أحدإذ حزبت بطرا احزابها مضر

فما ونينا و لا خمنا و ما خبروامنا عثارا و كل الناس قد عثروا

فدخل سعد بن عبادة على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك لما صنعت فى هذا الفيء الذى أصبت، قسمت فى قومك و أعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب و لم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شيء.

قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومى. قال:

«فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة»، فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا و جاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أعلمه سعد بهم فأتاهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتنى عنكم و جدة وجدتموها على فى أنفسكم؟ أ لم آتكم ضلالا فهداكم الله، و عالة فأغناكم الله، و أعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بل الله و رسوله أمن و أفضل، ثم قال: «أ لا تجيبوننى يا معشر الأنصار؟» قالوا: بما ذا نجيبك يا رسول الله، لله و لرسوله المن و الفضل، فقال صلوات الله عليه: «أما و الله لو شئتم لقلتم فلصدقتم و لصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، و مخذولا فنصرناك، و طريدا فآويناك، و عائلا فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم؟ أ لا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة و البعير و ترجعوا برسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى رحالكم، فو الذى نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار و لو سلك الناس شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار»، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم و قالوا: رضينا برسول الله صلى اللّه عليه و سلم قسما و حظا. ثم انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و تفرقوا «۱».

ثم خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الجعرانة معتمرا، و أمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران، فلما فرغ من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة و استخلف عتاب بن أسيد على مكة و خلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين و يعلمهم القرآن، و

أتبع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ببقايا الفىء «۲».

و لما استعمل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عتابا على مكة رزقه فى كل يوم درهما، فقام عتاب

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۲/ ۷۳۵، ۷۳۶، ۱۳۵)، صحيح البخارى (۷/ ۴۳۳۷)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۷۶، ۷۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۱۰/ ۲۹).

(۲) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۴/ ۳۶۸)، الحاكم فى المستدرك (۳/ ۳۷۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۴۲

خطيبا فى الناس فقال: أيها الناس، أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم درهما كل يوم فليست بى حاجة إلى أحد «۱».

و كانت عمرة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ذى القعدة، و قدم المدينة فى بقيته أو فى أول ذى الحجة «۲».

و حج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه و حج عتاب بن أسيد بالمسلمين فيها و هى سنة ثمان، و أقام أهل الطائف على شركهم و امتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى رمضان سنة تسع.

و لما قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من سفره هذا منصرفا عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبى سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد قتل رجالا- بمكة ممن كان يهجوه و يؤذيه، و أن من بقى من شعراء قريش ابن الزبعرى و هبيرة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فإنه لا يقتل أحدا جاء تائبا، و إن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض.

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض و أشفق على نفسه و أرجف به من كان فى حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شىء بدا قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و يذكر فيها خوفه و إرجاف الوشاة به، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل من جهينة كانت بينه و بينه معرفة، فغدا به إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين صلى الصبح، فصلى معه ثم أشار له إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: هذا رسول الله، فقم إليه فاستأمنه، فذكر أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حين جلس إليه فوضع يده فى يده، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «نعم»، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، فوثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، دعنى و عدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «دعه عنك، فإنه قد جاءنا تائبا نازعا» «۳».

فغضب كعب على الأنصار لما صنع به صاحبهم و مدح المهاجرين دونهم إذ لم يتكلم فيه رجل منهم إلا بخير.

---

(۱) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۴/ ۳۶۸).

(۲) ذكره مسلم فى صحيحه كتاب الحج (۲/ ۲۱۷، ۹۱۶)، ابن كثير فى البداية و النهاية (۴/ ۳۶۸)، أبو داود (۱۹۹۴)، الترمذى (۸۱۵)، أحمد فى المسند (۱/ ۲۴۶، ۳۲۱).

(۳) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۳۶۹)، مستدرك الحاكم (۳/ ۵۸۳)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۳۹۳، ۳۹۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۴۳

و القصيدة التى قالها كعب فى ذلك و ذكر أنه أنشدها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى المسجد:

بانت سعاد فقلبى اليوم مبتولمتيم عندها لم يجز مكبول

و ما سعاد غداة البین إذ برزتإلا أغن غضیض الطرف مکحول «۱»

تجلو عوارض ذی ظلم إذا ابتسمتکأنه منهل بالراح معلول «۲»

شحت بذی شبم من ماء محنیةصاف بأبطح أضحی و هو مشمول «۳»

تنفی الریاح القذی عنه و أفرطهمن صوب غادیة بیض یعالیل «۴»

و بلمها خلة لو أنها صدقتبوعدها أو لو أن النصح مقبول

لکنها خلة قد سیط من دمهافجع و ولع و إخلاف و تبدیل

فما تدوم علی حال تکون بهاکما تلون فی أثوابها الغول «۵»

کانت مواعید عرقوب لها مثلاو ما مواعیدها إلا الأباطیل

فلا یغرنک ما منت و ما وعدتإن الأمانی و الأحلام تضلیل «۶»

أمست سعاد بأرض لا تبلغهاإلا العتاق النجیبات المراسیل

و لا یبلغها إلا عذافرةفیها علی الأبن إرقال و تبغیل «۷»

من کل نضاخة الذفری إذا عرقتعرضتها طامس الأعلام مجهول «۸»

---

(۱) الأغن: الصبی الصغیر الذی فی صوته غنة، و هی صوت یخرج من الخیشوم. غضیض الطرف: أی فاتر الجفن.

(۲) العوارض: الأسنان. ذی ظلم: الظلم ماء الأسنان و بریقها. الراح: اسم من أسماء الخمر.

(۳) شجت: مزجت. ذی شبم: أی الماء البارد. المجنیة: منتهی الوادی.

(۴) القذی: أراد ما یقع فی الماء من تبن أو غیره. الصوب: المطر. غادیة: السحابة التی تمطر بالغدو. الیعالیل: هو رغوة الماء.

(۵) ذکر فی السیرة بعد هذه البیت بیت آخر لم یذکره هنا و هو:

و ما تمسک بالعهد الذی زعمتإلا کما یمسک الماء الغرابیل انظر: السیرة (۴/ ۱۳۲).

(۶) ذکر فی السیرة هذا البیت قبل البیت الذی یسبقه هنا. و هناک بیت آخر لم یذکره هنا ورد بعدهما و هو:

أرجو و آمل أن تدنو مودتهاو ما إخال لدینا منک تنویل انظر: السیرة (۴/ ۱۳۲).

(۷) العذافرة: بضم العین هی الناقة الضخمة. الأین: الفتور و الإعیاء. الإرقال: ضرب من السیر.

(۸) ذکر فی السیرة بعد هذا البیت بیت آخر لم یذکره هنا و هو:

ترمی النجاد بعینی مفرد لهقإذا توقدت الحزان و المیل انظر: السیرة (۴/ ۱۳۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۴۴ ضخم مقلدها فعم مقیدهافی خلقها عن بنات الفحل تفضیل «*»

حرف أخوها أبوها من مهجنةو عمها خالها قوداء شملیل «*»

کأن أوب ذراعیها و قد عرقتو قد تلفع بالقور العساقیل «*»

أوب یدی فاقد شمطاء معولةقامت فجاوبها نکد مثاکیل

نواحة رخوة الضبعین لیس لهالما نعی بکرها الناعون معقول

تفری اللبان بکفیها و مدرعهامشقق عن تراقیها رعابیل

تمشی الغواة بجنبیها و قولهمإنک یا ابن أبی سلمی لمقتول

و قال کل صدیق کنت آمله لا ألهینک إنی عنک مشغول

فقلت خلوا طریقی لا أبا لکم فکل ما قدر الرحمن مفعول

کل ابن أنثی و إن طالت سلامته یوما علی آلة حدباء محمول

نبئت أن رسول الله أوعدنی و العفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداک الذی أعطاک نافلة القرآن فیها مواعیظ و تفصیل

لا تأخذنی بأقوال الوشاة و لم أذنب و لو کثرت فی الأقاویل

(*) ذکر فی السیرة بعد هذا البیت بیتان لم یذکرهم هنا و هما:

غلباء و جناء علکوم مذکرة فی دفها سعة قدامها میل

و جلدها من أطوم ما یؤیسه طلح بضاحیة المتنین مهزول انظر: السیرة (۲/ ۱۳۳).

(*) ذکر فی السیرة بعد هذا البیت أبیات أخری لم یذکره هنا و هی:

یمشی القراد علیها ثم یزلفه منها لبان و أقراب زهالیل

عیرانة قذفت بالنحض عن عرض مرفقها عن بنات الزور مفتول

کأنما فات عینیها و مذبحها من خطمها و من اللحیین برطیل

تمر مثل عسیب النخل ذا خصل فی غارز لم تخونه الأحالیل

قنواء فی حرتیها للبصیر بها عتق مبین و فی الخدین تسهیل

تخدی علی یسرات و هی لا حقة ذوابل مسهن الأرض تحلیل

سمر العجایات یترکن الحصی زیما لم یقهن رءوس الأکم تنعیل انظر: السیرة (۴/ ۱۳۴، ۱۳۵).

(*) ذکر فی السیرة بعد هذا البیت بیتان لم یذکرهم هنا و هما:

یوما یظل به الحرباء مصطخدا کأن ضاحیة بالشمس مملول

و قال للقوم حادیهم و قد جعلت ورق الجنادب یرکضن الحصا قیلوا انظر: السیرة (۴/ ۱۳۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۴۵ لقد أقوم مقاما لو یقوم به یرمی و یسمع ما قد أسمع الفیل

[لظل ترعد من خوف بوادره إن لم یکن من رسول الله تنویل

حتی وضعت یمینی ما أنازعها فی کف ذی نقمات قوله القیل

فلهو أخوف عندی إذ أکلمه و قیل إنک منسوب و مسئول

من ضیغم بضراء الأرض مخدره فی بطن عثر غیل دونه غیل

إن الرسول لنور یستضاء به مهند من سیوف الله مسلول

فی عصبة من قریش قال قائلهم ببطن مکة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال انکاس و لا کشف عند اللقاء و لا میل معازیل

یمشون مشی الجمال الزهر یعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابیل

شم العرانین أبطال لبوسهم من نسج داود فی الهیجا سرابیل

بیض سوابغ قد شکت لها حلق کأنها حلق القفعاء مجدول

لیسوا مفاریح إن نالت رماحهم قوما و لیسوا مجازیعا إذا نیلوا

لا یقع الطعن إلا فی نحورهملیس لهم عن حیاض الموت تهلیل و یروی أن کعبا لما أنشد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

إن الرسول لنور یستضاء بهمهند من سیوف الله مسلول

أشار رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بیده إلی الخلق: «أی اسمعوا». تعجبا بقوله.

و من مستجاد شعر کعب بن زهیر قوله أیضا یمدح النبیّ صلی اللّه علیه و سلم:

تخذی به الناقة الأدماء معتجراالبرد کالبدر جلی لیلة الظلم

و فی عطافیه أو أثناء بردتهما یعلم الله من دین و من کرم

و لما قال کعب فی لامیته المتقدمة: «إذا عرد السود التنابیل»، یرید الأنصار و خص المهاجرین بمدحته دونهم غضب علیه الأنصار فقال بعد أن أسلم یمدحهم و یذکر بلاءهم مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و موضعهم من الیمن، و یقال: إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حضه علی ذلک و قال لما أنشده القصیدة المتقدمة: «لو لا ذکرت الأنصار بخیر فإن الأنصار لذلک أهل؟» «۱»، فقال کعب هذه الأبیات:

من سره کرم الحیاة فلا یزلفی مقنب من صالح الأنصار

ورثوا المکارم کابرا عن کابرإن الخیار هم بنو الأخیار

---

(۱) ذکره ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۴/ ۳۷۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۴۶المکرهین السمهری بأذرعکسوالف الهندی غیر قصار

و الناظرین بأعین محمرةکالجمر غیر کلیلة الإبصار

و البائعین نفوسهم لنبیهمللموت یوم تعانق و کرار

یتطهرون یرونه نسکا لهمبدماء من علقوا من الکفار

دربوا کما دربت ببطن خفیةغلب الرقاب من الأسود ضواری

و إذا حللت لیمنعوک إلیهمأصبحت عند معاقل الأغفار

ضربوا علیا یوم بدر ضربةدانت لوقعتها جمیع نزار

لو یعلم الأقوام علمی کلهفیهم لصدقنی الذین أماری

قوم إذا خوت النجوم فإنهمللطارقین النازلین مقاری

فی الغر من غسان فی جرثومةأعیت محافرها علی المحفار «۱۰»

و کان عبد الله بن الزبعری السهمی شاعر قریش و لسانها فی مناقضة حسان بن ثابت و غیره من شعراء رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، له فی ذلک أشعار کثیرة ذکرها ابن إسحاق فی مواضعها و أضربنا نحن عنها و عن سائر أشعار الجاهلیة لما فیها من تنقص الإسلام و النیل من أهله، فلما کان عام الفتح فر ابن الزبعری إلی نجران فرماه حسان بن ثابت ببیت واحد ما زاد علیه و هو:

لا تعدمن رجلا أحلک بغضهنجران فی عیش أحذ لئیم

فلما بلغ ذلک ابن الزبعری «۱» خرج إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأسلم، و قال فی ذلک أشعارا منها فی أبیات «۲»:

یا رسول الله الملیک إن لسانیراتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أباری الشیطان فی سنن الغیو من مال میله مثبور و قال أیضا حین أسلم «۳»:

منع الرقاد بلابل و هموم و اللیل معتلج الرواق بهیم

---

(١٠) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۱۳۸- ۱۳۹).

(۱) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشى السهمى. انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۵۵۱)، الإصابة الترجمة رقم (۴۶۹۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۹۴۶).

(۲) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۵۴).

(۳) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۵۵)، و قال ابن هشام: و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۴۷ مما أتانى أن أحمد لامنىفيه فبت كأننى محموم

يا خير من حملت على أوصالهاعيرانة سرح اليدين عشوم

إنى لمعتذر إليك من الذىأسديت إذ أنا فى الضلال أهيم

أيام تامرنى بأغوى خطةسهم و تأمرنى بها مخزوم

و أمد أسباب الردى و يقودنىأمر الغواة و أمرهم مشئوم

فاليوم آمن بالنبى محمدقلبى و مخطئ هذه محروم

مضت العداوة فانقضت أسبابهاو دعت أواصر بيننا و حلوم

فاغفر فدى لك و الداى كلاهمازللى فإنك راحم مرحوم

و عليك من علم المليك علامةنور أغر و خاتم مختوم

أعطاك بعد محبة برهانهشرفا و برهان الإله عظيم

و لقد شهدت بأن دينك صادقحق و أنك فى العباد جسيم

و الله يشهد أن أحمد مصطفىمتقبل فى الصالحين كريم

فرم علا بنيانه من هاشمفرع تمكن فى الذرى و أروم

غزوة تبوک «۱»

و أقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة بعد منصرفه عن عمرة الجعرانة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، و ذلک فى زمان عسرة من الناس و شدة من الحر و جدب من البلاد، و حين طابت الثمار و الناس يحبون المقام فى ثمارهم و ظلالهم و يكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قل ما يخرج فى غزوة إلا ورى عنها و أخبر أنه يريد غير الوجه الذى يعمد إليه، إلا ما كان من غزوة تبوک، فإنه بينها للناس لبعد الشقة و شدة الزمان و كثرة العدو الذى يصمد له، ليتأهب الناس لذلک أهبته، فأمر الناس بالجهاز، و أخبرهم أنه يريد الروم. فقال صلى اللّه عليه و سلم ذات يوم و هو فى جهازه للجد بن قيس أحد بنى سلمة:

«يا جد هل لک العام فى جلاد بنى الأصفر؟» فقال: يا رسول الله، أو تأذن و لا تفتنى، فو الله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء منى، و إنى أخشى إن رأيت

---

(۱) راجع هذه الغزوة فى: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۶۲)، المغازى للواقدى (۳/ ۹۸۹)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۱۱۸، ۱۱۹)، تاريخ الطبرى (۳/ ۱۰۰)، البداية و النهاية (۵/ ۲)، الكامل (۲/ ۱۴۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۴۸

نساء بنى الأصفر أن لا أصبر. فأعرض عنه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قال: «قد أذنت لک»، ففيه نزلت: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ

لِی وَ لا تَفْتِنِّی أَلا فِی الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکافِرِینَ [التوبة: ۴۹] «۱» أی إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر و ليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر لتخلفه عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و الرغبة بنفسه عن نفسه، يقول: و إن جهنم لمن ورائه «۲».

و قال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا فى الحر: زهادة فى الجهاد و شكا فى الحق و إرجافا بالرسول، فأنزل الله فيهم: وَ قالُوا لا تَنْفِرُوا فِی الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ کانُوا یَفْقَهُونَ فَلْیَضْحَکُوا قَلِیلًا وَ لْیَبْکُوا کَثِیراً جَزاءً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ [التوبة: ۸۱، ۸۲].

و بلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى، يثبطون الناس عنه فى غزوة تبوك، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه و أمره أن يحرق عليهم البيت و فعل طلحة، فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله و اقتحم أصحابه فأفلتوا «۳» فقال الضحاك فى ذلك:

و كادت و بيت الله نار محمديشيط بها الضحاك و ابن أبيرق

و ظلت و قد طبقت كبس سويلمأنوء على رجلى كسيرا و مرفقى

سلام عليكم لا أعود لمثلهاأخاف و من تشمل به النار يحرق ثم إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جد فى سفره و أمر الناس بالجهاز و الانكماش، و حض أهل الغنى على النفقة و الحملان فى سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى و احتسبوا، و أنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض» «۴».

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هم البكاءون و هم سبعة نفر من الأنصار و غيرهم، سالم بن عمير «۵»، و علبة بن زيد «۶»، و أبو ليلى بن كعب «۷»، و عمرو

---

(۱) انظر الحديث فى: زاد المسير لابن الجوزى (۳/ ۳۰۵)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۲۱۳).

(۲) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (۲/ ۱۸۲).

(۳) ذكره ابن كثير فى التاريخ (۵/ ۳).

(۴) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۱۱/ ۵۹۳/ ۳۲۸۴۱)، جامع الجوامع للسيوطى (۱/ ۳۸۱).

(۵) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۸۸۵)، الإصابة الترجمة رقم (۳۰۵۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۹۰۰)، الطبقات الكبرى (۳/ ۴۸۰)، الوافى بالوفيات (۱۵/ ۸۹)، تاريخ الإسلام (۱/ ۶۰)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۲۷).

(۶) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۰۵۶)، الإصابة الترجمة رقم (۵۶۷۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۷۶۱).

(۷) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۱۸۴)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۴۷۷).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۱، ص:۵۴۹

ابن حمام، و هرمى بن عبد الله «۱»، و عبد الله بن مغفل المزنى «۲»، و يقال: عبد الله بن عمرو المزنى «۳»، و عرباض بن سارية الفزارى «۴»، فاستحملوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هم أهل حاجة فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولوا و أعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون «۵».

فذكر أن ابن يامين بن عمير النضرى لقى أبا ليلى بن كعب و ابن مغفل و هما يبكيان فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه و ليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه و زودهما شيئا من تمر فخرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «۶». و جاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله، و ذكر أنهم نفر من بنى غفار «۷».

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۷۳۷)، الإصابة الترجمة رقم (۹۰۴۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۳۶۵).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۶۸۵)، الإصابة الترجمة رقم (۴۹۸۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۲۰۲)، تاريخ ابن معين (۳۳۳)، سير أعلام النبلاء (۴/ ۲۰۶)، الوافى بالوفيات (۷/ ۶۲۸)، تهذيب الكمال (۷۴۵)، تهذيب التهذيب (۶/ ۴۲)، خلاصة تذهيب الكمال (۲۱۵، ۲۱۶)، شذرات الذهب (۱/ ۶۵).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۶۴۰)، الإصابة الترجمة رقم (۴۸۷۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۰۹۷)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۲۶)، تهذيب التهذيب (۵/ ۳۴۱)، تهذيب الكمال (۲/ ۷۱۷)، تاريخ الإسلام (۳/ ۱۰۷)، الثقات (۳/ ۲۳۸).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۰۴۹)، الإصابة الترجمة رقم (۵۵۱۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۶۳۰)، معرفة الرجال (۲/ ۲۰۳)، سير أعلام النبلاء (۳/ ۴۱۹)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۲۳۱)، المعين و طبقات المحدثين (۲۴)، مرآة الجنان (۱/ ۱۵۶)، تقريب التهذيب (۲/ ۱۷)، خلاصة تذهيب التهذيب (۲۶۹)، شذرات الذهب (۱/ ۸۲).

(۵) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۲۱۸)، أسباب النزول (۲۱۲)، تفسير الطبرى (۱۰/ ۱۴۵، ۱۴۶)، فتح القدير للشوكانى (۲/ ۵۵۱).

(۶) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۵/ ۵)، الطبرى فى تاريخه (۲/ ۱۸۲).

(۷) انظر: السيرة (۴/ ۱۴۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۵۰

ثم استتب برسول الله صلى اللّه عليه و سلم سفره، و أجمع السير و تخلف عنه نفر من المسلمين عن غير شك و لا ارتياب، منهم كعب بن مالك أخو بنى سلمة و مرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف، و هلال بن أمية أخو بنى واقف، و أبو خيثمة أخو بنى سالم، و كانوا نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم.

فلما خرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ضرب عسكره على ثنية الوداع و ضرب عبد الله بن أبى معه على حده عسكره أسفل منه نحو ذباب «۱»، و كان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين و أهل الريب.

و خلف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بن أبى طالب على أهله، و أمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، و قالوا: ما خلفه إلا استثقالا له، و تخففا منه، فلما قالوا ذلك أخذ علىّ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو نازل بالجرف فقال: يا نبى الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتنى و تخففت منى، فقال: «كذبوا و لكنى خلفتك لما تركت ورائى، فارجع فاخلفنى فى أهلى و أهلك، أ فلا ترضى يا علىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى» «۲». فرجع علىّ إلى المدينة رضى الله عنه و مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على سفره.

ثم إن أبا خيثمة بعد أن سار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أياما رجع إلى أهله فى يوم حار، فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها و بردت له فيه ماء و هيأت له طعاما، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه و ما صنعتا له، فقال: رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الضح و الريح و الحر، و أبو خيثمة فى ظل بارد و طعام مهيأ و امرأة حسناء فى ماله مقيم! ما هذا بالنصف ثم قال: و الله لا أدخل على عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى اللّه عليه و سلم فهيئا لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج فى طلب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أدركه حين نزل بتبوك.

و قد كان أدرك أبا خيثمة فى الطريق عمير بن وهب الجمحى يطلب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم

---

(۱) ذباب: ذكره الحازمى بكسر أوله و باءين و قال: جبل بالمدينة له ذكر فى المغازى و الأخبار، و عن العمرانى: ذباب بوزن الذباب

الطائر جبل بالمدينة. انظر: معجم البلدان (۳/ ۳).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة تبوك (۷/ ۴۴۱۶)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علىّ (۴/ ۳۱، ۳۲)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۲۲۰)، تاريخ ابن كثير (۵/ ۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۵۵۱

فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير: إن لى ذنبا فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو نازل بتبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «كن أبا خيثمة». قالوا: هو و الله أبو خيثمة يا رسول الله، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أولى لك يا أبا خيثمة!» ثم أخبره خبره فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خيرا و دعا له بخير «۱». و يروى أن أبا خيثمة! قال فى ذلك «۲»:

و لما رأيت الناس فى الدين نافقواأتيت التى كانت أعف و أكرما

و بايعت باليمنى يدى لمحمدفلم أكتسب إثما و لم أغش محرما

تركت خضيبا فى العريش و صرمةصفايا كراما بسرها قد تحمما

و كنت إذا شك المنافق أسمحتإلى الدين نفسى شطره حيث يمما

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين مر بالحجر نزلها و استقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تشربوا من مائها و لا يتوضأ منه للصلاة و ما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، و لا تأكلوا منه شيئا، و لا يخرجن أحد منكم الليلة إلا و معه صاحب له».

ففعل الناس ما أمرهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته و خرج الآخر فى طلب بعير له، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه، و أما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتمله الريح حتى طرحته بجبلى طيء، فأخبر بذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: أ لم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلا و معه صاحبه؟ ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشفى، و أما الذى وقع بجبلى طيء، فإن طيئا أهدته لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين قدم المدينة «۳».

و لما مر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه، و استحث راحلته ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا و أنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم» «۴».

فلما أصبح الناس و لا ماء معهم شكوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس و احتملوا حاجتهم من الماء. قال محمود بن لبيد «۵»:

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۴/ ۵۳/ ۲۱۲۰- ۲۱۲۲)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۲۲۳)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۹۳).

(۲) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۱۴۶).

(۳) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۲۴۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۱۱).

(۴) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۶/ ۳۳۸۱)، صحيح مسلم (۴/ ۳۹، ۲۲۸۶).

(۵) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۳۷۵)، الإصابة الترجمة رقم (۷۸۳۸)، أسد-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۵۵۲

لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حيث سار، فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان و دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين دعا فأرسل الله الصحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا: أقبلنا

علیه نقول: و یحک! هل بعد هذا شیء؟ قال: سحابة مارة. قیل لمحمود: هل کان الناس یعرفون النفاق فیهم؟ قال: نعم، و الله إن کان الرجل لیعرفه من أخیه و من أبیه و من عمه و فی عشیرته ثم یلبس بعضهم بعضا علی ذلک «۱».

ثم إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سار حتی إذا کان ببعض الطریق ضلت ناقته فخرج أصحابه فی طلبها و عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رجل من أصحابه یقال له: عمارة بن حزم و کان عقبیا بدریا و هو عم بنی عمرو بن حزم و کان فی رحله زید بن اللصیت القینقاعی، و کان منافقا، فقال زید و هو فی رحل عمارة و عمارة عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: أ لیس محمد یزعم أنه نبی و یخبرکم عن خبر السماء و هو لا یدری أین ناقته، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و عمارة عنده:

«إن رجلا قال: هذا محمد یخبرکم أنه نبی و یزعم أنه یخبرکم بأمر السماء و هو لا یبدی أین ناقته و إنی و الله لا أعلم إلا ما علمنی الله و قد دلنی الله علیها و هی فی الوادی من شعب کذا و کذا و قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتی تأتونی بها»؛ فذهبوا فجاءوا بها فرجع عمارة بن حزم إلی رحله فقال: و الله لعجب من شیء حدثناه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه. للذی قال زید بن اللصیت. فقال رجل ممن کان فی رحل عمارة و لم یحضر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: زید و الله قال هذه المقالة قبل أن تأتی، فأقبل عمارة علی زید یجأ فی عنقه و یقول: یا عباد الله! إن فی رحلی لداهیة و ما أشعر! اخرج أی عدو الله من رحلی فلا تصحبنی «۲».

فزعم بعض الناس أن زیدا تاب بعد ذلک و قال بعض: لم یزل متهما بشر حتی مات «۳».

ثم مضی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سائرا فجعل یتخلف عنه الرجل فیقولون: یا رسول الله تخلف فلان. فیقول: «دعوه فإن یک فیه خیر فسیلحقه الله بکم، و إن یک غیر ذلک فقد

- الغابة الترجمة رقم (۴۷۸۰)، طبقات ابن سعد (۵/ ۷۷)، طبقات خلیفة الترجمة رقم (۲۰۳۹)، المعرفة و التاریخ (۱/ ۳۵۶)، تهذیب الکمال (۱۳۱۰)، تذهیب التهذیب (۴/ ۲۶)، تهذیب التهذیب (۱۰/ ۶۵)، خلاصة تذهیب الکمال (۳۱۷)، شذرات الذهب (۱/ ۱۱۲).

(۱) ذکره الهیثمی فی مجمع الزوائد (۶/ ۱۹۴، ۱۹۵)، ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۵/ ۹).

(۲) ذکره البیهقی فی دلائل النبوة (۵/ ۲۲۳)، ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۵/ ۹).

(۳) انظر: السیرة (۴/ ۱۴۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۵۳

أراحکم الله منه» حتی قیل: یا رسول الله تخلف أبو ذر و أبطأ به بعیره. فقال: «دعوه فإن یک فیه خیر فسیلحقه الله بکم، و إن یک غیر ذلک فقد أراحکم الله منه»، و تلوم أبو ذر علی بعیره، فلما أبطأ علیه أخذ متاعه فحمله علی ظهره ثم خرج یتبع أثر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ماشیا، و نزل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی بعض منازله فنظر ناظر من المسلمین فقال: یا رسول الله، إن هذا الرجل یمشی علی الطریق وحده. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «کن أبا ذر». فلما تأمله القوم قالوا: یا رسول الله، هو و الله أبو ذر، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «رحم الله أبا ذر یمشی وحده و یموت وحده، و یبعث وحده» «۱».

فقضی الله سبحانه أن أبا ذر لما أخرجه عثمان رضی الله عنه إلی الربذة و أدرکته بها منیته لم یکن معه أحد إلا امرأته و غلامه، فأوصاهما أن غسلانی و کفنانی ثم ضعانی علی قارعة الطریق فأول رکب یمر بکم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعینونا علی دفنه فلما مات فعلا ذلک و أقبلوا عبد الله بن مسعود فی رهط من العراق عمار، فلم یرعهم إلا بالجنازة علی ظهر الطریق قد کادت الإبل تطؤها و قام إلیهم الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأعینونا علی دفنه. فاستهل عبد الله یبکی و یقول: صدق رسول الله تمشی وحدک و تموت وحدک و تبعث وحدک! ثم نزل هو و أصحابه فواروه. ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حدیثه و ما قال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی مسیره إلی تبوک «۲».

و قد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف و حليف لبنى سلمة من أشجع يقال له: نخشن بن حمير، و يقال: مخشى، يشيرون إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أ تحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟ و الله لكأننا بكم غدا مقرنين فى الحبال إرجافا و ترهيبا للمؤمنين فقال مخشن بن حمير، و الله لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة و أنا نتفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه. و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما بلغنا لعمار بن ياسر:

«أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا و كذا»، فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يعتذرون، فقال وديعة بن ثابت

---

(۱) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۵۰، ۵۱)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۲۲۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۸)، صحيح ابن حبان (۸/ ۲۳۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۳۳۱، ۳۳۲).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۱۴۹- ۱۵۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۵۴

و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم واقف على ناقته فجعل يقول و هو آخذ بحقها: يا رسول الله، إنما كنا نخوض و نلعب، فأنزل الله عز و جل فيهم: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ [التوبة: ۶۵]، و قال مخشن بن حمير: يا رسول الله قعد بى اسمى و اسم أبى. فكان الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير فتسمى عبد الرحمن، و سأل الله أن يقتله شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر «۱».

و لما انتهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى تبوك اتاه يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أعطى الجزية. و أتاه أهل جرباء «۲» و أذرح «۳» فأعطوا الجزية، و كتب لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتابا فهو عندهم [فكتب ليحنّة بن رؤبة] «۴»: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمنة من الله و محمد النبىّ رسول الله ليحنة بن رؤبة و أهل أيلة سفنهم و سيارتهم فى البر و البحر، لهم ذمة الله و محمد النبىّ و من كان منهم من أهل الشام و أهل اليمن و أهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه و أنه طيبة لمن أخذه من الناس، و إنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه و لا طريقا يردونه من بر أو بحر «۵».

ثم دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة و هو أكيدر ابن عبد الملك رجل من كندة كان ملكا عليها و كان نصرانيا فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لخالد:

«إنك ستجده يصيد البقر». فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين و فى ليلة مقمرة صائفة و هو على سطح له و معه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا و الله، قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه، فأسرج له، و ركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له:

حسان، فركب و خرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخذته، و قتلوا أخاه، و كان عليه قباء ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم و يتعجبون منه، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أ تعجبون من هذا؟ فو الذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى

---

(۱) ذكره ابن كثير فى تفسيره (۲/ ۳۸۱، ۳۸۲)، ابن حجر فى الإصابة (۶/ ۷۵).

(۲) جرباء: كأنه تأنيب الأجرب، موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز. انظر: معجم البلدان (۲/ ۱۱۲).

(۳) أذرح: اسم بلد فی أطراف الشام من أعمال السراة، ثم من نواحی البلقاء و عمان مجاورة لأرض الحجاز. انظر: معجم البلدان (۱/ ۱۲۹).

(۴) ما بین المعقوفتین سقط من الأصل، و ما أوردناه من السیرة.

(۵) ذکر البیهقی فی الدلائل (۵/ ۲۴۷، ۲۴۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۵۵

الجنة أحسن من هذا» «۱». ثم قدم خالد بأکیدر علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فحقن له دمه، و صالحه علی الجزیة، ثم خلی سبیله، فرجع إلی قریته، فقال رجل من طیء یقال له: بجیر ابن بجرة، یذکر قول رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لخالد: إنک ستجده یصید البقر، و ما صنعت البقر تلک اللیلة حتی استخرجته لتصدیق قول رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

تبارک سائق البقرات إنیرأیت الله یهدی کل هادی

فمن یک حائدا عن ذی تبوکفإنا قد أمرنا بالجهاد «۲» فأقام رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بتبوک بضع عشرة لیلة و لم یجاوزها، ثم انصرف قافلا إلی المدینة.

و کان فی الطریق ماء یخرج من وشل یروی الراکب و الراکبین و الثلاثة، بواد یقال له: وادی المشقق، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «من سبقنا إلی الماء فلا یستقین منه شیئا، حتی نأتیه»، فسبقه إلیه نفر من المنافقین، فاستقوا ما فیه، فلما أتاه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم وقف علیه فلم یر فیه شیئا، فقال: «من سبقنا إلی هذا؟» فقیل: یا رسول الله فلان و فلان، فقال:

«أو لم أنهکم أن تستقوا منه شیئا حتی آتیه؟» ثم لعنهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و دعا علیهم، ثم نزل فوضع یده تحت الوشل فجعل یصب فی یده ما شاء الله أن یصب ثم نضحه به و مسحه بیده و دعا بما شاء الله أن یدعو به، فانخرق من الماء کما یقول من سمعه ما إن حسا کحس الصواعق، فشرب الناس و استقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «لئن بقیتم أو من بقی منکم لتسمعن بهذا الوادی و هو أخصب ما بین یدیه و ما خلفه» «۳».

و مات فی هذه الغزوة من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: عبد الله ذو البجادین المزنی، و إنما سمی ذا البجادین لأنه کان ینازع إلی الإسلام فیمنعه قومه من ذلک و یضیقون علیه حتی ترکوه فی بجاد لیس علیه غیره، و البجاد: الکساء الغلیظ الجافی، فهرب منهم إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فلما کان قریبا منه شق بجاده باثنین فاتزر بواحد، و اشتمل بالآخر، ثم أتی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقیل له: ذو البجادین لذلک «۴».

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم (۴/ ۱۹۱۶/ ۱۲۷)، سنن النسائی (۷/ ۵۷۱۵)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۱۱)، الطبقات الکبری لابن سعد (۲/ ۱۶۶)، دلائل النبوة للبیهقی (۴۵/ ۲۵۰، ۲۵۱).

(۲) انظر الأبیات فی: السیرة (۴/ ۱۵۲).

(۳) انظر الحدیث فی: موطأ مالک (۱/ ۲/ ۱۴۳)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۱۸)، صحیح مسلم (۴/ ۱۰/ ۱۷۸۴، ۱۷۸۵).

(۴) انظر: السیرة (۴/ ۱۵۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۵۶

فکان عبد الله بن مسعود یحدث قال: قمت من جوف اللیل و أنا مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی غزوة تبوک، فرأیت شعلة من نار فی ناحیة العسکر فاتبعتها أنظر إلیها، فإذا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أبو بکر و عمر و إذا عبد الله ذو البجادین قد مات، و إذا هم قد حفروا له و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی حفرته و أبو بکر و عمر یدلیانه إلیه و هو یقول: أدلیا إلی أخاکما فدلیاه، فلما هیأه لشقه قال: «اللهم إنی قد أمسیت راضیا عنه فارض عنه» یقول عبد الله ابن مسعود: یا لیتنی کنت صاحب الحفرة! «۱».

و قال أبو رهم الغفارى، و كان ممن بايع تحت الشجرة: غزوت مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه قريبا منه و ألقى علينا النعاس، فطفقت أستيقظ و قد دنت راحلتى من راحلته عليه السلام فيفزعنى دنوها منه مخافة أن أصيب رجله فى الغرز فما استيقظت إلا لقوله: حس، فقلت: يا رسول الله استغفر لى: قال: «سر». فجعل يسألنى عمن تخلف من بنى غفار فأخبره به، فقال و هو يسألنى: «ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط» «۲»، فحدثته بتخلفهم، قال: «فما فعل النفر السود الجعاد القصار؟» قلت: و الله ما أعرف هؤلاء منا. قال: «بلى، الذين هم نعم بشبكة شدخ»، فتذكرتهم فى بنى غفار، فلم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا، فقلت:

يا رسول الله، أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأ نشيطا فى سبيل الله؟! إن أعز أهلى علىّ أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش و الأنصار و غفار و أسلم» «۳».

قال ابن إسحاق «۴»: ثم أقبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى نزل بذى أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار، و كان أصحاب مسجد الضرار قد أتوه و هو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدا لذى العلة و الحاجة و الليلة المطيرة و الليلة الشاتية، و إنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه، فقال: «إنى على جناح سفر، و حال شغل». أو كما قال صلى اللّه عليه و سلم: «و لو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه»، فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مالك بن الدخشم، أخا بنى سالم بن عوف، و معن بن

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۳۶۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۱۸).

(۲) الثطاط: جمع ثط، و هو قليل شعر اللحية و الحاجبين.

(۳) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۴/ ۱۸۰)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۹۲)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۳۵۰).

(۴) انظر: السيرة (۴/ ۱۵۵- ۱۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۵۷

عدى، أو أخاه عاصم بن عدى، أخا بنى العجلان، فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه و حرقاه»، فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف رهط مالك فقال مالك لمعن: انظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى. فدخل إلى أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه و فيه أهله فحرقاه و هدماه و تفرقوا عنه و نزل فيهم من القرآن ما نزل: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ [التوبة: ۱۰۷] إلى آخر القصة «۱».

و قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة و قد كان تخلف عنه من تخلف من المنافقين، و أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك و لا نفاق: كعب بن مالك و مرارة بن الربيع و هلال بن أمية، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لأصحابه: «لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة»، و أتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له و يعتذرون فصفح عنهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لم يعذرهم الله و لا رسوله، فاعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة.

فحدث «۲» كعب بن مالك قال: ما تخلفت عن رسول الله فى غزوة غزاها قط، غير أنى تخلفت عنه فى غزوة بدر، و كانت غزوة لم يعاتب الله فيها و لا رسوله أحدا تخلف عنها، و ذلك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إنما خرج يريد عير قريش فجمع الله بينه و بين عدوه على غير ميعاد، و لقد شهدت مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم العقبة حين تواثقنا على الإسلام و ما أحب أن لى بها مشهد بدر، و إن كانت غزوة بدر هى أذكر فى الناس منها.

و كان من خبرى حين تخلفت عنه فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى و لا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة، و الله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعنا لى فى تلك الغزوة، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قل ما يريد غزوة يغزوها إلا ورى

بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى حر شديد و استقبل سفرا بعيدا و استقبل غزو عدو كثير، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته و أخبرهم خبره بوجهه الذى يريد، و المسلمون من تبع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ، يعنى بذلك الديوان، فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ما لم ينزل فيه وحى من الله تعالى، و غزا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تلك الغزوة حين طابت الثمار و أحبت الظلال فالناس إليها صعر، فتجهز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و تجهز المسلمون معه، و جعلت أغدو لأتجهز معهم فأرجع و لم أقض حاجة فأقول فى نفسى: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك

---

(۱) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (۴/ ۱۴۹).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۱۵۷– ۱۵۸).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۵۸

يتمادى بى حتى شمر بالناس الجد و أصبح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم غاديا و المسلمون معه و لم أقض من جهازى شيئا فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت و لم أقض شيئا، ثم غدوت فرجعت و لم أقض شيئا، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا و تفرط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم، و ليتنى فعلت، فلم أفعل، و جعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فطفت فيهم يحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، و لم يذكرنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى بلغ تبوك فقال و هو جالس فى القوم بتبوك: ما فعل كعب ابن مالك؟ فقال رجل من بنى سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه و النظر فى عطفيه.

فقال له معاذ: بئس ما قلت، و الله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيرا. فسكت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما بلغنى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم توجه قافلا حضر لى بثى فجعلت أتذكر الكذب و أقول: بما ذا أخرج من سخط رسول الله صلى اللّه عليه و سلم غدا؟ و أستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى، فلما قيل لى: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل و عرفت أن لا أنجو منه إلا بالصدق، فأجمعت أن أصدق.

و صبح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة، و كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المخلفون من الأعراب فجعلوا يحلفون له و يعتذرون، و كانوا بضعة و ثمانين رجلا، فيقبل منهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم علانيتهم و أيمانهم و يستغفر لهم و يكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت فسلمت عليه فتبسم تبسم المغضب ثم قال لى: تعاله. فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى: «ما خلفك أ لم تكن ابتعت ظهرك؟» قلت: يا رسول الله، و الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا، و لكن و الله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عنى و ليوشكن الله أن يسخط علىّ، و لئن حدثتك اليوم حديثا صادقا تجد على فيه إنى أرجو عقباى من الله فيه، و لا و الله ما كان لى عذر، و الله ما كنت قط أقوى و لا أيسر منى حين تخلفت عنك. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أما هذا فقد صدقت فيه، فقم حتى يقضى فيك. فقمت.

و ثار معى رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا: و الله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، و لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بما اعتذر إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لك، فو الله ما زالوا حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأكذب نفسى، ثم قلت لهم: هل لقى هذا أحد غيرى؟ قالوا:

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۵۹

نعم، رجلان قالا مثل ذلك و قيل لهما مثل ما قيل لك. قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمرى و هلال بن أمية الواقفى، فذكروا

لى رجلين صالحين فيهما أسوة حسنة، فقمت حين ذكروهما لى، و نهى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس و تغيروا لنا حتى تنكرت لى نفسى و الأرض فما هى بالأرض التى كنت أعرف.

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباى فاستكانا فقعدا فى بيوتهما، و أما أنا فكنت أشب القوم و أجلدهم فكنت أخرج و أشهد الصلوات مع المسلمين و اطوف بالأسواق لا يكلمنى أحد، و آتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأسلم عليه و هو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى: هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا! ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى، و إذا التفت نحوه أعرض عنى.

حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة و هو ابن عمى و أحب الناس إلى فسلمت عليه فو الله ما رد على السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك الله هل تعلم أنى أحب الله و رسوله؟ فسكت فعدت فنا شدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله و رسوله أعلم. ففاضت عيناى و و ثبت فتسورت الحائط. ثم غدوت إلى السوق فبينا انا أمشى بالسوق إذا نبطى «۱» يسأل عنى من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فجعل الناس يشيرون له إلى، حتى جاءنى فدفع إلى كتابا من ملك غسان فى سرقة من حرير فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك جفاك و لم يجعلك الله بدار هوان و لا ـ مضيعة فالحق بنا نوسك. قلت حين قرأتها: و هذا من البلاء أيضا قد بلغ لى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك فعمدت بها إلى تنور فسجرته بها.

فأقمنا على ذلك حتى مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يأتينى فقال: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها أم ما ذا؟ قال: لا ـ بل اعتزلها و لا ـ تقربها. و أرسل إلى صاحبى بمثل ذلك، فقلت لامرأتى: الحقى بأهلك و كونى فيهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض.

و جاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع إلا خادم، أ فتكره ان أخدمه؟ قال: لا و لكن لا يقربنك. قالت: يا

---

(۱) النبطى: واحد النبط و هم قوم من الأعاجم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۶۰

رسول الله، و الله ما به من حركة، و الله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا و لقد تخوفت على بصره. فقال لى بعض أهلى: لو استأذنت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: و الله لا أستأذنه فيها، ما أدرى ما يقول لى فى ذلك إذا استأذنته و أنا رجل شاب، قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون من حين نهى رسول الله المسلمين عن كلامنا، ثم صليت الصبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التى ذكر الله، هنا قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت و ضاقت على نفسى، و قد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سلع، فكنت اكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أو فى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. فخررت ساجدا و عرفت أن قد جاءنى الفرج.

قال: و آذن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا و ذهب نحو صاحبى مبشرون، و ركض رجل إلى فرسا و سعى ساع من أسلم، حتى أوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى فكسوتهما إياه بشارة، و و الله ما أملك يومئذ غيرهما، و استعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و تلقانى الناس يبشروننى بالتوبة يقولون: ليهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله فحيانى و هنأنى، و الله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره. فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال کعب: فلما سلمت علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال و وجهه یبرق من السرور: أبشر بخیر یوم مر علیک منذ یوم ولدتک أمک. قلت: أمن عندک یا رسول الله أم من عند الله؟ قال: بل من عند الله. قال: و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إذا استبشر کأن وجهه قطعة قمر، و کنا نعرف ذلک منه.

قال: فلما جلست بین یدیه، قلت: یا رسول الله، إن من توبتی إلی الله أن أنخلع من مالی صدقة إلی الله و إلی رسوله. قال: أمسک علیک بعض مالک فهو خیر لک. قلت:

إنی ممسک سهمی الذی بخیبر. و قلت: یا رسول الله إن الله قد نجانی بالصدق، فإن من توبتی إلی الله أن لا أحدث إلا صدقا ما بقیت. و الله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فی صدق الحدیث منذ ذکرت لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم ذلک أفضل مما أبلانی، و الله ما تعمدت من کذبة مذ ذکرت ذلک لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی یومی هذا، و إنی لأرجو أن یحفظنی الله فیما بقی.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۶۱

و أنزل الله تبارک و تعالی: لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَ ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: ۱۷۷- ۱۱۹].

قال کعب: فو الله ما أنعم الله علی نعمة قط بعد أن هدانی للإسلام کانت أعظم فی نفسی من صدقی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یومئذ، أن لا أکون کذبته فأهلک کما هلک الذین کذبوه، فإن الله تبارک و تعالی قال فی الذین کذبوه شر ما قال لأحد: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ [التوبة: ۹۵- ۹۶].

قال: و کنا خلفنا أیها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذین قبل منهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین حلفوا له فعذرهم و استغفر لهم، و أرجأ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أمرنا حتی قضی الله فیه ما قضی، فلذلک قال الله تبارک و تعالی: وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا و لیس الذی ذکر من تخلیفنا لتخلفنا عن الغزوة، و لکن لتخلیفه إیانا و إرجائه أمرنا عن من حلف له و اعتذر إلیه فقبل منه «۱».

ذکر إسلام ثقیف

و قدم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم المدینة من تبوک فی رمضان و قدم علیه فی ذلک الشهر وفد ثقیف.

و کان من حدیثهم أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتی أدرکه قبل أن یصل إلی المدینة، فأسلم و سأله أن یرجع إلی قومه بالإسلام، فقال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کما یتحدث قومه: إنهم قاتلوک. و عرف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أن فیهم نخوة

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری کتاب المغازی (۷/ ۴۴۱۸)، صحیح مسلم کتاب التوبة (۴/ ۵۳) مسند الإمام أحمد (۳/ ۴۵۴- ۴۵۹)، سنن الترمذی کتاب التفسیر (۳۱۰۲)، دلائل النبوة للبیهقی (۵/ ۲۷۳- ۲۷۹)، مصنف عبد الرزاق (۵/ ۹۷۴۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۶۲

الامتناع الذی کان منهم. فقال عروة: یا رسول الله، أنا أحب إلیهم من أبکارهم.

و یقال: من أبصارهم. و کان فیهم کذلک محببا مطاعا.

فخرج یدعو قومه إلی الإسلام رجاء أن لا یخالفوه لمنزلته فیهم، فلما أشرف لهم علی علیة له و قد دعاهم إلی الإسلام و أظهر لهم

دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى فى دمك؟ قال: كرامة أكرمنى الله بها و شهادة ساقها إلى فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنونى معهم.

فزعموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «إن مثله فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه» «۱».

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا، ثم إنهم ائتمروا بينهم و رأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، و قد بايعوا و أسلموا، فمشى عمرو بن أمية أخو بنى علاج و كان من أدهى العرب إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره و كان قبل مهاجرا له الذى بينهما سيئ ثم أرسل إليه، أن عمرو بن أمية يقول لك: اخرج إلى فقال عبد ياليل للرسول: ويلك أ عمرو أرسلك إلى؟ قال: نعم و ها هو ذا واقفا فى دارك. قال: إن هذا لشىء ما كنت أظنه، لعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك. فخرج إليه فلما رآه رحب به فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا ما ليست معه هجرة، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، و قد أسلمت العرب كلها، و ليست لكم بحربهم طاقة فانتظروا فى أمركم «۲».

فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها و قال بعضهم لبعض: أ لا ترون أنه لا يأمن لكم سرب و لا يخرج منكم أحد إلا اقتطع؟ فائتمروا بينهم و أجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رجلا- كما أرسلوا عروة. فكلموا عبد ياليل و كان سن عروة، و عرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل و خشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة فقال: لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا. فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف و ثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، و شرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب. و من بنى مالك: عثمان بن أبى العاص و أوس بن عوف و نمير بن خرشة.

فخرج بهم عبد ياليل و هو ناب القوم و صاحب أمرهم، و لم يخرج بهم إلا خشية من

---

(۱) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۶۱۵، ۶۱۶)، تاريخ الطبرى (۲/ ۱۷۹)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۲۹۹، ۳۰۰)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۳۸۶)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۳۱۲).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۱۶۴- ۱۶۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۶۳

مثل ما صنع بعروة بن مسعود لكى يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه، فلما دنوا من المدينة و نزلوا قناة ألفوا بها المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كانت رعيتها نوبا عليهم، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين و ضبر يشتد «۱» يبشر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بقدومهم، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأخبره بقدومهم يريدون البيعة و الإسلام و أن يشترطوا شروطا و يكتتبوا من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتابا. فقال أبو بكر رضى الله عنه للمغيرة:

أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى أكون أنا أحدثه. ففعل المغيرة.

فدخل أبو بكر على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره بذلك ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم و علمهم كيف يحيون رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية.

و لما قدموا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده كما يزعمون فكان خالد بن سعيد هو الذى يمشى بينهم و بين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى اكتتبوا كتابهم، كتبه خالد بيده و كانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا و فرغوا من كتابهم.

و قد كان فيما سألوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يدع لهم الطاغية و هى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة و يأبى حتى سألوه شهرا واحدا بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى، و إنما يريدون بذلك فيما

يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم و نسائهم و ذراريهم و يكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى عليهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبة فيهدماها. و قد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة و أن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أما كسر أوثانكم فسنعفيكم منه، و أما الصلاة فلا خير فى دين لا صلاة فيه»، [فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها، و إن كانت دناءة] «۲»، فلما أسلموا و كتب لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتابا أمر عليهم عثمان بن أبى العاص و كان من أحدثهم سنا فقال أبو بكر لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: يا رسول الله، إنى قد رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه فى الإسلام و تعلم القرآن «۳».

---

(۱) ضبر يشتد: أى وثب، و يقال: ضبر الفرس إذا جمع قوائمه و وثب.

(۲) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل، و ما أوردناه من السيرة.

(۳) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (۳/ ۳۰۲۶)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۲۱۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۶۴

فحدث «۱» عثمان بن أبى العاص قال: كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين بعثنى على ثقيف أن قال: «يا عثمان تجاوز فى صلاتك و اقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير و الصغير و الضعيف و ذا الحاجة» «۲».

فلما فرغوا من أمرهم و توجهوا راجعين إلى بلادهم بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معهم أبا سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبة فى هدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك عليه أبو سفيان و قال: ادخل أنت على قومك. و أقام أبو سفيان بماله بذى الهدم، فلما دخل علاها يضربها بالمعول و قام دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة، و خرج نساء ثقيف حسرا «۳» يبكين عليها و يقلن:

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع «۴»

لم يحسنوا المصاع

فلما هدمها المغيرة و أخذ مالها و حليها أرسل إلى أبى سفيان و حليها مجموع و مالها من الذهب و الجزع.

و قد كان أبو مليح بن عروة و قارب بن الأسود قدما على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف و أن لا يجامعاهم على شىء أبدا. فأسلما فقال لهما رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: توليا من شئتما. فقالا: نتولى الله و رسوله فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«و خالكما أبا سفيان بن حرب». فقالا: و خالنا أبا سفيان، فلما أسلم أهل الطائف و وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أبا سفيان و المغيرة إلى هدم الطاغية سأل أبو مليح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يقضى عن أبيه عروة دينا كأن عليه من مال الطاغية. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «نعم».

فقال له قارب بن الأسود: و عن الأسود يا رسول الله فاقضه، و عروة و الأسود أخوان لأب و أم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن الأسود مات مشركا». فقال قارب: يا رسول الله، لكن تصل مسلما ذا قرابة، يعنى نفسه، إنما الدين على و إنما أنا الذى أطلب به. فأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة و الأسود من مال الطاغية، فلما جمع

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۱۶۷).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۴/ ۲۱)، صحيح مسلم (۱/ ۱۸۷/ ۳۴۲).

(۳) حسرا: بضم الحاء و تشديد السين مفتوحة، جمع حاسرة، و هى المكشوفة الوجه.

(۴) دفاع: هی صیغة مبالغة من الدفع، و إنما سموا طاغیتهم دفاعا لأنهم کانوا یعتقدون أن الأصنام تدفع عنهم البلاء و المحن. الرضاع: جمع راضع و أرید بهم اللئام.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۶۵

المغیرة مالها ذکر أبا سفیان بذلک فقضی منه عنهما «۱».

هکذا ذکر ابن إسحاق إسلام أهل الطائف بعقب غزوة تبوک فی رمضان من سنة تسع قبل حج أبی بکر بالناس آخر تلک السنة. و جعل ابن عقبة قدوم عروة علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و مقتله فی قومه و إسلام ثقیف کل ذلک بعد صدر أبی بکر عن حجه. و بین حدیثه و حدیث ابن إسحاق بعض اختلاف، رأیت ذکر حدیث ابن عقبة و إن کان أکثره معادا لأجل ذلک الاختلاف، ثم أذکر بعده حجة أبی بکر فی الموضع الذی ذکرها فیه ابن إسحاق.

قال موسی بن عقبة: فلما صدر أبو بکر من حجه بالناس قدم عروة بن مسعود الثقفی علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأسلم ثم استأذن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی الرجوع إلی قومه فقال له: إنی أخاف ان یقتلوک، قال: لو وجدونی نائما ما أیقظونی. فأذن له فرجع إلی الطائف و قدمها عشاء فجاءته ثقیف یسلمون علیه فدعاهم إلی الإسلام و نصح لهم فاتهموه و أعضوه و أسمعوه من الأذی ما لم یکن یخشاه منهم فخرجوا من عنده حتی إذا أسحر و سطع الفجر قام علی غرفة فی داره فأذن بالصلاة و تشهد، فرماه رجل من ثقیف بسهم فقتله فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما بلغه قتله: «مثل عروة مثل صاحب یاسین، دعا قومه إلی الله، فقتلوه» «۲».

و أقبل بعد قتله وفد من ثقیف بضعة عشر رجلا هم أشراف ثقیف، فیهم کنانة بن عبد یالیل و هو رأسهم یومئذ، و فیهم عثمان بن أبی العاص و هو أصغر القوم حتی قدموا علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم المدینة یریدون الصلح حین رأوا أن قد فتحت مکة و أسلم عامة العرب، فقال المغیرة بن شعبة: یا رسول الله، أنزل علی قومی أکرمهم بذلک فإنی حدیث الجرم فیهم. قال: لا أمنعک أن تکرم قومک و لکن تنزلهم حیث یسمعون القرآن.

فأنزلهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی المسجد و بنی لهم خیاما لکی یسمعوا القرآن و یروا الناس إذا صلوا. و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إذا خطب لم یذکر نفسه، فلما سمعه وفد ثقیف قالوا:

یأمرنا ان نشهد أنه رسول الله و لا یشهد به فی خطبته! فلما بلغه قولهم قال: «فإنی أول

---

(۱) انظر الحدیث فی: الطبقات الکبری لابن سعد (۵/ ۵۰۴، ۵۰۵).

(۲) انظر الحدیث فی: مستدرک الحاکم (۳/ ۶۱۵)، طبقات ابن سعد (۵/ ۳۷۰)، مجمع الزوائد للهیثمی (۹/ ۳۸۶)، المعجم الکبیر للطبرانی (۱۷/ ۱۴۸)، الدر المنثور للسیوطی (۵/ ۲۶۲)، کنز العمال للمتقی الهندی (۳۳۶۱۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۶۶

من یشهد أنی رسول الله» «۱». و کانوا یغدون علی رسول الله کل یوم و یخلفون عثمان بن أبی العاص علی رحالهم لأنه أصغرهم، فکان عثمان کلما رجع الوفد إلیه و قالوا بالهاجرة عمد إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فسأله عن الدین و استقرأه القرآن، فاختلف إلیه عثمان مرارا حتی فقه فی الدین و علم. و کان إذا وجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم نائما عمد إلی أبی بکر، و کان یکتم ذلک من أصحابه، فأعجب ذلک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أحبه.

فمکث الوفد یختلفون إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو یدعوهم إلی الإسلام، فقال له کنانة ابن عبد یالیل: هل أنت مقاضینا حتی نرجع إلی قومنا ثم نرجع إلیک؟ فقال: «نعم، إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضیتکم و إلا فلا قضیة و لا صلح بینی و بینکم».

قالوا: أ رأیت الزنا؟ فإنا قوم نغترب و لا بد لنا منه. قال: «هو علیکم حرام إن الله» یقول: وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنی إِنَّهُ کانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِیلًا [الإسراء: ۳۲].

قالوا: فالربا؟ قال: «و الربا». قالوا: إنه أموالنا كلها. قال: «فلكم رءوس أموالكم»، قال الله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: ۲۷۸]. قالوا فالخمر؟ فإنها عصير أرضنا و لا بد لنا منها. قال: «إن الله قد حرمها»، قال الله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: ۹۰].

فارتفع القوم فخلا بعضهم إلى بعض و قالوا: و يحكم إنا نخاف إن خالفناه يوما كيوم مكة، انطلقوا فأعطوه ما سأل و أجيبوه. فأتوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقالوا: لك ما سألت.

أ رأيت الربة ما ذا نصنع فيها؟ قال: «اهدموها». قالوا: هيهات! لو تعلم الربة أنا نريد هدمها لقتلت أهلنا. فقال عمر: ويحك يا بن عبد ياليل ما أحمقك إنما الربة حجر، قال:

إنا لم نأتك يا ابن الخطاب. ثم قال: يا رسول الله، تول أنت هدمها، فأما نحن فلن نهدمها أبدا، قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «فسأبعث إليكم من يكفيكم هدمها». قال كنانة: ائذن لنا قبل رسولك ثم ابعث فى آثارنا، فإنى أعلم بقومى، فأذن لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أكرمهم و حملهم. قالوا: يا رسول الله، أمر علينا رجلا يؤمنا، فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص «۲» لما رأى من حرصه على الإسلام و قد كان علم سورا من القرآن قبل أن يخرج.

---

(۱) ذكره البيهقى فى دلائل النبوة (۵/ ۳۰۰).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۷۹۱)، الإصابة الترجمة رقم (۵۴۵۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۵۸۱)، تهذيب الكمال (۶/ ۲۱۲)، تهذيب التهذيب (۷/ ۱۲۸، ۱۲۹)، خلاصة تذهيب الكمال (۹۱۳)، شذرات الذهب (۱/ ۳۶)، سير أعلام النبلاء (۲/ ۳۷۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۶۷

و قال كنانة «۱» لأصحابه: أنا أعلمكم بثقيف فاكتموهم إسلامكم و خوفوهم الحرب و القتال و أخبروهم أن محمدا سألنا امورا أبيناها عليه، سألنا أن نهدم اللات و نبطل أموالنا فى الربا و نحرم الخمر.

حتى إذا دنوا من الطائف خرجت إليهم ثقيف يتلقونهم، فلما رأوهم قد ساروا العنق و قطروا الإبل و تغشوا ثيابهم كهيئة قوم قد حزنوا أو كذبوا قالت ثقيف بعضهم لبعض: ما جاؤكم بخير. فلما دخلوا حصنهم عمدوا للّات فجلسوا عندها، و اللات بيت كانوا يعبدونه و يسترونه و يهدون له الهدى يضاهون به بيت الله، ثم رجع كل واحد منهم إلى أهله فجاء كل رجل حامية من ثقيف فسألوه: ما ذا جئتم به؟ قالوا: أتينا رجلا فظا غليظا يأخذ من أمره ما شاء قد ظهر بالسيف و أداخ العرب و دان له الناس، فعرض علينا أمورا شدادا: هدم اللات و ترك الأموال فى الربا إلا رءوس أموالكم و حرم الخمر و الزنا. قالت ثقيف: و الله لا نقبل هذا أبدا. قال الوفد: أصلحوا السلاح و تهيئوا للقتال و رموا حصنكم.

فمكثت ثقيف بذلك يومين أو ثلاثة تريد القتال ثم ألقى الله الرعب فى قلوبهم و قالوا: و الله ما لنا به طاقة أداخ العرب كلها فارجعوا إليه فأعطوه ما سأل و صالحوه عليه. فلما رأى الوفد أنهم قد رعبوا و اختاروا الأمن على الخوف و على الحرب، قالوا لهم: إنا قد فرغنا من ذلك، قد قاضيناه و أسلمنا و أعطانا ما أحببنا و اشترطنا ما أردنا وجدناه اتقى الناس و أوفاهم و أرحمهم و أصدقهم و قد بورك لنا و لكم فى مسيرنا إليه و فيما قاضيناه عليه. فقالت ثقيف: فلم كتمتمونا هذا الحديث و غممتمونا بذلك أشد الغم؟ قالوا: أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم و استسلموا.

فمكثوا أياما ثم قدم عليهم رسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد أمر عليهم خالد بن الوليد و فيهم المغيرة بن شعبة، فلما قدموا عليهم عمدوا للات ليهدموها و انكفأت ثقيف كلها الرجال و النساء و الصبيان حتى خرج العواتق من الحجال و هم لا يرون أنها تهدم و يظنون أنها ستمتنع. فقام المغيرة بن شعبة «۲» و قال لأصحابه: لأضحكنكم من ثقيف فأخذ الكرزن

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۲۴۳)، الإصابة الترجمة رقم (۷۴۷۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۵۰۵).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۵۱۲)، الإصابة الترجمة رقم (۸۱۹۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۰۷۱)، التاریخ لابن معین (۲/ ۵۷۹)، ترتیب الثقات (۴۳۷)، الطبقات لابن سعد (۲/ ۲۸۴)، أنساب الأشراف (۱/ ۱۶۸)، مروج الذهب (۱۶۵۶)، الکامل فی التاریخ-

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۶۸

فضرب به ثم أخذ یرتکض فارتج أهل الطائف بصیحة واحدة و قالوا: أبعد الله المغیرة قد قتلته الربة! و فرحوا حین رأوه ساقطا و قالوا: من شاء منکم فلیقترب و یجهد علی هدمها فو الله لا تستطاع أبدا. فوثب المغیرة فقال: قبحکم الله یا معشر ثقیف! إنما هی لکاع حجارة و مدرا! ثم ضرب الباب فکسره ثم علا علی سورها و علا الرجال معه، فما زالوا یهدمونها حجرا حجرا حتی سووها بالأرض و جعل صاحب المفاتیح یقول:

لیغضبن الأساس فلیخسفن بهم. فلما سمع ذلک المغیرة قال لخالد: دعنی أحفر أساسها.

فحفروها حتی أخرجوا ترابها و أخذوا حلیها و ثیابها. فبهتت ثقیف.

و انصرف الوفد إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بحلیتها و کسوتها فقسمه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من یومه و حمد الله علی نصر نبیه و إعزاز دینه.

ذکر حج أبی بکر الصدیق رضی الله عنه بالناس سنة تسع و توجیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علی بن أبی طالب بعده بسورة براءة

و بعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أبا بکر أمیرا علی الحج من سنة تسع لیقیم للمسلمین حجهم، و نزلت بعد بعثه إیاه «براءة» فی نقض ما بین رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و بین المشرکین من العهد الذی کانوا علیه فیما بینه و بینهم: أن لا یصد عن البیت أحد جاءه، و لا یخاف علی أحد فی الشهر الحرام، و کان ذلک عهدا عاما بینه و بین أهل الشرک، و کان بین ذلک عهود خصائص بینه و بین قبائل العرب إلی آجال مسماة فنزلت فیه و فیمن تخلف من المنافقین عن تبوک و فی قول من قال منهم فکشف الله سرائر قوم کانوا یستخفون بغیر ما یظهرون «۱».

فقیل لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم: لو بعثت بها إلی أبی بکر؟ فقال: «لا یؤدی عنی إلا رجل من أهل بیتی»، ثم دعا علی بن أبی طالب فقال: «اخرج بهذه القصة من صدر براءة و أذن فی الناس یوم النحر إذا اجتمعوا بمنی: أنه لا یدخل الجنة کافر و لا یحج بعد العام مشرک

- (۳/ ۴۶۱)، المعین من طبقات المحدثین (۱۲۴)، العبر (۱/ ۵۶)، مرآة الجنان (۱/ ۱۲۴)، سیر أعلام النبلاء (۳/ ۲۱)، تقریب التهذیب (۲/ ۲۶۹)، خلاصة تذهیب التهذیب (۳۲۹)، شذرات الذهب (۱/ ۵۶)، العقد الثمین (۷/ ۲۵۵).

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۱۷۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۶۹

و لا یطوف بالبیت عریان، و من کان له عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عهد فهو إلی مدته»، فخرج علی علی ناقة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم العضباء حتی أدرک أبا بکر الصدیق بالطریق، فلما رآه أبو بکر قال: أمیر أم مأمور؟ قال: بل مأمور. و مضیا، فأقام أبو بکر للناس الحج، و العرب فی تلک السنة علی منازلهم من الحج التی کانوا علیها فی الجاهلیة، حتی إذا کان یوم النحر قام علی بن أبی طالب فأذن فی الناس بالذی أمره به رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أجل الناس أربعة أشهر من یوم أذن فیهم لیرجع کل قوم إلی مأمنهم و بلادهم، ثم لا عهد لمشرک و لا ذمة إلا أحد کان له عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عهد إلی مدة فهو له إلی

مدته، فلم یحجج بعد ذلک العام مشرک و لم یطف بالبیت عریان «۱».

و کانت براءة تسمى فى زمان رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: «المبعثرة» لما کشفت من سرائر الناس، و کانت تبوک آخر غزوة غزاها رسول الله صلى اللّه علیه و سلم.

و کان جمیع ما غزا رسول الله صلى اللّه علیه و سلم بنفسه سبعا و عشرین غزاة: غزوة و دان و هى غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط من ناحیة رضوى، ثم غزوة العشیرة من بطن ینبع، ثم غزوة بدر الأولى یطلب کرز بن جابر، ثم غزوة بدر التى قتل الله فیها صنادید قریش، ثم غزوة بنى سلیم حین بلغ الکدر، ثم غزوة السویق یطلب أبا سفیان بن حرب، ثم غزوة غطفان إلى نجد، و هى غزوة ذى أمر، ثم غزوة بحران معدن بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بنى النضیر، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بنى قریظة، ثم غزوة بنى لحیان من هذیل، ثم غزوة ذى قرد، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحدیبیة لا یرید قتالا فصده المشرکون، ثم غزوة خیبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنین، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوک، قاتل صلى اللّه علیه و سلم فى تسع غزوات منها: بدر، و أحد، و الخندق، و قریظة، و بنى المصطلق و خیبر، و الفتح، و حنین، و الطائف. و هذا الترتیب عن ابن إسحاق «۲»، و خالفه ابن عقبه فى بعضه.

السرایا

و کانت بعوث رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و سرایاه ثمانیة، و ثلاثین من بین بعث و سریة: غزوة

---

(۱) انظر الحدیث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۶۸۴)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۳۷)، و له شواهد منها ما فى مسند الإمام أحمد (۲/ ۲۹۹) من طریق: محرز بن أبى هریرة عن أبیه، قال:

«کنت مع على بن أبى طالب فکنت أنادى حتى صحل صوتى».

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۳۳).

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۱،ص:۵۷۰

عبیدة بن الحارث أسفل ثنیة المرة، و غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر من ناحیة العیص، و بعض الناس یقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبیدة.

و غزوة سعد بن أبى وقاص الخرار، و غزوة عبد الله بن جحش نخلة، و غزوة زید بن حارثة القردة، و غزوة محمد بن مسلمة کعب بن الأشرف، و غزوة مرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجیع، و غزوة المنذر بن عمرو بئر معونة، و غزوة أبى عبیدة بن الجراح ذا القصة، من طریق العراق، و غزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر، و غزوة على ابن أبى طالب الیمن، و غزوة غالب بن عبد الله الکلبى کلب لیث، الکدید فأصاب بنى الملوح «۱».

و کان من حدیثها أن رسول الله صلى اللّه علیه و سلم بعثه فى سریة و أمره أن یشن الغارة على بنى الملوح و هم بالکدید، قال جندب بن مکیث الجهنى، و کان مع غالب فى سریته هذه:

فخرجنا حتى إذا کنا بقدید لقینا الحارث بن مالک و هو ابن البرصاء اللیثى فأخذناه فقال: إنى جئت أرید الإسلام و ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى اللّه علیه و سلم. فقلنا له: إن تک مسلما فلن یضرک رباط لیلة، و إن تک على غیر ذلک کنا قد استوثقنا منک فشددناه رباطا ثم خلفنا علیه رجلا من أصحابنا و قلنا له: إن عازک «۲» فاحتز رأسه.

قال: ثم سرنا حتى اتینا الکدید عند غروب الشمس فکمنا فى ناحیة الوادى و بعثنى أصحابى ربیئة لهم «۳»، فخرجت حتى آتى تلا مشرفا على الحاضر، فأسندت فیه فعلوت فى رأسه فنظرت إلى الحاضر فو الله إنى لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه فقال

لامرأته: إنى لأرى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى فانظرى إلى أوعيتك هل تفقدين شيئا لا تكون الكلاب جرت بعضها. فنظرت فقالت: لا و الله ما أفقد شيئا.

قال: فناولينى قوسى و سهمين. فناولته فأرسل سهما فو الله ما أخطأ جنبى فأنزعه و أضعه و ثبت مكانى. ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى فأنزعه و أضعه و ثبت مكانى.

فقال لامرأته: لو كان ربيئة تحرك لقد خالطه سهماى، لا أبا لك، إذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا يمضغهما الكلاب على. ثم دخل.

و أمهلناهم، حتى إذا اطمأنوا و ناموا، و كان فى وجه السحر، شننا عليهم الغارة

---

(۱) انظر: السيرة (۲۳۳، ۲۳۴).

(۲) عازك: أى غالبك، و منه قوله تعالى: وَ عَزَّنِى فِى الْخِطابِ أى غلبنى.

(۳) ربيئة القوم: أى طليعة القوم الذى ينظر لأصحابه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۷۱

فقتلنا، و استقنا النعم، و خرج صريخ القوم، فجاءنا دهم لا قبل لنا به، و مضينا بالنعم، و مررنا بابن البرصاء و صاحبه، فاحتملناهما معنا، و أدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا و بينهم إلا وادى قديد، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء الله تبارك و تعالى، من غير سحابة نراها، و لا مطر، فجاء بشىء ليس لأحد به قوة، و لا يقدر على أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، و إنا لنسوق نعمهم، و ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا، حتى فتناهم، فقدمنا بها على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «۱».

و غزوة على بن أبى طالب بنى عبد الله بن سعد من أهل فدك، و غزوة أبى العوجاء السلمى أرض بنى سليم، فأصيب بها هو و أصحابه جميعا، و غزوة عكاشة بن محصن الغمرة، و غزوة أبى سلمة بن عبد الأسد قطنا ماء من مياه بنى أسد، من ناحية نجد، قتل فيها مسعود بن عروة، و غزوة محمد بن مسلمة القرطاء من هوازن، و غزوة بشير بن سعد بنى مرة بفدك، و غزوته أيضا بناحية خيبر، و غزوة زيد بن حارثة الجموح، من أرض بنى سليم، و غزوته أيضا جذام، من أرض خشين، و يقال: من أرض حسمى «۲».

و كان من حديثها كما حدث رجال من جذام كانوا علماء بها: أن رفاعة بن زيد الجذامىّ لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام فاستجابوا له لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبى من عند قيصر صاحب الروم، حين بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و معه تجارة له، حتى إذا كان بواد من أوديتهم أغار عليه الهنيد بن عوص الضليعى بطن منهم و ابنه عوص، فأصابا كل شىء كان معه، فبلغ ذلك قوما من بنى الضبيب رهط رفاعة ممن كان أسلم و أجاب، فنفروا إلى الهنيد و ابنه فاستنفذوا ما كان فى أيديهما فردوه على دحية، فخرج دحية حتى قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأخبره خبره، و استسقاه دم الهنيد و ابنه، فبعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم زيد بن حارثة و بعث معه جيشا فأغاروا فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس و قتلوا الهنيد و ابنه و رجلين معهما، فلما سمعت بذلك بنو الضبيب ركب نفر منهم فيهم حسان بن ملة فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد: فاقرأ أم الكتاب، فقرأها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا فى الجيش: إن الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاءوا منها إلا من ختر، و إذا أخت حسان فى الأسارى فقال له زيد: خذها، فقالت أم الفزر الصلعية: أ تنطلقون ببناتكم و تذرون أمهاتكم؟! فقال أحد بنى الخصيب: إنها بنو

---

(۱) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۱۱۹)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۲۰۳).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۲۳۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۷۲

الضبيب و سحر ألسنتهم سائر اليوم فسمعها بعض الجيش فأخبر بها زيدا فأمر بأخت حسان و قد كانت أخذت بحقوقى أخيها ففكت يداها من حقويه و قال لها: اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه.

فرجعوا و نهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه فأمسوا فى أهليهم، فلما شربوا عتمتهم ركبوا إلى رفاعة بن زيد فصبحوه فقال له حسان بن ملة: إنك لجالس تحلب المعزى و نساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به، فدعا رفاعة بجمل له، فشد عليه رحله و هو يقول:

هل أنت حى أو تنادى حيا «۱» ثم غدا و هم معه مبركين، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال، فلما دخلوا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و رآهم ألاح إليهم بيده أن تعالوا. من وراء الناس، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قال رجل من الناس: يا رسول الله، إن هؤلاء قوم سحرة. فرددها مرتين.

فقال رفاعة: رحم الله من لم يحذنا فى يومنا هذا إلا خيرا.

ثم دفع رفاعة إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتابه الذى كان كتب له، فقال: دونك يا رسول الله قديما كتابه حديثا غدره. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: اقرأه يا غلام و أعلن. فلما قرأ كتابه استخبرهم فأخبره فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: كيف أصنع بالقتلى؟ ثلاث مرات فقال رفاعة:

أنت أعلم يا رسول الله لا نحرم عليك حلالا و لا نحل لك حراما. فقال أبو زيد بن عمرو أحد من قدم مع رفاعة: أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا و من قتل فهو تحت قدمى هذه. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «صدق أبو زيد اركب معهم يا على»، فقال له على: يا رسول الله، إن زيدا لن يطيعنى، قال: «فخذ سيفى هذا»، فأعطاه سيفه.

فخرجوا فإذا رسول الله لزيد بن حارثة على ناقة من إبلهم، فأنزلوه عنها فقال: «يا على ما شأني؟» فقال: ما لهم عرفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقوا الجيش، فأخذوا ما بأيديهم حتى كانوا ينتزعون لبيد المرأة من تحت الرحل «۲».

و غزوة زيد بن حارثة أيضا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق، و غزوته أيضا وادى القرى لقى فيه بنى فزارة فأصيب بها ناس من أصحابه و ارتث زيد من بين القتلى فلما قدم زيد آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة، فلما استبل من

---

(۱) انظر البيت فى: السيرة (۴/ ۲۳۸).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۱۸)، طبقات ابن سعد (۲/ ۸۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۷۳

جراحه بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى بنى فزارة فى جيش فقتلهم بوادى القرى و أصاب فيهم.

و غزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين، إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رزام و يقال: ابن رازم «۱»، و كان من حديثه أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فبعث إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس حليف بنى سلمة، فلما قدموا عليه كلموه و قربوا له و قالوا له: إنك إن قدمت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم استعملك و أكرمك. فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفر من يهود، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم اليسير على مسيره إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ففطن له عبد الله بن أنيس و هو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله و ضربه اليسير بمخرش فى يده من شوحط فأمه و مال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه. فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تفل على شجته فلم تقح و لم تؤذه «۲».

و غزوة عبد الله بن عتيك خيبر فأصاب بها أبا رافع بن أبى الحقيق.

و غزوة «۳» عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إليه و هو بنخلة أبو بعرنة يجمع لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم ليغزوه، فقتله. قال عبد الله بن أنيس: دعانى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال لى: «إنه بلغنى أن ابن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى و هو بنخلة أبو بعرنة فأته فاقتله»، فقلت: يا رسول الله، انعته لى حتى أعرفه، قال: «إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، و آية ما بينك و بينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة»، قال: فخرجت متوشحا سيفى حتى دفعت إليه و هو فى ظعن يرتاد لهن منزلا و كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من القشعريرة، فأقبلت نحوه و خشيت أن تكون بينى و بينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة فصليت و أنا أمشى نحوه و أومأ برأسى، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك و بجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك، قال: أجل أنا فى ذلك.

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۴۱- ۲۴۲).

(۲) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۵/ ۲۱۹)، ابن سعد فى الطبقات (۲/ ۹۲)، و ليس فيه: «تفل على شجته فلم تقح و لم تؤذه».

(۳) انظر: السيرة (۲۴۲- ۲۴۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۷۴

قال: فمشيت معه شيئا حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف فقتلته، ثم خرجت و تركت ظعائنه منكبات عليه. فلما قدمت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فرآنى قال: «أفلح الوجه»! قلت: قد قتلته يا رسول الله، قال: «صدقت»، ثم قام بى فأدخلنى بيته فأعطانى عصا، فقال: «أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس»، قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه لعصا؟ قلت: أعطانيها رسول؛ الله صلى اللّه عليه و سلم و أمرنى أن أمسكها عندى. قالوا: أ فلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك؟ فرجعت فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتنى هذه العصا؟ قال: «آية بينى و بينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخصرون يومئذ»، فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعا «۱».

و قال عبد الله فى ذلك:

تركت ابن ثور كالحوار و حوله‌نوائح تفرى كل جيب مقدد

تناولته و الظعن خلفى و خلفه‌بأبيض من ماء الحديد مهند

عجوم لهام الدار عين كأنه‌شهاب غضبا من ملهب متوقد «۲»

أقول له و السيف يعج رأسه‌أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد «*»

و قلت له خذها بضربة ماجدحنيف على دين النبىّ محمد

و كنت إذا هم النبىّ بكافرسبقت إليه باللسان و باليد و من البعوث أيضا: بعث مؤتة حيث أصيب جعفر بن أبى طالب و أصحابه، و غزوة كعب بن عمير الغفارى ذات أطلاح من أرض الشام أصيب بها هو و أصحابه جميعا، و غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من تميم. و كان من حديثهم أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعثه إليهم، فأغار عليهم، و أصاب منهم أناسا، و سبى منهم أناسا، و قالت عائشة لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: يا رسول الله، إن علىّ رقبة من ولد

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۴۶۹)، سنن أبو داود (۱۲۴۹)، صحيح ابن حبان (۹/ ۷۱۱۶)، سنن البيهقى (۳/ ۲۵۶)، صحيح ابن خزيمة (۲/ ۹۸۲).

(۲) عجوم: هو من صفات الأبيض و هى صيغة مبالغة من العجم و هو العض. الغضا: شجر يشتد التهاب النار فيه.

(*) ذکر فی السیرة بعد هذا البیت بیت آخر لم یذکره هنا، و هو:

أنا ابن الذی لم ینزل الدهر قدره‌رحیب فناء الدار غیر مزند انظر: السیرة (۴/ ۲۴۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۷۵

إسماعیل، قال: «هذا سبی بنی العنبر یقدم الآن، فنعطیک منهم إنسانا فتعتقینه» «۱».

فلما قدم بسبیهم رکب فیهم وفد من بنی تمیم منهم ربیعة بن رفیع، و سبرة بن عمرو و القعقاع بن معبد و وردان بن محرز و قیس بن عاصم و مالک بن عمرو و الأقرع بن حابس و فراس بن حابس، فکلموا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیهم فأعتق بعضا، و أفدی بعضا، و ذلک هو الذی عنی الفرزدق بقوله «۲»:

و عند رسول الله قام ابن حابس‌بخطة سوار إلی المجد حازم

له أطلق الأسری التی فی حباله‌مغللة أعناقها و الشکائم

کفی أمهات الخالفین علیهم‌غلاء المفادی أو سهام المقاسم و غزوة غالب بن عبد الله الکلیبی أرض بنی مرة و فیها قتل أسامة بن زید حلیفا لهم یقال له مرداس بن نهیک بن الحرقة من جهینة، قال: أدرکته أنا و رجل من الأنصار، فلما شهرنا علیه السلاح قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتی قتلناه. هکذا ذکر ابن إسحاق فی حدیثه «۳».

و خرج مسلم فی صحیحه عن أسامة بن زید قال: فکف عنه الأنصاری و طعنته برمحی حتی قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلک النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فقال: «یا أسامة، أ قتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» قلت: یا رسول الله إنما کان متعوذا، فقال: «أ قتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟!» فما زال یکررها علی حتی تمنیت أنی لم أکن أسلمت قبل ذلک الیوم «۴».

و فی بعض طرق مسلم أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال لأسامة: «لم قتلته؟» قال: یا رسول الله، أوجع فی المسلمین و قتل فلانا و فلانا و فلانا و سمی له نفرا و إنی حملت علیه فلما رأی السیف قال: لا إله إلا الله. قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أ قتلته؟» قال: نعم، قال: «فکیف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت یوم القیامة؟» قال: یا رسول الله استغفر لی، قال:

«و کیف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت یوم القیامة!» فجعل لا یزیده علی أن یقول:

---

(۱) ذکره ابن حجر فی فتح الباری (۵/ ۲۰۴).

(۲) انظر الأبیات فی: السیرة (۴/ ۲۴۵).

(۳) انظر: السیرة (۴/ ۲۴۶)، و الحدیث أخرجه الطبری فی تاریخه (۲/ ۱۴۲)، المتقی الهندی فی الکنز (۱۴۶۲).

(۴) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۵/ ۱۸۳، ۹/ ۴)، صحیح مسلم کتاب الإیمان (۱۵۹)، فتح الباری لابن حجر (۱۲/ ۱۹۱)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۴/ ۲۲۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۷۶

«کیف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت یوم القیامة» «۱».

و فی حدیث ابن إسحاق أن أسامة قال: أنظرنی یا رسول الله، إنی أعاهد الله أن لا أقتل رجلا یقول: لا إله إلا الله أبدا «۲».

و غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنی عذره، و کان من حدیثه أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعثه یستنفر العرب إلی الشام، و ذلک أن أم أبیه العاص بن وائل کانت امرأة من بلی فبعثه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلیهم یستألفهم لذلک، حتی إذا کان علی ماء بأرض جذام یقال له: السلسل و بذلک سمیت تلک الغزوة غزوة ذات السلاسل، خاف فبعث إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یستمده فبعث إلیه أبا عبیدة بن الجراح فی المهاجرین الأولین فیهم أبو بکر و عمر و قال لأبی عبیدة حین وجهه: لا تختلفا. فخرج أبو عبیدة حتی إذا قدم علیه قال له عمرو: إنما جئت مددا لی. قال أبو عبیدة: لا، و لکنی علی ما أنا علیه و أنت علی ما أنت

علیه. فقال له عمرو: بل أنت مدد لی. فقال له أبو عبیدة و کان رجلا لینا هینا سهلا علیه أمر الدنیا: یا عمرو، إن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال لی لا تختلفا و إنک إن عصیتنی أطعتک، قال: فإنی الأمیر علیک و أنت مدد لی. قال: فدونک. فصلی عمرو بالناس «۳».

و حدث «۴» رافع بن أبی رافع الطائی و هو رافع بن عمیرة قال: کنت امرأ نصرانیا فلما أسلمت خرجت فی تلک الغزاة یعنی غزوة ذات السلاسل فقلت: و الله لأختارن لنفسی صاحبا فصحبت أبا بکر فکنت معه فی رحله فکانت علیه عباءة له فدکیة «۵» فکان إذا نزلنا بسطها و إذا رکبنا لبسها ثم شکها علیه بخلال له و ذلک الذی یقول اهل نجد حین ارتدوا کفارا بعد موت النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و مبایعة الناس بعده لأبی بکر: أ نحن نبایع ذا العباءة! جهلوا یومئذ أن فضل الکمال لیس فی ظاهر البهاء و أن الفضل بید الله یؤتیه من یشاء، قال رافع: فلما دنونا من المدینة قافلین، قلت: یا أبا بکر إنما صحبتک لینفعنی

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم کتاب الإیمان (۱۵۹)، فتح الباری لابن حجر (۱۲/ ۱۹۶).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۴۶).

(۳) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۷/ ۳۶۶۲، ۴۳۵۸)، دلائل النبوة للبیهقی (۴/ ۳۹۹، ۴۰۰)، صحیح مسلم (۴/ ۸/ ۱۸۵۶).

(۴) انظر: السیرة (۴/ ۲۴۷- ۲۴۸).

(۵) فدکیة: منسوبة إلی فدک، و هو موضع بالحجاز، بینها و بین المدینة یومان و قیل: ثلاثة. انظر: معجم البلدان (۴/ ۲۳۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۷۷

الله بک فانصحنی و علمنی، قال: لو لم تسلنی ذلک لفعلت، آمرک أن توحد الله لا تشرک به شیئا، و أن تقیم الصلاة و تؤتی الزکاة و تصوم رمضان و تحج هذا البیت و تغتسل من الجنابة و لا تتأمرن علی رجلین من المسلمین أبدا.

قال قلت: یا أبا بکر، أما أنا و الله فإنی أرجو أن لا أشرک بالله أبدا، و أما الصلاة فلن أترکها أبدا إن شاء الله، و أما الزکاة فإن یکن لی مالی أؤدیها إن شاء الله، و أما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله، و أما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله و أما الإمارة فإنی رأیت الناس یا أبا بکر لا یشرفون عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و عند الناس إلا بها فلم تنهی عنها؟ قال: إنما استجهدتنی لجهده لک، و سأخبرک عن ذلک: إن الله تبارک و تعالی بعث محمدا صلی اللّه علیه و سلم بهذا الدین فجاهد فیه حتی دخل الناس فیه طوعا و کرها، فلما دخلوا فیه کانوا عواذ الله و جیرانه و فی ذمته، فإیاک أن تخفر الله «۱» فی جیرانه فیتبعک الله فی خفرته، فإن احدکم یخفر فی جاره فیظل ناتئا «۲» عضله غضبا لجاره إن أصیب له شاة أو بعیر، فالله أشد غضبا لجاره.

قال: ففارقته علی ذلک، فلما قبض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أمر أبو بکر علی الناس قدمت علیه فقلت: یا أبا بکر، أ لم تکن نهیتنی عن أن أتامر علی رجلین من المسلمین؟ قال:

بلی، و أنا الآن أنهاک عن ذلک. فقلت له: فما حملک علی أن تلی أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلک بدا خشیت علی أمة محمد الفرقة «۳».

و فی هذه الغزاة أیضا صحب عوف بن مالک الأشجعی أبا بکر و عمر رضی الله عنهما قال: فمررت بقوم علی جزور لهم قد نحروها و هم لا یقدرون علی أن یعضوها فقلت: أ تعطوننی منها عشیرا علی أن أقسمها بینکم؟ قالوا: نعم.

فأخذت الشفرتین فجزأتها و أخذت منها جزء فحملته إلی أصحابی فاطبخناه فأکلناه، فقال أبو بکر و عمر: أنی لک هذا اللحم یا عوف؟ فأخبرتهما خبره فقالا:

و الله ما أحسنت حین أطعمتنا هذا، ثم قاما یتقیّئان ما فی بطونهما من ذلک. فلما قفل الناس کنت أول قادم علی رسول الله صلی اللّه

عليه و سلم فجئته و هو يصلى فى بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته. قال: أ عوف بن مالك؟ قلت: نعم بأبى أنت

---

(۱) تخفر الله: أى تنقض عهده.

(۲) فيضل نائتا: أى يضل مرتفعا.

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۴۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۷۸

و أمى يا رسول الله. قال: أصاحب الجزور؟ و لم يزدنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على ذلك «۱».

و غزوة ابن أبى حدرد و أصحابه بطن إضم، و كانت قبل الفتح قال عبد الله بن أبى حدرد: بعثنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى إضم «۲» فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة و محلم بن جثامة، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى على قعود له معه متيع له و وطب من لبن فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه و حمل عليه محلم بن جثامة قتله لشىء كان بينهما و أخذ بعيره و متيعه. فلما قدمنا على رسول الله و أخبرناه الخبر نزل فينا: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا [النساء: ۹۴] إلى آخر الآية «۳».

و عن «۴» ضميرة بن سعد السلمى عن أبيه، و كان شهد حنينا قال: صلى بنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الظهر ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها و هو بحنين فقام إليه الأقرع بن حابس و عيينة بن حصن يختصمان فى عامر بن الأضبط، و عيينة يطلب بدمه. و هو يومئذ رئيس غطفان، و الأقرع يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و نحن نسمع، فسمعنا عيينة يقول: و الله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحر مثل ما أذاق نسائى، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا و خمسين إذا رجعنا. و هو يأبى عليه ثم ذكر تكرار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قوله هذا، فقبلوا الدية ثم قالوا: أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فقام رجل آدم ضرب طويل عليه حلة له قد كان تهيأ فيها للقتل حتى جلس بين يدى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال له: ما اسمك؟ فقال: أنا محلم ابن جثامة، فرفع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يديه ثم قال: اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة. ثلاثا، فقام يتلقى دمعه بفضل ردائه قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا إنا لنرجو أن يكون

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۴/ ۹۷)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۴۰۲).

(۲) إضم: بالكسر ثم الفتح، ماء يطؤه الطريق بين مكة و اليمامة عند السمينة، و يقال: هو واد بجبال تهامة، و هو الوادى الذى فيه المدينة و يسمى من عند المدينة: القناة، و من أعلى منها عند السد يسمى الشظاة، و من عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضما إلى البحر. انظر: معجم البلدان (۱/ ۲۱۴، ۲۱۵).

(۳) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (۵/ ۱۴۲)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۱۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۷/ ۸)، أسباب النزول للواحدى (۱۴۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۹/ ۱۱).

(۴) انظر: السيرة (۴/ ۲۵۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۷۹

رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد استغفر له و أما ما ظهر من رسول الله فهذا «۱».

و ذكر «۲» سالم أبو النضر أنه حدث أن عيينة بن حصن و قيسا لم يقبلوا الدية حتى خلا بهم الأقرع بن حابس و قال: يا معشر قيس،

منعتم رسول الله قتيلا- يستصلح به الناس، أ فأمنتم أن يلعنكم رسول الله فيلعنكم الله بلعنته أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه؟ و الله الذى نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فليصنعن فيه ما أراد أو لأتيت بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله لقتل صاحبكم كافرا ما صلى قط فلأطلن دمه. فقبلوا الدية.

و فى حديث عن الحسن البصرى قال: و الله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض و الذى نفس الحسن بيده، ثم عادوا له فلفظته، ثم عادوا له فلفظته.

فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم شأنه فقال: «و الله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه و لكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه» «۳».

و غزوة ابن أبى حدرد الأسلمى أيضا الغابة «۴»، قال: تزوجت امرأة من قومى فجئت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أستعينه على نكاحى فقال: و كم أصدقت؟ قلت: مائتى درهم. قال:

سبحان الله! لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم، و الله ما عندى ما أعينك به. قال: فلبثت أياما و أقبل رجل من بنى جشم بن معاوية يقال له: رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة فى بطن عظيم من بنى جشم حتى ينزل بقومه و من معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان ذا اسم فى جشم و شرف، فدعانى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و رجلين معى من المسلمين فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر و علم؛ قال: و قدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليها أحدنا، فو الله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت و ما كادت ثم قال: تبلغوا عليها و اعتقبوها، قال: فخرجنا و معنا سلاحنا من النبل و السيوف حتى إذا جئنا قريبا من

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (۲/ ۲۶۲۵)، سنن أبى داود (۴/ ۴۵۰۳)، سنن البيهقى (۹/ ۱۱۶).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۲۵۱).

(۳) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۱۵/ ۹۰).

(۴) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام، و فيه أموال لأهل المدينة. انظر: معجم البلدان (۴/ ۱۸۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸۰

الحاضر عشيشية مع غروب الشمس كمنت فى ناحية. و أمرت صاحبى فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم و قلت لهما: إذا سمعتمانى قد كبرت و شددت فى ناحية العسكر فكبرا و شدا معى. فو الله، إنا لكذلك ننتظر غرة القوم أو أن نصيب منهم شيئا و قد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء و كان لهم راع سرح فى ذلك البلد فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه، فقام صاحبهم ذلك فأخذ سيفه فجعله فى عنقه ثم قال: و الله لأتبعن أثر راعينا هذا و لقد أصابه شر. فقال نفر ممن معه: و الله لا تذهب أنت نحن نكفيك. قال: و الله لا يذهب إلا أنا. قالوا: فنحن معك. قال: و الله لا يتبعنى أحد منكم. و خرج حتى مر بى فلما أمكننى نفحته بسهم فوضعته فى فؤاده و الله ما تكلم.

و و ثبت إليه فاحتززت رأسه و شددت فى ناحية العسكر و كبرت و شد صاحباى و كبرا فو الله ما كان إلا النجاء ممن فيه، عندك، بكل ما قدروا عليه من نسائهم و أبنائهم و ما خف معهم من أموالهم و استقنا إبلا عظيمة و غنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و جئت برأسه أحمله معى فأعاننى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صداقى فجمعت إلى أهلى «۱».

و غزوة توجه فيها عبد الرحمن بن عوف، قال عطاء بن أبى رباح: سمعت رجلا من اهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم، فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم. ثم ذكر مجلسا شاهده من رسول الله

صلى اللّه عليه و سلم أمر فيه عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها. قال: فأصبح و قد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فأدناه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم منه ثم نقضها ثم عممه بها و أرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوا من ذلك. ثم قال: هكذا يا ابن عوف فاعتم فإنه أحسن و أعرف. ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على نفسه ثم قال: «خذه يا ابن عوف، اغزوا جميعا فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا و لا تغدروا و لا تمثلوا و لا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله و سيرة نبيه فيكم»، فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء «۲».

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۲۰۶، ۲۰۷)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۱۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۴/ ۲۲۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۳۰۳).

(۲) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۳۰۲۸۹)، طبقات ابن سعد (۲/ ۸۹)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۱۷، ۳۱۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸۱

قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل «۱».

و بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سرية إلى سيف البحر عليهم أبو عبيدة بن الجراح و زودهم جرابا من تمر فجعل يقوتهم إياه حتى صار إلى أن يعده لهم عددا حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم تمرة فقسمها يوما فنقصت تمرة عن رجل فوجد فقدها ذلك اليوم!.

قال بعضهم: فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فأصبنا من لحمها و ودكها و أقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمنا و أخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها فوضعها على طريقه ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فجلس عليه فخرج من تحتها و ما مست رأسه فلما قدمنا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أخبرناه خبرها و سألناه عن أكلنا إياها فقال: «رزق رزقكموه الله» «۲».

و بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عمرو بن أمية الضمرى بعد مقتل خبيب و أصحابه إلى مكة و أمره ان يقتل أبا سفيان بن حرب و بعث معه جبار بن صخر الأنصارى، فخرجا حتى قدما مكة و حبسا جمليهما بشعب من شعاب يأجج ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت و صلينا ركعتين؟ فقال عمرو: إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم، فقال: كلا إن شاء الله. قال عمرو: فطفنا بالبيت و صلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فو الله إنا لنمشى بمكة إذا نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفنى فقال: عمرو بن أمية! و الله إن قدمها إلا لشر. فقلت لصاحبى: النجاء. فخرجنا نشتد حتى أصعدنا فى جبل و خرجوا فى طلبنا حتى إذا علونا الجبل يئسوا منّا فرجعنا فدخلنا كهفا فى الجبل فبتنا و قد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا. فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له و يختلى عليها فغشينا و نحن فى الغار فقلت: إن رآنا صاح بنا فأخذنا فقتلنا. قال:

و معى خنجر قد أعددته لأبى سفيان، فأخرج إليه فأضربه على ثديه و صاح صيحة أسمع أهل مكة، و أرجع فأدخل مكانى. و جاءه الناس يشتدون و هو بآخر رمق فقالوا:

من ضربك؟ فقال: عمرو بن أمية. و غلبه الموت فمات مكانه و لم يدلل على مكاننا، فاحتملوه فقلت لصاحبى لما أمسينا: النجاء.

فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس و هم يحرسون جيفة خبيب ابن

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۵۴).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۳/ ۱۵۳۵/ ۱۷، ۱۸)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۱۱)، مسند عبد الرزاق (۴/ ۸۶۶۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸۲

عدى فقال أحدهم: و الله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لو لا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية. فلما حاذى عمرو

الخشبة شد عليها فاحتملها و خرج هو و صاحبه شدا و خرجوا وراءه حتى أتى جرفا بمبسط يأجج فرمى بالخشبة فى الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه.

قال عمرو بن أمية: و قلت لصاحبى: النجاء حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه فإنى شاغل عنك القوم و كان الأنصارى لا رجلة له. قال: و مضيت حتى اخرج على ضجنان ثم آويت إلى جبل فأدخل كهفا، فبينا أنا فيه دخل على شيخ من بنى الديل أعور فى غنيمة فقال: من الرجل؟ فقلت: من بنى بكر فمن أنت؟ قال: من بنى بكر. قلت: مرحبا فاضطجع. ثم رفع عقيرته فقال:

و لست بمسلم ما دمت حياو لا دان لدين المسلمينا

فقلت فى نفسى: ستعلم. فأمهلته حتى إذا نام أخذت قوسى فجعلت سيتها فى عينه الصحيحة ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم. ثم خرجت النجاء حتى جئت العرج ثم سلكت ركوبه حتى إذا هبطت النقيع «۱» إذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران و يتحسسان فقلت: استأسرا. فأبيا فأرمى أحدهما بسهم فأقتله و استأسر الآخر فأوثقته رباطا و قدمت به المدينة «۲».

و سرية زيد بن حارثة إلى مدين فأصاب سبيا من أهل ميناء و هى السواحل و فيها جماع من الناس فبيعوا ففرق بينهم يعنى بين الأمهات و الأولاد فخرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هم يبكون فقال: ما لهم؟ فقيل: يا رسول الله، فرق بينهم. فقال: «لا تبيعوهم إلا جميعا» «۳».

و غزوة سالم؛ بن عمير أبا عفك أحد بنى عمرو بن عوف و كان نجم نفاقه حين قتل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الحارث بن سويد بن صامت فقال:

لقد عشت دهرا و ما إن أرىمن الناس دارا و لا مجمعا

---

(۱) العرج: واد بالحجاز. ركوبة: ثنية بين الجرميت. النقيع: موضع ببلاد مزينة.

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۳/ ۳۳- ۳۳۷) بطوله. و ذكره الطبرى فى تاريخه (۲/ ۷۹، ۸۰) مختصرا، و البيهقى فى السنن الكبرى (۹/ ۲۱۳)، ابن سعد فى الطبقات (۲/ ۹۳، ۹۴)، ابن كثير فى البداية و النهاية (۶۹- ۷۱).

(۳) انظر الحديث فى: سنن سعيد بن منصور (۲/ ۲۶۶۱)، الإصابة لابن حجر (۳/ ۲۷۵). و انظر السيرة (۴/ ۲۵۷)، و فيه قال ابن هشام يعقب على الحديث: أراد الأمهات و الأولاد.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸۳أبر عهودا و أوفى لمن يعاقد فيهم إذا ما دعا

من أولاد قيلة فى جمعهمتهد الجبال و لم تخضعا

فصدعهم راكب جاءهمحلال حرام لشتى معا

فلو أن بالعز صدقتمأو الملك تابعتم تبعا «۱»

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من لى بهذا الخبيث؟» فخرج سالم بن عمير أخو بنى عمرو ابن عوف، و هو أحد البكائين، فقتله «۲». فقالت أمامة المريدية فى ذلك:

تكذب دين الله و المرء أحمدالعمرى الذى امناك بئس الذى يمنى

حباك حنيف آخر الليل طعنةأبا عفك خذها على كبر السن «۳»

و غزوة عمير بن عدى الخطمى و هو الذى يدعى القارئ عصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد، و كانت تحت رجل من بنى خطمة يقال له: يزيد بن زيد، فلما قتل أبو عفك نافقت فقالت تعيب الإسلام و أهله، و تؤنب الأنصار فى اتباعهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

أطعتم أتاوی من غیرکمفلا من مراد و لا مذحج «*»

ترجونه بعد قتل الرءوس کما یرتجی مرق المنضج

أ لا آنف یبتغی غرةفیقطع من أمل المرتجی «۴»

فلما بلغ ذلک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «أ لا [آخذ] «*» لی من ابنة مروان؟» فسمع ذلک من

---

(۱) انظر الأبیات فی: السیرة (۴/ ۲۵۸).

(۲) ذکره ابن کثیر فی البدایة و النهایة (۵/ ۲۲۱).

(۳) انظر الأبیات فی: السیرة (۴/ ۲۵۸).

(*) ذکر فی السیرة بیت قبل هذا و هو:

باشت بنی مالک و النبیتو عوف و باست بنی الخزرج انظر: السیرة (۴/ ۲۵۸).

(۴) و ذمر فی السیرة أبیات أجابها به حسان بن ثابت فقال:

بنو وائل و بنو واقفو خطمة دون بنی الخزرج

متی ما دعت سفها ویحهابعولتها و المنایا تجی

فهزت فتی ما جدا عرقه کریم المداخل و المخرج

فضرجها من نجیع الدماء بعد الهدو فلم یحرج انظر: السیرة (۴/ ۲۵۸- ۲۵۹).

(*) ما بین المعقوفتین ورد فی الأصل «أحد»، و ما أوردناه من السیرة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۸۴

قوله عمیر بن عدی فلما أمسی من تلک اللیلة سما علیها فی بیتها فقتلها ثم أصبح مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقال: یا رسول الله، إنی قد قتلتها: فقال: نصرت الله و رسوله یا عمیر.

فقال: هل علی شیء من شأنها یا رسول الله؟ فقال: «لا ینتطح فیها عنزان» «۱».

فرجع عمیر إلی قومه و بنو خطمة یومئذ کثیر فوجهم فی شأن بنت مروان و لها بنون خمسة رجال. فقال: یا بنی خطمة، أنا قتلت بنت مروان فکیدونی جمیعا ثم لا تنظرون. فذلک الیوم أول ما عز الإسلام فی دار بنی خطمة، و کان یستخفی بإسلامه فیهم من أسلم. و یومئذ أسلم رجال منهم لما رأوا من عز الإسلام.

و السریة التی أسرت ثمامة بن أثال الحنفی سید أهل الیمامة، و ذلک أن خیلا لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم خرجت فأخذت رجلا من بنی حنیفة لا- یشعرون من هو، حتی أتوا به رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فقال: «أ تدرون من أخذتم؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفی، أحسنوا إساره»، و رجع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی أهله. فقال: «اجمعوا ما کان عندکم من طعام، فابعثوا به إلیه»، و أمر بلقحته أن یغدی علیه بها و یراح، فجعل لا یقع من ثمامة موقعا، و یأتیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فیقول: «أسلم یا ثمامة»، و فی روایة: «ما تقول یا ثمامة؟» فیقول: یا محمد، إن تقتل ذا دم و إن تنعم تنعم علی شاکر، و إن ترد الفداء فسل تعط منه ما شئت. فمکث ما شاء الله أن یمکث ثم قال النبیّ صلی اللّه علیه و سلم یوما: أطلقوا ثمامة. فلما أطلقوه خرج حتی اتی البقیع فتطهر فأحسن طهوره ثم أقبل فبایع النبیّ صلی اللّه علیه و سلم علی الإسلام، فلما أمسی جاءوه بما کانوا یأتونه به من الطعام فلم ینل منه إلا قلیلا، و باللقحة فلم یصب من حلابها إلا یسیرا، فعجب المسلمون من ذلک، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «مم تعجبون، من رجل أکل فی أول النهار فی معی کافر و أکل آخر النهار فی معی مسلم، إن الکافر یأکل فی سبعة أمعاء و إن المسلم یأکل فی معی واحد» «۲».

---

(۱) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۴۴۱۳۱)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۲۷، ۲۸).

(۲) هذا الحديث عند ابن إسحاق، و إسناده عنده ضعيف، و للحديث شواهد عن أبى هريرة من وجوه، أخرجها الترمذى فى سننه (۱۸۱۹)، ابن ماجه فى سننه (۳۲۵۶)، النسائى فى السنن الكبرى (۴/ ۱۷۸).

و أخرج البخارى فى كتاب المغازى (۷/ ۴۳۷۲)، مسلم فى كتاب الجهاد (۳/ ۵۹) من طريق سعيد بن أبى سعيد أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال: بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خيلا قبل نجد الحيثد، فذكره بطوله، و فيه: إسلام ثمامة بن أثال، و ليس فى الحديث ذكر الطعام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸۵

و قال ثمامة حين أسلم لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم: لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلىّ فأصبح و هو أحب الوجوه إلىّ، و لقد كان دينك أبغض الدين إلىّ فأصبح و هو أحب الأديان إلىّ، و لقد كان بلدك أبغض البلاد إلىّ فأصبح و هو أحب البلاد إلىّ. ثم قال: يا رسول الله، إن خيلك أخذتنى و أنا أريد العمرة فأذن لى يا رسول الله. فأذن له فخرج معتمرا فلما قدم مكة قالوا: صبأت يا ثمامة. قال: لا و لكنى اتبعت خير الدين دين محمد، و لا و الله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: إنك تأمر بصلة الرحم و إنك قد قطعت أرحامنا. فكتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن خل بين قومى و بين ميرتهم.

ففعل «۱».

و يقال: إنه لما كان ببطن مكة فى عمرته لبى فكان اول من دخل مكة يلبى، فأخذته قريش فقالوا: لقد اجترأت علينا. و هموا بقتله ثم خلوه لمكان حاجتهم إليه و إلى بلده فقال بعض بنى حنيفة:

و منا الذى لبى بمكة معلنابرغم أبى سفيان فى الأشهر الحرم و بعث علقمة بن مجزز المدلجى لما قتل وقاص بن مجزز اخوه يوم ذى قرد، و سأل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يبعثه فى آثار القوم ليدرك ثأره فيهم، فبعثه فى نفر من المسلمين، قال أبو سعيد الخدرى: و أنا فيهم، حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش و استعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمى و كانت فيه دعابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ثم قال للقوم: أ ليس لى عليكم السمع و الطاعة؟ قالوا:

بلى. قال: فما آمركم بشىء إلا فعلتموه؟ قالوا: نعم. قال: فإنى أعزم عليكم بحقى و طاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار. فقام بعض القوم يحتجز حتى ظن أنهم واثبون فيها.

فقال لهم: اجلسوا فإنما كنت أضحك معكم. فذكر ذلك لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: «من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه» «۲».

و يقال: إن علقمة بن مجزز رجع هو و أصحابه و لم يلق كيدا «۳».

و بعث كرز بن جابر. و ذلك أن نفرا من قيس كبة من بجيلة قدموا على رسول الله

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۶۰- ۲۶۱).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۶۷)، سنن ابن ماجه (۲/ ۲۸۶۳)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱۶۳)، صحيح ابن حبان (۷/ ۴۵۴۰).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸۶

صلى اللّه عليه و سلم فاستوبئوا المدينة و طلحوا و كانت لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم لقاح ترعى ناحية الجماء يرعاها عبد له يقال

له: یسار، کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أصابه فی غزوة بنی محارب و بنی ثعلبة، فقال لهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «لو خرجتم إلی اللقاح فشربتم من ألبانها و أبوالها»، فخرجوا إلیها فلما صحوا و انطوت بطونهم عکنا عدوا علی راعی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فذبحوه و غرزوا الشوک فی عینیه و استاقوا اللقاح فبعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی آثارهم کرزا فلحقهم، فأتی بهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم مرجعه من غزوة ذی قرد فقطع أیدیهم و سمل أعینهم، و ألقوا فی الحرة یستسقون، فلا یسقون حتی ماتوا «۱».

و غزوة علی بن أبی طالب الیمن، غزاها مرتین. و قال أبو عمر المدینی: بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی بن أبی طالب إلی الیمن و بعث خالد بن الولید فی جند آخر و قال: «إن التقیتما فالأمیر علی بن أبی طالب» «۲».

ثم بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أسامة بن زید بن حارثة إلی الشام و أمره ان یوطیء الخیل تخوم البلقاء و الداروم من أرض فلسطین، و هو آخر بعث أمر به رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم. فتجهز الناس و أوعب مع أسامة المهاجرون الأولون. فبینا الناس علی ذلک ابتدئ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بشکواه الذی قبضه اللّه فیه إلی ما أراد من رحمته و کرامته، فلم ینفذ بعث أسامة إلا بعد وفاته صلوات اللّه علیه و رحمته و برکاته «۳».

و سیأتی ذکر ذلک مستوفی إن شاء اللّه.

فهذه مغازی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و بعوثه و سرایاه التی أعز اللّه بها الدین و دوخ بها الکافرین، و شد أزره فیها بمن اختاره لصحبته و نصرته من الأنصار و المهاجرین رضی اللّه عنهم أجمعین و تلک أیام اللّه التی یجب بها التذکر و التذکیر، و یتأکد شکر اللّه سبحانه علی ما یسرته منها المقادیر.

و قال حسان بن ثابت یعدد أیام الأنصار مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و یذکر مواطنهم معه فی

---

(۱) انظر الحدیث فی: مجمع الزوائد للهیثمی (۶/ ۲۹۴)، سنن النسائی (۷/ ۴۰۴۱)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۰۷، ۱۶۳، ۱۷۰، ۱۷۷، ۱۸۶، ۱۹۸، ۲۰۵، ۲۳۱، ۲۸۷، ۲۹۰)، سنن أبی داود (۴/ ۴۳۶۴- ۴۳۶۸).

(۲) انظر الحدیث فی: تاریخ الطبری (۲/ ۲۹۷)، مجمع الزوائد للهیثمی (۸/ ۹۸).

(۳) انظر: السیرة (۴/ ۲۶۳- ۲۶۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۵۸۷

أیام غزوه و تروی لابنه عبد الرحمن «۱»:

أ لستم خیر معد کلها نفراو معشرا إن هم عموا و إن حصلوا

قوم هم شهدوا بدرا بأجمعهمع الرسول فما آلوا و ما خذلوا

و بایعوه فلم ینکث به أحدمنهم و لم یک فی أیمانهم دخل

و یوم صبحهم فی الشعب من أحدضرب رصین کحر النار مشتعل

و یوم ذی قرد یوم استثار بهمعلی الجیاد فما خاموا و ما نکلوا

و ذا العشیرة جاسوها بخیلهمع الرسول علیها البیض و الأسل

و یوم ودان أجلوا اهله رقصابالخیل حتی نهانا الحزن و الجبل

و لیلة طلبوا فیها عدوهملله و اللّه یجزیهم بما عملوا

و غزوة یوم نجد ثم کان لهممع الرسول بها الأسلاب و النفل

و لیلة بحنین جالدوا معهفیها یعلّهم بالحرب إذ نهلوا

و غزوة القاع فرقنا العدو به كما تفرق دون المشرب الرسل

و يوم بويع كانوا أهل بيعتهعلى الجلاد فآسوه و ما عدلوا

و غزوة الفتح كانوا فى سريتهمرابطين فما طاشوا و ما عجلوا

و يوم خيبر كانوا فى كتيبتهيمشون كلهم مستبسل بطل

بالبيض ترعش فى الأيمان عاريةتعوج فى الضرب أحيانا و تعتدل

و يوم سار رسول الله محتسباإلى تبوك و هم راياته الأول

و ساسة الحرب إن حرب بدت لهمحتى بدا لهم الإقبال فالقفل

أولئك القوم أنصار النبىّ و همقومى أصير إليهم حين أتصل

ماتوا كراما و لم تنكث عهودهمو قتلهم فى سبيل الله إذ قتلوا

و قال حسان أيضا «۲»:

و كنا ملوك الناس قبل محمدفلما أتى الإسلام كان لنا الفضل

و أكرمنا الله الذى ليس غيرهإله بأيام مضت ماله شكل

بنصر الإله و الرسول و دينهو ألبسناه اسما مضى ماله مثل

أولئك قومى خير قوم بأسرهمفما كان من خير فقومى له أهل

يربون بالمعروف معروف من مضىو ليس عليهم دون معروفهم قفل

---

(۱) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۱۸۱- ۱۸۲).

(۲) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۱۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸۸ إذا اختبطوا لم يفحشوا فى نديهمو ليس على سؤالهم عندهم بخل

و إن حاربوا أو سالموا لم يشبهوافحربهم حتف و سلمهم سهل

و جارهم موف بعلياء بيتهله ما ثوى فينا الكرامة و البذل

و حاملهم موف بكل حمالةتحمل لا غرم عليه و لا خذل

و قائلهم بالحق إن قال قائلو حلمهم عود و حكمهم عدل

و منا أمير المسلمين حياتهو من غسلته من جنابته الرسل و قال حسان أيضا من قصيدة له أولها «۱»:

و قومى أولئك إن تسألى كرام إذا الضيف يوما ألم

عظام القدور لأيسارهميكبون فيها المسن السنم

يواسون جارهم فى الغنىو يحمون مولاهم إن ظلم

فكانوا ملوكا بأرضيهمينادون غضبا بأمر غشم

ملوكا على الناس لم يملكوامن الدهر يوما كحل القسم «*»

ملوكا إذا غشموا فى البلاد لا ينكلون و لكن قدم

فأبنا بساداتهم و النساءو أولادهم فيهم تقتسم

ورثنا مساكنهم بعدهمو كنا ملوكا بها لم نرم

---

(۱) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۱۸۴).

(*) ذكر فى السيرة أبيات بعد هذا لم يذكرها هنا و هى:

أنبوا بعاد و أشياعهمثمود و بعض بقايا إرم

بيثرب قد شيدوا فى النخيلحصونا و دجن فيها النعم

نواضح قد علمتها اليهود عل إليك و قولا هلم

و فيما اشتهوا من عصير القطاف و العيش رخوا على غيرهم

فسرنا إليهم بأثقالناعلى كل فحل هجان قطم

جنبنا بهن جياد الخيول قد جللوها جلال الأدم

فلما أناخوا بجنبى صرارو شدوا السروج بلى الحزم

فما راعهم غير معج الخيول و الزحف من خلفهم قد دهم

فطاروا سراعا و قد أفزعوا جئنا إليهم كأسد الأجم

على كل سلهبة فى الصبان لا يشتكين نحول السأم

و كل كميت مطار الفؤادأمين الفصوص كمثل الزلم

عليها فوارس قد عودواقراع الكماة و ضرب البهم انظر: السيرة (۴/ ۱۸۳- ۱۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۸۹ فلما اتانا الرسول الرشيد بالحق و النور بعد الظلم

فقلنا صدقت رسول المليكهلم إلينا و فينا أقم

فنشهد أنك عبد الإله أرسلت نورا بدين قيم

فإنا و أولادنا جنةنقيك و فى مالنا فاحتكم

فنحن أولئك إن كذبوكفناد نداء و لا تحتشم

و ناد بما كنت أخفيتهنداء جهارا و لا تكتم

فسار الغواة بأسيافهمإليه يظنون أن يخترم

فقمنا إليهم بأسيافناتجالد عنه بغاة الأمم

بكل صقيل له ميعةرقيق الذباب عضوض خذم

إذا ما يصادف صم العظام لم ينب عنها و لم ينثلم

فذلك ما ورثتنا القروم مجدا تليدا و عزا أشم

إذا مر نسل كفى نسلهو غادر نسلا إذا ما انقصم

فما إن من الناس إلا لناعليه و إن خاس فضل النعم

ذكر الوفود على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ملخصا من كتاب ابن إسحاق و الواقدى و غيرهما

اشارة

و ما زال آحاد الوافدين و أفذاذ الوفود من العرب يغدون على رسول الله صـلى اللّه عليه و سلم منذ أظهر الله دينه، و قهر أعداءه. و لكن انبعاث جماهيرهم إلى ذلك إنما كان بعد فتح مكة، و معظمه فى سنة تسع، و لذلك كانت تسمى سنة الوفود.

و ذلک «۱» أن العرب كانت تربص بالإسلام ما يكون من قريش فيه، إذ هم الذين كانوا نصبوا لحرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و خلافه، و كانوا إمام الناس و هاديهم، و أهل البيت و الحرم، و صريح ولد إسماعيل، و قادة العرب، لا ينكر لهم ذلک، و لا ينازعون فيه. فلما افتتح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مكة، و دانت له قريش، و دوخها الإسلام، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه و لا عداوته، فدخلوا فى دين الله أفواجا، يضربون إليه من كل وجه، يقول الله عز و جل لنبيه صلى اللّه عليه و سلم: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ [النصر: ١] أى فتح مكة

(١) انظر: السيرة (۴/ ١٨۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج١،ص:۵٩٠

وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً جماعات جماعات فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ أى فاحمد الله على ما ظهر من دينک وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً إشارة إلى انقضاء أجله، و اقتراب لحاقه برحمة ربه، مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِيقاً [النساء: ۶٩].

كذلک يقول عبد الله بن عباس، و قد سأله عمر بن الخطاب عن هذه السورة، فلما أجابه بنحو هذا المعنى، قال له عمر رضى الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

فقدمت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفود العرب، فمن ذلک:

وفد بنى تميم «۱»

قدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى، فى أشراف من قومه، منهم: الأقرع بن حابس، و الزبرقان بن بدر، و عمرو بن الأهتم، و الحتات بن يزيد، و نعيم ابن يزيد، و قيس بن الحارث، و قيس بن عاصم فى وفد عظيم من بنى تميم.

فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من وراء حجراته: أن أخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلک رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من صياحهم، و إياهم عنى الله سبحانه بقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ [الحجرات: ۴]، فخرج إليهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقالوا: يا محمد، جئناک نفاخرک، فأذن لشاعرنا و خطيبنا؛ قال: «قد أذنت لخطيبكم فليقل»، فقام عطارد بن حاجب، فقال:

الحمد لله الذى له علينا الفضل، و هو أهله، الذى جعلنا ملوكا، و وهب لنا أموالا عظاما، نفعل فيها المعروف، و جعلنا أعزة أهل المشرق و أكثره عددا، و أيسره عدة، فمن مثلنا فى الناس؟ ألسنا برءوس الناس، و أولى فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددناه، و إنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، و لكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، و إنا نعرف بذلک.

أقول هذا لأن تأتونا بمثل قولنا، و أمر أفضل من أمرنا، ثم جلس. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لثابت بن قيس بن شماس أخى بنى الحارث بن الخزرج: «قم، فأجب الرجل فى خطبته». فقام ثابت، فقال:

الحمد لله الذى السموات و الأرض خلقه، قضى فيهن أمره، و وسع كرسيه علمه،

(١) انظر: السيرة (۴/ ١٨۶). الاكتفاء، الكلاعى ج ١ ۵٩١ وفد بنى تميم ..... ص : ۵٩٠

الاكتفاء، الكلاعى ،ج١،ص:۵٩١

و لم يک شىء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا، و اصطفى من خير خلقه رسولا، أكرمه نسبا، و أصدقه حديثا، و أفضله حسبا، فأنزل عليه كتابه، و ائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله صلى

اللّه عليه و سلم المهاجرون من قومه و ذوى رحمه، أكرم الناس أحسابا، و أحسن الناس وجوها، و خير الناس فعالا، ثم كان أول الخلق إجابة، و استجابة لله حين دعاه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فنحن أنصار الله و وزراء رسول الله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله و رسوله منع منا ماله و دمه، و من كفر جاهدناه فى الله أبدا، و كان قتله علينا يسيرا. أقول قولى هذا و أستغفر الله لى و للمؤمنين و المؤمنات، و السلام عليكم «۱».

فقام الزبرقان بن بدر، فقال «۲»:

نحن الكرام فلا حى يعادلنامنا الملوك و فينا تنصب البيع «۳»

و كم قسرنا من الأحياء كلهمعند النهاب و فضل العز يتبع

و نحن يطعم عند القحط مطعمنامن الشواء إذا لم يؤنس القزع

بما ترى الناس تأتينا سراتهممن كل أرض هوانا ثم [متبع] «*»

فننحر الكوم عبطا فى أرومتناللنازلين إذا ما أنزلوا [شبع] «*»

فلا ترانا إلى حى نفاخرهمإلا استفادوا و كانوا الرأس يقتطع

فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفهفيرجع القوم و الأخبار تستمع

إنا أبينا و ما يأبى لنا أحدإنا كذلك عند الفخر نرتفع

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد استدعى حسان بن ثابت ليجيب شاعر بنى تميم، قال حسان: فخرجت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حل وسطناعلى أنف راض من معد و راغم

منعناه لما حل بين بيوتنابأسيافنا من كل باغ و ظالم

ببيت حريد عزة و ثراؤهبجابية الجولان وسط الأعاجم

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۸/ ۱۱۶، ۱۱۷)، الطبرى فى التاريخ (۲/ ۱۸۸: ۱۹۰)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۶/ ۲۱۲، ۲۱۳).

(۲) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۱۸۸- ۱۸۹).

(۳) البيع: مواضع الصلاة و العبادات، واحدتها بيعة.

(*) كذا فى الأصل، و فى السيرة: «نصطنع».

(*) كذا فى الأصل، و فى السيرة: «شبعوا».

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۹۲ هل المجد إلا السؤدد العود و الندى و جاه الملوك و احتمال العظائم فلما فرغ الزبرقان، قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قم يا حسان، فأجب الرجل»، فقال حسان:

إن الذوائب من فهر و إخوتهمقد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بهم كل من كانت سريرتهتقوى الإله و كل الخير يصطنع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهمأو حاولوا النفع فى أشياعهم

سجية تلك منهم غير محدثةنفعوا

إن كان فى الناس سباقون بعدهمإن الخلائق فاعلم شرها البدع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهمفكل سبق لأدنى سبقهم تبع

إن سابقوا الناس يوما فاز سبقتهمعند الدفاع و لا يوهون ما رقعوا

أعفة ذكرت فى الوحى عفتهمأو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا

لا يبخلون على جار بفضلهملا يطمعون و لا يرديهم طمع

إذا نصبنا لحى لم ندب لهمو لا يمسهم من مطمع طبع

نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبهاكما يدب إلى الوحشية الذرع

لا يفخرون إذا نالوا عدوهمإذا الزعانف من أظفارها خشعوا

كأنهم فى الوغى و الموت مكتنعو إن أصيبوا فلا خور و لا هلع

خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبواأسد بحلبة فى أرساغها فدع

فإن فى حربهم فاترك عداوتهمو لا يكن همك الأمر الذى منعوا

اكرم بقوم رسول الله شيعتهمشرا يخاض عليه السم و السلع

أهدى لهم مدحتى قلب يوازرهإذا تفاوتت الأهواء و الشيع

فإنهم أفضل الأحياء كلهمفى ما أحب لسان حائك صنع

إن جد بالناس جد القول أو شمع و ذكر ابن هشام «۱» عن بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم، أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى وفد بنى تميم، قام فقال:

أتيناك كيما يعلم الناس فضلناإذا اختلفوا عند احتضار المواسم

بأنا فروع الناس فى كل موطنو أن ليس فى أرض الحجاز كدارم

و أنا نذود المعلمين إذا انتخواو نضرب رأس الأصيد المتفاقم

و أن لنا المرباع فى كل غارةنغير بنجد أو بأرض الأعاجم

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۱۹۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۹۳

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هل المجد إلا السؤدد العود و الندىو جاه الملوك و احتمال العظائم

نصرنا و آوينا النبىّ محمداعلى أنف راض من معد و راغم

بحى حريد أصله و ثراؤهبجابية الجولان وسط الأعاجم

نصرناه لما حل وسط ديارنابأسيافنا من كل باغ و ظالم

جعلنا بنينا دونه و بناتناو طبنا له نفسا بفىء المغانم

و نحن ضربنا الناس حتى تتابعواعلى دينه بالمرهقات الصوارم

و نحن ولدنا من قريش عظيمهاولدنا نبى الخير من آل هاشم

بنى دارم لا تفخروا إن فخركميعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون و أنتملنا خول ما بين ظئر و خادم

فإن كنتم جئتم لحقن دمائكمو أموالكم ان تقسموا فى المقاسم

فلاـ تجعلوا لله ندا و أسلمواو لاـ تلبسوا زيّا كزىّ الأعاجم قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع بن حابس: و أبى، إن

هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، و لشاعره أشعر من شاعرنا، و لأصواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا، و جوزهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأحسن جوائزهم.

و كان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظهرهم، و كان أصغرهم سنا، فأعطاه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مثل ما أعطى القوم.

و قيس بن عاصم هو الذى ذكره له ذكرا أزرى به فيه، فكان بينهما ما هو معلوم.

وفد بنى عامر «۱»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد بنى عامر، فيهم بن الطفيل و أربد بن قيس و جبار بن سلمى، و كان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم و شياطينهم.

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله، على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو يريد الغدر به، و قد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم، قال: و الله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدمنا

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۱۹۴- ۱۹۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۹۴

على الرجل، فإنى سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف. فلما قدموا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال له عامر بن الطفيل: يا محمد، خالنى، قال: «لا و الله، حتى تؤمن الله وحده». قال: يا محمد، خالنى، و جعل يكلمه و ينتظر من أربد ما كان امره به، فجعل أربد لا يحير شيئا؛ فلما أبى عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: أما و الله لأملأنها عليك خيلا و رجالا؛ فلما ولى، قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اكفنى عامر بن الطفيل»، فلما خرجوا، قال عامر لأربد: ويلك يا أربد، أين ما كنت امرتك به؟ و الله ما كان على وجه الأرض رجل اخوف عندى على نفسى منك، و أيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا.

قال: لا أبا لك! لا تعجل على، و الله ما هممت بالذى امرتنى به إلا دخلت بينى و بين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أ فأضربك بالسيف؟ و خرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول، فجعل يقول: يا بنى عامر، أغدة كغدة البكر فى بيت امرأة من بنى سلول «۱».

و يقال «۲»: إنه قال: أغدة كغدة الإبل، و موتا فى بيت سلولية!

ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بنى عامر، فأتاهم قومهم، فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شىء و الله، لقد دعانى إلى عبادة شىء لوددت انه عندى الآن، فأرميه بالنبل حتى أقتله. فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله عليه و على جمله صاعقة، فأحرقتهما. و أنزل الله جل قوله فى وقاية الله تعالى لنبيه عليه السلام مما أراده به عامر، و فيما قتل به أربد: سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أى أن المعقبات التى يحفظ الله بها نبيه هى من أمر الله إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ وَ هُمْ يُجادِلُونَ فِي اللَّهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ [الرعد: ۱۰- ۱۳] «۳».

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۳۲۹- ۳۲۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۱۲۶).

(۲) هذا القول ذكره ابن هشام فى السيرة (۴/ ۱۹۵).

(۳) ذكره الواحدى فى أسباب النزول الحديث رقم (۵۲۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۹۵

وفد تجيب «۱»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد تجيب، و هم من السكون، ثلاثة عشر رجلا، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم، فسر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بهم و أكرم منزلهم، و قالوا: يا رسول الله، سقنا إليك حق الله تعالى فى أموالنا. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ردوها، فاقسموها على فقرائكم». فقالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا. فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما وفد علينا وفد من العرب بمثل ما وفد به هؤلاء الحى من تجيب. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن الهدى بيد الله عز و جل فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان».

و سألوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أشياء، فكتب لهم بها، و جعلوا يسألونه عن القرآن و السنن، فازداد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رغبة فيهم، و أمر بلالا أن يحسن ضيافتهم.

فأقاموا أياما، و لم يطيلوا اللبث، فقيل لهم: ما يعجلكم؟ فقالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كلامنا إياه، و ما رد علينا.

ثم جاءوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يودعونه، فأرسل إليهم بلالا، فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود. قال: «هل بقى منكم أحد»؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنا، قال: «أرسلوه إلينا». فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاقض حاجتك منه، فإنا قد قضينا حوائجنا منه. و ودعناه. فأقبل الغلام حتى اتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله، إنى امرؤ من بنى أبذى.

قال الواقدى: هو أبذى بن عدى، و أم عدى تجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج، و إليها ينسبون يقول الغلام: من الرهط الذين أتوك آنفا، فقضيت حوائجهم، فاقض حاجتى يا رسول الله. «و ما حاجتك؟» قال: إن حاجتى ليست بحاجة أصحابى، و إن كانوا قدموا راغبين فى الإسلام، و ساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، و إنى و الله ما أعلمنى من بلادى إلا أن تسأل الله عز و جل أن يغفر لى، و أن يرحمنى، و أن يجعل غناى فى قلبى. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أقبل إلى الغلام: «اللهم اغفر له و ارحمه و اجعل غناه فى قلبه». ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه.

فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى الموسم بمنى سنة عشر،

---

(۱) راجع قدوم وفد تجيب فى: طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۶۰)، البداية و النهاية (۴/ ۸۴)، المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۵۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۹۶

فقالوا: نحن بنو أبذى. قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ما فعل الغلام الذى أتانى معكم؟» قالوا: يا رسول الله، و الله ما رأينا مثله قط، و لا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله عز و جل لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها و لا التفت إليها.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «الحمد لله، إنى لأرجو أن يموت جميعا». فقال رجل منهم:

أو ليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله؟! قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «تشعب أهواؤه و همومه فى أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه فى بعض تلك الأودية، فلا يبالى الله عز و جل فى أيها هلك».

قالوا: فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال و أزهده فى الدنيا و أقنعه بما رزق، فلما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و رجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام، قام فى قومه يذكرهم الله و الإسلام، فلم يرجع منهم أحد. و جعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه

يذكره و يسأل عنه، حتى بلغه حاله و ما قام به، فكتب إلى زياد بن لبيد يوصيه به خيرا.

فروة بن مسيك المرادى «۱»

و قدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مفارقا لملوك كندة، متابعا للنبى صلى اللّه عليه و سلم و قال فى ذلک:

لما رأيت ملوک كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نسائها

قربت راحلتى أؤم محمداأرجو فواضلها و حسن ثرائها

ثم خرج حتى أتى المدينة، و كان رجلا له شرف، فأنزله سعد بن عبادة عليه، ثم غدا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو جالس فى المسجد، فسلم عليه، ثم قال: يا رسول الله، أنا لمن ورائى من قومى، قال: «أين نزلت يا فروة؟» قال: على سعد بن عبادة، قال: «بارک الله على سعد بن عبادة». و كان يحضر مجلس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كلما جلس، و يتعلم القرآن و فرائض الإسلام و شرائعه.

و كان بين مراد و همدان قبيل الإسلام وقعة، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، حتى أثخنوهم فى يوم يقال له: «يوم الردم»، و كان الذى قاد همدان إلى مراد «الأجدع ابن مالک»، ففضحهم يومئذ، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما وفد إليه: «يا فروة، هل ساءک ما

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۰۶- ۲۰۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۵۹۷

أصاب قومک يوم الردم؟» قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوؤه ذلک؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أما إن ذلک اليوم لم يزد قومک فى الإسلام إلا خيرا».

و فى ذلک اليوم يقول فروة بن مسيک «۱»:

مررنا باللفاة «*» و هن خوص ينازعن الأعنة ينتحينا

فإن نغلب فغلابون قدماو إن نغلب فغير مغلبينا

و ما إن طبنا جبن و لكن منايانا و طعمة آخرينا

كذاک الدهر دولته سجال تكر صروفه حينا فحينا

فبينا ما نسر به و نرضىو لو لبست غضارته سنينا

إذا انقلبت به كرات دهرفألفى للأولى غبطوا طحينا

فمن يغبط بريب الدهر منهم تجد ريب الزمان له خئونا

فلو خلد الملوک إذن خلدناو لو بقى الكرام إذا بقينا

فأفنى ذلكم سروات قومى كما أفنى القرون الأولينا

و استعمل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فروة بن مسيک «۲» على مراد و زبيد و مذحج كلها، و بعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، و كتب له فيها كتابا لا يعدوه إلى غيره، فكان خالد مع فروة فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «۳».

و لما كانت السنة التى توفى فيها صلوات الله و بركاته عليه، و صدر عن مكة، و رأت أبناء زبيد قبائل اليمن تقدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مقرين بالإسلام، مصدقين برسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم يرجع راجعهم إلى بلاده و هم على ما هم عليه، قالوا

لخالد بن سعید «۴»: و الله،

(۱) انظر الأبیات فی: السیرة (۴/ ۲۰۶– ۲۰۷).

(*) كذا فی الأصل، و فی السیرة «مررن على لفاة».

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۱۰۱)، الإصابة الترجمة رقم (۶۹۹۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۲۲۴)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۷)، تهذیب التهذیب (۸/ ۲۶۵)، خلاصة تذهیب الكمال (۲/ ۳۳۳)، تهذیب الكمال (۲/ ۱۰۹۴).

(۳) ذكره الطبرى فی التاریخ (۵/ ۱۹۸).

(۴) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۶۱۷)، الإصابة الترجمة رقم (۲۱۷۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۳۶۵)، العقد الثمین (۴/ ۲۶۷)، شذرات الذهب (۱/ ۳۰)، طبقات ابن سعد (۴/ ۱/ ۶۹)، طبقات خلیفة (۱۱/ ۲۹۸)، التاریخ الكبیر (۳/ ۱۵۲)، مشاهیر علماء الأمصار الترجمة رقم (۱۷۲)، تاریخ الإسلام (۱/ ۳۷۸).

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۱،ص:۵۹۸

لقد دخلنا فیما دخل فیه الناس، و صدقنا بمحمد صلى اللّه علیه و سلم و خلینا بینك و بین صدقات أموالنا، و كنا لك عونا على من خالفك من قومنا.

قال خالد: قد فعلتم، قالوا: فأوفد منا نفرا یقدمون على رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و یخبرونه بإسلامنا، و یقبسونا منه خیرا. قال خالد: ما أحسن ما دعوتم إلیه، و أنا أجیبكم، و لم یمنعنى أن أقول لكم هذا إلا أنى رأیت الوفود تمر بكم فلا یهیجكم ذلك على الخروج، فساءنى ذلك منكم حتى ساء ظنى بكم، و كنتم على ما كنتم علیه من حداثة عهدكم بالشرك، فخشیت أن یكون الإسلام لم یرسخ فی قلوبكم، فأما إذا طلبتم ما طلبتم، فأنا أرجو أن یكون الإسلام راسخا فی قلوبكم. قالوا: و ما أنكرت منا؟ و الله لقد كنا فی حیزك و اخترناك على غیرك من عمال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و ما رأیت منا شیئا تكرهه و لا تنكره إلى یومنا هذا.

قال: اللهم غفرا، لو لا أنى أنكرت منكم بعض ما ینكر ما قلت هذا، أ ما تعلمون أنى أخذت من شاب منكم فریضة بنت مخاض، فعقلتها و وسمتها بمیسم الصدقة، فجئتم بأجمعكم فأخذتموها، ثم قلتم: إن شاء خالد فلیأخذها من مرعاها، فأمسكت عنكم و خفت أن یأتى منكم ما هو شر من هذا؟! فقالوا: فقد كان، و نزعنا و تبنا إلى الله، فلا نحول بینك و بین شیء تریده، فبعث معهم وفدا إلى رسول الله صلى اللّه علیه و سلم.

وفد زبید عمرو بن معدى كرب «۱»

و قدم عمرو بن معدى كرب على رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فی أناس من قومه بنى زبید، فأسلم؛ و كان عمرو قد قال لقیس بن مكشوح المرادى، حین انتهى إلیهم أمر رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: یا قیس، إنك سید قومك، و قد ذكر لنا أن رجلا من قریش یقال له: محمد خرج بالحجاز، یقال: إنه نبى، فانطلق بنا إلیه حتى نعلم علمه، فإن كان نبیا كما یقول، فإنه لن یخفى علینا، إذا لقیناه اتبعناه، و إن كان غیر ذلك علمنا علمه، فإنه إن سبق إلیه رجل من قومك سادنا و ترأس علینا، و كنا له أذنابا. فأبى علیه قیس و سفه رأیه، فركب عمرو بن معدى كرب حتى قدم على رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و أقام أیاما، فأجازه رسول الله صلى اللّه علیه و سلم كما كان یجیز الوفود، و انصرف راجعا إلى بلاده، فأقام فی قومه بنى زبید و علیهم فروة بن مسیك سامعا له مطیعا، فلما توفى رسول الله صلى اللّه علیه و سلم ارتد عمرو، ثم راجع الإسلام بعد ذلك.

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۰۷– ۲۰۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ١،ص:۵۹۹

و قد كان قيس بن مكشوح لما بلغه خروج عمرو أوعده و تحطم عليه، و قال: خالفنى و ترك رأيى. فقال عمرو فى ذلك من أبيات:

أمرتك يوم ذى صنعاء أمرا باديا رشده

أمرتك باتقاء الله و المعروف تتعده

فكنت كذى الحمير غرهما به وتده

تمنانى على فرس عليه جالس أسده «*»

فلو لاقيتنى للقيت ليثا فوقه لبده و طلب فروة بن مسيك قيس بن مكشوح كل الطلب، حتى هرب من بلاده، و كان مصمما فى طلب من خالفه، فكان عمرو يقول لقيس: قد خبرتك يا قيس أنك تكون ذنبا تابعا لفروة بن مسيك.

وفد بنى ثعلبة

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد بنى ثعلبة سنة ثمان مرجعه من الجعرانة.

ذكر الواقدى عن رجل منهم قال: لما قدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الجعرانة قدمنا عليه وافدين مقرين بالإسلام، و نحن أربعة نفر، فنزلنا دار رملة بنت الحارث، فجاءنا بلال، فنظر إلينا، فقال: أ معكم غيركم؟ قلنا: لا، فانصرف عنا، فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتى بجفنة من ثريد بلبن و سمن، فأكلنا حتى نهلنا، ثم رحنا إلى الظهر، فإذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد خرج من بيته و رأسه يقطر ماء، فرمى ببصره إلينا، فأسرعنا إليه، و بلال يقيم الصلاة.

فسلمنا عليه، و قلنا: يا رسول الله، إنا رسل من خلفنا من قومنا، مقرين بالإسلام، و هم فى مواشيهم، و ما لا يصلحه إلا هم، و قد قيل لنا يا رسول الله: لا إسلام لمن لا هجرة له، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «حيثما كنتم، و اتقيتم الله فلا يضركم حيث كنتم».

و فرغ بلال من الآذان، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يكلمنا، ثم تقدم فصلى بنا الظهر، لم تصل وراء أحد قط أتم صلاة و لا أوجز منه، ثم انصرف إلى بيته، فدخل، فلم يلبث أن خرج إلينا، فقيل لنا: صلى فى بيته ركعتين، فدعا بنا، فقال: «أين أهلكم؟» فقلنا: قريبا يا رسول

(*) ذكر فى السيرة بعد هذا البيت بيت لم يذكره هنا، و هو:

علىّ مفاضة كالنهى أخلص ماءه جدده انظر: السيرة (۴/ ۲۰۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ١،ص:۶۰۰

الله، هم بهذه السرية فقال: «كيف بلادكم؟» فقلنا: مخصبون، فقال: «الحمد لله».

فأقمنا أياما، فتعلمنا من القرآن و السنن، و ضيافته تجرى علينا، ثم جئنا نودعه منصرفين، فقال لبلال: «أجزهم كما تجيز الوفد»، فجاء بلال بنقر من فضة، فأعطى كل واحد منا خمس أواق، و قال: ليس عندنا دراهم مضروبة، فانصرفنا إلى بلادنا «١».

وفد بنى سعد هذيم «٢»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بنو سعد هذيم، من قضاعة فى سنة تسع.

ذكر الواقدى عن ابن النعمان منهم عن أبيه قال: قدمت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وافدا فى نفر من قومى، و قد أوطأ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم البلاد غلبة، و أداخ العرب، و الناس صنفان. إما داخل فى الإسلام راغب فيه، و إما خائف من السيف، فنزلنا ناحية من المدينة، ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فنجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يصلى على جنازة فى المسجد،

فقمنا خلفه ناحية، و لم ندخل مع الناس فى صلاتهم، و قلنا: حتى نلقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و نبايعه، ثم انصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فنظر إلينا، فدعا بنا، فقال: «من أنتم؟» فقلنا: من بنى سعد هذيم، فقال: «أ مسلمون أنتم؟» قلنا: نعم، قال: فهلا صليتم على أخيكم؟» قلنا: يا رسول الله، ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أينما أسلمتم مسلمون».

قال: فأسلمنا و بايعنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بأيدينا على الإسلام، ثم انصرفنا إلى رحالنا، و قد كنا خلفنا عليها أصغرنا، فبعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى طلبنا، فأتى بنا إليه، فتقدم صاحبنا فبايعه على الإسلام، فقلنا: يا رسول الله، إنه أصغرنا، و إنه خادمنا، فقال: «أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليه» «۳».

قال: فكان و الله خيرنا، و أقرأنا للقرآن، لدعاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم له، ثم أمره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم علينا، فكان يؤمنا.

و لما أردنا الانصراف، أمر بلالا فأجازنا بأواقى من فضة، لكل رجل منا، فرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله الإسلام.

---

(۱) ذكره ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (۳/ ۳۰۲، ۱۰/ ۲۹۶).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۵۶)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۵۹، ۶۵).

(۳) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۵/ ۹۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۰۱

وفد بنى فزارة «۱»

و لما رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من تبوك قدم عليه وفد بنى فزارة، بضعة عشر رجلا، فيهم خارجة بن حصن، و الحر بن قيس بن حصن ابن أخى عيينة بن حصن، و هو أصغرهم، فنزلوا فى دار زينب بنت الحارث، و جاءوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مقرين بالإسلام، و هم مستنون على و كاف عجاف، فسألهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن بلادهم، فقال أحدهم: يا رسول الله، أسنتت بلادنا، و هلكت مواشينا، و أجدب جنابنا، و غرث عيالنا، فادع لنا ربك يغثنا، و اشفع لنا إلى ربك، و ليشفع لنا ربك إليك.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «سبحان الله ويلك، هذا أنا شفعت إلى ربى عز و جل، فمن ذا الذى يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العلى العظيم، وسع كرسيه السموات و الأرض، فهى تئط من عظمته و جلاله كما يئط الرجل الجديد».

و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن الله جل و عز ليضحك من شفعكم، و أزلكم، و قرب غياثكم».

فقال الأعرابى: يا رسول الله، و يضحك ربنا عز و جل؟ قال: «نعم»، قال الأعرابى:

لن نعدمك من رب يضحك خير، فضحك النبىّ صلى اللّه عليه و سلم من قوله، و صعد المنبر، فتكلم بكلمات، و كان لا يرفع يديه فى شيء من الدعاء إلا فى الاستسقاء، فرفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه، و كان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسق بلادك و بهائمك، و انشر رحمتك، و أحى بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مربعا طبيا، واسعا عاجلا غير آجل، نافعا غير ضار، اللهم اسقنا رحمة و لا تسقنا عذابا و لا هدما و لا غرقا و لا محقا، اللهم اسقنا الغيث و انصرنا على الأعداء».

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى، فقال: يا رسول الله، التمر فى المربد. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اسقنا»، فعاد أبو لبابة لقوله، و عاد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لدعائه، فعاد أيضا أبو لبابة لقوله، و عاد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لدعائه، فعاد أيضا أبو لبابة، فقال: التمر فى المربد يا رسول الله. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره»، قالوا: و لا و الله ما فى السماء سحاب و لا قزعة، و ما بين المسجد و بين سلع من شجر و لا دار، فطلعت من

وراء سلع سحابة مثل الترس، فلما توسطت

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۳۵۳)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۵۹)، البداية و النهاية (۵/ ۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۰۲

السماء انتشرت، ثم أمطرت، فو الله ما رأوا الشمس سبعا، و قام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره، لئلا يخرج التمر منه، فجاء ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، و انقطعت السبل، فصعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المنبر، فدعا و رفع يديه مدا، حتى رؤى بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم حوالينا و لا علينا، اللهم على الآكام و الظراب و بطون الأودية و منابت الشجر» «۱».

قال: فانجابت السحاب عن المدينة انجياب الثوب.

وفد بنى أسد «۲»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد بنى أسد، عشرة رهط، فيهم وابصة بن معبد و طليحة ابن خويلد، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جالس فى المسجد مع أصحابه، فسلموا و تكلموا، و قال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنك عبده و رسوله، و جئناك يا رسول الله، و لم تبعث إلينا بعثا، و نحن لمن وراءنا.

قال محمد بن كعب القرظى: فأنزل الله عز و جل على رسوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [۱۷: الحجرات].

و كان مما سألوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عند يومئذ: العيافة و الكهانة و ضرب الحصى، فنهاهم عن ذلك كله. فقالوا: يا رسول الله، إن هذه أمور كنا نفعلها فى الجاهلية، أ رأيت خصلة بقيت؟ قال: «و ما هى»؟ قال: الخط، قال: «علمه نبى من الأنبياء، فمن صادف مثل علمه علم» «۳».

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن أبو داود (۱۱۷۳)، سنن البيهقى الكبرى (۳/ ۳۵۶)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۸۰۲۵)، موطأ الإمام مالك (۱۹۱)، العلل المتناهية لابن الجوزى (۲۱۲)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۱۵۰۶).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۳۵۵)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۳۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۷۹).

(۳) ذكره السيوطى فى الدرر المنثور (۶/ ۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۰۳

وفد بهراء «۱»

و ذكر الواقدى عن كريمة بنت المقداد، قالت: سمعت أمى ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب «۲» تقول: قدم وفد بهراء من اليمن، و هم ثلاثة عشر رجلا، فأقبلوا يقودون رواحلهم، حتى انتهوا إلى باب المقداد، و نحن فى منزلنا نبنى جديلة، فخرج إليهم المقداد، فرحب بهم، و أنزلهم، و جاءهم بجفنة من حيس قد كنا هيأناها قبل أن يحلوا لنجلس عليها، فحملها أبو معبد المقداد، و كان كريما على الطعام، فأكلوا منها حتى نهلوا، وردت إلينا القصعة و فيها أكل، فجمعنا تلك الأكل فى قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مع سدرة مولاتى، فوجدته فى بيت أم سلمة، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«ضباعة أرسلت بهذا»؟، قالت سدرة: نعم يا رسول الله، قال: «ضعى»، ثم قال: «ما فعل ضيف أبى معبد؟» قلت: عندنا، فأصاب منها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أكلا هو و من معه فى البيت حتى نهلوا، و أكلت معهم سدرة، ثم قال: «اذهبى بما بقى إلى ضيفكم»،

قالت سدرة: فرجعت بما بقى فى القصعة إلى مولاتى، قالت: فأكل منها الضيف ما أقاموا، نرددها عليهم و ما تغيض، حتى جعل الضيف يقولون: يا أبا معبد، إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا، و ما كنا نقدر على مثل هذا إلا فى الحين، و قد ذكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام، إنما هو العلق أو نحوه، و نحن عندك فى الشبع، فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنه أكل منها أكلا وردها، فهذه بركة أثر أصابع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فجعل القوم يقولون:

نشهد أنه رسول الله، و ازدادوا يقينا، و ذلك الذى أراد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و تعلموا الفرائض، و أقاموا أياما، ثم جاءوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فودعوه، و أمر لهم بجوائزهم، و انصرفوا إلى أهلهم.

وفد بنى غدرة

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد بنى غدرة فى صفر سنة تسع، اثنا عشر رجلا، فيهم حمزة بن النعمان و سليم و سعد ابنا مالك و مالك بن أبى رباح، فنزلوا فى دار رملة بنت

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۳۵۶)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۶۶).

(۲) انظر ترجمتها فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۴۵۱)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۴۲۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۷۰۷۶)، تهذيب الكمال (۱۶۸۷)، تهذيب التهذيب (۱۲/ ۴۳۲)، خلاصة تذهيب الكمال (۴۹۳)، تاريخ الإسلام (۲/ ۲۲۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۶۰۴

الحارث النجارية، ثم جاءوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو فى المسجد، فسلموا بسلام أهل الجاهلية، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من القوم»؟ فقال متكلمهم: من لا تنكر، نحن بنو غدرة، أخوة قصى لأمه، نحن الذين عضوا قصيا، و أزاحوا من بطن مكة خزاعة و بنى بكر، و لنا قرابات و أرحام. قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «مرحبا بكم و أهلا، ما أعرفنى بكم، فما منعكم من تحية الإسلام»؟ قالوا: يا محمد، كنا على ما كان عليه آباؤنا، فقدمنا مرتادين لأنفسنا و لمن خلفنا، فإلام تدعو؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إلى عبادة الله وحده لا شريك له، و أن تشهدوا أنى رسول الله إلى الناس كافة»، فقال المتكلم: فما وراء ذلك من الفرائض؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «الصلوات الخمس، تحسن طهورهن و تصليهن لمواقيتهن، فإنه أفضل العمل».

ثم ذكر لهم سائر الفرائض من الصيام و الزكاة و الحج، فقال المتكلم: الله أكبر، نشهد أنه لا إله إلا الله و أنك رسول الله، قد أجبناك إلى ما دعوت إليه، و نحن أعوانك و أنصارك ثم قال: يا رسول الله: إنا متاخمو الشام، و أخبارهم ترد علينا، و بالشام من قد علمت، هرقل، فهل اوحى إليك فى أمره بشىء؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أبشر، فإن الشام ستفتح عليكم، و يهرب هرقل إلى ممتنع بلاده»، قال: الله أكبر، يا رسول الله، إن فينا امرأة كاهنة، كانت قريش و العرب يتحاكمون إليها، و لو قد رجعنا أقرت هى و غيرها من قومنا بالإسلام إن شاء الله، أ فنسألها عن كهانتها؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا تسألوها عن شىء»، قال: الله أكبر، ثم سأله عن الذبائح التى كانوا يذبحون فى الجاهلية لأصنامهم، فنهاهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عنها، و قال، و قال: «لا ذبيحة لغير الله عز و جل و لا ذبيحة عليكم فى سنتكم إلا واحدة». قال: و ما هى؟ فداك أبى و أمى، قال: «الأضحية»، قال: و أى وقت تكون؟ قال: «صبيحة العاشر من ذى الحجة، تذبح شاة عنك و عن أهلك»، قال: يا رسول الله، أ هى على أهل كل بيت وجدوها؟ قال: «نعم» «۱».

فأقاموا أياما، ثم أجازهم كما يجيز الوفود، و انصرفوا.

وفد بلى «۲»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد بلى فى ربيع الأول من سنة تسع. قال رويفع ابن

---

(۱) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۱۲۲۵۹).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۵۵)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۶۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۰۵

ثابت البلوى: فبلغنى قدومهم، فخرجت حتى جئتهم برأس الثنية فى أيديهم خطم رواحلهم، فرحبت بهم و قلت: المنزل على، فعدلت بهم إلى منزلى، فنزلوا، و لبسوا من صالح ثيابهم، ثم خرجت بهم حتى انتهيت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو جالس فى أصحابه فى بقية فىء الغداة، فسلمت. فقال: «رويفع»، فقلت: لبيك، قال: «من هؤلاء القوم»؟

قلت: قومى، قال: «مرحبا بك و بقومك»، قلت: يا رسول الله، قدموا وافدين عليك مقرين بالإسلام، و هم على من وراءهم من قومهم. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من يرد الله به خيرا يهده للإسلام».

قال: و تقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يديه، فقال: يا رسول الله، إنا قدمنا عليك لنصدقك و نشهد أن ما جئت به حق، و نخلع ما كنا نعبد و يعبد آباؤنا قبلنا. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «الحمد لله الذى هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو فى النار»، قال: يا رسول الله، إنى رجل لى رغبة فى الضيافة، فهل لى فى ذلك من أجر؟ قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «نعم، و كل معروف صنعته إلى غنى أو فقير فهو صدقة»، قال: يا رسول الله، ما وقت الضيافة؟ قال: «ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فصدقة، و لا يحل للضيف ان يقيم عندك فيحرجك»، قال: يا رسول الله، أ رأيت الضالة من الغنم أجدها فى الفلاة من الأرض؟ قال: «لك أو لأخيك أو للذئب»، قال: فالبعير، قال:

«مالك و له، دعه حتى يجده صاحبه» «۱».

و سأله عن أشياء غير هذه، فأجابه عنها.

قال رويفع: ثم قاموا، فرجعوا إلى منزلى، فإذا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يأتى منزلى يحمل تمرا، فقال: «استعن بهذا التمر»، فكانوا يأكلون منه و من غيره، فأقاموا ثلاثا، ثم ودعوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أجازهم، و رجعوا إلى بلادهم.

ضمام بن ثعلبة «۲»

و بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقدم عليه، و أناخ

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۲/ ۱۸۶، ۲۰۳، ۴/ ۱۱۷)، السنن الكبرى للبيهقى (۱/ ۱۸۵، ۴/ ۱۵۳، ۶/ ۱۸۹، ۱۹۰)، مجمع الزوائد للهيثمى (۴/ ۱۶۸)، المعجم الكبير للطبرانى (۵/ ۲۸۹)، فتح البارى لابن حجر (۱/ ۱۸۶، ۵/ ۸۰).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۱۹۸- ۲۰۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۰۶

بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل المسجد و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جالس فى أصحابه؛ و كان ضمام رجلا جلدا، أشعر، ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أنا ابن عبد المطلب». قال:

أ محمد؟ قال: «نعم»؛ قال: يا ابن عبد المطلب، إنى سائلك و مغلظ عليك فى المسألة، فلا تجدن فى نفسك، قال: «لا أجد فى نفسى، فسل عما بدا لك». قال: أنشدك الله إلهك و إله من كان قبلك، و إله من هو كائن بعدك، الله بعثك إلينا رسولا؟ قال: «اللهم نعم»،

قال: فأنشدك الله إلهك و إله من كان قبلك، و إله من هو كائن بعدك: الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، و أن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «اللهم نعم»، قال: فأنشدك الله إلهك و إله من كان قبلك، و إله من هو كائن بعدك: الله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم». ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة و الصيام و الحج، و شرائع الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة كما ينشده فى التى قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، و أشهد أن محمدا رسول الله، و سأؤدى هذه الفرائض، و أجتنب ما نهيتنى عنه، ثم لا أزيد و لا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعا. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة».

قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا عليه، فكان أول ما تكلم به أن سب اللات و العزى، قالوا: مه يا ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون! قال: ويلكم! إنهما و الله ما تضران و لا تنفعان إن الله قد بعث رسولا، و أنزل عليه كتابا فاستنقذكم به مما كنتم فيه، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و قد جئتكم من عنده بما أمركم به و ما نهاكم عنه.

قال: فو الله، ما أمسى من ذلك اليوم و فى حاضره رجل و لا امرأة إلا مسلما. فبنوا المساجد، و أذنوا بالصلاة، و كلما اختلفوا فى شىء قالوا: عليكم بوافدنا.

قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة «۱».

و اختلف فى الوقت الذى وفد فيه ضمام هذا على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فقيل: سنة خمس. ذكره الواقدى و غيره، و قيل: سنة سبع، و قيل: سنة تسع، فالله أعلم.

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن الدارمى (۱/ ۶۵۲)، صحيح البخارى (۱/ ۶۳)، صحيح مسلم (۱/ ۱۰/ ۴۱، ۴۲)، سنن النسائى (۴/ ۲۰۹۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۶۰۷

وفد عبد القيس «۱»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد عبد القيس فى جماعة رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، فلما أتوه قال: «من الوفد؟» أو «من القوم؟» قالوا: ربيعة، قال: «مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا و لا الندامى»، قالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة، و إن بيننا و بينك هذا الحى من كفار مضر، و إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. فأمرهم بأربع، و نهاهن عن أربع.

أمرهم بالإيمان بالله وحده، و قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله» قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صوم رمضان، و أن تؤدوا خمسا من المغنم».

و نهاهم عن الدباء و الحنتم و المزفت و النقير. قالوا: يا نبى الله، ما علمك بالنقير؟

قال: «بلى، جذع ينقرونه فيقذفون فيه من القطيعاء، أو قال: من التمر ثم يصبون فيه من الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه، حتى أن أحدكم أو أن أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف»، و فى القوم رجل أصابته جراحه كذلك، قال: و كنت أخبأها حياء من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما سلم عليه القوم سألهم: «أيكم عبد الله الأشج»؟ فقالوا: أتاك يا رسول الله. و كان عبد الله وضع ثياب سفره، و أخرج ثيابا حسانا فلبسها، و كان رجلا دميما، فلما جاء و نظر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى دمامته قال: يا رسول الله، إنه لا يستقى فى مسوك الرجال، إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه، لسانه و قلبه. فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله و رسوله: الحلم، و الأناة».

فقال عبد الله: يا رسول الله، أ شيء حدث فى، أم شيء جبلت عليه؟ فقال: «بل شيء جبلت عليه» «۲».

و كان الأشج يسائل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن الفقه و القرآن، فكان رسول الله يدنيه منه إذا جلس، و كان يأتى أبى بن كعب فيقرأ عليه.

---

(۱) راجع: السيرة (۲۰۰- ۲۰۱). المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۸۲)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۶۴)، تاريخ الطبرى (۳/ ۱۳۶).

(۲) انظر الحديث فى: سنن البيهقى (۱۰/ ۱۰۴)، المعجم الكبير للطبرانى (۵/ ۳۱۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۶۴، ۹/ ۳۸۷، ۳۸۸)، الترغيب و الترهيب للمنذرى (۳/ ۴۱۸)، التاريخ الكبير-- (۵۸۵)، فتح البارى لابن حجر (۱۰ / ۴۵۹)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۵۰۵۴)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۸/ ۳۱)، كنز العمال للمتقى الهندى (۵۸۳۶، ۵۸۳۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۰۸

و أمر لهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بجوائز، و فضل الأشج عليهم، فأعطاه اثنتى عشرة أوقية، و نشا، و ذلك أكثر مما كان يجيز به الوفود.

و قدم فى هذا الوفد الجارود بن عمرو، و كان نصرانيا، فلما انتهى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كلمه، فعرض عليه الإسلام، و دعا إليه، و رغبه فيه. فقال: يا محمد، إنى كنت على دين، و إنى تارك دينى لدينك، أ فتضمن لى دينى؟ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «نعم، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه». فأسلم و حسن إسلامه، و أراد الرجوع إلى بلاده، فسأل النبىّ صلى اللّه عليه و سلم حملانا، فقال: «و الله ما عندى ما أحملكم عليه»، قال: يا رسول الله، فإن بيننا و بين بلادنا ضوال من ضوال الناس، أ فنتبلغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا»، إياك و إياها، فإنما تلك حرق النار» «۱».

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه، و كان حسن الإسلام، صليبا فى دينه، حتى هلك و قد أدرك الردة، فلما رجع من كان أسلم من قومه إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان، قام الجارود فتشهد بشهادة الحق، و دعا إلى الإسلام، فقال:

يا أيها الناس، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و أكفر من لم يتشهد. و يروى: و أكفئ من لم يشهد «۲».

وفد بنى مرة

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد بنى مرة، ثلاثة عشر رجلا رأسهم الحارث بن عوف، و ذلك منصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من تبوك، جاءوه و هو فى المسجد، فقال الحارث بن عوف: يا رسول الله، إنا قومك و عشيرتك، نحن قوم من بنى لؤىّ بن غالب، فتبسم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قال للحارث: «أين تركت أهلك»؟ قال: بسلاح و ما والاها قال: «فكيف البلاد؟ قال: و الله، إنا لمستنون و ما فى المال مخ، فادع الله لنا. قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اسقهم الغيث»، فأقاموا أياما، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم، فجاءوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مودعين له، فأمر بلالا أن يجيزهم، فأجازهم بعشر أواق، عشر أواق فضة، و فضل الحارث بن عوف، أعطاه اثنتى عشرة أوقية، و رجعوا إلى بلادهم، فوجدوا البلاد

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۸۰)، مصنف عبد الرزاق (۱۰/ ۱۸۶۰۴)، السلسلة الصحيحة للألبانى (۶۲۰).

(۲) انظر: السيرة (۴/ ۲۰۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۰۹

مطيرة، فسألوا: متى مطرتم؟ فإذا هو ذلك اليوم الذى دعا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيه.

فقدم عليه قادم بعد و هو يتجهز لحجة الوداع، فقال: يا رسول الله، رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مضبوطة مطرا، لذلك اليوم الذى دعوت

لنا فیه، ثم قلدتنا أقلاد الزرع فی کل خمس عشرة لیلة مطرة جودا، و لقد رأیت الإبل تأکل و هی بروک، و إن غنمنا ما تواری من أبیاتنا، فترجع فتقیل فی أهلنا. فقال رسول الله: «الحمد الله الذی هو صنع ذلک «۱»».

وفد خولان

و قدم علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی شعبان من سنة عشر وفد خولان، و هم عشرة، فقالوا:

یا رسول الله، نحن علی من وراءنا من قومنا، و نحن مؤمنون بالله عز و جل مصدقون برسوله، قد ضربنا إلیک آباط الإبل، و رکبنا حزون الأرض و سهولها، و المنة لله و لرسوله علینا، و قدمنا زائرین لک. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أما ما ذکرتم من مسیرکم إلی فإن لکم بکل خطوة خطاها بعیر أحدکم حسنة، و أما قولکم زائرین لک، فإنه من زارنی بالمدینة کان فی جواری یوم القیامة». قالوا: یا رسول الله، هذا السفر الذی لا توی علیه. ثم قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «ما فعل عم أنس؟» و هو صنم خولان الذی کانوا یعبدونه قالوا:

بشر و عر، بدلنا الله به ما جئت به، و قد بقیت منا بعد بقایا من شیخ کبیر و عجوز کبیرة متمسکون به، و لو قد قدمنا علیه هدمناه إن شاء الله فقد کنا فی غرور و فتنة یا رسول الله، إن فتنته کانت أعظم مما عسینا أن نذکره لک، فالحمد لله الذی من علینا بک، و تنقذنا من الهلکة، و ما مضی علیه الآباء من عبادته، قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «و ما أعظم ما رأیتم من فتنته؟» قالوا: یا رسول الله، لقد رأیتنا و أسنتنا حتی أکلنا الرمة، و مات الولدان غرما، و هلکت ناغیتنا و راعیتنا و حافرنا أو ما ذهب منها. فقلنا، أو من قال منا: قربوا لعم أنس قربانا یشفع لکم، فتغاثوا فتعاونوا، فجمعنا ما قدرنا علیه من عین مالنا، ثم ذهب ذاهبنا فابتاع مائة ثور، ثم حشرها علینا، فنحرناها فی غداة واحدة، و ترکناها تردها السباع، و نحن أحوج إلیها من السباع، فجاءنا الغیث من ساعتنا، فأی فتنة أعظم من هذه، فلقد رأینا العشب یواری الرجال، و یقول قائلنا: أنعم علینا عم أنس.

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۸۹)، دلائل النبوة لأبی نعیم (۱۶۰)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۴۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۱۰

و ذکروا لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم ما کانوا یقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم و حروثهم، و أنهم کانوا یجعلون من ذلک جزءا له و جزءا لله بزعمهم.

قالوا: کنا نزرع الزرع، فنجعل له وسطه، فنسمیه له، و نسمی زرعا آخر حجرة لله جل و عز فإذا مالت الریح بالذی سمیناه لله جعلناه لعم أنس، و إذا مالت الریح بالذی جعلناه لعم أنس لم نجعله لله.

فذکر لهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أن الله عز و جل أنزل علیه فی ذلک: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ نَصِیباً فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَکائِنا فَما کانَ لِشُرَکائِهِمْ فَلا یَصِلُ إِلَی اللَّهِ وَ ما کانَ لِلَّهِ فَهُوَ یَصِلُ إِلی شُرَکائِهِمْ ساءَ ما یَحْکُمُونَ [الأنعام: ۱۳۶]. قالوا: و کنا نتحاکم إلیه فنکلم. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «تلک الشیاطین تکلمکم». قالوا: فأصبحنا یا رسول الله، و قلوبنا تعرف أنه کان لا یضر و لا ینفع، و لا یدری من عبده ممن لم یعبده. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «الحمد لله الذی هداکم و أکرمکم بمحمد صلی اللّه علیه و سلم». و سألوه عن فرائض الدین، فأخبرهم و أمرهم بالوفاء بالعهد، و أداء الأمانة، و حسن الجوار لمن جاوروا، و أن یظلموا أحدا. قال: «فإن الظلم ظلمات یوم القیامة» «۱».

ثم أمر بهم فأنزلوا دار رملة و أمر لهم بضیافة تجری علیهم، و أمر من یعلمهم القرآن و السنن، ثم و دعوه بعد أیام، فأجازهم، و رجعوا إلی قومهم فلم یحلوا عقدة حتی هدموا عم أنس.

وفد محارب «۲»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عام حجة الوداع وفد محارب، و هم كانوا أغلظ العرب، و أفظه على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى تلك المواسم، أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله، فجاء رسول الله صلى اللّه عليه و سلم منهم عشرة نائبين عن من وراءهم من قومهم، فأسلموا.

و كان بلال يأتيهم بغذاء و عشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوما من الظهر إلى العصر، فعرف رجلا منهم، فأبداه النظر، فلما رآه المحاربى يديم النظر إليه، قال: كأنك

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب البر و الصلة (۵۶، ۵۷)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۱۰۶، ۱۹۵، ۳/ ۳۲۳)، سنن البيهقى الكبرى (۶/ ۹۳، ۱۰/ ۱۳۴، ۲۴۳)، جمع الجوامع للسيوطى (۵۶۸۷)، الدر المنثور للسيوطى (۶/ ۱۹۶)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۸/ ۱۹۳).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۸۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۱۱

يا رسول الله توهمنى. قال: «لقد رأيتك». فقال المحاربى: أى و الله، لقد رأيتنى و كلمتنى، و كلمتك بأقبح الكلام و رددتك بأقبح الرد بعكاظ و أنت تطوف على الناس.

فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «نعم». ثم قال المحاربى: يا رسول الله، ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ و لا أبعد من الإسلام منى، فأحمد الله الذى أبقانى حتى صدقت بك، و لقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن هذه القلوب بيد الله عز و جل». فقال المحاربى: يا رسول، استغفر لى من مراجعتى إياك. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر» «۱». ثم انصرفوا إلى أهليهم.

وفد طىء «۲»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد و طىء، فيهم زيد الخيل «۳»، و هو سيدهم؛ فلما انتهوا إليه كلموه، و عرض عليهم الإسلام، فأسلموا، فحسن إسلامهم؛ و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى، إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه»، ثم سماه زيد الخير، و قطع له فيدا و أرضين معه؛ و كتب له بذلك كتابا، فخرج من عنده راجعا إلى قومه؛ فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن ينج زيد من حمى المدينة» يسميها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يومئذ باسم غير الحمى، و غير أم ملدم.

و قال زيد حين انصرف:

أنيخت بآجام المدينة أربعاو عشرا يغنى فوقها الليل طائر

فلما قضى أصحابها كل بغيؤو خط كتابا فى الصحيفة ساطر

شددت عليها رحلها و سليلهامن الدرس و الشعراء و البطن ضامر فلما انتهى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له: فردة أصابته الحمى، فمات.

و قال لما أحس بالموت «۴»:

أمر تحل قومى المشارقى غدوؤو أترك فى بيت بفردة منجد

---

(۱) انظر الحدیث فی: طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۴۳)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۸۹).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۳/ ۳۵۶)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۵۹، ۶۵).

(۳) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۸۶۶)، الإصابة الترجمة رقم (۲۹۴۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۸۷۷).

(۴) انظر الأبیات فی السیرة (۴/ ۲۰۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۱۲ ألا رب یوم لو مرضت لعادنیعوائد من لم یشف منهن یجهد

فلیت اللواتی عدننی لم یعدننیو لیت اللواتی غبن عنی شهد فلما مات عمدت امرأته إلی ما کان من کتبه التی قطع له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فحرقتها بالنار «۱».

و أما عدی بن حاتم «۲»، فکان یقول فیما ذکر عنه: ما من رجل من العرب کان أشد کراهیة لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین سمع به منی، أما أنا فکنت امرأ شریفا، و کنت نصرانیا، و کنت أسیر فی قومی بالمرباع، فکنت فی نفسی علی دین. و کنت ملکا فی قومی، لما کان یصنع بی قومی، و ما کان یصنع فی أهل دینی، فلما سمعت برسول الله صلی اللّه علیه و سلم کرهته، فقلت لغلام کان لی عربی و کان راعیا لإبل لی: لا أبا لک، أعدد لی من إبلی أجمالا ذللا سمانا، فاحتبسها قریبا منی، فإذا سمعت بجیش لمحمد قد و طیء هذه البلاد فآذنی؛ ففعل، ثم إنه أتانی ذات غداة، فقال: یا عدی، ما کنت صانعا إذا غشیک خیل محمد فاصنعه الآن، فإنی قد رأیت رایات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جیوش محمد، قلت: فقرب إلی أجمالی، فقربها، فاحتملت بأهلی و ولدی، ثم قلت: ألحق بأهل دینی من النصاری بالشام، و خلفت بنتا لحاتم فی الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها.

و تخالفنی خیل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فتصیب بنت حاتم فیمن أصابت، فقدم بها علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی سبایا من طیء، فجعلت بنت حاتم فی حظیرة بباب المسجد، کانت السبایا تحبس فیها، فمر بها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و قد کان بلغه هربی إلی الشام، فقامت إلیه، و کانت امرأة جزلة، فقالت: یا رسول الله، هلک الوالد، و غاب الوافد، فامنن علیّ من الله علیک، قال: «و من وافدک؟» قالت عدی بن حاتم. قال: «الفار من الله و رسوله؟» قالت: ثم مضی و ترکنی، حتی إذا کان من الغد مر بی، فقلت له مثل ذلک، و قال لی مثل ما قال بالأمس. قالت: حتی إذا کان بعد الغد مر بی و قد یئست، فأشار إلی رجل من خلفه أن قومی فکلمیه؛ فقمت إلیه، فقلت: یا رسول الله، هلک الوالد، و غاب

---

(۱) انظر الحدیث فی: طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۵۹)، تهذیب تاریخ دمشق لابن عساکر (۶/ ۳۶)، دلائل النبوة للبیهقی (۵/ ۳۳۷)، تاریخ الطبری (۲/ ۲۰۳).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۸۰۰)، الإصابة الترجمة رقم (۵۴۹۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۶۱۰)، طبقات خلیفة (۴۶۳، ۹۰۴)، مروج الذهب (۳/ ۱۹۰)، جمهرة أنساب العرب (۴۰۲)، تاریخ بغداد (۱/ ۱۸۹)، تاریخ الإسلام (۳/ ۴۶)، تهذیب التهذیب (۷/ ۱۶۶)، تهذیب الکمال (۹۲۵)، خلاصة تذهیب الکمال (۲۲۳)، سیر أعلام النبلاء (۳/ ۱۶۲)، شذرات الذهب (۱/ ۷۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۱۳

الوافد، فامنن علی من الله علیک؛ قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «قد فعلت، فلا تعجلی بخروج حتی تجدی من قومک من یکون لک ثقة، حتی یبلغک إلی أهلک، ثم آذنینی».

فسألت عن الرجل الذی أشار إلی أن کلمیه، فقیل: علی بن أبی طالب، و أقمت حتی قدم رکب من بلی أو قضاعة، و إنما أرید أن آتی أخی بالشام، فجئت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فقلت: یا رسول الله، قد قدم رهط من قومی، لی فیهم ثقة و بلاغ. فکسانی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و حملنی، و أعطانی نفقة، فخرجت معهم حتی قدمت الشام.

قال عدی: فو الله إنی لقاعد فی أهلی، إذ نظرت إلی ظعینة تصوب إلی تؤمنا، قلت:

ابنة حاتم؟ فإذا هى هى، فلما وقفت على انسحلت تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك و ولدك، و تركت بقية والدك عورتك، قلت: أى أخية، لا تقولى إلا خيرا، فو الله ما لى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت.

ثم نزلت فأقامت عندى، فقلت لها، و كانت امرأة حازمة: ما ذا ترين فى أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى و الله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، و إن يك ملكا فلن تذل فى عز اليمن، و أنت أنت، قلت: و الله، إن هذا للرأى.

فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم المدينة، فدخلت عليه، و هو فى مسجده، فسلمت عليه، فقال: «من الرجل؟» فقلت: عدى بن حاتم؛ فقام رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فانطلق بى إلى بيته، فو الله إنه لعامد بى إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها؛ قال: قلت فى نفسى: و الله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى إذا دخل بى بيته، تناول و سادة من أدم محشوة ليفا، فقذفها إلى؛ فقال: «اجلس على هذه»، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: «بل أنت»، فجلست عليها، و جلس رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالأرض؛ فقلت فى نفسى: و الله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «إيه يا عدى بن حاتم! أ لم تك ركوسيا؟» قلت: بلى، قال: «أولم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟» قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك»؛ قلت: أجل و الله، و عرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل، ثم قال: «لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ و لعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم و قلة عددهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف؛ و لعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۱۴

و السلطان فى غيرهم، و أيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» «۱». قال: فأسلمت.

و كان عدى يقول: مضت اثنتان و بقيت الثالثة، و الله لتكونن. قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، و قد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، و أيم الله لتكونن الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

وفد كندة «۲»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الأشعث بن قيس فى ثمانين راكبا من كندة، فدخلوا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مسجده، قد رجلوا جمعهم و تكحلوا، عليهم جباب [الحبرة] «۳»، قد كففوها بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «أ لم تسلموا؟» قالوا: بلى، قال:

«فما بال هذا الحرير فى أعناقكم؟»، قال: فشقوه منها، فألقوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس «۴»: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار، و أنت ابن آكل المرار. فتبسم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قال: «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، و ربيعة ابن الحارث، و كانا إذا خرجا تاجرين فضربا فى بعض العرب فسئلا ممن هما؟ قالا: نحن آكل المرار، يتعززان بذلك، و ذلك أن كندة كانوا ملوكا». ثم قال لهم: لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة، لا تقفو أمنا، و لا ننتفى من أبينا» «۵». و قال جندب بن مكيث «۶»: لقد

---

(۱) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۳۵)، مستدرك الحاكم (۴/ ۵۸۱).

(۲) راجع: السيرة (۴/ ۲۰۹- ۲۱۰). المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۸۲)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۶۴)، تاريخ الطبرى (۲/ ۶۴).

(۳) ما بين المعقوفتين كذا فى الأصل، و فى السيرة: «الحيرة». و جبب الحيرة: الجبب جمع جبة، و هو ضرب من الثياب، و الحيرة: ضرب من برود اليمن.

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۳۵)، الإصابة الترجمة رقم (۲۰۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۸۵)، تهذيب التهذيب (۱/ ۳۵۹)، تهذيب الكمال (۱۱۹)، خلاصة تذهيب الكمال (۳۹)، العبر (۱/ ۴۲، ۴۶)، تاريخ خليفة (۱۱۶، ۱۹۳، ۱۹۹).

(۵) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۲۱۱، ۲۱۲)، سنن ابن ماجه (۲۶۱۲)، التاريخ الصغير للبخارى (۱۱، ۱۲)، التاريخ الكبير للبخارى (۷/ ۲۷۴). مصنف عبد الرزاق (۱۱/ ۷۴).

(۶) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۴۵)، الإصابة الترجمة رقم (۲۳۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۸۰۷)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۹۱)، تقريب التهذيب (۱/ ۱۷۳)، الثقات (۳/ ۵۷)، الوافى بالوفيات (۱۱/ ۱۹۴)، الجرح و التعديل (۲/ ۲۱۰۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۱۵

رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم قدم وفد كندة عليه حلة يمانية يقال: إنها حلة ابن ذى يزن، و على أبى بكر و عمر مثل ذلك.

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه، و أمر عليه أصحابه بذلك.

وفد صداء

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد صداء فى سنة ثمان، و ذلك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لما انصرف من الجعرانة بعث بعوثا إلى اليمن، و هيأ بعثا استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة، و عقد له لواء أبيض، و رفع له راية سوداء، و عسكر بناحية قناة فى أربعمائة من المسلمين، و أمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صداء، فقدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رجل منهم و علم بالجيش، فأتى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول الله، جئتك وافدا على من ورائى، فاردد الجيش و أنا لك بقومى، فرد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قيس بن سعد من صدور قناة، و خرج الصدائى إلى قومه، فقدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خمسة عشر رجلا منهم، فقال سعد ابن عبادة: يا رسول الله، دعهم ينزلوا على، فنزلوا عليه، فحياهم و أكرمهم و كساهم، ثم راح بهم إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فبايعوه على الإسلام، و قالوا: نحن: لكن على من وراءنا من قومنا، فرجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم منهم مائة رجل فى حجة الوداع.

ذكر هذا الواقدى عن بعض بنى المصطلق. و ذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائى أنه الذى قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال له: أردد الجيش، و أنا لك بقومى.

فردهم.

قال: و قدم وفد قومى، عليه، فقال لى: «يا أخا صداء، إنك لمطاع فى قومك»، قال:

قلت: بلى من الله عز و جل و من رسوله، و كان زياد هذا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بعض أسفاره. قال: فاعتشى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أى سار ليلا- و اعتشينا معه، و كنت رجلا- قويا، قال: فجعل أصحابه يتفرقون عنه، و لزمت عرزه، فلما كان فى السحر قال: «أذن يا أخا صداء»، فأذنت على راحلتى، ثم سرنا حتى نزلنا، فذهب لحاجته، ثم رجع فقال: «يا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۱۶

أخا صداء، هل معك ماء؟» قلت: معى شيء فى إداوتى. فقال: «هاته» فجئت به، فقال:

«صب»، فصببت ما فى الإداوة فى القعب، و جعل أصحابه يتلاحقون، ثم وضع كفه على الإناء، فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عينا تفور، ثم قال: «يا أخا صداء، لو لا- انى أستحى من ربى لسقينا و استقينا»، ثم توضأ، و قال: «أذن فى صحابى. من كانت له حاجة بالوضوء فليرد». قال: فوردوا من آخرهم، ثم جاء بلال يقيم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن أخا صداء قد أذن، و من أذن فهو يقيم»، فأقمت، ثم تقدم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فصلى بنا، و كنت سألته قبل أن يؤمرنى على قومى و يكتب لى بذلك

كتابا، ففعل، فلما سلم يريد من صلاته قام رجل يتشكى من عامله، فقال: يا رسول الله، إنه أخذنا بدخول كانت بيننا و بينه فى الجاهلية، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لا خير فى الإمارة لرجل مسلم، ثم قام رجل فقال: يا رسول الله، أعطنى من الصدقة، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إن الله لم يكل قسمها إلى ملك مقرب، و لا نبى مرسل، حتى جزأها على ثمانية أجزاء، فإن كانت جزءا منها أعطيتك، و إن كنت عنها غنيا فإنما هو صداع فى الرأس و داء فى البطن».

فقلت فى نفسى: هاتان خصلتان حين سألت الإمارة و أنا رجل مسلم و سألته من الصدقة و أنا غنى عنها، فقلت: يا رسول الله، هذان كتاباک فاقبلهما، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

«و لم؟» قلت: إنى سمعتك تقول: «لا خير فى الإمارة لرجل مسلم و أنا مسلم»، و سمعتك تقول: «من سأل من الصدقة و هو عنها غنى فإنما هى صداع فى الرأس و داء البطن»، و أنا غنى. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أما إن الذى قلت كما قلت لك»، فقتلهما رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: دلنى على رجل من قومك استعمله، فدللته على رجل فاستعمله، قلت: يا رسول الله، إن لنا بئرا إذا كان الشتاء كفانا ماؤها، و إذا كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه، و الإسلام اليوم فينا قليل، و نحن نخاف، فادع الله عز و جل لنا فى بئرنا. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ناولنى سبع حصيات»، فناولته فعركهن بيده، ثم دفعهن إلى، و قال: «إذا انتهيت إليها فألق فيها حصاة و سم الله». قال: ففعلت، فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة «۱».

***

(۱) انظر الحديث فى: المعجم الكبير للطبرانى (۵/ ۳۰۳)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۶۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۳۵۵)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۷۰۷۵)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۲۰۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۱۷

وفد غسان «۱»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد غسان.

قالوا أو من قاله منهم فيما ذكر الواقدى عنهم: قدمنا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى رمضان سنة عشر، و نحن ثلاثة نفر، فلما كنا برأس الثنية لقينا رجل على فرس متنكب قوسا، فحيانا بتحية الإسلام، فرددنا عليه تحيتنا، فقال: من أنتم؟ قلنا: رهط من غسان، قد قدمنا على محمد نسمع من كلامه و نرتاد لقومنا، قال: فانزلوا حيث ينزل الوفد، قلنا:

و أين ينزل الوفد؟ قال: دار رملة بنت الحارث، و يقال: الحارث، ثم ائتوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فكلموه، قلنا: و نقدر عليه كلما أردنا؟ قال: فتبسم، فقال: أى لعمرى، إنه ليطوف بالأسواق و يمشى وحده، و كنا قوما نسمع كلام النصارى و صفتهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أنه يمشى وحده لا شرطة معه، و يرعب من يراه منهم، فقلنا للرجل: من أنت لک الجنة؟

قال: أنا أبو بكر بن أبى قحافة، فقلنا: أنت فيما يزعم النصارى تقوم بهذا الأمر بعده، قال أبو بكر: الأمر إلى الله عز و جل، ثم قال: كيف تخدعون عن الإسلام و قد خبركم أهل الكتاب بصفته، و أنه آخر الأنبياء؟ قلنا: هو ذاك، فمضى و مضينا نسأل عن دار رملة حتى انتهينا إليها فنصادف وفودا من العرب كلهم مصدق بمحمد صلى اللّه عليه و سلم، فقلنا فيما بيننا: أ ترانا شر من نزى من العرب؟ ثم خرجنا حتى نلقى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عند باب المسجد واقفا، فأمدنا ببصره، و قال: «أنتم الغسانيون؟» قلنا: نعم، قال: «قدمتم مرتادين لقومكم فما انتفعتم بعلم من كان معكم من أهل الكتاب». قلنا: يا محمد، لم نر أحدا منهم اتبعک، فوقفنا عنک لذلک، و نحن الآن على غير ما كنا عليه، فإلام تدعو؟ قال:

«أدعو إلى الله وحده لا شريک له، و خلع ما دعى من دونه، و أنى رسول الله». قال قائلهم: فمن معک من اتباعک؟ قال: «الله جل و عز معى و الملائكة: جبريل و ميكائيل، و الأنبياء، و صالح المؤمنين»، ثم التفت و نظر إلى عمر، و لم ير أبا بكر، فقال: «هذا و صاحبه»،

قلنا: ابن أبى قحافة؟ قال: «نعم»، قلنا: إنک لتأوى إلى رکن شدید، و قد صدقناک، و شهدنا أن ما جئت به حق، و لا ندرى أ يتبعنا قومنا أم لا، و هم يحبون بقاء ملکهم و قرب قیصر «۲».

ثم أسلموا، و أجازهم رسول الله صلى اللّه علیه و سلم بجوائز، و انصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم،

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۸۲)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۷۱)، تاریخ الطبری (۳/ ۱۳۰).

(۲) انظر الحديث فى: تاریخ الطبری (۳/ ۱۳۰)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۷۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۱۸

فلم يستجيبوا لهم، و کتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان على الإسلام، و أدرک الثالث منهم عمر بن الخطاب عام اليرموک، فلقى أبا عبيدة فخبره بإسلامه، فکان يکرمه.

وفد سلامان «۱»

و ذکر الواقدى أيضا بإسناد له: أن خبيب بن عمرو السلامانى کان يحدث قال:

قدمنا وفد سلامان على رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، و نحن سبعة نفر، فانتهينا إلى باب المسجد، فصادفنا رسول الله صلى اللّه علیه و سلم خارجا منه إلى جنازة دعى إليها، فلما رأيناه قلنا يا رسول الله، السلام عليک. فقال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم: «و عليکم السلام، من أنتم؟» قلنا: نحن من سلامان، قدمنا عليک لنبايعک على الإسلام، و نحن على من وراءنا من قومنا. فالتفت إلى ثوبان غلامه، فقال: «أنزل هؤلاء حيث ينزل الوفد»، فخرج بنا ثوبان حتى انتهى بنا إلى دار واسعة فيها نخل و فيها وفود من العرب، و إذا هى دار رملة بنت الحارث النجارية، فلما سمعنا أذان الظهر خرجنا إلى الصلاة، فقمنا على باب رسول الله صلى اللّه علیه و سلم حتى خرج إلى المسجد، فصلى بالناس و هو يتصفحنا، و دخل بيته فلم يلبث أن خرج، فجلس فى المسجد بين المنبر و بين بيته، و جلست عليه أصحابه، عن يمينه و عن شماله، فرأيت رجلا- هو أقرب القوم منه، يکثر ما يلتفت إليه، و يحدثه. فسألت عنه، فقيل: أبو بکر بن أبى قحافة، و جئنا فجلسنا تجاه وجهه، و جعل الوفد يسألونه عن شرائع الإسلام، فلم يکد سائلهم يقطع حتى خشيت أن يقوم رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فقلت: إنا نريد ما تريد، فتبسم رسول الله صلى اللّه علیه و سلم و أسکت السائل، فقلت: أى رسول الله، ما أفضل الأعمال؟ قال:

«الصلاة فى وقتها»، ثم ذکر حديثا طويلا.

قال: ثم جاء بلال، فأقام الصلاة، فقام رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، فصلى بالناس العصر، فکانت صلاة العصر أخف فى القيام من الظهر، ثم دخل بيته، فلم ينشب أن خرج فجلس فى مجلسه الأول، و جلس معه أصحابه، و جئنا فجلسنا، فلما رآنى قال: «يا أخا سلامان»، قلت: لبيک، قال: «کيف البلاد عندکم؟» قلت: أى رسول الله، مجدبة، و ما لنا خير من البلاد، فادع الله أن يسقينا فى بلادنا، فنقر فى أوطاننا و لا نسير إلى بلاد غيرنا، فإن النجع تفرق الجميع و تشتت الديار. فقال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم بيده: «اللهم اسقهم الغيث فى

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۸۰- ۳۸۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۱۹

ديارهم»، فقلت: يا رسول الله، ارفع يديک، فإنه أکثر و أطيب، فتبسم رسو الله صلى اللّه علیه و سلم، و رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قام و قمنا عنه، فأقمنا ثلاثا و ضيافته تجرى علينا، ثم ودعناه، و أمر لنا بجوائز، فأعطينا خمس أواقى، لکل رجل منا، و اعتذر

إلينا بلال، و قال: ليس عندنا مال اليوم، فقلنا: ما أكثر هذا و أطيبه، ثم رحلنا إلى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى تلك الساعة «۱».

قال الواقدى: و كان مقدمهم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى شوال سنة عشر.

وفد بنى عبس

قال: و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد بنى عبس، فقالوا: يا رسول الله، قدم علينا قراؤنا، فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، و لنا أموال و مواش، و هى معايشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له فلا خير فى أموالنا، بعناها و هاجرنا من آخرنا، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اتقوا الله حيث كنتم، فلن يلتكم الله من أعمالكم شيئا»، و سألهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن خالد بن سنان، هل له عقب؟ فأخبروه أنه لا عقب له، كانت له ابنة فانقرضت، و أنشأ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان، فقال: «نبى ضيعه قومه» «۲».

وفد الأزد و وفد جرش «۳»

قال ابن إسحاق «۴»: و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم صرد بن عبد الله الأزدى، فأسلم، و حسن إسلامه، فى وفد من الأزد، فأمره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على من أسلم من قومه. و أمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن.

فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى نزل بجرش، و هى يومئذ مدينة مغلقة، و بها قبائل من قبائل اليمن، و قد ضوت إليها خثعم، فدخلوها معهم حين

---

(۱) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۶۷).

(۲) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۴۲).

(۳) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۸۱)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۷۱)، تاريخ الطبرى (۳/ ۱۳۰)، البداية و النهاية (۵/ ۸۴).

(۴) انظر: السيرة (۴/ ۲۱۱- ۲۱۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۲۰

سمعوا بمسير رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إليهم، فحاصروهم فيها قريبا من شهر، و امتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلا، حتى إذا كان إلى جبل يقال له: شكر، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما، فخرجوا فى طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقتلهم قتلا شديدا.

و قد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة يرتادان و ينظران؛ فبينما هما عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عشية بعد العصر، إذ قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بأى بلاد الله شكر؟» فقال الجرشيان: ببلادنا جبل يقال له: كشر و كذلك يسميه أهل جرش فقال:

«إنه ليس بكشر، و لكنه شكر»، قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «إن بدن الله لتنحر عنده الآن»، فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: و يحكما! إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الآن لينعى لكما قومكما، فقوموا فاسألاه أن يدعو الله ان يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه، فسألاه عن ذلك، فقال: «اللهم ارفع عنهم»، فخرجا من عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم راجعين إلى قومهما، فوجدوا قومهما أصابهم صرد بن عبد الله فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ما قال: و فى الساعة التى ذكر فيها ذكر

«۱».

فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأسلموا، و حمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس و الراحلة و للميرة، بقرة الحرث، فمن رعاه من الناس فماله سحت.

فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد، و كانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية، و كانوا يعدون فى الشهر الحرام «۲»:

يا غزوة ما غزونا غير خائبةفيها البغال و فيها الخيل و الحمر

حتى أتينا حميرا فى مصانعهاو جمع خثعم قد شاعت لها النذر

إذا وضعت غليلا كنت أحملهفما أبالى أدانوا بعد أم كفروا

وفد غامد

قال الواقدى: و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد غامد سنة عشر، و هم عشرة، فنزلوا فى

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۳۷۲، ۳۷۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۷۴، ۷۵).

(۲) انظر الأبيات فى: السيرة (۴/ ۲۱۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۲۱

بقيع الغرقد، و هو يومئذ أثل و طرفاء، ثم انطلقوا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و خلفوا فى رحلهم أحدثهم سنا، فنام عنه، و أتى سارق فسرق عيبة لأحدهم فيها أثواب له، و انتهى القوم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فسلموا عليه و أقروا له بالإسلام، و كتب لهم كتابا فيه شرائع الإسلام، و قال لهم: «من خلفتم فى رحالكم؟» قالوا: أحدثنا يا رسول الله، قال: «فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم»، فقال أحد القوم: يا رسول الله، ما لأحد من القوم عيبة غيرى. فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قد أخذت، وردت إلى موضعها» فخرج القوم سراعا حتى أتوا رحلهم، فوجدوا صاحبهم، فسألوه عما خبرهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: فزعت من نومى ففقدت العيبة، فقمت فى طلبها، فإذا رجل قد كان قاعدا، فلما رآنى ثار يعدو منى، فانتهيت إلى حيث انتهى، فإذا أثر حفر، و إذا هو قد غيب العيبة، فاستخرجتها، فقالوا: نشهد أنه رسول الله، فإنه قد أخبرنا بأخذها، و أنها قد ردت، فرجعوا إلى النبىّ فأخبروه، و جاء الغلام الذى خلفوه فأسلم.

و أمر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم أبى بن كعب «۱»، فعلمهم قرآنا، و أجازهم صلى اللّه عليه و سلم كما كان يجيز الوفود، و انصرفوا.

وفد بنى الحارث بن كعب «۲»

قال ابن إسحاق «۳»: و بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنجران، و أمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا، فإن استجابوا فأقبل منهم، و إن لم يفعلوا فقاتلهم، فخرج خالد بن الوليد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه، و يدعون إلى الإسلام، و يقولون: أيها الناس، أسلموا تسلموا، فأسلم الناس، و دخلوا فيما دعوا إليه،

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۶)، الإصابة الترجمة رقم (۳۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۴)، طبقات خليفة (۸۸، ۸۹)، تاريخ خليفة (۱۶۷)، الجرح و التعديل (۲/ ۲۹۰)، حلية الأولياء (۱/ ۲۵۰)، شذرات الذهب (۱/ ۳۲، ۳۳)، تهذيب التهذيب (۱/ ۱۸۷)، تهذيب الكمال (۷۰)، خلاصة تذهيب الكمال (۲۴)، طبقات القراء (۱/ ۳۱)، تذكرة الحفاظ (۱/ ۱۶)، العبر (۱/ ۲۳)، الاستبصار (۴۸).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۷۹- ۳۸۰)، طبقات ابن سعد (۱/ ۲/ ۷۲)، تاريخ الطبرى (۳/ ۱۲۶)، البداية و النهاية (۵/ ۸۸).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۱۵- ۲۱۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۶۲۲

فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام و كتاب الله و سنة نبيه، و بذلك كان أمره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إن هم أسلموا و لم يقاتلوا.

ثم كتب خالد إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد النبىّ رسول الله من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو: أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب، و أمرتنى إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام، و أن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم، و علمتهم معالم الإسلام و كتاب الله و سنة نبيه، و إن لم يسلموا قاتلهم، و إنى قدمت عليهم، فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بعثت فيهم ركبانا، فقالوا: يا بنى الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا و لم يقاتلوا، و أنا مقيم بين أظهرهم، آمرهم بما أمرهم الله به، و أنهاهم عن ما نهاهم الله عنه، و أعلمهم معالم الإسلام و سنة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم حتى يكتب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته.

فكتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبىّ، رسول الله إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد، فإن كتابك جاءنى مع رسولك يخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، و أجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، و شهدوا أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن قد هداهم الله بهداه فبشرهم و أنذرهم و أقبل و ليقبل معك وفدهم، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته».

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحصين «۱» ذو الغصة، و يزيد بن عبد المدان «۲»، و يزيد بن المحجل، و عبد الله بن قراد الزيادى «۳»، و شداد بن عبد الله القنانى «۴»، و عمرو بن عبد الله الضبابى «۵»، فلما قدموا

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۱۵۲)، الإصابة الترجمة رقم (۷۱۷۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۳۴۰)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۱۹)، الثقات (۳/ ۳۴۱)، الطبقات الكبرى (۱/ ۲۶۸، ۳۳۹)، الجرح و التعديل (۷/ ۹۵).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۸۱۶)، الإصابة الترجمة رقم (۹۳۰۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۵۸۶).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۶۵۳) و فيه: «عبد الله بن قريط الزيادى»، الإصابة الترجمة رقم (۴۹۱۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۱۲۹).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۱۶۵)، الإصابة الترجمة رقم (۳۸۷۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۳۹۷).

(۵) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۹۵۵)، الإصابة الترجمة رقم (۵۹۱۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۹۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۶۲۳

على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فرآهم قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟» يعنى فى الطول و السمرة قيل: يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب، فلما وقفوا عليه سلموا، و قالوا: نشهد أنك لرسول الله، و أنه لا إله إلا الله؛ قال: «و أنا أشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله»، ثم قال: «أنتم الذين إذا زجروا استقدموا»، فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نعم، يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرات، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لو أن خالدا لم يكتب إلى بأنكم أسلمتم و لم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم». فقال يزيد بن عبد المدان: أما و الله ما حمدناك و لا حمدنا خالدا، قال: «فمن حمدتم؟» قالوا: حمدنا الله

الذى هدانا بك يا رسول الله، قال: «صدقتم»، ثم قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية»؟ قالوا: لم نكن نغلب أحدا؛ قال: «بلى، قد كنتم تغلبون من قاتلكم». قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله، إنا كنا نجتمع و لا نفترق و لا نبدأ أحدا بظلم؛ قال: «صدقتم». و أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين «۱».

فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية شوال أو فى صدر ذى القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم «۲»، ليفقههم فى الدين، و يعلمهم السنة و معالم الإسلام، و يأخذ منهم صدقاتهم، و كتب لهم كتابا

---

(۱) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۴۱۱، ۴۱۲)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۳۳۹، ۳۴۰).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۹۲۹)، الإصابة الترجمة رقم (۵۸۲۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۹۰۵)، نسب قريش (۲۳۳)، طبقات خليفة (۲۰)، التاريخ الكبير (۶/ ۳۰۵)، تاريخ الثقات للعجلى (۳۶۳)، المعرفة و التاريخ (۱/ ۳۲۳)، أنساب الأشراف (۱/ ۲۲۸)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۲۸۶)، مروج الذهب (۱۸۹۶)، الجرح و التعديل (۶/ ۲۲۶)، سير أعلام النبلاء (۳/ ۴۱۷)، العقد الثمين (۶/ ۳۶۸)، تهذيب التهذيب (۸/ ۱۷)، تقريب التهذيب (۲/ ۶۷)، تذهيب التهذيب (۲۴۴)، تاريخ الإسلام (۲/ ۴۹۲)، شذرات الذهب (۱/ ۹۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۲۴

عهد إليه فيه عهده، و أمره فيه أمره:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله و رسوله، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: ۱]، عهد من محمد النبىّ رسول الله، صلى اللّه عليه و سلم لعمرو بن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله فى أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا. و الذين هم محسنون، و أمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، و أن يبشر الناس بالخير، و يأمرهم به، و يعلم الناس القرآن و يفقههم فيه، و ينهى الناس، فلا يمس القرآن إنسان إلا و هو طاهر، و يخبر الناس بالذى لهم، و الذى عليهم، و يلين للناس فى الحق، و يشتد عليهم فى الظلم، فإن الله كره الظلم و نهى عنه، فقال: أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، و يبشر الناس بالجنة و بعملها، و ينذر الناس النار و عملها، و يتألف الناس حتى يفقهوا فى الدين، و يعلم الناس معالم الحج و سننه و فرائضه، و ما أمر الله به، و الحج الأكبر، و الحج الأصغر هو العمرة و ينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه، و ينهى أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء، و ينهى أن لا يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه، و ينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل و العشائر، و لتكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له. فمن لم يدع إلى الله، و دعا إلى القبائل و العشائر فليقطفوا بالسيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، و يأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم و أيديهم إلى المرافق و أرجلهم إلى الكعبين، و يمسحوا برءوسهم كما أمرهم الله، و أمر بالصلاة لوقتها و إتمام الركوع و السجود يغلس بالصبح، و يهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، و صلاة العصر و الشمس فى الأرض مدبرة، و المغرب حين يقبل الليل، لا تؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء، و العشاء أول الليل، و أمره بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها، و الغسل عند الرواح إليها، و أمره أن يأخذ من المغانم خمس الله، و ما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت السماء و سقت العين، و على ما سقى الغرب نصف العشر، و فى كل عشر من الإبل شاتان، و فى كل عشرين أربع شاة، و فى كل أربعين من البقر بقرة، و فى كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة، و فى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له، و إنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه، و دان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، و عليه مثل ما عليهم، و من كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها

أي لا يفتن و على كل حالم: ذكر أو أنثى، حر أو عبد، دينار واف أو عوضه ثيابا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۶۲۵

فمن أدى ذلك، فإن له ذمة الله و ذمة رسوله و من منع ذلك، فإنه عدو لله و لرسوله و للمؤمنين جميعا، صلوات الله على محمد، و السلام عليه و رحمة الله و بركاته» «۱».

وفد بنى حنيفة «۲»

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفد بنى حنيفة، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب.

قال ابن إسحاق «۳»: فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة: أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم تستره بالثياب، و رسول الله جالس فى أصحابه، معه عسيب من سعف النخل، فى رأسه خوصات؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هم يسترونه بالثياب، كلمه و سأله، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه» «۴».

قال: و قد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا.

زعم أن وفد بنى حنيفة اتوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و خلفوا مسيلمة فى رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا أو فى ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمثل ما أمر به للقوم، و قال: «أما إنه ليس بشركم مكانا» أى لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذى يريد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم «۵».

قال: ثم انصرفوا عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و جاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله و تنبأ و تكذب لهم، و قال: إنى قد أشركت فى الأمر معه، و قال لوفده الذين كانوا معه: أ لم يقل لكم حين ذكرتمونى له: «أما إنه ليس بشركم مكانا»؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم إنى قد أشركت فى الأمر معه؛ ثم جعل يسجع لهم، و يقول فيما يقول مضاهاة للقرآن: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى، و أحل لهم الخمر و الزنا، و وضع عنهم الصلاة، و هو مع ذلك يشهد لرسول الله

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن النسائى (۸/ ۴۸۶۸)، مستدرك الحاكم (۱/ ۳۹۷)، السنن الكبرى للبيهقى (۸/ ۷۳، ۱۰۰).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۳/ ۳۸۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۴۵)، تاريخ الطبرى (۳/ ۱۳۷).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۰۱- ۲۰۳).

(۴) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۵/ ۳۵۰)، صحيح البخارى (۷/ ۴۳۷۳).

(۵) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۶۹۱)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۳۱۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج ۱،ص:۶۲۶

صلى اللّه عليه و سلم بأنه نبى، فأصفقت معه حنيفة على ذلك. فالله أعلم أى ذلك كان «۱».

و ذكر الواقدى إنه قدم فى وفد بنى حنيفة الرحال بن عنفوة، و أنه كان أيام مقام الوفد يختلف إلى أبى كعب، يتعلم القرآن و شرائع الإسلام، حتى كان الرحال عندهم أفضل من كان وفد عليهم لما يرون من حرصه، فلما تنبأ مسيلمة بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم له الرحال بن عنفوة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أشركه فى الأمر، فافتتن الناس.

وفد همدان

قال ابن هشام «۲»: و قدم وفد همدان على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيهم مالك بن نمط، و أبو ثور، و هو ذو المشعار، و مالك

بن أیفع، و ضمام بن مالک السلمانی، و عمیرة ابن مالک الخارقی، فلقوا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مرجعه من تبوک، و علیهم مقطعات الحبرات، و العمائم العدنیة، برحال المیس علی المهریة و الأرحبیة، و مالک بن نمط و رجل آخر یرتجزان بالقوم، یقول أحدهما:

همدان خیر سوقة و أقیالليس لها فی العالمین أمثال «۳»

محلها الهضب و منها الأبطالها إطابات و آکال «۴» و یقول الآخر:

إلیک جاوزن سواد الریففی هبوات الصیف و الخریف

مخطمات بحبال اللیف «۵»

فقام مالک بن نمط «۶» بین یدیه، ثم قال: یا رسول الله، نصیّة من همدان، من کل حاضر و باد، أتوک علی قلص نواج، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم فی الله لومة لائم، من مخلاف خارف، و یام و شاکر، أهل السواد و القود، أجابوا دعوة الرسول

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۰۲).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۲۰).

(۳) السوقة: الذین دون الملوک من الناس، الأقیال: هم الذین یلون الملک فی المنزلة.

(۴) الهضب: الأمکنة المرتفعة، واحدها هضبة. الأطابات: الأموال الطیبة.

(۵) انظر الأبیات فی: السیرة (۴/ ۲۰۲).

(۶) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۲۳۸)، الإصابة الترجمة رقم (۷۷۱۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۶۵۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۲۷

و فارقوا آلهات الأنصاب، عهدهم لا ینقض ما أقامت لعلع، و ما جری الیعفور بصلع.

فکتب لهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کتابا فیه: «بسم الله الرحمن الرحیم، کتاب من رسول الله لمخلاف خارف، و أهل جناب الهضب، و خقاف الرمل، مع وافدها ذی المشعار مالک بن نمط، و من أسلم من قومه، علی أن لهم فراعها و وهاطها، ما أقاموا الصلاة و آتوا الزکاة، یأکلون علافها، و یرعون عافیها، لهم بذلک عهد الله و ذمام رسوله، و شاهدهم المهاجرون و الأنصار» «۱».

فقال فی ذلک مالک بن نمط «۲»:

ذکرت رسول الله فی فحمة الدجیو نحن بأعلی رحرحان و صلدد

و هن بنا خوض طلائع تغتلیبرکبانها فی لا حب متمدد

علی کل فتلاء الذراعین جسرةتمر بنا مرا لهجف الخفیدد

حلفت برب الراقصات إلی منیصوادی بالرکبان من ظهر قردد

بأن رسول الله فینا مصدقرسول أتی من عند ذی العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلهاأشد علی أعدائه من محمد

و أعطی إذا ما طالب العرف جاءهو أمضی بحد المشرفی المهند

وفد النخع

قال الواقدی: و قدم علی رسول الله وفد النخع، و هم آخر وفد، قدموا للنصف من المحرم سنة إحدی عشرة من الهجرة، فی مائتی رجل، فنزلوا دار الأضیاف، ثم جاءوا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مقرین بالإسلام، و قد کانوا بایعوا معاذ ابن جبل بالیمن. فقال

رجل منهم، یقال له زرارة بن عمرو «۳»: یا رسول الله إنی رأیت فی سفری هذا عجبا، قال: «و ما رأیت»؟ قال: رأیت أتانا ترکتها فی الحی کأنها ولدت جدیا أسفع أحوی، فقال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «هل ترکت أمة لک مصرة علی حمل»؟ قال: نعم، قال: «فإنها قد

---

(۱) ذکره ابن الأثیر فی أسد الغابة (۵/ ۵۱، ۵۲)، ابن حجر فی الإصابة (۶/ ۳۶).

(۲) انظر الأبیات فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۳۲۸)، الإصابة الترجمة رقم (۷۷۱۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۶۵۱)، السیرة (۴/ ۲۲۱- ۲۲۲).

(۳) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۸۱۴)، الإصابة الترجمة رقم (۲۸۰۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۷۳۹)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۸۹)، الثقات (۳/ ۱۴۳)، الوافی بالوفیات (۱۴/ ۱۹۲)، الجرح و التعدیل (۳/ ۲۷۲۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۲۸

ولدت غلاما و هو ابنک»، قال: یا رسول الله، فما باله أسفع أحوی؟ قال: «ادن منی».

فدنا منه، فقال: «هل بک من برص تکتمه؟» قال: و الذی بعثک بالحق، ما علم به أحد، و لا اطلع علیه غیرک. قال: «فهو ذلک». قال: یا رسول الله و رأیت النعمان بن المنذر علیه قرطان و دملجان و مسکتان. قال: «ذلک ملک العرب رجع إلی أحسن زیه و بهجته». قال: یا رسول الله، و رأیت عجوزا شمطاء، خرجت من الأرض. قال: «تلک بقیة الدنیا». قال: و رأیت نارا خرجت من الأرض فحالت بینی و بین ابن لی یقال له:

عمرو، و هی تقول: لظی لظی، بصیر و أعمی، أطعمونی آکلکم (آکلکم): أهلکم و مالکم. قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «تلک فتنة تکون فی آخر الزمان». قال: یا رسول الله، و ما الفتنة؟ قال: «یقتل الناس إمامهم، و یشتجرون اشتجار أطباق الرأس و خالف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بین أصابعه یحسب المسیء فیها أنه محسن، و یکون دم المؤمن أحل من شرب الماء، إن مات ابنک أدرکت الفتنة، و إن مت أنت أدرکها ابنک».

قال: یا رسول الله، ادع الله أن لا أدرکها. فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «اللهم لا یدرکها». فمات و بقی ابنه، و کان ممن خلع عثمان «۱».

و هذا الذی تیسر لنا ذکره من شأن الوفود، و هم أکثر من هذا، و معظم من ذکرنا إنما هو من کتاب الواقدی مع من ذکره ابن إسحاق منهم.

انتهی الجزء الأول و یلیه الجزء الثانی

و أوله «بعث رسول الله إلی الملوک و کتابه إلیهم»

---

(۱) انظر الحدیث فی: طبقات ابن سعد (۵/ ۳۸۸)، الاستیعاب الترجمة رقم (۸۱۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۱،ص:۶۲۹

فهرس محتویات الجزء الأول

مقدمة التحقیق أ

مقدمة المصنف ۳

ذکر نسب رسول الله صلی اللّه علیه و علی آله و سلم تسلیما ۷

ذكر أولية بيت الله المحرم و ركنه المستلم و من تولى بناءه من ملائكته و أنبيائه صلى الله على جميعهم و سلم ۳۰
ذكر دخول الحبشة أرض اليمن و استيلائهم على ملكها و ذكر السبب فى ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل ۸۳
ذكر حفر عبد المطلب زمزم و ما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ۱۰۰
ذكر بنيان قريش الكعبة مع ذكر ما أحدثوه فى المناسك ۱۳۰
ذكر ما حفظ عن الأحبار و الرهبان و الكهان من أمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شىء مما سمع من ذلك عند الأصنام أو هتفت به الهواتف ۱۳۵
ذكر المبعث ۱۶۳
ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ۱۸۵
ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة ۱۹۶
ذكر الحديث عن إسلام عمر بن الخطاب ۲۰۵
ذكر الحديث عن مسرى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ۲۳۳
ذكر خروج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى الطائف بعد مهلكك عمه أبى طالب ۲۴۶
ذكر عرض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نفسه على قبائل العرب ۲۴۹
بدء إسلام الأنصار و ذكر العقبة الأولى ۲۵۸
إسلام سعد بن معاذ و أسيد بن حضير على يدى مصعب بن عمير رضى الله عنه ۲۶۱
ذكر العقبة الثانية ۲۶۴
بدء الهجرة إلى المدينة ۲۷۲
ذكر الحديث عن خروج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ۲۸۱
و أبى بكر الصديق رضى الله عنه مهاجرين إلى المدينة ۲۸۱
شروع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى حرب المشركين و ذكر مغازيه التى أعز الله بها الإيمان و المؤمنين ۳۱۷
غزوة بدر الكبرى ۳۲۴
أمر بنى قينقاع ۳۶۵
سرية زيد بن حارثة ۳۶۶
مقتل كعب بن الأشرف ۳۶۷
غزوة أحد ۳۷۰
غدر عضل و القارة بأصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ۴۰۴
غزوة بئر معونة ۴۰۸
ذكر غزوة بنى النضير و السبب الذى هاج الخروج إليهم ۴۱۰
غزوة ذات الرقاع ۴۱۴
الاكتفاء، الكلاعى ،ج۱،ص:۶۳۰
غزوة الخندق ۴۱۹
مقتل سلام بن أبى الحقيق ۴۴۴
ذكر إسلام عمرو بن العاص و خالد بن الوليد رضى الله عنهما ۴۴۶

غزوة بنى لحيان ۴۴۸

غارة عيينة بن حصن على سرح المدينة و خروج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى أثره، و هى غزوة ذى قرد ۴۴۹

غزوة بنى المصطلق و هى غزوة المريسيع ۴۵۴

غزوة الحديبية ۴۶۴

غزوة خيبر ۴۷۷

عمرة القضاء ۴۹۰

و هى غزوة الأمن ۴۹۰

غزوة مؤتة من أرض الشام ۴۹۲

غزوة الفتح ۴۹۸

غزوة حنين ۵۱۸

غزوة الطائف ۵۳۱

غزوة تبوك ۵۴۷

ذكر إسلام ثقيف ۵۶۱

ذكر حج أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالناس سنة تسع و توجيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على بن أبى طالب بعده بسورة براءة ۵۶۸

السرايا ۵۶۹

ذكر الوفود على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ملخصا من كتاب ابن إسحاق و الواقدى و غيرهما ۵۸۹

وفد بنى تميم ۵۹۰

وفد بنى عامر ۵۹۳

وفد تجيب ۵۹۵

وفد فروة بن مسيك المرادى ۵۹۶

وفد زبيد عمرو بن معدى كرب ۵۹۸

وفد بنى ثعلبة ۵۹۹

وفد بنى سعد هذيم ۶۰۰

وفد بنى فزارة ۶۰۱

وفد بنى أسد ۶۰۲

وفد بهراء ۶۰۳

وفد بنى غدرة ۶۰۳

وفد بلى ۶۰۴

ضمام بن ثعلبة ۶۰۵

وفد عبد القيس ۶۰۷

وفد بنى مرة ۶۰۸

وفد خولان ۶۰۹

وفد محارب ۶۱۰

وفد طیء ۶۱۱

وفد کندة ۶۱۴

وفد صداء ۶۱۵

وفد غسان ۶۱۷

وفد سلامان ۶۱۸

وفد بنی عبس ۶۱۹

وفد الأزد و وفد جرش ۶۱۹

وفد غامد ۶۲۰

وفد بنی الحارث بن کعب ۶۲۱

وفد بنی حنیفة ۶۲۵

وفد همدان ۶۲۶

وفد النخع ۶۲۷

الفهرس ۶۲۹

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳

الجزء الثانی

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

ذکر بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم إلی الملوک، و کتابه إلیهم یدعوهم إلی اللّه و إلی الإسلام

قال ابن هشام «۱»: و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعث إلی الملوک رسلا من أصحابه، و کتب معهم إلیهم یدعوهم إلی الإسلام.

حدثنی من أثق به عن أبی بکر الهذلی قال: بلغنی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خرج علی أصحابه ذات یوم بعد عمرته التی صد عنها یوم الحدیبیة، فقال: «أیها الناس، إن الله قد بعثنی رحمة و کافة، فلا تختلفوا علی کما اختلف الحواریون علی عیسی ابن مریم علیه السلام».

و فی حدیث ابن إسحاق: «إن الله بعثنی رحمة و کافة، فأدوا عنی یرحمکم الله، و لا تختلفوا علی کما اختلف الحواریون علی عیسی»، فقال أصحابه: «و کیف اختلف الحواریون یا رسول الله؟»، فقال: «دعاهم إلی الذی دعوتکم إلیه، فأما من بعثه مبعثا قریبا فرضی و سلم، و أما من بعثه مبعثا بعیدا فکره وجهه و تثاقل، فشکا ذلک عیسی إلی الله تعالی فأصبح المتثاقلون و کل واحد منهم یتکلم بلغة الأمة التی بعث إلیها» «۲».

فبعث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم دحیة بن خلیفة الکلبی «۳» إلی قیصر ملک الروم، و بعث عبد الله بن حذافة السهمی «۴» إلی کسری ملک فارس، و بعث عمرو بن أمیة

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۳۱).

(۲). انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۰۵، ۳۰۶)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۷۳۴).

(۳). انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۷۰۰)، الإصابة الترجمة رقم (۲۳۹۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۵۰۷)، التاريخ الكبير (۳/ ۲۵۴)، تاريخ الطبرى (۲/ ۵۸۲)، أنساب الأشراف (۱/ ۳۷۷)، الجرح و التعديل (۳/ ۴۳۹)، العقد الفريد (۲/ ۳۴)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۵۶)، الأنساب لابن السمعانى (۱۰/ ۴۵۲)، تهذيب الكمال (۸/ ۴۷۳)، تهذيب التهذيب (۳/ ۵۰۶)، خلاصة تهذيب الكمال (۱۱۲)، الوافى بالوفيات (۴/ ۵۱)، تاريخ الإسلام (۱/ ۴۸).

(۴). انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۵۲۶)، الإصابة الترجمة رقم (۴۶۴۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۸۹۱)، خلاصة تذهيب الكمال (۲/ ۴۹)، المعرفة و التاريخ (۱/ ۲۵۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴

الضمرى «۱» إلى النجاشى ملك الحبشة، و بعث حاطب بن أبى بلتعة «۲» إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، و بعث عمرو بن العاص إلى جيفر و عبد «*» ابنى الجلندى ملك عمان، و بعث سليط بن عمرو «۳» أحد بنى عامر بن لؤىّ إلى ثمامة بن أثال، و هوذة بن على الحنفيين ملكى اليمامة؛ و بعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين؛ و بعث شجاع بن وهب الأسدى «۴» إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام «۵».

و يقال: بعثه إلى جبلة بن أيهم الغسانى، و بعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن.

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى قيصر، و ما كان من خبر دحية معه «۶»

ذكر الواقدى من حديث ابن عباس، و من حديثه خرج فى الصحيحين: أن رسول

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۹۱۳)، الإصابة الترجمة رقم (۵۷۸۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۸۶۲)، سير أعلام النبلاء (۳/ ۱۷۹)، تهذيب التهذيب (۸/ ۶)، تقريب التهذيب (۲/ ۶۵)، خلاصة تهذيب الكمال (۲/ ۲۸۰)، الاستبصار (۷۸)، الأعلام (۵/ ۷۳)، المعرفة و التاريخ (۱/ ۳۲۵)، الرياض المستطابة (۲۱۴)، التحفة اللطيفة (۳/ ۲۹۱).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۴۷۲)، الإصابة الترجمة رقم (۱۵۴۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۰۱۱)، تاريخ خليفة (۱۶۶)، الجرح و التعديل (۳/ ۳۰۳)، تهذيب التهذيب (۲/ ۱۶۸)، تاريخ الإسلام (۲/ ۸۵)، شذرات الذهب (۱/ ۳۷).

(*) كذا فى الأصل، و فى السيرة: «عياذ».

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۰۴۵)، الإصابة الترجمة رقم (۳۴۳۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۲۰۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۳۵)، الجرح و التعديل (۴/ ۱۲۲۸)، الثقات (۳/ ۱۸۱)، المصباح المضىء (۱/ ۲۷۰، ۲/ ۷۴).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۱۹۹) «و فيه قال ابن عبد البر: شجاع بن أبى وهب و يقال: ابن وهب». الإصابة الترجمة رقم (۳۸۵۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۳۸۸).

(۵) انظر: السيرة (۴/ ۲۳۱).

(۶) راجع: صحيح البخارى (۴/ ۱۱۹، ۱۲۲)، دلائل النبوة لأبى نعيم (۳۴۳، ۳۴۸)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۳۷۷، ۳۸۶)، تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴، ۶۴۶، ۶۵۱)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۷۷، ۷۸)، المصباح المضىء (۲/ ۷۶، ۱۲۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵

الله صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، و بعث بكتابه مع دحية الكلبى، و أمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى، ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر، و كان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكرا لله جل و عز فيما أبلاه من ذلك، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: التمسوا لنا هاهنا أحدا من قومه نسألهم عنه.

قال ابن عباس: فأخبرنى أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام فى رجال من قريش، قدموا تجارا، و ذلك فى الهدنة التى كانت بين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بين كفار قريش، قال:

فأتانا رسول قيصر، فانطلق بنا حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس فى مجلس ملكه عليه التاج، و حوله، عظماء الروم، فقال لترجمانه: سلهم، أيهم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى، قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبا، و ليس فى الركب يومئذ رجل من بنى عبد مناف غيرى، قال قيصر: أدنوه منى، ثم أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه، إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى، و إنما جعلتم خلف كتفيه لتردوا عليه كذبا إن قاله، قال أبو سفيان: فو الله لو لا الحياء يومئذ من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه، و لكنى استحييت فصدقته و أنا كاره، ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ فقلت هو فينا ذو نسب قال: قل له هل قال هذا القول منكم أحد قبله؟، قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: قلت: لا، قال: هل كان من آبائه ملك؟

قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم قال: فهل يزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن دخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، و نحن الآن منه فى مدة، و نحن لا نخاف غدره، و فى رواية: و نحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها.

قال أبو سفيان: و لم تمكنى كلمة أغمزه بها لا أخاف على فيها شيئا غيرها. قال:

فهل قاتلتموه؟، قلت: نعم، قال: فكيف حربكم و حربه؟، قلت: دول سجال، ندال عليه مرة و يدال علينا أخرى، قال: فما يأمركم به؟، قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، و ينهانا عما كان يعبد آباؤنا، و يأمرنا بالصلاة و الصدق و العفاف و الوفاء بالعهد و أداء الأمانة، فقال لترجمانه: قل له: إنى سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب، و كذلك الرسل تبعث فى نسب قومها، و سألتك: هل قال هذا القول منكم أحد قبله، فزعمت أن لا، فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتم بقول قيل قبله،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶

و سألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس و يكذب على الله، و سألتك هل كان من آبائه ملك، فقلت: لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه، و سألتك:

أ أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فقلت: ضعفاؤهم، و هم أتباع الرسل، و سألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، و كذلك الإيمان حتى يتم، و سألتك: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فزعمت أن لا، و كذلك الإيمان حتى تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، و سألتك: هل قاتلتموه، فقلت: نعم، و أن حربكم و حربه دول سجال، و يدال عليكم مرة، و تدالون عليه أخرى و كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، و سألتك: ما ذا يأمركم به، فزعمت أنه يأمركم بالصلاة و الصدق و العفاف و الوفاء بالعهد، و أداء الأمانة، و هو نبى، و قد كنت أعلم أنه خارج لكم و لكن لم أظن أنه فيكم، و إن كان ما أتانى عنه حقا، فيوشك أن يملك موضع قدمى هاتين، و لو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقيه، و لو كنت عنده لغسلت قدميه.

قال أبو سفيان: «ثم دعا بكتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقرئ، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى أدعوك بداعية الإسلام، أسلم لتسلم، و أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم، أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا، و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون».

قال أبو سفيان: فلما قضى مقالته و فرغ الكتاب علت أصوات الذين حوله و كثر لغطهم، فلا أدرى ما قالوا، و أمر بنا فأخرجنا، فلما خرجت أنا و أصحابى و خلصنا، قلت لهم: لقد أمر أمر ابن أبى كبشة، هذا ملك بنى الأصفر يخافه، قال: فو الله ما زلت ذليلا مستيقنا أن أمره سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام «۱».

و فى حديث غير هذا، ذكره أيضا الواقدى عن محمد بن كعب القرظى أن دحية الكلبى لقى قصر بحمص لما بعثه إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قيصر ماش من قسطنطينة إلى إيلياء فى نذر كان عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشى حافيا من قسطنطينة، فقال لدحية قومه لما بلغ قيصر: إذا رأيته فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك.

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۶/ ۴۵)، سنن أبى داود (۵۱۳۶)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۳/ ۴۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷

قال دحية: لا أفعل هذا أبدا، و لا أسجد لغير الله عز و جل، قالوا: إذ لا يؤخذ كتابك، و لا يكتب جوابك، قال: و إن لم يأخذه، فقال له رجل منهم: أدلك على أمر يأخذ فيه كتابك، و لا يكلفك فيه السجود. قال دحية: و ما هو؟ قال: إن له على كل عقبة منبرا يجلس عليه، فضع صحيفتك تجاه المنبر، فإن أحد لا يحركها حتى يأخذها هو، ثم يدعو صاحبها فيأتيه. قال: أما هذا فسأفعل، فعمد إلى منبر من تلك المنابر التى يستريح عليها قيصر، فألقى الصحيفة، فدعا بها فإذا عنوانها كتاب العرب، فدعا الترجمان الذى يقرأ بالعربية، فإذا فيه: «من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم»، فغضب أخ لقيصر يقال له: نياق، فضرب فى صدر الترجمان ضربة شديدة، و نزع الصحيفة منه، فقال له قيصر: ما شأنك، أخذت الصحيفة؟ فقال: تنظر فى كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك؟

و سماك قيصر صاحب الروم، و ما ذكر لك ملكا. فقال له قيصر: إنك و الله ما علمت أحمق صغيرا، مجنون كبيرا، أ تريد أن تخرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه، فلعمرى لئن كان رسول الله كما يقول، لنفسه أحق أن يبدأ بها منى، و إن كان سمانى صاحب الروم لقد صدق، ما أنا إلا صاحبهم و ما أملكهم، و لكن الله عز و جل سخرهم لى، و لو شاء لسلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه.

ثم فتح الصحيفة، فإذا فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى قيصر صاحب الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ الآية إلى قوله: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۶۴] فى آيات من كتاب الله يدعوه إلى الله و يزهده فى ملكه و يرغبه فيما رغبه الله فيه من الآخرة، و يحذره بطش الله و بأسه» «۱».

و فى حديث غير الواقدى أن دحية لما لقى قيصر قال له: يا قيصر، أرسلنى إليك من هو خير منك، و الذى أرسله خير منه و منك، فاسمع بذل، ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تذلل لم تفهم، و إن لم تنصح لم تنصف. قال: هات. قال: هل تعلم أن المسيح كان يصلى؟. قال: نعم، قال: فإنى ادعوك إلى من كان المسيح يصلى له، و أدعوك إلى من دبر خلق السموات و الأرض و المسيح فى بطن أمه، و أدعوك إلى هذا النبىّ الأمى، الذى بشر به موسى و بشر به عيسى ابن مريم بعده، و عندك من ذلك أثاره من علم تكفى عن العيان و تشفى عن الخبر فإن أجبت كانت لك الدنيا و الآخرة، و إلا ذهبت عنك الآخرة

---

(۱) انظر الحديث فى: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۵/ ۲۲۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۰۲۷۸، ۳۰۳۳۷)، دلائل النبوة لأبى نعيم (۱۲۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۰۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸

و شوركت فى الدنيا، و أعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة و يغير النعم.

فأخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه و رأسه، و قبله، ثم قال: أما و الله، ما تركت كتابا إلا قرأته، و لا عالما إلا سألته، فما رأيت إلا

خیرا، فأمهلنی حتی أنظر من کان المسیح یصلی له، فإنی أکره أن أجیبک الیوم بأمر أری غدا ما هو أحسن منه، فأرجع عنه، فیضرنی ذلک و لا ینفعنی، أقم حتی أنظر.

و یروی أن قیصر لما سأل أبا سفیان بن حرب عما سأله عنه من أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حسبما تقدم، و أخبره به قال: و الذی نفسی بیده لیوشکن أن یغلب علی ما تحت قدمی، یا معشر الروم، هلم إلی أن نجیب هذا الرجل إلی ما دعا إلیه، و نسأله الشام أن لا توطأ علینا أبدا، فإنه لم یکتب نبی من الأنبیاء قط إلی ملک من الملوک یدعوه إلی الله فیجیبه إلی ما دعاه إلیه، ثم یسأله عندها مسألة إلا أعطاه مسألته ما کانت، فأطیعونی، فلنجبه و نسأله أن لا توطأ الشام. قالوا: لا نطاوعک فی هذا أبدا، تکتب إلیه تسأله ملکک الذی تحت رجلیک، و هو هنالک لا یملک من ذلک شیئا، فمن أضعف منک.

و فی هذا الحدیث عن أبی سفیان أنه قال لقیصر لما سأله عن النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فی جملة ما أجابه:

أیها الملک، أ لا أخبرک خبرا تعرف به أنه قد کذب؟. قال: و ما هو؟ قلت: إنه زعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فی لیلة فجاء مسجدکم هذا مسجد إیلیاء و رجع إلینا فی تلک اللیلة قبل الصباح. قال: و بطریق إیلیاء عند رأس قیصر، فقال: قد علمت تلک اللیلة، قال: فنظر إلیه قیصر، و قال: و ما علمک بهذا؟ قال: إنی کنت لا أنام لیلة أبدا حتی أغلق أبواب المسجد، فلما کانت تلک اللیلة أغلقت الأبواب کلها غیر باب واحد غلبنی، فاستعنت علیه عمالی و من یحضرنی فلم نستطع أن نحرکه، کأنما نزاول جبلا، فدعوت النجارین فنظروا إلیه فقالوا: هذا باب سقط علیه النجاف و البنیان، فلا نستطیع أن نحرکه حتی نصبح، فننظر من أین أتی، فرجعت و ترکت البابین مفتوحین، فلما أصبحت غدوت علیهما فإذا الحجر الذی فی زاویة المسجد مثقوب، و إذا فیه أثر مربط الدابة، فقلت لأصحابی: ما حبس هذا الباب اللیلة إلا علی نبی، و قد صلی اللیلة فی مسجدنا هذا.

فقال قیصر لقومه: یا معشر الروم، أ لستم تعلمون أن بین عیسی و بین الساعة

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹

نبی بشرکم به عیسی ابن مریم، ترجون أن یجعله الله فیکم؟ قالوا: بلی، قال: فإن الله قد جعله فی غیرکم، فی أقل منکم عددا، و أضیق منکم بلدا، و هی رحمة الله عز و جل یضعها حیث یشاء «۱».

و فی الصحیح من الحدیث أن هرقل لما تحقق أمر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بما کان یجده فیما عندهم من العلم أذن لعظماء الروم فی دسکرة له بحمص، و أمر بالأبواب فغلقت، ثم طلع علیهم، فقال: یا معشر الروم، هل لکم فی الفلاح و الرشد، و أن یثبت لکم ملککم، و أن تتبعوا ما قال عیسی ابن مریم؟ قالوا: و ما ذاک أیها الملک؟ قال: تتبعون هذا النبیّ العربی. قال: فحاصوا حیصة حمر الوحش و استجالوا فی الکنیسة و تناخروا، و رفعوا الصلب، و ابتدروا الأبواب، فوجدوها مغلقة، فلما رأی هرقل ما رأی یئس من إسلامهم و خافهم علی ملکه، فقال: ردوهم علی، فردوهم، فقال: إنما قلت لکم ما قلت لأخبر کیف صلابتکم فی دینکم، فقد رأیت منکم الذی أحب، فسجدوا له و رضوا عنه، فکان ذلک آخر شأنهم «۲».

و یروی أن قیصر لما انتهی مع قومه إلی ما ذکر، و یئس من إجابتهم کتب مع دحیة جواب کتابه الذی جاءه به، یقول فیه للنبی صلی اللّه علیه و سلم: إنی مسلم، و لکنی مغلوب علی أمری.

و أرسل إلیه بهدیة، فلما قرأ رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کتابه قال: «کذب عدو الله، لیس بمسلم، بل هو علی نصرانیته»، و قبل هدیته، و قسمها بین المسلمین.

و قال دحیة فی قدومه:

ألا هل أتاها علی نأیهابأنی قدمت علی قیصر

فقررته بصلاة المسیحو کانت من الجوهر الأحمر

و تدبیر ربک أمر السماء و الأرض فأغضی و لم ینکر

و قلت تفز ببشرى المسيحفقال سأنظر قلت انظر

فكاد يقر بأمر الرسولفمال إلى البدل الأعور

فشك و جاشت له نفسهو جاشت نفوس بنى الأصفر

على وضعه بيديه الكتابعلى الرأس و العين و المنخر

فأصبح قيصر فى أمرهبمنزلة الفرس الأشقر

(۱) انظر: التخريج السابق.

(۲) انظر: التخريج السابق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰

ذكر توجه عبد الله بن حذافة إلى كسرى بكتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و ما كان من خبره معه «۱»

و كسرى هذا هو أبرويز بن هرمز، أنو شروان، و معنى أبرويز: المظفر، فيما ذكره المسعودى، و هو الذى كان غلب الروم، فأنزل الله فى قصتهم: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ [۱- ۳: الروم]، و أدنى الأرض فيما ذكر الطبرى هى بصرى و فلسطين، و أذرعات من أرض الشام.

و ذكر الواقدى من حديث الشفاء بنت عبد الله، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعث عبد الله بن حذافة السهمى منصرفه من الحديبية إلى كسرى، و بعث معه كتابا مختوما فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله، و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، ادعوك بداعية الله، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، و يحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت، فعليك إثم المجوس». قال عبد الله بن حذافة، فانتهيت إلى بابه، فطلبت الإذن عليه حتى وصلت إليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقرئ عليه، فأخذه و مزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال:

«مزق ملكه» «۲».

و ذكر أبو رفاعة، وثيمة بن موسى بن الفرات، قال: لما قدم عبد الله بن حذافة على كسرى قال: يا معشر الفرس، إنكم عشتم بأحلامكم لعدة أيامكم بغير نبى و لا كتاب، و لا تملك من الأرض إلا ما فى يديك، و ما لا تملك منها أكثر، و قد ملك الأرض قبلك ملوك أهل الدنيا و أهل الآخرة، فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا، وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة، فاختلفوا فى سعى الدنيا و استووا فى عدل الآخرة، و قد صغر هذا الأمر عندك، أنا أتيناك به، و قد و الله جاءك من حيث خفت، و ما تصغيرك إياه بالذى يدفعه عنك، و لا تكذيبك به بالذى يخرجك منه، و فى وقعة ذى قار على ذلك دليل.

فأخذ الكتاب فمزقه، ثم قال: لى ملك هنى، لا أخشى أن أغلب عليه، و لا أشارك فيه،

(۱) راجع: صحيح البخارى (۴/ ۱۱۹)، تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴، ۶۵۴، ۶۵۷)، دلائل النبوة لأبى نعيم (۳۴۸، ۳۵۱)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۳۸۷، ۳۹۲)، المصباح المضىء (۲/ ۱۸۰، ۲۲۷)، أعلام النبوة للماوردى (۹۷، ۹۸).

(۲) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۶/ ۳۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱

و قد ملك فرعون بنى إسرائيل، و لستم بخير منهم، فما يمنعنى أن أملككم و أنا خير منه، فأما هذا الملك فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب، و أنتم أولئك تشبع بطونكم و تأبى عيونكم، فأما وقعة ذى قار فهى بوقعة الشام.

فانصرف عنه عبد الله، و قال فى ذلك:

أبى الله إلا أن كسرى فريسةلأول داع بالعراق محمدا

تقاذف فى فحش الجواب مصغرالأمر العريب الخائفين له الردا

فقلت له أرود فإنك داخلمن اليوم فى بلوى و منتهب غدا

فأقبل و أدبر حيث شئت فإننالنا الملك فابسط للمسالمة اليدا

و إلا فأمسك قارعا سن نادمأقر بذل الخرج أو مت موحدا

سفهت بتخريق الكتاب و هذهبتمزيق ملك الفرس يكفى مبددا و يروى أن كسرى رأى فى النوم بعد أن أخبر بخروج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و نزوله يثرب أن سلما وضع فى الأرض إلى السماء، و حشر الناس حوله، إذ أقبل رجل عليه عمامة، و إزار أو رداء، فصعد السلم حتى إذا كان بمكان منه نودى: أين فارس و رجالها و نساؤها و لامتها و كنوزها؟ فأقبلوا، فجعلوا فى جوالق، ثم رفع الجوالق إلى ذلك الرجل، فأصبح كسرى تعس النفس، محزونا لتلك الرؤيا، و ذكرها لأساورته، فجعلوا يهونون عليه الأمر، فيقول كسرى: هذا أمر تراد به فارس، فلم يزل مهموما حتى قدم عليه عبد الله بن حذافة بكتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يدعوه إلى الإسلام.

و ذكر الواقدى من حديث أبى هريرة و غيره أن كسرى بينا هو فى بيت كان يخلو فيه إذا رجل قد خرج إليه فى يده عصا، فقال: يا كسرى، إن الله قد بعث رسولا، و أنزل عليه كتابا، فأسلم تسلم، و اتبعه يبق لك ملكك قال كسرى: أخر هذا عنى أثرا ما، فدعا حجابه و بوابيه، فتواعدهم، و قال: من هذا الذى دخل على؟ قالوا: و الله، ما دخل عليك أحد، و ما ضيعنا لك بابا، و مكث حتى إذا كان العام المقبل أتاه فقال له مثل ذلك، و قال: إن لا تسلم أكسر العصا. قال: لا تفعل، أخر ذلك أثرا ما، ثم جاء العام المقبل، ففعل مثل ذلك، و ضرب بالعصا على رأسه فكسرها، و خرج من عنده، و يقال أن ابنه قتله فى تلك الليلة، و أعلم الله بذلك رسوله عليه السلام بحدثان كونه فأخبر صلى اللّه عليه و سلم بذلك رسل باذان إليه.

و كان باذان عامل كسرى على اليمن، فلما بلغه ظهور النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و دعاؤه إلى الله، كتب إلى باذان: أن ابعث إلى هذا الرجل الذى خالف دين قومه، فمره فليرجع إلى دين قومه، فإن أبى فابعث إلى برأسه، و إلا فليواعدك يوما تقتتلون فيه، فلما ورد كتابه إلى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲

باذان، بعث بكتابه مع رجلين من عنده، فلما قدما على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنزلهما و أمرهما بالمقام فأقاما أياما، ثم أرسل إليهما رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ذات غداة، فقال: «انطلقا إلى باذان فأعلماه أن ربى عز و جل قد قتل كسرى فى هذه الليلة»، فانطلقا حتى قدما على باذان، فأخبراه بذلك، فقال: إن يكن الأمر كما قال فو الله إن الرجل لنبى، و سيأتى الخبر بذلك إلى يوم كذا، فأتاه الخبر كذلك، فبعث باذان بإسلامه و إسلام من معه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و يقال: إن الخبر أتاه بمقتل كسرى و هو مريض، فاجتمعت إليه أساورته، فقالوا: من تؤمر علينا. فقال لهم: ملك مقبل و ملك مدبر، فاتبعوا هذا الرجل، و ادخلوا فى دينه و أسلموا. و مات باذان، فبعث رءوسهم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم وفدهم يعرفونه بإسلامهم.

ذكر إسلام النجاشى، و كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إليه مع عمرو بن أمية الضمرى «۱»

قال ابن إسحاق: لما وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رسله إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وجه إلى النجاشى عمرو بن

أميـة، فقال له: يا أصـحمة، إن على القول، و عليك الاسـتماع، إنك كأنك فى الرقة علينا منا، و كأنا فى الثقة بك منك، لأنا لن نظن بك خيرا قط إلا نلناه، و لم نخفك على شـيء قط إلا أمناه، و قـد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا و بينك شاهد لا يرد، و قـاض لا يجور، و فى ذلك وقع الحز و إصابـة المفصل، و إلا فأنت فى هـذا النبىّ الأمى كاليهود فى عيسـى ابن مريم، و قـد فرق النبىّ صلى اللّه عليـه و سلم رسـله إلى النـاس، فرجـاك لمـا لم يرجهم له، و أمنـك على مـا خـافهم عليه، لخير سـالف و أجر ينتظر، فقـال النجاشـى: أشـهد بالله أنه للنبى الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب، و أن بشارة موسـى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، و أن العيان ليس بأشفى من الخبر.

و ذكر الواقـدى أن الكتـاب الـذى كتبه رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم إلى النجاشـى مع عمرو ابن أميـة الضـمرى هو هـذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشـى ملك الحبشة. سلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن

---

(۱) راجع: صحيح البخارى (۲/ ۱۸۴، ۱۸۵)، صحيح مسلم (۳/ ۵۴، ۵/ ۱۱۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۴۱۰، ۴۱۲)، تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴/ ۶۵۲، ۶۵۴)، المصباح المضىء لابن حديدة (۲/ ۱۷، ۷۵)، الأسماء المبهمة للخطيب البغدادى (۲۱، ۲۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳

المهيمن، و أشـهد أن عيسـى ابن مريم روح الله و كلمته، ألقاهـا إلى مريم البتول الطيبـة الحصـينة، فحملت بعيسـى، فخلقه من روحه و نفخه كما خلق آدم بيده.

و إنى أدعوك إلى الله وحده لا شـريك له، و الموالاة على طاعته، و أن تتبعنى و تؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله، و إنى أدعوك و جنودك إلى الله عز و جل، فقد بلغت و نصحت، فأقبلوا نصيحتى، و السلام على من اتبع الهدى».

فكتب إليه النجاشـى: بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله، من النجاشـى أصـحمة. سـلام عليك يا رسول الله من الله و رحمة الله و بركات الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسـى، فو رب السـماء و الأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا، إنه كما ذكرت، و قـد عرفنا ما بعثت به إلينا، و قـد قربنا ابن عمك و أصـحابه، فأشـهد أنك رسول الله صادقا مصـدقا، و قد بايعتك و بايعت ابن عمك، و أسلمت على يديه لله رب العالمين «۱».

و ذكر الواقدى عن سـلمة بن الأكوع أن النجاشـى توفى فى رجب سـنة تسع، منصرف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عن تبوك، قال سلمة: صلى بنا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الصبح، ثم قال:

«إن أصحمة النجاشى قد توفى هذه الساعة، فاخرجوا بنا إلى المصلى حتى نصلى عليه»، قال سلمة: فحشد الناس و خرجنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سـلم إلى المصلى، فرأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقدمنا و إنا لصفوف خلفه، و أنا فى الصف الرابع، فكبر بنا أربعا «۲».

كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المقوقس صاحب الإسكندرية مع حاطب بن أبى بلتعة «۳»

و لمـا وجه رسول الله صـلى اللّه عليه و سـلم رسـله إلى الملوك، بعث حاطبـا إلى المقوقس صاحب الإسـكندرية بكتاب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله رسول الله، إلى

---

(۱) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (۳/ ۸۳).

(۲) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (۱۵۳۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۳۹).

(۳) راجع تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴، ۶۴۵)، دلائل النبوة للبيهقى (۴/ ۳۹۵، ۳۹۶)، المصباح المضىء لابن حديدة (۲/ ۱۲۵- ۱۷۹)، مروج الذهب للمسعودى (۲/ ۲۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴

المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، و أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: ۶۴]. و ختم الكتاب «۱».

فخرج به حاطب حتى قدم عليه الإسكندرية، فانتهى إلى حاجبه، فلم يلبثه أن أوصل إليه كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قال حاطب للمقوقس لما لقيه: «إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة و الأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، و لا يعتبر بك».

قال: هات. قال: «إن لك دينا لن تدعه إلا لما هو خير منه، و هو الإسلام الكافى به الله، فقد ما سواه، إن هذا النبىّ صلى اللّه عليه و سلم دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، و أعداهم له يهود، و أقربهم منه النصارى، و لعمرى ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى اللّه عليه و سلم و ما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، و كل نبى أدرك قوما، فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركه هذا النبىّ، و لسنا ننهاك عن دين المسيح، و لكنا نأمرك به». فقال المقوقس: «إنى قد نظرت فى أمر هذا النبىّ، فوجدته لا- يأمر بمزهود فيه، و لا- ينهى إلا- عن مرغوب عنه، و لم أجده بالساحر الضال، و لا الكاهن الكاذب، و وجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء و الإخبار بالنجوى، و سأنظر.

و أخذ كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فجعله فى حق من عاج و ختم عليه، و دفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك. أما بعد، فقد قرأت كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه، و ما تدعو إليه. و قد علمت أن نبيا قد بقى، و كنت أظن أنه يخرج بالشام، و قد أكرمت رسولك، و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، و بكسوة، و أهديت لك بغلة لتركبها. و السلام عليك». و لم يزد على هذا، و لم يسلم. و هاتان الجاريتان اللتان ذكرهما، إحداهما مارية أم إبراهيم ابن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أختها سيرين، و هى التى وهبها النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لحسان بن ثابت فولدت له ابنه عبد الرحمن، و البغلة هى دلدل، و كانت بيضاء. و قيل: إنه لم يكن فى العرب يومئذ غيرها، و إنها بقيت إلى زمان معاوية.

---

(۱) انظر: التخريج السابق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵

و ذكر الواقدى بإسناد له: أن المقوقس أرسل إلى حاطب ليلة و ليس عنده أحد إلا ترجمان له يترجم بالعربية، فقال له: أ لا تخبرنى عن أمور أسألك عنها و تصدقنى؟ فإنى أعلم أن صاحبك قد تخيرك من بين أصحابه حيث بعثك، فقال له حاطب: لا تسألنى عن شىء إلا- صدقتك، فسأله عن: ما ذا يدعو إليه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و من أتباعه، و هل يقاتل قومه؟ فأجابه حاطب عن ذلك كله، ثم سأله عن صفته، فوصفه حاطب و لم يستوف، فقال له: بقيت أشياء لم أرك تذكرها، فى عينيه حمرة، قل ما تفارقه، و بين كتفيه خاتم النبوة، و يركب الحمار، و يلبس الشملة، و يجتزى بالتمرات و الكسرة، و لا يبالى من لاقى من عم و ابن عم.

قال حاطب: فهذه صفته. قال: كنت أعلم أنه بقى نبى، و كنت أظن أن مخرجه و منبته بالشام، و هناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى العرب فى أرض جهد و بؤس، و القبط لا- يطاوعونى فى اتباعه، و لا أحب أن تعلم بمحاورتى إياك، و أنا أضن بملكى أن

أفارقه، و سيظهر على البلاد، و ينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده حتى يظهر على ما هاهنا، فارجع إلى صاحبك، فقد أمرت له بهدايا و جاريتين أختين فارهتين، و بغلة من مراكبى، و ألف مثقال ذهبا، و عشرين ثوبا من لين، و غير ذلك، و أمرت لك بمائة دينار و خمسة أثواب. فارحل من عندى و لا تسمع منك القبط حرفا واحدا.

فرجعت من عنده و قد كان لى مكرما فى الضيافة، و قلة اللبث ببابه، ما أقمت عنده إلا خمسة أيام، و إن الوفود، وفود العجم ببابه منذ شهر و أكثر. قال حاطب: فذكرت قوله لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: «ضن الخبيث بملكه، و لا بقاء لملكه».

ذكر كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المنذر بن ساوى العبدى مع العلاء بن الحضرمى بعد انصرافه من الحديبية «۱»

ذكر الواقدى بإسناد له عن عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب فى كتب ابن عباس بعد موته، فنسخته، فإذا فيه: بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم العلاء بن الحضرمى، إلى المنذر بن

(۱) راجع: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۵)، الروض الأنف للسهيلى (۴/ ۲۵۰)، المصباح المضىء (۲/ ۳۳۵، ۳۳۸)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶

ساوى «۱»، و كتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فكتب يعنى المنذر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أما بعد، يا رسول الله، فإنى قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحب الإسلام، و أعجبه، و دخل فيه، و منهم من كرهه، و بأرضى مجوس و يهود، فأحدث إلى فى ذلك أمرك».

فكتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى المنذر ابن ساوى، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، و أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله. أما بعد، فإنى أذكرك الله عز و جل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، و إنه من يطع رسلى و يتبع أمرهم فقد أطاعنى، و من نصح لهم فقد نصح لى، و إن رسلى قد أثنوا عليك خيرا، و إنى قد شفعتك فى قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، و عفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، و إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، و من أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية» «۲».

و ذكر غير الواقدى أن العلاء بن الحضرمى لما قدم على المنذر بن ساوى قال له: يا منذر، إنك عظيم العقل فى الدنيا، فلا تصغرن من الآخرة، إن هذه المجوسية شردين، ليس فيها تكرم العرب، و لا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحى من نكاحه، و يأكلون ما يتكرم عن أكله، و يعبدون فى الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة، و لست بعديم عقل و لا أرى، فانظر: هل ينبغى لمن لا يكذب أن تصدقه، و لمن لا يخون أن تأتمنه، و لمن لا يخلف أن تثق به، فإن كان هذا هكذا فهو هذا النبىّ الأمى الذى و الله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به أو ليته زاد فى عفوه أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل و فكر أهل البصر.

فقال المنذر: قد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة، و نظرت فى دينكم فوجدته للآخرة و الدنيا، فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة و راحة الموت، و لقد عجبت أمس ممن يقبله، و عجبت اليوم ممن يدره، و إن من إعظام ما جاء به أن يعظم رسوله، و سأنظر.

و ذكر ابن إسحاق و الواقدى و سيف و الطبرى و غيرهم أن المنذر لما وصله العلاء الاكتفاء، الكلاعى ج۲ ۱۶ ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المنذر بن ساوى العبدى مع العلاء بن الحضرمى بعد انصرافه من الحديبية ..... ص : ۱۵

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۵۱۵)، الإصابة الترجمة رقم (۸۲۳۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۱۰۶).

(۲) انظر التخريج السابق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷

برسالة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كتابه أسلم فحسن إسلامه. و زاد الواقدى: أن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم استقدم العلاء بن الحضرمى، فاستخلفه العلاء مكانه على عمله.

و ذكر ابن إسحاق و غيره أن المنذر توفى قبل ردة أهل البحرين و العلاء عنده أميرا لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم على البحرين.

و ذكر ابن قانع أن المنذر وفد على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و لا يصح ذلك إن شاء الله.

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى جيفر و عبد ابنى الجلندى الأزديين، ملكى عمان، مع عمرو بن العاص «۱»

ذكر الواقدى بإسناد له إلى عمرو بن العاص أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعث نفرا سماهم إلى جهات مختلفة برسم الدعاء إلى الإسلام.

قال عمرو: فكنت أنا المبعوث إلى جيفر و عبد ابنى الجلندى، و كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم معى كتابا.

قال: و أخرج عمرو الكتاب، فإذا صحيفة أقل من الشبر، فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى جيفر و عبد ابنى الجلندى، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى أدعوكما بداعية الإسلام، أسلما تسلما، فإنى رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، و يحق القول على الكافرين، و إنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، و إن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، و خيلى تحل بساحتكما، و تظهر نبوتى على ملككما» و كتب أبى بن كعب، و ختم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الكتاب.

ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد، و كان أحلم الرجلين و أسهلهما خلقا، فقلت: إنى رسول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إليك و إلى أخيك، فقال:

أخى المقدم على بالسن و الملك، و أنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال لى: و ما تدعو إليه؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، و تخلع ما عبد من دونه، و تشهد أن محمدا عبده و رسوله. قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك؟ فإن لنا

---

(۱) راجع: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۵)، الروض الأنف للسهيلى (۴/ ۲۵۰)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸

فيه قدوة. قلت: مات، و لم يؤمن بمحمد صلى اللّه عليه و سلم و ودت أنه كان أسلم و صدق به، و قد كنت أنا على مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريبا، فسألنى أين كان إسلامى؟ قلت: عند النجاشى، و أخبرته أن النجاشى قد أسلم، قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه و اتبعوه، قال: و الأساقفة و الرهبان تبعوه، قلت: نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة فى رجل واحد أفضح له من كذب. قلت: ما كذبت، و ما نستحله فى ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى.

قلت: بلى. قال: بأى شىء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشى يخرج له خرجا، فلما أسلم و صدق بمحمد صلى اللّه عليه و سلم قال: لا، و الله لو سألنى درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له نياق أخوه: أ تدع عبدك لا يخرج لك خرجا، و يدين دينا محدثا؟ قال هرقل: رجل رغب فى دين و اختاره لنفسه، ما أصنع به، و الله لو لا الضن لملكى لصنعت كما صنعوا. قال: انظر ما تقول يا عمر، قلت: و الله صدقتك. قال عبد: فأخبرنى ما الذى يأمر به و ينهى عنه. قلت: يأمر بطاعة الله عز و جل و ينهى عن معصيته، و يأمر بالبر و صلة الرحم، و ينهى عن الظلم و العدوان، و عن الزنا و شرب الخمر، و ينهى عن عبادة الحجر و الوثن و الصليب. فقال: ما أحسن هذا الذى يدعو إليه، لو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد و نصدق به، و لكن أخى أضن بملكه من أن يدعه و يصير ذنبا.

قلت: إنه إن أسلم ملكه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم. فقال: إن هذا لخلق حسن، و ما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الصدقات فى الأموال حتى انتهيت إلى الإبل. فقال: يا عمرو، تؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى الشجر و ترد المياه. فقلت: نعم.

فقال: و الله، ما أرى قومى فى بعد دارهم و كثرة عددهم يطيعون بهذا. قال: فمكثت ببابه أياما و هو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى، ثم إنه دعانى يوما فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعى، فقال: دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعونى أجلس، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوما، ففض خاتمه، فقرأه حتى انتهى إلى آخره. ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أنى رأيت أخاه أرق منه، ثم قال: أ لا تخبرنى عن قريش، كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه، إما راغب فى الدين، و إما مقهور بالسيف. قال: و من معه؟ قلت: الناس، قد رغبوا فى الإسلام، و اختاروه على غيره، و عرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا فى ضلال، فما أعلم أحدا بقى غيرك فى هذه الحرجة، و أنت إن لم تسلم اليوم و تتبعه يوطئك الخيل، و يبيد خضراءك،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹

فأسلم تسلم و يستعملك على قومك، و لا تدخل عليك الخيل و الرجال. قال: دعنى يومى هذا و ارجع إلى غدا.

فرجعت إلى أخيه، قال: يا عمرو، إنى لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لى، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أنى لم أصل إليه، فأوصلنى إليه. فقال: إنى فكرت فيما دعوتنى إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى و هو لا- تبلغ خيله هاهنا، و إن بلغت خيله ألفت قتالا- ليس كقتال من لاقى. قلت: فأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه، فقال: ما نحن فيما قد ظهر عليه، و كل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح، فأرسل إلى، فأجاب إلى الإسلام هو و أخوه جميعا، و صدقا النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و خليا بينى و بين الصدقة، و بين الحكم فيما بينهم، و كانا لى عونا على من خالفنى «۱».

و فى حديث غير الواقدى أن عمرا قال له فيما دار بينهما من الكلام: إنك و إن كنت منا بعيدا فإنك من الله غير بعيد، إن الذى تفرد بخلقك أهل أن تفرده بعبادتك، و أن لا تشرك به من لم يشركه فيك، و أعلم أنه يميتك الذى أحياك، و يعيدك الذى أبدأك، فانظر فى هذا النبىّ الأمى الذى جاءنا بالدنيا و الآخرة، فإن كان يريد به أجرا فامنعه، أو يميل به هوى فدعه، ثم انظر فيما يجىء به، هل يشبه ما يجىء به الناس؟ فإن كان يشبهه فسله العيان و تخير عليه فى الخبر، و إن كان لا يشبهه فاقبل ما قال، و خف ما وعد.

قال ابن الجلندى: إنه و الله لقد دلنى على هذا النبىّ الأمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، و لا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، و أنه يغلب فلا يبطر، و يغلب فلا يضجر، و أنه يفى بالعهد، و ينجز الموعود، و أنه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوى فيه أهله، و أشهد أنه نبى.

كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى هوذة بن على مع سليط بن عمرو العامرى، و ما كان من خبره معه «۲»

و لما بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رسله إلى الملوك يدعوهم إلى الله، بعث سليط بن عمرو إلى

---

(۱) انظر التخريج السابق.

(۲) راجع: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴، ۶۴۵)، المصباح المضىء لابن حديدة (۲/ ۳۵۴، ۳۵۹)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰

هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة و المتوج بها و هو الذى يقول فيه الأعشى، ميمون ابن قيس من كلمة:

إلى هوذة الوهاب أعلمت ناقتى أرجى عطاء فاضلا من عطائكا

فلما أتت آطام جو و أهلهاأنيخت و ألقت رحلها بقبائكا و ذكر الواقدى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى هوذة مع سليط

حین بعثه إلیه: «بسم الله الرحمن الرحیم، من محمد رسول الله، إلی هوذة بن علی، سلام علی من اتبع الهدی، و اعلم أن دینی سیظهر إلی منتهی الخف و الحافر، فأسلم تسلم، و أجعل لک ما تحت یدیک». فلما قدم علیه سلیط بکتاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم مختوما أنزله و حیاه، و اقترأ علیه الکتاب، فرد ردا دون رد، و کتب إلی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم: ما أحسن ما تدعو إلیه و أجمله، و أنا شاعر قومی و خطیبهم، و العرب تهاب مکانی فاجعل إلی بعض الأمر أتبعک.

و أجاز سلیطا بجائزة، و کساه أثوابا من نسج هجر، فقدم بذلک کله علی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فأخبره، و قرأ النبیّ صلی اللّه علیه و سلم کتابه، و قال: «لو سألنی سبابة من الأرض ما فعلت، باد و باد ما فی یده»، فلما انصرف النبیّ صلی اللّه علیه و سلم من الفتح جاءه جبریل علیه السلام بأن هوذة مات، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «أما إن الیمامة سیخرج بها کذاب یتنبأ، یقتل بعدی»، فقال قائل:

یا رسول الله، فمن یقتله؟ فقال له رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «أنت و أصحابک»، فکان من أمر مسیلمة و تکذبه ما کان، و ظهر المسلمون علیه فقتلوه، و کان ذلک القاتل من قتله وفق ما قاله الصادق المصدوق صلوات الله و برکاته علیه.

و ذکر وثیمة بن موسی أن سلیط بن عمرو لما قدم علی هوذة بکتاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و کان کسری قد توجه، و قال له: یا هوذة، إنه قد سودتک أعظم حائلة و أرواح فی النار، و إنما السید من متع الإیمان ثم زود التقوی، إن قوما سعدوا برأیک، فلا تشقین به، و إنی آمرک بخیر مأمور به، و أنهاک عن شر منهی عنه، آمرک بعبادة الله، و أنهاک عن عبادة الشیطان، فإن فی عبادة الله الجنة، و فی عبادة الشیطان النار، فإن قبلت نلت ما رجوت و أمنت ما خفت، و إن أبیت فبیننا و بینک کشف الغطاء و هو المطلع.

فقال هوذة: یا سلیط، سودنی من لو سودک شرفت به، و قد کان لی رأی اختبر به الأمور فقدته، فموضعه من قلبی هواء، فاجعل لی فسحة یرجع إلی رأیی فأجیبک به إن شاء الله «۱».

---

(۱) انظر التخریج السابق.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۱

و قال هوذة فی ذلک:

أتانی سلیط بالحوادث جمةفقلت له ما ذا یقول سلیط

فقال التی فیها علی غضاضةو فیها رجاء مطمع و قنوط

فقلت له غاب الذی کنت أجتلیبه الأمر عنی فالصعود هبوط

و قد کان لی و الله بالغ أمرهأبا النصر جاش فی الأمور ربیط

فأذهبه خوف النبیّ محمدفهوذة فیه فی الرجال سقیط

فأجمع أمری من یمین و شمألکأنی ردود للنبال لقیط

و أذهب ذاک الرأی إذ قال قائلأتاک رسول الله للنبی خبیط

رسول الله راکب ناضحعلیه من أوبار الحجاز غبیط

سکرت و دبت فی المفارق و سنؤلها نفس علی الفؤاد غطیط

أحاذر منه سورة هائمیةفوارسها وسط الرجال عبیط

فلا تعجلنی یا سلیط فإننانبادر أمرا و القضاء محیط و ذکر الواقدی بإسناد له عن عبد الله بن مالک أنه قال: قدمت الیمامة فی خلافة عثمان بن عفان، فجلست فی مجلس لحجر، فقال رجل فی المجلس: إنی لعند ذی التاج الحنفی یعنی هوذة یوم الفصح إذ جاء حاجبه، فاستأذن لأرکون دمشق و هو عظیم من عظماء النصاری فقال: ائذن له، فدخل فرحب به و تحدثا، فقال الأرکون: ما أطیب بلاد الملک

و أبرأها من الأوجاع. قال ذو التاج: هى أصح بلاد العرب، و هى زين بلادهم، قال الأركون: و ما قرب محمد منكم؟ قال ذو التاج: هو بيثرب، و قد جاءنى كتابه يدعونى إلى الإسلام فلم أجبه. قال الأركون: لم لا تجيبه؟ قال: ضننت بدينى، و أنا ملك قومى، و إن تبعته لم أملك. قال: بلى، و الله لئن اتبعته ليمكنك و إن الخيرة لك فى اتباعه، و إنه للنبى العربى الذى بشر به عيسى ابن مريم، و إنه لمكتوب عندنا فى الإنجيل: محمد رسول الله. قال ذو التاج: قد قرأت فى الإنجيل ما تذكر. ثم قال الأركون: فما لك لا تتبعه؟ قال: الحسد له، و الضن بالخمر و شربها. قال: فما فعل هرقل؟ قال: هو على دينه و يظهر لرسله أنه معه، و قد سبر أهل مملكته، فأبوا أشد الإباء، فضن بملكه أن يفارقه، قال ذو التاج: فما أرانى إلا متبعه و داخلا فى دينه، فأنا فى بيت العرب، و هو مقرى على ما تحت يدى. قال البطريق: هو فاعل فاتبعه، فدعا رسولا و كتب معه كتابا، و سمى هدايا، فجاءه قومه فقالوا: تتبع محمدا و تترك دينك، لا تملكن علينا أبدا، فرفض الكتاب.

قال: فأقام الأركون عنده فى حباء و كرامة، ثم وصله و وجه راجعا إلى الشام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲

قال الرجل: و تبعته حين خرج، فقلت: أحق ما أخبرت ذا التاج؟ قال: نعم و الله، فاتبعه، قال: فرجعت إلى أهلى فتكلفت الشخوص إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فقدمت عليه مسلما، فأخبرته بكل ما كان، فحمد الله الذى هدانى.

و لم يسم فى حديث الواقدى هذا الرجل، إلا أن فيه أنه كان من طيئ، ثم من بنى نبهان.

و قد تقدم صدر هذا الكتاب أن عامر بن سلمة من بنى حنيفة رأى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثلاثة أعوام ولاء فى الموسم بعكاظ و بمجنة و بذى المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله و إلى أن ينصروه، حتى يبلغ عن الله فلا يستجيب له أحد، و إن هوذة بن على سأل عامرا بعد انصرافه عن الموسم إلى اليمامة فى أول عام عن ما كان فى موسمهم من خبر، فأخبره خبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أنه رجل من قريش، فسأله هوذة: من أى قريش هو؟ فقال له عامر: من أوسطهم نسبا، من بنى عبد المطلب، قال هوذة: أ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب؟ فقال: هو هو، فقال هوذة: أما إن أمره سيظهر على ما هاهنا و غير ما هاهنا. ثم ذكر تكرر سؤال هوذة له عنه حتى ذكر له فى السنة الثالثة أنه رآه و أمره قد أمر، فقال له هوذة: هو الذى قلت لك، و لو أنا اتبعناه لكان خيرا لنا، و لكنا نضن بملكنا.

و أخبر عامر بذلك كله سليط بن عمرو، و قد مر به منصرفا عن هوذة إذ بعثه إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلم يسلم و أسلم عامر آخر حياة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و مات هوذة كافرا على نصرانيته.

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى مع شجاع بن وهب «۱»

ذكر الواقدى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعث شجاعا إلى الحارث بن أبى شمر، و هو بغوطة دمشق، فكتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مرجعه من الحديبية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى الحارث بن أبى شمر، سلام على

---

(۱) راجع: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۴۴، ۶۵۲)، الروض الأنف للسهيلى (۴/ ۲۵، ۲۵۱)، المصباح المضىء لابن حديدة (۲/ ۳۱۴، ۳۱۶)، تاريخ اليعقوبى (۲/ ۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳

من اتبع الهدى و آمن به و صدق، و إنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبق لك ملكك». فختم الكتاب، و خرج به شجاع بن وهب.

قال: فانتهيت إلى صاحبه، فأخذه يومئذ و هو مشغول بتهيئة الإنزال و الألطاف لقيصر، و هو جاء من حمص إلى إيلياء، حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال: فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال حاجبه: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا و كذا، و جعل حاجبه و كان روميا اسمه مرى يسألنى عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ما يدعو إليه، فكنت أحدثه، فيرق حتى يغلبه البكاء، و يقول: إنى قرأت فى الإنجيل، و أجد صفة هذا النبىّ بعينه فكنت أراه يخرج بالشام، فأراه قد خرج بأرض القرظ، فأنا أؤمن به و أصدقه، و أنا أخاف من الحارث بن أبى شمر أن يقتلنى.

قال شجاع: فكان، يعنى هذا الحاجب، يكرمنى و يحسن ضيافتى و يخبرنى عن الحارث باليأس منه، و يقول: هو يخاف قيصر.

قال: فخرج الحارث يوما فجلس، فوضع التاج على رأسه، فأذن لى عليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقرأه، ثم رمى به، و قال: من ينتزع منى ملكى؟ أنا سائر إليه، و لو كان باليمن جئته، على بالناس، فلم يزل جالسا بعرض حتى الليل، و أمر بالخيل أن تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى. و كتب إلى قيصر يخبره خبرى، فصادف قيصر بإيلياء و عنده دحية الكلبى قد بعثه إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب إليه:

أن لا تسر إليه و إله عنه و وافنى بإيلياء، قال: و رجع الكتاب و أنا مقيم، فدعانى و قال:

متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت: غدا، فأمر بمائة مثقال، و وصلنى مرى بنفقة و كسوة، و قال: اقرأ على رسول الله منى السلام، و أخبره أنى متبع دينه.

قال شجاع: فقدمت على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأخبرته، فقال: باد ملكه، و أقرأته من مرى السلام، و أخبرته بما قال، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «صدق».

قال الواقدى: و مات الحارث بن أبى شمر عام الفتح، و كان نازلا بجلق، و وليهم جبلة ابن الأيهم، و كان ينزل الجابية، و كان آخر ملوك غسان، أدركه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجابية فأسلم، ثم إنه لاحى رجلا من مزينة، فلطم عينه، فجاء به المزنى إلى عمر رضى الله عنه و قال: خذ لى بحقى، فقال له عمر: الطم عينه، فأنف جبلة و قال: عينى و عينه سواء؟ قال عمر: نعم، فقال جبلة: لا أقيم بهذه الدار أبدا، و لحق بعمورية مرتدا، فمات هناك على ردته.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۴

هكذا ذكر الواقدى أن توجه شجاع بن وهب بكتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان إلى الحارث بن أبى شمر، و كذلك قال ابن إسحاق.

و أما ابن هشام «۱» فقال: إنما توجه إلى جبلة بن الأيهم، و قد قال ذلك غيره، فالله أعلم.

و ذكر بعض من وافق ابن هشام على أن الرسالة كانت إلى جبلة: أن شجاع بن وهب لما قدم عليه قال له: «يا جبلة، إن قومك نقلوا هذا النبىّ الأمى من داره إلى دارهم يعنى الأنصار فأووه و منعوه، و إن هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك، و لكنك ملكت الشام و جاورت بها الروم، و لو جاورت كسرى دنت بدين الفرس لملك العراق، و قد أقر بهذا النبىّ الأمى من أهل دينك من إن فضلناه عليك لم يغضبك، و إن فضلناك عليه لم يرضك، فإن أسلمت أطاعتك الشام و هابتك الروم، و إن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا و لك الآخرة، و كنت قد استبدلت المساجد بالبيع، و الأذان بالناقوس، و الجمع بالشعانين، و القبلة بالصليب، و كان ما عند الله خير و أبقى».

فقال له جبلة: «إنى و الله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبىّ الأمى اجتماعهم على خلق السموات و الأرض، و لقد سرنى اجتماع قومى له، و أعجبنى قتله أهل الأوثان و اليهود و استبقاءه النصارى، و لقد دعانى قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه، فانتدب له مالك بن نافلة من سعد العشيرة، فقتله الله، و لكنى لست أرى حقا ينفعه و لا باطلا يضره، و الذى يمدنى إليه أقوى من الذى يختلجنى عنه، و سأنظر».

و أما توجه المهاجر بن أبی أمیة بن المغیرة المخزومی، و هو شقیق أم سلمة زوج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی الحارث بن عبد کلال، فلم أجد عند ابن إسحاق، و لا فیما وقع إلی عن الواقدی شیئا أنقله عنهما سوی ما ذکر ابن إسحاق «۲» من توجیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إیاه إلی الحارث بن عبد کلال ذکرا مقتصرا فیه علی القدر مختصرا من الإمتاع بما تحسن إضافته إلی ذلک من الوصف.

و تقدم لابن إسحاق فی کتابه، و ذکره أیضا الواقدی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قدم علیه کتاب ملوک حمیر مقدمه من تبوک، و رسولهم إلیه بإسلامهم الحارث بن عبد کلال و نعیم بن عبد کلال و النعمان قیل: ذی رعین و معافر و همدان، و بعث إلیه زرعة ذی یزن مالک بن مرة الرهاوی بإسلامهم و مفارقتهم الشرک و أهله.

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۳۱).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۳۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۵

و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی مسیره إلی تبوک یقول: «إنی بشرت بالکنزین: فارس و الروم، و أمددت بالملوک: ملوک حمیر، یأکلون فیء الله و یجاهدون فی سبیل الله». فلما قدم علیه مالک بن مرة بإسلامهم، کتب إلیهم: «بسم الله الرحمن الرحیم. من محمد رسول الله النبیّ، إلی الحارث بن عبد کلال و إلی نعیم بن عبد کلال و إلی النعمان قیل: ذی رعین و معافر و همدان. أما بعد ذلکم، فإنی أحمد إلیکم الله الذی لا إله إلا هو. أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولکم منقلبنا من الأرض الروم فلقینا بالمدینة، فبلغ ما أرسلتم به، و خبر ما قبلکم، و أنبأنا بإسلامکم و قتلکم المشرکین، و أن الله قد هداکم بهداه. أن أصلحتم و أطعتم الله و رسوله و أقمتم الصلاة و آتیتم الزکاة و أعطیتم من المغانم خمس الله و سهم النبیّ و صفیه، و ما کتب علی المؤمنین من الصدقة و بین لهم صدقة الزرع و الإبل و البقر و الغنم، ثم قال: فمن زاد خیرا فهو خیر له، و من أدی ذلک و أشهد علی إسلامه و ظاهر المؤمنین علی المشرکین فإنه من المؤمنین، له ما لهم، و علیه ما علیهم، و له ذمة الله و ذمة رسوله، و أنه من أسلم من یهودی أو نصرانی فإنه من المؤمنین، له ما لهم، و علیه ما علیهم، و من کان علی یهودیته أو نصرانیته فإنه لا یرد عنها، و علیه الجزیة علی کل حالم ذکر أو أنثی حر أو عبد دینار واف من قیمة المعافر أو عوضه ثیابا، فمن أدی ذلک إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فإن له ذمة الله و ذمة رسوله، و من منعه فإنه عدو لله و لرسوله.

أما بعد، فإن محمد النبیّ أرسل إلی زرعة ذی یزن أن إذا أتاکم رسلی فأوصیکم بهم خیرا، معاذ بن جبل و عبد الله بن زید و مالک بن عبادة و عقبة بن نمر و مالک بن مرة و أصحابهم، و أن أجمعوا ما عندکم من الصدقة و الجزیة من مخالفیکم و أبلغوها رسلی، فإن أمیرهم ابن جبل، فلا ینقلبن إلا راضیا. أما بعد، فإن محمدا یشهد أن لا إله إلا الله و أنه عبده و رسوله، ثم إن مالک بن مرة الرهاوی قد حدثنی أنک قد أسلمت من أول حمیر، و قتلت المشرکین، فأبشر بخیر، و آمرک بحمیر خیرا، و لا تخاونوا و لا تخاذلوا فإن رسول الله هو مولی غنیکم و فقیرکم، و إن الصدقة لا تحل لمحمد و لا لأهل بیته، و إنما هی زکاة یزکی بها علی فقراء المسلمین و ابن السبیل، و إن مالکا قد بلغ الخبر و حفظ الغیب، و آمرکم به خیرا، و إنی قد أرسلت إلیکم من صالحی أهلی و أولی دینهم و أولی علمهم و آمرکم بهم خیرا، فإنه منظور إلیهم، و السلام علیکم و رحمة الله» «۱».

فهذا ما ذکر ابن إسحاق «۲» من شأن ملوک حمیر، و ما کتبوا به، و کتب إلیهم، و ذکر الواقدی أیضا نحوه.

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۷۵).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۱۲- ۲۱۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶

و لا ذكر للمهاجر بن أبى أمية فى شىء من ذلك إلا أن ابن إسحاق و الواقدى ذكرا أن قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان مقدمه من تبوك، و ذلك فى سنة تسع، و توجيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم رسله إلى الملوك إنما كان بعد انصرافه عن الحديبية آخر سنة ست، فلعل المهاجر و الله أعلم كانت وجهه حينئذ إلى الحارث بن عبد كلال فصادف منه عامئذ ترددا و استنظارا، ثم جلا الله عنه العمى فيما بعد، و أمر بهدايته فاستبان له القصد، فعند ذلك أرسل هو و أصحابه بإسلامهم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بذلك يجتمع الأمران، و يصح الخبران، إذ لا خلاف بين أهل العلم بالأخبار و العناية بالسير أن ملوك حمير أسلموا و كتبوا بإسلامهم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كما أنه لا خلاف بينهم أيضا فى توجيه المهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبد كلال.

و يقول بعض من ذكر ذلك أن المهاجر لما قدم عليه قال له: يا حارث إنك كنت أول من عرض عليه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم نفسه فخطيت عنه، و أنت أعظم الملوك قدرا، فإذا نظرت فى غلبة الملوك فانظر فى غالب الملوك، و إذا أسرك يومك فخف غدك، و قد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها و بقيت أخبارها، عاشوا طويلا و أملوا بعيدا و تزودوا قليلا، منهم من أدركه الموت، و منهم من أكلته النقم، و إنى أدعوك إلى الرب الذى إن أردت الهدى لم يمنعك، و إن أرادك لم يمنعك منه أحد، و أدعوك إلى النبىّ الأمى الذى ليس شىء أحسن مما يأمر به و لا أقبح مما ينهى عنه، و اعلم أن لك ربا يميت الحى و يحيى الميت، و يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور.

فقال الحارث: قد كان هذا النبىّ عرض نفسه على، فخطيت عنه، و كان ذخرا لمن صار إليه، و كان أمره أمرا بسق، فحضره اليأس و غاب عنه الطمع، و لم تكن لى قرابة أحتمله عليها، و لا لى فيه هوى أتبعه له، غير أنى أرى أمرا لم يؤسسه الكذب، و لم يسنده الباطل، له بدو سار و عافية نافعة، و سأنظر.

ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى فروة بن عمرو الجذامىّ ثم النفاثى، و ما كان من تبرعه بالإسلام هداية من الله عز و جل له «۱»

ذكر الواقدى بإسناد له أن فروة بن عمرو «۲»، هذا كان عاملا لقيصر على عمان من

---

(۱) راجع: السيرة (۴/ ۲۱۴).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب ترجمة رقم (۲۰۹۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷

أرض البلقاء و فى كتاب ابن إسحاق: معان و ما حولها من أرض الشام، و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد كتب إلى هرقل و إلى الحارث بن أبى شمر، و لم يكتب إليه، فأسلم فروة، و كتب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بإسلامه، و بعث من عنده رسولا يقال له: مسعود بن سعد من قومه بكتاب مختوم فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد رسول الله النبىّ، إنى مقر بالإسلام مصدق به، أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، و إنه الذى بشر به عيسى ابن مريم. و السلام عليك».

ثم بعث مع الرسول بغلة بيضاء يقال لها: فضة، و حماره يعفور، و فرسا يقال له:

الضرب، و بعث بأثواب من لين، و قباء من سندس مخوص بالذهب، فقدم الرسول فدفع الكتاب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فاقترأه، و أمر بلالا أن ينزله و يكرمه، فلما أراد الخروج كتب إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم جواب كتابه:

«من محمد رسول الله، إلی فروة بن عمرو، سلام علیک، فإنی أحمد إلیک الله الذی لا إله إلا هو، أما بعد. فإنه قدم علینا رسولک بکتابک فبلغ ما أرسلت به، و خبر عن ما قبلکم، و أنبأنا بإسلامک، و إن الله عز و جل قد هداک إن أصلحت و أطعت الله و رسوله و أقمت علی الصلاة و آتیت الزکاة، و السلام علیک».

و لما بلغ قیصر إسلام فروة بن عمرو بعث إلیه فحبسه، و لما طال حبسه أرسلوا إلیه:

أن ارجع إلی دینک و یعید إلیک ملکک، فقال: لا أفارق دین محمد أبدا، أما أنک تعرف أنه رسول الله، بشرک به عیسی ابن مریم، و لکنک ضننت بملکک و أحببت بقاءه. فقال قیصر: صدق و الإنجیل.

و ذکر الواقدی أنه مات فی ذلک الحبس، فلما مات صلبوه.

قال: فلما اجتمعت الروم لصلبه قال:

ألا هل أتی سلمی بأن حلیلهاعلی ماء عفرا فوق إحدی الرواحل «۱»

علی ناقة لم یضرب الفحل أمهامشذبة أطرافها بالمناجل «۲» و ذکر ابن شهاب الزهری أنهم لما قدموه لیقتلوه قال:

---

(۱) إحدی الرواحل: المراد بها الخشبة التی صلب علیها.

(۲) مشذبة: قد أزیلت أغصانها.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸ أبلغ سراة المسلمین بأننیسلم لربی أعظمی و مقامی ثم ضربوا عنقه و صلبوه علی ذلک الماء، یرحمه الله.

قال ابن إسحاق «۱»: و قد کان تکلم علی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الکذابان: مسیلمة بن حبیب الحنفی بالیمامة فی بنی حنیفة، و الأسود بن کعب العنسی بصنعاء.

و ذکر بإسناد له عن أبی سعید الخدری قال: سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو یخطب الناس علی منبره و هو یقول:

«یا أیها الناس، إنی قد رأیت لیلة القدر، ثم أنسیتها، و رأیت فی ذراعی سوارین من ذهب، فکرهتهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما هذین الکذابین: صاحب الیمن، و صاحب الیمامة» «۲».

و عن أبی هریرة قال: سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: «لا تقوم الساعة حتی یخرج ثلاثون دجالا، کلهم یدعی النبوة» «۳».

قال ابن إسحاق «۴»: و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد بعث أمراءه و عماله علی الصدقات إلی کل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبی أمیة بن المغیرة «۵» إلی صنعاء، فخرج علیه العنسی و هو بها، و بعث زیاد بن لبید «۶» أخا بنی بیاضة الأنصاری إلی

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۲۲).

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح مسلم (۴/ ۱۷۸۱/ ۲۱)، سنن الترمذی (۴/ ۲۲۹۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۳، ۲/ ۳۱۹، ۳۳۸، ۳۴۴).

(۳) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۲/ ۴۵۰)، مجمع الزوائد للهیثمی (۵/ ۳۱۵)، سنن أبی داود (۴/ ۴۳۳۳).

(۴) انظر: السیرة (۴/ ۲۲۳).

(۵) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۸۲۷۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۱۳۴)، مؤتلف الدارقطنی (ص ۱۶۳).

(۶) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۲۸۷۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۸۰۹)، مسند أحمد (۴/ ۱۶۰)، الطبقات الکبری (۳/ ۵۹۸)، التاریخ الکبیر (۳/ ۳۴۴)، التاریخ الصغیر (۱/ ۴۱)، تاریخ الطبری (۳/ ۱۴۷)، الجرح و التعدیل (۳/ ۵۴۳)، المعجم الکبیر (۵/ ۳۰۴)،

الكامل فى التاريخ (۲/ ۳۰۱)، تهذيب الكمال (۹/ ۵۰۶)، الكاشف (۱/ ۲۶۲)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۹۵)، الوافى بالوفيات (۱۵/ ۱۰)، تهذيب التهذيب (۳/ ۳۸۲)، خلاصة تهذيب التهذيب (۱۲۵)، تاريخ الإسلام (۱/ ۵۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹

حضرموت و على صدقاتها، و بعث عدى بن حاتم «۱» على طىء و صدقاتها، و على بنى أسد، و بعث مالك بن نويرة اليربوعى «۲» على صدقات بنى حنظلة، و فرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر «۳» على ناحية منها، و قيس بن عاصم «۴» على ناحية، و كان قد بعث العلاء بن الحضرمى «۵» على البحرين، و بعث على بن أبى طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم و يقدم عليهم بجزيتهم.

و قد كان مسيلمة بن حبيب كتب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد. فإنى قد أشركت فى الأمر معك، و إن لنا نصف الأرض، و لقريش نصفها، و لكن قريشا قوم يعتدون».

فقدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بهذا الكتاب رسولان لمسيلمة، فقال لهما رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين قرأ كتابه: «فما تقولان أنتما؟» قالا: نقول كما قال، فقال: «أما و الله لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما». ثم كتب إلى مسيلمة:

---

(۱) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد (۶/ ۲۲)، التاريخ الكبير (۷/ ۴۳)، التاريخ الصغير (۱/ ۱۴۸)، المعارف (۳۱۳)، الجرح و التعديل (۷/ ۲)، تاريخ بغداد (۱/ ۱۸۹)، تاريخ ابن عساكر (۱۱/ ۲۳۴)، تهذيب الأسماء و اللغات (۱/ ۳۲۷)، تهذيب الكمال (۹۲۵)، تاريخ الإسلام (۳/ ۴۶)، العبر (۱/ ۷۴)، تذهيب التهذيب (۳/ ۳۶)، جامع الأصول (۹/ ۱۱۱)، مرآة الجنان (۱/ ۱۴۲)، تهذيب التهذيب (۷/ ۱۶۶)، خلاصة تذهيب الكمال (۲۲۳)، شذرات الذهب (۱/ ۷۴)، سير أعلام النبلاء (۳/ ۱۶۲)، الإصابة ترجمة رقم (۵۴۹۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۶۱۰).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۷۷۱۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۶۵۴).

(۳) انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۱۴۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۷۲۸)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۸۸)، الإصابة ترجمة رقم (۲۷۸۹)، الاستبصار (۳۱۴، ۴۱۵)، الأعلام (۳/ ۴۱)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۵۷)، الطبقات الكبرى (۷/ ۳۶، ۱/ ۲۹۴، ۲/ ۱۶۱)، الجرح و التعديل (۳/ ۲۷۶۰۰)، البداية و النهاية (۵/ ۴۱).

(۴) انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۳۳۸)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۲۲)، الجرح و التعديل (۷/ ۱۰۱)، تقريب التهذيب (۲/ ۱۲۹)، تهذيب التهذيب (۸/ ۳۹۹)، خلاصة تهذيب الكمال (۲/ ۳۵۷)، الكاشف (۲/ ۳۰۵)، أزمنة التاريخ الإسلامى (۸۱۶)، التاريخ الكبير (۷/ ۱۴۱)، الأنساب (۹/ ۱۳۵)، بقى بن مخلد (۳۲۱)، الإصابة ترجمة رقم (۷۲۰۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۳۷۰).

(۵) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۵۶۵۸)، أسد الغابة ترجمة رقم (۳۷۴۵)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۸۸)، الجرح و التعديل (۶/ ۳۵۶)، التاريخ الكبير (۶/ ۵۰۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، و العاقبة للمتقين» «۱».

قال ابن إسحاق: و كان ذلك فى آخر سنة عشر «۲».

و قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: و قد قيل: إن دعوى مسيلمة و من ادعى من الكذابين النبوة فى عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إنما كانت بعد انصرافه من حجة التمام، و وقوعه فى المرض الذى توفاه الله فيه، فالله تعالى أعلم.

ذكر حجة الوداع «۳» و تسمى أيضا حجة التمام، و حجة البلاغ

و لما دخل علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ذو القعدة من سنة عشر تجهز للحج، و أمر الناس بالجهاز له، و خرج لخمس لیال بقین من ذی القعدة، و قد کان أذن فی الناس أنه خارج، فقدم المدینة بشر کثیر، کلهم یلتمس أن یأتم برسول الله صلی اللّه علیه و سلم و یعمل مثل عمله.

قال جابر بن عبد الله: فخرجنا معه حتی أتینا ذا الحلیفة، فصلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی المسجد، ثم رکب القصواء حتی إذا استوت به ناقته علی البیداء نظرت إلی مد بصری بین یدیه من راکب و ماش و عن یمینه مثل ذلک و عن یساره مثل ذلک و من خلفه مثل ذلک، و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بین أظهرنا، و علیه ینزل القرآن، و هو یعرف تأویله، و ما عمل من شیء عملناه، فأهل بالتوحید: «لبیک اللهم لبیک، لبیک لا شریک لک لبیک، إن الحمد و النعمة لک و الملک لا شریک لک» «۴».

---

(۱) انظر الحدیث فی: سنن البیهقی (۹/ ۲۱۱)، مسند الإمام أحمد (۳۷۰۸)، سنن أبی داود (۳/ ۲۷۶۱).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۲۴).

(۳) عرفت باسم: حجة الوداع؛ و ذلک لأن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و تسمی أیضا حجة الإسلام. انظر: لم یحج بعدها، إذ بدأ به مرضه الذی توفاه الله فیه، کما قیل: حجة البلاغ؛ لأنه صلی اللّه علیه و سلم أری الناس مناسکهم و علمهم حجهم، و قیل: حجة الإسلام؛ لأنه صلی اللّه علیه و سلم لم یحج بعد أن فرض الحج فی الإسلام غیرها. راجع: طبقات ابن سعد (۲/ ۱۷۲- ۱۸۹)، المغازی للواقدی (۳/ ۱۰۸۸- ۱۱۱۵)، الثقات لابن حبان (۲/ ۱۲۴- ۱۲۹).

(۴) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۲/ ۱۷۰، ۷/ ۲۰۹)، صحیح مسلم کتاب الحج، باب-

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۱

و أهل الناس بهذا الذی یهلون به، فلم یرد علیهم شیئا منه، و لزم صلی اللّه علیه و سلم تلبیته.

و فی حدیث عائشة أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما خرج فی حجة الوداع لم یکن یذکر و لا یذکر الناس إلا الحج، حتی إذا کان بسرف و قد ساق رسول الله صلی اللّه علیه و سلم معه الهدی و أشراف من أشراف الناس، أمر الناس أن یحلوا بعمرة، إلا من ساق الهدی.

و قال جابر فی حدیثه: لسنا ننوی إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتی إذا أتینا البیت معه استلم الرکن فرمل ثلاثا و مشی أربعا، ثم تقدم إلی مقام إبراهیم فقرأ: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی [البقرة: ۱۲۵] فجعل المقام بینه و بین البیت، ثم رجع إلی الرکن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلی الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ [البقرة: ۱۵۸] أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقی علیه حتی رأی البیت، فاستقبل القبلة، فوحد الله و کبره، و قال: «لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده» «۱». ثم دعا بین ذلک، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلی المروة حتی انصبت قدماه فی بطن الوادی، حتی إذا صعدنا مشی حتی أتی المروة ففعل علی المروة کما فعل علی الصفا حتی إذا کان آخر طواف علی المروة قال:

«لو أنی استقبلت من أمری ما استدبرت، لم أسق الهدی و لجعلتها عمرة، فمن کان منکم لیس معه هدی فلیحل و لیجعلها عمرة» «۲».

فقام سراقة بن مالک بن جعشم «۳»

- (۳) رقم (۱۹، ۲۰، ۲۱، باب (۱۹) رقم (۱۴۷)، سنن أبی داود (۱۸۱۲، ۱۸۱۳)، سنن الترمذی (۸۲۵)، سنن ابن ماجه (۲۹۱۵، ۲۹۱۸، ۳۰۷۴)، سنن النسائی (۵/ ۱۵۹، ۱۶۰، ۱۶۱)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۷، ۴۰۱، ۲/ ۷۷، ۴۰۱، ۳/ ۳۲۰، ۶/ ۱۰۰، ۱۸۱، ۲۳۰، ۲۴۳)، السنن الکبری للبیهقی (۵/ ۴۴، ۴۵، ۷/ ۴۸)، موطأ مالک (۳۳۱)، الدر المنثور للسیوطی (۱/ ۲۱۹)، فتح الباری لابن حجر (۱/ ۳۶۰)،

مشكاة المصابيح للتبريزى (۲۵۴۱، ۲۵۵۵)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۳/ ۷۳، ۵/ ۵۵، ۲۸۲، ۶/ ۴۵)، طبقات ابن سعد (۲/ ۱/ ۱۲۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۱۴۳).

(۱) انظر الحديث فى: سنن الدارمى (۲/ ۴۶)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۲۲۶).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الحج باب (۱۹) رقم (۱۴۷).

(۳) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۳۱۲۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۹۵۵)، الثقات (۳/ ۱۸۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱۰)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۸۴)، تهذيب التهذيب (۳/ ۴۵۶)، تهذيب الكمال (۱/ ۴۶۶)، الكاشف (۱/ ۳۴۹)، الجرح و التعديل (۴/ ۱۳۴۲)، شذرات الذهب (۱/ ۳۵)، الطبقات (۳۴)، الطبقات الكبرى (۹/ ۷۸)، بقى بن مخلد (۱۳۰)، العقد الثمين (۴/ ۵۲۳)، العبر (۱/ ۲۷)، الأعلام (۳/ ۸۰)، الأنساب (۷/ ۱۱۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲

فقال: يا رسول الله، أ لعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أصابعه واحدة فى الأخرى، و قال: «دخلت العمرة فى الحج مرتين بل لأبد الأبد» «۱».

و قدم على من اليمن ببدن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فوجد فاطمة ممن حل و لبست ثيابا صبيغا و اكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبى أمرنى بهذا، قال: فكان على يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم محرشا على فاطمة للذى صنعت، مستفتيا له فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنى نكرت ذلك عليها، فقال: «صدقت صدقت، ما ذا قلت حين فرضت الحج؟» «۲» قال: قلت: اللهم إنى أهل بما أهل به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. قال: فإن معى الهدى فلا تحل، فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن و الذى أتى به النبىّ صلى اللّه عليه و سلم مائة.

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، فركب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فصلى بها الظهر و العصر و المغرب و العشاء و الفجر، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية، فأجاز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى إذا أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت به بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادى، فخطب الناس.

قال ابن إسحاق «۳»: و مضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على حجه، فأرى الناس مناسكهم،

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم فى كتاب الحج باب (۱۹) رقم (۱۴۷)، سنن أبى داود فى كتاب المناسك، باب (۲۳)، باب (۵۷)، سنن النسائى فى كتاب الحج باب (۷۶)، سنن الترمذى (۹۳۲)، سنن ابن ماجه (۳۰۷۴)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۳۶، ۲۵۳، ۲۵۹، ۳۴۱، ۴/ ۱۷۵)، سنن الدارمى (۴۷)، السنن الكبرى للبيهقى (۴/ ۳۵۲، ۵/ ۷، ۱۳، ۱۸)، مستدرك الحاكم (۱/ ۶۱۹، ۳/ ۶۱۹)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۲۳۵، ۳۷۸)، المعجم الكبير للطبرانى (۲/ ۱۴۴، ۷/ ۱۴۰، ۱۵۱، ۱۵۴، ۱۱/ ۸۳، ۱۲/ ۲۲۸)، التمهيد لابن عبد البر (۸/ ۳۶۰)، مصنف ابن أبى شيبة (۴/ ۱۰۲)، إرواء الغليل للألبانى (۴/ ۱۵۲)، المطالب العالية لابن حجر (۱۱۰۰)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۱۹۷۵، ۱۱۹۸۳، ۱۲۴۷۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۱۳۵)، الحاوى للفتاوى للسيوطى (۲/ ۵۱)، الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر (۵۹)، مسند الشافعى (۱۱۲، ۱۹۶)، تاريخ أصبهان لأبى نعيم (۲/ ۱۹۱)، سنن الدارقطنى (۲/ ۲۸۳)، المنتقى لابن الجارود (۴۶۵).

(۲) انظر الحديث فى: المنتقى لابن الجارود (۴۶۹).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۲۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳

و أعلمهم سنن حجهم، و خطب للناس خطبته التى بين فيها ما بين، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس، إن دماءكم و أموالكم عليكم حرام؛ إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، و كحرمة شهركم هذا، و إنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، و قد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، و إن كل ربّا موضوع، و لكن لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون و لا تظلمون. قضى الله أنه لا ـ ربا و إن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، و إن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، و إن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، و كان مسترضعا فى بنى ليث، فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، و لكنه إن يطع فيما سوى ذلك، فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ [التوبة: ۳۷]، و يحرموا ما أحل الله، و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض، إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، [التوبة: ۳۶]. ثلاثة متوالية، و رجب مضر الذى هو بين جمادى و شعبان.

أما بعد، أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا و لهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، و عليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع و تضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن و كسوتهن بالمعروف، و استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، و إنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، و استحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولى، فإنى قد بلغت و قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا، كتاب الله و سنة نبيه.

أيها الناس، اسمعوا قولى و اعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، و أن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه؛ فلا تظلمن أنفسكم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴

اللهم هل بلغت؟» فذكر أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اللهم اشهد» (۱).

و فى حديث جابر، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال للناس فى خطبته: «و أنتم تسألون عنى، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت و أديت و نصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء و ينكبها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات، ثم إذن، ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر، و لم يصل بينهما شيئا، ثم ركب حتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، و جعل جبل المشاة بين يديه. و استقبل القبلة، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس و ذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص، و أردف أسامة بن زيد خلفه، و دفع و قد شنق القصواء الزمام حتى أرسلها ليصيب موركَ رحله، و يقول بيده اليمنى: أيها الناس، السكينة، كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد، ثم أتى المزدلفة فصلى بها المغرب و العشاء بأذان واحد و إقامتين، و لم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان و إقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا الله و كبره و هلله و وحده، فلم يزل واقفا حتى اصفر جدا، فدفع قبل أن تطلع الشمس و أردف الفضل بن عباس حتى أتى بطن محر، فحرك قليلا، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصات، يكبر مع كل حصاة منها، رمى من بطن الوادى، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثا و ستين بدنة بيده، ثم أعطى عليا فنحر ما غبروا شركة فى هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت فى قدر فطبخت، فأكلا من لحمها و شربا من مرقها، ثم ركب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى البيت فى قدر فأفاض و صلى بمكة الظهر، فأتى بنى عبد

المطلب و هم يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا يا بنى عبد المطلب، فلو لا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم» «۲»، فناولوه دلوا، فشرب منه.

و يروى أن ربيعة بن أمية بن خلف هو الذى كان يصرخ فى الناس يقول رسول الله

(۱) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (۲/ ۱۴۷/ ۸۸۶- ۸۹۲)، سنن أبى داود (۲/ ۱۹۰۵).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الحج (۱۴۷)، سنن أبى داود فى كتاب المناسك باب (۵۷)، سنن ابن ماجه (۳۰۷۴)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۷۶)، السنن الكبرى للبيهقى (۵/ ۱۵۷)، سنن الدارمى (۲/ ۴۹)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۲۲۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۱۹۱)، المنتقى لابن جارود (۴۶۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵

صلى اللّه عليه و سلم و هو بعرفة، يقول له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: قل: «أيها الناس، إن رسول الله يقول: هل تدرون أى شهر هذا؟» فيقوله لهم، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا، ثم يقول: قل: أيها الناس، إن رسول الله يقول: «هل تدرون أى بلد هذا؟» قال: فيصرخ به، فيقولون: البلد الحرام، فيقول: قل لهم: «إن الله قد حرم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة بلدكم هذا»، ثم يقول: «قل: يا أيها الناس، إن رسول الله يقول: هل تدرون أى يوم هذا؟» فيقول لهم، فيقولون: يوم الحج الأكبر، فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا» «۱».

و قال عمرو بن خارجة: وقفت تحت ناقة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و إن لعابها ليقع على رأسى، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم واقف بعرفة، فسمعته و هو يقول: «أيها الناس، إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث، و الولد للفراش، و للعاهر الحجر، و من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله له صرفا و لا عدلا» «۲».

و لما وقف رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعرفة قال: «هذا الموقف، للجبل الذى هو عليه، «و كل عرفة موقف».

و قال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة: «هذا الموقف، و كل المزدلفة موقف».

ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال: «هذا المنحر، و كل منى منحر» «۳».

فقضى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الحج، و قد أراهم مناسكهم، و أعلمهم ما فرض عليهم من حجهم: من الموقف، و رمى الجمار، و طواف البيت، و ما أحل لهم فى حجهم، و ما حرم عليهم، فكانت حجة البلاغ، و حجة الوداع، و ذلك أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لم يحج بعدها.

(۱) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۱/ ۴۷۳، ۴۷۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۳/ ۲۷۰).

(۲) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۴/ ۲۱۲۱)، سنن النسائى (۶/ ۳۶۴۴)، مسند الإمام أحمد (۴/ ۱۸۶، ۲۳۸).

(۳) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (۲/ ۱۹۰۷، ۱۹۳۵)، سنن ابن ماجه (۲/ ۳۰۱۲)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۲۰، ۳۲۱، ۳۲۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶

ذكر مصيبة الأولين و الآخرين من المسلمين بوفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و على آله أجمعين

و لما قفل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من حجة الوداع أقام بالمدينة بقية ذى الحجة و المحرم و صفرا، و ضرب على الناس بعثا إلى الشام، و هو البعث الذى أمر عليه أسامة بن زيد، و أمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء و الداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس،

و أوعب مع أسامة المهاجرون الأولون، و كان آخر بعث بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فبينا الناس على ذلك ابتدئ صلوات الله عليه بشكواه الذى قبضه الله فيه إلى ما أراد من رحمته و كرامته فى ليال بقين من صفر أو فى أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيما ذكر أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك.

حدث أبو مويهبة مولى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: بعثنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبة، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»؛ ثم أقبل على فقال: «يا أبا مويهبة، إنى قد أوتيت مفاتح خزائن الدنيا و الخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى و الجنة»، فقلت: بأبى أنت و أمى فخذ مفاتح خزائن الدنيا و الخلد فيها، ثم الجنة؛ قال: «لا و الله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربى و الجنة». ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ به وجعه الذى قبضه الله فيه «۱».

و قالت عائشة رضى الله عنها: رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من البقيع، فوجدنى و أنا أجد صداعا فى رأسى، و أنا أقول: وا رأساه، فقال: «بل أنا و الله يا عائشة، وا رأساه». قالت:

ثم قال: «و ما ضرك لو مت قبلى، فقمت عليك و كفنتك و صليت عليك و دفنتك؟» فقلت: و الله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك، فتبسم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و تتام به وجعه و هو يدور على نسائه، حتى استعز به و هو فى بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى، فأذن له «۲».

---

(۱) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۵۵، ۵۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۱۶۲، ۱۶۳)، سنن الدارمى (۱/ ۷۸).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۱۰/ ۵۶۶۶)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۲۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷

و فى غير حديث عائشة أن نساءه صلى اللّه عليه و سلم كن يومئذ تسعا: عائشة بنت أبى بكر الصديق، و حفصة بنت عمر بن الخطاب، و أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، و أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة، و زينب بنت جحش، و سودة بنت زمعة القرشيات، و ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، و جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية، و صفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير.

فهؤلاء التسع هن اللاتى توفى عنهن صلى اللّه عليه و سلم و توفى منهن قبله عليه السلام خديجة بنت خويلد، وزيرته على الإسلام و أم بنيه و بناته كلهم ما خلا إبراهيم فإنه لسريته مارية القبطية، و لم يتزوج عليها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى ماتت، و زينب بنت خزيمة من بنى هلال ابن عامر بن صعصعة: و كانت تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم و رقتها عليهم، فزينب هذه و خديجة توفيتا قبله، و بهما كمل عدد من بنى عليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أزواجه ممن اتفق العلماء عليه إحدى عشرة امرأة، توفى منهن عن تسع كما ذكرنا.

و قد عقد عليه السلام على نساء غيرهن، فلم يبن فى المشهور من أقاويل العلماء بواحدة منهن، فاستغنينا لذلك عن ذكرهن.

و نرجع الآن إلى حديث عائشة زوج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لما استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتها فأذن له، قالت: فخرج رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يمشى بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عباس، و رجل آخر عاصبا رأسه تخط قدماه، حتى دخل بيتى.

و عن ابن عباس: أن الرجل الآخر هو على بن أبى طالب.

ثم غمر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و اشتد به وجعه، فقال: «هريقوا على من سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد

إلیهم». فأقعدناه فی مخضب لحفصة بنت عمر، ثم صببنا علیه الماء حتی طفق یقول: «حسبکم حسبکم» «۱».

قال الزهری: حدثنی أبو أیوب بن بشیر أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خرج عاصبا رأسه حتی جلس علی المنبر، ثم کان أول ما تکلم به أنه صلی علی أصحاب أحد و استغفر لهم فأکثر الصلاة علیهم، ثم قال: «إن عبدا من عباد الله خیره الله بین الدنیا و الآخرة، و بین ما عنده، فاختار ما عند الله»، ففهمها أبو بکر و عرف أن نفسه یرید، فبکی و قال: بل نفدیک بأنفسنا و أبنائنا، فقال: «علی رسلک یا أبا بکر»، ثم قال: «انظروا هذه الأبواب

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۲۸)، مصنف عبد الرزاق (۵/ ۹۷۵۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸

اللافظة فی المسجد فسدوها إلا باب أبی بکر، فإنی لا أعلم أحدا کان أفضل فی الصحبة عندی یدا منه» «۱».

و فی روایة: «فإنی لو کنت متخذا من العباد خلیلا لاتخذت أبا بکر خلیلا، و لکن صحبة و إخاء إیمان حتی یجمع الله بیننا عنده».

و عن عروة بن الزبیر و غیره من العلماء أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم استبطأ الناس فی بعث أسامة بن زید و هو فی وجعه، فخرج عاصبا رأسه حتی جلس علی المنبر، و قد کان الناس قالوا فی إمرة أسامة أمر غلاما حدثا علی جلة المهاجرین و الأنصار.

فحمد الله و أثنی علیه بما هو له أهل، ثم قال: «أیها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمری لئن قلتم فی إمارته لقد قلتم فی إمارة أبیه من قبله، و إنه لخلیق للإمارة و إن کان أبوه لخلیق بها» «۲»، ثم نزل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و انکمش الناس فی جهازهم، و استعز برسول الله صلی اللّه علیه و سلم وجعه، فخرج أسامة و خرج جیشه معه حتی نزلوا الجرف من المدینة علی فرسخ، فضرب به عسکره و تتام إلیه الناس، و ثقل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأقام أسامة و الناس لینظروا ما الله قاض فی رسوله علیه السلام.

و من حدیث عبد الله بن کعب بن مالک أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أوصی بالأنصار یوم صلی و استغفر لأصحاب أحد، و ذکر من أمرهم ما ذکر، فقال یومئذ: «یا معشر المهاجرین، استوصوا بالأنصار خیرا، فإن الناس یزیدون و إن الأنصار علی هیئتها لا تزید، و إنهم کانوا عیبتی التی آویت إلیها، فأحسنوا إلی محسنهم و تجاوزوا عن مسیئهم» «۳»، ثم نزل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و دخل بیته و تتام به وجعه حتی غمر.

و فی الصحیحین من حدیث عبید الله بن عبد الله أنه قال لعائشة رضی الله عنها: أ لا تحدثینی عن مرض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم؟ قالت: بلی، ثقل النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فقال: «أصلی الناس؟» قلنا:

لا، هم ینتظرونک یا رسول الله، قال: «ضعوا لی ماء فی المخضب»، قالت: ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لینوی فأغمی علیه، ثم أفاق، فقال: «أصلی الناس؟» قلنا: لا، هم ینتظرونک یا رسول الله، قال: «ضعوا لی ماء فی المخضب»، قالت: فاغتسل ثم ذهب

---

(۱) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۸)، صحیح البخاری (۱/ ۴۶۶)، الطبقات الکبری لابن سعد (۲/ ۲۸۸).

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۷/ ۴۲۵۰)، فتح الباری لابن حجر (۷/ ۷۵۹).

(۳) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۷/ ۳۸۰۰)، مسند الإمام أحمد (۵/ ۲۲۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹

لینوی فأغمی علیه، ثم أفاق، فقال: «أصلی الناس؟» قلنا: لا، هم ینتظرونک یا رسول الله، قال: «ضعوا لی ماء فی المخضب»، فقعد فاغتسل ثم ذهب لینوی فأغمی علیه، ثم أفاق فقال: «أصلی الناس؟» «۱» قلنا: لا، هم ینتظرونک یا رسول الله عکوف فی المسجد ینتظرون النبیّ صلی اللّه علیه و سلم لصلاة العشاء الآخرة فأرسل النبیّ صلی اللّه علیه و سلم إلی أبی بکر بأن یصلی بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یأمرک أن تصلی بالناس، فقال أبو بکر و کان رجلا رقیقا: یا عمر صل بالناس، فقال

له عمر: أنت أحق بذلک، فصلی أبو بکر تلک الأیام.

و من حدیث الأسود عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم جاء بلال یؤذنه بالصلاة، فقال: «مروا أبا بکر فلیصل بالناس». قالت: فقلت: یا رسول الله، إن أبا بکر رجل أسیف و إنه متی یقم مقامک لا یسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «مروا أبا بکر فلیصل بالناس»، قالت: فقلت لحفصة: قولی له: إن أبا بکر رجل أسیف و إنه متی یقم مقامک لا یسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقالت له، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «إنکن لأنتن صواحب یوسف، مروا أبا بکر فلیصل بالناس» «۲»، قالت: فأمروا أبا بکر، فلما دخل فی الصلاة وجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من نفسه خفة، فقام یهادی بین رجلین و رجلاه تخطان فی الأرض، فلما دخل المسجد و سمع أبو بکر حسه ذهب یتأخر، فأومأ إلیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

«أقم مکانک»، فجاء رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حتی جلس عن یسار أبی بکر، فکان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یصلی بالناس جالسا، و أبو بکر قائما، یقتدی أبو بکر بصلاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و یقتدی الناس بصلاة أبی بکر.

و عن عبد الله بن زمعة بن الأسود أنه کان عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی نفر من المسلمین لما استعز به و دعاه بلال إلی الصلاة، فقال: «مروا من یصلی بالناس»، قال: فخرجت فإذا عمر فی الناس، و کان أبو بکر غائبا، فقلت: قم یا عمر فصل بالناس، فقام، فلما کبر سمع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم صوته و کان عمر رجلا مجهرا فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «فأین أبو بکر؟

---

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۱/ ۱۷۶)، صحیح مسلم فی کتاب الصلاة (۹۰)، سنن النسائی (۲/ ۱۰۱)، مسند الإمام أحمد (۲/ ۵۲، ۶/ ۲۵۱)، سنن الدارمی (۱/ ۲۸۷)، السنن الکبری للبیهقی (۱/ ۱۲۳، ۸/ ۱۵۱)، کنز العمال للمتقی الهندی (۱۸۸۳۸)، دلائل النبوة للبیهقی (۷/ ۱۹۰)، مصنف ابن أبی شیبة (۲/ ۳۳۱، ۳۳۲، ۱۴/ ۵۶۰، ۵۶۱)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۵/ ۲۳۳)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۱۹).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۲۸، ۲۲۹)، صحیح مسلم (۱/ ۹۴، ۳۱۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۰

یأبی الله ذلک و المسلمون، یأبی الله ذلک و المسلمون»، فبعث إلی أبی بکر، فجاء بعد أن صلی عمر تلک الصلاة، فصلی أبو بکر بالناس یرید ما بعد من الصلوات، فقال لی عمر:

ویحک، ما ذا صنعت فی یا ابن زمعة و الله ما ظننت حین أمرتنی إلا أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أمرک بذلک، و لو لا ذلک ما صلیت بالناس. قلت: و الله ما أمرنی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بذلک، و لکنی حین لم أر أبا بکر رأیتک أحق من حضر بالصلاة للناس «۱».

و عن أنس بن مالک قال: آخر نظرة نظرتها إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کشف الستارة یوم الاثنین و الناس صفوف فی الصلاة، فنظر إلینا و هو قائم کأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ضاحکا، فبهتنا و نحن فی الصلاة من فرح بخروج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم و نکص أبو بکر علی عقبه لیصل الصف، و ظن أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خارج للصلاة، فأشار إلیهم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بیده أن أتموا صلاتکم، ثم دخل فأرخی الستر، فتوفی من یومه ذلک.

و فی روایة عن أنس أن خروج رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی الناس کان و هم یصلون الصبح، و أنه لما رفع الستر و قام علی باب عائشة، فکاد المسلمون یفتتنون فی صلاتهم فرحا به حین رأوه، قال: و تبسم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سرورا لما رأی من هیئتهم فی صلاتهم، و ما رأیت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أحسن هیئة منه تلک الساعة.

قال: ثم رجع، و انصرف الناس و هم یرون أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد أفرق من وجعه.

و عن سعید بن جبیر قال: قال ابن عباس: یوم الخمیس و ما یوم الخمیس، ثم بکی، حتی بل دمعه الحصا، قلت: یا ابن عباس، و ما یوم

الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى اللّه عليه و سلم وجعه، فقال: «ائتونى أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى»، فتنازعوا و ما ينبغى عند نبى تنازع و قالوا: ما شأنه، أهجر، استفهموه، قال: «دعونى، فالذى أنا فيه خير، أوصيكم بثلاث، أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم».

قال: و سكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها.

و فى حديث عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لما حضر و فى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده» «۲»،

---

(۱) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (۳/ ۶۴۱)، سنن أبى داود (۴/ ۴۶۶۰).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۷/ ۱۵۶، ۹/ ۱۳۷)، صحيح مسلم فى كتاب الوصية (۲۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۲۴)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۳۷)، فتح البارى لابن حجر (۱۳/ ۳۳۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱

فقال عمر: إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قد غلب عليه الوجع، و عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

فاختلف أهل البيت، منهم من يقول: قوموا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده، و منهم من يقول ما قال عمر، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «قوموا» «۱»، لما أكثروا اللغو و الاختلاف عنده. قال: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم و لغطهم.

و عن عبد الله بن مسعود قال: نعى إلينا نبينا و حبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبى هو و نفسى له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت أمنا عائشة فنظر إلينا و تشدد و دمعت عيناه، و قال: «مرحبا بكم، حياكم الله، رحمكم الله، آواكم الله، حفظكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، وقفكم الله، رزقكم الله، هداكم الله، نصركم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، و أوصى الله عز و جل بكم و أستخلفه عليكم، و أذكركم الله و أشهدكم أنى لكم منه نذير و بشير أن لا تعلوا على الله فى عباده و بلاده فإنه عز و جل قال لى و لكم: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [الزمر: ۳۲]، و قال: أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ [۶۰: الزمر]»، قلنا: متى أجلك يا رسول الله؟ قال: «دنا الأجل و المنقلب إلى الله عز و جل و إلى سدرة المنتهى و إلى جنة المأوى و الفردوس الأعلى و الكأس الأوفى و العيس و الحظ المهنى». قلنا: فمن يغسلك يا رسول الله؟ قال: «رجال أهل بيتى الأدنى فالأدنى»، قلنا: ففيم نكفنك يا رسول الله؟ قال: «فى ثيابى هذه إن شئتم أو فى بياض مصر أو حلة يمانية»، قلنا: فمن يصلى عليك يا رسول الله؟ قال: فبكى و بكينا، فقال:

«مهلا غفر الله لكم و جزاكم عن نبيكم خيرا إذا أنتم غسلتمونى و كفنتمونى فضعونى على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة، فإن أول من يصلى على خليلى و جليسى

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۲۳۵، ۵/ ۱۳۸، ۶/ ۱۲، ۷/ ۸۹، ۸/ ۱۷۴)، صحيح مسلم فى كتاب الوصية باب (۵) رقم (۲۲)، و كتاب الأشربة باب (۲۰) رقم (۱۴۰، ۱۴۲، ۱۴۳)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۳۶، ۳/ ۱۵۸، ۲۱۸، ۲۳۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۴، ۲۷۳)، الدر المنثور للسيوطى (۶/ ۳۸۹)، فتح البارى لابن حجر (۱/ ۵۱۷، ۹/ ۵۲۶، ۱۰/ ۱۲۶، ۱۱/ ۵۷۰)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۲/ ۲۰۶، ۷/ ۱۸۱)، موطأ مالك (۹۲۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۸/ ۳۰۷)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۵۴۴۴)، مصنف ابن أبى شيبة (۷/ ۴۱۶)، دلائل النبوة للبيهقى (۶/ ۹۰، ۷/ ۱۸۴)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۳۸)، دلائل النبوة لأبى نعيم (۱۳۷، ۱۴۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۲۷)، ۶/ ۱۲۱، ۱۵۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲

جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنوده بأجمعهم مع الملائكة عليهم السلام، ثم ادخلوا على أفواجا فصلوا على و سلموا تسليما، و لا يؤمكم أحد و لا تؤذونى بتزكية و لا نصيحة و لا برنة، و اقرءوا أنفسكم منى السلام، و من كان غائبا من أصحابى فأبلغوه عنى السلام، و أشهدكم أنى قد سلمت على من دخل فى الإسلام و على من تابعنى على دينى من اليوم إلى يوم القيامة». قلنا: فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال:

«رجال أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثير يرونكم من حيث لا ترونهم» «۱».

و عن الفضل بن عباس أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال له و هو موعوك قد عصب رأسه: «خذ بيدى» «۲». قال: فأخذت بيده حتى جلس على المنبر، ثم قال: «ناد فى الناس». فصحت فى الناس، فاجتمعوا إليه، فقال: «أما بعد، أيها الناس، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، و إنه قد دنا منى خفوف من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه، و من كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه، و من كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه، و لا يقل رجل: إنى أخشى الشحناء من قبل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ألا ـ و أن الشحناء ليست من طبيعتى، و لا ـ من شأنى، ألا ـ و إن أحبكم إلى من أخذ منى حقا إن كان له أو حللنى، فلقيت الله عز و جل و أنا طيب النفس، و قد أرى أن هذا غير مغن عنى حتى أقوم فيكم مرارا». قال الفضل: ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء و غيرها، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن لى عندك ثلاثة دراهم، فقال: «أما إنا لا نكذب قائلا، و لا نستحلفه على يمين، فيم كانت لك عندى؟» «۳» فقال: يا رسول الله، أتذكر يوم مر بك المسكين فأمرتنى فأعطيته ثلاثة دراهم؟ فقال: «أعطه يا فضل» «۴»، ثم قال: «أيها الناس، من كان عنده شىء فليرده و لا يقل رجل: فضوح الدنيا، ألا و إن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة» «۵». فقام رجل فقال: يا رسول الله، عندى ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله، قال: «و لم غللتها؟» قال: كنت إليها محتاجا، قال: «خذها منه يا فضل»، ثم قال: «من

---

(۱) انظر الحديث فى: إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۳۸۶)، المطالب العالية لابن حجر (۴۳۹۲، ۴۳۹۳)، حلية الأولياء لأبى نعيم (۴/ ۱۹۸).

(۲) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (۶/ ۷۴)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۲۵)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۱۷۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۱).

(۳) انظر الحديث فى: ميزان الاعتدال (۶۸۵۵)، المعجم الكبير للطبرانى (۱۸/ ۲۸۱).

(۴) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (۶/ ۷۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۱).

(۵) انظر الحديث فى: جمع الجوامع للسيوطى (۹۵۷۰)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۱۰۵۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳

خشى من نفسه شيئا فليقم أدع له»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إنى لكذوب، و إنى لفاحش، و إنى لنئوم. فقال: «اللهم ارزقه الصدق و أذهب عنه النوم إذا أراد». ثم قال رجل فقال: و الله يا رسول الله إنى لكذاب و إنى لمنافق و ما شىء أو إن شىء إلا قد جئته. فقام عمر بن الخطاب فقال: فضحت نفسك أيها الرجل، فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «يا ابن الخطاب، فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، اللهم ارزقه صدقا و إيمانا و صير أمره إلى خير».

فقال عمر كلمة، فضحك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: «عمر معى و أنا مع عمر و الحق بعدى مع عمر حيث كان» «۱».

و عن عائشة أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات و ينفث، قالت: فلما اشتد وجعه كنت أنا أقرأ عليه و أمسح عنه بيمينه رجاء بركتها.

و عنها قالت: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لا أغبط أحدا بهون موت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و قالت رضى الله عنها: رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو بالموت و عنده قدح فيه ماء و هو يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه صلى اللّه عليه و سلم بالماء، ثم يقول: «اللهم أعنى على منكرات الموات أو سكرات الموت» «۲».

و عنها، و عن عبد الله بن عباس أيضا قالا: لما نزل برسول الله صلى اللّه عليه و سلم طفق يلقى خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال و هو كذلك: «لعنة الله على اليهود و النصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» «۳». يحذرهم مثل ما صنعوا.

و عن أسامة بن زيد قال: لما ثقل النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و هبطت و هبط الناس معى إلى المدينة يعنى

---

(۱) انظر الحديث فى: المعجم الكبير للطبرانى (۱۸/ ۲۸۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۲۶).

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۶۴، ۷۰، ۷۷، ۱۵۱)، سنن ابن ماجه (۱۶۲۳)، الدر المنثور للسيوطى (۶/ ۱۰۵)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۱۵۶۴)، فتح البارى لابن حجر (۸/ ۱۴۰، ۱۱/ ۳۶۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۸۸۳۶)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۴۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۹).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۱/ ۱۱۹، ۴/ ۲۰۶، ۶/ ۱۴، ۷/ ۱۰۹)، صحيح مسلم فى كتاب المساجد باب (۳) رقم (۲۲)، سنن النسائى (۲/ ۴۰)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۵، ۲۹۹)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۲۰۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴

الجيش الذى كان تهيأ للخروج معه فى بعثه قال: فدخلت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قد أصمت فلا يتكلم، و جعل يرفع يديه إلى السماء، ثم يضعهما على، أعرف أنه يدعو لى.

و ذكر ابن إسحاق «۱»: من حديث أبى بكر بن عبد الله بن أبى مليكة أن مما تكلم به رسول الله صلى اللّه عليه و سلم للناس يوم صلى قاعدا عن يمين أبى بكر أن قال لهم لما فرغ من الصلاة و أقبل عليهم فكلمهم رافعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: «يا أيها الناس، سعرت النار، و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، إنى و الله ما تمسكون على بشىء، إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن، و لم أحرم إلا ما حرم القرآن».

قال: فلما فرغ رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من كلامه قال له أبو بكر: يا رسول الله، إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله و فضل كما نحب، و اليوم يوم بنت خارجة، أ فآتيها؟ قال: «نعم»، ثم دخل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و خرج أبو بكر إلى أهله بالسنح «۲».

و عن عبد الله بن عباس قال: خرج يومئذ على بن أبى طالب رضى الله عنه على الناس من عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟

قال: أصبح بحمد الله بارئا. قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا على، أنت و الله عبد العصا، بعد ثلاث مرات، أحلف بالله لقد رأيت الموت فى وجه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، و إن كان فى غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس. فقال على: إنى و الله لا أفعل، و الله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده، فتوفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم.

و قالت عائشة رضى الله عنها: رجع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ذلك اليوم حين دخل المسجد فاضطجع فى حجرى، فدخل على رجل من آل أبى بكر و فى يده سواك أخضر، فنظر إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى يده نظرا عرفت أنه يريده، فقلت: يا رسول الله، أ تحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: «نعم»، قالت: فأخذته فمضغته له حتى لينته، ثم أعطيته إياه؛ قالت: فاستن به كأشد ما رأيته استن بسواك قط، ثم وضعه؛ و وجدت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يثقل فى حجرى، فذهبت أنظر فى وجهه، فإذا بصره قد

شخص و هو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة» «۳»؛ قالت: فقلت: خيرت فاخترت و الذى بعثك بالحق.

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۷۸).

(۲) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۲۰۱).

(۳) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۴)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۲۸۸، ۲۹۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۵

و قالت: كان عليه السلام كثيرا ما أسمعه يقول: «إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره»، فلما حضر كان آخر كلمة سمعتها منه و هو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة» فقلت:

إذا و الله لا يختارنا، و عرفت أنه الذى كان يقول لنا: «إن نبيا لم يقبض حتى يخير» «۱».

قالت: و قبض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و عن أنس بن مالك قال: لما وجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من كرب الموت ما وجد قالت فاطمة، وا كرباه لكربك يا أبة، فقال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: «لا كرب على أبيك بعد اليوم، إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحدا لموافاة يوم القيامة» «۲».

و قالت عائشة رضى الله عنها: كان آخر ما عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان» «۳».

و قالت أم سلمة: كان عامة وصية رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عند موته: «الصلاة و ما ملكت أيمانكم» «۴»، حتى جعل يلجلجها فى صدره، و ما يقبض بها لسانه.

و قال أنس بن مالك: شهدته يوم توفى صلى اللّه عليه و سلم فلم أر يوما كان أقبح منه.

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۴۵، ۴۸، ۷۴، ۸۹، ۱۰۸، ۱۲۰، ۱۲۶)، صحيح مسلم (۴/ ۱۸۹۳/ ۸۵).

(۲) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (۱۶۲۹)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۲۶۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۲۱۲)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۸۸۱۸، ۱۸۸۲۰)، تاريخ أصفهان (۲/ ۲۲۱).

(۳) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (۵/ ۳۲۵)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۲۷۵).

(۴) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (۱۶۲۵، ۲۶۹۷، ۲۶۹۸)، مسند الإمام أحمد (۳/ ۱۱۷)، مجمع الزوائد للهيثمى (۴/ ۲۳۷)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲/ ۴۴)، شرح السنة للبغوى (۹/ ۳۵۰)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۱۰/ ۲۹۷)، الترغيب و الترهيب للمنذرى (۳/ ۲۱۵)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۸۸۶۳)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۳۳۵۶، ۳۳۵۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۲۳۸)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۴/ ۲۴۰)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (۲/ ۲۳۶)، المغنى عن حمل الأسفار للعراقى (۲/ ۴۴)، مشكل الآثار للطحاوى (۴/ ۲۳۵، ۲۳۶)، تفسير ابن كثير (۸/ ۳۱۴)، علل الحديث لابن أبى حاتم الرازى (۳۰۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶

و قالت عائشة: توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بين سحرى و نحرى، و فى دولتى «۱»، لم أظلم فيه أحدا، فمن سفهى و حداثة سنى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قبض و هو فى حجرى، ثم وضعت رأسه على وسادة، و قمت التدم مع النساء، و أضرب وجهى «۲».

و اختلف أهل العلم بهذا الشأن فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الشهر بعد اتفاقهم على أنه توفى يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول.

فذكر الواقدى و جمهور الناس أنه توفى يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة، و هذا لا يصح، و قد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه، و ذلك أن المسلمين قد أجمعوا على أن وقفة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم بعرفة فى حجة الوداع كانت يوم الجمعة تاسع ذى الحجة من سنة عشر، فاستهل هلال ذى الحجة على هذا ليلة الخميس، ثم لا يخلو شهر ذى الحجة و المحرم بعده من سنة إحدى عشرة ثم صفر بعده أن تكون هذه الأشهر الثلاثة كاملة كلها أو ناقصة كلها، أو اثنان منها كاملين و واحد ناقصا، أو اثنان منها ناقصين و واحد كاملا، و أيا ما قدرت من ذلك و اعتبرته لم تجد الثانى عشر من ربيع الأول يكون يوم الاثنين أصلا.

و ذكر أبو جعفر الطبرى بإسناد يرفعه إلى فقهاء أهل الحجاز، قالوا: قبض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول.

و هذا القول و إن خالف ما ذكره جهور العلماء فإنه أولى بالصواب، و أمكن أن يكون حقا، فإنه إن كانت الأشهر الثلاثة كل شهر منها من تسعة و عشرين يوما كان استهلال شهر ربيع الأول على ذلك بالأحد فكان يوم الاثنين ثانيه.

و قد حكى الخوارزمى أنه صلى اللّه عليه و سلم توفى أول يوم من شهر ربيع الأول، و هذا أيضا أمكن و أكثر إذ اتصال النقص فى ثلاثة أشهر لا يكون إلا قليلا، و الله تعالى أعلم.

و لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ارتفعت الرنة عليه و سجته الملائكة دهش الناس كما روى عن غير واحد من الصحابة و طاشت عقولهم، و أفحموا، و اهتلطوا، فمنهم من خبل، و منهم من أصمت، و منهم من أقعد إلى الأرض، فكان عمر رضى الله عنه ممن خبل، فجعل يصيح و يقول: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم توفى و إنه و الله ما مات، و لكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين

---

(۱) فى دولتى: أى فى نوبتها.

(۲) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۶/ ۴۸/ ۱۲۱، ۲۰۰، ۲۷۴)، صحيح البخارى (۳/ ۱۳۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷

ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، و الله ليرجعن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كما رجع موسى، فليقطعن أيدى رجال و أرجلهم زعموا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مات.

و أما عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخرس حتى جعل يذهب به و يجاء و لا يتكلم.

و أقعد على رضى الله عنه فلم يستطع حراكا. و أضنى عبد الله بن أنيس.

و بلغ الخبر أبا بكر رضى الله عنه و هو بالسنح فجاء و عيناه تهملان و زفراته تترد فى صدره و غصصه ترتفع كقطع الجرة و هو فى ذلك رضوان الله عليه جلد العقل و المقالة، حتى دخل على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فأكب عليه و كشف عن وجهه و مسحه و قبل جبينه و جعل يبكى و يقول: بأبى أنت و أمى طبت حيا و ميتا، و لنقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة، و جللت عن البكاء، و خصصت حتى صرت مسلاة، و عممت حتى صرنا فيك سواء، و لو لا أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس، لو لا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء الشون، فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد و أدناف يتخالفان لا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا، اذكرنا يا محمد عند ربك و لنكن من بالك، فلو لا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا و احفظه فينا. ثم خرج إلى الناس و هم فى عظيم غمراتهم و شديد سكراتهم فقام فيهم بخطبة جلها الصلاة على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و قال فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمد عبده و رسوله و خاتم أنبيائه، و أشهد أن الكتاب كما نزل و أن الدين كما شرع، و أن الحديث كما حدث، و أن القول كما قال، و أن الله هو الحق المبين ...

فی کلام طویل، ثم قال:

أیها الناس، من کان یعبد محمدا فإن محمدا قد مات، و من کان یعبد الله فإن الله حی لا یموت، و إن الله قد تقدم إلیکم فی أمره فلا تدعوه جزعا، قال الله تبارک و تعالی:

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران: ۱۴۴]. و إن الله سبحانه قد اختار لنبیه صلی اللّه علیه و سلم ما عنده علی ما عندکم، و قبضه إلی ثوابه، و خلف فیکم کتابه و سنة نبیه، فمن أخذ بهما عرف و من فرق بینهما أنکر، یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ [النساء: ۱۳۵] و لا یشغلنکم الشیطان بموت نبیکم، و لا یلفتنکم عن دینکم، فعاجلوا الشیطان بالخزی تعجزوه و لا تستنظروه فیلحق بکم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۸

فلما فرغ من خطبته التفت إلی عمر بن الخطاب رضی الله عنه فقال: یا عمر، أنت الذی بلغنی عنک أنک تقول علی باب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم: و الذی نفس عمر بیده ما مات نبی الله أ ما علمت أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال یوم کذا: کذا و کذا، و قال یوم کذا: کذا و کذا، و قال الله تعالی فی کتابه: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [۳۰: الزمر]. فقال عمر: و الله لکأنی لم أسمع بها فی کتاب الله تعالی قبل ذلک لما نزل بنا، أشهد أن الکتاب کما نزل و أن الحدیث کما حدث و أن الله تبارک و تعالی حی لا یموت، صلوات الله علی رسوله، و عند الله نحتسب رسوله.

و فی بعض سیاق هذا الخبر أن أبا بکر رضی الله عنه لما دخل علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی بیت عائشة و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم مسجی فی ناحیة البیت علیه برد حبرة، أقبل حتی کشف عن وجه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم أقبل علیه فقبله، ثم قال: بأبی أنت و أمی، أما الموتة التی کتبها الله علیک فقد ذقتها، ثم لن تصیبک بعدها موتة أبدا، ثم رد البرد علی وجه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم خرج و عمر یکلم الناس، فقال: یا عمر، أنصت. فأبی إلا أن یتکلم، فلما رآه أبو بکر لا ینصت أقبل یکلم الناس، فلما سمع الناس کلام أبی بکر أقبلوا علیه و ترکوا عمر؛ فحمد الله أبو بکر و أثنی علیه، ثم قال:

یا أیها الناس، إنه من کان یعبد محمدا فإن محمدا قد مات، و من کان یعبد الله فإن الله حی لا یموت، ثم تلا هذه الآیة: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ [آل عمران: ۱۴۴] إلی آخر الآیة.

قال: فو الله لکأن الناس لم یعلموا أن هذه الآیة نزلت حتی تلاها أبو بکر یومئذ؛ و أخذها الناس عن أبی بکر، فإنما هی فی أفواههم.

و قال عمر رضی الله عنه: و الله ما هو إلا أن سمعت أبا بکر تلاها، فعقرت «۱» حتی وقعت إلی الأرض، ما تحملنی رجلای، و عرفت أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد مات «۲».

و قال عمر بن الخطاب رضی الله عنه فیما کان منه یومئذ:

لعمری لقد أیقنت أنک میتو لکنما أبدی الذی قلته الجزع

و قلت یغیب الوحی عنا لفقده کما غاب موسی ثم یرجع کما رجع

و کان هوای أن تطول حیاتهو لیس لحی فی بقا میت طمع

---

(۱) عقرت: أی دهشت و تحیرت.

(۲) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری فی کتاب فضائل الصحابة (۷/ ۳۶۶۷- ۳۶۶۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۹ فلما کشفنا البرد عن حر وجههإذا الأمر بالجدع الموعب قد وقع

فلم تک لی عند المصیبة حیلةأرد بها أهل الشماتة و القذع

سوی إذن الله الذی فی کتابهو ما أذن الله العباد به یقع

و قد قلت من بعد المقالة قولةلها فى حلوق الشامتين به بشع

ألا إنما كان النبىّ محمدإلى أجل وافى به الموت فانقطع

ندين على العلات منا بدينهو نعطى الذى أعطى و نمنع ما منع

و وليت محزونا بعين سخينةأكفكف دمعى و الفؤاد قد انصدع

و قلت لعينى كل دمع ذخرتهفجودى به إن الشجى له دفع و ذكر ابن إسحاق «۱» بإسناد يرفعه إلى عبد الله بن عباس قال: إنى لأمشى مع عمر فى خلافته و هو عامد إلى حاجة له، و فى يده الدرة ما معه غيرى، و هو يحدث نفسه و يضرب و خشى قدمه بدرته، إذ التفت إلى فقال: يا ابن عباس، هل تدرى ما حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى الله و رسوله صلى اللّه عليه و سلم؟ قال: قلت: لا أدرى يا أمير المؤمنين؛ أنت أعلم. قال: فإنه و الله، إن حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية: وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً [البقرة: ۱۴۳]، فو الله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذى حملنى على أن قلت ما قلت «۲».

و ذكر موسى بن عقبة أن المقام الذى قام به أبو بكر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و بعد الذى كان من عمر من القول هو أنه خرج سريعا إلى المسجد من بيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يتوطأ رقاب الناس حتى جاء المنبر و عمر يكلم الناس و يوعد من زعم أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مات، فجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلا، فقام أبو بكر على المنبر فنادى الناس أن اجلسوا و أنصتوا، فتشهد بشهادة الحق، ثم قال: إن الله قد نعى نبيكم لنفسه و هو حى بين أظهركم، و نعى لكم أنفسكم، فهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله، يقول الله عز و جل: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [۱۴۴: آل عمران].

و قال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [۳۰: الزمر]

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۸۶).

(۲) أخرجه الطبرى فى تاريخه (۲/ ۲۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰

و قال: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: ۳۵، الأنبياء، ۵۷].

و قال: كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص: ۸۸]. و قال: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [الرحمن: ۲۶].

ثم قال: إن الله عمر محمدا و أبقاه حتى أقام دين الله و أظهر أمر الله و بلغ رسالة الله و جاهد أعداء الله حتى توفاه الله صلوات الله عليه و هو على ذلك و تركتم على الطريقة، فلا يهلك هالك إلا من بعد البينة، فمن كان الله ربه فإن الله حى لا يموت فليعبده، و من كان يعبد محمدا أو يراه، إلها فقد هلك إلهه، فأفيقوا أيها الناس و اعتصموا بدينكم و توكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، و إن كلمته باقية، و إن الله ناصر من نصره و معز دينه.

و إن كتاب الله بين أظهرنا هو النور و الشفاء و به هدى الله محمدا، و فيه حلال الله و حرامه، لا و الله ما نبالى من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، و لنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلا يبقين أحد إلا على نفسه.

ثم انصرف و انصرف المهاجرون معه.

بيعة أبى بكر رضى الله عنه و ما كان من تحيز الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، و منتهى أمر المهاجرين معهم

قال ابن إسحاق «۱»: و لما قبض رسول الله صلى اللّه عليه و سلم انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، و اعتزل على بن أبى طالب و الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة، و انحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر، و انحاز معهم أسيد بن حضير فى بنى عبد الأشهل، فأتى آت إلى أبى بكر فقال: إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس من قبل أن يتفاقم أمرهم و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبى بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۸۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱

الأنصار حتى ننظر ما هم عليه. قال: و كان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار أن عبد الله بن عباس قال: أخبرنى عبد الرحمن بن عوف و كنت فى منزله بمنى أنتظره، و هو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر قال: فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدنى فى منزله أنتظره، و كنت أقرئه القرآن، فقال لى: لو رأيت رجلا- أتى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك فى فلان يقول: و الله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، و الله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت. قال: فغضب عمر فقال: إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم. ثم قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، إن الموسم يجمع رعاع الناس و غوغاءهم و إنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس، و إنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير و لا يعودها و لا يضعوها على موضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة و تخلص بأهل الفقه و أشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا، فيعى أهل الفقه مقالتك، و يضعونها موضعها. فقال عمر: أما و الله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس «۱»: فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر، فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر، فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد: ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف؛ قال:

فأنكر على سعيد بن زيد ذلك. قال: و ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فإنى قائل لكم مقالة قد قدر لى أن أقولها و لا أدرى لعلها بين يدى أجلى، فمن عقلها و وعاها فليأخذنها حيث انتهت به راحلته، و من خشى أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب على؛ إن الله بعث محمدا صلى اللّه عليه و سلم و أنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها و علمناها و وعيناها، و رجم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و رجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: و الله ما نجد الرجم فى كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، و إن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال و النساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من الكتاب: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم» أو «كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»، ألا إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۸۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲

قال: «لا تطرونى كما أطرى عيسى ابن مريم، و قولوا: عبد الله و رسوله» «۱»؛ ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال: لو و الله قد مات عمر بايعت فلانا، فلا يغرن امرأ أن يقول: إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت، و إنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها، و ليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر، فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له هو و لا الذى بايعه، تغرة أن يقتلا، إنه

کان من خبرنا حین توفی الله نبیه صلی اللّه علیه و سلم أن الأنصار خالفوا فاجتمعوا بأشرافهم فی سقیفة بنی ساعدة، و تخلف عنا علی بن أبی طالب و الزبیر بن العوام و من معهما، و اجتمع المهاجرون إلی أبی بکر، فقلت لأبی بکر: انطلق بنا إلی إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتی لقینا منهم رجلان صالحان، فذکرا لنا ما تمالأ علیه القوم، فقالا: أین تریدون یا معشر المهاجرین؟ قلنا: نرید إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: فلا علیکم أن لا تقربوهم یا معشر المهاجرین، اقضوا أمرکم. قال: قلت: و الله لنأتینهم. فانطلقنا حتی أتیناهم فی سقیفة بنی ساعدة، فإذا بین ظهرانیهم رجل مزمل، فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا تشهد خطیبهم فأثنی علی الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله و کتیبة الإسلام، و أنتم یا معشر المهاجرین رهط منا، و قد دفت دافة من قومکم.

قال: و إذا هم یریدون أن یحتازونا من أصلنا و یغصبونا الأمر، فلما سکت أردت أن أتکلم و قد زورت فی نفسی مقالة قد أعجبتنی، أرید أن أقدمها بین یدی أبی بکر، و کنت أداری منه بعض الحد، فقال أبو بکر: علی رسلک یا عمر. فکرهت أن أعصیه، فتکلم، و هو کان أعلم منی و أوقر، فو الله ما ترک من کلمة أعجبتنی من تزویری إلا قالها فی بدیهته أو مثلها أو أفضل منها حتی سکت.

قال: أما ما ذکرتم فیکم من خیر فأنتم له أهل، و لن تعرف العرب هذا الأمر إلا هذا الحی من قریش، هم أوسط العرب نسبا و دارا، و قد رضیت لکم أحد هذین الرجلین فبایعوا أیهما شئتم، و أخذ بیدی و بید أبی عبیدة بن الجراح و هو جالس بیننا، و لم أکره شیئا مما قال غیرها، کان و الله أن أقدم فتضرب عنقی لا یقربنی ذلک إلی إثم أحب إلی من أن أتأمر علی قوم فیهم أبو بکر.

قال: فقال قائل من الأنصار: أنا جذیلها المحکک و عذیقها المرجب، منا أمیر و منکم

---

(۱) انظر الحدیث فی: سنن الدارمی (۲/ ۲۷۸۴)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۳، ۲۴، ۴۷، ۵۵)، مصنف عبد الرزاق (۱۱/ ۲۰۵۲۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۳

أمیر یا معشر قریش. قال: فکثر اللغط و ارتفعت الأصوات، حتی تخوفت الاختلاف، فقلت: ابسط یدک یا أبا بکر، فبسط یده فبایعته و بایعه المهاجرون ثم بایعه الأنصار، و نزونا علی سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد ابن عبادة.

و ذکر ابن إسحاق «۱» عن الزهری عن عروة أن أحد الرجلین اللذین لقوا من الأنصار حین ذهبوا إلی السقیفة هو عویم بن ساعدة، و هو الذی قال فیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما سئل:

من الذین قال الله لهم: رِجالٌ یُحِبُّونَ أَنْ یَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ یُحِبُّ الْمُطَّهِّرِینَ [التوبة:

۱۰۸]، فقال علیه السلام: «نعم المرء منهم عویم بن ساعدة، و أما الرجل الآخر فهو:

معن بن عدی» «۲»، و یقال: إنه لما بکی الناس علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین توفاه الله و قالوا:

و الله لوددنا أن متنا قبله، إنا نخشی أن نفتتن بعده، قال معن بن عدی: لکنی و الله ما أحب أنی مت قبله حتی أصدقه میتا کما صدقته حیا، و قتل رحمه الله شهیدا الیمامة.

و ذکر ابن عقبة أنهم لما توجهوا إلی سقیفة بنی ساعدة و أراد عمر أن یتکلم و یسبق بالقول و یمهد لأبی بکر و یتهدد من هناک من الأنصار، و قال عمر: خشیت أن یقصر أبو بکر رضی الله عنه عن بعض الکلام و عن ما أجد فی نفسی من الشدة علی من خالفنا زجره أبو بکر رضی الله عنه فقال: علی رسلک فستکفی الکلام إن شاء الله تعالی، ثم سوف تقول بعدی ما بدا لک، فتشهد أبو بکر، و أنصت القوم، ثم قال:

بعث الله محمدا بالهدی و دین الحق، فدعا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی الإسلام فأخذ الله بقلوبنا و نواصینا إلی ما دعانا إلیه، فکنا معشر المهاجرین أول الناس إسلاما، و نحن عشیرته و أقاربه، و ذوو رحمه، فنحن أهل النبوة و أهل الخلافة و أوسط الناس أنسابا فی العرب، ولدتنا العرب کلها، فلیست منها قبیلة إلا لقریش فیها ولادة، و لن تعترف العرب و لا تصلح إلا علی رجل من قریش، هم

أصبح الناس وجوها، و أبسطه ألسنا، و أفضله قولا، فالناس لقريش تبع، فنحن الأمراء، و أنتم الوزراء، و هذا الأمر بيننا و بينكم قسمة إلا بلمه، و أنتم يا معشر الأنصار إخواننا فى كتاب الله و شركاؤنا فى الدين و أحب الناس إلينا، و أنتم الذين آووا و نصروا، و أنتم أحق الناس أن لا تحسدوهم على خير أتاهم الله إياه، فأنا أدعوكم إلى أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب و أبى عبيدة

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۸۵).

(۲) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (۳/ ۲/ ۳۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴

ابن الجراح و وضع يديه عليهما، و كان قائما بينهما فكلاهما قد رضيته للقيام بهذا الأمر، و رأيته أهلا لذلك.

فقال عمر و أبو عبيدة: ما ينبغى لأحد بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يكون فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار مع رسول الله، و ثانى اثنين، و أمرك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين اشتكى فصليت بالناس، فأنت أحق بهذا الأمر.

قالت الأنصار: و الله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، و ما خلق الله قوما أحب إلينا و لا أعز علينا منكم، و لا أرضى عندنا هديا، و لكنا نشفق بعد اليوم، فلو جعلتم اليوم رجلا منكم فإذا مات أخذنا رجلا من الأنصار فجعلناه، فإذا مات أخذنا رجلا من المهاجرين فجعلناه، فكنا كذلك أبدا ما بقيت هذه الأمة بايعناكم و رضينا بذلك من أمركم، و كان ذلك أجدر إن يشفق القرشى إن زاغ أن ينقض عليه الأنصارى، و أن يشفق الأنصارى إن زاغ أن ينقض عليه القرشى.

فقال عمر: لا ينبغى هذا الأمر و لا يصلح إلا لرجل من قريش، و لن ترضى العرب إلا به، و لن تعرف العرب الإمارة، إلا له، و لن تصلح إلا عليه، و الله لا يخالفنا أحد إلا قتلناه.

فقام الحباب بن المنذر من بنى سلمة «۱»، فقال: منا أمير و منكم أمير يا معشر قريش، أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب، دفت علينا منكم دافة أرادوا أن يخرجونا من أصلنا و يختصونا من هذا الأمر، و إن شئتم كررناها جزعة.

فكثر القول حتى كادت الحرب تقع بينهم، و أوعد بعضهم بعضا، ثم تراد المسلمون و عصم الله لهم دينهم، فرجعوا بقول حسن، و سلموا الأمر لله و عصوا الشيطان، و وثب عمر فأخذ بيد أبى بكر و قام أسيد بن حضير الأشهلى «۲» و بشير بن سعد أبو النعمان بن

---

(۱) انظر ترجمته فى: الأنساب (۳/ ۲۷۸)، الإصابة ترجمة رقم (۱۵۵۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۰۲۳).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۸۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۷۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱)، الثقات (۳/ ۶)، الإكمال (۲/ ۴۸۲)، تهذيب الكمال (۱/ ۱۱۳)، الطبقات (۷۷)، تقريب التهذيب (۱/ ۷۸)، بقى بن مخلد (۱۳۶)، خلاصة تذهيب الكمال (۱/ ۹۸)، الوافى بالوفيات (۹/ ۲۵۸، ۱/ ۳۲۸)، تهذيب التهذيب (۱/ ۳۴۷)، الكاشف (۱/ ۱۳۳)، الجرح و التعديل (۲/ ۱۱۶۳)، التاريخ الكبير (۲/ ۴۷)، البداية و النهاية (۷/ ۱۰۱)، الأنساب (۱/ ۲۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵

بشير «۱» يستبقان ليبايعا أبا بكر فسبقهما عمر فبايع ثم بايعا معا، و وثب أهل السقيفة يبتدرون البيعة، و سعد بن عبادة مضطجع يوعك، فازدحم الناس على أبى بكر، فقال رجل من الأنصار: اتقوا سعدا، لا تطؤه فتقتلوه.

فقال عمر و هو مغضب: قتل الله سعدا، فإنه صاحب فتنة. فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فقعد على المنبر فبايعه الناس حتى أمسى، و شغلوا عن دفن رسول الله حتى آخر الليل من ليلة الثلاثاء مع الصبح.

و قال ابن أبى عزة القرشى الجمحى فى ذلك:

شكرا لمن هو بالثناء خليقذهب اللجاج و بويع الصديق

من بعد ما دحضت بسعد نعله‌و رجا رجاء دونه العيوق

جاءت به الأنصار عاصب رأسه‌فأتاهم الصديق و الفاروق

و أبو عبيدة و الذين إليهم‌نفس المؤمل للبقاء تتوق

كنا نقول لها على و الرضى‌عمر و أولادهم بتلك عتيق

فدعت قريش باسمه فأجابها‌إن المنوه باسمه الموثوق و ذكر وثيمة بن موسى بن الفرات أنه كان لأشراف قريش فيما كان من شأن الأنصار مقامات محمودة، فمن ذلك أن خالد بن الوليد قام على أثر أبى بكر بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان خطيب قريش، فقال:

أيها الناس، إنا رمينا فى بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا محمله و صعب علينا مرتقاه، و كنا كأنا منه على أوفاز، ثم و الله ما لبثنا أن خف علينا ثقله، و ذللنا صعبه، و عجبنا ممن شك فيه بعد عجبنا ممن آمن به، حتى و الله أمرنا بما كنا ننهى عنه، و نهينا عن ما كنا نأمر به، و لا و الله ما سبقنا إليه بالعقول، و لكنه التوفيق. ألا و إن الوحى لم ينقطع حتى أكمل، و لم يذهب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم حتى أعذر، فلسنا ننتظر بعد النبىّ نبيا و لا بعد الوحى وحيا، و نحن اليوم أكثر منا بالأمس، و نحن بالأمس خير منا اليوم، من دخل فى هذا الدين كان من ثوابه على حسب عمله، و من تركه رددناه إليه، إنه و الله ما صاحب هذا الأمر

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۶۹۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۵۹)، الثقات (۳/ ۳۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۵۳)، تهذيب التهذيب (۱/ ۴۶۴)، الطبقات (۹۴، ۱۹۰)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (۱/ ۱۳۰)، الوافى بالوفيات (۱۰/ ۱۶۲)، العبر (۱/ ۱۵، ۱۶)، البداية و النهاية (۶/ ۳۵۳)، التاريخ الصغير (۱/ ۷۳)، تقريب التهذيب (۱/ ۱۰۳)، التاريخ الكبير (۲/ ۹۸)، الجرح و التعديل (۲/ ۳۷۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶

يعنى أبو بكر بالمسئول عنه و لا المختلف فيه، و لا بالخفى الشخص، و المغمور القناة.

ثم سكت، فعجب الناس من كلامه.

و قام حزن بن أبى وهب و هو الذى سماه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سهلا فقال:

و قامت رجال من قريش كثيرة‌فلم يك فى القوم القيام كخالد

ترقى فلم تزلق به صدر نعله‌و كف فلم يعرض لتلك الأوابد

فجاء بها غراء كالبدر سهلة‌تشبهها فى الحسن أم القلائد

أ خالد لا تعدم لؤىّ بن غالب‌قيامك فيها عند قذف الجلامد

كساك الوليد بن المغيرة مجده‌و علمك الشيخان ضرب القماحد

تقارع فى الإسلام عن صلب دينه‌و فى الشرك عن أجلال جد و والد

و كنت لمخزوم بن يقظة جنة‌كلا اسميك فيها ماجد و ابن ماجد

إذا ما غنا فى هيجها ألف فارس‌عدلت بألف عند تلك الشدائد

و من يك فى الحرب المصرة واحدا‌فما أنت فى الحرب العوان بواحد

إذا ناب أمر فى قريش محلج‌تشيب له روس العذارى النواهد

توليت منه ما يخاف و إن تغب‌يقولوا جميعا خطنا غير شاهد قال ابن إسحاق «۱»: و لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة فيما بلغنى تقول: لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ارتدت العرب و اشرأبت اليهودية و

النصرانية و نجم النفاق، و صار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبى بكر.

و ذكر ابن هشام «۲» عن أبى عبيدة و غيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم هموا بالرجوع عن الإسلام و أرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى فقام سهيل بن عمرو فحمد الله و أثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و قال:

إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس و كفوا عن ما هموا به، فظهر عتاب بن أسيد، و قد تقدم لنا أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال فى سهيل بن عمرو لعمر بن الخطاب و قد قال له: انزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۹۱).

(۲) انظر المصدر السابق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷

خطيبا أبدا، فقال له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه» «۱»، فكان هذا المقام المتقدم هو الذى أراد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و عن أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر فى السقيفة و كان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر، فحمد الله و أثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال:

أيها الناس، إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت و ما وجدتها فى كتاب الله، و لا كانت عهدا عهده إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لكنى كنت أرى أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم سيد برنا؛ يقول: يكون آخرنا، و إن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى رسوله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه، و إن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ثانى اثنين إذ هما فى الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله و أثنى عليه بالذى هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنى قد وليت عليكم و لست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، و إن أسأت فقومونى؛ الصدق أمانة و الكذب خيانة، و الضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، و القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، و لا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء؛ أطيعونى ما أطعت الله و رسوله، فإذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة لى عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله «۲».

و ذكر موسى بن عقبة أن رجالا من المهاجرين غضبوا فى بيعة أبى بكر، منهم على و الزبير، فدخلا بيت فاطمة ابنة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و معهما السلاح، فجاءهما عمر بن الخطاب فى عصابة من المهاجرين و الأنصار فيهم أسيد بن حضير و سلمة بن سلامة بن وقش الأشهليان و ثابت بن قيس بن شماس الخزرجى فكلموهما حتى أخذ أحد القوم سيف الزبير فضرب به الحجر حتى كسره ثم قام أبو بكر فخطب الناس و اعتذر إليهم و قال:

و الله ما كنت حريصا على الإمارة يوما قط، و لا ليلة، و لا سألتها الله قط سرا و لا علانية، و لكنى أشفقت من الفتنة، و ما لى فى الإمارة من راحة، و لقد قلدت أمرا عظيما

---

(۱) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۳/ ۳۱۰)، دلائل النبوة للبيهقى (۶/ ۳۶۷).

(۲) انظر: البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۰۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸

ما لى به طاقة و لا يدان إلا بتقوية الله، و لوددت أن أقوى الناس عليها مكانى اليوم.

فقبل المهاجرون منه ما قاله و اعتذر به، و قال على و الزبير: ما غضبنا إلا أنا أخرنا عن المشورة، و إنا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أنه لصاحب الغار و ثانى اثنين، و إنا لنعرف له شرفه و سنه، و لقد أمره رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بالصلاة بالناس و هو حى.

و ذكر غير ابن عقبة أن أبا بكر رضى الله عنه قام فى الناس بعد مبايعتهم إياه يقيلهم فى بيعتهم و يستقيلهم فيما تحمله من أمرهم و يعيد ذلك عليهم، كل ذلك يقولون له:

و الله لا نقيلك و لا نستقيلك، قدمك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فمن ذا يؤخرك.

و لم يبدأ أبو بكر رضى الله عنه بعد أن فرغ أمر البيعة و اطمأن الناس بشىء من النظر قبل إنفاذ بعث أسامة، فقال له: امض لوجهك الذى بعثك له رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فكلمه رجال من المهاجرين و الأنصار و قالوا: أمسك أسامة و بعثه، فإنا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال أبو بكر و كان أفضلهم رأيا: أنا أحتبس بعثا بعثه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لقد اجترأت إذ على أمر عظيم، و الذى نفسى بيده لأن تميل العرب على أحب إلى من أن احتبس جيشا أمرهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. امض يا أسامة فى جيشك للوجه الذى أمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من ناحية فلسطين، و على أهل مؤتة فإن الله سيكفى ما تركت، و لكن إن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب بالتخلف لأستشيره و أستعين برأيه فإنه ذو رأى و نصيحة للإسلام و أهله فعلت. ففعل أسامة و أذن لعمر، فأقام بالمدينة مع أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين.

ذكر غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دفنه، و ما يتصل بذلك من أمره صلوات الله عليه و سلامه و رحمته و بركاته

و لما فرغ الناس من بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه و جمعهم الله عليه و صرف عنهم كيد الشيطان أقبلوا على تجهيز نبيهم صلى اللّه عليه و سلم و الاشتغال به.

قالت عائشة رضى الله عنها: لما أرادوا غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم اختلفوا فيه، فقالوا: و الله ما ندرى، أ نجرّد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله و عليه ثيابه؟ قالت:

فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه فى صدره، و كلمهم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹

مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبيّ و عليه ثيابه. قالت: فقاموا إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فغسلوه و عليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، و يدلكونه و القميص دون أيديهم.

و يروى عن غير واحد أن الذين ولوا غسله صلى اللّه عليه و سلم ابن عمه على بن أبى طالب، و عمه العباس بن عبد المطلب، و ابناه الفضل، و قثم، و حبه أسامة بن زيد، و مولاه شقران.

و قال أوس بن خولى أحد بنى عوف بن الخزرج و كان ممن شهد بدرا لعلى بن أبى طالب يومذاك أنشدك الله يا على و حظنا من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم. فقال له: ادخل، فدخل و جلس، فحضر غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم معهم، فأسند على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى صدره، و كان العباس و الفضل و قثم يقلبونه معه، و كان أسامة و شقران هما اللذان يصبان الماء عليه، و على يغسله، قد أسنده إلى صدره، و عليه قميصه يدلكه به من ورائه، لا يفضى بيده إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و على يقول:

بأبى أنت و أمى، ما أطيبك حيا و ميتا. و لم ير من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم شيء مما يرى من الميت «۱».

و كانت عائشة رضى الله عنها تقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلا نساؤه «۲».

و لما فرغ من غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كفن فى ثلاث أثواب.

قال ابن إسحاق «۳» فى حديث يرفعه إلى على بن حسين: ثوبين صحاريين، و برد حبرة أدرج فيه إدراجا «۴».

و خرج مسلم فى صحيحه من حديث عائشة، قالت: كفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى ثلاثة

---

(۱) انظر: الطبقات لابن سعد (۲/ ۲۸۰)، تاريخ الطبرى (۲/ ۲۳۸)، سنن ابن ماجه فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى غسل النبىّ صلى اللّه عليه و سلم (۱/ ۱۴۶۷).

(۲) انظر: مسند أبى داود الطيالسى (ص ۲۱۵ ج ۱۵۳۰).

(۳) انظر: السيرة (۴/ ۲۸۸).

(۴) انظر: التمهيد لابن عبد البر (۲/ ۱۶۳)، الدلائل للبيهقى (۷/ ۲۴۸)، صحيح البخارى فى كتاب الجنائز (۳/ ۱۲۶۴)، صحيح مسلم فى كتاب الجنائز (۲/ ۶۵۰، ۶۵۱)، سنن أبى داود فى كتاب الجنائز باب فى الكفن (۳/ ۳۱۵۱)، سنن الترمذى فى كتاب الجنائز (۳/ ۹۹۶)، سنن النسائى (۱۸۹۶)، سنن ابن ماجه (۱/ ۱۴۶۹)، موطأ مالك (۱/ ۵/ ۲۲۳)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۴۰، ۱۳۲، ۱۶۵، ۱۹۲، ۲۰۴، ۲۳۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰

أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص و لا عمامة «۱».

زاد الترمذى قال: فذكروا لعائشة قولهم: فى ثوبين و برد حبرة. فقالت: قد أتى بالبرد و لكنهم ردوه و لم يكفنوه فيه.

و اختلف المسلمون فى موضع دفنه، فقال قائل: ندفنه فى مسجده، و قال آخر: بل ندفنه مع أصحابه، و قال أبو بكر رضى الله عنه: ادفنوه فى الموضع الذى قبض فيه، فإن الله لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب، فعلموا أن قد صدق «۲».

و فى رواية أنه قال لهم: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض.

فرفع فراش رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الذى توفى عليه، فحفر له تحته.

و لما أرادوا أن يحفروا له، و كان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، و كان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة، و كان يلحد، دعا العباس برجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح، و للآخر: اذهب إلى أبى طلحة. اللهم خر لرسول الله، فوجد الذى توجه إلى أبى طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحد لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يوم الثلاثاء، وضع على سريره فى بيته، ثم دخل الناس على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يصلون عليه أرسالا ـ الرجال، حتى إذا فرغوا أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان، و لم يؤم الناس على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أحد.

و يروى فى حديث أن عليا رضى الله عنه قال: لقد سمعنا همهمة و لم نر شخصا، فسمعنا هاتفا يقول: ادخلوا رحمكم الله فصلوا على نبيكم.

ثم دفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من وسط الليل، ليلة الأربعاء «۳».

قالت عائشة رضى الله عنها: ما علمنا بدفن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حتى سمعنا صوت

---

(۱) انظر: صحيح مسلم (۳/ ۳۹)، صحيح البخارى (۲/ ۲۱۱)، سنن أبى داود (۳/ ۱۹۸/ ۳۱۵۱)، سنن النسائى (۴۹۰/ ۳۵، ۳۶)، طبقات ابن سعد (۲/ ۲۸۲- ۲۸۴)، دلائل النبوة للبيهقى (۷/ ۲۴۶- ۲۴۹).

(۲) انظر: طبقات ابن سعد (۲/ ۲۷۵، ۲۹۲، ۲۹۹)، دلائل النبوة للبیهقی (۲۵۹- ۲۶۱).

(۳) انظر: السیرة (۴/ ۲۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۱

المساحی من جوف اللیل من لیلة الأربعاء. و کان الذین نزلوا فی قبر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علی بن أبی طالب، و الفضل و قثم ابنا عمه العباس، و شقران مولی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و قال أوس بن خولی من الأنصار لعلی بن أبی طالب: یا علی، أنشدک الله و حظنا من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم. فقال: انزل، فنزل مع القوم.

و کانت لرسول الله صلی اللّه علیه و سلم قطیفة یلبسها و یفترشها، فأخذها شقران مولاه، فدفنها فی القبر: و الله لا یلبسها أحد بعدک أبدا، فدفنت مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و لما انصرف الناس قالت فاطمة رضی الله عنها لعلی رضی الله عنه: یا أبا الحسن، دفنتم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم؟ قال: نعم. قالت فاطمة: کیف طابت أنفسکم أن تحثوا التراب علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم؟ أ ما کان فی صدورکم لرسول الله رحمة؟ أ ما کان معلم الخیر؟ قال:

بلی یا فاطمة، و لکن أمر الله الذی لا مرد له، فجعلت تبکی و تندب: وا أبتاه، أجاب ربا دعاه، وا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، وا أبتاه، إلی جبریل ینعاه.

و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أسر إلیها فی مرضه أنه مقبوض منه و لا حق بربه، فبکت مشفقة من فراقه، فأسر إلیها ثانیة أنها أول أهله لحاقا به، فضحکت راضیة بالموت مسرورة بوقوعه فی جنب ما تتعجل من لقائه فی حضرة القدس و محلة الرضوان و الکرامة.

و لما دفن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و انصرف المهاجرون و الأنصار عن دفنه، و رجعت فاطمة رضی الله عنها إلی بیتها اجتمع إلیها نساؤها فقال:

اغبر أفاق السماء و کورتشمس النهار و أظلم العصران

فالأرض من بعد النبیّ کئیبةأسفا علیه کثیرة الرجفان

فلیبکه شرق البلاد و غربهاو لتبکه مضر و کل یمان

و لیبکه الطود المعظم جوهو البیت ذو الأستار و الأرکان

یا خاتم الرسل المبارک ضنهصلی علیک منزل الفرقان و یروی أیضا أن فاطمة رضی الله عنها أنشدت بعد موت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم متمثلة بشعر سمیتها فاطمة بنت الأجهم:

قد کنت لی جبلا ألوذ بظلهفترکتنی أمشی بأجرد ضاح

قد کنت ذات حمیة ما عشت لیأمشی البراز و کنت أنت جناحی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۲ فالیوم أخضع للذلیل و أتقیمنه و أدفع ظالمی بالراح

و إذا دعت قمریة شجنا لهالیلا علی فنن دعوت صباحی و مما ینسب إلی علی أو فاطمة رضی الله عنهما:

ما ذا علی من شم تربة أحمدأن لا یشم مدا الزمان غوالیا

صبت علی مصائب لو أنهاصبت علی الأیام عدن لیالیا و جلست أم أیمن تبکی علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بعد موته، و هی حاضنته التی کان یأوی إلیها بعد موت أمه، و رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فی بیته لم یدفن بعد، فقیل لها: ما یبکیک یا أم أیمن قد أکرم الله نبیه و أدخله جنته و أراحه من نصب الدنیا، فقالت: إنما أبکی علی خبر السماء کان یأتینا غضا جدیدا کل یوم و لیلة، فقد

انقطع عنا و رفع، فعلیه أبکی. فعجب الناس من قولها و بکوا لبکائها.

و قال أنس بن مالک خادم رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: لما کان الیوم الذی دخل فیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم المدینة أضاء منها کل شیء، فلما کان الیوم الذی مات فیه أظلم منها کل شیء و ما نفضنا أیدینا من التراب، و إنا لفی دفنه حتی أنکرنا قلوبنا.

و قال عبد الله بن عباس رضی الله عنهما: ولد النبیّ صلی اللّه علیه و سلم یوم الاثنین، و نبئ یوم الاثنین، و خرج مهاجرا من مکة إلی المدینة یوم الاثنین، و قدم المدینة یوم الاثنین، و قبض یوم الاثنین، فیا لهذا الیوم کم خیر تسبب فیه إلی أهل الأرض، و أی مصیبة نزلت فیه بمنیة ضاق عنها منفسح الطول و العرض.

و قد حدثنا ابن عباس أیضا أنه سمع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: «من کان له فرطان من أمتی أدخله الله بهما الجنة» «۱».

فقالت عائشة: فمن کان له فرط من أمتک؟ قال: «و من کان له فرط یا موفقة» «۲» قالت: فمن لم یکن له فرط من أمتک؟ قال: «فأنا فرط لأمتی، لن یصابوا بمثلی» «۳».

و لله در شاعره حسان بن ثابت إذ یقول:

---

(۱) انظر الحدیث فی: سنن الترمذی (۱۰۶۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۳۴)، السنن الکبری للبیهقی (۴/ ۶۸)، مشکاة المصابیح للتبریزی (۱۷۳۵)، کنز العمال للمتقی الهندی (۶۵۷۲، ۶۶۰۹)، تاریخ بغداد للخطیب البغدادی (۱۲/ ۲۰۸).

(۲) انظر الحدیث فی: مسند الإمام أحمد (۱/ ۳۳۵)، الشمائل للترمذی (۲۱۲).

(۳) انظر الحدیث فی: هامش المواهب (۲۰۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۳ و هل عدلت یوما رزیة هالک‌رزیة یوم مات فیه محمد و هذا البیت من قصیدة له یرثی بها رسول الله صلی اللّه علیه و سلم سنذکرها بعد فی مراثیه.

و روی أیضا عن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أنه قال: «لیعز المسلمین فی مصائبهم المصیبة بی» «۱».

فیا لها و الله مصیبة أحرقت الأکباد، و غمرت بالأسف و الحزن الآماد و الآباد، و رزأ ثقیلا آد کاهل الإیمان منه ما آد، و خطبا جلیلا أودی بکل صبر جمیل أو کاد:

و الصبر یحمد فی المواطن کلهاإلا علیک فإنه مذموم و لو لا أن الله سبحانه و تعالی ربط علی القلوب من بعده بأمر من عنده لأودت مکانها کمدا، و لما وجدت إلی البقاء متسلفا، و لا عن وحی القنا ملتحدا، و لو رجفت الأرض لفقدان أحد لأصبحت لفقدانه راجفة، و لو نسفت الجبال لمهلک هالک لغدت رواسیها علی حکم الأسف متناسفة، و لو کسفت النیرات لمصرع حی لأمست دررها منثورة لمصرعه، و لو تغیرت المشارع الموروده لموت إنسان لأمر لموته علی کل وارد عذب مشرعه هیهات هیهات، ذلک و الله الرزء الکبار، و النازلة التی یعیی بها الاحتمال و الاصطبار، و الخطر الذی تقاصر دونه الأخطار، و الخطب الذی تشقی بمضاضة مشاهدته المهاجرون و الأنصار، و المفقود الذی لا عوض منه أبدا و إن تراخت الأیام و تطاولت الأعصار، و لو غیر الأقدار أصابته لبدلت دونه أعلاق المهج، أو غیر المنایا نابتة لتعذر علی قاصده وجه السبیل المنتهج، و لکنها السبیل التی لا یتخطاها سالک، و ما سبقت به مشیئة الدائم الباقی الذی کل شیء إلا وجهه هالک، فلا مجال للدفاع، و لا حیلة فی الامتناع، و لا غناء للأعوان و الأتباع، و لا شیء یضمه حکم الممکن المستطاع غیر الانقیاد لأمر الله و الإهطاع، و لهفا علیه، و یا برح شوق القلوب المشربة نور الإیمان به، و شدة نزاعها إلیه، و بالدموع أجریت علیه، صلوات الله و برکاته علیه، لقد وجدت مجرا، و أوجبت أجرا و حرمت لهیا عن أسبابها و زجرا، و لقد کان من یقدم المدینة بعد أن استأثر به مولاه الذی شرح له صدرا، و رفع له ذکرا و قدرا، إذا أشرفوا علیها سمعوا لأهلها ضجیجا یصم السمیع، و للبکاء فی جنباتها عجیجا أصحل الحلوق و نزف الدموع.

حدث أبو ذؤیب الهذلی فقال: بلغنا أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم علیل، فاستشعرت حزنا، و بت بأطول لیلة لا ینجاب دیجورها، و

لا یطلع نورها، فظللت أقاسی طولها حتى إذا کان قرب السحر أغفیت فهتف بی هاتف و هو یقول:

---

(۱) انظر الحدیث فی: السلسلة الصحیحة للألبانی (۱۱۰۶)، موطأ مالک (۲۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۴ خطب أجل أناخ بالإسلامبین النخیل و معقد الآطام

قبض النبیّ محمد فعیوننا تذری الدموع علیه بالتسجام قال أبو ذؤیب: فوثبت من نومی فزعا، فنظرت إلى السماء، فلم أر إلا سعد الذابح، فتفاءلت به، ذبح یقع فی العرب، و علمت أن النبیّ صلى اللّه علیه و سلم قد قبض، أو هو میت من علته، فرکبت ناقتی و سرت، فلما أصبحت طلبت شیئا أزجر به، فعن لی شیهم یعنی القنفذ قد قبض على صل یعنی الحیة فهی تلتوی علیه، و الشیهم یقضها حتى أکلها، فزجرت ذلک و قلت: شیهم شیء مهم، و التواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى اللّه علیه و سلم ثم أکل الشیهم إیاها غلبة القائم بعده على الأمر، فحثثت ناقتی حتى إذا کنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرنی بوفاته، و نعب غراب سانح، فنطق بمثل ذلک، فتعوذت بالله من شر ما عن لی فی طریقی، و قدمت المدینة و لها ضجیج بالبکاء کضجیج الحجیج إذا أهلوا بالإحرام، فقلت: مه؟ فقالوا: قبض رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فجئت المسجد، فوجدته خالیا، فأتیت رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فوجدت بابه مرتجا، و قیل إلى الأنصار، فجئت إلى السقیفة، فأصبت أبا بکر و عمر و أبا عبیدة بن الجراح و سالما مولى أبی حذیفة و جماعة من قریش، و رأیت الأنصار فیهم سعد بن عبادة، و فیهم شعراؤهم: حسان بن ثابت و کعب بن مالک و ملأ منهم، فآویت إلى قریش و تکلمت الأنصار، فأطالوا الخطاب، و أکثروا الصواب، و تکلم أبو بکر رضی الله عنه فلله دره من رجل لا یطیل الکلام و یعلم مواضع فصل الخطاب، و الله لقد تکلم لکلام لا یسمعه سامع إلا انقاد له و مال إلیه، ثم تکلم عمر رضی الله عنه بعده دون کلامه، و مد یده و بایعوه، و رجع أبو بکر و رجعت معه.

قال أبو ذؤیب: فشهدت الصلاة على محمد صلى اللّه علیه و سلم و شهدت دفنه.

ثم أنشد أبو ذؤیب یبکی النبیّ صلى اللّه علیه و سلم:

لما رأیت الناس فی غسلاتهما بین ملحود له و مضرح

متبادلین لشرجع بأکفهمنص الرقاب لفقد أبیض أروح

فهناک صرت إلى الهموم و من یبت‌جار الهموم یبیت غیر مروح

کسفت لمصرعه النجوم و بدرهاو تزعزعت آطام بطن الأبطح

و تزعزعت أجبال یثرب کلهاو نخیلها لحلول خطب مفدح

و لقد زجرت الطیر قبل وفاتهبمصابه و زجرت سعد الأذبح و ذکر الزبیر بن أبی بکر بإسناد له إلى هشام بن عروة: أن صفیة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى اللّه علیه و سلم قالت ترثی رسول الله صلى اللّه علیه و سلم لما توفی:

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۵ ألا یا رسول الله کنت رجاءناو کنت بنا برا و لم تک جافیا

و کنت رحیما هادیا و معلمالیبک علیک الیوم من کان باکیا

لعمرک ما أبکی النبیّ لفقدهو لکن لما أخشى من الهرج آتیا

کأن على قلبی لذکر محمدو ما خفت من بعد النبیّ المکاویا

أ فاطم صلى الله رب محمدعلى جدث أمسى بیثرب ثاویا

فدا لرسول الله أمی و خالتیو عمی و آبای و نفسی و مالیا

صدقت و بلغت الرسالة صادقاو مت صلیب العود أبلج صافیا

فلو أن رب الناس أبقى نبیناسعدنا و لکن أمره کان ماضیا

علیک من الله السلام تحیةو أدخلت جنات من العدن راضیا

أری حسنا أیتمته و ترکته‌یبکی و یدعو جده الیوم نائیا و قال أبو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم «۱» یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

أرقت فات لیلی لا یزولو لیل أخی المصیبة فیه طول

و أسعدنی البکاء و ذاک فیماأصیب المسلمون به قلیل

لقد عظمت مصیبتنا و جلت‌عشیة قیل قد قبض الرسول

و أضحت أرضنا مما عراهاتکاد بنا جوانبها تمیل

فقدنا الوحی و التنزیل فینایروح به و یغدو جبرئیل

و ذاک أحق ما سالت علیه‌نفوس الناس أو کربت تسیل

نبی کان یجلو الشک عنابما یوحی إلیه و ما یقول

و یهدینا فلا نخشی ضلالاعلینا و الرسول لنا دلیل

أ فاطم إن جزعت فذاک عذرو إن لم تجزعی ذاک السبیل

فقبر أبیک سید کل قبرو فیه سید الناس الرسول و لما بلغت عمرو بن العاص السهمی وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و هو یومئذ بعمان، قال یرثیه:

أتانی و رحلی فی عمان مصیبةفبت بعین طرفها طرف أرمد

غداة نعی الناس النبیّ محمدافأعزز علینا بالنبی محمد

فقدنا به وحی السماء و نعمةتروح علینا بالمراد و تغتدی

و أوحش منه منبر کان زینةو مسجده وحش فیها خیر مسجد

---

(۱) انظر ترجمته فی: تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۱۷۳)، الإصابة ترجمة رقم (۱۰۰۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۶ فلو کنت یوما شاهدا لوفاته‌لمست ترابا من ضریحته یدی

بإذن یراه أهله و مکیدهأسود بها ما عشت یومی و فی غد

کما نالها منه المغیرة خدعةو ما أنا دون الطائفی الجفیدد یرید: المغیرة بن شعبة الثقفی، و کان یدعی أنه أحدث الناس عهدا برسول الله صلی اللّه علیه و سلم و یقول: أخذت خاتمی فألقیته فی القبر، و قلت: إن خاتمی سقط منی، و إنما طرحته عمدا لأمس رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فأکون أحدث الناس عهدا به صلی اللّه علیه و سلم.

و کان علی بن أبی طالب رضی الله عنه ینکر ذلک من قول المغیرة و یأباه، و یقول:

أحدث الناس عهدا برسول الله صلی اللّه علیه و سلم قثم بن عباس.

و ذکر وثیمة بن موسی أن عبد الله بن أنیس الجهنی «۱» کان غائبا ببعض ضواحی المدینة، فلما انتهی إلیه الخبر بوفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أظلمت علیه الأرض، ثم قال: و الله، لو أن میتا رده قتل حی نفسه لقتلت نفسی، و لکن أفرغ إلی أمر الله، إنا لله و إنا إلیه راجعون. ثم سأل الذی أخبره: هل استخلف رسول الله صلی اللّه علیه و سلم رجلا بعینه؟ قال: لا و الله.

قال: الله اکبر، لو استخلفه هلکنا بمعصیة. فهل اجتمع الناس علی رجل؟ قال: أمر نبی الله صلی اللّه علیه و سلم أبا بکر أن یصلی بالناس.

قال: هی إعلام الإمامة، و لیس کل من صلی بإمام. ما فعل علی؟ قال: هو فی بیته. قال: لا یریدها یا ابن أخی، لها ثلاثة من قریش: علی و أبو بکر و عمر، من ادعی منازلهم قصر دونهم. ما صنعت الأنصار؟ قال: اعتزلت، قال:

كلا، طائف من الشيطان، لم يكن الله ليخذلهم مع ما سبق لهم، بت عندى الليلة فإنى عليل و لا أرانى إلا لما بى من هذه الصدمة، و لكن أبلغ عنى قريشا، فقال:

نفا النوم ما لا تبتغيه الأصابعو خطب جليل للبلية جامع

غداة نعى الناعى إلينا محمداو تلك التى تستك منها المسامع

فلو رد نفسا قتل نفس قتلتهاو لكنه لا يدفع الموت دافع

فآليت لا أبكى على هلك هالكمن الناس ما أوسى ثبير و فارغ

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۴۵۶۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۸۲۷)، الثقات (۳/ ۲۳۴)، حلية الأولياء (۲/ ۵)، حسن المحاضرة (۱/ ۲۱۱)، شذرات الذهب (۱/ ۶۰)، البداية و النهاية (۸/ ۵۷)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۹۸)، تهذيب التهذيب (۵/ ۱۴۹)، العبر (۱/ ۵۹)، الجرح و التعديل (۵/ ۱)، تلقيح فهوم أهل الأثر (۳۶۷)، التاريخ الكبير (۳/ ۱۴)، تهذيب الكمال (۲/ ۶۶۶)، الطبقات (۱۱۸)، الكاشف (۲/ ۷۳)، تقريب التهذيب (۱/ ۴۰۲)، الوافى بالوفيات (۱۷/ ۷۶)، الأنساب (۲/ ۱۷۸)، بقى بن مخلد (۱۱۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۷ و لكننى باك عليك و متبعمصيبته إنى إلى الله راجع

و قد قبض الله النبيين قبلهو عادا أصيب بالورى و التتابع

فإن مات فالإسلام حى و ربنالذا الدين مما كاده اليوم مانع

فيا ليت شعرى من يقوم بأمرناو هل لقريش يا إمام منازع

ثلاثة رهط من قريش هم همأزمة هذا الأمر و الله صانع

على أو الصديق أو عمر لهاو ليس لها بعد الثلاثة رابع

أولئك خير الحى فهر بن مالكو أول من تجنى عليه الأصابع

أولئك إن قاموا به سلكوا بنامحجتنا العظمى و قل التنازع

و كل قريش و الذى أنا عبدهعلى كل حال للثلاثة تابع

فإن قال منا قائل غير هذهأبينا و قلنا الله راء و سامع

فيا لقريش قلدوا الأمر بعضكمفإن ضجيع العجز للسن قارع

و لا تبطئوا عنها فواقا فإنهاإذا قطعت لم تسر فيها المطامع قال: فانتهى الرجل إلى قريش و قد انطلق المهاجرون إلى الأنصار، و كان من أمرهم الذى كان، فرجع إلى عبد الله بن أنيس، فأخبره الخبر، ففرح بذلك.

و لأبى الهيثم بن التيهان الأنصارى فى نحو هذا المعنى شعر قاله و قد مر به أبو بكر الصديق رضى الله عنه قبل مبايعة الناس إياه، فشكى إليه وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال أبو الهيثم: و قد و الله شمتت اليهودية و النصرانية، و بلغنى عن الناس أمر ساءنى، فرجع أبو الهيثم إلى منزله، فقال:

ألا قد أرى أن المنى لم تخلدلأن المنايا للنفوس بمرصد

لقد جدعت آذاننا و أنوفناغداة فجعنا بالنبى محمد

تكلم أهل الشرك من بعد غلظةلغيبة هاد كان فينا و مهتدى

ثلاثة أصناف من الناس كلهميروح علينا بالشنان و يغتدى

نصارى يقولون الفرى و منافقشبيه بذاك الشامت المتهود

و أوعد كذاب اليمامة جهدهفأجلب عودا باللسان و باليد

فإن تک هذا الیوم منهم شماتةفلا یأمنوا ما یحدث الله فی غد

و ما نحن إن لم یجمع الله أمرنابخیر قریش کلها بعد أحمد

بأمنع من شاء یقفر مطیرةبقیعة قاع أو ضباب بفدفد

و إنی لأرجو أن یقوم بأمرناعلی أو الصدیق و المرء من عدی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۸ أولئک خیار الحی فهر بن مالکو أنصار هذا الدین من کل معتدی و لما انتهت إلی همدان وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم تکلمت سفاؤهم بما کرهت ظماؤهم، فقال عبد الله بن مالک الأرض، و کان من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم له هجرة و فضل فی دینه، فاجتمعت إلیه همدان، فقال:

یا معشر همدان، إنکم لم تعبدوا محمدا، إنما عبدتم رب محمد، و هو الحی الذی لا یموت، غیر أنکم أطعتم رسولکم بطاعة الله فدعاکم فأجبتموه، و هداکم فاتبعتموه، و اعلموا أنه ولی نعمتکم فی دینکم و دنیاکم، فأما دینکم فاستنقذکم الله به من النار، و أما دنیاکم فاستنقذکم الله به من الرق، و لم یکن الله لیجمع صحابة رسوله علی ضلال، و قد وعدهم أن یهدیهم عند ما اختلفوا فیه من الحق بإذنه، فأطیعوا من اختاروا، و قدموا من قدموا، فی کلام غیر هذا تکلم به علی هذا المثال، و نسجه علی هذا المنوال.

و قال فی ذلک:

لعمری لئن مات النبیّ محمدلما مات یا ابن القیل رب محمد

و ما کان إلا مرسلا برسالةلیبلغها و الحادثات بمرصد

و لما قضی من ذاک ما کان قاضیاو لم یبق شیء فیه إلحاد ملحد

دعاه إلیه ربه فأجابهفیا خیر غوری و یا خیر منجد

و ما نحن إلا مثل من کان قبلنافریقین شتی کافر و موحد

و نحن علی ما کان بالأمس بیننامن الدین نهدی من أراد فیهتدی ثم قام ابن ذی مران، و کان من سادات همدان و ملوکهم، فتکلم فیهم، فأطال نفس الکلام، و حرض علی التمسک بالدین، و حمل علی الطاعة للقائم بالأمر بعد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ثم قال یرثیه و یتفجع للمصیبة فیه:

إن حزنی علی الرسول طویلذاک منی علی الرسول قلیل

قلت و الموت یا إمام کریهلیتنی مت یوم مات الرسول

لیتنی لم أکن بقیت فواقابعده و الفواق منی طویل

بکت الأرض و السماء علیهو بکاه خلیله جبریل

یا لها رحمة أصیب بها الناس تولت و حان منها الرحیل

جدعت منهم الأنوف فللقلب خفوق و للجفون همول

لیس للناس إمام من الأمر فتیل و أین منک الفتیل

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۹ إنما الأمر للذی خلق الخلق و فی خلقه علیه دلیل فی أبیات غیر هذه یؤنس فیها المهاجر بن أبی أمیة بن المغیرة، و کان أمیرا علیهم من قبل رسول الله صلی اللّه علیه و سلم بما عند قومه من حسن الطاعة له و القیام فی الحق معه.

ثم قام ابن ذی المشغار، و کان ملک أهل ناحیته، و کان متألها، فتکلم أیضا فی هذا النحو بکلام حسن، نظما و نثرا، فلما فرغ من مقالته أتاه مسروق بن الحارث القوال الأرحبی، فقال له:

أیها الملک، إنه لا- یعرف عندک فی قریش إلا رجل مثلی من قومک، أنا القوال ابن القوال، الفارس ابن الفارس، ابعثنی إلی خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فأقوم مقاما شریفا أباهی به فیک الناس.

فسرحه، فلما قدم مسروق على أبى بكر رضى الله عنه تهيأت له قريش، و قالوا:

خطيب همدان و فتاها، فتكلم عندهم بكلام تركنا ذكره و ذكر ما أنشد معه من الشعر، إذ ليس مناسبا لما نحن الآن بسبيله من ذكر مراثى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فلما سمعت قريش شعره و خطبته، عجبت منه، و كان معه عبد الله بن سلمة الهمدانىّ، فقام فقال: يا معشر قريش، إنكم لم تصابوا بنبى الله صلى اللّه عليه و سلم دون سائر العرب، لأنه لم يكن لأحد دون أحد، و أيم الله، لا أدرى أى الرجلين أشد حزنا عليه، و أعظم مصابا به، من عاينه فغاب عنه عيانه، أو من أشرف على رؤيته، فلم يره؟ غير أنا معترفون للمهاجرين بفضل هجرتهم، و للأنصار بفضل نصرتهم، و التابع ناصر، و المؤمن مهاجر فى كلام غير هذا صدر عن قلب مؤمن، و جاش به خاطر شديد، فأثنى عليه أبو بكر خيرا، و حمدته قريش، و كان سيدا، فقال:

إن فقد النبىّ جدعنا اليوم فدته الأسماع و الأبصار

و فدته النفوس ليس من الموت فرار و أين أين الفرار

ما أصيبت به الغداة قريش‌لا و لا أفردت به الأنصار

دون من وجه الصلاة إلى الله و قد هنئت به الكفار

و رجال منافقون شمات‌و يوم واروه كفرهم إسرار

من بكته السماء تسعدها الأرض و بكت بعد القفار البحار

و سرافيل قد بكاه و جبريل و ميكال و الملأ الطهار

يا لها كلمة يضيق بها الحلق أتانا بنقلها السفار

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۷۰ قيل مات النبىّ فانصدع القلب و شابت من هولها الأشعار

فعليه السلام ما هبت الريح و مدت جنح الدجى أنوار و قال سواد بن قارب الدوسى «۱»، و هو الذى كان كاهنا فأسلم فحسن إسلامه بإرشاد ربه إياه إلى ذلك حسب ما تقدم صدر كتابنا هذا من خبره يبكى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لما بلغت أسد السراة وفاته، و بعد أن قام فيهم مقاما محمودا، يثبتهم فى الدين، و يحذرهم سوء عاقبة الارتداد، و كان قد سادهم و شرف فيهم، فأجابوه إلى ما أراد، و قبلوا رأيه، و قال:

جلت مصيبتك الغداة سوادو أرى المصيبة بعدها ترداد

أبقى لنا فقد النبىّ محمدصلى الإله عليه ما يعتاد

حزنا لعمرك فى الفؤاد مخامراأو هل لمن فقد النبىّ فؤاد

كنا نحل به جنابا ممرعاخف الجناب فأجدب الرواد

فبكت عليه أرضنا و سماؤناو تصدعت وجدا به الأكباد

قل المتاع به و كان عيانه‌حلما تضمن سكريته رقاد

كان العيان هو الطريف و حزنه‌باق لعمرك فى النفوس تلاد

إن النبىّ وفاته كحياته‌و الحق حق و الجهاد جهاد

لو قيل تفدون النبىّ محمدابذلت له الأموال و الأولاد

و تسارعت فيها النفوس لبذلهاهذا له الأغياب و الأشهاد

هذا و هذا لا يرد نبينالو كان يفديه فداء سواد و قال عبد الحارث بن أسد بن الريان من أهل نجران يبكى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لما بلغتهم وفاته، بعد قيامه فيهم أحمد مقام، يحرضهم على التمسك بالدين و الثبوت على الإسلام، و يذكرهم نعمة الله عليهم، بالدخول فيه و اللحاق بمن هاجر إليه، و يقول لهم فيما قال:

إنما كان نبى الله صلى اللّه عليه و سلم بين أظهركم عارية، فأتى عليه أجله، و بقى الكتاب الـذى كان يحكم به، و يحكم عليه، فأمره أمر و نهيه نهى إلى يوم القيامة، و قد سهل لكم الطريق فاسلكوه، و لا بد من جولة، فكونوا فيها ذوى أناة، و قد اختار القوم لأنفسهم رجلا لا يألوهم خيرا، فأطيعوا قريشا ما أطاعوا الله، فإذا عصوه فاعصوهم، فإنه لا ينبغى لآخرنا أن يملك

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۳۵۹۶)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۳۳۴)، الثقات (۳/ ۱۷۹)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۴۸)، الوافى بالوفيات (۱۶/ ۳۵)، التاريخ الكبير (۴/ ۲۰۲)، الأعلام (۳/ ۱۴۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۱

إلا بما ملك به أولنا، و هى النبوة، فميراثها منها فى كلام غير هذا حسن أبلى به عذرا، و بالغ لقومه نصحا.

و قال:

لعمرى لئن كان النبىّ محمدعليه السلام الله أودى به القدر

لقد كسفت شمس النهار لفقدهو بكت عليه الأرض و انكسف القمر

و بكته آفاق السماء و ما لهاو للأرض شجو غير ذاك و لا عبر

و لو قيل تفدون النبىّ محمدالقلنا نعم بالنفس و السمع و البصر

و قل له منا الفداء و هذهو إن بذلت لا يسترد بها بشر

فإن يك وافاه الحمام فدينهعلى كل دين خالف الحق قد ظهر

و نحن بحمد الله هامة مذحجبنو الحارث الخير الذين هم الغرر

بنجران نعطى من سعى صدقاتناموفرة ما فى الخدود لها صعر

و نحن على دين النبىّ نرى الذىنهانا حراما منه و الأمر ما أمر

أحاذر إن لم يدفع الله جولةمجدعة يبيض من هولها الشعر

يحين فيها الله من خف حلمهو يسعد فيها ذو الأناة بما صبر

نطيع قريشا ما أطاعوا فإن عصواأبينا و لم نشر السلامة بالغرر

و كان لهذا الأمر منهم ثلاثةعلى أو الصديق أو ثالث عمر

فلم يخطئوا إذا سددوها لبعضهم ما هم كل لإرعاده مطر و أمثال هذه المقالات نثرا و نظما لرجال من سادات العرب و أشراف القبائل بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم كثير، قاموا بها فى قومهم يحذرونهم من الفتنة، و يحرضونهم على التمسك بالطاعة لمن قام بالأمر.

و قد ذكر المؤلفون فى الردة كثيرا منها، و هى بذلك الباب أخص، و إنما تخيرت هنا منا ما يتعلق نظمه بباب الرثاء، و يبعث فى حق المصطفى على التفجع و البكاء، حشدا على الداهية الدهياء، و استعانة على الحادثة النكراء، و عظيم المصيبة بوفاة من حق فى حقه بكاء الأرض و السماء، و قل لفقده أن تسح المدامع عوض الدموع بالدماء:

هو الرزء الذى ابتدأ الرزاياو قال لأعين الثقلين جودى و قال حسان بن ثابت الأنصارى «۱» يبكى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

---

(۱) انظر: السيرة (۴/ ۲۹۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۲ بطيبة رسم للرسول و معهدمنير و قد تعفو الرسوم و تهمد «۱»

و لا تمتحى الآيات من دار حرمةبها منبر الهادى الذى كان يصعد

و واضح آثار و باقی معالمو ربع له فیه مصلی و مسجد

بها حجرات کان ینزل وسطهامن الله نور یستضاء و یوقد

معارف لم تطمس علی العهد أیهاأتاها البلی فالآی منها تجدد

عرفت بها رسم الرسول و عهدهو قبرا بها واراه فی التراب ملحد

ظللت بها أبکی الرسول فأسعدتعیون و مثلاها من الجفن تسعد

یذکون ألاء الرسول و ما أری‌لها محصیا نفسی فنفسی تبلد «۲»

مفجعة قد شفها فقد أحمدفظلت لآلاء الرسول تعدد «۳»

و ما بلغت من کل أمر عشیره‌و لکن لنفسی بعد ما قد توجد «۴»

اطالت وقوفا تذرف العین جهدهاعلی طلل القبر الذی فیه أحمد

فبورکت یا قبر الرسول و بورکت‌بلاد ثوی فیها الرشید المسدد

و بورک لحد منک ضمن طیباعلیه بناء من صفیح منضد «۵»

تهیل علیه الترب أید و اعین‌علیه و قد غارت بذلک أسعد

لقد غیبوا حلما و علما و رحمةعشیة علوه الثری لا یوسد

و راحوا بحزن لیس فیهم نبیهمو قد وهنت منهم ظهور و أعضد

یبکون من تبکی السموات یومهو من قد بکته الأرض فالناس أکمد

و هل عدلت یوما رزیة هالک‌رزیة یوم مات فیه محمد

تقطع فیه منزل الوحی عنهمو قد کان ذا نور یغور و ینجد «۶»

یدل علی الرحمن من یقتدی بهو ینقذ من هول الخزایا و یرشد

إمام لهم یهدیهم الحق جاهدامعلم صدق أن یطیعوا و یسعدوا

---

(۱) طیبة: اسم مدینة النبیّ. و الرسم: ما بقی من آثار الدار. و تعفو: أی تدرس و تتغیر. و تهمد: أی تبلی.

(۲) تسعد: أی تعین.

(۳) شفها: أی أضعفها.

(۴) العشیر: أی العشر. و توجد: من الوجد، و هو الحزن.

(۵) الصفیح: الحجارة العریضة. و المنضد: الذی جعل بعضه علی بعض.

(۶) یغور: أی یبلغ الغور، و هو المنخفض من الأرض. و ینجد: أی یبلغ النجد، و هو المرتفع من الأرض.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۳ عفو عن الزلات یقبل عذرهمو إن یحسنوا فالله بالخیر أجود

و إن ناب أمر لم یقوموا بحملهفمن عنده تیسیر ما یتشدد

فبینا هم من نعمة الله وسطهمدلیل به نهج الطریق یقصد

عزیز علیه أن یجوروا عن الهدی‌حریص علی أن یستقیموا و یهتدوا

عطوف علیهم لا یثنی جناحهإلی کنف یحنو علیهم و یمهد «۷»

فبینا هم فی ذلک النور إذ غداإلی نورهم سهم من الموت مقصد

فأصبح محمودا إلی الله راجعایبکیه جن المرسلات و یحمد

و أمست بلاد الحرم وحشا بقاعهالغيبة ما كانت من الوحى تعهد

قفارا سوى معمورة اللحد ضافهافقيد نبكيه بلاط و غرقد

و مسجده فالموحشات لفقدهخلاء له فيها مقام و مقعد

و بالجمرة الكبرى له ثم أوحشتديار و عرصات و ربع و مولد

فبكى رسول الله يا عين عبرةو لا أعرفنك الدهر دمعك يجمد

و مالك لا تبكين ذا النعمة التىعلى الناس منها سابغ يتغمد

فجودى عليه بالدموع و أعولىلفقد الذى لا مثله الدهر يوجد

و ما فقد الماضون مثل محمدو لا مثله حتى القيامة يفقد

أعف و أوفى ذمة بعد ذمةو أقرب منه نائلا لا ينكد

و أبذل منه للطريف و تالداإذا ضن معطاء بما كان يتلد «۸»

و أكرم صيتا فى البيوت إذا انتهىو أكرم جدا أبطحيا يسود «۹»

و أمنع ذروات و أثبت فى العلادعائم عز شاهقات تشيد

و أثبت فرعا فى الفروع و منبتاو عودا غذاه المزن فالعود أغيد

رباه وليدا فاستتم تمامهعلى أكرم الخيرات رب ممجد

تناهت وصاة المسلمين بكفهفلا العلم محبوس و لا الرأى يفند

أقول و لا يلقى لما قلت عائبمن الناس إلا عازب العقل مبعد «۱۰»

و ليس هواى نازعا عن ثنائهلعلى به فى جنة الخلد أخلد

---

(۷) الكنف: أى الجانب و الناحية.

(۸) الطريف: المال المستحدث. و التالد: المال القديم الموروث. و ضن: أى بخل. و يتلد: أى يكتسب قديما.

(۹) الصيت: أى الذكر الحسن. و الأبطحى: المنسوب إلى أبطح مكة، و هو موضع سهل متسع.

(۱۰) عازب العقل: بعيد العقل غائبه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷۴ مع المصطفى أرجو بذاك جوارهو فى نيل ذاك اليوم أسعى و أجهد و قال حسان بن ثابت «۱» يبكى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

ما بال عينك لا تنام كأنماكحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدى أصبح ثاوىيا خير من وطئ الحصى لا تبعد

وجهى يقيك الترب لهفا ليتنىغيبت قبلك فى بقيع الغرقد

بأبى و أمى من شهدت وفاتهفى يوم الاثنين النبىّ المهتدى

فظللت بعد وفاته متبلدامتلدا يا ليتنى لم أولد

أ أقيم بعدك فى المدينة بينهميا ليتنى صبحت سم الأسود

أو حل أمر الله فينا عاجلافى روحة من يومنا أو من غد

فتقوم ساعتنا فنلقى طيبامحضا ضرائبه كريم المحتد

يا بكر آمنة المبارك ذكرهاولدته محصنة الأسعد

نورا أضاء علی البریة کلهامن یهد للنور المبارک یهتدی

یا رب فاجمعنا معا و نبینافی جنة تبنی عیون الحسد

فی جنة الفردوس فاکتبها لنایا ذا الجلال و ذا العلا و السؤدد

و الله أسمع ما بقیت بهالکإلا بکیت علی النبیّ محمد

یا ویح أنصار النبیّ و رهطهبعد المغیب فی سواء الملحد

ضاقت بالانصار البلاد فأصبحواسودا وجوههم کلون الأثمد

و لقد ولدناه و فینا قبرهو فضول نعمته بنا لم تجحد

و الله أکرمنا به و هدی بهأنصاره فی کل ساعة مشهد

صلی الإله و من یحف بعرشهو الطیبون علی المبارک أحمد و قال حسان بن ثابت «۲» أیضا یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

نب المساکین أن الخیر فارقهممع النبیّ تولی عنهم سحرا

من ذا الذی عنده رحلی و راحلتیو رزق أهلی إذا لم یؤنسوا المطرا

أم من نعاتب لا نخشی جنادعهإذا اللسان عتا فی القول أو عثرا

کان الضیاء و کان النور نتبعهبعد الإله و کان السمع و البصرا

یا لیتنا یوم واروه بملحدهو غیبوه و ألقوا فوقه المدارا

---

(۱) انظر: السیرة (۴/ ۲۹۵).

(۲) انظر: السیرة (۴/ ۲۹۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۵ لم یترک الله منا بعده أحداو لم یعش بعده أنثی و لا ذکرا

ذلت رقاب بنی النجار کلهمو کان أمرا من أمر الله قد قدرا

و اقتسم الفیء دون الناس کلهمو بددوه جهارا بینهم هدرا و قال حسان بن ثابت أیضا یبکی رسول الله صلی الله علیه و سلم:

آلیت ما فی جمیع الناس مجتهدامنی ألیة بر غیر إفناد «۱»

تالله ما حملت أنثی و لا وضعتمثل الرسول نبی الأمة الهادی

و لا برأ الله خلقا من بریتهأو فی بذمة جار أو بمیعاد

من ذا الذی کان فینا یستضاء بهمبارک الأمر ذا عدل و إرشاد

أمسی نساؤک عطلن البیوت فمایضربن فوق قفا ستر بأوتاد

مثل الرواهب یلبسن المباذل قدأیقن بالبؤس بعد النعمة الباد «۲»

یا أفضل الناس إنی کنت فی نهرأصبحت منه کمثل المفرد الصادی «۳» و قال کعب بن مالک الأنصاری من کلمة یبکی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

و باکیة حری تحرق بالبکاو تلطم منها خدها و المقلدا

علی هالک بعد النبیّ محمدو لو عدلت لم تبک إلا محمدا

فلست بباک بعد فقد محمدفقیدا و إن کان القریب المسودا

فجعنا بخیر الناس حیا و میتاو أدناه من أهل السموات مقعدا

و أعظمه فقدا علی کل مسلمو أکرمه فی الناس کلهم یدا

متى تنزل الأملاك بالوحى بعدهعلينا إذ ما اللبس فينا ترددا

إذا كان منه القول كان موفقاو إن كان وحيا كان نورا مجددا

جزى الله عنا ربنا خير ما جزىنبى الهدى الداعى إلى الحق أحمدا و قال عمرو بن سالم الخزاعى يبكى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم:

لعمرى لئن جادت لك العين بالبكالمحقوقة أن تستهل و تدمعا

فيا حفص إن الأمر جل عن البكاغداة نعى الناعى النبىّ فأسمعا

فلم أر يوما كان أعظم حادثاو لم أر يوما كان أكثر موجعا

---

(۱) الألية: اليمين و الحلف. و الإفناد: العيب و الخطأ.

(۲) المباذل: الأثواب التى تستعمل يوميا، أو الأثواب الخلقة.

(۳) الصادى: العاطش أو الشديد العطش.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۷۶ و لم أر من يوم أعم مصيبةو لا ليلة كانت أمر و أفظعا

تعزى بصبر و اذكرى الله و اعلمىبأن سوف يجزى كل ساع بما سعى

و لا ترزئى محض الحياء فتفجعىبدينك و الدنيا فترزيهما معا

فإن يك قد مات النبىّ فبعد مانعى نفسه بدآ و عودا فأسمعا

إذا ذكرت نفسى فراق محمدتهيج حزنى و الفؤاد تقطعا

فيا لك نفسا لا يزال يزيدهاعلى الدهر طول الدهر إلا تصدعا

جزى منك رب الناس أفضل ما جزىنبيا هدانا ثم ولى مودعا

فو الله لا أنساك ما دمت ذاكرالشىء و ما قلبت كفا و إصبعا و قد أكثر الشعراء فى تأبينه صلوات الله عليه قديما و حديثا، و قضوا من التفجيع عليه حقا، لا ينبغى أن يكون عهده نكيثا، و لم يمنعهم تقادم الأيام و تطاول الأعوام من تجديد البكاء عليه، و مزيد الحنين إليه، و بحق ما يكون ذلك، فهو الرزء الذى حقه أن ينسى جميع الأرزاء، و الحادث الجلل الذى يقبح معه حسن العزاء، و طواعية الأسف عليه دائما من أعدل الشهادات بالإخلاص لمن قام بها و استقام بالنية و القول على سواء مذهبها، جعلنا الله ممن أحبه حقا، و كتبنا فيمن غدا لشفاعته المشفعة مستحقا.

فمن ذلك ما وقفت عليه لأبى إسحاق إسماعيل بن القاسم الغزى الكوفى، المعروف بأبى العتاهية من كلمة:

على رسول الله منى السلامما كان إلا رحمة للأنام

أحيى به الله قلوبا كماأحيى موات الأرض صوب الغمام

أكرم به للخلق من مبلغهاد و للناس به من إمام

و أصبح الحق به قائماو أصبح الباطل دحض المقام و قال إسماعيل بن القاسم أيضا من كلمة أخرى:

ليبك رسول الله من كان باكياو لا تنس قبرا بالمدينة ساويا

جزى الله عنا كل خير محمدافقد كان مهديا دليلا هاديا

لمن تبتغى الذكرى لما هو أهلهإذا كنت للبر المطهر ناسيا

أ تنسى رسول الله أفضل من مشىو آثاره بالمسجدين كما هيا

و كان أبر الناس بالناس كلهمو أكرمهم بيتا و شعبا و واديا

تکدر من بعد النبیّ محمدعلیه سلام الله ما کان صافیا

فکم من منار کان أوضحه لناو من علم أمسى و أصبح عافیا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۷ رکنا إلى الدنیا الدنیة بعدهو کشفت الأطماع منا المساویا

و إنا لنرمی کل یوم بعبرةنراها فما نزداد إلا تعامیا

کأنا خلقنا للبقاء و أیناو إن مدت الدنیا له لیس فانیا

أبى الموت إلا أن یکون لمن ترىمن الخلق طرا حیث ما کان لاقیا

حسمت المنى یا موت حسما مبرحاو علمت یا موت البکاء البواکیا

و مزقتنا یا موت کل ممزقو عرفتنا یا موت منک الدواهیا و لأبی عبد الله محمد بن أبی الخصال الغافقی الأندلسی، و مکانه من متانة العلم و الدین و صدق المقالة و صحة الیقین المکان الذی یلحقه بأقرانه من العلماء المتقنین، قصائد یرثی بها النبیّ صلى اللّه علیه و سلم و على آله أجمعین یساجل بها شاعره حسان بن ثابت فی قصائده المتقدمة صوتا بصوت، و کلمة بکلمة، أخبرنا بها و بسائر کلامه نثره و نظمه غیر واحد من أشیاخنا رحمهم الله عنه فمن ذلک قوله یعارض حسان فی قصیدته الأولى و یمشی فی التفجع و التوجع على طریقته المثلى:

بطیبة آثار تحج و تقصدو دار بها الله نور مخلد

و مهبط جبریل بوحی و حکمةیبینها للعالمین محمد

و مظهر آیات کأن رسومهاعلى ما محى منها البلى یتجدد

و فی مسجد التقوى تأرخ روضةعلیها من الفردوس کل ممدد

یفاوحها طیب الجنان و تربةتبوءها من جنة الخلد أحمد

و منبره الأعلى على ذروة التقىو جذع له فیه حنین مردد

و مولد إبراهیم حیث تمخضتبه أمه مثوى کریم و مولد

و موقعه من نفسه و اختیارهله اسم خلیل الله فخر مشید

و إعلانه بالحزن تدمع عینهله رحمة و النفس ترقى و تصعد

و مبنى علی و الهدى یألف الهدىبفاطمة نور بنور یقید

و مولد سبطیه و ریحان قلبهمکانهما من عاتقیه ممهد

و حیث ارتقت منها إمامة مرتقىیقوم بها جبالها ثم یسجد

و حیث بنى بالطیبات نسائهبعصمته الوثقى و جبریل یشهد

و متلى کتاب الله فی حجراتهایقمن به فی اللیل و الناس هجد

و تمت لأصحاب الکساء طهارةمن الله یحییها الکتاب المؤید

معاهد إیمان تألق نورهافقی کل أفق جذوة تتوقد

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۸ و کانت أمانا ثم عادت مخافةفزائرها فوق الردى یتوسد

فیا أیها الدار التی حق أهلهاعلى الناس طرا دائم لیس ینفد

لقد درست منک المغانی و أوحشتو کان إلیها الدین یأوی و یصمد

ذکرتک ذکرى من یهیم فؤادهبقربک لکنی عن القرب مبعد

و مثلت لی فی بهجة الدین و التقىو أمر رسول الله یعلو و یمهد

و إذا برقت نورا أساریر وجههفزحزح قطع اللیل و اللیل أسود

و ألقت إلیه الأرض أفلاذها التی‌تحل بها عقم الأمور و تعقد

و غزو تبوک ثم حج وداعهو لم یبق تبین و لم یبق مشهد

و مثلت لی و المسلمون بشکوهفرائصهم من روعة البیت ترعد

و قد جلل الدنیا ظلام مطبق‌یخال به لیل علی الناس سرمد

فما راعهم إلا وفاة رسولهمو کل یری أن الرسول یخلد

و قد ذهلوا أن التی یقرونهاإذا جاء نصر الله للموت مرصد

و ودع جبریل وداع مفارقو لا عود یستثنی و لا وحی یعهد

و أم أبیها مسبلات دموعهاکما انحل من سلک فرید مبدد

فأودعها سرا بکت من نجیهو ثنی بسر فانثنت تتجلد

و قد أعلنت عند الرسول بکربهالکرب أبیها و هو بالموت یجهد

فقال لها کفی دموعک و اصبری‌فما بعد هذا الیوم کرب یعدد

و بشرها من قرب ملحقها لهببشری حدیث صادق لا یفند

فیا من رأی حیا یعزی بموتهفیرضی کأن الموت خلد مؤید

فرارا عن الدنیا إلی قرب ربهاو شجا علیها من حیاة تنکد

و لطفا من الله العظیم بصونهاو باب الرزایا المستکنات مرصد

و لو أنها امتدت طویلا حیاتهالشرد عنها النوم لیل مسهد

و غصت علی قرب بثکل ابن عمهاو فقد شهید حزنه لیس یفقد

أقام کتاب الله فی کل مارق‌یقر به فی زعمه و هو یجحد

فقیض أشقی الناس یدنی سعادةلمن هو بالإیمان أولی و أسعد

و کیف بها و الله یأبی هوانهالمصرع سبط أول و هو مقصد

و قد جرعته حتفه کف جعدةبمکرع سم مجه فیه أسود

و لو حدثت عن کربلاء لأبصرت‌حسینا فتاها و هو شلو مقدد

و ثانی سبطی أحمد جعجعت بهعتاة جفاة و هو فی الأرض أوحد

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۷۹ و لم یرقبوا إلا لآل محمدو لم یذکروا أن القیامة موعد

و أن علیهم فی الکتاب مودةلقرباه لا ینحاش عنها موحد

فیا سرع ما ارتدوا و صدوا عن الهدی‌و مالوا عن البیت الذی بهم هدوا

فحل عن برد الفرات عطاشهمو روی منهم ذابل و مهند

فیا أوجها شاهت و ناهت عن الهدی‌أ هذا التحفی منکم و التردد

و ترتم رسول الله فی ذبح سبطهو بؤتم بنار حرها لیس یبرد

فما لکم عند الشفیع شفاعةو لا لکم فی کوثر الحوض مورد

لعمری لقد غادرتم کل مؤمن‌علی مضض برح یقوم و یقعد

و نغصتم المحیی و أرضیتم العدی‌فأنتم لغیر الله جند و أعبد

فيا كبدى إن أنت لم تتصدعىفأنت من الصفوان أقسى و أجلد

و يا عبرتى إن لم تفيضى عليهمفنفسى أسخى بالحياة و أجود

أ تنتهب الأيام أفلاذ أحمدو أفلاذ من عاداهم تتودد

و يضحى و يظمى أحمد و بناتهو بنت زياد وردها لا يصرد

أ فى دينه فى أمنه فى بلادهتضيق عليهم فسحة تتورد

و ما الدين إلا دين جدهم الذىبه أصدروا فى العالمين و أوردوا

ينام النصارى و اليهود بأمنهمو نومهم بالخوف نوم مشرد

و ما هى إلا ردة جاهليةو حقد قديم بالحديث يؤكد

أ لهفى على سبطى هدى و نبوةجرى لها يوم من الشر أنكد

شهيدين متبوعين من كل مؤمنبكل صلاة برة تتعهد

فهذا أذابت سورة السم كبدهو هذا أبادته قسى تكبد

فما عذر أهل الأرض و القسط قائمو كلهم فى موقف الفصل شهد

أ يفعل هذا بابن بنت نبيكمو ليس لكم فى النصر يوم و لا غد

أبى الله إلا أن فى النفس حسرةبغصتها أضحى و أمسى و أرقد

إلى أن يقيد الله من كل واترعلى أن كفؤا مقنعا ليس يوجد

و أى دم يوفى دم ابن محمدحسين و أمسى و هو سبط موحد

فيا خاتم الأسباط إن تحيتىتؤمك من أرض بعيد و تقصد

مثقلة بالدمع شوقا و لوعةعلى زفرة من حرها أتأود

و يا أسوة للمؤمنين كريمةيلين عليها الحادق المتشدد

فمن ينكر البلوى و أنت بكربلاءلذى البث و الشكوى إمام مقلد

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۰ فإن تجهل الدنيا عليك و أهلهافإنك فى أهل السماء ممجد

أبوك شفيع الناس و هو الذى لهمقام كريم فى البرية يحمد

و مشرعة الحوض الروى بكفهتزاد رجال عندها و تطرد

و ممن يذود الله عنه عصابةبقتلك فى طغيانها تتحمد

و ذنبهم فى قتلك الذنب كلهفما لهم إلا الجحيم تغمد

و هل كنت إلا مثل عمك جعفرقتيلا بكفار بذى العرش ألحدوا

و إلا كليث الله جدك حمزةو حربة وحشى إليه تسدد

و ما منهم إلا غريق شهادةحياتهم موصولة حين تنفد

و مثل أبى حفص و عثمان بعدهو مثل على و هو للحق سيد

دماؤهم مسك ذكى و أجرهمعلى الله لا يحصى و لا يتحدد

أقول ببث مستكن و ظاهرمضاضته عن حبكم تتولد

و ما سرنى أنى خلى من الهوىهوى هو فى حم يتلى و يسند

سريرة حب يوم تتلى سرائرىيقوم بها عنى الصفيح المنضد

سلام على تلك المعاهد إنهالآل رسول الله طهر و مسجد

فيا رب وفدنى إليها مسلماو يا طيب مسرى من إليها يوفد

أفض بها دمعى و أنقع غلتىو أتهم فى ربع الرسول و أنجد

و أدعو إلى الرحمن دعوة تائبإلى عفوه من طيبه يتزود

و أسموا إلى البيت العتيق بفرضهفكل به من ذنبه يتجرد

و لست على قبر الرسول بمؤثرليحشر من ذاك البقيع محمد

فيا رب حقق نيتى و منيتىهنالك و الأرواح جند مجند و قال أيضا يعارض حسان فى كلمته الثانية التى أولها:

ما بال عينك لا تنام كأنما................ .....

بهذه الكلمة المرسومة بعد:

هل يجمعن صباح يوم أو غدبينى و بين القبر قبر محمد

حتى أروى ناظرى من عبرتىو يقر عينى طيب ذاك المشهد

و أقبل الأرض التى حملت بهنورا يجلى كل جنح أسود

و أعظم البلد الذى رأسى بهطود النبوة ثابتا بالأسعد

أشكو إلى جبل تضمن حبهحبا أضاق تصبرى و تجلدى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۱ و أبلغ القلب المروع أمانهو أقول للنفس التى ظمئت ردى

و أهش للأفق المبارك جوهمتجددا من نوره المتجدد

و أسح فى أبيات آل محمددمعا كنظم اللؤلؤ المتبدد

و الله يعلم أن آل رسولهآل تمكن حبهم فى محتدى

و بكربتى منهم أبوح و أنطوىو بحسرتى فيهم أروح و أغتدى

قف بالمنازل سائلا عن أهلهاأين الرسالة و الرسول المهتدى

أين الصواحب و الصحابة حولهإذ بايعوه بالقلوب و باليد

أين الذين بسبقهم عز الهدىو علت على الأديان ملة أحمد

أين الذين لعتبة و لشيبةو إلى الوليد سموا بكل مهند

أين الذين بيوم أحد صرعواما بين مثنى فى الإله و موحد

أين الذين بمؤتة و جلادهاماتوا كراما كالليوث الحرد

أين الثمانية الذين بصبرهمثابت بأوطاس بصائر من هدى

يا مسجد التقوى غدوت بفضلهمو مكانهم فى الدين أفضل مسجد

و بقيت بعدهم مثابة رحمةفى غربة المستوحش المتفرد

تبكى على خير البرية كلهابدموع كل مصدق و موحد

فقد السماء كما فقدت نديهمو نحيبهم فى مهبط أو مصعد

و تفرد الرحمن بالغيث الذى كان الرسول بوحيه عبق الند

و لقد أقام الدين من خلفائهأصهاره كل بأحمد يقتدى

و أتتك بعدهم الملوك فمصلحيضع الأمانة عند آخر مفسد

يا بيت عائشة المجن ثلاثةتطموا به نظم الطراز الأوحد

مثوى النبىّ و صاحبيه و فسحةعيسى ابن مريم حازها بالموعد

بوركت من بيت يضم رسالةو نبوة و خلافة فى ملحد

منى إليك تحية يهفو بهاقلب بذكرهم و حلهم ند

صلى الإله و أرضه و سماؤهو العالمون على النبىّ المقتدى

بالأنبياء المهتدى بهداهمرشدا تبين فى الكتاب المرشد و قال أبو عبد الله أيضا يعارض حسان فى كلمته الثالثة التى أولها:

نب المساكين أن الخير فارقهم................ ......

بهذه الكلمة المرسومة:

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۲ هون عليك من الأرزاء ما خطرابعد الرسول و لا تعدل به خطرا

و اذكره فى كل محذور تغص بهتلقى المصاب به قد هون الحذرا

أبعد أحمد يستقرى مضاجعهفودع البيت و الأركان و الحجرا

مستقبلا طيبة و الله ينقلهإلى رضاه فلما يعد أن صدرا

ثم استعز به شكو يعالجهيغشى بسورته الأبيات و الحجرا

حتى انتهى دوره فى بيت عائشةفى نومها يتبع الأنفاس و الأثرا

فمال فى حجرها طلقا أسرتهغض البشاشة إلا اللمح و النظرا

فأذهل الناس طرا عن حياتهمموت الرسول و منهم من نفى الخبرا

فيا له من نظام بات فى قلقلو لا أبو بكر الصديق لانتثرا

إن كنت معتبرا فانظر تقللهو الأرض تبر و دين الله قد ظهرا

لم يرض منها سوى قبر تضمنهكان الفراش له فى نومه مدرا

يا قبر أحمد هل من زورة أممقبل الحمام تسر السمع و البصرا

و هل إلى طيبة ممشى يقربهايا طيبة إن تأتى يومه سفرا

فتنشق النفس فى أرجائها أرجايشفى السقام و ينفى الذنب و الضررا

و أستجير ببطن الأرض من كربفى ظهرها لم تدع شمسا و لا قمرا

أستجمل الله من أسرار قدرتهعزما يخوض إليه البدو و الحضرا

و قوة بالضعيف الهم ناهضةو حجة تنظم الآصال و البكرا

يا حب أحمد كن لى فى زيارتهأقوى ظهير إلى أن أقضى الوطرا

صلى الإله صلاة غير نافدةتكاثر الريح و الأشجار و المطرا

على البشير النذير المصطفى كرمامن كل بطن و صلب طيب ظهرا

على ابن آمنة الماحى بملتهمن كان بالله و الإسلام قد كفرا

و أهله الطيبين الأكرمين و منآوى و ساهم فى البلوى و من نصرا

و أمهات جميع المؤمنين و منهدى هداه و من صلى و من نحرا

و نضر الله حسانا و أعظمهو قد بعثت الجوى و الحزن و الذكرا

أبا الوليد لقد هيجت لى شجنانافحت عنهم بروح القدس مقتدرا

و أنت شاعر آل الله قاطبةضريحه و امسحى عن وجهه العفرا

يا رحمة الله أمى غير صاغرةفى الحق أن تمسح الأعطاف و الغررا

فإنه سابق و السابقات لهاعمت فى المدر استثنت و لا الوبرا

أبقى له منبر الإنشاد مكرمةفى الحق أن تمسح الأعطاف و الغررا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۳ و لم يسل لسانا فى مقاولةو إنما سل عضبا صارما ذكرا

يا مقولا نصر الله الرسول بهلا زلت فى جنة الفردوس مشتهرا و قال أيضا رحمه الله يبكى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و يعارض حسان فى كلمته المتقدمة قبل، رابعة لكلماته، و هى التى أولها:

آليت ما فى جميع الناس مجتهدا................ ....

بهذه الكلمة الموسومة بعد:

قلبى إلى طيبة ذو غلة صادىإلى البشير النذير الخاتم الهادى

إلى أبى القاسم الماحى بملته كفران كل كفور جهله بادى

حتى أعفر خدى فى مواطئهغورا بغور و أنجادا بأنجاد

و أرسل الدمع سحا فى منازلهمستفرغا جهد أفلاذ و أكباد

فى حيث أودع جبريل رسالتهو حيا إليه بتوفيق و إرشاد

و أشرب الماء من أروى منابعهفطيبه قد سرى فى ذلك الوادى

يا حب أحمد إنى منك فى ثقةو أنت أحضر أعتادى و أزوادى

سر بى إليه و جاور بى مثابتهحتى أضمن أكفانى و أعوادى

و ما تمكنت من قلبى لتبدع بىو لا لتقطعنى عن ذلك النادى

نور من الله لو أنى سريت بهلما افتقرت إلى هاد و لا حادى

لم يقذف الله فى قلبى محبتهإلا لأحمل فوق الرأس و الهاد

متى أقول لوفد الله عن كثبيا رايحين انظرونى إننى غاد

و قد برئت إلى الرحمن من نشبىو قد تخليت عن أهلى و أولادى

مستبدلا بجوار الله منقطعاإلى الرسول انقطاع العاطف الباد

صلى الإله و أهل الأرض يقدمهمأهل السموات من مثنى و آحاد

على الذى أنقذ الله العباد بهمن ظلمة الكفر رشدا بعد إفناد

على ابن آمنة المختار من نفرما فوق مجدهم مرمى لمزداد

على النبىّ الذى تمت نبوتهو آدم طينة قدت لأجساد

على الرسول بن عبد الله أكرم من أورى بنور أضاء الأرض و قاد

و بعده صلوات الله عاطرةعلى الصحابة أعداد بأعداد

و أهله الطيبين الأكرمين فهمفى الأرض أطهر غياب و شهاد

يا رب و احفظ مقامى فى محبتهمفإنها و إليك المنتهى زادى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۴

فهذا ما تيسر لنا ذكره من مراثى الشعراء فى سيد المرسلين و خاتم الأنبياء. و بقى علينا منها كثير تخطيناه، إما لتخطى الاختيار له و

الانتقاء، و إما لقصد الاختصار و الاكتفاء، و أكثر الشعراء أفحمتهم المصيبة القاصمة للظهور، الرزية المتجددة على بلى الأزمان و تجدد الدهور، عن أن يفوهوا فى ذلك ببنت شفة أو يفوا بما يناسب ذلك الكرب العظيم و الخطب الجسيم من صفة متصفة، و أولئك أولى الناس بالمعذرة، و أحقهم بالتجاوز عن مقصدهم المقصورة، فمصاب المسلمين به عليه أفضل الصلاة و السلام أعظم من أن تؤدى حقيقته سعة الكلام، أو تستقل أساليب القول المتشعبة و منادح العبارات المتطنبة المهذبة بأيسر جزء من مآثره الكرام و محاسنه العظام، أو تفى الألفاظ على اتساعها و تعدد ضروبها و أنواعها بشرح ما يتحمل فيه القلوب المؤمنة من برح الآلام، و الإعراب عن قدر مصيبة فقده على الإسلام، فجزاه الله عن نهجه لنا السبيل إلى دار السلام أفضل ما أعده من الجزاء لأنبيائه المختصين من عنايته بشرف الاجتباء و الاصطفاء دون الأنام، و أدر عليه و عليهم من سحب الرحمة و البركات و السلام و الصلوات ما يزرى بهطال الديم و واكف الغمام.

و هنا انتهى ما يختص من هذا المجموع بمغازى نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم و ذكر أيامه و كافة أمره إلى حين وفاته.

و نشرع الآن فى صلة ذلك بمغازى خلفائه الثلاثة الأول رضى الله عن جميعهم على نحو ما علمنا به فى مغازى من قصد التهذيب، و بذل الجهد فى حسن الترتيب، و ربنا الكريم جلت قدرته نعم الوكيل بالمعونة على ذلك، لا حول و لا قوة إلا به، هو حسبى لا إله إلا هو، عليه توكلت و إليه أنيب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۵

ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه «۱» و ما حفظ عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الإيماء إليها و الإشارات الدالة عليها مع ما كان من تقدمه صلى اللّه عليه و سلم إلى الإنذار بالفتن الكائنة بعده و ما صدر عنه من الأقاويل المنذرة بالردة

فى الصحيح من الآثار، أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لما سمع صوت عمر فى صلاته بالناس عند ما أمر عليه السلام فى مرضه أبا بكر أن يصلى، فلم يوجد حاضرا، قال: يأبى الله ذلك و المسلمون، يأبى الله ذلك و المسلمون.

و عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «اقتدوا باللذين من بعدى، أبى بكر و عمر» «۲».

و قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: استخلف أبو بكر، فأقام و استقام. و قال صعصعة: استخلف الله أبا بكر، فأقام المصحف.

و ذكر يعقوب بن محمد الزهرى، عن شيوخه، قالوا: و ذكروا استخلاف أبى بكر بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و من قبل ما وصف لهم صفة من يلى بعده، حتى كاد يقول: خليفتى أبو بكر.

و حدث جبير بن مطعم «۳» أن امرأة أتت النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، تكلمه فى شىء، فأمرها أن ترجع

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۵- ۷).

(۲) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۳۶۶۲، ۳۸۰۵)، سنن ابن ماجه (۹۷)، مسند الإمام أحمد (۵/ ۳۸۲، ۳۸۵، ۳۹۹، ۴۰۱، ۴۰۲)، السنن الكبرى للبيهقى (۵/ ۱۲، ۸/ ۱۵۳)، مستدرك الحاكم (۳/ ۷۵)، مجمع الزوائد للهيثمى (۹/ ۵۳، ۲۹۵)، حلية الأولياء لأبى نعيم (۹/ ۱۰۹)، شرح السنة للبغوى (۱۴/ ۱۰۱، ۱۰۲)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۶۲۲۱)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۲/ ۲۳۰)، البخارى فى التاريخ الكبرى (۸/ ۲۰۹، ۹/ ۵۰)، كشف الخفاء للعجلونى (۱/ ۱۸۱)، الدر المنثور للسيوطى (۱/ ۳۳۰)، المعجم الكبير للطبرانى (۹/ ۶۸)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۶۵۶، ۳۲۶۴۶، ۳۲۶۵۷، ۳۳۱۱۷، ۳۳۶۷۹، ۳۶۷۴۶، ۳۶۸۵۳)، الكامل فى الضعفاء لابن عدى (۲/ ۶۶۶، ۷۹۷).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۱۵)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۹۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۹۸)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۳۵)، جمهرة أنساب العرب (۱۱۶)، تهذيب الكمال (۱۸۸)، تهذيب التهذيب (۲/ ۶۳)، تذهيب التهذيب (۱/

۱۰۲)،-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۶

إليه، فقالت: يا رسول الله، إن جئت فلم أجدك، تعنى الموت، قال: «فأتى أبا بكر».

و عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال: «رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و نيط عمر بأبى بكر، و نيط عثمان بعمر»، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله، و أما ذكر من نوط بعضهم ببعض، فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه.

و عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بينا أنا نائم، رأيتنى على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين، و فى نزعه، و الله يغفر له، ضعف، ثم استحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب، حتى ضرب الناس بعطن».

و فى رواية: «فأروى الظمئة، و ضرب الناس بعطن» «۱».

و قد أخبر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، بردة المرتدين من بعده، فحدث أبو سعيد الخدرى، قال:

قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بينا أنا نائم، رأيت فى يدى سوارين من ذهب، فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما: كذابين يخرجان، مسيلمة و العنسى» «۲».

و عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «بين يدى الساعة كذابون، منهم صاحب اليمامة، يعنى مسيلمة، و صاحب خيبر، يعنى طليحة، و منهم العنسى يعنى الأسود، و منهم الدجال، و هو أعظمهم فتنة» «۳».

- خلاصة تذهيب الكمال (۵۲)، شذرات الذهب (۱/ ۶۴)، العقد الثمين (۳/ ۴۰۸).

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۵/ ۷، ۹/ ۴۵، ۴۹، ۱۷۱)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (۱۷)، السنن الكبرى للبيهقى (۸/ ۱۵۳)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۱۹، ۱۲/ ۴۱۴)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۶۰۳۱)، شرح السنة للبغوى (۱۴/ ۸۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۲۲۶)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۲۷۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۶/ ۳۴۴)، السنة لابن أبى عاصم (۱۴/ ۸۹).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۵/ ۲۱۷، ۹/ ۵۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۵۰)، فتح البارى لابن حجر (۱۲/ ۴۲۰).

(۳) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۳/ ۳۴۵، ۵/ ۹۵، ۹۶، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۶)، الدر المنثور للسيوطى (۶/ ۵۱)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۸۳۷۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۶/ ۵۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۷

و عن عبد الله بن حوالة «۱»، قال: قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا: من موتى، و من قتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه، و من الدجال» «۲».

و قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لعبدة بن مسهر الحارثى فيما يعظه به لما قدم عليه: «و إن أدركتك الردة فلا تتبعن كندة».

و دعا أيضا لجرير بن عبد الله «۳» لما وفد عليه، فقال: «اللهم اشرح صدره للإسلام، و لا تجعله من أهل الردة».

و لما أسر المسلمون يوم بدر سهيل بن عمرو العامرى، سأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أن ينزع ثنيتيه السفلاوين، و كان أعلم الشفة السفلى، قال: فإنه خطيب ليقوم عليك خطيبا بمكة، فقال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم لعمر: «عسى أن يقوم مقاما يسرك» «۴»، فلما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و انتهى خبر وفاته إلى مكة، تكلم بها قوم كلاما قبيحا، و وعى ذلك عليهم، فقام سهيل بن عمرو بخطبة أبى بكر، كأنه كان يسمعها، فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، و

من كان يعبد الله، فإن الله حى لم يمت، و قد نعى الله عز و جل نبيه صلى اللّه عليه و سلم، إليكم و هو بين أظهركم، و نعاكم إلى أنفسكم، فهو الموت حتى لا يبقى أحد، أ لم تعلموا أن الله تعالى قال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر: ۳۰]، و قال: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ. الآية [آل عمران: ۱۴۴]، و قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: ۱۸۵]، و قال: كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص: ۸۸].

فاتقوا الله، و اعتصموا بدينكم، و توكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، و كلمته تامة، و إن الله ناصر من نصره، و معز دينه، جمعكم الله على خيركم.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۵۳۶)، الإصابة الترجمة رقم (۴۶۵۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۹۰۹)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۳۰۶)، تهذيب التهذيب (۵/ ۱۹۴)، تقريب التهذيب (۱/ ۴۱۱)، تهذيب الكمال (۲/ ۶۷۶)، خلاصة تذهيب الكمال (۲/ ۵۱)، الوافى بالوفيات (۱۷/ ۱۵۶)، الثقات (۳/ ۳۴۳)، حلية الأولياء (۲/ ۳).

(۲) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۲۱۱)، مجمع الزوائد للهيثمى (۴/ ۳۳۴).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۲۶)، الإصابة الترجمة رقم (۱۱۳۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۷۳۰۹، طبقات خليفة (۱۱۶، ۱۳۸)، تاريخ خليفة (۲۱۸)، الجرح و التعديل (۲/ ۵۰۲)، تهذيب الكمال (۱۹۱)، تهذيب التهذيب (۲/ ۷۳)، خلاصة تذهيب الكمال (۶۱)، شذرات الذهب (۱/ ۵۷، ۵۸).

(۴) انظر الحديث فى الشفاء للقاضى عياض (۱/ ۶۷۶)، الجامع الكبير (۲/ ۷۸۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۸۸

و فى كلام أكثر من هذا و عظهم به، و ذكرهم. و قد كان الناس نفروا و هموا، فنفعهم الله بكلامه، فلم يرتد بمكة أحد، فلما بلغ عمر بن الخطاب مقام سهيل، قال: أشهد أن ما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، حق، فهو و الله هذا المقام.

ذكر بدء الردة بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ما كان من تأييد الله لخليفة رسوله عليه السلام فيها

قالت عائشة رضى الله عنها: لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، نجم النفاق و ارتدت العرب، و اشرأبت اليهودية و النصرانية، و صار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية، لفقد نبيهم، حتى جمعهم الله على أبى بكر، فلقد نزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، فو الله ما اختلفوا فيه من أمر إلا طار أبى بعلائه و غنائه، و كان من رأى ابن الخطاب علم أنه خلق عونا فللإسلام، كان و الله أحوذيا، نسيج وحده، قد أعد للأمور أقرانها.

و فى الصحيح من حديث أبى هريرة، قال: لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و استخلف أبو بكر رضى الله عنه، بعده، و كفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبى بكر:

كيف تقاتل الناس، و قد قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى نفسه و ماله إلا بحقه، و حسابه على الله؟» فقال أبو بكر: و الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة و الزكاة، فإن الزكاة حق المال، و الله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال، فعرفت أنه الحق «۱». الاكتفاء، الكلاعى ج ۲ ۸۸ ذكر بدء الردة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما كان من تأييد الله لخليفة رسوله عليه السلام فيها ..... ص : ۸۸

---

(۱) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۱/ ۱۳، ۱۰۹، ۲/ ۱۳۱، ۴/ ۵۸، ۹/ ۱۹، ۱۱۵، ۱۳۸)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (۳۲، ۳۳، ۳۵)،

سنن النسائی الصغری (۷/ ۷۷، ۷۸، ۷۹، ۸/ ۸۱)، سنن أبی داود (۱۵۵۶، ۲۶۴۰)، سنن الترمذی (۲۶۰۶، ۲۶۰۷، ۳۳۴۱)، سنن ابن ماجه (۳۹۲۷، ۳۹۲۸، ۳۹۲۹)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۱۱، ۱۹، ۳۵، ۴۸، ۲/ ۳۷۷، ۴۲۳، ۴۷۵، ۵۰۲، ۵۲۷، ۵۲۸، ۳/ ۳۰۰، ۳۲۲، ۳۳۹، ۴/ ۸)، سنن البیهقی الکبری (۱/ ۷، ۵۴، ۲/ ۳، ۹۲، ۴/ ۱۰۴، ۱۱۴، ۷/ ۳، ۴، ۸، ۱۹، ۱۳۶، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۹۶، ۹/ ۴۹، ۱۸۲)، مستدرک الحاکم (۲/ ۵۲۲)، تهذیب تاریخ دمشق لابن عساکر (۶/ ۱۷۱)، شرح السنة للبغوی (۱/ ۶۶، ۶۹، ۵/ ۴۸۸)، کنز العمال للمتقی الهندی (۳۷۵، ۳۷۹،–

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۸۹

قال عمر بن الخطاب: و الله لرجح إیمان أبی بکر بإیمان هذه الأمة جمیعا فی قتال أهل الردة.

و ذکر یعقوب بن محمد الزهری عن جماعة من شیوخه، قالوا: فکان أبو بکر أمیر الشاکرین الذین ثبتوا علی دینهم، و أمیر الصابرین الذین صبروا علی جهاد عدوهم، أهل الردة بعد وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

و برأی أبی بکر أجمعوا علی قتالهم، و ذلک أن العرب افترقت فی ردتها، فقالت فرقة:

لو کان نبیا ما مات، و قال بعضهم: انقضت النبوة بموته، فلا نطیع أحدا بعده، و فی ذلک یقول قائلهم:

أطعنا رسول الله ما عاش بیننافیا لعباد الله ما لأبی بکر

أ یورثها بکرا إذا مات بعدهفتلک و بیت الله قاصمة الظهر و قال بعضهم: نؤمن بالله، و نشهد أن محمدا رسول الله، و نصلی، و لکن لا نعطیکم أموالنا، فأبی أبو بکر إلا قتالهم علی حسب ما تقدم ذکره.

و جادل أبو بکر الصحابة فی جهادهم، و کان من أشدهم علیه عمر و أبو عبیدة بن الجراح «۱»، و سالم مولی أبی حذیفة «۲»، و قالوا له: احبس جیش أسامة بن زید، فیکون عمارة و أمانة بالمدینة، و ارفق بالعرب حتی ینفرج هذا الأمر، فإن هذا الأمر شدید غوره و تهتکه من غیر وجهه، فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا: قاتل بمن معک ممن ثبت من ارتد، و قد اتفقت العرب علی الارتداد، فهم بین مرتد، و مانع صدقة، فهو مثل المرتد،

– ۱۶۸۳۶، ۱۶۸۴۶)، إتحاف السادة المتقین للزبیدی (۱/ ۱۵۵)، مشکاة المصابیح للتبریزی (۱۷۹۰)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۱۰/ ۳۳۴)، فتح الباری لابن حجر (۱/ ۴۹۷، ۱۳/ ۱۷۴، ۲۵۰، ۳۳۹)، نصب الرایة للزیلعی (۳/ ۳۸۰، ۴۸۰، ۴/ ۳۲۴، ۳۳۹)، الدر المنثور للسیوطی (۵/ ۲۷۴، ۶/ ۳۴۳)، زاد المسیر لابن الجوزی (۹/ ۱۰۰)، جمع الجوامع (۴۴۱۱، ۴۴۱۴، ۴۴۱۸)، المعجم الکبیر للطبرانی (۲/ ۱۹۸، ۳۴۷، ۶/ ۱۶۱، ۸/ ۳۸۲)، التاریخ الکبیر للبخاری (۳/ ۳۶۷، ۷/ ۳۵)، مصنف ابن أبی شیبة (۱۰/ ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲/ ۳۷۴، ۳۷۶، ۳۷۷، ۳۸۰).

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۳۱۰۸)، الإصابة الترجمة رقم (۱۰۲۳۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۶۰۸۴)، تهذیب الکمال (۱۶۲۳)، تقریب التهذیب (۲/ ۴۴۸)، تهذیب التهذیب (۱۲/ ۱۵۹)، المؤتلف و المختلف (۸۴۰)، التبصرة و التذکرة (۳/ ۲۷).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۸۸۶)، الإصابة الترجمة رقم (۳۰۵۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۸۹۲)، و هو: سالم بن معقل، مولی أبی حذیفة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۰

و بین واقف ینظر ما تصنع أنت و عدوک، قد قدم رجلا و أخر رجلا «۱».

و فی کتاب الواقدی من قول عمر لأبی بکر: و إنما شحت العرب علی أموالها، و أنت لا تصنع بتفریق العرب عنک شیئا، فلو ترکت للناس صدقة هذه السنة.

و قدم علی أبی بکر عیینة بن حصن الفزاری، و الأقرع بن حابس، فی رجال من أشراف العرب، فدخلوا علی رجال من المهاجرین،

فقالوا: إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام، و لیس فی أنفسهم أن یؤدوا إلیکم من أموالهم ما کانوا یؤدون إلی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فإن تجعلوا لنا جعلا نرجع فنکفیکم من وراءنا؛ فدخل المهاجرون و الأنصار علی أبی بکر، فعرضوا علیه الذی عرضوا علیهم، و قالوا: نری أن تطعم الأقرع و عیینة طعمة یرضیان بها و یکفیانک من وراءهما، حتی یرجع إلیک أسامة و جیشه، و یشتد أمرک، فإنا الیوم قلیل فی کثیر، و لا طاقة لنا بقتال العرب، قال أبو بکر: هل ترون غیر ذلک؟ قالوا:

لا؛ قال أبو بکر: إنکم قد علمتم أنه کان من عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، إلیکم المشورة فیما لم یمض فیه أمر من نبیکم و لا نزل به الکتاب علیکم، و أن الله لن یجمعکم علی ضلالة، و إنی سأشیر علیکم، فإنما أنا رجل منکم، تنظرون فیما أشیر به علیکم و فیما أشرتم به، فتجتمعون علی أرشد ذلک، فإن الله یوفقکم، و أما أنا فأری أن ننبذ إلی عدونا، فمن شاء فلیؤمن و من شاء فلیکفر، و أن لا نرشو علی الإسلام أحدا، و أن نتأسی برسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فنجاهد عدوه کما جاهدهم، و الله لو منعونی عقالا لرأیت أن أجاهدهم علیه حتی آخذه، فائتمروا یرشدکم الله، فهذا رأیی؛ و أما قدوم عیینة و أصحابه إلیکم، فهذا أمر لم یغب عنه عیینة، هو راضه ثم جاء له و لو رأوا ذباب السیف لعادوا إلی ما خرجوا منه أو أفناهم السیف فإلی النار، قتلناهم علی حق منعوه و کفر. فبان للناس وجه أمرهم، و قالوا لأبی بکر لما سمعوا رأیه: أنت أفضلنا رأیا، و رأینا لرأیک تبع. فأمر أبو بکر الناس بالتجهز، و أجمع علی المسیر بنفسه لقتال أهل الردة.

و کانت أسد و غطفان من أهل الضاحیة قد ارتدت، و لم ترتد عبس و لا بعض أشجع، و ارتدت عامة بنی تمیم و طوائف من بنی سلیم: عصیة و عمیرة و خفاف، و بنو عوف بن امرئ القیس، و ذکوان، و بنو جاریة، و ارتد أهل الیمامة «۲» کلهم، و أهل البحرین «۳»،

---

(۱) انظر: غزوات ابن حبیش (۱/ ۲۲).

(۲) راجع قصة ارتداد أهل الیمامة فی: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۷۹- ۸۳)، تاریخ الطبری (۳/ ۲۸۰، ۲۸۱).

(۳) راجع قصة أهل البحرین فی: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۸۳- ۸۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۱

و بکر بن وائل، و أهل دبی من أزد عمان «۱»، و النمر بن قاسط، و کلب، و من قاربهم من قضاعة، و عامة بنی عامر بن صعصعة، و فیهم علقمة بن علاثة، و قیل: إنها تربصت مع قادتها و سادتها ینظرون لمن تکون الدبرة، و قدموا رجلا و أخروا أخری، و ارتدت فزارة، و جمعها عیینة بن حصن، و تمسک بالإسلام من بین المسجدین، و أسلم و غفار و جهینة و مزینة و کعب و ثقیف، قام فیهم عثمان بن أبی العاص فی بنی مالک، و قام فی الأحلاف رجل منهم، فقال: یا معشر ثقیف، نشدتکم الله أن تکونوا أول العرب ارتدادا و آخرهم إسلاما؛ و أقامت طیئ کلها علی الإسلام، و هذیل، و أهل السراة و بجیلة و خثعم و من قارب تهامة من هوازن نصر و جشم و سعد بن بکر و عبد القیس، قام فیهم الجارود فثبتوا علی الإسلام، و ارتدت کندة و حضرموت و عنس.

و قال أبو هریرة: لم یرجع رجل واحد من دوس و لا من أهل السراة کلها. و قال أبو مرزوق التجیبی: لم یرجع رجل واحد من تجیب و لا من همدان، و لا من الأبناء بصنعاء، و لقد جاء الأبناء وفاة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فشق نساؤهم الجیوب و ضربن الخدود، و فیهم المرزبانة، فشقت درعها من بین یدیها و من خلفها.

و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، لما صدر من الحج سنة عشر، و قدم المدینة فأقام حتی رأی هلال المحرم سنة إحدی عشرة، و بعث المصدقین فی العرب، فبعث علی عجز هوازن عکرمة بن أبی جهل «۲»، و بعث حامیة بن سبیع الأسدی علی صدقات قومه، و علی بنی کلاب الضحاک بن سفیان «۳»، و علی أسد وطئ عدی بن حاتم «۴»، و علی بنی یربوع

(۱) راجع قصة أهل عمان فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۵- ۸۶)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۱۴).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۸۵۷)، الإصابة الترجمة رقم (۵۶۵۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۷۴۱)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۱۷۴)، طبقات خليفة (۲۰/ ۲۹۹)، تاريخ خليفة (۹۲)، الجرح و التعديل (۷/ ۶، ۷)، العقد الثمين، (۶/ ۱۱۹، ۱۲۳)، شذرات الذهب (۱/ ۲۷، ۲۸)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۳۲۳)، العبر (۱/ ۱۸)، تهذيب الكمال (۹۵۰)، تهذيب التهذيب (۷/ ۲۵۷)، خلاصة تذهيب الكمال (۲۷۰).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۲۵۵)، الإصابة الترجمة رقم (۴۱۸۶) أسد الغابة الترجمة رقم (۲۵۵۶)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۷۰)، الوافى بالوفيات (۱۶/ ۳۵۲)، الأعلام (۳/ ۲۱۴)، تهذيب الكمال (۱/ ۶۱۵)، تهذيب التهذيب (۴/ ۴۴۴)، خلاصة تذهيب الكمال (۲/ ۳)، المعرفة و التاريخ (۳/ ۳۶۹)، التحفة اللطيفة (۲/ ۲۵۰)، الجرح و التعديل (۴/ ۲۰۱۸)، دائرة معارف الأعلمىّ (۲۰/ ۲۵۵).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۸۰۰)، الإصابة الترجمة رقم (۵۴۹۱)، أسد-

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹۲

مالك بن نويرة «۱»، و على بنى دارم و قبائل بنى حنظلة الأقرع بن حابس «۲»، و بعث الزبرقان بن بدر «۳» على صدقات قومه، و قيس بن عاصم المنقرى «۴» على صدقات قومه.

فلما بلغتهم وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم اختلفوا، فمنهم من رجع، و منهم من أدى إلى أبى بكر، و كان الذين حبسوا صدقات قومهم و فرقوها بين قومهم مالك بن نويرة، و قيس بن عاصم، و الأقرع بن حابس التميمى، و أما بنو كلاب فتربصوا، و لم يمنعوا منعا بينا، و لم يعطوا، كانوا بين ذلك.

و بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، على فزارة نوفل بن معاوية الديلى «۵»، فلقيه خارجة بن حصن ابن حذيفة بن بدر الفزارى بالشربة، فقال: أ ما ترضى أن تغنم نفسك؟ فرجع نوفل بن

- الغابة الترجمة رقم (۳۶۱۰)، الجرح و التعديل (۷/ ۲)، مروج الذهب (۳/ ۱۹۰)، جمهرة أنساب العرب (۴۰۲)، تاريخ بغداد (۱/ ۱۸۹)، تهذيب الكمال (۹۲۵)، تذهيب التهذيب (۳/ ۳۶)، خلاصة تذهيب الكمال (۲۲۳)، تهذيب التهذيب (۷/ ۱۶۶)، شذرات الذهب (۱/ ۷۴)، سير أعلام النبلاء (۳/ ۱۶۲).

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۳۳۱)، الإصابة الترجمة رقم (۷۷۱۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۶۵۶).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۶۹)، الإصابة الترجمة رقم (۲۳۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۰۸)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۶)، الوافى بالوفيات (۹/ ۳۰۷)، التحفة اللطيفة (۱/ ۳۳۷)، أزمنة التاريخ الإسلامى (۱/ ۵۳۱)، التاريخ الصغير (۵۹)، الجامع فى الرجال (۲۸۱)، تهذيب الأسماء و اللغات (۱/ ۱۲۴).

(۳) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۸۷۰)، الإصابة الترجمة رقم (۲۷۸۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۷۲۸)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۸۸)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۵۷)، الطبقات الكبرى (۷/ ۳۶)، الثقات (۳/ ۱۴۲)، الأعلام (۳/ ۴۱).

(۴) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۱۶۴)، الإصابة الترجمة رقم (۷۲۰۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۳۷۰)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۲۲)، تقريب التهذيب (۲/ ۱۲۹)، تهذيب التهذيب (۸/ ۳۹۹)، خلاصة تهذيب الكمال (۲/ ۳۵۷)، الأنساب لابن السمعانى (۷/ ۱۴۱)، أزمنة التاريخ الإسلامى (۸۱۶)، الثقات (۳/ ۳۳۸).

(۵) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۶۷۳)، الإصابة الترجمة رقم (۸۸۵۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۳۲۲)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۱۱۵)، تهذيب التهذيب (۱۰/ ۴۹۲)، تقريب التهذيب (۲/ ۳۰۹)، خلاصة تذهيب الكمال (۳/ ۱۰۳)، الجرح و التعديل (۱/

۴۸۷)، العقد الثمین (۷/ ۳۵۳)، الأنساب لابن للسمعانی (۵/ ۴۴۹)، الأعلام (۸/ ۵۵)، الطبقات الکبری (۱/ ۸۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۳

معاویة هاربا حتی قدم علی أبی بکر الصدیق بسوطه، و قد کان جمع فرائض فأخذها منه خارجة، فردها علی أربابها، و کذا فعلت سلیم بعرباض بن ساریة «۱»، و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، بعثه علی صدقاتهم، فلما بلغتهم وفاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، أبوا أن یعطوه شیئا، و أخذوا منه ما کان جمع، فانصرف من عندهم بسوطه، و أما أسلم و غفار و مزینة و جهینة، و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، بعث إلیهم کعب بن مالک الأنصاری، فسلموا إلیه صدقاتهم، لما بلغتهم وفاته، و تأدت إلی أبی بکر، فاستعان بها فی قتال أهل الردة، و کذلک فعل بنو کعب مع أمیر صدقاتهم بشر بن سفیان الکعبی، و أشجع مع مسعود بن رحیلة الأشجعی «۲»، فقدم بذلک کله علی أبی بکر.

و کان عدی بن حاتم قد حبس إبل الصدقة، یرید أن یبعث بها إلی أبی بکر إذا وجد فرجة، و الزبرقان بن بدر مثل ذلک، فجعل قومهما یکلمونهما فیأبیان، و کان أحزم رأیا و أفضل فی الإسلام رغبة ممن کان فرق الصدقة فی قومه، فقالا لقومهما: لا تعجلوا، فإنه إن قام بهذا الأمر قائم ألفاکم لم تفرقوا الصدقة، و إن کان الذی تظنون، فلعمری إن أموالکم لبأیدیکم، فلا یغلبنکم علیها أحد، فسکتوهم حتی أتاهم یقین خبر القوم، فلما اجتمع الناس علی أبی بکر جاءهم أنه قد قطع البعوث، و سار بعث أسامة بن زید إلی الشام، و أبو بکر یخرج إلیهم، فکان عدی بن حاتم یأمر ابنه أن یسرح مع نعم الصدقة، فإذا کان المساء روحها، و إنه جاء بها لیلة عشاء، فضربه، و قال: أ لا عجلت بها؟.

ثم راح بها اللیلة الثانیة فوق ذلک قلیلا، فجعل یضربه، و جعلوا یکلمونه فیه، فلما کان الیوم الثالث قال: یا بنی إذا سرحتها فصح فی أدبارها و أم بها المدینة، فإن لقیک لاق من قومک أو من غیرهم فقل أرید الکلأ، تعذر علینا ما حولنا، فلما أن جاء الوقت الذی کان یروح فیه، لم یأت الغلام، فجعل أبوه یتوقعه و یقول لأصحابه: العجب لحبس ابنی، فیقول بعضهم: نخرج یا أبا طریف فنتبعه، فیقول: لا و الله؛ فلما أصبح تهیأ لیغدو، فقال قومه: نغدو معک، فقال: لا یغدو معی منکم أحد، إنکم إن رأیتموه حلتم بینی

(۱) انظر ترجمته فی: الإستیعاب الترجمة رقم (۲۰۴۹)، الإصابة الترجمة رقم (۵۵۱۷)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۶۳۰)، مشاهیر علماء الأمصار الترجمة رقم (۳۳۱)، شذرات الذهب (۱/ ۸۲)، حلیة الأولیاء (۲/ ۱۳)، سیر أعلام النبلاء (۳/ ۴۱۹)، تقریب التهذیب (۲/ ۱۷)، خلاصة تذهیب التهذیب (۲۶۹)، تاریخ الإسلام (۲/ ۴۸۳).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۴۰۸)، و فیه: مسعود بن «رخیلة بن عائذ الأشجعی»، الإصابة الترجمة رقم (۷۹۶۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۸۸۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۴

و بین ضربه، و قد عصی أمری کما ترون؛ فخرج علی بعیر له سریعا حتی لحق ابنه، ثم حدر النعم إلی المدینة، فلما کان ببطن قناة لقیته خیل لأبی بکر، علیها ابن مسعود، و یقال محمد بن مسلمة «۱» و هو أثبت عندنا، فلما نظروا إلیه ابتدروه، و ما کان معه، و قالوا له: أین الفوارس الذین کانوا معک؟ قال: ما معی أحد، قالوا: بلی، لقد کان معک فوارس، فلما رأونا تغیبوا، فقال ابن مسعود: خلوا عنه فما کذب و لا کذبتم، جنود الله معه، و لم یرهم.

فقدم علی أبی بکر بثلاثمائة بعیر، و کانت أول صدقة قدم بها علی أبی بکر.

و ذکر بعض من ألف فی الردة: أن الزبرقان بن بدر هو الذی فعل هذا الفعل المنسوب فی هذا الحدیث إلی عدی بن حاتم، فإما أن یکونا فعلاه معا توفیقا من الله لهما، و إما أن یکون هذا مما یعرض فی النقل من الاختلاف، و الذی ینسب ذلک إلی الزبرقان یقول: إنه قال فی ذلک:

لقد علمت قيس و خندف أننىوفيت إذا ما فارس الغدر ألجما

أتيت التى قد يعلم الله أنهاإذا ذكرت كانت أعف و أكرما

أنفت لعوف أن يسب أبوهمإذا اقتسم الناس السوام المقسما

و روحتها من أهل جوفاء صبحتتدوس بأيديها الحصاد المحرما

حبوت بها قبر النبىّ و قد أبىفلم يجبه ساع من الناس مقسما و قال أيضا:

وفيت بأذواد النبىّ ابن هاشمعلى موطن ضام الكريم المسودا

فأديتها ألفا و لو شئت ضمهارعاء يكون الوشيج المقصدا و ذكر ابن إسحاق: أن عدى بن حاتم كانت عنده إبل عظيمة اجتمعت له من صدقات قومه عند ما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما ارتد من الناس و ارتجعوا صدقاتهم، و ارتدت بنو أسد، و هم جيرانهم، اجتمعت طيئ إلى عدى بن حاتم، فقالوا: إن هذا الرجل قد مات، و قد انتقض الناس بعده، و قبض كل قوم ما كان فيهم من صدقاتهم، فنحن أحق بأموالنا من شذاذ الناس، فقال: أ لم تعطوا من أنفسكم العهد و الميثاق على الوفاء طائعين غير مكرهين.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۳۷۲)، الإصابة الترجمة رقم (۷۸۲۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۷۶۸)، تهذيب الكمال (۱۲۷۱)، تهذيب التهذيب (۹/ ۴۵۴)، خلاصة تذهيب الكمال (۳۵۹)، شذرات الذهب (۱/ ۴۵، ۵۳)، الجرح و التعديل (۸/ ۷۱)، الاستبصار (۲۴۱، ۲۴۲)، تاريخ الإسلام (۲/ ۲۴۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹۵

قالوا: بلى، و لكن قد حدث ما ترى، و قد ترى ما صنع الناس. قال: و الذى نفس عدى بيده، لا أخيس بها أبدا، و لو كنت جعلتها لرجل من الزنج، لوفيت له بها، فإن أبيتم لأقاتلنكم، يعنى على ما فى يده و ما فى أيديهم، فليكونن أول قتيل يقتل على وفاء ذمته عدى بن حاتم، أو يسلمها، فلا تطمعوا أن يسب حاتما فى قبره عدى ابنه من بعده، فلا يدعونكم عذر عاذر إلى أن تعذروا، فإن للشيطان قادة عند موت كل نبى، يستخف لها أهل الجهل حتى يحملهم على قلائص الفتنة، و إنما هى عجاجة لا ثبات لها، و لا ثبات فيها، إن لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، خليفة من بعده يلى هذا الأمر، و إن لدين الله أقواما سينهضون و يقومون به بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، كما قاموا بعهده و ذو بيته فى السماء، لئن فعلتم ليقارعنكم على أموالكم و نسائكم بعد قتل عدى و غدركم، فأى قوم أنتم عند ذلك، فلما رأوا منه الجد، كفوا عنه، و سلموا له.

و يروى أن مما قال له قومه: أمسك فى يدك، فإنك إن تفعل تسد الحليفين، يعنون طيئا و أسدا.

فقال: ما كنت لأفعل حتى أدفعها إلى أبى بكر، فجاء بها حتى دفعها إليه، فلما كان زمن عمر بن الخطاب، رأى من عمر رحمه الله، جفوة، فقال له عدى: ما أراك تعرفنى؟

قال عمر: بلى، و الله، و الله يعرفك من السماء، أعرفك و الله: أسلمت إذ كفروا، و وفيت إذ غدروا، و أقبلت إذ أدبروا، بلى، و ايم الله أعرفك.

و قدم أيضا الزبرقان بن بدر بصدقات قومه على أبى بكر، فلم يزل لعدى و الزبرقان بذلك شرف و فضل على من سواهما.

و أعطى أبو بكر عديا ثلاثين بعيرا من إبل الصدقة، و ذلك أن عديا لما قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، نصرانيا فأسلم و أراد الرجوع إلى بلاده أرسل إليه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يعتذر من الزاد و يقول: «و الله، ما أصبح عند آل محمد شقة من الطعام، و لكن ترجع و يكون خير»، فلذلك أعطاه أبو بكر تلك الفرائض.

و لما كان من العرب ما كان من التوائهم عن الدين و منع من منع منهم الصدقة جد بأبى بكر الجد فى قتالهم، و أراه الله رشده فيهم، و عزم على الخروج بنفسه إليهم، و أمر الناس بالجهاز، و خرج هو فى مائة من المهاجرين، و قيل: فى مائة من المهاجرين و الأنصار، و

خالد بن الولید یحمل اللواء، حتی نزل بقعاء، و هو ذو القصة «۱»، یرید أبو

(۱) ذو القصة: مکان علی برید من المدینة، و هو الذی أخرج إلیه رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أبا عبیدة بن الجراح رضی الله عنه. انظر: الروض المعطار (۴۷۷)، معجم ما استعجم (۳/ ۱۰۸۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۶

بکر أن یتلاحق الناس من خلفه، و یکون أسرع لخروجهم، و وکل بالناس محمد بن مسلمة یستحثهم، فانتهی إلی بقعاء عند غروب الشمس، فصلی بها المغرب، و أمر بنار عظیمة فأوقدت، و أقبل خارجة بن حصن بن حذیفة بن بدر و کان ممن ارتد، فی خیل من قومه إلی المدینة یرید أن یخذل الناس عن الخروج، أو یصیب غرة فیغیر، فأغار علی أبی بکر رضی الله عنه، و من معه، و هم غافلون، فاقتتلوا شیئا من قتال، و تحیز المسلمون، و لاذ أبو بکر بشجرة، و کره أن یعرف، فأوفی طلحة بن عبید الله علی شرف فصاح بأعلی صوته لا بأس، هذه الخیل قد جاءتکم، فتراجع الناس، و جاءت الأمداد، و تلاحق المسلمون، فانکشف خارجة بن حصن و أصحابه، و تبعه طلحة بن عبید الله فیمن خف معه، فلحقوه فی أسفل ثنایا عوسجة، و هو هارب لا یألو فیدرک أخریات أصحابه، فحمل طلحة علی رجل بالرمح فدق ظهره، و وقع میتا، و هرب من بقی، و رجع طلحة إلی أبی بکر، فأخبره أن قد ولوا منهزمین هاربین، و أقام أبو بکر ببقعاء أیاما ینتظر الناس، و بعث إلی من کان حوله من أسلم و غفار و مزینة و أشجع و جهینة و کعب یأمرهم بجهاد أهل الردة، و الخفوف إلیهم، فتحلب الناس إلیهم من هذه النواحی، حتی شحنت منهم المدینة.

قال سبرة الجهنی «۱»: قدمنا معشر جهینة أربعمائة معنا الظهر و الخیل، و ساق عمرو ابن مسرة الجهنی مائة بعیر عونا للمسلمین، فوزعها أبو بکر فی الناس، و جعل عمر بن الخطاب، و علی بن أبی طالب یکلمان أبا بکر فی الرجوع إلی المدینة لما رأیا عزمه علی المسیر بنفسه، و قد توافی المسلمون و حشدوا، فلم یبق أحد من أصحاب النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، من المهاجرین و الأنصار من أهل بدر إلا خرج، و قال عمر: ارجع یا خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، تکن للمسلمین فئة و رداء، فإنک إن تقتل یرتد الناس و یعل الباطل الحق، و أبو بکر مظهر المسیر بنفسه، و سألهم بمن نبدأ من أهل الردة، فاختلفوا علیه، فقال أبو بکر: نصمد لهذا الکذاب علی الله و علی کتابه، طلیحة.

و لما ألحوا علی أبی بکر فی الرجوع، و عزم هو علیه، أراد أن یستخلف علی الناس،

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۹۱۳)، الإصابة الترجمة رقم (۳۰۹۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۹۳۶)، مشاهیر علماء الأمصار (۳۵)، الوافی بالوفیات (۱۵/ ۱۱۱)، تهذیب الکمال (۱۰/ ۲۰۳)، تهذیب التهذیب (۳/ ۴۵۰۳)، تقریب التهذیب (۱/ ۲۸۳)، خلاصة تذهیب التهذیب (۱۳۳)، تاریخ الإسلام (۱/ ۲۱۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۷

فدعا زید بن الخطاب «۱» لذلک، فقال: یا خلیفة رسول الله، قد کنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فلم أرزقها، و أنا أرجو أن أرزقها فی هذا الوجه، و إن أمیر الجیش لا ینبغی أن یباشر القتال بنفسه، فدعا أبا حذیفة بن عتبة بن ربیعة، فعرض علیه ذلک، فقال مثل ما قال زید، فدعا سالما مولی أبی حذیفة لیستعمله، فأبی علیه، فدعا أبو بکر خالد بن الولید فأمره علی الناس، و قال لهم و قد توافی المسلمون قبله، و بعث مقدمته أمام الجیش: أیها الناس، سیروا علی اسم الله تعالی و برکته، فأمیرکم خالد بن الولید، إلی أن ألقاکم، فإنی خارج فیمن معی إلی ناحیة خیبر حتی ألاقیکم. و یروی أنه قال للجیش: سیروا، فإن لقیتکم بعد غد فالأمر إلی، و أنا أمیرکم، و إلا فخالد بن الولید علیکم، فاسمعوا له و أطیعوا.

و إنما قال ذلک أبو بکر لأن تذهب کلمته فی الناس، و تهاب العرب خروجه، ثم خلا بخالد بن الولید، فقال: یا خالد، علیک بتقوی

الله، و إيثاره على من سواه، و الجهاد فى سبيله، فقد وليتك على من ترى من أهل بدر من المهاجرين و الأنصار، فسار خالد، و رجع أبو بكر، و عمر، و على، و طلحة، و الزبير، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبى وقاص فى نفر من المهاجرين و الأنصار من أهل بدر رضى الله عنهم جميعهم، إلى المدينة.

وصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه، خالد بن الوليد حين بعثه فى هذا الوجه

قال حنظلة بن على الأسلمى: بعث أبو بكر رضى الله عنه، خالد بن الوليد إلى أهل الردة، و أمره أن يقاتلهم على خمس خصال، فمن ترك واحدة من الخمس قاتله: شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صيام شهر رمضان.

زاد زيد بن أسلم: و حج البيت، و قال: كن ستا.

و عن نافع بن جبران أن أبا بكر حين بعث خالد بن الوليد عهد إليه، و كتب معه هذا الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر، خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۸۵۱)، الإصابة الترجمة رقم (۸۹۰۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۸۳۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۹۸)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۲۹۷)، تهذيب التهذيب (۳/ ۴۱۱)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۷۴)، خلاصة تذهيب الكمال (۱/ ۳۵۲)، الأعلام (۳/ ۵۸)، العبر (۱۴)، الثقات (۳/ ۱۳۶)، الاستبصار (۲۹۶، ۲۹۷)، صفة الصفوة (۱/ ۴۴۷)، التحفة اللطيفة (۱/ ۹۹)، الرياض المستطاب (۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۹۸

خالد بن الوليد، حين بعثه فيمن بعثه من المهاجرين و الأنصار، و من معهم من غيرهم لقتال من رجع عن الإسلام بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، عهد إليه و أمره أن يتقى الله ما استطاع فى أمره كله، علانيته و سره، و أمره بالجد فى أمر الله و المجاهدة لمن تولى عنه إلى غيره و رجع عن الإسلام إلى ضلالة الجاهلية و أمانى الشيطان.

و عهد إليه و أمره أن لا يقاتل قوما حتى يعذر إليهم و يدعوهم إلى الإسلام، و يبين لهم الذى لهم فى الإسلام و الذى عليهم فيه، و يحرص على هداهم، فمن أجابه إلى ما دعاه إليه من الناس كلهم، أحمرهم و أسودهم، قبل منه، و ليعذر إلى من دعاه بالمعروف و بالسيف، فإنما يقاتل من كفر بالله على الإيمان بالله، فإذا أجاب المدعو إلى الإيمان، و صدق إيمانه، لم يكن عليه سبيل، و كان الله حسيبه بعد فى عمله، و من لم يجبه إلى ما دعا إليه من دعائه الإسلام، ممن رجع عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أن يقاتل أولئك بمن معه من المهاجرين و الأنصار، حيث كانوا، و حيث بلغ مراغمه، ثم يقتل من قدر عليه من أولئك، و لا يقبل من أحد شيئا دعاه إليه و لا أعطاه إياه الإسلام و الدخول فيه و الصبر به و عليه و شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله.

و أمره أن يمضى بمن معه من المسلمين حتى يقدم اليمامة فيبدأ ببنى حنيفة و مسيلمتهم الكذاب، فيدعوهم و يدعوه إلى الإسلام، و ينصح لهم فى الدين، و يحرص على هداهم، فإن أجابوا إلى ما دعاهم إليه من دعاية الإسلام قبل منهم، و كتب بذلك إلى، و أقام بين أظهرهم حتى يأتيه أمرى، و إن هم لم يجيبوا و لم يرجعوا عن كفرهم و اتباع كذابهم على كذبه على الله عز و جل، قاتلهم أشد القتال بنفسه و بمن معه، فإن الله ناصر دينه و مظهره على الدين كله، كما قضى فى كتابه و لو كره الكافرون، فإن أظهره الله عليهم إن شاء الله و أمكنه منهم فليقتلهم بالسلاح، و ليحرقهم بالنار، و لا يستبق منهم أحدا قدر على أن يستبقيه، و ليقسم أموالهم و ما أفاء الله عليه و على المسلمين إلا خمسه، فليرسل به إلى أضعه حيث أمر الله به أن يوضع إن شاء الله.

و عهد إليه أن لا يكون فى أصحابه فشل من رأيهم و لا عجلة عن الحق إلى غيره، و لا يدخل فيهم حشو من الناس حتى يعرفهم و يعرف ممن هم، و علام اتبعوه و قاتلوا معه، فإنى أخشى أن يدخل معكم ناس يتعوذون بكم ليسوا منكم و لا على دينكم، فيكونون

عیونا علیکم، و یتحفظون من الناس بمکانهم معکم، و أنا أخشی أن یکون ذلک فی الأعراب و جفاتهم، فلا یکونن من أولئک فی أصحابک أحد إن شاء الله تعالی، و ارفق بالمسلمین فی سیرهم و منازلهم، و تفقدهم، و لا تعجل بعض الناس عن بعض فی المسیر

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۹۹

و لا ـ فی الارتحال من مکان، و استوص بمن معک من الأنصار خیرا فی حسن صحبتهم، و لین القول لهم، فإن فیهم ضیقا و مرارة و زعارة، و لهم حق و فضیلة و سابقة و وصیة من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فاقبل من محسنهم و تجاوز عن مسیئهم کما قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و السلام علیک و رحمة الله و برکاته.

و یروی أن أبا بکر رحمه الله، کتب مع هذا الکتاب کتابا آخر إلی عامة الناس، و أمر خالدا أن یقرأه علیهم فی کل مجمع، و هو: بسم الله الرحمن الرحیم، من أبی بکر خلیفة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم إلی من بلغه کتابی هذا من عامة أو خاصة، تاما علی إسلامه أو راجعا عنه، سلام علی من اتبع الهدی و لم یرجع بعد الهدی إلی الضلالة و العمی، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، و أن محمدا عبد و رسوله، الهادی غیر المضل، أرسله بالحق من عنده إلی خلقه بشیرا و نذیرا، و داعیا إلی الله بإذنه و سراجا منیرا، لینذر من کان حیا، و یحق القول علی الکافرین، فهدی الله بالحق من أجاب إلیه، و ضرب بالحق من أدبر عنه حتی صاروا إلی الإسلام طوعا و کرها، ثم أدرک رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، عند ذلک أجله الذی قضی الله علیه و علی المؤمنین، فتوفاه الله، و قد کان بین له ذلک و لأهل الإسلام فی الکتاب الذی أنزل علیه، فقال له: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [الزمر: ۳۰]، و قال:

وَ ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِکَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوکُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَیْرِ فِتْنَةً وَ إِلَیْنا تُرْجَعُونَ [الأنبیاء: ۳۴، ۳۵]، و قال للمؤمنین:

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ [آل عمران: ۱۴۴]، فمن کان إنما یعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، صلوات الله علیه، و من کان إنما یعبد الله وحده لا شریک له، فإن الله بالمرصاد، حی قیوم لا یموت، و لا تأخذه سنة و لا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه، و إنی أوصیکم أیها الناس بتقوی الله، و أحضکم علی حظکم و نصیبکم من الله و ما جاءکم به نبیکم محمد صلی اللّه علیه و سلم، و أن تهتدوا بهدی الله، و تعتصموا بدین الله، فإن کل من لم یحفظه الله ضائع، و کل من لم یصدقه الله کاذب، و کل من لم یسعده الله شقی، و کل من لم یرزقه الله محروم، و کل من لم ینصره الله مخذول، فاهتدوا بهدی الله ربکم و ما جاءکم به نبیکم محمد صلی اللّه علیه و سلم، فإنه: مَنْ یَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ یُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِیًّا مُرْشِداً [الکهف: ۱۷]، و إنه قد بلغنی رجوع من رجع منکم عن دینه بعد أن أقر بالإسلام و عمل به، اغترارا بالله و جهالة بأمر الله، و طاعة للشیطان، إِنَّ الشَّیْطانَ لَکُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما یَدْعُوا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۰۰

حِزْبَهُ لِیَکُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِیرِ [فاطر: ۶]، و إنی قد بعثت خالد بن الولید فی جیش من المهاجرین الأولین من قریش و الأنصار و غیرهم، و أمرته أن لا یقاتل أحدا و لا یقتله حتی یدعوه إلی داعیة الله، فمن دخل فی دین الله و تاب إلی الله و رجع عن معصیة الله إلی ما کان یقر به من دین الله و عمل صالحا قبل ذلک منه، و أعانه علیه، و من أبی أن یرجع إلی الإسلام بعد أن یدعوه بداعیة الله و یعذر إلیه بعاذرة الله، أن یقاتل من قاتله علی ذلک أشد القتال بنفسه و من معه من أنصار دین الله و أعوانه، ثم لا یبقی علی أحد بعد أن یعذر إلیه، و أن یحرقهم بالنار، و یسبی الذراری و النساء، و أمرته أن لا یقبل من أحد شیئا إلا الرجوع إلی دین الله، و شهادة أن لا إله إلا ـ الله وحده لا شریک له، و أن محمدا عبده و رسوله صلی اللّه علیه و سلم، و قد أمرته أن یقرأ علی الناس کتابی إلیهم فی کل مجمع و جماعة، فمن اتبعه فهو خیر له، و من ترکه فهو شر له.

و عن عروة بن الزبیر، قال: جعل أبو بکر رضی الله عنه، یوصی خالد بن الولید و یقول: یا خالد، علیک بتقوی الله، و الرفق بمن معک من رعیتک، فإن معک أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، أهل السابقة من المهاجرین و الأنصار، فشاوروهم فیما نزل بک، ثم

لا تخالفهم، و قدم أمامك الطلائع ترتاد لك المنازل، و سر فى أصحابك على تعبئة جيدة، فإذا لقيت أسدا و غطفان فبعضهم لك و بعضهم عليك، و بعضهم لا عليك و لا لك، متربص دائرة السوء، ينظر لمن تكون الدبرة، فيميل مع من تكون له الغلبة، و لكن الخوف عندى من أهل اليمامة، فاستعن بالله على قتالهم، فإنه بلغنى أنهم رجعوا بأسرهم، و إن كفاك الله الضاحية فامض إلى أهل اليمامة، فإنك تلقى عدوا كلهم عليك، لهم بلاد منكرة، فلا تؤتى إلا من مفازة، فارفق بجيشك فى تلك المفازة، فإن فى جيشك قوما أهل ضعف، أرجو أن تنصر بهم حتى تدخل بلادهم إن شاء الله تعالى.

فإذا دخلت بلادهم فالحذر الحذر إذا لقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذى يقاتلونك به، السهم للسهم، و الرمح للرمح، و السيف للسيف، فإن أعطاك الله الظفر عليهم، فأقل البقيا عليهم إن شاء الله تعالى، و إياك أن تلقانى غدا بما يضيق صدرى به منك، اسمع عهدى و وصيتى، لا تغيرن على دار سمعت فيها أذانا حتى تعلم ما هم عليه، و إياك و قتل من صلى، و اعلم يا خالد أن الله يعلم من سريرتك ما يعلم من علانيتك، و اعلم أن رعيتك إنما تعمل بما تراك تعمل، كف عليك أطرافك، و تعاهد جيشك، و انههم عما لا يصلح لهم، فإنما تقاتلون من تقاتلون بأعمالكم، و بهذا نرجو لكم النصر على أعدائكم، سر على بركة الله تعالى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۱

ذكر مسير خالد بن الوليد رضى الله عنه، إلى بزاخة و غيرها

قالوا: و سار خالد بن الوليد و معه عدى بن حاتم، و قد انضم إليه من طيء ألف رجل، فنزل بزاخة، و كانت جديلة معرضة عن الإسلام، و هى بطن من طيء، و كان عدى بن حاتم من الغوث، و قد همت جديلة أن ترتد، فجاءهم مكنف بن زيد الخيل الطائى، فقال: أ تريدون أن تكونوا سبة على قومكم، لم يرجع رجل واحد من طيء، و هذا أبو طريف عدى بن حاتم، معه ألف رجل من طيء، فكسرهم، فلما نزل خالد بزاخة، قال لعدى: يا أبا طريف، أ لا نسير إلى جديلة؟ فقال: يا أبا سليمان، لا تفعل، أقاتل معك بيدين أحب إليك، أم بيد واحدة؟ فقال خالد: بل بيدين، قال عدى: فإن جديلة إحدى يدى، فكف خالد عنهم، فجاءهم عدى فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا، فحمد الله و سار بهم إلى خالد.

فلما رآهم خالد فزع منهم، و ظن أنهم أتوا للقتال، فصاح فى أصحابه بالسلاح، فقيل له: إنما هى جديلة أتت تقاتل معك، فلما جاءوا حلوا ناحية، و جاءهم خالد، فرحب بهم، و فرح بهم، و اعتذروا إليه من اعتزالهم، و قالوا: نحن لك حيث أحببت، فجزاهم خيرا، فلم يرتد من طيء رجل واحد، فسار خالد على تعبئته، و طلب إليه عدى أن يجعل قومه مقدمة أصحابه، فقال: يا أبا طريف، إن الأمر قد اقترب، و أنا أخاف أن أقدم قومك، فإذا ألحمهم القتال انكشفوا، فانكشف من معنا، و لكن دعنى أقدم قوما صبرا، لهم سوابق و نيات، و هم من قومك.

قال عدى: الرأى ما رأيت، فقدم المهاجرين، و الأنصار، و لم يزل خالد يقدم طليعته منذ خرج من بقعاء حتى قدم اليمامة، و أمر عيونه أن يختبروا كل من مروا به عند مواقيت الصلاة بالأذان لها، فيكون ذلك أمانا لهم، و دليلا على إسلامهم، و انتهى خالد و المسلمون إلى عسكر طليحة، و قد ضربت لطليحة قبة من أدم، و أصحابه حوله معسكرون، فانتهى خالد ممسيا، فضرب عسكره على ميل أو نحوه من عسكر طليحة، و خرج يسير على فرس معه نفر من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فوقف من عسكر طليحة غير بعيد، ثم قال: يخرج إلى طليحة، فقال أصحابه: لا تصغر اسم نبينا، و هو طلحة. فخرج طليحة فوقف، فقال له خالد: إن من عهد خليفتنا إلينا أن ندعوك إلى الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن تعود إلى ما خرجت منه، فنقبل منك، و نغمد سيوفنا عنك، فقال: يا خالد، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، و أنى رسول الله، و أنى نبى مرسل يأتينى ذو النون، كما كان جبريل يأتى محمدا، و قد كان ادعى هذا فى عهد النبىّ

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۲

صلی اللّه علیه و سلم، فقال النبیّ صلی اللّه علیه و سلم: لقد ذکر ملکا عظیما فی السماء یقال له: ذو النون، و کان عیینة بن حصن قد قال له: لا أبا لک، هل أنت مرینا بعض نبوتک، فقد رأیت و رأینا ما کان یأتی محمدا، قال: نعم، فبعث عیونا له حیث سار خالد بن الولید من المدینة مقبلا إلیهم قبل أن یسمع بذکر خالد، و قال: إن بعثتم فارسین علی فرسین أغرین محجلین من بنی نصر بن قعین أتوکم من القوم بعین، فهیئوا فارسین، فبعثوهما، فخرجا یرکضان، فلقیا عینا لخالد بن الولید، فقالا: ما وراءک؟ فقال: هذا خالد بن الولید فی المسلمین، قد أقبلوا، فأتوا به إلیه، فزادهم فتنة، و قال: أ لم أقل لکم؟.

فلما أبی طلیحة علی خالد أن یقر بما دعاه إلیه انصرف خالد إلی معسکره، فاستعمل تلک اللیلة علی حرسه مکنف بن زید الخیل، و عدی بن حاتم، و کان لهما صدق نیة و دین، فباتا یحرسان فی جماعة من المسلمین، فلما کان فی السحر، نهض خالد فعبأ أصحابه، و وضع ألویته مواضعها، و دفع اللواء الأعظم إلی زید بن الخطاب، فتقدم به، و تقدم ثابت بن قیس بن شماس بلواء الأنصار، و طلبت طیء لواء یعقد لها، فعقد خالد لواء و دفعه إلی عدی بن حاتم، فلما سمع طلیحة حرکة القوم عبأ أصحابه، و جعل خالد یسوی الصفوف علی رجلیه، و طلیحة یسوی أصحابه علی راحلته، حتی إذا استوت الصفوف زحف بهم خالد حتی دنا من طلیحة، فلما انتهی إلیه، خرج إلیه طلیحة بأربعین غلاما جلداء من جنوده، مردا، فأقامهم فی المیمنة، فقال: اضربوا حتی تأتوا المیسرة، فتضعضع الناس و لم یقتل أحد، ثم أقامهم فی المیسرة ففعلوا مثل ذلک، و انهزم المسلمون، فقال رجل من هوازن، حضرهم یومئذ: إن خالدا لما کان ذلک قال: یا معشر الأنصار، الله الله، و اقتحم وسط القوم، و کر علیه أصحابه، فاختلطت الصفوف، و اختلفت السیوف بینهم، و ضرس خالد فی القتال، فجعل یقحم فرسه و یقولون له: الله الله، فإنک أمیر القوم، و لا ینبغی لک أن تقدم، فیقول: و الله إنی لأعرف ما تقولون، و لکنی و الله ما رأیتنی أصبر، و أخاف هزیمة المسلمین.

و فیما ذکر الکلبی عن بعض الطائیین: أنه نادی مناد من طیء، یعنی عند ما حمل أولئک الأربعون غلاما علی المسلمین: یا خالد، علیک سلمی و أجأ فقال: بل إلی الله الملجأ، قال: ثم حمل، فو الله ما رجع حتی لم یبق من أولئک الأربعین رجل واحد، و قاتل خالد یومئذ بسیفین، حتی قطعهما، و تراد الناس بعد الهزیمة، و اشتد القتال، و أسر حبال ابن أبی حبال، فأرادوا أن یبعثوا به إلی أبی بکر، فقال: اضربوا عنقی و لا ترونی محمدیکم هذا، فضربوا عنقه.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۰۳

و ذکر الواقدی عن ابن عمر، قال: نظرت إلی رایة طلیحة یومئذ، حمراء یحملها رجل منهم لا یزول بها فترا، فنظرت إلی خالد أتاه فحمل علیه فقتله، فکانت هزیمتهم، فنظرت إلی الرایة تطؤها الإبل و الخیل و الرجال حتی تقطعت.

و عنه، قال: یرحم الله خالد بن الولید، لقد کان له غناء و جرأة، و لقد رأیته یوم طلیحة یباشر الحرب بنفسه حتی لیم فی ذلک، و لقد رأیته یوم الیمامة یقاتل أشد القتال، إن کان مکانه لیتقی حتی یطلع إلینا منبهرا.

و لما تراجع المسلمون، و ضرس القتال، تزمل طلیحة بکساء له ینتظر، زعم أن ینزل علیه الوحی، فلما طال ذلک علی أصحابه و هدتهم الحرب، جعل عیینة بن حصن یقاتل و یذمر الناس.

قال ابن إسحاق: قاتل یومئذ فی سبعمائة من فزارة قتالا شدیدا، حتی إذا لج المسلمون علیهم بالسیف و قد صبروا لهم، أتی طلیحة و هو متلثم فی کسائه، فقال: لا أبا لک، هل أتاک جبریل بعد؟ قال: یقول طلیحة و هو تحت الکساء: لا و الله ما جاء بعد، فقال عیینة: تبا لک سائر الیوم، ثم رجع عیینة فقاتل، و جعل یحض أصحابه و قد ضجوا من وقع السیوف.

فلما طال ذلک علی عیینة جاء طلیحة و هو مستلق متسج بکسائه فجبذه جبذة جلس منها، و قال له: قبح الله هذه من نبوة، ما قیل لک بعد شیء؟ فقال: طلیحة: قد قیل لی:

إن لک رحا کرحاه، و أمرا لن تنساه، فقال عیینة: أظن قد علم الله أن سیکون لک أمر لن تنساه، یا فزارة، هکذا، و أشار له تحت الشمس، هذا و الله کذاب، ما بورک له و لا لنا فیما یطالب، فانصرفت فزارة، و ذهب عیینة و أخوه فی آثارها، فیدرک عیینة فأسر، و

أفلت أخوه، و یقال: أسر عیینة عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام الطائی، فأراد خالد قتله حتی کلمه فیه رجل من بنی مخزوم، فترک قتله.

و لما رأی طلیحة أن الناس یقتلون و یؤسرون، خرج منهزما، و أسلمه الشیطان، فأعجزهم هو و أخوه، فجعل أصحابه یقولون له: ما ذا تری؟ و قد کان أعد فرسه و هیأ امرأته النوار فوثب علی فرسه، و حمل امرأته وراءه فنجا بها، و قال: من استطاع منکم أن یفعل کما فعلت فلیفعل، و لینج بأهله، ثم هرب حتی قدم الشام، فأقام عند بنی جفنة الغسانیین.

و فی کتاب یعقوب الزهری: أن طلیحة قال لأصحابه لما رأی انهزامهم: ویلکم ما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۰۴

یهزمکم؟ فقال له رجل منهم: أنا أخبرک أنه لیس منا رجل إلا و هو یحب أن صاحبه یموت قبله، و أنا نلقی قوما کلهم یحب أن یموت قبل صاحبه.

و ذکر ابن إسحاق أن طلیحة لما ولی هاربا تبعه عکاشة بن محصن، و ثابت بن أقرم، و قد کان طلیحة أعطی الله عهدا أن لا یسأله أحد النزول إلا فعل، فلما أدبر ناداه عکاشة: یا طلیحة، فعطف علیه، فقتل عکاشة، ثم أدرکه ثابت، فقتله أیضا طلیحة، ثم لحق بالشام. و قال طلیحة یذکر قتله إیاهما:

زعمتم بأن القوم لن یقتلوکمأ لیسوا و إن لم یسلموا برجال

عدلت لهم صدر الحمالة إنهامعودة قیل الکماة نزال

فیوما تفی بالمشرفیة خدهاو یوما تراها فی ظلال عوال

و یوما تراها فی الجلال مصونةو یوما تراها غیر ذات جلال

عشیة غادرت ابن أقرم ثاویاو عکاشة الغنمی عند مجال

فإن یک أذواد أصبن و نسوةفلن یذهبوا فرغا بقتل حبال و قد قیل فی قتلها غیر هذا، و هو ما ذکره الواقدی عن عمیلة الفزاری، و کان عالما بردتهم: أن خالد بن الولید کان لما دنا من القوم بعث عکاشة و ثابتا طلیعة أمامه، و کانا فارسین، فلقیهما طلیحة و أخاه مسلمة ابنی خویلد، طلیعة لمن وراءهما من الناس، و خلفوا عسکرهم من ورائهم، فلما التقوا، انفرد طلیحة بعکاشة، و مسلمة بثابت، فلم یلبث مسلمة أن قتل ثابتا، و صرخ طلیحة بمسلمة: أعنی علی الرجل فإنه قاتلی، فکر معه علی عکاشة، فقاتلاه رحمه الله، ثم کرا راجعین إلی من وراءهما، و أقبل خالد معه المسلمون، فلم یرعهم إلا ثابت بن أقرم قتیلا تطؤه المطی، فعظم ذلک علی المسلمین، ثم لم یسیروا إلا یسیرا حتی وطئوا عکاشة قتیلا، فثقل علی المطی، کما وصف واصفهم، حتی ما تکاد المطی ترفع أخفافها.

و فی کتاب الزهری: ثم لحقوا أصحاب طلیحة، فقتلوا و أسروا، و صاح خالد: لا یطبخن رجل قدرا و لا یسخنن ماء إلا علی أثفیة رأس رجل، و تظلف رجل من بنی أسد، فوثب علی عجز راحلة خالد و هو یقول:

لن یخزی الله قوما أنت قائدهمیا ابن الولید و لن تشقی بک الدبر

کفاک کف عقاب عند سطوتهاعلی العدو و کف برة عقر أنشدک الله أن یکون هلاک مضر الیوم علی یدیک، قال: من أنت و یحک؟ قال: أنا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۰۵

الآباء بن قیس یا خالد، حکمک فی بنی أسد، قال: حکمی فیهم أن یقیموا الصلاة، ثم یؤتوا الزکاة، ثم یرجعوا إلی بلادهم، فمن کان له بها مال فلیعمده، و لیسلم علیه، فهو له. فأقروا بذلک، فنادی خالد: من قام فهو آمن، فقام الناس کلهم، فآمن من قام.

و سمعت بذلک بنو عامر، فأعلنوا بالإسلام، و أمر خالد بالحظائر أن تبنی، ثم أوقد فیها النار، ثم أمر بالأسری، فألقیت فیها، و ألقی یومئذ حامیة بن سبیع بن الحسحاس الأسدی، و هو الذی کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، استعمله علی صدقات قومه فارتد عن

الإسلام.

و أخذ أم طليحة، إحدى نساء بنى أسد، فعرض عليها الإسلام، فأبت، و و ثبت فاقتحمت النار و هى تقول:

يا موت عم صباحاكافحته كفاحا

إذا لم أجد براحا

و ذكر الواقدى عن يعقوب بن يزيد بن طلحة: أن خالدا جمع الأسارى فى الحظائر، ثم أضرمها عليهم، فاحترقوا و هم أحياء، و لم يحرق أحد من بنى فزارة، فقلت لبعض أهل العلم: لم حرق هؤلاء من بين أهل الردة؟ فقال: بلغت عنهم مقالة سيئة، شتموا النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و ثبتوا على ردتهم.

و ذكر عن غير يعقوب: أن خالدا أمر بالأخدود يحفر، فقيل له: ما تريد بهذا الأخدود؟ قال: أحرقهم بالنار، فكلم فى ذلك، فقال: هذا عهد الصديق أبى بكر إلى، اقرءوه فى كل مجمع: إن أظفرك الله بهم فاحرقهم بالنار.

و عن عبد الله بن عمر، قال: شهدت بزاخة فظفرنا الله على طليحة، فكنا كلما أغرنا على القوم سبينا الذرارى و اقتسمنا أموالهم.

ذكر رجوع بنى عامر و غيرهم إلى الإسلام

و لما أوقع الله ببنى أسد و فزارة ما أوقع ببزاخة بعث خالد بن الوليد السرايا ليصيبوا ما قدروا عليه ممن هو على ردته، و جعلت العرب تسير إلى خالد راغبة فى الإسلام أو خائفة من السيف، فمنهم من أصابته السرية، فيقول: جئت راغبا فى الإسلام، و قد رجعت إلى ما خرجت منه، و منهم من يقول: ما رجعنا و لكنا منعنا أموالنا و شحنا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۶

عليها، فقد سلمناها فليأخذ منها حقه، و منهم من لم تظفر به السرايا، فانتهى إلى خالد مقرا بالإسلام، و منهم من مضى إلى أبى بكر الصديق و لم يقرب خالدا.

قال الواقدى: فاختلفوا علينا فى قرة بن هبيرة القشيرى «۱»، فقال قائل: هرب إلى أبى بكر و أسلم عنده، و قال قائل: أخذته خيل خالد، فأتت به إليه، و منهم من قال: جاء إلى خالد بن الوليد شاردا حين جاءت بنو عامر إلى خالد، و هو أثبت عندنا.

قال بعضهم: و كانت بنو عامر تربص لمن الدبرة، و صاحب أمرهم قرة بن هبيرة، فقام فيهم أبو حرب ربيعة بن خويلد العقيلى، و هو يومئذ، فارس عامر و رجلها، فقال: مهلا يا بنى عامر، قد قتلتم رسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى بئر معونة، و أخفرتم ذمة أبى براء، و أرداكم عامر بن الطفيل، و قد أظلكم خالد فى المهاجرين و الأنصار، فكسرهم قوله، و قد رضوه، و كان عرض لعمرو بن العاص مقدمه من عمان بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، مع قرة بن هبيرة ما نذكره، و ذلك أن عمرا كان عاملا للنبى صلى اللّه عليه و سلم، على عمان، فجاءه يوما يهودى من يهود عمان، فقال: أ رأيتك إن سألتك عن شيء أ أخشى على منك؟ قال: لا، قال اليهودى: أنشدك الله، من أرسلك إلينا؟ قال: اللهم، رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال اليهودى:

الله إنك لتعلم أنه رسول الله؟ قال عمرو: اللهم نعم، فقال اليهودى: لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم.

فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه و حواشيه، و كتب ذلك اليوم الذى قال له اليهودى فيه ما قال، ثم خرج بخفراء من الأزد و عبد القيس، يأمن بهم، فجاءته وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بهجر، و وجد ذكر ذلك عند المنذر بن ساوى، فسار حتى قدم أرض بنى حنيفة، فأخذ منهم خفيرا حتى جاء أرض بنى عامر، فنزل على قرة بن هبيرة القشيرى، فقال له حين أراد عمرو أن يركب: إن لك عندى نصيحة، و أنا أحب أن تسمعها، إن صاحبك قد توفى، قال عمرو: و صاحبنا هو لا أم لك، يعنى دونك، قال له قرة: و إنكم يا معشر قريش كنتم فى حرمكم تأمنون فيه و يأمنكم الناس، ثم خرج منكم رجل يقول ما سمعت، فلما بلغنا ذلك لم نكرهه، و قلنا، رجل من مضر يريد يسوق الناس، و قد توفى، و الناس إليكم سراع، و إنهم غير معطيكم شيئا، فالحقوا بحرمكم تأمنون فيه، و إن كنت

غير فاعل، فعدنى حيث شئت آتك، فوقع به عمرو و قال: إنى أرد عليك نصيحتك، و موعدك حفش أمك، قال قرة: إنى لم أرد هذا، و ندم على مقالته، و يقال:

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۱۳۸)، الإصابة الترجمة رقم (۷۱۲۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۲۹۶)، الجرح و التعديل (۷/ ۷۴۰)، التاريخ الكبير (۷/ ۱۸۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۷

خرج مع عمرو فى مائة من قومه خفراء له. و أقبل عمرو بن العاص يلقى الناس مرتدين، حتى أتى على ذى القصة، فلقى عيينة بن حصن خارجا من المدينة، و ذلك حين قدم على أبى بكر يقول: إن جعلت لنا شيئا كفيناك ما وراءنا، فقال له عمرو بن العاص: ما وراءك يا عيينة؟ من ولى الناس أمورهم؟ قال: أبو بكر. فقال عمرو: الله أكبر، قال عيينة: يا عمرو، استوينا نحن و أنتم، فقال عمرو: كذبت يا ابن الأخابث من مضر، و سار عيينة فجعل يقول لكل من لقى من الناس: احبسوا عليكم أموالكم. قالوا: فأنت ما تصنع؟ قال: لا يدفع إليه رجل من فزارة عناقا واحدة، و لحق عند ذلك بطليحة الأسدى، فكان معه.

و قدم عمرو المدينة، فأخبر أبا بكر بما كان فى وجهه، و بمقالة قرة بن هبيرة، و بمقالة عيينة بن حصن، و أتى عمرو خالدا حين بعثه أبو بكر إلى أهل الردة، فجعل يقول: يا أبا سليمان، لا يفلت منك قرة بن هبيرة، فلما صنع الله بأهل بزاخة ما صنع، عمد خالد إلى جبلى طىء فأتته عامر و غطفان يدخلون فى الإسلام، و يسألونه الأمان على مياههم و بلادهم، و أظهروا له التوبة، و أقاموا الصلاة، و آتوا الزكاة، فأمنهم خالد، و أخذ عليهم العهود و المواثيق ليبايعن على ذلك أبناءكم و نساءكم آناء الليل و آناء النهار، فقالوا: نعم نعم، و لما اجتمعوا إليه، قال خالد: أين قرة بن هبيرة القشيرى؟ قال: ها أنا ذا، قال: قدمه فاضرب عنقه، و قال: أنت المتكلم لعمرو بن العاص بما تكلمت به و أنت المتربص بالمسلمين الدوائر، و لم تنصر و قلت إن كانت الدائرة على المسلمين فمالى بيدى، و جمعت قومك على ذلك، و رأسك قومك، و لم تكن بأهل أن ترأس و لا تطاع. قال: يا ابن المغيرة، إن لى عند عمرو بن العاص شهادة، فقال خالد: عمرو الذى نقل عنك إلى الخليفة ما تكلمت به.

و يروى أنه قال له هذا ما قال لك عمرو: سيأتيك فى حفش أمك. فقال له قرة: يا أبا سليمان، إنى قد أجرته فأحسنت جواره، و أنا مسلم لم ارتد، فقال: لو لا ما تذكر لضربت عنقك، و لكن لا بد أن أبعث بك فى وثاق إلى أبى بكر فيرى فيك رأيه، فلما فرغ من بيعة بنى عامر أوثق عيينة بن حصن، و قرة بن هبيرة، و بعث بهما إلى أبى بكر الصديق.

قال ابن عباس: فقدم بهما المدينة فى وثاق، فنظرت إلى عيينة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد، و يضربونه، و يقولون: أى عدو الله، أكفرت بالله بعد إيمانك؟ فيقول: و الله ما كنت آمنت بالله.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۸

قالوا: و وقف عليه عبد الله بن مسعود، فقال: خبت و خسرت، إنك لموضع فى الباطل قديما، فقال له عيينة: اقصر أيها الرجل، فلو لا ما أنا فيه لم تكلمنى بما تكلمنى به، فانصرف ابن مسعود، و أتى بقرة بن هبيرة، فقال: يا خليفة رسول الله، و الله ما كفرت، و سل عمرو بن العاص، فإن لى عنده شهادة، لما أقبل من عمان خرجت فى مائة من قومى خفراء له، و قبل ذلك ما أكرمت منزله، و نحرت له، فسأل أبو بكر رضى الله عنه، عمرا، فقال: نزلت به، فلم أر للضيف خيرا منه، لم يترك، و خرج معى فى مائة من قومه؛ ثم ذكر عمرو ما قال له قرة، فقال قرة: انزع يا عمرو، فقال عمرو: لو نزعت نزعت، فلم يعاقبه أبو بكر، و عفا عنه، و كتب له أمانا، و قبل منه.

و كان فيمن ارتد من بنى عامر و لم يرجع معهم علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر، فبعث أبو بكر إلى ابنته و امرأته ليأخذهما، فقالت امرأته: ما لى و لأبى بكر، إن كان علقمة قد كفر فإنى لم أكفر، فتركها، ثم راجع علقمة الإسلام زمن عمر رضى الله عنه، فرد عليه زوجته.

و أخذ خالد بن الوليد من بنى عامر و غيرهم من أهل الردة ممن جامعهم و بايعه على الإسلام كل ما ظهر من سلاحهم، و استحلفهم على ما غيبوا عنه، فإن حلفوا تركهم، و إن أبوا شدهم أسرا حتى أتوا بما عندهم من السلاح، فأخذ منهم سلاحا كثيرا، فأعطاه أقواما يحتاجون إليه فى قتال عدوهم، و كتبه عليهم، فلقوا به العدو ثم ردوه بعد، فقدم به على أبى بكر، رضى الله عنه.

و حدث يزيد بن شريك الفزارى، عن أبيه، قال: قدمت مع أسد و غطفان على أبى بكر وافدا حين فرغ خالد من بزاخة، و جعلت أسد و غطفان تسلل، فاجتمعوا عند أبى بكر، فمنهم من بايع خالدا، و منهم من لم يبايعه، فجاءوا إلى أبى بكر، فقال أبو بكر:

اختاروا بين خصلتين: حرب مجلية أو سلم مخزية، قال خارجة بن حصن: هذه الحرب المجلية قد عرفتها، فلما السلم المخزية؟.

قال: تقرون أن قتلانا فى الجنة، و أن قتلاكم فى النار، و أن تردوا علينا ما أخذتم منا، و لا نرد عليكم مما أخذنا منكم شيئا، و أن تدوا قتلانا دية كل قتيل مائة بعير، منها أربعون فى بطونها أولادها، و لا ندى قتلاكم، و نأخذ منكم الحلقة و الكراع، و تلحقون بأذناب الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه و المؤمنين ما شاء فيكم أو يرى منكم إقبالا- إلى ما خرجتم منه. فقال خارجة بن حصن: نعم يا خليفة رسول الله، قال أبو بكر: عليكم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۰۹

عقد الله و ميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل و آناء النهار، و تعلموه أولادكم و نساءكم، و لا تمنعوا فرائض الله فى أموالكم، قالوا: نعم، فقال عمر: يا خليفة رسول الله، كل ما قلت كما قلت إلا أن يدوا من قتلوا منا، فإنهم قوم قتلوا فى سبيل الله، و استشهدوا.

و فى رواية: فتتابع الناس على قول عمر، و قبض أبو بكر رضى الله عنه، كل ما قدر عليه من الحلقة و الكراع، فلما توفى، رأى عمر رضى الله عنه، أن الإسلام قد ضرب بجرانه، فدفعه إلى أهله، أو إلى عصبة من مات منهم.

و لما فرغ خالد من بزاخة و بنى عامر و من يليهم، أظهر أن أبا بكر عهد إليه أن يسير إلى أرض بنى تميم و إلى اليمامة، فقال ثابت بن قيس بن شماس، و هو على الأنصار، و خالد على جماعة المسلمين: ما عهد إلينا ذلك، و ما نحن بسائرين، و ليست بنا قوة، و قد كلّ المسلمون، و عجف كراعهم. فقال خالد: أما أنا فلست بمستكره أحدا منكم، فإن شئتم فسيروا، و إن شئتم فأقيموا، فسار خالد و من تبعه من المهاجرين و أبناء العرب، عامدا لأرض بنى تميم، و اليمامة، و أقامت الأنصار يوما أو يومين، ثم تلاومت فيما بينها، و قالوا: و الله ما صنعنا شيئا، و الله لئن أصيب القوم ليتولن: أخذلتموهم و أسلمتموهم، و إنها لسبة باق عارها آخر الدهر، و لئن أصابوا خيرا و فتح الله فتحا، إنه لخير منعتموه، فابعثوا إلى خالد يقيم لكم حتى تلحقوه، فبعثوا إليه مسعود بن سنان، و يقال: ثعلبة بن غنمة، فلما جاءه الخبر أقام حتى لحقوه، فاستقبلهم فى كثرة من معه من المسلمين، لما أطلوا على العسكر حتى نزلوا، و ساروا جميعا حتى انتهى خالد بهم إلى البطاح من أرض بنى تميم، فلم يجد بها جمعا، ففرق السرايا فى نواحيها، و كان فى سرية منها أبو قتادة الأنصارى.

قال: فلقينا رجل، فقلنا: ممن أنت؟ قال: من بنى حنظلة، فقلنا: أين من يمنع الصدقة منا الآن؟ قال: هم بمكان كذا و كذا، فقلت: كم بيننا؟ قال: مائة، فانطلقنا سراعا حتى أتيناهم حين طلعت الشمس، ففزعوا حين رأونا، و أخذوا السلاح، و قالوا: من أنتم؟ قلنا: نحن عباد الله المسلمون، قالوا: و نحن عباد الله المسلمون، و كانوا اثنى عشر رجلا- فيهم مالك بن نويرة، قلنا: فضعوا السلاح و استسلموا، ففعلوا، فأخذناهم، فجئنا بهم خالدا.

و ذكر من خبرهم ما يأتى بعد إن شاء الله تعالى.

و كان مالك بن نويرة قد بعثه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، مصدقا إلى قومه بنى حنظلة، و كان سيدهم، فجمع صدقاتهم، فلما بلغته وفاة النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، جفل إبل الصدقة، أى ردها من حيث

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۰

جاءت، فلذلك سمى الجفول، و جمع قومه، فقال: إن هذا الرجل قد هلك، فإن قام قائم من قريش بعد نجتمع عليه جميعا، إن رضى منكم أن تدخلوا فى أمره، و لم يطلب ما مضى من هذه الصدقة أبدا، و لم تكونوا أعطيتم الناس أموالكم، فأنتم أولى بها و أحق،

فتسارع إليه جمهور قومه و فرحوا بذلک، فقام ابن قعنب، و کان سید بنی یربوع، فقال:

یا بنی تمیم، بئس ما ظننتم، أن ترجعوا فی صدقاتکم و لا ـ یرجع الله فی نعمه علیکم، و أن تجردوا للبلاء و یلبسکم الله العافیة، و أن تستشعروا خوف الکفر، و أن تسکنوا فی أمن الإسلام، إنکم أعطیتم قلیلا من کثیر، و الله مذهب الکثیر بالقلیل و مسلط علی أموالکم غدا من لا یأخذها علی الرضی و لا یخیرکم فی الصدقة، و إن منعتموها قتلتم، فأطیعوا الله و اعصوا مالکا.

فقام مالک، فقال: یا معشر بنی تمیم، إنما رددت علیکم أموالکم إکراما لکم، و بقیا علیکم، و إنه لا یزال یقوم قائم منکم یخطئنی فی ردها علیکم و یخطئکم فی أخذها، فما أغنانی عما یضرنی و لا ینفعکم، فو الله ما أنا بأحرصکم علی المال، و لا بأجزعکم من الموت، و لا ـ بأخفاکم شخصا إن أقمت، و لا ـ بأخفکم رحلة إن هربت، فترضاه عند ذلک بنو حنظلة، و أسندوا إلیه أمرهم، و قالوا: حربنا حربک و سلمنا سلمک، فأخذوا أموالهم، و أبی الله إلا أن یتم أمره فیهم، و قال فی ذلک مالک:

و قال رجال سدد الیوم مالکو قال رجال مالک لم یسدد

فقلت دعونی لا أبا لأبیکمفلم أخط رأیا فی المعاد و لا البد

و قلت خذوا أموالکم غیر خائفو لا ناظر فیما یجیء به غد

فدونکموها إنها صدقاتکممصررة أخلافها لم تحرد

سأجعل نفسی دون ما تحذرونهو أرهنکم یوما بما قلته یدی

فإن قام بالأمر المخوف قائمأطعنا و قلنا الدین دین محمد و لما بلغ ذلک أبا بکر و المسلمین حنقوا علی مالک، و عاهد الله خالد بن الولید لئن أخذه لیقتلنه، ثم لیجعلن هامته أثفیة للقدر، فلما أتی به أسیرا فی نفر من قومه، أخذوا معه کما تقدم.

اختلف فیه الذین أخذوهم، فقال بعضهم: قد و الله أسلموا، فما لنا علیهم من سبیل و فیمن شهد بذلک أبو قتادة الأنصاری، و کان معهم فی تلک السریة، و قالوا: إنا قد أذنا فأذنوا، ثم أقمنا فأقاموا، ثم صلینا فصلوا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۱۱

و کان من عهد أبی بکر إلی خالد أن: أیما دار غشیتموها فسمعتم الأذان فیها بالصلاة فأمسکوا عن أهلها حتی تسألوهم ما ذا نقموا و ما ذا یبغون، و أیما دار غشیتموها فلم تسمعوا فیها الأذان، فشنوا علیها الغارة، فاقتلوا و حرقوا.

و شهد بعض من کان فی تلک السریة أنهم لم یسلموا، و أنهم لم یسمعوهم کبروا و لا أذنوا، و أن قتلهم و سبیهم حلال، و کان ذلک رأی خالد فیهم.

قال أبو قتادة: فجئته فقلت: أقاتل أنت هؤلاء القوم؟ قال: نعم، قلت: و الله ما یحل لک قتلهم، و لقد اتقونا بالإسلام، فما علیهم من سبیل، و لا أتابعک علی قتلهم، فأمر بهم خالد فقتلوا.

قال أبو قتادة: فتسرعت حتی قدمت علی أبی بکر، فأخبرته الخبر، و عظمت علیه الشأن، فاشتد فی ذلک عمر، و قال: ارجم خالدا، فإنه قد استحل ذلک، فقال أبو بکر:

و الله لا أفعل، إن کان خالد تأول أمرا فأخطأه.

و ذکر یعقوب بن محمد الزهری و الواقدی فی مقتل مالک بن نویرة روایات غیر ما تقدم، استغنی عن إیرادها بما ذکر هنا. و فی بعض ذلک أن خالدا أمر برأسه فجعل أثفیة لقدر حسب ما تقدم من نذره ذلک، و کان من أکثر الناس شعرا، فکانت القدر علی رأسه، فراحوا و إن شعره لیدخن و ما خلصت النار إلی شواة رأسه.

و عاتب أبو بکر خالدا لما قدم علیه فی قتل مالک بن نویرة مع ما شهد له به أبو قتادة و غیره، فاعتذر إلیه خالد، و زعم أنه سمع منه کلاما استحل به قتله، فعذره أبو بکر و قبل منه.

و رثا متمم بن نویرة «۱» أخاه مالکا بقصائد کثیرة منها قصیدته المشهورة المتخیرة فی مراثی العرب التی یقول فیها «۲»:

و كنا كندمانى جذيمة حقبةمن الدهر حتى قيل لن نتصدعا

فلما تفرقنا كأنى و مالكالطول اجتماع لم نبت ليلة معا و يروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله، قال لمتمم بن نويرة: لوددت أنى رثيت أخى زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاك، و كان زيد أصيب يوم اليمامة، فقال له متمم: يا أبا

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۵۴۱)، الإصابة الترجمة رقم (۷۷۳۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۶۶۶).

(۲) انظر الأبيات فى ديوانه ص (۱۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۲

حفص، و الله لو علمت أن أخى صار حيث صار أخوك ما رثيته، فقال عمر: ما عزانى أحد عن أخى بمثل تعزيته.

قصة مسيلمة الكذاب وردة أهل اليمامة «۱»

عن رافع بن خديج قال: قدمت على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، وفود العرب، فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوبا و لا أحرى أن يكون الإسلام لم يقر فى قلوبهم من بنى حنيفة.

و قد تقدم ذكر قدوم مسيلمة فى قومه، و أنه ذكر لرسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: «أما أنه ليس بشركم مكانا، لما كانوا أخبروه به من أنهم تركوه فى رحالهم حافظا لها» «۲».

و يروى من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ذكر له مسيلمة، قال عند ما قدم فى قومه: لو جعل لى محمد الخلافة من بعده لاتبعته، فجاءه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، معه ثابت بن قيس بن شماس، و فى يد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ميتخة من نخل فوقف عليه، ثم قال: «لئن أقبلت ليفعلن الله بك، و لئن أدبرت ليقطعن الله دابرك، و ما أراك إلا الذى رأيت فيه ما رأيت، و لئن سألتنى هذه الشظية، لشظية من الميتخة التى فى يده، ما أعطيتكها، و هذا ثابت يجيبك».

قال ابن عباس: فسألت أبا هريرة عن قول النبىّ صلى اللّه عليه و سلم: ما أراك إلا الذى رأيت فيه ما رأيت، قال: كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال: «بينا أنا نائم، رأيت فى يدى سوارين من ذهب، فنفختهما فطارا، فوقع أحدهما باليمامة، و الآخر باليمن، قيل: ما أولتهما يا رسول الله؟

قال: أولتهما كذابين يخرجان من بعدى» «۳».

و لما انصرف فى قومه إلى اليمامة، ارتد عدو الله، و ادعى الشركة فى النبوة مع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و قال للوفد الذين كانوا معه: «أ لم يقل لكم حين ذكرتمونى له: أما أنه ليس بشركم مكانا، ما ذاك إلا لما علم أنى أشركت فى الأمر معه»، و كتب إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد، فإنى قد أشركت فى الأمر معك، و إن لنا نصف الأرض و لقريش نصفها، و لكن قريشا قوم يعتدون.

---

(۱) راجع: المنتظم (۴/ ۷۹- ۸۳)، تاريخ الطبرى (۳/ ۲۸۰- ۲۸۱).

(۲) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (۷/ ۶۹۱)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۱/ ۳۱۷).

(۳) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۵/ ۲۱۷، ۹/ ۵۲)، مسند الإمام أحمد (۱/ ۲۶۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۵/ ۵۰)، فتح البارى لابن حجر (۱۲/ ۴۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۳

و قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، بهذا الكتاب رسولان لمسيلمة، فقال لهما رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حين قرءا كتابه:

«فما تقولان أنتما؟» قالا: نقول کما قال، فقال: «أما و الله لو لا أن الرسل ما تقتل لضربت أعناقکما»، ثم کتب إلى مسیلمة: «بسم الله الرحمن الرحیم، من محمد رسول الله، إلى مسیلمة الکذاب، أما بعد، فإن الأرض لله یورثها من یشاء من عباده، و العاقبة للمتقین «۱»».

قال ابن إسحاق: و کان ذلک فی آخر سنة عشر، و ذکر غیره أن ذلک کان بعد انصراف النبیّ صلى اللّه علیه و سلم، من حجة الوداع، و وقوعه فی المرض الذی توفاه الله فیه، فالله تعالى أعلم.

وجد بعدو الله ضلاله بعد وفاة رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، و أصفقت معه حنیفة على ذلک، إلا أفدادا من ذوی عقولهم، و من أراد الله به الخیر منهم، و کان من أعظم ما فتن به قومه شهادة الرجال بن عنفوة له بإشراک النبیّ صلى اللّه علیه و سلم، إیاه فی الأمر، و کان من قصة الرجال أنه قدم مع قومه وافدا على النبیّ صلى اللّه علیه و سلم، فقرأ القرآن و تعلم السنن.

قال ابن عمر: و کان من أفضل الوفد عندنا، قرأ البقرة و آل عمران، و کان یأتی أبیا یقرئه فقدم الیمامة، و شهد لمسیلمة على رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، أنه أشرکه فی الأمر من بعده، فکان أعظم أهل الیمامة فتنة من غیره، لما کان یعرف به.

و قال رافع بن خدیج: کان بالرجال من الخشوع و لزوم قراءة القرآن و الخیر فیما نرى شیء عجیب، خرج علینا رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، یوما و هو معنا جالس مع نفر، فقال: «أحد هؤلاء النفر فی النار» «۲». قال رافع: فنظرت فی الیوم، فإذا بأبی هریرة و أبی أروى الدوسی و طفیل بن عمرو الدوسی، و الرجال بن عنفوة، فجعلت أنظر و أعجب، و أقول:

من هذا الشقی؟ فلما توفی رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، رجعت بنو حنیفة، فسألت: ما فعل الرجال؟

قالوا: افتتن، هو الذی شهد لمسیلمة على رسول الله صلى اللّه علیه و سلم، أنه أشرکه فی الأمر من بعده، فقلت: ما قال رسول الله صلى اللّه علیه و سلم فهو حق.

قالوا: و سمع الرجال یقول: کبشان انتطحا، فأحبهما إلینا کبشنا. و کان ابن عمیر الیشکری من سراة أهل الیمامة و أشرافهم، و کان مسلما یکتم إسلامه، و کان صدیقا

---

(۱) انظر الحدیث فی: البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۳۸۴)، مسند أبی حنیفة (۱۸۰).

(۲) انظر الحدیث فی: معجم الطبرانی الکبیر (۴/ ۳۳۸)، إتحاف السادة المتقین للزبیدی (۷/ ۱۸۱)، مجمع الزوائد للهیثمی (۸/ ۲۹۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۱۴

للرجال، فقال شعرا فشا فی الیمامة حتى کانت المرأة و الولیدة و الصبی ینشدونه، فقال:

یا سعاد الفؤاد بنت أثالطال لیلی بفتنة الرجال

إنها یا سعاد من حدیث الدهر علیکم کفتنة الرجال

فتن القوم بالشهادة و الله عزیز ذو قوة و محال

لا یساوی الذی یقول من الأمر قبالا و ما احتذى من قبال

إن دینی دین النبیّ و فی القوم رجال على الهدى أمثالی

أهلک القوم محکم بن طفیل و رجال لیسوا لنا برجال

بزهم أمرهم مسیلمة الیوم فلن یرجعوه أخرى اللیالی

قلت للنفس إذ تعاظمها الصبر و ساءت مقالة الأقوال

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة کحل العقال

إن تکن میتتی على فطرة الله حنیفا فإننی لا أبالی فبلغ ذلک مسیلمة، و محکما، و أشراف أهل الیمامة، فطلبوه، ففاتهم، و لحق بخالد بن الولید، فأخبره بحال أهل الیمامة، و دله على عوراتهم، و قالوا: إن رجلا من بنی حنیفة کان أسلم، و أقام عند رسول الله صلى اللّه

علیه و سلم، فحسن إسلامه، فأرسله رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، إلی مسیلمة لیقدم به علیه، و قال الحنفی: إن أجاب أحدا من الناس أجابنی، و عسی أن یجیبه الله، فخرج حتی أتاه، فقال: إن محمدا قد أحب أن تقدم علیه، فإنک لو جئته لم یفارقک إلا عن رضی، و رفق له، و جعل یأتیه خالیا، فیلقی هذا القول إلیه، فلما أكثر علیه قال:

انظر فی ذلک، فشاور الرجال بن عنفوة و أصحابه، فقالوا: لا تفعل، إن قدمت علیه قتلک، أ لم تسمع کلامه و ما قال.

فأبی مسیلمة أن یقدم معه علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و بعث معه رجلین ممن یصدق به لیکلماه و یخبراه بما قال الحنفی، فخرج الرسولان حتی قدما علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، مع رسوله، فتشهد أحدهما برسول الله وحده، ثم کلمه بما بدا له، فلما قضی کلامه تشهد الآخر، فذکر رسول الله و ذکر مسیلمة، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «کذبت، خذوا هذا فاقتلوه»، فثار المسلمون إلیه یلببونه، و أخذ صاحبه بحجزه و جعل یقول: یا رسول الله، اعف عنه، بأبی أنت و أمی، فیجاذبه إیاه المسلمون، فلما أرسلوه تشهد بذکر رسول الله، صلی اللّه علیه و سلم وحده، و أسلم هو و صاحبه، فلما توفی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم خرجا فقدما علی أهلیهما بالیمامة، و قد فتن الذی أمسک بحجزة صاحبه ذلک، فقتل مع مسیلمة، و ثبت الممسک بحجزته، و کان بعد یخبر خالد بن الولید بعورة بنی حنیفة، و أخبر رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، رسوله

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۱۵

إلی مسیلمة کیف رفق به حتی أراد أن یقدم لو لا أن الرجال نهاه، فقال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم:

یقتله الله، و یقتل الرجال معه، ففعل الله ذلک بهما، و أنجز وعده فیهما.

و استضاف مسیلمة إلی ضلاله فی دین الله و تکذبه علی الله ضلالة سجاح، و کانت امرأة من بنی تمیم، أجمع قومها أنها نبیة، فادعت الوحی، و اتخذت مؤذنا و حاجبا و منبرا، فکانت العشیرة إذا اجتمعت تقول: الملک فی أقربنا من سجاح، و فیها یقول عطارد بن حاجب بن زرارة:

أضحت نبیتنا أنثی نطیف بهاو أصبحت أنبیاء الناس ذکرانا ثم إن سجاح رحلت ترید حرب مسیلمة، و أخرجت معها من قومها من تابعها علی قولها و هم یرون أن سجاح أولی بالنبوة من مسیلمة، فلما قدمت علیه خلا بها، و قال لها: تعالی نتدارس النبوة، أینا أحق؟ فقالت سجاح: قد أنصفت، و فی الخبر بعد هذا من قوله ما یحق الإعراض عن ذکره.

و قد قیل إن سجاح إنما توجهت إلی مسیلمة مستجیرة به لما وطئ خالد العرب و رأت أنه لا أحد أعز لها منه، و قد کانت أمرت مؤذنها شبث بن ربعی أن یؤذن بنبوة مسیلمة، فکان یفعل، فلما قدمت علی مسیلمة قالت: اخترتک علی من سواک و نوهت باسمک، حتی إن مؤذنی لیؤذن بنبوتک، فخلا بها لیتدارسا النبوة.

و لما قتل مسیلمة، أخذ خالد بن الولید سجاح، فأسلمت و رجعت إلی ما کانت علیه، و لحقت بقومها.

و عظمت فتنة بنی حنیفة بکذابهم هذا حتی کان یدعو لمریضهم و یبرک علی مولودهم، و لا ینهاهم عن اغترارهم به ما یشاهدون من قلة غنائه عنهم. جاءه قوم بمولود، فمسح رأسه فقرع و قرع کل مولود له، و جاءه آخر، فقال: یا أبا ثمامة، إنی ذو مال، و لیس لی مولود یبلغ سنتین حتی یموت غیر هذا المولود، و هو ابن عشر سنین، و لی مولود ولد أمس، فأحب أن تبارک فیه و تدعو أن یطیل الله عمره، فقال: سأطلب لک الذی طلبت، فجعل عمر المولود أربعین سنة، فرجع الرجل إلی منزله مسرورا، فوجد الأکبر قد تردی فی بئر، و وجد الصغیر ینزع فی الموت، فلم یمس من ذلک الیوم حتی ماتا جمیعا، تقول أمهما: فلا و الله ما لأبی ثمامة عند إلهه مثل منزلة محمد صلی اللّه علیه و سلم.

قالوا: و حفرت بنو حنیفة بئرا، فأعذبوها نتاحا، فجاءوا إلی مسیلمة، فطلبوا إلیه أن یأتیها، و أن یبارک فیها، فأتاها، فبصق فیها، فعادت أجاجا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۱۶

و کان أبو بکر الصدیق رضی الله عنه، قد عاهد خالدا إذا فرغ من أسد و غطفان و الضاحیة أن یقصد الیمامة، و أکد علیه فی ذلک، فلما أظفر الله خالدا بأولئک تسلل بعضهم إلی المدینة یسألون أبا بکر أن یبایعهم علی الإسلام و یؤمنهم، فقال لهم: بیعتی إیاکم و أمانی لکم أن تلحقوا بخالد بن الولید و من معه من المسلمین، فمن کتب إلی خالد بأنه حضر معه الیمامة فهو آمن، فلیبلغ شاهدکم غائبکم، و لا تقدموا علی، اجعلوا وجوهکم إلی خالد.

قال أبو بکر بن أبی الجهم: أولئک الذین لحقوا خالد بن الولید من الضاحیة الذین کانوا انهزموا بالمسلمین یوم الیمامة ثلاث مرات، و کانوا علی المسلمین بلاء.

و قال شریک الفزاری: کنت ممن حضر بزاخة مع عیینة بن حصن، فرزق الله الإنابة، فجئت أبا بکر، فأمرنی بالمسیر إلی خالد، و کتب معی إلیه: أما بعد، فقد جاءنی کتابک مع رسولک تذکر ما أظفرک الله بأهل بزاخة، و ما فعلت بأسد و غطفان، و إنک سائر إلی الیمامة، و ذلک عهدی إلیک، فاتق الله وحده لا شریک له، و علیک بالرفق بمن معک من المسلمین، کن لهم کالوالد، و إیاک یا خالد بن الولید و نخوة بنی المغیرة، فإنی قد عصیت فیک من لم أعصه فی شیء قط، فانظر بنی حنیفة إذا لقیتهم إن شاء الله، فإنک لم تلق قوما یشبهون بنی حنیفة کلهم علیک، و لهم بلاد واسعة، فإذا قدمت فباشر الأمر بنفسک، و اجعل علی میمنتک رجلا و علی میسرتک رجلا، و اجعل علی خیلک رجلا، و استشر من معک من الأکابر من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، من المهاجرین و الأنصار، و اعرف لهم فضلهم، فإذا لقیت القوم و هم علی صفوفهم، فالقهم إن شاء الله و قد أعددت للأمور أقرانها، فالسهم للسهم، و الرمح للرمح، و السیف للسیف، فإذا صرت إلی السیف فهو الثکل، فإن أظفرک الله بهم فإیاک و الإبقاء علیهم، اجهز علی جریحهم، و اطلب مدبرهم، و احمل أسیرهم علی السیف، و هول فیهم القتل، و احرقهم بالنار، و إیاک أن تخالف أمری، و السلام علیک.

فلما انتهی الکتاب إلی خالد اقترأه، و قال: سمع و طاعة.

و لما اتصل بأهل الیمامة مسیر خالد إلیهم بعد الذی صنع الله له فی أمثالهم حیرهم ذلک و جزع له محکم بن الطفیل سیدهم، و هم أن یرجع إلی الإسلام، فبات یتلوی علی فراشه، و هو یقول:

أری الرکبان تخبر ما کرهناأکل الرکب یکذب ما یقول

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۱۷ ألا لا لیس کلهم کذوباو قد کذبوا و کذبهم قلیل

و قد صدقوا لهم منا و منهملنا إن حاربوا یوم طویل

فقل لابن الولید و للمنایاعلی السراء و الضراء دلیل

أ یقطع بیننا حبلا وصالفلیس إلیهما أبدا سبیل

و ما فی الحرب أعظم من جریحو عان خر بینهما قتیل فلما سمع القوم کلامه، عرفوا أنه ثابت علی ضلالته معهم، و فرح بذلک منه مسیلمة، و کان محکم سید أهل الیمامة، و کان صدیقا لزیاد بن لبید بن بیاضة من الأنصار، فقال له خالد فی بعض الطریق: لو ألقیت إلی محکم شیئا تکسره به، فإنه سید أهل الیمامة، و طاعة القوم له، فبعث إلیه مع راکب، و یقال: بل بعث بها إلیه حسان بن ثابت من المدینة:

یا محکم بن طفیل قد أتیح لکمللّه در أبیکم حیة الوادی

یا محکم بن طفیل إنکم نفرکالشاء أسلمها الراعی لآساد

ما فی مسیلمة الکذاب من عوضمن دار قوم و إخوان و أولاد

فاکفف حنیفة عنه قبل نائحةتنعی فوارس شاخ شجوها بادی

لا تأمنوا خالدا بالبرد معتجراتحت العجاجة مثل الأغضف العاد

ويل اليمامة ويلا لا فراق لهإن جالت الخيل فيها بالقنا الصاد

و الله لا تنثنى عنكم أعنتهاحتى تكونوا كأهل الحجر أو عاد و وردت على محكم، و قيل له: هـذا خالـد بن الوليد فى المسلمين، فقال: رضى خالـد أمرا و رضينا غيره، و ما ينكر خالد أن يكون فى بنى حنيفة من قد أشرك فى الأمر، فسيرى خالد إن قدم علينا يلق قوما ليسوا كمن لقى، ثم خطب أهل اليمامة فقال: يا معشر أهل اليمامة إنكم تلقون قوما يبذلون أنفسهم دون صاحبهم، فابذلوا أنفسكم دون صاحبكم، فإن أسدا و غطفان إنما أشار إليهم خالـد بـذباب السيف، فكانوا كالنعام الشارد، و قد أظهر خالد بن الوليد بأوا حيث أوقع ببزاخة ما أوقع، و قال: هل حنيفة إلا كمن لقينا.

و كان عمير بن ضابئ اليشكرى فى أصحاب خالـد، و كان من سادات اليمامة، و لم يكن من أهل حجر، كان من أهل ملهم، و هى لبنى يشكر، فقال له خالد: تقدم إلى قومك، فاكسرهم، فأتاهم، و لم يكونوا علموا بإسلامه، و كان مجتهدا فارسا سيدا، فقال: يا معشر أهل اليمامة، أظلكم خالد فى المهاجرين و الأنصار، تركت القوم يتتابعون

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۸

إلى فتح اليمامة، قد قضوا وطرا من أسد و غطفان و عليا و هوازن، و أنتم فى أكفهم، و قولهم: لاـ قوة إلا بالله، إنى رأيت أقواما إن غلبتموهم بـالصبر غلبوكم بالنصر، و إن غلبتموهم على الحياة غلبوكم على الموت، و إن غلبتموهم بالعدد غلبوكم بالمدد، لستم و القوم سواء، الإسلام مقبل، و الشرك مدبر، و صاحبهم نبى، و صاحبكم كذاب، و معهم السرور، و معكم الغرور، فالآن و السيف فى غمده و النبل فى جفيره قبل أن يسل السيف و يرمى بالسهم سرت إليكم مع القوم عشرا.

فكذبوه و اتهموه، فرجع عنهم، و قام ثمامة بن أثال الحنفى «۱» فى بنى حنيفة، فقال:

اسمعوا منى و أطيعوا أمرى ترشدوا، إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد، و إن محمدا صلى اللّه عليه و سلم، لا نبى بعده، و لا نبى مرسل معه، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: حم تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غافِرِ الـذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِى الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ [غافر: ۱، ۳].

هذا كلام الله عز و جل، أين هذا من: يا ضفدع نقى كم تنقين، لا الشرب تمنعين، و لا الماء تكدرين، و الله إنكم لترون أن هذا الكلام مـا يخرج من إل، و قد استحق محمد صلى اللّه عليه و سلم، أمرا أذكره به، مر بى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أنا على دين قومى، فأردت قتله، فحال بينى و بينه عمير، و كان موفقا، فأهدر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، دمى، ثم خرجت معتمرا، فبينا أنا أسير قد أظللت على المدينة أخذتنى رسله فى غير عهد و لا ذمة، فعفا عن دمى و أسلمت، فأذن لى فى الخروج إلى بيت الله، و قلت: يا رسول الله، إن بنى قشير قتلوا أثالاـ فى الجاهلية، فأذن لى أغزهم، فغزوتهم، و بعثت إليه بالخمس، فتوفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قام بهذا الأمر من بعده رجل هو أفقههم فى أنفسهم، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ثم بعث إليكم رجلا لا يسمى باسمه و لا اسم أبيه، يقال له: سيف الله، معه سيوف لله كثيرة، فانظروا فى أمركم «۲»، فآذاه القوم جميعا، أو من آذاه منهم، فقال ثمامة:

مسيلمة ارجع و لا تمحكفإنك فى الأمر لم تشرك

كذبت على الله فى وحيهفكان هواك هوى الأنوك

و مناك قومك أن يمنعوكو إن يأتهم خالد تترك

فما لك من مصعد فى السماءو لا لك فى الأرض من مسلك

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۸۲)، الإصابة الترجمة رقم (۹۶۳)، الوافى بالوفيات (۱۱/ ۲۱۹)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۶۹).

(۲) راجع ما ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب فى قصة ثمامة الترجمة رقم (۲۸۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۱۹

ذكر تقديم خالد بن الوليد الطلائع أمامه من البطاح «۱»

قالوا: و لما سار خالد بن الوليد من البطاح، و وقع فى أرض بنى تميم، قدم أمامه مائتى فارس عليهم معن بن عدى العجلانى، و بعث معه فرات بن حيان العجلى دليلا، و قدم عينين له أمامه، مكنف بن زيد الخيل الطائى، و أخاه.

و ذكر الواقدى: أن خالدا لما نزل العارض، قدم مائتى فارس، و قال: من أصبتم من الناس فخذوه، فانطلقوا حتى أخذوا مجاعة بن مرارة الحنفى فى ثلاثة و عشرين رجلا- من قومه قد خرجوا فى طلب رجل من بنى نمير أصاب فيهم دما، فخرجوا و هم لا يشعرون بمقبل خالد، فسألوهم: ممن أنتم؟ قالوا: من بنى حنيفة، فظن المسلمون أنهم رسل من مسيلمة إلى خالد، فلما أصبحوا و تلاحق الناس، جاءوا بهم إلى خالد، فلما رآهم ظن أيضا، أنهم رسل من مسيلمة، فقال: ما تقولون يا بنى حنيفة فى صاحبكم؟ فشهدوا أنه رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال لمجاعة: ما تقول أنت؟ فقال: و الله ما خرجت إلا فى طلب رجل من بنى نمير أصاب فينا دما، و ما كنت أقرب مسيلمة، و لقد قدمت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأسلمت، و ما غيرت و لا بدلت، فقدم القوم، فضرب أعناقهم على دم واحد، حتى إذا بقى سارية بن مسيلمة بن عامر قال: يا خالد، إن كنت تريد بأهل اليمامة خيرا أو شرا فاستبق هذا، يعنى مجاعة «۲»، فإنه لك عون على حربك و سلمك.

و كان مجاعة شريفا، فلم يقتله، و أعجب بسارية و كلامه، فتركه أيضا، و أمر بهما فأوثقا فى جوامع حديد، و كان يدعو مجاعة و هو كذلك فيتحدث معه، و مجاعة يظن أن خالدا يقتله، فبينما هما يتحدثان، قال له: يا ابن المغيرة، إن لى إسلاما، و الله ما كفرت، و لقد قدمت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فخرجت من عنده مسلما، و ما خرجت لقتال، و أعاد ذكر خروجه فى طلب النميرى، فقال خالد: إن بين القتل و الترك منزلة، و هى الحبس حتى يقضى الله فى حربنا ما هو قاض، و دفعه إلى أم متمم امرأته التى تزوجها لما قتل زوجها مالك بن نويرة و أمرها أن تحسن إساره، فظن مجاعة أن خالدا يريد حبسه لأن يشير عليه و يخبره عن عدوه، فقال: يا خالد، إنه من خاف يومك خاف غدك، و من

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۷۸- ۷۹)، تاريخ الطبرى (۳/ ۲۷۶)، الأغانى (۱۵/ ۲۲۹- ۳۰۲).

(۲) هو: مجاعة بن مرارة اليمامى. انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۵۴۵)، الإصابة الترجمة رقم (۷۷۳۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۹۷۱)، تهذيب الكمال (۳/ ۱۳۰۴)، تقريب التهذيب (۲/ ۲۲۹)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۵۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۰

رجاك رجاهما، و لقد خفتك و رجوتك، و لقد علمت أنى قدمت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و بايعته على الإسلام، ثم رجعت إلى قومى، و أنا اليوم على ما كنت عليه أمس، فإن يكن كذاب خرج فينا، فإن الله يقول: لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [فاطر: ۱۸].

و قد عجلت فى قتل أصحابى قبل التأنى بهم، و الخطأ مع العجلة، فقال خالد: يا مجاعة، تركت اليوم ما كنت عليه أمس، و كان رضاك بأمر هذا الكذاب، و سكوتك عنه و أنت أعز أهل اليمامة، و قد بلغك مسيرى، إقرارا له، و رضى بما جاء به، فهلا أبليت عذرا، فتكلمت فيمن تكلم، فقد تكلم ثمامة بن أثال فرد و أنكر، و قد تكلم اليشكرى، فإن قلت أخاف قومى، فهلا عمدت إلىّ تريد لقائى، أو كتبت إلىّ كتابا أو بعثت إلىّ رسولا، و أنت تعلم أنى قد أوقعت بأهل بزاخة، و زحفت بالجيوش إليك. فقال مجاعة: إن رأيت يا ابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله فعلت. فقال خالد: قد عفوت عن دمك، و لكن فى نفسى من تركك حوجا بعد، فقال مجاعة: أما إذا عفوت عن دمى فلا أبالى.

و كان خالد كلما نزل منزلا و استقر به دعا مجاعة فأكل معه و حدثه، فقال له ذات يوم: أخبرنى عن صاحبك يعنى مسيلمة، ما الذى

يقرأ عليكم؟ هل تحفظ منه شيئا؟ قال:

نعم، فذكر له شيئا من رجزه، قال خالد و ضرب بإحدى يديه على الأخرى: يا معشر المسلمين، اسمعوا إلى عدو الله كيف يعارض القرآن، ثم قال: ويحك يا مجاعة، أراك رجلا سيدا عاقلا، اسمع إلى كتاب الله عز و جل، ثم انظر كيف عارضه عدو الله، فقرأ عليه خالد: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، فقال مجاعة: أما إن رجلا من أهل البحرين كان يكتب، أدناه مسيلمة و قربه حتى لم يكن يعدل له فى القرب عنده أحد، فكان يخرج إلينا فيقول: يا أهل اليمامة، صاحبكم و الله كذاب، و ما أظنكم تتهموننى عليه، إنكم لترون منزلتى عنده، و حالى، هو و الله يكذبكم و يأتيكم بالباطل.

قال خالد: فما فعل ذلك البحرانى؟ قال: هرب منه، كان لا يزال يقول هذا القول حتى بلغه، فخافه على نفسه، فهرب، فلحق بالبحرين، قال خالد: فما كان فى هذا ناه و لا زاجر، ثم قال: هات زدنا من كذب الخبيث، فقال مجاعة: أخرج لكم حنطة و زؤانا، و رطبا و تمراتا، فى رجز له، فقال خالد: و هذا كان عندكم حقا؟ و كنتم تصدقونه؟ قال مجاعة: لو لم يكن عندنا حقا لما لقيتك غدا أكثر من عشرة آلاف سيف يضاربونك فيه حتى يموت الأعجل، قال خالد: إذا يكفيناهم الله و يعز دينه، فإياه تقاتلون و دينه تريدون.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۱

و فى كتاب الأموى: ثم مضى خالد حتى نزل منزله من اليمامة، ببعض أوديتها، و خرج الناس مع مسيلمة.

و قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: لما أشرف خالد بن الوليد و أجمع أن ينزل عقرباء «۱»، دفع الطلائع أمامه، فرجعوا إليه، فخبروه أن مسيلمة و من معه قد خرجوا فنزلوا عقرباء، فشاور أصحابه أن يمضى إلى اليمامة، أو ينتهى إلى عقرباء، فأجمعوا له أن ينتهى إلى عقرباء، فزحف خالد بالمسلمين حتى نزلوا عقرباء، و ضرب عسكره.

و قد قيل: إن خالدا هو الذى سبق إلى عقرباء، فضرب عسكره ثم جاء مسيلمة فضرب عسكره «۲». و يقال: توافيا إليها جميعا.

قالوا: و كان المسلمون يسألون عن الرجال بن عنفوة، فإذا الرجال على مقدمة مسيلمة، فلعنوه و شتموه، فلما فرغ خالد من ضرب عسكره، و حنيفة تسوى صفوفها، نهض خالد إلى صفوفه فصفها، و قدم رايته مع زيد بن الخطاب، و دفع راية الأنصار إلى ثابت بن قيس بن شماس، فتقدم بها، و جعل على ميمنته أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة، و على ميسرته شجاع بن وهب، و استعمل على الخيل البراء بن مالك، ثم عزله و استعمل عليها أسامة بن زيد، و أمر بسرير فوضع فى فسطاطه، و اضطجع عليه يتحدث مع مجاعة، و معه أم متمم و أشراف أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يتحدث معهم، و أقبلت بنو حنيفة قد سلت السيوف، فلم تزل مسللة و هم يسيرون نهارا طويلا، فقال خالد: يا معشر المسلمين، أبشروا، فقد كفاكم الله عدوكم، ما سلوا السيوف من بعيد إلا ليرهبونا، و إن هذا منهم لجبن و فشل، فقال مجاعة و نظر إليهم: كلا و الله يا أبا سليمان، و لكنها الهندوانية، خشوا من تحطمها، و هى غداة باردة، فأبرزوها للشمس لأن تسخن متونها.

فلما دنوا من المسلمين نادوا: إنا نعتذر من سلنا سيوفنا حين سللناها، و الله ما سللناها ترهيبا لكم و لا جبنا عنكم، و لكنها كانت الهندوانية، و كانت غداة باردة، فخشينا تحطمها، فأردنا أن تسخن متونها إلى أن نلقاكم، فسترون.

قال: فاقتتلوا قتالا شديدا، و صبر الفريقان جميعا صبرا طويلا، حتى كثرت القتلى و الجراح فى الفريقين، و كان أول قتيل من المسلمين مالك بن أوس من بنى زعوراء، قتله

---

(۱) عقرباء: موضع بناحية اليمامة. انظر: الروض المعطار (۴۱۹- ۴۲۰) و ذكر فيه هذا الخبر.

(۲) قال فى الفتوح (۱/ ۳۱): سار خالد بن الوليد بالمسلمين حتى نزل بموضع يقال له: عقرباء من أرض اليمامة، فضرب عسكره هناك، و سار مسيلمة فى جميع بنى حنيفة حتى نزل حذاء خالد.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۲

محکم بن الطفیل، و استلحم من المسلمین حملة القرآن حتی فنوا إلا قلیلا، و هزم کلا الفریقین حتی دخل المسلمون عسکر المشرکین، و المشرکون عسکر المسلمین مرارا، و إذا أجلی المسلمون عن عسکرهم فدخل المشرکون أرادوا حمل مجاعة، فلا یستطیعون لما هو فیه من الحدید، و لأنه لا تزال تناوشهم خیل المسلمین، فإذا رجع المسلمون وثبوا علی مجاعة لیقتلوه، و قالوا: اقتلوا عدو الله، فإنه رأسهم، و أنهم إن دخلوا علیه أخرجوه، فإذا أشهروا علیه سیوفهم لیقتلوه، حنت علیه أم متمم امرأة خالد و ردتهم عنه، و قالت: إنی له جار، حتی أجارته منهم، و کان مجاعة أیضا، قد أجارها من المشرکین مرارا أن یقتلوها علی هذا الوجه.

و قد کان مجاعة قال لها لما دفعه إلیها خالد لتحسن إساره: یا أم متمم، هل لک أن أحلفک، إن غلب أصحابی کنت لک جارا، و أنت کذلک؟ فقالت: نعم، فتحالفا علی ذلک.

و قال عکرمة: حملت حنیفة أول مرة کانت لها الحملة، و خالد علی سریره حتی خلص إلیه، فجرد سیفه و جعل یسوق حنیفة سوقا، حتی ردهم، و قتل منهم قتلی کثیرة، ثم کرت حنیفة حتی انتهوا إلی فسطاط خالد، فجعلوا یضربون الفسطاط بالسیوف.

قال الواقدی: و بلغنا أن رجلا منهم لما دخلوا الفسطاط، أراد قتل أم متمم، و رفع السیف علیها، فاستجارت بمجاعة، فألقی علیها رداءه، و قال: إنی جار لها فنعمت الحرة کانت، و عیرهم و سبهم «۱»، و قال: ترکتم الرجال و جئتم إلی امرأة تقتلونها، علیکم بالرجال، فانصرفوا، و جعل ثابت بن قیس یومئذ یقول، و کانت معه رایة الأنصار: بئس ما عودتم أنفسکم الفرار یا معشر المسلمین.

و قد انکشف المسلمون حتی غلبت حنیفة علی الرحال، فجعل زید بن الخطاب ینادی، و کانت عنده رایة خالد: أما الرحال فلا رحال، و أما الرجال فلا رجال، اللهم إنی اعتذر إلیک من فرار أصحابی، و أبرأ إلیک مما جاء به مسیلمة، و محکم بن طفیل، و جعل یشتد بالرایة، یتقدم بها فی نحر العدو، ثم ضارب بسیفه حتی قتل، رحمه الله، فلما قتل وقعت الرایة، فأخذها سالم مولی أبی حذیفة، فقال المسلمون: یا سالم، إنا نخاف أن نؤتی من قبلک، فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا إن أتیتم من قبلی.

قالوا: و نادت الأنصار ثابت بن قیس و هو یحمل رایتهم: الزمها، فإنما ملاک القوم الرایة.

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۸۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۲۳

فتقدم سالم مولی أبی حذیفة، فحفر لرجلیه حتی بلغ أنصاف ساقیه، و معه رایة المهاجرین، و حفر ثابت لنفسه مثل ذلک «۱»، ثم لزما رایتیهما، و لقد کان الناس یتفرقون فی کل وجه، و إن سالما و ثابتا لقائمان برایتیهما، حتی قتل سالم و قتل أبو حذیفة مولاه، رحمهما الله تعالی، فوجد رأس أبی حذیفة عند رجلی سالم، و رأس سالم عند رجلی أبی حذیفة، لقرب مصرع کل واحد منهما من صاحبه، فلما قتل سالم، مکثت الرایة ساعة لا یرفعها أحد، فأقبل یزید بن قیس، و کان بدریا، فحملها حتی قتل رحمه الله، ثم حملها الحکم بن سعید بن العاص، فقاتل دونها نهارا طویلا، ثم قتل رحمه الله.

قال وحشی «۲»: اقتتلنا قتالا شدیدا، فهزموا المسلمین ثلاث مرات، و کر المسلمون فی الرابعة، و تاب الله علیهم، و ثبت أقدامهم، و صبروا لوقع السیوف، و اختلفت بینهم و بین بنی حنیفة السیوف، حتی رأیت شهب النار تخرج من خلالها، حتی سمعت لها أصواتا کالأجراس، و أنزل الله تعالی، علینا نصره، و هزم الله بنی حنیفة، و قتل الله مسیلمة.

قال: و لقد ضربت بسیفی یومئذ حتی غری قائمه فی کفی من دمائهم.

و قال ابن عمر: لقد رأیت عمارا علی صخرة قد أشرف، یصیح: یا معشر المسلمین، أمن الجنة تفرون، أنا عمار بن یاسر، هلموا إلیّ، و أنا أنظر إلی أذنه تذبذب و قد قطعت.

و قال سعد القرظ: لقد رأیته یومئذ یقاتل قتال عشرة.

و قال شریک الفزاری: لما التقینا و القوم، صبر الفریقان صبرا لم أر مثله قط، ما تزول الأقدام فتری، و اختلفت السیوف بینهم، و جعل

يقبل أهل السوابق و النيات فيتقدمون، فيقتلون، حتى فنوا، و ذلقت فينا سيوفهم طويلا، فانهزمنا، فلقد أحصيت لنا ثلاث انهزامات، و ما أحصيت لحنيفة إلا انهزامة واحدة، التى ألجأناهم فيها إلى الحديقة، يعنى حديقة الموت.

---

(۱) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة ثابت رقم (۲۵۳): لما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة، فلما التقوا انكشفوا، فقال ثابت و سالم مولى أبى حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم حفر كل واحد منهما له حفرة، فثبتا و قاتلا حتى قتلا.

(۲) هو وحشى بن حرب الحبشى، انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۷۶۸)، الإصابة الترجمة رقم (۹۱۲۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۴۴۹)، الثقات (۳/ ۴۳۰)، الاستبصار (۸۱)، الإكمال (۷/ ۹۰)، العقد الثمين (۷/ ۳۸۵)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (۳۵۶)، تاريخ الثقات (۴۶۴)، الأنساب لابن السمعانى (۱۱/ ۱۱۱، ۱۱۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۴

و قال رافع بن خديج «۱»: شهدنا اليمامة، فكنا تسعين من النبيت، فلاقينا عدوا صبرا لوقع السلاح، و جماعة الناس أربعة آلاف، و حنيفة مثل ذلك أو نحوه، فلما التقينا أذن الله للسيوف فينا و فيهم، فجعلت السيوف تختلى هام الرجال و أكفهم، و جراحا لم أر جراحا قط أبعد غورا منه، فينا و فيهم، إنى لأنظر إلى عباد بن بشر قد ضرب بسيفه حتى انحنى كأنه منجل، فيقيمه على ركبته، فيعرض له رجل من بنى حنيفة، فلما اختلفا ضربات ضربه عباد بن بشر على العاتق مستمكنا، فو الله لرأيت سحره باديا، و مضى عنه عباد، و مررت بالحنفى و به رمق، فأجهزت عليه، و أنظر بعد إلى عباد و قد اختلف السيوف عليه و هو يبضع بها و يبعج بطنه، فوقع و ما أعلم به مصحا، و كانوا حنقوا عليه لأنه أكثر القتل فيهم. قال: و حرضت على قتلته، فناديت أصحابنا من النبيت، فقمنا عليه، و قتلنا قتلته، فرأيتهم حوله مقتلين، فقلت: بعدا لكم.

و قال ضمرة بن سعيد المازنى، و ذكر ردة بنى حنيفة: لم يلق المسلمون عدوا أشد لهم نكاية منهم، لقوهم بالموت الناقع، و بالسيوف قد أصلتوها قبل النبل، و قبل الرماح، و قد صبر المسلمون لهم، فكان المعول يومئذ على أهل السوابق، و نادى عباد بن بشر يومئذ و هو يضرب بالسيف، قد قطع من الجراح، و ما هو إلا كالنمر الجرف، فيلقى رجلا من بنى حنيفة كأنه جمل صئول، فقال: هلم يا أخا الخزرج، أ تحسب قتالنا مثل من لاقيت، فيعمد له عباد، و يبدره الحنفى، و يضربه ضربة بالسيف، فانكسر سيفه و لم يصنع شيئا، و ضربه عباد فقطع رجليه و جاوزه و تركه ينأ على ركبتيه، فناداه: يا ابن الأكارم اجهز علىّ، فكر عليه عباد، فضرب عنقه، ثم قام آخر فى ذلك المقام، فاختلفا ضربات و تجاولا، و عباد على ذلك كثير الجراح، فضربه عباد ضربة أبدى سحره، و قال: خذها و أنا ابن وقش، ثم جاوزه يفرى فى بنى حنيفة ضربا فريا، فكان يقال: قتل عباد يومئذ من بنى حنيفة بالسيف أكثر من عشرين رجلا، و أكثر فيهم الجراح.

قال ضمرة: فحدثنى رجل من بنى حنيفة قديم قال: إن حنيفة لتذكر عباد بن بشر، فإذا رأت الجراح بالرجل منهم تقول: هذا ضرب مجرب القوم، عباد بن بشر.

و فى بعض الروايات عن حديث رافع بن خديج قال: خرجنا من المدينة و نحن أربعة آلاف، و أصحابنا من الأنصار ما بين خمسمائة إلى أربعمائة، و على الأنصار ثابت بن

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۷۲۸)، الإصابة الترجمة رقم (۲۵۳۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۵۸۰)، تاريخ خليفة (۲۷۱)، طبقات خليفة (۷۹)، شذرات الذهب (۱/ ۸۲)، تاريخ الإسلام (۲/ ۴۰۰)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۴۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۵

قیس، و یحمل رایتنا أبو لبابة، فانتهینا إلی الیمامة، فننتهی إلی قوم هم الذین قال الله تعالی: سَتُدْعَوْنَ إِلی قَوْمٍ أُولِی بَأْسٍ شَدِیدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ یُسْلِمُونَ [الفتح: ۱۶].

فلما صففنا صفوفنا و وضعنا الرایات مواضعها، لم یلبثوا أن حملوا علینا، فهزمونا مرارا، فنعود إلی مصافنا و فیها خلل، و ذلک أن صفوفنا کان مختلطة، فیها حشو کثیر من الأعراب فی خلال صفوفنا، فینهزم أولئک الناس فیستخفون أهل البصائر و النیات، حتی کثر ذلک منهم، ثم إن الله بمنه و فضله رزقنا علیهم الظفر، و ذلک أن ثابت بن قیس نادی خالد بن الولید: أخلصنا، فقال: ذلک إلیک، فناد فی أصحابک، قال: فأخذ الرایة و نادی: یا للأنصار، فتسللت إلیه رجلا رجلا، فنادی خالد للمهاجرین، فأحدقوا به، و نادی عدی بن حاتم، و مکنف بن زید الخیل الطائی بطیئ، فثابت إلیهما طیئ، و کانوا أهل بلاء حسن، و عزلت الأعراب عنا ناحیة، فقاموا من ورائنا غلوة أو أکثر، و إنما کنا نؤتی من الأعراب.

قال رافع: فانتهینا إلی جمعهم فصبروا و صبرنا صبرا لم یر مثله قط، لم تزل الأقدام، فذکرت بیتی قیس بن الحطیم:

إذا ما فررنا کان أسوا فرارناصدود الخدود و ازورار المناکب

صدود الخدود و القنا متشاجرو لا تبرح الأقدام عند التضارب «۱» قال: و اجهضهم أهل السوابق و البصائر، فهم فی نحورهم ما یجد أحد مدخلا إلا أن یقتل رجل منهم، أو یخرج فیقع، فیخلف مقامه آخر، حتی أوجعنا فیهم و بان خلل صفوفهم، و ضجوا من السیف، ثم اقتحمنا الحدیقة، فضاربوا فیها، و علقنا الحدیقة، و أقمنا علی بابها رجالا لئلا یهرب منهم أحد، فلما رأوا ذلک عرفوا أنه الموت، فجدوا فی القتال، و دکت السیوف بیننا و بینهم، ما فیها رمی بسهم و لا حجر و لا طعن حتی قتلنا عدو الله مسیلمة، فقیل لرافع: یا أبا عبد الله، أی القتلی کان أکثر، قتلاکم أو قتلاهم؟ قال: قتلاهم أکثر من قتلانا و أخبث، أحسبنا قتلنا منهم ضعف ما قتلوا منا مرتین، فقد قتل من الأنصار یومئذ زیادة علی التسعین، و جرح منهم مائتان، و لقد لقینا بنی سلیم بالجواء، و أنهم لمجروحون، فأبلوا بلاء حسنا.

و کان أبو خیثمة النجاری یقول: لما انکشف المسلمون یوم الیمامة تنحیت ناحیة،

---

(۱) انظر الأبیات فی: دیوانه ص (۴۱)، الخزانة للبغدادی (۳/ ۱۶۵)، الأشباه و النظائر للخالدیین (۲۷، ۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۲۶

و کأنی أنظر إلی أبی دجانة «۱» یومئذ ما یولی ظهره منهزما، و ما هو إلا فی نحور القوم، حتی قتل رحمه الله، و کان یختال فی مشیته عند الحرب سجیة، ما یستطیع غیر ذلک.

قال: و کرت علیه طائفة من بنی حنیفة، فما زال یضرب بالسیف أمامه و عن یمینه و عن شماله، فحمل علی رجل فصرعه، و ما ینبس بکلمة، حتی انفرجوا عنه و نکصوا علی أعقابهم، و المسلمون مولون، و قد ابیض ما بینهم و بینه، فما تری إلا المهاجرین و الأنصار، لا و الله ما أری أحدا یخالطهم، فقاموا ناحیة، و تلاحق الناس، فدفعوا حنیفة دفعة واحدة، فانتهینا بهم إلی الحدیقة، فأقحمناهم إیاها.

قال أبو دجانة: ألقونی علی الترسة حتی أشغلهم، فکانوا قد أغلقوا الحدیقة، فأخذوه فألقوه علی الترسة، حتی وقع فی الحدیقة، و هو یقول: لا ینجیکم منا الفرار، فضاربهم حتی فتحها، و دخلنا علیه مقتولا رحمه الله.

و قد روی أن البراء بن مالک هو المرمی به فی الحدیقة، و الأول أثبت.

و قال ثابت بن قیس، یومئذ: یا معشر الأنصار، الله الله و دینکم، علمنا هؤلاء أمرا ما کنا نحسنه، ثم أقبل علی المسلمین، فقال: أف لکم و لم تعملون، ثم قال: خلوا بیننا و بینهم، أخلصونا، فأخلصت الأنصار، فلم یکن لهم ناهیة حتی انتهوا إلی محکم بن الطفیل، فقتلوه، ثم انتهوا إلی الحدیقة فدخلوها، فقاتلوا أشد القتال، حتی اختلطوا فیها، فما یعرف بعضهم بعضا إلا بالشعار، و شعارهم: أمت أمت، ثم صاح ثابت صیحة یستجلب بها المسلمین: یا أصحاب سورة البقرة، یقول رجل من طیئ: و الله ما معی منها آیة، و إنما یرید ثابت: یا أهل القرآن.

و قال واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ: لما زحف المسلمون، انكشفوا أقبح الانكشاف، حتى ظن ظانهم أن لا تكون لهم فئة فى ذلك اليوم، و الناس أوزاع قد هدأ حسهم. و أشرت حنيفة و أظهروا البغى، و أوفى عباد بن بشر على نشز من الأرض، ثم صاح بأعلى صوته: أنا عباد بن بشر، يا للأنصار، يا للأنصار، ألا إلى، ألا إلى، فأقبلوا إليه جميعا، و أجابوه: لبيك لبيك، حتى توافوا عنده، فقال: فداكم أبى و أمى، حطموا جفون السيوف، ثم حطم جفن سيفه، فألقاه، و حطمت الأنصار جفون سيوفهم، ثم قال: حملة صادقة، اتبعونى، فخرج أمامهم حتى ساقوا حنيفة منهزمين، حتى انتهوا بهم

---

(۱) اسمه: سماک بن خرشة، انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۹۶۸)، الإصابة الترجمة رقم (۹۸۶۶)، معجم رجال الحديث (۲۱/ ۱۵۱)، تنقيح المقال (۳/ ۱۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۷

إلى الحديقة، فأغلق عليهم، فأوفى عباد بن بشر يشرف على الحديقة و هم فيها، فقال للرماة: ارموا، فرموا أهل الحديقة بالنبل حتى ألجئوهم أن اجتمعوا فى ناحية منها لا يطلع النبل عليهم، ثم إن الله فتح الحديقة، فاقتحم عليهم المسلمون، فضاربوهم ساعة، ثم أغلق عباد باب الحديقة لما كلّ أصحابه، و كره أن تفر حنيفة، و جعل يقول: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاءت به حنيفة.

قال واقد بن عمرو: فحدثنى من رأى عباد بن بشر ألقى درعه على باب الحديقة، ثم دخل بالسيف صلتا يجالدهم حتى قتل، رحمه الله.

و قال أبو سعيد الخدرى: سمعت عباد بن بشر يقول حين فرغنا من بزاخة: يا أبا سعيد، رأيت الليلة كأن السماء فرجت، ثم أطبقت علىّ، فهى إن شاء الله الشهادة، قال: قلت: خيرا و الله، قال أبو سعيد: فأنظر إليه يوم اليمامة و إنه ليصيح بالأنصار و يقول: أخلصونا، فأخلصوا أربعمائة رجل، لا يخلطهم أحد، يقدمهم البراء بن مالك و أبو دجانة سماك بن خرشة و عباد بن بشر، حتى انتهوا إلى باب الحديقة.

قال أبو سعيد: فرأيت بوجه عباد، يعنى بعد قتله، ضربا كثيرا، و ما عرفته إلا بعلامة كانت فى جسده.

و كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، لما انصرف إليه أسامة بن زيد من بعثه إلى الشام، بعثه فى أربعمائة مددا لخالد بن الوليد، فأدرك خالدا قبل أن يدخل اليمامة بثلاث، فاستعمله خالد على الخيل مكان البراء بن مالک، و أمر البراء أن يقاتل راجلا، فاقتحم عن فرسه، و كان راجلا لا رجلة به، فلما انكشف الناس يوم اليمامة، و انكشف أسامة بأصحاب الخيل، صاح المسلمون: يا خالد، ول البراء بن مالک، فعزل أسامة، ورد الخيل إلى البراء، فقال له: اركب فى الخيل، فقال البراء: و هل لنا من خيل؟ قد عزلتنى و فرقت الناس عنى، فقال له خالد: ليس حين عتاب، اركب أيها الرجل فى خيلک، أ ما ترى ما لحم من الأمر، فركب البراء فرسه، و إن الخيل لأوزاع فى كل ناحية، و ما هى إلا الهزيمة، فجعل يليح بسيفه و ينادى: يا صحابة، يا للأنصار، يا للأنصار، يا خيلاه، يا خيلاه، أنا البراء بن مالک، فثابت إليه الخيل من كل ناحية، و ثابت إليه الأنصار، فارسها و راجلها.

قال أبو سعيد الخدرى: فقال لنا: احملوا عليهم فداكم أبى و أمى، حملة صادقة، تريدون فيها الموت، ثم أظهر التكبير، و كبرنا معه، فما كانت لنا ناهية إلا باب الحديقة،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۸

و قد غلقت دوننا، و ازدحمنا عليهم، فلم نزل حتى فتح الله، و ظفرنا، فله الحمد.

و قال عبد الله بن أبى بكر بن حزم: كان البراء فارسا، و كان إذا حضرته الحرب أخذته رعدة، و انتفض حتى يضبطه الرجال مليا، ثم يفيق فيبول بولا أحمر كأنه نقاعة الحناء، فلما رأى ما يصنع بالناس يومئذ من الهزيمة أخذه ما كان يأخذه، فانتفض و ضبطه أصحابه و جعل يقول: طرونى إلى الأرض، فلما أفاق سرى عنه، و هو مثل الأسد، و هو يقول:

أسعدنى ربى على الأنصاركانوا يدا طرا على الكفار

فى كل يوم ساطع الغبارفاستبدلوا النجاة بالفرار قال: و ضرب بسيفه قدما، حتى أفرجوا له، و خاض غمرتهم، و ثابت إليه الأنصار كأنها

النحل تأوى إلى يعسوبها، و تلاومت الأنصار فيما صنعت.

و حدث عن خالد بن الوليد من سمعه يقول: شهدت عشرين زحفا، فلم أر قوما أصبر لوقع السيوف و لا أضرب بها و لا أثبت أقداما من بنى حنيفة يوم اليمامة، أنّا لما فرغنا من طليحة الكذاب، و لم تكن له شوكة، قلت كلمة و البلاء موكل بالقول: و ما حنيفة، ما هى إلا كمن لقينا فلقينا قوما ليسوا يشبهون أحدا، لما انتهينا إلى عسكرهم نظرت إلى قوم قد قدموا أمام عسكرهم بشرا كثيرا، فقلت: هذه مكيدة، و إذا القوم لم يحفلوا بنا، فعسكرنا منهم بمنظر العين، فلما أمسيت حزرت القوم بنفسى، فإذا القوم نحونا، فبتنا فى عسكرنا، و باتوا فى عسكرهم.

فلما طلع الفجر قام القوم إلى التعبئة، و ثرنا معهم فى غدوة باردة، و صففت صفوفى، و صفوا صفوفهم، ثم أقبلوا إلينا يقطعون قطوا، قد سلوا السيوف، فكبرت، و رأيت ذلك منهم فشلا، فلما دنوا منا نادوا: أن هذا ليس بفشل، و لكنها الهندوانية و خفنا التحطم عليها، فما هو إلا أن واجهونا، حملوا علينا حملة واحدة، و انهزمت الأعراب، و لا ذوا بين أضعاف الصفوف، فانهزم معهم أهل النيات، و أوجعت حنيفة فى أدباركم بالقتل، و تقدمت أضرب بسيفى مرة يشتملون علىّ، و مرة أنفذ منهم، و كر المسلمون كرة ثانية، فحملت بنو حنيفة أيضا، حتى هزموا المسلمين ثلاث مرات. و إنما يهزم بالناس الأعراب.

فناديت فى المسلمين، فذكرتهم الله، و ناديت فى المهاجرين و الأنصار: الله الله، الكرة على عدوكم، فنادى أهل السوابق: أخلصونا، فأخلصوا، لا يخلطهم رجل، فأخلص قوم قد ألح السيف عليهم، و قتل من قتل منهم، و من بقى من أهل النيات منقطع من الجراح،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۲۹

و لكنا لم نجد المعول إلاـ عليهم و لاـ الصبر إلا عندهم، فصفوا جميعا فى نحر العدو، و جاءت الأعراب من خلفهم، و ذهبت حنيفة تطلب أن تهزمهم كما كانت تفعل، فثبتوا على مصافهم لاـ تزول فترا، و اختلفت السيوف بينهم، و صبر الفريقان جميعا، و ذهب الأعراب من ورائنا، فحملنا عليهم حملة، فما زادت حنيفة على أن رجعت القهقرى ما تولى الأدبار، حتى وقفوا على باب الحديقة، و اختلفت السيوف بيننا و بينهم حتى نظرت إلى شهب النار، و حتى صارت القتلى منا و منهم ركاما، و قد أغلقت الحديقة، فدخل من رحمه الله فشغلهم عن الباب حتى دخلنا.

فإذا أهل السوابق قد وطئوا أنفسهم على الموت، فما هو إلا أن عاينتهم حنيفة فى الحديقة، فناديت أصحابى: عضوا على النواجذ، لا أسمع شيئا إلا وقع الحديد بعضه على بعض، فما كان شيء حتى قتل عدو الله، فما ضرب أحد بعده من بنى حنيفة بسيف، و لقد صبروا لنا من حين طلعت الشمس إلى صلاة العصر، و لقد رأيتنى فى الحديقة و عانقنى رجل منهم و أنا فارس و هو فارس، فوقعنا عن فرسينا، ثم تعانقنا بالأرض، فأجؤه بخنجر فى سيفى، و جعل يجؤنى بمعول فى سيفه، فجرحنى سبع جراحات، و قد جرحته جرحا أثبته، فاسترخى فى يدى، و ما بى حركة من الجراح، و قد نزفت من الدم إلا أنه سبقنى بالأجل، فالحمد لله على ذلك.

و حدث ضمرة بن سعيد: أنه خلص يومئذ إلى محكم بن طفيل و هو يقول: يا بنى حنيفة قاتلوا قبل أن تستحقب الكرائم غير رضيات، و ينكحن غير حظيات، و ما كان عندكم من حسب فأخرجوه، فقد لحم الأمر، و احتيج إلى ذلك منكم، و جعل يقول: يا بنى حنيفة ادخلوا الحديقة، سأمنع دابركم، و جعل يرتجز:

لبئسما أوردنا مسيلمةأورثنا من بعده أغيلمة فدخلوا الحديقة و غلقوها عليهم، و رمى عبد الرحمن بن أبى بكر محكما بسهم فقتله، فقام مكانه المعترض ابن عمه، فقاتل ساعة حتى قتله الله.

و فى غير حديث ضمرة أن خالد بن الوليد هو الذى قتل محكما.

حدث الحارث بن الفضل، قال: لما رأى محكم بن طفيل من قتل قومه ما رأى، جعل يصيح: ادن يا أبا سليمان، فقد جاءك الموت الناقع، قد جاءك قوم لا يحسنون الفرار، فبلغ خالدا كلمته و هو فى مؤخر الناس، فأقبل يقول: هأنذا أبو سليمان، و كشف المغفر عن وجهه، ثم حمل على ناحية محكم يخوف بنى حنيفة، فاقتحم عليه خالد، فيضربه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۰

ضربة أرعش منها، ثم ثنى له بأخرى و هو يقول: خذها و أنا أبو سليمان، فوقع ميتا، و كان عبد الرحمن بن أبى بكر قد رماه بسهم قبل ذلك، و منهم من يقول: رماه عبد الرحمن بعد ضربة خالد، و منهم من يقول: لم يكن من سهم عبد الرحمن شىء.

و قاتلت حنيفة بعد قتل محكم بن طفيل أشد القتال، و هم يقولون: لا بقاء بعد محكم، و قال قائل: يا أبا ثمامة، أين ما كنت وعدتنا؟ قال: أما الدين فلا دين، و لكن قاتلوا عن أحسابكم، فاستيقن القوم أنهم كانوا على غير شىء.

و قال وحشى: لما اختلط الناس فى الحديقة، و أخذت السيوف بعضها بعضا، نظرت إلى مسيلمة و ما أعرفه، و رجل من الأنصار يريده، و أنا من ناحية أخرى أريده، فهززت من حربتى حتى رضيت منها، ثم دفعتها عليه، و ضربه الأنصارى، فربك أعلم أينا قتله، إلا أنى سمعت امرأة فوق الدير تقول: قتله العبد الحبشى.

و قال أبو الحويرث: ما رأيت أحدا يشك أن عبد الله بن زيد الأنصارى «۱» ضرب مسيلمة و زرقه وحشى فقاتلاه جميعا «۲».

و ذكر عمرو بن يحيى المازنى عن عبد الله بن زيد أنه كان يقول: أنا قتلته. و كان معاوية بن أبى سفيان يقول: أنا قتلته.

و كانت أم عبد الله بن زيد، و هى أم عمارة، نسيبة بنت كعب تقول: إن ابنها عبد الله هو الذى قتله. و كانت ممن شهد ذلك اليوم، و قطعت فيه يدها، و ذلك أن ابنها حبيب بن زيد كان مع عمرو بن العاص بعمان عند ما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فلما بلغ ذلك عمرا، أقبل من عمان، فسمع به مسيلمة، فاعترض له، فسبقه عمرو، و كان حبيب ابن زيد و عبد الله بن وهب الأسلمى فى الساقة، فأصابهما مسيلمة، فقال لهما:

أ تشهدان أنى رسول الله، فقال الأسلمى: نعم، فأمر به فحبس فى حديد، و قال لحبيب:

أتشهد أنى رسول الله، فقال: لا أسمع، فقال: أتشهد أن محمدا رسول الله، قال: نعم،

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۵۵۸)، الإصابة الترجمة رقم (۴۷۰۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۹۵۸)، الوافى بالوفيات (۱۷/ ۴۷)، تهذيب التهذيب (۵/ ۲۲۳)، تقريب التهذيب (۱/ ۴۱۷)، سير أعلام النبلاء (۲/ ۳۷۷).

(۲) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم (۴/ ۸۲): أنه اشترك فى قتل مسيلمة رجلان: رجل من الأنصار، و وحشى مولى جبير بن مطعم: و قال: و كان وحشى يقول: وقعت فيه حربتى و ضربه الأنصارى و الله يعلم أينا قتله. و كان يقول: قتلت خير الناس و شر الناس، حمزة و مسيلمة، و كانوا يقولون:

قتله العبد الأسود، فأما الأنصار فلا شك عندهم أن أبا دجانة سماك بن خرشة قتله.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۱

فأمر به فقطع. و كلما قال له: أتشهد أنى رسول الله، قال: لا أسمع، فإذا قال له: أتشهد أن محمدا رسول الله، قال: نعم، حتى قطعه عضوا عضوا، حتى قطع يديه من المنكبين و رجليه من الوركين، ثم حرقه بالنار، و هو كل ذلك لا ينزع عن قوله، و لا يرجع عن ما بدأ به، حتى مات فى النار، رحمه الله.

فلما تهيأ بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة جاءت أم عمارة إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فاستأذنته فى الخروج، فقال لها أبو بكر: ما مثلك يحال بينه و بين الخروج، قد عرفناك و عرفنا جزاءك فى الحرب، فاخرجى على اسم الله.

قالت فيما حدث به عنها ابن ابنها عباد بن تميم بن زيد: فلما انتهوا إلى اليمامة، و اقتتلوا، تداعت الأنصار: أخلصونا، فأخلصوا، فلما انتهينا إلى الحديقة ازدحمنا على الباب، و أهل النجدة من عدونا فى الحديقة، قد انحازوا، يكونون فئة لمسيلمة، فاقتحمنا فضاربناهم ساعة، و الله يا بنى ما رأيت أبذل لمهج أنفسهم منهم، و جعلت أقصد لعدو الله مسيلمة لأن أراه، و قد عاهدت الله لئن رأيته لا أكذب عنه أو أقتل دونه، و جعلت الرجال تختلط، و السيوف بينهم تختلف، و خرص القوم، فلا صوت إلا وقع السيوف، حتى بصرت بعدو الله

فأشد عليه، و يعرض لى منهم رجل، فضرب يدى فقطعها، فو الله ما عرجت عليها حتى أنتهى إلى الخبيث و هو صريع، و أجد ابنى عبد الله قد قتله.

و فى روايـة: و ابنى يمسـح سـيفه بثيابه، فقلت: أ قتلته؟ قال: نعم يا أمه، فسـجدت لله شـكرا، و قطع الله دابرهم، فلما انقطعت الحرب، و رجعت إلى منزلى، جاءنى خالـد بن الوليـد بطبيب من العرب، فـداوانى بالزيت المغلى، و كان و الله أشـد علىّ من القطع، و كان خالد كثير التعاهـد لى، حسن الصـحبة لنـا، يعرف لنا حقنا، و يحفظ فينا وصـية نبينا صـلى اللّه عليه و سـلم، قال عباد: فقلت: يا جـدة، كثرت الجراح فى المسـلمين؟ فقالت: يا بنى، لقد تحاجز الناس، و قتل عدو الله، و إن المسلمين لجرحى كلهم، لقد رأيت بنى أبى مجرحين، ما بهم حركة، و لقد رأيت بنى مالك بن النجار بضعة عشر رجلا، لهم أنين يكمدون ليلتهم بالنار.

و لقد أقام الناس باليمامة خمس عشـرة ليلة، و قد وضـعت الحرب أوزارها، و ما يصلى مع خالد بن الوليد من المهاجرين و الأنصار إلا نفر يسـير من الجراح، و ذلك أنا أتينا من قبل العرب، انهزموا بالمسلمين، إلا أنى أعلم أن طيئا قـد أبلت يومئذ بلاء حسـنا، لقد رأيت عدى بن حاتم يومئذ يصيح بهم: صبرا، فداكم أبى و أمى لوقع الأسل، و إن ابنى زيد الخيل يومئذ ليقاتلان قتالا شديدا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۲

و عن محمد بن يحيى بن حبارة، قال: جرحت أم عمارة يعنى يوم اليمامة، أحد عشـر جرحا بين ضـربة بسيف، أو طعنة برمح، و قطعت يدها سوى ذلك، فرئى أبو بكر يأتيها يسأل عنها، و هو يومئذ خليفة.

و قاتل كعب بن عجرة «۱» يومئذ، و انهزم الناس الهزيمة الآخرة، و جاوزوا الرحال منهزمين، فجعل يصيح: يا للأنصار، يا للأنصار الله و رسوله، حتى انتهى إلى محكم بن الطفيل، فضـربه محكم، فقطع شـماله، فو الله ما عرج عليها كعب، و أنه ليضـرب بيمينه، و إن شـماله لتهراق الدماء، حتى انتهى إلى الحديقة، فدخل.

و أقبل حاجب بن زيد بن تميم الأشهلى «۲» يصيـح بالأوس: يا للأشهل، فقال له ثابت ابن هذال: ناد يا للأنصار، فإنه جماع لنا و لك، فنـادى: يـا للأنصـار، يا للأنصار، حتى اشـتملت عليه حنيفـة، فانفرجت، و تحته منهم اثنان قـد قتلهما، و قتل رحمه الله، فخلفه فى مقامه عمير بن أوس، فاشتملوا عليه حتى قتل، رحمه الله.

و كان أبو عقيل الأزرقى، حليف الأنصار، بـدرى من أول من خرج يوم اليمامـة، رمى بسـهم فوقع بين منكبيه و فؤاده، فشـطب فى غير مقتل، فأخرج السـهم، و وهن شـقه الأيسر، و كانت فيه، و هـذا أول النهار و جروه إلى الرحل، فلما حمى القتال و انهزم المسـلمون و جـاوزوا رحـالهم، و أبو عقيل واهن من جرحه، سـمع معن بن عـدى يصيـح: يا للأنصار، الله و الكرة على عـدوكم، و أعنق معن بن عدى يقدم القوم، و ذلك حين صاحت الأنصار: أخلصونا، فأخلصوا رجلا رجلا، يتميزون.

قال أبو عمرو: و نهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد يا أبا عقيل؟ ما فيك قتال، قال: قد نوه المنادى باسمى، فقلت: إنما يقول: يا للأنصار، لا يعنى الجرحى، قال:

فأنـا رجل من الأنصـار، و أنـا أجيب و لو جبنوا، قـال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل، فأخـذ السـيف بيـده اليمنى مجردا، ثم جعل ينادى: يا للأنصار، كرة كيوم حنين، فاجتمعوا جميعا يقـدمون المسلمين دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة، فاختلطوا و اختلفت السيوف بيننا و بينهم، فنظرت إلى أبى عقيل و قد قطعت يده المجروحة من المنكب،

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۲۲۳)، الإصابة الترجمة رقم (۷۴۳۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۴۷۱)، جمهرة أنساب العرب (۴۴۲)، تهذيب الكمال (۱۱۴۶)، تاريخ الإسلام (۲/ ۳۱۳)، تهذيب التهذيب (۸/ ۴۳۵)، شذرات الذهب (۱/ ۵۸).

(۲) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۳۹۱)، الإصابة الترجمة رقم (۱۳۶۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۸۴۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۳

فوقعت إلى الأرض، و به أربعة عشر جرحا، كلها قد خلصت إلى مقتل، و قتل عدو الله مسيلمة.

قال ابن عمر: فوقفت على أبى عقيل و هو صريع بآخر رمق، فقلت: يا أبا عقيل، فقال لبيك بلسان ملتاث، ثم قال: لمن الدبرة، فقلت: أبشر و رفعت صوتى، قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، و مات، رحمه الله.

قال ابن عمر: فأخبرت أبى بعد أن قدمت بخبره كله، فقال: رحمه الله، ما زال يسأل الشهادة و يطلبها، و إن كان ما علمت لمن خيار أصحاب نبينا صلى اللّه عليه و سلم، و قديمى إسلامهم.

و ذكر مجاعة بن مرارة يوما، معن بن عدى، و كان نازلا به ليالى قدم على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، مع خلة كانت بينهما قبل ذلك قديمة، فلما قدم فى وفد اليمامة على أبى بكر، توجه أبو بكر رضى الله عنه، يوما إلى قبور الشهداء زائرا لهم فى نفر من أصحابه يمشون، قال: فخرجت معهم حتى أتوا قبور الشهداء السبعين يرحمهم الله، فقلت: يا خليفة رسول الله، لم أر قوما قط، أصبر لوقع السيوف، و لا أصدق كرة منهم، لقد رأيت رجلا منهم يرحمهم الله، و كانت بينى و بينه خلة، فقال أبو بكر رضى الله عنه:

معن بن عدى؟ قلت: نعم، و كان عارفا بما كان بينى و بينه، فقال: رحمه الله، ذكرت رجلا صالحا، حديثك، قلت: يا خليفة رسول الله، فأنظر إليه و أنا موثق فى الحديد فى فسطاط ابن الوليد، و انهزم المسلمون، انهزمت بهم الضاحية انهزامة ظننت أنهم لا يجتبرون لها، و ساءنى ذلك، قال أبو بكر: الله، لساءك ذلك؟ قلت: الله لساءنى، قال أبو بكر: الحمد لله على ذلك، قال: فأنظر إلى معن بن عدى قد كر معلما فى رأسه بعصابة حمراء، واضعا سيفه على عاتقه، و إنه ليقطر دما، ينادى: يا للأنصار، كرة صادقة، قال:

فكرت الأنصار عليه، فكانت الوقعة التى ثبتوا عليها حتى انتحوا و أباحوا عدوهم، فلقد رأيتنى و أنا أطوف مع خالد بن الوليد أعرفه قتلى بنى حنيفة، و إنى لأنظر إلى الأنصار و هم صرعى، فبكى أبو بكر رضى الله عنه، حتى بل لحيته.

و عن أبى سعيد الخدرى، قال: دخلت الحديقة حين جاء وقت الظهر، و استحر القتال، فأمر خالد بن الوليد المؤذن، فأذن على جدار الحديقة بالظهر، و القوم يضطربون على القتل، حتى انقطعت الحرب بعد العصر، فصلى بنا خالد الظهر و العصر، ثم بعث السقاة يطوفون على القتلى، فطفت معهم، فمررت بأبى عقيل الأنصارى البدرى، و به خمسة عشر جرحا، فاستسقانى، فسقيته، فخرج الماء من جراحاته كلها، و مات رحمه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۴

الله، و مررت ببشر بن عبد الله و هو قاعد فى حشوته، فاستسقانى، فسقيته، فمات، و مررت بعامر بن ثابت العجلانى و إلى جنبه رجل من بنى حنيفة به جراح، فسقيت عامرا فشرب و قال الحنفى: اسقنى فدى لك أبى و أمى، قلت: لا كرامة، و لكنى أجهز عليك، قال: قد أحسنت لى مسألة و لا شيء عليك فيها، أسألك عنها، قلت: و ما هى؟

قال: أبو ثمامة، ما فعل؟ قلت: قتل و الله، قال: نبى ضيعه قومه، قال أبو سعيد: فضربت عنقه.

و عن محمود بن لبيد قال: لما قتل خالد بن الوليد من أهل اليمامة من قتل، كانت لهم فى المسلمين أيضا مقتلة عظيمة «۱»، حتى أبيح أكثر أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قيل: لا ـ نغمد السيوف بيننا و بينهم عين تطرف و كان فيمن بقى من المسلمين جراحات كثيرة، فلما أمسى مجاعة بن مرارة، أرسل إلى قومه ليلا: أن ألبسوا السلاح النساء و الذرية و العبيد، ثم إذا أصبحتم فقوموا مستقبلى الشمس على حصونكم حتى يأتيكم أمرى، و بات خالد و المسلمون يدفنون قتلاهم، فلما فرغوا، رجعوا إلى منازلهم، فباتوا يتكمدون بالنار من الجراح.

فلما أصبح خالد، أمر بمجاعة، فسيق معه فى الحديد، فجعل يستبرئ القتلى، و هو يريد مسيلمة، فمر برجل و سيم، فقال: يا مجاعة، أ هو هذا؟ قال: لا، هذا و الله أكرم منه، هذا محكم بن الطفيل، ثم قال مجاعة: إن الذى تبتغون رجل ضخم أشعر البطن و الظهر، أبجر، بجرته مثل القدح، مطرق إحدى العينين، و يقال: هو أرجل أصيفر أخينس، قال:

و أمر خالد بالقتلى، فكشفوا حتى وجد الخبيث، فوقف عليه خالد، فحمد الله كثيرا، و أمر به فألقى فى البئر التى كان يشرب منها «۲».

قالوا: و لما أمسينا، أخذنا شعل السعف، ثم جعلنا نحفر لقتلانا حتى دفناهم جميعا، بدمائهم و ثيابهم، و ما صلينا عليهم، و تركنا قتلى بنى حنيفة، فلما صالحوا خالدا طرحوهم فى الآبار.

و كان خالد يرى أنه لم يبق من بنى حنيفة أحد إلا من لا ذكر له، و لا قتال عنده، فقال خالد لما وقف على مسيلمة مقتولا: يا مجاعة، هذا صاحبكم الذى فعل لكم

---

(۱) قال ابن الجوزى فى المنتظم (۴/ ۸۳): قال علماء السير: قتل من المسلمين يوم اليمامة أكثر من ألف، و قتل من المشركين نحو عشرين ألفا.

(۲) ذكر مثل هذا الخبر ابن الجوزى فى المنتظم (۴/ ۸۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۵

الأفاعيل، ما رأيت عقولا أضعف من عقول أصحابك، مثل هذا فعل بكم ما فعل، فقال مجاعة: قد كان ذلك يا خالد، و لا تظن أن الحرب انقطعت بينك و بين بنى حنيفة، و إن قتلت صاحبهم، إنه و الله ما جاءك إلا سرعان الناس، و إن جماعة الناس و أهل البيوتات لفى الحصون، فانظر، فرفع خالد بن الوليد رأسه و هو يقول: قاتلك الله، ما تقول؟ قال:

أقول و الله الحق، فنظر خالد، فإذا السلاح، و إذا الخلق على الحصون، فرأى أمرا غمه، ثم تشدد ساعتئذ و أدركته الرجولية، فقال لأصحابه: يا خيل الله اركبى، و جعل يدعو بسلاحه، و يقول: يا صاحب الراية قدمها، قال: و المسلمون كارهون لقتالهم، و قد ملوا الحرب، و قتل من قتل و عامة من بقى جريح.

فقال مجاعة: أيها الرجل، إنى لك ناصح، إن السيف قد أفناك و أفنى غيرك، فتعال أصالحك عن قومى، و قد أخل بخالد مصاب أهل السابقة، و من كان يعرف عنده الغناء، فقد رق و أحب الموادعة مع عجف الكراع، فاصطلحا على الصفراء و البيضاء، و الحلقة و الكراع، و نصف السبى، ثم قال مجاعة: آتى القوم فأعرض عليهم ما صنعت، قال:

فانطلق، فذهب ثم رجع، فأخبره أنهم قد أجازوه، فلما بان لخالد أنه إنما هو السبى، قال: ويلك، يا مجاعة خدعتنى فى يوم مرتين، قال مجاعة: قومى، فما أصنع، و ما وجدت من ذلك بدا، قد حضنى النساء، و أنشده قول امرأة من بنى حنيفة:

مسيلم لم يبق إلا النساءسبايا لذى الخف و الحافر

و طفل ترشحه أمهحفير متى يدع يستأخر

فأما الرجال فأودى بهمحوادث من دهرنا العاثر

فليت أباك مضى حيضهو ليتك لم تك فى الغابر

سحبت علينا ذيول البلاءو جئت بهن سمى قاشر

فمجاعة الخير فانظر لنافليس لنا اليوم من ناظر

سواك فإنا على حالةتروعنا مرة الطائر فقال: مجاعة: فكنت أجد من هذا بدا «۱».

و ذكر أن مجاعة لما ذهب إلى قومه ليعرض عليهم الصلح، انتهى إلى باب الحصن ليلا، فإذا امرأة تنشد هذا الشعر، فدنا منها مجاعة، فقال: هتم الله فاك، اسكتى، أنا مجاعة، ثم دخل الحصن و ليس فيه إلا النساء و الصبيان، فأمرهم بلبس السلاح و إطالة الإشراف، و القيام فى مصاف الرجال، فقال سلمة بن عمير لأصحابه: يا بنى حنيفة قاتلوا و لا

---

(۱) راجع ما ذكره ابن الجوزى فى صلح خالد بن الوليد مع أهل اليمامة (۴/ ۸۲- ۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۶

تصالحوا خالدا، فإن الحصن حصين، و الطعام كثير، و القوم قد أفناهم السيف، و من بقى منهم جريح، و لا تطيعوا مجاعة، فإنه إنما يريد أن ينفلت من إساره، فقال مجاعة: يا بنى حنيفة، أطيعونى و اعصوا سلمة، فإنى أخاف أن يصيبكم ما قال شرحبيل بن سلمة، أن تستردف النساء سبيات، و ينكحن غير حظيات، فأطاعوا مجاعة، و تم الصلح بينه و بين خالد.

و قال أسيد بن حضير «۱» و أبو نائلة لخالد لما صالح: يا خالد، اتق الله، و لا تقبل الصلح، قال خالد: إنه أفناكم السيف، قال أسيد: و إنه قد أفنى غيرنا أيضا، قال: فمن بقى منكم جريح، قال: و كذلك من بقى من القوم جرحى، لا ندخل فى الصلح أبدا، اغد بنا عليهم حتى يظفرنا الله بهم أو نبيد من آخرنا، احملنا على كتاب أبى بكر: إن أظفرك الله ببنى حنيفة فلا تبق عليهم، فقد أظفرنا الله بهم و قتلنا رأسهم، فمن بقى أكل شوكة، فبينما هم على ذلك إذ جاء كتاب أبى بكر يقطر الدم، و يقال: إنهم لم يمسوا حتى قدم سلمة بن سلامة بن وقش من عند أبى بكر بكتابين، فى أحدهما: بسم الله الرحمن، أما بعد فإذا جاءك كتابى، فانظر، فإن أظفرك الله ببنى حنيفة فلا تستبق منهم رجلا جرت عليه الموسى «۲».

فكلمت الأنصار فى ذلك، و قالوا: أمر أبى بكر فوق أمرك، فلا تستبق منهم أحدا، فقال خالد: إنى و الله ما صالحت القوم إلا لما رأيت من رقتكم، و لما نهكت الحرب منكم، و قوم قد صالحتهم و مضى الصلح فيما بيننا و بينهم، و الله لو لم يعطونا شيئا ما قاتلتهم، و قد أسلموا.

قال أسيد بن حضير: قد قتلت مالك بن نويرة و هو مسلم، فسكت عنه خالد، فلم يجبه، قالوا: و قال سلمة بن سلامة بن وقش: لا تخالف كتاب إمامك يا خالد، فقال خالد: و الله ما ابتغيت بذلك إلا الذى هو خير، رأيت أهل السابقة و أهل الفضل و أهل القرآن قد قتلوا، و لم يبق معى إلا قوم خشيت أن لا يكون لهم بقاء على السيف لو ألح عليهم، فقبلت الصلح، مع أنهم قد أظهروا الإسلام، و اتقوا بالراح.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۵۴)، الإصابة الترجمة رقم (۱۸۵)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۷۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱)، تهذيب الكمال (۱/ ۱۱۳)، تقريب التهذيب (۱/ ۷۸)، تهذيب التهذيب (۱/ ۳۴۷)، الوافى بالوفيات (۹/ ۲۵۸)، سير أعلام النبلاء (۱/ ۲۲۹)، الجرح و التعديل (۲/ ۱۱۶۳)، الرياض المستطابة (۲۹).

(۲) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى، ج۲،ص:۱۳۷

و كان خالد قد خطب إلى مجاعة ابنته، و كانت أجمل أهل اليمامة، فقال له مجاعة:

مهلا، إنك قاطع ظهرى و ظهرك عند صاحبك «۱»، إن القالة عليك كثيرة، و ما أقول هذا رغبة عنك، فقال له خالد: زوجنى أيها الرجل، فإنه إن كان أمرى عند صاحبى على ما أحب فلن يفسده ما تخاف علىّ، و إن كان على ما أكره، فليس هذا بأعظم الأمور، فقال له مجاعة: قد نصحتك، و لعل هذا الأمر لا يكون عيبة إلا عليك، ثم زوجه.

فلما بلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه، غضب، و قال لعمر بن الخطاب: و أبى خالد أنه لحريص على النساء، حين يصاهر عدوه، و ينسى مصيبته، فوقع عمر فى خالد، و عظم الأمر ما استطاع، فكتب أبو بكر إلى خالد مع سلمة بن سلامة:

يا خالد بن أم خالد، إنك لفارغ، تنكح النساء، و تعرس بهن، و ببابك دماء ألف و مائتين من المسلمين، لم تجف بعد، ثم خدعك مجاعة عن رأيك فصالحك على قومه، و لقد أمكن الله منهم، فى كلام غير هذا ذكره وثيمة فى الردة. فلما نظر خالد فى الكتاب قال: هذا عمل عمر «۲».

و كتب إلى أبى بكر جواب كتابه مع أبى برزة الأسلمى: أما بعد، فلعمرى ما تزوجت النساء حتى تم لى السرور، و قرت بى الدار، و ما تزوجت إلا إلى امرئ لو أعملت إليه من المدينة خاطبا لم أبل، دع أنى استشرت خطبتى إليه من تحت قدمى، فإن كنت كرهت لى

ذلك لدين أو دنيا اعتبتك، و أما حسن عزائى على قتلى المسلمين، فو الله لو كان الحزن يبقى حيا أو يرد ميتا لأبقى حزنى الحى ورد الميت، و لقد أقحمت فى طلب الشهادة حتى يئست من الحياة، و أيقنت بالموت، و أما خدعة مجاعة إياى عن رأيى، فإنى لم أخط رأى يومى، و لم يكن لى علم بالغيب، و قد صنع الله للمسلمين خيرا، أورثهم الأرض، و جعل لهم عاقبة المتقين.

فلما قدم الكتاب على أبى بكر رضى الله عنه، رق بعض الرقة، و تم عمر على رأيه الأول فى عيب خالد بما صنع، و وافقه على ذلك رهط من قريش، فقام أبو برزة الأسلمى فعذر خالدا، و قال: يا خليفة رسول الله، ما يؤبن خالد بجبن و لا خيانة، و لقد

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۳).

(۲) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم كتاب أبى بكر رضى الله عنه إلى خالد فقال: «... فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه: لعمرى يا ابن أم خالد، إنك لفارغ حين تتزوج النساء و حول حجرتك دماء المسلمين لم تجف بعد، فإذا جاءك كتاب فالحق بمن معك من جموعنا بأهل الشام، و اجعل طريقك على العراق، فقال: و هو يقرأ الكتاب: هذا عمل الأعيسر، يعنى عمر بن الخطاب.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۸

أقحم حتى أعذر، و صبر حتى ظفر، و ما صالح القوم إلا على رضاه، و ما أخطأ رأيه بصلح القوم، إذ هو لا يرى النساء فى الحصون إلا رجالا، فقال أبو بكر: صدقت لكلامك هذا أولى بعذر خالد من كتابه إلىّ.

و قد كان خالد لما وقع الصلح، خاف من عمر أن يحمل أبا بكر، رضى الله عنهما، عليه، فكتب إلى أبى بكر كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم لأبى بكر خليفة رسول الله من خالد بن الوليد، أما بعد، فإنى أقسم بالله أنى لم أصالحهم حتى قتل من كنت أقوى به، و حتى عجف الكراع، و هلك الخف، و نهك المسلمون بالقتل و الجراح، حتى إنى لأفعل أمورا أرى أنى فيها معزر، أباشر القتال بنفسى حتى ضعف المسلمون و نهكوا، حتى إن كنت لا تنكر، ثم أدخل بسيفى فرقا على المسلمين حتى جاء بالظفر، فله الحمد.

فسر أبو بكر بذلك، فدخل عليه عمر و هو يقرأ الكتاب، فدفعه إليه، فقرأه، فقال: إنما راقب خئونتهم و خالف أمرك، أ لا ترى إلى ذكره أنه يباشر القتال بنفسه، يمن عليك بذلك. فقال أبو بكر: لا تقل يا عمر، فإنه و الى صدق ميمون النقيبة، ناكى العدو، و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يقدمه و يقربه، و قد ولاه، فقال عمر: ولاه، و خالف أمره، و قبل بدخول الجاهلية حتى كان ما كان، فقال أبو بكر: دع هذا عنك، فقال عمر: سمعا و طاعة.

و لما فرغ خالد من الصلح، أمر بالحصون فألزمها الرجال، و حلف مجاعة بالله لا يغيب عنه شيئا مما صالحه عليه، و لا يعلم أحدا غيبة إلا رفعه إلى خالد، ثم فتحت الحصون، فأخرج سلاحا كثيرا، فجمعه خالد على حدة، و أخرج ما وجد فيها من دنانير و دراهم، فجمعه على حدة، و جمع كراعهم، و ترك الخف فلم يحركه و لا ـ الرثة، ثم أخرج السبى، فقسمه قسمين، ثم أقرع على القسمين، فخرج سهمه على أحدهما، و فيه: مكتوب لله، ثم جزأ الذى صار له من السبى على خمسة أجزاء، ثم كتب على كل سهم منها: لله، و جزأ الكراع، و الحلقة هكذا، و وزن الذهب و الفضة، فعزل الخمس، و قسم على الناس أربعة الأخماس، و أسهم للفرس سهمين، و لصاحبه سهما، و عزل الخمس من ذلك كله، حتى قدم به على أبى بكر الصديق، رضى الله عنه.

و لما انقطعت الحرب بين خالد و بين أهل اليمامة، تحول من منزله الذى كان فيه إلى منزل آخر، ينتظر كتاب أبى بكر يأمره أن ينصرف إليه بالمدينة، فبينا هو على ذلك، إذ

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۳۹

أقبل سلمة بن عمير الحنفى، و كان من شياطينهم، فقال لمجاعة: استأذن لى على الأمير، فإن لى إليه حاجة، فأبى مجاعة عليه، و قال: ويحك يا سلمة، ابق على نفسك، فقد آن لك أن تبصر ما أنت فيه، و الله لكأنى أنظر إلى خالد بن الوليد قد أمر بك فضربت عنقك.

فقال سلمة: ما بينى و بين خالد من عتاب، قد قتل قومى، فلهى عنه مجاعة، يطلب غرة من خالد، فأقبل مع الناس الذين يدخلون عليه، فلما رآه خالد التفت إلى مجاعة، فقال: و الله إنى لأعرف فى وجه هذا الشر، فقام إليه مجاعة و هو يخافه على الذى ظن به، فإذا هو مشتمل على السيف، فقال: يا عدو الله، لعنك الله، لقد أردت أن تستأصل حنيفة، و الله لو قتلته ما بقى من حنيفة صغير و لا كبير إلا قتل، ثم لببه بثوبه، و جعل يتله حتى أدخله بيتا، ثم أوثقه فى الحديد، و أغلق عليه، فأفلت من الليل و معه سيف، فوقع فى حائط من حوائط اليمامة، و علم شأنه و ما أراد من ضرب خالد بالسيف، و كان خالد قد أمر به أن تضرب عنقه، فكلمه فيه مجاعة، و قال: هبه لى يا أبا سليمان، فوهبه له، و قال له: أحسن أدبه، فذلك حين حذره مجاعة، فخرج بالسيف و اكتنفه أهل اليمامة، فلما رأى ذلك أمال السيف على حلقه، فقطع أوداجه، و سقط فى بئر هناك، فانقطع ذكره.

و حدث زيد بن أسلم عن أبيه، قال: كان أبو بكر حين وجه خالدا إلى اليمامة، رأى فى النوم كأنه أتى بتمر من تمر هجر «۱»، فأكل منها تمرة واحدة وجدها نواة على خلقة التمرة، فلاكها ساعة ثم رمى بها، فتأولها، فقال: ليلقين خالد من أهل اليمامة شدة، و ليفتحن الله على يديه إن شاء الله، فكان أبو بكر يستروح الخبر من اليمامة بقدر ما يجىء رسول خالد، فخرج أبو بكر يوما بالعشى إلى ظهر الحرة، يريد أن يبلغ صرارا، و معه عمر بن الخطاب و سعيد بن زيد و طلحة بن عبيد الله، و نفر من المهاجرين و الأنصار، فلقى أبا خيثمة النجارى قد أرسله خالد، فلما رآه أبو بكر قال له: ما وراءك يا أبا خيثمة؟ قال: خير يا خليفة رسول الله، قد فتح الله علينا اليمامة، قال: فسجد أبو بكر، قال أبو خيثمة: و هذا كتاب خالد إليك، فحمد الله أبو بكر و أصحابه، ثم قال:

أخبرنى عن الوقعة، كيف كانت؟.

فجعل أبو خيثمة يخبره كيف صنع خالد، و كيف صف أصحابه، و كيف انهزم المسلمون، و من قتل منهم، و جعل أبو بكر يسترجع و يترحم عليهم، و جعل أبو خيثمة

---

(۱) هجر: بفتح أوله و ثانيه، مدينة البحرين، و هى معرفة لا تدخلها الألف و اللام، سميت بهجر بنت مكنف من العماليق. انظر: الروض المعطار (۵۹۲)، معجم ما استعجم (۴/ ۱۳۴۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴۰

يقول: يا خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أتينا من قبل الأعراب، انهزموا بنا و عودونا ما لم نكن نحسن، حتى أظفرنا الله بعد، ثم قال أبو بكر: كرهت رؤيا رأيتها كراهية شديدة، و وقع فى نفسى أن خالدا سيلقى منهم شدة، و ليت خالدا لم يصالحهم، و أنه حملهم على السيف، فما بعد هؤلاء المقتولين يستبقى أهل اليمامة، و لن يزالوا من كذابهم فى بلية إلى يوم القيامة، إلا أن يعصمهم الله، ثم قدم بعد ذلك وفد اليمامة مع خالد على أبى بكر رضى الله عنه.

قال الواقدى: أجمع أصحابنا أن خالد بن الوليد قدم المدينة من اليمامة، و قدم بوفد اليمامة سبعة عشر رجلا من بنى حنيفة، فيهم مجاعة بن مرارة، و إخوته، و أن أبا بكر حبسهم، فلم يدخلهم عليه، فدخلوا على عمر بن الخطاب يكلمونه فى أن يكلم أبا بكر أن يأذن لهم فيدخلهم أو يأذن لهم فى الرجوع إلى بلادهم، فوجدوه يحلب شاة على رغيف فى صحفة، و معه عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب و ابنه زيد بن الخطاب، فهما ينزوان على ظهره، قالوا، أو من قال منهم: فنسبنا، فانتسبنا، فقرب تلك الصحفة و ما فيها، و قال: أصيبوا شيئا، فتحرمنا فأصبنا شيئا، فسألته: من هذان الغلامان؟ فقال: هذان ابنا زيد بن الخطاب رحمه الله، فوجمنا لأنا قتلنا زيدا، فلما رأى وجومنا قال: ما لكم قد سكتم؟ هذا أمر قد ذهب، حاجتكم، قالوا: فبسطنا، فقلنا: احتبسنا و لا نقدر على الدخول على أبى بكر، و لا السراح إلى بلادنا، فقال عمر: عليكم عهد الله و كفالته أن تناصحوا الإسلام و أهله، قلنا: نعم، قال: ارجعوا حتى تأتوا فى هذه الساعة من غد فأوصلكم إلى أبى بكر، فلما كان ذلك الوقت من الغد، جاءوه، فخرج معهم حتى أوصلهم إلى أبى بكر.

و قال زيد بن أسلم عن أبيه: لما دخلوا على أبى بكر الصديق، قال: ويحكم، ما هذا الذى استنزل منكم ما استنزل، و خدعكم، قالوا: يا

خلیفة رسول الله، قد کان الذی بلغک مما أصابنا.

و ذکر وثیمة أن الذی کلم أبا بکر منهم رجل من بنی سحیم، فقال: یا خلیفة رسول الله، کان رجلا مشئوما أصابته فتنة من حدیث النفس، و أمانی الشیطان، دعا إلیها أقواما مثله فأجابوه فلم یبارک الله له و لا لقومه.

قال أسلم فی حدیثه: ثم أقبل یعنی أبا بکر، علی مجاعة، فقال: یا مجاعة، أنت خرجت طلیعة لمسیلمة حتی أخذک خالد أخذا؟ فقال: یا خلیفة رسول الله، و الله ما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۱

فعلت، خرجت فی طلب رجل من بنی نمیر قد أصاب فینا دما، فهجمت علینا خیل خالد، و لقد کنت قدمت علی رسول الله، فلما ذکر رسول الله، قال أبو بکر: قل صلی اللّه علیه و سلم، فقال: صلی اللّه علیه و سلم، ثم رجعت إلی قومی، فو الله ما زلت معتزلا أمر مسیلمة حتی کان أوان قدمت علیک مقدمی هذا، ثم لم آل لخالد فیما استشارنی إلی الیوم، و قد جئناک لترضی عمن أساء، و تقبل ممن تاب، فإن القوم قد رجعوا و تابوا، فقال أبو بکر: أما أنی قد کتبت إلی خالد کتابا فی أثر کتاب آمره أن لا یستبقی من بنی حنیفة أحدا مرت علیه الموسی قال مجاعة: الذی صنع الله لک و لخالد خیر، یفیء الله بهم إلی الإسلام، قال أبو بکر: أرجو أن یکون ما صنع خالد خیرا، یا مجاعة أنی خدعتم بمسیلمة؟ قال: یا خلیفة رسول الله، لا تدخلنی فی القوم، فإن الله یقول: لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری [فاطر: ۱۸]، قال أبو بکر رضی الله عنه: فما کان یقول لقومه؟ قال: فکره مجاعة أن یخبره فقال أبو بکر: عزمت علیک لتخبرنی.

و فی غیر هذا الحدیث أن الرجل السحیمی الذی تقدم ذکره قبل أخبره بأنه کان یقول: یا ضفدع بنت ضفدعین، لحسن ما تنقنقین، لا الشارب تمنعین، و لا الماء تکدرین، امکثی فی الأرض حتی یأتیک الخفاش بالخبر الیقین، لنا نصف الأرض و لقریش نصفها، و لکن قریش قوم لا یعدلون. فاسترجع أبو بکر، ثم قال: سبحان الله، ویحکم، أی کلام هذا، إن هذا الکلام ما خرج من إل و لا بر، فأین ذهب بکم؟ الحمد لله الذی قتله، قالوا: یا خلیفة رسول الله، قد أردنا الرجوع إلی بلادنا، قال: ارجعوا، و کتب لهم کتابا آمنهم فیه.

و فی کتاب یعقوب الزهری: أن وفد بنی حنیفة لما قدموا، نادی أبو بکر أن لا یؤویهم أحد، و لا یبایعهم، و لا ینزلهم، و لا یکلمهم، فداروا فی المدینة لا یکلمون و لا یبایعون، فضاقت علیهم، فقیل لهم: ائتوا عمر، فجاءوه، فوجدوه معتقلا عنزا یحلبها علی رغیف، فلما رآهم، حلب، فاشتد حلبه حتی دار الرغیف فی القدح من شدة حلبه، ثم وضعه، فدعاهم فأکلوا معه، و معه صبیة صغیرة، فقالوا: إنا نعوذ بالله أن یرد علینا من إسلامنا ما یقبل من غیرنا، و إنا نشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، الذی لا إله إلا هو، الذی یعلم من السر ما یعلم من العلانیة، قال: الله، إن ما تقولون بألسنتکم لحق من قلوبکم، قالوا: الذی لا إله إلا هو إن ما نقول بألسنتنا لحق من قلوبنا، قال:

الحمد لله الذی جعل لنا من الإسلام ما یعزنا و یردنا إلیه. قال: أ فیکم قاتل زید بن الخطاب؟ قلنا: ما ترید بذلک؟ قال: أ فیکم قاتل زید؟ فقام أبو مریم، فقال: أنا قاتل زید،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۲

قال: و کیف قتلته؟ قال: اضطربت أنا و هو بالسیفین حتی انقطعا، ثم أطعنا بالرمحین حتی انکسرا، ثم اصطرعنا، فشحطته بالسکین شحطا، قال: یا بنیة، هذا قاتل أبیک، فوضعت یدها علی رأسها، و صاحت: یا أبتاه.

قال: ثم خرج حتی جاء أبا بکر، فاستأذن لنا علیه، فدخلنا فقلنا له کما قلنا لعمر، و ناشدنا کما ناشدنا عمر، فحلفنا له، فقال: الحمد لله الذی جعل لنا من الإسلام ما یعزنا و یردنا إلیه، قال: أ فیکم من رهط عامر بن مسلمة أحد؟ قال خالد: و ما تصنع بعامر و هذا مجاعة سید أهل الیمامة، فکررها أبو بکر، فقال: هل فیکم من رهط ثمامة ابن أثال أحد؟ قال خالد: و ما تصنع بثمامة، و هذا مجاعة سید أهل الیمامة، قال أبو بکر رضی الله عنه: إنهم أهل بیت اصطنعهم النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فأحب أن أصطنعهم، فقام مطرف بن النعمان بن سلمة، فقال: عامر بن سلمة عمی، و ثمامة بن أثال عمی، فاستعمله أبو بکر علی الیمامة.

و قال أبو بكر لخالد: سم لى أهل البلاء، فقال: يا خليفة رسول الله، كان البلاء للبراء بن مالك، و الناس له تبع.

و لما قدم خالد المدينة لم يبق بها دار إلا فيها باك لكثرة من قتل معه من الناس، فبكى أبو بكر رضى الله عنه، لما رأى ذلك، و قال ما أبعد ما رأى من الظفر، و الله لثابت بن قيس بن شماس «۱» أعز على الأنصار من أسماعها و أبصارها.

و كانت اليمامة فى ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة «۲»، و اختلف فى عدد من استشهد فيها من المسلمين، فأكثر ما فى ما وقع فى كتاب أبى بكر إلى خالد: أن ببابك دماء ألف و مائتين من المسلمين.

و قال سالم بن عبد الله بن عمر: قتل يوم اليمامة ستمائة من المهاجرين و الأنصار، و غير ذلك.

و قال زيد بن طلحة: قتل يوم اليمامة من قريش سبعون، و من الأنصار ستون، و من سائر الناس خمسمائة.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۵۳)، الإصابة الترجمة رقم (۹۰۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۶۹).

(۲) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم (۴/ ۸۳): أنها كانت سنة إحدى عشرة فى قول جماعة منهم أبو معشر، فأما ابن إسحاق فإنه قال فتح اليمامة و اليمن و البحرين، و بعث الجنود إلى الشام سنة اثنتى عشرة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴۳

و عن أبى سعيد الخدرى قال: قتلت الأنصار فى مواطن أربعة سبعين سبعين، يوم أحد سبعين، و يوم بئر معونة سبعين، و يوم اليمامة سبعين، و يوم جسر أبى عبيد سبعين.

و قال سعيد بن المسيب: قتلت الأنصار فى مواطن ثلاثة سبعين سبعين، فذكر ما تقدم إلا بئر معونة.

و ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يوما وقعة اليمامة و من قتل فيها من المهاجرين و الأنصار، فقال: أحلت السيوف على أهل السوابق من المهاجرين و الأنصار، و لم نجد المعول يومئذ إلا عليهم، خافوا على الإسلام أن يكسر بابه، فيدخل منه إن ظهر مسيلمة، فمنع الله الإسلام بهم، حتى قتل عدوه و أظهر كلمته، و قدموا يرحمهم الله، على ما يسرون به من ثواب جهادهم من كذب على الله و على رسوله، و رجع عن الإسلام بعد الإقرار به.

و فى رواية عنه: جعل منادى المسلمين، يعنى يوم اليمامة، ينادى: يا أهل الوجوه، لو لا ما استدرك خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، من جمع القرآن لخفت أن لا يلتقى المسلمون و عدوهم فى موضع إلا استحر القتل بأهل القرآن.

و لما قتل ثابت بن قيس بن شماس يوم اليمامة، و معه كانت راية الأنصار يومئذ، و هو خطيبهم و سيد من سادتهم، أرى رجل من المسلمين فى منامه ثابت بن قيس يقول له:

إنى موصيك بوصية، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، إنى لما قتلت بالأمس جاء رجل من ضاحية نجد و علىّ درع فأخذها، فأتى بها منزله فأكفأ عليها برمة، و جعل على البرمة رحلا، و خباؤه فى أقصى العسكر، إلى جنب خبائه فرس يستن فى طوله، فائت خالد بن الوليد فأخبره فليبعث إلى درعى فليأخذها، و إذا قدمت على خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأخبره أن علىّ من الدين كذا و لى من الدين كذا، و سعد و مبارك غلاماى حران، و إياك أن تقول هذا حلم، فتضيعه.

فلما أصبح الرجل أتى خالد بن الوليد فأخبره، فبعث خالد إلى الدرع فوجدها كما قال، و أخبره بوصيته فأجازها، و لا نعلم أحدا من المسلمين أجيزت، وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس «۱».

و قد روى أن بلال بن الحارث كان صاحب الرؤيا، رواه الواقدى، ثم قال بعقبه:

فذكرته، يعنى الحديث، لعبد الله بن سعد، فقال: حدثنى عبد الواحد بن أبى عون، قال:

---

(۱) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب هذا الخبر فى ترجمة ثابت رقم (۲۵۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۴

قال بلال: رأیت فی منامی کأن سالما مولی أبی حذیفة قال لی و نحن منحدرون من الیمامة إلی المدینة: إن درعی مع الرفقة الذین معهم الفرس الأبلق، تحت قدرهم، فإذا أصبحت فخذها من تحت قدرهم، فاذهب بها إلی أهلی، و إن علیّ شیئا من دین، فمرهم یقضونه، قال بلال: فأقبلت إلی تلک الرفقة، و قدرهم علی النار، فألفیتها و أخذت الدرع، و جئت أبا بکر فحدثته الحدیث، فقال: نصدق قولک، و نقضی دینه الذی قلت.

و قتل الله من بنی حنیفة یوم الیمامة عددا کثیرا، ففی کتاب یعقوب الزهری أنه قتل منهم أکثر من سبعة آلاف، و عن غیره أنه أصیب یومئذ من صلیب بنی حنیفة سبعمائة مقاتل، و کان داؤهم خبیثا، و الطارئ منهم علی الإسلام عظیما، فاستأصل الله تعالی شأفتهم، ورد ألفة الإسلام علی ما کانت علیه علی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم.

ذکر ردة بنی سلیم

ذکر الواقدی من حدیث سفیان بن أبی العوجاء السلمی، قال: و کان عالما بردة قومه، مع أنه کان من وعاة العلم، و ممن یوثق به فی الدین، قال: أهدی ملک من ملوک غسان إلی النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، لطیمة فیها مسک و عنبر، و خیل، فخرجت بها الرسل حتی إذا کانوا بأرض بنی سلیم، بلغتهم وفاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فتشجع بعض بنی سلیم علی أخذها و الردة، و أبی بعضهم من ذلک، و قالوا: إن کان محمد قد مات، فإن الله حی لا یموت، و کان الذین ارتدوا منهم عصیة و بنو عمیرة و بنو عوف، و بعض بنی جاریة، و الذین انتهبوا اللطیمة فتمزقوها، بنو الحکم بن مالک بن خالد بن الشرید.

فلما ولی أبو بکر کتب إلی معن بن حاجز «۱» فاستعمله علی من أسلم من بنی سلیم، و کان قد قام فی ذلک قیاما حسنا، ذکر وفاة النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و ذکر الناس ما قال الله لنبیه علیه السلام: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [الزمر: ۳۰]، و قال: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الآیة [آل عمران: ۱۴۴] و التی قبلها، مع آی من کتاب الله، فاجتمع إلیه بشر کثیر من بنی سلیم، و انحاز أهل الردة منهم فجعلوا یغیرون علی الناس، و یقطعون السبیل، فلما بدی لأبی بکر أن یوجه خالد بن الولید إلی الضاحیة، کتب إلی معین بن حاجز أن یلحق بخالد بن الولید هو و من معه من المسلمین، و یستعمل

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۴۹۹)، الإصابة الترجمة رقم (۸۴۷۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۴۹۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۵

علی عمله طریفة بن حاجز، ففعل، و أقام طریفة یکالب من ارتد بمن معه من المسلمین، یغیر علیهم و یغیرون علیه، إذ قدم الفجاءة، و هو إیاس بن عبد الله بن عبد یالیل بن عمیر ابن خفاف، علی أبی بکر الصدیق، فقال: یا أبا بکر، إنی مسلم، و قد أردت جهاد من ارتد من الکفار، فاحملنی و أعنی، فإنه لو کان عندی قوة لم أقدم علیک، و لکنی مضعف من الظهر و السلاح، فسر أبو بکر بمقدمه، فحمله علی ثلاثین بعیرا، و أعطاه سلاح ثلاثین رجلا، فخرج یستعرض المسلم و الکافر، فیأخذ أموالهم، و یصیب من امتنع مع قوم من أهل الردة قد تبعوه علی ذلک، لقد أغار علی قوم بالأرحضیة مسلمین، جاءوا یریدون أبا بکر، فسلبهم و قتلهم، و معه رجل من بنی الشرید، یقال له: نجبة بن أبی المثنی.

فلما بلغ أبا بکر خبره و ما صنع، کتب إلی طریفة بن حاجز: بسم الله الرحمن الرحیم، من أبی بکر خلیفة رسول الله إلی طریفة بن حاجز، سلام علیک، فإنی أحمد إلیک الله الذی لا إله إلا هو، و أسأله أن یصلی علی محمد صلی اللّه علیه و سلم أما بعد، فإن عدو الله الفجاءة أتانی، فزعم أنه مسلم، و سألنی أن أقویه علی قتال من ارتد عن الإسلام، فقویته، و قد انتهی إلی الخبر الیقین أنه قد استعرض المسلم و المرتد، یأخذ أموالهم، و یقتل من امتنع منهم، فسر إلیه بمن معک من المسلمین حتی تقتله أو تأسره، فتأتینی به فی

وثاق إن شاء الله، و السلام علیک و رحمة الله.

فقرأ طریفة کتاب أبی بکر علی قومه المسلمین، فحشدوا، و ساروا معه إلی الفجاءة، فقدم إلیهم نجبة بن أبی المثنی، فناوش المسلمین، و قتل نجبة، و هرب من کان معه إلی الفجاءة، ثم زحف طریفة إلی الفجاءة، فتصادما، و جعل المسلمون یرمون بالنبل، و رمی أصحاب الفجاءة شیئا و هم منکسرون لما یرون من انکسار الفجاءة و ندامته، فقال: یا طریفة «۱» و الله ما کفرت، و إنی لمسلم، و ما أنت بأولی بأبی بکر منی، أنت أمیره و أنا أمیره، قال طریفة: فإن کنت صادقا، فألق السلاح، ثم انطلق إلی أبی بکر فأخبره خبرک، فوضع الفجاءة السلاح، و أوثقه طریفة فی جامعة، فقال طریفة: لا تفعل، فإنک إن أقدمتنی فی وثاق أشعرتنی، فقال طریفة: هذا کتاب أبی بکر إلی: أن ابعثک إلیه فی وثاق، فقال الفجاءة: سمعا و طاعة، فبعث به فی جامعة مع عشرة من بنی سلیم، فأرسل به أبو بکر رضی الله عنه، إلی بنی جشم، فحرقه بالنار.

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۳۰۸)، الإصابة الترجمة رقم (۴۲۶۳)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۶۰۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۶

و قدم علی أبی بکر رضی الله عنه، قبیصة، أحد بنی الضربان، من بنی خفاف، فذکر أن مسلم، و أنه قومه لم یرتدوا، فأمره أبو بکر أن یقاتل بمن معه من سلیم علی الإسلام من ارتد عنه منهم، فرجع قبیصة إلی قومه، فاجتمع إلیه ناس کثیر ممن ثبت علی الإسلام، فخرج یتبع بهم أهل الردة یقتلهم حیث وجدهم، حتی مر ببیت خمیصة بن الحکم الشریدی، فوجده غائبا یجمع أهل الردة، و وجد جارا له مرتدا، فقتله، و استاق ماله و مضی حتی نزل منزلا، فذبح أصحابه شاة من غنم جار خمیصة، ثم راحوا، و یقبل خمیصة حتی أتی أهله، فیخبروه خبر جاره، فخرج فی طلب القوم حتی مر بمنزلهم حیث ذبحوا الشاة، فیجد رأسها مملولا، قد ترکه القوم، فأخذه، فجعل ینهش منه، و هو یطلبهم فأدرکهم و هو ینهشه و الدم یسیل علی لحیته، و کان رجلا أیدا، فقال لقبیصة: قتلت جاری؟ قال: إن جارک ارتد عن الإسلام، قال: فاردد ماله، فرد قبیصة ماله، فقال: و فقد الشاة التی ذبحوا، فقال: أین الشاة التی ذبحت؟ فقال: لا سبیل إلیها، قد أکلها القوم و هم مستحقون لذلک فی طلب قوم کفروا بعد إسلامهم، فقال: یا قبیصة، أمن بین من کفر تعدو علی جار لجأ إلی لأمنعه؟ فقال قبیصة: قد کان ذلک فاصنع ما أنت صانع، فطعن قبیصة بالرمح، فوقع فی واسط الرحل، فدقه و انثنی سنان الرمح، و خر قبیصة عن بعیره، فقال لخمیصة: إنک قد أشویتنی، فاکفف، فعدل خمیصة سنان رمحه بین حجرین ثم شد علی قبیصة، و هو یقول: أکفف بعد قتل جاری، لا و الله أبدا، فطعنه بالرمح فقتله و کان قبیصة قد فرق أصحابه، و بثهم قبل أن یلحقه خمیصة.

و کتب أبو بکر رحمه الله، إلی خالد بن الولید: أما بعد، فإن أظفرک الله ببنی حنیفة، فأقل اللبث فیهم حتی تنحدر إلی بنی سلیم فتطؤهم وطأة یعرفون بها ما منعوا، فإنه لیس بطن من العرب أنا أغیظ علیه منی علیهم، قدم قادمهم یذکر إسلاما و یرید أن أعینه، فأعنته بالظهر و السلاح، ثم جعل یعترض الناس، فإن أظفرک الله بهم فلا ألومک فیهم، فی أن تحرقهم بالنار، و تهول فیهم بالقتل، حتی یکون نکالا لهم.

قالوا: فجعل خالد بن الولید یبعث الطلائع أمامه، و سمعت بنو سلیم بمقبل خالد، فاجتمع منهم بشر کثیر یعرضون لهم، و جلهم بنو عصیة، و استجلبوا من بقی من العرب مرتدا، و کان الذی جمعهم أبو شجرة بن عبد العزی، فانتهی خالد إلی جمعهم بالجواء مع الصبح، فصاح خالد فی أصحابه، و أمرهم بلبس السلاح، ثم صفهم، و صفت بنو سلیم، و قد کل المسلمون و عجف کراعهم، و خفهم، و جعل خالد یلی القتال بنفسه، حتی أثخن فیهم القتل، ثم حمل علیهم حملة واحدة، فهربوا، و أسر منهم بشر کثیر، فجعل

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۴۷

یضرب أحدهم علی عاتقه فیجز له باثنین، و یبدو سحره، و یضرب الآخر من وسطه.

و فی حدیث سفیان بن أبی العوجاء: أن خالدا خطر لهم الخطائر، فحرقهم فیها بالنار، و أصاب أبو شجرة یومئذ، فی المسلمین و جرح

جراحات كثيرة، و قال فى ذلك أبياتا، يقول فى آخرها:

فرويت رمحى من كتيبة خالدو إنى لأرجو بعدها أن أعمرا و لما قدم خالد على أبى بكر، كان أول ما سأل عنه خبر بنى سليم، فأخبره خالد، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قدم على أبى بكر معاوية بن الحكم، و أخوه خميصة مسلمين، فقال أبو بكر لخميصة: أنت قتلت قبيصة، و رجعت عن الإسلام؟ قال: إنه قتل جارى، قال: و إن قتل جارك على ردة، قتلته، لن تفلت منى حتى أقتلك، فقال أخوه: يا خليفة رسول الله، كان يومئذ مرتدا كافرا موتورا، و قد تاب اليوم و راجع، و لكن نديه قال أبو بكر: فأخرج ديته، فقال: أفعل يا خليفة رسول الله، قال: فنعم الرجل كان قبيصة، و نعم السبيل مات عليه.

ثم قال لمعاوية: و عمدتم يا بنى الشريد إلى لطيمة بعث بها إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فانتهبتموها، و قلتم إن يقم بهذا الأمر رجل من قريش، فلعمرى ليرضى أن تدخلوا فى الإسلام مع الناس، فكيف يأخذكم بأمن الطريق إلى رجل قد مات، فإن طلب ما أخذتم فإنما يطلبها أهل بيته، فما كانوا يطلبون ذلك منكم و أنتم أخوالهم. قال معاوية: نحن نضمنها حتى نؤديها إليك، فحمل أبو بكر، معاوية اللطيمة التى أصابوها، و وقت لهم شهرين أو ثلاثة.

قال: فأداها إلى أبى بكر، ثم إن أبا شجرة أسلم، و دخل فيما دخل فيه الناس، فجعل يعتذر و يجحد أن يكون قال البيت المتقدم، فلما كان زمن عمر بن الخطاب، قدم أبو شجرة و أناخ راحلته بصعيد بنى قريظة، و جاء من حرة شوران، ثم أتى عمر و هو يقسم بين فقراء العرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنى، فإنى ذو حاجة، فقال: من أنت؟ قال:

أنا أبو شجرة بن عبد العزى، فقال له: يا عدو الله، أ لست الذى يقول:

فرويت رمحى من كتيبة خالدو إنى لأرجو بعدها أن أعمرا عمر الله سوء ما عشت لك يا خبيث، ثم جعل يعلوه بالدرة على رأسه، حتى سبقه عدوا، و عمر فى طلبه، فرجع أبو شجرة موليا إلى راحلته، فارتحلها، ثم شد بها فى حرة شوران راجعا إلى أرض بنى سليم، فما استطاع أبو شجرة أن يقرب عمر حتى توفى،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴۸

و إن كان إسلامه لا بأس به، و كان إذا ذكر عمر ترحم عليه، و يقول: ما رأيت أحدا أهيب من عمر بن الخطاب.

و قال أبو شجرة فيما كان من ذلك:

ضن علينا أبو حفص بنائله‌و كل مختبط يوما له ورق

ما زال يرهقنى حتى خذيت له‌و حال من دون بعض البغية الشفق

لما لقيت أبا حفص و شرطته‌و الشيخ يقرع أحيانا فينحمق

ثم ارعويت إلى و جناء كاشرة‌مثل الطريرة لم يثبت لها الأفق

أقبلت الخيل من شوران صادرة‌أنى لأزرى عليها و هى تنطلق

تطير مروا خطاها عن مناسمها‌كما ينقر عند الجهبذ الورق

إذا يعارضها خرق تعارضه‌ورهاء فيها إذا استعجلتها خرق

ينوء آخرها منها و أولها‌سرح اليدين معا نهاضة فتق و فى حديث هشام بن عروة عن أبيه: أن لقاء أبى شجرة عمر كان على غير ما تقدم، و أن أبا شجرة قدم المدينة، فأدخل راحلته بعض دورها، و دخل المسجد متنكرا، فاضطجع فيه، و كان عمر رضى الله عنه، قل شىء يظنه إلا كان حقا، فبينا عمر جالسا فى أصحابه، و أبو شجرة مضطجع، قال عمر: إنى لأرى هذا أبا شجرة، فقام حتى وقف عليه، فقال: من أنت؟ قال: رجل من بنى سليم، قال: انتسب، قال: فلان بن عبد العزى، قال: ما كنيتك؟ قال: أبو شجرة، فعلاه بالدرة.

ثم ذكر من تقريره على قوله: فرويت رمحى البيت، نحوا مما تقدم.

ردة البحرين «۱»

حدث يعقوب الزهرى عن إسحاق بن يحيى، عن عمه عيسى بن طلحة، قال: لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال صاحب المدائن: من يكفينى أمر العرب، فقد مات صاحبهم و هم الآن يختلفون بينهم، إلا أن يريد الله بقاء ملكهم فيجتمعوا على أفضلهم، فإنهم إن فعلوا صلح أمرهم، و بقى ملكهم، و أخرجوا العجم من أرضهم، قالوا:

نحن بذلك على أكمل الرجال، قال: من؟ قالوا: مخارق بن النعمان، ليس فى الناس مثله، و هو من أهل بيت قد دوخوا العرب و دانت لهم، و هؤلاء جيرانك بكر بن وائل، فأرسل

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۸۳- ۸۵)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۰۱)، الأغانى (۱۵/ ۲۵۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۴۹

منهم ناسا مع مخارق، فأرسل معه ستمائة من بكر بن وائل، الأشرف فالأشرف، و ارتد أهل هجر عن الإسلام.

و عن الحسن بن أبى الحسن: أن الجارود قام فى قومه، فقال: يا قوم، أ لستم تعلمون ما كنت عليه من النصرانية، و إنى لم آتكم قط إلا بخير، و إن الله تعالى بعث نبيه فنعى له نفسه و أنفسكم؟ فقال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر: ۳۰]، و قال: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً [آل عمران: ۱۴۴].

و فى حديث آخر، أنه قام فيهم، فقال: ما شهادتكم أيها الناس على موسى؟ قالوا:

نشهد أنه رسول الله، قال: فما شهادتكم على عيسى؟ قالوا: نشهد أنه رسول الله، قال:

و أنا أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، عاش كما عاشوا، و مات كما ماتوا، و أتحمل شهادة من أبى أن يشهد على ذلك، فلم يرتد من عبد القيس أحد.

و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، قال حين وفدوا عليه: «عبد القيس خير أهل المشرق، اللهم اغفر لعبد القيس ثلاثا، و بارك لهم فى ثمارهم»، فخرجوا مسرورين بدعوته و أهدوا له من طرائف ثمارهم، و ثبتوا على الإسلام حين الردة.

و كان النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، استعمل أبان بن سعيد بن العاص «۱» على البحرين، و عزل العلاء بن الحضرمى، فسأل أبان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أن يحالف عبد القيس، فأذن له، فحالفهم، فلما بلغ أبان بن سعيد مسير من سار إليه مرتدين، قال لعبد القيس: أبلغونى مأمنى، فأشهد أمر أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فليس مثلى يغيب عنهم، فأحيا بحياتهم، و أموت بمماتهم، فقالوا: لا تفعل، فأنت أعز الناس علينا، و هذا علينا و عليك فيه مقالة، يقول قائل: فر من القتال، فأبى و انطلق معه ثلاثمائة رجل يبلغونه المدينة، فقال أبو بكر لأبان: أ لا ثبت مع قوم لم يبدلوا و لم يرتدوا؟ فقال: ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و ذكر أبان من عبد القيس خيرا، فدعا أبو بكر العلاء بن الحضرمى، فبعثه إلى البحرين، فى ستة عشر راكبا، و قال: امض، فإن أمامك عبد القيس، فسار حتى بلغهم، و مر بثمامة بن أثال الحنفى، فأمده برجال من قومه بنى سحيم، و لحق به ثمامة، فخرج

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۴)، الإصابة الترجمة رقم (۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲)، نسب قريش (۱۷۴، ۱۷۵)، طبقات خليفة (۲۹۸)، الجرح و التعديل (۲/ ۲۹۵)، تاريخ الإسلام (۱/ ۳۷۶، ۳۷۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۰

العلاء بمن معه حتى نزل بحصن يقال له جواثى، و كان مخارق قد نزل بمن معه من بكر بن وائل المشقر، فسار إليهم العلاء فيمن اجتمع إليه من المسلمين، فقاتلهم قتالا شديدا، حتى كثرت القتلى و أكثرها فى أهل الردة، و الجارود بالخط يبعث البعوث إلى العلاء، و بعث مخارق الخطم بن شريح، أحد بنى قيس بن ثعلبة إلى مرزبان الخط يستمده، فأمده بالأساورة، فنزل الخطم ردم الفلاح، و كان

حلف أن لا یشرب الخمر حتی یری هجر، فقالوا له: هذه هجر، و أخذ المرزبان الجارود رهینة عنده، و قال عبد الرحمن بن أبی بکرة: أخذ الخطم الجارود، فشده فی الحدید، و سار الخطم و أبجر بن العجلی فیمن معهما حتی حصروا العلاء بن الحضرمی بجواثی. فقال عبد الله بن حذف أحد بنی عامر بن صعصعة:

ألا أبلغ أبا بکر رسولاو سکان المدینة أجمعینا

فهل لکم إلی نفر یسیرمقیم فی جواثی محصرینا

کأن دماءهم فی کل شمسشعاع الشمس یغشین العیونا

توکلنا علی الرحمن إناوجدنا النصر للمتوکلینا «۱» فمکثوا علی ذلک محصورین، فسمع العلاء و أصحابه ذات لیلة لغطا فی عسکر المشرکین، فقالوا: و الله لوددنا أن لو علمنا أمرهم، فقال عبد الله بن حذف: أنا أعلم لکم علمهم، فدلونی بحبل، فدلوه، فأقبل حتی یدخل علی أبجر بن جابر العجلی، و أم عبد الله امرأة من بنی عدل، فلما رآه أبجر، قال: ما جاء بک، لا أنعم الله بک علینا؟ قال: یا خالی، الضرر و الجوع و شدة الحصار، و أردت اللحاق بأهلی، فزودنی. قال أبجر:

أفعل، علی أنی أظنک و الله علی غیر ذلک، بئس ابن الأخت سائر اللیلة، فزوده و أعطاه نعلین، و أخرجه من العسکر، و خرج معه حتی برزا، فقال له: انطلق، فإنی و الله لأراک بئس ابن الأخت أنت هذه اللیلة، فمض ابن حذف کأنه لا یرید الحصن، حتی أبعد، ثم عطف فأخذ بالحبل، فصعد الحصن، فقالوا: ما وراءک؟ قال: ورائی و الله أنی ترکتهم سکاری لا یعقلون، قد نزل بهم تجار من تجار الخمر، فاشتروا منهم ثم وقعوا فیها، فإن کانت لکم حاجة بهم فاللیلة، فنزل إلیهم المسلمون، فبیتوهم، و وضعوا فیهم سلاحهم حیث شاءوا «۲».

و قال إسحاق بن یحیی بن طلحة فی حدیثه: کان العلاء فی ثلاثمائة و ستة و عشرین

---

(۱) انظر الأبیات فی: البدایة و النهایة (۶/ ۳۲۱).

(۲) راجع ما ذکره ابن کثیر فی البدایة (۶/ ۳۲۰- ۳۲۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۵۱

من المهاجرین، فطرقوهم، فوجدوهم قد ثملوا، فقتلوهم، فلم یفلت منهم أحد، و وثب الخطم و هو سکران، فوضع رجله فی رکاب فرسه، ثم جعل یقول: من یحملنی، فسمعه عبد الله بن حذف، فأقبل نحوه و هو یقول: أبا ضبیعة؟ قال: نعم، قال: أنا أحملک، فلما دنا منه ابن حذف ضربه حتی قتله، و قطعت رجل أبجر بن جابر العجلی فمات منها و قد کان قال حین قطعت: قاتلک الله یا ابن حذف، ما أشأمک، و قد قیل إن عفیف بن المنذر، أحد بنی عمرو بن تمیم، هو الذی سمع کلام الخطم حین رام الرکوب، فلم یستطع، فقال: أ لا رجل من بنی قیس بن ثعلبة یعقلنی اللیلة، فقال له عفیف و قد عرف صوته: أبا ضبیعة، أعطنی رجلک، فأعطاه إیاها، یظن أنه یعقله علی فرسه، فأطنها من الفخذ و ترکه، فقال: أجهز علی، فقال: إنی أحب أن لا تموت حتی أمصک، و کان مع عفیف تلک اللیلة عدة من بنی أبیه أصیبوا.

و قتل لیلتئذ مسمع بن سنان، أبو المسامعة، و انهزم الباقون، حتی صاروا فی ناحیة من البحرین فعصموا بمفروق الشیبانی.

قال إسحاق: و أصبح ما أفاء الله علی المسلمین من خیولهم، و ما سوی ذلک عند العلاء فی حصن جواثی، ثم صار العلاء إلی المدینة فقاتلهم قتالا شدیدا، و هزمهم الله حتی لجئوا إلی باب المدینة، فضیق علیهم، فلما رأی ذلک مخارق و من معه، قالوا: إن خلوا عنا رجعنا من حیث جئنا، فشاور العلاء أصحابه، فأشاروا علیه أن یخلی عنهم، فخرجوا فلحقوا ببلادهم، و بقی أهل المدینة، فطلبوا الصلح و الأمان، فصالحهم العلاء علی ثلث ما فی أیدیهم بالمدینة من أموالهم، و ما کان من شیء خارج منها، فهو له، فبعث العلاء بمال کثیر إلی المدینة.

و فى غير هذا الحديث أن عبد القيس لما أوقعوا تلك الليلة ببكر بن وائل، طفقت بكر تنادى: يا عبد القيس، إياكم مفروق بن عمرو فى جماعة بكر بن وائل، فقال عبد الله بن حذف فى ذلك:

لا توعدونا بمفروق و أسرته‌إن يأتنا يلق منا سنة الخطم

النخل ظاهرها خيل و باطنهاخيل تكردس بالفرسان كالنعم

و إن ذا الحى من بكر و إن كثرواالأمة داخلون النار فى أمم ثم سار العلاء بن الحضرمى إلى الخط حتى نزل على الساحل، فجاءه نصرانى، فقال له: ما لى إن دللتك على مخاضة تخوض منها الخيل إلى دارين، قال: و ما تسألنى؟ قال: أهل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۲

بيت بدارين، قال: هم لك، فخاض به و بالخيل إليهم، فظفر عليهم عنوة، و سبى أهلها، ثم رجع إلى عسكره.

و قال إبراهيم بن أبى حبيبة: حبس لهم البحر حتى خاضوه إليهم، و جازه العلاء و أصحابه مشيا على أرجلهم، و قد تجرى فيه السفن قبل، ثم جرت فيه بعد، فقاتلهم، فأظفره الله بهم، و سلموا له ما كانوا منعوا من الجزية التى صالحهم عليها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و يروى أنه كان للعلاء بن الحضرمى و من كان معه جوار إلى الله تعالى فى خوض هذا البحر، فأجاب الله دعائهم، و فى ذلك يقول عفيف بن المنذر، و كان شاهدا معهم «۱»:

أ لم تر أن الله ذلل بحره‌و أنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذى شق البحار فجاءنابأعظم من غلق البحار الأوائل و فى حديث غيره، قال: لما رأى ذلك أهل الردة من أهل البحرين سألوه الصلح على ما صالح عليه أهل حجر.

و لما ظهر العلاء بن الحضرمى على أهل الردة و المجوس من أهل البحرين، أقام عليها أميرا، و بعث أربعة عشر رجلا من رؤساء عبد القيس وفدا إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فنزلوا على طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام، و أخبروهما بمسارعتهم إلى الإسلام و قيامهم فى الردة، ثم دخل القوم على أبى بكر، و حضر الزبير و طلحة رضى الله عنهم، فقالوا: يا خليفة رسول الله، إنا قوم أهل إسلام، و ليس شىء أحب إلينا من رضاك، و نحن نحب أن تعطينا أرضا من أرض البحرين و طواحين، فأبى أبو بكر، فكلمه فى ذلك طلحة و الزبير، فأذعن، و قال: اشهدوا أنى قد فعلت و أعطيتهم كل ما سألونى، و عرفت لهم قدر إسلامهم، فجزوه خيرا.

فلما خرجوا من عنده، قال لهم طلحة: إن هذا الأمر لا نراه يليه بعد أبى بكر إلا عمر، فكلموا أبا بكر يكتب لكم كتابا، و يشهد فيه عمر، فلا يكون لعمر بعد هذا اليوم كلام، فعادوا إلى أبى بكر، فذكروا له ذلك، فدعا عبد الله بن الأرقم، فقال: اكتب لهم بهذا الذى أعطيتهم، ففعل، و شهد فى الكتاب عشرة من قريش و الأنصار، و لم يكن عمر بن الخطاب حاضرا، فانطلقوا إليه، فأقرءوه الكتاب، فلما قرأه فض الخاتم ثم تفل

---

(۱) انظر الأبيات فى: البداية و النهاية (۶/ ۳۲۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۳

فيه، و رده عليه، فأقبل الوفد على طلحة، فقالوا: هذا عملك أنت، أمرتنا أن نشهد عمر، و اتهموه فى أمرهم، فقال طلحة: و الله ما أردت إلا الخير، فرجعوا إلى أبى بكر غضابا، فخبروه الخبر، و دخل طلحة و الزبير، فقالا: و الله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر، فقال أبو بكر: و ما ذاك؟ فأخبروه، فقال: فما صنع عمر بالكتاب؟.

قالوا: فض الخاتم و تفل فى الكتاب و محاه، فقال أبو بكر: لئن كان عمر كره من ذلك شيئا، فإنى لا أفعله، فبينما هم كذلك إذ جاء عمر، فقال له أبو بكر: ما كرهت من هذا الكتاب؟ فقال: كرهت أن تعطى الخاصة دون العامة، و لكن اجعل أمر الناس واحدا لا يكون

عندك خاصة دون عامة، و إلا فأنت تقسم على الناس فيئهم، فتأبى أن تفضل أهل السابقة و أهل بدر و تعطى هؤلاء قيمة عشرين ألفا دون الناس، فقال أبو بكر:

وفقك الله و جزاك خيرا، فهذا هو الحق.

و ذكر وثيمة بن موسى: أن بكر بن وائل لما خفت عند ردة العرب بعد وفاة النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، قالوا: و الله لنردن هذا الملك إلى آل النعمان بن المنذر، فبلغ ذلك كسرى، فبعث فى وجوههم، فقدموا عليه و عنده يومئذ المخارق بن النعمان و هو المنذر بن النعمان بن المنذر، و كان يسمى الغرور، فقال لهم: سيروا مع المنذر بن النعمان، فإنى قد ملكته، فخذوا البحرين، فساروا، و سارت معه الأساورة، و هم يومئذ ستة آلاف راكب، ثم إن كسرى ندم على تمليك المنذر و توجيه من وجه معه، و قال: غلام موبق، قتلت أباه، معه كتيبة النعمان من بكر بن وائل يأتون إخوتهم من عبد القيس، و هو غلام فتى السن لم يختبر، هذا خطأ من الرأى، فصرفه إليه، و انكسر المنذر للذى صنع به، ثم عاود كسرى رأيه فيه لكلام بلغه عنه، فأمضاه و سرح معه أبجر بن جابر العجلى، ثم ذكر حديثا طويلا تتخلله أشعار كثيرة لم أر لذكر شيء منها وجها، و استغنيت من حديثهم بما تقدم منه.

و ذكر أن المنذر لما كان من ظهور الإسلام ما تقدم ذكره هرب إلى الشام، فلحق ببنى جفنة، و ندم على ما مضى منه، ثم ألقى الله فى قلبه الإسلام، فأسلم، فكان بعد إسلامه، يقول: لست بالغرور و لكنى المغرور، هذا ما ذكره وثيمة فى شأن الغرور.

و ذكر سيف فى فتوحه و حكاه الدارقطنى عنه، قال: الغرور بن سويد أسر يوم البحرين، أسره عفيف بن المنذر و أجاره، فأتى به العلاء بن الحضرمى، فقال: إنى قد أجرت هذا، قال: و من هو؟ قال: الغرور، قال: أنت غررت هؤلاء؟ قال: إنى لست

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۴

بالغرور و لكنى المغرور، قال: أسلم، فأسلم، و بقى بهجر، و كان اسمه الغرور و ليس بلقب.

ذكر ردة أهل دبا و أزد عمان «۱»

و كان وفد الأزد من أهل دبا قد قدموا على النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، مقرين بالإسلام، فبعث عليهم مصدقا منهم، يقال له حذيفة بن اليمان الأزدى، من أهل دبا، و كتب له فرائض صدقات أموالهم، و رسم له أخذها من أغنيائهم وردها على فقرائهم، ففعل حذيفة ذلك، و بعث إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، بفرائض فضلت من صدقاتهم لم يجد لها موضعا، فلما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، منعوا الصدقة و ارتدوا، فدعاهم حذيفة إلى التوبة، فأبوا، و أسمعوه شتم النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، فقال: يا قوم، أسمعونى الذى فى أبى و فى أمي، و لا تسمعونى الأذى فى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فأبوا إلا ذلك، و جعلوا يرتجزون:

لقد أتانا خير ردى أمست قريش كلها نبى

ظلم لعمر الله عبقرى «۲»

فكتب حذيفة إلى أبى بكر الصديق بما كان منهم، فاغتاظ أبو بكر عليهم غيظا شديدا، و قال: من هؤلاء، ويل لهم، ثم بعث إليهم عكرمة بن أبى جهل، و كان النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، استعمله على سفلى بن عامر بن صعصعة مصدقا، فلما بلغته وفاة النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، انحاز إلى تبالة فى أناس من العرب ثبتوا على الإسلام، فكان مقيما بتبالة من أرض كعب بن ربيعة، فجاءه كتاب أبى بكر الصديق و كان أول بعث بعثه إلى أهل الردة، أن سر فيمن قبلك من المسلمين إلى أهل دبا، فسار عكرمة فى نحو ألفين من المسلمين، و رأس أهل الردة لقيط بن مالك، فلما بلغه مسير عكرمة بعث ألف رجل من الأزد يلقونه، و بلغ عكرمه أنهم فى جموع كثيرة، فبعث طليعة، و كان لأصحاب لقيط أيضا طليعة، فالتقى الطليعتان فتناوشوا ساعة.

ثم انكشف أصحاب لقيط، و بعث أصحاب عكرمة فارسا نحو عكرمة، فلما أتاه الخبر أسرع بأصحابه و من معه حتى لحق طليعته، ثم زحفوا جميعا ميمنة و ميسرة، و سار

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۸۵)، تاریخ الطبری (۳/ ۳۱۴)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۳۲۳- ۳۲۵).

(۲) انظر الأبیات فی: الروض المعطار ص (۲۳۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۵۵

علی تعبئته حتی إذا أدرک القوم و التقوا فاقتتلوا ساعة، ثم رزق الله عکرمة علیهم الظفر، فهزمهم و أکثر فیهم القتل، و خرجوا منهزمین راجعین إلی لقیط بن مالک، فأخبروه أن جمع عکرمة مقبل إلیهم، و أنهم لا طاقة لهم بهم، و فقدوا من أصحابهم بشرا کثیرا، منهم من قتل و منهم من أسره عکرمة أسرا.

فلما انتهوا إلی لقیط مفلولین قوی حذیفة بن الیمان بمن معه من المسلمین، فناهضهم و ناوشهم، و جاء عکرمة فی أصحابه، فقاتل معهم، فأصابوا منهم مائة أو نحوها فی المعرکة، ثم انهزموا حتی دخلوا مدینة دبا «۱»، فتحصنوا فیها، و حصرهم المسلمون فی حصنهم شهرا أو نحوه، و شق علیهم الحصار، إذ لم یکونوا أخذوا له أهبته، فأرسلوا إلی حذیفة رجلا- منهم یسألونه الصلح، فقال: لا إلا أن أخیرهم بین حرب مجلیة أو سلم مخزیة، قالوا: أما الحرب المجلیة فقد عرفناها، فما السلم المخزیة؟.

قال: تشهدون أن قتلانا فی الجنة و قتلاکم فی النار، و أن ما أخذنا منکم فهو لنا و أن ما أخذتموه منا فهو رد علینا، و أنا علی حق و أنکم علی باطل و کفر و نحکم فیکم بما رأینا، فأقروا بذلک، فقال: اخرجوا عن مدینتکم عزلا- لا- سلاح معکم، ففعلوا، فدخل المسلمون حصنهم، فقال حذیفة: إنی قد حکمت فیکم: أن أقتل أشرافکم، و أسبی ذراریکم. فقتل من أشرافهم مائة رجل، و سبی ذراریهم، و قدم حذیفة بسبیهم إلی المدینة و هم ثلاثمائة من المقاتلة، و أربعمائة من الذریة و النساء، و أقام عکرمة بدبا عاملا علیها لأبی بکر، فلما قدم حذیفة بسبیهم المدینة، اختلف فیهم المسلمون، فکان زید بن ثابت یحدث أن أبا بکر أنزلهم دار رملة بنت الحارث، و هو یرید أن یقتل من بقی من المقاتلة.

فکان من کلام عمر له: یا خلیفة رسول الله، قوم مؤمنون إنما شحوا علی أموالهم، و القوم یقولون: و الله ما رجعنا عن الإسلام، و لکن شحنا علی أموالنا، فیأبی أبو بکر أن یدعهم بهذا القول، و لم یزالوا موقفین فی دار رملة بنت الحارث، حتی توفی أبو بکر رضی الله عنه، و ولی عمر، فدعاهم، فقال: قد کان من رأیی یوم قدم بکم علی أبی بکر أن یطلقکم، و قد أفضی إلی الأمر، فانطلقوا إلی أی البلاد شئتم، فأنتم قوم أحرار لا فدیة علیکم، فخرجوا حتی نزلوا البصرة، و کان فیهم أبو صفرة والد المهلب، و هو غلام یومئذ، فکان ممن نزل البصرة.

(۱) دبا: مثل عصا، موضع بظهر الحیرة، و دبا فیما بین عمان و البحرین. انظر: الروض المعطار (۲۳۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۵۶

و روی عن ابن عباس: أن رأی المهاجرین فیهم إذا استأسرهم أبو بکر، کان قتلهم، أو فداءهم بأغلی الفداء، و کان عمر یری أن لا قتل علیهم و لا فداء، لم یزالوا محتبسین حتی ولی عمر، فأرسلهم بغیر فداء.

و یروی عن عمر بن عبد العزیز: أن عمر بن الخطاب قضی فیهم بأربعمائة درهم فداء، ثم نظر فی ذلک، فقال: لا سباء فی الإسلام و هم أحرار، و الأول أکثر.

و عن عروة قال: لما قدم أهل غزو دبا قافلین، أعطاهم أبو بکر خمسة دنانیر خمسة دنانیر «۱».

ذکر ردة صنعاء

و کان الأسود بن کعب العنسی «۲» قد ادعی النبوة فی عهد النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و اتبع علی ذلک، فتزوج المرزبانة امرأة باذان

الفارسى، و كانت من عظماء فارس، و قسرها على ذلك، فأبغضته أشد البغض، و سمعت به بنو الحارث بن كعب، من أهل نجران، و هم يومئذ مسلمون، فأرسلوا إليه يدعونه أن يأتيهم فى بلادهم، فجاءهم، فاتبعوه و ارتدوا عن الإسلام.

و يقال: دخلها يوم دخلها فى آلاف من حمير، يـدعى النبوة، و يشـهدون له بها، فنزل غمدان، فلم يتبعه من النخع و لا من جعفى أحد، و تبعه ناس من زبيد و مذحج، و عبس و بنى الحارث و أود و مسلية و حكم.

و أقام الأسود بنجران يسيرا، ثم رأى أن صنعاء خير له من نجران، فسار إليها فى ستمائة راكب من بنى الحارث، فنزل صنعاء، فأبت الأبناء أن يصدقوه، فغلب على صنعاء و استذل الأبناء بها، و قهرهم و أساء جوارهم لتكذيبهم إياه، فبعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، رجلا من الأزد، و قيل من خزاعة، يقال له و بر بن يحنس إلى الأبناء فى أمر الأسود، فدخل صنعاء مختفيا، فنزل على داذويه الأبناوى فخبأه عنده، و تآمرت الأبناء لقتل الأسود، فتحرك فى قتله نفر منهم قيس بن عبد يغوث المكشوح، و فيروز الديلمى، و داذويه الأبناوى، و كانت المرزبانة كما تقدم قد أبغضت الأسود أشد البغض، فوعدتهم

---

(۱) ذكر فى الروض المعطار جميع ما فى هذه القصة (۲۳۲- ۲۳۴).

(۲) اسمه: عبهلة بن كعب، يقال له: ذو الخمار، لقب بذلك لأنه كان يقول: يأتينى ذو خمار. انظر ترجمته فى المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۸- ۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۷

موعدا أتوا لميقاته، و قد سقته الخمر حتى سكر، فسقط نائما كالميت، فدخل عليه فيروز و قيس و نفر معهما، فوجدوه على فراش عظيم من ريش، قد غاب فيه، فأشفق فيروز أن يتعادى عليه السيف إن ضربه به، فوضع ركبته على صدر الكذاب، ثم فتل عنقه فحولها، حتى حول وجهه من قبل ظهره، و أمر فيروز قيسا، فاحتز رأسه، فرمى به إلى الناس، ففض الله الذين اتبعوه، و ألقى عليهم الخزى و الذلة، و خطب الناس قيس بن مكشوح، و أظهر أن الكذاب قتل بكذبه على الله، و أن محمدا رسول الله.

و بلغ الخبر بذلك إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو فى مرضه الذى توفى فيه، فقال صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر الأسود: «قتله الرجل الصالح فيروز الديلمى» «۱»، ورد فيروز و داذويه الأمر إلى قيس بن المكشوح، فكان أمير صنعاء، و بها يومئذ جماع من أصحاب الأسود الكذاب، فلما بلغتهم وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثبت قيس و الأبناء و أهل صنعاء على الإسلام، إلا أصحاب الأسود.

ثم إن قيسا خاف فيروز و داذويه أن يغلباه على سلطان صنعاء، فأجمع أن يفتك بهما، فأرسل إليهما يدعوهما، فجاء داذويه فقتله، و أقبل فيروز يريده، فأخبره بقتل داذويه، فهرب منه إلى أبى بكر رضى الله عنه، و ارتد قيس بن المكشوح، و أخرج الأبناء من صنعاء، فلم يبق بها أحد إلا فى جوار، فكان الشعبى يقول فيما ذكر عنه: باليمن رجلان لو انبغى لأحد أن يسجد لشىء دون الله لانبغى لأهل اليمن أن يسجدوا لهما: سيف بن ذى يزن فى الحبشة، و قيس بن مكشوح فى الأبناء الذين بصنعاء، يعنى إخراج سيف الحبشة و إخراج قيس الأبناء.

و لما بلغ خالد بن سعيد بن العاص ردة صنعاء، سار يومها، و كان فى ناحية أرض مراد، حتى دخلها، فاستعداه فيروز على قيس فى قتل داذويه، فبعث إليه من يأتى به، فذهب الرسول فأخذه، ثم أقبل به حتى إذا كان قريبا من صنعاء اختدع قيس الرسول حتى انفلت منه فدخل على خالد فقال: من جاءكم مسلما قد أصاب فى الجاهلية أشياء ما ذا عليه؟ فقال له خالد: هدم الإسلام ما قبله، فأسلم قيس، ثم خرج مع خالد إلى الصلاة فيجد فيروز فى المسجد، فقال له: يا فيروز، هل لك حاجة إلى الأمير؟.

فانكسر فيروز و دخل على خالد فاستعداه على قيس، فبعث أبو بكر إلى عكرمة بن أبى جهل، و هو يومئذ بأرض عمان: أن سر فى بلاد مهرة حتى تخرج على صنعاء، فخذ

(۱) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندى (۳۷۴۷۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۸

قيس بن مكشوح المرادى، فابعث به إلى فى وثاق، فسار عكرمة حتى دخل أرض مهرة، فقتل فيهم و سبى، و سار كذلك لا يطأ قوما إلا قاتلوه و قاتلهم، فقتل منهم و سبى، حتى رجعوا إلى الإسلام، و بعث بسبيهم إلى أبى بكر بالمدينة، ثم مضى على وجهه حتى خرج إلى صنعاء، فلقيه قيس و هو لا يدرى بالذى أمر فيه، فأمر به عكرمة، فجعل فى جامعة، و بعث به إلى أبى بكر، فلما دخل عليه عرفه أبو بكر بقتل داذويه، فحلف له ما يدرى من أمره شيئا، و لا يدرى من قتله، و رغب فى الجهاد فى سبيل الله، فخرج إلى قومه من مذحج، فاستجلبهم إلى الجهاد و رغبهم فيه، فخفوا فى ذلك و خرجوا حتى توجهوا إلى من بعث أبو بكر إلى الشام، فذلك أول نزول مذحج الشام.

ثم إن الأصفر العكى خرج هو و جماعة من قومه ممن ثبت على الإسلام حتى دخل نجران «۱»، و هو يريد قتال بنى الحارث بن كعب، فلما دخل عليهم الأصفر رجعوا إلى الإسلام من غير قتال، فأقام الأصفر فى نجران، و ضبطها، و غلب عليها ثم أمر أبو بكر المهاجر بن أبى أمية أن يستنفر من مر به من مضر و يقويهم و يعطيهم من مال أعطاه إياه أبو بكر، فسار المهاجر يؤم صنعاء، معه سرية من المهاجرين و الأنصار، فيجد المهاجر بنجران الأصفر العكى، ثم سار المهاجر إلى صنعاء و معه بشر كثير، فلقى جماعة من أصحاب الأسود منفصين، فأخذ عليهم الطريق و ألجأهم إلى غيضة، فقتل منهم و أسر، ثم أقبل بالأسرى، و مضى حتى دخل صنعاء، و قد كانت طوائف من زبيد «۲» ارتدت منهم عمرو بن معدى كرب، فاجتمع إلى خالد بن سعيد من ثبت على الإسلام من مراد و سائر مذحج، فلقى بهم بنى زبيد، فانهزموا و ظفر بهم خالد، فسبى منهم نسوة، منهن امرأة عمرو بن معدى كرب جلالة، و كانت أحسن النساء، و كان عمرو فيما ذكروا، غائبا عن ذلك القتال، فلما ظفر خالد، سألت منه زبيد أن يقرهم على الإسلام و يكف عنهم، فكف عنهم، و أسلموا، و بلغ الخبر عمرا، فأقبل حتى نزل بجانب عسكر خالد، ثم خرج ليلا فتلطف حتى لقى جلالة، فقال لها: يا جلالة، ما صنع بك خالد؟ فقالت: لم يصنع بى إلا خيرا، و لم يعرض علىّ من أمره إلا كرما، قال: هل قربك؟ قالت: لا و الله، و ما يحل له ذلك فى دينه، قال: فو رب الكعبة إن دينا منعه منك لدين صدق.

(۱) نجران: من بلاد اليمن، سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر: الروض المعطار (۵۷۳- ۵۷۶).

(۲) زبيد: مدينة باليمن بقرب الجند و معاثر، تسير فى صحراء رمال حتى تنتهى إلى زبيد، و ليس باليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد. انظر: الروض المعطار (۲۸۴)، نزهة المشتاق (۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۵۹

فلما أصبح عمرو غدا على خالد، فقال: ما تريد يا خالد بجلالة؟ قال: قد أسلمت، فإن تسلم أردها إليك، فأسلم عمرو، فردها إليه.

و قدم خالد المدينة، ثم قدم عمرو بن معدى كرب المدينة، فدخل على خالد داره، فقال له: إنى و الله ما وجدت شيئا أكافئك به فى جلالة إلا سيفى الصمصامة، ثم خلعه من عنقه فناوله إياه، و قال عمرو:

وهبت لخالد سيفى ثواباعلى الصمصامة السيف السلام

خليل لم أخنه و لم يخنىو لكن التواهب فى الكرام

ذكر ردة كندة و حضرموت

و كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، لما قدم عليه وفد كندة مسلمين استعمل عليهم زياد بن لبيد الأنصارى البياضى «۱»، و أمره بالمسير معهم، ففعل، و أقام معهم فى ديارهم يأخذ صدقاتهم حياة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كان رجلا مسلما، فلما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ولى أبو بكر، بعث أبا هند مولى بنى بياضة، بكتاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبى بكر خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى زياد بن لبيد، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد، فإن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم توفى، فإنا لله، و إنا إليه راجعون، فانظر و لاـ قوة إلاـ بالله أن تقوم قيام مثلك، و يبايع من عندك، فمن أبى وطئته بالسيف، و تستعين بمن أقبل على من أدبر، فإن الله مظهر دينه على الدين كله و لو كره المشركون.

فلما قدم أبو هند بكتاب أبى بكر رحمه الله، على زياد بن لبيد، قدم من الليل، و أخبره باجتماع الناس على أبى بكر، و أنه لم يكن بين المسلمين اختلاف، فحمد الله زياد على ذلك، فلما أصبح زياد غدا يقرئ الناس كما كان يفعل قبل ذلك، ثم دخل بيته، فلما جاءت الظهر، خرج إلى الصلاة و عليه السيف، فقال بعض الناس: ما شأن أميركم و السيف، فصلى الظهر بالناس، ثم قال:

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۸۳۹)، الإصابة الترجمة رقم (۲۸۷۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۸۰۹)، التاريخ الكبير (۳/ ۳۴۴)، أنساب الأشراف (۱/ ۲۴۵)، الجرح و التعديل (۳/ ۵۴۳)، تهذيب الكمال (۹/ ۵۰۶)، تهذيب التهذيب (۳/ ۳۸۲)، الوافى بالوفيات (۱۵/ ۱۰)، تاريخ الإسلام (۱/ ۵۲)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۹۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۰

أيها الناس، إن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم توفى، فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد توفى، و من كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، و قد اجتمع المسلمون على أفضلهم من أنفسهم و لم يكن بينهم اختلاف فى أبى بكر بن أبى قحافة، و قد كان النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، يأمره فى مرضه أن يصلى بالناس، فبايعوا أيها الناس، و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا.

فقال الأشعث بن قيس: إذا اجتمع الناس، فما أنا إلا كأحدهم، و نكص عن التقدم إلى البيعة، فقال امرؤ القيس بن عابس الكندى: أنشدك الله يا أشعث، و وفادتك على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و إسلامك أن تنقضه اليوم، و الله ليقومن بهذا الأمر من بعده من يقتل من خالفه، فإياك إياك، أبق على نفسك فإنك إن تقدمت تقدم الناس معك، و إن تأخرت افترقوا و اختلفوا، فأبى الأشعث، و قال: قد رجعت العرب إلى ما كانت الآباء تعبد، و نحن أقصى العرب دارا من أبى بكر، أ يبعث أبو بكر إلينا الجيوش؟ قال: أى و الله، و أحرى أن لا يدعك عامل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ترجع إلى الكفر.

قال الأشعث: من قال زياد بن لبيد، فتضاحك، ثم قال: أ ما يرضى زياد أن أجيره، فقال امرؤ القيس: سترى، ثم قام الأشعث، فخرج من المسجد إلى منزله، و قد أظهر ما أظهره من الكلام القبيح من غير أن يكون نطق بالردة، و وقف يتربص، و قال: نقف أموالنا بأيدينا و لا ندفعها، و نكون من آخر الناس، و بايع زياد بن لبيد لأبى بكر من بعد الظهر إلى أن قامت العصر، فصلى بالناس العصر، ثم انصرف إلى بيته، ثم غدا على الصدقة من الغد كما كان قبل، و هو أقوى ما كان نفسا، و أشده لسانا، فبينا هو يصدق إلى أن أخذ قلوصا فى الصدقة من فتى من كندة، فلما أمر بها زياد تعقل و توسم بميسم السلطان، و كان الميسم لله، أتى الفتى، فصاح: يا حارثة بن سراقة «۱»، يا أبا معدى كرب، عقلت البكرة، فأتى حارثة إلى زياد، فقال: أطلق للفتى بكرته، فأبى زياد، فقال:

قد عقلتها و وسمتها بميسم السلطان، فقال حارثة: أطلقها أيها الرجل طائعا، خير من أن تطلقها و أنت كاره، قال زياد: لا و الله لا أطلقها و لا نعمت عين. فقام حارثة فحل عقالها و ضرب على جنبها، فخرجت القلوص تعدو إلى الأنهار، و جعل حارثة يقول:

أطعنا رسول الله ما كان وسطنافيا قوم ما شأنى و شأن أبى بكر

أ يورثها بكرا إذا مات بعدهفتلك إذا و الله قاصمة الظهر

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۴۵۹)، الإصابة الترجمة رقم (۱۵۲۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۹۹۳)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۱۲)، الجرح و التعديل (۱/ ۱۴۵)، شذرات الذهب (۱/ ۹)، تصحيفات المحدثين (۹۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۱

قالوا: فكان زياد يقاتلهم النهار إلى الليل، فلما كان يوم من تلك الأيام، ضاربهم كذلك حتى أمسى، و لم يكن فيما مضى يوم أشد منه، كانت بينهم فيه قتلى و جراح.

قال أبو هند: برز منهم يومئذ رجل يدعو إلى البراز، فبرزت إليه، فتشاولنا بالرمحين نهارا طويلا، فلم يظفر واحد منا بصاحبه، ثم صرنا إلى السيفين، فما قدر واحد منا على صاحبه، و نحن فارسان إلى أن عثر فرسه، فاقتحم و صار راجلا، و يدرك فرسى فيضرب عرقوبيه، فوقعت إلى الأرض، و أفضى أحدنا إلى صاحبه، فبدرته، فأضربه، فأقطع يده من المنكب، فوقع السيف من يده، و ولى منهزما، و ألحقه، فأجهزت عليه، فما خرج أحد يدعو إلى البراز حتى صلح أمرهم.

قالوا: فلما أمسوا من ذلك اليوم، و تفرقوا، و زياد فى بيته قد بعث العيون، إذ جاءه عين له بعد أن ذهب عامة الليل فدله على عورة من عدوه، و قال: هل لك فى الظفر؟

فقال: ما هو؟ قال: ملوكهم الأربعة فى محجرهم قد ثملوا من الشراب، فسار من ساعته فى مائة رجل من أصحابه حتى انتهوا إلى المحجر، فتقدم العين فاستمع الصوت فإذا القوم قد هدوا و ناموا، فأغار عليهم، فقتل الملوك الأربعة، مخرس و مشرح و حمد و أبضعة، و أختهم العمرة ذبحهم ذبحا، و كانوا ملوك كندة و أشرافهم.

و يقال: كانت الملوك سبعة: الأشعث بن قيس، و مخرس، و حمد، و وديعة، و أبضعة، و مشرح، و وليعة. فقتل منهم أربعة، ثم رجع زياد إلى أهله، فأصبح القوم قد انكسر حدهم و ذلوا.

و قالوا: إن العمردة لما توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ضربت بغربال، فقطع زياد لذلك يدها، و صلبها، فهى كانت أول امرأة قتلت فى الردة.

و بعث زياد أبا هند إلى أبى بكر و كتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لأبى بكر خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، من زياد بن لبيد، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الناس قبلنا منعوا الصدقة، أو عامتهم و أبوا أن يسلموها، و قاتلوا دونها أشد القتال، و أظهروا الردة عن الإسلام، فبعثت عيونا فى طلب غرتهم، فأتانى آت منهم يخبرنى بغرة منهم، فزحفت إليهم ليلا، فقتلتهم فى محجرهم، و كانوا أربعة: مخرس و مشرح و حمد و أبضعة، و أختهم العمردة، فأصبحوا و قد ذلوا و انكسروا، و إنى كتبت إليك و السيف على عاتقى، و بعثت إليك أبا هند بالكتاب، و أمرته أن يجد السير، و أن يخبرك بما رأى و شهد، و إن الكتاب موجز، و عنده علم ما كنا فيه، و السلام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۲

فيروى أن أبا هند قال: خرجت من عند زياد بعد أن صليت الغداة على راحلتى، و معى رجل من بنى قتيرة على راحلة خفير لى، فبلغ بى صنعاء، ثم انصرف، فسرت من حضرموت إلى المدينة تسع عشرة، فأرخفت «۱» راحلتى، و ما مسيت عنها أكثر مما ركبت، و انتهيت إلى أبى بكر، فأجده حين خرج إلى الصلاة، فلما رآنى قال: أبا هند، ما وراءك؟ قلت: خير، و الذى يسرك. قتل الملوك الأربعة و أختهم العمردة، قال: قد كنت كتبت إلى زياد أنهى أن يقتل الملوك من كندة، و بعثت بذلك المغيرة بن شعبة، أ ما لقيته؟

قلت: ما لقيته.

و قدم المغيرة خلافى، و ذلك أنه أخطأ الطريق، فذلك الذى أبطأ به، و جعل أبو بكر يسألنى، فأخبره عن كل ما يسره، ثم قال: ما فعل الأشعث بن قيس؟ قلت: يا خليفة رسول الله، هو أول من نقض، و هو رأس من بقى، و قد ضوى إليه ناس كثير، و قد تحصن فى النجير بمن معه ممن هو على رأيه، و الله مخزيهم، و قد تركت زياد بن لبيد يريد محاصرتهم، فقال أبو بكر: قد كتبت إلى المهاجر بن أبى

أمية أن يمد زيادا و يكون أمرهما واحدا.

و كان النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، لما قتل الأسود العنسى «۲» بعث المهاجر واليا على صنعاء، فتوفى صلى اللّه عليه و سلم، و المهاجر وال عليها، فانحاز إلى زياد بحضرموت، كما أمره أبو بكر.

و كانت قتيرة من كندة قد ثبتت على الإسلام، لم يرجع منها رجل واحد، فلما قدم المهاجر على زياد اشتد أمرهما، و كانا يحاصران أهل النجير، و كان أهل النجير قد غلقوه، فلما قتل الملوك الأربعة دخلوا مع الأشعث بن قيس، و جثم زياد و مهاجر على النجير، فحاصروا أهله بالمسلمين، لا يفارقونه ليلا و لا نهارا، و قذف الله الرعب فى أفئدتهم، فلما اشتد به الحصار، بعثوا إلى زياد بن لبيد: أن تنح عنا حتى نكون نخرج و نخليك و الحصن، فقال: لا أبرح شبرا واحدا حتى نموت من آخرنا أو تنزلوا على حكما و رأينا، و جعل يكايدهم لما يرى من جزعهم. فكتب كتابا، ثم بعث به فى السر مع رجل من بنى قتيرة ليلا، مسيرة يوم أو بعض يوم، ثم يأتيه بكتابه الذى كتبه فيقرؤه على الناس:

من أبى بكر خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى زياد بن لبيد، سلام عليك، فإنى أحمد إليك

---

(۱) أرخف: بالكسر أى تعب. انظر اللسان (۱۶۱۶).

(۲) انظر خبر قتل الأسود العنسى فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۹)، تاريخ الطبرى (۳/ ۲۳۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۳

الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فقد بلغنى ردة من ارتد قبلك بعد المعرفة بالدين، غرة بالله، و الله مخزيهم إن شاء الله، فاحصرهم و لا تقبل منهم إلا ما خرجوا منه أو السيف.

فقد بعثت إليك عشرة آلاف رجل عليهم فلان بن فلان، و خمسة آلاف عليهم فلان بن فلان، و قد أمرتهم أن يسمعوا لك و يطيعوا، فإذا جاءك كتابى هذا فإن أظفرك الله بهم فإياك و البقيا فى أهل النجير، حرق حصنهم بالنار، و اقطع معايشهم، و اقتل المقاتلة، و اسب الذرية، و ابعث بهم إن شاء الله.

و إنما هذا كتاب كتبه زياد بيده مكايدة لعدوه، فكانوا إذا قرئ عليهم هذا الكتاب أيقنوا بالهلكة، و اشتد عليهم الحصار، و ندموا على ما صنعوا، فبينا هم على ذلك الحصار قد جهدهم، قال الأشعث: إلى متى هذا الحصر قد غرثنا و غرث عيالنا، و هذه البعوث تقدم علينا بما لا قبل لنا به، و قد ضعفنا عمن معنا، فكيف بمن يأتينا من هذه الأمداد و الله للموت بالسيف أحسن من الموت بالجوع، أو يؤخذ برقبة الرجل كما يصنع بالذرية.

قالوا: و هل لنا قوة بالقوم؟ فما ترى لنا؟ فأنت سيدنا، قال: أنزل فآخذ لكم الأمان قبل أن تدخل هذه الأمداد، بما لا قبل لنا به، فجعل أهل الحصن يقولون للأشعث: افعل و خذ لنا أمانا، فإنه ليس أحد أجرأ على ما قبل زياد منك، قال: فأنا أنزل.

فأرسل إلى زياد: أنزل فأكلمك و أنا آمن؟ قال: نعم، فنزل الأشعث من النجير فخلا بزياد، فقال: يا ابن عم، قد كان هذا الأمر و لم يبارك لنا فيه، و إن لى قرابة و رحما، و إن أوصلتنى إلى صاحبك قتلنى، يعنى المهاجر بن أمية «۱»، و أن أبا بكر يكره قتل مثلى، و قد جاءك كتابه ينهاك عن قتل الملوك من كندة، فأنا أحدهم، و أنا أطلب منك الأمان على أهلى و مالى، فقال زياد: لا أؤمنك أبدا على دمك و أنت كنت رأس الردة و الذى نقض علىّ كندة، فقال: أيها الرجل، دع ما مضى و استقبل الأمور إذا أقبلت، قال زياد: و ما ذا؟ قال: و أفتح لك النجير، فأمنه زياد على أهله و ماله، على أن يقدم به على أبى بكر، فيرى فيه رأيه، و فتح له النجير.

و قد كان المهاجر لما نزل الأشعث من الحصن ليكلمهم، قال لزياد: رده إلى الحصن حتى ينزل على حكمنا فنضرب عنقه، فنكون قد استأصلنا شأفة الردة، فأبى زياد إلا أن يؤمنه، و قال: أخشى أن يلومنى أبو بكر فى قتله و قد جاءنى كتابه ينهانى عن قتل الملوك الأربعة، فأخاف مثل ذلك، مع أن أبا بكر إن أراد قتله فله ذلك، إنما جعل له الأمان على

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۵۳۱)، الإصابة الترجمة رقم (۸۲۷۱)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۱۳۴)، مؤتلف الدارقطنى (ص ۱۶۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۴

نفسه و ماله إلى أن يبلغ أبا بكر، لا أدع من عين ماله شيئا يخف حمله معه إلا سار به، و أحول بينه و بين ما هاهنا مما لا يطيق حمله، حتى يأتى رأى أبى بكر فيه، فأمنه زياد على أن يبعث به و بأهله و بماله إلى أبى بكر رضى الله عنه، فيحكم فيه بما يرى.

و فتحوا له النجير، فأخرجوا المقاتلة، فعمد زياد إلى أشرافهم و هم سبعمائة فضرب أعناقهم على دم واحد، و لام القوم الأشعث، فقالوا لزياد: غدر بنا فأخذ الأمان لنفسه و أهله، و لم يأخذ لنا، و إنما نزل على أن يأخذ لنا جميعا، فنزلنا و نحن آمنون، فقتلنا. فقال زياد: ما أمنتكم، فقالوا: صدقت، خدعنا الأشعث.

قال الواقدى: و قد ذكروا فى فتح النجير وجها آخر عن أبى مغيث، قال: كنت فيمن حضر أهل النجير، فصالح الأشعث زيادا على أن يؤمن من أهل النجير سبعين رجلا، ففعل، فنزل سبعون رجلا و نزل معهم الأشعث، فكانوا أحدا و سبعين، فقال زياد: أقتلك، لم يكن لك أمان، فقال الأشعث: تؤمننى على أن أقدم على أبى بكر فيرى فىّ رأيه، فآمنه على ذلك، و القول الأول أثبت.

و بعث أبو بكر نهيك بن أوس بن [حزمة] «۱» إلى زياد بن لبيد يقول: إن ظفرت بأهل النجير فاستبقهم، فقدم عليه ليلا و قد قتل منهم فى أول النهار سبعمائة فى صعيد واحد، قال نهيك: فما هو إلا أن رأيتهم فشبهت بهم قتلى بنى قريظة يوم قتلهم النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و أبى زياد أن يوارى جثثهم، و تركهم للسباع، فكان هذا أشد على من بقى من القتل، و هرب أهل الردة فى كل وجه، و كان لا يؤخذ منهم إنسان إلا قتل.

ثم بعث زياد بالسبى مع نهيك، و بعث معه ثمانين رجلا من قتيرة، و بعث بالأشعث معهم فى وثاق.

قال عبد الرحمن بن الحويرث: رأيته يوم قدم به المدينة فى حديد، مجموعة يداه إلى عنقه. الاكتفاء، الكلاعى ج۲ ۱۶۴ ذكر ردة كندة و حضرموت ..... ص : ۱۵۹

نزل نهيك بالسبى فى دار رملة بنت الحارث، و معهم الأشعث بن قيس، و لما كلمه أبو بكر جعل يقول: يا خليفة رسول الله، و الله ما كفرت بعد إسلامى، و لكنى شححت على مالى، فقال أبو بكر: أ لست الذى يقول: قد رجعت العرب إلى ما كانت الآباء تعبد، و أبو بكر يبعث إلينا الجيوش و نحن أقصى العرب دارا؟ فرد عليك من هو

(۱) ما بين المعقوفتين كذا فى الأصل، و فى الاستيعاب الترجمة رقم (۲۶۶۷): «نهيك بن أوس بن خزمة». و انظر ترجمته فى: الإصابة (۸۸۳۹)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۳۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۵

خير منك، فقال: لا يدعك عامله ترجع إلى الكفر، فقلت: من، قال: زياد بن لبيد، فتضاحكت، فكيف وجدت زيادا، أذكرت به أمه؟

قال الأشعث: نعم كل الأذكار، ثم قال فى آخر قوله: أيها الرجل، أطلق إسارى، و استبقنى لحربك، و زوجنى أختك أم فروة بنت أبى قحافة، فإنى قد تبت مما صنعت، و رجعت إلى ما خرجت منه من منع الصدقة، فأسعفه أبو بكر فزوجه، فكان الأشعث مقيما بالمدينة حتى كانت ولاية عمر بن الخطاب، و ثاب الناس إلى فتح العراق، فخرج الأشعث مع سعد بن أبى وقاص.

قالوا: و قدم على أبى بكر رضى الله عنه، أربعة عشر رجلا من كندة يطلبون أن يفادوا بينهم، و قالوا: يا خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ما رجعنا عن الإسلام و لكن شححنا على أموالنا، و قد رجع من وراءنا إلى ما خرجوا منه و بايعوك راضين، فقال أبو بكر: بعد ما ذا؟ بعد أن وطئكم السيف؟ فقالوا: يا خليفة رسول الله، إن الأشعث غدر بنا، كنا جميعا فى الحصن، فكان أجزعنا، و كان أول من

نقض، و أبى أن یدفع الصدقة، و أمرنا بذلک، و رأسنا، فلم یبارک لنا فی رئاسته. فقال: أنزل و آخذ لکم الأمان جمیعا، فإن لم یکن رجعت إلیکم فیصیبنی ما یصیبکم، فنزل، فأخذ الأمان لنفسه و أهله و موالیه، و قتلنا صبرا بالسیف.

فقال أبو بکر رضى الله عنه: قد کنت کتبت إلى زیاد بن مهاجر کتابا مع نهیک بن أوس إن ظفرتما بأهل النجیر فلا تقتلاهم و أنزلاهم على حکمی.

فقال المتکلم: قد و الله قتل منا سبعمائة على دم واحد، و قد رجوناک یا خلیفة رسول الله.

و لما کلمه الوفد فی أن یرد علیهم السبی و یقبل منهم الفداء أجاب إلى ذلک، و خطب الناس على المنبر، فقال: أیها الناس، ردوا على هؤلاء نساءهم و ذراریهم، لا یحل لرجل یؤمن بالله و الیوم الآخر أن یغیب عنهم أحدا، قد جعلنا الفداء على کل رأس منهم أربعمائة درهم.

و أمر أبو بکر زید بن ثابت بقبض الفداء، و أمره أیضا بإخراج الخمس.

قال الواقدی: سألت معاذ بن محمد فقلت: أ رأیت الأربعة الأخماس، حیث أمر أبو بکر أن یفدوا بأربعمائة أربعمائة، ما فعل بها؟ قال: جمع أبو بکر ذلک کله فجعله سهمانا لأهل النجیر مع ما استخرج زیاد بن لبید و المهاجر مما وجدوا فی الحصن النجیر من الرثة و السلاح، و مما أصابوا من غیر ذلک، فجعلوه مغنما.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۶۶

و کان أبو بکر قد أمد زیادا و المهاجر بعکرمة بن أبی جهل و هو یومئذ بدبا، فسار إلیهم فی سبعمائة فارس، و قدم بعد فتح النجیر بأربعة أیام، فأمر أبو بکر بأن یسهم لهم فی ذلک، فأسهم لهم.

و نظرت عجوز من سبی النجیر إلى الأشعث بن قیس، فقالت: قبحت من وافد قوم و رسولهم، أخذت الأمان لأهلک و موالیک و عرضتنا للسباء، و قتلت رجالنا بغدرک، و لم تواسهم بنفسک، و أنت شأمتهم، رأسوک فلم یبارک لهم فی رئاستک، و الله ما رجعوا عن الإسلام و لکن شحوا على أموالهم، فقتلوا، و رجعت أنت عن الإسلام فنجوت، ما کان أحد قط، أشأم على قومه منک.

و مما یحفظ من شعر الأشعث، یذکر الجماعة الذین ضرب زیاد أعناقهم من أهل النجیر و هم سبعمائة کما تقدم:

فلا رزء إلا یوم أقرع بینهمو ما الدهر عندی بعدهم بأمین

فلیت جنوب الناس تحت جنوبهمو لم تمش أنثى بعدهم بجنین

فکنت کذات البو ضغت فأقبلتإلى بوها أو طربت بحنین

لغمری و ما عمری على بهینلقد کنت بالقتلى أحق ضنین و یروى أن الأشعث إنما قال هذا فی الملوک الأربعة الذین قتلوا، و من روى هذا أنشد الشعر هکذا:

لعمری و ما عمریّ على بهینلقد کنت بالأملاک حق ضنین

فإن یک هذا الدهر فرق بینهمفما الدهر عندی بعدهم بأمین

فلیت جنوب الناس تحت جنوبهمو لم یبشرونی بعدهم بجنین

و کنت کذات البو ریعت فأقبلتعلى بوها أو طربت بحنین

ذکر بدء الغزو إلى الشام و ما وقع فی نفس أبی بکر الصدیق رضى الله عنه، من ذلک و ما قوى عزمه علیه «۱»

حدث سهل بن سعد الساعدی رضى الله عنه، قال: لما فرغ أبو بکر رضى الله عنه، من أهل الردة، و استقامت له العرب، حدث نفسه بغزو الروم، و لم یطلع علیه أحدا، فبینما هو کذلک إذ جاءه شرحبیل بن حسنة فجلس إلیه، فقال: یا خلیفة رسول الله

(۱) راجع المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۱۵)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۷

أحدثت نفسك أن تبعث إلى الشام جندا؟ قال: نعم، قد حدثت نفسى بذلك و لم أطلع عليه أحدا، و ما سألتنى إلا لشىء. قال: أجل، إنى رأيت فيما يرى النائم كأنك تمشى فى ناس من المسلمين فوق حرشفة من الجبل، فأقبلت تمشى معهم حتى صعدت قلة فى أعاليه، فأشرفت على الناس و معك أصحابك أولئك، ثم هبطت من تلك القلة إلى أرض سهلة دمثة، فيها الزروع و العيون و القرى و الحصون، فقلت: يا للمسلمين! شنوا الغار على المشركين، فأنا ضامن لكم بالفتح و الغنيمة!.

فشد المسلمون و أنا فيهم و معى رايه، فتوجهت بها إلى قرية فسألونى الأمان فأمنتهم، ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم، ففتح لك، و ألقوا إليك السلم، و وضع لك عريش فجلست عليه، ثم قال لك قائل: يفتح عليك و تنصر فاشكر ربك و اعمل بطاعته، ثم قرأ: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً [النصر: ۱، ۴].

ثم انتهيت، فقال له أبو بكر رضى الله عنه: نامت عينك، ثم دمعت عينا أبى بكر رضى الله عنه، فقال: أما الحرشفة التى كنا نمشى عليها حتى صعدنا منها إلى القلة لعالية فأشرفنا منها على الناس فإنا نكابد من أمر هذا الجند مشقة و يكابدونها ثم نعلو بعد و يعلو أمرنا، و أما نزولنا من القلة إلى الأرض السهلة الدمثة و ما فيها من الزروع و العيون و القرى و الحصون فإنا ننزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه، فيه الخصب و المعاش، و أما قولى للمسلمين: شنوا عليهم الغارة، فإنى ضامن لكم بالفتح و الغنيمة، فإن ذلك توجيهى للمسلمين إلى بلاد المشركين و احتثاثى إياهم على الجهاد، و أما الراية التى كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قراهم فدخلتها فاستأمنوك فأمنتهم فإنك تكون أحد أمراء المسلمين و يفتح الله على يديك، و أما الحصن الذى فتح لنا فهو ذلك الوجه، يفتحه الله علىّ، و أما العريش الذى رأيتنى عليه جالسا، فإن الله يرفعنى و يضع المشركين، و أما الذى أمرنى بالعمل و بالطاعة و قرأ علىّ السورة فإنه نعى إلىّ نفسى، إن هذه السورة حين أنزلت على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، علم أن نفسه قد نعيت إليه، ثم سألت عينا أبى بكر، فقال: لآمرن بالمعروف و لأنهين عن المنكر و لأجاهدن من ترك أمر الله و لأجهزن الجنود إلى العادلين بالله فى مشارق الأرض و مغاربها حتى يقولوا: الله أحد، الله أحد، أو يؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون، أمر الله و سنة رسوله صلى اللّه عليه و سلم، فإذا توفانى الله لم يجدنى وانيا، و لا فى ثواب المجاهدين فيه زاهدا، ثم إنه عند ذلك أمر الأمراء، و بعث إلى الشام البعوث.

و عن عبد الله بن أبى أوفى الخزاعى، و كانت له صحبة، قال: لما أراد أبو بكر أن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۸

يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر و عثمان و عليا و عبد الرحمن بن عوف و طلحة و الزبير و سعد بن أبى وقاص و أبا عبيدة بن الجراح، و وجوه المهاجرين و الأنصار من أهل بدر و غيرهم، فدخلوا عليه و أنا فيهم، فقال: إن الله تبارك و تعالى، لا تحصى نعمه، و لا تبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم، قد جمع كلمتكم، و أصلح ذات بينكم، و هداكم إلى الإسلام، و نفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا بالله و لا أن تتخذوا إلها غيره، فالعرب اليوم بنو أم و أب، و قد رأيت أن أستنفرهم إلى الروم بالشام، فمن هلك منهم هلك شهيدا، و ما عند الله خير للأبرار، و من عاش منهم عاش مدافعا عن الدين، مستوجبا على الله ثواب المجاهدين، هذا رأيى الذى رأيت، فليشر على كل امرئ بمبلغ رأيه «۱».

فقام عمر رضى الله عنه، فقال: الحمد لله الذى يخص بالخير من يشاء من خلقه، و الله ما استبقنا إلى شىء من الخير إلا سبقتنا إليه، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قد و الله أردت لقاءك بهذا الرأى الذى ذكرت غير مرة، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصبت، أصاب الله بك سبيل الرشاد، سرب إليهم الخيل فى أثر الخيل، و ابعث الرجال بعد الرجال، و الجنود يتبعها الجنود، فإن الله تعالى ناصر دينه، و معز الإسلام و أهله، و منجز ما وعده رسوله.

ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قام، فقال: يا خليفة رسول الله، إنما الروم بنو الأصفر حد حديد، و ركن شديد، و الله ما أرى أن تقحم الخيل عليهم إقحاما، و لكن تبعث الخيل فتغير فى أدنى أرضهم، و ترجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مرارا أضروا بهم، و غنموا من أدانى أرضهم، فقووا بذلك على قتالهم، ثم تبعث إلى أقاصى أهل اليمن، و أقاصى ربيعة و مضر، فتجمعهم إليك جميعا، فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك، و إن شئت أغزيتهم غيرك.

ثم جلس و سكت، و سكت الناس، فقال لهم أبو بكر: ما ذا ترون رحمكم الله؟ فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على رسوله، ثم قال:

نرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأيا تراه لعامتهم رشدا و صلاحا فاعزم على إمضائه، فإنك غير ضنين عليهم و لا متهم.

فقال طلحة و الزبير و سعد و أبو عبيدة و سعيد بن زيد و جميع من حضر ذلك المجلس

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدى ص (۱ و ما بعدها).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۶۹

من المهاجرين و الأنصار: صدق عثمان، ما رأيت من الرأى فامضه، فإنا سامعون لك، مطيعون، لا نخالف أمرك، و لا نتهم رأيك، و لا نتخلف عن دعوتك و إجابتك.

فذكروا هذا و أشباهه، و على رضى الله عنه، فى القوم لا يتكلم، فقال له أبو بكر رضى الله عنهما: ما ذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك مبارك الأمر، ميمون النقيبة، و إنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله تعالى. قال: بشرك الله بخير، و من أين علمت هذا؟.

قال: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يقول: «لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناوأه حتى تقوم الساعة و أهله ظاهرون» «۱».

فقال أبو بكر: سبحانه الله! ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتنى به، سرك الله فى الدنيا و الآخرة.

ثم إنه قام فى الناس فذكر الله بما هو أهله، و صلى على نبيه صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: أيها الناس، إن الله تعالى، قد أنعم عليكم بالإسلام، و أعزكم بالجهاد، و فضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإنى مؤمر عليكم أمراء، و عاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، و لا تخالفوا أمراءكم، و لتحسن نيتكم و سريرتكم و طعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون.

فسكت القوم، فو الله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم، لما يعلمون من كثرة عددهم و شدة شوكتهم، فقام عمر رحمه الله، فقال: يا معشر المسلمين، ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله إذا دعاكم لما يحييكم؟ أما لو كان عرضا قريبا و سفرا قاصدا لابتدرتموه! فقام إليه عمرو بن سعيد فقال: يا ابن الخطاب، أ لنا تضرب أمثال المنافقين؟ فما يمنعك مما عتبت علينا فيه؟. فقال: الاتكال، على أنه يعلم أنى أجيبه لو يدعونى، و أغزو لو يغزينى.

فقال عمرو: و لكن نحن لا نغزو لكم إن غزونا، فإنما نغزو لله، فقال أبو بكر لعمرو:

اجلس رحمك الله، فإن عمر لم يرد بما سمعت أذى مسلم و لا تأنيبه، إنما أراد أن يبعث بما سمعت المتثاقلين إلى الأرض عن الجهاد، فقام خالد بن سعيد «۲» فقال: صدق خليفة

---

(۱) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (۵/ ۸۷)، المستدرك للحاكم (۴/ ۴۴۹)، كنز العمال للمتقى الهندى (۱۴۱۷۲، ۳۴۵۵۸)، الدر

المنثور للسیوطی (۳/ ۱۸).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۶۱۷)، الإصابة الترجمة رقم (۲۱۷۲)، أسد الغابة الترجمة رقم (۱۳۶۵)، نسب قریش (۱۷۴)، طبقات ابن خلیفة (۱۱/ ۲۹۸)، مشاهیر علماء الأمصار الترجمة رقم (۱۷۲)، تاریخ الإسلام (۱/ ۳۷۸)، العقد الثمین (۴/ ۲۶۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۷۰

رسول الله صلی اللّه علیه و سلم اجلس یا أخی، فجلس أخوه، فقال خالد: الحمد لله الذی لا إله إلا هو، الذی بعث محمدا صلی اللّه علیه و سلم، بالهدی و دین الحق لیظهره علی الدین کله و لو کره المشرکون، فالله منجز وعده، و معز دینه، و مهلک عدوه.

ثم أقبل علی أبی بکر فقال: و نحن أولا- غیر مخالفین لک، و لا متخلفین عنک، و أنت الوالی الناصح الشفیق، ننفر إذا استنفرتنا، و نطیعک إذا أمرتنا، و نجیبک إذا دعوتنا، ففرح بمقالته أبو بکر رضی الله عنه، و قال له: جزاک الله خیرا من أخ و خلیل، فقد أسلمت مرتغبا، و هاجرت محتسبا، و هربت بدینک من الکفار لکی یطاع الله و رسوله و تعلو کلمته، فأنت أمیر الناس، فتیسر رحمک الله.

ثم إنه نزل، و رجع خالد بن سعید فتجهز، و أمر أبو بکر رضی الله عنه، بلالا- فأذن فی الناس: انفروا أیها الناس إلی جهاد عدوکم: الروم بالشام، و أمیر الناس خالد بن سعید، فکان الناس لا یشکون أن خالدا أمیرهم، و کان خالد بن سعید من عمال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، علی الیمن، فلما قبض رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، جاء المدینة و قد استخلف الناس أبا بکر، فاحتبس عن أبی بکر ببیعته أیاما، و أتی بنی هاشم و قال: أنتم الظهر و البطن و الشعار دون الدثار، فإذا رضیتم رضینا، و إذا سخطتم سخطنا، حدثونی: أ بایعتم هذا الرجل؟

قالوا: نعم، قال: علی بر و رضی من جماعتکم؟ قالوا: نعم، قال: فإنی أرضی إذا رضیتم، و أبایع إذا بایعتم، أما أنکم و الله یا بنی هاشم فینا لطوال الشجر، طیبو الثمر، ثم بایع أبا بکر بعد ذلک.

و بلغت مقالته أبا بکر فلم یبال، و اضطغن ذلک علیه عمر، فلما ولاه أبو بکر الجند الذی استنفر إلی الشام، أتی عمر، أبا بکر فقال: أتولی خالد بن سعید و قد حبس عنک بیعته، و قال لبنی هاشم ما بلغک، و قد جاء بورق الیمن و عبید له حبشان و بدروع و رماح؟ ما أری أن تولیه و ما آمن خلافه، و کان أبو بکر لا یخالف عمر و لا یعصیه، فدعا یزید بن أبی سفیان، و أبا عبیدة بن الجراح، و شرحبیل بن حسنة، فقال لهم: إنی باعثکم فی هذا الوجه، و مؤمرکم علی هذا الجند، و أنا باعث علی کل رجل من الرجال ما قدرت علیه، فإذا قدمتم البلد و لقیتم العدو فاجتمعتم علی قتالهم فأمیرکم أبو عبیدة.

و إن أبو عبیدة لم یلقکما و جمعتکما حرب فیزید بن أبی سفیان الأمیر، انطلقوا فتجهزوا.

فخرج القوم یتجهزون، و بلغ ذلک خالد بن سعید، فتیسر و تهیأ بأحسن هیئة، ثم أقبل نحو أبی بکر و عنده المهاجرون و الأنصار أجمع ما کانوا، و قد تیسر الناس، و أمروا بالعسکرة مع هؤلاء النفر الثلاثة، فسلم علی أبی بکر و علی المسلمین، ثم جلس، فقال

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۷۱

لأبی بکر: أما إنک کنت ولیتنی أمر الناس، و أنت لی غیر متهم، و رأیک فیّ حسن حتی خوفت منی أمرا، و الله لأن أخر من رأس حالق أو تخطفنی الطیر فی الهواء بین الأرض و السماء أحب إلیّ من أن یکون ما ظن، و الله ما أنا فی الإمارة براغب، و لا علی البقاء فی الدنیا بحریص، و إنی أشهدکم أنی و إخوتی و فتیانی و من أطاعنی من أهلی جیش فی سبیل الله نقاتل المشرکین أبدا حتی یهلکهم الله أو نموت، لا- نرید به حمد الناس و لا- جزاءهم، فقال له الناس خیرا، و دعوا له به، و قال أبو بکر رحمه الله: أوتیت فی نفسی و ولدی ما أحب لک و لإخوتک، و الله إنی لأرجو أن تکون من نصحاء الله فی عباده، و إقامة کتابه، و اتباع سنة رسوله «۱».

فخرج هو و إخوته و غلمته و من معه، فکان أول خلق الله عسکر، ثم خرج الناس إلی معسکرهم من عشرة و عشرین و ثلاثین و أربعین و خمسین و مائة فی کل یوم حتی اجتمع الناس و کثروا، فخرج أبو بکر ذات یوم، و معه من الصحابة کثیر حتی انتهی إلی عسکرهم فرأی عدة حسنة، فلم یرض کثرتها للروم، فقال لأصحابه: ما ذا ترون فی هؤلاء؟ أ ترون أن نشخصهم إلی الشام فی هذه العدة؟ فقال

له عمر: ما أرضى بهذه العدة لجموع بنى الأصفر، فأقبل على أصحابه فقال: ما ذا ترون؟ فقالوا: و نحن أيضا، نرى ما رأى عمر، فقال أبو بكر: أ فلا- نكتب كتابا إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهاد و نرغبهم فى ثوابه؟ فرأى ذلك جميع أصحابه، فقالوا: نعم ما رأيت، فافعل.

فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، إلى من قرئ عليه كتابى هذا من المؤمنين و المسلمين من أهل اليمن، سلام عليكم، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد. فإن الله تبارك و تعالى، كتب على المسلمين الجهاد، و أمرهم أن ينفروا فيه خفافا و ثقالا، فقال جل ثناؤه: وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [الصف: ۹]، فالجهاد فريضة مفروضة، و ثوابه عند الله عظيم، و قد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، و قد سارعوا إلى ذلك، و عسكروا و خرجوا، و حسنت نيتهم و عظمت حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم و سنة نبيكم، و إلى إحدى الحسنيين: إما الشهادة و إما الفتح و الغنيمة، إن الله جل ذكره، لم يرض من عباده بالقول دون العمل، و لا بترك الجهاد فيه أهل عداوته حتى يدينوا بالحق و يقروا بحكم الكتاب، حفظ الله لكم دينكم و هدى قلوبكم، و زكى أعمالكم، و رزقكم أجر المجاهدين الصابرين، و السلام عليكم.

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۱۶)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۷، ۳۸۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۲

و بعث بالكتاب مع أنس بن مالك. قال أنس: أتيت اليمن فبدأت بهم حيا حيا «۱»، و قبيلة قبيلة، أقرأ عليهم كتاب أبى بكر الصديق، فإذا فرغت من قراءته قلت: الحمد لله، و أشهد أن لا- إله إلا الله و أن محمدا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أما بعد، فإنى رسول خليفة رسول الله إليكم، و رسول المسلمين، ألا و إنى قد تركتهم معسكرين، ليس يمنعهم عن الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجلوا إلى إخوانكم بالنفر، رحمكم الله أيها المسلمون.

قال: فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب و يسمع منى هذا القول يحسن الرد و يقول:

نحن سائرون، و كأن قد فعلنا حتى انتهيت إلى ذى الكلاع «۲»، فلما قرأت عليه الكتاب، و قلت له هذا المقال دعا بفرسه و سلاحه و نهض فى قومه، و أمر بالعسكرة، فما برحنا حتى عسكر و عسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن، و سارعوا، فلما اجتمعوا إليه قام فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس، إن من رحمة الله إياكم و نعمته عليكم أن بعث فيكم نبيا أنزل عليه الكتاب فأحسن عنه البلاغ، فعلمكم ما يرشدكم، و نهاكم عما يفسدكم، حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون، و رغبكم من الخير فما لم تكونوا فيه ترغبون، و قد دعاكم إخوتكم الصالحون إلى جهاد المشركين، و اكتساب الأجر العظيم، فلينفر من أراد النفر معى الساعة.

قال: فنفر بعدد من الناس كثير، و أقبل بهم إلى أبى بكر رحمه الله، فرجعنا نحن فسبقناه بأيام فوجدنا أبا بكر بالمدينة و وجدنا ذلك العسكر على حاله، و أبو عبيدة يصلى بأهل ذلك العسكر.

فلما قدمت حمير معها أولادها و نساؤها، فرح بهم أبو بكر و قام فقال: عباد الله، أ لم نكن نتحدث فنقول إذا مرت حمير معها نساؤها تحمل أولادها: نصر الله المسلمين و خذل المشركين؟ فأبشروا أيها المسلمون، قد جاءكم النصر.

قال: و جاء قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادى معه جمع كثير حتى أتى أبا بكر فسلم

---

(۱) فى تاريخ فتوح الشام: «.... أتيت أهل اليمن جناحا جناحا، و قبيلة قبيلة، أقرأ عليهم ..».

(۲) ذى الكلاع: هو: «أيفع بن يزيد بن النعمان»، و سمى بذلك لأن حمير تلكعوا، أى اتحدوا و تحالفوا على يديه و هو الذى خطب الناس و حرضهم على القتال. انظر ترجمته فى: شذرات الذهب (۱/ ۲۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۳

عليه ثم جلس، فقال له: ما تنتظر ببعثة هذه الجنود؟ قال: ما كنا ننتظر إلا قدومكم، قال: فقد قدمنا، فابعث الناس الأول فالأول، فإن هذه البلدة ليست ببلدة خف و لا كراع «۱».

قال: فعند ذلك خرج أبو بكر رضى الله عنه، يمشى، فدعا يزيد بن أبى سفيان فعقد له، و دعا ربيعة بن عامر من بنى عامر بن لؤىّ فعقد له، ثم قال له: أنت مع يزيد بن أبى سفيان لا تعصه و لا تخالفه، ثم قال ليزيد: إن رأيت أن توليه مقدمتك فافعل، فإنه من فرسان العرب و صالحاء قومك، و أرجو أن يكون من عباد الله الصالحين، فقال يزيد: لقد زاده إلىّ حبا حسن ظنك به و رجاؤك فيه، ثم إنه خرج معه يمشى، فقال له يزيد: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب، و إما أن تأذن لى فأمشى معك، فإنى أكره أن أركب و أنت تمشى، فقال أبو بكر رضى الله عنه: ما أنا براكب، و ما أنت بنازل، إنى أحتسب خطاى هذه فى سبيل الله، ثم أوصاه فقال:

يا يزيد، إنى أوصيك بتقوى الله و طاعته، و الإيثار له، و الخوف منه، و إذا لقيتم العدو فأظفركم الله به فلا تغلل و لا تمثل و لا تغدر و لا تجبن، و لا تقتلن وليدا و لا شيخا كبيرا و لا امرأة، و لا تحرقن نخلا و لا تغرقنه، و لا تقطعن شجرا مثمرا، و لا تعقروا بهيمة إلا لمأكل، و ستمرون بقوم فى هذه الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعهم و ما حبسوا أنفسهم له، و ستجدون آخرين فحص الشيطان أوساط رءوسهم كأن أوساطها أفاحيص «۲» القطا، فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه من رءوسهم حتى ينيبوا إلى الإسلام أو يؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون، و لينصرن الله من ينصره و رسله بالغيب. و أقرأ عليك السلام، و أستودعك الله.

ثم أخذ بيده فودعه، ثم قال: إنك أول امرئ وليته على رجال من المسلمين أشراف غير أوضاع فى الناس، و لا ضعفاء و لا أدنياء و لا جفاة فى الدين، فأحسن صحبتهم، و ألن لهم كتفك، و اخفض لهم جناحك، و شاورهم فى الأمر، أحسن الله لك الصحابة، و علينا الخلافة.

فخرج يزيد فى جيشه قبل الشام، و كان أبو بكر رحمه الله، كل غدوة و عشية يدعو فى دبر صلاة الغداة، و يدعو بعد صلاة العصر، فيقول: اللهم إنك خلقتنا و لم نك شيئا،

---

(۱) الخف: الإبل. و الكراع: الخيل.

(۲) أفاحيص: جمع أفحوص، و هو التراب، تتخذ فيه طيور القطا مساكن لها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۴

ثم بعثت إلينا رسولا رحمة منك و فضلا علينا، فهديتنا و كنا ضلالا، و حببت إلينا الايمان و كنا كفارا، و كثرتنا و كنا قليلا، و جمعتنا و كنا أشتاتا، و قويتنا و كنا ضعفاء، ثم فرضت علينا الجهاد و أمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا: لا إله إلا الله، و يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون، اللهم إنا أصبحنا نطلب رضاك، بجهاد من عاداك، ثم عدل بك و عبد معك آلهة غيرك، لا إله إلا أنت تعاليت عما يقول الظالمون علوا كبيرا، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين، اللهم افتح لهم فتحا يسيرا، و انصرهم نصرا عزيزا، و شجع جبنهم، و ثبت أقدامهم و زلزل بعدوهم، و أدخل الرعب قلوبهم، و استأصل شأفتهم، و اقطع دابرهم، و أبد خضراءهم، و أورثنا أرضهم و ديارهم و أموالهم و آثارهم، و كن لنا وليا، و بنا حفيا، و أصلح لنا شأننا، و اجعلنا لأنعمك من الشاكرين، و اغفر لنا و للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات الأحياء منهم و الأموات، ثبتنا الله و إياكم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم.

و عن أنس قال: لما بعث أبو بكر رحمه الله، يزيد بن أبى سفيان إلى الشام لم يسر من المدينة حتى جاء شرحبيل بن حسنة إلى أبى بكر، فقال: يا خليفة رسول الله، إنى قد رأيت فيما يرى النائم كأنك فى جماعة من المسلمين كثيرة، و كأنك بالشام و نحن معك، إذ استقبلك النصارى بصلبها، و البطارقة بكتبها، و انحطوا عليك من كل شرف و حدب، و كأنهم السيل، فاعتصمنا بلا إله إلا الله، و قلنا:

حسبنا الله و نعم الوكيل، ثم نظرنا فإذا نحن بالقرى و الحصون من ورائهم و عن أيمانهم و شمائلهم، فإذا نحن بآت قد أتى، فنزل بأعلى شاهقة فى الجبل حتى استوى بالحضيض، ثم أخرج كفه و أصابعه فإذا هى نار، ثم إنه أهوى بها إلى ما قابله من القرى و الحصون، فصارت نارا تأجج، ثم إنها خبت فصارت رمادا، ثم نظرنا إلى ما استقبلنا من نصاراهم و بطارقتهم و جموعهم فإذا الأرض قد ساخت بهم، فرفع الناس رءوسهم و أيديهم إلى ربهم يحمدونه و يمجدونه و يشكرونه، فهذا ما رأيت، ثم انتبهت.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: نامت عينك، هذه بشرى، و هو الفتح إن شاء الله لا شك فيه، و أنت أحد أمرائى، فإذا سار يزيد بن أبى سفيان فأقم ثلاثا ثم تيسر للسير، ففعل، فلما مضى اليوم الثالث أتاه من الغد يودعه، فقال له: يا شرحبيل، أ لم تسمع وصيتى يزيد بن أبى سفيان؟ قال: بلى، قال: فإنى أوصيك بمثلها، و أوصيك بخصال أغفلت ذكرهن لابن أبى سفيان، أوصيك بالصلاة لوقتها، و بالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل، و بعيادة المرضى و حضور الجنائز، و بذكر الله كثيرا على كل حال، فقال له أبو

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۵

سفيان: إن هذه الخصال كان يزيد بهن مستوصيا، و عليهن مواظبا قبل أن يسير إلى الشام، فهو الآن لهن ألزم إن شاء الله تعالى. فقال شرحبيل: الله المستعان، و ما شاء الله أن يكون كان، ثم ودع أبا بكر و خرج فى جيشه قبل الشام، و بقى عظم الناس مع أبى عبيدة فى العسكر يصلى بهم، و أبو عبيدة ينتظر كل يوم أن يدعوه أبو بكر، فيسرحه، و أبو بكر ينتظر به قدوم العرب عليه من كل مكان، يريد أن يشحن أرض الشام من المسلمين، و يريد إن زحفت إليهم الروم أن يكونوا مجتمعين، فقدمت عليه حمير فيها ذو الكلاع، و اسمه أيقع، و جاءت مذحج فيها قيس بن هبيرة المرادى معه جمع عظيم من قومه، و فيهم الحجاج بن عبد يغوث الزبيدى، و جاء حابس بن سعد الطائى فى عدد كثير من طيئ، و جاءت الأزد فيهم جندب بن عمرو بن حممة الدوسى، و فيهم أبو هريرة، و جاءت جماعة من قبائل قيس، فعقد أبو بكر رضى الله عنه، لميسرة بن مسروق العبسى عليهم، و جاء قباث بن أشيم فى بنى كنانة، فأما ربيعة و أسد و تميم فإنهم كانوا بالعراق.

و عن سهل بن سعد أن أبا بكر، رحمه الله، لما أراد أن يبعث أبا عبيدة دعاه، فأتاه فسلم عليه، ثم جلس، فمكث أبو بكر مليا لا يكلمه، فظن أبو عبيدة أنه هم بعزله كما عزل خالد بن سعيد و هو يستحى أن يستقبله به، فقال: يا خليفة رسول الله، إن كنا لا نصلح لكم و لا نحبكم و لا ـ ننصحكم إلا ـ بأن تولونا فلسنا بإخوان فى الله، و إن كنا لا نجاهد فى سبيل الله و لا نقاتل أعداء الله إلا أن نكون أمراء رؤساء فلسنا الله نريد بجهادنا، و إنما ننوى به إذا الفخر فى الدنيا، إنى أطلب إليك أن تعزلنى عن هذا الجند و تولى عليه من أحببت و أنا أخرج معه، فأشير عليه برأيى و أنصحه جهدى، و أواسى المسلمين بنفسى. فقال أبو بكر: سبحان الله، يا أبا عبيدة أظننت أنك ممن نتهمه أو ممن نبتغى به بدلا أو ممن نتخوف أن يأتى المسلمين من قبله و هن أو خلاف أو فساد؟ معاذ الله أن نكون من أولئك، ثم قال له:

اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ثم يعمل بما أمر به، إنك تخرج فى أشراف العرب و بيوتات الناس و صالحاء المسلمين و فرسان الجاهلية، كانوا إذ ذاك يقاتلون حمية، و هم اليوم يقاتلون على النية الحسنة و الحسبة، أحسن صحبة من صحبك، و ليكونوا عندك فى الحق سواء، فاستعن بالله، و كفى به معينا، و توكل عليه و كفى بالله وكيلا.

اخرج من غد إن شاء الله، فخرج من عنده، فلما ولى قال: يا أبا عبيدة، فانصرف إليه، فقال له: إنى أحب أن تعلم كرامتك علىّ، و منزلتك منى، و الذى نفسى بيده، ما على

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۶

الأرض من المهاجرين و لا غيرهم من أعدله بك، و لا بهذا، يعنى عمر، رحمه الله، و لا له عندى فى المنزلة إلا دون ما لك. فقال أبو عبيدة: رحمك ربك يا خليفة رسول الله، هذا كان ظنى بك.

قال: فانصرف، فلما كان من الغد خرج أبو بكر فى رجال من المسلمين على رواحلهم، حتى أتى أبا عبيدة، فسار معه حتى بلغ ثنية

الوداع، ثم قال حين أراد أن يفارقه: يا أبا عبيدة، اعمل صالحا، و عش مجاهدا، و لتتوف شهيدا، و ليعطك الله كتابك بيمينك، و يقر عينك فى دنياك و آخرتك، فو الله إنى لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة، إن الله تبارك و تعالى قد صنع بك خيرا و ساقه إليك إذ جعلك تسير فى جيش من المسلمين تقاتل به من كفر بالله و عبد غيره.

فقال أبو عبيدة: رحمك الله يا خليفة رسول الله، فنشهد بفضلك فى إسلامك، و مناصحتك الله، و مجاهدتك بعد رسول الله من تولى عن دين الله حتى ردهم الله بك إلى الدين و هم صاغرون، و نشهد أنك رحيم بالمؤمنين، ذو غلظة على الكافرين، فبورك لك فيما عملت، و سددت فيما حملت، إن أكن صالحا فربى المنة علىّ بصلاحى، و إن أكن فاسدا فهو ولى إصلاحى، و أما أنت فنرى أن نجيبك إذا دعوت، و أن نطيعك إذا أمرت.

ثم إنه تأخر، و تقدم إليه معاذ بن جبل فقال: يا خليفة رسول الله، إنى أردت أن يكون ما أكلمك به الآن بالمدينة قبل شخوصنا عنها، ثم بدا لى أن أؤخر ما أردت من ذلك حتى يكون عند وداعى، فيكون ذلك آخر ما أفارقك عليه، قال: هات يا معاذ، فو الله إنك ما علمت لسديد القول، موفق الرأى، رشيد الأمر، فأدنى راحلته، و مقود فرسه فى يده، و هو متنكب القوس و متقلد السيف، فقال: إن الله تعالى بعث محمدا صلى اللّه عليه و سلم، برسالته إلى خلقه، فبلغ ما أحب أن يبلغ، و كان كما أحب ربه أن يكون، فقبضه الله إليه و هو محمود مبرور صلوات الله عليه و بركاته، إنه حميد مجيد، جزاه الله عن أمته كأحسن ما يجزى النبيين، ثم إن الله تعالى استخلفك أيها الصديق عن ملأ من المسلمين، و رضى منهم بك، فارتد مرتدون، و أرجف مرجفون، و رجعت راجعة عن هذا الدين، فأدهن بعضنا، و حار جلنا، و أحب المهادنة و الموادعة طائفة منا، و اجتمع رأى الملأ الأكابر منا أن يتمسكوا بدينهم و يعبدوا الله حتى يأتيهم اليقين، و يدعوا الناس و ما ذهبوا إليه، فلم ترض منهم بشىء كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يرده عليهم، فنهضت بالمسلمين، و شمرت للمجرمين، و شددت بالمطيع المقبل على العاصى المدبر، حتى أجاب إلى الحق من كان عند عنه،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۷۷

و زجل عن الباطل من كان مرتكسا فيه، فلما تمت نعمة الله عليك و على المسلمين فى ذلك قدت المسلمين إلى هذا الوجه الذى يضاعف الله لهم فيه الأجر، و يعظم لهم الفتح و المغنم، فأمرك مبارك، و رأيك محمود و رشيد، و نحن و صالحو المؤمنين نسأل الله لك المغفرة و الرحمة الواسعة و القوة فى العمل بطاعة الله فى عافية، و إن هذا الذى تسمع من دعائى و ثنائى و مقالتى لتزداد فى فعل الخير رغبة، و تحمد الله تعالى على النعمة، و أنا معيد هذا على المؤمنين ليحمدوا الله على ما أبلاهم و اصطنع عندهم بولايتك عليهم.

ثم أخذ كل واحد منهما بيد صاحبه فودعه، و دعا له، ثم تفرقا، و انصرف أبو بكر رحمه الله، و مضى ذلك الجيش، و قال رجل من المسلمين لخالد بن سعيد و قد تهيأ للخروج مع أبى عبيدة: لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبى سفيان كان أمثل من خروجك مع غيره. فقال: ابن عمى أحب إلىّ من هذا فى قرابته، و هذا أحب إلىّ من ابن عمى فى دينه، هذا كان أخى فى دينى على عهد الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و ولىّ و ناصرى على ابن عمى قبل اليوم، فأنا به أشد استئناسا و إليه أشد طمأنينة.

فلما أراد أن يغدو سائرا إلى الشام لبس سلاحه، و أمر إخوته فلبسوا أسلحتهم: عمرا، و أبانا، و الحكم، و علقمة و مواليه، ثم أقبل إلى أبى بكر، رحمه الله، عند صلاة الغداة فصلبى معه، فلما انصرفوا قام إليه هو و إخوته، فجلسوا إليه، فحمد الله خالد و أثنى عليه، و صلى على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ثم قال: يا أبا بكر، إن الله تبارك و تعالى، قد أكرمنا و إياك و المسلمين عامة بهذا الدين، فأحق من أقام السنة و أمات البدعة و عدل فى السيرة الوالى على الرعية، و كل امرئ من أهل هذا الدين محفوف بالإحسان، و معدلة الوالى أعم نفعا، فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك أمره، و ارحم الأرملة و اليتيم، و أعن الضعيف و المظلوم، و لا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك فى الحق منه إذا سخطت عليه، و لا تغضب ما قدرت على ذلك، فإن الغضب يجر الجور، و لا تحقد على مسلم و أنت تستطيع، فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدوا، و إن اطلع على ذلك منك عاداك، و إذا عادى الوالى الرعية و عادت الرعية الوالى كان ذلك قمنا أن يكون إلى هلاكهم داعيا، و لن للمحسن و اشتد على المريب، و لا تأخذك فى الله لومة لائم.

ثم قال: هات یدک یا أبا بکر، فإنی لا أدری أ نلتقی فی الدنیا أم لا، فإن قضی الله لنا فی الدنیا البقاء، فنسأل الله عفوه و غفرانه، و إن کانت هی الفرقة التی لیس بعدها لقاء، فعرفنا الله و إیاک وجه النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، فی جنات النعیم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۷۸

فأخذ أبو بکر رضی الله عنه، بیده فبکی، و بکی خالد، و بکی المسلمون و ظنوا أنه یرید الشهادة، و طال بکاؤهم، ثم إن أبا بکر رضی الله عنه، قال: انتظر نمشی معک، قال: ما أرید أن تفعل، قال: لکنی أرید ذلک، و من أراده من المسلمین، فقام، و قام الناس معه حتی خرج من بیوت المدینة، فما رأیت مشیعا من المسلمین شیعه أکثر ممن شیع خالد بن سعید یومئذ و إخوته، فلما خرج من المدینة قال أبو بکر: إنک قد أوصیتنی برشدی و قد وعیت، و أنا موصیک فاسمع وصاتی و عها، إنک امرؤ قد جعل الله لک سابقة فی الإسلام و فضیلة عظیمة، و الناس ناظرون إلیک و مستمعون منک، و قد خرجت فی هذا الوجه العظیم الأجر و أنا أرجو أن یکون خروجک فیه بحسبة و نیة صادقة إن شاء الله تعالی، فثبت العالم، و علم الجاهل، و عاتب السفیه المسرف، و انصح لعامة المسلمین، و اخصص الوالی علی الجهد من نصیحتک و مشورتک بما یحق لله و للمسلمین علیک، و اعمل لله کأنک تراه، و اعدد نفسک فی الموتی و أعلم أنا عما قلیل میتون ثم مبعثون ثم مسئولون و محاسبون، جعلنا الله و إیاک لأنعمه من الشاکرین، و لنقمه من الخائفین.

ثم أخذ بیده فودعه، و أخذ بأیدی إخوته بعد ذلک فودعهم واحدا واحدا، ثم ودعهم المسلمون، ثم إنهم دعوا بإبلهم فرکبوها، و کانوا قبل ذلک یمشون مع أبی بکر رضی الله عنهم أجمعین، ثم قیدت معهم خیلهم، فخرجوا بهیئة حسنة، فلما أدبروا قال أبو بکر: اللهم احفظهم من بین أیدیهم و من خلفهم و عن أیمانهم و عن شمائلهم، و احطط أوزارهم و أعظم أجورهم. ثم انصرف أبو بکر و من معه من المسلمین.

و قد قیل: إن أبا بکر رحمه الله، جعل خالدا ردءا بتیماء لما عزله عن الجند و أطاع عمر رحمه الله «۱»، فی بعض أمره و عصاه فی بعض، و سیأتی ذکر ذلک فی موضعه إن شاء الله.

و عن محمد بن خلیفة أن ملحان بن زیاد الطائی، أخا عدی بن حاتم لأمه أتی أبا بکر رحمه الله، فی جماعة من قومه من طیئ نحو ستمائة، فقال له: إنا أتیناک رغبة فی الجهاد و حرصا علی الخیر، و نحن القوم الذین تعرف الذین قاتلنا معکم من ارتد منا حتی أقر بمعرفة ما کان ینکر، و قاتلنا معکم من ارتد منکم حتی أسلموا طوعا و کرها، فسرحنا فی أثر الناس، و اختر لنا ولیا صالحا نکن معه.

---

(۱) انظر خبر عزل خالد بن سعید فی: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۱۶)، تاریخ الطبری (۳/ ۳۸۷، ۳۸۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۷۹

و کان قدومهم علی أبی بکر بعد مسیر الأمراء کلهم إلی الشام، فقال أبو بکر: قد اخترت لک أفضل أمرائنا أمیرا، و أقدم المهاجرین هجرة، الحق بأبی عبیدة بن الجراح، فقد رضیت لک صحبته، و حمدت لک أدبه، فنعم الرفیق فی السفر، و نعم الصاحب فی الحضر.

قال: فقلت لأبی بکر: فقد رضیت لخیرتک التی اخترت لی. فاتبعته حتی لحقته بالشام فشهدت معه مواطنه کلها، لم أغب عن یوم منها.

و عن أبی سعید المقبری قال: قدم ابن ذی السهم الخثعمی علی أبی بکر و جماعة من خثعم فوق تسعمائة و دون ألف، فقال لأبی بکر: إنا ترکنا الدیار و الأصول، و العشائر و الأموال، و أقبلنا بنسائنا و أبنائنا، و نحن نرید جهاد المشرکین، فما ذا تری لنا فی أولادنا و نسائنا؟ أ نخلفهم عندک و نمضی؟ فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إلیهم فأقدمناهم علینا؟ أم تری لنا أن نخرجهم معنا و نتوکل علی الله ربنا؟.

فقال أبو بکر: سبحان الله، یا معشر المسلمین، هل سمعتم أحدا ممن سار من المسلمین إلی أرض الروم و أرض الشام ذکر من الأولاد و النساء مثل ما ذکر أخو خثعم؟

أما إنی أقسم لک یا أخا خثعم، لو سمعت هذا القول منک و الناس مجتمعون عندی قبل أن یشخصوا لأحببت أن أحبس عیالاتهم عندی و أسرحهم لیس معهم من النساء و الأبناء ما یشغلهم و یهمهم حتی یفتح الله علیهم و معهم ذراریهم، و لک بجماعة المسلمین

أسوة، و أنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام و أهله، فسر فى حفظ الله و كنفه، فإن بالشام أمراء قد وجهناهم إليها، فأيهم أحببت أن تصحبه، فسار حتى لقى يزيد بن أبى سفيان فصحبه.

و عن يحيى بن هانئ بن عروة أن أبا بكر كان أوصى أبا عبيدة بقيس بن مكشوح و قال له: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، لا أظن له عظيم حسبة و لا كبير نية فى الجهاد، و ليس بالمسلمين غنى عن مشورته و رأيه و بأسه فى الحرب، فأدنه و الطفه و أره أنك غير مستغن عنه و لا مستهين بأمره، فإنك تستخرج منه بذلك نصيحة لك، و جهده و جده على عدوك، و دعا أبو بكر قيسا فقال له: إنى قد بعثتك مع أبى عبيدة الأمين، الذى إذا ظلم كظم، و إذا أسىء إليه غفر، و إذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمرا، و لا تخالفن له رأيا، فإنه لن يأمرك إلا بخير، و قد أمرته أن يسمع منك، فلا تأمره إلا بتقوى الله، فقد كنا نسمع أنك

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۰

شريف بئيس مجرب، و ذلك فى زمان الشرك و الجاهلية الجهلاء، فاجعل بأسك و شدتك و نجدتك اليوم فى الإسلام على من كفر بالله و عبد غيره، فقد جعل الله فيه الأجر العظيم، و العز للمسلمين. فقال: إن بقيت فسيبلغك من حيطتى على المسلم، و جهدى على الكافر ما يسرك و يرضيك، فقال أبو بكر رحمه الله: فافعل ذلك، فلما بلغته مبارزته البطريقين بالجابية و قتله إياهما، قال: صدق قيس و وفى وبر.

و عن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص قال «۱»: لما مضت جنود أبى بكر إلى الشام بلغ ذلك هرقل ملك الروم، و هو بفلسطين، و قيل له: قد أتتك العرب و جمعت لك جموعا عظيمة، و هم يزعمون أن نبيهم الذى بعث إليهم أخبرهم أنهم يظهرون على أهل هذه البلاد، و قد جاءوك و هم لا يشكون أن هذا يكون، و جاءوك بأبنائهم و نسائهم تصديقا لمقالة نبيهم، يقولون: لو دخلناها و افتتحناها نزلناها بأولادنا و نسائنا. فقال هرقل: ذلك أشد لشوكتهم، إذا قاتل القوم على تصديق و يقين فما أشد على من كابدهم أن يزيلهم أو يصدهم.

قال: فجمع إليه أهل البلاد و أشراف الروم، و من كان على دينه من العرب، فقال: يا أهل هذا الدين، إن الله قد كان إليكم محسنا، و كان لدينكم هذا معزا، و له ناصرا على الأمم الخالية، و على كسرى و المجوس، و على الترك الذين لا يعلمون، و على من سواهم من الأمم كلها، و ذلك أنكم كنتم تعملون بكتاب ربكم و سنة نبيكم الذى كان أمره رشدا و فعله هدى، فلما بدلتم و غيرتم أطمع ذلك فيكم قوما، و الله ما كنا نعبأ بهم و لا نخاف أن نبتلى بهم، و قد ساروا إليكم حفاة عراة جياعا، اضطرهم إلى بلادكم قحط المطر و جدوبة الأرض و سوء الحال، فسيروا إليهم، فقاتلوهم عن دينكم و عن بلادكم و عن أبنائكم و نسائكم، و أنا شاخص عنكم و ممدكم بالخيول و الرجال، و قد أمرت عليكم أمراء، فاسمعوا لهم و أطيعوا، ثم خرج حتى أتى دمشق فقام مثل هذا المقام، و قال فيها مثل هذا المقال، ثم خرج حتى أتى حمص، ففعل مثل ذلك، ثم أتى أنطاكية، فأقام بها و بعث إلى الروم، فحشدهم إليه، فجاءه منهم ما لا يحصى عدده، و نفر إليه مقاتلتهم و شبابهم و أتباعهم، و أعظموا دخول العرب عليهم، و خافوا أن يسلبوا ملكهم.

و أقبل أبو عبيدة حتى مروا بوادى القرى «۲»، ثم أخذ على الحجر أرض صالح النبىّ

---

(۱) راجع: ما ذكره ابن الجوزى فى المنتظم فى هذا الخبر (۴/ ۱۱۷)، و الطبرى فى تاريخه ۳/ ۳۹۲).

(۲) وادى القرى: من أعمال المدينة. انظر: الروض المعطار (۶۰۲)، المغانم المطابة (۴۲۳)، رحلة الناصرى (۳۱۰)، صبح الأعشى (۴/ ۲۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۱

صلى اللّه عليه و سلم، ثم على ذات المنار «۱»، ثم على زبرا «۲»، ثم ساروا إلى مؤب «۳» بعمان، فخرج إليهم الروم، فلم يلبثهم

المسلمون أن هزموهم حتى دخلوا مدينتهم، فحاصروهم فيها، و صالح أهل مؤب عليها، فكانت أول مدائن الشام صالح أهلها، ثم سار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية «۴» أتاه آت فخبره أن هرقل بأنطاكية، و أنه قد جمع لكم من الجموع ما لم يجمعه أحد كان قبله من آبائه لأحد من الأمم قبلكم، فكتب أبو عبيدة إلى أبى بكر رضى الله عنهما:

بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله أبى بكر، خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد، فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام و أهله عزا مبينا، و أن يفتح لهم فتحا يسيرا، فإنه بلغنى أن هرقل ملك الروم، نزل قرية من قرى الشام تدعى بأنطاكية، و أنه بعث إلى أهل مملكته فحشدهم إليه، و إنهم نفروا إليه على الصعب و الذلول، و قد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك، و السلام عليك و رحمة الله تعالى.

فكتب إليه أبو بكر: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد بلغنى كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له و لأصحابه، و فتح من الله عليك و على المسلمين، و أما حشده أهل مملكته و جمعه لكم الجموع، فإن ذلك ما قد كنا و كنتم تعلمون أنه سيكون منهم، ما كان قوم ليدعوا سلطانهم و لا ليخرجوا من مملكتهم بغير قتال، و لقد علمت و الحمد لله أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة، يحتسبون من الله فى قتالهم الأجر العظيم، و يحبون الجهاد فى سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم و عقائل أموالهم، الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين، فالقهم بجندك، و لا تستوحش لمن غاب من المسلمين، فإن الله تعالى ذكره معك، و أنا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكتفى و لا تريد أن تزداد، و السلام عليك. و بعث بهذا الكتاب مع دارم العبسى.

---

(۱) ذات المنار: موضع فى أول بادية الشام مما يلى الحجاز. انظر: الروض المعطار (۵۱۷).

(۲) الزبرا: المكان المرتفع من الأرض، و يقصد: أحد أماكن البلقاء فى الأردن.

(۳) مؤب: من قرى الشام من أرض البلقاء، ذكرها ابن الحميرى فى الروض المعطار (۵۱۷)، و ذكر قصة خروج أبى عبيدة.

(۴) الجابية: بالشام، و قال البكرى: هى قنسرين، و بين الجابية و منبج أربعة فراسخ، و من حلب إليها ستة فراسخ. انظر: الروض المعطار (۱۵۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۲

و كتب يزيد بن أبى سفيان إلى أبى بكر رحمه الله: أما بعد، فإن هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا إليه ألقى الله الرعب فى قلبه، فتحمل و نزل أنطاكية، و خلف أمراء من جنده على جند الشام، و أمرهم بقتالنا، و قد تيسروا لنا و استعدوا، و قد نبأنا مسالمة الشام أن هرقل استنفر أهل مملكته، و أنهم جاءوا يجرون الشوك و الشجر، فمرنا بأمرك، و عجل علينا فى ذلك برأيك، نتبعه، نسأل الله النصر و الصبر و الفتح و عافية المسلمين، و السلام عليك.

و بعث بهذا الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالىّ، فقال له أبو بكر لما قدم عليه:

أخبرنى خبر الناس، قال: المسلمون بخير، قد دخلوا أدنى أرض الشام، و رعب أهلها منهم، و ذكر لنا أن الروم قد جمعت لنا جموعا عظاما، و لم نلق عدونا بعد، و نحن فى كل يوم نتوكف لقاء العدو أو نتوقعه، و إن لم تأتنا جيوش من قبل هرقل، فليست الشام بشىء. فقال له أبو بكر رحمه الله: صدقتنى الخبر، فقال: و ما لى لا أصدقك، و يحل لى الكذب، و يصلح لمثلى أن يكذب مثلك، و لو كذبت فى هذا لم أخن إلا أمانتى و أخن ربى و أخن المسلمين. قال أبو بكر: معاذ الله، لست من أولئك، و كتب حينئذ معه بهذا الكتاب: أما بعد، فقد بلغنى كتابك، تذكر فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية «۱»، و إلقاء الله الرعب فى قلبه من جموع المسلمين، فإن الله تبارك و تعالى، و له الحمد قد نصرنا و نحن مع رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، بالرعب، و أيدنا بملائكته الكرام، و إن ذلك الدين الذى نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الدين الذى ندعو الناس إليه اليوم، فو ربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، و لا من

یشهد أنه لا ـ إله غیره کمن یعبد معه آلهة أخری و یدین بعبادة آلهة شتی، فإذا لقیتهم فانبذ إلیهم بمن معک و قاتلهم، فإن الله لن یخذلک، و قد نبأنا الله أن الفئة القلیلة منا تغلب الفئة الکثیرة بإذن الله، و أنا مع ما هنالک ممدکم بالرجال فی أثر الرجال حتی تکتفوا و لا تحتاجوا إلی زیادة إنسان إن شاء الله، و السلام.

و لما رد أبو بکر رضی الله عنه، عبد الله بن قرط «۲» بهذا الکتاب إلی یزید، قال له:

---

(۱) أنطاکیة: بتخفیف الیاء، مدینة عظیمة علی ساحل البحر، قالوا: و کل شیء عند العرب من قبل الشام فهو أنطاکیة، و یقال: لیس فی أرض الإسلام و لا أرض الروم مثلها. انظر: الروض المعطار (۳۸- ۳۹)، نزهة المشتاق (۱۹۵)، صبح الأعشی (۴/ ۱۲۹).

(۲) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۶۵۲)، الإصابة الترجمة رقم (۴۹۰۸)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۱۲۶)، الجرح و التعدیل (۵/ ۱۰۴)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۳۲۹)، تهذیب الکمال (۲/ ۷۲۴)، التاریخ الکبیر (۵/ ۳۴)، تهذیب التهذیب (۵/ ۳۶۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۸۳

أخبره و المسلمین أن مدد المسلمین آتیهم مع هاشم بن عتبة و سعید بن عامر بن حذیم.

فخرج عبد الله بکتابه حتی قدم به علی یزید، و قرأه علی المسلمین، فتباشروا به، و فرحوا.

ثم إن أبا بکر رضی الله عنه، دعا هاشم بن عتبة «۱»، فقال له: یا هاشم، إن من سعادة جدک و وفاء حظک أنک أصبحت ممن تستعین به الأمة علی جهاد عدوها من المشرکین، و ممن یثق الوالی بنصیحته و صحته و عفافه، و بأسه، و قد بعث إلی المسلمون یستنصرون علی عدوهم من الکفار، فسر إلیهم فیمن یتبعک، فإنی نادب الناس معک، فاخرج حتی تقدم علی أبی عبیدة.

ثم قام أبو بکر فی الناس، فحمد الله و أثنی علیه، ثم قال: أما بعد، فإن إخوانکم من المسلمین معافون مکلوءون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، قد ألقی الله جل ثناؤه الرعب منهم فی قلوب عدوهم، فقد استعصموا بحصونهم و أغلقوا أبوابها دونهم، و قد جاءتنی رسلهم یخبروننی بهرب هرقل ملک الروم من بین أیدیهم حتی نزل قریة من أقصی قری الشام، و أنه وجه إلیهم جندا من مکانه ذلک، فرأیت أن أمد إخوانکم بجند منکم یشد الله بهم ظهورهم، و یکبت به عدوهم، و یلقی به الرعب فی قلوبهم، فانتدبوا رحمکم الله، مع هاشم بن عتبة بن أبی وقاص، و احتسبوا فی ذلک الأجر و الخیر، فإنکم إن نصرتم فهو الفتح و الغنیمة، و إن هلکتم فهی الشهادة و الکرامة.

ثم انصرف إلی منزله، و مال الناس علی هاشم حتی کثروا علیه، فلما تموا ألفا أمره أبو بکر رحمه الله، أن یسیر، فسلم علیه و ودعه، و قال له أبو بکر: یا هاشم، إنما کنا ننتفع من الشیخ الکبیر برأیه و مشورته و حسن تدبیره، و کنا ننتفع من الشاب بصبره و بأسه و نجدته، و إن الله تعالی قد جمع لک تلک الخصال کلها، و أنت حدیث السن مستقبل الخیر، فإذا لقیت عدوک فاصبر و صابر، و اعلم أنک لا تخطو خطوة و لا تنفق و لا یصیبک ظمأ و لا نصب و لا مخمصة فی سبیل الله إلا کتب الله لک بذلک عملا صالحا، إن الله لا یضیع أجر المحسنین. فقال: إن یرد الله بی خیرا یجعلنی کذلک، و أنا أفعل، و لا قوة إلا بالله، أما أنا فأرجو إن لم أقتل أن أقتل ثم أقتل!.

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۲۷۲۹)، الإصابة الترجمة رقم (۵۳۲۸)، طبقات الخلیفة (۸۳۱)، تاریخ بغداد (۱/ ۱۹۶)، مرآة الجنان (۱/ ۱۰۱)، العقد الثمین (۷/ ۳۵۹)، شذرات الذهب (۱/ ۴۶)، العبر (۱/ ۳۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۸۴

فقال له عمه سعد بن أبی وقاص: یا ابن أخی لا تطعنن طعنة و لا تضربن ضربة إلا و أنت ترید بها وجه الله، و اعلم أنک خارج من الدنیا وشیکا، و راجع إلی الله قریبا، و لن یصحبک من الدنیا إلی الآخرة إلا قدم صدق قدمته، و عمل صالح أسلفته، فقال: یا عم، لا تخافن هذه منی، إنی إذا لمن الخاسرین إن جعلت حلی و ارتحالی و غدوی و رواحی و سعی و إجلابی، و طعنی برمحی و ضربی

بسيفى رياء للناس.

ثم خرج من عند أبى بكر رضى الله عنه، فلزم طريق أبى عبيدة حتى قدم عليه، فسر المسلمون بقدومه و تباشروا به.

و بلغ سعيد بن عامر بن حذيم «۱» أن أبا بكر يريد أن يبعثه، فلما أبطأ ذلك عليه، و مكث أياما لا يذكر له ذلك أتاه، فقال: يا أبا بكر، و الله لقد بلغنى أنك كنت أردت أن تبعثنى فى هذا الوجه، ثم رأيتك قد سكت، فما أدرى ما بدا لك فىّ، فإن كنت تريد أن تبعث غيرى فابعثنى معه، فما أرضانى بذلك، و إن كنت لا تريد أن تبعث أحدا فإنى راغب فى الجهاد، فأذن لى يرحمك الله كيما ألحق بالمسلمين، فقد ذكر لى أن الروم جمعت لهم جمعا عظيما. فقال أبو بكر: رحمك أرحم الراحمين يا سعيد بن عامر، فإنك ما علمت من المتواضعين المتواصلين المخبتين المتهجدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيرا.

فقال له سعيد: رحمك الله، نعم الله علىّ أفضل، و له الطول و المن، و أنت و الله ما علمت صدوع بالحق، قوام بالقسط، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، تحكم بالعدل، و لا تستأثر فى القسم، فقال له: حسبك يا سعيد، حسبك، اخرج رحمك الله، فتجهز، فإنى مسرح إلى المسلمين جيشا و أؤمرك عليهم، فأمر بلالا فنادى فى الناس: أن انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر إلى الشام، فانتدب معه سبعمائة رجل فى أيام، فلما أراد سعيد الشخوص جاء بلال فقال: يا خليفة رسول الله، إن كنت إنما أعتقتنى لله تعالى لأملك نفسى و أصرف فيما ينفعنى فخل سبيلى حتى أجاهد فى سبيل ربى، فإن الجهاد إلىّ أحب من المقام، قال أبو بكر: فإن الله يشهد أنى لم أعتقك إلا له، و أنى لا أريد منك جزاء و لا شكورا، فهذه الأرض ذات العرض، فاسلك أى فجاجها أحببت، فقال: كأنك أيها الصديق عتبت علىّ فى مقالتى و وجدت فى نفسك منها؟ قال: لا، و الله ما وجدت فى نفسى من ذلك، و إنى لأحب أن لا تدع هواك لهواى ما دعاك

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۹۹۳)، الإصابة الترجمة رقم (۳۲۸۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۰۸۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۲۳)، الجرح و التعديل (۴/ ۲۰۵). حلية الأولياء (۱/ ۳۶۸)، الوافى بالوفيات (۱۵/ ۳۲۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۵

هواك إلى طاعة ربك، قال: فإن شئت أقمت معك، قال: أما إذا كان هواك الجهاد فلم أكن لآمرك بالمقام، و إنما أردتك للأذان، و لأجدن لفراقك وحشة يا بلال، و لا بد من التفرق فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث، فاعمل صالحا يا بلال، و ليكن زادك من الدنيا ما يذكرك الله به ما حييت، و يحسن لك به الثواب إذا توفيت. فقال له بلال:

جزاك الله من ولى نعمة و أخ فى الإسلام خيرا، فو الله ما أمرك لنا بالصبر على الحق و المداومة على العمل بالطاعة ببدع، و ما كنت لأؤذن لأحد بعد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، ثم خرج بلال مع سعيد بن عامر.

و جاء سعيد على راحلته حتى وقف على أبى بكر و المسلمين، فقال له: إنا نؤم هذا الوجه، فجعله الله وجه بركة، اللهم فإن قضيت لنا التقاء فاجمعنا على طاعتك، و إن قضيت لنا الفرقة فإلى رحمتك، و السلام عليكم، ثم ولى يذهب. فقال أبو بكر: عباد الله، ادعوا الله كيما يصحب صاحبكم و يسلمه، ارفعوا أيديكم رحمكم الله، فرفع القوم أيديهم إلى ربهم و هم أكثر من خمسين رجلا، فقال على رضى الله عنه: ما رفع عدتكم من المسلمين أيديهم إلى ربهم يسألونه شيئا إلا استجاب لهم، ما لم يكن معصية أو قطيعة رحم، فبلغه ذلك بعد ما واقع أرض الشام و قاتل العدو، فقال: رحم الله إخوانى، ليتهم لم يكونوا دعوا لى، قد كنت خرجت و إنى على الشهادة لحريص جاهد، فما هو إلا أن لقيت العدو فعصمنى الله من الهزيمة و الفرار، و ذهب من نفسى ما كنت أعرف من حب الشهادة، فلما خبرت أن إخوانى دعوا لى بالسلامة عرفت أنهم استجيب لهم.

و كان أبو بكر أمره أن يلحق بيزيد بن أبى سفيان، فسار حتى لحق به، و شهد معه وقعة العربة و الداثنة.

و عن حمزة بن مالك الهمذانى أنه قدم فى جمع عظيم من همذان «۱» على أبى بكر، رحمه الله، قال: فقدموا و هم ألفا رجل أو أكثر،

فلما رأی أبو بکر عددهم و عدتهم سره ذلک، فقال: الحمد لله علی صنیعه للمسلمین، ما یزال الله تعالی، یرتاح لهم بمدد من أنفسهم یشد به ظهورهم و یقصم به عدوهم، قال: ثم إن أبا بکر أمرنا فعسکرنا بالمدینة، و کنت أختلف إلی أبی بکر غدوة و عشیة، و عنده رجال من المهاجرین و الأنصار، فکان یلطفنی و یدنی مجلسی، و یقول لی: تعلم القرآن، و أسبغ الوضوء، و أحسن الرکوع و السجود، و صل الصلاة لوقتها، و أد الزکاة فی حینها، و انصح المسلم، و فارق المشرک،

---

(۱) همذان: بالذال المعجمة، مدینة من عراق العجم من کور الجبل. انظر: الروض المعطار (۵۹۶)، نزهة المشتاق (۲۰۳)، الیعقوبی (۲۷۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۸۶

و احضر البأس یوم البأس. فقلت: و الله لأجهدن أن لا أدع شیئا مما أمرتنی به إلا عملته، إنی لأعلم أنک قد اجتهدت لی فی النصیحة، و أبلغت فی الموعظة، ثم إنه خرج إلی عسکرنا و أمرنا أن نتیسر و نتجهز و نشتری حوائجنا، ثم نعجل علی أصحابنا، فتحثثنا لذلک و عجلنا بالجهاز، فلما فرغنا و علم ذلک بعث إلی فقال: یا أخا همذان، إنک شریف بئیس ذو عشیرة، فأحضرهم البأس، و لا تؤذ بهم الناس.

قال: و کان معی رجال من أهل القری من همذان، فیهم جهل و جفاء، و کانوا قد تأذی منهم أهل المدینة، فشکوا ذلک إلی أبی بکر، فقال أبو بکر: نشدتک الله امرأ مسلما سمع نشدی لما کف عن هؤلاء القوم، و من رأی علیه حقا فلیحتمل ذرب ألسنتهم، أو عجلة یکرهها منهم ما لم یبلغ ذلک الحد، إن الله تعالی، مهلک بهؤلاء و أشباههم غدا جموع هرقل و الروم، و إنما هم إخوانکم، فلو أن أخا أحدکم فی دینه عجل علیه فی شیء أ لم یکن أصوب فی الرأی و خیرا فی المعاد أن یحتمل له؟ قال المسلمون: بلی، قال: فهم إخوانکم فی الدین و أنصارکم علی الأعداء، و لهم علیکم حق، فاحتملوا لهم ذلک، ثم نظر إلیّ فقال: ارتحل، ما تنتظر؟ فارتحلت و قد قلت له قبل أن نرتحل: علیّ أمیر دونک؟ قال: نعم، هناک ثلاثة أمراء قد أمرناهم؟. فأیهم شئت فکن معه، فلما لحقت بالمسلمین سألتهم: أی الأمراء أفضل و أیهم کان أفضل عند النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، صحبة؟ فقیل: أبو عبیدة بن الجراح، فقلت فی نفسی: و الله لا أعدل بهذا أحدا، فجئت حتی أتیت أبا عبیدة ثم قصصت علیه قصة مخرجی و مقدمی علی أبی بکر، و ما کان من أمری و أمر أصحابی بالمدینة، و بمقدمی علیه و اختیاری له، فقال: بارک الله لک فی إسلامک و جهادک و قدومک علینا، و بارک لنا فیک و فیمن قدمت به علینا من المسلمین.

و قال عمرو بن محصن «۱»: لم یکن أبو بکر رحمه الله، یسأم توجیه الجنود إلی الشام، و إمداد الأمراء الذین بعث إلیها بالرجال بعد الرجال، إرادة إعزاز أهل الإسلام و إذلال أهل الشرک.

و عن أبی سعید المقبری قال: لما بلغ أبا بکر رحمه الله، جمع الأعاجم لم یکن شیء أعجب إلیه من قدوم المجاهدین علیه من أرض العرب، فکانوا کلما قدموا علیه سرح الأول فالأول، فقدم علیه فیمن قدم أبو الأعور السلمی، فدخل علیه فقال: إنا جئناک من غیر قحمة و لا عدم، فإن شئت أقمنا معک مرابطین، و إن شئت وجهتنا إلی عدوک

---

(۱) انظر ترجمته فی: الاستیعاب الترجمة رقم (۱۹۷۴)، الإصابة الترجمة رقم (۵۹۷۰)، أسد الغابة الترجمة رقم (۴۰۲۱)، تجرید أسماء الصحابة (۱/ ۴۱۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۱۸۷

المشرکین، فقال له أبو بکر: لا، بل تجاهدون الکافرین، و تواسون المسلمین، فبعثه، فسار حتی قدم علی أبی عبیدة.

ثم قدم علی أبی بکر رضی الله عنه، معن بن یزید بن الأخنس السلمی فی رجال من بنی سلیم، نحو من مائة، فقال أبو بکر: لو کان

هؤلاء أكثر مما هم لأمضيناهم، فقال له عمر: و الله لو كانوا عشرة لرأيت لك أن تمد بهم إخوانهم، أى و الله، و أرى أن تمدهم بالرجال الواحد إذا كان ذا جزاء و غناء.

فقال حبيب بن مسلمة الفهرى: عندى نحو من عدتهم رجال من أبناء القبائل ذوو رغبة فى الجهاد، فأخرجنا و هؤلاء جميعا يا خليفة رسول الله، ثم ابعثنا. فقال له: أما الآن فاخرج بهم جميعا حتى تقدم بهم على إخوانهم.

فخرج فعسكر معهم، ثم جمع أصحابه إليهم، ثم مضى بهم حتى قدم على يزيد بن أبى سفيان.

قال: و اجتمعت رجال من كعب و أسلم و غفار و مزينة نحو من مائتين، فأتوا أبا بكر رضى الله عنه، فقالوا: ابعث علينا رجلا، و سرحنا إلى إخواننا، فبعث عليهم الضحاك بن قيس، فسار حتى أتى يزيد، فنزل معه.

و عن سعيد بن يزيد بن عمرو بن نفيل قال: لما رأى أهل مدائن الشام أن العرب قد جاشت عليهم من كل وجه، و كثرة جموعهم، بعثوا الرسل إلى ملكهم يعلمونه ذلك و يسألونه المدد، فكتب إليهم: إنى قد عجبت لكم حين تستمدوننى و حين تكثرون علىّ عدة من جاءكم، و أنا أعلم بكم و بمن جاءكم منهم، و لأهل مدينة واحدة من مدائنكم أكثر ممن جاءكم منهم أضعافا، فالقوهم فقاتلوهم و لا تحسبوا أنى كتبت إليكم بهذا و أنا لا أريد أن أمدكم، لأبعثن إليكم من الجنود ما تضيق به الأرض الفضاء.

و كانت مدائن أهل الشام من الروم قد أرسلوا إلى كل من كان على دينهم من العرب فأطمعهم أكثرهم فى النصر، و منهم من حمى للعرب، فكان ظهور العرب أحب إليه، و ذلك من لم يكن فى دينه راسخا منهم، و بلغ خبرهم و تراسلهم أبا عبيدة بن الجراح، فكتب إلى أبى بكر رضى الله عنهما: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فالحمد لله الذى أعزنا بالإسلام، و كرمنا بالإيمان، و هدانا لما اختلف فيه المختلفون من الحق بإذنه، إنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، و إن عيونى من أنباط الشام نبئونى أن أول أمداد ملك الروم قد وقعوا إليه، و أن أهل مدائن الشام بعثوا رسلهم إليه يستمدونه، و أنه كتب

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۸

إليهم: أن أهل مدينة من مدائنكم أكثر ممن قدم عليكم من عدوكم، فانهضوا إليهم فقاتلوهم، فإن مددى من ورائكم، فهذا ما بلغنا عنهم، و أنفس المسلمين طيبة بقتالهم، و قد خبرنا أنهم تيسروا لقتالنا، فأنزل الله على المسلمين نصره، و على عدوهم رجزه، إنه بما يعملون عليم، و السلام.

قال: فجمع أبو بكر رحمه الله، أشراف قريش من المهاجرين و غيرهم من أهل مكة، ثم دعا بأشراف الأنصار و ذوى السابقة منهم، فقال عمر: لأى شيء دعوت بهؤلاء؟

فقال: لأستشيرهم فى هذا الأمر الذى كتب إلينا فيه أبو عبيدة. قال له: أما المهاجرين و الأنصار فأهل الاستنصاح و المشورة، و أما رجال أهل مكة الذين كنا نقاتلهم لتكون كلمة الله هى العليا و يقاتلوننا ليطفئوا نور الله بأفواههم جاهدين على قتالنا، إن قلنا ليس مع الله آلهة، قالوا: مع الله آلهة أخرى، فلما أعز الله دعوتنا و صدق أحدوثتنا و نصرنا عليهم أردنا أن نقدمهم فى الأمور و نستشيرهم فيها و نستنصحهم و ندنيهم دون من هو خير منهم، ما أنصفنا إذا نصحاؤنا الذين كانوا يقاتلونهم فى الله حين نقدمهم دونهم، و لا نراهم وضعهم عندنا إذا جهادهم إيانا و جهدهم علينا، لا و الله لا نفعل ذلك أبدا.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: قد كنت أردت إدناءهم و إنزالهم منا بالمنازل التى كانوا بها فى قومهم من الشرف، فأما الآن حيث ذكرت ما ذكرت، فو الله ما أرى الرأى فى هذا إلا رأيك، فبلغ ذلك أشراف قريش أولئك، فشق عليهم.

و قال الحارث بن هشام: إن عمر كان فى شدته علينا قبل أن هدانا الله للإسلام مصيبا، فأما الآن حيث هدانا الله فلا نراه فى شدته علينا إلا قاطعا.

ثم خرج هو و سهيل بن عمرو «۱» مع عكرمة بن أبى جهل فى رجال من أشراف قريش حتى أتوا أبا بكر رحمه الله، و عنده عمر، فقال الحارث: يا عمر، إنك قد كنت فى شدتك علينا قبل الإسلام مصيبا، فأما الآن و قد هدانا الله لدينه فما نراك إلا قاطعا، ثم جثا سهيل

بن عمرو على ركبتيه و قال: إياك يا عمر نخاطب، و عليك نعتب، فأما خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فبرئ عندنا من الضغن و الحقد و القطيعة، ألسنا إخوانكم فى الإسلام، و بنى أبيكم فى النسب، أ فإنكم إن كان الله قدم لكم فى هذا الأمر قدما صالحا لم نؤت مثله قاطعون قرابتنا و مستهينون بحقنا، ثم قال لهم عكرمة: أما إنكم و إن كنتم

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۱۰)، الإصابة الترجمة رقم (۳۵۸۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۲۳۲۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۸۹

تجدون فى عداوتنا قبل اليوم مقالا فلستم اليوم بأشد على من ترك هذا الدين، و لا أعدى منا. فقال لهم عمر رضى الله عن جميعهم، و الله ما قلت الذى بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام، و تحريا للعدل فيما بينكم و بين من هو أفضل منكم.

قال سهيل: فإن كنتم إنما فضلتمونا بالجهاد فى سبيل الله، فو الله لنستكثرن منه، أشهدكم أنى حبيس فى سبيل الله.

و قال الحارث بن هشام: و أنا أشهدكم أنى حبيس فى سبيل الله، و الله لأنفقن مكان كل نفقة أنفقتها على حرب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، نفقتين فى سبيل الله، و لأنفقن مكان كل موقف وقفته على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، موقفين على أعداء الله. و قال عكرمة: و أنا أشهدكم أنى حبيس فى سبيل الله.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: اللهم أبلغ بهم أفضل ما يأملون، و اجزهم بأحسن ما يعملون، فقد أصبتم فيما صنعتم، فأرشدكم الله. فلما خرجوا من عنده أقبل سهيل على أصحابه، و كان شريفا عاقلا، فقال لهم: لا تجزعوا مما ترون، فإنهم دعوا و دعينا، فأجابوا و أبطأنا، و لو ترون فضائل من سبقكم إلى الإسلام عند الله عليكم ما نفعكم عيش، و ما من أعمال الله عمل أفضل من الجهاد فى سبيل الله، فانطلقوا حتى تكونوا بين المسلمين و بين عدوهم، فتجاهدوهم دونهم حتى تموتوا، فلعلنا أن نبلغ فضل المجاهدين، فخرجوا حينئذ إلى جهاد الروم. قال: فبلغنى أنهم ماتوا مقترنين بين المسلمين و بين الروم، رضى الله عنهم.

ثم دعا أبو بكر، عمرو بن العاص، فقال: يا عمرو، هؤلاء أشراف قومك يخرجون مجاهدين، فاخرج فعسكر حتى أندب الناس معك، فقال: يا خليفة رسول الله، أ لست أنا الوالى على الناس؟ قال: نعم، أنت الوالى على من أبعثه معك من هاهنا، قال: لا، بل وال على من أقدم عليه من المسلمين، قال: لا و لكنك أحد الأمراء، فإن جمعتكم حرب فأبو عبيدة أميركم، فسكت عنه، ثم خرج فعسكر، و اجتمع إليه ناس كثير، و كان معه أشراف قريش أولئك، فلما حضر خروجه جاء إلى عمر، فقال: يا أبا حفص، إنك قد عرفت بصرى بالحرب، و تيمن نقيبتى فى الغزو، و قد رأيت منزلتى عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قد علمت أن أبا بكر ليس يعصيك، فأشر عليه أن يولينى أمر هذه الجنود التى بالشام، فإنى أرجو أن يفتح الله على يدى هذه البلاد، و أن يريكم و المسلمين من ذلك ما تسرون به.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۰

فقال له عمر: لا أكذبك، ما كنت لأكلمه فى ذلك، لأنه لا يوافقنى أن يبعثك على أبى عبيدة، و أبو عبيدة أفضل منزلة عندنا منك، قال: فإنه لا ينقص أبا عبيدة شيئا من فضله أن ألى عليه، فقال له: ويحك يا عمرو، إنك و الله ما تطلب بهذه الرئاسة إلا شرف الدنيا، فاتق الله و لا تطلب بشىء من سعيك إلا وجه الله، و اخرج فى هذا الجيش، فإنك إن يكن عليك أمير فى هذه المرة فما أسرع ما تكون إن شاء الله أميرا ليس فوقك أحد، فقال: قد رضيت.

فخرج و استتب له المسير، فلما أراد الشخوص خرج معه أبو بكر يشيعه، و قال: يا عمرو، إنك ذو رأى و تجربة للأمور، و بصر بالحرب، و قد خرجت فى أشراف قومك، و رجال من صالحاء المسلمين، و أنت قادم على إخوانك فلا تألوهم نصيحة و لا تدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأى لك محمود فى الحرب، مبارك فى عواقب الأمور. فقال له عمرو: ما أخلق أن أصدق ظنك و لأفنك رأيك، ثم ودعه و انصرف عنه، فقدم الشام، فعظم غناؤه و بلاؤه عند المسلمين.

و كتب أبو بكر رحمه الله، إلى أبى عبيدة: أما بعد، فقد جاءنى كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم، و ما كتب به إليهم ملكهم من عدته إياهم أن يمدهم من الجنود بما تضيق به الأرض الفضاء، و لعمر الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه برحبها، و ايم الله ما أنا بيائس أن تزيلوه من مكانه الذى هو به عاجلا- إن شاء الله تعالى، فبث خيلك فى القرى و السواد، و ضيق عليهم بقطع الميرة، و لا تحاصر المدائن حتى يأتيك أمرى، فإن ناهضوك فانهض إليهم، و استعن بالله عليهم، فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناكم بمثلهم أو ضعفهم، و ليس بكم و الحمد لله قلة و لا ذلة، و لأعرفن ما جبنتم عنهم، فإن الله فاتح لكم، و مظهركم على عدوكم، و معزكم بالنصر، و ملتمس منكم الشكر، لينظر كيف تعملون، و عمرو فأوصيك به خيرا، فقد أوصيته أن لا يضيع لك حقا، و السلام عليك.

و جاء عمرو بالناس حتى نزل بأبى عبيدة، و كان عمرو فى مسيره ذلك إلى الشام، فيما حدث به عمرو بن شعيب، يستنفر من مر بهم من الأعراب، قال: فتبعه منهم ناس كثير، فلما اجتمعوا هم و من كان قدم بهم معه من المدينة، كانوا نحوا من ألفين، فلما قدم بهم على أبى عبيدة سر بهم هو و الناس الذين معه، و استأنس بهم، و كان عمرو ذا رأى فى الحرب و بصر بالأشياء، فقال له أبو عبيدة: أبا عبد الله، رب يوم شهدته فبورك للمسلمين فيه برأيك و محضرك، إنما أنا رجل منكم، لست و إن كنت الوالى عليكم بقاطع

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۱

أمرا دونكم، فأحضرنى رأيك فى كل يوم بما ترى، فإنه ليس بى عنكم غنى. فقال له:

أفعل، و الله يوفقك لما يصلح المسلمين.

و قال سهل بن سعد: ما زال أبو بكر رحمه الله تعالى، يبعث الأمراء إلى الشام، أميرا أميرا، و يبعث القبائل، قبيلة قبيلة، حتى ظن أنهم قد اكتفوا، و أنهم لا يريدون أن يزدادوا رجلا.

و ذكر أبو جعفر الطبرى «۱»، عن محمد بن إسحاق: أن تجهيز أبى بكر الجيوش إلى الشام كان بعد قفوله من الحج سنة اثنتى عشرة، و أنه حينئذ بعث عمرو بن العاص قبل فلسطين.

و ذكر فى تولية أبى بكر خالد بن سعيد بن العاص جند الشام، و تأخيره عن ذلك قبل نفوذه نحوا مما تقدم.

و ذكر أيضا من طريق آخر أن توليته إياه إنما كان على ربع من ذلك الجند.

و قيل: إن أبا بكر رضى الله عنه، جعله ردءا بتيماء، و أمره أن لا يبرحها، و أن يدعو من حوله بالانضمام إليه، و أن لا يقبل إلا ممن لم يرتد، و لا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمره. فأقام، فاجتمعت إليه جموع كثيرة، و بلغ الروم عظيم ذلك العسكر، فضربوا على العرب الضاحية بالشام البعوث إليهم، فكتب خالد بن سعيد بذلك إلى أبى بكر، فكتب إليه أبو بكر، رضى الله عنه: أن أقدم و لا تحجم و استنصر الله «۲».

فسار إليهم خالد، فلما دنا منهم تفرقوا و أعروا منزلهم، فنزله و دخل من كان تجمع له فى الإسلام. و كتب بذلك إلى أبى بكر، فكتب إليه أبو بكر رضى الله عنه: أقدم و لا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك. فسار فيمن كان خرج معه من تيماء و فيمن لحق به من طرف الرمل، فسار إليه بطريق من بطارقة الروم، يدعى باهان، فهزمه و فل جنده، و كتب بذلك إلى أبى بكر، و استمده، و قد قدم على أبى بكر أوائل مستنفرى اليمن، و من بين مكة و اليمن، فساروا فقدموا على خالد بن سعيد، و عند ذلك اهتاج أبو بكر للشام و عناه أمره.

و قد كان أبو بكر رد عمرو بن العاص على عمالته التى كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، ولاه

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۷).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۸- ۳۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۲

إياها من صدقات سعد و عذرة و ما كان معها قبل ذهابه إلى عمان، فخرج إلى عمان من عند رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و هو على عدة من عمله إذا هو رجع، فأنجز له ذلك أبو بكر، ثم كتب إليه أبو بكر عند اهتياجه للشام: إنى كنت قد رددتك على العمل الذى كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و لاكه مرة و سماه لك أخرى إذ بعثك إلى عمان إنجازا لموعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقد وليته ثم وليته، و قد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك فى حياتك و معادك منه، إلا أن يكون الذى أنت فيه أحب إليك. فكتب إليه عمرو: إنى سهم من سهام الإسلام، و أنت بعد الله الرامى بها، و الجامع لها، فانظر أسرها و أحسنها و أفضلها فارم به شيئا إن جاءك من ناحية من النواحى «۱».

و كتب أبو بكر رضى الله عنه، إلى الوليد بن عقبة بنحو ذلك، فأجابه بإيثار الجهاد.

و عن أبى أمامة الباهلى «۲»، قال: كنت ممن سرح أبو بكر رضى الله عنه، مع أبى عبيدة، و أوصانى به و أوصاه بى، فكانت أول وقعة بالشام يوم العربة، ثم يوم الداثنة، و ليسا من الأيام العظام، خرج ستة قواد من الروم مع كل قائد خمسمائة، فكانوا ثلاثة آلاف، فأقبلوا حتى انتهوا إلى العربة، فبعث يزيد بن أبى سفيان إلى أبى عبيدة يعلمه، فبعثنى إليه فى خمسمائة، فلما أتيته بعث معى رجلا فى خمسمائة، فلما رأيناهم يعنى الروم و قوادهم أولئك، حملنا عليهم فهزمناهم و قتلنا قائدا من قوادهم، ثم مضوا و اتبعناهم، فجمعوا لنا بالداثنة، فسرنا إليهم، فقدمنى يزيد و صاحبى فى عدتنا، فهزمناهم، فعند ذلك فزعوا و اجتمعوا و أمدهم ملكهم.

و ذكر ابن إسحاق عن صالح بن كيسان أن عمرو بن العاص خرج حتى نزل بعمر العربات، و نزلت الروم بثنية جلق بأعلى فلسطين فى سبعين ألفا عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه و أمه، فكتب عمرو إلى أبى بكر يستمده، و خرج خالد بن سعيد بن العاص و هو بمرج الصفر من أرض الشام فى يوم مطير يستمطر فيه فتعادى عليه أعلاج الروم فقتلوه، و قيل أتاهم أذريجا فى أربعة آلاف و هم غازون فاستشهد خالد بن سعيد و عدة من المسلمين.

قال أبو جعفر الطبرى «۳»: قيل إن المقتول فى هذه الغزوة ابن لخالد بن سعيد، و أن خالدا انحاز حين قتل ابنه.

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۹).

(۲) اسمه: صدى بن عجلان. انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۲۸۸۲)، الإصابة الترجمة رقم (۹۵۴۶)، أسد الغابة الترجمة رقم (۵۶۹۵).

(۳) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۳

و ذكر سيف أن الوليد بن عقبة لما قدم على خالد بن سعيد فسانده، و قدمت جنود المسلمين الذين كان أبو بكر أمده بهم، و بلغه عن الأمراء، يعنى أمراء المسلمين الذين أمدهم أبو بكر، و توجههم إليه، اقتحم على الروم طلب الحظوة، و أعرى ظهره، و بادر الأمراء لقتال الروم، و استطرد له باهان، فأرز هو و من معه إلى دمشق، و اقتحم خالد فى الجيش و معه ذو الكلاع و عكرمة و الوليد حتى ينزل المرج، مرج الصفر، ما بين الواقوصة و دمشق، فانطوت مسالح باهان عليه، و أخذوا عليه الطرق و لا يشعر، و زحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر فى الناس، فقتلوهم. و أتى الخبر خالدا، فخرج هاربا فى جريدة خيل، و لم ينته بخالد الهزيمة عن ذى المروة، و أقام عكرمة فى الناس ردءا لهم، فرد عنهم باهان و جنوده أن يطلبوهم، و أقام من الشام على قريب.

و ذكر ابن إسحاق مسير الأمراء و منازلهم، و أن يزيد بن أبى سفيان نزل البلقاء، و نزل شرحبيل بن حسنة الأردن، و يقال: بصرى، و نزل أبو عبيدة الجابية.

و عن غير ابن إسحاق أنه لما نزل أبو عبيدة بالجابية كتب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، منها: أما بعد، فإن الروم و أهل البلد، و من كان على دينهم من العرب قد أجمعوا على حرب المسلمين، و نحن نرجو النصر، و إنجاز موعود الرب تبارك و تعالى، و عادته

الحسنى، و أحببت إعلامك ذلك لترينا رأيك.

فقال أبو بكر رحمه الله: و الله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد. و كان خالد إذ ذاك يلى حرب العراق، فكتب إليه أبو بكر:

أما بعد، فدع العراق و خلف فيه أهله الذين قدمت عليهم و هم فيه، و امض متخفيا فى أهل القوة من أصحابك الذين قدموا معك العراق، من اليمامة، و صحبوك فى الطريق، و قدموا عليك من الحجاز، حتى تأتى الشام، فتلقى أبا عبيدة و من معه من المسلمين، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة، و السلام.

و يروى أنه كان فيما كتب إليه به: «أن سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا و أشجوا، و إياك أن تعود لمثل ما فعلت، فإنه لم يشج الجموع بعون الله سبحانه، أحد من الناس إشجاءك، و لم ينزع الشجاء أحد من الناس نزعك، فلتهنئك أبا سليمان النعمة و الحظوة، فأتمم يتمم الله لك، و لا يدخلنك عجب فتخسر و تخذل، و إياك أن تدل بعمل، فإن الله تعالى، له المن، و هو ولى الجزاء» «۱».

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۴- ۳۸۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۴

و وافى خالدا كتاب أبى بكر هذا و هو بالحيرة «۱»، منصرفا من حجة حجها مكتتما بها، و ذلك أنه لما فرغ من إيقاعه بالروم و من انضوى إليهم مغيثا لهم من مسالح فارس بالفراض، و الفراض تخوم الشام و العراق و الجزيرة، أقام بالفراض عشرا، ثم أذن بالقفل إلى الحيرة لخمس بقين من ذى القعدة، و أمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم، و أمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم، و أظهر خالد أنه فى الساقة. و خرج من الحيرة و معه عدة من أصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل و لا رئبال فسار طريقا من طريق الجزيرة، لم ير طريقا أعجب منه، فكانت غيبته عن الجند يسيرة، ما توافى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذى وضعه، و قدما معا، و خالد و أصحابه محلقون، و لم يعلم بحجه إلا من أفضى إليه بذلك من الساقة، و لم يعلم أبو بكر رحمه الله، بذلك إلا بعد، فهو الذى يعنيه بما تقدم فى كتاب إليه من معاتبته إياه «۲».

و قدم على خالد بالكتاب عبد الرحمن بن حنبل الجمحى، فقال له خالد قبل أن قرأ كتابه: ما وراءك؟ فقال: خير، تسير إلى الشام. فشق عليه ذلك و قال: هذا عمل عمر، نفس علىّ أن يفتح الله على العراق.

و كانت الفرس قد هابوه هيبة شديدة، و كان خالد إذا نزل بقوم من المشركين عذابا من عذاب الله عليهم، و ليثا من الليوث.

فلما قرأ كتاب أبى بكر و رأى أنه قد ولاه على أبى عبيدة و على الشام، كأن ذلك سخا بنفسه. و قال: أما إذ ولانى، فإن فى الشام من العراق خلفا، فقام إليه النسير بن ديسم العجلى، و كان من أشراف بنى عجل و فرسان بكر بن وائل، و من رءوس أصحاب المثنى بن حارثة، فقال لخالد: أصلحك الله، و الله ما جعل الله فى الشام من العراق خلفا، للعراق أكثر حنطة و شعيرا و ديباجا و حريرا و فضة و ذهبا، و أوسع سعة، و أعرض عرضا، و الله ما الشام كله إلا كجانب من العراق، فكره المثنى مشورته عليه، و كان يحب أن يخرج عن العراق و يخليه و إياها.

---

(۱) الحيرة: قال الهمدانىّ: سار تبع أبو كرب فى غزوته فلما أتى موضع الحيرة خلف هنالك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله و خلف معه من ثقل من أصحابه فى نحو اثنى عشر ألفا و قال: تحيروا هذا الموضع، فسمى الموضع الحيرة، فما لك أول ملوك الحيرة و أبوهم. و كانت الحيرة على ثلاثة أميال من الكوفة، و الحيرة على النجف، و النجف كان على ساحل البحر الملح، و كان فى سالف الدهر يبلغ الحيرة. انظر: الروض المعطار (۲۰۷).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۵

فقال خالد: إن بالشام أهل الإسلام، و قد تهيأت لهم الروم و تيسرت، فإنما أنا مغيث و ليس لهم متركك، فكونوا أنتم هاهنا على حالكم التى كنتم عليها، فإن نفرغ مما أشخصنا إليه عاجلا عجلنا إليكم، و إن أبطأت رجوت أن لا تعجزوا و لا تهنوا، و ليس خليفة رسول الله بتارك إمدادكم بالرجال حتى يفتح الله عليكم هذه البلاد إن شاء الله تعالى.

و يروى أن أبا بكر أمر خالدا بالخروج فى شطر الناس، و أن يخلف على الشطر الثانى المثنى بن حارثة، و قال له: لا تأخذ مجدا إلا خلفت لهم مجدا، فإذا فتح الله عليكم فارددهم إلى العراق معهم، ثم أنت على عملك.

و أحصى خالد أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فاستأثرهم على المثنى و ترك للمثنى أعدادهم من أهل الغناء ممن لم يكن له صحبة، ثم نظر فيمن بقى فاختلج من كان قدم على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، وافدا أو غير وافد، و ترك للمثنى أعدادهم من أهل الغناء، ثم قسم الجند نصفين.

فقال المثنى: و الله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبى بكر كله فى استصحاب نصف الصحابة، و إبقاء النصف أو بعض النصف، فو الله ما أرجو النصر إلا بهم، فأنى تعرينى منهم؟ فلما رأى ذلك خالد بعد ما تلكأ عليه أعاضه منهم حتى رضى، و كان فيمن أعاضه منهم فرات بن حيان العجلى و بشير بن الخصاصية و الحارث بن حسان الذهليان و معبد بن أم معبد الأسلمى و بلال بن الحارث المزنى و عاصم بن عمرو التميمى، حتى إذا رضى المثنى و أخذ حاجته انحدر خالد فمضى لوجهه، و شيعه المثنى إلى قراقر، فقال له خالد: انصرف إلى سلطانك غير مقصر و لا ملوم و لا وان «۱».

و ذكر الطبرى «۲» أن خالدا رحمه الله، لما أراد المسير إلى الشام دعا بالأدلة فارتحل من الحيرة سائرا إلى دومة، ثم ظعن فى البر إلى قراقر، ثم قال: كيف لى بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم؟ فإنى إن استقبلتها حبستنى عن غياث المسلمين، فكلهم قال: لا نعرف إلا طريقا لا تحمل الجيوش، فإياك أن تغرر بالمسلمين، فعزم عليه، و لم يجبه إلى ذلك إلا رافع بن عميرة على تهيب شديد، فقام فيهم فقال: لا يختلفن هديكم و لا تضعفن تعبئتكم، و اعلموا أن المعونة تأتى على قدر النية، و الأجر على قدر الحسبة، و أن المسلم لا ينبغى له أن يكترث لشىء يقع فيه مع معونة الله له. فقالوا له: أنت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك، فطابقوه و نووا و احتسبوا.

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۱۱).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۰۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۶

و ذكر غير الطبرى أن خالدا حين أراد المسير إلى الشام قال له محرز بن حريش، و كان يتجر بالحيرة، و يسافر إلى الشام: اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن، ثم أمه حتى تصبح، فإنك لا تجور. فجرب ذلك فوجده كذلك.

ثم أخذ فى السماوة حتى انتهى إلى قراقر ففوز من قراقر إلى سوى، و هما منزلان بينهما خمس ليال، فلم يهتدوا للطريق، فدل على رافع بن عميرة الطائى، فقال: خفف الأثقال و اسلك هذه المفازة إن كنت فاعلا، فكره خالد أن يخلف أحدا، فقال: قد أتانى أمر لا بد من إنفاذه، و أن نكون جميعا. قال: فو الله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه، ما يسلكها إلا مغررا، فكيف أنت بمن معك؟ قال: إنه لا بد من ذلك، فقد أتتنى عزيمة، قال: فمن استطاع منكم أن يصر أذن راحلته على ماء فليفعل، فإنها المهالك إلا ما وقى الله، ثم قال لخالد: ابغنى عشرين جزورا عظاما سمانا مسان. فأتاه بهن، فظمأهن حتى إذا أجهدهن عطشا سقاهن حتى أرواهن، ثم قطع مشافرهن، ثم كعمهن «۱»، ثم قال لخالد: سر بالخيول و الأثقال، فكلما نزل منزلا نحر من تلك الشرف أربعا فافتض ماءهن فسقاه الخيول، و شرب الناس مما تزودوا حتى إذا كان آخر ذلك قال خالد لرافع: ويحك ما عندك يا رافع؟ فقال: أدركك الرأى إن شاء الله، انظروا،

هل تجدون شجرة؟ هو شج على ظهر الطريق، قالوا: لا، قال: إنا لله إذا و الله هلكت و أهلكت، لا أبا لكم انظروا، فنظروا فوجدوها، فكبروا و كبر و قال: أحفروا فى أصلها، فاحتفروا، فوجدوا عينا، فشربوا و ارتووا، فقال رافع: و الله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة مع أبى و أنا غلام.

و قال راجز من المسلمين:

لله در رافع أنى اهتدىفوز من قراقر إلى سوى

أرضا إذا ما سارها الجيش بكىما سارها من قبله إنس أرى

لكن بأسباب متينات الهدىنكبها الله بنيات الردى «۲» و عن عبد الله بن قرط الثمالىّ قال: لما خرج خالد من عين التمر «۳» مقبلا إلى الشام كتب إلى المسلمين مع عمرو بن الطفيل بن عمرو الأزدى، و هو ابن ذى النور: أما بعد، فإن كتاب خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أتانى، فأمرنى بالمسير إليكم، و قد شمرت و انكمشت، و كأن قد أظلت عليكم خيلى و رجالى، فأبشروا بإنجاز موعود الله، و حسن ثواب الله،

---

(۱) كعمهن: أى شد أفواههن.

(۲) انظر الأبيات فى: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۱۶).

(۳) راجع خبر عين التمر فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۰۷)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۷

عصمنا الله و إياكم باليقين، و أثابنا أحسن ثواب المجاهدين، و السلام عليكم.

و كتب معه إلى أبى عبيدة: أما بعد، فإنى أسأل الله تعالى لنا و لك الأمن يوم الخوف و العصمة فى دار الدنيا من كل سوء، و قد أتانى كتاب خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، يأمرنى بالمسير إلى الشام، و بالقيام على جندها، و التوالى لأمرها، و الله ما طلبت ذلك قط، و لا أردته، إذ وليته، فأنت على حالتك التى كنت لا نعصيك و لا نخالفك و لا نقطع أمرا دونك، فإنك سيد المسلمين، لا ننكر فضلك، و لا نستغنى عن رأيك، تمم الله ما بنا و بك من إحسان، و رحمنا و إياك من صلى النار، و السلام عليك و رحمة الله.

قال: فلما قدم علينا عمرو بن الطفيل «۱»، قرأ كتاب خالد على الناس و هم بالجابية، و دفع إلى أبى عبيدة كتابه، فقرأه، فقال: بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى وحيى الله خالدا.

قال: و شق على المسلمين أن ولى خالد على أبى عبيدة، و لم أره على أحد أشد منه على بنى سعيد بن العاص، و إنما كانوا متطوعين حبسوا أنفسهم فى سبيل الله حتى يظهر الله الإسلام. فأما أبو عبيدة فإنا لم نتبين فى وجهه و لا فى شىء من منطقة الكراهة لأمر خالد.

و عن سهل بن سعد أن أبا بكر كتب إلى أبى عبيدة، رضى الله عنهما: أما بعد، فإنى قد وليت خالدا قتال العدو بالشام فلا تخالفه و اسمع له و أطع أمره، فإنى لم أبعثه عليك أن لا تكون عندى خيرا منه، و لكنى ظننت أن له فطنة فى الحرب ليست لك، أراد الله بنا و بك خيرا، و السلام.

ثم إن خالدا خرج من عين التمر حتى أغار على بنى تغلب و النمر بالبسر فقتلهم، و هزمهم، و أصاب من أموالهم طرفا. قال: و إن رجلا منهم ليشرب من شراب له فى جفنة، و هو يقول:

ألا علانى قبل جيش أبى بكرلعل منايانا قريب و ما ندرى فما هو إلا أن فرغ من قوله، حتى شد عليه رجل من المسلمين فضرب عنقه، فإذا رأسه فى الجفنة.

---

(۱) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (۱۹۵۱)، الإصابة الترجمة رقم (۵۸۹۴)، أسد الغابة الترجمة رقم (۳۹۶۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۸

و عن عدى بن حاتم قال «۱»: غزونا، يعنى مع خالد، على أهل المصيخ، و إذا رجل من النمر يدعى حرقوص بن النعمان، حوله بنوه و امرأته، و بينهم جفنة من خمر، و هم عليها عكوف يقولون له: و من يشرب هذه الساعة فى أعجاز الليل؟ فقال: اشربوا شرب وداع، فما أرى أن تشربوا خمرا بعدها أبدا، هذا خالد بالعين و قد بلغه جمعنا و ليس بتاركنا:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهرو قبل انتقاض القوم بالعسكر الدثر

و قبل منايانا المصيبة بالقدرلحين لعمرى لا يزيد و لا يحرى فسبق إليه و هو فى ذلك بعض الخيل، فضرب رأسه، فإذا هو فى جفنته، فأخذنا بناته و قتلنا بنيه.

و فى كتاب سيف قال «۲»: و لما بلغ غسان خروج خالد على سوى و انتسافها، و إغارته على مصيخ بهراء و انتسافها، اجتمعوا بمرج راهط، و بلغ ذلك خالدا و قد خلف ثغور الشام و جنودها مما يلى العراق، فصار بينهم و بين اليرموك صمد لهم، فخرج من سوى بعد ما رجع إليها بسبى بهراء فنزل علمين على الطريق، ثم نزل الكثيب، حتى سار إلى دمشق، ثم مرج الصفر، فلقى عليه غسان، و عليهم الحارث بن الأيهم، فانتسف عسكرهم و نزل بالمرج أياما، و بعث إلى أبى بكر بالأخماس، ثم خرج من المرج حتى نزل مياه بصرى، فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدى خالد فيمن معه من جنود العراق، و خرج منها فوافى المسلمين بالواقوصة.

و عن غير سيف أن خالدا أغار على غسان فى يوم فصحهم، فقتل و سبى، و خرج على أهل الغوطة حتى أغار عليهم، فقتل ما شاء و غنم، ثم إن العدو دخلوا دمشق فتحصنوا، و أقبل أبو عبيدة، و كان بالجابية مقيما، حتى نزل معه بالغوطة، فحاصر أهل دمشق.

و عن قيس بن أبى حازم قال: كان خرج مع خالد من بجيلة و عظمهم أحمس نحو من مائتى رجل و من طيئ نحو من مائة و خمسين.

قال: و كان معنا المسيب بن نجيبة، فى نحو مائتى فارس من بنى ذبيان، و كان يعنى خالدا، فى نحو من ثلاثمائة من المهاجرين و الأنصار، فكان أصحابه الذين دخلوا معه

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۸۲).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۱۰- ۴۱۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۱۹۹

الشام ثمانمائة و خمسين رجلا كلهم ذو نية و بصيرة، لأنه كان يقحمهم أمورا يعلمون أنه لا يقوى على ذلك إلا كل قوى جلد، فأقبل بنا حتى مر بأركة، فأغار عليها، و أخذ الأموال، و تحصن منه أهلها، فلم يبارحهم حتى صالحهم.

قال: و مر بتدمر «۱»، فتحصنوا منه، فأحاط بهم من كل جانب، و أخذهم من كل مأخذ، فلم يقدر عليهم، فلما لم يطقهم ترحل عنهم، و قال لهم حين أراد أن يرتحل، فيما روى عن عبد الله بن قرط: و الله لو كنتم فى السحاب لاستنزلناكم و ظهرنا عليكم، ما جئناكم إلا و نحن نعلم أنكم ستفتحون علينا، و إن أنتم لم تصالحوا هذه المرة لأرجعن إليكم لو قد انصرفت من وجهى هذا ثم لا أرحل عنكم حتى أقتل مقاتلتكم و أسبى ذراريكم.

فلما فصل قال علماؤهم، و اجتمعوا: إنا لا نرى هؤلاء القوم إلا الذين كنا نتحدث أنهم يظهرون علينا، فافتحوا لهم، فبعثوا إلى خالد فجاء، ففتحوا له و صالحوه.

و عن سراقة بن عبد الأعلى بن سراقة: أن خالدا فى طريقه ذلك مر على حوران فهابوه، فتحرز أكثرهم منه، و أغار عليهم، فاستاق الأموال و قتل الرجال و أقام عليهم أياما، فبعثوا إلى ما حولهم ليمدوهم، فأمدوهم من مكانين: من بعلبك، و هى أرض دمشق، و من قبل بصرى، و بصرى مدينة حوران، و هى من أرض دمشق أيضا.

فلما رأى المددين قد أقبلا خرج فصف بالمسلمين، ثم تجرد فى مائتى فارس، فحمل على مدد بعلبك «۲» و هم أكثر من ألفين فما

وقفوا حتى انهزموا، فدخلوا المدينة، ثم انصرف يوجف فى أصحابه وجيفا، حتى إذا كان بحذاء بصرى، و إنهم لأكثر من ألفين، حمل عليهم فما ثبتوا له فواقا حتى هزمهم، فدخلوا المدينة، و خرج أهل المدينة فرموا المسلمين بالنشاب، فانصرف عنهم خالد و أصحابه، حتى إذا كان من الغد خرجوا إليه ليقاتلوه، فعجزوا و أظهر الله عليهم المسلمين، فصالحوهم.

و قال عمرو بن محصن: حدثنى علج من أهل حوران «۳» كان يشجع، قال: و الله

---

(۱) تدمر: من مدن الشام بالبرية، أولية يقال إن الجن بنتها لسليمان عليه السلام. و من حلب إليها خمسة أيام و كذلك من دمشق إليها، و كذا من الرقة إليها، و كذا من الرحبة إليها. انظر: الروض المعطار (۱۳۱)، معجم ما استعجم (۱/ ۳۰۷).

(۲) بعلبك: مدينة بالشام بينها و بين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، و هى حصينة فى سفح جبل و عليها سور حصين بالحجارة. انظر: الروض المعطار (۱۰۹)، نزهة المشتاق (۱۱۶).

(۳) حوران: جبل بالشام، و حوران أيضا من أعمال دمشق، و مدينتها بصرى، تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ حتى تصل إلى مدينة بصرى. انظر: الروض المعطار (۲۰۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۰

لخرجنا إليهم بعد ما جاءنا مدد أهل بعلبك و أهل بصرى بيوم، فلخرجنا و إنا لأكثر من خالد و أصحابه بعشرة أضعافهم و أكثر، فما هو إلا أن دنونا منهم، فثاروا فى وجوهنا بالسيوف كأنهم الأسد، فانهزمنا أقبح الهزيمة، و قتلونا شر المقتلة، فما عدنا نخرج إليهم حتى صالحناهم، و لقد رأيت رجلا منا كنا نعده بألف رجل، قال: لئن رأيت أميرهم لأقتلنه، فلما رأى خالدا قيل له: هذا خالد أمير القوم، فحمل عليه، و إنا لنرجو لبأسه أن يقتله، فما هو إلا أن دنا منه، فضرب خالد فرسه، فقدمه عليه، ثم استعرض وجهه بالسيف فأطار قحف رأسه، و دخلنا مدينتنا، فما كان لنا هم إلا الصلح حتى صالحناهم.

و عن قيس بن أبى حازم قال: كنت مع خالد حين مر بالشام، فأقبل حتى نزل بقناة بصرى من أرض حوران، و هى مدينتها، فلما نزلنا و اطمأننا خرج إلينا الدرنجار «۱» فى خمسة آلاف فارس من الروم، فأقبل إلينا و ما يظن هو و أصحابه إلا أنا فى أكفهم، فخرج خالد فصفنا، ثم جعل على ميمنتنا رافع بن عميرة الطائى، و على ميسرتنا ضرار بن الأزور، و على الرجال عبد الرحمن بن حنبل الجمحى، و قسم خيله، فجعل على شطرها المسيب بن نجية، و على الشطر الآخر رجلا كان معه من بكر بن وائل، و لم يسمه، و أمرهما خالد حين قسم الخيل بينهما أن يرتفعا من فوق القوم عن يمين و شمال، ثم ينصبا على القوم، ففعلا ذلك، و أمرنا خالد أن نزحف إلى القلب، فزحفنا إليهم، و الله ما نحن إلا ثمانمائة و خمسون رجلا، و أربعمائة رجل من مشجعة من قضاعة، استقبلنا بهم يعبوب رجل منهم، فكنا ألفا و مائتين و نيفا.

قال: و كنا نظن أن الكثير من المشركين و القليل عند خالد سواء، لأنه كان لا يملأ صدره منهم شيء، و لا يبالى بمن لقى منهم لجرأته عليهم، فلما دنوا منا شدوا علينا شدتين، فلم نبرح، ثم إن خالدا نادى بصوت له جهورى شديد عال، فقال: يا أهل الإسلام، الشدة، الشدة، احملوا رحمكم الله، عليهم، فإنكم إن قاتلتموهم محتسبين بذلك وجه الله فليس لهم أن يواقفوكم ساعة، ثم إن خالدا شد عليهم، فشددنا معه، فو الله الذى لا إله إلا هو ما ثبتوا لنا فواقا حتى انهزموا، فقتلنا منهم فى المعركة مقتلة عظيمة، ثم اتبعناهم نكردهم «۲» و نصيب الطرف منهم، و نقطعهم عن أصحابهم، ثم نقتلهم، فلم نزل كذلك حتى انتهينا إلى مدينة بصرى، فأخرج لنا أهلها الأسواق، و استقبلوا المسلمين

---

(۱) الدرنجار: أى قائد الروم البيزنطين.

(۲) نكردهم: أى نطردهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۱

بكل ما يحبون، ثم سألوا الصلح، فصالحناهم، فخرج خالد من فوره ذلك، فأغار على غسان فى جانب من مرج راهط فى يوم فصحهم، فقتل و سبى.

و عن أبى الخزرج الغسانى قال: كانت أمى فى ذلك السبى، فلما رأت هدى المسلمين و صلاحهم و صلاتهم وقع الإسلام فى قلبها فأسلمت، فطلبها أبى فى السبى فعرفها، فجاء المسلمين فقال: يا أهل الإسلام، إنى رجل مسلم، و هذه امرأتى قد أصبتموها، فإن رأيتم أن تصلونى و تحفظوا حقى فتردوا علىّ أهلى فعلتم. فقال لها المسلمون: ما تقولين فى زوجك قد جاء يطلبك و هو مسلم؟ قالت: إن كان مسلما رجعت إليه، و إلا فلا حاجة لى فيه، و لست براجعة إليه.

وقعة أجنادين

ذكر سعيد بن الفضل و أبو إسماعيل و غيرهما أن خالد بن الوليد لما دخل الغوطة «۱» كان قد مر بثنية فخرعها، و معه راية له بيضاء تدعى العقاب، فسميت بذلك تلك الثنية:

ثنية العقاب، ثم نزل ديرا يقال له: دير خالد لنزوله به، و هو مما يلى باب الشرقى، يعنى من دمشق.

و جاء أبو عبيدة من قبل الجابية، حتى نزل باب الجابية، ثم شنا الغارات فى الغوطة و غيرها، فبينما هما كذلك أتاهما أن وردان صاحب حمص، قد جمع الجموع يريد أن يقتطع شرحبيل بن حسنة و هو ببصرى، و أن جموعا من الروم قد نزلت أجنادين «۲»، و أن أهل البلد و من مروا به من نصارى العرب قد سارعوا إليهم، فأتاهما خبر أفظعهما و هما مقيمان على عدو يقاتلانه، فالتقيا فتشاورا فى ذلك، فقال أبو عبيدة: أرى أن نسير حتى نقدم على شرحبيل قبل أن ينتهى إليه العدو الذى قد صمد صمدة، فإذا اجتمعنا سرنا إليه حتى نلقاه، فقال له خالد: إن جمع الروم هنا بأجنادين، و إن نحن سرنا إلى شرحبيل تبعنا هؤلاء من قريب، و لكن أرى أن نصمد صمد عظمهم، و أن نبعث إلى شرحبيل فنحذره مسير العدو إليه، و نأمره فيوافينا بأجنادين، و نبعث إلى يزيد بن أبى سفيان و عمرو بن العاص فيوافيانا بأجنادين، ثم نناهض عدونا. فقال له أبو عبيدة: هذا رأى حسن، فأمضه على بركة الله.

---

(۱) الغوطة: قيل: هى قصبة دمشق، و قيل: هو موضع متصل بدمشق من جهة باب الفراديس، و طول الغوطة مرحلتان عرض فى عرض مرحلة. انظر: الروض المعطار (۴۳۱).

(۲) أجنادين: بفتح الهمزة و النون و الدال، بعدها ياء و نون على لفظ التثنية، موضع بالشام من بلاد الأردن. انظر: الروض المعطار (۱۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۲

و كان خالد مبارك الولاية، ميمون النقيبة، مجربا، بصيرا، بالحرب، مظفرا. فلما أراد الشخوص من أرض دمشق إلى الروم الذين اجتمعوا بأجنادين، كتب نسخة واحدة إلى الأمراء:

أما بعد، فإنه نزل بأجنادين جمع من جموع الروم، غير ذى قوة و لا عدة، و الله قاصمهم و قاطع دابرهم، و جاعل دائرة السوء عليهم، و قد شخصت إليهم يوم سرحت رسولى إليكم، فإذا قدم عليكم فانهضوا إلى عدوكم بأحسن عدتكم و أصح نيتكم، ضاعف الله أجوركم و حط أوزاركم، و السلام.

و وجه بهذه النسخ مع أنباط كانوا مع المسلمين عيونا لهم، و فيوجا «۱» و كان المسلمون يرضخون لهم، و دعا خالد الرسول الذى بعثه منهم إلى شرحبيل، فقال له:

كيف علمك بالطريق؟ قال: أنا أدل الناس بالطريق، قال: فادفع إليه هذا الكتاب، و حذره الجيش الذى ذكر لنا أنه يريده، و خذ به و

بأصحابه طریقا تعدل به عن طریق العدو الذی شخص إلیه و تأتی به حتی تقدمه علینا بأجنادین. قال: نعم، فخرج الرسول إلی شرحبیل، و رسول آخر إلی عمرو بن العاص، و آخر إلی یزید بن أبی سفیان.

و خرج خالد و أبو عبیدة بالناس إلی أهل أجنادین، و المسلمون سراع إلیهم، جراء علیهم، فلما شخصوا لم یرعهم إلا أهل دمشق فی آثارهم، فلحقوا أبا عبیدة و هو فی أخریات الناس فلما رآهم قد لحقوا به نزل، و أحاطوا به، و هو فی نحو من مائتی رجل من أصحابه، و أهل دمشق فی عدد کثیر، فقاتلهم أبو عبیدة قتالا شدیدا، و أتی الخبر خالدا و هو أمام الناس فی الفرسان و الخیل، فعطف راجعا، و رجع الناس معه، و تعجل خالد فی الخیل و أهل القوة، و انتهوا إلی أبی عبیدة و أصحابه و هم یقاتلون الروم قتالا حسنا، فحمل الخیل علی الروم فدق بعضهم علی بعض، و قتلهم ثلاثة أمیال حتی دخلوا دمشق، ثم انصرف، و مضی بالناس نحو الجابیة، و أخذ یلتفت و ینتظر قدوم أصحابه علیه.

و مضی رسول خالد إلی شرحبیل، فوافاه و لیس بینه و بین الجیش الذی سار إلیه من حمص «۲» مع وردان إلا مسیرة یوم، و هو لا یشعر، فدفع إلیه الرسول الکتاب، و أخبره الخبر، و استحثه بالشخوص، فقام شرحبیل، فی الناس، فقال: أیها الناس، اشخصوا إلی

---

(۱) فیوج: جمع فج، و هو الحارث أو العداء سریع الجری.

(۲) حمص: مدینة بالشام، و لا یجوز فیها الصرف کما لا یجوز فی هند لأنه اسم أعجمی، سمیت برجل من العمالیق یسمی حمص، و یقال: رجل من عاملة، هو أو من نزلها. انظر: الروض المعطار (۱۹۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۰۳

أمیرکم، فإنه قد توجه إلی عدو المسلمین بأجنادین، و قد کتب إلیّ یأمرنی بموافاته هنالک.

ثم خرج بالناس و مضی بهم الدلیل، و بلغ ذلک الجیش الذی جاء فی طلبهم، فجعل المسیر فی آثارهم، و جاء وردان کتاب من الروم الذین بأجنادین: أن عجل إلینا فإنا مؤمروک علینا و مقاتلون معک العرب حتی تنفیهم من بلادنا. فأقبل فی آثار هؤلاء، رجاء أن یستأصلهم أو یصیب طرفا منهم، فیکون قد نکب طائفة من المسلمین، فأسرع السیر فلم یلحقهم، و جاءوا حتی قدموا علی المسلمین، و جاء وردان فیمن معه حتی وافی جمع الروم بأجنادین، فأمروه علیهم، و اشتد أمرهم.

و أقبل یزید بن أبی سفیان حتی وافی أبا عبیدة و خالدا، ثم إنهم ساروا حتی نزلوا بأجنادین، و جاء عمرو بن العاص فیمن معه، فاجتمع المسلمون جمیعا بأجنادین، و تزاحف الناس غداة السبت.

فخرج خالد، فأنزل أبا عبیدة فی الرجال، و بعث معاذ بن جبل علی المیمنة، و سعید ابن عامر بن حذیم علی المیسرة، و سعید بن زید بن عمرو بن نفیل علی الخیل.

و أقبل خالد یسیر فی الناس، لا یقر فی مکان واحد، یحرض الناس، و قد أمر نساء المسلمین فاحتزمن و قمن وراء الناس یدعون الله و یستغثنه، و کلما مر بهن رجل من المسلمین رفعن أولادهن إلیه و قلن لهم: قاتلوا دون أولادکم و نسائکم.

و أقبل خالد یقف علی کل قبیلة فیقول: اتقوا الله عباد الله، و قاتلوا فی الله من کفر بالله، و لا- تنکصوا علی أعقابکم، و لا تهنوا من عدوکم، و لکن أقدموا کإقدام الأسد، أو ینجلی الرعب و أنتم أحرار کرام، قد أوتیتم الدنیا و استوجبتم علی الله ثواب الآخرة، و لا یهولنکم ما ترون من کثرتهم، فإن الله منزل رجزه و عقابه بهم. و قال للناس: إذا حملت فاحملوا.

و قال معاذ بن جبل: یا معشر المسلمین، اشروا أنفسکم الیوم لله، فإنکم إن هزمتموهم الیوم کانت لکم دار السلام أبدا مع رضوان الله و الثواب العظیم من الله.

و کان من رأی خالد مدافعتهم، و أن یؤخر القتال إلی صلاة الظهر، عند مهب الأرواح، و تلک الساعة التی کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، یستحب القتال فیها، فأعجله الروم، فحملوا علی المسلمین مرتین: من قبل المیمنة علی معاذ بن جبل، و من قبل المیسرة

على

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۴

سعيد بن عامر، فلم يتخلخل أحد منهم، و رموا المسلمين بالنشاب، فنادى سعيد بن زيد، و كان من أشد الناس: يا خالد علام تستهدف هؤلاء الأعلاج؟ و قد رشقونا بالنشاب حتى شمست الخيل، فقال خالد للمسلمين: احملوا رحمكم الله على اسم الله، فحمل خالد و الناس بأجمعهم، فما واقفوهم فواقا، و هزمهم الله، فقتلهم المسلمون كيف شاءوا، و أصابوا عسكرهم و ما فيه.

و أصابت أبان بن سعيد بن العاص نشابة، فنزعها و عصبها بعمامته، فحمله إخوته، فقال: لا تنزعوا عمامتى عن جرحى فلو قد نزعتموها تبعتها نفسى، أما و الله ما أحب أنها بحجر من جبل الحمر، و هو جبل السماق، فمات منها، يرحمه الله.

و أبلى يومئذ بلاء حسنا، و قاتل قتالا شديدا عظم فيه غناؤه، و عرف به مكانه، و كان قد تزوج أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، و بنى عليها، فباتت عنده الليلة التى زحفوا للعدو فى غدها، فأصيب، فقالت أم أبان هذه لما مات: ما كان أغنانى عن ليلة أبان.

و قتل اليعبوب بن عمرو بن ضريس المشجعى يومئذ، سبعة من المشركين، و كان شديدا جليدا، فطعن طعنة كان يرجى أن يبرأ منها، فمكث أربعة أيام أو خمسة ثم انتقضت به فاستأذن أبا عبيدة أن يأذن له إلى أهله، فإن يبرأ رجع إليهم، فأذن له، فرجع إلى أهله بالعمر، عمر المدائن، فمات، يرحمه الله، فدفن هنالك.

و قتل مسلمة بن هشام المخزومى، و نعيم بن عدى بن صخر العدوى، و هشام بن العاص السهمى، أخو عمرو بن العاص، و هبار بن سفيان، و عبد الله بن عمرو بن الطفيل الدوسى، و هو ابن ذى النور، و كان من فرسان المسلمين، فقتلوا يومئذ، يرحمهم الله.

و قتل المسلمون فى المعركة منهم ثلاثة آلاف، و أتبعوهم يأسرونهم و يقتلونهم، فخرج فل الروم بإيلياء و قيسارية و دمشق و حمص فتحصنوا فى المدائن العظام.

و كتب خالد إلى أبى بكر: لعبد الله أبى بكر الصديق، خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، من خالد بن الوليد، سيف الله المصبوب على المشركين، سلام عليك، فإنى أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن و المشركين و قد جمعوا لنا جموعا بأجنادين، و قد رفعوا صلبهم، و نشروا كتبهم، و تقاسموا بالله لا يفروا حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعناهم بالرماح شيئا، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بها مقدار جزر جزور، ثم إن الله أنزل نصره و أنجز وعده و هزم الكافرين، فقتلناهم فى كل فج و شعب و حائط، فالحمد لله على إعزاز دينه و إذلال عدوه و حسن الصنع لأوليائه، و السلام عليك و رحمة الله.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۵

و بعث خالد بكتابه هذا مع عبد الرحمن بن حنبل الجمحى، فلما قرئ على أبى بكر و هو مريض مرضه الذى توفاه الله فيه أعجبه ذلك، و قال: الحمد لله الذى نصر المسلمين، و أقر عينى بذلك.

قال سهل بن سعد: و كانت وقعة أجنادين هذه أول وقعة عظيمة كانت بالشام، كانت سنة ثلاث عشرة، فى جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه، يوم السبت نصف النهار، قبل وفاة أبى بكر رضى الله عنه، بأربع و عشرين ليلة.

و ذكر الطبرى «۱» عن ابن إسحاق أن الذى كان على الروم تذارق أخو هرقل لأبيه و أمه، ثم ذكر عنه، عن عروة بن الزبير، أنه قال: كان على الروم رجل منهم يقال له:

القبقلار، و كان هرقل استخلفه على أمراء الشام حين سار إلى القسطنطينية، و إليه انصرف تذارق و من معه من الروم.

قال ابن إسحاق: فأما علماء أهل الشام فيزعمون أنه إنما كان على الروم تذارق، فالله أعلم.

و عنه قال: لما تدانى العسكران بعث القبقلار رجلا عربيا، فقال له: ادخل فى هؤلاء القوم فأقم فيهم يوما و ليلة ثم ائتنى بخبرهم. فدخل فى الناس رجل عربى لا ينكر، فأقام فيهم يوما و ليلة، ثم أتاه فقال له: مه ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان و بالنهار فرسان، و لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، و لو زنى لرجم، لإقامة الحق فيهم، فقال له القبقلار: لئن كنت صدقتنى لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على

ظهرها، و لوددت أن حظی من الله أن یخلی بینی و بینهم، فلا ینصرنی علیهم و لا ینصرهم علی.

ثم تزاحف الناس، فاقتتلوا، فلما رأی القبقلار ما رأی من قتالهم قال للروم: لفوا رأسی بثوب، قالوا له: لم؟ قال: هذا یوم بئیس، ما أحب أن أراه، ما رأیت من الدنیا یوما أشد من هذا. قال: فاحتز المسلمون رأسه، و إنه لملفف.

و عن غیر ابن إسحاق قال: ثم إن خالد بن الولید أمر الناس أن یسیروا إلی دمشق، و أقبل بهم حتی نزلوها، و قصد إلی دیره الذی کان ینزل به، فنزله و هو من دمشق علی میل مما یلی باب الشرقی، و بخالد یعرف ذلک الدیر إلی الیوم، و جاء أبو عبیدة حتی نزل علی باب الجابیة، و نزل یزید بن أبی سفیان علی جانب آخر من دمشق و أحاطوا بها، و حاصروا أهلها حصارا شدیدا.

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۱۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۰۶

و قدم عبد الرحمن بن حنبل من عند أبی بکر بکتابه إلی خالد، و أتی یزید بن أبی سفیان و معه کان یکون، فقال له یزید: هل لقیت أبی؟ قال: نعم، قال: فهل سألک عنی؟ قال: نعم، قال: فما قلت له؟ قال: قلت له إن یزید حازم الرأی، متواضع فی ولایته، بئیس البأس، محبب فی الإخوان، یبذل ما قدر علیه من فضله. فقال أبو سفیان:

کذلک ینبغی لمثله أن یکون، و طلب إلیّ أن أکتب إلیه بما یکون من أمرنا، و أن أعلمه حالنا، فوعدته ذلک.

قال: فخرج خالد بالمسلمین ذات یوم، فأحاطوا بمدینة دمشق، و دنوا من أبوابها، فرماهم أهلها بالحجارة و رشقوهم من فوق السور بالنشاب، فقال ابن حنبل:

و أبلغ أبا سفیان عنا فإنناعلی خیر حال کان جیش یکونها

و أنا علی بابی دمشقة نرتمیو قد حان من بابی دمشقة حینها

وقعة مرج الصفر

«۱» قال: فإن المسلمین لکذلک یقاتلونهم و یرجون فتح مدینتهم إذ أتاهم آت فأخبرهم أن هذا جیش قد جاءکم من قبل ملک الروم، فنهض خالد بالناس علی تعبئته و هیئته، فقدم الأثقال و النساء، و خرج معهن یزید بن أبی سفیان، و وقف خالد و أبو عبیدة من وراء الناس، ثم أقبلوا نحو ذلک الجیش، فإذا هو درنجار بعثه ملک الروم فی خمسة آلاف رجل من أهل القوة و الشدة لیغیث أهل دمشق، فصمد المسلمون صمدهم، و خرج إلیهم أهل القوة من أهل دمشق، و ناس کثیر من أهل حمص، فالقوم نحو من خمسة عشر ألفا، فلما نظر إلیهم خالد عبأ أصحابه کتعبئته یوم أجنادین، فجعل علی میمنته معاذ بن جبل، و علی میسرته هاشم بن عتبة، و علی الخیل سعید بن زید، و أبا عبیدة علی الرجال.

و ذهب خالد فوقف فی أول الصف یرید أن یحرض الناس، ثم نظر إلی الصف من أوله إلی آخره حتی حملت خیل لهم علی خالد بن سعید، و کان واقفا فی جماعة من المسلمین فی میمنة الناس یدعون الله، و یقص علیهم، فحملت طائفة منهم علیه، فقاتلهم حتی قتل رحمه الله، و حمل علیهم معاذ بن جبل من المیمنة فهزمهم، و حمل علیهم خالد

---

(۱) مرج الصفر: بالشام، به کانت وقعة للمسلمین علی نصاری الشام بعد وقعة أجنادین و کان بین الوقعتین عشرون یوما و کان ذلک قبل وفاة أبی بکر رضی الله عنه بأربعة أیام. انظر: الروض المعطار (۵۳۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۰۷

ابن الولید من المیسرة فهزم من یلیه منهم، و حمل سعید بن زید بالخیل علی عظم جمعهم، فهزمهم الله و قتلهم، و اجتث عسکرهم، و

رجع الناس، و قد ظفروا و قتلوهم کل قتلة، و ذهب المشرکون علی وجههم، فمنهم من دخل مدینة دمشق مع أهلها، و منهم من رجع إلی حمص، و منهم من لحق بقیصر.

و عن عمرو بن محصن: أن قتلاهم یومئذ و هو یوم مرج الصفر کانت خمسمائة فی المعرکة، و قد تلوا و أسروا نحوا من خمسمائة أخری.

و قال أبو أمامة فیما رواه عنه یزید بن یزید بن جابر: کان بین أجنادین و بین یوم مرج الصفر عشرون یوما. قال: فحسبت ذلک فوجدته یوم الخمیس لاثنتی عشرة لیلة بقیت من جمادی الآخرة، قبل وفاة أبی بکر رضی الله عنه، بأربعة أیام.

ثم إن الناس أقبلوا عودهم علی بدئهم حتی نزلوا دمشق، فحاصروا أهلها و ضیقوا علیهم، و عجز أهلها عن قتال المسلمین، و نزل خالد منزله الذی کان ینزل به علی باب الشرقی، و نزل أبو عبیدة منزله علی باب الجابیة، و نزل یزید بن أبی سفیان جانبا آخر، فکان المسلمون یغیرون، فکلما أصاب رجل نفلا جاء بنفله حتی یلقیه فی القبض، لا یستحل أن یأخذ منه قلیلا و لا کثیرا، حتی إن الرجل منهم لیجیء بالکبة الغزل أو بالکبة الصوف أو الشعر أو المسلمة أو الإبرة فیلقیها فی القبض، لا یستحل أن یأخذها، فسأل صاحب دمشق بعض عیونه عن أعمالهم و سیرتهم، فوصفهم له بهذه الصفة فی الأمانة، و وصفهم بالصلاة باللیل و طول القیام، فقال: هؤلاء رهبان باللیل أسد بالنهار، لا و الله ما لی بهؤلاء طاقة، و ما لی فی قتالهم خیر.

قال: فراود المسلمین علی الصلح، فأخذ لا یعطیهم ما یرضیهم، و لا یبایعونه علی ما یسأل، و هو فی ذلک لا یمنعه من الصلح و الفراغ إلا أنه قد بلغه أن قیصر یجمع الجموع للمسلمین، یرید غزوهم، فکان ذلک مما یمنعه من تعجیل الصلح.

و علی تعبئة ذلک بلغ المسلمین الخبر بوفاة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، و استخلافه عمر رضی الله عنهما، و ما تبع ذلک من صرف خالد بأبی عبیدة، حسبما یأتی تفصیله و بیانه إن شاء الله تعالی.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۰۸

ذکر الخبر عن وفاة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه، و ما کان من عهده إلی عمر بن الخطاب، جزاهما الله عن دینه الحق أفضل الجزاء

«۱» قد تقدم فی بدء الردة، و ذکر خلافة أبی بکر رضی الله عنه، من هذا الکتاب ما دل علی ولایة عمر بعده، من حدیث رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کالذی یروی عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، قال: رأی اللیلة رجل صالح أن أبا بکر نیط برسول الله صلی اللّه علیه و سلم، و نیط عمر بأبی بکر، و نیط عثمان بعمر، قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله صلی اللّه علیه و سلم و أما ما ذکر من نوط بعضهم ببعض، فهم ولاة هذا الأمر الذی بعث الله به نبیه.

و عن أبی هریرة قال: قال رسول الله صلی اللّه علیه و سلم: «بینما أنا نائم رأیتنی علی قلیب علیها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبی قحافة، فنزع منها ذنوبا، أو ذنوبین، و فی نزعه و الله یغفر له ضعف، ثم استحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقریا من الناس ینزع نزع عمر بن الخطاب، حتی ضرب الناس بعطن» «۲».

و اختلف أهل العلم فی السبب الذی توفی منه أبو بکر، فذکر الواقدی أنه اغتسل فی یوم بارد فحم و مرض خمسة عشر یوما. و قال الزبیر بن بکار: کان به طرف من السل.

و قال غیره: أن أصل ابتداء ذلک السل به الوجد علی رسول الله صلی اللّه علیه و سلم لما قبضه الله إلیه، فما زال ذلک به حتی قضی منه.

و روی عن سلام بن أبی مطیع أنه رضی الله عنه، سم. و بعض من ذکر ذلک یقول:

أن الیهود سمته فی أرزة، و قیل فی حریرة، فمات بعد سنة. و قیل له: لو أرسلت إلی الطبیب، فقال: قد رآنی، قالوا: فما قال لک؟ قال:

قال: إنى أفعل ما أريد «۳».

---

(۱) راجع الخبر فى: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۲۹)، تاريخ الطبرى (۳/ ۴۱۹)، طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۱۴۰).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۵/ ۷، ۹/ ۴۵، ۴۹، ۱۷۱)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (۱۷)، السنن الكبرى للبيهقى (۸/ ۱۵۳)، فتح البارى لابن حجر (۷/ ۱۹، ۱۲/ ۴۱۴)، مشكاة المصابيح للتبريزى (۶۰۳۱)، شرح السنة للبغوى (۱۴/ ۸۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۲۲۶)، كنز العمال للمتقى الهندى (۳۲۷۳)، دلائل النبوة للبيهقى (۶/ ۳۴۴)، السنة لابن أبى عاصم (۱۴/ ۸۹).

(۳) راجع ما ذكره ابن الجوزى فى المنتظم (۴/ ۱۲۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۰۹

و كذلك اختلفوا فى حين وفاته، فقال ابن إسحاق: توفى يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة. و قال غيره من أهل السير: إنه مات عشى يوم الاثنين، و قيل ليلة الثلاثاء و قيل: عشى الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، و هذا هو الأكثر فى وفاته «۱».

و أوصى أن تغسله زوجه أسماء بنت عميس، فغسلته، و صلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و حمل على السرير الذى حمل عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و نزل فى قبره عمر و عثمان و طلحة و ابنه عبد الرحمن بن أبى بكر، و دفن ليلا ـ فى بيت عائشة مع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و جعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و ألصقوا لحده بلحده، و جعل قبره مسطحا مثل قبر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم ورش عليه بالماء.

و لا يختلفون فى أنه توفى ابن ثلاث و ستين سنة، و أنه استوفى بخلافته بعد الرسول صلوات الله عليه، سن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم التى توفاه الله لها «۲».

و يروى أنه رضى الله عنه، لما احتضر، و ابنته عائشة حاضرة، فأنشدت رضى الله عنها «۳»:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتىإذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر رفع إليها رأسه و قال: لا تقولى هذا يا بنية، أو: ليس هكذا يا بنية، و لكن قولى:

«و جاءت سكرة [الحق بالموت] ذلك ما كنت منه تحيد» «۴»، هكذا قرأها أبو بكر رضى الله عنه.

و قالوا: كان آخر ما تكلم به: رب توفنى مسلما، و ألحقنى بالصالحين.

و قال أبو بكر رضى الله عنه، لعائشة رضى الله عنها، و هو مريض: فى كم كفن

---

(۱) راجع المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۳۰)، تاريخ الطبرى (۳/ ۴۲۱).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۲۱).

(۳) انظر الأبيات فى: العقد الفريد (۵/ ۱۹)، و هذا البيت لحاتم الطائى، راجع ديوانه ص (۵۱).

(۴) ما بين المعقوفتين ورد فى بعض الأصول: «الموت بالحق» و هذا هو المشهور فى القراءات السبع، و قول المصنف هكذا قرأها أبو بكر، يوضح أن أبا بكر قرأها باختلاف عن المشهور، و كذلك أيضا قرأ بها سعيد بن جبير و طلحة و عبد الله بن مسعود، و شعبة، و أبى عمران. انظر: الطبرى (۲۶/ ۱۰۰)، الفراء (۳/ ۷۸)، الكشاف (۴/ ۷)، القرطبى (۱۷/ ۱۲)، النحاس (۳/ ۲۱۷)، مجمع البيان (۹/ ۱۴۳)، زاد المسير (۷/ ۱۹۴)، المحتسب (۵/ ۳۳۷- ۳۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۰

رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ فقالت: فى ثلاثة أثواب بيض سحولية. فقال أبو بكر: خذوا هذا الثوب، لثوب عليه قد أصابه مشق أو

زعفران فاغسلوه، ثم كفنونى فيه مع ثوبين آخرين. فقالت عائشة: و ما هذا؟ فقال أبو بكر: الحى أحوج إلى الجديد من الميت، و إنما هذا للمهلة.

و لما توفى أبو بكر رحمه الله، ارتجت المدينة بالبكاء، و دهش القوم كيوم قبض النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فأقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه، مسرعا باكيا مسترجعا، حتى وقف على باب البيت الذى فيه أبو بكر، و قد سجى بثوب، فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاما، و أخلصهم إيمانا، و أشدهم يقينا، و أخوفهم لله عز و جل، و أعظمهم غناء، و أحدبهم على الإسلام، و أيمنهم على أصحابه، و أحسنهم صحبة و أفضلهم مناقب، و أكثرهم سوابق، و أرفعهم درجة، و أقربهم من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أشبههم به هديا و خلقا و سمتا و فعلا، و أشرفهم منزلة، و أكرمهم عليه، و أوثقهم عند الله، فجزاك الله عن الإسلام و عن رسوله و المسلمين خيرا، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، فسماك الله فى كتابه صديقا.

فقال: و الذى جاء بالصدق محمد، و صدق به أبو بكر، و آسيته حين بخلوا، و قمت معه حين عنه قعدوا، و صحبته فى الشدة أكرم الصحبة، ثانى اثنين، و صاحبه فى الغار، و المنزل عليه السكينة، و رفيقه فى الهجرة و مواطن الكريهة، ثم خلفته فى أمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس، و قمت بدين الله قياما لم يقم به خليفة نبى قط، قويت حين ضعف أصحابك، و بدرت حين استكانوا، و نهضت حين وهنوا، و لزمت منهاج رسوله إذ هم أصحابه، كنت خليفته حقا، لم تنازع و لم تضرع برغم المنافقين و صغر الفاسقين و غيظ الكافرين و كره الحاسدين، فقمت بالأمر حين فشلوا، و نطقت حين تتعتعوا، و مضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك، فهدوا، و كنت أخفضهم صوتا، و أعلاهم فوقا، و أقلهم كلاما، و أصوبهم منطقا، و أطولهم صمتا، و أبلغهم قولا، و كنت أكبرهم رأيا، و أشجعهم قلبا، و أحسنهم عملا و أعرفهم بالأمور، كنت و الله للدين يعسوبا أولا حين تفرق عنه الناس، و آخرا حين أقبلوا، كنت للمؤمنين أبا رحيما إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، و حفظت ما ضيعوا، و رعيت ما أهملوا، و شمرت إذ خنعوا، و علوت إذ هلعوا، و صبرت إذ جزعوا، فأدركت أوتار ما طلبوا و نالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذابا صبا، و كنت للمسلمين غيثا و خصبا، فطرت و الله بغنائها، و فزت بحبابها، و ذهبت بفضائلها، و أحرزت سوابقها، لم تفلل حجتك، و لم

يزغ قلبك، و لم تضعف بصيرتك، و لم تجبن نفسك، و لم تخن، كنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف، و لا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم: أمن الناس عليه فى صحبتك و ذات يدك، و كما قال: ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله تعالى متواضعا فى نفسك، عظيما عند الله، جليلا فى الأرض، كبيرا عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مهمز، و لا لقائل فيك مغمز، و لا لأحد فيك مطمع، و لا عندك هوادة لأحد، الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ له بحقه، و القوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، القريب و البعيد عندك فى ذلك سواء، شأنك الحق و الصدق و الرفق، و قولك حكم و حتم، و رأيك علم و عرف، فأقلعت و قد نهج السبيل، و سهل العسير، و أطفئت النيران، و اعتدل بك الدين، و قوى الإيمان، و ظهر أمر الله و لو كره الكافرون، فسبقت و الله سبقا بعيدا، و أتعبت من بعدك إتعابا شديدا، و فزت بالحق فوزا مبينا، فجللت عن البكاء، و عظمت رزيتك فى السماء، و هدت مصيبتك الأنام، فإنا لله و إنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه، و سلمنا لله أمره، و لن يصاب المسلمون بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بمثلك أبدا، كنت للدين عزا و كهفا، و للمؤمنين حصنا و فئة و أنسا، و على المنافقين غلظة و غيظا و كظما، فألحقك الله بميتة نبيك صلى اللّه عليه و سلم و لا حرمنا أجرك، و لا أضلنا بعدك، فإنا لله، و إنا إليه راجعون «۱».

و أنصت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكى و بكوا، و قالوا: صدقت يا ابن عم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

---

(۱) انظر الخطبة فى: العقد الفريد (۵/ ۱۹- ۲۰).

استخلاف عمر بن الخطاب

«۱» و تقلد أمر الأمة و خلافة المسلمین بعد أبی بکر صاحبه و رفیقه و ظهیره و وزیره عمر ابن الخطاب رضی الله عنهما، بعهد أبی بکر إلیه بذلک، و استخلافه إیاه علیه، نظرا للدین، و نصیحة لله و للأمة، و ذلک لما استعز بأبی بکر رضی الله عنه، وجعه، و ثقل، أرسل إلی عثمان و علی و رجال من أهل السابقة و الفضل من المهاجرین و الأنصار، فقال:

قد حضر ما ترون، و لا بد من قائم بأمرکم یجمع فئتکم و یمنع ظالمکم من الظلم، و یرد علی الضعیف حقه، فإن شئتم اخترتم لأنفسکم، و إن شئتم جعلتم ذلک إلیّ، فو الله لا آلوکم و نفسی خیرا. قالوا: قد رضینا من اخترت لنا، قال: فقد اخترت عمر، و قال لعثمان: اکتب: هذا ما عهد أبو بکر فی آخر عهده بالدنیا خارجا منها، و عند أول عهده بالآخرة داخلا فیها، حین یتوب الفاجر و یؤمن الکافر و یصدق الکاذب، عهد أنه یشهد أن لا إله إلا الله و أن وعد الله حق و صدق المرسلون، و أن محمدا رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و خاتم النبیین صلی الله علیه و علی أنبیائه و رسله، و قد استخلفت.

و لما انتهی أبو بکر إلی هذا الموضع ضعف و رهقته غشیة، فکتب عثمان: و قد استخلفت عمر بن الخطاب، و أمسک، حتی أفاق أبو بکر فقال: أ کتبت شیئا؟ قال: نعم، کتبت عمر بن الخطاب، فقال: رحمک الله، أما لو کتبت نفسک لکنت لها أهلا، فاکتب: قد استخلفت عمر بن الخطاب بعدی علیکم، و رضیته لکم، فإن عدل فذلک ظنی به، و رأیی فیه، و ذلک أردت، و ما توفیقی إلا بالله، و إن بدل فلکل نفس ما کسبت و علیها ما اکتسبت، و الخیر أردت، و لا أعلم الغیب، و سیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون.

و التوی عمر رضی الله عنه، علی أبی بکر رحمه الله، فی قبول عهده، و قال: لا أطیق القیام بأمر الناس، فقال أبو بکر لابنه عبد الرحمن: ارفعنی و ناولنی السیف، فقال عمر:

أو تعفینی؟ قال: لا، فعند ذلک قبل.

ذکر هذا کله أبو الحسن المدائنی، و ذکر بإسناد له عن أبی هریرة و غیره أنه لما عهد أبو بکر إلی عمر عهده قال له: یا عمر، إن لله حقا فی اللیل لا یقبله فی النهار، و حقا فی النهار لا یقبله فی اللیل، و لا یقبل نافلة حتی تؤدی الفریضة، و إنه یا عمر إنما ثقلت

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۳۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۱۳

موازین من ثقلت موازینه یوم القیامة باتباعهم الحق و خفته علیهم، و حق لمیزان لا یوضع فیه إلا الحق أن یکون ثقیلا و إنه یا عمر إنما خفت موازین من خفت موازینهم یوم القیامة باتباعهم الباطل، و خفته علیهم، و حق لمیزان لا یوضع فیه یوم القیامة إلا الباطل أن یکون خفیفا، أ لم تر أنه نزلت آیة الرخاء مع آیة الشدة، و آیة الشدة مع آیة الرخاء، لیکون المؤمن راغبا راهبا، فلا یرغب رغبة یتمنی فیها علی الله ما لیس له، و لا یرهب رهبة یلقی فیها بیده إلی التهلکة، أ لم تر یا عمر أن الله ذکر أهل النار بسیئ أعمالهم، لأنه رد علیهم ما کان لهم من حسن، فإذا ذکرتهم قلت: إنی لأخشی أن أکون منهم.

و فی روایة: عوضا من هذا، فیقول قائل: أنا خیر منهم، فیطمع، و ذکر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، لأنه تجاوز لهم عما کان من سیئ، فإذا ذکرتهم قلت: إنی مقصر، أین عملی من أعمالهم، و فی روایة: عوضا من هذا، فیقول قائل: من أین أدرک درجتهم، لیجتهد، فإن حفظت وصیتی یا عمر، فلا یکونن غائب أحب إلیک من الموت، و هو نازل بک، و إن ضیعت وصیتی فلا یکونن غائب أکره لک من الموت، و لست بمعجزه.

و عن أسماء بنت عمیس قالت: لما أحس أبو بکر بنفسه أرسل إلی عمر، فقال له: یا عمر إنی قد ولیتک ما ولیتک، و قد صحبت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم و رأیت عمله، و أثرته أنفسکم علی نفسه، و أهلکم علی أهله، حتی إن کنا لنظل نهدی إلیه من فضل

ما يأتينا من قبله، و صحبتنى و رأيتنى و إنما اتبعت أثر من كان قبلى، و الله ما نمت فحملت، و لا شبهت فتوهمت، و إنى لعلى السبيل ما زغت، و إن أول ما أحذرك نفسك، فإن لكل نفس شهوة، فإذا أعطيتها شهوتها تمادت فيها و رغبت فى غيرها.

و فى حديث غير هذا: و خذ هذه اللقحة فإنها من إبل الصدقة، احتبستها للرسل إذا قدموا يصيبوا من رسلها، و خذ هذا البرد فإنى كنت أتجمل به للوفود، و خذ هذا السقاء و هذه العلبة فإنها من متاع إبل الصدقة، و علىّ ثمانية آلاف درهم، و يقال: قال: ستة آلاف أخذتها للرسل، و لمن كان يغشانا، فأدها من مالى.

فخرج عمر متأبطا البرد، و قد حمل السقاء و العلبة، يقود اللحقة، يبكى و يقول: يرحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده.

و مات أبو بكر رحمه الله، و دفن ليلا، فلما أصبح عمر بعث إليه عائشة بناضح و عبد حبشى كان يسقى لآل أبى بكر على ذلك الناضح، و قطيفة. فقبض عمر ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله، تسلب عيال أبى بكر ناضحا و عبدا أسود كان

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۴

ينفعهم، و قطيفة قيمتها خمسة دراهم؟ قال: فما ترى؟ قال: ترده عليهم، قال: لا و رب الكعبة، لا يكون ذلك و أنا حى، يخرج منه أبو بكر و أرده أنا على عياله «۱».

و عن المسور بن مخرمة أو علقمة بن أبى الفغواء الخزاعى قال: أرسل أبو بكر إلى عمر و هو مريض، فأتاه، فقال: يا عمر، إنى كنت أرى الرأى فتشير علىّ بخلافه، فأتهم نفسى لك، ألا إنى قد عصيتك فى استعمال شرحبيل بن حسنة، و قلت: أخاف ضعفه، فقلت لك: قد كان له فى الإسلام نصيب، و قد أحببت أن أبلوه، فإن رأيت ما أحب أثبته، و إن بلغنى عنه ضعف استبدلت به، فلا عليك أن تقره على عمله، و كنت تنهانى عن يزيد بن أبى سفيان، فقلت لك: إن له موضعا فى قريش، و نشأ بخير، و كان فيه، و قد أحببت أن أقيم له شرفه، فلا عليك أن تقره على عمله، و رجل لم أوصك بمثله و لا أراك فاعلا، قال: تريد خالدا؟ قال: أريده.

فقال عمر: أما شرحبيل بن حسنة فقد كنت أشير عليك أن لا تبعثه، و خفت ضعفه، و أمرتك أن تبعث مكانه عمار بن ياسر، و لم يبلغنا عنه إلا خير، و لست عازله إلا أن يبلغنى عنه ما لا أستحل معه تركه، و أما يزيد فقلت لك: غلام حديث السن لا سابقة له، ابعث مكانه سعد بن أبى وقاص، فلم يكن فى أمره إلا خير، و لا أعزله إلا أن يبلغنى عنه ما لا أستحل معه تركه. و أما خالد، فو الله ما أعدك فى أمره بما لا أفعل و لا أبدأ بأول من عزله، و ما كنت أرى لك أن تجعل مع أبى عبيدة ضدا، و قد عرفت فضل أبى عبيدة.

فقال أبو بكر: أما أنى قد رأيت أبا عبيدة فى مرضى هذا آخذا بثوب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يتبعه، و لنعم المتبع، و رأيتنى آخذا بثوب أبى عبيدة، و لنعم المتقدم، ثم سمعت خسفا ورائى، فالتفت فإذا أنت و إذا الظلمة، فاستلحقتك و ما أبالى إذا لحقت بمن تخلف، فكأنى أسمع وقع نعليك، حتى أخذت بثوبى و التفت، فإذا نفر يخرجون من الظلمة يزدحمون، فالنجاء، النجاء يا عمر.

و كانت من جماعة من المهاجرين موافقة لأبى بكر فى استخلاف عمر ليس إلا، لما كانوا يعرفون من غلظته، فيقول أبو بكر: هو و الله إن شاء الله خيركم. و قال لبعضهم:

إنى أرى ما لا ترون، و لو قد أفضى إليه أمركم لترك كثيرا مما ترون، إنى رمقته، فإذا أغلظت فى أمر أرانى التسهيل، و إذا لنت فى أمر تشدد فيه.

---

(۱) انظر ما ذكره ابن قتيبة فى المعارف ص (۱۷۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۵

و قال له طلحة و الزبير: ما أنت قائل لربك إذ وليته مع غلظته؟ قال: ساندونى، فأجلسوه، فقال: أ بالله تخوفوننى، أقول: استعملت عليهم خير أهلك و حلفت، ما تركت أحدا أشد حبا له من عمر، ستعلمون إذا فارقتموه و تنافستموها.

و دخل عثمان و على فأخبرهما أبو بكر، فقال عثمان: علمى به أنه يخاف الله فوله، فما فينا مثله، و قال على: يا خليفة رسول الله امض

لرأيك، فما نعلم إلا خيرا، و خرجنا و دخل عمر، فقال أبو بكر: كرهك كاره، و أحبك محب. قال: لا حاجة لى بها، قال: اسكت، إنى ميت من مرضى هذا، إنى رأيت بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أنى فقت ثلاث فوقات، فدسعت فى الآخرة طعاما، فمرضت به مرضتين، و هذه الثالثة، فأنا ميت، و إياك و الأثرة على الناس، و إياك و الذخيرة فإن ذخيرة الإمام تهلك دينه.

و لما توفى أبو بكر رحمه الله، كتب عمر رضى الله عنه، إلى أبى عبيدة: أما بعد، فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم توفى، فإنا لله و إنا إليه راجعون، و رحمة الله على أبى بكر، القائل بالحق، و الآمر بالقسط، و الآخذ بالعرف، البر الشيم، السهل القريب، و أنا أرغب إلى الله فى العصمة برحمته، و العمل بطاعته، و الحلول فى جنته، إنه على كل شىء قدير، و السلام عليك و رحمة الله «۱».

و جاء بالكتاب يرفأ حتى أتى أبا عبيدة، فقرأه فلم يسمع من أبى عبيدة حين قرأه شىء ينتفع به مقيم و لا ظاعن، و دعا أبو عبيدة معاذ بن جبل فأقرأه الكتاب، فالتفت معاذ إلى الرسول فقال: رحمة الله على أبى بكر، ويح غيرك، ما فعل المسلمون؟ قال: استخلف أبو بكر، عمر، فقال معاذ: الحمد لله، وفقوا و أصابوا، فقال أبو عبيدة: ما منعنى من مسألته منذ قرأت الكتاب حتى دعوتك لقراءته إلا مخافة أن يستقبلنى فيخبرنى أن الوالى غير عمر. فقال له الرسول: يا أبا عبيدة، إن عمر يقول لك: أخبرنى عن حال الناس، و أخبرنى عن خالد بن الوليد، أى رجل هو؟ و أخبرنى عن يزيد بن أبى سفيان، و عمرو بن العاص، كيف هما فى حالهما و نصيحتهما للمسلمين؟ فقال أبو عبيدة: أما خالد فخير أمير، أنصحه لأهل الإسلام، و أحسنه نظرا لهم، و أشده على عدوهم من الكفار، و يزيد و عمرو فى نصيحتهما وجدهما كما يحب عمر و نحب، قال: فأخبرنى عن أخويك: سعيد بن زيد، و معاذ بن جبل. قال: قل له هما كما عهدت، إلا أن تكون السن زادتهما فى الدنيا زهادة، و فى الآخرة رغبة.

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدى ص (۹۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۱۶

قال: ثم إن الرسول وثب لينصرف فقالا له: سبحان الله، انتظر نكتب معك. فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإنا عهدناك و أمر نفسك لك مهم، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها و أسودها يجلس بين يديك، الشريف و الوضيع، و العدو و الصديق، و الضعيف و الشديد، و لكل حصته من العدل، فانظر كيف تكون عند ذلك يا عمر، إنا نذكرك يوما تبلى فيه السرائر، و تكشف فيه العورات، و تنقطع فيه الحجج، و تزاح فيه العلل، و تجب فيه القلوب، و تعنو فيه الوجوه لعزة ملك قهرهم بجبروته، فالناس له داخرون، ينتظرون قضاءه، و يخافون عقابه، و يرجون رحمته.

و إنا كنا نتحدث على عهد نبينا صلى اللّه عليه و سلم أنه سيكون فى آخر الزمان و يروى: فى هذه الأمة، رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة، و إنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا منك بغير المنزلة التى هو بها من أنفسنا، و السلام.

فمضى الرسول بهذا الكتاب، و قال أبو عبيدة لمعاذ: و الله ما أمرنا عمر أن نظهر وفاة أبى بكر للناس، و لا ننعاه إليهم، فما أرى أن نذكر من ذلك شيئا دون أن يكون هو يذكره. فقال له معاذ: فإنك نعم ما رأيت. فسكتا، فلم يذكرا للناس شيئا، و لم يلبثا إلا مقدار ما قدم رسول عمر إليه حتى بعث إليهما بجواب كتابهما، و بعهد أبى عبيدة، و أمره بعظة الناس. و كان جوابه عن كتابهما: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أبى عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل، سلام عليكما، فإنى أحمد إليكما الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد. فإنى أوصيكما بتقوى الله، فإنه رضاء ربكما و حفظ أنفسكما، و غنيمة الأكياس لأنفسهم عند تفريط العجزة، و قد بلغنى كتابكما تذكران أنكما عهدتمانى و أمر نفسى إلىّ مهم، و ما يدريكما؟ و كتبتما تذكران أنى وليت أمر هذه الأمة، يقعد بين يدى العدو و الصديق، و القوى و الضعيف، و لكل علىّ حصته من العدل، و تسألانى: كيف بى عند ذلك؟ و إنه لا حول و لا قوة إلا

بالله، و کتبتما تخوفانی بیوم هو آت، یوم تحبب فیه القلوب، و تعنوا فیه الوجوه، و تنقطع فیه الحجج، و تزیح فیه العلل، لعزة ملک قهرهم بجبروته، فالخلق له داخرون، ینتظرون قضاءه و یخافون عقابه، و کأن ذلک قد کان، هذا اللیل و النهار، یبلیان کل جدید، و یقربان کل بعید، و یأتیان بکل موعود، حتی یکون الناس بأعمالهم فریقا فی الجنة و فریقا فی السعیر، و کتبتما تذکران أنکما کنتما تحدثان علی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أنه سیکون فی آخر الزمان إخوان العلانیة أعداء السریرة، و أن هذا لیس بزمان ذلک، و لا أنتم أولئک، و إنما ذلکم إذا ظهرت الرغبة

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۱۷

و الرهبة، و إذا کانت رغبة الناس بعضهم إلی بعض، و رهبة بعضهم من بعض فی صلاح دنیاهم، و کتبتما تعوذان بالله من أن أنزل کتابکما من قلبی سوی المکان الذی تنزلانه من قلوبکما، فإنکما کتبتما لی نظرا لی، و قد صدقتما، و لا غنی بی عن کتابکما، فتعاهدانی بکتبکما، و السلام.

و ذکر المدائنی و غیره عن صالح بن کیسان، قال: أول کتاب کتبه عمر حین ولی إلی أبی عبیدة یولیه علی جند خالد بن الولید: أوصیک بتقوی الله الذی یبقی و یفنی ما سواه، الذی هدانا من الضلالة، و أخرجنا من الظلمات إلی النور. و قد استعملتک علی جند خالد بن الولید، فقم بأمرهم الذی یحق لله علیک، لا تقدم المسلمین إلی هلکة رجاء غنیمة، و لا تنزلهم منزلا قبل أن تستریده لهم، و تعلم کیف مأتاه، و لا تبعث سریة إلا فی کثف من الناس، و إیاک و إلقاء المسلمین فی الهلکة، و قد أبلاک الله و أبلی بک، فغمض بصرک عن الدنیا، و أله قلبک عنها، و إیاک أن تهلکک کما أهلکت من کان قبلک، فقد رأیت مصارعهم «۱».

و عن عباس بن سهیل بن سعد قال: قدم شداد بن أوس بعهد أبی عبیدة، فدفعه إلیه، و شداد شاک، فنزل مع أبی عبیدة و معاذ بن جبل فی منزلهما و أمرهما واحد، فکانا یقومان إلیه حتی تماثل، فمکث أبو عبیدة خمس عشرة لیلة یصلی خالد بالناس و یأمر بالأمر، و ما یعلم أن أبا عبیدة الأمیر، حتی جاء کتاب من عمر إلی أبی عبیدة، فکره أن یخفیه، و کان فی کتابه إلیه: أما بعد، فإنک فی کنف من المسلمین، و عدد یکفی حصار دمشق، فابعث سرایاک فی أرض حمص و دمشق و ما سواهما من الشام، و لا یبعثک قولی هذا علی أن تعری عسکرک فیطمع فیک عدوک، و لکن نظر برأیک فما استغنیت عنه منهم فسیرهم، و ما احتجت إلیه منهم فاحتبسهم عندک، و لیکن فیمن تحتبس عندک خالد ابن الولید، فإنه لا غنی بک عنه، و السلام.

فلما قرأ أبو عبیدة کتابه علی الناس، قال خالد: یرحم الله أبا بکر، لو کان حیا ما عزلنی. و ولی عمر فولی أبا عبیدة، فعافی الله أبا عبیدة، کیف لم یعلمنی بولایته علیّ ثم أتی أبا عبیدة، فقال له: رحمک الله، أنت الأمیر و الوالی علیّ و لا تعلمنی؟ و أنت تصلی خلفی و السلطان سلطانک. فقال له أبو عبیدة: ما کنت لأعلمک به أبدا حتی تعلمه من عند غیری، و ما سلطان الدنیا و إمارتها؟ فإن کل ما تری یصیر إلی زوال، و إنما نحن أخوان فإننا أمة إخوة أو أمر علیه لم یضره ذلک فی دینه و لا دنیاه، بل لعل الوالی أن

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۴)، المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۲۳۵- ۱۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۱۸

یکون أقربهما إلی الفتنة، و أوقعهما بالخطیئة، إلا من عصم الله، و قلیل ما هم.

ذکر الخبر عما صار إلیه أمر دمشق من الفتح و الصلح بعد طول الحصار فی خلافة عمر بن الخطاب، علی نحو ما ذکره من ذلک أصحاب فتوح الشام

فتح دمشق «۱»: قالوا: و تولی أبو عبیدة حصار دمشق، و ولی خالدا القتال علی الباب الذی کان علیه، و هو باب الشرقی، و ولاه الخیل إذا کان یوم یجتمع فیه المسلمون للقتال، فحاصروا دمشق بعد مهلک أبی بکر رحمه الله، و ولایته حولا کاملا، و أیاما.

و کان أهلها قد بعثوا إلی قیصر و هو بأنطاکیة: أن العرب قد حاصرتنا و ضیقت علینا، و لیس لنا بهم طاقة، و قد قاتلناهم مرارا، فعجزنا عنهم، فإن کان لک فینا و فی السلطان علینا حاجة فأمددنا و أغثنا و عجل علینا، فإنا فی ضیق و جهد، و إلا فقد أعذرنا، و القوم قد أعطونا الأمان، و رضوا منا من الجزیة بالیسیر.

فأرسل إلیهم: أن تمسکوا بحصنکم، و قاتلوا عدوکم، فإنکم إن صالحتموهم و فتحتم حصنکم لهم لم یفوا لکم، و أجبروکم علی ترک دینکم، و اقتسموکم بینهم، و أنا مسرح إلیکم الجیوش فی أثر رسولی.

فانتظروا مدده و جیشه، فلما أبطأ علیهم و ألح علیهم المسلمون بالتضییق و شدة الحصار، و رأوا أن المسلمین لا یزدادون کل یوم إلا قوة و کثرة بعثوا إلی أبی عبیدة یسألونه الصلح. و کان أبو عبیدة أحب إلی الروم و سکان الشام من خالد بن الولید، و کان أن یکون کتاب الصلح من أبی عبیدة أحب إلیهم، لأنه کان ألینهما و أشدهما منهم استماعا، و أقربهما منهم قربا، و کان قد بلغهم أنه أقدمهما هجرة و إسلاما، فکانت رسل صاحب دمشق: إنما تأتی أبا عبیدة و خالد ملح علی الباب الذی یلیه، فأرسل صاحب دمشق إلی أبی عبیدة فصالحه، و فتح له باب الجابیة، و ألح خالد علی باب الشرقی ففتحه عنوة، فقال لأبی عبیدة: اقتلهم و اسبهم، فإنی قد فتحتها عنوة، فقال أبو عبیدة: لا، إنی قد أمنتهم «۲».

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۴۲)، تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۴).

(۲) انظر: تاریخ الیعقوبی (۱/ ۱۴۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۱۹

و دخل المسلمون دمشق، و تم الصلح، و جاء الجیش من قبل أنطاکیة مددا لأهل دمشق، فلما قدموا بعلبک أتاهم الخبر بأن دمشق قد افتتحت، و کان علیهم در نجاران عظیمان، کل درنجار علی خمسة آلاف، فکانوا عشرة آلاف، فأقاموا و بعثوا إلی ملکهم یخبرونه بالمکان الذی هم فیه، و بالخبر الذی بلغهم عن دمشق.

و ذکر أبو جعفر الطبری «۱» أن شداد بن أوس هو الذی قدم الشام بوفاة أبی بکر، و معه محمیة بن جزء و یرفأ، فوجدوا المسلمین بالواقوصة یقاتلون عدوهم، فتکتموا الخبر حتی ظفر المسلمون، فعند ذلک أخبروا أبا عبیدة بوفاة أبی بکر، و بولایته حرب الشام، و عزل خالد.

و عن محمد بن إسحاق: أن المسلمین لما فرغوا من أجنادین ساروا إلی فحل من أرض الأردن، و قد اجتمعت به رافضة الروم، و المسلمین علی أمرائهم، فاقتتلوا فهزمت الروم، و دخل المسلمون فحل، و لحقت رافضة الروم بدمشق، فسار المسلمون إلی دمشق، و علی مقدمة الناس خالد بن الولید، و قد اجتمعت الروم إلی رجل منهم یقال له باهان، فالتقی المسلمون و الروم حول دمشق فاقتتلوا قتالا شدیدا، ثم هزم الله الروم فدخلوا دمشق، و جثم المسلمون علیها فرابطوها حتی فتحت، و قد کان الکتاب قدم علی أبی عبیدة بإمارته و عزل خالد، فاستحیا أبو عبیدة أن یعلم خالدا حتی فتحت دمشق و جری الصلح علی یدی خالد، و کتب الکتاب باسمه، فبعد ذلک أظهر أبو عبیدة إمارته. فلما صالحت دمشق لحق باهان صاحب الروم بهرقل «۲».

و خالف سیف بن عمرو ما تقدم من المساق و التاریخ فی أمر دمشق، فذکر علی ما سیأتی أن وقعة الیرموک کانت فی سنة ثلاث عشرة، و أن المسلمین ورد علیهم البرید بوفاة أبی بکر بالیرموک فی الیوم الذی هزمت الروم فی آخره، و أن عمر رحمه الله، أمرهم بعد الفراغ من الیرموک بالمسیر إلی دمشق. و زعم أن فحلا کانت بعد دمشق، خلافا لما ذکره ابن إسحاق من أنها کانت قبلها، و أن رافضة فحل هم الذین صاروا إلی دمشق «۳».

و أما الواقدی فزعم أن فتح دمشق کان سنة أربع عشرة، و کذا قال ابن إسحاق،

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۴).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۴- ۴۳۵).

(۳) انظر: تاریخ الطبری (۴/ ۴۳۵- ۴۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۲۰

و زعم أن حصار المسلمین لها کان ستة أشهر، و أن وقعة الیرموک کانت فی سنة خمس عشرة، و بعدها فی تلک السنة بعینها جلا هرقل عن أنطاکیة إلی قسطنطینیة، و أنه لم یکن بعد الیرموک وقعة. و سنورد إن شاء الله مما أوردوه علی اختلافه ما نبلغ به المقصود من الإمتاع و تذکیر الناس بأیام الله.

فأما خبر دمشق من روایة سیف فذکر أنه: لما هزم الله جند الیرموک، و تهافت أهل الواقوصة، و فرغ من المقاسم و الأنفال، و بعث بالأخماس، و سرحت الوفود، استخلف أبو عبیدة علی الیرموک بشیر بن کعب بن أبی الحمیری کیلا- تغتال بردة و لا- تقطع الروم مواده، و خرج أبو عبیدة حتی نزل بالصفرین و هو یرید اتباع الفل، و لا- یدری أ یجتمعون أو یفترقون، فأتاه الخبر بأنهم أرزوا إلی فحل، و بأن المدد قد أتی علی دمشق من حمص، فهو لا یدری أ بدمشق یبدأ أم بفحل من بلاد الأردن، فکتب فی ذلک إلی عمر، و أقام بالصفرین ینتظر جوابه، و کان عمر لما جاءه فتح الیرموک أقر الأمراء علی ما کان استعملهم علیه أبو بکر، إلا ما کان من عمرو بن العاص و خالد بن الولید، فإنه ضم خالد إلی أبی عبیدة، و أمر عمرا بمعونة الناس حتی تصیر الحرب إلی فلسطین، ثم یتولی حربها «۱».

فلما جاء عمر کتاب أبی عبیدة، کتب إلیه: أما بعد، فابدءوا بدمشق، و انهدوا لها، فإنها حصن الشام و بیت مملکتهم، و اشغلوا عنهم أهل فحل بخیل تکون بإزائهم فی نحورهم و نحور أهل فلسطین و أهل حمص، فإن فتحها الله قبل دمشق فذلک الذی نحب، و إن تأخر فتحها حتی یفتح الله دمشق فلینزل دمشق من تمسک بها، و دعوها، و انطلق أنت و سائر الأمراء حتی تغیروا علی فحل، فإن فتح الله علیکم فانصرف أنت و خالد إلی حمص، و دع شرحبیل و عمرا و أخلهما بالأردن و فلسطین، و أمیر کل بلد و جند علی الناس حتی یخرجوا من إمارته «۲».

فسرح أبو عبیدة إلی فحل عشرة فیهم أبو الأعور و عمارة بن مخش، و هو قائد الناس، و کانت الرؤساء تکون من الصحابة، فساروا من الصفرین حتی نزلوا قریبا من فحل، فلما رأت الروم أن الجنود تریدهم بثقوا المیاه حول فحل، فأردغت «۳» الأرض، ثم و حلت، و اغتنم المسلمون ذلک، فحبسوا عن المسلمین ثمانین ألف فارس. و بعث أبو

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۶).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۷- ۴۳۸).

(۳) أردغت: الرداغ: الوحل الشدید.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۲۱

عبیدة ذا الکلاع حتی کان بین دمشق و حمص ردءا. و بعث علقمة بن حکیم و مسروقا فکانا بین دمشق و فلسطین، و الأمیر یزید.

و قدم خالد و أبو عبیدة و عمرو و شرحبیل علی دمشق فنزلوا حوالیها و حاصروا أهلها حصارا شدیدا نحوا من سبعین لیلة، و قاتلوهم قتالا- عظیما بالزحوف و الترامی و المجانیق، و هم معتصمون بالمدینة، یرجون الغیاث، و هرقل منهم قریب بحمص، و مدینة حمص بینه و بین المسلمین و ذو الکلاع بین المسلمین و بین حمص علی رأس لیلة من دمشق، کأنه یرید حمص.

و جاءت جنود هرقل مغیثة لأهل دمشق، فأشجتها الخیول التی مع ذی الکلاع و شغلتها، فلما أیقن أهل دمشق أن الأمداد لا تصل إلیهم فشلوا و وهنوا و أبلسوا، و ازداد المسلمون طمعا فیهم، و کانوا قبل یرون أنها کالغارات، و أنه إذا جاء البرد قفل الناس، فسقط النجم و

المسلمون مقیمون، فعند ذلک انقطع رجاء الروم و ندموا علی دخول دمشق، و اتفق أن ولد للبطریق الذی دخل علی أهل دمشق مولود، فصنع علیه طعاما، فأکل القوم و شربوا، و غفلوا عن مواقفهم، و لا یشعر بذلک أحد من المسلمین إلا ما کان من خالد، فإنه کان لا ینام و لا ینیم، و لا یخفی علیه من أمرهم شیء، عیونه ذاکیة و هو معنی بما یلیه، قد اتخذ حبالا کهیئة السلالم و أوهاقا «۱»، فلما أمسی من ذلک الیوم نهد هو و من معه من جنوده الذین قدم بهم، و تقدمهم هو و القعقاع بن عمرو و مذعور بن عدی و أمثالهما.

و قالوا: إذا سمعتم تکبیرنا علی السور فارقوا إلینا و انهدوا للباب و ائتوا من الباب الذی کان خالد یلیه، فقطعوا الخندق سبحا علی ظهورهم القرب، ثم رموا بالحبال الشرف. فلما ثبت لهم و هقان تسلق القعقاع و مذعور ثم لم یدعا أحبولة إلا أثبتاها و الأوهاق بالشرف، و کان المکان الذی اقتحموا منه خندقهم أحصن مکان یحیط بدمشق، أکثره ماء، و أشده مدخلا، و توافوا لذلک، فلم یبق ممن دخل معه أحد إلا رقی أو دنا من الباب، حتی إذا استووا علی السور حدر عامة أصحابه، و انحدر معهم، فکبر الذین علی رأس السور، فنهد المسلمون إلی الباب، و مال إلی الحبال بشر کثیر، فوثبوا فیها، و انتهی خالد إلی أول من یلیه فأنامهم، و انحدر إلی الباب فقتل البوابین، و ثار أهل المدینة، و فزع سائر الناس فأخذوا مواقفهم و لا یدرون من الشأن، و تشاغل أهل کل

---

(۱) الأوهاق: جمع وهق، و هو الحبل فی طرفیه أنشوطة یطرح فی عنق الدابة أو الإنسان حتی یؤخذ.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۲۲

ناحیة مما یلیهم و قطع خالد و من معه أغلاق الباب بالسیوف، و فتحوا للمسلمین، فأقبلوا علیهم من داخل حتی ما بقی مما یلی باب خالد مقاتل إلا أنیم.

و لما شد خالد علی من یلیه، و بلغ منهم الذی أراد عنوة أرز من أفلت إلی أهل الأبواب التی کان یلیها غیر خالد، و قد کان المسلمون دعوهم إلی المشاطرة فأبوا و أبعدوا، فلم یفجأهم إلا و هم یبوحون لهم بالصلح، فأجابهم المسلمون و قبلوا منهم، ففتحوا لهم الأبواب، و قالوا: ادخلوا و امنعونا من أهل ذلک الباب، فدخل أهل کل باب بصلح مما یلیهم، و دخل خالد مما یلیه عنوة، فالتقی خالد و القواد فی أوساطها، هذا استعراضا و انتهابا، و هذا صالحا و تسکینا، فأجروا ناحیة خالد مجری الصلح، فصار کل ذلک صالحا، و کان صلح دمشق علی مقاسمة الدیار و العقار، و دینار علی کل رأس، و علی جریب من کل حرث أرض، و اقتسموا الأسلاب، فکان أصحاب خالد فیها کأصحاب سائر القواد، و وقف ما کان للملوک و من صوب معهم فیئا، و قسموا لذی الکلاع و من معه، و لأبی الأعور و من معه، و بعثوا بالبشارة إلی عمر.

و قدم علی أبی عبیدة کتاب عمر: أن اصرف جند العراق إلی العراق، و أمرهم بالحث إلی سعد بن مالک. فأمر علیهم أبو عبیدة هاشم بن عتبة، و علی مقدمته القعقاع بن عمرو، و علی مجنبتیه عمرو بن مالک الزهری، و ربعی بن عامر، و خرج هاشم نحو العراق فی جند العراق، و کانوا عشرة آلاف إلا من أصیب منهم فأتموهم بأناس ممن لم یکن منهم، کقیس و الأشطر، و خرج القواد نحو فحل، و خرج علقمة و مسروق إلی إیلیاء، فنزلا علی طریقها، و بقی بدمشق مع یزید بن أبی سفیان من قواد أهل الیمن عدد، و بعث یزید، دحیة بن خلیفة الکلبی فی خیل بعد فتح دمشق إلی تدمر، و أبا الزهراء القشیری إلی البثنیة و حوران، فصالحوهما علی صلح دمشق، و ولیا القیام علی فتح ما بعثا إلیه «۱».

و کان الذی سار علی الناس نحو فحل شرحبیل بن حسنة، علی ما ذکره سیف عن أشیاخه، قالوا: و بعث خالدا علی المقدمة، و أبا عبیدة و عمرا علی مجنبتیه، و علی الخیل ضرار بن الأزور، و علی الرجال عیاض، و کرهوا أن یصمدوا لهرقل، و خلفهم من الروم ثمانون ألفا بإزاء فحل ینظرون إلیهم، فلما انتهوا إلی أبی الأعور قدموه إلی طبریة، فحاصرها و نزلوا هم علی فحل من أرض الأردن، و قد کان أهلها حین نزل بهم أبو الأعور ترکوها و أرزوا إلی بیسان و جعلوا بینهم و بین المسلمین تلک المیاه و الأوحال،

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۳

و كتب المسلمون إلى عمر بالخبر، و أقاموا بفحل لا يريدون أن يريموها حتى يرجع جواب عمر، و لا يستطيعون الإقدام على العدو من مكانهم لما دونهم من الأوحال.

و أصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل مما فيه المشركون، مادتهم متواصلة، و خصبهم رغد، و رجاء الروم أن يكون المسلمون على غرة، فقصدوهم ليلا، و المسلمون على حذر لا يأمنون مجيئهم، و كان شرحبيل لا يبيت و لا يصبح إلا على تعبئة، فلما هجموا على المسلمين غافصوهم، و لم يناظروهم، فاقتتلوا بفحل كأشد قتال اقتتلوا قط ليلتهم و يومهم إلى الليل، فأظلم الليل عليهم و قد حاروا، فانهزموا، و قد أصيب رئيسهم سقلار بن مخراق، و الذى يليه فيهم نسطورس، و ظفر المسلمون بهم كأحسن الظفر و أهنئه، و ركبوهم و هم يرون أنهم على قصد، فوجدوهم حيارى لا يعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزيمتهم و حيرتهم إلى الوحل، فركبوه، و لحق بهم أوائل المسلمين و قد وحلوا فيه، فوخزوهم بالرماح و هم لا يمنعون يد لامس، و قتلوا فى الرداغ، فما أفلت من أولئك الثمانين ألفا إلا الشريد، و كان الله يصنع للمسلمين و هم كارهون، كرهوا البثوق فكانت عونا لهم على عدوهم، و آية من الله ليزدادوا بصيرة وجدا، و اقتسموا ما أفاء الله عليهم، و انصرف أبو عبيدة بخالد من فحل إلى حمص، و صرفوا بشير بن كعب معهم، و مضوا بذى الكلاع و من معه، و خلوا شرحبيل بن حسنة و من معه «۱».

ذكر بيسان «۲»

و لما فرغ شرحبيل من وقعة فحل نهد بالناس إلى بيسان و معه عمرو، فنزلوا عليها، و أبو الأعور و القواد معه على طبرية، و قد بلغ أفناء أهل الأردن ما لقيت دمشق، و ما لقى سقلار و الروم بفحل و فى الردغة، و مسير شرحبيل إليهم، فتحصنوا بكل مكان، و حصر شرحبيل أهل بيسان أياما. ثم خرجوا يقاتلونه، فقتل المسلمون من خرج إليهم منهم، و صالح بقية أهلها.

ذكر طبرية «۳»

و بلغ أهل طبرية، فصالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل، ففعل، و صالحهم

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۳۶- ۳۴۱).

(۲) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۴۴)، تاريخ الطبرى (۳/ ۴۴۳).

(۳) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۴۴)، تاريخ الطبرى (۳/ ۴۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۴

شرحبيل و أهل بيسان على صلح دمشق، على أن يشاطروا المسلمين المنال فى المدائن، و ما أحاط بها مما يصلها، فيدعوا لهم نصفا، و يأخذوا نصفا، و على كل رأس دينار كل سنة، و من كل حرث أرض جريب بر أو شعير، أى ذلك حرث، و أشياء صالحوهم عليها. و نزلت القواد و خيولهم فيها.

و تم صلح الأردن، و تفرقت الأمداد فى مدائنها و قراها، و كتب إلى عمر بالفتح.

حديث مرج الروم من رواية سيف أيضا

قال «۱»: خرج أبو عبيدة بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص، و بمن تضيف إليهم من اليرموك، فنزلوا جميعا على ذى الكلاع، و قد بلغ الخبر هرقل، فبعث توذرا البطريق حتى نزل بمرج دمشق و غربها، فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم و جمعهم هذا به، و قد هجم الشتاء عليهم و الجراح فيهم فاشية، فلما نزل على القوم بمرج الروم نازله، يوم نزل عليه شنس الرومى، فى مثل خيل توذرا، إمدادا لتوذرا و ردءا لأهل حمص، فنزل فى عسكره على حدة.

فلما كان من الليل فر توذرا، فأصبحت الأرض منه بلاقع، و كان خالد بإزائه و أبو عبيدة بإزاء شنس، و أتى خالدا الخبر برحيل توذرا إلى جهة دمشق، فأجمع رأيه و رأى أبى عبيدة أن يتبعه خالد، فأتبعه من ليلته فى جريدة، و بلغ يزيد بن أبى سفيان ما فعل توذرا، فاستقبله، فاقتتلوا، و لحق بهم خالد و هم يقتتلون، فأخذهم من خلفهم، فقتلوا من بين أيديهم و من خلفهم، فلم يفلت منهم إلا الشريد، و قتل يزيد توذرا، و أصاب المسلمون ما شاءوا من ظهر و أداة و ثياب، و قسم ذلك يزيد على أصحابه و أصحاب خالد، ثم انصرف يزيد إلى دمشق، و انصرف خالد إلى أبى عبيدة، و بعد خروج خالد فى أثر توذرا ناهد أبو عبيدة شنس، فاقتتلوا بمرج الروم، فقتلهم أبو عبيدة مقتلة عظيمة، حتى امتلأ المرج من قتلاهم، و أنتنت منهم الأرض. و قتل أبو عبيدة شنس، و هرب من هرب منهم، فلم يقلهم، و ركب أقفاءهم إلى حمص.

فهذا ما ذكر سيف من حديث دمشق، و فحل، و مرج الروم، و سائر ما ذكر معها أوردناه مهذبا مقربا، ثم نعود إلى تتمة ما وقع فى كتب فتوح الشام مما يخالف ما ذكره سيف من بعض الوجوه ليوقف على كل ما ذكروه مما اتفقوا عليه و اختلفوا فيه.

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۵۹۸- ۵۹۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۵

قالوا «۱»: إن أبا عبيدة لما ظهر على دمشق أمر عمرو بن العاص بالمسير إلى أرض الأردن و فلسطين، فيكون فيما بينهما، و لا يقدم على المدينتين و جمع الروم بهما، و لكن ينزل أطراف الرساتيق، و يغير بالخيل عليهم من كل جانب، و يصالح من صالحه.

فخرج عمرو حتى واقع أرض الأردن، فلما بلغ أهل الأردن و فلسطين فتح دمشق و توجه الجيش إليهم هالهم ذلك و رعبهم، و أشفقوا على مدائنهم أن تفتح، فاجتمع من كان بها من الروم و نزلوا من حصونهم، و وافاهم أهل البلد، و كثير من نصارى العرب، فكثر جمعهم، و كتبوا إلى قيصر يستمدونه و هو بأنطاكية، فبعث إلى أولئك الذين كان وجههم مددا لأهل دمشق فأقاموا ببعلبك لما بلغهم خبر فتحها أن يسيروا إليهم.

و كتب عمرو إلى أبى عبيدة: أما بعد، فإن الروم قد أعظمت فتح دمشق، فاجتمعوا من نواحى الأردن و فلسطين، فعسكروا و قد تعاقدوا و تواثقوا و تحالفوا بالله: لا يرجعون إلى النساء و الأولاد أو يخرجون العرب من بلادهم، و الله مكذب أملهم، و مبطل قولهم، و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. فاكتب إلىّ برأيك فى هذا الحديث، أرشد الله رأيك و سددك و أدام رشدك، و السلام.

و قدم بهذا الكتاب رسول عمرو، و قد استشار أبو عبيدة أصحابه فى المسير بهم إلى حمص، و قال: إن الله تعالى، قد فتح هذه المدينة، يعنى دمشق، و هى من أعظم مدائن الشام، و قد رأيت أن أسير إلى حمص، لعل الله يفتحها علينا، و هذا عمرو بن العاص من ورائنا، فلسنا نتخوف أن نؤتى من هناك.

فقال له خالد بن الوليد، و يزيد بن أبى سفيان، و معاذ بن جبل و رءوس المسلمين:

فإنك قد أصبت و وفقت، فسر بنا إليهم.

فإنهم لكذلك فى هذا الرأى إذ قدم عليهم كتاب عمرو الذى تقدم، فلما قرأه أبو عبيدة ألقاه إلى خالد، و قال: قد حدث أمر غير ما كنا فيه، ثم قرءوا الكتاب على من حضرهم، فقال يزيد: امدد عمرا و مره بمواقعة القوم و أقم أنت بمكانك. فقال أبو عبيدة:

ما ذا ترى أنت يا خالد؟ قال: أرى أن تنظر ما يصنع هذا الجيش الذى ببعلبك، فإن هم ساروا منها إلى إخوانهم سرت إلى إخوانك

فلقیتهم بجماعة المسلمین، و إن هم أقاموا أمددت عمرا، و بعثت إلی هؤلاء من یقاتلهم، و أقمت أنت بمکانک. فقال له: نعم ما رأیت، فسیر أبو عبیدة شرحبیل بن حسنة إلی عمرو، و قال له: لا تخالفه. فخرج

---

(۱) انظر: فتوح الشام للأزدی (ص ۱۰۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۲۶

شرحبیل فی ألفین و ثمانمائة، فقدم علی عمرو، و عمرو فی ألفین و خمسمائة.

و قال أبو عبیدة لخالد: ما لهذا الجیش النازل ببعلبک إلا أنا و أنت أو یزید. فقال له خالد: لا، بل أنا أسیر إلیهم. فقال: أنت لهم. فبعثه أبو عبیدة فی خمسة آلاف فارس، و خرج معه یشیعه، فسار معه قلیلا، فقال له خالد: ارجع رحمک الله، إلی عسکرک، فقال له: یا خالد، أوصیک بتقوی الله، و إذا أنت لقیت القوم فلا تناظرهم و لا تطاولهم فی حصونهم، و لا تذرهم یأکلون و یشربون و ینتظرون أن تأتیهم أمدادهم، و إذا لقیتهم فقاتلهم، فإنک إن هزمتهم انقطع رجاؤهم، و إن احتجت إلی مدد فأعلمنی حتی یأتیک من المدد حاجتک، و إن احتجت أن آتیک بنفسی أتیتک إن شاء الله. ثم أخذ بیده فودعه، ثم انصرف عنه.

و یجیء رسول قیصر إلی الذین ببعلبک، فأمرهم باللحاق بأولئک الذین اجتمعوا بیسان، فخرجوا إلیهم، و أخرجوا معهم ناسا کثیرا من أهل بعلبک، و أتاهم ناس کثیر من أهل حمص غضبا لدینهم و شفقا من أن تفتح مدینتهم کما فتحت دمشق، فخرجوا و هم أکثر من عشرین ألفا متوجهین إلی الجمع الذی ببیسان منهم، و جاء خالد حتی انتهی إلی بعلبک، فأخبر الخبر، فأغاز علی نواحی بعلبک، فقتل و سبی و استاق من المغانم شیئا کثیرا، و أقبل راجعا إلی أبی عبیدة فأخبره، و اجتمع رأیهم علی أن یسیر أبو عبیدة بجماعة الناس إلی ذلک الجمع من الروم، فقدم خالد فی ألف و خمسمائة، فارس أمامهم، و أمرهم، و أمره بالإسراع إلی عمرو و أصحابه لیشد الله بهم ظهورهم، و لیری الروم أن المسلمین قد أتوهم، فأقبل خالد مسرعا فی آثار الروم فلحقهم و قد دخل أوائلهم عسکرهم، فحمل علی أخریاتهم، فقتل منهم مقتلة عظیمة، و أصاب کثیرا من أثقالهم، و أفلت من أفلت منهم منهزمین حتی دخلوا عسکرهم، و جاء خالد فی خیله حتی نزل قریبا من عمرو، ففرح المسلمون بهم، و کان عمرو یصلی بأصحابه الذین کانوا معه، و خالد یصلی بأصحاب الخیل التی أقبل فیها.

وقعة فحل حسبما فی کتب فتوح الشام

«۱» قالوا: فلما بلغ الروم أن أبا عبیدة قد أقبل إلیهم تحولوا إلی فحل فنزلوا بها، و جاء المسلمون بأجمعهم حتی نزلوا بهم، و خرج علقمة بن الأرث فجمع من أطاعه من بنی

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزی (۴/ ۱۴۲)، تاریخ الطبری (۳/ ۴۳۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۲۷

القین، و جاءت لخم و جذام و عاملة و غسان، و قبائل من قضاعة، فدخلوا مع المسلمین، و أخذ أهل البلد من النصاری یراسلون المسلمین، فیقدمون رجلا و یؤخرون أخری، و یقولون: أنتم أحب إلینا من الروم و إن کنتم علی غیر دیننا، أنتم أوفی لنا و أرأف بنا و أکف عن ظلمنا، و لکنهم غلبونا علی أمرنا، فیقول لهم المسلمون: إن هذا لیس بنافعکم عندنا ما لم تعتقدوا منا الذمة، و إنا إن ظهرنا علیکم کان لنا أن نسبیکم و نستعبدکم، و إن اعتقدتم منا الذمة سلمتم من ذلک، فکانوا یتربصون و ینتظرون ما یکون من أمر قیصر، و قد بلغهم أنه بعث إلی أقاصی بلاده، و إلی کل من کان دینه ممن حوله، و أنهم فی کل یوم یقدمون علیه و یسقطون إلیه، فهم ینتظرون ما یکون منه، و هم مع ذلک بموضعهم بین الثلاثین ألفا و الأربعین ألفا «۱».

و كان المسلمون حيث نزلوا بهم ليس شىء أحب إليهم من معاجلتهم، و كانوا هم ليس شىء أحب إليهم من مطاولة المسلمين رجاء المدد من صاحبهم، و لأن المسلمين ليسوا فى مثل ما الروم فيه من الخصب و الكفاية.

و أقبلت الروم يبثقون المياه بينهم و بين المسلمين ليطاولوهم، و أقبل المسلمون يخوضون إليهم الماء و يمشون فى الوحل، فلما رأى ذلك الروم، و أنه لا يمنعهم منهم شىء خرجوا فعسكروا و تيسروا للقتال، و وطنوا أنفسهم عليه، و كانوا كل يوم فى زيادة من الأمداد الواصلة إليهم.

فأمر أبو عبيدة المسلمين حيث بلغه ذلك أن يغيروا عليهم و على ما حولهم من القرى و السواد و الرساتيق، ففعلوا، و قطعوا بذلك المادة و الميرة.

فلما رأى ذلك ابن الجعد أتى أبا عبيدة فصالحه على سواد الأردن، و كتب له كتابا.

و كان صفوان بن المعطل، و معن بن يزيد بن الأخنس السليمان قد خرجا فى خيل لهما فأغارا، فغنما، فلما انصرفا عرضت لهم الروم فقاتلوهم، و إنما كان المسلمون فى نحو من مائة رجل و الروم فى خمسة آلاف مع درنجار عظيم منهم، فطاردوهم و صبروا لهم، و احتسبوا فى قتالهم، ثم إن الروم غلبوهم على غنيمتهم. و جاء حابس بن سعد الطائى فى نحو من مائة رجل، فحمل عليهم فزالوا غير بعيد، ثم حملوا عليه فردوه و أصحابه حتى ألحقوهم بالمسلمين، ثم انصرفوا و قد بغوا، و هم يعدون هذا ظفرا، و لم يقتلوا أحدا، و لم يهزموا جمعا، فلما انصرفوا إلى عسكرهم أرسلوا إلى أبى عبيدة: أن

---

(۱) انظر هذا الخبر و ما بعده فى: تاريخ فتوح الشام للأزدى (ص ۱۱۱- ۱۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۸

اخرج أنت و من معك من بلادنا التى تنبت الحنطة و الشعير و الفواكه و الأعناب، فلستم لها بأهل، و ارجعوا إلى بلادكم، بلاد البؤس و الشقاء، و إلا أتيناكم فيما لا قبل لكم به، ثم لم ننصرف عنكم و فيكم عين تطرف.

فرد عليهم أبو عبيدة: أما قولكم: أخرجوا من بلادنا فلستم لها بأهل، فلعمرى ما كنا لنخرج عنها و قد أورثناها الله و نزعها من أيديكم، و إنما البلاد بلاد الله، و العباد عباد الله، و الله ملك الملوك، يؤتى الملك من يشاء، و ينزع الملك ممن يشاء، و يعز من يشاء، و يذل من يشاء. و أما قولكم فى بلادنا أنها بلاد البؤس و الشقاء، فصدقتم، إنها لكذلك، و قد أبدلنا الله بها بلادكم، بلاد العيش الرفيع و السعر الرخيص و الجناب الخصيب، فلا تحسبونا تاركيها و لا منصرفين عنها حتى نفنيكم أو نخرجكم منها، و لكن أقيموا، فو الله لا نجشمكم أن تأتونا، و لنأتينكم إن أنتم أقمتم لنا، فلا نبرح حتى نبيد خضراءكم، و نستأصل شأفتكم إن شاء الله تعالى.

فلما جاءهم ذلك عنهم أيقنوا بجد القوم، فأرسلوا إليهم، أن ابعثوا إلينا رجلا- من صالحائكم نسأله عما تريدون و ما تسألون و ما تدعون إليه، و نخبره بذات أنفسنا، و ندعوكم إلى حظكم إن قبلتم.

فأرسل إليهم أبو عبيدة، معاذ بن جبل، فأتاهم على فرس له، فلما دنا منهم نزل عن فرسه، ثم أخذ بلجامه و أقبل إليهم يقوده، فقالوا لبعض غلمانهم: انطلق إليه فأمسك له فرسه، فجاء الغلام ليفعل، فقال له معاذ: أنا أمسك فرسى، لا أريد أن يمسكه أحد غيرى، و أقبل يمشى إليهم، فإذا هم على فرش و بسط و نمارق تكاد الأبصار تغشى منها، فلما دنا من تلك الثياب قام قائما، فقال له رجل منهم: أعطنى هذه الدابة أمسكها لك، و ادن أنت فاجلس مع هذه الملوك مجالسهم، فإنه ليس كل أحد يقدر أن يجلس معهم، و قد بلغهم عنك صلاح و فضل فيمن أنت منه، فهم يكرهون أن يكلموك جلوسا و أنت قائم.

فقال لهم معاذ، و الترجمان يفسر لهم ما يقول: إن نبينا صلى اللّه عليه و سلم أمرنا أن لا نقوم لأحد من خلق الله، و لا يكون قيامنا إلا لله فى الصلاة و العبادة و الرغبة إليه، فليس قيامى هذا لكم، و لكن قمت إعظاما للمشى على هذه البسط و الجلوس على هذه النمارق التى استأثرتم بها على ضعفائكم، و إنما هى من زينة الدنيا و غرورها، و قد زهد الله فى الدنيا و ذمها، و نهى عن البغى و السرف فيها،

فأنا أجلس هاهنا على الأرض، و كلمونى أنتم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۲۹

بحاجتكم من ثم، و أقيموا الترجمان بينى و بينكم، يفهمنى ما تقولون، و يفهمكم ما أقول، ثم أمسك برأس فرسه و جلس على الأرض عند طرف البساط. فقالوا له: لو دنوت فجلست معنا كان أكرم لك، إن جلوسك مع هذه الملوك على هذه المجالس مكرمة لك، و إن جلوسك على الأرض متنحيا صنيع العبد بنفسه، فلا نراك إلا قد أزريت بنفسك.

فلما أخبره الترجمان بمقالتهم جثا على ركبتيه و استقبل القوم بوجهه، و قال للترجمان:

قل لهم: إن كانت هذه المكرمة التى تدعوننى إليها استأثرتم بها على من هو مثلكم إنما هى للدنيا، فلا حاجة لنا فى شرف الدنيا و لا فى فخرها، و إن زعمتم أن هذه المجالس و الدنيا التى فى أيدى عظمائكم و هم مستأثرون بها على ضعفائكم مكرمة لمن كانت فى يده منكم عند الله، فهذا خطأ من قولكم، و جور من فعلكم، و لا يدرك ما عند الله بالخطإ، و لا بخلاف ما جاء به الأنبياء عن الله من الزهادة فى الدنيا.

و أما قولكم إن جلوسى على الأرض متنحيا صنيع العبد بنفسه، ألا فصنيع العبد بنفسه صنعت، أنا عبد من عبيد الله جلست على بساط الله، و لا أستأثر من مال الله بشىء على إخوانى من أولياء الله، و أما قولكم أزريت بنفسى فى مجلسى، فإن كان ذلك إنما هو عندكم و ليس كذلك عند الله، فلست أبالى كيف كانت منزلتى عندكم إذا كنت عند الله على غير ذلك، و إن قلتم أن ذلك عند الله فقد أخطأتم خطأ بينا، لأن أحب عباد الله إلى الله المتواضعون لله القريبون من عباد الله، الذين لا يشغلون أنفسهم بالدنيا، و لا يدعون التماس نصيبهم من الآخرة.

فلما فسر لهم الترجمان هذا الكلام نظر بعضهم إلى بعض و تعجبوا مما سمعوا منه، و قالوا لترجمانهم: قل له: أنت أفضل أصحابك؟ فلما قال له، قال: معاذ الله أن أقول ذلك، و ليتنى لا أكون شرهم، فسكتوا عنه ساعة لا يكلمونه، و تكلموا فيما بينهم، فلما رأى ذلك قال لترجمانهم: إن كانت لهم حاجة فى كلامى و إلا انصرفت عنهم، فلما أخبرهم قالوا: قل له: أخبرونا ما تطلبون؟ و إلام تدعون؟ و لما ذا دخلتم بلادنا و تركتم أرض الحبشة و ليسوا منكم ببعيد، و أهل فارس و قد هلك ملكهم و هلك ابنه، و إنما يملكهم اليوم النساء، و نحن ملكنا حى و جنودنا عظيمة، و إن أنتم افتتحتم من مدائننا مدينة أو من قرانا قرية أو من حصوننا حصنا أو هزمتم لنا جندا أظننتم أنكم ظفرتم بجماعتنا أو قطعتم عنكم حربنا و فرغتم مما وراءنا، و نحن عدد نجوم السماء و حصى الأرض؟ و أخبرونا بم تستحلون قتالنا و أنتم تؤمنون بنبينا و كتابنا؟.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۰

فلما قالوا هذا القول و فسره الترجمان لمعاذ، سكتوا، فقال معاذ للترجمان: أ قد فرغوا؟

قال: نعم، قال: فأفهم عنى، إن أول ما أنا ذاكر: حمدا لله الذى لا إله إلا هو، و الصلاة على محمد صلى اللّه عليه و سلم و أول ما أدعوكم إليه أن تؤمنوا بالله وحده، و بمحمد صلى اللّه عليه و سلم و أن تصلوا صلاتنا، و تستقبلوا قبلتنا، و أن تستنوا بسنة نبينا، و تكسروا الصليب، و تجتنبوا شرب الخمر و أكل لحم الخنزير، ثم أنتم منا و نحن منكم، و أنتم إخواننا فى ديننا، لكم ما لنا و عليكم ما علينا، و إن أبيتم، فأدوا الجزية فى كل عام إلينا عن يد و أنتم صاغرون، فإن أنتم أبيتم هاتين الخصلتين فليس شىء مما خلق الله نحن قابلوه منكم، فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا، و هو خير الحاكمين، فهذا ما نأمركم به و ما ندعوكم إليه.

و أما قولكم: ما أدخلكم بلادنا و تركتم أرض الحبشة و ليسوا منكم ببعيد، و أهل فارس و قد هلك ملكهم، فإنى أخبركم عن ذلك، ما بدأنا بقتالكم أن يكونوا آثر عندنا منكم، إنكم جميعا لسواء، و ما حابيناهم بالكف عنهم إذ بدأنا بكم، و لكن الله تبارك و تعالى، أنزل فى كتابه على نبينا صلى اللّه عليه و سلم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً [التوبة: ۱۲۲]، فكنتم أقرب إلينا منهم، فبدأنا بكم لذلك، ثم لقد أتتهم طائفة منا بعدنا، فإنهم اليوم ليقاتلونهم، و إنا لنرجو أن يعزهم الله و يفتح

عليهم، و أما قولكم: إن ملكنا حى، و إن جنودنا عظيمة، و إنا عدد نجوم السماء و حصى الأرض و تؤيسونا من الظهور عليكم، فإن الأمر فى ذلك ليس إليكم، و إن الأمور كلها لله، و كل شىء فى قبضته و قدرته، و إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، فإن يكن ملككم هرقل فإنما ملكنا نحن الله تبارك و تعالى، و أميرنا رجل منا، إن عمل فينا بكتاب ربنا و سنة نبينا أقررناه، و إن غير عزلناه، و لا يحتجب منا، و لا يتكبر علينا، و لا يستأثر علينا فى فيئنا الذى أفاء الله عز و جل، علينا، و هو فيه كرجل منا. و أما جنودنا، فإنها و إن عظمت و كثرت حتى تكون أكثر من نجوم السماء و حصى الأرض، فإنا لا نثق بها و لا نتكل عليها، و لكنا نتبرأ من الحول و القوة، و نتوكل على الله و نثق به، و كم من فئة قليلة قد أعزها الله و نصرها و أعانها، و كم من فئة كثيرة قد أذلها الله و أهانها قال الله تبارك و تعالى: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: ۲۴۹].

و أما قولكم: كيف تستحلون قتالنا و أنتم مؤمنون بنبينا و كتابنا، فأنا أخبركم عن ذلك: نحن نؤمن بنبيكم، و نشهد أنه عبد من عباد الله و رسول من رسل الله، و أن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، و لا نقول: إنه الله، و لا أنه

ثانى اثنين و لا ثالث ثلاثة، و لا أن لله عز و جل، ولدا و لا صاحبة، و لا أن مع الله آلهة أخرى، لا إله إلا هو، تعالى عما تقولون علوا كبيرا، و أنتم تقولون فى عيسى قولا عظيما، و لو أنكم قلتم فى عيسى كما نقول، و آمنتم بنبوة نبينا صلى اللّه عليه و سلم كما تجدونه فى كتابكم، و كما نؤمن نحن بنبيكم، و أقررتم بما جاء به من عند الله، و وحدتم الله، ما قاتلناكم، بل سالمناكم و واليناكم و قاتلنا عدوكم معكم.

فلما فرغ معاذ من مخاطبتهم قالوا له: ما نرى ما بيننا و بينكم إلا متباعدا، و قد بقيت خصلة و نحن عارضوها عليكم، فإن قبلتموها منا فهو خير لكم، و إن أبيتم فهو شر لكم:

نعطيكم البلقاء و ما و الى أرضكم من سواد الأردن، و تتحولون عن بقية أرضنا، و عن مدائننا، و نكتب عليكم كتابا نسمى فيه خياركم و صالحاءكم، و نأخذ فيه عهودكم و مواثيقكم أن لا تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه، و عليكم بأهل فارس فقاتلوهم و نحن نعينكم عليهم حتى تقتلوهم أو تظهروا عليهم.

فقال لهم معاذ: هذا الذى تعطوننا هو كله فى أيدينا، و لو أعطيتمونا جميع ما فى أيديكم مما لم نظهر عليه و منعتمونا خصلة من الخصال الثلاث التى وصفت لكم ما فعلنا. فغضبوا، و قالوا: أ نتقرب منكم و تتباعد منا، اذهب إلى أصحابك، فو الله إنا لنرجو أن نقرنكم غدا فى الحبال. فقال معاذ: أما فى الحبال فلا، و لكن و الله لتقتلننا عن آخرنا أو لنخرجنكم منها أذلة و أنتم صاغرون.

ثم انصرف إلى أبى عبيدة فأخبره بما قالوا و ما رد عليهم. فإنهم لكذلك إذ بعثوا إلى أبى عبيدة: إنك بعثت إلينا رجلا لا يقبل النصف، و لا يريد الصلح، فلا نرى أ عن رأيك ذلك أم لا، و إنا نريد أن نبعث إليك رجلا منا يعرض عليك النصف، و يدعوك إلى الصلح، فإن قبلت ذلك منه فلعله يكون خيرا لنا و لك، و إن أبيت فلا نراه إلا شرا لك «۱».

فقال لهم أبو عبيدة: ابعثوا من شئتم. فبعثوا إليه رجلا منهم، طويلا أحمر أزرق، فلما جاء المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من القوم، و لم يدر أ فيهم هو أم لا، و لم ير هيئة مكان أمير، فقال: يا معشر العرب، أين أميركم؟ قالوا له: هو ذا، فنظر فإذا هو بأبى عبيدة جالسا على الأرض عليه الدرع، و هو متنكب القوس، و فى يده أسهم يقلبها، فقال له:

أنت أمير هؤلاء الناس؟ قال: نعم، قال: فما جلوسك على الأرض؟ أ رأيت لو كنت

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدى (۱۱۳) و ما بعدها.

جالسا على وسادة، أو كان تحتك بساط، أ كان ذلك واضعك عند الله أو مباعدك من الإحسان؟.

فقال أبو عبیدة: إن الله لا یستحی من الحق، لأصدقنك عما قلت، ما أصبحت أملك دینارا و لا درهما، و ما أملك إلا فرسی و سلاحی، و لقد احتجت أمس إلی نفقة فلم تکن عندی حتی استقرضت أخی هذا یعنی معاذا، نفقة کانت عنده، فأقرضنیها، و لو کان عندی أیضا، بساط أو وسادة ما کنت لأجلس علیه دون أصحابی و إخوانی، و أجلس علی الأرض أخی المسلم الذی لا أدری لعله عند الله خیر منی، و نحن عباد الله نمشی علی الأرض، و نأکل علی الأرض، و نجلس علیها، و نضطجع علیها، و لیس بناقصنا ذلک عند الله شیئا، بل یعظم الله به أجورنا، و یرفع به درجاتنا. هات حاجتك التی جئت لها.

فقال الرومی: إنه لیس شیء أحب إلی الله من الإصلاح، و لا أبغض إلیه من البغی و الفساد، و إنکم قد دخلتم بلادنا فظهر منکم فیها الفساد و البغی، و قل ما بغی قوم و أفسدوا فی الأرض إلا عمهم الله بهلاك، و إنا نعرض علیکم أمرا فیه حظ إن قبلتموه:

إن شئتم أعطیناکم دینارین دینارین، و ثوبا ثوبا، و أعطیناك أنت ألف دینار، و نعطی الأمیر الذی فوقك یعنون عمر بن الخطاب، ألفی دینار، و تنصرفون عنا، و إن شئتم أعطیناکم البلقاء و ما إلی أرضکم من سواد الأردن، و خرجتم من مدائننا و أرضنا، و کتبنا فیما بیننا و بینکم کتابا یستوثق فیه بعضنا من بعض بالأیمان المغلظة لتقومن بما فیه و لنفین بما عاهدنا الله علیه.

فقال أبو عبیدة: إن الله تعالی، بعث فینا رسولا تنبأه، و أنزل علیه کتابا حکیما، و أمره أن یدعو الناس إلی عبادته رحمة منه للعالمین، فقال لهم: إن الله إله واحد عزیز حکیم، علیّ مجید، و هو خالق کل شیء، و لیس کمثله شیء، فوحدوا الله الذی لا إله إلا هو، و لا تتخذوا معه إلها آخر، فإن کل شیء یعبده الناس دونه فهو خلقه، و إذا أتیتم المشرکین فادعوهم إلی الإیمان بالله و رسوله و الإقرار بما جاء به من ربه، فمن آمن و صدق فهو أخوکم فی دینکم، له ما لکم و علیه ما علیکم، و من أبی فاعرضوا علیهم أن یؤدوا الجزیة عن ید و هم صاغرون، فإن أبوا أن یؤمنوا أو یؤدوا الجزیة فقاتلوهم، فإن قتیلکم المحتسب بنفسه شهید عند الله فی جنات النعیم، و قتیل عدوکم فی النار، فإن قبلتم ما سمعتم فذاکم، و إن أبیتم فابرزوا إلینا حتی یحکم الله بیننا، و هو خیر الحاکمین.

قال الرومی: فقد أبیتم إلا هذا. فقال أبو عبیدة: نعم. فقال: أما و الله علی ذلك إنی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۳۳

لأراکم ستتمنون أنکم قبلتم منا دون ما عرضنا علیکم. فقال أبو عبیدة: لا و الله، لا نقبل هذا منك و لا من غیرك أبدا، فانصرف الرومی رافعا یدیه إلی السماء یقول: اللهم إنا قد أنصفناهم فأبوا، اللهم فانصرنا علیهم. و وثب أبو عبیدة مکانه، فسار فی الناس، و قال: أصبحوا أیها الناس و أنتم تحت رایاتکم و علی مصافکم. فأصبح الناس و خرجوا علی تعبئتهم و مصافهم «۱».

و کتب أبو عبیدة إلی عمر: لعبد الله عمر أمیر المؤمنین، من أبی عبیدة بن الجراح.

سلام علیك، فإنی أحمد إلیك الله الذی لا إله إلا هو، أما بعد. فإن الروم قد أقبلت، فنزلت طائفة منهم فحلا مع أهلها، و قد سارع إلیهم أهل البلد، و من کان علی دینهم من العرب، و قد أرسلوا إلیّ: أن اخرجوا من بلادنا، فإنکم لستم لهذه البلاد التی تنبت الحنطة و الشعیر و الفواکه و الأعناب أهلا، و الحقوا ببلادکم، بلاد الشقاء و البؤس، فإن أنتم لم تفعلوا سرنا إلیکم بما لا قبل لکم به، ثم أعطینا الله عهدا أن لا ننصرف عنکم و فیکم عین تطرف، فأرسلت إلیهم:

أما قولکم: اخرجوا من بلادنا، فلستم لما تنبت أهلا، فلعمری ما کنا لنخرج عنها و قد أورثناها الله تعالی، و نزعها من أیدیکم، و إنما البلاد بلاد الله، و العباد عباد الله، و هو سبحانه ملك الملوك، یؤتی الملك من یشاء، و ینزع الملك ممن یشاء، و یعز من یشاء، و یذل من یشاء.

و أما ما ذکرتم من بلادنا، و زعمتم أنها بلاد البؤس و الشقاء، فقد صدقتم، و قد أبدلنا الله بها بلادکم، بلاد العیش الرفیع، و السعر الرخیص، و الجناب الخصیب، فلا تحسبونا تارکیها و لا منصرفین عنها، و لکن أقیموا لنا، فو الله لا نجشمکم إتیاننا و لنأتینکم إن أقمتم لنا.

و کتبت إلیك حین نهضت إلیهم متوکلا علی الله، راضیا بقضاء الله، واثقا بنصر الله، فکفانا الله و إیاك کید کل کائد، و حسد کل

حاسد، و نصر الله أهل دينه نصرا عزيزا، و فتح لهم فتحا يسيرا، و جعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا، و السلام عليك.

و دفع أبو عبيدة هذا الكتاب إلى نبطى من أنباط الشام، و قال له: ائت به أمير المؤمنين، ثم نهض هو إلى الروم بجماعة المسلمين، فدنا منهم، و تعرضت خيل المسلمين لهم، فلم يخرجوا يومئذ، فانصرف المسلمون عنهم من غير قتال، و تأخر النبطى عن

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدى (۱۱۴) و ما بعدها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۴

المسير حتى انصرف المسلمون، فذهب عند ذلك بالكتاب. و قد كان أبو عبيدة بعثه أول النهار، فلما قدم على عمر رحمه الله، و قرأ كتابه، قال له: ويحك، هل علمت أو بلغت ما كان من أمر المسلمين، فإن أبا عبيدة كتب إلىّ يخبرنى أنه كتب إلىّ حين نهض إلى المشركين؟ فقال له: أصلحك الله، فإنى لم أبرح يومئذ حتى رجع المسلمون عنهم، و كانوا زحفوا إليهم، و تعرضت خيلهم لهم، فلم يخرج النصارى إليهم، فانصرف المسلمون إلى عسكرهم، و هم أطيب شيء أنفسا و أحسن شيء حالا.

قال: فأنت ما حبسك يومئذ، إلى العشى لم تقبل بالكتاب و قد دفعه إليك أبو عبيدة أول النهار؟ قال: ظننت أنك ستسألنى عما سألتنى عنه الساعة، فأحببت أن يكون عندى علم ما تسألنى عنه. قال له عمر: ويحك، ما دينك؟ قال: نصرانى، قال: ويحك، أ فما يدلك عقلك هذا الذى أرى على أن تسلم، ويحك أسلم فهو خير لك. قال: فقد أسلمت. فقال عمر: الحمد لله الذى يهدى من يشاء إذا يشاء، ثم كتب معه إلى أبى عبيدة بن الجراح: سلاح عليك، فإنى أحمد إليك الله لا إله إلا هو. أما بعد، فإن كتابك جاءنى بنفير الروم إليك، و منزلهم الذى نزلوا به، و رسالتهم التى أرسلوها، و بالذى رجعت إليهم فيما سألوك، و قد سددت بحجتك، و أوتيت رشدك، فإن أتاكم كتابى هذا و أنتم الغالبون فكثيرا ما يكون من ربنا الإحسان، و إن أتاكم و قد أصابكم نكب أو قرح فلا تهنوا و لا تحزنوا و لا تستكينوا، و أنتم الأعلون، و إنها دار الله، و هو فاتحها عليكم فاصبروا إن الله مع الصابرين، و اعلم أنك متى لقيت عدوك فاستعنت بالله عليهم و علم منك الصدق نصرك عليهم، فقل إذا أنت لقيتهم: اللهم أنت الناصر لدينك، المعز لأوليائك، الناصر لهم قديما و حديثا، اللهم فتول نصرهم، و أظهر فلجهم، و لا ـ تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، و كن أنت الصانع لهم و المدافع عنهم برحمتك، إنك أنت الولى الحميد.

فأقبل الرسول بهذا إلى أبى عبيدة، و كان أبو عبيدة بعد ذلك اليوم الذى زحف فيه إلى الروم فلم يخرجوا إليه، سرح إليهم من الغد خالدا فى الخيل، و لم يخرج أبو عبيدة يومئذ فى الرجالة، فخرجت إلى خالد خيل لهم عظيمة، فأقبلت نحوه، فقال لقيس بن هبيرة، و كان من أشد الناس بأسا، و أشده نكاية فى العدو، و مباشرة لهم بعد خالد: يا قيس، اخرج إلى هذا الخيل. فخرج إليهم قيس، فحمل عليهم مرارا، و حملوا عليه، فقاتلهم قتالا ـ شديدا، ثم أقبلت خيل أخرى عظيمة للروم، فقال خالد لميسرة بن مسروق: اخرج إليهم، فخرج ميسرة فقاتلهم قتالا شديدا، ثم خرجت إليهم من الروم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۵

خيل عظيمة، هى أعظم من الخيلين جميعا، عليها بطريق عظيم من بطارقتهم، فجاء حتى إذا دنا من خالد، أمر بشطر خيله، فحملت على خالد و أصحابه، فلم يتخلخل أحد منهم، ثم إنه جمعهم جميعا، فحمل بهم، فلم يبرح أحد من المسلمين، فلما رأى ذلك الرومى انصرف.

فقال خالد لأصحابه: إنه لم يبق من جد القوم و لا حدهم و لا قوتهم إلا ما قد رأيتم، فاحملوا معى يا أهل الإسلام حملة واحدة و اتبعوهم و لا ـ تقلعوا عنهم رحمكم الله. ثم حمل عليهم خالد بمن معه، فكشف من يليه منهم، و حمل قيس بن هبيرة على الذين كانوا يلونه فهزمهم و كشفهم، و حمل ميسرة على الذين كانوا يلونه، فهزمهم، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم و يقصفون بعضهم على بعض، حتى اضطروهم إلى عسكرهم و قد رأوا ما أصابهم، فانكسروا و وهنوا و هابوا المسلمين هيبة شديدة، و انصرف المسلمون إلى

عسكرهم و قد قرت أعينهم، و اجتمعوا إلى أبى عبيدة و هم مسرورون بما أراهم الله فى عدوهم من عونه لهم عليهم فقال له خالد: إن هزيمتنا خيل المشركين قد دخل رعبها قلوب جماعتهم، فكلهم قلبه مرعوب متخوف لمثلها منا مرة أخرى، فناهض القوم غدا بالغداة ما دام رعب هذه الهزيمة فى قلوبهم، فإنك إن أخرت قتالهم أياما ذهب رعبها من قلوبهم و اجترؤوا علينا. قال أبو عبيدة: فانهضوا على بركة الله غدا بالغداة.

قال عمرو بن مالك القيسى: و لم يكن شىء أحب إلى الروم من التطويل و دفع الحرب، انتظارا لمدد، و لا شىء أحب إلى المسلمين من المناجزة و تعجيل الفراغ.

و قال عبد الله بن قرط: لما كانت الليلة التى خرجنا فى صبيحتها إلى أهل فحل، خرج إلينا أبو عبيدة فى الثلث الباقى من الليل، فلم يزل يعبئ الناس و يحرضهم حتى إذا أصبح صلى بالناس، فكان إلى التغليس أقرب منه إلى التنوير، ثم إنه جعل على ميمنته معاذ بن جبل، و على ميسرته هاشم بن عتبة، و على الرجالة سعيد بن زيد، و على الخيل خالد بن الوليد، ثم زحف أبو عبيدة بالناس، و أخذوا يزفون زفا رويدا على رسلهم.

و ركب أبو عبيدة فاستعرض الصف من أوله إلى آخره، يقف على كل راية و كل قبيلة، و يقول: عباد الله، استوجبوا من الله النصر بالصبر، فإن الله مع الصابرين، عباد الله، ليبشر من قتل منكم بالشهادة، و من بقى بالنصر و الغنيمة، و لكن وطنوا أنفسكم على القتال و الطعن بالرماح، و الضرب بالسيوف، و الرمى بالنبل، و معانقة الأقران، فإنه و الله ما يدرك ما عند الله إلا بطاعته و الصبر فى المواطن المكروهة التماس رضوانه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۶

و تقدم خالد فى الخيل حتى أطل على الروم، فلما رأوه خرجوا إليه فى الخيل و الرجل جميعا، و قالوا: إن العرب أفرس على الخيل منا، و خيلنا لا تكاد تثبت لخيلهم، فاخرجوا إليهم فى الخيل و الرجال، و كان خالد قد هزم خيلهم بالأمس، فكان ذلك أيضا، مما حملهم على الخروج على هذه التعبئة، خرجوا و هم خمسة صفوف، فأول صف من صفوفهم جعلوا فيه الفارس بين راجلين: رامح و ناشب، و جعلوا صفا من الخيل وراء هذا الصف، و جعلوا له مجنبتين.

ثم صفوا ثلاثة صفوف أخر رجالا كلهم، ثم أقبلوا نحو المسلمين، و هم نحو خمسين ألفا. فكان أول من لقيهم خالد بن الوليد فى الخيل، فأخذ لا يجد عليهم مقدما، و أخذوا يزحفون إليه و يرشقونه بالنشاب، و جعل ينكص هو و أصحابه وراءهم، و أخذت الروم تقدم عليهم و هم يتأخرون، حتى انتهوا إلى صفهم، و دافعت أعجاز كثير من خيلهم صدور رجالهم، ثم إن خالدا بعث إلى قيس بن هبيرة: أن اخرج فى خيلك حتى تأتى ميسرتهم فتحمل عليها، و قال لميسرة بن مسروق: قف قبالة صفهم فى خيلك، و ضمها إليك كتيبة واحدة، فإذا رأيتنا قد حملنا و انتقض صفهم فاحمل على من يليك منهم.

و كان خالد قسم خيله أثلاثا، فجعل للمرادى قيس بن هبيرة، ثلثها، و لميسرة بن مسروق العبسى ثلثها، و كان هو فى ثلثها، فخرج خالد فى ثلث الخيل التى معه حتى انتهى إلى ميمنتهم، فعلاها، حتى إذا ارتفع عليهم أخرجوا إليه خيلا لهم، كما تشغله و أصحابه، فلما دنت منه، قال: الله أكبر، الله أخرجهم لكم من رجالتهم، شدوا عليهم، ثم استعرضهم فشد عليهم، و شد معه أصحابه بجماعة خيلهم، فهزمهم الله، و وضعوا السلاح و السيوف فيهم حيث شاءوا، فصرعوا منهم أكثر من سبعين قبل أن ينتهوا إلى ميمنتهم، و ارتفع قيس بن هبيرة إلى ميسرتهم، فأخرجوا إليه خيلا كما صنعوا بخالد، فحمل عليهم قيس، فهزمهم و ضربهم حتى انتهى إلى ميسرتهم، و قتل منهم بشر كثير، و قتلى عظيمة، و كان واثلة بن الأسقع فى خيل قيس بن هبيرة، فخرج له بطريق من كبارهم، فبرز واثلة و هو يقول فى حملته:

ليث و ليث فى مجال ضنك كلاهما ذو أنف و معك

أجول جول صارم فى العرك أو يكشف الله قناع الشك

مع ظفرى بحاجتى و دركى

ثم حمل على البطريق فضربه ضربة قتله بها، و حملوا بأجمعهم حتى اضطروا الروم إلى عسكرهم، و وقفوا بإزائهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۷

قال هاشم بن عتبة رحمه الله: و الله لقد كنا أشفقنا يومئذ، على خيلنا أول النهار، ثم أحسن الله، فما هو إلا أن رأينا خيلنا قد نصرها الله على خيلهم، فدعوت الناس إلىّ و أمرتهم بتقوى الله، ثم نزلت، فهززت رايتى، ثم قلت: و الله لا ـ أردها حتى أركزها فى صفهم، فمن شاء فليتبعنى، و من شاء فليتخلف عنى، قال: فو الذى لا إله غيره، ما أعلم أن أحدا من أصحاب رايتى تخلف عنى، حتى انتهيت إلى صفهم، فنضحونا بالنشاب، فجثونا على الركب و اتقيناهم بالدرق.

ثم ثرت بلوائى و قلت لأصحابى: شدوا عليهم أنا فداؤكم، فإنها غنيمة الدنيا و الآخرة، فشددت و شدوا معى، فأستقبل عظيما منهم قد أقبل نحوى فأوجزه الرمح، فخر ميتا، و ضاربناهم بالسيوف ساعة فى صفهم، و حمل عليهم خالد من قبل ميسرتهم فقتلهم قتلا ذريعا، و انتقضت صفوفهم من قبل خالد و من قبلى، و نهد إليهم أبو عبيدة بالناس، و أمر الخيل التى كانت تليه من خيل خالد، فحملت عليهم، فكانت هزيمتهم «۱».

و قال عمرو بن مالك القينى عن أبيه: كان منا رجل له فينا منزلة و حال حسنة، قال:

فقلت فى نفسى: قد بلغنى أن صاحب العرب هذا، يعنى أبا عبيدة، رجل صدق، فو الله لآتينه فلأصحبنه و لأتعلمن منه. قال: فكنت آتيه و أخرج معه إذا خرج إلى عسكره، فلما كان ذلك اليوم أقبل حتى كان إلى جنب أبى عبيدة، فألظ به لا يفارقه، قال: فو الله لرأيته يقص علينا، و يقول: كونوا عباد الله أولياء الله، و ارغبوا فيما عند الله أشد من رغبتكم فى الدنيا، و لا تواكلوا فتخاذلوا، و ليغن كل رجل منكم قرنه، و أقدموا إقدام من يريد بإقدامه ثواب الله، و لا يكن من لقيكم من عدوكم أصبر على باطلهم منكم على حقكم، ثم نهض يمشى إليهم، و نهض المسلمون معه تحت راياتهم ببصيرة و سكينة و دعة و حسن رعة، و حمل قيس بن هبيرة على الروم من قبل ميسرتهم، فقصف بعضهم على بعض «۲».

و عن يحيى بن هانئ المرادى: أن قيسا قطع يومئذ ثلاثة أسياف، و كسر بضعة عشر رمحا، و كان يقاتل و يقول:

لا يبعدن كل فتى كرارماضى الجنان شاحب صبار

حين تهم الخيل بالإدباريقدم إقدام الشجاع الضارى

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام للأزدى (۱۲۳- ۱۲۴).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۳۴- ۱۳۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۳۸

و قال سالم بن ربيعة: حمل ميسرة بن مسروق يومئذ، و نحن معه فى الخيل، فحملنا على القلب و قد أخذ صف الروم ينتقض من قبل ميسرتهم و ميمنتهم، و لم ينته الانتقاض إلى القلب بعد، فثبتوا لنا، و قاتلونا قتالا شديدا، فصرع ميسرة عن فرسه، و صرعت معه، و جرح فرسى فعار، و يعتنق ميسرة رجلا من الروم، فاعتركا ساعة، فقتله ميسرة، ثم شد عليه آخر و قد أعيى ميسرة، فاعتركا ساعة، فصرعه الرومى و جلس على صدره، و أشد عليه، فأضرب وجه الرومى بالسيف، فأطرت قحفه، فوقع ميتا، و وثب ميسرة و انبرى إلى رجل منهم، فضربنى ضربة دير بى منها، و يضربه ميسرة فيصرعه، و ركبنا منهم عدد كثير، فأحاطوا بنا، و ظننا و الله أنه الهلاك، إذ نظرنا فإذا نحن نسمع نداء المسلمين و تكبيرهم، و إذا صفوفهم قد انتهت إلينا، و راياتهم قد غشيتنا، فكبرنا، و اشتدت ظهورنا، فانقشع الروم عنا، و حمل عليهم خالد من قبل ميمنتهم، فدق بعضهم على بعض حتى دخلوا عسكرهم «۱».

و عن نوفل بن مساحق، عن أبيه: أن خالدا قاتل يومئذ، قتالا شديدا ما قاتل مثله أحد من المسلمين، و ما كان إلا حديثا و مثلا لمن حضره، و لقد كان يستعرض صفوفهم و جماعتهم، فيحمل عليهم حتى يخالطهم، ثم يجالدهم حتى يفرقهم، و يهزمهم، و يكثر القتل

فیهم.

قال: و لقد سمعت من یزعم أنه قتل فی ذلک الیوم أحد عشر رجلا من الروم من بطارقتهم و أشدائهم و أهل الشجاعة منهم، و کان یقاتلهم و یقول «۲»:

أضربهم بصارم مهندضرب صلیب الدین هاد مهتد

لا واهن الحول و لا مفند

و عن سهل بن سعد قال: کان معاذ بن جبل یومئذ من أشد الناس بأسا، و کان یقول:

یا أهل الإسلام، إن هذا الیوم لما بعده من الأیام، غضوا أبصارکم رحمکم الله، و أقدموا إقدام الأسد علی عدوکم، و لا تفارقوا رایاتکم، و لا تزولوا عن مصافکم، و سوقوهم سوقا عنیفا، و لا تشاغلوا عنهم بغنائمهم، و لا بما فی عسکرهم، فإنی أخاف أن یکون لهم علیکم عطفة فلا تقوم لکم بعدها قائمة إن تفرقتم و شغلتکم غنائمهم، فاطلبوهم حتی لا تروا لهم جمعا و لا صفا.

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۳۵- ۱۳۶).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۳۹

فمضی المسلمون کما وصف لهم علی رایاتهم و صفوفهم یقدمون علیهم، و جعلت صفوف الروم تنتقض و تدبر، و خیل المسلمین تکردهم و تقتلهم، و تحمل علیهم، و لا تقلع عنهم، فقتلوا منهم فی المعرکة نحوا من خمسة آلاف، و قتلوا فی عسکرهم حیث دخلوا نحوا من ألفین، و خرجوا عبادید منهزمین، و خیل المسلمین تتبعهم و تقتلهم حتی اقتحموا فی فحل، و فحل مطلة علی أهویة تحتها الماء، فتحصنوا فیها، و أصاب المسلمون منهم نحوا من ألفی أسیر، فقتلهم المسلمون، و أقبل أبو عبیدة حتی دخل عسکرهم و حوی ما فیه.

و قال عبد الله بن قرط الثمالیّ: مررت یومئذ بعمرو بن سعید بن العاص قبل هزیمة المشرکین، و معه رجال من المسلمین، سبعة أو ثمانیة، و إنه لأمامهم نحو العدو، و إنه لیقول: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ وَ مَنْ یُوَلِّهِمْ یَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَیِّزاً إِلی فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ [الأنفال: ۱۵، ۱۶]، ثم یقول: لکن الجنة و الله نعم المصیر، و لمن؟ هی هی و الله لمن شری نفسه الیوم لله، و قاتل فی سبیل الله، ثم یقول: إلیّ یا أهل الإسلام، أنا عمرو بن سعید بن العاص، لا تفروا، فإن الله یراکم، و من یره الله یفر عن نصر دینه یمقته، فاستحیوا من الله ربکم أن یراکم تطیعون أبغض خلقه إلیه، و هو الشیطان الرجیم، و تعصونه و هو الرحمن الرحیم «۱».

قال عبد الله بن قرط: و قد کان العدو حمل علینا حملة منکرة، فرقت بینی و بین أصحابی، فانتهیت إلی عمرو و هو یقول هذا القول، فقلت فی نفسی: و الله ما أنا بواجد الیوم فی هذا العسکر رجلا أقدم صحبة و لا أقرب قرابة من رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من هذا الرجل، فدنوت منه و معی الرمح، و قد أحاطت به من الروم جماعة، فحملت علیهم، فأصرع أحدهم، ثم أقبلت إلیه، فوقفت معه، ثم قلت: یا ابن أبی أحیحة، أ تعرفنی؟ فقال لی: نعم یا أخا ثقیف، فقلت له: لم تبعد، هم الإخوان و الجیران و الحلفاء، و لکنی أخو ثمالة، عبد الله بن قرط. فقال لی: مرحبا بک أخی فی الإسلام، و هو أقرب النسب، أما و الله لئن استشهدت و کفی بالله شهیدا لأشهدن لک، و لئن شفعت لأشفعن لک. قال:

فنظرت إلی وجهه، فإذا هو مضروب علی حاجبه بالسیف، و إذا الدم قد ملأ عینیه، و إذا هو لا یستطیع أن یطرف و لا یفتح عینیه من الدم، فقلت له: أبشر بخیر، فإن الله معافیک من هذه الضربة، و منزل النصر علی الإسلام. قال: أما النصر لأهل الإسلام، فأنزل الله

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۳۷- ۱۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۰

فعجل، و أما أنا، فجعل الله لى هذه الضربة شهادة و أهدى إلىّ أخرى مثلها، فو الله ما أحب أنها بعرض أبى قبيس، و و الله لو لا أن يقتل بعض من حولى لأقدمت على هذا العدو حتى ألحق بربى، يا أخى إن ثواب الشهادة عظيم، و إن الدنيا قل ما يسلم منها أهلها.

قال: فما كان بأسرع من أن شد علينا منهم جماعة، فمشى إليهم بسيفه، فضاربهم ساعة و هو أمام الناس، و ثار بينهم الغبار، فشددنا عليهم، فصرنا منهم عدة، و إذا نحن بعمرو بن سعيد صريعا، و إذا هو قد بضع و به أكثر من ثلاثين ضربة، و كانوا حنقوا عليه و حردوا لما رأوا من شدة قتاله، فقطعوه بأسيافهم يرحمه الله.

و قتل أيضا هناك من قريش من بنى سهم: سعيد بن عمرو، و سعيد بن الحارث بن قيس، و الحارث بن الحارث، و غلب المسلمون على الأرض و احتووها، و صار من بقى من العدو فى الحصن، و قد قتل الله منهم مقتلة عظيمة، فأقام المسلمون على الحصن و قد غلبوا على سواد الأردن و أرضها و كل ما فيها، و طلبوها بالنزول إليهم، على أن يؤمنوهم، فأبوا، و ذلك أنه بلغهم أن ملك الروم بعث إليهم رجلا من غسان يقال له:

المنذر بن عمرو، فجاء فى جمع عظيم من الروم يمد أهل فحل، فلم يبلغهم حتى هزمهم الله و أذلهم، فكان أراد أن يجىء حتى يدخل معهم حصنهم.

و كان طائفة قد جاءوا بعد وقعة فحل بيوم، فقال خالد: ما أظن هؤلاء ينبغى لنا أن نعطيهم قوم قاتلوا على هذا الفىء و غلبوا عليه. فقال علقمة بن الأرث القيسى: لم أصلحك الله لا تجعلهم شركاءنا و قد جاءوا بعيالهم يسيرون و يغدون و يروحون لينصروا الإسلام و يجاهدوا فى سبيل الله؟ أ فإن المسلمون سبقوهم بساعة من النهار لا يشركونهم و هم إخوانهم و أنصارهم؟ فقال خالد: ننظر، قال أبو عبيدة: ما نرى إلا أن نشركهم.

فلما بلغ قضاعة أن المنذر بن عمرو قد دخل بطن الأردن، جاء علقمة بن الأرث إلى أبى عبيدة، فقال: إن المنذر بن عمرو قد نزل بطن الأردن، أ فلا تبعث إليه المسلمين؟

فقال: دعه حتى يدنو. فقال: أصلحك الله، ابعث معى خيلا فأنا أكفيكه. فقال: لا، لا تقربنه، لست آذن لك، دعه حتى يدنو، فخرج إلى أصحابه فقال لمن لم يشهد الوقعة منهم، و لمن شهدها، و لهم خيل و قوة: اخرجوا بنا حتى نلقى المنذر بن عمرو، فإنى أرجو أن نصادمه مغترا فنقتله، فنذهب إن شاء الله بأجرها و شرف ذكرها، فتابعوه، فأقبل حتى إذا دنا من عسكر المنذر بن عمرو، حمل الخيل عليهم من جانب العسكر و هم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۱

غازون، فهزمهم، و أتبعهم الخيل تثفنهم و تقتلهم فى كل جانب، و أغار رجالته فى العسكر فاحتووا ما فيه، و لحق علقمة بالمنذر فجاراه ساعة حتى دنا منه، فطعنه و قتله، و أخذ فرسه و رجع إلى أبى عبيدة و قد جاءه خبره، فقال له أبو عبيدة: إنى لأكره أن لا ألومك و قد عصيتنى، و إنى لأكره أن ألومك و قد فتح الله عليك، و رأى أبو عبيدة أن يسهم لهم مع المسلمين، فقاسموهم ما كان فى عسكر المنذر، فلم يصيبوا منها إلا اليسير. الاكتفاء، الكلاعى ج ۲ ۲۴۱ وقعة فحل حسبما فى كتب فتوح الشام ..... ص : ۲۲۶

كتب أبو عبيدة إلى عمر رحمهما الله «۱»: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد: فالحمد لله الذى أنزل على المسلمين نصره، و على الكافرين رجزه، أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله، أنا لقينا الروم و قد جمعوا لنا الجموع العظام، فجاءونا من رءوس الجبال و أسياف البحار، يرون أن لا غالب لهم من الناس، فبرزوا إلينا، و بغوا علينا، و توكلنا على الله تعالى، و رفعنا رغبتنا إلى الله، و قلنا حسبنا الله و نعم الوكيل، فنهضنا إليهم بخيلنا و رجلنا، و كان القتال بين الفريقين مليا من النهار، أهدى الله فيه الشهادة لرجال من المسلمين رحمهم الله، منهم: عمرو بن سعيد بن

العاص، و ضرب الله وجوه المشركين، و أتبعهم المسلمون يقتلونهم و يأسرونهم، حتى اعتصموا بحصنهم، و انتهب المسلمون عسكرهم، و غلبوا على بلادهم، و أنزلهم الله من صياصيهم، و قذف الرعب فى قلوبهم فاحمد الله يا أمير المؤمنين أنت و من قبلك من المسلمين على إعزاز الدين و إظهار الفلج على المشركين، و ادع الله لنا بتمام النعمة، و السلام عليك.

و لما رأى أهل فحل أن أرض الأردن قد غلب عليها المسلمون سألوا الصلح على أن يعفى لهم عن أنفسهم، و أن يؤدوا الجزية، و من كان فيهم من الروم إن أحب لحق بالروم و خلى بلاد الأردن، و إن أحب أن يقيم و يؤدى الجزية أقام، فصالحهم المسلمون و كتبوا لهم كتابا. و خرج منهم من كان أقبل من الروم فى تلك السنة، و تبقى معهم من كان تنبك قبل ذلك بالبلد، و اتخذ الضياع، و تزوج بها، و ولد له فيها، فأقاموا على أن يؤدوا الجزية هم و سائر من كان معهم فى الحصن.

و أما من عداهم من أهل الأردن أهل الأرض و القرى، فاختلف فيهم المسلمون، لأخذهم ذلك عنوة، و غلبتهم عليه بغير صلح، فقالت طائفة: نقتسمهم، و قالت طائفة:

نتركهم، فكتب أبو عبيدة إلى عمر:

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۳۹- ۱۴۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۲

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن الله جل ثناؤه ذا المن و الفضل و النعم العظام فتح على المسلمين أرض الأردن، فرأت طائفة من المسلمين أن يقروا أهلها، على أن يؤدوا الجزية إليهم، و يكونوا عمار الأرض، و رأت طائفة أن يقتسموهم، فاكتب إلينا يا أمير المؤمنين برأيك فى ذلك، أدام الله لك التوفيق فى جميع الأمور، و السلام.

فكتب إليه عمر: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد: فقد بلغنى كتابك تذكر إعزاز الله أهل دينه، و خذلانه أهل عدوانه، و كفايته إيانا مئونة من عادانا، فالحمد لله على إحسانه فيما مضى، و حسن صنيعه فيما غبر، الذى عافى جماعة المسلمين، و أكرم بالشهادة فريقا من المؤمنين، فهنيئا لهم رضا ربهم، و كرامته إياهم، و نسأل الله أن لا يحرمنا أجرهم، و لا يفتنا بعدهم، فقد نصحوا الله و قضوا ما عليهم، و لربهم كانوا يحفدون، و لأنفسهم كانوا يمهدون، و قد فهمت ما ذكرت من أمر الأرض التى ظهر عليها و على أهلها المسلمون، فقالت طائفة: نقر أهلها، على أن يؤدوا الجزية للمسلمين، و يكونوا للأرض عمارا.

و رأت طائفة أن يقتسموهم، و إنى نظرت فيما كتبت فيه، ففرق لى من الرأى فيما سألتنى عنه أنى رأيت أن تقرهم، و تجعل الجزية عليهم، و تقسمها بين المسلمين، و يكونوا للأرض عمارا، فهم أعلم بها و أقوى عليها، أ رأيتم لو أنا أخذنا أهلها فاقتسمناهم، من كان يكون لمن يأتى بعدنا من المسلمين؟ و الله ما كانوا ليجدوا إنسانا يكلمونه، و لا ينتفعون بشىء من ذات يده، و إن هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء، فإذا هلكنا و هلكوا أكل أبناؤنا أبناءهم أبدا ما بقوا، و كانوا عبيدا لأهل الإسلام ما دام دين الإسلام ظاهرا، فضع عليهم الجزية، و كف عنهم السباء، و امنع المسلمين من ظلمهم و الإضرار بهم و أكل أموالهم إلا بحقها، و السلام عليك.

فلما جاء أبا عبيدة هذا الرأى من عمر عمل به، و كان رأيه و رأى عمر فى ذلك واحدا «۱».

و قال علقمة بن الأرث القينى فى يوم فحل:

و نحن قتلنا كل واف سبالهمن الروم معروف النجار منطق

نطلق بالبيض الرقاق نساءهمو أبنا إلى أزواجنا لم تطلق

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۳۹- ۱۴۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۳ نصرعهم فى كل فج و غائطكأنهم بالقاع معزى المحلق

فكم من قتيل أوهطته سيوفناكفاحا و كف قد أطارت و أسوق

فتح حمص فيما حكاه أصحاب فتوح الشام «۱»

عن محرز بن أسد الباهلى قال: دعا أبو عبيدة رءوس المسلمين و فرسان العرب الذين معه، فجمعنا بعد ما ظهرنا على فحل و فرغنا من الأردن و أرضها، و قد تحصن منا أهل إيلياء، و اجتمعت بقيسارية جموع عظام مع أهلها، و أهلها لم يزالوا كثيرا، فقال أبو عبيدة: يا أهل الإسلام، إن الله قد أحسن إليكم و ألبسكم عافية مجللة و أمنا واسعا، و أظهركم على بطارقة الروم، و فتح لكم الحصون و القلاع و القرى و المدائن، و جعلكم لهذه الدار دار الملوك، أربابا، و جعلها لكم منزلا، و قد كنت أردت النهوض بكم إلى أهل إيلياء و أهل قيسارية، فكرهت أن آتيهم و هم فى جوف مدينتهم متحرزون متحصنون، و لم آمن أن يأتيهم مدد من جندهم، و أنا نازل عليهم قد حبست نفسى لهم عن افتتاح الأرض، و لم أدر لعل من طاعتى إذا رأونى قد شغلت نفسى بهم أن يرجعوا إليهم، و أن ينقضوا العهد الذى بينى و بينهم، فرأيت أن أسير إلى دمشق، ثم أسير فى أرضها إلى من لم يدخل طاعتى منهم، ثم أسير إلى حمص، فإن قدرنا عليها، و إلا تركناها و لا نقيم عليها أكثر من يوم الأربعاء و الخميس و الجمعة، ثم ندنو من ملك الروم و ننظر ما يريد بمكانه الذى هو به، فإن الله نفاه عن مكانه ذلك لم تبق بالشام قرية و لا مدينة إلا سالمت و صالحت و أعطت الجزية و دخلت فى الطاعة «۲».

فقال المسلمون جميعا: فنعم الرأى رأيك، فأمضه و سر بنا إذا بدا لك، فدعا خالدا و كان لكل ملمة و لكل شدة، فقال له: سر رحمك الله، فى الخيل. فخرج فيها، و خلف عمرو بن العاص فى أرض الأردن، و فى طائفة من أرض فلسطين مما يلى أرض العرب، و جاء خالد حتى تولى أرض دمشق، فاستقبله الذين كانوا صالحوا المسلمين.

ثم إن أبا عبيدة جاء من الغد، فخرجوا أيضا، فاستقبلوه بما يحب، فلبث يومين أو ثلاثة، ثم أمر خالدا فسار حتى بلغ بعلبك و أرض البقاع، فغلب على أرض البقاع، و أقبل قبل بعلبك حتى نزل عليها، فخرج إليه منها رجل، فأرسل إليهم فرسانا من المسلمين نحوا من خمسين، فيهم ملحان بن زياد الطائى، و قنان بن دارم العبسى، فحملوا عليهم

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۹۰)، تاريخ الطبرى (۳/ ۵۹۸).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۴۳- ۱۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۴

حتى أقحموهم الحصن. فلما رأوا ذلك بعثوا فى طلب الصلح، فأعطاهم ذلك أبو عبيدة، و كتب لهم كتابا.

ثم إنه خرج نحو حمص، فجمع له أهلها جمعا عظيما، ثم استقبلوه بجوسية «۱»، فرماهم بخالد بن الوليد، فلما نظر إليهم خالد قال: يا أهل الإسلام، الشدة، الشدة. ثم حمل عليهم خالد، و حمل المسلمون معه، فولوا منهزمين حتى دخلوا مدينتهم، و بعث خالد ميسرة بن مسروق فاستقبل خيلا لهم عظيمة عند نهير قريب من حمص، فطاردهم قليلا ثم حمل عليهم، فهزمهم، و أقبل رجل من المسلمين من حمير يقال له شرحبيل، فعرض له منهم فوارس، فحمل عليهم وحده، فقتل منهم سبعة، ثم جاء إلى نهر دون حمص مما يلى دير مسحل فنزل عن فرسه فسقاه، و جاء نحو من ثلاثين فارسا من أهل حمص فنظروا إلى رجل واحد، فأقبلوا نحوه، فلما رأى ذلك أقحم فرسه و عبر الماء إليهم، ثم ضرب فرسه فحمل عليهم، فقتل أول فارس، ثم الثانى، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم الخامس، ثم انهزموا و تبعهم وحده، فلم يزل يقتل واحدا واحدا حتى انتهوا إلى دير مسحل و قد صرع منهم أحد عشر رجلا، فاقتحموا جوف الدير و اقتحم معهم، فرماه أهل الدير بالحجارة حتى قتلوه، رحمه الله.

و جاء ملحان بن زياد و عبد الله بن قرط و صفوان بن المعطل إلى المدينة، فأخذوا يطيفون بها يريدون أن يخرج إليهم أهلها، فلم

یخرجوا. و جاء المسلمون حتى نزلوا على باب الرستن «۲»، فزعم النضر بن شفى أن رجلا من آل ذى الكلاع كان أول من دخل مدينة حمص، و ذلك أنه حمل من جهة باب الشرقى فلم يرد وجهه شىء، فإذا هو فى جوف المدينة، فلما رأى ذلك ضرب فرسه فخرج كما هو على وجهه و لا يرى إلا أنه قد هلك، حتى خرج من باب الرستن، فإذا هو فى عسكر المسلمين.

و حاصر المسلمون أهل حمص حصارا شديدا، فأخذوا يقولون للمسلمين: اذهبوا نحو الملك، فإن ظفرتم به فنحن كلنا لكم عبيد. فأقام أبو عبيدة على باب الرستن بالناس، و بث الخيل فى نواحى أرضهم، فأصابوا غنائم كثيرة و قطعوا عنهم المادة و الميرة، و اشتد عليهم الحصار، و خشوا السباء فأرسلوا إلى المسلمين يطلبون الصلح، فصالحهم المسلمون

---

(۱) جوسية: بالضم ثم السكون و كسر السين المهملة و ياء خفيفة، قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق. انظر: معجم البلدان (۲/ ۱۵۸).

(۲) الرستن: بفتح أوله و سكون ثانيه، بليدة قديمة كانت على نهر الميماس، بين حماة و حمص، فى نصف الطريق. انظر: معجم البلدان (۳/ ۴۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۵

و كتبوا لهم كتابا بالأمان على أنفسهم و أموالهم و كنائسهم، و على أن يضيفوا المسلمين يوما و ليلة، و على أن على أرض حمص مائة ألف دينار و سبعين ألف دينار، و فرغوا من الصلح، و فتحوا باب المدينة للمسلمين، فدخلوها و أمن بعضهم بعضا.

و كتب أبو عبيدة إلى عمر رضى الله عنهما: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فأحمد الله الذى أفاء علينا و عليك يا أمير المؤمنين أفضل كورة بالشام، أكثرها أهلا و قلاعا و جمعا و خراجا، و أكبتهم للمشركين كبتا، و أيسره على المسلمين فتحا. أخبرك يا أمير المؤمنين أصلحك الله، أنا قدمنا بلاد حمص و بها من المشركين عدد كثير، و المسلمون يزفون إليهم ببأس شديد، فلما دخلنا بلادهم ألقى الله الرعب فى قلوبهم، و وهن كيدهم، و قلم أظفارهم، فسألونا الصلح و أذعنوا بأداء الخراج، فقبلنا منهم و كففنا عنهم، ففتحوا لنا الحصون و اكتتبوا منا الأمان، و قد وجهنا الخيول إلى الناحية التى بها ملكهم و جنوده.

نسأل الله ملك الملوك و ناصر الجنود أن يعز المسلمين بنصره، و أن يسلم المشرك الخاطئ بذنبه، و السلام عليك.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد بلغنى كتابك تأمرنى فيه بحمد الله على ما أفاء علينا من الأرض و فتح علينا من القلاع و مكن لنا فى البلاد و صنع لنا و لكم و أبلانا و إياكم من حسن البلاء، فالحمد لله على ذلك حمدا كثيرا ليس له نفاد و لا يحصى له تعداد، و ذكرت أنك وجهت الخيول نحو البلاد التى فيها ملك الروم و جموعهم، فلا تفعل، ابعث إلى خيلك فاضممها إليك و أقم حتى يمضى هذا الحول و نرى من رأينا. و نستعين الله ذا الجلال و الإكرام على جميع أمرنا، و السلام عليك.

فلما أتى أبا عبيدة الكتاب دعا رءوس المسلمين، فقال لهم: إنى قد كنت قدمت ميسرة بن مسروق إلى ناحية حلب و أنا أريد الإقدام و الغارة على ما دون الدرب من أرض الروم، و كتبت بذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب إلىّ: أن أصرف إلى خيلى، و أن أتربص بهم الحول حتى يرى من رأيه. فقالوا: لم يألك أمير المؤمنين و المسلمين نظرا و خيرا. فسرح إلى ميسرة، و قد كان أشرف على حلب و دنا منها، فيجامعه كتاب إلى ميسرة: أما بعد، فإذا لقيت رسولى فأقبل معه ودع ما كنت وجهتك إليه حتى نرى من رأينا و ننظر ما يأمرنا به خليفتنا، و السلام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۶

فأقبل ميسرة فى أصحابه حتى انتهى إلى أبى عبيدة بحمص، فنزل معه، و خرج أبو عبيدة فعسكر بالناس، و دعا خالد بن الوليد، فقال له: اخرج إلى دمشق فانزلها فى ألف رجل من المسلمين و أقيم أنا هاهنا، و يقيم عمرو بن العاص فى مكانه الذى هو فيه، فيكون بكل

جانب من الشام طائفة من المسلمين، فهو أقوى لنا عليها و أحرى أن نضبطها، فخرج خالد فى ألف رجل حتى أتى دمشق و بها سويد بن كلثوم بن قيس القرشى، من بنى محارب بن فهر، و كان أبو عبيدة خلفه بها فى خمسمائة رجل، فقدم خالد فعسكر على باب من أبوابها، و نزل سويد فى جوفها.

و عن أدهم بن محرز بن أسد الباهلى قال: أول راية دخلت أرض حمص و دارت حول مدينتها راية ميسرة بن مسروق، و لقد كانت لأبى أمامة راية و لأبى راية، و إن أول رجل من المسلمين قتل رجلا من المشركين لأبى، إلا أن يكون رجل من حمير، فإنه حل هو و أبى جميعا فكل واحد منهما قتل فى حملته رجلا، فكان أبى يقول: أنا أول رجل من المسلمين قتل رجلا من المشركين بحمص، لا أدرى ما الحميرى، فإنى حملت أنا و هو فقتل كل رجل منا فى حملته رجلا، و لا أخال إلا أنى قتلت قتيلى قبل قتيله «۱».

و قال أدهم: إنى لأول مولود بحمص، و أول مولود فرض له بها، و أول من رئى فيها بيده كتف يختلف إلى الكتاب، و لقد شهدت صفين و قاتلت «۲».

و قال عبد الله بن قرط: عسكر أبو عبيدة و نحن معه حول حمص نحوا من ثمان عشرة ليلة، و بث عماله فى نواحى أرضها، و اطمأن فى عسكره، و ذهبت منهزمة الروم من فحل حتى قدمت على ملك الروم بأنطاكية، و خرجت فرسان من فرسان الروم و رجال من عظمائهم و ذوى الأموال و الغنى و القوة منهم ممن كان أوطن بالشام فدخلوا قيسارية، و تحصن أهل فلسطين بإيلياء.

و لما قدمت المنهزمة على هرقل دعا رجالا منهم، فقال لهم: أخبرونى ويلكم عن هؤلاء القوم الذين تلقونهم، أ ليسوا بشرا مثلكم؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا: نحن أكثر منهم أضعافا، و ما لقيناهم فى موطن إلا و نحن أكثر منهم. قال: ويلكم فما بالكم تنهزمون إذا لقيتموهم؟ فسكتوا. فقام شيخ منهم، فقال: أنا أخبرك أيها الملك من أين يؤتون، قال: فأخبرنى، قال: إنهم إذا حمل عليهم صبروا، و إذا حملوا لم يكذبوا،

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۴۸- ۱۴۹).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۴۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۴۷

و نحن نحمل فنكذب و يحمل علينا فلا نصبر. قال: و ما بالكم كما تصفون، و هم كما تزعمون؟ قال الشيخ: ما أرانى إلا قد علمت من أين هذا. قال له: و من أين هذا؟ قال:

من أجل أن القوم يقومون الليل و يصومون النهار و يوفون بالعهد و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و إنا نشرب الخمر، و نرتكب المحارم، و ننقض العهد و نأمر بما يسخط الله و ننهى عما يرضيه و نفسد فى الأرض. قال: صدقتنى، لأخرجن من هذه القرية، و لأدعن هذه البلدة، و ما لى فى صحبتكم من خير و أنتم هكذا. قال: نشدتك الله أيها الملك أن تفعل، تدع سورية جنة الدنيا للعرب و تخرج منها و لما تقاتل و تجهد؟ قال: قد قاتلتموهم غير مرة بأجنادين، و فحل، و دمشق، و الأردن، و فلسطين، و حمص، و فى غير موطن، كل ذلك تنهزمون و تفرون و تغلبون. قال الشيخ: حولك من الروم عدد الحصى و الثرى و الذر، لم يلقهم منهم إنسان، ثم تريد أن تخرج منها و ترجع بهؤلاء جميعا من قبل أن يقاتلوا؟ «۱».

فإن هذا الشيخ ليكلمه إذ قدم عليه وفد قيسارية و إيلياء، و سيأتى خبرهم بعد إن شاء الله.

و ذكر الطبرى «۲» عن سيف: أن هرقل لما بلغه الخبر بمقتل أهل المرج أمر أمير حمص بالمضى إليها، و قال له: إنه بلغنى يعنى عن المسلمين، أن طعامهم لحوم الإبل، و شرابهم ألبانها، و هذا الشتاء، فلا تقاتلوهم إلا فى كل يوم بارد، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد هذا جل طعامه، و شرابه، و ارتحل فى عسكره ذلك حتى أتى الرها.

و أقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص، و أقبل خالد بعده حتى ينزل عليها، فكان أهلها يغادون المسلمين و يراوحونهم فى كل يوم

بارد، و لقی المسلمون بها بردا شدیدا و الروم حصارا طویلا. فأما المسلمون فصبروا و رابطوا، و أفرغ الله علیهم الصبر و أعقبهم النصر، حتی انصرم الشتاء، و إنما تمسک الروم بالمدینة رجاء أن یهلکهم الشتاء. فکانوا یتواصون فیما بینهم و یقولون: تمسکوا فإنهم جفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما یأکلون و یشربون، فکانت الروم ترجع و قد سقطت أقدام بعضهم فی خفافهم، و إن المسلمین لفی النعال ما أصیب إصبع أحد منهم، حتی إذا انخمس الشتاء، قام فیهم شیخ لهم یدعوهم إلی مصالحة المسلمین، قالوا: کیف و الملک فی عزه و ملکه لیس بیننا و بینهم شیء؟ فترکهم، و قام فیهم آخر و قال: ذهب الشتاء و انقطع الرجاء فما تنتظرون؟

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۴۹- ۱۵۱).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۵۹۹- ۶۰۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۴۸

قالوا: البرسام، فإنما یسکن فی الشتاء و یثور فی الصیف، قال: إن هؤلاء قوم یعانون و لأن تأتوهم بعهد و میثاق خیر من أن تؤخذوا عنوة، أجیبونی محمودین قبل أن تجیبونی مذمومین. فقالوا: شیخ خرف و لا علم له بالحرب. و أثاب الله المسلمین علی صبرهم أیام حمص. فیما حکی عن بعض أشیاخ من غسان و بلقین «۱»: أن زلزل بأهل حمص، و ذلک أن المسلمین ناهدوهم، فکبروا تکبیرة زلزلت معها الروم فی المدینة، و تصدعت الحیطان، ففزعوا إلی رؤسائهم و ذوی رأیهم ممن کان یدعوهم إلی المسالمة فلم یجیبوهم و أذلوهم بذلک، ثم کبروا الثانیة فتهافتت دور کثیرة و حیطان، و فزعوا إلی رؤسائهم و ذوی رأیهم، فقالوا: أ لا ترون إلی عذاب الله؟ فأجابوهم: لا یطلب الصلح غیرکم، فأشرفوا ینادون، الصلح الصلح، و لا یشعر المسلمون بما حدث فیهم، فأجابوهم و قبلوا منهم علی أنصاف دورهم، و علی أن یترک المسلمون أموال ملوک الروم و بنیانهم لا ینزلونه علیهم، فترکوه لهم، فصالح بعضهم علی صلح دمشق علی دینار و طعام علی کل جریب أبدا أیسروا أو أعسروا، و صالح بعضهم علی قدر طاقته إن زاد ماله زید علیه و إن نقص نقص، و علی هذین الوجهین کان صلح دمشق و الأردن، و ولوا معاملة ما جلا ملوکهم عنه.

حدیث حمص آخر

قالوا: و غزی هرقل أهل حمص فی البحر، و استمد أهل الجزیرة، و استثار أهل حمص، فأرسلوا إلیه: بأنا قد عاهدنا، فنخاف أن لا ننصر.

و استمد أبو عبیدة خالدا، فأمده بمن معه جمیعا، لم یخلف أحدا، فکفر أهل قنسرین بعده و تابعوا هرقل، و کان أکثر من هنالک تنوخ الحاضر.

و دنا هرقل من حمص و عسکر و بعث البعوث إلی حمص، فأجمع المسلمون علی الخندقة و الکتاب إلی عمر، إلا ما کان من خالد، فإن المناجزة کانت رأیه، فخندقوا علی حمص، و کتبوا إلی عمر و استصرخوه.

و جاء الروم و من أمدهم حتی نزلوا علیهم فحصروهم، و بلغت أمداد الجزیرة ثلاثین ألفا سوی أمداد قنسرین من تنوخ و غیرهم، فبلغوا من المسلمین کل مبلغ.

و جاء الکتاب إلی عمر و هو موجه إلی مکة للحج، فمضی لحجه، و کتب إلی سعد بن

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۶۰۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۴۹

أبی وقاص: إن أبا عبیدة قد أحیط به و لزم حصنه، فبث المسلمین بالجزیرة، و اشغلهم بالخیول عن أهل حمص، و أمد أبا عبیدة

بالقعقاع بن عمرو.

فخرج القعقاع ممدا لأبی عبیدهٔ، و خرجت الخیول نحو الرقهٔ و نصیبین و حران، فلما وصلوا الجزیرهٔ و بلغ ذلک الروم الذین کانوا منها و هم بحمص تقوضوا إلی مدائنهم، و بادروا المسلمین إلیها، فتحصنوا، و نزل علیهم المسلمون فیها، و لما دنا القعقاع من حمص راسلت طائفهٔ من تنوخ خالدا و دلوه و أخبروه بما عندهم من الخبر، فأرسل إلیهم خالد:

و الله لو لا أنی فی سلطان غیری ما بالیت قللتم أم کثرتم أو أقمتم أو ذهبتم، فإن کنتم صادقین فانفشوا کما انفش أهل الجزیرهٔ، فساموا تنوخ ذلک، فأجابوهم، و راسلوا خالدا: إن ذلک إلیک، فإن شئت فعلنا، و إن شئت أن تخرج علینا فننهزم بالروم، و أوثقوا له، فقال: بل أقیموا، فإذا خرجنا فانهزموا بهم.

فقال المسلمون لأبی عبیدهٔ: قد أنفش أهل الجزیرهٔ، و قد ندم أهل قنسرین و واعدوا من أنفسهم، و هم العرب، فاخرج بنا و خالد ساکت، فقال: یا خالد، ما لک لا تتکلم؟

فقال: قد عرفت الذی کان من رأیی فلم تسمع من کلامی. قال: فتکلم فإنی أسمع منک و أطیعک، قال: فاخرج بالمسلمین، فإن الله تعالی قد نقص من عدتهم، و بالعدد یقاتلون، و نحن إنما نقاتل منذ أسلمنا بالنصر، فلا تجفلک کثرتهم.

قالوا: فجمع أبو عبیدهٔ الناس، فحمد الله و أثنی علیه، و قال:

أیها الناس، إن هذا یوم له ما بعده، أما من حکی منکم فإنه یصفو له ملکه و قراره، و أما من مات منکم فإنها الشهادهٔ، فأحسنوا بالله الظن و لا یکرهن إلیکم الموت أمر اقترفه أحدکم دون الشرک، توبوا إلی الله و تعرضوا للشهادهٔ، فإنی أشهد و لیس أوان الکذب، أنی سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: من مات لا یشرک بالله شیئا دخل الجنهٔ.

فکأنما کانت بالناس عقل تنشطت، فخرج بهم و خالد علی المیمنهٔ، و قیس علی المیسرهٔ، و أبو عبیدهٔ فی القلب و علی باب المدینهٔ معاذ بن جبل، فاجتلدوا بها، فإنهم کذلک إذ قدم القعقاع متعجلا فی مائهٔ، فانهزم أهل قنسرین بالروم، فاجتمع القلب و المیمنهٔ علی قلبهم و قد انکسر أحد جناحیه، فما أفلت منهم مخبر، و ذهبت المیسرهٔ علی وجهها، و آخر من أصیب منهم بمرج الدیباج انتهوا إلیه فکسروا سلاحهم و ألقوا بلامهم تخففا، فأصیبوا و تغنموا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۵۰

و لما ظفر المسلمون جمعهم أبو عبیدهٔ فخطبهم، و قال لهم: لا تتکلوا و لا تزهدوا فی الدرجات.

فتح قنسرین «۱»

و بعث بعد فتح حمص خالد بن الولید إلی قنسرین، فلما نزل بالحاضر زحف إلیه الروم و علیهم میناس، و هو رأس الروم و أعظمهم فیهم بعد هرقل، فالتقوا بالحاضر، فقتل میناس و من معه مقتلهٔ عظیمهٔ لم یقتلوا مثلها. فأما الروم فماتوا علی دمه حتی لم یبق منهم أحد، و أما أهل الحاضر فأرسلوا إلی خالد أنهم عرب، و أنهم إنما حشدوا و لم یکن من رأیهم حربه، فقبل منهم و ترکهم.

و لما بلغ ذلک عمر بن الخطاب رضی الله عنه، قال: أمر خالد نفسه، یرحم الله أبا بکر هو کان أعلم بالرجال منی، و کان قد عزله و المثنی بن حارثهٔ عند قیامه، بالأمر، و قال: إنی لم أعزلهما عن ریبهٔ، و لکن الناس عظموهما، فخشیت أن یوکلوا إلیهما.

و یروی أنه قال حین ولی: و الله لأعزلن خالد بن الولید و المثنی بن حارثهٔ لیعلما أن الله إنما ینصر دینه لا إیاهما. فلما کان من أمر خالد فی قنسرین ما کان، رجع عن رأیه.

و سار خالد حتی نزل علی قنسرین، فتحصنوا منه، فقال: إنکم لو کنتم فی السحاب لحملنا الله إلیکم أو لأنزلنکم إلینا. فنظروا فی أمرهم، و ذکروا ما لقی أهل حمص و قنسرین، فسألوه الصلح علی مثل صلحها، فأبی إلا علی إخراب المدینهٔ، فأخربها.

و اتطأت حمص و قنسرین، فعند ذلک خنس هرقل و خرج نحو القسطنطینیهٔ. و أفلت رجل من الروم کان أسیرا فی أیدی المسلمین

فلحق بهرقل، فقال له: أخبرنى عن هؤلاء القوم. فقال: أحدثك كأنك تنظر إليهم، فرسان بالنهار، و رهبان بالليل، ما يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن، و لا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه. فقال:

لئن كنت صدقتنى ليرثن ما تحت قدمى هاتين «۲».

و كان هرقل كلما حج بيت المقدس فخلف سورية، و ظعن فى أرض الروم التفت فقال: السلام عليك يا سورية، تسليم مودع لم يقض منك وطره، و هو عائد. فلما توجه

---

(۱) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۹۱)، تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۱).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۲- ۶۰۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۱

المسلمون نحو حمص عبر الماء فنزل الرها، فلم يزل بها حتى إذا فتحت قنسرين، و قتل ميناس خنس عند ذلك إلى سميساط «۱» حتى إذا فصل منها نحو أرض الروم على شرف، فالتفت نحو سورية و قال: عليك السلام يا سورية، سلاما لا اجتماع بعده، و لا يعود إليك رومى أبدا إلا خائفا، حتى يولد المولود المشئوم، و يا ليته لا يولد، ما أحلى فعله، و ما أمر عاقبته على الروم. ثم مضى حتى نزل قسطنطينية.

و هذا مقتضب من أحاديث متفرقة ذكرها سيف فى كتابه.

جمع الروم للمسلمين

ثم نعود إلى صلة ما قطعنا قبل من الحديث عن وفد أهل إيلياء و قيسارية القادم على هرقل، إذ قد وعدنا بذكره حسب ما ذكره من ذلك أصحاب فتوح الشام فى كتبهم.

و ذلك أن أهل قيسارية و أهل إيلياء تواطئوا بعد يوم فحل و تآمروا، أن يبعثوا وفدا منهم إلى هرقل بأنطاكية، فيخبروه بتمسكهم بأمره و إقامتهم على طاعته و خلافهم العرب، و يسألونه المدد و النصر. فلما جاءه وفدهم هذا رأى أن يبعث الجنود و يقيم هو بأنطاكية، فأرسل إلى رومية و القسطنطينية، و إلى من كان من جنوده و على دينه من أهل الجزيرة و أرمينية، و كتب إلى عماله أن يحشروا إليه كل من أدرك الحلم من أهل مملكته فما فوق ذلك إلى الشيخ الفانى، فأقبلوا إليه، و جاء منهم ما لا تحمله الأرض، و جاءه جرجير صاحب أرمينية فى ثلاثين ألفا، و آتاه أهل الجزيرة، و نزع إليه أهل دينه و جميع من كان فى طاعته، فدعا باهان، و كان من عظمائهم و أشرافهم، فعقد له على مائة ألف، و دعا ابن قماطر فعقد له على مائة ألف فيهم جرجير و من معه من أهل أرمينية، و دعا الدرنجار فعقد له على مائة ألف، ثم أعطى الأمراء مائة ألف، مائة ألف، و أعطى باهان مائتى ألف، و قال لهم: إذا اجتمعتم فأميركم باهان، ثم قال: يا معشر الروم، إن العرب قد ظهروا على سورية، و لم يرضوا بها حتى تعاطوا أقصى بلادكم، و هم لا يرضون بالبلاد و المدائن و البر و الشعير و الذهب و الفضة حتى يسبوا الأمهات و البنات و الأخوات و الأزواج، و يتخذوا الأحرار و أبناء الملوك عبيدا، فامنعوا حرمتكم و سلطانكم و دار ملككم «۲».

---

(۱) سميساط: بلد من بلد العجم، منها السميساطى رجل من العجم كان موصوفا بالورع و الزهد.

انظر الروض المعطار (۳۲۳).

(۲) انظر هذا الخبر و ما بعده فى: تاريخ فتوح الشام (۱۵۱- ۱۵۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۲

قال عبد الله بن قرط، و الحدیث له: ثم وجههم إلینا، فقدمت عیوننا من قبلهم، فخبرونا بمقالة ملکهم و بمسیرهم إلینا و جمعهم لنا، و من أجلب معهم من غیرهم علینا ممن کان علی دینهم و فی طاعتهم.

فلما جاء أبا عبیدة الخبر عن عددهم و کثرتهم، رأی أن لا یکتم ذلک المسلمین، و أن یستشیرهم فیه لینظر ما یؤول إلیه رأی جماعتهم، فدعا رءوس المسلمین و أهل الصلاح منهم، فحمد الله و أثنی علیه، ثم قال: أما بعد. فإن الله عز و جل، قد أبلاکم أیها المؤمنون فأحسن البلاء، و صدقکم الوعد، و أعزکم بالنصر، و أراکم فی کل موطن ما تسرون به، و قد سار إلیکم عدوکم من المشرکین بعدد کثیر، و نفروا إلیکم فیما حدثنی عیونی نفیر الروم الأعظم، فجاءوکم برا و بحرا حتی خرجوا إلی صاحبهم بأنطاکیة، ثم قد وجه إلیکم ثلاثة عساکر فی کل عسکر منها ما لا یحصیه إلا الله من البشر، و قد أحببت أن لا أغرکم من أنفسکم، و لا أطوی عنکم خبر عدوکم، ثم تشیرون علیّ برأیکم، و أشیر علیکم برأیی، فإنما أنا کأحدکم.

فقام یزید بن أبی سفیان، فقال: نعم ما رأیت رحمک الله، إذ لم تکتم عنا ما أتاک من عدونا، و أنا مشیر علیکم، فإن کان صوابا فذاک ما نویت، و إن یکن الرأی غیر ما أشیر به، فإنی لا أتعمد غیر ما یصلح المسلمین. أری أن نعسکر علی باب مدینة حمص بجماعة المسلمین، و ندخل النساء و الأبناء داخل المدینة، ثم نجعل المدینة فی ظهورنا، ثم نبعث إلی خالد فیقدم علیک من دمشق، و إلی عمرو بن العاص فیقدم علیک من الأردن، فتلقاهم بجماعة من معک من المسلمین.

و قام شرحبیل بن حسنة فقال: إن هذا مقام لا بد فیه من النصیحة للمسلمین و إن خالف الرجل منا أخاه، و إنما علی کل رجل منا أن یجتهد رأیه، و أنا الآن فقد رأیت غیر ما رأی یزید، و هو و الله عندی من الناصحین لجماعة المسلمین، و لکن لا أجد بدا من أن أشیر علیکم بما أظنه خیرا للمسلمین.

إنی لا أری أن ندخل ذراری المسلمین مع أهل حمص و هم علی دین عدونا هذا الذی قد أقبل إلینا، و لا آمن إن وقع بیننا و بینهم من الحرب ما نتشاغل به أن ینقضوا عهدنا و أن یثبوا علی ذرارینا فیتقربوا بهم إلی عدونا.

فقال له أبو عبیدة: إن الله قد أذلهم لکم، و سلطانکم أحب إلیهم من سلطان عدوکم، و أما إذ ذکرت ما ذکرت، و خوفتنا ما خوفت، فإنی أخرج أهل المدینة منها

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۵۳

و أنزلها عیالنا، و أدخل رجالا من المسلمین یقومون علی سورها و أبوابها، و نقیم نحن بمکاننا هذا حتی یقدم علینا إخواننا.

فقال له شرحبیل: إنه لیس لک و لا لنا معک أن نخرجهم من دیارهم و قد صالحناهم علی ألا نخرجهم منها.

فأقبل أبو عبیدة علی جماعة من عنده فقال: ما ذا ترون، رحمکم الله؟ فقالوا: نری أن نقیم، و نکتب إلی أمیر المؤمنین فنعلمه نفیر الروم إلینا، و تبعث إلی من بالشام من إخوانک المسلمین فیقدموا علیک.

فقال أبو عبیدة: إن الأمر أجل و أعظم مما تحسبون، و لا أحسب القوم إلا سیعاجلونکم قبل وصول خبرکم إلی أمیر المؤمنین.

فقام إلیه میسرة بن مسروق، فقال: أصلحک الله، إنا لسنا بأصحاب القلاع و لا الحصون و لا المدائن، و إنما نحن أصحاب البر و البلد القفر، فأخرجنا من بلاد الروم و مدائنها إلی بلادنا أو إلی بلاد من بلادهم تشبه بلادنا إن کانوا قد جاشوا علینا کما ذکرت، ثم اضمم إلیک قواصیک، و ابعث إلی أمیر المؤمنین فلیمددک.

فقال کل من حضر ذلک المجلس: الرأی ما رأی میسرة، فقال لهم أبو عبیدة: فتهیئوا و تیسروا حتی أری من رأی، و کان رأی أبی عبیدة أن یقیموا و لا یبرحوا، و لکنه کره خلافهم، و رجا أن یکون فی اجتماع رأیهم الخیر و البرکة.

ثم بعث إلی حبیب بن مسلمة، و کان استعمله علی الخراج، فقال: انظر ما کنت جبیت من حمص فاحتفظ به حتی آمرک فیه، و لا تجبین أحدا ممن بقی حتی أحدث إلیک فی ذلک، ففعل، فلما أراد أبو عبیدة أن یشخص دعا حبیبا فقال له: اردد علی القوم الذین کنا صالحناهم من أهل البلد ما کنا أخذنا منهم، و قل لهم: نحن علی ما کان بیننا و بینکم من الصلح، لا نرجع عنه إلا أن ترجعوا، و

إنما رددنا عليكم أموالكم كراهية أن نأخذها و لا نمنع بلادكم، و لكنا نتنحى إلى بعض الأرض و نبعث إلى إخواننا فيقدموا علينا، ثم نلقى عدونا، فإن أظفرنا الله بهم وفينا لكم بعهدكم، إلا ألا تطلبوا ذلك.

ثم أخذ الناس فى الرحيل إلى دمشق، ورد حبيب بن مسلمة إلى أهل البلد ما كان أخذ منهم، و أخبرهم بما قال أبو عبيدة، فقالوا: ردكم الله إلينا، و لعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، لكنهم و الله لو كانوا هم ما ردوا علينا، بل غصبونا و أخذوا مع هذا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۴

ما قدروا عليه من أموالنا. و أعلم أبو عبيدة عمر بن الخطاب بكل ما قبله.

قال سفيان بن عوف بن معقل: بعثنى أبو عبيدة ليلة غدا من حمص إلى دمشق، فقال:

ائت أمير المؤمنين فأبلغه منى السلام و أخبره بما قد رأيت و عاينت، و بما جاءتنا به العيون، و بما استقر من كثرة العدو، و بالذى رأى المسلمون من التنحى عنهم. و كتب إليه معه:

أما بعد، فإن عيونى قدمت علىّ من أرض قنسرين و من القرية التى فيها ملك الروم، فحدثونى بأن الروم قد توجهوا إلينا و جمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه قط لأمه كانت قبلنا، و قد دعوت المسلمين فأخبرتهم الخبر و استشرتهم فى الرأى، فاجتمع رأيهم على أن يتنحوا عنهم حتى يأتينا رأيك، و قد بعثت إليك رجلا عنده علم ما قبلنا، فاسأله عما بدا لك، فإنه بذلك عليم، و هو عندنا أمين، و نستعين الله العزيز الحكيم، و هو حسبنا و نعم الوكيل. و السلام عليك.

قال سفيان: فلما قدمت على أمير المؤمنين سلمت عليه، فقال: أخبرنى عن الناس، فأخبرته بصلاحهم، و دفاع الله عنهم، ثم أخذ الكتاب فقرأه، فقال لى: ويحك ما فعل المسلمون؟ فقلت: أصلحك الله، خرجت من عندهم ليلا من حمص و تركتهم يقولون:

نصلى الغداة ثم نرحل إلى دمشق. قال: فكأنه كرهه حتى عرفت الكراهة فى وجهه، ثم قال: لله أبوك، ما رجوعهم عن عدوهم و قد أظفرهم الله بهم فى غير موطن؟ و ما تركهم أرضا قد فتحها الله عليهم و صارت فى أيديهم؟ إنى لأخاف أن يكونوا قد أساءوا الرأى و جاءوا بالعجز و جرءوا عدوهم عليهم. فقلت: أصلحك الله، إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، إن صاحب الروم قد جمع لنا جموعا لم يجمعها هو و لا أحد كان قبله لأحد كان قبلنا، و لقد أخبرنا بعض عيوننا أن عسكرا واحدا من عساكرهم أمر بالعسكرة فى أصل جبل، فهبطوا من الثنية نصف النهار إلى معسكرهم فما تكاملوا فيه حتى أمسوا، ثم ما تكاملوا فيه إلى نصف الليل، فهذا عسكر واحد من عساكرهم، فما ظنك أصلحك الله بما بقى؟.

فقال: لو لا- أنى ربما كرهت الشىء من أمرهم يضيعونه، فأرى الله تعالى، يخير لهم فى عواقبه لكان هذا رأيا أنا له كاره. أخبرنى: اجتمع رأى جميعهم على التحول؟ قلت:

نعم. قال: فالحمد لله، إنى لأرجو إن شاء الله أن لا يكون جمع الله رأيهم إلا على ما هو خير لهم. فقلت: يا أمير المؤمنين، اشدد أعضاد المسلمين بمدد يأتيهم من قبلك قبل الوقعة، فإن هذه الوقعة هى الفيصل فيما بيننا و بينهم. فقال لى: أبشر بما يسرك و يسر المسلمين، و احمل كتابى هذا إلى أبى عبيدة و إلى المسلمين، و أعلمهم أن سعيد بن عامر بن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۵

حذيم قادم عليهم بالمدد، و كتب: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة بن الجراح و إلى الذين معه من المهاجرين و الأنصار، و التابعين بإحسان، و المجاهدين فى سبيل الله، سلام عليكم، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد فإنه قد بلغنى توجهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق، و ترككم بلادا فتحها الله عليكم، و خليتموها لعدوكم و خرجتم منها طائعين، فكرهت هذا من رأيكم و فعلكم، ثم إنى سألت رسولكم عن رأى من جميعكم كان ذلك، فزعم أن ذلك كان رأيا من أماثلكم و أولى النهى منكم، فعلمت أن الله لم يكن يجمع رأيكم إلا- على توفيق و صواب و رشد فى العاجلة و العاقبة، فهون ذلك علىّ ما كان داخلنى من الكراهية قبل ذلك لتحولكم، و قد سألنى رسولكم المدد، و أنا ممدكم، لن يقرأ عليكم كتابى حتى يشخص

إلیکم المدد من قبلی إن شاء الله، و اعلموا أنه لیس بالجمع الکثیر تهزم الجموع و ینزل الله النصر، و لربما خذل الله الجموع الکثیرة فوهنت و قلت و فشلت، و لم تغن عنهم فئتهم شیئا، و لربما نصر الله العصابة القلیل عددها علی الکثیر عددها من أعداء الله، فأنزل الله علیکم نصره، و بعدو المسلمین بأسه و رجزه، و السلام علیکم.

فجاء سفیان بالکتاب إلی أبی عبیدة فقرأه علی الناس و سروا به.

و عن عبد الله بن قرط، فی حدیثه المتقدم عما اجتمع علیه رأی المسلمین مع أبی عبیدة من الرحیل عن حمص، قال: فلما صلینا صلاة الغداة بحمص خرجنا مع أبی عبیدة نسیر حتی قدمنا دمشق و بها خالد بن الولید، و ترکنا أرض حمص لیس فیها منا دیار بعد ما کنا قد افتتحناها، و أمنا أهلها، و صالحناهم علیها، و خلا أبو عبیدة بخالد بن الولید فأخبره الخبر، و ذکر له مشورة الناس علیه بالرحلة، و مقالة العبسی فی ذلک، فقال له خالد: أما أنه لم یکن الرأی إلا الإقامة بحمص حتی نناجزهم، فأما إذا اجتمع رأیکم علی أمر واحد، فو الله إنی لأرجو أن لا یکون الله قد جمع رأیکم إلا علی ما هو خیر «۱».

فأقام أبو عبیدة بدمشق یومین، و أمر سوید بن کلثوم أن یرد علی أهل دمشق الذین کانوا أمنوا و صولحوا ما کان جبی منهم، ففعل، و قال لهم المسلمون: نحن علی العهد الذی کان بیننا و بینکم. ثم إن أبا عبیدة جمع أصحابه، فقال لهم: ما ذا ترون؟ أشیروا علیّ.

فقال یزید بن أبی سفیان: أری أن تخرج حتی تنزل الجابیة، ثم تبعث إلی عمرو بن

---

(۱) انظر الخبر فی: تاریخ فتوح الشام (۱۶۰- ۱۶۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۵۶

العاص فیقدم علیک بمن معه من المسلمین، ثم نقیم للقوم حتی یقدموا علینا، فنقاتلهم و نستعین الله علیهم.

فقال شرحبیل بن حسنة: لکنی أری إذ خلینا لهم ما خلینا من أرضهم أن ندعها کلها فی أیدیهم و ننزل التخوم بین أرضنا و أرضهم فندنوا من خلیفتنا و من مددنا، فإذا أتانا من المدد ما نرجو أن نکون لهم به مقرنین قاتلناهم إن أتونا، و إلا أقدمنا علیهم إن هم أقاموا عنا. فقال رجل من المسلمین لأبی عبیدة: هذا أصلحک الله رأی حسن، فاقبله و اعمل به.

فقال معاذ بن جبل: و هل یلتمس هؤلاء القوم من عدوهم أمرا أضر لهم و لا أشد علیهم مما تریدون أنتم بأنفسکم، تخلون لهم عن أرض قد فتحها الله علیکم و قتل فیها صنادیدهم و أهلک جنودهم، فإذا خرج المسلمون منها و ترکوها لهم فکانوا فیها علی مثل حالهم الأول، فما أشد علی المسلمین دخولها بعد الخروج منها، و هل یصلح لکم أن تدعوها و تدعوا البلقاء و الأردن و قد جبیتم خراجهم لتدفعوا عنهم؟ أما و الله لئن أردتم دخولها بعد الخروج منها لتکابدن من ذلک مشقة.

فقال أبو عبیدة: صدق و الله و بر، ما ینبغی أن نترک قوما قد جبینا خراجهم و عقدنا العهد لهم حتی نعذر إلی الله فی الدفع عنهم، فإن شئتم نزلنا الجابیة و بعثنا إلی عمرو بن العاص یقدم علینا، ثم أقمنا للقوم حتی نلقاهم بها.

فقال له خالد: کأنک إذا کنت بالجابیة کنت علی أکثر مما أنت علیه فی مکانک الذی أنت فیه. فإنهم لکذلک یجیلون الرأی إذ قدم علی أبی عبیدة عبد الله بن عمرو بن العاص بکتاب من أبیه یقول فیه: أما بعد، فإن أهل إیلیاء و کثیرا ممن کنا صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد فیما بیننا و بینهم، و ذکروا أن الروم قد أقبلت إلی الشام بقضها و قضیضها، و أنکم قد خلیتم لهم عن الأرض و أقبلتم منصرفین عنها، و قد جرأهم ذلک علیّ و علی من قبلی من المسلمین، و قد تراسلوا و تواثقوا و تعاهدوا لیسیرون إلیّ.

فاکتب إلیّ برأیک، فإن کنت ترید القدوم علیّ أقمت لک حتی تقدم علیّ، و إن کنت ترید أن تنزل منزلا من الشام أو من غیرها و أن أقدم علیک فأعلمنی برأیک، أوافک فیه، فإنی صائر إلیک أینما کنت، و إلا فابعث إلیّ مددا أقوی به علی عدوی و علی ضبط ما قبلی، فإنهم قد أرجفوا بنا و اغتمزوا فینا و استعدوا لنا، و لو یجدون فینا ضعفا أو یرون فینا فرصة ما ناظرونا، و السلام علیک.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۵۷

فكتب إليه أبو عبيدة: أما بعد، فقد قدم علينا عبد الله بن عمرو بكتابك تذكر فيه إرجاف المرجفين و استعدادهم لك، و جرأتهم عليك للذى بلغهم من انصرافنا عن الروم و ما خلينا لهم من الأرض، و أن ذلك و الحمد لله لم يكن من المسلمين عن ضعف من بصائرهم، و لا ـ وهن عن عدوهم، و لكنه كان رأيا من جماعتهم كادوا به عدوهم ليخرجوهم من مدائنهم و حصونهم و قلاعهم و ليجتمع بعض المسلمين إلى بعض و ينتظروا قدوم أمدادهم، ثم يناهضونهم إن شاء الله، و قد اجتمعت خيلهم و تتامت فرسانهم، فعند ذلك فارتقب نصر الله أولياءه، و إنجاز موعوده، و إعزاز دينه، و إذلاله المشركين حتى لا يمنع أحد منهم أمه و لا حليلته و لا نفسه، حتى يتوقلوا فى شعف الجبال، و يعجزوا عن منع الحصون و يجنحوا للسلم، و يلتمسوا الصلح، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا [الأحزاب: ۶۲].

ثم أعلم من قبلك من المسلمين أنى قادم عليهم بجماعة أهل الإسلام إن شاء الله، فليحسنوا بالله الظن و لا يجدن عدوكم فيكم ضعفا و لا و هنا، و لا تؤيسوا منكم رعبا فيطمعوا فيكم و يجترئوا عليكم، أعزنا الله و إياكم بنصره، و عمنا بعافيته و عفوه، و السلام عليك.

و قال لعبد الله بن عمرو: اقرأ على أبيك السلام، و أخبره أنى فى أثرك، و أعلم بذلك المسلمين و كن يا عبد الله بن عمرو ممن يشد الله به ظهور المسلمين و يستأنسون به، فإنك رجل من الصحابة، و قد جعل الله للصحابة فضلا على غيرهم من المسلمين، بصحبتهم رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لا تتكل على أبيك، و كن أنت فى جانب تحرض المسلمين و تمنيهم النصر، و تأمرهم بالصبر، و يكون أبوك يفعل ذلك فى جانب آخر.

فقال: إنى أرجو أن يبلغك عنى إن شاء الله من ذلك ما تسر به، ثم خرج حتى قدم على أبيه بكتاب أبى عبيدة، فقرأه أبوه على الناس، ثم قال: أما بعد، فقد برئت ذمة الله من رجل من أهل عهدنا من أهل الأردن ثقف رجلا «۱» من أهل إيلياء «۲» فلم يأتنا به، ألا و لا يبقين رجل من أهل عهدنا إلا تهيأ و استعد ليسير معى إلى أهل إيلياء، فإنى أريد السير إليهم و النزول بساحتهم، ثم لا أزايلهم حتى أقتل مقالتهم و أسبى ذراريهم، أو يؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون.

---

(۱) ثقف رجل: أى صفر به.

(۲) إيلياء: و يقال أيليا بفتح الهمزة، مدينة بالشام و هى بيت المقدس، و هى مدينة قديمة جليلة على جبل يصعد إليها من كل جانب. انظر: الروض المعطار (۶۸)، نزهة المشتاق (۲۱۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۸

ثم نادى فى المسلمين: أن ارتحلوا إلى إيلياء، فسار نحوا من ميلين قبل أرض إيلياء، ثم نزل و عسكر، و قال لأهل الأردن: أخرجوا إلينا الأسواق، و نادى مناديه: برئت الذمة من رجل من أهل الصلح لم يخرج بسلاحه حتى يحضر معنا معسكرنا و ينتظ ما نأمر به من أمرنا، فاجتمع أهل الصلح كلهم إليه، و خرجوا بعدتهم و سلاحهم، فقدمهم مع ابنه عبد الله فى خمسمائة من المسلمين، و أمره أن يعسكر بهم، ففعل.

و إنما أراد أن يشغل أهل الأردن عن الإرجاف، و أن يبلغ أهل إيلياء أنه يريد المسير إليهم و النزول بهم، فيرعب قلوبهم و يشغلهم فى أنفسهم و حصونهم عن الغارة عليهم.

فخرج التجار من أهل الأردن و من كان فيها من أهل إيلياء عند حميم أو ذوى قرابة فلحقوا بإيلياء فقالوا لهم: هذا عمرو بن العاص قد أقبل نحوكم بالناس، فاجتمعوا من كل مكان، و تراسلوا، و جعلوا لا يجيئهم أحد من قبل الأردن إلا أخبرهم بمعسكره، فأيقنوا أنه يريدهم، فكانوا من ذلك فى هول شديد، و زادهم خوفا و وجلا كتاب كتبه إليهم عمرو بن العاص مضمنه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن العاص إلى بطارقة أهل إيلياء، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله الذى لا إله إلا هو، و بنبوة محمد صلى اللّه عليه و سلم أما بعد: فإنا نثنى على ربنا خيرا، و نحمده حمدا كثيرا، كما رحمنا بنبيه و شرفنا برسالته و أكرمنا بدينه، و أعزنا بطاعته، و أيدنا

بتوحيده، فلسنا و الحمد لله نجعل له ندا و لا نتخذ من دونه إلها، لقد قلنا إذا شططا، و الحمد لله الذى جعلكم شيعا و جعلكم فى دينكم أحزابا، كل حزب بما لديهم فرحون، فمنكم من يزعم أن لله ولدا، و منكم من يزعم أن الله ثانى اثنين، و منكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة، فبعدا لمن أشرك بالله و سحقا، و تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، و الحمد لله الذى قتل بطارقتكم، و سلب عزكم، و طرد من هذه البلاد ملوككم، و أورثنا أرضكم و دياركم و أموالكم، و أذلكم بكفركم بالله و شرككم به و ترككم ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله و برسوله، فأعقبكم الله لباس الخوف و الجوع و نقصا فى الأموال و الأنفس، و ما الله بظلام للعبيد.

فإذا بلغكم كتابى هذا، فأسلموا تسلموا، و إلا فأقبلوا إلىّ حتى أكتب لكم أمانا على دمائكم و أموالكم، و أعقد لكم عقدا على أن تؤدوا إلىّ الجزية عن يد و أنتم صاغرون، و إلا فو الله الذى لا إله إلا هو لأرمينكم بالخيل بعد الخيل و بالرجال بعد الرجال، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة و أسبى الذرية، و حتى تكونوا كأمة كانت فأصبحت كأنها لم تكن.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۵۹

و أرسل بالكتاب إليهم مع فيج، نصرانى على دينهم، و قال له: عجل علىّ، فإنى إنما أنتظرك، فلما قدم عليهم قالوا له: ويحك، ما وراءك؟ قال: لا أدرى إلا أن هذا الرجل بعثنى إليكم بهذا الكتاب، و قد وجه عسكره نحوكم، و قال لى: ما يمنعنى من المسير إليهم إلا انتظار رجوعك، فقالوا: انتظرنا ساعة من النهار، فإنا ننتظر عينا لنا يقدم علينا من قبل أمير العرب الذى بدمشق، و من قبل جند الملك الذى أقبل إلينا، فننظر ما يأتينا به، فإن ظننا أن لنا بالعرب قوة لم نصالحهم، و إن خشينا أ لا نقوى عليهم صنعنا ما صنع أهل الأردن و غيرهم، فما نحن إلا كغيرنا من أهل الشام، فأقام العلج حتى أمسى، ثم إن رسول أهل إيلياء الذى بعثوه عينا لهم أتاهم فأخبرهم أن باهان قد أقبل من عند ملك الروم فى ثلاثة عساكر، فى كل عسكر منها أكثر من مائة ألف مقاتل، و أن العرب لما بلغهم ما سار إليهم من تلك الجموع علموا أنه لا قبل لهم بما جاءهم، فانصرفوا راجعين، و قد كان أوائل العرب دخلوا أرض قنسرين «۱» فأخرجوهم منها، ثم أتوا أرض دمشق فأخرجوهم منها، ثم أقبلت العرب الآن نحو الأردن، نحو صاحبهم هذا الذى كتب إليكم، و الروم يسوقونهم سوقا عنيفا، فتباشروا بذلك و سروا به، و دعوا العلج الذى بعث به إليهم عمرو بن العاص، و قالوا: اذهب بكتابنا هذا إلى صاحبك، و كتبوا معه: أما بعد، فإنك كتبت إلينا تزكى نفسك و تعيبنا، و قول الباطل لا ينفع قائله نفسه و لا يضر عدوه، و قد فهمنا ما دعوتنا إليه، و هؤلاء ملوكنا و أهل ديننا قد جاؤكم، فإن أظهرهم الله عليكم فذلك بلاؤه عندنا فى القديم، و إن ابتلانا بظهوركم، فلعمرى لنقرن، لكم بالصغار، و ما نحن إلا كمن ظهرتم عليه من إخواننا، ثم دانوا لكم و أعطوكم ما سألتم.

فقدم الرسول بهذا الكتاب على عمرو، فقال له: ما حبسك؟ فأخبره الخبر، فلم يكن إلا يومه ذلك حتى قدم خالد بن الوليد فى مقدمة أبى عبيدة، فجاء حتى نزل اليرموك، و أقبل عمرو حتى نزل معه.

وقعة اليرموك «۲» على نحو ما حكاه أصحاب كتب فتوح الشام

قالوا «۳»: و لما اجتمع جمع المسلمين باليرموك استشار أبو عبيدة أهل الرأى من

---

(۱) قنسرين: مدينة بالشام، و هى الجابية، بينها و بين حلب اثنا عشر ميلا. انظر: الروض المعطار (۴۷۳).

(۲) راجع: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۱۱۸- ۱۲۳)، تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۶).

(۳) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۶۹- ۱۷۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۰

المسلمين: أين ترون أن نعسكر حتى يقدم مددنا؟ فقال يزيد بن أبى سفيان: أرى أن نسير بمن معنا إلى أيلة، فنقيم بها حتى يقدم علينا المدد. فقال عمرو: ما أيلة إلا كبعض الشام، و لكن سر بنا حتى ننزل الحجر فننتظر المدد، فقال قيس بن هبيرة: لا ردنا الله إذا إليها إن

خرجنا لهم عن الشام أكثر مما خرجنا لهم عنه، أ تدعون هذه العيون المتفجرة، و الأنهار المطردة، و الزروع و الأعناب، و الذهب و الفضة و الحرير، و ترجعون إلى أكل الضباء و ليس العباء و البؤس و الشقاء و أنتم تعلمون أن من قتل منكم صار إلى الجنة و أصاب نعيما لا يشاكله نعيم، فأين تدعون الجنة و تهربون منها؟ و تزهدون فيها و تأتون الحجر. لا صحب الله من سار إلى الحجر و لا حفظه.

فقال له خالد بن الوليد: جزاك الله خيرا يا قيس، فإن رأيك موافق لرأيي.

و فى حديث عن أبى معشر: أن الروم حين جاشت على المسلمين و دنوا منهم دعا أبو عبيدة رءوس المسلمين و استشارهم، فذكر من مشورة يزيد بن أبى سفيان عليه، و عمرو ابن العاص نحوا مما تقدم. قال: و خالد بن الوليد ساكت يسمع ما يقولون، و كان يرحمه الله إذا كانت شدة فإليه و إلى رأيه يفزعون، إذ كان لا يهوله من أمر الروم شيء، و لا يزداد بما يبلغه عنهم إلا جرأة عليهم، فقال له أبو عبيدة: ما ذا ترى يا خالد؟ فقال: أرى و الله أنا إن كنا إنما نقاتل بالكثرة و القوة فهم أكثر منا و أقوى علينا، و إن كنا إنما نقاتلهم بالله و لله فما أرى أن جماعتهم و لو كانوا أهل الأرض جميعا تغنى عنهم شيئا، ثم غضب، فقال لأبى عبيدة: أ تطيعنى أنت فيما آمرك به؟ قال: نعم. قال: فولنى ما وراء بابك، و خلنى و القوم، فإنى و الله لأرجو أن ينصرنا الله عليهم، قال: قد فعلت، فولاه ذلك، فكان خالد من أعظم الناس بلاء، و أحسنه غناء و أعظمه بركة، و أيمنه نقيبة، و كانوا أهون عليه من الكلاب.

و عن مالك بن قسامة بن زهير، عن رجل من الروم يدعى جرجة، كان قد أسلم فحسن إسلامه، قال: كنت فى ذلك الجيش الذى بعث قيصر من أنطاكية مع باهان، فأقبلنا و نحن لا يحصى عددنا إلا الله، و لا نرى أن لنا غالبا من الناس، فأخرجنا أوائل العرب من أرض قنسرين ثم أقبلنا فى آثارهم حتى أخرجناهم من حمص، ثم أقبلنا فى آثارهم حتى أخرجناهم من دمشق. قال: و لحق بنا كل من كان على ديننا من النصارى، حتى إن كان الراهب لينزل عن صومعته و قد كان فيها دهرا طويلا من دهره، فيتركها و ينزل إلينا ليقاتل معنا غضبا لدينه و محاماة عليه، و كان من كان من العرب بالشام ممن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۱

كان على طاعة قيصر ثلاثة أصناف، فأما صنف فكانوا على دين العرب، و كانوا معهم، و أما صنف فكانوا نصارى، و كانت لهم فى النصرانية نية، فكانوا معنا، و أما صنف فكانوا نصارى ليس لهم فى النصرانية تلك النية، فقالوا: نكره أن نقاتل أهل ديننا و نكره أن نصر العجم على قومنا، و أقبلت الروم تتبع أهل الإسلام و قد كانوا هائبين لهم مرعوبين منهم، و لكنهم لما رأوهم قد خلوا لهم البلاد و تركوا لهم ما كانوا افتتحوا جرأهم ذلك عليهم مع عددهم الذى لم يجتمع قط لأحد من قبلهم.

و عن عبد الله بن قرط قال: لما أقبلت الروم من عند ملكهم أخذوا لا يمرون بأرض قد كنا افتتحناها ثم أجلينا لهم عنها إلا أوقعوا بهم و لاموهم و شتموهم و خوفوهم، فيقولون لهم: أنتم أولى باللائمة منا، أنتم و هنتم و عجزتم و تركتمونا و ذهبتم، و أتانا قوم لم تكن لنا بهم طاقة، فكانوا يعرفون صدقهم فيكفون عنهم، و أقبلوا يتبعون آثار المسلمين حتى نزلوا بمكان من اليرموك يدعى دير الجبل مما يلى المسلمين، و المسلمون قد جعلوا نساءهم و أولادهم على جبل خلف ظهورهم، فمر قيس بن هبيرة بنسوة من نساء المسلمين مجتمعات، فلما رأينه قامت إليه أميمة بنت أبى بشر بن زيد بن الأطول الأزدية، و كانت تحت عبد الله بن قرط، و كان أشبه خلق الله به فى الحرب، فرسه يشبه فرسه، و باده يشبه باده، و كل شيء منه كذلك، فظنت أنه زوجها، فقالت له: اسمع بنفسى أنت، فعلم قيس أنها شبهته بزوجها، فقال: أظنك شبهتنى بزوجك. فقالت: وا سوأتاه و انصرفت، فأقبل قيس عليها، و على من كان معها من النساء، فقال لهن: قبح الله امرأة منكن تضطجع لزوجها و هذا عدوه قد نزل بساحته إن لم يقاتل عنها، و إذا أراد ذلك منها فلتمتنع عليه و لتحث فى وجهه التراب، ثم لتقل له: أخرج قاتل عنى، فلست لك بامرأة حتى تمنعنى، فلعمرى ما تقرب النساء على مثل هذه الحال إلا أهل الفسولة و النذالة، ثم مضى. فقالت المرأة: وا سوأتاه منه، و إنما ظننت أنه ابن قرط، فإنه لم يتعش البارحة إلا عشاء خفيفا، آثر بعشائه رجلين من إخوانه تعشيا عنده، فكنت هيأت له غداءه، فأردت أن ينزل فيتغذى «۱».

قال ابن قرط: و لما نزل الروم منزلهم الذى نزلوا فيه، دسسنا إليهم رجالا من أهل البلد كانوا نصارى قد أسلموا، فأمرناهم أن يدخلوا

عسكرهم فيكتموا إسلامهم و يأتونا بأخبارهم، فكانوا يفعلون ذلك، قال: فلبثوا أياما مقابلينا ثلاثا أو أربعا لا يسألوننا عن شيء و لا نسألهم، و لا يتعرضون لنا و لا نتعرض لهم، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا جلبة

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۷۲- ۱۷۴).

شديدة و أصواتا عالية، فظننا أن القوم يريدون النهوض إلينا، فتهيأنا و تيسرنا، ثم دسسنا إليهم عيونا ليأتونا بالخبر، فما لبثنا إلا قليلا حتى رجعوا إلينا فأخبرونا أن بريدا جاءهم من قبل ملك الروم فبشرهم بمال يقسم بينهم و بمدد يأتيهم، ففرحوا بذلك و رفعوا له أصواتهم، و اجتمعوا إلى باهان النائب فيهم عن ملكهم، فقام فيهم فقال: إن الله لم يزل لديكم هذا معزا و ناصرا، و قد جاءكم قوم يريدون أن يفسدوا عليكم دينكم و يغلبوكم على دنياكم، و أنتم عدد الحصى و الثرى و الذر، و الله إن فى هذا الوادى منكم لنحوا من أربعمائة ألف مقاتل سوى أتباعكم و أعوانكم، و من اجتمع إليكم من سكان بلادكم و ممن هو معكم على دينكم، فلا يهولنكم أمر هؤلاء القوم، فإن عددهم قليل، و هم أهل الشقاء و البؤس و جلهم حاسر جائع، و أنتم الملوك، و أهل الحصون و القلاع و العدة و القوة، فلا تبرحوا العرصة حتى تهلكوهم أو تهلكوا أنتم. فقام إليه بطارقتهم فقالوا له:

مرنا بأمرك، ثم انظر ما نصنع. قال: فتيسروا حتى آمركم «۱».

و عن أبى بشر، رجل من تنوخ كان مع باهان، قال: كنت نصرانيا، فنصرت النصارى على العرب، فأقبلت مع الروم، فإذا من نمر به من أهل البلد أحسن شيء ثناء على العرب فى سيرتهم و فى كل شيء من أمرهم، و أقبلت الروم فجعلوا يفسدون فى الأرض و يسيئون السيرة، و يعصون الأمراء، حتى ضج منهم الناس، و شكاهم أهل القرى، فلا تزال جماعة تجيء معها بالجارية قد افتضت، و جماعة يشكون أن أغنامهم ذبحت، و آخرون أنهم خربوا و سلبوا، فلما رأى ذلك باهان، قام فيهم خطيبا فقال: يا معشر أهل هذا الدين، إن حجة الله عليكم عظيمة، إذ بعث إليكم رسولا و أنزل عليه كتابا، و كان رسولكم لا يريد الدنيا، و يزهدكم فيها، و أمركم أن لا تظلموا أحدا، فإن الله لا يحب الظالمين، و أنتم الآن تظلمون، فما عذركم غدا عند خالقكم و قد تركتم أمره و أمر نبيكم و ما أتاكم به من كتاب ربكم؟ و هذا عدوكم قد نزل بكم، يقتل مقاتليكم، و يسبى ذراريكم، و أنتم تعملون بالمعاصى، و لا ترعون منها خشية العقاب، فإن نزع الله سلطانكم من أيديكم و أظهر عليكم عدوكم فمن الظالم إلا أنتم، فاتقوا الله و انزعوا عن ظلم الناس «۲».

فقام إليه رجل من أهل البلد من أهل الذمة يشكو مظلمة، فتكلم بلسانهم، و أنا أفقه كلامهم، فقال: أيها الملك، عشت الدهر و وقيناك بأنفسنا مكروه الأحداث، إنى امرؤ

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۷۴- ۱۷۵).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۷۵- ۱۷۷).

من أهل البلد من أهل الذمة و كانت لى غنم أظنها مائة شاة تنقص قليلا، و كان فيها ابن لى يرعاها، فمر به عظيم من عظماء أصحابك، فضرب بناءه إلى جنبها و أخذ حاجته منها، و انتهب بقيتها أصحابه، فجاءته امرأتى تشكو إليه انتهاب أصحابه غنمى، و تقول له: أما ما أخذت أنت لنفسك فهو لك، و لكن ابعث إلى أصحابك يردوا علينا غنمنا، فلما رآها أمر بها فأدخلت بناءه، و طال مكثها عنده، فلما رأى ذلك ابنها دنا من باب البناء فاطلع فيه، فإذا هو بصاحبكم ينكح أمه و هى تبكى، فصاح الغلام، فأمر به فقتل، فأخبرونى ذلك، فأقبلت إلى ابنى، فأمر بعض أصحابه فشد علىّ بالسيف ليضربنى، فاتقيته بيدى فقطعها.

فقال له باهان: فهل تعرفه؟ قال: نعم، قال: و أين هو؟ قال: هو ذا، لعظيم حاضر عنده من عظمائهم، قال: فغضب ذلك العظيم، و غضب

له ناس من أصحابه، و كان فيهم ذا شارة و شرف، فأقبل ناس من أصحابه أكثر من مائة، فشدوا على المستعدى فضربوه بأسيافهم حتى مات، ثم رجعوا، و باهان ينظر إلى ما صنعوا، فقال بلسانه: العجب كل العجب، كيف لا تنهد الجبال، و تنفجر البحار، و تتزلزل الأرض، و ترعد السماء لهذه الخطيئة التى عملتموها و أنا أنظر، و لأعمالكم العظام التى تعملونها و أنا أرى و أسمع، إن كنتم تؤمنون أن لهؤلاء المستضعفين المظلومين إلها ينصف المظلوم من الظالم فأيقنوا بالقصاص، و من الآن يعجل لكم الهلاك، و إن كنتم لا تؤمنون بذلك، فأنتم و الله عندى شر من الكلاب، و الحمر، و لعمرى إنكم لتعملون أعمال قوم لا يؤمنون، و لقد سخط الله أعمالكم، و ليكلنكم إلى أنفسكم، فأما أنا فأشهد الله أنى برىء من أعمالكم، و سترون عاقبة الظلم إلى ما تؤديكم، و إلى أى مصير تصيركم. ثم نزل.

قال التنوخى «۱»: و كنا نزلنا بالمسلمين و نحن لهم هائبون، و قد كان بلغنا أن نبيهم صلى اللّه عليه و سلم قال لهم: إنكم ستظهرون على الروم، و قد كانوا واقعوا غير مرة، كل ذلك يكون لهم الظفر علينا، غير أنا إذا نظرنا إلى عددنا و جموعنا طابت أنفسنا و ظننا أن مثل جمعنا لا يفل، فأقام باهان أياما يراسل من حوله من الروم و يأمرهم أن يحملوا إلى أصحابه الأسواق، فكانوا يفعلون، و لم يكن ذلك يضر المسلمين، لأن الأردن فى أيديهم، فهم مخصبون بخير، فلما رأى باهان أن ذلك لا يضرهم، و أنهم مكتفون بالأردن بعث خيلا عظيمة لتأتيهم من وراءهم و عليها بطريق من بطارقتهم، يريد أن يكبتهم بجنوده من كل جانب، فعلم المسلمون ما يريد، فدعا أبو عبيدة خالد بن الوليد، فبعثه فى ألفى فارس

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۷۸- ۱۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۴

و ألفى راجل، فخرج حتى اعترض العلج، فلما استقبله نزل خالد فى الرجالة، و بعث قيس بن هبيرة فى الخيل، فحمل عليهم قيس، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى هزمهم الله، و مشى خالد فى الرجالة حتى إذا دنا شد برايته، و شد معه المسلمون، فضاربوهم بالسيوف حتى تبددوا، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة.

و قال قيس لرجل من بنى نمير، و قد مر به البطريق يركض: يا أخا بنى نمير، لا يفوتنك البطريق، فإنى و الله لقد كددت فرسى على هذا العدو اليوم حتى ما عنده جرى، فحمل عليه النميرى فركض فى أثره ساعة ثم أدركه فلما رآه البطريق قد غشيه و أحرجه عطف عليه، فاضطربا بسيفيهما، فلم يصنع السيفان شيئا، و اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض، فاعتركا ساعة، ثم صرعه النميرى، فوقع على صدر البطريق، فى ساقيه، فضمه البطريق إليه، و كان مثل الأسد، فلم يستطع النميرى يتحرك، و جاء قيس حتى وقف عليهما، فقال: يا أخا بنى نمير، قتلت الرجل إن شاء الله، قال: لا و الله، ما أستطيع أن أتحرك و لا أضربه بشىء، و لقد ضمنى بفخذيه، و أمسك يدى بيديه، فنزل إليه قيس فضربه، فقطع إحدى يديه، ثم تركه و انطلق، و قال للنميرى: شأنك به، و قام النميرى فضربه بسيفه حتى قتله، و مر به خالد بن الوليد، فقال: من قتل هذا؟ فقال له قيس: هذا النميرى قتله، و لم يخبره هو بما صنع.

و فى حديث عبد الله بن قرط: أن معاذ بن جبل و رجالا معه من المسلمين قالوا لأبى عبيدة حين سار من دمشق إلى اليرموك: أ لا تكتب إلى أمير المؤمنين تعلمه علم هذه الجيوش التى جاءتنا و تسأله المدد؟ قال: بلى، فكتب إليه:

أما بعد، فإن الروم نفرت إلينا برا و بحرا، و لم يخلفوا وراءهم أحدا يطيق حمل السلاح إلا جاشوا به علينا، و خرجوا معهم بالقسيسين و الأساقفة و نزلت إليهم الرهبان من الصوامع فاستجاشوا أهل أرمينية و الجزيرة و جاءونا و هم نحو من أربعمائة ألف رجل، و إنه لما بلغنى ذلك من أمرهم كرهت أن أغر المسلمين من أنفسهم، فكشفت لهم عن الخبر، و صرحت لهم عن الأمر، و سألتهم عن الرأى، فرأى المسلمون أن يتنحوا إلى جانب من أرض الشام، ثم نضم إلينا قواصينا و ننتظر المدد، فالعجل العجل علينا يا أمير المؤمنين بالمدد بعد المدد، و الرجال بعد الرجال، و إلا فاحتسب نفوس المسلمين إن هم أقاموا، أو دينهم إن هم هربوا، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به،

إلا أن يمدهم الله بملائكة أو يأتيهم بغياث من عنده، و السلام عليك «۱».

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۸۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۵

قال عبد الله بن قرط «۱»: و بعثنى بكتابه، فلما قدمت على عمر دعا المهاجرين و الأنصار فقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة، فبكى المسلمون بكاء شديدا، و رفعوا أيديهم و رغبتهم إلى الله عز و جل، أن ينصرهم، و أن يعافيهم و يدفع عنهم، و اشتدت شفقتهم عليهم، و قالوا: يا أمير المؤمنين، ابعثنا إلى إخواننا، و أمر علينا أميرا ترضاه لنا، أو سر أنت بنا إليهم، فو الله إن أصيبوا فما فى العيش خير بعدهم، قال: و لم أر منهم أحدا كان أظهر جزعا و لا أكثر شفقا من عبد الرحمن بن عوف، و لا أكثر قولا لعمر: سر بنا يا أمير المؤمنين، فإنك لو قدمت الشام شد الله قلوب المسلمين، و رعب قلوب الكافرين.

قال: و اجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم على أن يقيم عمر و يبعث المدد، و يكون ردءا للمسلمين. قال: فقال لى عمر رحمه الله: كم كان بين الروم و بين المسلمين يوم خرج؟

فقلت: نحو من ثلاث ليال. فقال عمر: هيهات متى يأتى هؤلاء غياثنا.

ثم كتب معى إلى أبى عبيدة: أما بعد، فقد قدم علينا أخو ثمالة بكتابك، تخبر فيه بنفير الروم إلى المسلمين برا و بحرا، و بما جاشوا به عليكم من أساقفتهم و رهبانهم، و أن ربنا المحمود ذا الصنع العظيم و المن الدائم قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة و الرهبان حين بعث محمدا صلى اللّه عليه و سلم بالحق فنصره بالرعب و أعزه بالنصر، و قال و هو لا يخلف الميعاد: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الصف: ۹]، فلا يهولنك كثرة من جاءك منهم فإن الله منهم برىء، و من برئ الله منه كان قمنا أن لا تنفعه كثرته، و أن يكله الله إلى نفسه و يخذله، و لا يوحشنك قلة المسلمين فى المشركين، فإن الله معك، و ليس قليلا من كان الله معه، فأقم بمكانك الذى أنت فيه حتى تلقى عدوك و تناجزهم إن شاء الله، و ستظهر بالله عليهم، و كفى بالله ظهيرا و وليا و ناصرا.

و قد فهمت مقالتك: احتسب أنفس المسلمين إن أقاموا، أو دينهم إن هم هربوا، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به إلا أن يمدهم الله بملائكته أو يأتيهم بغياث من قبله. و ايم الله، لو لا استثناؤك هذا لقد كنت أسأت لعمرى، لئن أقام المسلمون و صبروا فأصيبوا، لما عند الله خير للأبرار، و لقد قال الله تعالى فيهم: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا [الأحزاب: ۲۳]، فطوبى للشهداء و لمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين أسوة بالمصرعين حول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى مواطنه، فما عجز الذين قاتلوا فى سبيل الله و لا هابوا لقاء الموت فى جنب الله و لا وهن الذين بقوا من بعدهم و لا

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح دمشق (۱۸۱- ۱۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۶

استكانوا لمصيبتهم، و لكن تأسوا بهم و جاهدوا فى سبيل الله من خالفهم و فارق دينهم، و لقد أثنى الله على قوم بصبرهم، فقال: وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: ۱۴۶]، فأما ثواب الدنيا فالفتح و الغنيمة، و أما ثواب الآخرة، فالمغفرة و الجنة.

و اقرأ كتابى هذا على الناس، و مرهم فليقاتلوا فى سبيل الله و ليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة.

و أما قولك: إنه قد جاءهم ما لا قبل لهم به، فإلا يكن لهم به قبل، فإن لله تعالى بهم قبلا، و لم يزل ربنا عليهم مقتدرا، و لو كنا إنما

نقاتل عدونا بحولنا و قوتنا و کثرتنا لهیهات ما قد بدنا و هلکنا، و لکنا نتوکل علی الله ربنا، و نفوض إلیه أمرنا، و نبرأ إلیه من الحول و القوة، و نسأله النصر و الرحمة، و إنکم منصورون إن شاء الله علی کل حال، فأخلصوا لله نیاتکم، و ارفعوا إلیه رغبتکم، و اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلکم تفلحون، و السلام.

قال عبد الله بن قرط: فدفع إلیّ عمر الکتاب و أمرنی أن أعجل السیر، و قال لی: إذا قدمت علی المسلمین فسر فی صفهم، وقف علی کل صاحب رایة منهم، و أخبرهم أنک رسولی إلیهم، و قل لهم: إن عمر یقرئکم السلام و یقول: یا أهل الإسلام، اصدقوا و شدوا علی أعدائکم شد اللیوث، و أعضوا هامهم السیوف، و لیکونوا أهون علیکم من الذر، لا تهلکم کثرتهم و لا تستوحشوا لمن لم یلحق بکم منکم.

قال: فرکبت راحلتی و أقبلت مسرعا، أتخوف ألا آتی الناس حتی تکون الوقعة، فانتهیت إلی أبی عبیدة یوم قدم علیه سعید بن عامر بن حذیم الجمحی فی ألف رجل مددا من قبل عمر رضی الله عنه، فسر بمقدمه المسلمون، و شجعهم ذلک علی عدوهم، و دفعت إلی أبی عبیدة کتاب عمر، فقرأه علی الناس، فاشتد سرورهم برأیه لهم، و بما أمرهم به من الصبر، و ما رجا لهم فی ذلک من الأجر.

و کان أبو عبیدة بعث سفیان بن عوف من حمص إلی عمر یستمده حین بلغه أن الروم قد جاشوا و اختلفوا فی الاجتماع للمسلمین، فعند ذلک بعث عمر رحمه الله، سعید بن

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۶۷

عامر بالمدد، و قد کان أبو بکر رضی الله عنه، وجه سعیدا هذا إلی الشام فی جیش، فکان مع أبی عبیدة حتی شهد معه وقعة فحل، ثم أرسله أبو عبیدة إلی عمر بالفتح، فقدم به علیه، ثم حج بعد و رجع إلی المدینة، فلم یزل مقیما بها حتی بعثه عمر بهذا المدد.

قال حسان بن عطیة «۱»: لما عقد له عمر علی من وجهه معه، قال له: یا سعید، إنی قد ولیتک علی هذا الجیش، و لست بخیر رجل منهم إلا أن تکون أتقی لله منه، فلا تشتم أعراضهم، و لا تضرب أبشارهم، و لا تحقر ضعیفهم، و لا تؤثر قویهم، و کن للحق تابعا، و لا تتبع هواک سادرا، فإنه إن بلغنی عنک ما أحب لم یعدمک منی ما تحب! فقال له سعید: یا أمیر المؤمنین، إنک قد أوصیتنی، فاستمعت منک، فاستمع منی أوصک. قال:

هات، فقد آتاک الله علما یا سعید، قال: یا أمیر المؤمنین، خف الله فی الناس، و لا تخف الناس فی الله، و احبب لقریب الناس و بعیدهم ما تحب لنفسک و أهل بیتک، و اکره لهم ما تکره لنفسک و أهل بیتک، و الزم الأمر ذا الحجة یکفک الله ما أهمک و یعنک علی ما أمرک و ما و لک، و لا تقضین فی أمر واحد بقضاءین فیختلف قولک و فعلک، و یلتبس الحق بالباطل، و یشتبه علیک الأمر، فتزیغ عن الحق، و خض الغمرات إلی الحق حیث علمته، و لا یأخذک فی الله لومة لائم.

قال: فأکب عمر طویلا و فی یده عصا له و هو واضع جبهته علیها، ثم رفع رأسه و دموعه تسیل، فقال: لله أبوک یا سعید، و من یستطیع هذا الذی تذکر؟ قال: من طوق ما طوقت، و حمل ما حملت من هذا الأمر، و إنما علیک أن تأمر فتطاع، أو تعصی فتبوأ بالحجة، و یبوء بالمعصیة.

و عن الحارث بن عبد الله الأزدی، قال «۲»: لما نزل أبو عبیدة الیرموک و ضم إلیه قواصیه و جاءتنا جموع الروم یجرون الشوک و الشجر، و معهم القسیسون و الرهبان و الأساقفة، یقصون علیهم و یحرضونهم، خافهم المسلمون، فما کان شیء أحب إلیهم من أن یخرجوا لهم و یتنحوا عن بلادهم حتی یأتیهم مدد، یرون أنهم یقوون به علی من جاءهم من الروم، فاستشار أبو عبیدة الناس، فکلهم أشار علیه بالخروج من الشام، إلا خالد بن الولید، فإنه أشار علیه بالمقام، و قال له: خلنی و الناس و دعنی و الأمر و ولنی ما وراء بابک فأنا أکفیک بإذن الله أمر هذا العدو، فقال له أبو عبیدة: شأنک بالناس،

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۸۶- ۱۸۷).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۱۸۷- ۱۹۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۸

فخلاه و إياهم، قال: و كان قيس بن هبيرة على مثل رأى خالد، و لم يكن فى المسلمين أحد يعدلهما فى الحرب و شدة البأس. قال: فخرج خالد فى الناس و هم أحسن شىء دعة ورعة و هيئة، و أشدهم فى لقاء عدوهم بصيرة، و أطيبهم أنفسا، فصفهم خالد ثلاثة صفوف، و جعل ميمنة و ميسرة، ثم أتى أبا عبيدة. قال: من كنت تجعل على ميمنتك؟

قال: معاذ بن جبل، قال: أهل ذلك هو الرضى الثقة، فولها إياه، فأمر أبو عبيدة معاذا فوقف فى الميمنة، ثم قال: من كنت تول الميسرة؟ قال: غير واحد، قال: فولها إن رأيت قباث بن أشيم، فأمره أبو عبيدة فوقف فى الميسرة، و كان فيها كنانة و قيس، و كان قباث كنانيا، و كان شجاعا بئسا. قال خالد: و أنا على الخيل، و ول على الرجالة من شئت، قال: أوليها إن شاء الله من لا يخاف نكوله و لا صدوده عند البأس، أوليها هاشم بن عتبة ابن أبى وقاص، قال: أصبت و وفقت و رشدت. قال أبو عبيدة: انزل يا هاشم، فأنت على الرجالة و أنا معك، و قال خالد لأبى عبيدة: أرسل إلى أهل كل راية فمرهم أن يطيعونى، فدعا أبو عبيدة الضحاك بن قيس، فأمره بذلك، فخرج الضحاك يسير فى الناس و يقول لهم: إن أميركم أبا عبيدة يأمركم بطاعة خالد بن الوليد فيما أمركم به.

فقال الناس: سمعنا و أطعنا، و قال ذلك أيضا معاذ بن جبل لما أنهى إليه الضحاك أمر أبى عبيدة، ثم نظر معاذ إلى الناس فقال: أما إنكم إن أطعتموه لتطيعن مبارك الأمر ميمون النقيبة عظيم الغناء حسن الحسبة و النية، قال الضحاك: فحدثت خالدا بذلك، فقال: رحم الله أخى معاذا، أما و الله إن أحبنى إنى لأحبه فى الله، لقد سبقت له و لأصحابه بسوابق لا ندركها فهنيئا ما خصهم الله به من ذلك. قال الضحاك: فأخبرت معاذا بما رد علىّ خالد، فقال: إنى لأرجو أن يكون الله قد أعطاه بصيرة على جهاد المشركين، و شدة عليهم مع بصيرته و حسن نيته فى إعزاز دينه أحسن الثواب، و أن يكون من أفضلنا بذلك عملا. فقال خالد، و قد لقيته بذلك: ما شىء على الله بعزيز.

قال: ثم إن خالدا سار فى الصفوف، يقف على أهل كل راية، و يقول: يا أهل الإسلام، إن الصبر عز و إن الفشل عجز، و إن مع الصبر تنصرون، و الصابرون هم الأعلون، و ما زال يقف على أهل كل راية يعظهم و يحضهم، و يرغبهم حتى مر بجماعة الناس، ثم إنه جمع إليه خيل المسلمين، و دعا قيس بن هبيرة، و كان يساعده و يوافقه و يشبهه فى جلده و شدته و شجاعته و إقدامه على المشركين، فقال له خالد: أنت فارس العرب، و لقل من حضر اليوم يعدلك عندى، فاخرج معى فى هذه الخيل، و بعث إلى ميسرة بن مسروق العبسى، و كان من أشراف العرب و فرسانهم، و إلى عمرو بن الطفيل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۶۹

ذى النور بن عمرو الدوسى، فخرجوا معه، ثم قسموا الخيل أرباعا، فبعث كل رجل منهم على ربع، و خرج خالد فى ربع منها حتى دنوا من عسكر الروم الأعظم الذى فيه باهان، فلما رأتهم الروم فزعوا لمجيئهم، و قد كانوا أخبروا أن العرب تريد الانصراف عن أرض الشام و يخلونهم و إياها، فكان ذلك قد وقع فى نفوسهم و طمعوا به، و رجوا أن لا يكون بينهم قتال، و صدق ذلك عندهم خروجهم من بين أيديهم يسوقونهم، و هم يدعون لهم الأرض و المدائن التى كانوا قد غلبوا عليها، فلما رأوا خالدا قد أقبل إليهم فى الخيل فزعهم ذلك و خرجوا على راياتهم بصلبهم، و القسيسون و الرهبان و البطارقة معهم، فصفوا عشرين صفا لا ترى أطرافها، ثم أخرجوا إلى المسلمين خيلا عظيمة تكون أضعاف المسلمين مضاعفة، فلما دنت خيلهم من خيل المسلمين خرج بطريق من بطارقتهم يسأل المبارزة، و يتعرض لخيل المسلمين، فقال خالد: أ ما لهذا رجل يخرج إليه، ليخرجن إليه بعضكم أو لأخرجن إليه، فنفلت إليه عدة من المسلمين ليخرجوا إليه، و أراد ميسرة بن مسروق ذلك، فقال له خالد: أنت شيخ كبير و هذا الرومى شاب و لا أحب أن تخرج إليه، فإنه لا يكاد الشيخ الكبير يقوى على الشاب الحديث السن، فقف لنا يرحمك الله فى كتيبتك، فإنك ما علمت حسن البلاء عظيم الغناء، و أراد عمرو بن الطفيل الخروج إليه، فقال له خالد: يا ابن أخى أنت غلام حدث، و أخاف أن لا تقوى عليه، قال الحارث بن

عبد الله: و کنت فی خیل خالد التی خرجت معه، فقلت: أنا أخرج إلیه، فقال: ما شئت، قال:، فلما ذهبت لأخرج قال لی: هل بارزت رجلا قط قبله؟ قلت: لا، قال: فلا تخرج إلیه، فقال قیس بن هبیرة: کأنک یا خالد علیّ تحوم؟

قال: أجل، و إنی أرجو إن خرجت إلیه أن تقتله، و إن أنت لم تخرج إلیه لأخرجن إلیه أنا، قال قیس: بل أنا أخرج إلیه، فخرج و هو یقول:

سائل نساء الحی فی حجلاتها أ لست یوم الحرب من أبطالها

و مقعص «۱» الأقران من رجالها

فخرج إلیه، فلما دنا منه ضرب فرسه، ثم حمل علیه فما هلل أن ضربه بالسیف علی هامته فقطع ما علیها من السلاح، و فلق هامته، فإذا الرومی بین یدی فرسه قتیلا، و کبر المسلمون فقال خالد: ما بعد ما ترون إلا الفتح، احمل علیهم یا قیس، ثم أقبل علی أصحابه فقال: احملوا علیهم، فو الله لا یفلحون و أولهم فارسا متعفّرا فی التراب، قال:

فحملنا علیهم و علی من یلینا منهم و من خیلهم، و هی مستقدمة أمام صفوفهم و صفوفهم

---

(۱) مقعص: القعص هو القتل المعجل، و ضربه فأقعصه: أماته مکانه. انظر: اللسان (۳۶۹۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص: ۲۷۰

کأنها أعراض الجبال، فکشفنا خیلهم حتی لحقت بالصفوف، و حمل خالد و أصحابه علی من یلیه منهم، فکشفوهم حتی ألحقوهم بالصفوف، و حمل عمرو بن الطفیل و میسرة بن مسروق فی أصحابهما حتی ألحقوهم بالصفوف، ثم إن خالدا أمر خیله فانصرفت عنهم ثم أقبل بها حتی لحق بجماعة المسلمین و قد أراهم الله السرور فی المشرکین.

قال: و تلاومت بطارقة الروم، و قال بعضهم لبعض: جاءتکم خیل لعدوکم لیست بالکثیرة فکشفت خیولکم من کل جانب، فأقبلت منهم کتائب فی أثر کتائب، فطیفوا الأرض مثل اللیل و السیل، کأنها الجراد السود، و ظن المسلمون أنهم یخالطونهم، و المسلمون جراء علیهم سراع إلیهم، فأقبلوا حتی إذا دنوا من جماعة المسلمین وقفوا ساعة و قد هابوا المسلمین و امتلأت صدورهم خوفا منهم، فقال خالد للناس: قد رجعنا عنهم و لنا الظفر علیهم، فاثبتوا لهم ساعة، فإن أقدموا علینا قاتلناهم، و إن رجعوا عنا کان لنا الظفر و الفضل علیهم، فأخذوا یقتربون ثم یرجعون، و المسلمون فی مصافهم و تحت رایاتهم سکوت لا یتکلم رجل منهم کلمة إلا أن یدعو الله فی نفسه و یستنصره علی عدوه، فلما نظرت الروم إلی خیل المسلمین و رجالتهم و مصافهم و حدهم و جدهم و صبرهم و سکونهم ألقی الله عز و جل، الرعب فی قلوبهم منهم، فواقفوهم ساعة ثم انصرفوا راجعین عنهم إلی عسکرهم، فاجتمعت بطارقتهم و عظماؤهم إلی باهان و هو أصبر جماعتهم.

فقال لهم باهان: إنی قد رأیت رأیا و أنا ذاکره لکم، إن هؤلاء القوم قد نزلوا بلادکم و رکبوا من مراکبکم و طعموا من طعامکم و لبسوا من ثیابکم، فعدل الموت عندهم أن یفارقوا ما تطعموه من عیشکم الرفیع و دنیاکم التی لم یروا مثلها قط، و قد رأیت أن أسألهم إن رأیتم ذلک أن یبعثوا إلینا رجلا منهم له عقل فنناطقه و نشافهه و نطمعهم فی شیء یرجعون به إلی أهالیهم، لعل ذلک یسخی بأنفسهم عن بلادنا، فإن هم فعلوا ذلک کان الذی یریدون منا قلیلا فیما نخاف و ندفع به خطر الوقعة التی لا ندری أ علینا تکون أم لنا، فقالوا له: قد أصبت و أحسنت النظر لجماعتنا، فاعمل برأیک.

فبعث رجلا من خیارهم و عظمائهم یقال له جرجة إلی أبی عبیدة، فقال له: إنی رسول باهان عامل ملک الروم علی الشام، و علی هذه الجنود، و هو یقول لک: أرسل إلیّ الرجل الذی کان قبلک أمیرا فإنه ذکر لی أنه رجل ذو عقل و له فیکم حسب، و قد سمعنا أن عقول ذوی الأحساب أفضل من عقول غیرهم، فنخبره بما نرید و نسأله عما تریدون، فإن وقع فیما بیننا و بینکم أمر لنا و لکم فیه صلاح أو رضی أخذنا به و حمدنا الله علیه، و إن لم یتفق ذلک کان القتال من ورائنا هنالک.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۱

فدعا أبو عبيدة خالدا فأخبره بالذى جاء فيه الرومى، و قال لخالد: القهم فادعهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فهو حظهم، و كانوا قوما لهم ما لنا و عليهم ما علينا، و إن أبوا فاعرض عليهم الجزية، أن يؤدوها عن يد و هم صاغرون، فإن أبوا فأعلمهم أنا نناجزهم و نستعين الله عليهم، حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين.

قال: و جاء رسولهم هذا الرومى، عند غروب الشمس فلم يمكث إلا يسيرا حتى حضرت الصلاة فقام المسلمون يصلون صلاتهم، فلما قضوها قال ذلك الرومى: هذا الليل قد غشينا، و لكن إذا أصبحت غدوت إلى صاحبنا إن شاء الله، و جعل ينظر إلى رجال من المسلمين يصلون و هم يدعون الله و يتضرعون إليه، و جعل ما يفيق و ما يصرف بصره عنهم، فقال عمرو: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون، فقال أبو عبيدة: كلا و الله، إنى لأرجو أن يكون الله قد قذف فى قلبه الإيمان و حببه إليه، و عرفه فضله، أو ما تنظر إلى نظره إلى المصلين؟ و لبث الرومى بذلك قليلا ثم أقبل على أبى عبيدة، فقال: أيها الرجل، أخبرنى متى دخلتم فى هذا الدين؟ و متى دعوتم الناس إليه؟.

فقال أبو عبيدة: دعينا إليه منذ بضع و عشرين سنة، فمنا من أسلم حين أتاه الرسول، و منا من أسلم بعد ذلك، فقال: هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتى من بعده رسول؟

قال: لا، و لكنه أخبرنا أنه لا نبىّ بعده، و أخبرنا أن عيسى ابن مريم قد بشر به قومه، قال الرومى: و أنا على ذلك من الشاهدين، إن عيسى ابن مريم قد بشرنا براكب الجمل، و ما أظنه إلا صاحبكم. ثم قال: أخبرنى عن قول صاحبكم فى عيسى، فقال له أبو عبيدة: قول صاحبنا فيه قول الله تعالى فيه، و هو أصدق القائلين و أبرهم، قال الله تعالى:

إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [آل عمران: ۵۹]، و قال تعالى: يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ إلى قوله: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ [النساء: ۱۷۱، ۱۷۲].

فلما فسر له الترجمان ذلك و بلغ هذا المكان قال: أشهد أن هذه صفة عيسى، و أشهد أن نبيكم صادق، و أنه الذى بشر به عيسى، و أنكم قوم صدق، و قال لأبى عبيدة: ادع لى رجلين من أول أصحابك إسلاما، و هما فيما ترى أفضل من معك، فدعا أبو عبيدة، معاذ بن جبل و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فقال له: هذان من أفضل المسلمين فضلا، و من أولهم إسلاما، فقال لهما الرومى و لأبى عبيدة: أ تضمنون لى الجنة إن أنا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۲

أسلمت و جاهدت معكم؟ فقالوا له: نعم، إن أنت أسلمت و استقمت و لم تغير حتى تموت و أنت على ذلك فإنك من أهل الجنة، قال: فإنى أشهدكم أنى من المسلمين، فأسلم و فرح المسلمون بإسلامه، و صافحوه و دعوا له بخير، و قالوا له: إنا إن أرسلنا رسولنا إلى صاحبكم و أنت عندنا ظنوا أنا حبسناك عنهم، فنتخوف أن يحبسوا صاحبنا، فإن شئت أن تأتيهم الليلة و تكتم إسلامك حتى نبعث إليهم رسولنا غدا و ننظر علام ينصرم الأمر بيننا و بينهم، فإذا رجع رسولنا إلينا أتيتنا عند ذلك، فما أعزك علينا و أرغبنا فيك و أكرمك علينا، و ما أنت الآن عند كل امرئ منا إلا بمنزلة أخيه لأبيه و أمه. قال: فإنكم نعم ما رأيتم، فخرج فبات فى أصحابه، و قال لباهان: غدا يجيئكم رسول القوم الذى سألتم، و انصرف إلى المسلمين لما رجع إليهم خالد، فأسلم و حسن إسلامه.

و لما أصبح المسلمون من تلك الليلة بعث خالد بن الوليد بقية له حمراء من أدم كان اشتراها بثلاثمائة دينار، فضربت له فى عسكر الروم، ثم خرج حتى أتاها، فأقام فيها ساعة، و كان خالد رجلا طويلا جميلا جليدا مهيبا لا ينظر إليه رجل إلا ملأ صدره و عرف أنه من جلداء الرجال و شجعانهم، و أشدائهم، و بعث باهان إلى خالد و هو فى قبته: أن القنى، و صف له فى طريقه عشرة صفوف عن

يمينه، و عشرة صفوف عن شماله، مقنعين فى الحديد، عليهم الدروع و البيض و السواعد و الجواشن و السيوف، لا يرى منهم إلا الحدق، و صف من وراء تلك الصفوف خيلا عظيمة، و إنما أراد أن يريه عدد الروم و عدتهم ليرعبه بذلك، و ليكون أسرع له إلى ما يريد أن يعرض عليه، فأقبل خالد غير مكترث لما رأى من هيئاتهم و جماعتهم، و لكانوا أهون عليه من الكلاب، فلما دنا من باهان رحب به، ثم قال بلسانه: هاهنا عندى، اجلس معى فإنك من ذوى أحساب العرب فيما ذكر لى، و من شجعانهم، و نحن نحب الشجاع ذا الحسب، و قد ذكر لى أن لك عقلا و وفاء، و العاقل ينفعك كلامه، و الوفى يصدق قوله و يوثق بعهده، و أجلس فيما بينه و بين خالد ترجمانا له يفسر لخالد ما يقول، و خالد جالس إلى جنبه.

قال الحارث بن عبد الله الأزدى: قال لى خالد يوم غدا إلى عسكر الروم: اخرج معى، و كنت صديقا له قل ما أفارقه و كان يستشيرنى فى الأمر إذا نزل به، فكنت أشير عليه بمبلغ رأيى، فكان يقول لى: إنك ما علمت لميمون الرأى و لقل ما أشرت علىّ بمشورة إلا وجدت عاقبتها تؤدى إلى سلامة، فخرجت يومئذ معه، حتى إذا دخلنا عسكرهم و ضربت قبته و بعث إليه باهان ليلقاه قال لى: انطلق معى، فقلت له: إن القوم إنما أرادوك و لا أراهم يدعوننى أدنو إليهم معك، فقال لى: امضه، فمضيت معه، فلما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۳

دنونا من باهان و على رأسه ألوف رجال بعضهم خلف بعض و حوله، لا يرى منهم إلا أعينهم، و فى أيديهم العمد، جاءنا الترجمان فقال: أيكما خالد؟ فقال خالد: أنا، فقال:

أقبل أنت و ليرجع هذا، فقام خالد و قال: هذا رجل من أصحابى و لست استغنى عن رأيه، فرجع إلى باهان فأخبره، فقال: دعوه فليأت معه، فأقبلنا نحوه، فلم يمش إلا خطا خمسا أو ستا حتى جاء نحو من عشرة، فقالوا لى: ضع سيفك، و لم يقولوا لخالد شيئا، فنظرت ما يقول لى خالد، فقال لهم: ما كان ليضع عزه من عنقه أبدا، و قد بعثتم إلينا فأتيناكم، فإن تكرمونا جلسنا إليكم و سمعنا منكم، و إن أبيتم فخلوا سبيلنا فننصرف عنكم، فرجع الترجمان إلى باهان فأخبره، فقال: دعوهما، فأقبلنا إليه، فرحب بخالد و أجلسه معه، و جلست أنا على نمارق مطروحة للناس قريبا منهما، و حيث أسمع كلامهما، فقال باهان لخالد: إنك من ذوى أحساب العرب، فيما ذكر لى، و من شجعانهم، و قد ذكر لى أن لك عقلا و وفاء، و العاقل ينفعك كلامه، و الوفى يصدق قوله يوثق بعهده.

فلما فسر له الترجمان ذلك قال خالد: إن نبينا صلى اللّه عليه و سلم قال لنا: إن حسب المرء دينه، و من لم يكن له دين فلا حسب له، و قال لنا: إن أفضل الشجاعة و خيرها فى العاجلة و العاقبة ما كان منها فى طاعة الله، و أما ما ذكرت أنى أوتيت عقلا و وفاء، فإن أكن أوتيت ذلك فلله المن و الفضل علينا، و هو المحمود عندنا، و قد قال لنا نبينا صلى اللّه عليه و سلم: إن الله لما خلق العقل و فرغ من خلقه، قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: و عزتى ما خلقت من خلقى شيئا هو أحب إلىّ منك، بك أحمد، و بك أعبد، و بك أعرف، و بك تنال طاعتى، و بك تدخل جنتى، ثم قال خالد: و الوفاء لا يكون إلا من العقل، فمن لم يكن له عقل فلا وفاء له، و من لا وفاء له لا عقل له. فقال له باهان: أنت أعقل أهل الأرض، ما يتكلم بكلامك و لا يبصره و لا يفطن له إلا الفائق من الرجال، ثم قال لخالد:

أخبرنى عنك، و أنت هكذا تحتاج إلى مشورة هذا الرجل؟ فقال له خالد: و أعجب من ذلك أن فى عسكرنا أكثر من ألف رجل كلهم لا يستغنى عن رأيه و لا عن مشورته، فقال باهان: ما كنا نظن ذلك عندكم، و لا نراكم به، فقال له خالد: ما كل ما تظنون و نظن يكون صوابا، فقال باهان: صدقت، ثم قال له: إن أول ما أكلمك به أنى أدعوك إلى خلتى و مصافاتى، فقال له خالد: كيف لى و لك أن يتم هذا فيما بينى و بينك و قد جمعتنى و إياك بلدة لا أريد أنا و لا تريد أنت أن نفترق حتى تصير البلدة لأحدنا، فقال له باهان: فلعل الله أن يصلح بيننا و بينك فلا يهراق دم و لا يقتل قتيل، قال خالد: إن شاء

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۴

الله فعل، قال باهان: فإنى أريد أن ألقى الحشمة فيما بينى و بينك و أكلمك كلام الأخ أخاه، إن قبتك هذه الحمراء قد أعجبتنى فأنا

أحب أن تهبها لى، فإنى لم أر قبة من القباب أحسن منها، فخذ ما بدا لك فيها و سلنى ما أحببت فهو فى يدك، فقال له خالد: خذها فهى لك، و لست أريد من متاعك شيئا، قال: و الله ما ظننته سألها إلا لينظر إليها، فإذا هو قد أخذها، ثم قال لخالد: إن شئت بدأتك فتكلمت، و إن شئت أنت فتكلم، فقال له خالد: ما أبالى أى ذلك كان، أما أنا فلا أخالك إلا و قد بلغك و علمت ما أسأل و أطلب، و ما أدعو إليه، و قد جاءك بذلك أصحابك و من لقينا منهم بأجنادين و مرج الصفر و فحل و مدائنكم و حصونكم، و أما أنت فلست أدرى ما تريد أن تقول، فإن شئت فتكلم، و إن شئت بدأتك فتكلمت، فقال باهان:

الحمد لله الذى جعل نبينا أفضل الأنبياء، و ملكنا أفضل الملوك، و أمتنا أفضل الأمم، فلما بلغ هذا المكان، قال خالد و قطع على باهان منطقه: و الحمد لله الذى جعلنا نؤمن بنبينا و نبيكم، و بجميع الأنبياء، و جعل الأمير الذى وليناه أمورنا رجلا كبعضنا، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا، و لسنا نرى أن له على رجل من المسلمين فضلا إلا أن يكون أتقى منه عند الله، و أبر، و الحمد لله الذى جعل أمتنا تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، و تقر بالذنب و تستغفر منه، و تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا، قل الآن ما بدا لك.

فاصفر وجه باهان و سكت قليلا، ثم قال: الحمد لله الذى أبلانا فأحسن البلاء عندنا فأغنانا من الفقر، و نصرنا على الأمم، و أعزنا فلا نذل، و منعنا من الضيم فلا تباح حرمتنا، و لسنا فيما أعزنا الله به و أعطانا من ديننا ببطرين و لا مرحين، و لا باغين على الناس، و قد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كنا نحسن جوارهم، و نعظم رفدهم، و نفضل عليهم، و نفى لهم بالعهد، و خيرناهم بلادنا، ينزلون منها حيث شاءوا، فينزلون آمنين، و يرحلون آمنين، و كنا نرى أن جميع العرب ممن لا يجاورنا سيشكرون لنا ذلك الذى آتينا إلى إخوانهم، و ما اصطنعنا عندهم فلم يرعنا منهم إلا و قد فاجأتمونا بالخيل و الرجال، تقاتلوننا على حصوننا، و تريدون أن تغلبونا على بلادنا، و قد طلب هذا منا قبلكم من كان أكثر منكم عددا و أعظم مكيدة و أقوى جدا، فلم يرجعوا عنا إلا و هم بين أسير و قتيل، و أرادت ذلك منا فارس، فقد بلغكم كيف صنع الله بهم، و أراد ذلك منا الترك فلقيناهم بأشد مما لقينا به فارس، و أرادنا غيرهم من أهل المشرق و المغرب، من ذوى المنعة و العز و الجنود العظيمة، فكلهم أظفرنا الله بهم، و صنع لنا عليهم، و لم تكن أمة من الأمم بأدق عندنا منكم شأنا و لا أصغر أخطارا، إنما جلكم رعاء الشاء و الإبل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۵

و أهل الصحراء و الحجر و البؤس و الشقاء، أ فأنتم تطمعون أن نتخلى لكم عن بلادنا، بئس ما طمعتم فيه منا، و قد ظننا أنه لم يأت بكم إلى بلادنا و نحن ننفى كل من حولنا من الأمم العظيمة الشأن الكثيرة العدد إلا جهد نزل بكم من جدوبة الأرض و قحط المطر، فعثتم فى بلادنا و أفسدتم كل الفساد، و قد ركبتم مراكبنا، و ليست كمراكبكم، و لبستم ثيابنا، و ليست كثيابكم، و طعمتم من طعامنا و ليس كطعامكم، و أصبتم منا و ملأتم أيديكم من الذهب الأحمر و الفضة البيضاء، و المتاع الفاخر، و لقد لقيناكم الآن و ذلك كله لنا، و هو فى أيديكم، فنحن نسلمه لكم، فاخرجوا به و انصرفوا عن بلادنا، فإن أبت أنفسكم إلا أن تخرجوا و تشرهوا و أردتم أن نزيدكم من بيوت أموالنا ما نقوى به الضعيف منكم، و يرى الغائب أن قد رجع إلى أهله بخير فعلنا، و نأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار و نأمر لك بمثلها، و نأمر لرؤسائكم بألف دينار ألف دينار، و نأمر لجميع أصحابك لكل واحد منهم بمائة دينار، على أن تحلفوا لنا بالأيمان المغلظة أن لا تعودوا إلى بلادنا، ثم سكت.

فقال خالد: الحمد لله الذى لا إله إلا هو، فلما فسر ذلك الترجمان، رفع باهان يديه إلى السماء، ثم أشار إليه بيده، و قال لخالد: نعم ما قلت، قال خالد: و أشهد أن محمدا رسول الله، فلما فسرها الترجمان قال باهان: الله أعلم، ما أدرى لعله كما تقول، ثم قال خالد: أما بعد، فإن كل ما ذكرت به قومك من الغنى و العز و منع الحريم و الظفر على الأعداء و التمكن فى البلاد نحن به عارفون، و كل ما ذكرت من إنعامكم على جيرانكم منا فقد عرفناه، و ذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم زيادة فى ملككم و عزا لكم أ لا ترون أن ثلثيهم أو شطرهم قد دخلوا فى دينكم و هم يقاتلوننا معكم، و أما ما ذكرتنا به من رعى الإبل و الغنم، فما أقل ما رأيت واحدا منا يكرهه، و ما لمن يكرهه منا فضل على من يفعله، و أما قولك: إنا أهل الصحراء و الحجر و البؤس و الشقاء، فحالنا و الله كما وصفته و

ما ننتفى من ذلك و لا نتبرأ منه، و كنا على أسوأ و أشد مما ذكرت، و سأقص عليك قصتنا و أعرض عليك أمرنا و أدعوك إلى حظك إن قبلت، ألا إنا كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم، أنزلنا الله و له الحمد منزلا من الأرض ليست به أنهار جارية و لا يكون فيه من الزرع إلا القليل، و جل أرضنا المهامة و القفار، و كنا أهل الحجر و مدر و شاة و بعير و عيش شديد و بلاء دائم لازم، نقطع أرحامنا، و نقتل خشية الإملاق أولادنا، و يأكل قوينا ضعيفنا، و كثيرنا قليلنا، و لا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة، نعبد من دون الله أوثانا و أصناما ننحتها بأيدينا من الحجارة التى نختارها على أعيننا،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۶

و هى لا تضر و لا تنفع، و نحن عليها مكبون، فبينا نحن كذلك على شفا حفرة من النار، من مات منا مات مشركا و سار إلى النار، و من بقى منا بقى مشركا كافرا بربه قاطعا لرحمه، إذ بعث الله فينا رسولا من صميمنا و خيارنا دعانا إلى الله وحده أن نعبده و لا نشرك به شيئا، و أن نخلع الأنداد التى يعبدها المشركون.

و قال لنا: لا تتخذوا من دون ربكم إلها، و لا وليا، و لا نصيرا، و لا تجعلوا معه صاحبة و لا ولدا، و لا تعبدوا من دونه نارا و لا حجرا و لا شمسا و لا قمرا، و اكتفوا به ربا و إلها من كل شىء دونه، و كونوا أولياءه، و إليه فارغبوا، و إياه فادعوا، و قال لنا: قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أخرى، و كل من زعم أن لله ولدا، و أنه ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و يدخلوا فى الإسلام، فإن فعلوا حرمت عليكم دماؤهم و أموالهم و أعراضهم إلا بحقها، و هم إخوانكم فى الدين، لهم ما لكم و عليهم ما عليكم، فإن هم أبوا أن يدخلوا فى دينكم و أقاموا على دينهم فاعرضوا عليهم الجزية أن يؤدوها عن يد و هم صاغرون، فإن فعلوا فاقبلوا منهم و كفوا عنهم، فإن أبوا فقاتلوهم، فإنه من قتل منكم كان شهيدا حيا عند الله، مرزوقا، و أدخله الله الجنة، و من قتل من عدوكم قتل كافرا و صار إلى النار مخلدا فيها أبدا.

ثم قال خالد: و هذا و الله الذى لا إله إلا هو هو الذى أمر الله به نبيه صلى اللّه عليه و سلم فعلمناه، و أمرنا به، و أمرنا أن ندعو الناس إليه، و نحن ندعوكم إلى الإسلام و إلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و إلى أن تقيموا الصلاة و تؤتوا الزكاة و تقروا بما جاء به من عند الله، فإن فعلتم فأنتم إخواننا فى الدين، لكم ما لنا و عليكم ما علينا، فإن أبيتم فإنا نعرض عليكم أن تعطوا الجزية عن يد و أنتم صاغرون، فإن فعلتم قبلنا منكم و كففنا عنكم، و إن أبيتم أن تفعلوا فقد و الله جاءكم قوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة، فاخرجوا بنا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله، فإنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، و العاقبة للمتقين، ثم سكت خالد، فقال باهان: أما أن ندخل فى دينكم فما أبعد من ترى من الناس أن يترك دينه و يدخل فى دينكم، و إما أن نؤدى الجزية، ثم تنفس الصعداء، و ثقلت عليه و عظمت عنده، فسيموت من ترى جميعا قبل أن يؤدوا الجزية إلى أحد من الناس، و هم يأخذون الجزية و لا يعطونها، و أما قولك: فاخرجوا حتى يحكم الله بيننا، فلعمرى ما جاءك هؤلاء القوم و هذه الجموع إلا ليحاكموك إلى الله، و أما قولك: إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، فصدقت و الله، ما كانت هذه الأرض التى نقاتلكم عليها و تقاتلوننا إلا لأمة من

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۷

الأمم كانوا قبلنا فيها، فقاتلناهم عليها فأخرجناهم منها، و قد كانت قبل ذلك لقوم آخرين فأخرجهم منها هؤلاء الذين كنا قاتلناهم عليها، فابرزوا على اسم الله، فإنا خارجون إليكم.

قال الحارث: فلما فرغ باهان من كلامه وثب خالد فقام، و قمت معه، فمر بقبته فتركها، و بعث معنا صاحب الروم رجالا حتى أخرجونا من عسكرهم و أمنا، فرجعنا إلى أبى عبيدة، فقص عليهم خالد الخبر، و أخبرهم بأن القتال سيقع بينهم، و قال للناس:

استعدوا أيها الناس استعداد قوم يرون أنهم عن ساعة مقاتلون.

و حدث «۱» أبو جهضم الأزدى، عن رجل من الروم كان مع باهان فى عسكرهم ذلك و أسلم بعد فحسن إسلامه، قال: كتب باهان

إلى قيصر كتابا يخبره فيه بخالد و حال أصحابه و حال المسلمين، و كان قد جمع أصحابه يوم انصرف عنهم خالد، فقال: أشيروا علىّ برأيكم فى أمر هؤلاء القوم فإنى قد هيبتهم فما أراهم يهابون، و أطمعتهم فليس يطمعون، و أردتهم على الرجوع و الخروج عن بلادنا بكل وجه فليسوا براجعين، و القوم ليس يريدون إلا هلاككم و استئصالكم و سلب سلطانكم، و أكل بلادكم، و سبى أولادكم و نسائكم، و أخذ أموالكم، فإن كنتم أحرارا فقاتلوا عن سلطانكم، و امنعوا حريمكم و نساءكم و أموالكم و بلادكم و أولادكم، فقامت البطارقة رجلا بعد رجل فكلهم يخبره أنه طيب النفس بالموت دون بلاده و سلطانه، و قالوا له: إذا شئت فانهض بنا فقال لهم: فكيف ترون، نقاتلهم فإنا أكثر من عشرة أضعافهم، نحن نحو من أربعمائة ألف، و هم نحو من ثلاثين ألفا أو أقل أو أكثر.

فقال بعضهم: أخرج إليهم فى كل يوم مائة ألف يقاتلونهم و تستريح البقية، و تسرح عيالنا و أثقالنا إلى البحر، فلا يكون معنا شىء يهمنا و لا يشغلنا، و يقاتلهم كل يوم منا مائة ألف، فهم فى كل يوم فى قتل و جراحة و عناء و مشقة و شدة، و نحن لا نقاتل إلا فى كل أربعة أيام يوما فإن هم هزموا منا فى كل يوم مائة ألف بقى لهم أكثر من مائتى ألف لم ينهزموا، فقال آخرون: لا، و لكنا نرى إذا هم خرجوا إلينا أن نبعث إلى كل رجل منهم عشرة من أصحابك، فلا و الله لا يجتمع عشرة على واحد إلا غلبوه، فقال باهان: هذا ما لا يكون، و كيف أقدر على عددهم حتى أبعث إلى كل رجل منهم عشرة من أصحابى، و كيف أقدر أن ينفرد الرجل منهم عن صاحبه حتى أبعث إليه عشرة من قبلى، هذا ما لا يكون.

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۰۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۷۸

قال: فأجمعوا رأيهم جميعا على أن يخرجوا بأجمعهم خرجة واحدة فيناجزوهم فيها و لا يرجعوا عنهم حتى يحكم الله بينهم.

و كتب باهان إلى قيصر: أما بعد، نسأل الله لك أيها الملك و لجندك و أهل مملكتك النصر و لدينك و سلطانك العز، فإنك بعثتنى فيما لا يحصيه من العدد إلا الله، فقدمت على القوم، فأرسلت إليهم فهيبتهم فلم يهابوا، و أطمعتهم فلم يطمعوا، و خوفتهم فلم يخافوا، و سألتهم الصلح فلم يقبلوا، و جعلت لهم الجعل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا، و قد ذعر منهم جند الملك ذعرا شديدا، و خشيت أن يكون الفشل قد عمهم، و الرعب قد دخل قلوبهم، إلا أن منهم رجالا قد عرفتهم ليسوا بفرارين عن عدوهم، و لا شكاك فى دينهم، و لو قد لقوهم لم يفروا حتى يظهروا أو يقتلوا، و قد جمعت أهل الرأى من أصحابى، و أهل النصيحة لملكنا و ديننا، فاجتمع رأيهم على النهوض إليهم جميعا، فى يوم واحد، و لا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا و بينهم.

قال: و كان باهان قد رأى رؤيا، فذكرها لملك الروم فى كتابه هذا، فقال له: و قد أتانى آت فى منامى، فقال لى: لا تقاتل هؤلاء القوم، فإنهم يهلكونك و يهزمونك، فلما انتبهت عبرت أنه من الشيطان، أراد أن يحزننى، فخسأته «۱»، فإن يكن الشيطان فقد خسأته، و إن لم يكن فقد بين لى الأمر، فابعث أنت أيها الملك بثقلك و حرمك و مالك فألحقهم بأقصى بلادك، و انتظر وقعتنا هذه، فإن أظهرنا الله عليهم حمدت الله الذى أعز دينك و منع سلطانك، و إن هم ظفروا علينا، فارض بقضاء الله، و اعلم أن الدنيا زائلة عنك كما زالت عمن كان قبلك، فلا تأسف منها على ما فاتك و لا تغتبط منها بشىء مما فى يديك، و الحق بمعاقلك و دار مملكتك، و أحسن إلى رعيتك و إلى الناس يحسن الله إليك، و ارحم الضعفاء و المساكين ترحم، و تواضع لله يرفعك، فإن الله لا يحب المتكبرين، و السلام.

قال: ثم إن باهان خرج إلى المسلمين فى يوم ذى ضباب و رذاذ، و صف لهم عشرين صفا لا ترى أطرافها، ثم جعل على ميمنته ابن قماطر، و معه جرجير فى أهل أرمينية، و جعل الدرنجار فى ميسرته، و كان من خيارهم و نساكهم، فأقبلوا نحو المسلمين كأنهم أعراض الجبال و قد ملأوا الأرض، فلما نظر إليهم المسلمون و قد أقبلوا كلهم، نهضوا إلى راياتهم، و جاء خالد بن الوليد و يزيد بن أبى سفيان و عمرو بن العاص و شرحبيل بن حسنة، و هم الأمراء الذين كان أبو بكر رضى الله عنه، أمرهم إلى أبى عبيدة بن الجراح،

(۱) خسأ: طرد و أبعد و دحر. انظر: اللسان (۱۱۵۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۷۹

و معه معاذ بن جبل لا ـ یفارقه، فقالوا له: إن هؤلاء قد زحفوا لنا هذا الیوم المطیر، و إنا لا نری أن نخرج إلیهم فیه حتی یطلوا «۱» بعسکرنا و یضطرونا إلی ذلک، قال: أصبتم، ثم خرج هو و معاذ فصفوا الناس و هیئوهم و وقفوهم علی مراکزهم، و أقبلت الروم فی المطر، فوقفوا ساعة و تصبروا علیه، فلما رأوا أن المطر لا یقلع انصرفوا إلی عسکرهم، و دعا الدرنجار رجلا من العرب ممن کان علی دین النصرانیة فقال له: ادخل فی عسکر هؤلاء القوم فانظر ما حالهم و ما هدیهم، و ما یصنعون، و کیف سیرتهم، ثم القنی بها، فخرج ذلک الرجل حتی دخل عسکر المسلمین فلم یستنکروه لأنه کان رجلا من العرب لسانه و وجهه، فمکث فی عسکرهم لیلة حتی أصبح، فوجد المسلمین یصلون اللیل کله کأنهم فی النهار، ثم أصبح فأقام عامة یومه، ثم خرج إلیه، فقال: جئتک من عند قوم یصومون النهار، و یقومون اللیل، و یأمرون بالمعروف و ینهون عن المنکر، رهبان باللیل، و أسد بالنهار، لو سرق ملکهم فیهم لقطعوه، و لو زنی لرجموه، لا یثأرهم الحق و اتباعهم إیاه علی الهوی، فقال: لئن کان هؤلاء القوم هکذا لبطن الأرض خیر من ظهرها لمن یرید قتالهم.

فلما کان من الغد خرجوا أیضا، فی یوم ذی ضباب، و أتی المسلمین رجال من العرب کانوا نصاری فأسلموا، فقال لهم أبو عبیدة و خالد: ادخلوا فی عسکر الروم و اکتموهم إسلامکم و القونا بأخبارهم، فإن لکم فی هذا أجرا، و الله حاسبه لکم جهادا، فإنکم تدفعون بذلک عن حرمة الإسلام و تدلون علی عورة أهل الشرک، فانطلقوا فدخلوا عسکر الروم، ثم جاءوا بعد ما مضی من اللیل نصفه، فأتوا أبا عبیدة فقالوا له: إن القوم قد أوقدوا النیران، و هم یتبعون لکم و یتهیّئون للقائکم، و هم مصبحوکم بالغداة، فما کنتم صانعین فاصنعوه الآن، فخرج أبو عبیدة و معاذ بن جبل و خالد بن الولید و یزید بن أبی سفیان و عمرو بن العاص، فعبئوا الناس وصفوهم، فلم یزالوا فی ذلک حتی أصبحوا.

و عن راشد بن عبد الرحمن الأزدی، قال «۲»: صلی بنا أبو عبیدة یومئذ صلاة الغداة فی عسکره فی الغداة التی لقینا فیها الروم بالیرموک، فقرأ فی أول رکعة بالفجر و لیال عشر، فلما مر بقول الله تعالی: أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ الَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُها فِی الْبِلادِ وَ ثَمُودَ الَّذِینَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ وَ فِرْعَوْنَ ذِی الْأَوْتادِ الَّذِینَ طَغَوْا فِی الْبِلادِ فَأَکْثَرُوا فِیهَا الْفَسادَ فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذابٍ إِنَّ رَبَّکَ

(۱) یلطوا: لط الشیء یلطه لطا: ألزقه و لزمه. انظر: اللسان (۴۰۳۴).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۱۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۰

لَبِالْمِرْصادِ [الفجر: ۴، ۱۴] قلت فی نفسی: ظهرنا و الله علی القوم للذی أجری الله علی لسانه، و سررت بذلک سرورا شدیدا، و قلت: عدونا هذا و الله نظیر لهذه الأمم، فی الکفر و الکثرة و المعاصی، قال: ثم قرأ فی الرکعة الثانیة: وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها، فلما مر بقول الله تعالی: کَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها إلی آخر السورة، قلت فی نفسی:

هذه و الله أخری، إن صدق الفأل لیصبن الله علیهم سوط عذاب، و لیدمدمن الله علیهم کما دمدم علی هذه القرون من قبلهم، فلما قضی أبو عبیدة صلاته، أقبل علی الناس بوجهه، و قال:

أیها الناس أبشروا، فإنی رأیت فی لیلتی هذه فیما یری النائم کأن رجالا أتونی فحفوا بی و علیهم ثیاب بیض، ثم دعوا إلیّ رجالا منکم أعرفهم، ثم قالوا لنا: أقدموا علی عدوکم و لا تهابوهم، فإنکم الأعلون، و کأنا مضینا إلی عسکر عدونا، فلما رأونا قاصدین إلیهم

انفرجوا لنا، و جئنا حتی دخلنا عسکرهم، و ولوا مدبرین.

فقال له الناس: أصلحک الله، نامت عینک، هذه بشری من الله، بشرک الله بخیر.

و قال أبو مرثد الخولانی: و أنا أصلحک الله قد رأیت رؤیا، إنها لبشری من الله، رأیت فی هذه اللیلة کأنا خرجنا إلی عدونا، فلما تواقعنا صب الله علیهم من السماء طیرا بیضا عظاما لها مخالب کمخالب الأسد، و هی تنقض من السماء انقضاض العقبان، فإذا حاذت بالرجل من المشرکین ضربته ضربة یخر منها متقطعا.

و کان الناس یقولون: أبشروا معاشر المسلمین، فقد أیدکم الله علیهم بالملائکة. قال:

فتباشر الناس بهذه الرؤیا و سروا بها، فقال أبو عبیدة: و هذه و الله بشری من الله، فحدثوا بهذه الرؤیا الناس، فإن مثلها من الرؤیا ما یشجع المسلم و یحسن ظنه و ینشطه للقاء عدوه.

قال: و انتشرت هذه الرؤیا و رؤیا أبی عبیدة فی المسلمین، و استبشروا بهما.

و عن أبی جهضم أیضا «۱»: أن رجلا من الروم حدثه فی خلافة عبد الملک بن مروان أن رجلا من عظمائهم أتی باهان فی صبیحة اللیلة التی خرج إلی المسلمین بالیرموک، فقال له: إنی رأیت رؤیا أرید أن أحدثک بها، قال: هاتها، قال: رأیت کأن رجالا نزلوا من السماء طول أحدهم أبعد من مد بصره، فنزعوا سیوفنا من أغمادها و أسنة رماحنا من أطرافها، ثم لم یدعوا منا رجلا إلا کتفوه، ثم قالوا لنا: اهربوا و أکثرکم هالک،

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۱۴- ۲۱۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۱

فأخذنا نهرب، فمنا من یسقط علی وجهه و منا من یتبلد لا یستطیع أن یبرح من مکانه، و منا من یحل کتافه ثم یسعی حتی لا نراه.

فقال له باهان: أما من رأیت یسقط علی وجهه، و من رأیته یتبلد لا یطیق أن یسعی و لا یتنحی من مکانه فهم الذی یهلکون، و أما الذین رأیت یحلون کتافهم و یسعون حتی لا- نراهم، فأولئک الذین ینجون، ثم قال له باهان: أما أنت فو الله لا- تسلم منی أبدا، فوجهک الذی بشر بالشر و قنط من الخیر، أ لست الذی کنت أشد الناس علیّ فی أمر الرجل الذی قتل رجلا من أهل الذمة، فأردت أن أقتله، فکنت أنت من أشد الناس علیّ فی أمره حتی عطلت حدا من حدود الله و ترکته، و کان علیّ من الحق أن أقیمه، فحلت بینی و بینه فی جماعة من السفهاء، و ترکته کراهیة أن أفرق جماعتکم أو أن یضرب بعضکم بعضا، فأما الآن، فقد حدثت نفسی بالموت، و إنما ألقی القوم عن ساعة، فإن شئتم الآن فتفرقوا، و إن شئتم فاجتمعوا و أنا أتوب إلی الله من ترک ذلک الحد یومئذ، فإنه لم یک یسعنی و لا ینبغی لی إلا قتله، و لو قتلتمونی معه، ثم أمر به فضربت عنقه. قال:

و طلب الرومی الذی کان قتل الذمی فهرب منه فلم یقدر علیه، و قد تقدمت قصة هذا الرومی المقتول تعدیا فیما أخرجناه قبل من الحدیث عن أبی بشر التنوخی، فأغنی ذلک عن إعادتها.

و عن راشد بن عبد الرحمن الأزدی «۱»: أن باهان زحف یوم الیرموک إلی المسلمین فی عشرین صفا تضم نحوا من أربعمائة ألف مقاتل، و أصبح المسلمون طیبة أنفسهم لقتال المشرکین، قد شرح الله صدورهم و شجع قلوبهم علی لقاء عدوهم، فأخرجهم أبو عبیدة و جعل علی میمنته معاذ بن جبل، و علی میسرته قباث بن أشیم، و علی الرجالة هاشم بن عتبة، و علی الخیل خالد بن الولید، و خرج الناس علی رایاتهم و فیهم أشراف العرب و فرسانهم من رجالهم و قبائلهم، و فیهم الأزد و هم ثلث الناس، و حمیر، و هم عظم الناس، و فیهم همدان و خولان و مذحج و خثعم و قضاعة و لخم و جذام و عاملة و غسان و کندة و حضرموت، و معهم جماعة من کنانة، و لکن عظم الناس أهل الیمن، و لم یحضرها یومئذ أسد و لا- تمیم و لا- ربیعة، و لم تکن دارهم هنالک، إنما کانت دارهم عراقیة، فقاتلوا أهل فارس بالعراق، فلما برز المسلمون إلی عدوهم، سار أبو عبیدة فیهم، ثم قال: یا عباد الله، انصروا الله ینصرکم و یثبت

أقدامكم فإن وعد الله حق، يا معشر المسلمين، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر و مرضاة للرب و مدحضة للعار، فلا تبرحوا

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۱۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۸۲

مصافكم و لا تخطوا إليهم بخطوة و لا تبدءوهم بقتال، و اشرعوا الرماح و استتروا بالدرق، و الزموا الصمت إلا من ذكر الله حتى آمركم إن شاء الله.

و خرج معاذ يقص على الناس، و يقول: يا قراء القرآن و مستحفظى الكتاب و أنصار الهدى و أولياء الحق، إن رحمة الله لا تنال بالتوانى، و جنته لا تدخل بالأمانى، و لا يؤتى الله المغفرة و الرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله، أ لم تسمعوا لقول الله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً [النور: ۵۵] إلى رأس الآية، أنتم إن شاء الله منصورون، فأطيعوا الله و رسوله: وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال: ۴۶]، و استحيوا من ربكم أن يراكم فرارا من عدوكم، و أنتم فى قبضته و رحمته، و ليس لأحد منكم ملجأ و لا منجى من دونه، و لا متعزز بغير الله، و جعل يمشى فى الصفوف يحرضهم و يقص عليهم، ثم انصرف إلى موضعه.

قال سهل بن سعد «۱»: و مر عمرو بن العاص يومئذ على الناس، فجعل يعظهم و يحرضهم و يقول: أيها الناس، غضوا أبصاركم، و اجثوا على الركب، و أشرعوا الرماح، و الزموا مراكزكم و مصافكم، فإذا حمل عليكم عدوكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا فى وجوههم وثوب الأسد فو الذى يرضى الصدق و يثيب عليه، و يمقت الكذب و يعاقب عليه، و يجزى الإحسان، لقد بلغنى أن المسلمين سيفتحونها كفرا كفرا و قصرا قصرا، فلا يهولنكم جموعهم و لا عددهم، فلو قد صدقتموهم الشدة لقد ابذعروا ابذعرار أولاد الحجل.

قال: و كان أبو سفيان بن حرب استأذن عمر بن الخطاب فى جهاد الروم بالشام، فقال له: إنى أحب أن تأذن لى فأخرج إلى الشام متطوعا بمالى فأنصر المسلمين، و أقاتل المشركين و أحض جماعة من هناك من المسلمين، فلا آلوهم نصيحة و لا خيرا، فقال له عمر: قد أذنت لك يا أبا سفيان، تقبل الله جهادك و بارك لك فى رأيك، و أعظم أجرك فيما نويت من ذلك، فتجهز أبو سفيان بأحسن الجهاز، و فى أحسن هيئة، ثم خرج و صحبته أناس من المسلمين كثير، خرجوا متطوعين، فأحسن أبو سفيان صحبتهم حتى قدموا على جماعة المسلمين، و لما خرج المسلمون إلى عدوهم باليرموك كان أبو سفيان يومئذ يسير فى الناس، و يقف على أهل كل راية، و على كل جماعة فيحض الناس

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۱۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۸۳

و يعظهم و يقول: إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم فى دار العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين، و أمداد المسلمين، و قد و الله أصبحتم بإزاء عدو كثير عددهم شديد عليكم حنقهم، و قد وترتموهم فى أنفسهم و نسائهم و أولادهم و بلادهم و أموالهم، فلا و الله لا ينجيكم منهم اليوم و لا تبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء و الصبر فى مواطن المكروه، فتقربوا إلى خالقكم، و امتنعوا بسيوفكم، و لتكن هى الحصون التى إليها تلجون، و بها تمتنعون.

و قاتل أبو سفيان يومئذ، قتالا شديدا، و أبلى بلاء حسنا.

قال: و زحف الروم إلى المسلمين و هم يزفون زفا، و معهم الصلبان، و أقبلوا بالأساقفة و القسيسين و الرهبان و البطارقة و الفرسان، و

لهم دوی کدوی الرعد، و قد تبایع عظمهم على الموت، و دخل منهم ثلاثون ألفا فی السلاسل، کل عشرة فی سلسلة لئلا یفروا، فلما نظر إلیهم خالد بن الولید مقبلین، أقبل على نساء المسلمین و هن على تل مرتفع فی العسکر، فقال: یا نساء المسلمین، أیما رجل أدرکته منهزما فاقتلنه، فأخذن العناهر، و هی عمد البیوت، ثم أقبلن نحو المسلمین فقلن: لستم بعولتنا إن لم تمنعونا الیوم، و أقبل خالد إلى أبی عبیدة، فقال: إن هؤلاء قد أقبلوا فی عدد وحد وجد، و إن لهم لشدة لا یردها شیء، و لیست خیل المسلمین بکثیرة، و لا و الله لأقامت خیلی لشدة حملتهم و خیلهم و رجالهم أبدا، و خیل خالد یومئذ أمام صفوف المسلمین، و المسلمون ثلاثة صفوف.

قال خالد: فقد رأیت أن أفرق خیلی، فأکون أنا فی إحدى الخیلین، و یکون قیس بن هبیرة فی الخیل الأخرى، ثم تقف خیلنا من وراء المیمنة و المیسرة، فإذا حملوا على الناس فإن ثبت المسلمون فالله ثبتهم و ثبت أقدامهم، و إن کانت الأخرى حملت علیهم خیولنا و هی جامة على میمنتهم و میسرتهم، و قد انتهت شدة خیلهم و قوتها، و تفرقت جماعتهم و نقضوا صفوفهم، و صاروا نشرا «۱»، ثم تحمل علیهم و هی بتلک الحال، فأرجو عندها أن یظفر الله بهم و یجعل دائرة السوء علیهم، و قال لأبی عبیدة: قد رأیت لک أن توقف سعید بن زید موقفک هذا و تقف أنت بحذائه من ورائه فی جماعة حسنة، فتکون ردءا للمسلمین، فقبل أبو عبیدة مشورته، و قال: أفعل ما أراک الله و أنا فاعل ما ذکرت، فأمر أبو عبیدة سعید بن زید فوقف فی مکانه، و رکب هو فسار فی الناس فحرضهم و أوصاهم بتقوى الله و الصبر، ثم انصرف فوقف من وراء الناس ردءا لهم، و أقبلت الروم کقطع اللیل حتى إذا حاذوا المیمنة نادى معاذ بن جبل الناس فقال: یا عباد الله المسلمین،

---

(۱) صاروا نشرا: أی منتشرین متفرقین متطایرین.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۴

إن هؤلاء قد تیسروا للشدة علیکم، و لا و الله لا یردهم إلا صدق اللقاء و الصبر فی البأساء، ثم نزل عن فرسه و قال: من أراد أن یأخذ فرسی و یقاتل علیه فلیأخذه، فوثب إلیه ابنه عبد الرحمن بن معاذ، و هو غلام حین احتلم، فقال: یا أبة، إنی لأرجو أن أکون فارسا أعظم غناء عن المسلمین منی راجلا، و أنت یا أبة راجلا أعظم غناء منک فارسا، و عظم المسلمین رجالة، و إذا رأوک صابرا محتسبا صبروا إن شاء الله و حافظوا، فقال له معاذ: وفقنی الله و إیاک یا بنی لما یحب و یرضى، فقاتل معاذ و ابنه قتالا شدیدا ما قاتل مثله کثیر من المسلمین، ثم إن الروم تحاضوا و تداعوا و قصت علیهم الأساقفة و الرهبان و قد دنوا من المسلمین، فإذا سمع ذلک معاذ منهم قال: اللهم زلزل أقدامهم و أرعب قلوبهم و أنزل علینا السکینة و ألزمنا کلمة التقوى و حبب إلینا اللقاء و رضنا بالقضاء.

قال: و خرج باهان صاحب الروم فجال فی أصحابه و أمرهم بالصبر و القتال دون ذراریهم و أموالهم و سلطانهم و بلادهم، ثم بعث إلى صاحب المیسرة: أن احمل علیهم، و کان على المیسرة الدرنجار، و کان متنسکا، فقال البطارقة و الروم الذین معه: قد أمرکم أمیرکم أن تحملوا، و تهیأت البطارقة ثم شدوا على المیمنة و فیها الأزد و مذحج و حمیر و حضرموت و خولان، فثبتوا حین صدموا و اقتتلوا قتالا شدیدا، ثم رکبهم من الروم أمثال الجبال، فأزالوا المسلمین عن المیمنة إلى ناحیة القلب، و انکشفت طائفة من المسلمین إلى العسکر، و ثبت عظم الناس فلم یزولوا، و قاتلوا تحت رایاتهم فلم ینکشفوا، و لم تنکشف زبید یومئذ، و هی فی المیمنة، و فیهم الحجاج بن عبد یغوث، والد عمرو بن الحجاج، فنادى: یا خیفان یا خیفان، فاجتمعوا إلیه، ثم شدوا على الروم و هم فی نحو خمسمائة رجل شدة، فلم یتنهنهوا «۱» حتى خالطوا الروم، فقاتلوهم قتالا شدیدا، و شغلوهم عن اتباع من انکشف من المسلمین، و شدت علیهم حضرموت و حمیر و خولان بعد ما کانوا زالوا، ثم رجعوا إلى مواقفهم حتى وقفوا فی الصف حیث کانوا، و استقبل النساء منهزمة المسلمین بالعناهر یضربن بها وجوههم، و ثبتت الأزد و قاتلت قتالا لم یقاتل مثله أحد من تلک القبائل، و قتل منهم مقتلة لم یقتل مثلها من قبیلة من القبائل، و قتل یومئذ عمرو بن الطفیل، ذو النور، و هو یقول: یا معشر الأزد، لا یؤتین المسلمون من قبلکم، و قاتل قتالا شدیدا، قتل من أشدائهم تسعة، ثم قتل هو، یرحمه الله.

و قال جندب بن عمرو بن حممة و رفع رایته: یا معشر الأزد، إنه لا یبقی منکم و لا ینجو من الإثم و العار إلا من قاتل، ألا و إن المقتول شهید، و الخائب من هرب الیوم،

---

(۱) النهنهة: الکف، تقول: نهنهت فلانا فتنهنه، أی کففته فکف.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۵

و قاتل حتی قتل رحمه الله، و نادی أبو هریرة: یا مبرور یا مبرور، فأطافت به الأزد، قال عبد الله بن سراقة: انتهیت إلی أبی هریرة یومئذ، و هو یقول: تزینوا للحور العین و ارغبوا فی جوار ربکم، فی جنات النعیم، فما أنتم فی موطن من مواطن الخیر أحب فیه منکم فی هذا الموطن، ألا- و إن للصابرین فضلهم. قال: فأطافت به الأزد، ثم اضطربوا هم و الروم، فو الذی لا إله إلا هو لرأیت و إنها لتدور بهم الأرض و هم فی مجال واحد کما تدور الرحاء، و ما برحوا یعنی المسلمین، و لا زالوا و رکبهم من الروم أمثال الجبال، فما رأیت موطنا قط أکثر قحفا ساقطا و معصما نادرا و کفا طائحة من ذلک الموطن، و قد و الله أوحلناهم شرا و أوحلونا.

و کان جل القتال فی المیمنة، و أن القلب لیلقون مثل ما نلقی، و لکن حمة القوم وجدهم و حردهم و حنقهم علینا، و کنا فی آخر المیمنة، فلقد لقینا من قتالهم ما لم یلق أحد مثله، فو الله إنا لکذلک نقاتلهم و قد دخل عسکرنا منهم نحو من عشرین ألفا من ورائنا، فعصمنا الله من أن نزول، حمل علیهم خالد بن الولید فقصف بعضهم علی بعض، و شدخ منهم فی العسکر نحوا من عشرة آلاف، و دخل سائرهم بیوت المسلمین فی العسکر مجرحین و غیر مجرحین، ثم خرج خالد یکرد و یقتل کل من کان قریبا منا من الروم حتی إذا حاذانا ألف خیله بعضها إلی بعض، ثم قال: یا أهل الإسلام، إنه لم یبق عند القوم من الجد و القتال إلا ما قد رأیتم، فالشدة، فو الذی نفسی بیده لیعطینکم الله الظفر الساعة علیهم، فجعل لا یسمع هذا القول من خالد أحد من المسلمین إلا شجعه علیهم، ثم إن خالدا اعترض الروم و إلی جنبه منهم أکثر من مائة ألف، فحمل علیهم، و ما هو إلا فی نحو من ألف فارس، فو الله ما بلغتهم الحملة حتی فض الله جمعهم.

قال: و شددنا علی من یلینا من رجالتهم، فانکشفوا و اتبعناهم نقتلهم کیف شئنا، ما یمتنعون من قتل میمنتنا لمیسرتهم، قال: ثم إن خالدا انتهی إلی الدرنجار و قد قال لأصحابه: لفونی بالثیاب، فلیت أنی لم أقاتل هؤلاء القوم الیوم، فلفوه بالثیاب، و قال:

لوددت أن الله عافانی من حرب هؤلاء القوم فلم أرهم و لم یرونی، و لم أنصر علیهم و لم ینصروا علیّ، و هذا یوم سوء، فما شعر حتی غشیه المسلمون فقتلوه.

و قال ابن قماطر و هو فی میمنة الروم لجرجیر، صاحب أرمینیة: احمل علیهم، فقال له: أنت تأمرنی أن أحمل علیهم و أنا أمیر مثلک؟ فقال له ابن قماطر: أنت أمیر و أنا أمیر فوقک، و قد أمرت بطاعتی، فاختلفا، ثم إن ابن قماطر حمل علی المسلمین حملة شدیدة علی المیسرة و فیها کنانة و قیس و لخم و جذام و عاملة و غسان و خثعم و قضاعة، فانکشف

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۶

المسلمون و زالت المیسرة عن مصافها، و ثبت أهل الرایات و أهل الحفاظ، فقاتلوا قتالا شدیدا، و رکبت الروم أکتاف من انهزم من المسلمین حتی دخلوا معهم العسکر، فاستقبلهم نساء المسلمین بالعناهر یضربن بها وجوههم.

و عن حنظلة بن جویه قال «۱»: و الله إنی لفی المیسرة إذ مر بنا رجال من الروم علی خیل من خیل العرب لا یشبهون الروم و هم أشبه شیء بنا، فلا أنسی قول قائل منهم: یا معشر العرب، الحقوا بوادی القری و یثرب، و هو یقول:

فی کل یوم خیلنا تغیرنحن لنا البلقاء و السدیر

هیهات یأبی ذلک الأمیرو الملک المتوج المحبور قال: فحملت علیه و حمل علیّ، فاضطربنا بسیفینا فلم یغنینا شیئا ثم اعتنقنا، فخررنا جمیعا فاعترکنا ساعة، ثم إننا تحاجزنا، فنظرت إلی عنقه و قد بدا منها مثل شراک النعل، فمشیت إلیه فاعتمدت ذلک الموضع بسیفی،

فو الله ما أخطأته، فقطعته فصرع، فضربته حتى قتلته، و أقبلت إلى فرسى و قد كان عار، و إذا فرسى قد حبسوه علىّ، فأقبلت حتى ركبته، قال: و قاتل قباث بن أشيم يومئذ، قتالا شديدا، و أخذ يقول:

إن تفقدونى تفقدوا خير فارس لدى الغمرات و الرئيس المحاميا

و ذا فخر لا يملأ الهول صدره ضروبا بنصل السيف أروع ماضيا و كسر فى الروم يومئذ ثلاثة أرماح، و قطع سيفين، و يقول كلما قطع سيفا أو كسر رمحا: من يعين بسيف أو برمح فى سبيل الله رجلا قد حبس نفسه مع أولياء الله و قد عاهد الله ألا يفر و لا يبرح يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت. و كان من أحسن الناس بلاء يومئذ.

و نزل أبو الأعور السلمى، فقال: يا معشر قريش، خذوا بحظكم من الصبر و الأجر، فإن الصبر فى الدنيا عز و مكرمة، و فى الآخرة رحمة و فضيلة، فاصبروا و صابروا.

و عن حبيب بن مسلمة قال «۲»: اضطرنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله سعيد ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد، جثا و الله على ركبتيه حتى إذا دنوا وثب فى وجوههم مثل الليث، فطعن برايته أول رجل من القوم فقتله، و أخذ و الله يقاتل راجلا قتال الرجل البئيس الشجاع فارسا، قال: و كان يزيد بن أبى سفيان من أعظم الناس غناء

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۲۷).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۲۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۸۷

و أحسنه بلاء هو و أبوه جميعا، و قد كان أبوه مر به و هو يحرض الناس و يعظمهم، فقال:

يا بنى، إنك تلى من أمر المسلمين طرفا، و يزيد يومئذ على ربع الناس، و إنه ليس بهذا الوادى رجل من المسلمين إلا و هو محقوق بالقتال، فكيف بأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين، أولئك أحق الناس بالجهاد و الصبر و النصيحة، فاتق الله يا بنى، و اكرم فى أمرك، و لا يكونن أحد من أصحابك أرغب فى الآخرة و لا فى الصبر فى الحرب و لا أشد نكاية فى المشركين، و لا أجهد على عدو الإسلام و لا أحسن بلاء منك. فقال يزيد:

أفعل و الله يا أبة، فقاتل فى الجانب الذى كان فيه قتالا شديدا.

قال: و شد على عمرو بن العاص جماعة من الروم فانكشف عنه أصحابه و ثبت عمرو فجالدهم طويلا، و قاتل شديدا، ثم تراجع إليه أصحابه، قال: فسمعت أم حبيبة بنت العاص تقول: قبح الله رجلا يفر عن حليلته، و قبح الله رجلا يفر عن كريمته، و سمعت نسوة من المسلمين يقلن: قاتلوا أيها المسلمون فلستم بعولتنا إن لم تمنعونا، و أخذن العناهر، فكلما مر بهن منهزم من المسلمين حملن عليه حتى يضربن وجهه و يرددنه إلى جماعة المسلمين.

و قاتل شرحبيل بن حسنة فى ربعه الذى كان فيه قتالا شديدا، و كان إلى جنبه سعيد ابن زيد، وسطا من الناس، و جعل ينادى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ إلى آخر الآية [التوبة: ۱۱۱] ثم جعل يقول: أين الشارون أنفسهم من الله بابتغاء مرضات الله؟ أين المشاءون إلى جوار الله غدا فى داره، فاجتمع إليه ناس كثير و بقى القلب لم ينكشف، و فيه أهله الذين كانوا مع سعيد بن زيد، و كان أبو عبيدة من وراء ظهور المسلمين ردءا لهم.

فلما رأى قيس بن هبيرة أن خيل المسلمين مما يلى الميسرة قد شد عليهم الروم اعترض الروم بخيله و هى الشطر من خيل خالد، فقصف بعضهم على بعض، و حمل خالد من ميمنة المسلمين على ما يليه من الروم حتى اضطرهم إلى صفوفهم، فقصف بعضهم على بعض، و زحف إليه المسلمون جماعتهم رويدا رويدا حتى إذا دنوا منهم حملوا عليهم، فجعلت الروم ينقضون صفوفهم و ينهزمون، و

بعث أبو عبیدة إلى سعید بن زید: أن احمل علیهم، فحمل علیهم، و شد المسلمون بأجمعهم، فضرب الله وجوه الروم، و منح المسلمین أکتافهم، یقتلونهم کیف شاءوا، لا یمتنعون من أحد من المسلمین، و انتهى خالد بن الولید إلى الدرنجار، و کان کارها لقتال المسلمین، لما کان یجد من صفتهم فی الکتب،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۸

و کان یقرأها، فقال خالد: إن کنت لأحب أن أراه، فضربه المسلمون حتى قتلوه، و إنه لملفف رأسه بکساء، و اتبعهم المسلمون یقتلونهم کل قتلة، و رکب بعضهم بعضا حتى انتهوا إلى مکان مشرف على أهویة تحتهم، فجعلوا یتساقطون فیها و لا یبصرون، و هو یوم ذو ضباب، و هم یرتکسون فیها، لا یعلم آخرهم ما یلقى أولهم، حتى سقط فیها نحو من مائة ألف رجل، ما أحصوا إلا بالقصب.

و بعث أبو عبیدة شداد بن أوس بن ثابت فعدهم بها من الغد، فوجد من سقط أکثر من ثمانین ألفا، فسمیت تلک الأهویة الواقوصة حتى الیوم، لأنهم و قصوا فیها و ما فطنوا لتساقطهم حتى انکشف الضباب فأخذوا فی وجه آخر، و قتل المسلمون منهم فی المعرکة بعد ما أدبروا نحوا من خمسین ألفا.

و اتبعهم خالد فی الخیل، فلم یزل یقتلهم فی کل واد و کل شعب و فی کل جبل، حتى انتهى إلى دمشق، فخرج إلیه أهلها، و قالوا له: نحن على عهدنا الذی کان بیننا و بینکم، فقال لهم خالد: نعم، و مضى فی اتباعهم یقتلهم فی القرى و الأودیة و الجبال حتى انتهى إلى حمص، فخرج إلیه أهلها، فقالوا له مثل ما قال أهل دمشق فی العهد، فقال لهم: نعم.

و أقبل أبو عبیدة على قتلى المسلمین، رحمهم الله و جزاهم عن الإسلام و أهله خیرا، فدفنهم، فلما فرغ من ذلک جاءه النعمان بن محمیة ذو الأنف الخثعمی یسأله أن یعقد له على قومه، فعقد له علیهم، و کانت خثعم قد رأست رجلا آخر منهم من بنی عمرو یدعى ابن ذی السهم، فاختصم هو و ذو الأنف إلى أبی عبیدة فی الرئاسة قبل الوقعة، فأخرهم أبو عبیدة إلى أن یفرغوا من حربهم و یناجزوا عدوهم، ثم ینظر فی أمرهم، فلما التقى الناس استشهد هنالک ابن ذی السهم الخثعمی، فعقد أبو عبیدة للنعمان ذی الأنف على خثعم.

قال: و جاء الأشتر مالک بن الحارث النخعی، فقال لأبی عبیدة: اعقد لی على قومی، فعقد له، و کانت قصته مثل قصة الخثعمی، و ذلک أنه أتى قومه و علیهم رجل منهم فخاصمهم الأشتر فی الرئاسة إلى أبی عبیدة، فدعا أبو عبیدة النخع، فقال: أی هذین أرضى فیکم و أعجب إلیکم أن یرأس علیکم؟ فقالوا: کلاهما شریف و فینا رضى و عندنا ثقة، فقال أبو عبیدة: کیف أصنع بکما؟ ثم قال للأشتر: أین کنت حین عقدت لهذا الرایة؟ قال: کنت عند أمیر المدینة، ثم أقبلت إلیکم، قال: فقدمت على هذا و هو رأس

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۸۹

أصحابک؟ قال: نعم، قال: فإنه لا ینبغی لک أن تخاصم ابن عمک و قد رضیت به جماعة قومک قبل قدومک علیهم، قال الأشتر: فإنه رضى شریف و أهل ذلک هو، و أنا أهل الرئاسة، فلتعقبنی من رئاسة قومی فألیهم کما ولیهم هذا، فقال أبو عبیدة: تأخروا ذلک حتى تکون هذه الوقعة، فإن استشهدتما جمیعا فما عند الله خیر لکما، و إن هلک أحدکما و بقی الآخر کان الباقی منکما الرأس على قومه، و إن تبقیا جمیعا أعقبناک منه إن شاء الله، قال الأشتر: فقد رضیت، فلما کانت الواقعة استشهد فیها رأس النخع الأول، فعقد أبو عبیدة للأشتر عند ذلک.

و فی حدیث آخر أن الأشتر کان من جلداء الرجال و أشدائهم و أهل القوة و النجدة منهم، و أنه قتل یوم الیرموک، قبل أن ینهزموا أحد عشر رجلا من بطارقتهم، و قتل منهم ثلاثة مبارزة و توجه مع خالد فی طلب الروم حین انهزموا، فلما بلغوا ثنیة العقاب من أرض دمشق و علیها جماعة من الروم عظیمة، أقبلوا یرمون المسلمین من فوقهم بالصخر، فتقدم إلیهم الأشتر فی رجال من المسلمین، و إذا أمام الروم رجل جسیم من عظمائهم و أشدائهم، فوثب إلیه الأشتر لما دنا منه، فاستویا على صخرة مستویة، فاضطربا بسیفیهما، فضرب الأشتر کتف الرومی فأطارها، و ضربه الرومی بسیفه فلم یضره شیئا، و اعتنق کل واحد منهما صاحبه، ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقعا منها، ثم تدحرجا، و الأشتر یقول و هما یتدحرجان: إِنَّ صَلاتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیایَ وَ مَماتِی لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ لا شَرِیکَ لَهُ وَ

بِذلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: ۱۶۲، ۱۶۳]، فلم يزل يقول هذا و هو فى ذلك ملازم العلج لا يتركه، حتى انتهيا إلى موضع مستو من الجبل، فلما استقرا فيه وثب الأشتر على الرومى فقتله، ثم صاح فى الناس: أن جوزوا، فلما رأت الروم أن صاحبهم قد قتله الأشتر خلوا سبيل العقبة للناس، ثم انهزموا.

و أقبل أبو عبيدة فى أثر خالد حتى انتهى إلى حمص، فأمر خالدا أن يتقدم إلى قنسرين، و لما انتهت الهزيمة إلى ملك الروم و هو بأنطاكية، قال: قد كنت أعلم أنهم سيهزمونكم، فقال له بعض جلسائه: و من أين علمت ذلك أيها الملك، قال من حيث أنهم تحبون الموت كما نحبون أنتم الحياة، و يرغبون فى الآخرة أشد من رغبتكم فى الدنيا، و لا يزالون ظاهرين ما كانوا هكذا، و ليغين كما غيرتم، و لينقضن كما نقضتم.

و فى حديث عن عبد الله بن قرط «۱»: أن أول من جاء ملكهم بالهزيمة رجل منهم، فقال له: ما وراءك؟ قال: خير، أيها الملك، هزمهم الله و أهلكهم، يعنى المسلمين، قال:

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۳۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص: ۲۹۰

ففرح بذلك من حوله و سروا و رفعوا أصواتهم، فقال لهم ملكهم: ويحكم، هذا كاذب، و هل ترون هيئة هذا إلا هيئة منهزم، سلوه ما جاء به، فلعمرى ما هو ببريد، و لو لم يكن هذا منهزما ما كان ينبغى له أن يكون إلا مع أميره مقيما، فما كان بأسرع من أن جاء آخر، فقال له: ويحك، ما وراءك؟ فقال: هزم الله العدو و أهلكهم، قال له هرقل: فإن كان الله أهلكهم فما جاء بك؟.

و فرح أصحابه و قالوا: صدقك أيها الملك، فقال لهم: ويحكم، أ تخادعون أنفسكم، إن هؤلاء و الله لو كانوا ظهروا أو ظفروا ما جاؤكم على متون خيولهم يركضون، و لسبقهم البريد و البشرى، قال: فإنهم لكذلك إذ طلع عليهم رجل من العرب من تنوخ على فرس له عربية، يقال له حذيفة بن عمرو، و كان نصرانيا، فقال قيصر: ما أظن خبر السؤال إلا عند هذا، فلما دنا منه قال له: ما عندك؟ قال: الشر، قال: وجهك الذى بشرنا بالشر، ثم نظر إلى أصحابه، فقال: خبر سوء جاء به رجل سوء من قوم سوء، فإنهم لكذلك إذ جاءه رجل من عظماء الروم، فقال له الملك: ما وراءك؟ قال: الشر، هزمنا. قال: فما فعل أميركم باهان؟ قال: قتل، قال: فما فعل فلان و فلان، يسمى له عددا من أمرائه و بطارقته و فرسانه، فقال: قتلوا، فقال له: لكنك و الله أنت أخبث و ألأم و أكفر من أن تذب عن دين أو تقاتل على دنيا.

ثم قال لشرطه: أنزلوه، فأنزلوه، فجاءوا به، فقال له: أ لست كنت أشد الناس علىّ فى أمر محمد نبى العرب حين جاءنى كتابه و رسوله، و كنت قد أردت أن أجيبه إلى ما دعانى إليه و أدخل فى دينه، فكنت أنت من أشد الناس علىّ حتى تركت ما أردت من ذلك؟ فهلا قاتلت الآن قوم محمد و أصحابه دون سلطانى، و على قدر ما كنت لقيت منك إذ منعتنى من الدخول فى دينه؟ اضربوا عنقه، فقدموه فضربوا عنقه، ثم نادى فى أصحابه بالرحيل راجعا إلى القسطنطينية، فلما خرج من الشام و أشرف على أرض الروم استقبل الشام، فقال: السلام عليك يا سورية، سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبدا، ثم قال: ويحك أرضا، ما أنفعك لعدوك، لكثرة ما فيك من العشب و الخصب و الخير.

و عن عمرو بن عبد الرحمن «۱»: أن هرقل حين خرج من أنطاكية، أقبل حتى نزل الرها، ثم منها كان خروجه إلى القسطنطينية، و أقبل خالد فى طلب الروم حتى دخل أرض قنسرين، فلما انتهى إلى حلب تحصن منه أهلها، و جاء أبو عبيدة حتى نزل عليهم، فطلبوا الصلح و الأمان، فقبل منهم أبو عبيدة فصالحهم، و كتب لهم أمانا.

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۳۷).

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۲۹۱

و عن الحسن بن عبد الله «۱»: أن الأشتر قال لأبی عبیدة: ابعث معی خیلا أتبع آثار القوم، فإن عندی جزاء و غناء، فقال له أبو عبیدة: و الله إنك لخلیق بكل خیر، فبعثه فی ثلاثمائة فارس، و قال له: لا تتباعد فی الطلب، و كن منی قریبا، فكان یغیر علی مسیرة الیوم منه و الیومین، و نحو ذلك.

ثم إن أبا عبیدة دعا میسرة بن مسروق فسرحه فی ألفی فارس، فمضی فی آثار الروم حتی قطع الدروب، و بلغ ذلك الأشتر، فمضی حتی لحقه، فإذا میسرة مواقف جمعا من الروم أكثر من ثلاثین ألفا، و كان میسرة قد أشفق علی من معه، و خاف علی نفسه و علی أصحابه، فإنهم لكذلك إذ طلع علیه الأشتر فی ثلاثمائة فارس من النخع، فلما رآهم أصحاب میسرة كبروا و كبر الأشتر و أصحابه، و حمل علیهم من مكانه ذلك، و حمل میسرة فهزموهم، و ركبوا رءوسهم، و اتبعتهم خیل المسلمین یقتلونهم، حتی انتهوا إلی موضع مرتفع من الأرض، فعلوا فوقه، و أقبل عظیم من عظمائهم معه رجالة كثیرة من رجالتهم، فجعلوا یرمون خیل المسلمین من مكانهم المشرف، فإن خیل المسلمین لمواقفتهم إذ نزل رجل من الروم أحمر عظیم جسیم، فتعرض للمسلمین لیخرج إلیه أحدهم، قال: فو الله ما خرج إلیه رجل منهم، فقال لهم الأشتر: أما منكم من أحد یخرج لهذا العلج؟ فلم یتكلم أحد.

قال: فنزل الأشتر، ثم خرج إلیه، فمشی كل واحد منهما إلی صاحبه و علی الأشتر الدرع و المغفر، و علی الرومی مثل ذلك، فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه شد الأشتر علیه فاضطربا بسیفیهما، فوقع سیف الرومی علی هامة الأشتر، فقطع المغفر و أسرع السیف فی رأسه، حتی كاد ینشب فی العظم، و وقعت ضربة الأشتر علی عاتق الرومی، فلم تقطع شیئا من الرومی، إلا أنه ضربه ضربة شدیدة أو هنت الرومی و أثقلت عاتقه، ثم تحاجزا.

فلما رأی الأشتر أن سیفه لم یصنع شیئا، انصرف فمشی علی هیئته حتی أتی الصف، و قد سال الدم علی لحیته و وجهه، فقال: أخزی الله هذا سیفا، و جاءه أصحابه، فقال: علیّ بشیء من حناء، فأتوه به من ساعته، فوضعه علی جرحه، ثم عصبه بالخرق، ثم حرك لحیته و ضرب أضراسه بعضها ببعض، ثم قال: ما أشد لحیتی و رأسی و أضراسی، و قال لابن عم له: امسك سیفی هذا و أعطنی سیفك، فقال: دع لی سیفی، رحمك الله، فإنی لا أدری لعلی احتاج إلیه، فقال: أعطنیه و لك أم النعمان یعنی ابنته، فأعطاه إیاه،

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۳۷، ۲۳۹).

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۲۹۲

فذهب لیعود إلی الرومی، فقال له قومه، ننشدك الله أ لا تتعرض لهذا العلج، فقال: و الله لأخرجن إلیه فلیقتلنی أو لأقتلنه، فتركوه، فخرج إلیه.

فلما دنا منه شد علیه و هو شدید الحنق، فاضطربا بسیفیهما، فضربه الأشتر علی عاتقه، فقطع ما علیه حتی خالط السیف رئته، و وقعت ضربة الرومی علی عاتق الأشتر، فقطعت الدرع ثم انتهت و لم تضره شیئا، و وقع الرومی میتا، و كبر المسلمون، ثم حملوا علی صف رجالة الروم، فجعلوا یتنقضون و یرمون المسلمین و هم من فوق، فما زالوا كذلك حتی أمسوا و حال بینهم اللیل، و باتوا لیلتهم یتحارسون.

فلما أصبحوا أصبحت الأرض من الروم بلاقع، فارتحل الأشتر منصرفا بأصحابه، و مضی میسرة فی أثر القوم حتی بلغ مرج القبائل بناحیة أنطاكیة، و المصیصة، ثم انصرف راجعا، و كان أبو عبیدة حین بلغه أنهم قد أدبروا أشفق علیهم و جزع و ندم علی إرساله إیاهم، قال: فإنه لجالس فی أصحابه مستبطئا لقدومهم متأسفا علی تسریحهم، إذ أتی فبشر بقدوم الأشتر، و جاء فحدثه بما كان من أمرهم و لقائهم ذلك الجیش، و هزیمتهم إیاه، و ما صنع الله لهم، و لم یذكر مبارزة الرومی و قتله إیاه حتی أخبره غیره، و سأله عن میسرة و أصحابه، فأخبروه بالوجه الذی توجه فیه، و أخبره أنه لم یمنعه من التوجه إلا الشفقة علی أصحابه، و ألا یصابوا بعد ما ظفروا،

فقال: قد أحسنت، و ما أحب الآن أنك معهم، و لوددت أنهم كانوا معكم.

قال: فدعا ناسا من أهل حلب، فقال: اطلبوا إلىّ إنسانا دليلا عالما بالطريق أجعل له جعلا عن أن يتبع آثار هذه الخيل التى بعثتها فى طلب الروم حتى يلحقها، ثم يأمرها بالانصراف إلىّ ساعة يلقاها، فجاءوه بثلاثة رجال، فقالوا: هؤلاء علماء بالطريق جراء عليها أدلاء بها، و هم يخرجون فى آثار خيلك حتى يأتوها بأمرك، فكتب أبو عبيدة إلى ميسرة:

أما بعد، فإذا أتاك رسولى هذا فأقبل إلىّ حين تنظر فى كتابى، و لا تعرجن على شيء، فإن سلامة رجل واحد من المسلمين أحب إلىّ من جميع أموال المشركين، و السلام عليك.

فأخذوا كتابه، ثم خرجوا به، فاستقبلوا ميسرة حين هبط من الدروب راجعا، و قد عافاه الله و أصحابه و غنمهم و سلمهم، فدفعوا إليه كتاب أبى عبيدة، فلما قرأه قال:

جزاه الله من وال على المسلمين خيرا، ما أشفقه و أنصحه، ثم أقبل الرسل فبشروا أبا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۳

عبيدة بسلامتهم و انصرافهم، فحمد الله على ذلك، و أقام حتى قدم عليه ميسرة، و كتب أمانا على الناس من أهل قنسرين، ثم أمر مناديه بالرحيل إلى إيلياء، و قدم خالدا على مقدمته بين يديه، و بعث على حمص حين انتهى إليها حبيب بن سلمة، و أرض قنسرين إذ ذاك مجموعة إلى صاحب حمص، و إنما فتحت قنسرين بعد ذلك فى خلافة يزيد بن معاوية، ثم خرج من حمص و مر بدمشق، فولاها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ثم خرج حتى مر بالأردن، فنزلها، فعسكر بها، و بعث الرسل إلى أهل إيلياء، و قال: اخرجوا إلىّ أكتب لكم أمانا على أنفسكم و أموالكم، و نفى لكم كما وفينا لغيركم، فتثاقلوا و أبوا، فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء و سكانها، سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله العظيم و رسله، أما بعد، فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من فى القبور، فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم و أموالكم و كنتم إخواننا فى ديننا، و إن أبيتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية و أنتم صاغرون، فإن أبيتم سرت إليكم بقوم، هم أشد للموت حبا منكم لشرب الخمر و أكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتلتكم و أسبى ذراريكم.

قال: و كتب إلى عمر بن الخطاب حين أظهره الله على أهل اليرموك و خرج يطلبهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، أما بعد، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، و الحمد لله الذى أهلك المشركين، و نصر المسلمين، و قديما تولى الله نصرهم، و أظهر فلجهم، و أعز دعوتهم، فتبارك الله رب العالمين.

أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله، أنا لقينا الروم فى جموع لم تلق العرب جموعا قط مثلها، فأتوا و هم يرون أن لا غالب لهم من الناس، فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا، ما قوتل المسلمون مثله فى موطن قط، و رزق الله المؤمنين الصبر، و أنزل عليهم النصر، فقتلوهم فى كل قرية و كل شعب و واد و سهل و جبل، و غنم المسلمون عسكرهم، و ما كان فيه من أموالهم، و متاعهم، ثم إنى اتبعتهم بالمسلمين حتى بلغنا أقصى بلادهم، و قد بعثت إلى أهل الشام عمالا، و بعثت إلى أهل إيلياء أدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا و إلا فليؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون، فإن أبوا سرت إليهم حتى أنزل بهم، ثم لا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۴

أزايلهم حتى يفتح الله على المسلمين إن شاء الله، و السلام عليك.

فكتب إليه عمر رضى الله عنه: من عبد الله بن عمر أمير المؤمنين، إلى أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فقد أتانى كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه من إهلاك الله المشركين و نصره المؤمنين، و ما صنع لأوليائه و أهل

طاعته، فالحمد لله علی صنیعه إلینا، و نستتم من الله ذلک بشکره، ثم اعلموا أنکم لم تنصروا علی عدوکم بعدد و لا عدة و لا حول و لا قوة، و لکنه بعون الله و نصره و منه تعالی و فضله، فلله المن و الطول و الفضل العظیم، فتبارک الله أحسن الخالقین، و الحمد لله رب العالمین.

فهذه الأحادیث التی أوردها أصحاب فتوح الشام فی کتبهم عن وقعة الیرموک، و قد أوردها غیرهم علی صفة تخالف أکثر ما تقدم مساقا و تاریخا، حسب ما یظهر لمن یقف علی جمیعها، و اختلاف الأخبار من جهة النقل أمر مألوف، و إعادة أمثال هذه الآثار التی هی کیف ما وقعت من آیات الإسلام شیء غیر مملول. و نحن نذکر من ذلک ما یحسن فی هذا المجموع ذکره، و یلیق بالمقصود إیراده إن شاء الله تعالی.

فمن ذلک أن ابن إسحاق ذکر أن التقاء المسلمین مع الروم بالیرموک کان فی رجب سنة خمس عشرة، و أن الذی لقیهم من الروم هو الصقلار خصی لهرقل، بعثه فی مائة ألف مقاتل أکثرهم من الروم، و سائرهم من أهل أرمینیة، و من المستعربة من غسان و قضاعة، و المسلمون مع أبی عبیدة أربعة و عشرون ألفا، فاقتتل الناس اقتتالا ـ شدیدا حتی دخل عسکر المسلمین، و قاتل نساء من قریش بالسیوف حین دخل العسکر حتی سابقن الرجال، و قد کان انضم إلی المسلمین ناس من لخم و جذام، فلما رأوا جد القتال فروا و خذلوا المسلمین، فقال قائل من المسلمین حین رأی ذلک منهم:

القوم لخم و جذام فی الهربو نحن و الروم بمرج نضطرب

و إن یعودوا بعدها لا نصطحب

ثم إن الله أنزل نصره، فهزمت الروم و جموع هرقل التی جمع، فأصیب منهم سبعون ألفا، و قتل الله الصقلار و باهان، و کان هرقل قدمه مع الصقلار حین لحق به.

و فیما حکاه الطبری «۱» بسنده عن سیف عن شیوخه قالوا: أوعب القواد بالناس نحو الشام، و عکرمة ردء لهم، و بلغ الروم ذلک فکتبوا إلی هرقل، فخرج حتی نزل بحمص،

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۳۹۲- ۳۹۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۹۵

فأعد لهم الجنود و عبأ العسکر، و أراد أن یشغل بعضهم ببعض لکثرة جنده و فضول رجاله، فأرسل أخاه تذارق إلی عمرو بن العاص فی تسعین ألفا، و بعث جرجة بن توذورا نحو یزید بن أبی سفیان فعسکر بإزائه، و بعث الدراقص، فاستقبل شرحبیل بن حسنة، و بعث القیقار بن نسطوس فی ستین ألفا نحو أبی عبیدة، فهابهم المسلمون، و جمیع فرق المسلمین أحد و عشرون ألفا، سوی ستة آلاف مع عکرمة، ففزعوا جمیعا بالکتب و الرسل إلی عمر بن الخطاب، یستدعون رأیه، فراسلهم أن الرأی الاجتماع، و ذلک أن مثلنا إذا اجتمع لم یغلب من قلة، و إذا نحن تفرقنا لم یکن الرجل منا فی عدد یقرن به لأحد ممن استقبله، فاتعدوا الیرموک لیجتمعوا فیه، و قد کتبوا إلی أبی بکر بمثل ما کاتبوا به عمر، فطلع علیهم کتابه بمثل ما کاتبهم به عمر سواء، بأن اجتمعوا و القوا زحوف المشرکین بزحف المسلمین، فإنکم أعوان الله، و الله ناصر من نصره و خاذل من کفره، و لن یؤتی مثلکم من قلة، و إنما یؤتی العشرة آلاف و الزیادة علیها، إذا أتوا من قبل الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، و اجتمعوا بالیرموک متساندین، و لیتصل کل رجل منکم بأصحابه.

و بلغ ذلک هرقل، فکتب إلی بطارقته، أن اجتمعوا لهم و انزلوا بالروم منزلا واسع العطن، واسع المطرد، ضیق المهرب، و علی الناس التذارق، و علی المقدمة جرجة، و علی مجنبتیه باهان و الدراقص، و علی الحرب القیقار، و أبشروا فإن باهان فی الأثر مدد لکم، ففعلوا، فنزلوا الواقوصة، و هی علی ضفة الیرموک، و صار الوادی خندقا لهم، و هو لهب «۱» لا یدرک، و إنما أراد باهان أن یستبقی الروم و یأنسوا بالمسلمین، و ترجع إلیهم أفئدتهم، و انتقل المسلمون من معسکرهم الذی اجتمعوا به، فنزلوا علیهم بحذائهم علی

طریقهم، و لیس للروم طریق إلا علیهم. فقال عمرو: أیها الناس، ألا أبشروا، حصرت و الله الروم، و قل ما جاء محصور بخیر، فأقاموا بإزائهم، و علی طریقهم و مخرجهم، لا یقدرون من الروم علی شیء، و لا یخلصون إلیهم اللهب، و هو الواقوصة من ورائهم، و الخندق من أمامهم، و لا یخرجون خرجة إلا أذیل المسلمون منهم، و قد استمدوا أبا بکر رحمه الله، و أعلموه الشأن فی صفر، یرید من سنة ثلاث عشرة.

و فی حدیث آخر لسیف عن أشیاخه «۲»: أنهم لما استمدوه، قال أبو بکر: خالد لها، و بعث إلیه و هو بالعراق فعزم علیه و استحثه فی السیر، فنفذ خالد لذلک، و طلع علیهم

(۱) لهب: اللهب بالکسر، هو الفرجة بین الجبلین.

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۳۹۳- ۳۹۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۹۶

ففرح به المسلمون، و طلع باهان علی الروم فتیمنوا به، و وافق قدوم أحدهما قدوم الآخر، فولی خالد قتاله، و قاتل الأمراء من بإزائهم، فهزم خالد باهان، و تتابع الروم علی الهزیمة، فاقتحموا خندقهم. و قال راجز من المسلمین فی ذلک:

دعوا هرقلا و دعونا الرحمنو الله قد أخزی جنود باهان

بخالد اللج أبی سلیمان

و حرد المسلمون و حرد المشرکون و هم أربعون و مائتا ألف، منهم ثمانون ألف مقید، و منهم أربعون ألفا مسلسلون للموت، و أربعون ألفا مربوطون بالعمائم، و ثمانون ألف فارس، و المسلمون سبعة و عشرون ألفا ممن کان مقیما إلی أن قدم علیهم خالد فی تسعة آلاف، فصاروا ستة و ثلاثین ألفا، و کان قتالهم علی تساند کل جند و أمیره، لا یجمعهم أحد، حتی قدم علیهم خالد بن الولید من العراق.

و کان عسکر أبی عبیدة بالیرموک مجاورا لعسکر عمرو بن العاص، و عسکر شرحبیل ابن حسنة مجاوزا لعسکر یزید بن أبی سفیان، فکان أبو عبیدة ربما صلی مع عمرو، و شرحبیل مع یزید، و أما عمرو و یزید فکانا لا یصلیان مع أبی عبیدة و شرحبیل، و قدم خالد بن الولید و هم علی حالهم هذه، فعسکر علی حدة، فصلی بأهل العراق.

و وافق خالد بن الولید المسلمین و هم متضایقون بمدد الروم، و علیهم باهان، و وافق الروم و فیهم نشاط بمددهم، فالتقوا فهزمهم الله حتی ألجأهم و أمدادهم إلی الخندق و الواقوصة أحد حدوده، فلزموا خندقهم عامة شهر، یحضضهم القسیسون و الشمامسة و الرهبان، و ینعون لهم النصرانیة، حتی استنصروا، فخرجوا للقتال الذی لم یکن بعده قتال، فلما أحس المسلمون خروجهم، و أرادوا الخروج متساندین، سار فیهم خالد بن الولید، فحمد الله و أثنی علیه، و قال:

إن هذا یوم من أیام الله، لا ینبغی فیه العجز و لا البغی. أخلصوا جهادکم، و أریدوا بعملکم الله، فإن هذا یوم له ما بعده، و لا تقاتلوا قوما علی نظام و تعبئة و أنتم علی تساند «۱» و انتشار، فإن ذلک لا یحل و لا ینبغی، و إن من ورائکم لو یعلم علمکم حال بینکم و بین هذا، فاعملوا فیما لم تؤمروا به بالذی ترون أنه یوافق رأی و إلیکم. قالوا:

فما الرأی؟ قال: إن أبا بکر لم یبعثنا إلا و هو یری أنا سنتیاسر، و لو علم بالذی کان و یکون، لقد جمعکم. إن الذی أنتم فیه أشد علی المسلمین مما غشیهم، و أنفع للمشرکین

(۱) علی تساند: أی علی رایات شتی متعاونین کأن کل واحد منهم یسند علی الآخر و یستعین به.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۲۹۷

من أمدادهم، و لقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله، قد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان، لا ينقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود، و لا يزيده عليه أن دانوا له، و أن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله و لا عند خليفة رسول الله، تهيئوا فإن هؤلاء قوم قد تهيئوا، و هذا يوم له ما بعده، فإن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، و إن هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم و الآخر غدا و الآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم، و دعونى إليكم اليوم.

فأمروه، و هم يرون أنها كخرجاتهم، و أن الأمر أطول مما ساروا إليه، فخرجت الروم فى تعبئة لم ير الراءون مثلها قط، و خرج خالد فى تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك، خرج فى نحو ستة و ثلاثين كردوسا، و قال: إن عدوكم قد كثر و طغى و ليس من التعبئة أكثر فى رأى العين من الكراديس، فجعل القلب كراديس و أقام فيه أبا عبيدة، و جعل الميمنة كراديس، و عليها عمرو بن العاص، و فيها شرحبيل بن حسنة، و جعل الميسرة كراديس و عليها يزيد بن أبى سفيان، و كان خالد على كردوس، و القعقاع بن عمرو و مذعور بن عدى و عياض بن غنم و هاشم بن عتبة و زياد بن حنظلة و عكرمة بن أبى جهل و سهيل بن عمرو و عبد الرحمن بن خالد و هو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة، و حبيب ابن مسلمة، و آخرون غيرهم من جلة الصحابة و أشراف الناس و فرسان العرب، كل واحد منهم على كردوس كردوس.

و فى حديث آخر «۱» أنه شهد اليرموك ألف رجل من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فيهم نحو من مائة رجل من أهل بدر، و كان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس، فيقول:

الله الله، إنكم ذادة العرب و أنصار الإسلام، و إنهم ذادة الروم و أنصار المشركين، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك.

و عن عبد الرحمن بن غنم، و كان شهدها، قال: كان أبو سفيان و أشياخ المسلمين محامية لا يجولون و لا يقاتلون، يفىء إليهم الناس، فإذا كانت على الروم قال، و قالوا:

هلك بنو الأصفر، اللهم اجعله وجههم، و إذا كانت على المسلمين قال و قالوا: يا بنى الإخوان، أين أين اللهم اردد لهم الكرة. فإذا كروا قالوا: إيه يا بنى الإخوان، و إذا حملوا قالوا: اللهم أعنهم و انصرهم.

و فى غير حديث عبد الرحمن «۲»: أن رجلا قال يومئذ لخالد: ما أكثر الروم و أقل

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۷).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۳۹۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۸

المسلمين فقال خالد: ما أقل الروم و أكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر، و تقل بالخذلان لا بعدد الرجال، و الله لوددت أن الأشقر برىء من توجيه، و إنهم أضعفوا فى العدد، و كان فرسه قد حفى فى مسيره، و جعل خالد يوم اليرموك على الطلائع قباث بن أشيم، و كان القارئ يومذاك المقداد.

قالوا: و من السنة التى سن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء، و هى سورة الأنفال، و لم يزل الناس بعد على ذلك.

و لما فرغ خالد من تعبئتهم و زحف إليه المشركون، أمر عكرمة و القعقاع و كانا على مجنبتى القلب، فأنشبا القتال، فنشب، و التحم الناس، و تطارد الفرسان، فإنهم لعلى ذلك إذ قدم البريد من المدينة، و هو محمية بن زنيم، فأخذته الخيول و سألوه الخبر، فلم يخبرهم إلا بسلامه، و أخبرهم عن أمداد تأتيهم، و إنما جاء بموت أبى بكر و تأمير أبى عبيدة، فأبلغوا خالدا، فأسر إليه الخبر، و أخبره بما قال للجند، فقال له: أحسنت، فقف، و أخذ الكتاب فجعله فى كنانته، و خاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر أمر الجند، فوقف الرسول مع

خالد، و خرج جرجة أحد أمراء الروم يومئذ، حتى إذا كان بين الصفين نادى:

ليخرج إلى خالد، فخرج إليه خالد و أقام أبا عبيدة مكانه، فواقفه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما، و قد أمن أحدهما صاحبه، فقال له جرجة: يا خالد، اصدقنى و لا تكذبنى، فإن الحر لا يكذب، و لا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع، بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمته؟ قال: لا، قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه صلى اللّه عليه و سلم فدعانا، فنفرنا منه و نأينا عنه جميعا، ثم إن بعضنا صدقه و تابعه و بعضنا باعده و كذبه، فكنت فيمن كذبه و باعده، و قاتله، ثم أخذ الله تعالى بقلوبنا و نواصينا فهدانا به و تابعناه، فقال: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين، و دعا لى بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد الناس على المشركين، قال: صدقتنى.

ثم أعاد عليه جرجة: يا خالد، أخبرنى إلام تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، و الإقرار بما جاء به من عند الله، قال: فمن لم يجبكم؟ قال:

الجزية، و نمنعهم قال: فإن لم يعطها؟ قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله، قال: فما منزلة الذى يدخل فى دينكم و يجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا و وضيعنا، و أولنا و آخرنا، ثم أعاد عليه جرجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد، مثل ما لكم من الأجر و الذخر؟ قال: نعم، و أفضل. قال: و كيف يساويكم و قد

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۲۹۹

سبقتموه؟ قال: إنا دخلنا فى هذا الأمر و تابعنا نبينا صلى اللّه عليه و سلم و هو حى بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء و يخبرنا بالغيب و يرينا الآيات، و حق لمن رأى ما رأينا و سمع ما سمعنا أن يسلم و يتابع، و إنكم أنتم لم تروا ما رأينا، و لم تسمعوا ما سمعنا من العجائب و الحجج، فمن دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة و نية كان أفضل منا، قال جرجة: صدقتنى بالله و لم تخادعنى و لم تألنى، قال: بالله لقد صدقتك و ما لى إليك و لا إلى أحد منكم حاجة، و إن الله لولى ما سألت عنه، قال: صدقتنى، و قلب الترس، و مال مع خالد، و قال: علمنى الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه، فشن عليه قربة ثم صلى به ركعتين، و حملت الروم مع انقلابه إلى خالد و هم يرون أنها حيلة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم، فركب خالد و معه جرجة، و الروم خلال المسلمين، فتنادى المسلمون، فثابوا، و تزاحفت الروم إلى مواقفهم فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد و جرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة، و لم يصل صلاة يسجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما، و صلى مع الناس: الأولى و العصر إيماء، و تضعضع الروم، و نهد خالد بالقلب، حتى كان بين خيلهم و رجلهم، و كان مقاتلهم واسع المطرد، ضيق المهب، فلما وجدت خيلهم مذهبا ذهبت و تركوا رحلهم فى مصافهم، و خرجت خيلهم تشتد بهم فى الصحراء و أخر الناس الصلاة حتى صلوا بعد الفتح.

و لما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب، أفرجوا لها و لم يحرجوها، فذهبت فتفرقت فى البلاد، و أقبل خالد و المسلمون على الرحل فقضوهم، فكأنما هدم بهم حائط، فاقتحموا فى خندقهم، فاقتحموه عليهم، فعمدوا إلى الواقوصة، فهوى فيها المقترنون و غيرهم، و من صبر من المقترنين هوى به من جشأت نفسه، فهوى الواحد بالعشرة لا يطيقونه، كلما هوى اثنان كان البقية أضعف، حتى تهافت فى الواقوصة عشرون و مائة ألف: من المقترنين ثمانون ألفا، و من المطلقين أربعون ألفا، سوى من قتل فى المعركة من الخيل و الرجل، و تجلل القيقار و أشراف من أشراف الروم برانسهم، ثم جلسوا و قالوا: لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور، و إذ لم نستطع أن نمنع النصرانية، فأصيبوا فى تزملهم.

و لما دخل خالد الخندق، نزله و أحاطت به خيله، و قاتل الناس حتى أصبحوا، قال بعضهم: و أصبح خالد من تلك الليلة و هو فى رواق تذارق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۰

و قال عكرمة بن أبى جهل يومئذ «۱»: قاتلت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى كل موطن، و أفر منكم اليوم، ثم نادى: من يبايع على

الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام، و ضرار بن الأزور فى أربعمائة من وجوه المسلمين و فرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جراحا و ماتوا، إلا من برأ، منهم ضرار بن الأزور، و أتى خالد بعد ما أصبحوا بعكرمة جريحا، فوضع رأسه على فخذه، و بعمرو بن عكرمة، فوضع رأسه على ساقيه، و جعل يمسح عن وجوههما و يقطر الماء فى حلوقهما، و يقول: كلا، زعم ابن حنتمة أنا لا نستشهد.

و أصيبت يومئذ عين أبى سفيان بن حرب، و كان الأشتر قد شهد اليرموك و لم يشهد القادسية، فخرج يومئذ، رجل من الروم، فقال: من يبارز، فخرج إليه الأشتر، فاختلفا ضربتين، فقال للرومى: خذها و أنا الغلام النخعى، فقال الرومى: أكثر الله فى قومى مثلك، أما و الله لو لا أنك من قومى لذدت عن الروم، فأما الآن فلا أعينهم.

و فى حديث عبد الرحمن بن غنم، و ذكر قتال المسلمين تلك الليلة، قال: حتى إذا فتح الله على المسلمين من آخر الليل، و قتلوهم حتى الصباح، أصبحوا فاقتسموا الغنائم، و دفنوا قتلى المسلمين، و بلغوا ثلاثة آلاف، و صلى كل أمير على قتلى أصحابه، و دفع خالد بن الوليد العهد إلى أبى عبيدة بعد ما فرغ من القسم، و دفن الشهداء، و تراجع الطلب، فولى أبو عبيدة، رحمه الله النفل من الأخماس، فنفل و أكثر. و كتب بالفتح.

قالوا «۲»: و كان فى الثلاثة آلاف الذين أصيبوا: عكرمة و ابنه عمرو، و سلمة بن هشام، و عمرو بن سعيد، و أثبت خالد بن سعيد، فلا يدرى أين مات بعد، و قد تقدم ذكر موت خالد فى غير هذه الوقعة، و هذا مما يقع بين الناقلين من الاختلاف الذى تقدم التنبيه عليه، فالله تعالى أعلم.

و عن عمرو بن ميمون و غيره، ذكروا: أن هرقل كان حج بيت المقدس، قال: فبينا هو يقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه، فجمع الروم و قال: أرى من الرأى أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم و أن تصالحوهم، فو الله لئن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام و تأخذوا نصفا و تقر لكم جبال الروم خير لكم من أن يغلبوكم على الشام و يشاركوكم فى جبال الروم، فنخر أخوه و ختنه، و تصدع عنه من كان حوله، فلما رآهم يعصونه و يردون عليه

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۰۱).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۰۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۱

بعث أخاه، و أمر الأمراء، و وجه إلى كل حيز جندا، فلما اجتمع المسلمون أمرهم، يعنى الروم، بمنزل جامع حصين، فنزلوا الواقوصة، و خرج هو فنزل حمص، فلما بلغه أن خالدا قد طلع على سوى و انتسف أهله و أموالهم و عمد إلى بصرى و افتتحها، قال لجلسائه: أ لم أقل لكم لا تقاتلوهم، فإنه لا يقوم لهم أحد، فقالوا: قاتل عن دينك و اقض الذى عليك و لا تجبن الناس، قال: و أى شىء أطلب إلا توقير دينكم.

و لما نزلت جنود المسلمين اليرموك، بعثوا إلى الروم: إنا نريد كلام أميركم و ملاقاته، فدعونا نأته و نكلمه، فأبلغوه، فأذن لهم. فأتاه أبو عبيدة و يزيد بن أبى سفيان كالرسل، و الحارث بن هشام، و ضرار بن الأزور، و أبو جندل بن سهيل، و مع أخى هرقل يومئذ ثلاثون سرادقا كلها من ديباج، فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها، و قالوا: لا نستحل الحرير، فابرز لنا، فبرز إلى فرش ممهدة، و بلغ ذلك هرقل، فقال: أ لم أقل لكم، هذا أول الذل، أما الشام فلا شام، ويل للروم من الولد المشئوم، و لم يتأت بينهم و بين المسلمين صلح، فرجع أبو عبيدة و أصحابه، و اعتدوا، فكان القتال حتى جاء الفتح «۱».

قصة صلح إيلياء و قدوم عمر رضى الله عنه الشام

و كان أبو عبيدة رحمه الله، بعد انقضاء اليرموك، على ما وقع فى كتب فتوح الشام من ذلك «۲»، قد بعث الرسل إلى أهل إيلياء يطلبهم بالخروج إليه ليكتب لهم أمانا على أنفسهم و أموالهم، فتثاقلوا عليه، فكتب إليهم يعرض عليهم الإسلام أو الجزية، أو ينزل بهم حتى يحكم الله له عليهم، و قد أوردنا هذا الكتاب بنصه قبل، فلما أبوا أن يأتوه و أن يصالحوه، أقبل إليهم حتى نزل بهم، فحاصرهم حصارا شديدا، و ضيق عليهم من كل جانب، فخرجوا إليه ذات يوم، فقاتلوهم ساعة، ثم شد عليهم المسلمون فانهزموا و دخلوا حصنهم، و كان الذى ولى قتالهم خالد بن الوليد و يزيد بن أبى سفيان، كل واحد منهما فى جانب فبلغ ذلك سعيد بن زيد و هو على دمشق، فكتب إلى أبى عبيدة:

أما بعد، فإنى لعمرى ما كنت لأوثرك و أصحابك بالجهاد فى سبيل الله على نفسى، و على ما يقربنى من مرضاة ربى، فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى عملك من هو أرغب فيه منى، فليعمل لك عليه ما بدا لك، فإنى قادم عليك وشيكا إن شاء الله، و السلام عليك.

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۴۰۳).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۴۲- ۲۵۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۲

فلما وصل كتابه إلى أبى عبيدة، قال: أشهد ليفعلنها، فقال ليزيد بن أبى سفيان:

اكفنى دمشق، فسار إليها يزيد فوليها.

و كان فى المسلمين رجل من بنى نمير يقال له مخيمس بن حابس بن معاوية، و كان شجاعا، و كان الناس يذكرون منه صلاحا، فقده أصحابه أياما، فكانوا يطلبونه و يسألون عنه فلا يخبرون عنه بشىء، فلما يئسوا منه ظنوا أن قد هلك، و أنه اغتيل، فبينا هم جلوس ذات يوم إذ طلع عليهم مقبلا فى يده ورقتان لم ينظر الناس إلى مثلهما قط أنضر، و لا أعرض عرضا، و لا أطول طولا، و لا أحسن منظرا، و لا أطيب رائحة، ففرح به أصحابه فرحا شديدا، و قالوا له: أين كنت؟ قال: وقعت فى جب فمضيت فيه حتى انتهيت إلى جنة معروشة، فيها من كل شىء، و لم تر عينى مثل ما فيها قط فى مكان، و لم أظن أن الله خلق مثلها، فلبثت فيها هذه الأيام التى فقدتمونى، فى نعيم ليس مثله نعيم، و فى منظر ليس مثله منظر، و فى رائحة لم يجد أحد من الناس قط، أطيب منها، فبينا أنا كذلك، أتانى آت فأخذ بيدى فأخرجنى منها إليكم، و قد كنت أخذت هاتين الورقتين من شجرة كنت تحتها جالسا، فبقيتا فى يدى، فأخذ الناس يشمونهما فيجدون لهما ريحا لم يجدوا لشىء قط أطيب منها، فأهل الشام يزعمون أنه أدخل الجنة و أن تينك الورقتين من ورقها، و يقولون: إن الخلفاء رفعتهما فى الخزانة.

و لما رأى أهل إيلياء أن أبا عبيدة غير مقلع عنهم، و ظنوا أن لا طاقة لهم بحربه، قالوا:

نحن نصالحك، قال: فإنى أقبل منكم الصلح، قالوا: فأرسل إلى خليفتكم عمر، فيكون هو الذى يعطينا العهد، و يكتب لنا الأمان، فقبل ذلك أبو عبيدة، و هم بالكتاب، و كان لا يقطع أمرا دون رأى معاذ، و كان معاذ لا يكاد يفارقه، لرغبته فى الجهاد، فأرسل إليه أبو عبيدة، و كان بعثه إلى الأردن، فلما قدم عليه أخبره، فقال له معاذ: تكتب إلى أمير المؤمنين فتسأله القدوم عليك، فلعله أن يستقدم، ثم يأبى هؤلاء الصلح فيكون سيره عناء و فضلا، فلا تكتب إليه حتى تستحلفهم بأيمانهم المغلظة: لئن: أنت سألته القدوم فقدم عليهم فأعطاهم الأمان و كتب لهم الصلح ليقبلن ذلك و ليصالحن عليه، فأخذ عليهم أبو عبيدة الأيمان المغلظة لئن عمر قدم فأعطاهم الأمان على أنفسهم و أموالهم و كتب لهم على ذلك كتابا ليقبلن و ليؤدن الجزية و ليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام، فلما فعلوا ذلك كتب إليه أبو عبيدة:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو،

أما بعد: فإنا أقمنا على إيلياء، و ظنوا أن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۳

لهم فى المطاولة فرجا و رجاء، فلم يزدهم الله بها إلا ضيقا و نقصا و هزلا و أزلا، فلما رأوا ذلك سألونا أن نعطيهم ما كانوا قبل منه ممتنعين، و له كارهين، و سألونا الصلح على أن يقدم عليهم أمير المؤمنين، فيكون هو المؤمن لهم و الكاتب لهم كتابا، و إنا خشينا أن يقدم أمير المؤمنين ثم يغدر القوم و يرجعوا، فيكون مسيرك، أصلحك الله، عناء و فضلا، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم، لئن أنت قدمت عليهم فامنتهم على أنفسهم و أموالهم ليقبلن ذلك و ليؤدن الجزية، و ليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة، ففعلوا، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا فافعل، فإن فى مسيرك أجرا و صلاحا و عافية للمسلمين، آتاك الله رشدك، و يسر أمرك، و السلام عليك.

فلما أتى عمر رحمه الله، كتاب أبى عبيدة، جمع رءوس المسلمين، فقرأه عليهم و استشارهم فقال له عثمان: إن الله قد أذلهم و حصرهم و ضيق عليهم، و أراهم ما صنع بجموعهم و ملوكهم، و ما قتل من صناديدهم، و فتح على المسلمين من بلادهم، فهم فى كل يوم يزدادون هزلا و أزلا و ذلا و نقصا و ضيقا و رغما، فإن أنت أقمت و لم تسر إليهم علموا أنك بأمرهم مستخف، و لشأنهم محتقر، فلم يلبثوا إلاـ يسيرا حتى ينزلوا على الحكم، و يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون، و إلا حاصرهم المسلمون و ضيقوا عليهم حتى يعطوا بأيديهم. فقال عمر: ما ذا ترون؟ هل عند أحد منكم غير هذا الرأى؟. فقال على بن أبى طالب: نعم، يا أمير المؤمنين، عندى غير هذا. فقال: ما هو؟.

قال: إنهم يا أمير المؤمنين قد سألوك المنزلة التى لهم فيها الذل و الصغار، و هى على المسلمين فتح و لهم عز، و هم يعطونكها الآن عاجلاـ فى عافية، ليس بينك و بين ذلك إلاـ أن تقدم عليهم، و لك يا أمير المؤمنين فى القدوم عليهم الأجر فى كل ظمأ و كل مخمصة و فى قطع كل واد و فى كل فج و شعب و فى كل نفقة تنفقها حتى تقدم عليهم، فإن قدمت عليهم كان فى قدومك عليهم الأمن و العافية و الصلح، و الفتح، و لست آمن لو أنهم يئسوا من قبولك الصلح و من قدومك عليهم أن يتمسكوا بحصنهم، و لعلهم أن يأتيهم من عدونا مدد لهم فيدخلوا معهم فى حصنهم، فيدخل على المسلمين من حربهم و جهادهم بلاء و مشقة، و يطول بهم الحصار، و يقيم المسلمون عليهم، فيصيب المسلمين من الجهد و الجوع نحو ما يصيبهم، و لعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرمونهم بالنشاب و يقذفونهم بالحجارة، فإن قتل رجل من المسلمين تمنيتم أنكم فديتموه بمسيركم إلى منقطع الترب، و لكان المسلم بذلك من إخوانه أهلا.

فقال عمر: قد أحسن عثمان فى مكيدة العدو، و قد أحسن على النظر لأهل الإسلام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۴

ثم قال: سيروا على اسم الله، فإنى معسكر و سائر. ثم خرج و معه أشراف الناس و بيوتات العرب و المهاجرون و الأنصار، و أخرج معه العباس بن عبد المطلب.

و عن أبى سعيد المقبرى «۱» أن عمر رحمه الله، كان فى مسيره ذلك يجلس لأصحابه إذا صلى الغداة، فيقبل عليهم بوجهه، ثم يقول: الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام و الإيمان، و أكرمنا بمحمد صلى اللّه عليه و سلم فهدانا به من الضلالة، و جمعنا من الفرقة، و ألف بين قلوبنا، و نصرنا به على الأعداء، و مكن لنا فى البلاد، و جعلنا به إخوانا متحابين، فاحمدوا الله على هذه النعم و سلوه المزيد فيها، و الشكر عليها، و تمام ما أصبحتم تتقلبون فيه منها، فإن الله عز و جل، يريد الرغبة إليه، و يتم نعمته على الشاكرين.

قال: فكان عمر رضى الله عنه، لا يدع هذا القول كل غداة، فى مبتدئه و مرجعه.

و عن أبى سعيد الخدرى أن عمر رحمه الله، مضى فى وجهه ذلك حتى انتهى إلى الجابية، فقام فى الناس فقال:

الحمد لله الحميد، المستحمد الدفاع المجيد، الغفور الودود، الذى من أراد أن يهديه من عباده اهتدى، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ

یُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِیًّا مُرْشِداً [الکهف: ۱۷].

قال: و إذا رجل من القسیسین من النصاری عندهم، و علیه جبة صوف، فلما قال عمر رضی الله عنه: مَنْ یَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ قال النصرانی: و أنا أشهد، فقال عمر:

وَ مَنْ یُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِیًّا مُرْشِداً، فنفض النصرانی جبته عن صدره، ثم قال:

معاذ الله، لا یضل الله أحدا یرید الهدی، فقال عمر: ما ذا یقول عدوه الله، هذا النصرانی؟ فأخبروه، فرفع عمر صوته، و عاد فی خطبته بمثل مقالته الأولی، ففعل النصرانی کفعله الأول، فغضب عمر رضی الله عنه، و قال: و الله لئن أعادها لأضربن عنقه، ففهمها العلج فسکت، إذ عاد عمر فی خطبته و قال: من یهده الله فلا مضل له، و من یضلل فلا هادی له، ثم قال: أما بعد، فإنی سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: إن خیار أمتی الذین یلونکم، ثم الذین تلونهم، ثم یفشو الکذب حتی یشهد الرجل علی الشهادة و لم یستشهد علیها، و حتی یحلف علی الیمین و لم یسألها، فمن أراد بحبوحة الجنة فلیلزم الجماعة، و لا یبالی بشذوذ من شذ، و ذکر بقیة الحدیث «۲».

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۵۰- ۲۵۱).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام (۱۵۱) و ما بعدها.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۰۵

قال: ثم خرج عمر رحمه الله، من الجابیة إلی إیلیاء، فخرج إلیه المسلمون یستقبلونه، و خرج أبو عبیدة بالناس أجمعین، و أقبل هو علی جمل له، و علیه رحله، و علیه صفة من جلد کبش حولی، فانتهی إلی مخاضة، فأقبلوا یبتدرونه، فقال للمسلمین: مکانکم، ثم نزل عن بعیره، فأخذ بزمانه و هو من لیف، ثم دخل الماء بین یدی جمله، حتی جاز الماء إلی أصحاب أبی عبیدة، فإذا معهم برذون یجنبونه، فقال له: یا أمیر المؤمنین، ارکب هذا البرذون، فإنه أجمل بک و أهون علیک فی رکوبک، و لا نحب أن یراک أهل الذمة فی مثل هذه الهیئة التی نراک فیها، و استقبلوه بثیاب بیض، فنزل عمر عن جمله و رکب البرذون، و ترک الثیاب، فلما هملج به البرذون، نزل عنه، و قال: خذوا هذا عنی، فإنه شیطان، و أخاف أن یغیر علی قلبی، فقالوا: یا أمیر المؤمنین، لو لبست هذه الثیاب البیض، و رکبت هذا البرذون لکان أجمل فی المروءة و أحسن فی الذکر و خیرا فی الجهاد. فقال عمر رضی الله عنه: ویحکم، لا تعتزوا بغیر ما أعزکم الله به فتذلوا، ثم مضی و مضی المسلمون معه حتی أتی إیلیاء، فنزل بها، فأتاه رجال من المسلمین فیهم أبو الأعور السلمی، و قد لبسوا لباس الروم، و تشبهوا بهم فی هیئتهم، فقال عمر: احثوا فی وجوههم التراب، حتی یرجعوا إلی هیئتنا و سنتنا و لباسنا، و کانوا قد أظهروا شیئا من الدیباج، فأمر بهم فحرق علیهم.

و فی غیر هذا الحدیث مما ذکره سیف «۱»: أن خالد بن الولید لقی عمر عند مقدمة الجابیة فی الخیل، علیهم الدیباج و الحریر، فنزل، و أخذ الحجارة فرماهم بها، و قال:

سرعان ما لفتم عن رأیکم، إیای تستقبلون فی هذا الزی، و إنما شبعتم منذ سنتین، سرعان ما نزت بکم البطنة، و تالله لو فعلتموها علی رأس المائتین لاستبدلت بکم غیرکم، فقالوا: یا أمیر المؤمنین، إنها یلامقة، و إن علینا السلاح، قال: فنعم إذا.

و فی حدیث أبی سعید الخدری «۲»، فقال یزید بن أبی سفیان: یا أمیر المؤمنین، إن الثیاب و الدواب عندنا کثیرة، و العیش عندنا رفیع، و السعر رخیص، و حال المسلمین کما تحب، فلو أنک لبست من هذه الثیاب البیض و رکبت من هذه الدواب الفرة، و أطعمت المسلمین من هذا الطعام الکثیر، کان أبعد الصوت، و أزین لک فی هذا الأمر، و أعظم لک فی الأعاجم. فقال له: یا یزید لا و الله لا أدع الهیئة التی فارقت علیها صاحبی، و لا أتزین للناس بما أخاف أن یشیننی عند ربی، و لا أرید أن یعظم أمری عند الناس و یصغر عند الله.

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۷).

(۲) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۵۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۶

فلم يزل عمر رحمه الله، على الأمر الأول الذى كان عليه فى حياة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و حياة أبى بكر، رضى الله عنه، حتى خرج من الدنيا.

قال: فلما نزل عمر بإيلياء و اطمأن الناس، بعث أبو عبيدة إلى أهل إيلياء، أن انزلوا إلى أمير المؤمنين، و استوثقوا لأنفسكم، فنزل إليه ابن الجعيد فى ناس من عظمائهم، فكتب لهم عمر كتاب الأمان و الصلح، فلما قبضوا كتابهم و أمنوا، دخل الناس بعضهم فى بعض، و لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزار عمر، فيصنع له و يسأله أن يزوره فى رحله، فيفعل ذلك عمر، إكراما لهم، غير أبى عبيدة، فإنه لم يستزره، فقال له عمر: إنه لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزارنى غيرك، فقال: أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، إنى أخاف إن استزرتك أن تعصر عينيك، فأتاه عمر فى بيته، فإذا ليس فى بيته إلا لبد فرسه، و إذا هو فراشه و سرجه و إذا هو وسادته، و إذا كسر يابسة فى كوة بيته، فجاء بها، فوضعها على الأرض بين يديه، و أتى بملح جريش، و كوز خزف فيه ماء.

فلما نظر عمر إلى ذلك بكى، ثم التزمه و قال: أنت أخى، و ما من أحد من أصحابى إلا و قد نال من الدنيا و نالت منه، غيرك؟ فقال له أبو عبيدة: أ لم أخبرك أنك ستعصر فى بيتى عينيك.

قال: ثم إن عمر قام فى الناس، فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، و صلى على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: يا أهل الإسلام، إن الله قد صدقكم الوعد، و نصركم على الأعداء، و أورثكم البلاد، و مكن لكم فى الأرض، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر، و إياكم و العمل بالمعاصى، فإن العمل بالمعاصى كفر للنعم، و قل ما كفر قوم بما أنعم الله عليهم، ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم و سلط عليهم عدوهم.

ثم نزل، و حضرت الصلاة، فقال عمر رضى الله عنه: يا بلال، أ لا تؤذن لنا رحمك الله، فقال بلال: يا أمير المؤمنين، أما و الله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و لكن سأطيعك اليوم إذ أمرتنى فى هذه الصلاة وحدها. فلما أذن بلال و سمعت الصحابة صوته، ذكروا نبيهم صلى اللّه عليه و سلم فبكوا بكاء شديدا، و لم يكن يومئذ أحد أطول بكاء من أبى عبيدة و معاذ بن جبل، حتى قال لهما عمر: حسبكما رحمكما الله، فلما قضى عمر صلاته، قام إليه بلال فقال: يا أمير المؤمنين، إن أمراء أجنادك بالشام و الله ما يأكلون إلا لحوم الطير، و الخبز النقى، و ما يجد ذلك عامة المسلمين.

فقال لهم عمر: ما يقول بلال؟ فقال يزيد بن أبى سفيان: يا أمير المؤمنين، إن سعر

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۷

بلادنا رخيص، و إنا نصيب هذا الذى ذكر بلال هاهنا بمثل ما كنا نقوت به عيالنا بالحجاز، فقال عمر: و الله لا أبرح العرصة أبدا حتى تضمنوا لى أرزاق المسلمين فى كل شهر، ثم قال: انظروا، كم يكفى الرجل و يسعه فى كل يوم، فقالوا: كذا و كذا، فقال: كم يكون ذلك فى الشهر، قالوا: جريبين من قمح مع ما يصلحه من الزيت و الخل عند رأس كل هلال، فضمنوا له ذلك، ثم قال: يا معشر المسلمين، هذا لكم سوى أعطياتكم، فإن وفا لكم أمراؤكم بهذا الذى فرضته لكم و أعطوكموه فى كل شهر، فذلك ما أحب، و إن هم لم يفعلوا، فأعلمونى حتى أعزلهم عنكم، و أولى أمركم غيرهم، فلم يزل ذلك جاريا دهرا حتى قطع بعد ذلك.

و عن شهر بن حوشب «۱»: أن إسلام كعب الحبر و هو من اليمن من حمير، كان فى قدوم عمر الشام، و أن كعبا أخبره بأمره، و كيف كان ذلك.

قال: و كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى اللّه عليه و سلم و كان من عظمائهم و خيارهم.

قال كعب: و كان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة، و بكتب الأنبياء، و لم يكن يدخر عنى شيئا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعانى فقال: يا بنى قد علمت أنى لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم، إلا أنى حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبى يبعث، و قد أظل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه، و قد قطعتهما من كتابك و جعلتهما فى هذه الكوة التى ترى، و طينت عليهما، فلا تتعرض لهما و لا تنظر فيهما زمانك هذا، و أقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبىّ، فإذا خرج فاتبعه، و انظر فيهما، فإن الله يزيدك بذلك خيرا.

فلما مات والدى لم يكن شىء أحب إلىّ من أن ينقضى المأتم حتى أنظر فى الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة، ثم استخرجت الورقتين، فإذا فيهما: محمد رسول الله، خاتم النبيين، لا نبى بعده، مولده بمكة، و مهاجره بطيبة، ليس بفظ و لا غليظ و لا صخاب فى الأسواق، و لا يجزى بالسيئة السيئة، و لكن يجزى بالسيئة الحسنة، و يعفو و يغفر و يصفح، أمته الحمادون، الذين يحمدون الله على كل شرف و على كل حال، و تذلل ألسنتهم بالتكبير، و ينصر الله نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء،

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۵۹- ۲۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۸

و يأتزرون على أوساطهم، و أناجيلهم فى صدورهم، و يأكلون قربانهم فى بطونهم، و يؤخرون عليها، و تراحمهم بينهم تراحم بنى الأم و الأب، و هم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، و هم السابقون المقربون المشفعون المشفع لهم، فلما قرأت هذا قلت فى نفسى: و الله ما علمنى أبى شيئا هو خير لى من هذا، فمكثت بذلك ما شاء الله، حتى بعث النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و بينى و بينه بلاد بعيدة، منقطعة، لا أقدر على إتيانه، و بلغنى أنه خرج فى مكة، و هو يظهر مرة و يستخفى مرة، فقلت: هو هذا، و تخوفت ما كان والدى حذرنى و خوفنى من الكذابين، و جعلت أحب أتبين و أ تثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه قد أتى المدينة، فقلت فى نفسى: إنى لأرجو أن يكون إياه، و جعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يقدر لى حتى بلغنى أنه قد توفى صلوات الله عليه و سلامه.

فقلت فى نفسى: لعله لم يكن الذى كنت أظن، ثم بلغنى أن خليفته قام مقامه، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده، فقلت فى نفسى: لا أدخل فى هذا الدين حتى أعلم أ هم الذين كنت أرجو و أنتظر و أنظر كيف سيرتهم و أعمالهم و إلى ما تكون عاقبتهم، فلم أزل أدفع ذلك و أؤخر لأتبين و أ تثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين و صيامهم و برهم و وفاءهم بالعهد، و ما صنع الله لهم على الأعداء، علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسى بالدخول فى الإسلام، فو الله إنى ذات ليلة فوق سطح لى، إذا رجل من المسلمين يتلو كتاب الله تعالى، حتى أتى على هذه الآية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا [النساء: ۴۷].

قال: فلما سمعت هذه الآية خشيت و الله ألا أصبح حتى يحول وجهى فى قفاى، فما كان شىء أحب إلىّ من الصباح، فغدوت على عمر، فأسلمت حين أصبحت.

و قال كعب لعمر عند انصرافه عن الشام: يا أمير المؤمنين، إنه مكتوب فى كتاب الله: إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل، و كانوا أهلها، مفتوحة على رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سره مثل علانيته، و علانيته مثل سره، و قوله لا يخالف فعله، و القريب و البعيد عنده فى الحق سواء، و أتباعه رهبان بالليل و أسد بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون.

فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحق ما تقول؟ قال: أى و الذى أنزل التوراة على موسى، و الذى يسمع ما نقول، إنه لحق.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۰۹

فقال عمر رضى الله عنه: فالحمد لله الذى أعزنا و شرفنا و أكرمنا فرحمنا بمحمد صلى اللّه عليه و سلم، و برحمته التى وسعت كل شىء.

و من حديث زيد بن أسلم عن أبيه، و هو عندنا بالإسناد: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، خرج زمان الجاهلية مع أناس من قريش فى تجارة إلى الشام، قال: فإنى لفى سوق من أسواقها، إذا ببطريق قد قبض على عنقى، فذهبت أنازعه، فقيل لى: لا تفعل، فإنه لا نصف لك منه، فأدخلنى كنيسة، فإذا تراب عظيم ملقى، فجاءنى بزنبيل و مجرفة، فقال: انقل ما هاهنا، فجعلت أنظر كيف أصنع، فلما كان فى الهاجرة وافانى و عليه ثوب أرى سائر جسده منه، فقال: أ إنك على ما أرى ما نقلت شيئا، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى، فقلت: وا ثكل أمك يا عمر، أبلغت ما أرى، ثم و ثبت إلى المجرفة، فضربت بها هامته، فنثرت دماغه، ثم واريته فى التراب، و خرجت على وجهى، لا أدرى أين أسير، فسرت بقية يومى و ليلتى و من الغد إلى الهاجرة، فانتهيت إلى دير، فاستظللت بفنائه، فخرج إلىّ منه رجل، فقال لى: يا عبد الله، ما يقعدك هنا؟ فقلت:

أضللت أصحابى، فقال لى: ما أنت على طريق، و إنك لتنظر بعينى خائف، فادخل و أصب من الطعام، و استرح، فدخلت فأتانى بطعام و شراب، و ألطفنى، ثم صعد فى النظر و صوبه، فقال: قد علم أهل الكتاب أو الكتب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب أو الكتب منى، و إنى لأرى صفتك، الصفة التى تخرجنا من هذا الدير، و تغلبنا عليه، فقلت له: يا هذا، لقد ذهبت فى غير مذهب. فقال لى: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، قال: أنت و الله صاحبنا، فاكتب لى على ديرى هذا و ما فيه، فقلت: يا هذا، إنك قد صنعت إلىّ صنيعة فلا تكدرها، فقال: إنما هو كتاب فى رق، فإن كنت صاحبنا فذاك، و إلا لم يضرك شيء، فكتبت له على ديره و ما فيه، فأتانى بثياب و دراهم، فدفعها إلىّ، ثم أوكف أتانا، فقال: أ تراها؟ قلت: نعم، قال: سر عليها، فإنك لا تمر بقوم إلا سقوها و علفوها و أضافوك، فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة، فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلىّ، قال: فركبتها، فكان كما قال، حتى لحقت أصحابى و هم متوجهون إلى الحجاز، فضربتها مدبرة و انطلقت معهم، فلما وافى عمر الشام فى خلافته، جاءه ذلك الراهب بالكتاب، و هو صاحب دير العدس، فلما رآه عرفه، ثم قال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه، فلما فرغ منه، أقبل على الراهب، فقال: هل عندكم من نفع للمسلمين؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فوفى له عمر رضى الله عنه.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۰

و عن سيف يرفعه إلى سالم بن عبد الله «۱»، قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال: السلام عليك يا فاروق، أنت صاحب إيلياء، و الله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء.

و عند سيف فى أمر إيلياء أحاديث ربما خالفت بعض ما تقدم، و نحن نورد منها ما يطيل الإمتاع مضموما إلى ذلك ما ذكره من أمر قيسارية و غيره.

فمن ذلك «۲»: أن عمر رحمه الله، كتب إلى يزيد بن أبى سفيان بعد مصالحة أهل الأردن، و اجتماع عسكر الروم بأجنادين و بيسان و غزة: أن يسرح معاوية إلى قيسارية.

و كتب عمر إلى معاوية: أما بعد، فإنى قد وليتك قيسارية، فسر إليها و استنصر الله عليهم، و أكثر من قول: لا حول و لا قوة إلا بالله، الله ربنا و ثقتنا و رجاؤنا و مولانا، نعم المولى و نعم النصير.

فسار معاوية فى جنده حتى نزل على أهل قيسارية، فهزمهم و حصرهم، ثم إنهم جعلوا يزاحفونه فلا يزاحفونه فى مرة إلا هزمهم و ردهم إلى حصنهم، ثم زاحفوه آخر ذلك و خرجوا من صياصيهم، فاقتتلوا فى حفيظة و استماتة، فبلغ قتلاهم فى المعركة ثمانين ألفا، و كملها فى هزيمتهم مائة ألف، و بعث بالفتح مع رجلين من بنى الضبيب، ثم خاف منهما الضعف، فبعث آخرين بعدهما، فلحقاهما، فطوياهما و هما نائمان، و انتهى بريد معاوية إلى عمر بالخبر ليلا، فجمع الناس و أباتهم على الفرح، و جعل معاوية قبل الفتح و بعده يجلس الأسرى عنده و يقول: ما صنعوا بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله، فمنع بذلك من العبث بأسرى المسلمين، حتى افتتح قيسارية.

و كان عمر لما أمر معاوية بالتوجه إلى قيسارية، أمر عمرو بن العاص بصدم الأرطبون و كان على جمع الروم بأجنادين، و أمر علقمة بن مجزز بصدم القيقار، و كان على الروم بغزة، فلما توجه معاوية إلى قيسارية صدم عمرو بن العاص، إلى الأرطبون و من بإزائه، و

خرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته، و ولى مجنبتيه ابنه عبد الله بن عمرو و جنادة ابن تميم من بنى مالك بن كنانة، و استخلف أبا الأعور على الأردن، و خرج حتى نزل على الروم بأجنادين، و هم فى حصونهم و خنادقهم، و عليهم الأرطبون، و كان أدهى الروم، و أبعدها غورا و أنكاها فعلا، و كان وضع بالرملة جندا عظيما، و بإيلياء جندا

(١) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٦٠٨).

(٢) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٦٠۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣١١

عظيما، و كتب عمرو بالخبر إلى عمر، فلما جاءه كتابه قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عم تنفرج.

و أقام عمرو على أجنادين، لا يقدر من الأرطبون على سقطة و لا تشفيه الرسل، فولى ذلك بنفسه، و توجه فدخل عليه، كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، و سمع كلامه حتى عرف ما أراد، و تأمل حصونه، فقال أرطبون فى نفسه: و الله إن هذا لعمرو، أو إنه للذى يأخذ عمرو برأيه، و ما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله، ثم دعا حرسيا فساره، فقال: اخرج فقم بمكان كذا فإذا مر بك فاقتله، و فطن له عمرو، فقال له: قد سمعت منى و سمعت منك، و قد وقع ما قلت منى موقعا، و أنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكانفه و يشهدنا أموره، فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا مثل الذى أرى فقد رآه أهل العسكر و رآه الأمير، و إن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم، و كنت على رأس أمرك. قال: نعم، و دعا فلانا فساره، و قال: اذهب إلى فلان، يعنى ذلك الحرسى، فرده إلىّ، فرجع إليه الرجل، و قال لعمرو: انطلق فجئ بأصحابك، فخرج عمرو و رأى أن لا ـ يعود لمثلها، و علم الرومى أنه خدعه فقال: هذا أدهى الخلق، و بلغت عمر فقال: غلبه عمرو «١».

ثم ناهده عمرو و قد عرف مأخذه، فالتقوا بأجنادين، فاقتتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم، ثم انهزم أرطبون فى الناس، فأوى إلى إيلياء، و نزل عمرو أجنادين و انطلق علقمة بن مجزز فحصر القيقار بغزة، و جعل يراسله فلم يشفه أحد مما يريد، فأتاه كأنه رسول علقمة، فأمر القيقار رجلا ـ أن يقعد له بالطريق، فإذا مر قتله، ففطن علقمة، فقال: إن معى نفرا شركائى فى الرأى، فأنطلق فآتيك بهم، فبعث إلى ذلك الرجل أن لا يعرض لعلقمة، فخرج من عنده و لم يعد، كما فعل عمرو بالأرطبون.

و لما أتى أرطبون إيلياء، أفرج له المسلمون حتى دخلها، ثم أزالهم إلى أجنادين، و كتب إلى عمرو: بأنك صديقى و نظيرى، أنت فى قومك مثلى فى قومى، و الله لا تفتتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين، فارجع فلا تغر فتلقى ما لقى الذين قبلك من الهزيمة، فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية، فأرسله إلى أرطبون، و أمره أن يتنكر و يقرب و يستمع ما يقول، حتى يخبره به إذا رجع، و كتب إلى أرطبون: جاءنى كتابك، و أنت نظيرى، و مثلى فى قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت

(١) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٦٠۴- ٦٠٦).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣١٢

فضيلتى، و قد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد، و أستعدى عليك فلانا و فلانا و فلانا لوزرائه، فأقرئهم كتابى، و لينظروا فيما بينى و بينك.

فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرطبون، فدفع إليه الكتاب، بمشهد من أولئك النفر، فاقترأه، فضحكوا و تعجبوا، و أقبلوا على أرطبون، فقالوا: من أين علمت أنه ليس بصاحبها؟ قال: صاحبها رجل اسمه عمر، ثلاثة أحرف، فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر. و كتب إلى عمر يستمده، و يقول: إنى أعالج حربا كئودا، و بلادا ادخرت لك، فرأيك. فلما جاء عمر الكتاب، علم أن عمرا لم يقل إلا بعلم، فنادى فى الناس، ثم خرج بهم حتى نزل الجابية.

و عن عدى بن سهل قال «۱»: لما استمد أهل الشام عمر على أهل فلسطين، استخلف عليا، و خرج ممدا لهم، فقال على: أين تخرج بنفسك؟ إنك تريد عدوا كلبا، فقال: إنى أبادر بجهاد العدو موت العباس، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض لكم الشر انتقاض الجبل.

قالوا: و جميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات، أما الأولى فعلى فرس، و أما الثانية فعلى بعير، و أما الثالثة فقصر به عنها استعار الطاعون، و أما الرابعة فدخلها على حمار، فاستخلف عليها و خرج، و فتحت إيلياء و أرضها كلها فى ربيع الآخر سنة ست عشرة على يدى عمر بن الخطاب ما خلا أجنادين، على يدى عمرو، و قيسارية على يدى معاوية.

و عن سالم بن عبد الله: أن أهل إيلياء أشجوا عمر و أشجاهم، و لم يقدر عليها و لا على الرملة، قال: فبينا عمر معسكرا بالجابية، فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟

فقالوا: أ لا ترى الخيل و السيوف؟ فنظر، فإذا كردوس يلمعون بالسيوف، فقال عمر:

مستأمنة فلا تراعوا و أمنوهم، و إذا هم أهل إيلياء، فصالحوه على الجزية، و فتحوا له إيلياء، و اكتتبوا منه عليها، و على حيزها، و الرملة و حيزها فصارت فلسطين نصفين، نصفا مع أهل إيلياء و نصفا مع أهل الرملة، و فلسطين تعدل الشام كله، و هى عشر كور من غير هذا الحديث المتقدم.

و هو مما ذكره سيف أيضا «۲» أن عمر رضى الله عنه، فرق فلسطين على رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نصفها و أنزله الرملة، و علقمة بن مجزز على نصفها و أنزله إيلياء،

---

(۱) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۰۸).

(۲) انظر: تاريخ الطبرى (۳/ ۶۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۳

و نزل كل واحد منهما فى عمله فى الجنود التى كانت معه، و كان سالم بن عبد الله فى الجنود التى كانت مع عمرو، و ضم عمرا و شرحبيل إليه بالجابية، فلما انتهيا إليها وافقا عمر رضى الله عنه، راكبا، فقبلا ركبته، و ضم عمر كل واحد منهما و احتضنه.

و عن غير سالم «۱»: أن عمر رضى الله عنه، لما بعث بأمان أهل إيلياء، و أسكنها الجند شخص إلى بيت المقدس من الجابية فرأى فرسه يتوجى فنزل عنه و أتى ببرذون فركبه فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه، ثم قال: قبح الله من علمك هذا، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما يوقحه، فركب، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس، و فى رواية أنه قال للبرذون: لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء، و لم يركب برذونا قبله و لا بعده.

و عن أبى مريم مولى سلامة قال: شهدت فتح إيلياء مع عمر رضى الله عنه، فسار من الجابية فاصلا حتى يقدم إيلياء، ثم مضى حتى يدخل المسجد، ثم مضى نحو محراب داود، و نحن معه، فدخله، ثم قرأ سجدة داود فسجد و سجدنا معه.

و قال يزيد بن حنظلة يذكر بعض ما تقدم «۲»:

تذكرت حرب الروم لما تطاولتو إذ نحن فى عام كثير نوازله

و إذ نحن فى أرض الحجاز و بينناميسرة شهر بينهن بلابله

و إذ أرطبون الروم يحمى بلادهيحاوله قرم هناك يساجله

فلما رأى الفاروق أزمان فتحهاسما بجنود الله كيما يصاوله

فلما أحسوه و خافوا صياله أتوه و قالوا أنت ممن نواصله

و ألقت إليه الشأم أفلاذ بطنهاو عيشا خصيبا ما تعد مآكله

أباح لنا ما بين شرق و مغربمواريث أعقاب بنتها قرامله

و کم مثقل لم یضطلع باحتماله‌تحمل عبئا حین شالت شوائله و قال أیضا:

و قد عضلت بالشأم أرض بأهلها‌ترید من الأقوام ما کان ألحدا

سما عمر لما أتته رسائل‌کأصید یحمی صرمة الحی أغیدا

فلما أتاه ما أتاه أجابهم‌بجیش تری منه السنابک سجدا

و أقبلت الشام العریضة بالذی‌أراد أبو حفص و أزکی و أزیدا

---

(۱) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۶۱۰).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۳/ ۶۱۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۱۴ فقسط فیما بینهم کل جزیة‌و کل رفاد کان أهنی و أحمد قال صاحب فتوح الشام «۱»: ثم إن عمر رضی الله عنه، خرج من الشام مقبلا إلی المدینة، فلما دنا منها استقبله الناس یهنئونه بالنصر و الفتح، فجاء حتی دخل مسجد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم فصلی رکعتین عند المنبر، ثم صعد المنبر، و اجتمع الناس إلیه، فقام، فحمد الله و أثنی علیه، و صلی علی النبیّ محمد صلی اللّه علیه و سلم و قال: یا أیها الناس، إن الله قد اصطنع عند هذه الأمة أن یحمدوه و یشکروه، و قد أعز دعوتها و جمع کلمتها، و أظهر فلجها، و نصرها علی الأعداء، و شرفها و مکن لها فی الأرض، و أورثها بلاد المشرکین و دیارهم و أموالهم، فأحدثوا لله عز و جل شکرا یزدکم، و احمدوه علی نعمه علیکم یدمها لکم، جعلنا الله و إیاکم من الشاکرین. ثم نزل.

قال: فمکث المسلمون بالشام علیها أبو عبیدة بن الجراح، و مکث فیها بعد خروج عمر منها ثلاث سنین، ثم توفی رحمه الله، فی طاعون عمواس، و کان طاعونا عم أهل الشام، و مات فیه بشر کثیر، و کانت وفاة أبی عبیدة بالأردن، و بها قبره، و لما طعن رحمه الله، دعا المسلمین، فدخلوا علیه، فقال لهم: إنی موصیکم بوصیة، فإن قبلتموها لم تزالوا بخیر ما بقیتم، و بعد ما تهلکون: أقیموا الصلاة، و آتوا الزکاة، و صوموا، و تصدقوا، و حجوا و اعتمروا، و تواصلوا و تحابوا، و اصدقوا أمراءکم، و لا تغشوهم، و لا تلهکم الدنیا، فإن امرأ لو عمر ألف حول ما کان له بد من أن یصیر إلی مثل مصرعی هذا الذی ترون، إن الله قد کتب الموت علی بنی آدم، فهم میتون، فأکیسهم أطوعهم لربه، و أعملهم لیوم معاده.

ثم قال لمعاذ بن جبل: یا معاذ، صل بالناس، فصلی معاذ بهم، و مات أبو عبیدة، رحمة الله علیه و مغفرته و رضوانه، فقام معاذ فی الناس فقال: یا أیها الناس، توبوا إلی الله توبة نصوحا، فإن عبدا إن یلق الله تائبا من ذنبه کان حقا علی الله أن یغفر له ذنوبه، و من کان علیه دین فلیقضه، فإن العبد مرتهن بدینه، و من أصبح منکم مصارما مسلما فلیلقه فیصالحه، إذا لقیه، و لیصافحه، فإنه لا ینبغی لمسلم أن یهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أیام، و الذنب فی ذلک عظیم عند الله، و إنکم أیها المسلمون قد فجعتم برجل، و الله ما أزعم أنی رأیت منکم عبدا من عباد الله قط أقل غمرا، و لا أبرأ صدرا، و لا أبعد من الغائلة، و لا أنصح للعامة، و لا أشد علیهم تحننا و شفقة منه، فترحموا علیه، ثم احضروا الصلاة علیه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و الله لا یلی علیکم مثله أبدا.

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۶۶- ۲۶۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۱۵

فاجتمع الناس، و أخرج أبو عبیدة، فتقدم معاذ فصلی علیه، حتی إذا أتی به قبره، دخل قبره معاذ و عمرو بن العاص و الضحاک بن قیس، فلما سفوا علیه التراب، قال معاذ: رحمک الله أبا عبیدة، فو الله لأثنین علیه بما علمت، و الله لا أقولها باطلا، و أخاف أن یلحقنی من الله مقت، کنت و الله ما علمت من الذاکرین الله کثیرا، و من الذین یمشون علی الأرض هونا، و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، و من الذین یبیتون لربهم سجدا و قیاما، و من الذین إذا أنفقوا لم یسرفوا و لم یقتروا و کان بین ذلک قواما، و کنت و الله ما علمت من

المخبتين المتواضعين، و من الذين يرحمون اليتيم و المسكين، و يبغضون الجفاة المتكبرين.

و لم يكن أحد من الناس أشد جزعا على فقد أبى عبيدة من معاذ، و لا أطول حزنا عليه من معاذ.

قال: ثم صلى معاذ بالناس أياما، و اشتد الطاعون، و كثر الموت فى الناس، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال: يا أيها الناس، إن هذا الطاعون هو الرجز الذى عذب الله به بنى إسرائيل مع الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم، و أمر الناس بالفرار منه.

فأخبر معاذ بقول عمرو، فقال: ما أراد إلى أن يقول ما لا علم له به، ثم جاء معاذ حتى صعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، و صلى على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثم ذكر الوباء، فقال: ليس كما قال عمرو، و لكنه رحمة ربكم، و دعوة نبيكم، و موت الصالحين قبلكم، اللهم أعط معاذا و آل معاذ منه النصيب الأوفر، ثم صلى و رجع إلى منزله، فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن، فلما رآه قال: يا أبت، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين، قال: يا بنى، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات يرحمه الله، و صلى عليه معاذ، و دفنه.

فلما رجع معاذ إلى منزله طعن، فاشتد به وجعه، و جعل أصحابه يختلفون إليه فإذا أتوه أقبل عليهم فقال لهم: اعملوا و أنتم فى مهلة و حياة و فى بقية من آجالكم، من قبل أن تمنوا العمل فلا تجدوا إليه سبيلا، و أنفقوا مما عندكم من قبل أن تهلكوا و تدعوا ذلك ميراثا لمن بعدكم، و اعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم و شربتم و لبستم و أنفقتم فأعطيتم فأمضيتم، و ما سوى ذلك فللوارثين، فلما اشتد به وجعه جعل يقول:

رب اخنقنى خنقك، فأشهد أنك تعلم أنى أحبك.

قال: و أتاه رجل فى مرضه، فقال له: يا معاذ، علمنى شيئا، ينفعنى الله به قبل أن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۶

أفارقك، فلا أراك و لا ترانى، و لا أجد منك خلفا، ثم لعلى أحتاج إلى سؤال الناس عما ينفعنى بعدك فلا أجد فيهم مثلك، فقال له معاذ: كلا، إن صالحاء المسلمين و الحمد لله كثير، و لن يضيع الله أهل هذا الدين، ثم قال له: خذ عنى ما آمرك به، كن من الصائمين بالنهار، و من المصلين فى جوف الليل، و من المستغفرين بالأسحار، و من الذاكرين الله كثيرا على كل حال، و لا تشرب الخمر، و لا تزنى، و لا تعق والديك، و لا تأكل مال اليتيم و لا تفر من الزحف، و لا تأكل الربا، و لا تدع الصلاة المكتوبة، و لا تضيع الزكاة المفروضة، و صل رحمك، و كن بالمؤمنين رحيما، و لا تظلم مسلما، و حج و اعتمر، و جاهد، ثم أنا لك زعيم بالجنة.

و لما حضر معاذا الموت قال لجاريته: ويحك، انظرى، هل أصبحنا؟ فنظرت، فقالت:

لا، ثم تركها ساعة، ثم قال لها: انظرى، فنظرت فقالت: نعم، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، ثم قال: مرحبا بالموت، مرحبا بزائر جاء على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لجرى الأنهار، و لا لغرس الأشجار، و لكننى كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، و طول الساعات فى النهار، و لظمأ الهواجر، فى الحر الشديد، و لمزاحمة العلماء بالركب فى حلق الذكر.

فلما اقترب أمره جاء عبد الله بن الديلمى، فقال له: يرحمك الله يا معاذ، لعلنا لا نلتقى نحن و لا أنت أبدا، فقال معاذ: أجلسونى، فأجلسوه، و جلس رجل خلف ظهره، و وضع معاذ ظهره فى صدر الرجل، ثم قال: بئس ساعة الكذب هذه، حدثنى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم حديثا، فكنت أكتمكموه مخافة أن تتكلوا، فأما الآن فإنى لا أكتمكموه، سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقول: إنه لا يموت عبد من عباد الله و هو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من القبور، و يؤمن بالرسل و ما جاءت به أنه حق، و يؤمن بالجنة و النار، إلا أدخله الله الجنة و حرمه على النار.

ثم مات معاذ من ساعته يرحمه الله، و استخلف عمرو بن العاص، فصلى عليه عمرو، و دخل قبره، فوضعه فى لحده، و دخل معه رجال من المسلمين، فلما خرج عمرو من قبره، قال: رحمك الله يا معاذ، فقد كنت ما علمناك من نصحاء المسلمين و من خيارهم، و كنت

مؤدبا للجاهل، شديدا على الفاجر، رحيما بالمؤمنين، و ايم الله لا يستخلف من بعدك مثلك، عمرو بن العاص.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۷

و كان مهلكه و مهلك أبى عبيدة رحمهما الله، سنة ثمان عشرة، و قد كان معاذ لما هلك أبو عبيدة كتب إلى عمر ينعاه: أما بعد، فاحتسب امرأ كان لله أمينا، و كان الله فى نفسه عظيما، و كان علينا و عليك يا أمير المؤمنين عزيزا، أبا عبيدة بن الجراح، غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، فإنا لله و إنا إليه راجعون، و عند الله نحتسبه، و بالله نثق له، كتبت إليك و قد فشا الموت، و هذا الوباء فى الناس، و لن يخطئ أحد أجله، و من لم يمت فسيموت، جعل الله ما عنده خيرا لنا من الدنيا و إن أبقانا أو هلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين و عن خاصتنا و عامتنا رحمته و مغفرته و رضوانه و جنته، و السلام عليك و رحمة الله.

قال: فو الله ما هو إلا ـ أن أتى عمر الكتاب فقرأه حتى بكى بكاء شديدا، و نعى أبا عبيدة إلى جلسائه، فما رأيت جماعة المسلمين جزعوا على رجل منهم جزعهم على أبى عبيدة، ثم ما مضى لذلك إلا أيام حتى جاء كتاب عمرو بن العاص ينعى فيه معاذ بن جبل يرحمه الله، فلما أتت عمر وفاة هذا على أثر أبى عبيدة جزع عليه جزعا شديدا، و بكى عمر و المسلمون، و حزنوا عليه حزنا عظيما، و قال عمر رضى الله عنه: رحم الله معاذا، و الله لقد رفع الله بهلاكه من هذه الأمة علما جما، و لرب مشورة له صالحة قد قبلناها منه، و رأيناها أدت إلى خير و بركة، و رب علم أفادناه، و خير دلنا عليه، جزاه الله جزاء الصالحين.

و فرق عمر عند ذلك كور الشام، فبعث عبد الله بن قرط الثمالىّ على حمص، و عزل عنها حبيب بن مسلمة، و استعمل على دمشق أبا الدرداء الأنصارى، و استعمل يزيد بن أبى سفيان على الجنود التى كانت بالشام، ثم وجد عمر على عبد الله بن قرط بعد أن عمل له على حمص سنة فعزله عنها، و بعث حين عزله عبادة بن الصامت أميرا عليها، و قد كان بدريا عقبيا نقيبا، ثم رضى بعد ذلك عن عبد الله بن قرط، فرده على حمص.

و لما قدم عبادة بن الصامت على أهل حمص، قام فى الناس خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: أما بعد، ألا ـ إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر و الفاجر، ألا و إن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، ألا و إنكم معروضون على أعمالكم، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: ۷]، ألا و إن للدنيا بنين، و إن للآخرة بنين، فكونوا من أبناء الآخرة، و لا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها بنوها يوم القيامة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۸

ثم قال لشداد بن أوس: قم يا شداد، فعظ الناس، و كان شداد مفوها قد أعطى لسانا و حكمة و فضلا و بيانا، فقام شداد، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، راجعوا كتاب الله و إن تركه كثير من الناس، فإنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه، و لا من الشر إلا أسبابه، و إن الله جمع الخير كله بحذافيره، فجعله فى الجنة، و جمع الشر كله بحذافيره، فجعله فى النار، ألا و إن الجنة حفت بالكره و الصبر، ألا و إن النار حفت بالهوى و الشهوة، ألا فمن كشف حجاب الكره و الصبر أشفى على الجنة، و من أشفى على الجنة كان من أهلها، ألا و من كشف حجاب الهوى و الشهوة أشفى على النار، و من أفى على النار كان من أهلها، ألا فاعملوا بالحق تنزلوا منازل أهل الحق، يوم لا يقضى إلا بالحق.

و قام أبو الدرداء فى أهل دمشق خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: أما بعد، يا أهل دمشق، فاسمعوا مقالة أخ لكم ناصح، ما بالكم تجمعون ما لا تأكلون، و تبنون ما لا تسكنون، و تأملون ما لا تدركون، و قد كان من قبلكم جمعوا كثيرا، و بنوا مشيدا، و أملوا بعيدا، و ماتوا قريبا، فأصبحت أموالهم بورا، و مساكنهم قبورا و آمالهم غرورا، ألا و إن عادا و ثمود و قد كانوا ملأوا ما بين بصرى و عدن أموالا و أولادا و نعما، فمن يشترى منى ما تركوا بدرهمين.

ذكر ما وعدنا به قبل من سياقة فتح قيسارية حيث ذكرها أصحاب فتوح الشام خلافا لما أوردناه قبل ذلك عن سيف بن عمر، مما لا يوافق هذا مساقا و لا زمانا، حسب ما يوقف عليه فى الموضعين إن شاء الله تعالى

ذكروا «۱» أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كتب إلى يزيد بن أبى سفيان بعد مهلك أبى عبيدة و معاذ بن جبل رحمهما الله:
أما بعد، فقد وليتك أجناد الشام كله، و كتبت إليهم أن يسمعوا لك و يطيعوا، و أن لا يخالفوا لك أمرا، فاخرج، فعسكر بالمسلمين، ثم سر بهم إلى قيسارية، فانزل عليها، ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك، فإنه لا ينفعنى افتتاح ما افتتحتم من أرض الشام مع

---

(۱) انظر: تاريخ فتوح الشام (۲۷۶- ۲۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۱۹

مقام أهل قيسارية فيها، و هم عدو لكم، إلى جانبكم، و إنه لا يزال قيصر طامعا فى الشام ما بقى فيها أحد من أهل طاعته ممتنعا، و لو قد افتتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام، و الله فاعل ذلك و صانع به للمسلمين، إن شاء الله تعالى.
فخرج يزيد، فعسكر بالمسلمين، و جاءه كتاب من عمر بنسخة واحدة إلى أمراء الأجناد:
أما بعد، فقد وليت يزيد بن أبى سفيان أجناد الشام كله، و أمرته أن يسير إلى قيسارية، فلا تعصوا له أمرا، و لا تخالفوا له رأيا، و السلام.
و كتب يزيد إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة: أما بعد، فإنى قد ضربت على الناس بعثا، أريد أن أسير بهم إلى قيسارية، فاخرجوا من كل ثلاثة رجلا، و عجلوا إشخاصهم إلى إن شاء الله، و السلام.
فلم يمكث إلا قليلا حتى توافت عنده عساكر الأجناد كلها، فلما اجتمعوا عنده قام يزيد، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:
أما بعد، فإن كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق، أتانى يحثنى على المسير إلى قيسارية، و أن أدعوهم إلى الإسلام، أو يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور من أهل الشام، فيؤدوا الجزية عن يد و هم صاغرون، فإن أبوا نزلت عليهم، فلم أزايلهم حتى أقتل مقاتلتهم، و أسبى ذراريهم، فسيروا رحمكم الله إليهم، فإنى أرجو أن يجمع الله لكم الغنيمة فى الدنيا و الأجر فى الآخرة.
ثم قال للناس: ارتحلوا، و وجه إلى حبيب بن مسلمة أن سر فى المقدمة، فقد جعلتك عليها، ثم امض حتى تنزل بأهل قيسارية، فإنى أسرع شىء فى أثرك لحاقا بك.
فمضى حبيب فى جماعة عظيمة من المسلمين إلى قيسارية، و بها جموع من بطارقة الروم و فرسانهم و أشدائهم، و كل من كان كره الدخول فى دين الإسلام من النصارى، و من كان كره الجزية، و من بقى من أهل تلك المواطن التى كانوا يقاتلون المسلمين من الروم، فكانت بها جموع كثيرة، وحد وجد شديد، فلما أقبل حبيب فى المقدمة و دنا من الحصن، خرج إليه من قيسارية فرسان و رجال، فنضحوهم بالنشاب، و حملت خيلهم على المسلمين، فانحاز حبيب و خيله، حتى انتهى إلى يزيد، فنزل يزيد و جعل على ميمنته عبادة بن الصامت، و على الميسرة الضحاك بن قيس، و رد حبيبا على الخيل، و مشى يزيد

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۰

فى الرجال، فحمل عليهم، فاقتتلوا طويلا قتالا شديدا، ثم بعث إلى الضحاك: أن احمل على ميمنتهم، فحمل عليهم، فهزمهم، و قتل منهم مقتلة عظيمة، و بعث إلى عبادة بن الصامت، أن أحمل على ميسرتهم، فحمل عليهم، فثبتوا له، فقاتلهم طويلا، و قتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تحاجزوا، و انصرف عبادة إلى موقفه، فحرض أصحابه و وعظهم، ثم قال: يا أهل الإسلام، إنى كنت أحدث النقباء سنا، و أبعدهم أجلا، و قد قضى الله أن أبقانى حتى قاتلت هذا العدو معكم، و إنى أسأل الله أن يرينى و إياكم أحسن ثواب المجاهدين، و الله الذى نفسى بيده ما حملت قط فى عصابة من المؤمنين على جماعة من المشركين إلا خلوا لنا العرصة، و أعطانا الله عليهم الظفر غيركم، فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تزيلوهم.
و إن عمر لما بلغه شدة قتال أهل اليرموك لكم قال: سبحان الله، أو قد واقفوهم، ما أظن المسلمين إلا قد غلوا، و لو لم يغلوا ما واقفوهم، و لظفروا بغير مئونة، و الله إنى خائف عليكم خصلتين: أن تكونوا قد غللتم، أو لم تناصحوا الله فى حملتكم عليهم، فشدوا

علیهم یرحمکم الله معی إذا شددت، فلاـ و الله لا أرجع إلی موقفی هـذا إن شاء الله و لا أزایلهم حتی یهزمهم الله أو أموت دونهم، ثم حمل علیهم، و حملت معه المیمنة علی میسرة الروم، فصبروا لهم حتی تطاعنوا بالرماح، و اضطربوا بالسیوف، و اختلفت أعناق الخیل، فلما رأی ذلک عبادة ترجل، ثم نادی عمیر بن سعد الأنصاری فی المسلمین: یا أهل الإسلام إن عبادة بن الصامت سید المسلمین، و صاحب رایة رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد نزل و ترجل، فالکرة الکرة إلی رحمة الله و الجنة، و اتقوا عواقب الفرار، فإنها تقود إلی النار.

و أقبل المسلمون إلی عبادة و هو یجالدهم، و قد کانوا أحاطوا به، فحمل علیهم، فقصف بعضهم علی بعض، فأزالوهم عن موقفهم، ثم شدوا علیهم، و حمل حبیب بن مسلمة علی من یلیه منهم، ثم حمل یزید بن أبی سفیان بجماعة المسلمین علیهم، فانهزموا انهزاما شدیدا، و وضع المسلمون سلاحهم و سیوفهم حیث أحبوا منهم، و أتبعوهم یقتلونهم کیف شاءوا، حتی حجزوهم فی حصنهم، و قد قتلوا من رؤسائهم و بطارقتهم و فرسانهم مقتلة عظیمة، ثم أقاموا علیهم فحصروهم و قطعوا عنهم المادة، و ضیقوا علیهم، و حاصروهم أشد الحصار، فلما طال علیهم البلاء تلاوموا، و قال بعضهم لبعض:

اخرجوا بنا إلیهم نقاتلهم حتی نظفر بهم أو نموت کراما، فاستعدوا فی مدینتهم، و خرجوا علی تعبئتهم، و المسلمون غارون لا یشعرون و لا یعلمون أنه یخرجون إلیهم،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۲۱

و قد کانوا أذلوهم و أجحروهم و ضیقوا علیهم حتی جهدوا، و ظنوا أنهم أوهن أمرا، و أضعف من أن یخرجوا علیهم، فما راع المسلمین إلا و أهل قیساریة یضاربونهم بالسیوف بأجمعهم إلی جانب عسکرهم، فجال المسلمون جولة منکرة.

ثم إن یزید خرج مسرعا یمشی إلیهم، حتی إذا دنا منهم جالدهم طویلا، و تتامت إلیه خیل المسلمین و رجالتهم، و خرج المسلمون علی رایاتهم و صفوفهم، فلما کثروا عنده أمر الخیل فحملت علیهم، و نهض بالرجال فی وجوههم، ثم حمل هو علیهم فانهزموا انهزاما قبیحا شدیدا، و قتلهم المسلمون قتلا ذریعا، و رکب بعضهم بعضا، فبعض دخل المدینة، و بعض ذهبوا علی وجوههم فلم یدخلوها، و قتل الله منهم فی المعرکة نحوا من خمسة آلاف، فلما رأی یزید ما أنزل الله بهم من الخزی و القتل، و ما صیرهم إلیهم من الذل، قال لمعاویة: أقم علیها حتی یفتحها الله، و انصرف یزید عنها.

فلم یلبث معاویة علیها إلاـ یسیرا حتی فتحها الله علی یدیه، و ذلک سنة تسع عشرة، و کانت هی و جلولاء فی سنة واحدة، و فرح المسلمون بذلک فرحا شدیدا، لأنه لم یبق بالشام فی أقصاها و أدناها عدو حینئذ، و قد نفی الله المشرکین عنها، و صار الشام کله فی أیدی المسلمین.

و کتب یزید إلی عمر: أما بعد، فإن رأی أمیر المؤمنین لأهل الشام کان رأیا أرشده الله و أرشد به من أخذ به، و بارک له و لأهل طاعته فیه، و إنی أخبر أمیر المؤمنین أنا التقینا نحن و أهل قیساریة غیر مرة، و کل ذلک یجعل الله جدهم الأسفل، و کدهم الأخسر، و یجعل لنا علیهم الظفر، فلما رأوا أن الله قد أذهب ریحهم، و أذلهم و أنزل علیهم الصغار و الهوان، و قتل صنادیدهم و فرسانهم و ملوکهم لزموا حصنهم، و انحجزوا فی مدینتهم، فأطلنا حصارهم، و قطعنا موادهم، و میرتهم، و ضیقنا أشد التضییق علیهم، فلما جهدوا هزلا و أزلا، فتحها الله علینا، و الحمد لله رب العالمین.

فکتب إلیه عمر، رحمه الله: أما بعد، فقد أتانی کتابک، و سمعت ما ذکرت فیه من الفتح علی المسلمین، و الحمد لله رب العالمین، فاشکروا الله یزدکم و یتم نعمته علیکم، و إن الله قد کفاکم مئونة عدوکم، و بسط لکم فی الرزق، و مکن لکم فی البلاد، وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ کَفَّارٌ، و السلام علیک.

فلما أتی یزید هذا الکتاب، قرأه علی المسلمین، فحمدوا الله علی ما أنعم علیهم،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۲۲

و اصطلع عندهم، و أقبل یزید حتی نزل دمشق، فلم یلبث إلا سنة حتی هلک رضی الله عنه، و ذلک فی سنة تسع عشرة، و الشام کله مستقیم أمره، لیس به عدو للمسلمین.

و کان یزید رحمه الله، شریفا فاضلا حلیما عاقلا رقیقا، حسن السیرة، محببا فی المسلمین، و لما ثقل رحمه الله و أشرف علی الموت استخلف أخاه معاویة علی الشام، و کتب إلی عمر، رضی الله عنه: أما بعد، فإنی کتبت إلیک کتابی هذا و إنی أظن أنی فی أول یوم من الآخرة، و آخر یوم من الدنیا، فجزاک الله عنا، و عن جمیع المسلمین خیرا، و جعل جناته لنا و لک مآبا و مصیرا، فابعث إلی عملک بالشام من أحببت، فأما أنا فقد استخلفت علیهم معاویة بن أبی سفیان.

فلما أتی عمر کتابه مع خبر موته، جزع علیه جزعا شدیدا، و کتب إلی معاویة بولایته علی الشام، و یقال: إنه لما ورد البرید بموت یزید علی عمر کان أبوه أبو سفیان عنده، فقال له عمر لما قرأ الکتاب بموت یزید: أحسن الله عزاءک فی یزید، و رحمه، فقال له أبو سفیان: من ولیت مکانه یا أمیر المؤمنین؟ قال: أخاه معاویة، قال: وصلتک رحم یا أمیر المؤمنین.

فأقام معاویة علی الشام أربع سنین، بقیة خلافة عمر، ثم أقره علیها عثمان اثنتی عشرة سنة، مدة خلافته، ثم کان منه بعد وفاة عثمان رضی الله عنه، ما هو معلوم «۱».

ذکر فتح مصر

«۲» ذکر ابن عبد الحکم «۳» عمن سمی من شیوخه أنه لما قدم عمر، رضی الله عنه، الجابیة «۴» خلا به عمرو بن العاص، فاستأذنه فی المسیر إلی مصر، و کان عمرو قد دخلها فی الجاهلیة و عرف طرقها و رأی کثرة من فیها.

و کان سبب دخوله إیاها أنه کان قدم بیت المقدس لتجارة فی نفر من قریش، و کانت رعیة إبلهم نوبا بینهم، فبینا عمرو یرعاها فی نوبته إذ مر به شماس من شمامسة

---

(۱) انظر: تاریخ فتوح الشام (۲۷۶- ۲۸۳).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۴/ ۱۰۴- ۱۱۲)، البدایة و النهایة (۷/ ۱۰۷- ۱۱۰)، الکامل (۲/ ۴۰۵- ۴۰۸).

(۳) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۵۳- ۱۹۲).

(۴) کان ذلک سنة ثمانی عشرة من الهجرة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۲۳

الروم، من أهل الإسکندریة، کان قدم للصلاة فی بیت المقدس و للسیاحة فی جبالها، فوقف علی عمرو فاستسقاه و قد أصابه عطش شدید فی یوم شدید الحر، فسقاه عمرو من قربة له، فشرب حتی روی، و نام الشماس مکانه، و کانت إلی جنبه حیث نام حفرة، فخرجت منها حیة عظیمة، فبصر بها عمرو، فنزع لها بسهم فقتلها، فلما استیقظ الشماس و نظر إلی الحیة سأل عمرا عنها، فأخبره أنه رماها فقتلها، فأقبل الشماس فقبل رأسه، و قال: قد أحیانی الله بک مرتین، مرة من شدة العطش، و مرة من هذه الحیة، فما أقدمک هذه البلاد؟ قال: قدمت مع أصحاب لی نطلب الفضل فی تجارتنا، فقال له الشماس: و کم تراک ترجو أن تصیب فی تجارتک؟ قال: رجائی أن أصیب ما اشتری به بعیرا، فإنی لا أملک إلا بعیرین، فأملی أن أصیب بعیرا ثالثا، فقال له الشماس: کم الدیة فیکم؟ قال: مائة من الإبل، قال الشماس لسنا أصحاب إبل، إنما نحن أصحاب دنانیر.

قال: تکون ألف دینار، فقال له الشماس: إنی رجل غریب فی هذه البلاد، و إنما قدمت أصلی فی کنیسة بیت المقدس، و أسیح فی هذه الجبال شهرا، جعلت ذلک نذرا علی نفسی، و قد قضیت ذلک، و أنا أرید الرجوع إلی بلادی، فهل لک أن تتبعنی إلی بلادی، و لک عهد الله و میثاقه أن أعطیک دیتین لأن الله عز و جل، أحیانی بک مرتین؟

فقال له عمرو: و أين بلادك؟ قال: مصر، فى مدينة يقال لها: الإسكندرية، فقال له عمرو: لا أعرفها، و لم أدخلها قط، فقال له الشماس: لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها، فقال عمرو: و تفى لى بما تقول؟ فقال له الشماس: نعم، لك علىّ العهد و الميثاق أن أفى لك، و أن أردك إلى أصحابك، فقال عمرو: كم يكون مكثى فى ذلك؟

قال: شهرا تنطلق معى ذاهبا عشرا، و تقيم عندنا عشرا و ترجع فى عشر، و لك علىّ أن أحفظك ذاهبا، و أن أبعث معك من يحفظك راجعا، فقال له عمرو: أنظرنى حتى أشاور أصحابى.

فانطلق عمرو إلى أصحابه، فأخبرهم بما عاهده عليه الشماس، و قال لهم: أقيموا علىّ حتى أرجع إليكم و لكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك، على أن يصحبنى رجل منكم آنس به، فقالوا: نعم، و بعثوا معه رجلا منهم.

فانطلق عمرو و صاحبه مع الشماس إلى مصر، حتى انتهى إلى الإسكندرية، فرأى عمرو من عمارتها و كثرة أهلها و ما بها من الأموال ما أعجبه، و نظر إلى الإسكندرية و عمارتها و جودة بنائها، و كثرة أهلها، و ما بها من الأموال، فازداد عجبا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۴

و وافق دخول الإسكندرية عيدا فيها عظيما، يجتمع فيه ملوكهم و أشرافهم، و لهم أكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم و يتلقونها بأكمامهم، و فيما اختبروا منها على ما وضعها من مضى منهم أنه من وقعت فى كمه و استقرت فيه لم يمت حتى يملكهم.

و أكرم الشماس عمرا الإكرام كله، و كساه ثوب ديباج ألبسه إياه، و جلس معه فى ذلك المجلس مع الناس حيث يترامون بالأكرة و هم يتلقونها بأكمامهم، فرمى بها رجل منهم، فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو، فعجبوا من ذلك، و قالوا: ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة، أ ترى هذا الأعرابى يملكنا؟ هذا ما لا يكون أبدا. الاكتفاء، الكلاعى ج۲ ۳۲۴ ذكر فتح مصر ..... ص : ۳۲۲

إن ذلك الشماس مشى فى أهل الإسكندرية، و أعلمهم بأن عمرا أحياه مرتين، و أنه ضمن له ألفى دينار، و سألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم، ففعلوا و دفعوها إلى عمرو، فانطلق هو و صاحبه، و بعث معهما الشماس دليلا و رسولا، و زودهما و أكرمهما، حتى رجعا إلى أصحابهما، فدفع إليهم عمرو فيما بينهم ألف دينار، و أمسك لنفسه ألفا.

قال: فكان أول مال اعتقدته و تأثلته.

فبذلك ما عرف عمرو مدخل مصر و مخرجها، و رأى فيها ما علم به أنها أفضل البلاد و أكثره مالا.

فلما قدم عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، الجابية خلا به عمرو، و قال: يا أمير المؤمنين ائذن لى فأسير إلى أرض مصر، فإنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين و عونا لهم، و هى أكثر الأرضين أموالا، و أعجزه عن القتال، فتخوف عمر و كره ذلك، فلم يزل عمرو بن العاص يعظم أمرها فى نفسه و يخبره بحالها، و يهون عليه فتحها، حتى ركن لذلك عمر، فعقد له على أربعة آلاف رجل، كلهم من عك، و قال: سيروا و أنا مستخير الله فى مسيرك، و سيأتيك كتابى سريعا، فإن لحقك كتابى آمرك فيه بالانصراف فانصرف، و إن دخلتها قبل أن يأتيك كتابى ثم جاءك فامض لوجهتك، و استعن بالله فاستنصره.

فمضى عمرو من جوف الليل، و لم يشعر به أحد من الناس، و استخار عمر ربه، فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك، فكتب إلى عمرو بن العاص: أن انصرف بمن معك من المسلمين إن أدركك كتابى قبل أن تدخل مصر، فأدرك الكتاب عمرا و هو برفح، فتخوف إن هو أخذه فقرأه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول، و سار كما هو حتى مر بقرية صغيرة فيما بين رفح و العريش، فسأل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۵

عنها، فقيل: إنها من مصر، فدعا بالكتاب فقرأه، فإذا فيه: أن انصرف بمن معك من المسلمين، فقال لمن حوله: أ لستم تعلمون أن هذه من مصر؟ قالوا: بلى، قال: فإن أمير المؤمنين عهد إلىّ و أمرنى إن لحقنى كتابه و لم أدخل أرض مصر أن أرجع، و لم يلحقنى كتابه حتى دخلت أرض مصر، فسيروا على بركة الله.

و يقال: بل كان عمرو بن العاص بفلسطين، فتقدم فى أصحابه إلى مصر بغير إذن، فكتب إليه عمر ينكر ذلك عليه، فجاءه كتابه و هو دون العريش، عريش مصر، فلم يقرأ الكتاب حتى بلغ العريش فقرأه، فإذا فيه:

من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، أما بعد، فإنك سرت إلى مصر بمن معك، و بها جموع الروم، و إنما معك نفر يسير، و لعمرى لو كانوا ثكل أمك ما سرت بهم، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع.

فقال عمرو: الحمد لله، أية أرض هذه؟ قالوا: من مصر، فتقدم كما هو.

و يقال: بل كان عمرو فى جنده على قيسارية مع كل من كان بها من أجناد المسلمين، و عمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية، فكتب سرا و استأذن إلى مصر، و أمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتجولوا من منزل إلى منزل قريب، ثم سار بهم ليلا، فلما فقده أمراء الأجناد استنكروا الذى فعل، و رأوا أنه قد غرر، فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فكتب إليه عمر:

«أما بعد، فإنك قد غررت بمن معك، فإن أدركك كتابى و لم تدخل مصر فارجع، و إن أدركك كتابى و قد دخلت فامض، و اعلم أنى ممدك».

و يقال: إن عمر كتب إلى عمرو بعد ما فتح الشام: أن اندب الناس إلى المسير معك إلى مصر، فمن خف معك فسر به. و بعث به مع شريك بن عبدة، فندبهم عمرو، فأسرعوا إلى الخروج معه، ثم إن عثمان بن عفان دخل على عمر، فذكر له عمر ما كتب به إلى عمرو، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، إن عمرا له جرأة، و فيه إقدام و حب للإمارة، فأخشى أن يخرج فى غير ثقة و لا جماعة، فيعرض المسلمين للهلكة، رجاء فرصة لا يدرى أ تكون أم لا. فندم عمر على كتابه إشفاقا مما قال عثمان، فكتب إلى عمرو يأمره بنحو ما تقدم من الرجوع إن لم يكن دخل مصر، و المضى لوجهه إن كان دخلها.

فسار عمرو فى طريقه قاصدا مصر، فلما بلغ المقوقس ذلك توجه نحو الفسطاط يجهز

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۶

الجيوش على عمرو، فأقبل عمرو حتى إذا كان بجبال الحلال نفرت معه راشدة و قبائل من لخم، و أدركه النحر و هو بالعريش، فضحى يومئذ عن أصحابه بكبش.

و كان رجل ممن خرج معه قد أصيب بجمله، فأتاه الرجل يستحمله، فقال له عمرو:

تحمل مع أصحابك حتى نبلغ أوائل العامر، فلما بلغوا العريش جاءه، فأمر له بجملين، ثم قال: لن تزالوا بخير ما رحمتكم أئمتكم، فإذا لم يرحموكم هلكتم و هلكوا.

فتقدم عمرو، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما، قاتلته الروم قتالا شديدا، نحوا من شهر، ثم فتح الله على يديه.

و كان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له: «أبو ميامين»، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة، و أن ملكهم قد انقطع، و يأمرهم بتلقى عمرو، فيقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا.

ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر، ثم تقدم لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس، فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله عليه، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى أتى أم دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا، و أبطأ عليه الفتح، فكتب إلى عمر يستمده، فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف، فقاتلهم.

و جاء رجل من لخم إلى عمرو بن العاص فقال: اندب معى خيلا حتى آتى من ورائهم عند القتال، فأخرج معه خمسمائة فارس، فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل قبل الصبح.

و يقال: كان على هذا البعث خارجة بن حذافة «۱»، فلما كان فى وجه الصبح نهض القوم، فصلوا الصبح، ثم ركبوا خيلهم، و غدا عمرو بن العاص على القتال، فقاتلوهم من وجههم، و حملت الخيل التى كان وجه من ورائهم و اقتحمت عليهم فانهزموا. و كانوا قد خندقوا حول الحصن، و جعلوا للخندق أبوابا، فسار عمرو بمن معه حتى نزل على

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۲۱۳۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۳۲۷)، الثقات (۳/ ۱۱۱)، تلقيح فهوم أهل الأثر (۳۷۴)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۴۶)، الكاشف (۱/ ۲۶۵)، تهذيب التهذيب (۳/ ۷۴)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۱۰)، التحفة اللطيفة (۱/ ۴۹)، النجوم الزاهرة (۱/ ۲۰)، أزمنة التاريخ الإسلامى (۱/ ۶۰۰)، الطبقات (۲۳/ ۲۹۱)، التاريخ الكبير (۳/ ۲۰۳)، التاريخ الصغير (۱/ ۹۳)، الإكمال (۶/ ۱۸۲)، تراجم الأخبار (۱/ ۳۹۰)، الكامل (۳/ ۹۲۰)، مشاهير علماء الأمصار (۳۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۷

الحصن، فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت و يفتحوا له الحصن، ففعل ذلك، و فرض عليهم لكل رجل من أصحابه دينارا و جبة و برنسا و عمامة و خفين.

فجاء النفر من القبط يستأذنونه إلى قراهم و أهليهم، و قد كان نفر منهم تحدثوا قبل ذلك و رجل من لخم يسمعهم، فقال بعضهم لبعض: أ لا- تعجبون من هؤلاء- القوم، يعنون المسلمين، يقدمون على جموع الروم، و إنما هم فى قلة من الناس. فجاءهم رجل منهم، فقال: إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه، حتى يقتلوا خيرهم. فأنكر عليه اللخمى قوله و أراد حمله إلى عمرو، فرغب إليه أصحابه و غيرهم حتى خلصوه، فلما استأذن أولئك النفر عمرا قال لهم: كيف رأيتم أمرنا؟ قالوا: لم نر إلا- حسنا. فقال ذلك الرجل لعمرو مثل مقالته تلك: إنكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا. فغضب عمرو و أمر به، فطلب إليه أصحابه و أخبروه أنه لا يدرى ما يقول، حتى خلصوه، فلما بلغ عمرا عمر بن الخطاب عجب من قول ذلك القبطى، و أرسل فى طلبه، فوجدوه قد هلك.

و فى حديث غيره: قال عمرو بن العاص: فلما طعن عمر بن الخطاب قلت: هو ما قال القبطى، فلما حدثت أنه إنما قتله رجل نصرانى «۱» قلت: لم يعن هذا، إنما عنى من قتله المسلمون، فلما قتل عثمان، رضى الله عنه، عرفت أن ما قال الرجل حق.

قال ابن عبد الحكم: و قد سمعت فى فتح القصر وجها غير هذا، ثم ذكر عن نفر سمى منهم قال: و بعضهم يزيد على بعض فى الحديث أن عمرو بن العاص حصرهم فى القصر الذى يقال له: باب اليون حينا، و قاتلهم قتالا شديدا، يصبحهم و يمسيهم، فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده، فأمده عمر بأربعة آلاف رجل، على كل ألف منهم رجل يقوم مقام ألف: الزبير بن العوام «۲»، و المقداد بن عمرو «۳»، و عبادة

---

(۱) هو: أبو لؤلؤة، غلام المغيرة بن شعبة. راجع مقتل عمر بن الخطاب، رحمه الله، من هذا الجزء.

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۲۷۹۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۷۳۱).

(۳) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۱۴۴)، طبقات خليفة (۶۱، ۶۷، ۱۶۸)، التاريخ الكبير (۸/ ۵۴)، التاريخ الصغير (۶۰، ۶۱)، المعارف (۲۶۳)، الجرح و التعديل (۸/ ۴۲۶)، حلية الأولياء (۱/ ۱۷۲، ۱۷۶)، ابن عساكر (۱۷، ۶۶، ۱)، تهذيب الأسماء و اللغات (۲/ ۱۱۱، ۱۱۲)، معالم الإيمان (۱/ ۷۱، ۷۶)، دول الإسلام (۱/ ۹۲۷، العقد الثمين (۷/ ۲۶۸)، تهذيب التهذيب (۱۰/ ۲۸۵)، شذرات الذهب (۱/ ۳۹)، الإصابة ترجمة رقم (۸۲۰۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۰۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۲۸

ابن الصامت «۱»، و مسلمة بن مخلد «۲». و قيل: بل خارجة بن حذافة مكان مسلمة. و قال عمر بن الخطاب: «اعلم أن معك اثنى عشر ألفا، و لا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة».

و ذكر الليث عن يزيد بن أبى حبيب: أن عمر، رحمه الله، إنما أمد عمرا حين استمده بالزبير بن العوام، و بالمقداد بن عمرو، و بخارجة بن حذافة.

قال اللیث بن سعد: و بلغنی عن کسری أنه کان له رجال إذا بعث أحدهم فی جیش وضع من عدة الجیش الذی کان سمی ألفا مکانه، و إذا احتاج إلی أحدهم و کان فی جیش فجیشه زادهم ألف رجل، فأنزلت الذی صنع عمر بن الخطاب حین أمد عمرا بالزبیر و المقداد و خارجة نحو الذی صنع کسری.

و قیل: إن عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، أشفق علی عمرو حین بعثه، فأرسل الزبیر فی أثره فی اثنی عشر ألفا، فشهد معه الفتح. و کان عمرو قدم من الشام فی عدة قلیلة، و کانت الروم قد خندقوا حول حصنهم، و جعلوا للخندق أبوابا، و رموا فی أفنیتها حسک الحدید، فکان عمرو یفرق أصحابه لیری العدو أنهم أکثر مما هم، فلما انتهی إلی الخندق نادوه: أن قد رأینا ما صنعت، و إنما معک من أصحابک کذا و کذا، فلم یخطئوا برجل واحد. فبینا هو علی ذلک إذ جاءه خبر الزبیر، فلما قدم المدد مع الزبیر علی عمرو ابن العاص ألح علی القصر و وضع علیه المنجنیق. و قد کان عمرو دخل إلی صاحب القصر فتناظرا فی شیء مما هم فیه، فقال له عمرو: أخرج و أستشیر أصحابی، فدس صاحب الحصن الوصیة إلی الذی علی الباب إذا مر به عمرو أن یلقی علیه صخرة فیقتله.

فأشعر بذلک عمرا رجل من العرب و هو یرید الخروج، فرجع عمرو إلی صاحب الحصن،

---

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۴۵۱۵)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۷۹۱).

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۸۰۰۷)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۹۴۳)، تاریخ الیعقوبی (۲/ ۱۴۸)، تاریخ خلیفة (۱۹۵)، فتوح البلدان (۲۷۰)، أنساب الأشراف (۱/ ۱۴۶)، المعرفة و التاریخ (۲/ ۴۹۴)، تاریخ الطبری (۴/ ۴۳۰)، أخبار القضاة (۳/ ۲۲۳)، تاریخ أبی زرعة (۱/ ۱۸۹)، مروج الذهب (۱۶۲۱)، فتوح مصر (۶۷)، جمهرة أنساب العرب (۳۶۶)، وفیات الأعیان (۷/ ۲۱۵)، المراسیل (۱۹۷)، الجرح و التعدیل (۸/ ۲۶۵)، مشاهیر علماء الأمصار (۵۶)، الکامل فی التاریخ (۳/ ۱۹۱)، تهذیب الکمال (۳/ ۱۳۳۰)، مختصر التاریخ (۸۲)، تجرید أسماء الصحابة (۲/ ۷۷)، سیر أعلام النبلاء (۳/ ۴۲۴)، العبر (۱/ ۶۶)، الکاشف (۳/ ۱۲۸)، المعین فی طبقات المحدثین (۲۶)، تقریب التهذیب (۲/ ۲۴۹)، النجوم الزاهرة (۱/ ۱۳۲)، خلاصة تذهیب التهذیب (۳۷۷)، الولاة و القضاء (۱۵)، تاریخ الإسلام (۲/ ۲۴۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۲۹

فقال له: إنی أرید أن آتیک بنفر من أصحابی حتی یسمعوا منک مثل الذی سمعت، فقال العلج فی نفسه: قتل جماعة أحب إلیّ من قتل واحد، فأرسل إلی الذی کان علی الباب یأمره بالکف عن عمرو رجاء أن یأتیه بأصحابه فیقتلهم، فخرج عمرو و لم یعد.

و فی حصار المسلمین هذا الحصن کان عبادة بن الصامت یوما فی ناحیة یصلی و فرسه عنده، فرآه قوم من الروم، فخرجوا إلیه و علیهم حلیة و بزة، فلما دنوا منه سلم من صلاته، و وثب علی فرسه، ثم حمل علیهم، فلما رأوه غیر مکذب عنهم و لوا راجعین، و اتبعهم، فجعلوا یلقون مناطقهم و متاعهم لیشغلوه بذلک عن طلبهم، و لا یلتفت إلیه حتی دخلوا الحصن، و رمی عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع و لم یعرض لشیء مما کانوا طرحوا من متاعهم، حتی أتی موضعه الذی کان به، فاستقبل الصلاة، و خرج الروم إلی متاعهم یجمعونه.

و لما أبطأ الفتح علی عمرو بن العاص قال الزبیر: إنی أهب نفسی لله و أرجو أن یفتح الله بذلک علی المسلمین، فوضع سلما إلی جانب الحصن ثم صعد، و أمرهم إذا سمعوا تکبیره أن یجیبوه جمیعا، فما شعروا إلا و الزبیر علی رأس الحصن یکبر معه السیف، و تحامل الناس علی السلم حتی نهاهم عمرو خوفا من أن ینکسر. و لما اقتحم الزبیر و تبعه من تبعه و کبر، و کبر من معه و أجابهم المسلمون من خارج، لم یشک أهل الحصن أن العرب قد اقتحموه جمیعا، فهربوا، و عمد الزبیر و أصحابه إلی باب الحصن ففتحوه، و اقتحمه المسلمون، فلما خاف المقوقس علی نفسه و من معه سأل عمرو بن العاص الصلح و دعاه إلیه، علی أن یفرض للعرب علی القبط دینارین دینارین علی کل رجل منهم، فأجابه عمرو إلی ذلک.

و كان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر فيما روى عن الليث.

قال ابن عبد الحكم: و قد سمعت فى فتح القصر وجها آخر مخالفا للحديثين المتقدمين، فالله أعلم.

ثم أورد بإسناد يرفعه إلى جماعة من التابعين، يزيد بعضهم على بعض، أن المسلمين لما حاصروا باب اليون و كان به جماعة من الروم و أكابر القبط و رؤسائهم و عليهم المقوقس فقاتلوهم بها شهرا، فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه و الحرص و رأوا من صبرهم على القتال و رغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحى المقوقس و جماعة من أكابر القبط، و خرجوا من باب القصر القبلى و دونهم جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة، موضع الصناعة اليوم، و أمروا بقطع الجسر، و ذلك فى جرى النيل.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۰

و زعم بعض مشايخ أهل مصر أن الأعيرج تخلف فى الحصن بعد المقوقس، و هو رجل من الروم كان واليا على الحصن تحت يدى المقوقس، و كانت سفنهم ملصقة بالحصن، فلما خاف الأعيرج فتح الحصن ركبها هو و أهل القوة و الشرف ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة.

قال أصحاب الحديث من التابعين: فأرسل المقوقس إلى عمرو: إنكم قوم قد ولجتم فى بلادنا و ألححتم على قتالنا، و طال مكثكم فى أرضنا، و إنما أنتم عصبة يسيرة و قد أظلتكم الروم معهم العدة و السلاح، و أحاط بكم هذا النيل، و إنما أنتم أسارى فى أيدينا، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا و بينكم على ما تحبون و نحب، و ينقطع عنا و عنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام و لا نقدر عليه، و لعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبتكم و رجائكم.

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس بهذا حبسهم عنده يومين و ليلتين حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أ ترون أنهم يقتلون الرسل و يحبسونهم و يستحلون ذلك فى دينهم؟ و إنما أراد عمرو أن يروا حال المسلمين، ثم رد عمرو إلى المقوقس رسله، و قال لهم: إنه ليس بينى و بينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا، و كان لكم ما لنا، و إما أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد و أنتم صاغرون، و إما جاهدناكم بالصبر و القتال حتى يحكم الله بيننا و بينكم و هو خير الحاكمين.

فلما جاءوا إلى المقوقس قال لهم: كيف رأيتم؟ قالوا: رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، و التواضع أحب إليه من الرفعة، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة و لا نهمة، إنما جلوسهم على التراب، و أكلهم على ركبهم، و أميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم و لا السيد فيهم من العبد، و إذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم، يغسلون بالماء أطرافهم، و يخشعون فى صلاتهم.

فقال عند ذلك المقوقس: و الذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها و ما يقوى على قتال هؤلاء أحد، و لئن لم نغتنم صلحهم اليوم و هم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض و قووا على الخروج من موضعهم.

فرد إليهم المقوقس رسله: أن ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم و نتداعى نحن و هم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا و لكم.

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت، و أمره عمرو أن يكون

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۱

مكلم القوم و أن لا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلا إلى إحدى هذه الخصال الثلاث.

و كان عبادة أسود طويلا يقول ابن غفير: أدرك الإسلام من العرب عشرة، طول كل رجل منهم عشرة أشبار، أحدهم عبادة بن الصامت. فلما ركبوا السفن إلى المقوقس و دخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده، فقال: نحّوا عنى هذا الأسود، و قدموا غيره يكلمنى. فقالوا جميعا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيا و علما، و هو سيدنا و خيرنا و المقدم علينا، و إنما نرجع جميعا إلى قوله و رأيه، و قد أمره الأمير دوننا بما أمره به، و أمرنا أن لا نخالفه.

قال: و كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، و إنما ينبغى أن يكون دونكم؟.

قالوا: كلا، إنه و إن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا موضعا، و أفضلنا سابقة و عقلا و رأيا، و ليس ينكر السواد فينا.

فقال له المقوقس: تقدم يا أسود و كلمنى برفق فإنى أهاب سوادك، و إن اشتد كلامك علىّ ازددت لذلك هيبة.

فتقدم إليه عبادة فقال: قد سمعت مقالتك، و إن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل كلهم أشد سوادا منى و أفظع منظرا، و لو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى، و أنا قد وليت و أدبر شبابى، و إنى مع ذلك، بحمد الله، ما أهاب مائة رجل من عدوى و لو استقبلونى جميعا، و كذلك أصحابى، و ذلك أنا إنما رغبتنا و همتنا الجهاد فى الله و اتباع رضوانه، و ليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى دنيا، و لا طلبا للاستكثار منها، إلا أن الله، عز و جل، قد أحل لنا ذلك، و جعل ما غنمنا منه حلالا، و ما يبالى أحدنا أ كان له قنطار من الذهب أم كان لا يملك إلا درهما؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليله و نهاره، و شملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا- يملك إلا- ذلك كفاه، و إن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى و اقتصر على هذا الذى يتبلغ به ما كان فى الدنيا؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم و رخاءها ليس برخاء، إنما النعيم و الرخاء فى الآخرة، و بذلك أمرنا ربنا، و أمرنا به نبينا، و عهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته، و يستر عورته، و تكون همته و شغله فى رضى ربه و جهاده عدوه.

فلما سمع المقوقس كلامه قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، و إن قوله لأهيب عندى من منظره، و إن هذا و أصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل على عبادة فقال: أيها

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۲

الرجل قد سمعت مقالتك و ما ذكرت عنك و عن أصحابك، و لعمرى ما بلغتم إلا بما ذكرت، و ما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا بحبهم الدنيا و رغبتهم فيها، و قد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم يعرفون بالنجدة و الشدة، لا يبالى أحدهم من لقى و لا- من قاتل، و إنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم، و لن تطيقوهم لضعفكم و قلتكم و قد أقمتم بين أظهرنا أشهرا و أنتم فى ضيق و شدة من معاشكم و حالكم، و نحن نرق عليكم لضعفكم و قلتكم و قلة ما بأيديكم، و نحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين، و لأميركم مائة دينار، و لخليفتكم ألف دينار، فتقبضوها و تنصرفوا إلى بلادكم، قبل أن يغشاكم ما لا قبل لكم به.

فقال عبادة بن الصامت: يا هذا لا تغرن نفسك و لا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم و عددهم و كثرتهم، و أنا لا نقوى عليهم، فلعمرى ما هذا بالذى يخوفنا، و لا بالذى يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقا فذلك و الله أرغب ما يكون فى قتالكم، و أشد لحرصنا عليكم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، و إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه و جنته، و ما من شيء أقر لأعيننا و لا أحب إلينا من ذلك، و إنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين: إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، و إنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا، و إن الله عز و جل قال لنا فى كتابه: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: ۲۴۹]، و ما منا من رجل إلا و هو يدعو ربه صباحا و مساء أن يرزقه الله الشهادة و ألا يرده إلى بلاده و لا إلى أرضه و لا إلى أهله و ولده، و ليس لأحد منا همّ فيما خلفه، و قد استودع كل واحد منا ربه فى أهله و ولده، و إنما همنا ما أمامنا، و أما قولك: إنا فى ضيق و شدة من معاشنا و حالنا، فنحن فى أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه، فانظر الذى تريد فبينه لنا، فليس بيننا و بينك خصلة نقبلها منك و لا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت و لا تطمع نفسك بالباطل، بذلك أمرنى الأمير، و به أمره أمير المؤمنين، و هو عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من قبل إلينا: إما أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره، و هو دين أنبيائه و رسله و ملائكته، أمرنا أن نقاتل من خالفه و رغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا و عليه ما علينا، و كان أخانا فى دين الله، فإن قبلت ذلك أنت و أصحابك فقد سعدتم فى الدنيا و الآخرة، و رجعنا عن قتالكم، و لم نستحل أذاكم و لا التعرض لكم، و إن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد و أنتم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۳

صاغرون، نعاملكم على شىء نرضى به نحن و أنتم فى كل عام أبدا ما بقينا و بقيتم، و نقاتل عنكم من ناوأكم و عرض لكم فى شىء من أرضكم و دمائكم و أموالكم، و نقوم بذلك عنكم إذ كنتم فى ذمتنا، و كان لكم به عهد علينا، و إن أبيتم فليس بيننا و بينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به، و لا يجوز لنا فيما بيننا و بينكم غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال له المقوقس: هذا ما لا يكون أبدا، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا!.

فقال له عبادة: هو ذلك فاختر ما شئت!.

فقال له المقوقس: أ فلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث؟.

فرفع عبادة يديه فقال: لا ـ و رب هذه السماء، و رب هذه الأرض، و ربنا، و رب كل شىء، ما لكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه، فقال: قد فرغ القوم، فما ذا ترون؟.

فقالوا: أو يرضى أحد بهذا الذل؟ أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا ما لا يكون أبدا، أن نترك دين المسيح ابن مريم و ندخل فى دين غيره لا ـ نعرفه، و أما ما أرادوا أن يسبونا و يجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا.

فقال المقوقس لعبادة: قد أتى القوم «۱» فما ترى؟ فراجع أصحابك «۲» على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم و تنصرفوا.

فقام عبادة و أصحابه، فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله: أطيعونى و أجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث، فو الله ما لكم بهم طاقة، و لئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين.

فقالوا: و أى خصلة نجيبهم إليها؟.

قال: أنا أخبركم، أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به، و أما قتالكم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم، و لن تصبروا صبرهم، و لا بد من الثالثة.

---

(۱) فى ابن عبد الحكم: قد أبى القوم.

(۲) فى ابن عبد الحكم: صاحبك.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۴

قالوا: فنكون لهم عبيدا أبدا؟.

قال: نعم، أن تكونوا عبيدا منبسطين «۱» فى بلادكم، آمنين على أنفسكم و أموالكم و ذراريكم، خير لكم من أن تموتوا من آخركم، أو تكونوا عبيدا تباعون و تمزقون فى البلاد مستعبدين أبدا أنتم و أهلكم و ذراريكم.

قالوا: فالموت أهون علينا، و أمروا بقطع الجسر من الفسطاط و الجزيرة، و بالقصر من القبط و الروم جمع كثير.

فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى القصر، حتى ظفروا بهم و أمكن الله منهم، فقتل منهم خلق كثير، و أسر من أسر، و انحازت السفن كلها إلى الجزيرة، و صار المسلمون قد أحدق بهم الماء من كل جهة لا يقدرون على أن يتقدموا نحو الصعيد و لا إلى غير ذلك من المدائن و القرى، و المقوقس يقول لأصحابه: أ لم أعلمكم هذا و أخفه عليكم؟ ما تنتظرون، فو الله لتجيبن إلى ما أرادوا طوعا أو لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كرها، فأطيعونى من قبل أن تندموا.

فلما رأوا منهم ما رأوا، و قال لهم المقوقس ما قال، أذعنوا بالجزية، و رضوا بها على صلح يكون بينهم يعرفونه.

فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص: أنى لم أزل حريصا على إجابتك إلى خصلة من الخصال التى أرسلت إلىّ بها فأبى ذلك على

من حضرنی من الروم و القبط، فلم یکن لی أن أفتات علیهم فی أموالهم، و قد عرفوا نصحی لهم و حبی صلاحهم فرجعوا إلی قولی، فأعطنی أمانا أجتمع أنا و أنت، أنا فی نفر من أصحابی، و أنت فی نفر من أصحابک، فإن استقام الأمر بیننا تم ذلک لنا جمیعا، و إن لم یتم رجعنا إلی ما کنا علیه.

فاستشار عمرو أصحابه فی ذلک، فقالوا: لا نجیبهم إلی شیء من الصلح و لا الجزیة حتی یفتح الله علینا، و تصیر کلها لنا فیئا و غنیمة کما صار لنا القصر و ما فیه.

فقال عمرو: قد علمتم ما عهد إلیّ أمیر المؤمنین فی عهده، فإن أجابوا إلی خصلة من الخصال الثلاث التی عهد إلیّ فیها أجبتم إلیها و قبلت منهم، مع ما قد حال هذا الماء بیننا و بین ما نرید من قتالهم.

فاجتمعوا علی عهد بینهم، و اصطلحوا علی أن یفرض علی جمیع من بمصر أعلاها

---

(۱) فی ابن عبد الحکم: مسلطین.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۵

و أسفلها من القبط دینارین دینارین، علی کل نفس، شریفهم و وضیعهم، و من بلغ الحلم منهم، و لیس علی الشیخ الفانی، و لا علی الصغیر الذی لم یبلغ الحلم، و لا علی النساء شیء. و علی أن للمسلمین علیهم النزل بجماعتهم حیث نزلوا، و من نزل علیه ضیف واحد من المسلمین أو أکثر من ذلک کانت لهم ضیافة ثلاثة أیام مفترضة علیهم، و أن لهم أرضهم و أموالهم لا یعرض لهم فی شیء منها، فشرط هذا کله علی القبط خاصة.

و أحصوا عدد القبط من بلغ منهم الجزیة و من فرض علیهم الدیناران. رفع ذلک عرفاؤهم بالأیمان المؤکدة، فکان جمیع من أحصی یومئذ بمصر أعلاها و أسفلها من جمیع القبط أکثر من ستة آلاف ألف نفس، فکانت فریضتهم یومئذ اثنی عشر ألف ألف دینار فی کل سنة.

و عن یحیی بن میمون الحضرمی قال: لما فتح عمرو بن العاص مصر صالح عن جمیع ما فیها من رجال القبط، ممن راهق الحلم إلی ما فوق ذلک، لیس فیهم امرأة و لا شیخ و لا صبی، فأحصوا بذلک علی دینارین دینارین، فبلغت عدتهم ثمانیة آلاف ألف.

و فی الحدیث المتقدم الطویل: أن المقوقس شرط للروم أن یخیروا، فمن أحب منهم أن یقیم علی مثل هذا أقام لازما له ذلک مفترضا علیه، مما أقام بالإسکندریة و ما حولها من أرض مصر کلها، و من أراد الخروج منها إلی أرض الروم خرج، و علی أن للمقوقس الخیار فی الروم خاصة حتی یکتب إلی ملک الروم یعلمه ما فعل، فإن قبل ذلک و رضیه جاز علیهم و إلا کانوا جمیعا علی ما کانوا علیه.

و کتب المقوقس إلی ملک الروم یعلمه بالأمر علی وجهه، فکتب إلیه ملک الروم یقبح رأیه و یعجزه، و یرد علیه ما فعل و یقول فی کتابه:

إنما أتاک من العرب اثنا عشر ألفا، و بمصر من عدد القبط ما لا یحصی، فإن کان القبط کرهوا القتال و أحبوا أداء الجزیة إلی العرب و اختاروهم علینا فإن عندک بمصر من الروم و بالإسکندریة و من معک أکثر من مائة ألف، معهم العدة و القوة، و العرب و حالهم و ضعفهم علی ما قد رأیت، فعجزت عن قتالهم، و رضیت أن تکون أنت و من معک من الروم أذلاء فی حال القبط، ألا قاتلتهم أنت و من معک من الروم حتی تموت أو تظفر علیهم، فإنهم فیکم علی قدر کثرتکم و قوتکم و علی قدر قلتهم و ضعفهم کأکلة، فناهضهم القتال و لا یکن لک رأی غیر ذلک.

و کتب ملک الروم بمثل ذلک کتابا إلی جماعة الروم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۶

فقال المقوقس لما أتاه كتابه: و الله إنهم على قلتهم و ضعفهم أقوى و أشد منا على كثرتنا و قوتنا، إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، و ذلك أنهم قوم الموت أحب إليهم من الحياة، يقاتل الرجل منهم و هو مستقتل، يتمنى أن لا يرجع إلى أهله و لا بلده، و لا ولده، و يرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا، و يقولون إنهم إن قتلوا دخلوا الجنة، و ليس لهم رغبة فى الدنيا و لا لذة إلا قدر بلغة العيش من الطعام و اللباس، و نحن قوم نكره الموت و نحب الحياة و لذتها، فكيف نستقيم نحن و هؤلاء، و كيف صبرنا معهم، و اعلموا معشر الروم أنى و الله لا ـ أخرج مما دخلت فيه و صالحت العرب عليه، و أنى لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى قولى و رأيى، و تتمنون أن لو كنتم أطعمتونى، و ذلك أنى قد عاينت و رأيت و عرفت ما لم يعاين الملك و لم يره و لم يعرفه، ويحكم أ ما يرضى أحدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه و ماله و ولده بدينارين فى السنة؟.

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له: إن الملك قد كره ما فعلت و عجزنى، و كتب إلىّ و إلى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك، أمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم، و لم أكن لأخرج مما دخلت فيه و عاقدتك عليه، و إنما سلطانى على نفسى و من أطاعنى، و قد تم صلح القبط فيما بينك و بينهم، و لم يأت من قبلهم نقض و أنا متم لك على نفسي، و القبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه و عاهدتهم، و أما الروم فأنا منهم برىء، و أنا أطلب إليك أن تعطينى ثلاث خصال.

قال عمرو: و ما هن؟.

قال: لا ـ تنقض بالقبط، و أدخلنى معهم و ألزمنى ما لزمهم، فقد اجتمعت كلمتى و كلمتهم على ما عاهدتك عليه و هم متمون لك على ما تحب. و أما الثانية: إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا و عبيدا، فإنهم أهل لذلك؛ لأنى نصحتهم فاستغشونى، و نظرت لهم فاتهمونى. و أما الثالثة: أطلب إليك أن إذا مت أن تأمرهم يدفنونى فى أبى يحنس بالإسكندرية.

فأنعم له عمرو بن العاص بذلك و أجابه إلى ما طلب، على أن يضمنوا له الجسرين جميعا، و يقيموا لهم الأنزال و الضيافة و الأسواق و الجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية، ففعلوا.

و يقال: إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم و هو محاصر الإسكندرية، و بعد أن حصر أهلها ثلاثة أشهر و ألح عليهم و خافوه، فسأله المقوقس الصلح عنهم، كما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۳۷

صالحه على القبط، على أن يستنظر رأى الملك و على أن يسير من الروم من أراد المسير، و يقر من أراد الإقامة، فأنكر ذلك هرقل لما بلغه أشد الإنكار، و تسخط أشد التسخط، و بعث الجيوش، فأغلقوا الإسكندرية و آذنوا عمرو بن العاص بالحرب، فخرج إليه المقوقس فقال: أسألك ثلاثا، و ذكر نحو ما تقدم، و زاد أن عمرا قال فى الثالثة التى هى أن يدفن فى أبى يحنس: هذه أهونهن علينا.

ثم رجع إلى الحديث الأول، قال: فخرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج، و خرج معه جماعة من رؤساء القبط قد أصلحوا لهم الطريق و أقاموا لهم الجسور و الأسواق، و صارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم، و سمعت بذلك الروم فاستعدت و استجاشت، و قدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم، فيها جمع من الروم كثير بالعدة و السلاح، فخرج إليهم عمرو بن العاص من الفسطاط متوجها نحو الإسكندرية، فلم يلق منهم أحدا حتى بلغ ترنوط «۱»، فلقى فيها طائفة من الروم فقاتلوه قتالا خفيفا فهزمهم الله، و مضى عمرو بمن معه حتى لقى جمع الروم بكوم شريك، فاقتتلوا به ثلاثة أيام ثم فتح الله للمسلمين و ولى الروم أكتافهم.

و يقال: بل أرسل عمرو بن العاص، شريك بن سمى فى آثارهم، فأدركهم عند الكوم الذى يقال له كوم شريك، فقاتلهم شريك فهزمهم.

و يقال: بل لقيهم فألجئوه إلى الكوم فاعتصم به، و أحاطت به الروم، فلما رأى ذلك شريك أمر أبا ناعمة الصدفى «۲»، و هو صاحب الفرس الأشقر الذى يقال له: أشقر صدف، و كان لا ـ يجارى، فانحط عليهم من الكوم، و طلبته الروم فلم تدركه، حتى أتى عمرا

فأخبره، فأقبل عمرو نحوه. و سمعت به الروم فانصرفت، و بهذا الفرس سمیت خوخة الأشقر التی بمصر، و ذلک أنه نفق فدفنه صاحبه هناک، فسمی المکان به.

قال: ثم التقوا بسلطیس «۳» فاقتتلوا بها قتالا شدیدا، فهزمهم الله، ثم التقوا بالکریون «۴» فاقتتلوا بها بضعة عشر یوما.

---

(۱) ترنوط: قریة کانت بین مصر و الإسکندریة، أشار یاقوت إلى أنها قریة کبیرة جامعة على النیل، فیها أسواق و معاصر للسکر و بساتین، و أکثر فواکه الإسکندریة منها. انظر: معجم البلدان (۲/ ۲۷).

(۲) هو: أبو ناعمة مالک بن ناعمة الصدفی.

(۳) سلطیس: قریة من قرى مصر القدیمة، کان أهلها أعانوا على عمرو بن العاص فسباهم. انظر:

معجم البلدان (۳/ ۲۳۶).

(۴) کریون: موضع قرب الإسکندریة. انظر: معجم البلدان (۴/ ۴۵۸، ۴۵۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۸

و کان عبد الله بن عمرو على المقدمة، و حامل اللواء یومئذ وردان مولى عمرو، فأصابت عبد الله بن عمرو جراحات کثیرة، فقال: یا وردان لو تقهقرت قلیلا لنصیب الروح. فقال وردان: الروح أمامک و لیس هو خلفک. فتقدم عبد الله، و جاء رسول أبیه یسأله عن جراحه، فأنشأ یقول:

أقول إذا ما النفس جاشت ألا أصبری‌علیک قلیلا تحمدی أو تلامی فرجع الرسول فأخبره بما قال. فقال عمرو: هو ابنی حقا.

و صلى یومئذ عمرو صلاة الخوف، فحدث شیخ صلاها معه بالإسکندریة: أنه صلى بکل طائفة رکعة و سجدتین.

قال: ثم فتح الله على المسلمین، و قتلوا من الروم مقتلة عظیمة، و اتبعوهم حتى بلغوا الإسکندریة فتحصنوا بها، و کانت علیهم حصون لا ترام، حصن دون حصن، فنزل المسلمون ما بین حلوة إلى قصر فارس إلى ما وراء ذلک، و معهم رؤساء القبط یمدونهم بما احتاجوا إلیه من الأطعمة و العلوفة، و رسل ملک الروم تختلف إلى الإسکندریة فی المراکب بمادة الروم.

و یروى أن عمرا أقام بحلوة شهرین ثم تحول إلى المقس، فخرجت علیه الخیل من ناحیة البحیرة حیث کانت مستترة بالحصن فواقعوه، فقتل من المسلمین یومئذ بکنیسة الذهب اثنا عشر رجلا، و لم یکن للروم کنائس أعظم من کنائس الإسکندریة، و إنما کان عید الروم حین غلبت العرب على الشام بالإسکندریة، فکان ملک الروم یعظم ظهور العرب علیها و یقول: لئن غلبوا على الإسکندریة لقد هلکت الروم، و انقطع ملکها، و تجهز للخروج إلیها لیباشر قتالها بنفسه إعظاما لها، و أمر أن لا یتخلف عنه أحد من الروم، و قال: ما بقاء الروم بعد الإسکندریة؟ فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته و کفى المسلمین مئونته. و کان موته فی سنة تسع عشرة، و قیل: سنة عشرین، فکسر الله بموته شوکة الروم.

و رجع جمع کبیر ممن کان قد توجه إلى الإسکندریة، و استأسدت العرب عند ذلک و ألحت بالقتال على أهل الإسکندریة، فقاتلوهم قتالا- شدیدا، و خرج طرف من الروم من باب حصنها فحملوا على الناس و قتلوا رجلا- من مهرة فاحتزوا رأسه و انطلقوا به، فجعل المهریون یتغضبون و یقولون: لا- ندفنه أبدا إلا- برأسه. فقال عمرو بن العاص: تتغضبون کأنکم تتغضبون على من یبالى بغضبکم، احملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا رجلا منهم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۳۹

و ارموا برأسه یرموا برأس صاحبکم، فخرجت الروم علیهم فاقتتلوا، فقتل رجل من بطارقة الروم، فاحتزوا رأسه، فرموا به إلى الروم، فرمت الروم برأس المهری إلیهم، فقال:

دونکم الآن فادفنوا صاحبکم.

و كـان عمرو بن العاص يقول: ثلاث قبائل فى مصـر: أما مهرة فقوم يقتلون و لا يقتلون، و أما غافق فقوم يقتلون و لا يقتلون، و أما بلى فأكثرها رجلا صحب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أفضلها فارسا.

و قاتل عمر بن العاص الروم بالإسـكندرية يوما من الأيام قتالا شديدا، فلما اسـتحر القتال بارز رجل من الروم مسـلمة بن مخلد فصرعه الرومى، و ألقاه عن فرسه، و أهوى إليه بسيفه ليقتله حتى حماه رجل من أصحابه. و كان مسلمة لا يقام بسبيله و لكنها مقادير، ففرحت بذلك الروم و شق ذلك على المسلمين، و غضب عمرو بن العاص فقال:

و كان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن: ما بال الرجل المسبّه «۱» الذى يشبه النساء يتعرض فيداخل الرجال و يتشبه بهم؟ فغضب مسلمة و لم يراجعه، ثم اشـتد القتال حتى اقتحموا حصن الإسكندرية فقاتلهم العرب فى الحصن، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن إلا أربعة نفر فيهم عمرو بن العاص و مسلمة بن مخلد، أغلق الروم عليهم باب الحصن و حالوا بينهم و بين أصـحابهم و لا يدرون من هم.

فلما رأى ذلـك عمرو و أصـحابه لجئوا إلى ديماس من حماماتهم فتحرزوا به فأمرت الروم روميا فكلمهم بالعربيـة فقال لهم: إنكم قد صرتم بأيـدينا أسارى فاستأسـروا و لا تقتلوا أنفسـكم فامتنعوا ثم قال لهم: إن فى أيـدى أصـحابكم منا رجالا أسـروهم و نحن نعطيكم العهود أن نفادى بكم أصحابنا و لا نقتلكم، فأبوا عليهم.

فلما رأى الرومى ذلك منهم قال لهم: هل لكم إلى خصلة و هى نصف فيما بيننا و بينكم: أن تعطونا العهد و نعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل و منا رجل، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسـرتم لنا، و أمكنتمونا من أنفسكم، و إن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصـحابكم. فرضوا بذلك و تعاهدوا عليه، فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته و شدته، و قالوا لعمرو و أصـحابه و هم فى الديماس ليبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة و قال: يا هذا تخطئ مرتين، تشذ من

---

(۱) السبه: محركه، ذهاب العقل من الهرم. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادىّ (۴/ ۲۸۴). لسان العرب لابن منظور (۳/ ۱۹۳۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۰

أصحابك و أنت أميرهم و إنما قوامهم بك و قلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما أمرك، ثم لا ترضى حتى تبارز و تتعرض للقتل، فإن قتلت كـان ذلـك بلاـء على أصـحابك؟ مكانـك و أنـا أكفيـك إن شـاء الله! قـال عمرو: دونك فربما فرجها الله بك، فبرز مسـلمة و الرومى فتجاولاـ ساعـة ثم أعانه الله عليه فقتله، فكبر مسـلمة و أصـحابه، و وفى لهم الروم بما عاهـدوهم عليه، ففتحوا لهم باب الحصـن فخرجوا و لا تـدرى الروم أن أمير القوم فيهم، حتى بلغهم ذلك فأسـفوا و أكلوا أيديهم تغيظا على ما فاتهم، فلما خرجوا اسـتحيا عمرو مما كـان قـال لمسـلمة حين غضب، و سـأله أن يستغفر له، ففعل مسـلمة و قال عمرو: و الله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرات، مرتين فى الجاهلية و هذه الثالثة، و ما منها مرة إلا و قد ندمت و اسـتحييت و ما اسـتحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك و الله إنى لأرجو أن لا أعود إلى الرابعة ما بقيت.

قال ابن لهيعة: و أخبرنى بعض أشـياخنا أن عبد العزيز بن مروان لما قدم الإسكندرية سنة ثمانين سأل: هل بقى بالإسكندرية أحد ممن أدرك فتحها؟ فأتوه بشـيخ من الروم من أكابر أهل الإسـكندرية يومئذ فأعلموه أنه أدرك فتحها و هو رجل، فسأله عن أعجب ما رأى يومئـذ من المسـلمين. فقـال: أخبرك أيهـا الـأمير أنه كان لى صـديق من أبناء بطارقـة الروم يومئـذ منقطع إلىّ، و أنه أتانى فسألنى أن أركب معه حتى ننظر إلى المسـلمين و إلى حالهم و هيئتهم، و هم إذ ذاك محاصـرون الإسكندرية، فخرجت معه و هو على برذون له كثير اللحم و أنـا على برذون خفيف، فلما خرجنا من الحصن الثالث وقفنا على كوم مشرف ننظر إلى العرب، و إذا هم فى خيام لهم و على باب كل خيمة فرس واقف و رمح مركوز، و رأينا قوما ضعفاء فعجبنا من ضعفهم، و قلنا: كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا؟

فبينـا نحن وقوف ننظر إليهم و نعجب إذ خرج رجـل منهم من بعض تلـك الخيام، فلما نظر إلينا اختلع رمحه و وثب على ظهر فرسه ثم

أقبل نحونا، فقلت لصاحبى: و الله إنه ليريدنا! فلما رأيناه مقبلا إلينا لا يريد غيرنا ولينا هاربين، فما كان بأوشك من أن أدرك صاحبى فطعنه بالرمح فصرعه، ثم تركه صريعا و أقبل فى أثرى و أنا خائف أن لا أفلت منه حتى دخلت الحصن الأول فنجوت منه، ثم صعدت الحصن لأبصر ما يفعل، فرجع و هو يتكلم بكلام يرفع به صوته، فظننت أنه يقرأ، ثم مضى حتى اعترض برذون صاحبى فأخذه و رجع إلى صاحبى و هو صريع فأخذ سيفه و ترك سلبه فلم يأخذه تهاونا به، و كانت ثيابه ديباجا كلها، فلم يأخذها و لم ينزعها عنه.

فقال عبد العزيز بن مروان للشيخ الرومى: صف لى ذلك الرجل و شبهه ببعض من

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۱

عندى. فأشار إلى رجل مخفف كوسج «۱» فقال: هو يشبه هذا. قال عبد العزيز: نخبرك أنه يمان «۲».

و أقام عمرو يحاصر الإسكندرية أشهرا، فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، لما بلغه ذلك: ما أبطئوا بفتحها إلا لما أحدثوا.

و قال أسلم مولى عمر: لما أبطأ على عمر فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص:

أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، أنكم تقاتلونها منذ سنين، و ما ذاك إلا لما أحدثتم و أحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، و إن الله، تبارك و تعالى، لا ينصر قوما إلا بصدق نياتهم، و قد كنت وجهت إليك أربعة نفر، و أعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف، إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس و حضهم على قتال عدوهم، و رغبهم فى الصبر و النية، و قدم أولئك النفر الأربعة فى صدور الناس، و مر الناس جميعا أن تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، و ليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة و وقت الإجابة، و ليضج الناس إلى الله و يسألوه النصر على عدوهم.

فلما أتى عمرا الكتاب جمع الناس و قرأه عليهم، ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس، و أمر الناس أن يتطهروا و يصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله و يسألوه النصر، ففعلوا، ففتح الله عليهم.

و يقال إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد فقال له: أشر علىّ فى قتال هؤلاء. فقال له مسلمة: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة و تجارب من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فتعقد له على الناس، فيكون هو الذى يباشر القتال و يكفيكه. قال عمرو: و من ذلك؟ قال: عبادة بن الصامت. فدعا عمرو عبادة، فأتاه و هو راكب على فرسه، فلما دنا منه أراد النزول، فقال له عمرو: عزمت عليك أن لا تنزل، ناولنى سنام رمحك، فناوله إياه، فنزع عمرو عمامته عن رأسه و عقد له و ولاه القتال، فتقدم عبادة مكانه فصاف الروم و قاتلهم، ففتح الله على يديه الإسكندرية فى يومه ذلك.

و يروى أن عمرو بن العاص قال و قد أبطأ عليه الفتح، فاستلقى على ظهره ثم جلس

---

(۱) الكوسج: أى الناقص الأسنان، و البطىء من البراذين. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادىّ (۱/ ۲۰۴).

(۲) فى ابن عبد الحكم: «... قال عبد العزيز عند ذلك: إنه ليصف صفة رجل يمانى».

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۲

فقال: إنى فكرت فى هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله، يريد الأنصار، فدعا عبادة بن الصامت فعقد له، ففتح الله الإسكندرية على يديه من يومه ذلك.

و قال جنادة بن أبى أمية «۱»: دعانى عبادة بن الصامت يوم الإسكندرية و كان على قتالها، فأغار العدو على طائفة من الناس و لم يأذن بقتالهم، فبعثنى أحجز بينهم، فأتيتهم فحجزت بينهم ثم رجعت إليه، فقال: أقتل أحد من الناس؟ قلت: لا. قال: الحمد لله الذى لم يقتل أحد منهم عاصيا.

قالوا: و كان فتح الإسكندرية يوم الجمعة مستهل شهر المحرم من سنة عشرين.

و لما هزم الله الروم و فتحت الإسكندرية و هرب الروم فى البحر و البر، خلف عمرو ابن العاص بالإسكندرية من أصحابه ألف رجل، و

مضى فى طلب من هرب فى البر من الروم، فرجع من كان هرب منهم فى البحر إلى الإسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب.

و بلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها، و أقام بها، و كتب إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أن الله قد فتح علينا الإسكندرية عنوة بغير عقد و لا عهد، فكتب إليه عمر يقبح رأيه و يأمره ألا يجاوزها.

قال ابن لهيعة: و هذا هو فتح الإسكندرية الثانى، و كان سبب فتحها أن بوابا يقال له: ابن بسامة سأل عمرا الأمان على نفسه و أرضه و أهل بيته و يفتح له الباب، فأجابه عمرو إلى ذلك و فتح له ابن بسامة الباب، فدخل عمرو من ناحية قنطرة سليمان، و كان مدخله الأول من الباب الذى من ناحية كنيسة الذهب.

و قد روى ابن لهيعة، أيضا، عن يزيد بن أبى حبيب أن فتحها الأول كان سنة إحدى و عشرين ثم انتقضوا سنة خمس و عشرين.

و جاءت الروم عليهم منويل الخصى، بعثه هرقل فى المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۲۰۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۷۸۹)، طبقات ابن سعد (۷/ ۴۳۹)، طبقات خليفة ترجمة رقم (۲۹۰۵)، تاريخ البخارى (۲/ ۱۳۲)، تاريخ خليفة (۱۸۰)، مقدمة مسند بقى بن مخلد (۱۱۲)، التاريخ الكبير (۲/ ۲۳۲)، التاريخ الصغير (۷۲)، الجرح و التعديل (۲/ ۵۱۵)، فتوح البلدان (۲۷۸)، تاريخ الثقات للعجلى (۹۹)، الثقات لابن حبان (۴/ ۱۰۳)، مشتبه النسبة لعبد الغنى بن سعيد (۲۰۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۳

فأجابهم من بها من الروم، فخرج إليهم عمرو بن العاص فى البر و البحر، فقاتلهم قتالا ـ شديدا، فهزمهم الله و قتل منويل، و لم يكن المقوقس تحرك و لا نكث.

و يقال: أن هذا انتقاض ثان للإسكندرية بعد انتقاضها الذى ذكره ابن لهيعة أولا و كان ذلك فى زمان عمر، و هذا الذى ذكر يزيد بن أبى حبيب فى خلافة عثمان، رضى الله عنهما، و سيأتى ذكره فى موضعه مستوفى إن شاء الله.

و قيل: إن جميع من قتل من المسلمين من حين كان من أمر الإسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان و عشرون رجلا.

و بعث عمرو بن العاص، معاوية بن حديج «۱» وافدا إلى عمر بن الخطاب يبشره بالفتح، فقال له معاوية: أ لا تكتب معى؟ فقال له عمرو: ما أصنع بالكتاب، أ لست رجلا عربيا تبلغ الرسالة و ما رأيت و حضرته؟.

فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية، فخر عمر ساجدا و قال: الحمد لله.

و يروى عن معاوية بن حديج أنه قال: قدمت المدينة فى الظهيرة فأنخت راحلتى بباب المسجد، ثم دخلت المسجد، فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب فرأتنى شاحبا علىّ ثياب السفر، فأتتنى فقالت: من أنت؟ فقلت: أنا معاوية بن حديج رسول عمرو بن العاص. فانصرفت عنى، ثم أقبلت تشتد، فقالت: قم فأجب أمير المؤمنين. فتبعتها، فلما دخلت إذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه فقال: ما عندك؟ فقلت:

خير يا أمير المؤمنين، فتح الله الإسكندرية، فخرج معى إلى المسجد فقال للمؤذن: أذن فى الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ثم قال لى: قم فأخبر أصحابك. فقمت فأخبرتهم، ثم صلى و دخل منزله و استقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال: يا جارية، هل من طعام؟ فأتت بخبز و زيت، فقال: كل، فأكلت على حياء، ثم قال: كل فإن المسافر يحب الطعام، فلو كنت آكلا لأكلت معك. فأصبت على حياء، ثم قال: يا جارية، هل من تمر؟ فأتت بتمر فى طبق، فقال: كل، فأكلت على حياء، ثم قال: ما ذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت: أمير المؤمنين قائل «۲». قال: بئس ما قلت، أو بئس ما ظننت. لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية، و لئن نمت الليل لأضيعن نفسى، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟.

(۱) انظر ترجمته فی: أسد الغابة ترجمة رقم (۴۹۸۰).

(۲) القائل: هو النائم فی وسط النهار. انظر: القاموس المحیط للفیروزآبادیّ (۴/ ۴۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۴۴

ثم کتب عمرو بن العاص بعد ذلک إلی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه: أما بعد، فإنی فتحت مدینة لا أصف ما فیها، غیر أنی أصبت فیها أربعة آلاف منیة بأربعة آلاف حمام، و أربعین ألف یهودی علیهم الجزیة، و أربعمائة ملهی للملوک.

و عن أبی قبیل أن عمرو بن العاص لما فتح الإسکندریة وجد فیها اثنی عشر ألف بقال یبیعون البقل الأخضر.

و عن غیره «۱» أنه کان فیما أحصی من الحمامات اثنا عشر دیماسا أصغر دیماس منها یسع ألف مجلس، کل مجلس منها یسع جماعة نفر.

قال: و ترحل من الإسکندریة فی اللیلة التی دخلها عمرو بن العاص أو اللیلة التی خافوا دخوله سبعون ألف یهودی، و کان عدة من بالإسکندریة من الروم مائتی ألف من الرجال، فلحق بأرض الروم أهل القوة و رکبوا السفن، و کان بها مائة مرکب من المراکب الکبار یحمل فیها ثلاثون ألف بما قدروا علیه من المال و المتاع و الأهل، و بقی من بقی ممن یؤدی الخراج، فأحصوا یومئذ ستمائة ألف سوی النساء و الصبیان.

و اختلف الناس علی عمرو فی قسمهم، و کان أکثرهم یریدون القسم، فقال عمرو:

لا- أقدر علی ذلک حتی أکتب إلی أمیر المؤمنین، فکتب إلیه فی ذلک، فکتب إلیه عمر، رضی الله عنه: لا تقسمها، و ذرهم یکون خراجهم فیئا للمسلمین و قوة لهم علی جهاد عدوهم.

فأقرها عمرو و أحصی أهلها و فرض علیهم الخراج، فکانت مصر صالحا کلها بفریضة دینارین دینارین علی کل رجل، لا یزاد علی أحد منهم فی جزیة رأسه علی دینارین، غیر أنه یلزم بقدر ما یتوسع فیه من الأرض و الزرع، إلا الإسکندریة فإنهم کانوا یؤدون الخراج و الجزیة علی قدر ما یری من ولیهم؛ لأن الإسکندریة فتحت عنوة لغیر عهد و لا عقد، و لم یکن لهم صلح و لا ذمة.

و یقال: إن مصر کلها فتحت عنوة بغیر عهد و لا عقد.

قال سفیان بن وهب الخولانی «۲»: لما فتحنا مصر بغیر عهد قام الزبیر بن العوام فقال:

اقسمها یا عمرو. فقال: لا أقسمها. فقال الزبیر: و الله لتقسمنها کما قسم رسول الله

(۱) هو: حسین بن شفی بن عبید.

(۲) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۳۳۴۳)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۱۲۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۴۵

صلی اللّه علیه و سلم خیبر. فقال عمرو: و الله لا أقسمها حتی أکتب إلی أمیر المؤمنین. فکتب إلیه فأجابه:

أقرها حتی یغدو «۱» منها حبل الحبلة.

و فی حدیث آخر: أن الزبیر صولح علی شیء أرضی به.

و حدث أبو قنان «۲»، عن أبیه أنه سمع عمرو بن العاص یقول، یعنی بمصر: لقد قعدت مقعدی هذا و ما لأحد من قبط مصر علیّ عهد و لا عقد، إن شئت قتلت، و إن شئت حبست، و إن شئت بعت.

و یروی عن ربیعة نحو ما تقدم من فتح مصر بغیر عهد، و أن عمر بن الخطاب حبس درها و صرها أن یخرج منه شیء نظیرا للإسلام و أهله.

و قال زيد بن أسلم «۳»: كان لعمر بن الخطاب، رضى الله عنه، تابوت فيه كل عهد كان بينه و بين أحد ممن عاهده، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد.

و يروى أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط: إن من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته. فذكر لعمرو أن قبطيا «۴» من أهل الصعيد يقال له: بطرس عنده كنز، فأرسل إليه فسأله، فأنكر، فحبسه عمرو، و سأل: هل تسمعونه يسأل عن أحد؟ فقالوا:

سمعناه يسأل عن راهب بالطور، فأخذ خاتم بطرس و كتب على لسانه بالرومية إلى ذلك الراهب: أن ابعث إلىّ بما عندك، و ختم بخاتمه، فجاء الرسول من عند الراهب بقلة شامية مختومة بالرصاص، فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها: يا بنى، إن أردتم ما لكم فافتحوا تحت الفسقية الكبيرة. فأرسل عمرو إلى الفسقية فحبس عنها الماء، و قلع البلاط الذى تحتها، فوجد فيها اثنين و خمسين أردبا ذهبا مضروبة، فضرب عمرو رأس القبطى عند باب المسجد، فأخرج القبط كنوزهم خشية أن يقتلوا.

و روى يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطى كان يظهر الروم على عورات المسلمين و يكتب إليهم بذلك، فاستخرج منه بضعة و خمسين أردبا دنانير.

و قال ابن شهاب: كان فتح مصر بعضها بعهد و ذمة و بعضها عنوة. فجعل عمر بن

---

(۱) فى ابن عبد الحكم: يغزو.

(۲) هو: أيوب بن أبى العالية.

(۳) انظر ترجمته فى: الجرح و التعديل (۳/ ۲۵۰۹)، الإصابة ترجمة رقم (۲۸۸۳)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۸۲۱).

(۴) فى ابن عبد الحكم: نبطيا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۶

الخطاب جميعها ذمة، و حملهم على ذلك، فجرى ذلك فيهم إلى اليوم.

و فى كتاب سيف عمن سمى من أشياخه «۱» فى فتح مصر مساق آخر غير ما تقدم، و ذلك أن عمرو بن العاص خرج إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة، يعنى رجوعه من الشام، فانتهى عمرو إلى باب مصر، و أتبعه الزبير فاجتمعا، فلقيهم هناك أبو مريم جاثليق «۲» مصر و معه الأسقف فى أهل النيات، بعثهم المقوقس لمنع بلادهم.

فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم عمرو: لا تعجلونا لنعذر إليكم، و تروا رأيكم بعد، فكفوا أصحابهم، فأرسل إليهم عمرو: إنى بارز فليبرز لى أبو مريم و أبو مريام، فأجابوه إلى ذلك و آمن بعضهم بعضا. فقال لهما عمرو: أنتما راهبا أهل هذه البلدة فاسمعا: إن الله بعث محمدا بالحق و أمره به، و أمرنا به محمد، و أدى إلينا كل الذى أمر به، ثم مضى، صلوات الله عليه، و قد قضى الذى عليه و تركنا على الواضحة، و كان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه قبلنا منه و كان مثلنا، و من لم يجبنا إليه عرضنا عليه الجزية، و بذلنا له المنعة، و قد أعلمنا أنا مفتتحوكم، و أوصانا بكم حفظا لرحمنا فيكم، و إن لكم إن أجبتمونا إلى ذلك ذمة إلى ذمة، و مما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيرا، فإن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أوصى بالقبطيين خيرا؛ لأن لهم رحما و ذمة، يعنى بالرحم أن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منهم، فقالا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء و أتباع الأنبياء، و ذكرا أن هاجر معروفة عندهم شريفة.

قالا: كانت ابنة ملكنا، و كان من أهل منف و الملك فيهم، فأذيل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم و سلبوا ملكهم و اغتربوا، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام. مرحبا بكم و أهلا أمنا حتى نرجع إليك.

فقال عمرو: إن مثلى لا يخدع و لكننى أؤجلكما ثلاثا و لتناظرا قومكما، و إلا ناجزناكم.

قالا ـ زدنا، فزادهم يوما، فقالا: زدنا، فزادهم يوما، فرجعوا إلى المقوقس، فهم، يعنى بالإنابة إلى الجزية، فأبى أرطبون أن يجيبهما، و

أمر بمناهدتهم، فقالا لأهل مصر: أما نحن فسنجهد أن ندفع عنکم، لا نرجع إلیهم و قد بقیت أربعة أیام، فلا تصابون فیها بشیء

(۱) انظر: تاریخ الرسل و الملوک للطبری (۴/ ۱۰۷، ۱۰۸).

(۲) الجاثلیق: رئیس النصاری فی دیار الإسلام.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۴۷

إلا رجونا أن یکون له أمان، فلم یفجأ عمرا و الزبیر إلا البیات من فرقب، و عمرو و الزبیر بعین شمس و بها جمعهم. و بعث إلی الفرما أبرهة بن الصباح، فنزل علیها، و بعث عوف ابن مالک إلی الإسکندریة فنزل علیها، فقال کل واحد منهما لأهل مدینته: إن شئتم أن تنزلوا فلکم الأمان. فقالوا: نعم، فراسلوها، و تربصوا بهم أهل عین شمس، و سبی المسلمون من بین ذلک.

و قال عوف بن مالک «۱»: ما أحسن مدینتکم یا أهل الإسکندریة فقالوا: إن الإسکندر قال: إنی أبنی مدینة إلی الله فقیرة، و عن الناس غنیة، فبقیت بهجتها.

و قال أبرهة لأهل الفرما: ما أخلق مدینتکم یا أهل الفرما؟ قالوا: إن الفرما قال: إنی أبنی مدینة عن الله غنیة، و إلی الناس فقیرة، فذهبت بهجتها.

قال الکلبی: کان الإسکندر و الفرما أخوین، ثم حدث بمثل ذلک، قال: فنسبتا إلیهما، فالفرما یتهدم کل یوم فیها شیء، و أخلقت مرآتها، و بقیت جدة الإسکندریة.

قالوا: و لما نزل عمرو علی القوم بعین شمس، و کان الملک بین القبط و النوب، و نزل معه الزبیر علیها قال أهل مصر لملکهم: ما ترید إلی قوم فلوا کسری و قیصر و غلبوهم علی بلادهم، صالح القوم و اعتقد منهم، و لا تعرضنا لهم، و ذلک فی الیوم الرابع، فأبی، و ناهدوهم فقاتلوهم، و ارتقی الزبیر سورها، فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو، و خرجوا إلیه مصالحین، فقبل منهم، و نزل الزبیر علیهم عنوة، حتی خرج علی عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا علی الهلکة فأجروا ما أخذوا عنوة مجری ما صالحوا علیه، فصاروا ذمة:

و کان صلحهم:

بسم الله الرحمن الرحیم. هذا ما أعطی عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان علی أنفسهم، و ملتهم، و أموالهم، و کنائسهم، و صلبهم، و بحرهم، و برهم، لا یدخل علیهم فی شیء من ذلک، و لا ینتقض، و لا یساکنهم النوب. و علی أهل مصر أن یعطوا الجزیة إذا اجتمعوا علی هذا الصلح، و انتهت زیادة نهرهم خمسین ألف ألف. و علیهم ما جنی لصوصهم، فإن أبی أحد أن یجیب رفع عنهم من الجزی بقدرهم، و ذمتنا من أبی بریئة.

(۱) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۶۱۱۶)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۱۳۰)، المعارف (۳۱۵)، الجرح و التعدیل (۷/ ۱۳، ۱۴)، العبر (۱/ ۸۱)، تهذیب التهذیب (۸/ ۱۶۸)، شذرات الذهب (۱/ ۷۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۴۸

و إن نقص نهرهم من عادته إذا انتهی رفع عنهم بقدر ذلک، و من دخل فی صلحهم من الروم و النوب فله مثل ما لهم، و علیه مثل ما علیهم، و من أبی فاختار الذهاب فهو آمن حتی یبلغ مأمنه، أو یخرج من سلطاننا، علیهم ما علیهم أثلاثا فی کل ثلث، یرید من السنة، جبایة ثلث ما علیهم، لهم علی ما فی هذا الکتاب عهد الله و ذمة رسوله صلی اللّه علیه و سلم و ذمة الخلیفة أمیر المؤمنین و ذمم المؤمنین.

و علی النوبة الذین استجابوا أن یعینوا بکذا و کذا رأسا، و کذا و کذا فرسا معونة، علی أن لا یغزوا و لا یمنعوا من تجارة صادرة و لا

واردة.

شهد الزبير، و عبد الله و محمد ابنا عمرو، و كتب وردان، و حضر فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم، و قبلوا الصلح «۱».

فمصر عمرو الفسطاط، و نزله المسلمون، و ظهر أبو مريم و أبو مريام، فكلموا عمرا فى السبايا التى أصيبت بعد المعركة، فقال عمرو: أولهم عهد و عقد؟ أ لم نخالفكما و يغر علينا من يومكما؟ فطردهما، فرجعا و هما يقولان: كل شىء أصبتموه إلى أن نرجع إليكم ففى ذمة. فقال لهما عمرو: يغيرون علينا و هم فى ذمة؟ قالا: نعم. و قسم عمرو ذلك السبى على الناس، و توزعوه و وقع فى بلاد العرب، و قدم البشير إلى عمر بعد بالأخماس، و قدم الوفود، فسألهم عمر، فما زالوا يخبرونه حتى مروا بحديث الجاثليق و صاحبه، فقال عمر: أ لا ـ أراهما يبصران و أنتم تجاهلون و لا تبصرون من قاتلكم فلا أمان له، و من لم يقاتلكم و أصابه منكم سبى من أهل القرى فى الأيام الخمسة فله الأمان، و كتب بذلك إلى عمرو بن العاص، فجعل يجاء بهم من اليمن و مكة حتى ردوا.

و عن عمرو بن شعيب «۲» قال: لما التقى عمرو و المقوقس بعين شمس، و اقتتلت خيلاهما، جعل المسلمون يجولون بعد البعد، فزمرهم عمرو، فقال رجل من أهل اليمن:

إنا لم نخلق من حجارة و لا حديد. فأسكته عمرو، ثم لما تمادى ذلك نادى عمرو: أين أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم؟ فحضر من شهدها منهم، فقال: تقدموا فبكم ينصر المسلمون.

فتقدموا و فيهم يومئذ أبو بردة و أبو برزة، و ناهدهم الناس يتبعون الصحابة، ففتح الله على المسلمين، و ظفروا أحسن الظفر، و افتتحت مصر، و قام فيها ملك الإسلام على رجل، و جعل يفيض على الأمم و الملوك.

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۰۹).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۱۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۴۹

و عن محمد بن إسحاق «۱» عن رجل من أهل مصر اسمه القاسم بن قزمان: أن زياد ابن جزء الزبيدى حدثه و كان فى جند عمرو بن العاص، قال: افتتحنا الإسكندرية فى خلافة عمر، فلما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا و بين الإسكندرية قرية قرية، حتى انتهينا إلى بلهيب و قد بلغت سبايانا مكة و المدينة و اليمن، فلما انتهينا إلى بلهيب «۲» أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص: إنى قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلىّ منكم يا معشر العرب، لفارس و الروم، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علىّ ما أصبتم من سبايا أرضى فعلت، فبعث إليه عمرو: إن ورائى أميرا لا أستطيع أن أصنع أمرا دونه، فإن شئت أن أمسك عنك و تمسك عنى حتى أكتب إليه بالذى عرضت علىّ، فإن قبل ذلك منك قبلت، و إن أمرنى بغير ذلك مضيت لأمره.

قال: فقال: نعم. فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يذكر له الذى عرض عليه صاحب الإسكندرية. قال: و كانوا لا يخفون علينا كتابا كتبوا به، ثم وقفنا ببلهيب و فى أيدينا بقايا من سبيهم، و أقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءه، و قرأه علينا عمرو و فيه:

«أما بعد: فإنه جاء فى كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض عليك أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصبت من سبايا أرضه، و لعمرى لجزية قائمة تكون لنا و لمن بعدنا من المسلمين أحب إلىّ من فىء يقسم، ثم كأنه لم يكن، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية، على أن تخيروا من فى أيديكم من سبيهم بين الإسلام و بين دين قومه، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين، له ما لهم و عليه ما عليهم، و من اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل ذمته، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب و بلغ مكة و المدينة و اليمن فإنّا لا نقدر على ردهم، و لا نحب أن نصالحه على أمر لا نفى له به».

قال: فبعث عمرو بن العاص إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذى كتب به أمير المؤمنين، فقال: قد فعلت، فجمعنا ما فى أيدينا من السبايا، و اجتمعت النصارى، فجعلنا نأتى بالرجل ممن فى أيدينا، ثم نخيره بين الإسلام و بين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبرنا

تکبیرة لهی أشد من تکبیرتنا حین تقتحم القریة، ثم نجوزه إلینا، و إذا اختار النصرانیة نخرت النصاری و حازوه إلیهم، و وضعنا علیه الجزیة، و جزعنا من ذلک جزعا

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۰۵، ۱۰۶).

(۲) بلهیب: قریة من قری الریف، یقال لها: الریش. انظر: الطبری (۴/ ۱۰۵)، معجم البلدان (۱/ ۴۹۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۵۰

شدیدا، حتی کأنه رجل خرج منا إلیهم، فکان ذلک الدأب حتی فرغنا منهم.

و فیمن أتینا به أبو مریم عبد الله بن عبد الرحمن، قال القاسم: و قد أدرکته و هو عریف بنی زبید، قال ابن جزء الزبیدی: فعرضنا علیه الإسلام و النصرانیة، و أبوه و أمه و إخوته فی النصاری، فاختار الإسلام، فحزناه إلینا، و وثب علیه أبوه و أمه و إخوته یجاذبوننا علیه، حتی شققوا ثیابه، ثم هو الیوم عریفنا کما تری.

ثم فتحت لنا الإسکندریة فدخلناها، فمن زعم غیر ذلک أن الإسکندریة و ما حولها من القری لم تکن لها جزیة و لا لأهلها عهد فقد کذب.

قال القاسم: و إنما أهاج هذا الحدیث أن ملوک بنی أمیة کانوا یکتبون إلی أمراء مصر أنها إنما دخلت عنوة، و إنما هم عبیدنا نزید علیهم کیف شئنا، و نضع ما شئنا، و قد تقدم بعض ما وقع فی هذا المعنی من الاختلاف.

و کذلک اختلفوا فی وقت فتح مصر، فذکر ابن إسحاق أنها فتحت سنة عشرین، و کذلک قال أبو معشر و الواقدی.

و قد روی عن أبی معشر أن الإسکندریة فتحت سنة خمس و عشرین، و لعل ذلک فتحها الأخیر، إذ قد تقدم ذکر انتقاضها مرتین.

و أما سیف «۱» فزعم أن مصر و الإسکندریة فتحتا فی سنة ست عشرة. قال: و لما کان ذو القعدة من سنة ست عشرة وضع عمر، رحمه الله، مسالح مصر علی السواحل و غیرها.

و قال سعید بن عفیر و غیره «۲»: لما تم الفتح للمسلمین بعث عمرو بن العاص جرائد الخیل إلی القری التی حول الفسطاط، فأقامت الفیوم سنة لم یعلم المسلمون مکانها، حتی أتاهم رجل فذکرها لهم، فأرسل عمرو معه ربیعة بن حبیش بن عرفطة الصدفی، فلما سلکوا فی المجابة لم یروا شیئا، فهموا بالانصراف، فقالوا: لا تعجلوا، سیروا فإن کان کذبا فما أقدرکم علی ما أردتم. فلم یسیروا إلا قلیلا حتی طلع لهم سواد الفیوم فهجموا علیها، فلم یکن عندهم قتال و ألقوا بأیدیهم.

قال: و یقال: بل خرج مالک بن ناعمة الصدفی، و هو صاحب الأشقر، ینفض المجابة

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۱۱، ۱۱۲).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحکم (ص ۱۶۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۵۱

علی فرسه، و لا علم له بما خلفها من الفیوم، فهجم علی الفیوم فلما رأی سوادها رجع إلی عمرو فأخبره.

و قیل غیر ذلک فی وجه الانتهاء إلی الفیوم مما لا کبیر فائدة فی ذکره، و الله تعالی أعلم «۱».

و عن یزید بن أبی حبیب أن عمرو بن العاص لما فتح الإسکندریة و رأی بیوتها و بناءها مفروغا منها همّ بسکناها، و قال: مساکن قد کفینا بناءها، فکتب إلی عمر بن الخطاب یستأذنه فی ذلک، فسأل عمر الرسول: هل یحول بینی و بین المسلمین ماء؟ قال: نعم، إذا جری النیل. فکتب إلی عمرو:

إنی لا أحب أن ینزل المسلمون منزلا یحول الماء بینی و بینهم لا فی شتاء و لا فی صیف.

فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط. و إن ناسا من المسلمين حين افتتحوا مصر مع عمرو بن العاص اختطوا بالجيزة و سكنوا بها، فكتب عمرو بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر يقول: ما كنت أحب أن ينزلوا منزلا- يكون الماء دونهم، فإذا فعلوا فابن عليهم حصنا. فبنى الحصن الذى خلف الجسرين.

و بنى عمرو بن العاص المسجد، و كان ما حوله حدائق و أعنابا، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم، و وضعوا أيديهم، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة، وضعها هو و من حضر معه من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و اتخذ فيه منبرا. فكتب إليه عمر بن الخطاب:

«أما بعد. فإنه بلغنى أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين، أو ما بحسبك أن تقوم قائما و المسلمون تحت عقبيك، فعزمت عليك لما كسرته».

و لما اختط الناس المنازل بالفسطاط كتب عمرو بن العاص إلى عمر، رضى الله عنه:

إنا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع.

فكتب إليه عمر: أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر؟ و أمره أن يجعلها سوقا للمسلمين.

و ذكر الطبرى «۲» أن القبط حضروا باب عمرو، فبلغه أنهم يقولون: ما أرثّ العرب

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۹۱).

(۲) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۱۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۲

و أهون أنفسهم و ما رأينا مثلنا دان لهم فخاف أن يستثيرهم ذلك، فأمر بجزر فنحرت، فطبخت فى الماء و الملح، و أمر أمراء الأجناد أن يحضروا هم و أصحابهم، و جلس و أذن لأهل مصر، و جيء باللحم و المرق فطافوا به على المسلمين، فأكلوا أكلا عربيا، انتشلوا و حسوا و هم فى العباء و لا سلاح، فافترق أهل مصر و قد ازدادوا طمعا و جرأة، و تقدم إلى أمراء الأجناد فى الحضور بأصحابهم من الغد، و أمرهم أن يجيئوا فى ثياب أهل مصر و أحذيتهم، و أمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك، ففعلوا، و أذن لأهل مصر، فرأوا غير ما رأوا بالأمس، و قام عليهم القوم بألوان مصر، فأكلوا أكل أهل مصر، و نحوا نحوهم، فافترقوا و قد ارتابوا.

و بعث إليهم: أن يتسلحوا غدا للعرض، و غدا على العرض، و أذن لأهل مصر فعرضهم عليهم، ثم قال: إنى قد علمت أنكم رأيتم فى أنفسكم أنكم فى شيء حين رأيتم اقتصاد العرب و هون تزجيتهم، فخشيت أن تهلكوا، فأحببت أن أريكم حالهم، كيف كانت فى أرضهم، ثم حالهم فى أرضكم، ثم حالهم فى الحرب فظفروا بكم، و ذلك عيشهم، و قد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم فى اليوم الثانى، فأحببت أن تعلموا أن من رأيتم فى اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثانى و راجع إلى عيش اليوم الأول.

فتفرقوا و هم يقولون: لقد رمتكم العرب برجلهم.

و بلغ عمر، رحمه الله، ذلك، فقال لجلسائه، يعنى عمرا: و الله إن حربه للينة ما لها سطوة و لا سورة كسورات الحروب من غيره، إن عمرا لعض، ثم أمّره عليها و أقام بها.

و ذكر ابن عبد الحكم أن عمر، رضى الله عنه، كتب أن يختم فى رقاب أهل الذمة بالرصاص، و يظهروا مناطقهم، و يجزوا نواصيهم، و يركبوا على الأكف عرضا، و لا- يضربوا الجزية إلا- على من جرت عليه الموسى، و لا- يضربوا على النساء، و لا على الولدان، و لا يدعوهم يتشبهون «۱» بالمسلمين فى لبوسهم «۲».

قال: ثم إن عمر بن الخطاب أمر أمراء الأجناد أن يتقدموا إلى الرعية بأن عطاءهم قائم، و أرزاق عيالهم جارية، فلا يزرعون، يعنى الأجناد، و لا يزارعون.

فأتى شريك بن سمى الغطيفى إلى عمرو بن العاص فقال: إنكم لا تعطوننا ما يحبسنا أ فتأذن لى بالزرع؟ فقال له عمرو: ما أقدر على ذلك، فزرع شريك بغير إذنه، فكتب

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۵۱).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۳

عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب، فأمره أن يبعث إليه شريكا، فأقرأ عمرو شريكا الكتاب، فقال له شريك: قتلتنى يا عمرو قال: ما أنا قتلتك قال: أنت صنعت هذا بنفسك قال: فإذا كان هذا من رأيك فأذن لى فى الخروج إليه من غير كتاب، و لك علىّ عهد الله أن أجعل يدى فى يده، فأذن له، فلما وقف على عمر قال: تؤمننى يا أمير المؤمنين؟ قال: و من أى الأجناد أنت؟ قال: من جند مصر، قال: فلعلك شريك بن سمى الغطيفى؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: لأجعلنك نكالا لمن خلفك، قال: أو تقبل منى ما قبل الله من العباد؟ قال: و تفعل؟ قال: نعم، فكتب إلى عمرو بن العاص: إن شريك ابن سمى جاءنى تائبا فقبلت منه.

و عن الليث بن سعد «۱» قال: سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك و قال: أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين، فأجابه عمر عن كتابه إليه فى ذلك: سله لم أعطاك به ما أعطاك، و هى لا تزدرع و لا يستنبط بها ماء و لا ينتفع بها. فسأله عمرو، فقال: إنا لنجد صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة، فكتب بذلك إلى عمر، فأجابه: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين، فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين و لا تبعه بشىء. فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر يقال له: عامر، فقيل: عمرت.

قالوا «۲»: و لما استقامت البلاد و فتح الله على المسلمين، فرض عمرو بن العاص لرباط الإسكندرية ربع الناس، يقيمون ستة أشهر ثم يعقب بعدهم ربعا آخر ستة أشهر، و ربعا فى السواحل، و النصف الثانى مقيمون معه.

و قيل: كان عمر بن الخطاب يبعث كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية و كانت الولاة لا تغفلها، و يكثفون رابطتها، و لا يأمنون الروم عليها.

و كتب عثمان بن عفان، رضى الله عنه، و هو خليفة إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعد أن استعمله على مصر:

قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالإسكندرية، و قد نقضت مرتين، فألزم الإسكندرية رابطتها، و أجر عليهم أرزاقهم، و أعقب بينهم فى كل ستة أشهر.

و كان عمرو بن العاص يقول: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة، و قال: نيل مصر سيد

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۵۷).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۹۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۴

الأنهار، سخر الله له كل نهر من المشرق و المغرب، فإذا أراد الله أن يجريه أمر الأنهار فأمدته بمائها، و فجر له الأرض عيونا، فإذا انتهت جريته إلى ما أراد سبحانه أوحى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره.

و لما فتح عمرو مصر أتاه أهلها حين دخل بؤنة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها. فقال: و ما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لاثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عهدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، و جعلنا عليها من الحلى و الثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النهر. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون فى الإسلام، و إن الإسلام يهدم ما قبله.

فأقاموا ذلك الشهر و الشهرين اللذين بعده لا يجرى قليلا و لا كثيرا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب به إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر، رضى الله عنه:

قد أصبت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، و قد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل.

فلما قدم الكتاب على عمرو و فتح البطاقة فإذا فيها:

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر: أما بعد، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، و إن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك.

فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم، و قد تهيأ أهل مصر للجلاء و الخروج منها؛ لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم الصليب و قد أجراه الله، عز و جل، ستة عشر ذراعا فى ليلة. و قطع تلك السنة السوء عن أهل مصر.

ذكر فتح أنطابلس

قال ابن عبد الحكم «۱»: كان البربر بفلسطين، يعنى فى زمان داود عليه السلام، فخرجوا منها متوجهين إلى الغرب حتى انتهوا إلى لوبية و مراقية، و هما كورتان من كور مصر الغربية، مما يشرب من ماء السماء و لا ينالهما النيل، فتفرقوا هنالك، فتقدمت زناتة و مغيلة إلى الغرب و سكنوا الجبال و تقدمت لواتة فسكنت أرض أنطابلس و هى برقة، و تفرقت فى هذا الغرب و انتشروا فيه حتى بلغوا السوس، و نزلت هوارة مدينة لبدة،

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۷۰، ۱۷۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۵

و نزلت نفوسة مدينة صبرة، و جلا من كان فيها من الروم من أجل ذلك، و أقام الأفارق و كانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم، و هم بنو أفارق بن قيصر بن حام.

فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية، على أن يبيعوا من أبنائهم فى جزيتهم، و لم يكن يدخل برقة يومئذ جابى خراج، و إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها.

و وجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة. قال الطبرى: فافتتحها بصلح، و صار ما بين برقة و زويلة سلما للمسلمين. و قال أبو العالية الحضرمى: سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول: لأهل أنطابلس عهد يوفى لهم به.

فتح أطرابلس

قال ابن عبد الحكم «۱»: ثم سار عمرو حتى نزل أطرابلس فى سنة اثنتين و عشرين، فنزل القبة التى على الشرف من شرقيها، فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شىء، فخرج رجل من بنى مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا فى سبعة نفر، فمضوا غربى المدينة حتى أمنعوا عن العسكر، ثم رجعوا فأصابهم الحر، فأخذوا على ضفة البحر، و كان البحر لاصقا بسور المدينة، و لم يكن فيما بين المدينة و البحر سور، و كانت سفن الروم شارعة فى مرساها إلى بيوتهم، فنظر المدلجى و أصحابه، فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة، و وجدوا مسلكا إليها من الموضع الذى حسر عنه البحر، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة و كبروا، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، و أبصر عمرو و أصحابه السلمة فى جوف المدينة، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم، فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم من مراكبهم، و غنم عمرو ما كان فى المدينة.

و كان من بصبرة متحصنين، و هى المدينة العظمى و سوقها السوق القديم، فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة أطرابلس، و أنه لم يصنع

فيهم شيئا و لا طاقة له بهم أمنوا.

فلما ظفر عمرو بمدينة أطرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته، و أمرهم بسرعة السير، فصبحت خيله مدينة صبرة و هم غافلون و قد فتحوا أبوابها لتسرح ماشيتهم، فدخلوها فلم ينج منهم أحد، و احتوى أصحاب عمرو على ما فيها و رجعوا إلى عمرو.

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۷۱– ۱۷۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۶

قال: ثم أراد عمرو أن يوجه إلى المغرب، فكتب إلى عمر بن الخطاب: إن الله، عز و جل، قد فتح علينا أطرابلس، و ليس بينها و بين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن نغزوها و يفتحها الله على يديه فعل.

فكتب إليه عمر: لا، إنها ليست بإفريقية، و لكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت.

قال: و أتى عمرو بن العاص كتاب المقوقس، يذكر له أن الروم يريدون نكث العهد و نقض ما كان بينهم و بينه، و كان عمرو قد عاهد المقوقس على أن لا يكتمه أمرا يحدث، فانصرف عمرو راجعا مبادرا لما أتاه.

قال: و قد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون، يعنى من أطراف إفريقية.

ذكر انتقاض الإسكندرية فى خلافة عثمان رضى الله عنه

«۱» قال عبد الرحمن بن عبد الحكم: و فى سنة خمس و عشرين عزل عثمان بن عفان عمرو ابن العاص عن مصر، و ولى عبد الله بن سعد «۲». و قد كانت الإسكندرية انتقضت، و جاءت الروم عليهم منويل الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية، فأجابهم من بها من الروم، و لم يكن المقوقس تحرك و لا نكث، فلما نزلت الروم بالإسكندرية سأل أهل مصر عثمان، رضى الله عنه، أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم، فإن له معرفة فى الحرب و هيبة فى العدو، ففعل.

فخرج إليهم عمرو فى البر و البحر، و ضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط. فأما الروم فلم يطعه منهم أحد. فقال خارجة بن حذافة لعمرو: ناهضهم قبل أن يكثر مددهم و لا آمن أن تنتقض مصر كلها. قال عمرو: لا، و لكن دعهم حتى يسيروا إلىّ، فإنهم يصيبون من مروا به فيجزى الله بعضهم ببعض، فخرجوا من الإسكندرية و معهم من نقض من أهل القرى، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها، و يأكلون أطعمتها،

---

(۱) الخبر منقول عن ابن عبد الحكم فى فتوح مصر و أخبارها (ص ۱۷۴– ۱۹۱).

(۲) هو: عبد الله بن سعد العامرى. انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۲۱۳)، التاريخ الصغير (۱/ ۸۴)، البداية و النهاية (۵/ ۳۵۰)، الإصابة ترجمة رقم (۴۷۲۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۹۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۷

و ينتهبون ما مروا به، فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس «۱»، فلقوهم فى البر و البحر، فبدأت الروم و القبط فرموا بالنشاب فى الماء رميا شديدا، حتى أصاب النشاب يومئذ فرس عمرو فى لبته و هو فى البر، فعقر فنزل عنه، ثم خرجوا من البحر، فاجتمعوا هم و الذين فى البر فنضحوا المسلمين بالنشاب، فاستأخر المسلمون عنهم شيئا، و حملوا حملة ولى المسلمون منها، و انهزم شريك بن سمى فى خيله.

و كانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف، و برز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب، فدعا إلى البراز، فبرز إليه رجل من زبيد يقال له: حومل و يكنى أبا مذحج، فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان، ثم ألقى البطريق الرمح و أخذ

السیف، و ألقی حومل رمحه و أخذ سیفه و کان یعرف بالنجدة، و جعل عمرو یصیح: أبا مذحج فیجیبه: لبیک، و الناس علی شاطئ النیل فی البر علی تعبئتهم و صفوفهم، فتجاولا ـ ساعة بالسیفین، ثم حمل علیه البطریق فاحتمله و کان نحیفا، و یخترط حومل خنجرا کان فی منطقته أو فی ذراعه فیضرب به نحر العلج أو ترقوته، فأثبته و وقع علیه فأخذ سلبه، ثم مات حومل بعد ذلک بأیام، رحمة الله علیه، فرئی عمرو یحمل سریره بین عمودی نعشه حتی دفنه بالمقطم.

قال: ثم شد المسلمون علیهم فکانت هزیمتهم، و طلبهم المسلمون حتی ألحقوهم بالإسکندریة، ففتح الله علیهم و قتل منویل الخصی.

قال الهیثم بن زیاد: و قتلهم عمرو بن العاص حتی أمعن فی مدینتهم، فکلم فی ذلک فأمر برفع السیف عنهم، و بنی فی ذلک الموضع مسجد، و هو الذی یقال له بالإسکندریة مسجد الرحمة، سمی بذلک لرفع عمرو السیف هنالک.

و کان عمرو حلف: لئن أظفره الله علیهم لیهدمن سورها حتی تکون مثل بیت الزانیة یؤتی من کل مکان، فلما أظفره الله هدم سورها کله.

و جمع عمرو ما أصاب منهم، فجاءه من أهل تلک القری من لم یکن نقض، فقالوا:

قد کنا علی صلحنا، و مرّ علینا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا و دوابنا و هو قائم فی یدیک، فرد علیهم عمرو ما کان لهم من متاع عرفوه و أقاموا علیه البینة.

و قال بعضهم لعمرو: ما حل لک ما صنعت بنا، و کان لنا علیک أن تقاتل عنا لأنا فی ذمتک و لم ننقض، فأما من نقض فأبعده الله. فندم عمرو و قال: یا لیتنی کنت لقیتهم حین خرجوا من الإسکندریة.

---

(۱) نقیوس: قریة کانت بین الفسطاط و الإسکندریة. انظر: معجم البلدان (۵/ ۳۰۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۵۸

و کان سبب نقض الإسکندریة، فیما ذکر ابن عبد الحکم، أن صاحب أخناء قدم علی عمرو بن العاص فقال: أخبرنا ما علینا من الجزیة فنصبر لها، فقال له عمرو و هو یشیر إلی رکن کنیسة: لو أعطیتنی من الرکن إلی السقف ما أخبرتک، إنما أنتم خزانة لنا، إن کثر علینا کثرنا علیکم و إن خفف عنا خففنا عنکم، فغضب صاحب أخناء، فخرج إلی الروم فقدم بهم، فهزمهم الله،، و أسر ذلک النبطی، فأتی به إلی عمرو، فقال له الناس: اقتله، فقال: لا، بل انطلق فجئنا بجیش آخر.

و قیل: إنه لما أتی به سوره و توجه و کساه برنسین أرجوان، و قال له: ایتنا بمثل هؤلاء، فرضی بأداء الجزیة.

فقیل له: لو أتیت ملک الروم؟ فقال: لو أتیته لقتلنی و قال: قتلت أصحابی.

و ذکر ابن عبد الحکم، أیضا، أن الروم مشت إلی قسطنطین بن هرقل فی سنة خمس و ثلاثین فقالوا: تترک الإسکندریة فی أیدی العرب و هی مدینتنا الکبری؟ فقال: ما أصنع بکم و ما تقدرون أن تتماسکوا ساعة إذا لقیتم العرب؟ قالوا: فاخرج علی أن نموت، فتبایعوا علی ذلک، و خرج فی ألف مرکب یرید الإسکندریة، فبعث الله علیهم ریحا عاتیة فأغرقتهم، إلا قسطنطین نجا بمرکبه فألقته الریح بصقلیة، فسألوه عن أمره فأخبرهم، فقالوا: شأمت النصرانیة و أفنیت رجالها، فلو دخل العرب علینا لم نجد من یردهم، ثم صنعوا له الحمام و دخلوا علیه لیقتلوه، فقال: ویلکم تذهب رجالکم و تقتلون ملککم؟

قالوا: کأنه غرق معهم، ثم قتلوه و خلوا من کان معه فی المرکب.

ذکر غزو إفریقیة و فتحها

«۱» قال ابن عبد الحکم «۲»: و لما عزل عثمان، عمرو بن العاص عن مصر و أمّر عبد الله بن سعد بن أبی سرح، کان یبعث المسلمین فی جرائد الخیل کما کانوا یفعلون فی إمرة عمرو بن العاص، فیصیبون من أطراف إفریقیة و یغنمون، فکتب عبد الله بن سعد فی ذلک

إلى عثمان، و أخبره بقربها من حوز المسلمين، و استأذنه فى غزوها، فندب عثمان الناس إلى ذلك بعد المشورة فيه، فلما اجتمع الناس أمّر عليهم الحارث بن الحكم إلى أن يقدموا مصر على عبد الله بن سعد، فيكون إليه الأمر، فخرج عبد الله إليها، و كان

---

(۱) انظر: المنتظم لابن الجوزى (۴/ ۳۴۳- ۳۴۵).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۵۹

عليها ملك يقال له: جرجير، كان هرقل استخلفه فخلعه، و كان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة، و مستقر سلطانه يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة، فلقى عبد الله جرجير، فقاتله فقتله الله، و ولى قتله عبد الله بن الزبير، فيما يزعمون، و هرب جيش جرجير، فبعث عبد الله السرايا و فرقها، فأصابوا غنائم كثيرة، فلما رأى ذلك رؤساء أهل إفريقية سألوه أن يأخذ منهم مالا على أن يخرج من بلادهم، فقبل منهم ذلك و رجع إلى مصر، و لم يول على إفريقية أحدا، و لا اتخذ بها قيروانا.

و يروى أن جرجيرا لما نازله المسلمون القتال أبرز ابنته و كانت من أجمل النساء، فقال: من يقتل عبد الله بن سعد و له نصف ملكى و أزوجه ابنتى؟ فبلغ ذلك عبد الله فقال: أنا أصدق من العلج، و أوفى بالعهد! من يقتل جرجيرا فله ابنته، فقتله عبد الله بن الزبير، فدفع إليه عبد الله ابنته.

و ذكر ابن عبد الحكم «۱»، عن أبيه و ابن عفير: أن ابنة جرجير صارت لرجل من الأنصار فى سهمه، فأقبل بها منصرفا قد حملها على بعير له، فجعل يرتجز:

يا ابنة جرجير تمشى عقبتكإن عليك بالحجاز ربّتك

لتحملنّ من قباء قربتك

فقالت: ما تقول؟ و سبته فأخبرت بذلك، فألقت بنفسها عن البعير الذى كانت عليه، فاندقت عنقها فماتت. فالله أعلم أى ذلك كان.

و كانت غنائم المسلمين يومئذ أنه بلغ سهم الفارس بعد إخراج الخمس ثلاثة آلاف دينار: للفرس ألفا دينار، و لفارسه ألف دينار، و للراجل ألف، و قسم لرجل من الجيش توفى بذات الحمام، فدفع إلى أهله بعد موته ألف دينار.

و كان جيش عبد الله بن سعد ذلك الذى وقع له القسم عشرين ألفا.

و بعث عبد الله بالفتح إلى عثمان، رضى الله عنه، عقبة بن نافع، و يقال: بل عبد الله ابن الزبير، و هو أصح.

و سار، زعموا، عبد الله بن الزبير على راحلته من إفريقية إلى المدينة عشرين ليلة، و لما دخل على عثمان أخبره بلقائهم العدو، و بما كان فى تلك الغزوة، فأعجب عثمان فقال له: هل تستطيع أن تخبر الناس بهذا؟ قال: نعم، فأخذ بيده حتى انتهى به إلى المنبر ثم

---

(۱) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۸۴، ۱۸۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۰

قال: اقصص عليهم ما أخبرتنى به، فتلكأ عبد الله بدأ، ثم تكلم بكلام أعجبهم.

و يروى عن ابن شهاب «۱» أن عثمان لما قال لابن الزبير أتكلم الناس بهذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أنا أهيب لك منى لهم، فأمر عثمان فجمع الناس، ثم صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه، و كان أكره شىء إليه الخطب، و أحب الأشياء إليه ما كفى، ثم قال:

أيها الناس، إن الله قد فتح عليكم إفريقية، و هذا عبد الله بن الزبير يخبركم بخبرها إن شاء الله، ثم جلس على المنبر.

و قام ابن الزبير إلى جانب المنبر، و كان أول من قام إلى جانبه، فقال: الحمد لله الذى ألف بيننا بعد الفرقة، و جعلنا متحابين بعد البغضة، و الحمد لله الذى لا تجحد نعماؤه، و لا يزول ملكه، له الحمد كما حمد نفسه، و كما هو أهله. ابتعث محمدا صلى اللّه عليه و

سلم فاختاره بعلمه، و ائتمنه على وحيه، فاختار له من الناس أعوانا قذف فى قلوبهم تصديقه، فآمنوا به و عزروه و وقروه و نصروه، و جاهدوا فى الله حق جهاده، فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح و البيع الرابح، و بقى منهم من بقى، لا يأخذهم فى الله لومة لائم.

أيها الناس، رحمكم الله، إنا خرجنا للوجه الذى قد علمتم، فكنا مع خير وال ولى فحمد، و قسم فعدل، لم يفقد من بر أمير المؤمنين شيئا، كان يسير بنا البردين يخفض بنا فى الظهائر، و يتخذ الليل حملا، يعجل الترحل من المنزل الفقير، و يطيل اللباث فى المنزل المخصب الرحب، فلم نزل على أحسن حالة يتعرفها قوم من ربهم، حتى انتهى إلى إفريقية، فنزل منها بحيث يسمع صهيل الخيل و رغاء الإبل و قعقعة السلاح، فأقام أياما يجم كراعه، و يصلح سلاحه، ثم دعاهم إلى الإسلام و الدخول فيه فبعدوا منه، و سألهم الجزية عن صغار و الصلح فكانت هذه أبعد، فأقام فيها ثلاث عشرة ليلة يتأتى بهم و تختلف رسله إليهم، فلما يئس منهم قام خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه، ثم ذكر النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أكثر الصلاة عليه، ثم ذكر فضل الجهاد، و ما لصاحبه إذا صبر و احتسب، ثم نهد لعدوه فقاتلهم أشد القتال يومه ذلك، و صبر الفريقان جميعا، و كانت بيننا و بينهم قتلى كثيرة، و استشهد الله رجلا من المسلمين فبتنا و باتوا، للمسلمين بالقرآن دوى كدوى النحل، و بات المشركون فى ملاهيهم و خمورهم.

فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التى كنا عليها بالأمس، و زحف بعضنا إلى بعض، فأفرغ

---

(۱) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله الزهرى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۱

الله علينا الصبر، ثم أنزل علينا النصر، ففتحناها من آخر النهار، فأصبنا غنائم كثيرة، فبلغ فيها الخمس خمسمائة ألف دينار، و تركت المسلمين قد قرت أعينهم، و قد أغناهم النفل، و وسعهم الحق، و أنا رسولهم إلى أمير المؤمنين و إلى المسلمين، أبشره و إياهم بما فتح الله من البلاد و أذل من المشركين. فأحمد الله على آلائه، و ما أحل بأعدائه من بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين «۱».

ثم صمت، و نهض إليه الزبير فقبل بين عينيه و قال: يا بنى، إذا نكحت المرأة فانكحها على شبه أبيها أو أخيها تأتك بأحدهما، و الله ما زلت تنطق بلسان أبى بكر الصديق حتى صمت.

و يروى عن الزبير لما أمر عثمان، رحمه الله، ابنه عبد الله بالقيام ليخبر الناس بما شهد من فتح إفريقية أنه قال: وجدت فى نفسى على عثمان و قلت: يقيم غلاما من الغلمان لا يبلغ الذى يحق عليه و الذى يجمل به! فقام فتكلم فأبلغ و أصاب، فما فرغ حتى ملأهم عجبا.

و فى كتاب سيف «۲»: أن عثمان لما وجه عبد الله بن سعد إلى إفريقية قال له: إن فتح الله عليك إفريقية فلك مما أفاء الله عليك خمس الخمس، فلما انتهى إلى إفريقية فيمن معه لقيهم صاحبها، فقاتلهم فقتله الله، قتله عبد الله بن سعد، و فتح الله إفريقية سهلها و جبلها، و اجتمعوا على الإسلام و حسنت طاعتهم، و قسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم بعد أن أخرج الخمس، فعزل منه لنفسه خمسه، و بعث بأربعة أخماسه إلى عثمان، و ضرب فسطاطا فى موضع القيروان.

و وفد وفد إلى عثمان فشكوه فيما أخذ من الخمس، فقال عثمان: أنا نفلته، و إنما النفل تبصرة و تدريب للرجال. ثم كتب إلى عبد الله بن سعد باستصلاحهم.

قال: و كان عثمان قد أرسل معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس، و عبد الله بن نافع ابن الحصين الفهريين، و أمرهما بالمسير إلى الأندلس فيمن ندبه معهما من الرجال، و أمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية، و بعد ذلك يسيران إلى الأندلس، فلما كان الاستيلاء على صاحب إفريقية سارا من فورهما إلى الأندلس، و أتياها من قبل البحر.

---

(۱) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (۴۲۰، ۴۲۱).

(۲) انظر: تاريخ الرسل و الملوک للطبری (۴/ ۲۵۴، ۲۵۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۶۲

و كان عثمان، رحمه الله قد كتب إلى من انتدب إلى الأندلس: «أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، و إنكم إن لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها فى الأجر، و السلام».

و قال كعب: يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها، يعرفون بنورهم يوم القيامة.

ذكر صلح النوبة

«۱» قال ابن عبد الحكم «۲»: ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح الأساود و هم النوبة سنة إحدى و ثلاثين، فقاتلته النوبة قتالا شديدا، و أصيبت يومئذ عين معاوية بن حديج، و أبى شمر بن أبرهة، و حيويل بن ناشرة، فيومئذ سموا رماة الحدق، فهادنهم عبد الله بن سعد إذ لم يطقهم. و فى ذلك اليوم يقول بعض من حضره:

لم تر عينى مثل يوم دمقلهو الخيل تغدو بالدروع مثقله قال: و كان الذى صولح عليه النوبة، فيما ذكر بعض المشايخ المصريين، ثلاثمائة رأس و ستين رأسا فى كل سنة. و يقال: بل على أربعمائة فى كل سنة، منها لفىء المسلمين ثلاثمائة و ستون، و لوالى البلد أربعون، منها، فيما زعم بعض المشايخ، سبعة عشر مرضعا. ثم انصرف عبد الله بن سعد عنهم.

قال: و ذكر بعض المتقدمين أنه وقف بالفسطاط فى بعض الدواوين، يعنى على عهد لهم قرأه قبل أن يحرق، فإذا هو يحفظ منه: إنا عاهدناكم و عاقدناكم أو توفونا فى كل سنة ثلاثمائة رأس و ستين رأسا، و تدخلون بلادنا مجتازين غير مقيمين، و كذلك ندخل بلادكم، على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلا فقد برئت منكم الهدنة، و إن آويتم للمسلمين عبدا فقد برئت منكم الهدنة، و عليكم رد أباق المسلمين و من لجأ إليكم من أهل الذمة.

و قال يزيد بن أبى حبيب: و ليس بينهم و بين أهل مصر عهد و لا ميثاق، و إنما هى هدنة أمان بعضنا من بعض.

قال ابن لهيعة: و أبو حبيب والد يزيد و اسمه سويد منهم.

---

(۱) انظر: مراصد الاطلاع (۲/ ۵۳۴)، تهذيب التهذيب لابن حجر (۱۰/ ۲۰۳).

(۲) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (ص ۱۸۸، ۱۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۶۳

و قال الليث بن سعد و ذكر له قول مالك بن أنس: لا يشترى رقيق النوبة و لا يباعون.

فقال الليث: لا علم لمالك بهذا، نحن أعلم به منه، إنما صولحوا على أن نكف عنهم حربنا فقط، و على أنهم يعطونا منهم رقيقا فى كل سنة، و على أنا لا نمنع غزو غيرنا، فبذلك نشتريهم، إنما علينا الوفاء بأن لا نحاربهم فقط.

قال ابن عبد الحكم: و لم أر أحدا من أصحاب مالك يقول بقوله فى النوبة، و كلهم كان يشتريهم.

قال: و اجتمعت لعبد الله بن سعد البجة فى انصرافه من بلاد النوبة على شاطئ النيل، فسأل عنهم، فأخبر بشأنهم، فهان عليه أمرهم، فنفذ و تركهم، و لم يكن لهم عقد و لا صلح، و أول من صالحهم عبيد الله بن أبى الحبحاب.

ذكر البحر و الغزو فيه

ذكر الطبرى «۱» عن سيف عن أشياخه قالوا: ألح معاوية على عمر بن الخطاب فى غزو البحر و قرب الروم من حمص، و قال: إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم و صياح دجاجهم، حتى إذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر أحب أن يزود عنه، فكتب إلى عمرو

بن العاص: صف لى البحر و راكبه، فإن نفسى تنازعنى إليه، و إنى أشتهى خلافها، فكتب إليه عمرو بن العاص: إنى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، إن سكن خوف القلوب و إن تحرك راع العقول، يزداد فيه اليقين قلة، و الشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق و إن نحا فرق.

فلما جاءه كتاب عمرو كتب إلى معاوية: لا و الذى بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا لا أحمل فيه مسلما أبدا.

و فى رواية أنه كتب إليه:

إنا قد سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شىء فى الأرض، يستأذن الله فى كل يوم و ليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها، فكيف أحمل الجنود فى هذا البحر الكافر المستصعب؟ و الله لمسلم واحد أحب إلىّ مما حوت الروم فإياك أن تتعرض لى، و قد تقدمت إليك.

---

(۱) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۲۵۸- ۲۶۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۴

فلما ولى عثمان بن عفان لم يزل به معاوية، حتى عزم على ذلك، و قال له: لا تنتخب الناس، و لا تقرع بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله و أعنه.

ففعل ذلك معاوية، و استعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسى حليف بنى فزارة، فغزا خمسين غزاة من بين صائفة و شاتية فى البر و البحر، و لم يغرق معه أحد فى البحر و لا نكب، و كان يدعو الله أن يرزقه العافية فى جنده، و لا يبتليه بمصاب أحد منهم، ففعل الله ذلك له، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده، خرج فى قارب طليعة، فانتهى إلى البر من أرض الروم، و عليه سؤال يعبرون ذلك المكان، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها، فقالت للرجال: هل لكم فى عبد الله بن قيس؟ قالوا: و أين هو؟

قالت: فى المرفأ، قالوا: أى عدوة الله، و من أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوبختهم، و قالت: أنتم أعجز منى! أو يخفى عبد الله على أحد؟ فبادروا فهجموا عليه، فقاتلوه و قاتلهم، فأصيب وحده، و أفلت الملاح حتى أتى أصحابه، فجاءوا حتى أرفوا، و الخليفة فيهم سفيان بن عوف الأودى، فخرج فقاتلهم، فضجر و جعل يعبث بأصحابه و يشتمهم، فقالت جارية عبد الله: و اعبد الله، ما هكذا كان يقول حين تقاتل! فقال سفيان: و كيف كان يقول؟ قالت: «الغمرات ثم ينجلين»؛ فجعل سفيان يقول ذلك و ترك ما كان يقول، و أصيب فى المسلمين يومئذ. و قيل لتلك المرأة: بأى شىء عرفته؟

فقالت: بصدقته، أعطى كما يعطى الملوك، و لم يقبض قبض التجار.

غزو معاوية بن أبى سفيان قبرس

و غزا معاوية بن أبى سفيان قبرس سنة ثمان و عشرين فيما ذكر الواقدى.

قال: و هو أول من غزا الروم، و غزاها أهل مصر و عليهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح، حتى لقوا معاوية فكان على الناس.

قال ابن عفير: و مع معاوية امرأته فاختة بنت قرظة، و كان معه، أيضا، فى غزاته أبو الدرداء، و شداد بن أوس، و أبو ذر، و عبد الله بن عمرو بن العاص، فى عدة من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و أم حرام الأنصارية فتوفيت هناك، فقبرها يستسقى به أهل قبرس و يسمونه قبر المرأة الصالحة.

و أم حرام «۱» هذه هى خالة أنس بن مالك، رضى الله، و حديثها مشهور فى نوم النبىّ

---

(۱) انظر ترجمتها فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۱۹۷۱)، الثقات (۳/ ۴۶۲)، تجريد أسماء الصحابة (۲/ ۳۱۶)، تقريب التهذيب (۱۲/ ۶۲۰)،

تهذيب التهذيب (۱۲/ ۴۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۵

صلى اللّه عليه و سلم فى بيتها ثم استيقظ و هو يضحك، فسألته: ما يضحكه؟ فقال: «ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة»، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم! فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك، فسألته فقال: «ناس من أمتى عرضوا علىّ» «۱»، مثل مقالته الأولى. فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم. قال: «أنت من الأولين» «۲»، فكانت هذه الغزوة هى التى عرضت على رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أولا. و خرجت أم حرام فيها، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

قال ابن عمير: و ذلك العام بالشام عام قبرس الأول.

و قيل: إن معاوية توجه إليها من حصن عكا فى مائتى مركب، قال: و ظفر معاوية فى هذه الغزاة، و أخذ من الأموال و الحلى ما لا يحصى.

و قال جبير بن نفير «۳»: لما سبيناهم، يعنى أهل قبرس، نظرت إلى أبى الدرداء يبكى، فقلت: ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الإسلام و أهله، و أذل الكفر و أهله؟ فضرب بيده على منكبى، و قال: ثكلتك أمك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره! بينا هى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك، إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى، فسلط عليهم السباء، و إذا سلط السباء على قوم فليس لله، عز و جل، بهم حاجة.

و ذكر الطبرى «۴» أن معاوية لما غزا قبرس صالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار، يؤدونها إلى المسلمين فى كل سنة، و يؤدون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم و بين ذلك، على أن لا يغزوهم المسلمون، و لا يقاتلوا هم من غزا من خلفهم يريد

---

(۱) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (۱۶۴۵)، سنن ابن ماجه (۲۷۷۶)، التمهيد لابن عبد البر (۱/ ۲۲۵)، الترغيب و الترهيب للمنذرى (۲/ ۳۰۵)، موطأ مالك (۴۶۴)، فتح البارى لابن حجر (۱۱/ ۷۱، ۱۲/ ۳۹۱)، الأذكار النووية (۱۸۵).

(۲) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (۴/ ۱۹، ۲۲، ۴۰، ۴۴، ۸/ ۷۸، ۹/ ۴۴)، صحيح مسلم فى كتاب الإمارة (۱۶۰، ۱۶۱)، سنن النسائى فى كتاب الجهاد، باب (۳۷)، سنن أبى داود فى كتاب الجهاد، باب (۱۰)، سنن ابن ماجه (۲۷۷۶)، مسند الإمام أحمد (۶/ ۳۶۱- ۴۲۳)، فتح البارى لابن حجر (۱۱/ ۷۱)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۱۸۴)، موطأ مالك (۴۶۵)، التمهيد لابن عبد البر (۱/ ۲۲۵، ۲۴۱).

(۳) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۲۶۲، ۲۶۳).

(۴) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۲۶۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۶

الخروج إلى أرض المسلمين، و عليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم، و على أن يطرق إمام المسلمين عليهم منهم.

و ذكر الواقدى «۱»، أيضا، مصالحة معاوية أهل قبرس فى ولاية عثمان، رحمه الله، و أن فى العهد الذى بيننا و بينهم ألا يتزوجوا فى عدونا من الروم إلا بإذننا.

قال: و فى هذه السنة، يعنى سنة ثمان و عشرين، غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم.

غزوة ذات الصوارى

«۲» ذکر الواقدی «۳» أن أهل الشام خرجوا، و علیهم معاویة بن أبی سفیان، و على أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبی سرح، و خرج عامئذ قسطنطین بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفریقیة، فخرجوا فی جمع لم یر الروم مثله قط منذ کان الإسلام، فخرجوا فی خمسمائة مرکب، فالتقوا هم و عبد الله بن سعد، فأمن بعضهم بعضا حتى قرنوا بین سفن المسلمین و أهل الشرک.

قال مالک بن أوس بن الحدثان «۴»: کنت معهم، فالتقینا فی البحر، فنظرنا إلى مراکب ما رأینا مثلها قط، و کانت الریح علینا، فأرسینا ساعة، و أرسوا قریبا منا و سکنت الریح عنا، فقلنا: الأمن بیننا و بینکم. قالوا: ذلک لکم منا و لنا منکم. قلنا: إن أحببتم فالساحل حتى یموت الأعجل، و إن شئتم فالبحر، فنخروا نخرة واحدة، و قالوا: الماء فدنونا منهم، فربطنا السفن بعضها ببعض، حتى کنا بحیث یضرب بعضنا بعضا، فقاتلنا أشد القتال، و وثب الرجال على الرجال یضطربون بالسیوف و یتواجئون بالخناجر، حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، و طرحت الأمواج جثث الرجال رکاما.

و قال بعض من حضر ذلک الیوم، أیضا: رأیت الساحل و إن علیه لمثل الظرب العظیم من جثث الرجال، و إن الدم للغالب على الماء.

---

(۱) انظر: تاریخ الرسل و الملوک للطبری (۴/ ۲۶۳).

(۲) انظر: تاریخ الطبری (۴/ ۲۸۸)، المنتظم لابن الجوزی (۵/ ۱۲).

(۳) انظر: تاریخ الرسل و الملوک للطبری (۴/ ۲۹۰).

(۴) انظر ترجمته فی: الإصابة ترجمة رقم (۷۶۱۱)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۵۶۵)، طبقات ابن سعد (۵/ ۵۶)، المعارف (۴۲۷)، الجرح و التعدیل (۴/ ۲۰۳)، تاریخ ابن عساکر (۸۴۱۶)، تهذیب الأسماء و اللغات (۱/ ۲/ ۷۹)، تهذیب التهذیب (۱۰/ ۱۰)، شذرات الذهب (۱/ ۹۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۶۷

و لقد قتل یومئذ من المسلمین بشر کثیر، و قتل من الکفار ما لا یحصى، و صبروا یومئذ صبرا لم یصبروا فی موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام، و انهزم القسطنطین مدبرا، و أصابته یومئذ جراحات مکث فیها حینا جریحا.

و عن حنش الصنعانی «۱» قال «۲»: رکب الناس البحر سنة إحدى و ثلاثین مع عبد الله ابن سعد، فلما بلغوا ذات الصواری «۳» لقوا جموع الروم فی خمسمائة مرکب أو ستمائة، فیها القسطنطین بن هرقل، فقال: أشیروا علیّ، قالوا: انتظر اللیلة فباتوا یضربون بالنواقیس، و بات المسلمون یصلون و یدعون الله، ثم أصبحوا و قد أجمع القسطنطین فقربوا سفنهم، و قرب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض، و صف عبد الله المسلمین على نواحی السفن، و أمرهم بقراءة القرآن و بالصبر، و و ثبت الروم فی سفن المسلمین على صفوفهم حتى نقضوها، و اقتتلوا على غیر صفوف قتالا شدیدا، ثم إن الله نصر المؤمنین، فقتلوا منهم مقتلة عظیمة لم ینج من الروم إلا الشرید، و أقام عبد الله بذات الصواری أیاما بعد هزیمة القوم، ثم أقبل راجعا.

و ذکر ابن عبد الحکم «۴» أن عبد الله بن سعد لما نزل ذات الصواری أنزل نصف الناس مع بسر بن أبی أرطأة سریة فی البر، فلما مضوا أتى آت إلى عبد الله فقال: ما کنت فاعلا حین ینزل بک ابن هرقل فی ألف مرکب فافعله الساعة.

قال: و إنما مراکب المسلمین مائتا مرکب و نیف. فقام فقال: أشیروا علیّ، فما کلمه رجل من المسلمین، فجلس قلیلا لترجع إلیهم أفئدتهم، ثم استشارهم فما کلمه أحد ثم قال الثالثة: إنه لم یبق شیء فأشیروا علیّ، فقال رجل من أهل المدینة کان متطوعا: أیها الأمیر، إن الله تعالى یقول: کَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِیلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً کَثِیرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ [البقرة: ۲۴۹]، فقال عبد الله: ارکبوا باسم الله، فرکبوا، و إنما فی کل مرکب نصف شحنته، قد خرج النصف الآخر مع بسر فی البر، فلقوهم فاقتتلوا بالنبل و النشاب، و تأخر ابن هرقل لئلا تصیبه الهزیمة، و جعل تختلف القوارب إلیه بالأخبار.

فقال: ما فعلوا؟.

(۱) هو: حنش بن عبد الله الصنعانى.

(۲) انظر: تاريخ الرسل و الملوك للطبرى (۴/ ۲۹۲).

(۳) الصوارى: جمع صار، و هو الخشبة المعترضة وسط السفينة. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادىّ (۴/ ۳۵۲).

(۴) انظر: فتوح مصر و أخبارها لابن عبد الحكم (۱۹۰، ۱۹۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۸

قالوا: اقتتلوا بالنبل و النشاب، قال: غلبت الروم. ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد نفدت النبل و النشاب فهم يرتمون بالحجارة، قال: غلبت الروم: ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟

قالوا: نفدت الحجارة و ربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف. قال: غلبت الروم.

قال يزيد بن أبى حبيب: و كانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال، فقرن مركب عبد الله يومئذ و هو الأمير بمركب من مراكب العدو، فكاد مركب العدو يجر مركب عبد الله إليهم، فقام علقمة بن يزيد العطيفى و كان فى المركب مع عبد الله فضرب السلسلة بسيفه فقطعها، فسأل عبد الله بعد ذلك امرأته بسيسة ابنة جمرة بن ليشرح بن عبد كلال، و كانت معه يومئذ، و كان الناس فيما خلا يغزون بنسائهم: من رأيت أشد الناس قتالا؟ قالت علقمة صاحب السلسلة. و كان عبد الله حين خطبها إلى أبيها قال: إن علقمة قد خطبها و له علىّ فيها رأى فإن يتركها أفعل. فكلم عبد الله علقمة فتركها، فتزوجها عبد الله ثم هلك عنها، فتزوجها بعده علقمة، ثم هلك عنها، فتزوجها كريب بن أبرهة.

و قال محمد بن الربيع: إنما سميت غزوة ذات الصوارى لكثرة المراكب التى اجتمعت فيها: ابن هرقل فى ألف مركب، و المسلمون فى مائتى مركب و نيف فكثرت الصوارى فى البحر فسميت ذات الصوارى.

و فى بعض ما تقدم من الأخبار ما يقتضى أن ذات الصوارى موضع يسمى هكذا، فالله تعالى أعلم.

ذكر فتح العراق و ما والاه على ما ذكره سيف بن عمر و أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى عنه و عن غيره

ذكروا عن على بن أبى طالب و عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، قالا: حض الله المسلمين على عهد نبيه صلى اللّه عليه و سلم على الاستقامة على الدين و ندبهم إلى فارس، و وعدهم، فتقدم إليهم فى ذلك من قبل غزوهم، ليحثهم و ليدربهم، فبدأ بالردة فقال: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۶۹

يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران: ۱۴۴]، فسمى من ثبت على دينه بعد موت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم الشاكرين. ثم عاد فى وصف من ناهض منهم أهل الردة، و المنافقون حشر فى المؤمنين، و إنما يكلم الله عز و جل، المؤمنين بما يعنى به المنافقين، فقال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة:

۵۴]، فسماهم أحباء و أثابهم، حيث كانوا أذلة أرقة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون، يعنى جهادا بعد جهادهم أهل الردة، يقاتلون من بعدهم أهل فارس، و لا يخافون تخويف من يخوفهم، هذا فضل الله يخص به من يشاء، وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ عالم بهذا، فهم الشاكرون، و هم الفاضلون، و هم المقربون، و هم أحباء الله.

و عن على و ابن عباس، رضى الله عنهما، فى قوله عز و جل: وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ الآيتين إلى قوله: وَ كانَ

اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً [الفتح: ۲۰، ۲۱]، «مغانم» فتوحا من لـدن خيبر، تلونها و تضـمون ما فيها «فعجل لكم هذه» أى عجل لكم من ذلك خيبر «و كف أيـدى الناس عنكم» أيـدى قريش بالصـلح يوم الحديبية «و لتكون آية للمؤمنين» شاهدا على ما بعدها و دليلا على إنجازهـا «و أخرى لم تقـدروا عليهـا» أى على علم وقتها، أفيئها عليكم: فارس و الروم «قـد أحاط الله بها» قضـى الله بها أنها لكم، منها: الأيام، و القوادس، و الواقوصة، و المدائن الحمر بالشام، و مصـر، و الضواحى، فاجتمعت هذه الصفات فيمن قاتل فارس و الروم و سائر الأعاجم ذلك الزمان.

ذكر سـيف قال: كان أول ملوك فارس قاتله المسـلمون شيرى بن كسـرى، و ذلك أن أبا بكر الصديق، رضى الله عنه، حيث فرغ من أهل الردة، و أقامت جنود المسـلمين فى بلـدان من ارتد، كتب إلى خالد بن الوليد و هو باليمامة: أن ائذن للمسـلمين فى القفل إلا من أحب المقام معك، و لا تكرهن أحدا على القيام، و لا تسـتعن فى شـىء من حربك بمتكاره، و ادع من يليك من تميم و قيس و بكر إلى موتان اليمامة، فإن موات ما أفاء الله على رسوله لله و لرسوله، فمن أحيا شـيئا من ذلك فهو له، لا يدخل ذلك فى شـىء من موات كل بلد أسلم عليه أهله.

ففعل خالـد، فأنزل اليمامـة من هؤلاء الأحياء من أقرن ببنى حنيفـة، و لما أذن خالـد فى القفل قفل الناس، أهل المدينة و من حولها، و سائر من كان معه من أهل القبائل، و بقى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۰

خالـد فى ألفين من القبائل التى حول المدينـة، من مزينـة، و جهينة، و أسـلم، و غفار، و ضـمرة، و أناس من غوث طيئ، و نبذ من عبد القيس.

و لما قفل من قفل، وجه المثنى بن حارثة الشيبانى، و مذعور بن عدى العجلى، و حرملة ابن مريطة، و سلمى بن القين الحنظليين و هما من المهاجرين، و المثنى و مذعور ممن وفد على النبىّ صـلى اللّه عليه و سلم فقدموا على أبى بكر، رحمه الله، فقال له حرملة و سلمى: إنـا معاشـر بنى تميم و بكر بن وائـل قـد دربنا بقتال فارس، و أشـجيناهم حتى اتخـذوا الخنادق، و غبقوا المياه، و اتخـذوا المسالـح فى القصور المشـيدة و تحصنوا بها، فأذن لنا فى حربهم، فأذن لهما فولاهما على من تابعهما، و استعملهما على ما غلبا عليه، و كانا أول من قـدم أرض فارس لقتال أهل فارس، و كانا من المهاجرين و من صالحى الصـحابة، فنزلا أطـد «۱» و نعمان و الجعرانـة فى أربعة آلاف من تميم و الرباب، و كان بإزائهما النوشـجان و الفيرمان بالوركاء «۲» فزحفوا إليهمـا فغلبوهما على الوركاء، و غلبا على هرمزجرد إلى فرات بادقلى «۳».

و ذكر سـيف من طريق آخر أن المثنى و مذعورا لما قدما على أبى بكر اسـتأذناه فى غزو أهل فارس و قالا: إنا و إخواننا من بنى تميم قـد دربنـا بقتـالهم، و أخـذنا النصف من أحـد و ثنى كل موسم، فأذن لهما، و ولاهما على من تابعهما، و اسـتعملهما على ما غلبا عليه، فجمعا جموعهما ثم سارا بهم حتى قـدما بلاد فارس، و كانا أول من قـدمها لقتالهم هما و حرملـة و سـلمى، و قدم المثنى و مذعور فى أربعة آلاف من بكر بن وائل و عنزة و ضبيعة، فنزل أحدهما بخفان «۴»، و نزل الآخر بالمهارق، و على فرج الفرس مما يليهما شهرباز بن بندا، فنفياه و غلبا على فرات بادقلى إلى السيلحين «۵» و اتصل ما غلبا عليه و ما غلب عليه سلمى و حرملة، و فى ذلك يقول مذعور بن عدى:

غلبنا على خفان بندا وشيحةإلى النخلات السحق فوق المهارق

و إنا لنرجو أن تجول خيولنابشاطى الفرات بالسيوف البوارق و قال المثنى فى ذلك:

---

(۱) أطد: أرض قرب الكوفة من جهة البر. انظر: معجم البلدان (۱/ ۲۱۶).

(۲) انظر: معجم البلدان (۵/ ۳۷۲، ۳۷۳).

(۳) الخبر عن سیف بن عمر فی معجم البلدان (۵/ ۳۷۲، ۳۷۳).

(۴) خفان: موضع قرب الکوفة. انظر: معجم البلدان (۲/ ۳۷۹).

(۵) موضع بین الکوفة و القادسیة. انظر: معجم البلدان (۳/ ۲۹۸، ۲۹۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۷۱ ألا أبلغا شهرا و شهر مهاجربأنا سنلقاه علی الحدثان

فنحن سللنا شیحة یوم بارقإلی شرّ دار تنتوی و مکان و یروی أن أبا بکر، رحمه الله، لما بلغه ما کان من فتح حرملة و سلمی و مثنی و مذعور ما بین السیلحین إلی أسفل الفرات تمثل بقول الآخر:

و متی تسلف فی قبیل خطةتلق المنال مضاعفا أو موعبا

و إذا عقدت بحبل قوم مرةذربوا علیک فلم تجد لک مقضبا

حیان لا خطما بحبل هضیمةأنفا الزمام فلم یقرأ مرکبا و حکی عمر بن شبة عن شیوخه من أهل الأخبار: أن المثنی بن حارثة کان یغیر علی أهل فارس بالسواد، فبلغ أبا بکر و المسلمین خبره، فقال عمر: من هذا الذی تأتینا وقائعه قبل معرفة نسبه، فقال له قیس بن عاصم: أما إنه غیر خامل الذکر، و لا مجهول النسب، و لا قلیل العدد، و لا ذلیل العمارة، ذلک المثنی بن حارثة الشیبانی «۱».

ثم إن المثنی قدم علی أبی بکر فقال له: یا خلیفة رسول الله، ابعثنی فی قومی، فإن فیهم إسلاما، أقاتل بهم أهل فارس، و أکفک أهل ناحیتی من العدو. ففعل ذلک أبو بکر، فقدم المثنی العراق، فقاتل و أغار علی أهل فارس و نواحی السواد حولا مجرّما، ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلی أبی بکر یسأله المدد، و یقول: إنک إن أمددتنی و سمعت بذلک العرب أسرعوا إلیّ و أذل الله المشرکین، مع أنی أخبرک یا خلیفة رسول الله، أن الأعاجم تخافنا و تتقینا. فقال له عمر: یا خلیفة رسول الله أبعث خالد بن الولید مددا للمثنی بن حارثة، یکون قریبا من أهل الشام، فإن استغنی عنه أهل الشام ألح علی أهل العراق حتی یفتح الله علیه. قال: فهذا الذی هاج أبا بکر، رحمه الله، علی أن یبعث خالد بن الولید إلی العراق «۲».

و فی حدیث آخر: أنه ولاه حرب العراق لما قضی ما أراد قضاءه من الیمامة، و کتب إلی المثنی و مذعور و سلمی و حرملة بأن یسمعوا له و یطیعوا.

---

(۱) انظر: الفتوح لابن أعثم الکوفی (۱/ ۸۹)، الاستیعاب لابن عبد البر (ص ۱۴۵۷)، نهایة الأرب للنویری (۱۹/ ۱۰۶).

(۲) انظر: تاریخ فتوح الشام للأزدی (ص ۵۳، ۵۴)، الاستیعاب لابن عبد البر (ص ۱۴۵۷)، نهایة الأرب للنویری (۱۹/ ۱۰۶، ۱۰۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۷۲

أخبار الأیام فی زمان خالد بن الولید رضی الله عنه «۱»

و کانت لمن ولیها الفضیلة و السابقة و القدمة؛ لأنهم شرکوا أهل القادسیة و البویب و فضلوهم بولایتهم هذه.

و هذا کما اجتمعت للمهاجرین النصرة مع الهجرة، و فضلوا الأنصار بالهجرة، فروی الشعبی و هشام بن عروة قالا: لما فرغ خالد بن الولید من الیمامة کتب إلیه أبو بکر: إنی قد ولیتک حرب العراق، فاحشد من ثبت علی الإسلام، و قاتل أهل الردة ممن بینک و بین العراق، من تمیم و قیس و أسد و بکر بن وائل و عبد القیس، ثم سر نحو فارس، و استنصر الله عز و جل، و ادخل العراق من أسفل العراق، فابدأ بفرج الهند، و هو یومئذ الأبلة «۲»، و کان صاحبها یساجل أهل الهند و السند فی البحر، و یساجل العرب فی البر.

و قال له: تألف أهل فارس، و من کان فی مملکتهم من الأمم، و أنصفوا من أنفسکم فإنکم کنتم خیر أمة أخرجت للناس. نسأل الله أن یجعل من ألحقه بنا و صیره منا خیر متبع بإحسان. و إن فتح الله علیک فعارق حتی تلقی عیاضا.

و کتب إلی عیاض بن غنم و هو بین الحجاز و النباج «۳»: أن سر حتی تأتی المصیخ فاحشد من بینک و بینها علی إسلامه، و قاتل أهل

الردة فابدأ بهم، ثم ادخل العراق من أعلاها فعارق حتى تلقى خالدا.

فاستمد خالد أبا بكر قبل خروجه من اليمامة، فأمده بالقعقاع بن عمرو التميمى، و استمده عياض قبل تحركه، فأمده أبو بكر بعبد بن عوف الحميرى، و قيل لأبى بكر:

أ تمد خالدا برجل قد أرفض عنه الناس؟ فقال: لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع، و سيحشر من بينه و بين أهل العراق.

و كتب خالد إلى حرملة و سلمى و المثنى و مذعور ليلحقوا به، و أمرهم أن يغزوا جنودهم الأبلة ليوم سماه، ثم حشد من بينه و بين العراق، فحشد ثمانية آلاف من مصر

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۴۳- ۳۵۰)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۶۱، ۲۶۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۲، ۳۴۳)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۷۸).

(۲) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة. انظر: معجم البلدان (۱/ ۷۷).

(۳) النباح: موضع بين البصرة و مكة. انظر: معجم البلدان: (۵/ ۲۵۵، ۲۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۳

و ربيعة إلى ألفين كانا معه، فقدم فى عشرة آلاف إلى ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة، فلقى هرمز فى ثمانية عشر ألفا.

و فيما ذكره سيف من مسير خالد و عياض إلى العراق: أن أبا بكر أمرهما أن يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه. و قال: فإذا اجتمعتما بالحيرة، و فضضتما مسالح فارس، و أمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحد كما ردءا لصاحبه و للمسلمين بالحيرة، و ليقتحم الآخر على عدو الله و عدوكم من أهل فارس دارهم و مستقر عزهم بالمدائن.

و كتب إليهما: استعينوا بالله و اتقوه، و آثروا أمر الآخرة على الدنيا، يجمع الله لكم بطاعته الدنيا إلى الآخرة، و لا تؤثروا الدنيا فتعجزكم، و يسلبكم الله بمعصيته الدنيا و الآخرة، فما أهون العباد على الله إذا عصوه.

قال: و لما عزم خالد على المسير من اليمامة إلى العراق سأل عن الأدلة، فأتى بنفر، فسأل عن أسمائهم، فتفاءل منهم إلى ثلاثة بأسمائهم: ظفر بن عمرو السعدى و رافع بن عميرة الطائى، و مالك بن عباد الأسدى.

و جدد خالد التعبئة، فعبأ الناس تعبئة مستأنفة غير التى دخل بها اليمامة، و نصب لجنده أعلاما غير الذين كانوا أعلامهم، و ذلك أن أعلامهم الذين دخل بهم اليمامة فقلوا. فوضع رجالا مكانهم، و توخى الصحابة، ثم توخى منهم الكماة، فاستعمل على مضر القعقاع بن عمرو «۱»، و على ربيعة فرات بن حيان «۲»، و على قضاعة و ضم إليهم أهل اليمن جرير بن عبد الله الحميرى أخا الأقرع بن عبد الله رسول رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى اليمن، و جعل على القبائل دون ذلك، على نصف خندق، فارس أطلال بكير بن عبد الله الليثى، و على النصف الآخر معقل بن مقرن المزنى، و على قيس عيلان و على غطفان و من يلاقيهم إلى سعد بن قيس، سعد بن عمارة التغلبى، و على هوازن و من يلاقيهم إلى خصفة أبا حنش بن ذى اللحية العامرى، و ضم جديلة إليهم، و هم عمرو بن قيس بن عيلان و على اللهازم من بكر بن وائل عتيبة بن النهاس، و اللهازم عجل، و تيم اللات، و قيس بن ثعلبة، و عنزة، و على الدعائم و هم: شيبان بن ثعلبة، و ذهل بن ثعلبة، و ضبيعة

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۷۱۴۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۳۱۵).

(۲) انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۳۳۳)، تقريب التهذيب (۲/ ۱۰۷)، الكاشف (۲/ ۳۷۹)، الجرح و التعديل (۷/ ۴۴۹، ۴۵۰)، تهذيب التهذيب (۸/ ۲۵۹)، الطبقات (۶۵، ۱۳۲)، الإصابة ترجمة رقم (۶۹۸۹)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۲۱۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۴

ابن ربیعة، و یشکر بن ربیعة، یشکر بن بکر بن مطر بن عامر الشیبانی، و علی قضاعة الحارث بن مرة الجهنی، و علی الیمن مالک بن مرة الرهاوی، و ابن زید الخیل بن مهلهل، و هؤلاء تحت أیدی أولئک الثلاثة.

و استعمل علی المقدمات: المثنی بن حارثة، و علی المجنبات: عدی بن حاتم و عاصم ابن عمرو أخا القعقاع، و علی الساقة: بسر بن أبی رهم الجهنی صاحب جبانة بسر، و استخلف علی الیمامة و هوافی قیس و تمیم سبرة بن عمرو العنزی، و کل من أمر له صحبة و قدمة. و خرج قاصدا الهرمز و الأبلة.

و قال المغیرة بن عتبة قاضی الکوفة: فرق خالد مخرجه من الیمامة جنده ثلاث فرق، و لم یحملهم علی طریقة واحدة، فسرح المثنی قبله بیومین و دلیله ظفر، و سرح عدیا و عاصما و دلیلاهما مالک بن عباد و سالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بیوم، و خرج خالد و دلیله رافع، فواعدهم جمیعا الحفیر لیجتمعوا فیه و لیصادموا به عدوهم.

و کان فرج الهند أعظم فروج فارس شأنا و أشده شوکة، و کان صاحبه یحارب العرب فی البر و الهند فی البحر.

و عن الشعبی قال: کتب خالد إلی هرمز قبل خروجه، و هرمز صاحب الثغر یومئذ:

أما بعد، أسلم تسلم، أو اعقد لنفسک و قومک الذمة و أقر بالجزیة، و إلا فلا تلومن إلا نفسک، فقد جئتک بقوم یحبون الموت کما تحبون الحیاة.

و لما قدم کتاب خالد علی هرمز کتب بالخبر إلی شیری بن کسری، و إلی أردشیر بن شیری، و جمع جموعه ثم تعجل إلی الکواظم فی سرعان أصحابه لیتلقی خالدا، و سبق حلبته فلم یجد طریق خالد، و بلغه أنهم تواعدوا الحفیر، فاعج یبادر خالدا إلیه، فنزله فعبأ به، و جعل علی مجنبتیه أخوین یلاقیان أردشیر و شیری آل أردشیر الأکبر، یقال لهما:

قباذ و أنوشجان، فاقترنوا فی السلاسل، فقال من لم یر ذلک لمن رآه: قیدتم أنفسکم لعدوکم، فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء. فأجابوهم: أما أنتم فتحدثوننا أنکم تریدون الهرب. فلما أتی الخبر خالدا بمنزل هرمز أمال الناس إلی کاظمة، و بلغ ذلک هرمز، فبادره إلیها فنزلها و هو حسیر.

و کان من أسوإ أمراء ذلک الفرج جوارا للعرب، فکل العرب علیه مغیظ، و قد کانوا یضربونه مثلا فی الخبث و المکر حتی قالوا: «أخبث من هرمز، و أمکر من هرمز». و تعبأ هو و أصحابه و الماء فی أیدیهم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۷۵

و قدم خالد فنزل علی غیر ماء، فقالوا له فی ذلک، فأمر منادیه فنادی: ألا انزلوا و حطوا أثقالکم، ثم جالدوهم علی الماء، فلعمری لیصیرن الماء لأصبر الفریقین و أکرم الجندین. فحطت الأثقال و الخیل وقوف، و تقدم الرجل ثم زحف إلیهم حتی لاقاهم، فاقتتلوا، و أرسل الله سبحانه سحابة فأغدرت ماء وراء صف المسلمین فقواهم بها، و ما ارتفع النهار و فی الغائط مقترن.

و أرسل هرمز أصحابه لیغدروا بخالد، ثم خرج فنادی رجل: أین خالد؟ و قد عهد إلی فرسانه عهده. فلما برز خالد نزل هرمز و دعاه إلی البراز، فبرز خالد یمشی إلیه، فالتقیا فاختلفا ضربتین و احتضنه خالد، و حملت حامیة هرمز و غدرت، فاستلحموا خالدا فما شغله ذلک عن قتله.

و حمل القعقاع بن عمرو، و استلحم حماة هرمز، فأناهم و خالد یماصعهم، فانهزم أهل فارس، و رکب المسلمون أکتافهم إلی اللیل، و جمع خالد الرثاث و السلاسل، فکان وقر بعیر، ألف رطل، فسمیت ذات السلاسل.

قال: و کان أهل فارس یجعلون قلانسهم علی قدر أحسابهم فی عشائرهم، فمن تم شرفه فقیمة قلنسوته مائة ألف، و تمام شرف أحدهم أن یکون من البیوتات السبعة، فکان هرمز ممن تم شرفه، فکانت قیمة قلنسوته مائة ألف، فنفلها أبو بکر، رحمه الله، خالدا، و کانت مفصلة بالجوهر.

و قال حنظلة بن زیاد بن حنظلة: فلما تراجع الطلب من ذلک الیوم، نادی منادی خالد بالرحیل، و سار بالناس، و اتبعته الأثقال حتی نزل

موضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، و قد أفلت قباذ و أنوشجان، و بعث خالد بالفتح و ما بقى من الأخماس و بالفيل، و قرئ الفتح على الناس، فلما قرئ فيه: «خرجت من اليمامة فى ألفين، و حشرت من ربيعة و مضر ثمانية آلاف، فقدمت فى عشرة آلاف على ثمانية آلاف مع الأمراء الأربعة: المثنى و مذعور و حرملة و سلمى» تمثل أبو بكر، رضى الله عنه:

تمنانا ليلقانا بقوم تخال بياض لامهم السرابا

فقد لاقيتنا فأريت يوماعماسا يمنع الشيخ الشرابا

تبدل علقما منا بحلوينسيك الغنيمة و الإيابا

إذا خرجت سوالفهن زوراكأن على حواركهن غابا

عليها كل متصل بمجدمن الجهتين يلتهب التهابا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۶

و لما قدم زر بن كليب بالفيل مع الأخماس فطيف به فى المدينة ليراه الناس، جعلت ضعيفات النساء يقلن: أمن خلق الله ما نرى؟ و رأينه مصنوعا، فرده أبو بكر، رضى الله عنه، مع زر.

و عن زياد بن حنظلة قال: إنى لبالمدينة و قد قدمتها وافدا من البحرين، إذ أرسل إلىّ أبو بكر و قد قدم عليه الخبر بوقعة ذات السلاسل، فقال لى: أ لم تعلم أنه كان من الشأن ذيت و ذيت، و أن خالدا ألقى هرمز فاستلحم، و أن القعقاع استلحم فقتلهم و تنفل؟.

قال زياد: فأقبلت على نفسى أحدثها فقلت: الخليفة و فراسته، و ذكرت قوله:

«و لا يهزم جيش فيهم مثل هذا»، فما راعنى إلا و أبو بكر يقول: أين أنت يا زياد؟ أما إن خالدا سيتغير له و يتنكر، ثم يراجع و يعرف الحق. فاستنكره القعقاع بعد ذلك، و وقع بينهما ما يقع بين الناس حتى قال القعقاع يعاتبه و لم يكن إلا ذلك:

منعتك من قرنى قباذ و ليتنى تركتك فاستذكت عليك المعاتب

عطفت عليك المهر حتى تفرجتو ملت من الطعن الدراك الرواجب

أجالدهم و الخيل تنحط فى القناو أنت وحيد قد حوتك الكتائب

و كائن هزمنا من كتيبة قاهرو كم عجمتنا فى الحروب العجائب و لما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبصرة بعث المثنى بن حارثة فى آثار القوم، فمضى حتى انتهى إلى نهر المرأة و إلى الحصن الذى فيه المرأة، فخلف المثنى بن حارثة عليها من حاصرها فى قصرها، و مضى المثنى، و أسلمت فتزوجها المثنى، و لم يحرك خالد و أمراؤه الفلاحين فى شىء من فتوحهم لتقدم أبى بكر فيهم، و سبى أولاد المقاتلة الذين كانوا يقومون بأمور الأعاجم، و أقر من لم ينهض من الفلاحين و جعل لهم الذمة.

و بلغ سهم الفارس يوم ذات السلاسل و الثنى ألف درهم، و الراجل على الثلث من ذلك.

حديث الثّنى و المذار «۱»

و كانت وقعة المذار فى صفر سنة اثنتى عشرة، و يومئذ قال الناس: صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار.

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۵۱، ۳۵۲)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۶۳)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۰۸، ۱۰۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۷۷

و لما كتب هرمز إلى ملكهم بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه، أمده بقارن بن قريانس، فخرج من المدائن ممدّا لهرمز؛ حتى إذا انتهى إلى المذار بلغته الهزيمة؛ و انتهى إليه الفلال فتذامروا، و قال فلال الأهواز و فارس لفلال السواد و الجبل: إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبدا؛ فاجتمعوا على العدو مرة واحدة، فهذا مدد الملك و هذا قارن، لعل الله يديلنا و يشفينا من عدونا و ندرك بعض

ما أصابوا منّا. ففعلوا و عسكروا بالمذار، و استعمل قارن على مجنبتيه قباذ و أنوشجان، فأرسل المثنى إلى خالد بالخبر؛ فعند ذلک قسم خالـد الفيء على من أفاء الله عليه، و نفل من الخمس ما شاء الله، و بعث مع الوليد ابن عقبة ببقيته، و بالفتح إلى أبى بکر، و بالخبر عن القوم، و باجتماع المغيث منهم و المغاث إلى الثنى، و هو النهر، و خرج خالدا سائرا إليهم حتى ينزل المذار، فالتقوا و خالد على تعبئته، فاقتتلوا على حنق و حفيظة، و خرج قارن يدعو للبراز، فبرز له خالد و أبيض الرکبان معقل بن الأعشـى بن النباش، فابتدراه، فسبقه إليه معقل فقتله، و قتل عاصم أنوشـجان، و قتل عدى قباذ. و کان شـرف قارن قد انتهى؛ ثم لم يقاتل المسـلمون بعده أحدا انتهى شرفه فى الأعاجم.

و قتلت فارس مقتلة عظيمة؛ فضموا السفن و منعت المياه المسلمين من طلبهم. و أقام خالد بالمذار، و سلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت و قسم الفيء و نفل من الأخماس ما نفل فى أهل البلاء، و بعث ببقيتها إلى أبى بکر، رضى الله عنه.

و عن الشعبى قال: دفع خالد إلى أبيض الرکبان سلب قارن و قيمته مائة ألف، و إلى عاصم و عدى سلب أنوشجان و قباذ، و قيمة سلب کل واحد منهما ثلاثة أرباع الشرف.

و عن أبى عثمان قال: قتل ليلـة المـذار ثلاثون ألفا سوى من غرق، و لو لا المياه لأتى على آخرهم، و لم يفلت منهم من أفلت إلا عراة أو أشباه العراة.

قال الشعبى: لم يلق خالد أحدا بعد هرمز إلا کانت الوقعة الآخرة أعظم من التى قبلها.

و أقام خالـد بالثنى يسبى عيالات المقاتلـة و من أعانهم، و أقر الفلاحين و من أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعـد ما دعوا، و کل ذلک أخذ عنوة، و لکن دعوا إلى الجزاء فأجابوا و تراجعوا، و صاروا ذمة، و صارت أرضـهم خراجا؛ و کذلک جرى ما لم يقسم، فإذا اقتسم فلا، و من ذلک السبى کان حبيب أبو الحسن البصرى، و کان نصرانيا.

و قال عزيز بن مکنف: لم يدع خالد بعد هرمز أحدا من الأعاجم حتى هلک أردشير

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۳۷۸

إلا أن يدعو قوما بعد ما يغلبهم على أرضـهم و يجليهم عنها إلى الجزاء و الذمة فيرد عليهم أرضهم فيصيروا ذمة ما لم تقتسم، و بذلک جرت السنة.

و أمر خالـد على الجزاء سويـد بـن مقرن المزنى، و أمره بنزول الحفير، و أمره ببـث عمـاله، و وضـع يـديه فى الجبايـة، و أقـام لعـدوه يتحسس الأخبار.

و قال عاصم بن عمرو فى ذلک من أبيات:

فلم أر مثل يوم السيب حتىرأيت الثنى تخضبه الدماء

و ألوت خيلنا لما التقينابقارن و الأمور لها انتهاء

حديث الولجة «۱» و هى مما يلى کسکر من البر

و کانت فى صفر سنة اثنتى عشرة.

قالوا: لما وقع الخبر إلى أردشـير بمصاب قارن و أهل المـذار، أرسل الأنـذرزعر، و کان فارسيا من مولدى السواد و تنائهم؛ و لم يکن ممن ولـد فى المـدائن و لاـ نشأ بهـا، و أرسـل بهمن جـاذويه فى أثره، و کان رافـد فارس فى يوم من أيام شـهرهم، و ذلک أنهم بنوا شهورهم کـل شـهر على ثلاـثين يوما؛ فکان لأهل فارس فى کل يوم رافـد نصب لـذلک يرفـدهم عنـد الملک؛ فکان بهمن أحـدهم، فخرج الأنذرزعر سائرا من المدائن حتى أتى کسـکر «۲»، ثم جازها إلى الوالجة «۳»، و خرج بهمن جاذويه فى أثره، فأخـذ غير طريقه فسلک أوسط السـواد، و قـد حشـد الأنـذرزعر من بين الحيرة و کسکر من عرب الضاحيـة و الـدهاقين فعسکروا إلى جنب عسکره

بالولجة؛ فلما اجتمع له ما أراد و استتم له أعجبه ما هو فیه، و أجمع السیر إلی خالد.

و لما بلغ خالدا خبره و نزوله الولجة، نادی بالرحیل، و خلف سوید بن مقرن، و أمره بلزوم الحفیر، و تقدم إلی من خلف بأسفل دجلة، و أمرهم بالحذر و قلة الغفلة، و ترک

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۳۵۳، ۳۵۴)، الکامل لابن الأثیر (۲۶۳، ۲۶۴)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۳۴۵)، نهایة الأرب للنویری (۱۹/ ۱۰۹).

(۲) کسکر: أی عامل الزرع، و هو بلد بالعراق بین الکوفة و البصرة. انظر: معجم البلدان (۴/ ۴۶۱).

(۳) الولجة و الوالج: موضع یلی کسکر من البر. انظر: تاریخ الرسل و الملوک للطبری (۳/ ۳۵۳)، معجم البلدان (۵/ ۳۸۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۷۹

الاغترار، و خرج سائرا فی الجنود نحو الولجة، حتی نزل علی الأندرزعر و جنوده و من تأشب إلیه، فاقتتلوا قتالا شدیدا؛ هو أعظم من قتال الثنی، حتی ظن الفریقان أن الصبر قد فرغ، و استبطأ خالد کمینه؛ و کان قد وضع لهم کمینا فی ناحیتین، علیهم بسر بن أبی رهم و سعید بن مرة العجلی، فخرج الکمین من وجهین، فانهزمت صفوف العاجم و ولوا؛ و أخذهم خالد من بین أیدیهم و الکمین من خلفهم، فلم یر رجل منهم مقتل صاحبه؛ و مضی الأندرزعر فی هزیمته، فمات عطشا. و قام خالد فی الناس خطیبا یرغبهم فی بلاد العجم، و یزهدهم فی بلاد العرب، و قال: أ لا ترون إلی الطعام کالتراب، و الله لو لم یلزمنا الجهاد فی الله، و الدعاء إلیه، و لم یکن إلا المعاش لکان الرأی أن نقارع علی هذا الریف حتی نکون أولی به، و نولی الجوع و الإقلال من تولاه ممن تثاقل عما أنتم علیه.

و سار خالد فی الفلاحین سیرته فلم یقتلهم، و سبی ذراری المقاتلة و من أعانهم، و دعا أهل الأرض إلی الجزاء و الذمة فتراجعوا.

و بارز خالد یوم الولجة رجلا من أهل فارس یعدل بألف رجل فقتله، فلما فرغ اتکأ علیه، و دعا بغذائه.

و قال خالد یذکر ذلک الیوم:

نهکناهم بها حتی استجاروا لو لا الله لم یرزوا قبالا

فولوا الله نعمته و قولوألا بالله نحتضر القتالا و قال القعقاع فی ذلک و أثنی علی المسلمین:

و لم أر قوما مثل قوم رأیتهمعلی ولجات البر أحمی و أنجبا

و أقتل للرواس فی کل مجمعإذا صعصع الدهر الجموع و کبکبا

فنحن حبسنا بالزمازم بعد ماأقاموا لنا فی عرصة الدار ترقبا

قتلناهم ما بین قلع مطلقإلی القیعة الغبراء یوما مطنبا

حدیث ألّیس، و هی علی صلب الفرات «۱»

و لما أصاب خالد من أصاب یوم الولجة من بکر بن وائل من نصاراهم الذین أعانوا

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۳۵۵- ۳۵۸)، الروض المعطار (ص ۲۹، ۳۰)، الکامل لابن الأثیر (۲/ ۲۶۴، ۲۶۵)، نهایة الأرب للنویری (۱۹/ ۱۰۹، ۱۱۰)، البدایة و النهایة لابن کثیر (ص ۳۴۶، ۳۴۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۰

أهل فارس غضب لهم نصاری قومهم؛ فکاتبوا الأعاجم و کاتبتهم الأعاجم؛ فاجتمعوا إلی أ لیس، و علیهم عبد الأسود العجلی، و کان أشد الناس علی أولئک النصاری مسلموا بنی عجل عتیبة بن النهاس و سعید بن مرة و فرات بن حیان و المثنی بن لاحق و مذعور بن

عدى.

و كتب أردشير إلى بهمن جاذويه: أن سر حتى تقدم أ ليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس و نصارى العرب. فقدم بهمن أمامه جابان و أمره بالحث و قال له: كفكف نفسك و جندك عن قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يعجلوك. فسار جابان نحو أ ليس، و انطلق بهمهن إلى أردشير ليحدث به عهدا، و يستأمره فيما يريد أن يشير به، فوجده مريضا؛ فعرج عليه، و أخلى جابان بذلك الوجه، و مضى جابان حتى انتهى إلى أ ليس فنزل بها، و اجتمعت إليه المسالح التى كانت بإزاء العرب، و عبد الأسود فى نصارى بنى عجل و تيم اللات و ضبيعة و عرب الضاحية من أهل الحيرة، و كان أبجر بن بجير نصرانيا فساند عبد الأسود؛ و كان خالد بلغه بجمع عبد الأسود و أبجر و زهير فيمن تأشب إليهم، فنهد إليهم و لا يشعر بدنو جابان، و ليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية و نصاراهم.

و لما طلع خالد على أ ليس قالت الأعاجم لجابان: أ نعاجلهم أو نغدى الناس و لا نريهم أنا نحفل بهم، ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟ فقال جابان: إن تركوكم و التهاون بهم فتهاونوا، و لكن ظنى أن سيعاجلوكم و يعجلوكم عن طعامكم، فعصوه و بسطوا البسط و وضعوا الأطعمة، و تداعوا إليها، و توافوا عليها.

فلما انتهى خالد إليهم أمر بحط الأثقال، فلما وضعت توجه إليهم، و وكل خالد بنفسه حوامى يحمون ظهره، ثم برز أمام الصف فنادى: أين أبجر؟ أين مالك بن قيس؟

رجل من خدرة، فنكلوا عنه جميعا إلا مالكا، فبرز له، فقال له خالد: يا ابن الخبيثة، ما جرأك علىّ من بينهم، و ليس فيك وفاء!.

و قال:

أنا ابن ذات الحسب الممذوقإنك فى ضيق أشد الضيق و ضربه فقتله، و أجهض الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوه، فقال لهم جابان: أ لم أقل لكم يا قوم؟ لا- و الله ما دخلتنى من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم، فقالوا: تجلدا، حيث لم يقدروا على الأكل: ندعها حتى نفرغ منهم؛ ثم نعود إليها. فقال جابان:

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۱

و أيضا أظنكم و الله لهم وضعتموها و أنتم لا تشعرون، فالآن فأطيعونى و سموها؛ فإن كانت لنا فأهون هالك، و إن كانت علينا كنا قد صنعنا شيئا، و أبلينا عذرا. فقالوا: لا، إلا اقتدارا عليهم.

و جعل جابان على مجنبتيه عبد الأسود و أبجر، و خالد على تعبئته فى الأيام التى قبلها، فاقتتلوا قتالا شديدا، و المشركون يزيدهم كلبا و شدة ما يتوقعون من قدوم بهمن، فصابروا المسلمين للذى كان فى علم الله أن يصيرهم إليه، و حرب المسلمون عليهم، و قال خالد: اللهم لك علىّ إن منحتنا أكتافهم أن لا استبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم! ثم إن الله، عز و جل، كشفهم للمسلمين، و منحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه، فنادى فى الناس: الأسر الأسر! لا- تقتلوا إلا- من امتنع، فأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون سوقا، و قد و كل بهم رجالا يضربون أعناقهم فى النهر، ففعل ذلك بهم يوما و ليلة و طلبوهم الغد و بعد الغد؛ حتى انتهوا إلى النهرين، و مقدار ذلك من كل جوانب أ ليس. فضرب أعناقهم، و كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء و هو أحمر قوت العسكر ثلاثة أيام و هم ثمانية عشر ألفا أو يزيدون.

و لما رجع المسلمون من طلبهم، و دخلوا عسكرهم، وقف خالد على الطعام الذى كان المشركون قدموه لغدائهم فأعجلوا عنه، فقال للمسلمين: قد نفلتكموه فهو لكم، و قد كان رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إذا أتى على طعام مصنوع نفله، فقعد الناس على ذلك لعشائهم بالليل، و جعل من لا يرد الأرياف و لا يعرف الرقاق يقول: ما هذه الرقاع البيض! و جعل من قد عرفها يجيبهم، و يقول لهم مازحا: هل سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم، فيقول: هو هذا؛ فسمى الرقاق.

و عن خالد بن الوليد أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم نفل الناس يوم خيبر الخبز و الطبيخ و الشواء و ما أكلوا غير ذلك فى بطونهم

غير متأثليه.

و بعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندلا من بنى عجل، و كان دليلا صارما، فقدم على أبى بكر، رضى الله عنه، بالخبر، و بفتح أ ليس، و بقدر الفىء، و بعدة السبى، و بما حصل من الأخماس، و بأهل البلاء من الناس، فلما رأى أبو بكر صرامته و ثبات خبره، قال: ما اسمك؟ قال: جندل. فقال أبو بكر: ويها جندل:

نفس عصام سودت عصاماو علمته الكرّ و الإقداما و أمر له بجارية من السبى فولدت له.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۲

و كان خالد و جنده هم جند المسلمين، و كتيبة الإسلام، بهم فض الله أهل فارس و رعبهم، و ما زالت بعدها مرعوبة منتشرة لم يأتوا فى وقعة بمثل ذلك الجد و الصبر إلى أن فارقهم خالد إلى الشام.

و بلغت قتلاهم يوم أ ليس سبعين ألفا جلهم من أمغيشيا، و فى ذلك يقول الأسود بن قطبة:

قتلنا منهم سبعين ألفابقية خربهم غبّ الإسار

سوى من ليس يحصى من قتيلو من قد غال جولان الغبار و قال خالد بن الوليد لما افتتح الحيرة: لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع فى يدى تسعة أسياف، و ما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس، و ما لقيت من أهل فارس قوما كأهل أ ليس.

حديث أمغيشيا و كيف أفاءها الله بغير قتال «۱»

و لما فرغ خالد من وقعة أ ليس، نهض فأتى على أمغيشيا و قد أعجلهم عما فيها، و قد جلا أهلها، و تفرقوا فى السواد، فأمر خالد بهدمها و هدم كل شىء كان فى حيزها و كانت مصرا كالحيرة؛ و كان فرات بادقلى ينتهى إليها، و كان أ ليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا قط قبله مثله.

و بلغ سهم الفارس ألفا و خمسمائة، سوى الأنفال التى نفلها أهل البلاء.

و لما بلغ ذلك أبا بكر قال: يا معشر قريش، عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجز النساء أن ينسأن بمثل خالد.

حديث يوم المقر و فم فرات بادقلى مع ما يتصل به من حديث الحيرة «۲»

ذكر أن الآزادبه كان مرزبان الحيرة من زمان كسرى إلى ذلك اليوم، و كانوا لا يمد

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۵۸، ۳۵۹)، الروض المعطار (ص ۳۱).

(۲) انظر: الطبرى (۳/ ۳۵۹- ۳۷۳)، الكامل لابن الأثير (۳/ ۲۶۵- ۲۶۸)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۱۱، ۱۱۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۷، ۳۴۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۳

بعضهم بعضا إلا بإذن الملك، فلما أخرب خالد أمغيشيا علم أنه غير متروك، فتهيأ لحرب خالد، و قدم ابنه، ثم خرج فى أثره، فعسكر خارجا من الحيرة، و أمر ابنه بسد الفرات.

و لما استقبل خالد من أمر أمغيشيا و حمل الرجل فى السفن مع الأثقال و الأنفال، لم يفجأ خالدا إلا و السفن جوانح فارتاعوا لذلك، فقال الملاحون: إن أهل فارس فجروا النهار، فسلك الماء على غير طريقه، فلا يأتينا الماء إلا بسد الأنهار، فتعجل خالد فى خيل نحو الآزادبه، فلقى على فم العتيق خيلا من خيلهم، فجأهم و هم آمنون غارته تلك الساعة، فأنامهم بالمقر، ثم سار من فوره، و سبق الأخبار إلى ابن الآزادبه حتى يلقاه و جنوده بفم فرات بادقلى، فاقتتلوا، فأنامهم خالد، و فجر الفرات و سد الأنهار فسلك الماء سبيله.

ثم قصد خالد للحيرة، و استلحق أصحابه، و سار حتى ينزل بين الخورنق و النجف، فقدم خالد الخورنق، و قد قطع الآزادبه الفرات هربا من غير قتال، و إنما جرأه على الهرب أن الخبر وقع إليه بموت أردشير و بمصاب ابنه، و كان عسكره بين الغربين و القصر الأبيض. و لما تتام أصحاب خالد إليه بالخورنق خرج منه حتى يعسكر فى موضع عسكر الآزادبه بين الغربين و القصر الأبيض، و أهل الحيرة متحصنون، فأدخل خالد الحيرة الخيل من عسكره، و أمر بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله و يقاتلهم، فكان ضرار بن الأزور محاصرا للقصر الأبيض، و فيه إياس بن قبيصة الطائى، و كان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر الغربين و فيه عدى بن عدى المقتول، و كان ضرار بن مقرن المزنى، عاشر عشرة إخوة له، محاصرا قصر بنى مازن و فيه ابن أكال، و كان المثنى محاصرا قصر بنى بقيلة و فيه عمرو بن عبد المسيح، فدعوهم جميعا، و أجلوهم يوما، فأبى أهل الحيرة و لجوا، فناوشهم المسلمون. الاكتفاء، الكلاعى ج ۲ ۳۸۳

حديث يوم المقر و فم فرات بادقلى مع ما يتصل به من حديث الحيرة ..... ص : ۳۸۲

عهد خالد إلى أمرائه أن يبدءوا بالدعاء، فإن قبلوا قبلوا منهم، و إن أبوا أجلوهم يوما، و قال: لا تمكنوا عدوكم من آذانكم فيتربصوا بكم الدوائر، و لكن ناجزوهم و لا ترددوا المسلمين عن قتال عدوهم.

فكان أول القواد أنشب القتال بعد يوم أجلوهم فيه ضرار بن الأزور، و كان على قتال القصر الأبيض، فأصبحوا و هم مشرفون، فدعاهم إلى إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزاء، أو المنابذة، فاختاروا المنابذة، فقال ضرار: ارشقوهم، فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل، فأعروا رءوس الحيطان، ثم بثوا غارتهم فيمن يليهم، و صبح أمير كل قوم أصحابه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۸۴

بمثل ذلك، فافتتحوا الدور و الديران، و أكثروا القتل، فنادى القسيسون و الرهبان: يا أهل القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل القصور: يا معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث فدعونا و كفوا عنا حتى تبلغونا خالدا.

و كان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحارث و هو بقيلة، و إنما سمى بقيلة لأنه خرج على قومه فى بردين أخضرين، فقالوا له: يا حار ما أنت إلا بقيلة خضراء، ثم تتابعوا على ذلك. فخرج وجوه كل قصر إلى من كان عليه من أمراء خالد، فأرسلوهم إليه مع كل رجل منهم ثقة من قبل مرسله، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين، و بدأ بأصحاب عدى بن عدى و قال: ويحكم ما أنتم؟

أعرب؟ فما تنقمون من العرب؟ أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف و العدل؟ فقال له عدى: بل عرب عاربة و أخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا و تكرهوا أمرنا؟! فقال له عدى: ليدلك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية، فقال:

صدقت. اختاروا واحدة من ثلاث: إما أن تدخلوا فى ديننا فلكم ما لنا و عليكم ما علينا إن نهضتم و هاجرتم أو أقمتم فى دياركم، أو الجزية، أو المنابذة و المناجزة، فقد و الله أتيتكم بقوم هم أحرى على الموت منكم على الحياة. فقال: بل نعطيكم الجزية، فقال خالد: تبا لكم، ويحكم إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان:

أحدهما عربى فتركه و استدل الأعجمى. فصالحوه على مائة ألف و تسعين ألفا، و تتابعوا على ذلك، و أهدوا له الهدايا، و بعث بالفتح و الهدايا إلى أبى بكر الصديق، فقبلها أبو بكر، رضى الله عنه، من الجزاء، و كتب إلى خالد: أن احسب لهم هديتهم من الجزاء، إلا أن تكون من الجزاء و خذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك.

و فى حديث مثله أو نحوه عن رجل من كنانة و غيره: أن أهل الحيرة لما انتهوا إلى خالد كانوا يختلفون إليه و يقدمون فى حوائجهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد:

كم أتت عليك؟ قال: مئو سنين، قال: فما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت القرى منظومة ما بين دمشق و الحيرة، و تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفا، فتبسم خالد، قال:

هل لك من شيخك إلا عقله خرفت و الله يا عمرو ثم أقبل على أهل الحيرة و قال: أ لم يبلغنى أنكم خبثة خدعة مكرة؟ فما لكم

تتناولون حوائجکم بخرف لا یدری من أین جاء؟ فتجاهل له عمرو، و أحب أن یریه من نفسه ما یعرف به عقله، و یستدل به علی صحة ما حدثه به، فقال: و حقک أیها الأمیر، إنی لأعرف من أین جئت؟ قال: فمن أین جئت؟ قال: أقرب أم أباعد؟ قال: ما شئت، قال:

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۵

من بطن أمی، قال: فأین ترید؟ قال: ما أمامی، قال: و ما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أین أقصی أثرک؟ قال: صلب أبی، قال: ففیم أنت؟ قال: فی ثیابی، فقال خالد: إنه لیعقل! قال: أی و الله و أفید، فوجده حین فره عضا و کان أهل قریته أعلم به.

و قال خالد: قتلت أرض جاهلها، و قتل أرضا عالمها، القوم أعلم بما فیهم! فقال عمرو: و النملة أعلم بما فی بیتها من الجمل بما فی بیت النملة!.

قالوا: و کان مع ابن بقیلة منصف له متعلقا کیسا فی حقوه، فتناول خالد الکیس و نثر ما فیه فی راحته، و قال: ما هذا یا عمرو؟ قال: هذا و أمنة الله سمّ ساعة، قال: و لم تحتقبه؟ قال: خشیت أن تکونوا علی غیر ما رأیت، و قد أتیت علی أجلی، و الموت أحب إلیّ من مکروه أدخله علی قومی. فقال خالد: إنه لن تموت نفس حتی تأتی علی أجلها، و قال: بسم الله خیر الأسماء، و رب الأرض و السماء، الذی لیس یضر مع اسمه داء، فأهووا إلیه لیمنعوه، فبادرهم و ابتلع السم، فقال عمرو: و الله یا معشر العرب لتملکن ما أردتم ما دام منکم أحد أیها القرن.

و أقبل علی أهل الحیرة، و قال: لم أر کالیوم أمرا أوضح إقبالا.

و کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قد ذکر الحیرة و أنه أریها و رفعت له، و کأن شرف قصورها أضراس الکلاب، و أنها ستفتح علی المسلمین. فسأله رجل یقال له: شویل، کرامة بنت عبد المسیح، فقال له: «هی لک إذا فتحت عنوة»، یعنی الحیرة، فلما راوض أهل الحیرة خالدا علی الصلح و أداء الجزیة قام إلیه شویل فذکر له ذلک و شهد له به، فأبی خالد أن یکاتبهم إلا علی إسلام کرامة إلی شویل، فثقل ذلک علیهم، فقالت: هونوا علیکم و أسلمونی، فإنی سأفتدی، ففعلوا، و کتب خالد بینه و بینهم کتابا:

«بسم الله الرحمن الرحیم، هذا ما عاهد علیه خالد بن الولید عدیا و عمرا ابنی عدی، و عمرو بن عبد المسیح، و إیاس بن قبیصة، و حیری بن أکال، و هم نقباء أهل الحیرة، و رضی بذلک أهل الحیرة و أمروهم به، و عاهدوهم علی تسعین و مائة ألف درهم، تقبل فی کل سنة جزاء عن أیدیهم فی الدنیا، رهبانهم و قسیسیهم، و جماعتهم، إلا من کان غیر ذی ید، حبیسا عن الدنیا، تارکا لها، و سائحا تارکا للدنیا، و علی المنعة، فإن لم یمنعهم فلا شیء علیهم حتی یمنعهم، و إن غدروا بقول أو فعل فالذمة منهم بریئة. و کتب فی شهر ربیع الأول سنة اثنتی عشرة».

فاستخف أهل الحیرة بهذا الکتاب و ضیعوه، فلما نقض أهل السواد بعد موت أبی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۶

بکر و کفروا فیمن کفر، و غلب علیهم أهل فارس، ثم افتتحها المثنی بن حارثة ثانیة، أدلوا بمقتضی ذلک الکتاب، فلم یجبهم إلیه، و دعا بشرط آخر، فلما غلب المثنی علی البلاد کفروا فیمن کفر، و أعانوا، و استخفوا و أضاعوا الکتاب، فلما افتتحها سعد، أدلوا بذلک فسألهم واحدا من الشرطین، فلم یجیبوا به، فوضع علیهم و تحری ما یری أنهم یطیقون، فوضع علیهم أربعمائة ألف سوی الخزرة، و هو رسم کان علیهم لکسری فی کل سنة أربعة دراهم علی کل رأس.

و فیما حکاه ابن الکلبی من حدیث الحیرة أن الذی خرج منهم إلی خالد هو عبد المسیح بن عمرو بن بقیلة و هانئ بن قبیصة الطائی، مع من خرج إلیه من أشرافهم، و أن خالدا سأل عبد المسیح فذکر نحوا مما تقدم عن عمرو بن عبد المسیح إلی أن قال له:

ویحک تعقل قال: نعم، و أفید. قال خالد: و أنا أسألک، قال عبد المسیح: و أنا أجیبک.

قال: أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم. قال: فما هذه الحصون التی أری؟ قال: بنیناها للسفیه تمنعه حتی یأتی الحلیم فینهاه. ثم ذکر

من مصالحته إیاهم علی الجزیة نحوا مما تقدم.

قال: فکانت أول جزیة حملت إلی المدینة، من العراق، ثم نزل علی بانقیا فصالحهم بصهیر بن صلوبا علی ألف درهم و طیلسان، و کتب لهم کتابا.

و عن ابن إسحاق أن أول شیء صالح علیه خالد حین سار یرید العراق قریات من السواد، یقال لها: بانقیا، و باروسما، و ألّیس، نزل علیها خالد فصالحه علیها ابن صلوبا، فقبل منهم خالد الجزیة، و کتب لهم کتابا.

قال: ثم أقبل خالد بمن معه حتی نزل الحیرة فجعل ابن إسحاق شأن تلک القریات مقدما علی أمر الحیرة، و الأکثرون یقولون إنها کانت بعدها، و إن أهلها و سائر دهاقین الملطاطین إنما کانوا یتربصون و ینظرون ما یصنع أهل الحیرة. فلما استقام ما بین أهل الحیرة و بین خالد علی الصلح طلب جمیعهم الصلح و سمحوا بالجزیة و اکتتبوا بها من خالد کتبا.

و بین الرواة خلاف کثیر فی أسماء الرجال و الأماکن و مقادیر الجزاء، فرأیت اختصار ذلک أولی.

و عن الشعبی فی حدیث کرامة بنت عبد المسیح لما اشتد علی قومها دفعها إلی شویل و أعظم الخطر، قالت لهم: لا تخطروه، و لکن اصبروا، ما تخافون علی امرأة بلغت ثمانین

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۷

سنة؟ إنما هذا رجل أحمق رآنی فی شبیبتی فظن أن الشباب یدوم. فدفعوها إلی خالد، فدفعها خالد إلیه، فقالت: ما أربک إلی عجوز کما قد تری؟ فأدنی قال: لا، إلا علی حکمی، قالت: فلک حکمک مرسلا، فقال: لست لأم شویل إن نقصتک من ألف درهم! فاستکثرت ذلک لتخدعه، ثم أتته بها. فرجعت إلی أهلها، فتسامع الناس بذلک، فعنفوه، فقال: ما کنت أری أن عددا یزید علی ألف، و خاصمهم إلی خالد، و قال:

کانت نیتی غایة العدد، و قد ذکروا أن العدد یزید علی ألف، فقال خالد: أردت أمرا و أراد الله غیره، و نأخذ بما ظهر و ندعک و نیتک، کاذبا کنت أو صادقا.

و مما یروی من شعر ابن بقیلة:

أبعد المنذرین أری سواماتروح بالخورنق و السدیر

و بعد فوارس النعمان أرعیقلوصا بین مرة و الحفیر

فصرنا بعد ملک أبی قبیس کجرب المعز فی الیوم المطیر

تقسمنا القبائل من معدعلانیة کأیسار الجزور

و کنا لا یرام لنا حریمفنحن کضرة الضرع الفجور

نودی الخرج بعد خراج کسریو خرج من قریظة و النضیر

کذاک الدهر دولته سجالفیوم فی مساءة أو سرور و قال القعقاع بن عمرو فی أیام الحیرة «۱»:

سقی الله قتلی بالفرات مقیمةو أخری بأثباج النجاف الکوانف

فنحن وطئنا بالکواظم هرمزاو بالثنی قرنی قارن بالجوارف

و یوم أحطنا بالقصور تتابعتعلی الحیرة الروحاء إحدی المصارف

حططناهم منها و قد کاد عرشهمیمیل به فعل الجبان المخالف

مننا علیهم بالقبول و قد رأواعیون المنایا حول تلک المحارف

صبیحة قالوا نحن قوم تنزلواإلی الریف من أرض العریب النفانف و قال أخوه عاصم بن عمرو فی ذلک:

صبحنا الحیرة الروحاء خیلاو رجلا فوق أثباج الرکاب

حصرنا فی نواحیها قصورامشرفة کأضراس الکلاب

فبادوا بالعریب و لم یحاموافقلنا دونکم فعل العراب

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۳۶۵)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۶/ ۳۴۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۸ فقالوا بل نؤدی الخرج حتی تزل الراسیات من الضراب

صدفنا عنهم لما اتقوناو أبنا حیث أبنا بالنهاب و بعث خالد بن الولید عماله و مسالحه، لجبایة الخراج و حمایة البلاد، و أمر أمراءه علی الثغور بالغارة و الإلحاح، فنزلوا علی السیب فی عرض سلطانه، و هناک کانت الثغور فی زمانه، فمهدوا له ما وراء ذلک إلی شاطئ دجلة، و لیس لأهل فارس فیما بین الحیرة و دجلة أمر، و لیس لأحدهم ذمة إلا الذین کاتبوا خالدا و اکتتبوا منه، و سائر أهل السواد جلاء و متحصنون و محاربون، و جنی الخراج إلی خالد فی خمسین لیلة، و کان الذین ضمنوه رءوس الرساتیق رهنا فی یدیه، فأعطی ذلک کله المسلمین، فقووا به علی أمرهم.

و قال أبو مفزر الأسود بن قطبة فیما فتح بعد الحیرة:

ألا أبلغا عنا الخلیفة أنناغلبنا علی نصف السواد الأکاسرا

غلبنا علی ماء الفرات و أرضهعشیة حزنا بالسیوف الأکابرا

فدرت علینا جزیة القوم بعد ماضربناهم ضربا یقط البواترا و لما غلب خالد علی أحد جانبی السواد، دعا برجلین، أحدهما حیری و الآخر نبطی، و کتب معهما کتابین إلی أهل فارس، أحدهما إلی الخاصة و الآخر إلی العامة. و هذا أحدهما:

«بسم الله الرحمن الرحیم، من خالد بن الولید إلی ملوک فارس، أما بعد، فالحمد لله الذی حل نظامکم، و وهن کیدکم، و فرق کلمتکم، و لو لم یفعل ذلک بکم لکان شرا لکم، فادخلوا فی أمرنا ندعکم و أرضکم، و نجزکم إلی غیرکم، و إلا کان ذلک علی غلب و أنتم کارهون، علی أیدی قوم یحبون الموت کحبکم الحیاة».

و الکتاب الآخر:

«بسم الله الرحمن الرحیم، من خالد بن الولید إلی مرازبة فارس، أما بعد، فالحمد لله الذی فض حرمتکم، و فرق کلمتکم، و فل حدکم، و کسر شوکتکم، فأسلموا تسلموا، و إلا فاعتقدوا منی الذمة، و أدوا الجزیة، و إلا فقد جئتکم بقوم یحبون الموت کما تحبون الحیاة».

و دعا خالد الرجل الحیری فقال له: ما اسمک؟ قال: مرة. قال: خذ الکتاب، لأحد الکتابین، فأت به أهل فارس لعل الله یمر علیهم عیشهم، أو یسلموا، و ینیبوا. و قال للنبطی: ما اسمک؟ قال: هزقیل. قال: خذ الکتاب، اللهم ازهق نفوسهم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۸۹

و کان أهل فارس إذ ذاک لموت أردشیر مختلفین فی الملک مجتمعین علی قتال خالد متساندین، إلا أنهم قد أنزلوا بهمن جاذویه ببهرسیر، و معه الآزادبه، فی أشباه له.

و لما وقعت کتب خالد إلی أهل المدائن تکلم نساء آل کسری، فولی الفرخزاد بن البندوان إلی أن یجتمع آل کسری علی رجل إن وجدوه، و أقام خالد فی عمله سنة و منزله الحیرة، یصعد و یصوب قبل خروجه إلی الشام، و أهل فارس یخلعون و یملکون، لیس إلا للدفع عن بهرسیر، و کان شیری بن کسری قد قتل کل من یناسب إلی کسری ابن قباذ، و وثب أهل فارس بعده و بعد أردشیر ابنه، و قتلوا کل من بین کسری بن قباذ و بین بهرام جور، فبقوا لا یقدرون علی من یملکونه ممن یجتمعون علیه.

و عن الشعبی قال: أقام خالد فیما بین فتح الحیرة إلی خروجه إلی الشام أکثر من سنة، یعالج عمل عیاض الذی سمی له، فقال خالد للمسلمین: لو لا ما عهد إلی الخلیفة ما کان دون فتح فارس شیء، و کان عهد إلیه و إلی عیاض إذ وجههما أن یستبقا إلی الحیرة

فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه، و قال: فإذا اجتمعتما بالحيرة و فضضتما مسالح فارس، و أمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحدكما ردءا للمسلمين و لصاحبه بالحيرة و ليقتحم الآخر على عدو الله و عدوكم من أهل فارس دارهم و مستقر عزهم المدائن، حسب ما تقدم من كتاب أبى بكر إليهما بذلك قبل هذا.

فكان خالد لا يستطيع أن يفارق مكانه للاقتحام على فارس و لا لإغاثة عياض و كان بدومة قد شجى و أشجى؟، لأجل ما عهد إليه أبو بكر أن لا ـ يقتحم عليهم، و خلفه نظام لهم. و كان بالعين عسكر لفارس و بالأنبار آخر و بالفراض آخر، ثم إن خالدا لما استقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السواد فرق سواد الحيرة على رجال ممن كان معه، و فعل فى سواد الأبلة مثل ذلك، و أقر أمر المسالح على ثغورهم، و استخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو. و خرج خالد فى عمل عياض ليقضى ما بينه و بينه و لإغاثته، فسار حتى نزل بكربلاء، و أقام عليها أياما، و شكا إليه عبد الله بن وثيمة الذباب، فقال له: اصبر فإنى إنما أريد أن أستفرغ المسالح التى أمر بها عياض فتسكنها العرب، فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم، و تجيئنا العرب آمنة و غير متعتعة، و بذلك أمرنا الخليفة، و رأيه يعدل نجدة الأمة.

و قال رجل من أشجع فى مثل ما شكاه ابن وثيمة النضرى من أمر الذباب:

لقد حبست بكربلاء مطيتى‌و بالعين حتى عاد غثّا سمينها

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۰ إذا رحلت من منزل رجعت له‌لعمر أبيها إننى لا أهينها

و يمنعها من ماء كل شريعةرفاق من الذبان زرق عيونها

حديث الأنبار «۱» و هى ذات العيون «۲»

و خرج خالد فى تعبيته التى خرج فيها من الحيرة، على مقدمته الأقرع بن حابس.

فلما نزل الأقرع المنزل الذى يسلمه إلى الأنبار نتج قوم من المسلمين إبلهم، فلم يستطيعوا العرجة، و لم يجدوا بدا من الإقدام، و معهم بنات مخاض تتبعهم. فلما نودى بالرحيل صروا الأمهات، و احتقبوا المنتوجات؛ لأنها لم تطق السير، فانتهوا ركبانا إلى الأنبار، و قد تحصن أهلها، و خندقوا عليها، فأشرفوا من حصنهم، و على الجنود التى قبلهم شيرزاد صاحب ساباط «۳»، و كان أعقل أعجمى يومئذ و أسوده، فتصايح عرب الأنبار و قالوا:

صبح الأنبار شر، جمل يحمل جميلة و جمل تربه عوذ. فقال شيرزاد، و قد سأل عن ما يقولون، فأخبر به: أما هؤلاء فقد قضوا على أنفسهم، و الله لئن لم يكن خالد مجتازا لأصالحنه، فبينما هم كذلك قدم خالد على المقدمة، فأطاف بالخندق، و أنشب القتال، و كان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به، و تقدم إلى رماته، فأوصاهم و قال: إنى أرى أقواما لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم و لا توخوا غيرها، فرموا رشقا واحدا، ففقئت ألف عين يومئذ، فسميت تلك الوقعة ذات العيون، و تصايح القوم: عيون أهل الأنبار فراسل شيرزاد خالدا فى الصلح على أمر لم يرضه خالد، فرد رسله، و أتى خالد أضيق مكان فى الخندق فنحر رذايا الجيش ثم رمى فيه فأفعمه، ثم اقتحموا الخندق و الرذايا جسورهم، فاجتمع المسلمون و المشركون فى الخندق، و أرز القوم إلى حصنهم، و راسل شيرزاد فى الصلح على مراد خالد، فقبل منه خالد على أن يخليه و يلحقه بمأمنه فى جريدة خيل، ليس معهم من المتاع و المال شىء، فخرج شيرزاد، فلما قدم على بهمن جاذويه و أخبره الخبر لامه، فقال له شيرزاد: إنى كنت فى قوم ليست لهم عقول، و أصلهم من العرب، فسمعتهم مقدمهم علينا يقضون على أنفسهم، و قلما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلا وجب عليهم. ثم قاتلهم الجند، ففقئوا فيهم و فى أهل الأرض ألف عين، فعرفت أن المسألة أسلم، و أن قرة العين لهم، و أن العيون لا تقر منهم بشىء.

---

(۱) الأنبار: مدينة بالقرب من بلخ. انظر: معجم البلدان (۱/ ۲۵۷، ۲۵۸).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۳۷۳- ۳۷۵)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۶۹)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۱۲، ۱۱۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۹)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۸۱).

(۳) ساباط: هى ساباط كسرى، موضع بالمدائن. انظر: معجم البلدان (۳/ ۱۶۶، ۱۶۷).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۱

و لما اطمأن خالد بالأنبار و المسلمون، و أمن أهل الأنبار و ظهروا، رآهم يكتبون بالعربية و يتعلمونها، فسألهم: ما أنتم؟ فقالوا: قوم من العرب، نزلنا إلى قوم من العرب كانت أوائلهم نزلوا أيام بختنصر حين أباح العرب، فلم نزل عنها. فقال: ممن تعلمتم الكتابة؟ فقالوا: تعلمنا الخط من إياد، و أنشدوا قول الشاعر:

قوم إياد لو أنهم أمم‌أو لو أقاموا فتهزل النعم

قوم لهم باحة العراق إذاساروا جميعا و الخط و القلم «۱» فصالح خالد من حولهم، و بدأ بأهل البوازيج، فبعث إليه أهل كلواذة «۲» ليعقد لهم، و كاتبهم عيبته من وراء دجلة.

ثم إن الأنبار و ما حولها نقضوا فيما كان يكون بين المسلمين و المشركين الدول ما خلا أهل البوازيج فإنهم ثبتوا كما ثبت أهل بانقيا.

حديث عين التمر «۳»

و لما فرغ خالد من الأنبار، و استحكمت له، استخلف عليها الزبرقان بن بدر، و قصد لعين التمر، و بها يومئذ مهران بن سوسن فى جمع عظيم من العجم، و عقة بن أبى عقة فى جمع عظيم من العرب من النمر و تغلب و إياد و من لاقاهم. فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا و خالدا. قال: صدقت، لعمرى لأنتم أعلم بقتال العرب، و إنكم لمثلنا فى قتال العجم. فخدعه و اتقى به، و قال: دونكموهم و إن احتجتم إلينا جئناكم.

فلما مضى عقة نحو خالد قالت الأعاجم لمهران: ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب فقال: دعونى فإنى لم أرد إلا ما هو خير لكم و شر له، إنه قد جاءكم من قتل ملوككم، و فل حدكم، ما اتقيته بهم، فإن كانت لهم على خالد فهى لكم، و إن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم و نحن أقوياء و هم ضعفاء، فاعترفوا له بفضل الرأى، فلزم مهران العين و نزل عقة لخالد على الطريق، و بينه و بين مهران روحة أو غدوة، فقدم عليه خالد و هو فى تعبئة جنده، فعبأ خالد جنده و قال لمجنبتيه: اكفونا ما

---

(۱) انظر الأبيات فى: الطبرى (۳/ ۳۷۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۹).

(۲) كلواذة: موضع بين الكوفة و واسط. انظر معجم البلدان (۴/ ۴۷۷).

(۳) انظر: الطبرى (۳/ ۳۷۶، ۳۷۷)، الأخبار الطوال للدينورى (ص ۱۱۲)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۶۹، ۲۷۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۴۹، ۳۵۰).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۲

عندكم فإنى حامل، و وكل بنفسه حوامى، ثم حمل و عقة يقيم صفوفه، فاحتضنه فأخذه أسيرا، و انهزم صفه من غير قتال، فاتبعهم المسلمون و أكثروا فيهم القتل و الأسر.

و لما جاء الخبر مهران هرب فى جنده، و تركوا الحصن. فلما انتهى فلال عقة من العرب و العجم إلى الحصن اقتحموه و اعتصموا به، و أقبل خالد فى الناس حتى نزل عليه و معه عقة أسيرا و عمرو بن الصعق، و هم يرجون أن يكون خالد كمن كان يغير عليهم من العرب، فلما رأوه يحاولهم سألوه الأمان. فأبى إلا حكمه، فسكنوا إليه.

فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين أسارى، و أمر بعنقه فضربت عنقه ليؤيس الأسرى من الحياة، فلما رأوه مطروحا على الجسر يئسوا ثم

دعا بعمرو بن الصعق فضربت عنقه، و ضرب أعناق أهل الحصن أجمعين، و سبى كل من حوى حصنهم، و غنم ما فيه، و وجد فى بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق، فكسره عنهم، و قال: ما أنتم؟ قالوا: رهن، فقسمهم فى أهل البلاء، فمن أولئك الغلمان أبو زياد مولى ثقيف، و حمران مولى عثمان، و نصير أبو موسى بن نصير، و سيرين والد محمد بن سيرين، و أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر.

و قال عاصم بن عمرو فى ذلك يعير عقة:

ألا أبلغا الوركاء أن عميدهارهينة جيش من جيوش الزعافر

فبهلا لمن غرت كفالة عقةبنى عامر أخرى الليالى الغوابر

أتيح له ضرغامة لا يفلهقراع الكماة و الليوث المساعر

أتيحت له نار تسيح و تلتوىو ترمى بأمثال النجوم العناهر

حديث دومة الجندل و ما بعدها من الأيام بحصيد و الخنافس و مصيخ و البشر و الفراض «۱»

قالوا: و لما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد إلى أبى بكر، رضى الله عنه، بما بعثه به إليه من الأخماس، وجهه أبو بكر إلى عياض و أمده به، فقدم عليه الوليد و هو يحاصر أهل دومة، و هم محاصروه، و قد أخذوا عليه الطريق، فقال له الوليد: الرأى فى بعض الحالات

---

(۱) انظر: المغازى للواقدى (۱/ ۴۰۲)، الطبقات الكبرى لابن سعد (۲/ ۶۲، ۶۳)، معجم البلدان (۲/ ۴۸۷)، الطبرى (۳/ ۳۷۸- ۳۸۵)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۷۰- ۲۷۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۶/ ۳۵۰- ۳۵۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۳

خير من جند كثيف، ابعث إلى خالد و استمده، ففعل، فقدم رسوله على خالد غب وقعة العين مستغيثا، فعجل به خالد إلى عياض و كتب إليه معه: إياك أريد.

لبث قليلا تأتك الحلائب‌يحملن آسادا عليها القاشب

كتائب يتبعها كتائب

و لما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها عويمر بن الكاهل الأسلمى، و خرج فى تعبئته التى دخل فيها العين يريد عياضا، و لما بلغ أهل دومة مسير خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء و كلب و غسان و تنوخ و الضجاعم، و قبل ما أتتهم منهم طوائف فيهم وديعة الكلبى، و ابن الأيهم التنوخى، و ابن الحدرجان، فأشجوا عياضا و أشجوا به، فلما بلغهم دنو خالد و هم على رئيسين: أكيدر بن عبد الملك، و الجودى بن ربيعة، اختلفوا، فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائرا منه، و لا أحد فى حرب، و لا يرى وجه خالد قوم قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعونى و صالحوا القوم، فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد، فشأنكم.

فخرج لطيته، و بلغ ذلك خالدا فبعث عاصم بن عمرو معارضا له، فأخذه و قال: إنما تلقيت الأمير خالدا، فلما أتى به خالدا أمر به فضربت عنقه، و أخذ ما كان معه من شيء، و مضى خالد حتى ينزل على أهل دومة، و عليهم الجودى بن ربيعة، فجعل خالد دموة بين عسكره و عسكر عياض، و كان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة لم يحملهم الحصن، فلما اطمأن خالد خرج الجودى فنهض بوديعة فزحفا لخالد، و خرج ابن الحدرجان و ابن الأيهم إلى عياض، فاقتتلوا فهزم الله الجودى و وديعة على يدى خالد، و هزم عياض من يليه، و ركبهم المسلمون، فأما خالد فإنه أخذ الجودى أخذا، و أخذ الأقرع بن حابس وديعة، و أرز بقية الناس إلى الحصن، فلم يحملهم، فلما امتلأ الحصن، أغلق من فى الحصن الحصن دون أصحابهم، فبقوا حوله، و قال عاصم ابن عمرو: يا بنى تميم، حلفاؤكم كلب آسوهم و أجيروهم، فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها، ففعلوا، و كان سبب نجاتهم يومئذ وصية

عاصم بهم، و أقبل خالد إلى الذين أرزوا إلى الحصن فقتلهم حتى سد بهم باب الحصن، و دعا بالجودى فضرب عنقه، و ضرب أعناق الأسرى إلا ـ أسير كلب، فإن عاصما و الأقرع و بنى تميم قالوا: قد أمناهم، فأطلقهم لهم خالد، و قال: ما لى و لكم أ تحوطون أمر الجاهلية و تضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم: لا تحسدهم العافية، و لا تحرزهم الشيطان. ثم أطاف خالد بباب الحصن، فلم يزل عنه حتى اقتلعه، و اقتحموا عليهم، فقتلوا المقاتلة و سبوا الشرخ فأقاموهم فيمن يزيد،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۴

فاشترى خالد ابنة الجودى، و كانت موصوفة بالجمال، ثم إن خالدا رد الأقرع إلى الأنبار، و ثبت بدومة قليلا، ثم ارتحل منها إلى الحيرة، فلما كان قريبا منها حيث يصحبها أخذ القعقاع أهلها بالتغليس فخرجوا يتلقونه و هم مغلسون، و جعل بعضهم يقول لبعض: مروا بنا فهذا فرج الشر.

قالوا: و قد كان خالد عند ما أقام بدومة كاتب عرب الجزيرة الأعاجم غضبا لعقة، فخرج زرمهر من بغداد و معه روزبه يريدان الأنبار، و اتعدا حصيدا و الخنافس، فكتب بذلك الزبرقان و هو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو و هو يومئذ خليفة خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أبا ليلى بن فدكى السعدى و أمره بحصيد، و بعث عروة بن الجعد البارقى و أمره بالخنافس، و قال لهما: إن رأيتما مقدما فأقدما. فخرجا فحالا بينهما و بين الريف، و انتظر روزبه و زرمهر بالمسلمين اجتماع من كاتبهما من ربيعة، و قد كانوا تكاتبوا و اتعدوا. فلما رجع خالد من دومة إلى الحيرة على الظهر و بلغه ذلك و قد عزم على مصادمة أهل المدائن كره خلاف أبى بكر، و أن يتعلق عليه بشىء، فعجل القعقاع و ابن عمرو، و أبا ليلى بن فدكى إلى روزبه و زرمهر، فسبقاه إلى عين التمر، و قدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبى، أن الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصيخ، و نزل ربيعة بن بجير بالثنى فى عسكر غضبا لعقة، يريدان زرمهر و روزبه. فخرج خالد و على مقدمته الأقرع ابن حابس، و استخلف على الحيرة عياض بن غنم، و أخذ خالد طريق القعقاع و أبى ليلى حتى قدم عليهما بالعين، فبعث القعقاع إلى حصيد، و أمره على الناس، و بعث أبا ليلى إلى الخنافس، و أمره على الناس، و قال: زجياهم ليجتمعوا و من استشارهم، و إلا فواقعاهم، فأبى روزبه و زرمهر إلا المقام.

فلما رآهما القعقاع لا ـ يتحركان سار نحو حصيد، و على من به من العرب و العجم روزبه. و لما رأى روزبه أن القعقاع قد قصد له استمد زرمهر، فأمده بنفسه، و استخلف على عسكره المهبوذان، فالتقوا حينئذ فاقتتلوا، فقتل الله العجم مقتلة عظيمة، و قتل القعقاع زرمهر و قتل، أيضا، روزبه، قتله عصمة بن عبد الله، أحد بنى الحارث بن طريف، من بنى ضبة، و كان عصمة من البررة، و كل فخذ هاجرت بأسرها تدعى البررة، و كل قوم هاجروا من بطن يدعون الخيرة، فكان المسلمون خيرة بررة، و غنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة، و أرز فلّال حصيد إلى الخنافس فاجتمعوا بها.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۵

و قال القعقاع فى ذلك اليوم:

أ لم ينه عنا غى فارس أننامنعناهم من ريفهم بالصوارم

و أنا أناس قد تعود خيلنالقاء العادى بالحتوف القواصم

و روزا قتلنا حيث أرهف حدهو كل رئيس زاريا بالعظائم

تركنا حصيدا لا أنيس بجوهو قد شقيت أربابه بالأعاجم

و إنى لراج أن تلاقى جموعهمغديّا بإحدى المنكرات الصوادم

ألا ـ أبلغا أسماء أن خليلهاقضى وطرا من روزمهر الأعاجم و سار أبو ليلى ابن فدكى بمن معه و من قدم عليه نحو الخنافس و بها المهبوذان، فلما أحس بهم هرب هو و من معه إلى المصيخ «۱» و به الهذيل بن عمران، فلما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد «۲» و هرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع و أبى ليلى و عروة و واعدهم ليلة و ساعة يجتمعون فيها على المصيخ، و هو بين

حوران و القلت، و خرج خالد من العين قاصدا للمصيخ على الإبل يجنب الخيل، فلما كان فى تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعا معه بالمصيخ، فأغاروا على الهذيل و من معه و من أوى إليهم، و هم نائمون، أتوهم بالغارة من ثلاثة أوجه، فقتلوهم، و امتلأ الفضاء قتلى، فما شبهوا إلا غنما مصرعة، و أفلت الهذيل فى أناس قليل، و قد كان حرقوص بن النعمان بن النمر بن قاسط محضهم النصح، و أجاد الرأى، فلم ينتفعوا بتحذيره، و ذلك أن حرقوصا قال قبل الغارة:

ألا فاسقيانى قبل خيل أبى بكرلعل منايانا قريب و لا ندرى

ألا فاسقيانى بالزجاج و كرراعلينا كميت اللون صافية تجرى

أظن خيول المسلمين و خالداستطرقكم عند الصباح إلى البشر

فهل لكم فى السير قبل قتالهمو قبل خروج المعصرات من الخدر

أرينى سلاحى يا أميمة إننىأخاف بيات القوم مطلع الفجر «۳» و كان حرقوص معرسا بامرأة من بنى هلال تدعى أم تغلب، فقتلت تلك الليلة، و قد تقدم من حديث عدى بن حاتم فيما مضى من هذا الكتاب، قال: أغرنا على المصيخ، و إذا رجل يدعى حرقوص بن النعمان بن النمر، و إذا حوله بنوه و امرأته، و بينهم جفنة من

---

(۱) المصيخ: موضع بين حوران و القلت. انظر: معجم البلدان (۲/ ۳۹۱).

(۲) حصيد: واد بين الكوفة و الشام. انظر: معجم البلدان (۲/ ۲۲۶).

(۳) انظر الأبيات فى: الطبرى (۳/ ۴۱۶، ۴۱۷)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۸۰)، معجم البلدان لياقوت (۱/ ۴۲۷، ۵/ ۱۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۳۹۶

خمر، و هم عليها عكوف، فقال: اشربوا شرب وداع، فما أرى أن تشربوا خمرا بعدها، خالد بالعين و جنوده بحصيد، و قد بلغه جمعنا و ليس بتاركنا.

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهربعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر

و قبل منايانا المصيبة بالقدرلحين لعمرى لا يزيد و لا يحرى فسبق إليه و هو فى ذلك بعض الخيل، فضرب رأسه، فإذا هو فى جفنته، و أخذنا بناته و قتلنا بنيه.

و أصاب جرير بن عبد الله بالمصيخ عبد العزى بن أبى رهم من النمر، و إنما حضر جرير مما كان بالعراق ما كان بعد الحيرة، و ذلك أنه كان ممن خرج مع خالد بن سعيد ابن العاص إلى الشام، فاستأذن جرير فى القدوم على أبى بكر ليكلمه فى قومه بجيلة، و كانوا أوزاعا فى العرب، ليجمعهم و يتخلصهم، فأذن له، فقدم على أبى بكر فذكر له عدة من النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أتاه عليها بشهود، و سأله إنجازها، فغضب أبو بكر و قال: ترى شغلنا و ما نحن فيه، من بعوث المسلمين لمن بإزائهم من الأشدين: فارس و الروم ثم أنت تكلفنى التشاغل بما لا- يغنى عنى عما هو أرضى لله و لرسوله، دعنى و سر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله فى هذين الوجهين. فسار جرير حتى قدم على خالد و هو بالحيرة، فشهد معه ما كان بعدها من الأيام، و أصاب يوم المصيخ، كما ذكرنا، عبد العزى بن أبى رهم، و كان معه و مع رجل آخر من قومه يقال له لبيد بن جرير كتاب من أبى بكر، رضى الله عنه، بإسلامهم، و سمى عبد العزى عبد الله، و بلغ أبا بكر مع ذلك أن عبد العزى قال ليلة الغارة:

و أقول إذ طرق الصباح بغارةسبحانك اللهم رب محمد

سبحان ربى لا إله غيرهرب العباد و رب من يتودد فوداه أبو بكر لما بلغه هذا، و ودى لبيدا، و قال: أما إن ذلك ليس على إذ نازلا أهل حرب. و أوصى بأولادهما.

و كان عمر، رضى الله عنه، يعتد على خالد بقتلهما إلى قتل مالك بن نويرة، فيقول أبو بكر، رضى الله عنه: كذلك يلقى من ساكن

أهل الحرب فی دیارهم.

و قد کان ربیعة بن بجیر التغلبی نزل الثنی و البشر غضبا لعقة، و واعد لذلک روزبه و زرمهر و الهذیل قبل أن یصیبهم ما أصابهم بالمصیخ، فلما أصاب خالد أهل المصیخ بما أصابهم به، تقدم إلی القعقاع و إلی أبی لیلی، بأن یرتحلا أمامه، و واعدهما لیلة لیفترقوا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹۷

فیها للغارة علی ربیعة و من معه من ثلاثة أوجه، کما فعل بأهل المصیخ، ثم خرج خالد من المصیخ فنزل حوران «۱»، ثم الرنق، ثم الحماة «۲»، ثم الزمیل «۳»، و هو البشر «۴» و الثنی معه، و هما شرقی الرصافة، فبدأ بالثنی، و اجتمع هو و أصحابه، فبیت من ثلاثة أوجه ربیعة بن بجیر و من اجتمع له و إلیه، و من ناشب لذلک من الشبان لذلک من الشبان، فجرد خالد فیهم السیوف بیاتا، فلم یفلت من ذلک الجیش مخبر، و استبقی الشیوخ، و بعث بخمس الله، عز و جل، إلی أبی بکر، رضی الله عنه، مع النعمان بن عوف الشیبانی، و قسم النهب و السبایا، فاشتری علی بن أبی طالب، رضی الله، من ذلک السبی ابنة ربیعة التغلبی، فاتخذها، فولدت له عمر و رقیة.

و قال أبو مقرز فی ذلک:

لعمر بنی بجیر حیث صاروا من آذاهم یوم الثنی

لقد لاقت سراتهم فضاحاو فینا بالنساء علی المطی و کان الهذیل حیث نجا من المصیخ أوی إلی الزمیل، إلی عتاب بن فلان، و هو بالبشر فی عسکر ضخم، فبیتهم خالد بمثلها غارة شعواء من ثلاثة أوجه، سبقت إلیهم الخبر عن ربیعة، و کانت علی خالد یمین: لیبغتن تغلب فی دارها، فقتل فیهم مقتلة لم یقتلوا قبلها مثلها، و أصابوا منهم ما شاءوا، و قسم خالد فی الناس فیئهم، و بعث الأخماس إلی أبی بکر، رضی الله عنه، مع الصباح بن فلان المزنی، ثم عطف خالد من البشر إلی الرضاب «۵» و بها هلال بن عقة و قد أرفض عنه أصحابه حین سمعوا بدنو خالد، فانقشع عنها هلال و لم یلق کیدا، ثم قصد خالد بعدها إلی الفراض، و الفراض تخوم الشام و العراق و الجزیرة، فأفطر فیها فی رمضان فی تلک السفرة التی اتصلت له فیها هذه الغزوات و الأیام، و نظمن نظما إلی ما کان قبل ذلک منه.

---

(۱) حوران: کانت کورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة و مزارع و حرار. انظر: معجم البلدان (۲/ ۳۱۷).

(۲) من المدن المشهورة بالشام، کانت مدینة عظیمة و کبیرة. انظر: معجم البلدان (۲/ ۳۱۷، ۳۱۸).

(۳) الزمیل: موضع شرقی الرصافة. انظر معجم البلدان (۳/ ۱۵۱).

(۴) البشر: اسم جبل یمتد من عرض إلی الفرات من أرض الشام من جهة البادیة. انظر: معجم البلدان (۱/ ۴۲۶- ۴۲۸).

(۵) الرضاب: موضع الرصافة قبل بناء هاشم إیاه. انظر: معجم البلدان (۳/ ۵۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۳۹۸

قالوا: و لما اجتمع المسلمون بالفراض حمیت الروم و اغتاظت، و استعانوا بمن یلیهم من مسالح أهل فارس، و قد حموا و اغتاظوا و استمدوا تغلب و إیاد و النمر، فأمدوهم بأجمعهم، و اجتمعوا کلهم علی کلمة واحدة، ثم ناهدوا خالدا حتی إذا صار الفرات بینه و بینهم قالوا: إما أن تعبروا إلینا، و إما أن نعبر إلیکم قال خالد: اعبروا إلینا، قالوا: فتنحوا حتی نعبر، قال خالد: لا نفعل، و لکن اعبروا أسفل منا. فقال الروم و فارس بعضهم لبعض:

احتسبوا ملککم، هذا رجل یقاتل عن دین، و له عقل و علم، و و الله لینصرن و لتخذلن، ثم لم ینتفعوا بذلک، فعبروا أسفل من خالد، فلما تتاموا قالت الروم: امتازوا حتی یعرف الیوم ما کان من حسن أو قبح، من أینا یجیء ففعلوا، ثم اقتتلوا قتالا شدیدا طویلا، ثم هزمهم الله تعالی.

و قال خالد للمسلمین: ألحوا علیهم، فجعل صاحب الخیل یحشر منهم الزمرة برماح أصحابه، فإذا جمعوهم قتلوهم، فقتل یوم الفراض فی المعرکة و فی الطلب مائة ألف، و أقام خالد علی الفراض بعد الوقعة عشرا، ثم أذن فی القفل إلی الحیرة، و أمر عاصم بن عمرو أن

يسير بهم، و أمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم.

و أظهر خالد أنه فى الساقة، و خرج من الفراض حاجا لخمس بقين من ذى القعدة مكتما بحجه، و معه عدة من أصحابه، يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت، فقضى حجه، ثم أتى الحيرة، فوافاه بها كتاب أبى بكر، رضى الله عنه، يأمره فيه بالمسير إلى الشام و يعاتبه على ما فعل، إذ لم يعلم أبو بكر بحجته هذه إلا بعد انصرافه إلى الحيرة.

و قد تقدم هذا كله فيما رسم قبل من فتوح الشام مستوفى فى بيانه، و كيف كان مسيره إلى الشام و تركه المثنى بن حارثة بعده على العراق، و مشاطرته إياه فى الناس، كل ذلك بأمر أبى بكر، رضى الله عنه، حسب ما تقدم ذكره.

حديث المثنى بعد خالد «١»

و لما انفصل خالد، رحمه الله، إلى الشام شيعه المثنى إلى قراقر، و رجع من تشييعه إلى الحيرة، فأقام بها فى سلطانه، و وضع فى المسلحة التى كان فيها على السيب أخاه، و سد أماكن كل من خرج مع خالد من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغناء، و وضع مذعور ابن عدى فى بعض تلك الأماكن.

---

(١) انظر: الطبرى (٣/ ٤١١- ٤١٥)، الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٨٤- ٢٨٦)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ٨٧- ٩١).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:٣٩٩

و استقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد على الحيرة، بعد خروجه إلى الشام بقليل، و ذلك سنة ثلاث عشرة، على شهربراز بن أردشير بن شهريار ممن يناسب إلى كسرى، ثم إلى سابور. فوجه إلى المثنى جندا عظيما عليهم هرمز جاذويه فى عشرة آلاف، و معه فيل، و كتبت المسالح إلى المثنى بإقباله، فخرج المثنى من الحيرة نحوه، و ضم إليه أصحاب المسالح، و جعل على مجنبتيه أخويه: المعنّى و مسعودا، و أقام له ببابل، و أقبل هرمز جاذويه، و قد كتب شهر براز إلى المثنى بن حارثة: «من شهربراز إلى المثنى: إنى قد بعثت إليك جندا من وخش أهل فارس، إنما رعاة الدجاج و الخنازير، و لست أقاتلك إلا بهم».

فكتب إليه المثنى: «من المثنى إلى شهربراز، إنما أنت أحد رجلين. إما صادق، فذلك شر لك و خير لنا، و إما كاذب، فأعظم الكذابين عقوبة و فضيحة عند الله و فى الناس الملوك، و أما الذى يدلنا عليه الرأى، فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذى رد كيدكم إلى رعاة الدجاج و الخنازير».

فجزع أهل فارس من كتابه، و قالوا: إنما أتى شهربراز من شؤم مولده و لؤم منشئه، و كان يسكن ميسان «١»، و أن بعض البلدان شين على من يسكنه. و قالوا له: جرأت عدونا بالذى كتبت إليهم، فإذا كاتبت أحدا فاستشر. ثم التقوا ببابل، فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا، على الطريق الأول، قتالا شديدا.

ثم إن المثنى و فرسان من المسلمين اعتمدوا الفيل، و كان يفرق بين الصفوف و الكراديس، فأصابوا مقتله، فقتلوه و هزموا أهل فارس، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم، حتى جازوا بهم مسالحهم، فأقاموا فيها، و تتبع الطلب الفالة، حتى انتهوا إلى المدائن، و مات شهربراز منهزم هرمز جاذويه، و اختلف أهل فارس، و بقى ما دون دجلة و برس من السواد فى يد المثنى و أيدى المسلمين.

ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهربراز على دخت زنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمر، و خلعت، و ملك سابور بن شهربراز، و قام بأمره الفرخزاد بن البندوان، فقاتلا جميعا، و ملكت آزرميدخت، و تشاغلوا بذلك، و أبطأ خبر أبى بكر، رضى الله عنه، على المسلمين، فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية، و وضع مكانه فى المسالح سعيد بن مرة العجلى، و خرج المثنى نحو أبى بكر ليخبره خبر المسلمين و المشركين،

---

(۱) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى و النخيل بين البصرة و واسط. انظر: معجم البلدان (۵/ ۲۴۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۰

و لكى يستأذنه فى الاستعانة بمن قد ظهرت توبته من أهل الردة ممن يستطعمه الغزو، و ليخبره أنه لم يخلف أحدا أنشط إلى قتال فارس و حربها و معونة المهاجرين منهم، إذ كان أبو بكر، رضى الله عنه، قد منع من الاستعانة بهم رأسا، و قال لأمرائه: لا تستعينوا فى حربكم بأحد ممن ارتد، فإنى لم أكن لأستنصر بجيش فيهم أحد ممن ارتد، و بالجزاء إن فعلت أن لا تنصروا.

و قال عروة بن الزبير: أمران يعرف بهما حال من شهد الفتوح، من ذكر أن أبا بكر، رضى الله عنه، استعان فى حربه بأحد ممن ارتد فقد كذب، و ذكر من قول أبى بكر فى ذلك ما بدأنا به.

قال: و من زعم أن عمر، رضى الله عنه، حين أذن لمن ارتد فى الجهاد أمر أحدا منهم فقد كذب، و إنما تألف من تألف بالإمارة منهم عثمان بن عفان، رضى الله عنه، رجاء ما رجاه منهم عمر حين استعان بهم، فمن قبلهم ابتدأت الفتنة، و علق عثمان، رضى الله عنه، عند الذى بدا منهم يتمثل بقول الأول:

و كنت و عمرا كالمسمّن كلبهفخدشه أنيابه و أظافره فقدم المثنى بن حارثة المدينة، و أبو بكر مريض مرضه الذى توفاه الله تعالى، منه، و ذلك بعد مخرج خالد إلى الشام، و قد تقدم ذكر وفاة أبى بكر و استخلافه عمر، رضى الله عنهما، فى أول موضع احتيج إلى ذكر ذلك فيه من فتح الشام، و توفى أبو بكر و أحد شقى السواد فى سلطانه، و الجمهور من جند أهل العراق بالحيرة، و المسالح بالسيب، و الغارات تنتهى بهم إلى شاطئ دجلة، و دجلة حجاز بين العرب و العجم.

فهذا حديث العراق فى خلافة أبى بكر، رضى الله عنه، من مبتدئه إلى منتهاه.

ذكر ما كان من خبر العراق فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ما كان من أمر المثنى بن حارثة معه، و ذكر أبى عبيد بن مسعود، على ما فى ذلك كله من الاختلاف بين رواة الآثار «۱»

ذكر سيف عن شيوخه قالوا: أول ما عمل به عمر، رحمه الله، أن ندب الناس مع

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۴۴- ۴۵۴)، الأخبار الطوال للدينورى (ص ۱۱۳)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۲۹۷- ۳۰۱)، كنز الدرر للدوادارى (۳/ ۱۹۳، ۱۹۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۲۶، ۲۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۱

المثنى بن حارثة الشيبانى إلى أهل فارس قبل صلاة الصبح، من الليلة التى مات فيها أبو بكر، رضى الله عنه، ثم أصبح فبايع الناس، و عاد فندب الناس إلى فارس، و تتابع الناس على البيعة ففزعوا فى ثلاث، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد، و كان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم، و أثقلها عليهم، لشدة سلطانهم و شوكتهم و عزهم و قهرهم الأمم.

قالوا: فلما كان فى اليوم الرابع عاد ينتدب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود، و سعد بن عبيد القارى، حليف الأنصار، و تتابع الناس.

قال القاسم بن محمد: و تكلم المثنى بن حارثة، فقال: يا أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد تبجحنا ريف فارس، و غلبناهم على خير شقى السواد، و شاطرناهم و نلنا منهم، و اجترأ من قبلنا عليهم، و لها إن شاء الله ما بعدها.

و قام عمر، رضى الله عنه، فى الناس، و قال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، و لا يقوى عليه أهله إلا بذلك، أين المهاجرين عن موعود الله، عز و جل، سيروا فى الأرض التى وعدكم الله فى كتاب بأن يورثكموها، فإنه قال: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، و الله مظهر دينه، و معز ناصره، و مولى أهله مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون!.

فلما اجتمع ذلك البعث، و كان أولهم، كما تقدم أبو عبيد، ثم ثنى سعد بن عبيد أو سليط بن قيس، قيل لعمر، رحمه الله: أمر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين و الأنصار. فقال: لا و الله لا أفعل، إن الله تعالى إنما رفعكم بسبقكم و سرعتكم إلى العدو، فإذا جبنتم و كرهتم اللقاء، فأولوا الرئاسة منكم من سبق إلى الدفع و أجاب الدعاء، لا و الله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتدابا.

ثم دعا أبا عبيد، و دعا سليطا و سعدا، فقال لهما: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما و لأدركتكما بها إلى ما لكما من القدمة. فأمر أبا عبيد على الجيش، و قال له: اسمع من أصحاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و أشركهم فى الأمر، و لا تجبين مسرعا حتى تتبين، فإنها الحرب، لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة و الكف، ثم قال له: إنه لم يمنعنى أن أؤمر سليطا إلا تسرعه إلى الحرب، و فى التسرع إليها إلا عن بيان ضياع، و الله لو لا ذلك لأمرته، و لكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث.

و يروى أن عمر انتخب من أهل المدينة و من حولها ألف رجل، أمر عليهم أبا عبيد، فقيل له: استعمل من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فقال: لا ها الله ذا يا أصحاب النبىّ، لا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۲

أندبكم فتبطئون، و ينتدب غيركم فأؤمركم عليهم إنما فضلتم بتسرعكم، فإن نكلتم فضلوكم.

و عجل عمر، رضى الله عنه، المثنى، و قال: النجاء حتى يقدم عليك أصحابك. فخرج المثنى، و قدم الحيرة فى عشر، و لحقه أبو عبيد بعد شهر.

و فى كتاب المدائنى أن تحرك عمر لهذا البعث إنما كان بكتاب المثنى إليه، يستمده و يحرضه على أرض فارس، فذكر بإسناد له إلى جماعة من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض: أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قال حين ولى: و الله لأعزلن خالد بن الوليد و المثنى بن حارثة ليعلما أن الله إنما ينصر دينه و ليس ينصر إياهما، فكتب إليه المثنى و هو بالحيرة: أنا بأرض فارس، و قد عرفناهم و غازيناهم و غلبناهم على بعض ما فى أيديهم، و معى رجال من قومى لهم صلاح و نجدة و صدق بلاء عند الناس و جرأة على البلاد، فإن رميتنا بجماعة من قبلك رجوت أن يفتح الله عليهم، قالوا: و لم تكن لعمر، رحمه الله، همة حين قام بأمر المسلمين إلا الروم و فارس، فلما أتاه كتاب المثنى بن حارثة خطب الناس، فحمد الله و أثنى عليه، و حثهم على الجهاد، و رغبهم فيه، و أنبأهم بما أعد الله للمجاهدين فى سبيله، و قال: أنتم بين فتح عاجل و ذخر آجل، و قد أصبحتم بالحجاز بغير دار مقام، و قد وعدكم الله كنوز كسرى و قيصر، و أنزل على نبيه صلى اللّه عليه و سلم هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ [الفتح: ۲۸]، و قال: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ [التوبة: ۳۳]، فانهضوا لجهاد عدوكم من أهل فارس، فإن لكم بها إخوانا ليسوا مثلكم فى السابقة، و قد لقوهم و قاتلوهم فاستعدوا للمسير إليهم رحمكم الله وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ [الأنفال:
۶۰]، و لا تركنوا إلى الدنيا، و استعينوا بالله و اصبروا.

فتثاقل الناس حين ذكر فارس. فقال عمر: ما لَکُمْ إِذا قِیلَ لَکُمُ انْفِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَی الْأَرْضِ [التوبة: ۳۸]، فقام أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة الثقفى، فقال: أنا أول من انتدب، ثم قام سليط بن قيس بن عمرو فقال: يا أمير المؤمنين، أنا ثان، ثم قام رهط من الأنصار، فسمى منهم نفرا. قال:

ثم تتابع الناس و كثروا و قالوا: يا أمير المؤمنين، أمر علينا رجلا، فقال: أؤمر عليكم أول من انتدب، فاستعمل عليهم أبا عبيد، و قال: لم يمنعنى من استعمال سليط بن قيس، و هو من أهل بدر إلا عجلة فيه، فخشيت أن يلقى المسلمين ملقى يهلكون فيه، و كان فيمن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۳

انتدب سعد بن عبيد القارى، ففر يوم الجسر، فكان بعد ذلك يقول: إن الله اعتد علىّ بغرة فى أرض فارس، فعسى أن يعيد لى فيها كرة.

و فى حديث غير المدائنى: فكانت الوجوه تعرض عليه بعد ذلك فيأبى إلا العراق، و يقول: إن الله اعتد علىّ فيها بغرة، و ذكر نحو ما تقدم.

و اختلف ما ذكره سيف فيمن كان إليه أمر فارس عند قدوم أبى عبيد بحسب اختلاف أهل الأخبار عليه فى ذلك.

فمما ذكره أن بوران بنت كسرى كانت، كلما اختلف الناس بالمدائن، عدلا بينهم حتى يصطلحوا، فلما قتل الفرخزاد و قدم رستم فقتل آزرميدخت، كانت بوران عدلا إلى أن استخرجوا يزدجرد.

قال: فقدم أبو عبيد و العدل بوران، و صاحب الحرب رستم.

و ذكر من طريق آخر: أن بوران هى التى استحثت رستم فى السير، و كان على فرج خراسان، لما قتل الفرخزاد، فأقبل رستم فى الناس حتى نزل المدائن، لا يلقى جيشا لأرزميدخت إلا هزمه، و اقتتلوا بالمدائن، فهزمهم سياوخش و هو قاتل الفرخزاد، و حصر آزرميدخت ثم افتتح المدائن، فقتل سياوخش، و فقأ عين آزرميدخت، و نصب بوران، فدعته إلى القيام بأمر فارس، و شكت إليه تضعضعهم و إدبار أمرهم، على أن تملكه عشر حجج، ثم يكون الملك فى آل كسرى إن وجدوا من غلمانهم أحدا، و إلا ففى نسائهم.

فقال رستم: أما أنا فسامع مطيع، غير طالب عوضا و لا ثوابا، فإن شرفتمونى و صنعتم إلىّ شيئا فأنتم أولياء ما صنعتم، إنما أنا سهمكم و طوع أيديكم. فقالت بوران: اغد علىّ، فغدا عليها، و دعت مرازبة فارس، فكتبت له: بأنك على حرب فارس، ليس عليك إلا الله عن رضا منا و تسليم لحكمك، و حكمك جائز فيهم ما كان حكمك فى منع أرضهم و جمعهم عن فرقتهم، و توجته و أمرت أهل فارس أن يسمعوا له و يطيعوا، و دانت له فارس بعد قدوم أبى عبيد.

فهذا ما ذكره سيف فى شأن مملكة فارس إذ ذاك.

قال: و كتب رستم إلى دهاقنة السواد أن يثوروا بالمسلمين، و دس إلى كل رستاق رجلا ليثور بأهله، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل، و بعث نرسى إلى كسكر، و بعث المصادمة إلى المثنى، و بلغ المثنى ذلك، فضم إليه مسالحه و حذر، و عجل جابان فنزل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۴

النمارق، و توالوا على الخروج، فخرج نرسى، فنزل زندورد، و ثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، و خرج المثنى بن حارثة فى جماعة حتى ينزل خفان، لئلا يؤتى من خلفه بشىء يكرهه، فأقام حتى قدم عليه أبو عبيد.

و أما المدائنى فلم يعرض لما عرض له سيف فى شأن مملكة فارس، بل بنى على أن يزدجرد هو كان الملك عليهم حينئذ، فإنه قال بعقب ما نسب إليه قبل: و بلغ يزدجرد أن ملك العرب يسير إليه، فشاور أهل بيته و مرازبته، فقالوا له: وجه إلى أطرافك فحصنها و أخرج من فيها من العرب، فوجه جالينوس و رستم و ليس بالأزدى و مردانشاه و نرسى ابن خال أبرويز، و كل واحد فى خمسة آلاف، و أمرهم أن ينزلوا متفرقين، و يكون بعضهم قريبا من بعض كل رجل فى أصحابه، و يمد بعضهم بعضا إن احتاجوا إلى ذلك، و أمرهم أن يقتلوا من قدروا عليه من العرب، فخرجوا و المثنى بالحيرة، فبلغه مسيرهم، فخرج لينزل على البلاد، فلقى على قنطرة النهرين خرزاذبه فقتله.

و مضى المثنى فنزل من وراء أ ليس، و نزل العجم متفرقين، فنزل نرسى كسكر، و نزل مردان شاه فيما بين سورا و قبين، و نزل رستم بابل، و نزل جالينوس بارسمى، و وجه جالينوس جابان فى ألف إلى أ ليس، و وجه أزاذبه إلى الحيرة فى ألف، و فصل أبو عبيد بن مسعود من المدينة فى ألف و ثمانمائة من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فيهم من ثقيف أربعمائة معهم أبو محجن، كان مع خالد بن الوليد بالشام فلما.

أتتهم وفاة أبى بكر رجع إلى المدينة، فخرج مع أبى عبيد، و انضم إلى أبى عبيد فى الطريق مائة من بنى أسد، و مائتان من طيئ، و مائة من بنى ذبيان بن بغيض، و مائة من بنى عبس، معهم خمسة و عشرون فرسا، و خرج المثنى بن حارثة فى ثلاثمائة و سبعين من بكر بن وائل، و ثلاثمائة من بنى تميم حنظلة و عمرو و سعد و الرباب، فتلقى أبا عبيد ثم أقبل معه حتى نزل عسكره الذى كان فيه، و

وضع عيونا على المسلحة التى بأليس فأتوه فأعلموه فأخبر أبا عبيد، فقال له: إن أذنت لى سرت إليهم، فأذن له و ضم إليه ابنه جبر بن أبى عبيد، و قال لابنه جبر: لا تخالفه، فسار المثنى فصبح أ ليس و هم آمنون فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزموا، فأصاب المسلمون سلاحا و متاعا ليس بالكثير، و رجع إلى أبى عبيد، و نزل جابان فيما بين الحيرة و القادسيهٔ، و كتب أبو عبيد إلى عمر، رضى الله عنه، بخبر أ ليس، فسر المسلمون و نشطوا، و خرج قوم من المدينهٔ إلى أبى عبيد، و تقدم أبو عبيد فلقى جابان فيما بين الحيرهٔ و القادسيهٔ، و جابان فى ألفين معه ازاذبه، فلم يطل القتال بينهم حتى انهزم المشركون.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۵

و فيما ذكره سيف من الأحاديث أن أبا عبيد لما نزل خفان مع المثنى أقام بها أياما ليستجم أصحابه، و قد اجتمع إلى جابان بشر كثير، و خرج أبو عبيد بعد ما جم الناس و طهرهم، و جعل المثنى على الخيل، فنزلوا على جابان بالنمارق فاقتتلوا قتالا شديدا، فهزم الله أهل فارس، و أسر جابان، أسره مطر بن فضهٔ أحد بنى تيم الله، و أسر مردان شاه، أسره أكتل بن شماخ العكلى، فأما أكتل فإنه ضرب عنق مردان شاه، و ذلك أنه سأله: ما اسمك؟، فيما ذكره المدائنى، فقال له: مردان شاه. قال: و ما مردان شاه؟ قال: ملك الرجال. قال: لا جرم و الله لأقتلنك، فقتله. و أما مطر بن فضهٔ فإن جابان خدعه و هو لا يعرفه، و كان جابان شيخا كبيرا، فقال لمطر: إنكم معشر العرب أهل وفاء، فهل لك أن تؤمننى و أعطيك غلامين أمردين خفيفين فى عملك و كذا و كذا، قال: نعم، قال: فأدخلنى على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه، فأدخله على أبى عبيد، فتم له على ذلك و أجاز ذلك أبو عبيد، فعرفه ناس فقالوا لأبى عبيد: هذا الملك جابان، و هو الذى لقينا بهذا الجمع، فقال أبو عبيد: فما تأمروننى، أ يؤمنه صاحبكم و أقتله أنا، معاذ الله من ذلك.

و فى روايهٔ: إنى أخاف الله إن قتلته، و قد أمنه رجل من المسلمين فى الذمهٔ و التود و التناصر كالجسد، ما لزم بعضهم لزم كلهم. فقالوا: إنه الملك، قال: و إن كان لا أعذر به، فتركه، و قال له: اذهب حيث شئت.

و هرب أصحاب جابان حين أسر إلى كسكر و نرسى بأسفلها. و كانت كسكر قطيعهٔ له، و كان النرسيان له، يحميه لا يأكله بشر، إلا ملك فارس، أو من أكرموه فيه بشىء، و لا يغرسه غيرهم، فكان ذلك مذكورا من فعلهم فى الناس، و أن ثمرهم هذا حمى، فقال رستم و بوران لنرسى: أشخص إلىّ قطيعتك فأحمها من عدوك و عدونا و كونن رجلا، فلما انهزم الناس يوم النمارق، و وجهت الفالهٔ نحو نرسى، و نرسى فى عسكره، نادى أبو عبيد بالرحيل، و قال للمجردهٔ: اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسى، أو تبيدوهم فيما بين النمارق إلى بارق درونى «۱».

و مضى أبو عبيد حين ارتحل من النمارق حتى ينزل على نرسى بكسكر، و المثنى فى تعبئته التى قاتل فيها جابان، و قد أتى الخبر رستم و بوران بهزيمهٔ جابان، فبعثوا إليه الجالينوس، و بلغ ذلك نرسى و أهل كسكر و باروسما و نهر جوبر و الزوابى، فرجوا أن يلحق قبل الوقعهٔ، و عالجهم أبو عبيد، فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطيهٔ،

---

(۱) بارق: ماء بالعراق من أعمال الكوفهٔ. انظر: معجم البلدان (۱/ ۳۱۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۶

فاقتتلوا فى صحار ملس هناك قتالا شديدا، ثم إن الله، عز و جل، هزم فارس، و هرب نرسى، و غلب المسلمون على عسكره و أرضه، و أخذ أبو عبيد ما حوى معسكرهم، و جمع الغنائم، فرأى من الأطعمهٔ شيئا عظيما، فبعث فيمن يليه من العرب فانتفلوا ما شاءوا، لا يؤثرون فيه، و أخذت خزائن نرسى، فلم يكونوا بشىء مما خزن أفرح منهم بالنرسيان؛ لأنه كان يحميه و يمالئه عليه ملوكهم، فاقتسمه المسلمون، فجعلوا يطعمونه الفلاحين.

قال المدائنى: و سار أبو عبيد إلى الجالينوس فلقيه بباروسما فهزمه، فلحق بالمدائن، و بلغ الذين كانوا ببابل هزيمهٔ نرسى و جالينوس،

فرجعوا إلی المدائن، و دخل أبو عبید باروسما، فصالحه ابن الأنذرزعر عن کل رأس بأربعة دراهم، و هیئوا له طعاما فأتوه به، فقال: لا آکل إلا ما یأکل مثله المسلمون. فقالوا: کل، فکل أصحابک یأکل مثل ما تؤتون به، فأکل، فلما راح المسلمون سألهم عن طعامهم فأخبروه، فإذا الذی أکلوا مثل طعامه.

و فی بعض ما أورده سیف من الأخبار أن ابن الأنذرزعر لما أعلم أبا عبید بالطعام الذی صنعوا له، و أتوا به قال لهم: هل أکرمتم الجند بمثله و قریتموهم؟ قالوا: لا، قال:

فردوه فلا حاجة لنا فیه، بئس المرء أبو عبید إن صحب قوما من بلادهم اهراقوا دماءهم دونه، أو لم یهریقوها فاستأثر علیهم بشیء یصیبه! لا و الله لا یأکل مما أفاء الله علیهم إلا مثل ما یأکل أوساطهم!.

قال المدائنی: و بعث أبو عبید من باروسما المثنی بن حارثة إلی زندورد، و عاصم بن عمرو الأسدی إلی نهر جویر، و عروة بن زید الخیل إلی الزوابی، فأما المثنی فإن أهل زندورد حاربوه فظفر بهم فقتل و سبی، و أما أهل الزوابی و نهر جوبر فصالحوا علی صلح باروسما، فبعث أبو عبید بخمس ما أصاب من أ لیس و خفان و کسکر و زندورد، و ما صالح علیه إلی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، و نزل أبو عبید و المسلمون الحیرة.

و ذکر سیف، أیضا، أنهم بعثوا بخمس ما أصابوا من النرسیان إلی عمر، رحمه الله، و کتبوا إلیه: إن الله، عز و جل، أطعمنا مطاعم کانت الأکاسرة یحمونها الناس، فأحببنا أن تروها لتذکروا أنعم الله و أفضاله.

و قال فی ذلک عاصم بن عمرو:

ضربنا حماة النرسیان بکسکرغداة لقیناهم ببیض بواتر

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۰۷ و فزنا علی الأیام و الحرب لاقحبجرد حسان أو برود غرائر

و ظلت فلال النرسیان و تمرهمباحا لمن بین الدبا و الأصافر

أبحنا حمی قوم و کان حماهمحراما علی من رامه بالعساکر و قال، أیضا، یذکر ملتقی القوم بالنمارق:

لعمری و ما عمری علیّ بهینلقد صبحت بالخزی أهل النمارق

نجوسهم ما بین أ لیس غدوةو بین قدیس فی طریق البرارق

بأیدی رجال هاجروا نحو ربهمیجوسونهم ما بین درتا و بارق و بین الرواة فیما تقدم من الأخبار اختلاف فی أسماء الأعاجم و الأماکن، و فی التقدیم و التأخیر لم أر لذکر أکثر ذلک وجها إلا ما کان منه زائدا فی الإمتاع و محسنا انتظام الحدیث.

و مما ذکروا أن عمرا، رضی الله عنه، تقدم به إلی أبی عبید حین بعثه فی هذا الوجه و أوصاه بجنده، أن قال له: إنک تقدم علی أرض المکر و الخدیعة و الخیانة و الجبریة، و تقدم علی قوم جرءوا علی الشر فعلموه، و تناسوا الخیر فجهلوه، فانظر کیف تکون! و اخزن لسانک، و لا یفشون لک سر؛ فإن صاحب السر ما ضبطه متحصن لا یؤتی من وجه یکرهه، و إذا ضیعه کان بمضیعة.

حدیث وقعة الجسر «۱»

و یقال لها: وقعة القس، قس الناطف، و یقال لها: المروحة.

و قد جمعت الذی أوردت هنا من الحدیث عن هذه الوقعة من أحادیث متفرقة أوردها الخطیب أبو القاسم، رحمه الله، فی کتابه عن سیف بن عمر و غیره، یزید بعضها علی بعض و مما وقع إلیّ، أیضا، عن أبی الحسن المدائنی فی فتوح العراق، و حدیثه أطول اقتضاضا و أشد اتصالا، و قد جعلت هذه الأحادیث کلها علی اختلافها حدیثا واحدا، إلا أن یعرض فیها ما یتناقض، فإما أن أسقط، حینئذ، أحد النقیضین بعد الاجتهاد فیه و فی الذی أوثر إثباته منهما، و إما أن أذکرهما معا و أبین ذلک، و أنسبه إلی من وقع ذکره فی حدیثه، و کثیرا ما مضی عملی فی هذا الکتاب علی هذا النحو، و علیه یستمر، إن

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۵۴- ۴۵۹)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۰۱- ۳۰۳)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۲۷- ۲۹)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۸۲- ۱۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۸

شاء الله، قصدا للتهذيب و حرصا على الجمع بين الإمتاع و الإيجاز بحول الله سبحانه.

و أفتتح بما افتتح به المدائنى هذه القصة للذى ذكرته من حسن اتصال حديثه.

قال: و لما فتح أبو عبيد ما فتح، و هزم تلك الجنود، و نزل الحيرة، و رجعت المرازبة إلى يزدجرد منهزمين، شتمهم، و أقصاهم، و دعا بهمن ذا الحاجب فعقد له على اثنى عشر ألفا، و قال له: قدم هؤلاء الذين انهزموا، فإن انهزموا فاضرب أعناقهم، و دفع إليه درفش كابيان، راية كانت لكسرى فكانوا يتيمنون بها، و كانت من جلود النمور، عرضها ثمانية أذرع فى طول اثنى عشر ذراعا، و أعطاه سلاحا كثيرا، و حمل معه من أداة القتال و آله الحرب أوقارا من الإبل، و دفع إليه الفيل الأبيض، فخرج فى عدة لم ير مثلها.

و فى كتاب سيف أن رستم هو صاحب ذلك، و أنه الذى رجع إليه الجالينوس و من أفلت من جنده بناء على ما قدمنا من الاختلاف فى ملك فارس إلى من كان حينئذ.

قال: فقال رستم: أى العجم أشد على العرب فيما ترون؟ قالوا: بهمن جاذويه، و هو ذو الحاجب، فوجهه و معه الفيلة، ورد جالينوس معه. و ذكر بعض ما تقدم.

و بلغ المسلمون مسيرهم، فقال المثنى لأبى عبيد: إنك لم تلق مثل هذا الجمع و لا مثل هذه العدة، و لمثل ما أتوك به روعة لا تثبت لها القلوب، فارتحل من منزلك هذا حتى نعبر الفرات و نقطع الجسر و تصير الفرات بينك و بينهم فتراهم، فإن عبروا إليك قاتلتهم، و استعنت الله، قال: إنى لأرى هذا و هنا، ثم أخذ برأى المثنى فعبر الفرات و نزل المروحة و قطع الجسر، و أقبل بهمن فنزل قس الناطف، بينه و بين أبى عبيد الفرات، و أرسل إلى أبى عبيد: إما أن تعبر إلينا، و إما أن نعبر إليك. فقال أبو عبيد: نعبر إليكم. فقال المثنى أذكرك الله و الإسلام أن لا تعبر إليهم، فحلف ليعبرن إليهم، و دعا ابن صلوبا فعقد له الجسر فقال سليط بن قيس الأنصارى: يا أبا عبيد أذكرك الله أن لا تركت للمسلمين مجالا، فإن العرب من شأنها أن تفر ثم تكر، فاقطع هذا الجسر و تحول عن منزلك و انزل أدنى منزل من البر و تكتب إلى أمير المؤمنين فتعلمه ما قد أجلبوا به علينا، و نقيم فإذا كثر عددنا و جاء مددنا رجعنا إليهم و بنا قوة، و أرجو أن يظهرنا الله عليهم. قال: جبنت و الله يا سليط. قال: و الله إنى لأشد منك بأسا، و أشجع منك قلبا، ثم تقدم فعبر، فقال المثنى لأبى عبيد: و الله ما جبن، و لكن أشار بالرأى، و أنا أعلم بقتال هؤلاء منك، لئن عبرت إليهم فى ضيق هذا المطرد ليجزرن المسلمين هذا العدو. و قال: و الله لأعبرن إليهم، و كان رسول بهمن قد قال: إن أهل فارس قد عيروهم، يعنى المسلمين، بالجبن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۰۹

عن العبور إليهم، فازداد أبو عبيد محكا، فقال المثنى للناس: اجعلوا جبنها بى و لا تعبروا فقالوا: كيف نصنع و قد عبر أميرنا و سليط فى الأنصار و عبر الناس فقال المثنى: إنى لأرى ما تصنعون و لو لا أن خذلانكم يقبح و لا أراه يحل ما صحبتكم، ثم عبر، فالتقى الناس فى موضع ضيق المطرد.

قال: و كانت دومة امرأة أبى عبيد رأت و هى بالطائف كأن رجلا نزل من السماء معه إناء فيه شراب، فشرب منه أبو عبيد و رجال من أهل بيته يأتى ذكرهم، فقصتها على أبى عبيد، فقال: هذه الشهادة إن شاء الله.

فلما التقوا قال أبو عبيد: إن قتلت فأميركم عبد الله بن مسعود بن عمرو، يعنى أخاه، فإن قتل فأميركم جبر بن أبى عبيد، يعنى ولده، فإن قتل فأميركم حبيب بن ربيعة ابن عمرو بن عمير، فإن قتل فأميركم أبو الحكم بن حبيب بن ربيعة بن عمرو بن عمير، فإن قتل فأميركم أبو قيس بن حبيب، و هؤلاء الإخوة الثلاثة بنو عمه، حتى عدّ كل من شرب الإناء، ثم قال: فإن قتل فأميركم المثنى بن حارثة، و سير

على ميمنته سليط بن قيس، و على ميسرته المثنى.

و قدم ذو الحاجب جالينوس معه الفيل الأبيض و راية كسرى و قد أطافت به حماة المشركين، معلمين أمامهم رجال يمشون على العمد، فكانت بين الناس مشاولة، يخرج العشرة و العشرون فيقتتلون مليا من النهار، ثم حمل المشركون على المسلمين فنضحوهم بالنبل، و جثت رجالهم فاستقبلوا بالرماح، و لم يقدروا من المسلمين على شيء فانصرفوا عنهم، ثم حملوا عليهم الثانية ففعلوا مثلها، ثم انصرفوا، و حملوا عليهم الثالثة فصبروا، فلما رأوا أنهم لا يقدرون على ما يريدون من المسلمين جاءوا بالنشاب فوضعوه كأنه آكام و تفرقوا ثلاث فرق، فقصدت فرقة لأبى عبيد فى القلب، و فرقة لسليط فى الميمنة، و فرقة للمثنى فى الميسرة، ثم صاروا كراديس، فجعل الكردوس يمر بهم معرضا بالمسلمين و يرميهم حتى كثرت الجراحات فيهم، و عضلت الأرض بأهلها.

و أقبلت الفيلة عليها النخل، و الخيول عليها التجافيف، و الفرسان عليهم الشعر، فلما نظرت إلى ذلك خيول المسلمين رأت شيئا منكرا لم تكن ترى مثله، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم، و إذا حملوا على المسلمين بالفيلة و الجلاجل فرقت بين كراديسهم، لا تقوى لهم الخيل إلا على نفار، و خزقهم الفرس بالنشاب، و عض المسلمين الألم، و جعلوا لا يصلون إليهم، فنادى سليط بن قيس: يا أبا عبيد أ رأيي أم رأيك أما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۰

و الله لتعلمن أنك قد أضررت برأيك نفسك و المسلمين، ثم قال: يا معشر المسلمين علام نستهدف لهؤلاء المشركين من أراد الجنة فليحمل معى، فحمل فى جماعة أكثرهم من الأنصار، فقتل و قتلوا، و ترجل أبو عبيد و ترجل الناس و مشوا إليهم، فتكافحوا و صافحوهم بالسيوف و حمى البأس حتى كثرت القتلى من الطائفتين جميعا، و جعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم، فنادى أبو عبيد: احتوشوا الفيلة فقطعوا بطنها و اقلبوا عنها أهلها؛ و واثب هو الفيل الأبيض، فتعلق ببطانه فقطعه، و وقع الذين عليه، و فعل القوم مثل ذلك؛ فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله و قتلوا أصحابه، و قال أبو عبيد: ما لهذه الدابة من مقتل؟ قالوا: بلى، مشفرها إن قطع، فضرب مشفره فقطعه و برك عليه فاستدبره أبو محجن فضرب عرقوبيه فاستدار و سقط لجنبه، و تعاور أبا عبيد المشركون فقتلوه، و قيل: بل اتقاه الفيل بيده لم نفح مشفره بالسيف فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل و قام عليه.

فلما بصر الناس بأبى عبيد تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم، و أخذ اللواء الذى كان أمره من بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبى عبيد فاجتره إلى المسلمين و أخذوا شلوه، ثم تجر ثم الفيل فاتقاه الفيل بيده دأب أبى عبيد، و خبطه الفيل، و قام عليه، و تتابع أمراء أبى عبيد الذين عهد إليهم بأخذ اللواء، فيقاتل حتى يموت، و صبر الناس حتى قتلوا، و صارت الراية إلى المثنى بن حارثة، فجاش بها ساعة ثم انهزم الناس و ركبهم المشركون و اقتطعوا زر بن خطم أو ابن حصن بن جوين الطائى فجماعة من المسلمين، فنادى زر:

يا معشر المسلمين، أنا زر، إنه ليس بعار أن يقتل الرجل و هو مقبل على عدوه معه سيف يضرب به سبالهم و أنفهم، و إنما العار أن يقتل الرجل و هو غير مقبل على عدوه، فاثبتوا فرب قوم قد فروا ثم كروا ففتح الله عليهم، فثاب إليه ناس من أهل الحفاظ حتى صاروا نحوا من ثلاثمائة، و أحاط بهم المشركون حتى خافوا الهلاك، و نظر إليهم المثنى بن حارثة، فقال لناس من بكر بن وائل: أى إخوانكم قد أحسنوا القتال و صبروا لعدوهم، فإن أمسكتم عنهم هلكوا، و إن كررتم رجوت أن تفرجوا عنهم و أن يكشف الله لهم السبيل إلى الجسر، فحمل على المشركين فى سبعين من بكر بن وائل أصحاب خيل مقدحة، كان يعدها للطلب و الغارة فى بلاد العدو فقاتلهم حتى ارتفع عنهم المشركون و انضموا إلى إخوانهم من المسلمين.

و نظر عروة بن زيد الخيل و قد أحيط به و هو فى عشرين فرسا، إلى خيل المسلمين تطارد المشركين فقال لمن معه: أرى فى المسلمين بقية، فاحملوا على من بيننا و بين

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۱

أصحابنا، فحملوا و أفرجوا لهم حتى وصلوا إلى المسلمين، و كان عروة يومئذ على فرس كميت أغر الذنوب، فأبلى أحسن بلاء، كان

یشد علیه المنسر من مناسر العجم و هو وحده فإذا غشوه کر علیهم فیتصدعون حتی عرف مکانه، و تعجب الناس یومئذ من عروة لما رأوا من بلائه، فقال المثنی: إن البأس لیس له بمستنکر، و مضی الناس نحو الجسر، و حماهم المثنی و عروة بن زید الخیل و الکلح الضبی و عاصم بن عمرو الأسدی و عامر بن الصلت السلمی و نادی المثنی: أیها الناس، أنا دونکم فاعبروا علی هیئتکم و لا تدهشوا فإنا لن نزول حتی نراکم من ذلک الجانب، و لا تفرقوا أنفسکم. فانتهی الناس إلی الجسر و قد سبق إلیه عبد الله بن مرثد الثقفی أو غیره فقطعه و قال: قاتلوا عن دینکم، فخشع الناس و اقتحموا الفرات فغرق من لم یصبروا، و أسرع المشرکون فیمن صبروا، و أتاهم المثنی بن حارثة فأمر بالسفینة التی قطعت فوصلت بالجسر و عبر الناس، و قال المثنی للرجل الذی قطع الجسر: ما حملک علی ما صنعت؟ قال: أردت أن یصبر الناس، و یقال إن سلیط بن قیس کان من آخر من قتل عند الجسر.

و أصیب یومئذ من المسلمین ألف و ثمانمائة منهم ثلاثمائة من ثقیف فیهم ثمانون خاضبا، و استحر القتل یومئذ ببنی عوف بن عقدة رهط أبی عبید فابید منهم: أبو عبید و أمراؤه الذین أمر، و غیرهم. و یقال: قتل یومئذ معه اثنان و عشرون رجلا ممن هاجر، و قتل من المشرکین ألفان.

و قتل أکثر من ذلک فیما ذکره سیف، قال: خبط الفیل أبا عبید، و قد أسرعت السیوف فی أهل فارس، و أصیب منهم ستة آلاف فی المعرکة، و لم یبق إلا الهزیمة، فلما خبط أبو عبید، و قام علیه الفیل جال المسلمون جولة، ثم تموا علیها، و رکبهم أهل فارس.

و قال عثمان النهدی: هلک یومئذ، یعنی من المسلمین، أربعة آلاف بین قتیل و غریق، و هرب ألفان، و بقی ثلاثة آلاف.

و لما فرغ الناس بالعبور عبر المثنی و حمی جانبه، و اضطرب عسکره و رماهم ذو الحاجب فلم یقدر علیهم، و قطع المسلمون الجسر بعد عبورهم، فعبره المشرکون.

قالوا «۱»: و خرج جابان، و مردانشاه فی ألف من الأساورة منتخبین لیسبقوا المسلمین إلی الطریق، و بلغ ذلک المثنی، فاستخلف علی الناس عاصم بن عمرو، و خرج یریدهما

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۴۵۸، ۴۵۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۱۲

فی جریدة خیل، فاعترضاه یظنانه هاربا، فأخذهما أسیرین فضرب أعناقهما، و قال: أنتما کذبتما أمیرنا و استفززتماه.

و خرج أهل أ لیس علی أصحابها، فأخذوهم فجاءوا بهم إلی المثنی، فضرب أعناقهم، و عقد بذلک لأهل أ لیس ذمة ثم رجع إلی عسکره.

و قیل: بل لقیهم المثنی فقتل مردانشاه فی المعرکة و أسر جابان فضرب المثنی رقبته، و قد تقدم فی ذکر ملتقی أبی عبید بجابان بین الحیرة و القادسیة أن أکتل بن شماخ العکلی أسر مردانشاه ثم ضرب عنقه، و أسر مطر بن فضة جابان فخدعه و افتدی منه، و أحد الأمرین هو الصحیح فی قتل مردانشاه، فالله أعلم.

و انهزم المشرکون، و مضی المثنی إلی أ لیس، و تفرق بنو تمیم إلی بوادیهم، و مضی أهل المدینة و أسد غطفان فنزلوا الثعلبیة. و کان لعروة بن زید الخیل من حسن الغناء فی یوم الجسر ما تقدم ذکره، فقال له المثنی: یا عروة، أما و الله لو أن معی مثلک ألف فارس من العرب ما تهیبت أن أصبح ابن کسری فی مدائنه و ما کنت أکره أن ألقی مثل هذا الجمع الذی فل المسلمین مصحرا و لرجوت أن یظفرنی الله بهم، فهل لک فی المقام معی لا أوثر علیک نفسی و لا أحدا من قومی؟ قال: لا، إنی کنت مع هذا الرجل، یعنی أبا عبید، و قد أصیب، فأرجع إلی عمر فیری رأیه.

فلما نزل الناس الثعلبیة سألوا عروة أن یأتی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، بکتابهم، فکتبوا إلیه: إنا لقینا عدو الإسلام من أهل فارس بمکان یقال له قس الناطف فقتل أمیرنا أبو عبید و أمراء أمرهم أبو عبید، و سلیط بن قیس و رجال من المسلمین منهم من تعرف، و

منهم من تنكر، و تولى أمر الناس المثنى بن حارثة أخو بنى شيبان فحماهم فى فوارس، جزاهم الله عن الإسلام خيرا، فكتبنا إليك و قد نزلنا الثعلبية فرارا من الزحف لا نرى إلا إنّا قد هلكنا، و قد بعثنا إليك فارس المسلمين عروة يخبرك عنا و يأتينا بأمرك.

فلما قرأ عمر الكتاب فانتهى إلى قوله: منهم من تعرف و منهم من تنكر بكى و قال:

ما ضر قوما عرفهم الله أن ينكرهم عمر، لكن الله لا يخفى عليه من عباده المحسنون، يا عروة ارجع إليهم فأعلمهم أنهم ليسوا بفرار، و إنما انحازوا إلىّ، و أنا لهم فئة، و سيفتح الله عليهم تلك البلاد إن شاء الله، يرحم الله أبا عبيد لو انحاز إلينا و اعتصم بالحيف لكنا له فئة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۳

و كتب عمر مع عروة إلى المثنى بن حارثة: أما بعد، فإن الله كتب القتل على قوم فلم يكن مماتهم ليكون إلا قتلا، و كتب على قوم الموت فهم يموتون موتا، فطوبى لمن قتل فى سبيل الله محتسبا نفسه صابرا، و قد بلغنى عنك ما كنت أحب أن تكون عليه، فالزم مكانك الذى أنت به، و ادع من حولك من العرب، و لا تعجل إلى قتال إلا أن تقاتل، أو ترى فرصة حتى تأتيك أمداد المسلمين، و كأن قد أتتك على الصعبة و الذلول.

فقدم عروة بن زيد على المثنى بكتاب عمر، و رجع أهل الحجاز و أسد و غطفان إلى بلادهم، و أقام المثنى حتى قدمت الأمداد.

و يقال: إن أول خبر تحدث به عن أهل الجسر بالمدينة أن رجلا ـ قدمها من الطائف فجلس إلى حذاء فقال: ما لى لا أسمع أهل المدينة يبكون قتلاهم؟ فقال له الحذاء: و من قتل؟ قال:

قتل أبو عبيد بن مسعود، و سليط بن قيس، فأخذ الحذاء بتلابيبه حتى أتى به عمر فأخبره بما قال، فقال له عمر: ما تقول ويلك! قال: يا أمير المؤمنين إنّا منذ ليال بفناء من أفنية الطائف إذ سمعنا أصوات نساء من ناحية باب شهار يقلن: يا أبا عبيداه، و يا سليطاه، و سمعنا قائلا يقول:

إن بالجسر فتية سعداءصبروا صادقين يوم اللقاء

كم تقى مجاهد كان فيهمخاشع القلب مستجاب الدعاء

يجأر الليل كله بعويلو نجيب و زفرة و بكاء قال: فما انقضى حديثه حتى قدم عبد الله بن زيد الخطمى، و كان أول من قدم بخبر الجسر ممن شهده فمر بباب حجر عائشة، و يقال: أتى عمر و هو على المنبر فلما دخل المسجد و رآه عمر قال: ما عندك يا ابن زيد؟ قال: أتاك الخبر يا أمير المؤمنين، ثم صعد إليه فأخبره، فقالت عائشة: ما رأينا رجلا حضر أمرا فحدث عنه كان أثبت حديثا من عبد الله بن زيد و لا أخفى فزعا.

و لما قدم أهل المدينة المدينة و أخبروا عمن سار منهم إلى البادية استحياء من الهزيمة، اشتد ذلك على عمر، رحمه الله، فرق للناس و رحمهم، و قال: اللهم إن كل مسلم فى حل منى، أنا فئة كل مسلم، من لقى العدو ففزع بشىء من أمره فأنا له فئة؛ يرحم الله أبا عبيد، لو كان انحاز إلىّ لكنت له فئة.

و كان معاذ القارئ ممن شهدها و فر يومئذ، و كان يصلى بالناس فى شهر رمضان على

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۴

عهد عمر، فكان بعد إذا قرأ: وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ [الأنفال: ۱۶]، خنقته العبرة و بكى، فكان عمر يقول: أنا لكم فئة.

و كان عمر، رضى الله عنه، قد رأى فى النوم أن أبا عبيد و أصحابه انتهوا إلى ضرس من الحيرة فتحيروا و لم يجدوا مخرجا، فرجعوا فلم يجدوا طريقا، فرفعوا إلى السماء، فقال عمر: هذه شهادة، فليت شعرى ما فعل عدوهم؟ فكان يتوقع الخبر حتى قدم عبد الله بن زيد الخطمى فأخبره، فبكى و قال: ما وجهت أحدا وجها أكره إلىّ من الوجه الذى توجه إليه أبو عبيد.

و قال أبو محجن بن حبیب بن عمرو بن عبید یرثی أبا عبید و من أصیب معه، و هو ابن عم أبی عبید و أخو بنی حبیب الثلاثهٔ المقتولین معه من أمرائه:

أنی تهدت نحونا أم یوسفو من دون مسراها فیاف مجاهل

إلی فتیهٔ بالطف نیلت سراتهمو غری أفراس بها و رواحل

و أضحی بنو عمرو لدی الجسر منهمإلی جانب الأبیات حزم و نابل

و أضحی أبو جبر خلا بیوتهبما کان تعدوه الضعاف الأرامل

ألا قد علت قلب الهموم الشواغلو راجعت النفس الأمور القواتل

سیعلم أهل الغیّ کیف عزیمتیو یعلم ودادی الذین أواکل

غنای و أخذی بالذی أنا أهلهإذا نزلت بی المعضلات العضائل

فما رمت حتی خرقوا برماحهمثیابی و جادت بالدماء الأباجل

و ما رمت حتی کنت آخر راجعو صرع حولی الصالحون الأماثل

و قد غادرونی فی مکر جیادهمکأنی غادتنی من الراح شامل

و أمسی علی سیفی نزیف و مهرتیلدی الفیل تدمی نحرها و الشواکل

فما لمت نفسی فیهم غیر أنهاإلی أجل لم یأتها و هو عاجل

مررت علی الأنصار وسط رحالهمفقلت لهم هل منکم الیوم قافل

ألا لعن الله الذین یسرهمردای و ما یدرون ما الله فاعل و قال أبو محجن أیضا:

یا عین جودی علی جبر و والدهإذا تحطمت الرایات و الحلق

یوم بیوم أتی جبر و إخوتهو النفس نفسان منها الهول و الشفق

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۱۵ یا خل سل المنایا ما ترکن لناعزا ننوء به ما هدهد الورق و قال حسان بن ثابت یرثی سلیط بن قیس و من أصیب من قومه:

لقد عظمت فینا الرزیهٔ أنناجلاد علی ریب الحوادث و الدهر

لدی الجسر یوم الجسر لهفی علیهمغداهٔ إذا ما قد لقینا علی الجسر

یقول رجال ما لحسان باکیاو حق لی التبکاء بالنحب و الغزر

أبعد أبی قیس سلیط تلومنیسفاها أبی الأیتام فی العسر و الیسر

فقل للألی أمسوا أسروا شماتهبه کنتم یوم النزال علی بدر و قالت امرأهٔ من ثقیف:

أضحت منازل آل عمرو قفرهٔبعد الجزیل و نائل مبذول

و کأنما کانوا لموقف ساعهٔقردا زفته الریح کل سبیل

حدیث البویب و وقعهٔ مهران «۱»

و لما بلغ عمر، رضی الله عنه، أمر الجسر، و أتاه کتاب المسلمین بالخبر استخلف علی المدینهٔ علی بن أبی طالب و خرج فنزل بصرار یرید أرض فارس، و قدم طلحهٔ بن عبید الله فنزل الأعوص، فدخل علیه العباس بن عبد المطلب و عثمان بن عفان و عبد الرحمن بن عوف فأشاروا علیه بالمقام، و قالوا: شاور الناس، فکتب إلی علی و طلحهٔ فقدما علیه، فجمع الناس فقال: إنی نزلت منزلی هذا و أنا أرید العراق فصرفنی عن ذلک قوم من ذوی الرأی منکم، و قد أحضرت هذا الأمر من خلفت و من قدمت، فأشیروا علیّ، فقال علی

بن أبى طالب، رضـى الله عنه، أرى أن ترجع إلى المدينـة و تكتب إلى من هناك من المسلمين أن يـدعوا من حولهم و يحذروا على أنفسهم، و قـد قـدم قوم من العرب يريـدون الهجرة فوجههم إليهم فتكون دار هجرة حتى إذا كثروا وليت أمرهم رجلا من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من أهل السابقة و القدم فى الإسلام، فانصرف عمر إلى المدينة و كتب إلى المثنى بأن يدعو من حوله و لا يقاتل أحـدا حتى يأتيه المـدد، و قـدم من الأسـد و بارق و غامـد و كنانـة سـبعمائة أهل بيت، فقال لهم عمر: أين تريدون؟ فقالوا: سلفنا بالشام. قال: أو غير ذلك، أرضا تبتذونها إن شاء الله و يغنمكم الله كنوزها، أخوار فارس. فقال مخنف بن سليم الغامدى: مرنا بأحب الوجهين إليك. قال: العراق. قال:

---

(۱) انظر: فتوح البلدان للبلاذرى (ص ۳۱۰- ۳۱۲)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۰۳- ۳۰۶)، الطبرى (۳/ ۴۶۰- ۴۷۲)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۲۹، ۳۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۶

فامضوا على بركـة الله، فأمر عمر على الأزد رجلا منهم، و على كنانـة غالب بن عبد الله الليثى فشـخصوا إلى أرض الكوفة، فقدموا على المثنى بن حارثة، فأقبل بهم حتى نزلوا العذيب.

و فيما ذكره سيف «۱» أن الأزد و كنانـة لما سألوا الشام قال لهم عمر: ذلك وجه قد كفيتموه، العراق العراق اذروا بلـدة قد فل الله شوكتها و عدوها، و استقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش، لعل الله أن يرث بكم قسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس، فقال غالب الليثى و عرفطة البارقى، كل واحـد منهما لقومه: يا عشيرتاه أجيبوا أمير المؤمنين إلى ما أراد، فقال كل فريق لصاحبهم: إنا قد أطعناك و أجبنا أمير المؤمنين إلى ما أراد، فدعا لهم عمر بخير، و أمر على كنانـة غالبا و سرحه فيهم، و أمر على الأزد عرفجة بن هرثمـة البارقى و عامتهم من بارق، و فرحوا برجوع عرفجة إليهم. فخرج هـذا فى قومه و هـذا فى قومه حتى قـدما على المثنى، و كان عرفجة هـذا حليفا فى بجيلة لأمر عرض له فى قومه أخرجه عنهم، و من قدمته هذه رجع إلى قومه و نسبه حسب ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى.

و قدم بعدهم أربعمائة أهل بيت من كندة و السكون، فيهم الأشعث بن قيس و معاوية بن حديج و شرحبيل بن السمط، فقالوا: يا أمير المؤمنين قـدمنا نريـد سلفنا بالشام، فنظر إليهم و عليهم الحلل فأعرض عنهم، فكلموه، أيضا، فلم يأمرهم بشىء، فقيل له: ما يمنعك؟ قال: إنى لمتردد فيهم منقبض عنهم، لا ينزل هؤلاء بلدا إلا فتنوا أهله، و ما قدم أحد المدينة أكره إلىّ منهم، فأمضى نصفهم إلى الشام، عليهم معاوية بن حديج، و نصفهم إلى العراق عليهم شرحبيل بن السمط.

و قدم من مذحج المدينة ألف بيت فيهم ثلاثمائة أهل بيت من النخع، فقال عمر:

سيروا إلى أرض فارس، قالوا: لا، و لكنا نسير إلى الشام، فقال يزيد بن كعب النخعى:

أنا أخرج فيمن أطاعنى، فخرج فى ثلاثمائة أهل بيت من النخع، و قال هند الجملى: أنا أخرج فيمن أطاعنى، فخرج فى خمسـمائة أهل بيت من مراد، فكان عمر يقول بعد ذلك: سيد أهل الكوفة سمى المرأة هند الجملى.

ثم قدم المدينة أهل ألف بيت من همدان، فقالوا لعمر: خر لنا. قال: أرض العراق.

قالوا: بل الشام، قال: بل العراق، فصرفوا ركابهم إلى العراق.

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۶۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۷

و قد كانت قدمت بجيلة فيهم جرير بن عبد الله، و سيدهم عرفجة بن هرثمة البارقى، حليف لهم، فقال عمر: اخرجوا إلى العراق، و أمر

عليهم عرفجة، فقال جرير لبجيلة:

أخبروا عمر أنه ولى عليكم رجلا ليس منكم، و كانت بجيلة قد غضبت على عرفجة فى أمر عرض بينهم و بينه، فكلموا عمر فى ذلك و استعفوه منه، فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرة و إسلاما، و أعظمكم بلاء و إحسانا، فلما أعلموه أنه ليس منهم، قال لعرفجة: إن هؤلاء استعفونى منك، و زعموا أنك لست منهم، فما عندك؟ قال: صدقوا، لست منهم و ما يسرنى أننى منهم، أنا امرؤ من الأزد من بارق فى كثف لا يحصى عدده، و حسب غير مؤتشب. فقال عمر: نعم الحى الأزد، يأخذون نصيبهم من الخير و الشر.

و قال عرفجة: إنه كان من شأنى أن الشر تفاقم فينا، و دارنا واحدة، و أصبنا الدماء، و وتر بعضنا بعضا فاعتزلتهم لما خفتهم، فكنت فى هؤلاء أسودهم و أقودهم، فحفظوا علىّ لأمر دار بينى و بين دهاقنتهم، فحسدونى و كفرونى، فقال: لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك.

و قيل: إن عمر قال: اثبت على منزلتك و دافعهم، قال: لست فاعلا، و لا سائرا، فأمر عليهم جرير بن عبد الله، و قيل: إن جريرا كان إليه من بجيلة بعضها، فجمعها إليه عمر، و قال له جرير: يا أمير المؤمنين إن قومى متفرقون فى العرب، فأخرجهم و أنا أغزو بهم أرض فارس، و كانوا متفرقين فى هوزان و غطفان و تميم و فى أزد شنوءة و الطائف و جرش، فكتب عمر إلى القبائل التى فيها بجيلة: أى نسب تواصل عليه الناس قبل الإسلام فهو النسب ليس لأحد أن يدعه، و ليس له أن ينتقل إلى غير ما كان يعرف به، فمن كان من بجيلة لم ينتسب إلى غيرهم حتى جاء الإسلام فلا تحولوا بينهم و بين الرجوع إلى قومهم، فخرج قيس كبة و شحمة و عرينة من هوازن و غيرها من القبائل، و خرج العتيل و الفتيان من بنى الحارث و خرج على و ذبيان من الأزد بالسراة، و لما أعطى عمر، رضى الله عنه، جريرا حاجته فى استخراج بجيلة من الناس فأخرجهم، أمرهم بالموعد بين مكة و المدينة، و لما تتاموا قال لجرير: اخرج حتى تلحق بالمثنى، فكره ذلك جرير و مال إلى الشام، فقال له عمر: قد علمتم ما لقى إخوانكم بأرض فارس، فاخرجوا فإنى أرجو أن يورثكم الله أرضهم و ديارهم، و لك الربع من كل شىء بعد الخمس، و قيل: بل جعل له و لقومه ربع الخمس مما أفاء الله عليه فى غزاتهم هذه، له و لمن اجتمع إليه و من أخرج له من القبائل، استصلحهم عمر، رضى الله عنه، بذلك، إذ كان هواهم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۸

الشام، فأبى هو عليهم إلا العراق، و قال لهم: اتخذونا طريقا، فقدموا المدينة و هم أربعة آلاف، و قيل: ألفان، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدين للمثنى، فقال عمر: لو ضممت إلى هؤلاء من الجبين من ابنى نزار، يعنى تميما و بكرا فوجه معهم قوما منهم، ثم تتابعت الأمداد.

و كان أول من نزل العذيب بالعيال من قبائل اليمن و الحجاز الأزد ثم حضرموت و كندة ثم النخع و مراد ثم همدان ثم بجيلة، ثم جاءت قبائل الحجاز و أهل البوادى من تميم و بكر، و جاءت طيئ عليها عدى بن حاتم، و جاءت أسد، و جاءت قيس عليهم عبد الله بن المعتم العبسى، و جاءت الرباب و على تيم و عدى هلال بن علفة، و على ضبة المنذر بن حسان، و جاءت حنظلة و عمرو، و طوائف من سعد، و جاءت النمر بن قاسط عليهم أنس بن هلال بن عقة، و بعث عمر أيضا، عصمة بن عبد الله الضبى فيمن تبعه من بنى ضبة، و كان قد كتب إلى أهل الردة يأذن لهم فى الجهاد و يستنفرهم إليه، فلم يوافقه أحد منهم إلا رمى به المثنى.

و ذكر المدائنى أن يزدجرد وجه مهران بعد وقعة الجسر و أمره أن يبث المسالح إلى أدانى أرض العرب، و يقتل كل عربى قدر عليه.

و فيما ذكره الطبرى عن سيف أن رستم و الفيرزان هما اللذان رأيا إنفاذ مهران بعد أن طالعا برأيهما فى ذلك بوران ابنة كسرى، و ذلك عند ما علما بتوافى أمداد العرب إلى المثنى، فخرج مهران فى الخيول و جاء يريد الحيرة، و بلغ المثنى الخبر و هو معسكر بمرج السباخ، ما بين القادسية و خفان، فاستبطن فرات بادقلى، و أرسل إلى جرير و من معه: أنه جاءنا أمر لن نستطيع معه المقام حتى تقدموا علينا، فعجلوا اللحاق بنا، و موعدكم البويب.

و كتب إلى عصمة و إلى كل قائد أظله بمثل ذلك، و قال: خذوا على الجوف، فسلكوا القادسية و سلك المثنى وسط السواد، فطلع على النهرين ثم على الخورنق، و طلع عصمة و من سلك معه طريقه على النجف، و طلع جرير و من سلك معه على الجوف، فانتهوا

إلى المثنى و هو البويب، و مهران من وراء الفرات بإزائه، فاجتمع عسكر المسلمين على البويب مما يلى موضع الكوفة اليوم، و عليهم المثنى، و هم بإزاء مهران و عسكره، فقال المثنى لرجل من أهل السواد: ما يقال لهذه الرقعة التى فيها مهران و عسكره؟ فقال: بسوسا، فقال: أكدى مهران و هلك، و نزل منزلا هو البسوس، و أقام بمكانه حتى كاتبه

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۱۹

مهران: إما أن تعبروا إلينا، و إما أن نعبر إليكم، فقال المثنى: اعبروا فعبر مهران، فنزل على شاطئ الفرات معهم فى الملطاط، فقال المثنى لذلك السوادى: ما يقال لهذه الرقعة التى نزلها مهران و عسكره؟ فقال: شوميا، و ذلك فى رمضان، فنادى المثنى فى الناس: انهدوا لعدوكم، فتناهدوا، و مهران فى ثلاثة عشر ألفا معه ثلاثة فيلة، فقدموا فيلتهم و استعدوا للحرب، فأقبلوا إلى المسلمين فى ثلاثة صفوف، مع كل صف فيل، و رجلهم أما فيلهم، و جاءوا و لهم زجل. فقال المثنى للمسلمين: إن الذى تسمعون فشل، فالزموا الصمت و ائتمروا همسا، و المسلمون أربعة آلاف، ألفان و ثمانمائة من اليمن، و ألف و مائتان من سائر الناس، و يقال: كانوا ستة آلاف، و ألف و مائتان من تميم و قيس و بكر، و سائرهم من اليمن.

و تنازع جرير و المثنى الإمارة يومئذ، فقال له المثنى: إنما بعثك أمير المؤمنين مددا لى، و قال جرير: بل استعملنى، فقيل: صار الأمر بينهما إلى ما قال المثنى، فكان هو الأمير، و قيل: صار جرير أميرا على من قدم معه و المثنى أميرا على من قدم قبل ذلك، و من قال هذا زعم أن المثنى قال لجرير عند ما نهدوا للعدو: خلنى و تعبئة الناس، ففعل جرير و عبأ المثنى الجيش فصير مضر و ربيعة فى القلب، و صير اليمن ميمنة، و ميسرة، و قال المثنى: يا معشر المسلمين، إنى قد قاتلت العرب و العجم، فمائة من العرب كانوا أشد علىّ من ألف من العجم، و يقال: إنه قال لهم: قاتلت العرب و العجم فى الجاهلية و الإسلام و الله لمائة من العجم فى الجاهلية كانوا أشد علىّ من ألف من العرب، و لمائة من العرب اليوم أشد علىّ من ألف من العجم، إن الله قد أذهب مصدوقتهم، و وهن كيدهم، فلا يهولنكم سوادهم، إن للعجم قسيّا لجا، و سهاما طوالا هى أغنى سلاحهم عندهم فلو قد لقوكم رموكم بها، و إذا أعجلوا عنها أو فقدوها، فهم كالبهائم أينما وجهتموها توجهت، فترسوا و الزموا مصافكم و اصبروا لشدة أو شدتين، ثم أنتم الظاهرون إن شاء الله تعالى.

و ركب يومئذ فرسا ذنوبا أدهم يدعى الشموس للين عريكته و طهارته، و كان لا يركبه إلا لقتال و يدعه ما لم يكن قتال، و مر على الرايات يحض القبائل، فقال له شرحبيل بن السمط: ما أنصفتنا يا مثنى، جعلت معدك وسطا و جعلتنا ميمنة و ميسرة، قال: إذا أنصفكم، الله ما أريد لهم شيئا من الخير إلا و أنا أريد لكم مثله، و ما عهدى بمعد يدرى بالناس من البأس، ثم صير تميما مع الأزد فى الميمنة، و صير ربيعة مع كندة فى الميسرة، و صفوا صفوفهم، و قال: الزموا الصمت فإنى مكبر ثلاث تكبيرات، فإذا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲۰

كبرت الثالثة فاحملوا، فنظر إلى سعد بن عبيد الأنصارى قد نصل من الصف، فقال: من أنت؟ قال: سعد بن عبيد، فررت يوم الجسر من الزحف، فأردت أن أجعل توبتى من فرتى أن أشرى نفسى لله. فقال له: إن خيرا مما تريد أن تقف مع المسلمين فتناضل عن دينك.

و قال جرير: يا معشر بجيلة، إن لكم فى هذه البلاد إن فتحها الله لكم حظا ليس لغيركم، فاصبروا التماس إحدى الحسنيين: الشهادة فثوابها الجنة أو النصر ففيه الغنى من العيلة، و لا تقاتلوا رياء و لا سمعة، بحسب امرئ من خساسته حظا أن يريد بجهاده و عدوه حمد أحد من الخلق.

و مر المثنى على الرايات راية راية يحرضهم و يهزهم بأحسن ما فيهم، و لكلهم يقول:

إنى لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم، و الله، ما يسرنى اليوم لنفسى شىء إلا و هو يسرنى لعامتكم، فيجيبونه بمثل ذلك، و أنصفهم المثنى فى القول و الفعل، و خالط الناس فى المكروه و المحبوب، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولا و لا عملا، و وقف على أهل الميمنة فنظر إلى رجل من العنبر على فرس عتيق رائع، فقال: يا أخا بنى العنبر، إنك لمن قوم صدق فى اللقاء، أما و الله يا بنى تميم إنكم لميامين فى الحرب، صبر عند البأس، إنى لأرجو أن يعز الله بكم دينه.

و قال للأزد: اللهم صبحهم برضوانک، و ادفع عنهم عین الحاسد، أنتم و الله الأنجاد الأمجاد الحسان الوجوه، و إنی لأرجو أن یأتی العرب الیوم منکم ما تقر به أعینهم، و نظر إلی فوارس من قیس فی القلب فقال: نعم فتیان الصباح أنتم، اللهم جللهم عافیتک و افرغ علیهم الصبر، یوما کبعض أیامکم، و نظر إلی ناس من طیئ فی القلب، فقال:

جزاکم الله خیرا، فنعم الحی أنتم فی اللقاء و عند العطاء، فإنه لیحضهم إذ شدت کتیبة من العجم علی المیسرة و فیها بکر و کندة فصبروا لهم، ثم شدت علیهم الثانیة فانکشفت بکر و کندة، فقال المثنی: إن الخیل تنکشف ثم تکر، یا معشر طیئ الزموا مصافکم و أغنوا ما یلیکم، و اعترض الکتیبة التی کشفتهم بخیل کانت معه فمنعهم من اتباعهم و قاتلهم، فثارت عجاجة بینهم و رجع أهل المیسرة، و أقبلت المیمنة نحو المثنی و قد انکشف العدو عنه، و سیفه بیده و قد جرح جراحات و هو یقول: اللهم علیک تمام النصر، هذا منک، فلک الحمد، فقال له مخنف بن سلیم الغامدی: الحمد لله الذی عافاک، فقد کنت أشفقت علیک. قال: کم من کربة قد فرجها الله، هل منعم علیه یکافئ ربه بنعمة من نعمه!!.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۱

و کانت هزیمة المشرکون، فاتبعهم المسلمون حتی انتهوا إلی نهر بنی سلیم، ثم کروا علی المسلمین و رکدت الحرب بینهم ملیا، فلا یسمع إلا هریر الرجال، و قد کان أنس بن هلال النمری قدم ممدا للمثنی فی أناس من النمر نصاری، و ابن مردی الفهری الثعلبی فی ناس من قومه کذلک، و قالوا حین رأوا نزول العجم بالعرب: نقاتل مع قومنا، فلما طال القتال یومئذ و اشتد عمد المثنی إلی أنس بن هلال، فقال: یا أنس، إنک امرؤ عربی، و إن لم تکن علی دیننا، فإذا رأیتنی قد حملت علی مهران فاحمل معی، و قال لابن مردی الفهری مثل ذلک، فأجاباه، فحمل المثنی علی مهران فأزاله حتی دخل فی میمنته، ثم خالطوهم، و اجتمع القلبان، و ارتفع الغبار و المجنبات تقتتل، لا یستطیعون أن یفزعوا لنصر أمیرهم، لا المسلمون و لا المشرکون، و قد کان المثنی قال لهم: إذا رأیتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فیه، فإن الجیش ینکشف ثم ینصرف، فالزموا مصافکم و أغنوا عنا من یلیکم، و أوجع قلب المسلمین قلب المشرکون، و وقف المثنی حتی أسفر الغبار و قد فنی قلب المشرکین، و المجنبات قد هز بعضها بعضا، فلما رآه المسلمون و قد أزال القلب و أفنی أهله قویت مجنبات المسلمین علی المشرکین و جعلوا یردون الأعاجم علی أدبارهم، و جعل المسلمون و المثنی فی القلب یدعون لهم بالنصر، و یرسل إلیهم من یذمرهم و یقول لهم: إن المثنی یقول لکم عادتکم فی أمثالهم، انصروا الله ینصرکم، حتی هزم القوم.

و کانت رایة الأزد مع عبد الله بن سلیم، فجعل بتقدم بها، فقال له رجل: لو تأخرت قلیلا، فقال:

أقسمت بالرحمن أن لا أبرحاأو یصنع الله لنا فیفتحا و قاتل حتی قتل، و تقدم أبو أمیة عبد الله بن کعب الأزدی و هو یقول: اللهم إلیک أسعی لترضی، و إیاک أرجو فاغفر ذنبی، ثم تقدم فقاتل حتی قتل، رحمه الله، فحمل أبو رملة بن عبد الله بن سلیم، و کانت عنده الرباب ابنة عبد الله بن کعب، فقتل قاتل عبد الله بن کعب و احتز رأسه، فأتی به ابنه، و هو غلام مراهق، فقال: دونک رأس قاتل أبیک، فعض الفتی بأنفه، و مر به رجل من بکر بن وائل یقال له عجل، فقال: یا فتی ما أشجعک علی الأموات فحمی الفتی و اعترض العدو، فاتبعه عمه جندب و هو یقول: یا عجل، قتلت ابن أخی، فلحقه و قد قتل رجلا، فرده، و قتل حصین بن القعقاع بن معبد ابن زرارة، فأخذ الرایة مولی لهم أو مولی للأزد یقال له خصفة، فقاتل حتی قتل، و دارت بینهم رحی الحرب، و أخذت جریر الرماح فنادی: وا قوماه، أنا جریر، فقاتلت عنه جماعة من قیس لیس معهم غیرهم حتی خلص، و شدت جماعة علی مسعود بن

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۲

حارثة و هو معلم بعصابة خضراء و هو یفری فریا، فطعن رجلا فقتله، و طعن آخر فانکسر رمحه فاختلفا بسیفیهما ضربتین فقتل کل واحد منهما صاحبه، فوقف علیه أخوه المثنی فقال: هکذا مصارع خیارکم، و قیل: إنه ارتث یومئذ فمات بعد فی أناس من الجرحی من أعلام المسلمین ماتوا کذلک، منهم خالد بن هلال، فصلی علیهم المثنی و قدمهم علی الأسنان و القرآن، و قال: و الله إنه لیهون علیّ و جدی أن شهدوا البویب، أقدموا و صبروا، و لم یجزعوا و لم یتکلموا، و إن کان فی الشهادة لکفارة لبحور الذنوب، و لما ارتث

مسعود بن حارثة یومئذ فتضعضع من معه رأی ذلک و هو دنف فقال: یا معشر کعب بن وائل، ارفعوا رایتکم رفعکم الله، لا یهولنکم مصرعی، و قتل جریر و غالب بن عبد الله اللیثی و حنظلة بن ربیعة الأسدی و عروة بن زید الخیل کل واحد منهم عشرة.

و قال ربعی بن عامر، و شهدها یومئذ مع أبیه: احصی مائة رجل من المسلمین قتل کل واحد منهم عشرة فی المعرکة. و ذکر أن غالبا و عروة و عرفجة فی الأزد کانوا من أصحاب التسعة، فالله أعلم.

و قال یومئذ لعروة رجل من قومه، و رآه یقدم: أهلکت قومک یا عروة، فقال:

یا قوم لا تعنفونی قومی لا تکثروا عدلی و لا من لومی

لا تعدونی النصر بعد الیوم

و سمع رجل یومئذ من مهران یرتجز و هو یقول:

إن تسألوا عنی فإنی مهرانأنا لمن أنکرنی ابن باذان فعجب من أن یتکلم بالعربیة، فقیل له: إنه ولد بالیمن، و یقال: إنه عربی نشأ مع أبیه بالیمن، و کان أبوه عاملا لکسری.

و أبصر جریر بن عبد الله، مهران یقاتل، فحمل علیه جریر و المنذر بن حسان فقاتلاه، طعنه المنذر فأداره عن دابته و قد و قذه فنزل إلیه جریر فاحتز رأسه و تنازعا سلبه ثم أخذ جریر سلاحه، و أخذ المنذر حلیته و ثیابه و برذونه، و قیل فی قتله غیر هذا، و هو مما حدثت به أم ولد لزید بن صوحان أن زیدا أخرجها معه إلی العسکر حتی لقوا مهران صاحب کسری، فجعل الناس یحیدون عن مهران، فقال زید: ما شأن الناس یحیدون عن هذا؟

قیل: کرهوه، فنزل زید فمشی إلیه فاختلفا ضربتین، فأطن مهران یده، فرجع فأخذ عمامتی فشقها ثم لفها علی یده ثم عاوده فنسف ساقیه بالسیف فقتله، فابتدر المسلمون

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۳

سلبه، فلم یأخذ زید من سلبه إلا السیف، نفله إیاه الأمیر، فکان زید یقول: من یشتری سیفا و هذا أثره، و یخرج یده الجذماء فیریها، و قد قیل إن غلاما نصرانیا من بنی تغلب هو الذی قتل مهران، فالله أعلم.

و هزم المشرکون فأتوا الفرات، و اتبعهم المسلمون، فانتهوا إلی الجسر، و قد عبرت طائفة من المشرکین الجسر، فحالوا بین الباقین و بینه، فأخذوا یمینا و شمالا، فقاتلهم المسلمون حتی أمسوا، و اقتحم طائفة الفرات فغرق بعضهم و نجا بعض، و رجع المسلمون عنهم حین أمسوا، فعبر من بقی منهم الجسر، ثم قطعوه فأصبح المسلمون فعقدوه و اتبعوهم حتی بلغوا بیوت ساباط، ثم انصرفوا و صلبوا مهران علی الجسر.

و یقال: إن المثنی قطع الجسر أولا لیمنع أهل فارس العبور، ثم ندم علی ذلک و قال:

لقد عجزت عجزة وقی الله شرها بمسابقتی إیاهم إلی الجسر و قطعه حتی أحرجتهم، فإنی غیر عائد فلا تعودوا و لا تعتدوا بی أیها الناس، فإنما کانت زلة، لا ینبغی إخراج أحد إلا من لا یقوی علی الامتناع.

و لما افترق الأعاجم علی شاطئ الفرات مصعدین و مصوبین و اعتورتهم خیول المسلمین أکثروا القتل فیهم حتی جعلوهم جثاء، فما کانت بین العرب و العجم وقعة کانت أقوی رمة منها.

حدث أبو روق قال: و الله إن کنا لنأتی البویب، یعنی بعد ذلک بزمان، فنری ما بین السکون و بنی سلیم عظاما بیضاء تلولا تلوح من هامهم و أوصالهم نعتبر بها. قال:

و حدثنی بعض من شهدها أنهم کانوا یحرزونها مائة ألف.

و اقتسم المسلمون ما أفاء الله علیهم، و نفلت بجیلة و جریر ما جعل لهم عمر بن الخطاب و حمل الخمس أو باقی الخمس، و جلس المثنی للناس یحدثهم و یحدثونه لما فرغوا، و کلما جاء رجل فتحدث قال له المثنی: أخبرنی عنک، فقال قرط بن جماح العبدری:

قتلت رجلا- فوجدت منه رائحة المسك فقلت: مهران، و رجوت أن يكون إياه، فإذا هو شهريرار صاحب الخيل فو الله ما رأيته إذ لم يكن مهران شيئا. و كان قرط قد قاتل يومئذ حتى دق قنى و قطع أسيافا.

و قال ربعى و هو يحدث المثنى: لما رأيت ركود الحرب و احتدامها قلت: تترسوا بالمجان فإنهم شادّون عليكم فاصبروا لشدتين و أنا زعيم لكم بالظفر فى الثالثة، فأجابونى فولى الله كفالتى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲۴

و قال ابن ذى السهمين محدثا: قلت لأصحابى إنى سمعت الأمير يقرأ و يذكر فى قراءته الزحف، فما ذكره إلا لفضل فيه، فاقتدوا برايتكم و لتحمى خيلكم رجلكم، و ازحفوا فما لقول الله من خلف، فأنجز الله لهم وعده كما رجوت.

و قال عرفجة محدثا: حزنا كتيبة منهم إلى الفرات، و رجوت أن يكون الله قد أذن فى غرقهم و أن يسلينا بها عن مصيبة الجسر، فلما حصلوا فى حد الإحراج كروا علينا فقتلناهم قتالا شديدا حتى قال بعض قومى: لو أخذت رايتك، فقلت علىّ إقدامها، و حملت بها على حاميتهم فقتلته فولوا نحو الفرات فما بلغوه و منهم أحد فيه الروح.

و قد كان المثنى قال يومئذ: من يتبع آثار المنهزمة حتى يبلغ السيب؟ فقام جرير فى قومه فقال: يا معشر بجيلة إنكم و جميع المسلمين ممن شهد هذا اليوم فى السابقة و الفضيلة سواء، و ليس لأحد منهم فى هذا الخمس غدا من النفل مثل الذى لكم منه، نفلا من أمير المؤمنين، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو و لا أشد عليه منكم للذى لكم منه إلى ما ترجون، فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين الشهادة و الجنة أو الظفر و الغنيمة و الجنة.

و مال المثنى على الذين أرادوا أن يستنتلوا بالأمس من منهزمة يوم الجسر فقال: أين المستنتل بالأمس و أصحابه؟ انتدبوا فى آثار هؤلاء القوم إلى السيب و أبلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به فهو خير لكم و أعظم أجرا، و استغفروا الله إن الله غفور رحيم.

و كان هذا المستنتل، أو هو إن شاء الله سعد بن عبيد الأنصارى، قد أراد الخروج بالأمس من صف المسلمين إلى العدو، فقيل للمثنى: أ لا ترى إلى هذا الرجل الذى يريد أن يستنتل، فركض إليه، فقال: يا أبا عبد الله، ما تريد أن تصنع؟ قال: فررت يوم أبى عبيد، فأردت أن تكون توبتى و انتصارى أن أمشى إليهم فأقاتل حتى أقتل، قال: إذن لا تضر عدوك و لا تنفع وليك، و لكن أدلك على ما هو خير لك، تثبت على صفك و تجزى قرنك و تواسى أخاك بنفسك و تنصره و ينصرك فتكون قد نفعت المسلم و ضررت العدو، فأطاعه و ثبت مكانه، فكان يومئذ أول منتدب.

فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر ثم أخرجهم فى أثر القوم، و اتبعتهم بجيلة و خيول المسلمين بعد من كل فارس، و لم يبق فى العسكر جسرى إلا- خرج فى الخيل، فانطلقوا فى طلب العدو حتى بلغوا السيب، فأصابوا من البقر و السبى و سائر الغنائم شيئا كثيرا فقسمه المثنى عليهم، و فضل أهل البلاء من جميع القبائل، و نفل بجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية و بعث بثلاثة أرباعه إلى عمر، رضى الله عنه، و ألقى الله الرعب فى قلوب

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲۵

أهل فارس، و كتب القواد الذين قادوا الناس فى الطلب إلى المثنى، و كتب إليه عاصم و عصمة و جرير: إن الله قد كفى رستم و وجه لنا ما رأيت، و ليس دون القوم شىء، فأذن لنا فى الإقدام، فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط، و تحصن أهلها منهم، و استباحوا القريات دونها و راماهم أهل الحصن عن حصنهم بساباط ثم انطفئوا راجعين إلى المثنى.

قالوا: و كان المثنى و عصمة و جرير أصابوا فى أيام البويب على الظهر نزل مهران غنما و دقيقا و بقرا، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة و قد خلفوهن بالقوادس، و إلى عيالات أهل الأيام قبلهم و هن بالحيرة، و كان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات اللواتى بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة، فلما رفعوا للنسوة فرأين الخيل تصايحن و حسبنها غارة فقمن دون الصبيان بالحجارة و العمد، فقال عمرو: هكذا ينبغى لنساء هذا الجيش، و بشروهن بالفتح.

و لما أهلک الله، عز و جل، مهران استکمن المسلمون من الغارة علی السواد فیما بینهم و بین دجلة، فمخروها لا یخافون کیدا و لا یلقون فیها مانعا، و انتفضت مسالح العجم فرجعت إلیهم و اعتصموا بالساباط، و سرهم أن یترکوا ما وراء دجلة، و نزل جریر و المثنی الحیرة و بثا المسالح فیما بین الأنبار و عین التمر إلی الطف، فمن کان أقام علی صلحه قبلوا ذلک منه، و من نقض أغاروا علیه، فکان أهل الحیرة و بانیقیا و غیرهم علی صلحهم.

و کانت وقعة البویب فی رمضان من سنة ثلاث عشرة.

و تنازع، أیضا، المثنی و جریر الإمارة، و کان المثنی أحب إلی نزار، و جریر أحب إلی الیمانیة، فکتب إلی عمر، رحمه الله، فی ذلک، فکان من مشورته فیه و عمله ما سیأتی بعد ذکره.

و شخص المثنی عند ذلک فنزل أ لیس، و یقال شراف، و هو وجع من جراحات به، و ارتحل معه عامة النزاریة، فلما رأی ذلک جریر تحول فنزل العذیب مع العیال، و معه أخلاط الناس و هو الأمیر علیهم فی قول بعضهم، و فی هذه الإمارات کلها اضطراب من نقلة الأخبار و اختلاف بین القبائل، فبنو شیبان تقول: کان جریر الأمیر یوم قتل مهران المثنی، و بجیلة تقول: کان الأمیر یوم ذلک و قبل و بعد، و الأظهر مما تقدم من الأخبار أن المثنی کان الأمیر فی تلک الحرب، إلا أن یکون جریر علی من معه کما قد قیل، فالله تعالی أعلم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۲۶

و قد قال الأعور الشنی فلم یذکر لغیر المثنی یومئذ إمارة:

هاجت علیک دیار الحرب أحزاناو استبدلت بعد عبد القیس همذانا

و قد أرانا بها و الشمل مجتمعأدنی النخیلة قتلی جند مهرانا

کأن الأمیر المثنی یوم راجفةمهران أشجع من لیث بخفانا

أزمان سار المثنی بالخیول لهمفقتل الزحف من رجلی و رکبانا

سما لمهران و الجیش الذی معهحتی أبادهم مثنی و وحدانا

إذ لا أمیر أراه بالعراق لنامثل المثنی الذی من آل شیبانا

حدیث غارة المثنی علی سوقی الخنافس و بغداد «۱»

ذکر سیف عن شیوخه أن المثنی لما نزل أ لیس، قریة من قری الأنبار، و هذه الغزاة تدعی غزاة الأنبار الآخرة، و غزاة أ لیس الآخرة، و قد مخر السواد و خلف بالحیرة بشیر بن الخصاصیة، و أرسل جریرا إلی میسان، و هلال بن علقمة إلی دست میسان و أذکی المسالح بعصمة بن فلان الضبی، و بالکلح الضبی، و بعرفجة البارقی و أمثالهم من قواد المسلمین، ألزّ به رجلان: أحدهما أنباری و الآخر حیری، یدله کل واحد منهما علی سوق، فأما الأنباری فدله علی سوق الخنافس، و أما الحیری فدله علی بغداد. فقال المثنی:

أیتهما قبل صاحبتها؟ فقالوا: بینهما أیام، فقال: أیهما أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس یتوافی إلیها الناس، و یجتمع إلیها ربیعة و قضاعة یخفرونهم. فاستعد لها المثنی، حتی إذا ظن أنه یوافیهم یوم سوقها رکب نحوهم، فأغار علی الخنافس یوم سوقها، و بها خیلان من ربیعة و قضاعة و هم الخفراء، فانتسف السوق و ما فیها، و سلب الخفراء، ثم رجع عوده علی دبئه حتی تطرق دهاقین الأنبار طروقا فی أول یومه فتحصنوا منه، فلما عرفوه نزلوا إلیه فأتوه بالأعلاف و الزاد، و أتوا بالأدلاء علی بغداد، و کان وجهه إلی سوق بغداد فصبحهم.

و قال المثنی فی غارته علی خنافس:

صبحنا فی الخنافس جمع بکرو حیا من قضاعة غیر میل

بفتيان الوغى من كل حى تبارى فى الحوادث كل جيل

نسفنا سوقهم و الخيل زورمن التطواف و الشد البجيل

---

(١) انظر: الطبرى (٣/ ٤٧٢- ٤٧۶)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (١/ ٢۵- ٢٧)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٢/ ٣٠۶، ٣٠٧)، نهاية الأرب للنويرى (١٩/ ١٨٧- ١٨٩).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۴٢٧

و ذكر الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادى فى تاريخه «١» أن بغداد كانت فى أيام مملكة العجم قرية يجتمع فيها رأس كل سنة التجار، و يقوم بها للفرس سوق عظيمة، فلما توجه المسلمون إلى العراق و فتحوا أول السواد، ذكر للمثنى بن حارثة أمر سوق بغداد، ثم أورد بإسناد له عن ابن إسحاق أن أهل الحيرة قالوا للمثنى، و ذكره سيف من طريق آخر أن رجلا من أهل الحيرة قال للمثنى، و اللفظ فى الحديثين متقارب، و قد دخل حديث أحدهما فى حديث الآخر، قالوا: أ لا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى و تجار السواد و يجتمع بها فى كل سنة من الناس مثل خراج العراق، و هذه أيام سوقهم التى يجتمعون فيها، فإن أنت قدرت على أن تعبر إليهم و هم لا يشعرون أصبت بها ما لا يكون غناء للمسلمين و قوة على عدوهم، و بينها و بين مدائن كسرى عامة يوم، فقال لهم: فكيف لى بها؟ قالوا: إن أردتها فخذ طريق البر، حتى تنتهى إلى الأنبار، ثم تأخذ رءوس الدهاقين، فيبعثون معك الأدلاء، فتسير سواد ليلة من الأنبار حتى تأتيهم ضحى.

قال: فخرج من النخيلة و معه أدلاء الحيرة، حتى دخل الأنبار، فنزل بصاحبها فتحصن منه، فأرسل إليه: ما يمنعك من النزول؟ فأرسل إليه: إنى أخاف، فأرسل إليه: انزل فإنك آمن على دمك و قريتك، و ترجع سالما إلى حصنك، فتوثق عليه ثم نزل، فأطعمه المثنى، و خوفه و استكتمه، و قال: إنى أريد أن أعبر فابعث معى الأدلاء إلى بغداد، حتى أغير منها إلى المدائن، قال: أنا أجئ معك، قال المثنى: لا- أريد أن تجيء معى، و لكن ابعث معى من يعرف الطريق، ففعل و أمر لهم بزاد و طعام و علف، و بعث معهم دليلا، فأقبل حتى إذا بلغ المنصف قال له المثنى: كم بيننا و بين هذه القرية؟ قال: أربعة فراسخ أو خمسة، و قد بقى عليك ليل، فقال لأصحابه: من ينتدب للحرس، فانتدب له قوم، فقال لهم: اذكروا حرسكم، ثم نزل و قال للناس: أنزلوا فاقضوا و اطعموا و توضئوا و تهيئوا و ابعثوا الطلائع فلا يلقون أحدا إلا حبسوه، ثم سار بهم فصبحهم فى أسواقهم، فوضع فيهم السيف، فقتل و أخذ الأموال، و قال لأصحابه: لا تأخذوا إلا الذهب و الفضة، و من المتاع ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته، و هرب الناس، و تركوا أمتعتهم و أموالهم، و ملأ المسلمون أيديهم من الصفراء و البيضاء و الحرّ من كل شيء.

ثم كر راجعا، ثم نزل بنهر السيلحيين من الأنبار، فقال للمسلمين: احمدوا الله الذى سلمكم و غنمكم، و انزلوا فاعلفوا خيلكم من هذا القصب، و علقوا عليها، و أصيبوا من

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢۵- ٢٧).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۴٢٨

أزوادكم، فسمع القوم يهمس بعضهم إلى بعض أن القوم سراع الآن فى طلبنا، فقال:

تناجوا بالبر و التقوى و لا تتناجوا بالإثم و العدوان، قبح الله من يتناجون به، انظروا فى الأمور و قدروها ثم تكلموا، تحسبونهم الآن فى طلبكم، فو الله لو كان الصريخ قد بلغهم الآن إنه لكبير، و لو كان الصريخ عندهم لبلغهم من رعب غارتنا عليهم إلى جنب مدائنهم ما يشغلهم عن طلبنا حتى نلحق معسكرنا و جماعتنا، إن للغارات روعات تنتشر عليها يوما إلى الليل، و لو كان بهم من القوة ما يحملهم على طلبنا ثم جهدوا و جهدهم ما أدركونا، نحن على الجياد العراب و هم على المقارف البطاء، و لو أنهم طلبونا فأدركونا لم نقاتلهم

إلا التماس الثواب و رجاء النصر، فثقوا بالله و أحسنوا به الظن، فقد نصركم الله عليهم و هم أكثر منكم و أعز، و سأخبركم عنى و عن انكماشى و الذى أريد من ذلك، إن خليفة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، أبا بكر أوصانا أن نقل العرجة و نسرع الكرة فى الغارات، و نسرع فى غير ذلك الأوبة، فأقبلوا و معهم دليلهم حتى انتهوا إلى الأنبار، فاستقبلهم صاحبها بالكرامة، فوعده المثنى بالإحسان إليه لو استقام أمرهم، و رجع المثنى إلى عسكره.

حديث السرايا من الأنبار «۱»

قالوا: لما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار، سرح المضارب العجلى و زيدا إلى الكباث، ثم خرج فى أثرهم، فقدم الرجلان الكباث، و قد ارفض عنه أهله و أخلوه، و كانوا كلهم من بنى تغلب، و كان عليهم فارس العناب التغلبى يحميهم، فركب المسلمون آثارهم يتبعونهم، فأدركوا أخرياتهم، فحماهم فارس العناب ساعة ثم هرب، و قتلوا فى أخرياتهم فأكثروا، و رجع المثنى إلى عسكره بالأنبار، فسرح فرات بن حيان، و كان خلفه فى عسكره، و سرح معه عتبة بن النهاس، و أمرهما بالغارة على أحياء من تغلب و النمر بصفين، ثم اتبعهما و خلف على الناس عمرو بن أبى سلمى الهجيمى.

فلما دنوا من صفين، فر أهلها فعبروا الفرات إلى الجزيرة و تحصنوا، و فارق المثنى فراتا و عتبة، فأرمل المثنى و أصحابه من الزاد، حتى نحروا رحلهم إلا ما لا بد لهم منه فأكلوها حتى أخفافها و عظامها و جلودها، ثم أدركوا عيرا من أهل دياف و حوران، فقتلوا العلوج و أصابوا ثلاثة نفر من بنى تغلب خفراء، فأخذوا العير، و كان ظهرا فاضلا، و قال

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۷۵، ۴۷۶)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۰۷)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۱۸۸، ۱۸۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۲۹

لهم: دلونى، فقال له أحدهم: أمنونى على أهلى و مالى، و أدلكم على حى من بنى تغلب غدوت من عندهم اليوم، فآمنه المثنى و سار معه يومه، حتى إذا كان العشى هجم عليهم، فإذا النعم صادرة عن الماء، و القوم جلوس بأفنية البيوت، فبعث غارته فقتلوا المقاتلة، و سبوا الذرية، و انتسفوا الأموال، و إذا هم بنو ذى الرويحلة، فاشترى من كان من ربيعة السبايا بنصيبهم من الفىء، فأعتقوا سبيهم، و كانت ربيعة لا تسبى، إذا العرب يتسابون فى جاهليتهم.

و أخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجعوا شاطئ دجلة، فسرح فى آثارهم حذيفة بن محصن، و كان على مقدمته فى غزواته كلها بعد البويب، ثم اتبعه فأدركوهم دون تكريت يخوضون الماء، فأصابوا ما شاءوا من النعم، حتى أصاب الرجل خمسا من السبى و خمسا من النعم، و جاء المثنى بذلك حتى نزل على الناس بالأنبار، و مضى فرات و عتيبة فى وجههما، حتى أغارا على صفين و بها النمر و تغلب متساندين، فأغاروا عليهم و نقبوهم، فرموا بطائفة فى الماء، فناشدوهم و جعلوا ينادون: الغرق الغرق، فلم يقلعوا عنهم، و جعل عتيبة و الفرات يذمرون الناس و ينادونهم: تغريق بتحريق، يذكرونهم يوما من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قوما من بكر بن وائل فى غيضة من الغياض، ثم انطلق المسلمون راجعين إلى المثنى و قد غرقوهم.

فلما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار و توافت بها البعوث و السرايا، انحدر بهم المثنى إلى الحيرة فنزل بها، و كانت لعمر، رحمه الله، فى كل جيش عيون يتعرفون الأخبار من قبلهم، فكتب إليه بما كان فى تلك الغزاة، و أبلغ الذى قال عتيبة و الفرات، يوم بنى تغلب و الماء، فبعث إليهما فسألهما، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه المثل، و أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب بذحل فى الجاهلية، فاستحلفهما، فحلفا ما أرادا بذلك إلا المثل، و إعزاز الإسلام، فصدقهم و ردهما إلى المثنى.

ذكر ما هيج حرب القادسية على ما ذكره سيف عن أشياخه «۱»

قالوا: قال أهل فارس لرستم و الفيزران، و هما عميدا أهل فارس: أين يذهب بكما لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس، و أطمعتما فيهم عدوهم و إن لم يبلغ من خطركما أن تقركما فارس على هذا الرأى، و أن تعرضاها للهلكة، ما تنتظرون، و الله ما

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۷۷- ۴۷۹)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۰۸، ۳۰۹).

تنتظرون إلاـ أن ينزل بنا و نهلك، ما بعد ساباط و بغداد و تكريت إلا المدائن، و الله ما جرأ علينا هذا غيركم، و لو لا أن فى قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة، و لئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك و قد اشتفينا منكم.

قالوا: فقال الفيرزان و رستم لبوران ابنة كسرى: اكتبى لنا نساء كسرى و سراريه و نساء آل كسرى و سراريهم، ففعلت، و أخرجت ذلك إليهم فى كتاب، فأرسلوا فى طلبهن فلم تبق امرأة منهن إلا أتوا بها، فوضعوا عليهن العذاب يستدلونهن على ذكر من آل كسرى، فلم يوجد عند واحدة منهن أحد منهم، و قلن، أو من قال منهن:

لم يبق منهم إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى، و أمه من أهل داريا، فأرسلوا إليها فأخذوها به، فدلتهم عليه، و كانت قد دفعته إلى أخواله فى أيام شيرى حين جمعهن فى القصر الأبيض، فقتل الذكور، و اعدتهم ثم دلته إليهم فى زبيل، فأرسلوا إليه، فجاءوا به و هو ابن إحدى و عشرين سنة فملكوه، و اجتمعوا عليه، و اطمأنت فارس و استوثقوا، و تبارى الرؤساء فى طاعته و مناصحته، فسمى الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى، أو موضع ثغر، و بلغ ذلك من أمرهم و اجتماعهم على يزدجرد المثنى و المسلمين، فكتبوا بذلك إلى عمر، رحمه الله، بما ينتظرون ممن بين ظهرانيهم، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد، من كان له منهم عهد و من لم يكن له، فخرج المثنى على حاميته حتى ينزل بذى قار، و ينزل الناس بذى الطف فى عسكر واحد، فكتب إليهم عمر:

أما بعد، فاخرجوا من بين ظهرانى الأعاجم، و تفرقوا فى المياه التى تليهم على حدود أرضكم و أرضهم، و لا تدعوا فى ربيعة و مضر أحدا من أهل النجدات، و لا فارسا إلا أجلبتموه، فإن جاء طائعا و إلا حشدتموه، احملوا العرب على الجد إذا جد العجم، لتلقوا جدهم بجدكم.

فنزل المثنى بذى قار، و نزل الناس بالجل و شراف إلى غضى، و غضى جبال البصرة، و كان جرير بن عبد الله بغضى و سبرة بن عمرو العنبرى و من أخذ أخذهم فيمن معهم إلى سلمى، فكنوا فى أمواه العراق من أولها إلى آخرها مسالح ينظر بعضهم إلى بعض، و يغيث بعضهم بعضا إن كان كون، و ذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة.

و عادت مسالح كسرى و ثغوره و هم فى ملك فارس هائبون مشفقون، و المسلمون يتدفقون قد ضروا بهم كالأسد يثأر عن فريسته، ثم يعاود الكر و أمراؤهم يكفكفونهم؛

لأن عمر، رحمه الله، كان أمرهم أن لا يقاتلوا إلا أن يقاتلوا حتى يأتيهم أمره و تصلهم أمداد المسلمين.

تأمير عمر، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص على العراق و ذكر الخبر عن حرب القادسية «۱»

ذكر المدائنى بإسناده إلى رجال من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، كان يخير من قدم عليه من العرب بين الشام و بين العراق، فكانت مضر تختار العراق و تختار أهل اليمن الشام، فقال عمر: اليمن أشد تعاطفا يحنون إلى سلفهم، و نزار كلهم سلف نفسه، و مضر لا تحن إلا سلفها، و لم يكن أحد من العرب أشد إقداما على أرض فارس من ربيعة، فبلغ عمر اختلاف المثنى بن حارثة و جرير ابن عبد الله فى الإمارة، فاستشار الناس، فقال المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين، تداركهم برجل من المهاجرين و اجعله بدريا، فقال: أشيروا علىّ برجل، فقال عبد الرحمن ابن عوف: قد وجدته، قال: من هو؟ قال: سعد بن أبى وقاص،

قال: هو لها، فكتب عمر إلى المثنى: لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و كتب إلى جرير و المثنى: إنى موجه سعدا إليكما، فاسمعا له و أطيعا.

و ذكر الطبرى و غيره فى هذا الموضع من تحرك عمر، رضى الله عنه، للخروج إلى العراق بنفسه و استدعائه وجوه المهاجرين و الأنصار للمشورة عليه فيه، بعد أن خرج بذلك الرسم فنزل صرارا، و قدم بين يديه طلحة بن عبيد الله فنزل الأعوص، و خلف بالمدينة على بن أبى طالب واليا عليها، و إشارة أولى الرأى عليه بالرجوع إلى المدينة، و الاستخلاف على ذلك الوجه، و استنفار العرب له، ما قد فرغنا من ذكره فى صدر وقعة البويب من خبر الجسر، حيث ذكره المدائنى، و لعل ذلك الموضع أولى به، فإن يكن كذلك فقد ذكرناه حيث ينبغى، و إن يكن موضعه هذا، فقد نبهنا عليه ليعرف ما وقع من الاختلاف بين المؤلفين فى هذا الشأن بحسب ما تأذى إليهم من جهة النقل، و الأمر فى ذلك قريب، و الاختلاف فى المنقولات غير مستنكر، و الله تعالى أعلم.

و قد كان أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، استعمل سعد بن أبى وقاص على

---

(۱) انظر: فتوح البلدان (ص ۳۰۳- ۳۲۰)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۰۹- ۳۳۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۳۷- ۴۷)، تاريخ ابن خلدون (۳/ ۳۱۳- ۳۲۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۲

صدقات هوازن بنجد، فأقره عمر عليها، فلما أتاه اجتماع فارس، و قيام يزدجرد فى قول من جعل قيامه بعد وقعة البويب، خلافا لما ذكره المدائنى و آخرون معه، من قيامه قبل ذلك حسب ما قدمناه، كتب عمر إلى المسلمين بما عملوا به قبل انتهاء كتابه إليهم من الوقوف على حدود أرضهم، و أن يستخرجوا كل ذى سلاح و فرس ممن له رأى و نجدة فيضموه إليهم حتى يأتيهم أمره، و كتب إلى عمال العرب على الكور و القبائل، و ذلك فى ذى الحجة سنة ثلاث عشرة مخرجه إلى الحج يأمرهم أيضا بانتخاب الناس أولى الخيل و السلاح و النجدة و الرأى، و يستعجلهم فى توجيههم إليه، و كتب بمثل ذلك إلى سعد بن أبى وقاص، فجاءه كتاب سعد:

إنى قد انتخبت لك ألف فارس مرد، كلهم له نجدة و رأى، يحوط حريم قومه، و يمنع زمارهم، إليهم انتهت أحسابهم و آراؤهم، فشأنك بهم.

فوافق وصول كتاب سعد بهذا مشاورة عمر الناس فى رجل يوجهه إلى العراق، فقالوا: قد وجدته، قال: من؟ قالوا: الأسد عاديا، سعد بن مالك، فانتهى إلى رأيهم، و أرسل إليه، فقدم عليه، فأمّره على حرب العراق و أوصاه، فقال: يا سعد، سعد بنى وهيب، عليك بتقوى الله، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، و لكن يمحو السيئ بالحسن، و لا يغرنك أن يقال: صاحب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و خال رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فإن الله عز و جل ليس بينه و بين أحد سبب إلا طاعته، فالناس شريفهم و وضيعهم فى ذات الله سواء، الله ربهم و هم عباده، يتفاضلون بالعاقبة، و يدركون ما عنده بالطاعة، أ لم تسمع لقول الله تبارك و تعالى: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها [القصص: ۸۴]، و: مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ [النمل: ۹۰]، و قد رأيت رسول الله صلى اللّه عليه و سلم مذ بعثه الله حتى قبض إليه، فالزم ما رأيته عليه، و إنى موجهك إلى أرض فارس، فسر على بركة الله، فقد استعملتك على من مررت به من القبائل ممن سقط إليكم من العرب، فاندبهم إلى الجهاد و رغبهم فيه، و أعلمهم ما أعد الله لأهله، فمن تبعك منهم فأحسن إليه و ارفق بهم، و اجعل كل قبيلة على منزلها، و من لم يبلغ أن تستنفره بمن معه من قبيلة، فاجعله مع من أحب، و انزل فيدا حتى يأتيك أمرى.

و فى رواية أنه قال لما أراد أن يسرحه:

إنى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى، فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق، فعود نفسك و من معك الخير، و استفتح به، و اعلم أن لكل عادة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۳

عتادا، و عتاد الخير الصبر، فالصبر الصبر تجتمع لك به خشية الله، و اعلم أن خشية الله تجتمع لك فى أمرين: فى طاعته و اجتناب معصيته، و إنما أطاعه من أطاعه بحب الآخرة و بغض الدنيا، و عصاه من عصاه بحب الدنيا و بغض الآخرة، و للقلوب حقائق ينشئها الله عز و جل إنشاء، منها السر و العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامده و ذامه فى الحق سواء، و أما السر فيعرف بظهور الحكمة من قبله على لسانه، و بمحبة الناس إليه، فلا تزهد فى التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم، و إن الله تعالى إذا أحب عبدا حببه إلى خلقه، و إذا أبغض عبدا بغضه إليهم، فاعتبر منزلتك عند الله عز و جل بمنزلتك عند الناس، ممن يسرع معك فى أمرك.

و ذكر المدائنى أن عمر، رضى الله عنه، كتب لسعد مع ما أوصاه به عهدا يقول له فيه:

أوصيك بتقوى الله و الرغبة فيما عنده، فادع الناس إلى الله، فمن أجابك فهو أولى بماله و أهله و ولده، و ليس لك منه إلا زاد بلاغ إن احتجت، و عظ نفسك و أصحابك و لا تكثر عليهم فيملوا، و اجعلهم رفقاء إخوانا، و ألن لهم جناحك، و حطهم بنفسك كنفسك، و اعلم أن المسلمين فى جوار الله، و أن المسلم أعظم الخلق عند الله حرمة، و لا يطلبنك الله بخفرته فى أحد منهم، و احذر عليهم و احفظ قاصيتهم، وعد مريضهم، و انصف مظلومهم، و خذ لضعيفهم من قويهم، و اصلح بينهم، و ألزمهم القرآن و خوفهم بالله، و امنعهم من ذكر الجاهلية و ما كان فيها، فإنها تورث الضغينة و تذكرهم الذحول، و اعلم أن الله قد توكل من هذا الأمر بما لا خلف فيه، فاحذر أن يصرف الله ذلك عنك بذنب و يستبدل بكم غيركم، و احذر من الله ما حذركم من نفسه، فإنك تجد ما قدمت يداك من خير محضرا و ما عملت من سوء تود لو أن بينها و بينه أمدا بعيدا.

ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين، فخرج سعد بن أبى وقاص من المدينة قاصدا للعراق فى أربعة آلاف، ثلاثة آلاف من أهل اليمن و السراة، و ألف من سائر الناس.

قالوا: و شيعهم عمر، رحمه الله، من صرار إلى الأعواص، ثم قام فى الناس خطيبا، فقال:

إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، و صرف لكم القول ليحيى بذلك القلوب، فإن القلوب ميتة فى صدورها حتى يحييها الله تعالى، من علم شيئا فلينتفع به، و إن للعدل

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۴

أمارات و تباشير، فأما الأمارات: فالحياء و السخاء و الهين و اللين، و أما التباشير: فالرحمة، و قد جعل الله لكل أمر بابا، و يسر لكل باب مفتاحا، فباب العدل الاعتبار و مفتاحه الزهد، و الاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، و الاستعداد له بتقديم الأعمال، و الزهد أخذ الحق إلى كل أحد له حق، و لا يصانع فى ذلك أحدا، و يكتفى بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شىء، إنى بينكم و بين الله، و ليس بينى و بين الله أحد، و إن الله عز و جل قد ألزمنى دفع الدعاء عنه، فأنهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع.

فسار سعد فى عام غيداق خصيب، حتى نزل فيدا فأقام بها أشهرا، و جعل عمر لا يأتيه أحد من العرب إلا وجهه إليه، ثم كتب إليه أن يرتفع بالناس إلى زرود، فأتاها و أقام بها، و أتاه من حولها من بنى تميم من حنظلة، و أتته سعد و الرباب و عمرو، فكان ممن أتاه عطارد و لبيد بن عطارد و الزبرقان بن بدر و حنظلة بن ربيعة الأسدى و ربعى الرياحى و هلال بن علقمة التميمى و المنذر بن حسان الضبى، فقالت رؤساء حنظلة: يا بنى تميم، قد نزل بكم الناس، و هم قبائل الحجاز و اليمن و أهل العالية، و قد لزمكم قراهم، فشاطروهم الرسل، ففعلوا، فمن كان له منحتان قصر إحداهما عليهم، و من كان له أكثر، فعلى حساب ذلك، فقروهم شتوة بزرود.

و كان عمر أمد سعدا بعد خروجه، فيما ذكر سيف، عن أشياخه، بألفى يمانى و ألفى نجدى مرد من غطفان و سائر الناس، فنزلوا معه زرود فى أول الشتاء، و تفرقوا فيما حولها، و أقام سعد ينتظر اجتماع الناس و أمر عمر، و انتخب من بنى تميم و الرباب أربعة آلاف، منهم ألف من الرباب، و انتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف، و أمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن و البسيطة، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبى وقاص و بين المثنى بن حارثة، و المثنى بذى قار، و يقال: بأليس، و قال بعضهم: بشراف، و جرير و من معه من

أخلاط الناس متفرقون فيما بين العذيب إلى خصى، و يقال: غضى.

و كان المثنى فى ثمانية آلاف من ربيعة، منهم ستة آلاف من بكر بن وائل، و ألفان من سائر ربيعة، منهم أربعة آلاف ممن كان المثنى انتخبه بعد فصول خالد عنه إلى الشام، و أربعة آلاف كانوا معه ممن بقى يوم الجسر، و كان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة، و ألفان من قضاعة و طيئ ممن انتخب إلى ما كان قبل ذلك، على طيئ عدى بن حاتم، و على قضاعة عمرو بن وبرة، و على بجيلة جرير بن عبد الله، فبينا الناس كذلك، سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى، و المثنى أن يقدم عليه سعد، انتقضت بالمثنى جراحاته

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۵

التى كان أصيب بها يوم الجسر، فمات رحمه الله، و لما أحس بالموت استخلف على الناس بشير بن الخصاصية، و كتب إلى سعد: كتبت إليك و أنا لا أرانى إلا لما بى، فإن أهلك أو أسلم فإنى أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و أن الجنة مأوى المتقين، و أن النار مثوى الكافرين، و لا أخال العجم إلا سيجمعون على حربك، فهم لاقوك بجمع لم يلقونا بمثله، و قد أرانى الله إن كان قضى بينك و بينهم حربا أن تقاتلهم على أدنى حجر من بلادك، على حد أرضهم، فإن ظفرتم فلكم ما وراءهم، و إن كانت الأخرى، و لا أراها الله المسلمين، كنتم أعلم بسبيلكم و أجرأ على طريقكم و أجرأ على أرضكم، و انحزتم إلى فئتكم إلى أن يرد الله لكم الكرة عليهم.

و كان مع بشير بن الخصاصية عند ما استخلفه المثنى وجوه أهل العراق، و مع سعد وجوه أهل العراق الذين قدموا على عمر، رحمه الله، فيهم فرات بن حيان العجلى و عتيبة ابن النهاس، فردهم مع سعد.

فمن أجل ذلك اختلف الناس فى عدد أهل القادسية، فمن قال: هم أربعة آلاف، فلمخرجهم مع سعد من المدينة، و من قال: ثمانية آلاف، فلاجتماعهم بزرود، و من قال:

تسعة آلاف، فللحاق القيسيين، و من قال: اثنا عشر ألفا، فلدفوف بنى أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف، و قدم عليه بعد ذاك ناس كثير مع الأشعث بن قيس و غيره.

قالوا: فجميع من شهد القادسية بضعة و ثلاثون ألفا.

و كتب سعد إلى عمر، رحمه الله، بموت المثنى، فكتب إليه: أن سر حتى تنزل بشراف، و احذر على من معك من المسلمين، و عليك بالإصلاح ما استطعت.

فارتحل سعد عن زرود و معه تميم و قيس و اليمن و غيرهم، و فيهم رجالة فحمل بنو تميم ضعفاءهم حتى قدموا شراف فنزلها، فأتاهم بشير بن الخصاصية و جرير و من كان معه بفروع الحزن، و قدم عليه المعنى بن حارثة، أخو المثنى، و قدمت معه زوج المثنى، سلمى بنت خصفة من بنى تميم اللات بوصيته إلى سعد، و كان قد أوصى بها و أمرهم أن يعجلوها عليه بزرود، فلم يفرغوا لذلك، و شغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر إلى أن انقضى ذلك، كما نذكره بعد ذكر مقتل قابوس على ما ذكره المدائنى، فقدم حينئذ المعنى و سلمى على سعد بوصية المثنى و رأيه، فترحم عليه سعد عند ما انتهى ذلك إليه، و أمّر أخاه المعنى على عمله، و أوصى بأهل بيته خيرا، و خطب سلمى فتزوجها و بنى بها،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۶

و بنى مسجدا بشراف، فقال بعض التميميين يذكر نفيرهم إلى سعد و قراهم له و حملانهم:

فنفرنا إليهم باحتساب لم نعرج و لم نذق تغميضا

و قريناهم ربيعا من الرسل حقينا مثملا و غريضا

و حملنا رجالهم من زروددإذ تعايوا فلم يطيقوا النهوضا و كتب سعد إلى عمر حين نزل شراف يخبره بمكانه، فقال: لأرمين فارس و أبناءها بالمهاجرين و أبناء المهاجرين، فوجه ألفا و مائة منهم ممن شهد بدرا نيف و أربعون رجلا و سائرهم ممن شهد بيعة الرضوان

إلى الفتح، و حضهم عمر، رحمه الله، فقال: إن أحب عباد الله إلى الله و أعظمهم عنده منزلة أتقاهم له و أشدهم منه رجلا، فعليكم بتقوى الله و الإصلاح ما استطعتم، و ما التوفيق إلا بالله، الزموا الطاعة يجمع الله لكم ما تحبون من دينكم و دنياكم، و أوفوا بالعهد لمن عاهدتم، و إياكم و الغدر و الغلول، فإنه من يغلل يأت بما غل يوم القيامة، و من غدر أدال الله منه عدوه، و وهن كيده، فافهموا ما توعظون به، و اعقلوا على الله أمره، و لا تكونوا كالجفاة الجاهلية.

و عن سيف «۱»: أن عمر، رحمه الله، قال: و الله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب، فلم يدع رئيسا، و لا ذا رأى، و لا ذا شرف، و لا ذا سلطة، و لا خطيبا و لا شاعرا إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس و غررهم.

و كتب عمر، رضى الله عنه، إلى عبيدة و هو بالشام أن يمد سعدا بمن كان عنده من أهل العراق، و كانوا ستة آلاف، و من اشتهى أن يلحق بهم، و كتب إلى المغيرة بن شعبة أن يسير إلى سعد من البصرة، و كتب إلى سعد بمثل رأى المثنى الذى أشار به على سعد:

أما بعد، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين، و توكل على الله، و استعن به على أمرك كله، و اعلم أنك تقدم على أمة عددهم كثير، و عدتهم فاضلة، و بأسهم شديد، و على بلد و إن كان سهلا كئود لبحوره و فيوضه و دآدئه، فإذا لقيتم القوم أو أحدا منهم فابدءوهم الضرب و الشد، و إياكم و المناظرة لجموعهم، و لا يخدعنكم، فإنهم خدعة مكرة، أمركم غير أمرهم، إلا أن تجادوهم، فإذا انتهيت إلى القادسية، و القادسية باب فارس فى الجاهلية، و هى أجمع تلك الأبواب لما تريد و يريدون، و هو منزل رحيب خصيب حصين دونه قناطر و أنهار ممتنعة، فتكون مسالحك على

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۴۸۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۷

أنقابها، و يكون الناس بين الحجر و المدر على أقصى حجر من أرض العرب، و أدنى مدرة من أرض العجم، ثم الزم مكانك فلا تبرحه، فإنهم إذا أحسوك أنقضتهم و رموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم و رجلهم و حدهم و جدهم، فإن أنتم صبرتم لعدوكم و احتسبتم بقتالهم، رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجمع لكم مثلهم أبدا إلا أن يجتمعوا، و ليست معهم قلوبهم، و أن تكن الأخرى كان الحجر فى أدباركم، فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم، ثم كنتم عليها أجرأ و بها أعلم، و كانوا عنها أجبن و بها أجهل، حتى يأتيكم الله بالفتح، و يرد لكم الكرة، و ليكن منزلك الذى تنزله رحيبا خصيبا، و إذا نزلت منزلا فلا تستأخر عنه، فإن ذلك وهن عليك و جرأة لعدوك، و أذك العيون و اتبع الغرض و لا- تأمن قريبا و لا بعيدا، و صف لى منزلك الذى تنزله، و كم بينك و بين أول عدوك و آخره، و كيف مأتاهم، و سم لى المنزل، فإنه ألقى فى روعى أنكم ستفتحون فارس، و أنكم الأعلون.

و فى رواية أنه كتب إليه باليوم الذى يرتحل فيه من شراف، و أين ينزل بالناس فيما بين عذيب و الهجانات، و عذيب و القوادس، و أن يشرف بالناس و يغرب بهم. فارتحل سعد عن شراف يريد أن ينزل منزلا على ما كتب به إليه عمر، فانتهى إلى المغيثة، فأقام و بنى مسجدا بين الفرعاء و المغيثة، و قدم بين يديه زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الجوية يرتاد له منزلا، فأقبل زهرة حتى انتهى إلى العذيب، و كتب إلى سعد فأقبل فى أثره، فنزل المسلمون ما بين العذيب إلى القادسية، و هى أحساء، فقال فى ذلك النعمان بن مقرن المزنى، و تروى لغيره:

نزلنا بأحساء العذيب و لم تكن لنا همة إلا اختيار المنازل

لنحوى أرضا أو نناهب غارة يضج لها ما بين بصرى و بابل و نزل زهرة القادسية بين العتيق و الخندق بحيال القنطرة و قديس، و هى يومئذ أسفل منها بميل، و كتب سعد إلى عمر: إنا نزلنا من القادسية و العذيب منزلا خصيبا رحيبا على أقصى حجر من أرضنا و أدنى مدرة من أرض عدونا، فأما عن يسار القادسية فبحر أخضر لا-ج إلى الحيرة بين طرفين، أما أحدهما فعلى الظهر، و أما الآخر فعلى

شاطئ نهر يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق و الحيرة، و أما عن يمين القادسية ففيض من فيوض مياههم، و بيننا و بين أدنى عدونا منا خمسة عشر ميلا، و لم يبلغنى من الذى أسندوا إليه أمرهم إلى أن كتبت إليك، و متى يبلغنى ذلك أكتب به إليك إن شاء الله، و نحن متوكلون على الله راجعون له.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۸

و لما بلغ أهل فارس اجتماع العرب لهم، و كثرة من انثال على سعد من رؤسائهم و وجوههم، عظم ذلك عليهم، و رعبهم و زادهم نزولهم القادسية رعبا و ضيقا، فعج أهل السواد إلى يزدجرد بن شهريار، و أرسلوا إليه: إن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب، و أن فعلهم منذ نزلوها لا يبقى عليه شىء، و قد أخربوا ما بينهم و بين الفرات، فليس هنالك أنيس إلا فى الحصون، و قد ذهبت الدواب و كل شىء لم تحمله الحصون من الأطعمة، و لم يبق إلا أن يستنزلونا، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا.

و كتب إليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطّفّ، و أعانوهم عليه.

و لما كثرت الاستغاثة من أهل السواد على يزدجرد، خشعت نفسه و اتقى الحرب برستم فأرسل إليه، فدخل عليه، فقال: إنى أريد أن أوجهك فى هذا الوجه، و إنما يعد للأمور على قدرها، و أنت رجل أهل فارس اليوم، و أنت لها، و قد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم منذ ولى آل أردشير.

فأراه رستم أن قد قبل منه و أثنى عليه، فقال له الملك: قد أحببت أن أنظر فيما لديك لأعلم ما عندك، فصف لى العرب و فعلهم، و صف لى العجم و ما يلقون منهم، فقال رستم: صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت، فقال: ليس كذلك، إنما سألتك رجاء أن تعرف صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فلم تصب، فافهم عنى، إنما مثلهم و مثل أهل فارس كمثل عقاب أوفت على مرقب عند جبل تأوى فى ذراة الطير تبيت فى أوكارها، فإذا أصبحت الطير تجلت، فأبصرت العقاب ترقبها، فخافتها فلم تنهض، و طمعت العقاب، فلم ترم، و جعلت كلما شذ منها طائر انقضت عليه فاختطفته حتى أفنتها، فلو نهضت بأجمعها نهضة واحدة لنجت، و أشد شىء يكون فى ذلك أن تنجو كلها إلا واحدا، فهذا مثلهم و مثل الأعاجم، فاعمل على قدر ذلك، فإنى أريد أن أوجه إلى هؤلاء القوم جمعا أستأصلهم به.

فسجد له رستم، و قال: الملك أفضل رأيا، و أيمن أمرا، و أسعد جدا، و إن أذن لى تكلمت.

قال: قل، قال: هزيمة جيش بعد جيش أمثل و أبقى من هزيمة الجماعة التى ليس بعدها مثلها، فأبى عليه يزدجرد إلا أن يجمع له الناس و يوجهه بهم إلى العرب، فقال له رستم:

أيها الملك، دعنى فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بى، و لعل دولة تكون فيكون الله قد كفى، و نكون قد أصبنا المكيدة و رأى الحرب، فإن الرأى فيها و المكيدة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۳۹

أنفع من بعض الظفر، فألح يزدجرد و ترك الرأى، و كان ضيقا لجوجا، و قال لرستم:

امض حتى يأتيك أمرى، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط و وجه إليه الملك المرازبة و القواد و الأساورة و استحثه فى المسير، فأعاد عليه رستم كلامه، و قال: أيها الملك، إن هزيمتى لهم دونها ما بعدها و عليكم دونها ما بعدها، و لقد اضطرنى تضييع الرأى إلى إعظام نفسى و تزكيتها، و لو أجد من ذلك بدا لم أتكلم به، فأنشدك الله فى أهلك و نفسك و ملكك، دعنى أقم بعسكرى و أسرح الجالينوس، فإن تكن لنا فذاك، و إلا فأنا على رجل و أبعث غيره، حتى إذا لم نجد بدا و لا حيلة صبرنا لهم، و قد وهناهم و حسرناهم و نحن جامون، موفورون، فأبى إلا أن يسير.

و لما نزل رستم بساباط و جمع أداة الحرب و آلاتها، بعث على مقدمته الجالينوس فى أربعين ألفا، و خرج هو فى ستين ألفا، و ساقته فى عشرين ألفا، و عليها الفيرزان، و على ميمنته الهرمزان، و على الميسرة مهران بن بهرام الرازى، و قال رستم: ليشجع الملك إن فتح

الله علینا هؤلاء القوم فهو وجهنا إلی ملکهم فی داره حتی نشغلهم فی أهلهم و بلادهم، إلا أن یقبلوا المسالمة و یرضوا بما کانوا یرضون به.

و قال سیف عن أشیاخه «۱»: خرج رستم فی عشرین و مائة ألف کلهم متبوع، فکانوا بأتباعهم أکثر من مائتی ألف، ثم إن رستم رأی رؤیا فکرهها، و أحس لها الشر، و کره لها الخروج و لقاء القوم، و اختلف علیه رأیه و اضطرب، و سأل الملک أن یمضی الجالینوس، و یقیم حتی ینظر ما یصنعون، و قال: إن غناء الجالینوس کغنائی، و إن کان اسمی أشد علیهم من اسمه، فإن ظفر فهو الذی نرید، و إن تکن الأخری وجهنا مثله، و دافعنا هؤلاء القوم إلی یوم ما، فإنی لا أزال مرجوا فی أهل فارس ما لم أهزم، و لا أزال مهیبا فی صدور العرب، و لا یزالون یهابون الإقدام ما لم أباشرهم، و إن باشرتهم اجترءوا آخر دهرهم، و انکسر أهل فارس آخر دهرهم.

قالوا: و لما أبی الملک إلا مسیر رستم، کتب رستم إلی أخیه و إلی رءوس بلاده: من رستم بن البندوان إلی مرزبان الباب و سهم أهل فارس، الذی کان یعد لکل عظیمة، فیفض الله به الجموع، و یفتح به الحصون، و من قبله من عظماء أهل فارس و المرازبة و الأساورة، فرموا حصونکم، و أعدوا و استعدوا، فکأنکم بالعرب هذه الأمة الذلیلة کانت عندکم الخسیسة المنزلة الضیقة المعیشة قد وردوا بلادکم، و قارعوکم علی

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۰۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۴۰

أرضکم و أبنائکم، و انتزعوا ما فی أیدیکم، و کان من رأیی مدافعتهم و مطاولتهم حتی تعود نجومنا فأبی الملک.

و یقال: إن رستم عند ما أمر یزدجرد بالنهوض إلی ساباط کتب إلی أخیه بنحو الکتاب الأول، و زاد فیه: أن السمکة قد کدرت الماء، و أن النعائم قد حبست، و حسنت الزهرة، و اعتدل المیزان، و ذهب بهرام، و لا أری هؤلاء القوم إلا سیظهرون علینا، و یستولون علی ما قبلنا، و إن أشد ما رأیت أن الملک قال: لتسیرن إلیهم أو لأسیرن إلیهم بنفسی، و أنا سائر إلیهم.

و کان الذی جرأ یزدجرد علی إرسال رستم غلام جابان منجم کسری، و کان من أهل فرات بادقلی، فأرسل إلیه و قال: ما تری فی مسیر رستم و حرب العرب الیوم؟

فخافه علی الصدق فکذبه، و کان رستم یعلم نحوا من عمله، فثقل علیه مسیره لأجل ذلک، و خف علی الملک لما غره منه، و قال الملک للغلام: إنی أحب أن تخبرنی بشیء أراه أطمئن به إلی قولک، فقال الغلام لزرنا الهندی: أخبره، فقال: سلنی، فسأله، فقال: أیها الملک، یقبل طائر فیقع علی إیوانک، فیقع منه شیء فی فیه هاهنا، و خط دائرة، فقال الغلام: صدق، و الطائر غراب، و الذی فی فیه درهم، فیقع منه علی هذا المکان.

و بلغ جابان أن الملک طلبه، فأقبل حتی دخل علیه، فسأله عما قال غلامه، فحسب، فقال: صدق و لم یصب، إنما الطائر عقعق، و الذی فی فیه درهم، فیقع منه علی هذا المکان، و کذب زرنا، ینـدر الدرهم من هاهنا فیستقر هاهنا، و دور دائرة أخری، فما قاموا حتی وقع علی الشرفات عقعق، فسقط منه درهم فی الخط الأول، فنزا فسقط فی الخط الآخر، و نافر الهندی جابان حیث خطأه، فأتیا ببقرة نتوج، فقال الهندی: سخلتها غراء سوداء، فقال جابان: کذبت، بل سوداء صبغاء، فنحرت البقرة فاستخرجت سخلتها، فإذا ذنبها أبیض، و هو بین عینیها، فقال جابان: من هاهنا أتی، و شجعاه علی إخراج رستم، فأمضاه.

و لما فصل رستم من ساباط، لقیه جابان علی القنطرة، فشکا إلیه، و قال: أ لا تری ما أری؟ فقال رستم: أما أنا فأقاد بخشاش و زمام، و لا بد من الانقیاد و أمر الجالینوس بالتقدم إلی الحیرة، فمضی نحوها حتی اضطرب عسکره بالنجف، و خرج رستم بعده حیث ینزل بکوثی، و أمر الجالینوس عند ما قدمه أن یصیب له رجلا من العرب من جند سعد، فخرج هو و الآزاذمرد، مرزبان الحیرة، فی سریة حتی انتهیا إلی القادسیة فأصابا دون قنطرتها

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۱

رجلا، فاختطفاه، و نفر الناس فأعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون فى أخرياتهم، فلما انتهيا إلى النجف سرحا به إلى رستم، و هو بكوثى، فقال له رستم: ما جاء بكم؟ و ما ذا تطلبون؟ قال: جئنا نطلب موعود الله عز و جل، قال: و ما موعود الله عز و جل؟ قال: أرضكم و أبناؤكم و دماؤكم إن أنتم أبيتم أن تسلموا، قال رستم: فإن قتلتم قبل ذلك؟

قال: فى موعود الله عز و جل من قتل منا قبل ذلك أدخله الله الجنة، و أنجز لمن بقى منا ما قلت لك، فنحن من ذلك على اليقين، فقال له رستم: قد وضعنا إذا فى أيديكم، فقال: ويحك يا رستم، إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرنك ما ترى حولك، فإنك لست تحاول الإنس، إنما تحاول القضاء و القدر، فاستشاط، فأمر به فضربت عنقه، رحمه الله.

و ارتحل رستم من كوثى و كأنه يقاد بزمام، حتى إذا كان ببرس أفسد أصحابه و غصبوا الناس أموالهم و وقعوا على نسائهم، فضج العلوج إلى رستم، و شكوا إليه ما يلقون من أصحابه، فجمع المرازبة و الرؤساء فقام فيهم، فقال: يا معشر أهل فارس، و الله لقد صدق العربى، و الله ما أسلمتنا إلا أعمالنا، و الله للعرب فى هؤلاء و هم لهم و لنا حرب أحسن سيرة منكم، إن الله عز و جل إنما كان ينصركم على العدو، و يمكن لكم فى البلاد بالعدل و حسن السيرة، فأما إذ تحولتم عن ذلك، فأظهرتم البغى، و سارعتم فى الفساد، فلا أرى الله عز و جل إلا مغيرا ما بكم، و ما أنا بآمن أن ينزع الله سلطانه منكم، فإنه لم يفعل هذا قوم إلا نزع عنهم النصر، و سلط عليهم العدو.

ثم بعث الرجال، فلقطوا بعض الذين شكوا، فضربت أعناقهم، ثم نادى فى الناس بالرحيل، فسار حتى نزل بجبال دير الأعور، و دعا أهل الحيرة و سرادقه إلى جنب الدير، فأوعدهم و هم بهم، و قال: يا أعداء الله، فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا، و كنتم عيونا لهم علينا، و أعنتموهم بالأموال فاتقوا بابن بقيلة، و قالوا له: كن أنت الذى تكلمه، فتقدم إليه ابن بقيلة، فقال له: لا تجمع علينا أمرين: العجز عن نصرنا و اللائمة لنا فى الدفع عن أنفسنا و بلادنا، أما قولك: أنا فرحنا بمجيئهم، و بأى ذلك من أمرهم نفرح؟

إنهم يزعمون أنا عبيد لهم، و ما هم على ديننا، و أنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار، و أما قولك: أنا كنا لهم عيونا فما احتاجوا إلى العيون، لقد ترك أصحابك لهم البلاد حتى كانت خيولهم تذهب حيث شاءت، و أما إعانتهم بالأموال، فإنا صانعناهم بها إذ لم تمنعونا مخافة أن نسبى و نخرب، و تقتل مقاتلتنا و قد عجز عنهم من لقيهم منكم، فكنا نحن أعجز منهم، و لعمرى لأنتم أحب إلينا منهم، فامنعونا نكن لكم، فإنا نحن بمنزلة علج

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۲

السواد، عبيد من غلبنا، فقال لهم رستم: صدقكم الرجل. قال الرفيل: و رأى رستم بالدير أن ملكا هبط من السماء حتى دخل عسكر فارس، فأخذ سلاحهم فختم عليها، ثم رفعها، فأصبح كئيبا، و قد أيقن أن ملكهم قد ذهب، ثم ارتحل حتى نزل النجف فعادت عليه الرؤيا، فرأى ذلك الملك و معه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه، ثم دفعه إلى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فدفعه النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى عمر، فأصبح رستم و قد ازداد جزعا، فلما رأى الرفيل ذلك رغبه فى الإسلام فأسلم، و ما كان داعيته إليه إلا ذلك.

و كان رستم قد أرسل إلى قابوس بن المنذر، و قال بعضهم: ابن النعمان بن المنذر:

اكفنا ما كانت آباؤك تكفينا من العرب، و عقد له على أربعة آلاف و قدمه إلى العذيب، فلما قدم سعد بن أبى وقاص بين يديه زهرة بن الجوية يرتاد له منزلا، قدم زهرة أمامه بكر بن عبد الله الكنانى، و قال بعضهم: عبد الله بن بكير، فانتهى إلى العذيب، و وافاه زهرة هنالك، فطرقوا قابوس بياتا فى حصن العذيب فقتلوه و تفرق أصحابه منهزمين، حتى وصلوا إلى رستم، هكذا ذكر المدائنى.

و فى كتاب سيف «۱»: أن الآزاذمرد بن الأزاذبه هو الذى بعث قابوس إلى القادسية، و قال له: ادع العرب، فأنت على من أجابك، و كن كما كان آباؤك، فلما نزل القادسية كاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة و وعدا، فلما انتهى خبره إلى المعنى بن حارثة أسرى من ذى قار حتى بيته فأنامه و من معه، ثم رجع، فخرج إلى سعد ابن أبى وقاص بزوجة المثنى و وصيته، و هذا

الوجه الذی خرج إلیه هو الذی شغله عن تعجیل القدوم علی سعد بوصیة أخیه، حسب ما ذکرناه قبل.

و عن کریب بن أبی کرب العکلی، و کان فی المقدمات أیام القادسیة، قال: قدمنا سعد من شراف، فنزلنا فی عذیب الهجانات ثم ارتحل، فلما نزل علینا، و ذلک فی وجه الصبح، خرج زهرة بن الجویة فی المقدمات، فلما رفع لنا العذیب، و کانت من مسالحهم، استبنی علی بروجه ناسا، فما نشاء أن نری علی برج من بروجه رجلا أو بین شرفتین إلا رأیناه، و کنا فی سرعان الخیل، فأمسکنا حتی تلاحق بنا کثف، و نحن نری أن فیها خیلا، ثم أقدمنا علی العذیب، فلما دنونا منه، خرج منه رجل یرکض نحو القادسیة، فانتهینا إلیه، فدخلنا فإذا لیس فیه أحد، و إذا ذلک الرجل هو الذی تراءی لنا علی البروج و بین الشرف مکیدة، ثم انطلق بخبرنا، فطلبناه فأعجزنا، و سمع بذلک زهرة

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۴۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۴۳

فلحق فجد له فیه، و کان أهل القادسیة یعجبون من شجاعة ذلک الرجل، و علمه بالحرب، و لم تر عین قط أثبت منه و لا أربط جأشا لو لا بعد غایته لم یلحق به زهرة، و وجد المسلمون رماحا و نشابا و أسفاطا من جلود و غیرها، انتفع المسلمون بها.

و لما أمسی زهرة بن الجویة بعث سریة فی جوف اللیل، و أمر علیهم بکیر بن عبد الله اللیثی، و کانوا ثلاثین معروفین بالنجدة و البأس و فیهم الشماخ القیسی الشاعر، و أمرهم بالغارة علی الحیرة، فساروا حتی جازوا السیلحین، و قطعوا جسرها یریدون الحیرة، فسمعوا جلبة، فأحجموا عن الإقدام، و أقاموا کمینا حتی یتبینوا، فما زالوا کذلک حتی جازت بهم خیول، تقدم تلک الغوغاء، فترکوها فنفذت لطریق الصین، و إذا هم لم یشعروا بهم، و إنما ینتظرون ذلک العین الذی قتله زهرة، و إذا أخت الآزاذمرد، مرزبان الحیرة، تزف إلی صاحب الصین، و کان من أشراف العجم، و تلک الخیل تبلغها مخافة ما هو دون الذی لقوا، فلما انقطعت الخیل عن الزواف، و المسلمون کمین فی النخل و حاذت بهم الأثقال، حمل بکیر علی شیراز بن الأزاذبه أخی الآزاذمرد، و هو بین أخته و بین الخیل، فقصم بکیر صلبه، و طارت الخیل علی وجوهها، و أخذوا الأثقال و ابنة الآزاذبه فی ثلاثین امرأة من الدهاقین و مائة امرأة من التوابع، و معهم ما لا یدری قیمته، ثم عاج و استاق ذلک کله، فصبح سعدا بعذیب الهجانات بما أفاء الله، عز و جل، علی المسلمین، فکبروا تکبیرة شدیدة. فقال سعد: أقسم بالله لقد کبروا تکبیرة عرفت فیها العز، فقسم ذلک سعد علی المسلمین، و نفل من الخمس، و أعطی المجاهدین بقیته، فوقع منهم موقعا، و وضع سعد بالعذیب خیلا تحوط الحریم، و انضم إلیها حاطة کل حریم، و أمر علیهم غالب بن عبد الله اللیثی، و نزل سعد القادسیة، و کتب سعد إلی عمر، رحمه الله، یعلمه بقتل الآزاذبه علی یدی بکیر بن عبد الله، و قال فیما کتب به إلیه: و أنا مقیم بالقادسیة علی أمرک، و منزلنا خصیب الجناب، و نحن ننتصف فیه من عدوان نزل بنا فی الخصب ننال من ذلک أفضل الذی نرید، و هو یوم کتبت لک مباح لنا لا یدفعوننا عنه إلا بالاعتصام بمعاقلهم، و لن یزال عندک منا کتاب بما یحدث إن شاء الله.

فأقام سعد شهرا، ثم کتب بمثلها إلی عمر، رحمهما الله: نحن و عدونا علی ما کتبت إلیک، لم یوجهوا إلینا أحدا، و لا أسندوا حربا إلی أحد علمناه، و متی یبلغنا ذلک نکتب به، فاستنصروا الله لنا، فإنا بمنحاة دنیا عریضة، دونها بأس شدید، و قد تقدم الله إلینا فی الدعاء إلیهم، فقال تعالی: سَتُدْعَوْنَ إِلی قَوْمٍ أُولِی بَأْسٍ شَدِیدٍ [الفتح: ۱۶].

فکتب إلیه عمر: أما بعد، فإن أبا بکر، رحمه الله، کان رشیدا موفقا، محفوظا معانا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۴۴

أکرمه الله و أعانه حتی قبضه إلیه راضیا مرضیا عنه، و قد ابتلینا بالذی ولینا مما لا طاقة لنا بحفظه و القیام علیه إلا بتحنن القوی ذی العزة و العظمة، و قد علمت أن فارس ستقبل إلیک بمرازبتها و بأسها و عددها، فإیاک و المناظرة لجموعهم، و القادسیة علی ما

وصفت لى منزل جامع، و الجد الجد على الذى أنت عليه، و اكتب إلىّ بجمعهم الذى زحفوا إليك به، و من رأسهم الذى يسندون إليه أمرهم، و كم بين أدنى عدوك منك و بين ملكهم، و اجعلنى من أمرهم على الجلية، فإنك بحمد الله على أمر وليه و ناصره، و الله ناصر من نصره، و قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له، و الله متم أمره، و من يرد الله به صلاحا يلهمه رشده فيما أعطاه، و يبصره الشكر لنعمته، و العمل بطاعته، و العرفان لأداء حقوقه، و من يكن بتلك المنزلة يعنه الله على حسن نيته، و يعطه أفضل رغبته، و إنما يستوجب كرامة الله بتمام نعمته من عصم له دينه، و إنما يصلح الله النية لمن رغب فيما عنده و أذعن لطاعة ربه، و إن منازل عباد الله عنده على نياتهم، فأكثر ذكر الله، و كن منه على الذى رغبك إليه و فيه، فإن فى ذلك رواحا للمستريح و نجاحا تجد فيه غدا نفع ما قدمت، فإنك ممن أرغب له فى الخير و يعنينى أمره للمكان الذى أنت فيه من عدو الإسلام، نسأل الله لنا و لك إيمانا صادقا، و عملا زاكيا.

فكتب إليه سعد و قد علم بأن رستم هو الذى تعين لحرب العرب وقود جيوش فارس، و أنه قد زحف إلى المسلمين و دنا منهم، إذ كان سعد وجه عيونا إلى الحيرة فرجعوا إليه بالخبر. فكتب به فيما أجاب به عمر، رضى الله عنهما:

أتانى كتابك بما ذكرت من أبى بكر، رحمة الله عليه، و لم يكن أحد يذكر من أبى بكر شيئا إلا و قد كان أفضل من ذلك، فبوأه الله غرف الجنة، و عرف بيننا و بينه، و إنك عامل من عمال الله، فاستعن بالله و شمر، و ليس شىء أهم عندى و لا أنا أكثر ذكرا لما نحب أن نكون عليه من الذى أمرتنا به، و الله ولى العون على ذلك، و قد قدم علينا عظيم من عظمائهم يقال له رستم بالخيل و الفيول و العدد و العدة و القوة، فيما يرى الناس، و لا حول و لا قوة إلا بالله، و بيننا و بينه خمسة عشر ميلا، و بينه و بين ابن كسرى بأبيض المدائن نيف على ثلاثين فرسخا، و لنا من عدونا النصف إن شاء الله، و لن يزال منا عندك كتاب يخبرنا إن شاء الله، فاستنصروا الله لنا بالدعاء و التضرع خفية و جهرا، فإن الله يعطى من سعة و يأخذ بقدرة و يفعل ما يشاء.

و كان عمر، رحمه الله، قد أمر بموالاة الكتب إليه بكل شىء، فكان سعد يكتب إليه فى كل يوم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج٢،ص:۴۴۵

و كتب إليه عمر: أتانى كتابك تذكر مكان عدوك و نزولك حيث نزلت، و مسافة ما بينك و بين ابن كسرى، و أنه من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، فأرسل إلى ابن كسرى من يدعوه إلى الإيمان أو إعطاء الجزية أو الحرب، فإن أسلم فله ما لكم و عليه ما عليكم، و إن اختار إعطاء الجزية و لم يسلم فله ما كسب و عليه ما اكتسب و قد حقن دمه و أحرز أرضه، و لا سبيل عليه إلا فى حق عليه، فإن أبى الإسلام و إعطاء الجزية فلا يعظم عندك حربه و لا يكربنك ما يأتيك عنهم، و لا ما يأتوك به، فاستعن بالله و استنصره و توكل عليه، و إذا لقيت عدوك فقدم أهل البأس و النجدة فى غير إهانة لهم و لا تغرير بهم، و عليكم بالصبر فإنه ينزل النصر، فإذا ظهرت فأكثر القتل فى دبر المشركين، و اقتل المقاتلة، و استبق النساء و الصبيان، ثم لا تتركن أحدا من العدو وراءك، و إن أعطوك الصلح فلا تصالح إلا على الجلاء، إلا أن تترك فيها من لا كيد له و لا نكاية، و أحط بأمرى، و خذ بعهدى.

و فى رواية أنه قال له، فيما كتب به إليه: و ابعث إليهم رجالا من أهل المنظر و الرأى و الجلد يدعونهم، فإن الله عز و جل جاعل دعاءهم توهينا لهم، و فلجا عليهم.

و لما انتهى إلى سعد أمر عمر، رضى الله عنه، بالتوجه إلى يزدجرد، جمع نفرا لهم نجار، و لهم آراء، و نفرا لهم منظر و عليهم مهابة.

فأما الذين لهم نجار و لهم آراء و اجتهاد: فالنعمان بن مقرن، و بسر بن أبى رهم، و جبلة بن جوية الكنانى، و حنظلة بن الربيع الأسدى، و فرات بن حيان العجلى، و عدى ابن سهيل، و المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب.

و أما الذين لهم منظر لأجسامهم، و عليهم مهابة، و لهم آراء: فعطارد بن حاجب، و الأشعث بن قيس، و الحارث بن حسان، و عاصم بن عمرو، و عمرو بن معدى كرب، و غيرهم ممن سماه سيف فى كتابه.

و خالفه المدائنى فى بعضهم، فلم يذكرهم، و ذكر معهم ممن لم يذكره سيف: طليحة ابن خويلد، و زهرة بن جوية، و لبيد بن عطارد،

و شرحبیل بن السمط.

قال المدائنى: فأتوا الحیرة، فأرسل إلیهم رستم: أین تریدون؟ قالوا: نرید ابن کسری.

فأرسل معهم أساورة فجوزوهم إلى المدائن، فوقفوا ببابه.

و قال سیف: إنهم طووا رستم، حتى انتهوا إلى باب یزدجرد، فوقفوا على خیول

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۴۴۶

عراب معهم جنائب، و کلها صهال، فاستأذنوا فحبسوا، و بعث یزدجرد إلى وزرائه و وجوه أرضه لیستشیرهم فیما یصنع بهم، و یقول لهم، و سمع بهم الناس فحضروهم ینظرون إلیهم، و علیهم المقطعات و البرود، و فى أیدیهم سیاط رقاق، و فى أرجلهم النعال. فلما اجتمع رأیهم أذن لهم فدخلوا علیه.

قال بعض من حضر هذا الیوم ممن سبى فى القادسیة ثم حسن إسلامه: لما کان هذا الیوم الذى قدم فیه وفود العرب على یزدجرد ثاب إلیهم الناس ینظرون إلیهم، فلم أر عشرة قط یعدلون فى الهیئة بألف غیرهم، و خیلهم تخبط و یوغر بعضها بعضا. و جعل أهل فارس یسوؤهم ما یرون من حالهم و حال خیلهم، فلما دخلوا على یزدجرد أمرهم بالجلوس، و کان سیئ الأدب، فکان أول شىء دار بینه و بینهم أن قال لترجمانه: سلهم ما یسمون هذه الأردیة؟ فسأل النعمان بن مقرن، و کان على الوفد: ما تسمى رداءک؟ قال: البرد. قال: فتطیر لموافقة هذا الاسم اسم شىء متطیر به عندهم، و تغیرت ألوان فارس، و شق ذلک علیهم. ثم قال: سلهم عن أحذیتهم، فسأله. فقال: النعال، فتطیر، أیضا، لمثل ذلک، ثم سأله عن الذى فى یده، فقال: سوط، و السوط بالفارسیة الحریق، فقال: أحرقوا فارس أحرقهم الله، و کان تطیره على أهل فارس، ثم قال لترجمانه: سلهم ما جاء بکم، و ما دعاکم إلى غزونا و الولوغ ببلادنا؟ أمن أجل أنا أجممناکم، و تشاغلنا عنکم، اجترأتم علینا؟ فقال لهم النعمان بن مقرن: إن شئتم أجبت عنکم، و من شاء آثرته.

قالوا: بل تکلم، و قالوا للملک: کلام هذا الرجل کلامنا. فتکلم النعمان. فقال إن الله رحمنا فأرسل إلینا رسولا یدلنا على الخیر و یأمرنا به، و یعرفنا الشر و ینهانا عنه، و وعدنا على إجابته خیر الدنیا و الآخرة، فلم یدع لذلک قبیلة إلا صاروا فرقتین: فرقة تقاربه، و فرقة تباعده، و لا یدخل معه فى دینه إلا الخواص. فمکث بذلک ما شاء الله أن یمکث، ثم أمر أن ینبذ إلى من خالفه من العرب، و یبدأ بهم ففعل، فدخلوا معه جمیعا على وجهین: مکره علیه فاغتبط، و طائع أتاه فازداد، فعرفنا جمیعا فضل ما جاءنا به على ما کنا علیه من العداوة و الضیق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن یلینا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوهم إلى دیننا، و هو دین حسن الحسن و قبح القبیح، فإن أبیتم فأمر من الشر هو أهون ما آخر شر منه الجزاء، فإن أبیتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى دیننا خلفنا فیکم کتاب الله، و أقمناکم علیه، و على أن تحکموا بأحکامه، و نرجع عنکم و شأنکم و بلادکم، فإن اتقیتمونا بالجزاء قبلنا منکم و منعناکم، و إلا قاتلناکم.

قال: فتکلم یزدجرد، فقال: إنى لا أعلم فى الأرض أمة کانت أشقى و لا أقل عددا

الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۴۴۷

و لا أسوأ ذات بین منکم، قد کنا نوکل بکم قرى الضواحى فیکفوناکم لا نغزوکم فارس و لا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن کان عدد لحق فلا یغرنکم منا، و إن کان الجهد دعاکم فرضنا لکم قوتا و أکرمنا وجوهکم و کسوناکم، و ملکنا علیکم ملکا یرفق بکم.

فأسکت القوم.

فقام المغیرة بن زرارة النباش الأسدى، فقال: أیها الملک، إن هؤلاء رءوس العرب و وجوههم، و هم أشراف یستحیون من الأشراف، و إنما یکرم الأشراف الأشراف، و یعظم حقوق الأشراف الأشراف، و تفخم الأشراف الأشراف، و لیس کل ما أرسلوا به جمعوه لک، و لا کل ما تکلمت به أجابوک علیه، و قد أحسنوا و لا یحسن بمثلهم إلا ذلک، فجاوبنى لأکون الذى أبلغک، و یشهدون على ذلک، أنک قد وصفتنا، فأما ما ذکرت من سوء الحال، فما کان أحد أسوأ حالا منا، و أما جوعنا فلم یکن یشبه الجوع، کنا نأکل الخنافس و

الجعلان و العقارب و الحيات، فنرى ذلك طعاما. و أما المنازل فإنما هى ظهر الأرض، و لا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل و أشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، و يغير بعضنا على بعض، فإن كان أحدنا ليدفن ابنته و هى حية كراهية أن تأكل من طعامنا، فكانت حالتنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، و بعث الله إلينا رجلا معروفا، نعرف نسبه، و نعرف وجهه و مولده، فأرضه خير أرضنا، و حسبه خير أحسابنا، و بيته أعظم بيوتنا، و قبيلته خير قبائلنا، و هو بنفسه كان خيرنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا و أجملنا، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد، أول من ترب له كان الخليفة من بعده، فقال و قلنا، و صدق و كذبنا، و زاد و نقصنا، فلم يقل شيئا إلا كان، فقذف الله فى قلوبنا اتباعه و التصديق له، فصار فيما بيننا و بين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله، و ما أمرنا به فهو أمر الله، فقال لنا: إن ربكم يقول: إنى أنا الله وحدى لا شريك لى، فكنت إذ لم يكن شيء و كل شيء هالك إلا وجهى، و أنا خلقت كل شيء و إلىّ مصير كل شيء، و أن رحمتى أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التى بها أنجيكم بعد الموت من عذابى، و لأحلكم دارى، دار السلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الله، و قال: من تابعكم على هذا فله ما لكم و عليه ما عليكم، و من أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم أمنعوهم مما تمنعون منه أنفسكم، و من أبى فقاتلوه، فأنا الحكم بينكم. فمن قتل منكم أدخلته الجنة، و من بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه، فاختر إن شئت الجزية عن يد و أنت صاغر، و إن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجو بنفسك. فقال: أ تستقبلنى بمثل هذا؟

فقال: ما استقبلت إلا من كلمنى، و لو كلمنى غيرك لم أستقبلك به. فقال: لو لا أن

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۴۸

الرسل لا- تقتل لقتلتكم، لا- شيء لكم عندى، و قال: ائتونى بوقر من تراب، و احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن، ارجعوا إلى صاحبكم و أعلموه أنى مرسل إليهم رستم حتى يدفنه و جنده فى خندق القادسية، و منكل به و بكم من بعده، ثم أورده بلادكم، حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.

ثم قال: من شد فكم؟ فسكت القوم، فقال: عاصم بن عمرو: أراد لنأخذ التراب، أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء فحملنيه، قال: أ كذلك؟ قالوا: نعم، فحمله على عنقه، فخرج به من الإيوان و الدار حتى أتى راحلته فحمله عليها، فقال له أصحابه: حملت ترابا؟ قال:

نعم، الفأل، قد أمكنكم الله من أرضهم، فلم يزل معه حتى قدم به على سعد فأخبره الخبر. فقال سعد: أبشروا، فقد و الله أعطانا الله أقاليد ملكهم، و جعل المسلمون يزدادون فى كل يوم قوة، و يزداد عدوهم فى كل يوم و هنا، و اشتد على جلساء الملك ما صنع، و ما صنع المسلمون من قبول التراب، و راح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عما كان من أمره و أمرهم، و كيف رآهم، فقال الملك: ما كنت أرى أن فى العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علىّ، و الله ما أنتم بأعقل منهم، و لا أحسن جوابا، و أخبره بكلام متكلمهم، و قال: لقد صدقنى القوم، لقد وعدوا أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه، على أنى وجدت أفضلهم أحمقهم، لما ذكروا الجزية أعطيته ترابا يحمله على رأسه فخرج به، و لو شاء اتقى بغيره، و أنا لا أعلم.

قال: أيها الملك، أخذ التراب أعقلهم، و ما أخذه إلا تطيرا، و أبصرها دون أصحابه و خرج رستم من عنده كئيبا غضبان، فبعث فى أثر الوفد، و قال لبعثه: إن أدركتموهم تلافينا أرضنا، و إن أعجزوكم سلبكم الله أرضكم، فرجع إليه من كان وجه أثرهم من الحيرة فأعلمه بفواتهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم غير ذى شك، ما كان من شأن ابن الحجامة الملك ذهب القوم بمفاتيح أرضنا، فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظا، و أغار بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد إلى أن جاءوا صيادين قد اصطادوا سمكا، و سار سواد بن مالك التميمى إلى النجاد و الفراض إلى جنبها، فاستتاق ثلاثمائة دابة من بين بغل و حمار و ثور، فأوقروها سمكا، و استاقوها، فصبحوا بها العسكر، فقسم سعد السمك بين الناس، و قسم الدواب، و نفل الخمس إلا ما رد منه على المجاهدين، و أسهم على السبى، و هذا يوم الحيتان، و كان الآزاذمرد الآزاذبه قد خرج فى الطلب، فعطف عليه سواد و فوارس معه، فقاتلهم على قنطرة السيلحين، حتى عرفوا أن قد نجت الغنيمة، ثم اتبعوها حتى أبلغوها المسلمين، و كانوا إنما يقرمون إلى اللحم، و أما الحنطة و الشعير و التمر،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۲،ص:۴۴۹

فکانوا قد اکتسبوا منه ما اکتفوا به لو أقاموا زمانا، فکانت السرایا إنما تسری للحوم، و یسمون أیامها بها، کیوم الأباقر و یوم الحیتان. و خرج، أیضا، مالک بن ربیعة بن خالد، من تیم الرباب، و معه المسافر بن النعمان التمیمی فی سریة أخری، فأغاروا علی الفیوم فأصابوا إبلا لبنی تغلب و النمر فشلوها و من فیها، فغدوا بها علی سعد، فنحرت الإبل فی الناس، و أخصبوا.

و لما کتب سعد إلی عمر، رحمه الله، یخبره بأمر ابن کسری، و إعداده للمصادمة، و أن من کان صالح المسلمین من أهل السواد قد صاروا إلبا علیهم لأهل فارس، قال: و أمر الله بعد ماض، و قضاؤه مسلم إلی ما قدر لنا و علینا، فنسأل الله خیر القضاء، و خیر القدر فی عافیة. کتب إلیه عند ذلک عمر، رحمه الله:

قد جاءنی کتابک و فهمته، فأقم مکانک حتی ینغض الله لک عدوک، و اعلم أن لها ما بعدها، فإن منحک الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتی تقتحم علیهم المدائن، فإنه خرابها إن شاء الله.

و جعل عمر یدعو لسعد خاصة، و للمسلمین عامة، و یدعون له معهم.

و فیما ذکر سیف عن رجاله «۱» قالوا: کان بین خروج رستم من المدائن و عسکره بساباط و زحفه عنها إلی أن لقی سعدا أربعة أشهر، لا یقدم و لا یقاتل، رجاء أن یضجروا بمکانهم، و أن یجهدوا فینصرفوا، و کان یکره القتال مخافة أن یلقی ما لقی من قبله، و یحب المطاولة له لو لا أن الملک جعل یستعجله و ینهضه و یقدمه حتی أقحمه.

و کتب عمر، رضی الله عنه، إلی سعد:

إنه قد ألقی فی روعی أنکم إذا لقیتم العدو و هزمتموهم، فاطرحوا الشک، و آثروا علیه الیقین، فمن لاحن منکم أحدا من العجم بأمان بإشارة أو بلسان و لا- یدری الأعجمی ما کلمتموه به، و کان عندهم أمانا، فأجروا ذلک مجری الأمان، و آثروا الیقین و النیة علی الشک، و إیاکم و المحک، و علیکم بالوفاء، فإن الخطأ مع الوفاء له بقیة، و الخطأ بالغدر هلکة، و فیها وهنکم و قوة عدوکم و ذهاب ریحکم و إقبال ریحهم، و إیاکم أن تکونوا شینا علی المسلمین، و سببا لتوهینهم.

و کتب إلیه سعد یستمده، فکتب إلیه عمر:

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۰۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج ۲،ص:۴۵۰

أ تستمدنی و أنت فی عشرة آلاف، و معک مالک بن عوف و حنظلة بن ربیعة و طلیحة ابن خویلد و عمرو بن معدی کرب فی أمثالهم من فرسان العرب، و من معک من أهل الحسبة و الرغبة فی الجهاد، فتوکل علی الله و استعنه و ناهض عدوک، و لا تهیب الناس، و استفتحوا بحسن النیة و الحسبة و الزهد فی الدنیا و الإنصاف، و الصبر الصبر، و الصدق الصدق، فإن النصر ینزل مع الصبر، و الأجر علی قدر الحسبة، و احذر علی المسلمین، و تحرز من البیات، و أکثر من قول: لا- حول و لا قوة إلا بالله، و اندب الناس إلی القتال، و نفل أهل البلاء، و من قتل قتیلا فنفله سلبه، و نکل علی المعصیة. و اجعل الناس أسباعا، و استعمل علی کل سبع رجلا، و قال بعضهم: أعشارا، و قد کتبت إلی المغیرة بن شعبة أن یشخص إلیک فی طائفة ممن قبله بالبصرة، و کتبت إلی أبی عبیدة أن یمدک بجمع من الشام، فإذا قدموا علیک فناهض عدوک، و إن رأیت فرصة قبل ذلک فاغتنمها، و لا تؤخر ذلک إن شاء الله، و لا تستوحش لقلة من معک، و لا تهن لکثرة عدوک، فکثیرا ما ینصر القلیل و یخذل الکثیر، و قبلک طلیحة بن خویلد، و عمرو بن معدی کرب، و حنظلة بن ربیعة، و أوس بن معدان، و ابن زید الخیل، فلا تؤمرن أحدا منهم علی أکثر من مائة، و شاور عمرا و طلیحة فی الحرب، و لا تولهما جمعا.

فانتهی سعد، رحمه الله، إلی کل ما أمره به عمر، رضی الله عنه، من تهیئة الناس أسباعا أو أعشارا، و قدم علیهم المغیرة فی ثمانمائة، و

یقال فی ألف و خمسمائة، و المسلمون فی ضیق، فقال المغیرة، رحمه الله: من آسی إخوانه بطعامه و زاد هو بناقته و جمله، فنحروا لهم و أخرجوا أطعماتهم فأصابوا منها و وقوا، و أشار المغیرة علی سعد أن یوجه السرایا فیصیبوا الطعام و العلف، فقبل سعد مشورته، و بث السرایا، فأصابوا من الأطعمة ما کانوا یکتفون به زمانا.

و قد روی عن الشعبی أن عمر، رحمه الله، کتب إلی سعد مرتحله من زرود: أن ابعث إلی فرج الهند رجلا ترضاه یکون بحیاله، ردءا لک من شیء إن أتاک من تلک التخوم، فبعث إلیه المغیرة بن شعبة فی خمسمائة، فکان بحیال الأبلة من أرض العرب، فأتی غضبا، و نزل علی جریر، و هو یومئذ هنالک، فلما نزل سعد بشراف کتب إلی عمر بمنزله و منزل الناس، فکتب إلیه عمر:

إذا جاءک کتابی هذا فعشر الناس و عرف علیهم، و أمر علی أجنادهم، و عبئهم، و مر رؤساء المسلمین أن یشهدوا، و قدرهم و هم شهود، ثم وجههم إلی أصحابهم، و واعدهم القادسیة، و اضمم إلیک المغیرة فی خیله، و اکتب إلیّ بالذی یستقر علیه أمرهم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۱

فبعث سعد إلی المغیرة، فانضم إلیه و إلی رؤساء القبائل، فأتوه، فقدر الناس، و عبأهم بشراف، فأمر أمراء الأجناد، و عرف العرفاء، علی کل عشرة رجلا، کما کانت العرافات أزمان النبیّ صلی اللّه علیه و سلم، و کذلک کانت إلی أن فرض العطاء، و أمر علی الرایات رجالا- من أهل النباهة، و أمر علی الأعشار رجالا- من الناس لهم وسائل فی الإسلام، و ولی الحرب رجالا، فولی علی مقدماتها و مجنباتها و ساقتها و مجرداتها و رکبانها و طلائعها، فلم یخرج من شراف إلا عن تعبئة، و لا فصل منها إلا بکتاب عمر و إذنه.

قالوا فیما ذکر سیف عن رجاله: و بعث عمر، رحمه الله، الأطبة، و بعث علی قضاء الناس عبد الرحمن بن ربیعة الباهلی، و جعل إلیه الأقباض و قسمة الفیء، و جعل داعیهم و رائدهم سلمان الفارسی. فکان أمراء التعبئة یلون الأمیر و الذین یلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار، و الذین یلون أمراء الأعشار أصحاب الرایات، و الذین یلون أصحاب الرایات و القواد رؤساء القبائل، فلما فرغ سعد من تعبئته و أعد لکل شیء من أمره جماعات و رؤساء کتب بذلک إلی عمر، رحمه الله، و لا خفاء بما بین مقتضی هذا الحدیث و بین ما قبله من الاختلاف بالتأخر أو التقدم، و الله تعالی أعلم.

و بعث سعد فی مقامه بالقادسیة إلی أسفل الفرات عاصم بن عمرو فسار حتی أتی میسان، فطلب بقرا و غنما فلم یقدر علیها، و تحصنوا منه فی الأفدان، و أوغلوا فی الآجام، فضرب حتی أصاب رجلا علی طف أجمة، فسأله و استدله علی البقر و الغنم، فحلف له، و قال: ما أعلم، و إذا هو راعی ما فی تلک الأجمة، فصاح منها ثور: کذب و الله و ها نحن أولاء، فدخل فاستاق الثیران و أتی بها العسکر، فقسم ذلک سعد علی الناس، فأخصبوا أیاما، و هذا الیوم هو یوم الأباقر.

و ذکر المدائنی أن حنظلة بن الربیع الأسیدی هو صاحب هذه الغارة، و أنه أتی أسفل الفرات فلم یصب مغنما و لم یلق کیدا، فرجع، فلقوا رجلا، فقالوا له: هل تعلم مکان أحد من عدونا بحضرتک؟ قال: لا، قد رغبتموهم فخلوا عن مساکنهم، قالوا: فتعلم مکان طعام، أو شاء، أو بقر؟ قال: لا، و سمعوا خوار ثور من غیضة، فدخلوها، فأصابوا بقرا و غنما.

قال: و قال الحجاج لرجل من بنی أسد: أشهدت القادسیة؟ قال: نعم، قرمنا إلی اللحم فخرجت فی رجال من المسلمین نلتمس اللحم، فأخفقنا، فلما انصرفنا إذا بصوت عن أیماننا: ادخلوا الغیضة فإن فیها غنیمة و أجرا، فدخلنا غیضة قریبا منا فإذا عشرة من

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۲

الأعاجم، و إذا طعام و بقر و غنم، فقاتلونا عما فی أیدیهم، فاستشهد منا رجلان، و قتلنا منهم ثمانیة، و أسرنا رجلین فقتلناهما صبرا، و حملنا الطعام، و استقنا الشاء و البقر، فقسم سعد ذلک بین المسلمین، و نفل کل رجل منا قتل رجلا سلبه. فقال الحجاج: هذه بشری من الله لأولیائه، لا یکون ذلک حتی یکون الجمع برّا تقیا. فکیف کانوا؟ قال: لا تسأل عن صدق قول، و وفاء بالعهد، و أداء للأمانة، و صبر عند البأس، و الله أعلم ما یسرون، فأما الظاهر فإنا لم نر قوما قط أزهد فی دنیا و لا أشد لها بغضا، ما اعتد علی رجل منهم فی یوم بواحدة من ثلاث: لا بجبن، و لا بغدر، و لا بغلول، أشداء علی الکفار، رحماء بینهم، قال الحجاج: هذه صفة الأبرار.

و کتب عمر إلی سعد، رضی الله عنهما: أخبرنی عن الناس و بلائهم، أ تفاضلت القبائل فیه، أو أخرجوا علی السواء؟ فکتب إلیه: إن القبائل لم تزل إلی أن کتبت إلیک متساویة فی کل غارة، و مناهبة فی جمیع ما أعدوا، و قسم ما ناهبوا، و لم یفترقوا إلا فی ثلاث، لما نزلنا بلاد القوم و عسکرنا بالقادسیة، قرمت العرب إلی طعامهم، و عاموا إلی شرابهم، فانتدب لهم من مضر عاصم بن عمرو، و سواد بن مالک، و مالک بن ربیعة، و المساور بن النعمان، و غالب بن عبد الله، و عبید الله بن وهب، و عبید الله بن عمیر الأشجعی، و عمرو بن الهذیل الأسدی، و عمرو بن ربیعة، و الحارث بن ذی البردین، فألحموا الناس و ألبنوهم حتی تفرغوا لحربهم، و انتدب من ربیعة: عبد الله بن عامر بن حجیة، و أبجر بن جابر، و خالد بن المعمر، و عائذ بن أبی مرضیة، و یزید بن مسهر، و سمی آخرین، فأنکحوا الناس و أخدموهم بنات فارس، و بنیهم، فرغبوا فی حربهم.

و انتدب من أهل الیمن: خولی بن عمرو، و الحارث بن الحارث، و عمرو بن خوثعة، و القاسم بن عقیل، و خمیصة بن النعمان، و سمی غیرهم، فحملوا الناس علی خیول و بغال و حمیر، و دعوا الخیل العراب.

و أقام سعد بالمسلمین فی منزله من القادسیة، و رستم بالحیرة، و کف رستم عن القتال، و طمع أن یضجر المسلمون بمکانهم، و کف سعد عنهم و المسلمون، و صبروا رجاء أن یصالحوا عن بلادهم و یعطوا الجزیة و یسلموا.

و کان عمرا، رحمه الله، قد عرف أن القوم سیطاولونهم فلذلک ما عهد إلی سعد و المسلمین أن ینزلوا علی حدود أرضهم و أن یطاولوهم أبدا حتی ینقضوهم، فحینئذ نزلوا القادسیة و قد وطنوا أنفسهم علی الصبر، و أبی الله إلا ـ أن یتم نوره، و إذا أراد الله أمرا أصابه، فأقاموا و اطمأنوا، فکانوا یغیرون علی السواد، فانتسفوا ما یلیهم فحووه، و أعدوا للمطاولة، أو یفتح علیهم.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۳

و کان عمر، رضی الله عنه، یمدهم بالأسواق إلی ما یصیبون، فلما رأی ذلک یزدجرد من أمرهم، و علم أنهم غیر منتهین، و أنه إن أقام لم یترکوه، و شکا إلیه عظماء أهل فارس من نزولهم القادسیة، و إخرابهم البلاد بالغارات، و رستم کاف عنهم، مقیم بإزائهم، أمر رستم بالشخوص لمناجزتهم، و رأی رستم أن ینزل بینهم و بین العتیق، ثم یطاولهم مع المنازلة، و رأی أن ذلک أمثل ما هم عاملون، حتی یصیبوا من الإحجام حاجتهم و تدور لهم سعود.

و عن سیف «۱» عن رجاله، قالوا: و جعلت السرایا تطوف، و رستم بالنجف، و الجالینوس بین النجف و السیلحین، و ذو الحاجب بین رستم و الجالینوس، و قال الناس لسعد: قد ضاق بنا المکان فأقدم، فزجر من کلمه بذلک، و قال: إذا کفیتم الرأی فلا تکلفوا، فإنا لن نقدم إلا علی رأی ذوی الرأی، فاسکتوا ما سکتنا عنکم.

و عن أبی عثمان النهدی «۲» أن سعدا، رحمه الله، لما نزل رستم النجف بعث الطلائع، و أمرهم أن یصیبوا رجلا لیسأله عن أهل فارس، فأخرج طلیحة فی خمسة، و عمرو بن معدی کرب فی خمسة، و ذلک صبیحة قدم رستم الجالینوس و ذا الحاجب و هم لا یشعرون بفصولهم من النجف، فلم یسیروا إلا فرسخا و بعض آخر حتی رأوا مسالحهم و سرحهم علی الصفوف قد ملؤها، فقال بعضهم: ارجعوا إلی أمیرکم فإنه سرحکم و هو یری أن القوم بالنجف فأخبروه الخبر، و قال بعضهم: ارجعوا لا ینذر بکم عدوکم. فقال عمر لأصحابه: صدقتم، و قال طلیحة لأصحابه: کذبتم، ما بعثتم لتخبروا عن السرح، أو ما بعثتم إلا للخبر، قالوا: فما ترید؟ قال: أرید أن أخالط عسکر القوم أو أهلک، قالوا:

أنت رجل فی نفسک غرر، و لن تفلح بعد قتل عکاشة بن محصن، فارجع معنا، فأبی.

و أتی سعد الخبر برحیل فارس، فبعث قیس بن هبیرة، و أمره علی مائة، و علیهم أن لقیهم، فانتهی إلیهم و قد افترقوا، و فارقهم طلیحة، فرجع بهم قیس فأخبروا سعدا بقرب القوم، و مضی طلیحة حتی دخل عسکر رستم، و بات فیه یجوسه و ینظر و یتوسم.

فلما أدبر اللیل أتی أفضل من توسم فی ناحیة العسکر، فإذا فرس لم یر فی خیل القوم مثله، و فسطاط أبیض لم یر مثله، فانتضی سیفه، فقطع مقود الفرس، ثم ضمه إلی مقود فرسه، و حرک فرسه فخرج یعدو به، و نذر به القوم، فتنادوا و رکبوا الصعبة و الذلول، فخرجوا

فی طلبه، فلحقه و قد أصبح فارس من الجند، فلما غشیة و بوّأ له الرمح

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۱۰).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۱۲- ۵۱۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۴

لیطعنه عدل طلیحة فرسه، فبدر الفارسی بین یدیه، فکر علیه طلیحة فقسم ظهره بالرمح، ثم لحق به آخر ففعل به مثل ذلک، و لحق به آخر و قد رأی مصرع صاحبیه، و هما ابنا عمه، فازداد حنقا ففعل معه طلیحة کما فعل معهما، ثم کر علیه و دعاه إلی الإسار، فعرف الفارسی، أنه قاتله، فاستأسر، و أمره طلیحة أن یرکض بین یدیه، ففعل، و لحق الناس، فرأوا فارسی الجند قد قتلا و أسر الثالث، و قد شارف طلیحة عسکر المسلمین، فأحجموا و نکصوا.

و أقبل طلیحة حتی غشی العسکر، و هم علی تعبئة، فأفزع الناس، و جوزوه إلی سعد، فلما انتهی إلیه قال: ویحک ما وراءک قال: دخلت عساکرهم و جستها، و قد أخذت أفضلهم توسما، و ما أدری أصبت أو أخطأت و ها هو ذا فاستخبره. فأقیم الترجمان بین سعد و بین الفارسی، فقال الفارسی: أ تؤمننی علی دمی إن صدقتک؟ قال: نعم، و الصدق فی الحرب أحب إلینا من الکذب، قال: أخبرکم عن صاحبکم هذا قبل أن أخبرکم عمن قبلی، باشرت الحرب و غشیتها، و سمعت بالأبطال و لقیتها مذ أنا غلام إلی أن بلغت ما تری، فلم أر و لم أسمع بمثل هذا، أن رجلا قطع عسکرین لا یجترئ علیهما الأبطال إلی عسکر فیه سبعون ألفا یخدم الرجل منهم الخمسة و العشرة إلی ما هو دون ذلک، فلم یرض أن یخرج کما دخل حتی سلب فارس الجند و هتک أطناب بیته، و طلبناه فأدرکه الأول و هو فارس الناس، یعدل بألف فارس، فقتله، ثم أدرکه الثانی، و هو نظیره فقتله، ثم أدرکته و لا أظننی خلفت بعدی من یعدلنی، و أنا الثائر بالقتیلین، و هما ابنا عمی، فرأیت الموت فاستأسرت ثم أخبره عن أهل فارس، أن الجند عشرون و مائة ألف، و أن الأتباع مثلهم خدام لهم. و أسلم الرجل و سماه سعد مسلما، و عاد إلی طلیحة فقال:

لا و الله ما تهزمون ما دمتم علی ما أری من الوفاء و الصدق و الإصلاح و المواساة، لا حاجة لی فی صحبة فارس، فکان من أهل البلاء یومئذ.

و عن موسی بن طریف «۱» أن سعدا بعث طلیحة و عمرو بن معدی کرب، فأمر طلیحة بعسکر رستم، و أمر عمرا بعسکر الجالینوس، فخرج فی عدة، و خرج طلیحة وحده، فبعث قیس بن هبیرة فی آثارهما، و قال: إن لقیت قتالا ـ فأنت علیهم، فخرج حتی تلقی عمرا، فسأله عن طلیحة، فقال: لا علم لی به، فلما انتهیا إلی النجف قال له قیس: ما ترید؟ قال: أن أغیر علی أدنی عسکرهم، قال: فی هؤلاء قال: نعم، قال: لا أدعک و الله و ذاک أتعرض المسلمین لما لا یطیقون قال: و ما أنت و ذاک قال: إنی أمرت

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۱۱).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۵۵

علیک، و لو لم أکن أمیرا لم أدعک. فقال عمرو بعد أن شهد لقیس نفر باستعمال سعد إیاه علیه و علی طلیحة: و الله یا قیس، إن زمانا تکون علیّ فیه أمیرا لزمان سوء؛ لأن أرجع عن دینکم هذا إلی دینی الذی کنت علیه و أقاتل علیه حتی أموت أحب إلیّ أن تؤمر علیّ ثانیة، و لئن عاد صاحبک الذی بعثک لمثلها لنفارقنه، قال: ذلک إلیک بعد مرتک هذه، فرده، فرجع إلی سعد بالخبر و بأعلاج و أفراس، و شکا کل واحد منهما لصاحبه، أما قیس فشکا عصیان عمرو، و أما عمرو فشکا طاعة قیس، فقال سعد: یا عمرو، الخیر و سلامة مائة أحب إلیّ من مصاب مائة تقتل ألفا، أتعمد إلی حلبة فارس فتصادمهم بمائة؟ إن کنت لأراک أعلم بالحرب مما أری. فقال له عمرو: إن الأمر لکما.

قلت: و خرج طليحة حتى أتى النجف فدخل عسكر رستم فى ليلة مقمرة، فتوسم فيه، فهتك أطناب بيت رجل عليه و اقتاد فرسه، ثم خرج حتى مر بعسكر ذى الحاجب، فهتك على آخر بيته و حل فرسه، ثم خرج حتى أتى الخرار و اتبعه هؤلاء، فكان أولهم لحاقا به الجالينوس ثم الحاجبى ثم النخعى، فأصاب الأولين و أسر الآخر، و أتى به سعدا فأخبره، و أسلم فسماه سعد مسلما، و لزم طليحة فكان معه فى تلك المغازى كلها.

و عن موسى بن طريف، أيضا، قال: قال سعد لقيس بن هبيرة: أخرج يا عاقل، فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنو عليه حتى تأتينى بخبر القوم، فخرج، و سرح معه عمرو ابن معدى كرب و طليحة، فلما جاز القنطرة لم يسر إلا يسيرا حتى انتهى إلى خيل عظيمة منهم بحيالها ترد عن عسكرهم، و إذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذى الحاجب، و ارتحل الجالينوس فنزل ذو الحاجب منزله، و نزل الجالينوس بطيزناباذ «۱»، و قدم تلك الخيل، فقال قيس: قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين. فأنشب القتال، و طاردهم ساعة، ثم حمل عليهم، فكانت هزيمتهم، و أصاب منهم اثنى عشر رجلا، و أسر ثلاثة، و أصاب أسلاب، فأتوا سعدا بالغنيمة و أخبروه الخبر، فقال: هذه بشرى إن شاء الله، إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدهم، فلهم أمثالها، و دعا عمرا و طليحة، فقال: كيف رأيتما قيسا؟ فقال طليحة: رأيناه أكيس منا، و قال عمرو: الأمير أعلم بالرجال منا، فقال سعد:

إن الله أحيا بالإسلام قلوبا كانت ميتة، و أمات به قلوبا كانت حية، و إنى أحذركما أن تؤثرا أمر الجاهلية على أمر الإسلام، فتموت قلوبكما و أنتما حيان، الزموا السمع و الطاعة و الاعتراف بالحقوق، فما رأى الناس كأقوام أعزهم الله بالإسلام.

---

(۱) طيزناباذ: موضع بين الكوفة و القادسية على حافة الطريق، بينها و بين القادسية ميل. انظر: معجم البلدان (۴/ ۵۴، ۵۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۵۶

قالوا: و لما انتهى رستم إلى العتيق، وقف عليه بحيال عسكر سعد، و نزل الناس، فما زالوا يتلاحقون و ينزلهم فينزلون، حتى اعتموا من كثرتهم.

و قال المدائنى: مكثوا ليلتهم كلها يتحدرون، و من غد إلى قريب من نصف النهار بعده تجب منها القلوب.

و قال قيس بن أبى حازم، و كان شهد القادسية: كان مع رستم ثمانية عشر فيلا، و مع الجالينوس خمسة عشر فيلا.

و قال غيره: كان فى جملتها فيل سابور الأبيض، و كانت الفيلة تألفه، و كان أعظمها و أقدمها.

و قال الرفيل: كانت ثلاثة و ثلاثون، فى القلب ثمانية عشر، و فى المجنبتين خمسة عشر.

قال: و لما نزل رستم العتيق و بات به، أصبح غاديا على التصفح و التحرز، فساير العتيق نحو خفان، حتى أتى على مقطع عسكر المسلمين، ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة، فتأمل القوم، حتى أتى على تل يشرف عليهم، فلما وقف على القنطرة أرسل زهرة بن جوية، و كان هناك مسلحة لسعد، فخرج إليه حتى واقفه، فأراده على أن يصالحهم، و يجعل له جعلا على أن ينصرفوا عنه، و جعل يقول إنكم جيراننا و قد كانت طائفة منكم فى سلطاننا، فكنا نحسن جواركم، و نكف الأذى عنكم، و نوليهم المرافق الكثيرة، و نحفظهم فى أهل باديتهم، فنرعيهم مراعينا، و نميرهم من بلادنا و لا نمنعهم التجارة فى شيء من أرضنا، فقد كان لهم فى ذلك معاش، يعرض له بالصلح و لا يصرح، فقال له زهرة: صدقت، قد كان ما تذكر، و ليس أمرنا أمر أولئك و لا طلبتنا طلبتهم. إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنما طلبتنا و همتنا الآخرة، كما ذكرت، يدين لكم من قدم عليكم منا، و يضرع إليكم من يطلب ما فى أيديكم، ثم بعث الله، عز و جل، إلينا رسولا، فدعانا إلى دينه فأجبناه، فقال لنبيه صلى اللّه عليه و سلم: إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى، فأنا منتقم بهم منه، و أجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به و هو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، و لا يعتصم به أحد إلا عز.

قال رستم: و ما هو؟ قال: أما عموده الذى لا يصلح منه شيء إلا به، فشهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، و الإقرار بما جاء

به من عند الله تعالى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۵۷

قال: ما أحسن هذا و أى شيء أيضا؟.

قال: و إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى.

قال: حسن، و أى شيء أيضا؟.

قال: و الناس بنو آدم و حواء، إخوة لأب و أم.

فقال: ما أحسن هذا ثم قال له رستم: أ رأيت لو أنى رضيت هذا الأمر و أجبتكم إليه و معى قومى كيف يكون أمركم أ ترجعون؟.

قال: إى و الله، ثم لا نقرب بلادكم إلا فى تجارة أو حاجة.

قال: صدقتنى و الله، أما أن أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدوا طورهم، و عادوا أشرافهم.

فقال له زهرة: نحن خير الناس للناس، و لا نستطيع أن نكون كما تقولون، نطيع الله فى السفلة، و لا يضرنا من عصى الله فينا.

فانصرف عنه، و دعا رجال فارس فذاكرهم هذا فحموا منه، و أنفوا، فقال: أبعدكم الله و أسحقكم أخزى الله أجزعنا و أجبننا.

و عن سيف «۱» عن رجاله، قالوا: أرسل سعد إلى المغيرة و بسر بن أبى رهم و عرفجة ابن هرثمة و حذيفة بن محسن و ربعى بن عامر و قرفة بن أبى زاهر التيمى الوائلى و مذعور ابن عدى العجلى و المضارب بن يزيد و سعيد بن مرة، و هما من بنى عجل، أيضا، و كان سعيد من دهاة العرب، فقال لهم سعد: إنى مرسلكم إلى هؤلاء، فما عندكم؟.

قالوا: نتبع ما تأمرنا به، و ننتهى إليه، فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغى و أنفعه للناس، فكلمناهم به.

قال سعد: هذا فعل الحزمة، اذهبوا فتهيئوا.

فقال ربعى بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء و أدب، و متى نأتهم جميعا يرون أنا قد احتفلنا لهم فلا تزدهم على رجل، فمالئوه جميعا على ذلك، فقال: فسرحنى، فسرحه، فخرج ربعى بن عامر ليدخل على رستم عسكره، فاحتبسه الذى على القنطرة، و أرسل

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۱۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۵۸

إلى رستم بمجيئه، فاستشار عظماء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ أ نباهى أم نتهاون؟

فاجتمع ملؤهم على المباهاة، فأظهروا الزبرج، و بسطوا البسط و النمارق، و لم يتركوا شيئا، و وضعوا لرستم سرير الذهب، و ألبس زينته، من الأنماط و الوسائد المنسوجة بالذهب. و أقبل ربعى يسير على فرس له زباء قصيرة، معه سيف له مشوف و غمده لفافة ثوب خلق، و رمحه معلوب بقد، معه حجفة من جلود البقر، على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، و معه فرسه و نبله.

فلما انتهى إلى أدنى البسط، قيل له: انزل، فحمل فرسه عليها، فلما استوت على البسط نزل عنها و ربطها بوسادتين فشقهما، ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه، و إنما أروه التهاون، و عرف ما أرادوا، فأراد استحراجهم، و عليه درع له كأنه أضاة، و يلمقة عباءة بعيره، قد جابها و تدرعها، و شدها على وسطه بسلب، و لأسه أربع ضفائر، قد قمن قياما، كأنهن قرون الوعول، و كان أكثر العرب شعرة. فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إنى لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم، أنتم دعوتمونى، فإن أحببتم أن آتيكم كما أريد و إلا رجعت. فأخبروا رستما، فقال: ائذنوا له، هل هو إلا رجل فأقبل يتوكأ على رمحه، و زجه نصل يقارب الخطو، و يزج النمارق و البسط، فما ترك لهم نمرقة و لا بساطا إلا أفسده و تركها متهتكة مخرقة.

فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، و جلس على الأرض، و ركز رمحه فى البساط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب

القعود على زينتكم. فقال له رستم: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا، و جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى، و من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبله قبلنا ذلك منه، و رجعنا عنه و تركناه و أرضه يليها دوننا، و من أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضى إلى موعود الله. قال: و ما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، و الظفر لمن بقى. قال رستم: قد سمعنا مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه و تنظروا قال: نعم، كم أحب إليك؟ أ يوم أم يومان؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا و رؤساء قومنا. فقال: إن مما سن لنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و عمل به أئمتنا، ألا نمكن الأعداء من بداتنا، و لا نؤجلهم عند الالتقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثا، فانظر فى أمرك و اختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام و ندعك و أرضك، أو الجزاء فنقبل و نكف عنك، و إن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه، و إن كنت إليه محتاجا منعناك، أو المنابذة فى اليوم الرابع، و لسنا نبدؤك فيما

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۵۹

بيننا و بين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، أنا كفيل لك بذلك على جميع من ترى. قال:

أ سيدهم أنت؟ قال: لا، و لكن المسلمين فيما بينهم كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم. فخلص رستم برؤساء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ هل سمعتم كلاما قط أوضح نصرا و لا أعز من كلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله أن تميل إلى شىء من هذا و تدع دينك لهذا الكلب، أ ما ترى إلى ثيابه فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب، و لكن انظروا إلى الرأى و الكلام و السيرة، إن العرب تستخف باللباس و المأكل و يصونون الأحساب، ليسوا مثلكم فى اللباس، و لا يرون فيه ما ترون. و أقبلوا إليه يتناولون سلاحه و يزهدونه فيه، فقال لهم: هل لكم أن ترونى فأريكم؟ فأخرج سيفه من خرقة كأنه شعلة نار. ثم رمى ترسا و رموا حجفته، فخرق ترسهم و سلمت حجفته. فقال: يا أهل فارس، إنكم عظمتم الطعام و الشراب، و أنا صغرناهما، ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل.

فلما كان الغد بعثوا: أن ابعث إلينا ذلك الرجل، فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن، فأقبل فى نحو ذلك الزى، حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له: أنزل، قال: ذلك لو جئتكم فى حاجتى، فقولوا لملككم: أله حاجة أم لى؟ فإن قال لى فقد كذب، و رجعت عنه، و تركتكم، و إن قال له، لم آته إلا على ما أحب. فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه و رستم على سريره، فقال له: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأله: ما بالك جئت و لم يجئ صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا فى الشدة و الرخاء، فهذه نوبتى. قال: ما جاء بكم؟ قال: الله عز و جل منّ علينا بدينه، و أرانا آياته حتى عرفناه و كنا له منكرين. ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث، فأيها أجابوا إليه قبلناه:

الإسلام و ننصرف عنكم، أو الجزاء و نمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة. فقال: أو الموادعة إلى يوم. فقال: نعم، ثلاثا من أمس.

فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده، و أقبل على أصحابه فقال: ويلكم أ لا ترون ما أرى؟

جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، و حقر ما نعظم، و أقام فرسه على زبرجنا و ربطه به، فهو فى يمن الطائر، ذهب بأرضنا و ما فيها إليهم، مع فضل عقله. و جاءنا هذا اليوم فوقف علينا، فهو فى يمن الطائر سيقوم على أرضنا دوننا، فراده أصحابه الكلام حتى أغضبوه و أغضبهم.

فلما كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلا، فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة. قالوا: فلما جاء إلى القنطرة يعبرها إلى أهل فارس حبسوه و استأذنوا رستما فى إجازته، فأذن فى ذلك، فأقبل المغيرة و القوم فى زيهم فى الأمس، لم يغيروا شيئا من شارتهم، تقوية

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۰

لتهاونهم، عليهم التيجان و الثياب المنسوجة بالذهب، و بسطهم على غلوة لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشى عليها غلوة، و جاء المغيرة و له أربع ضفائر يمشى، حتى جلس معه على سريره و شارته، فوثبوا إليه فنتروه و أنزلوه و مغثوه، فقال: إنه كانت تبلغنا عنكم أحلام، و

لا أرى قوما أسفه منكم، إنا معشر العرب سواء، لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، و كان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض، و أن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، و لم آتكم و لكنكم دعوتمونى، زاد المدائنى: و ليس ينبغى لكم إذا أرسلتم إلىّ أن تمنعونى من الجلوس حيث أردت، و ما أكلمكم إلا ـ و أنا جالس معه، اليوم علمت أنكم مغلوبون، و أن ملكا لا يقوم على هذه السيرة، و لا على هذه العقول.

فقالت السفلة: صدق و الله العربى، و قالت الدهاقين: و الله لقد رمى بكلام لا يزال خولنا و الضعفاء منا ينزعون إليه، قاتل الله أولينا، ما كان أحمقهم حين يصغرون أمر هذه الأمة فمازحه رستم ليمحو ما صنع به، فقال له: يا عربى، إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغى من ذلك، و الأمر على ما تحب من الوفاء و قبول الحق، و ليس ما صنعوا بضائرك و لا ناقصك عندنا، فاجلس حيث شئت، فأجلسه معه، ثم قال: ما هذه المغازل التى معك؟، يعنى السهام، قال: ما ضر الجمرة أن لا تكون طويلة ثم راماهم، ثم قال له رستم: تكلم أو أتكلم؟ فقال المغيرة:

أنت الذى بعثت إلينا، فتكلم، فأقام الترجمان بينهما، و تكلم رستم، فحمد قومه، و عظم الملك و المملكة، و قال: لم نزل متمكنين فى البلاد، ظاهرين على الأعداء، أشرافا فى الأمم، ليس لأحد من الملوك مثل عزنا و شرفنا و سلطاننا، ننصر على الناس و لا ينصرون علينا إلا اليوم أو اليومين أو الشهر أو الشهرين، لأجل الذنوب، فإذا انتقم الله منا فرضى رد إلينا عزنا، ثم إنه لم تكن فى الناس أمة أصغر عندنا أمرا منكم، كنتم أهل قشف و معيشة سيئة، لا نراكم شيئا و لا نعدكم، و كنتم إذا قحطت أرضكم و أصابتكم السنة استعنتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بشىء من التمر و الشعير ثم نردكم، و قد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد فى بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة و بغل و ألف درهم، و آمر لكل واحد منكم بوقر من تمر و بثوبين، و تنصرفون عنا، فإنى لست أشتهى أن أقتلكم، و لا آسركم.

فتكلم المغيرة، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: إن الله سبحانه خالق كل شىء و رازقه، يرفع من يشاء و يضع من يشاء، فمن صنع شيئا فإن الله، تبارك اسمه و تعالى،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۱

هو يصنعه و الذى صنعه. و أما الذى ذكرت به نفسك و أهل بلادك من الظهور على الأعداء و التمكين فى البلاد و عظم السلطان فى الدنيا، فنحن نعرفه و لا ننكره، و الله صنعه لكم، و وضعه فيكم، و هو له دونكم، و أما ما ذكرت فينا من سوء الحال، و ضيق المعيشة، و اختلاف القلوب، فنحن نعرفه، و الله ابتلانا بذلك، و صيرنا إليه، و الدنيا دول، و لم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه، و أهل رخائها يتوقعون الشدة حتى تنزل بهم، و يصيروا إليها، و لو كنتم فيما آتاكم الله دوننا أهل شكر، لكان شكركم يقصر عما أوتيتم، و لأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال، و لو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر، كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبا من الله رحمة يرفه بها عنا، و لكن الشأن غير ما تذهبون إليه، إن الله تعالى بعث فينا رسولا، فكذبه مكذبون و صدقه منا آخرون، و أظهر الله دعوته، و أعز دينه على كره ممن كذبه و حاده، حتى دخلوا فى الإسلام طوعا و كرها، فأمرنا أن ندعو من خالفنا إلى ديننا، فمن أباه قاتلناه.

و ذكر نحو ما تقدم من الكلام فى الأحاديث المتقدمة من دعائه إلى الإسلام، و قال له:

فإن أبيت فكن لنا عبدا تؤدى الجزية عن يد و أنت صاغر، و إلا السيف إن أبيت.

فنخر رستم عند ذلك نخرة و استشاط غضبا، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الضحى غدا حتى أقتلكم أجمعين.

فانصرف المغيرة، و خلص رستم بأشراف فارس، فقال: أين هؤلاء منكم؟ ما بعد هذا؟ أ لم يأتكم الأولان فجسراكم و استخرجاكم، ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا، و سلكوا طريقا واحدا، و لزموا أمرا واحدا، هؤلاء و الله الرجال، صادقين أو كاذبين، و الله لئن كان بلغ من رأيهم و صونهم أمرهم أن لا يختلفوا، ما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم، و إن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شىء فلجوا و تجلدوا، فقال: و الله إنى لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم، و إن هذا منكم رياء، فازدادوا لجاجا.

و فى بعض الروايات أن مما قال المغيرة لرستم و قد توعد المسلمين بأنهم مقتولون، قال: هو الذى نتمنى، أن المقتول منا صائر فى الجنة، و الهارب فى النار، و للباقى الصابر الظفر بحديث صادق و وعد لا خلف له، و قد أصبنا فى بلادكم حبة كأنها قطع الأوتار، فأكلنا منها و أطعمنا أهلينا، فقالوا: لا صبر لنا حتى تنزلوا هذه البلاد.

قال رستم: أما لنقرننكم فى الجبال.

قال المغيرة: أما و بنا حياة فلا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۲

قال رستم: ارجع إلى أصحابك و استعدوا للحرب، فليس بيننا و بينكم صلح، و لنفقأن عينك غدا.

فقال المغيرة: و أنت ستقتل غدا إن شاء الله، و إن ما قلت لى ليسرنى، لو لا أن أجاهدكم بعد اليوم لسرنى أن تذهبا جميعا.

و رجع المغيرة فتعجبوا من قوله. فقال رستم: ما أظن هذا الملك إلا قد انقضى، و أن أجمل بنا أ لا يكون هؤلاء أصبر منا، و لقد وعدوا وعدا ليموتن أو ليدركنه، و لقد حذروا و خوفوا من الفرار خوفا لا يأتونه، و قد رأيت ليلتى هذه كأن القوس التى فى السماء خرت، و كأن الحيتان خرجن من البحر، و أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، فهل لكم أن تقبلوا بعض ما عرضوا عليكم؟ قالوا: لا.

قال: فأنا رجل منكم، و كتب إلى يزدجرد بما كلمه به المغيرة، فقال شاهين الأزدى:

لو لم يكن إلا ساسة دوابنا لأخذناهم بهم. فكتب إليه أمره بقتالهم، و قال: إذا لقيتهم فضع الرجال فيما بينى و بينك، على كل ربوة رجلا، فكلما حدث أمر نادى به بعضهم بعضا حتى يفضى الخبر إلىّ.

و حدث سيف «۱» عن رجاله، قالوا: أرسل إليهم سعد بقية ذوى الرأى جميعا، و حبس الثلاثة، فخرجوا حتى أتوه، فقالوا له: إن أميرنا يقول لك: إن الحرب تحفظ الولاة، و إنى أدعوك إلى ما هو خير لنا و لك، و هى العاقبة بأن تقبل منا ما دعاك الله، عز و جل، إليه، و نرجع إلى أرضنا، و ترجع إلى أرضك و بعضنا من بعض، إلا أن داركم لكم، و أمركم فيكم، و ما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا، و كنا لكم عونا على أحد إن أرادكم أو قوى عليكم. و اتق الله يا رستم، و لا يكونن هلاك قومك على يديك، فإنه ليس بينك و بين أن تغتبط إلا أن تدخل فيه و تطرد به الشيطان عنك. الاكتفاء، الكلاعى ج۲ ۴۶۲ تأمير عمر، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص على العراق و ذكر الخبر عن حرب القادسية ..... ص : ۴۳۱

ال رستم: إنى قد كلمت منكم نفرا، و لو أنهم فهموا عنى رجوت أن تكونوا قد فهمتم، و إن الأمثال أوضح من كثير من الكلام، و سأضرب لكم مثلكم. إنكم كنتم أهل جهد فى المعيشة، و قشف فى الهيئة، لا تمتنعون و لا تنتصفون، فلم نسئ جواركم، و لم ندع مواساتكم، تقتحمون المرة بعد المرة، فنميركم ثم نردكم، و تأتوننا أجراء و تجارا فنحسن إليكم، فلما تطعمتم طعامنا، و شربتم شرابنا، و أظلكم ظلنا، وصفتم ذلك لقومكم، ثم دعوتموهم فأتيتمونا بهم، و إنما مثلكم فى ذلك و مثلنا كمثل رجل كان له

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۲۵- ۵۲۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۳

كرم، فرأى فيه ثعلبا، فقال: و ما ثعلب فانطلق الثعلب، فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم، فلما اجتمعت عليه سد عليها صاحب الكرم مدخلها فقتلها، و قد علمت أن الذى حملكم على هذا الحرص و الطمع مع الجهد، فارجعوا عنا عامكم هذا، و امتاروا حاجتكم، و لكم العود كلما احتجتم، فإنى لا أشتهى أن أقتلكم، و قد أصاب أناس كثير منكم ما أرادوا من أرضنا، ثم كان مصيرهم القتل و المهرب، و من سن هذا لكم خير منكم و أقوى، و قد رأيتم أنتم كلما أصابوا شيئا أصيب بعضهم و نجا بعضهم، و خرج مما كان أصاب، و من أمثالكم فيما تصنعون مثل جرذان ألفت جرة فيها حب، و فى الجرة ثقب، فدخل الأول فأقام فيها، و جعلت الأخر ينقلن منها و يرجعون و يكلمنه فى الرجوع، فيأبى، فانتهى سمن الذى فى الجرة، فاشتاق إلى أهله ليريهم حسن حاله، فضاق عليه الجحر، و لم يطق الخروج،

فشكى القلق إلى أصحابه، و سألهم المخرج، فقالوا: ما أنت بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل أن تدخل، فكف و جوع نفسه، و بقى فى الجرة، حتى إذا عاد كما كان أتى عليه صاحب الجرة فقتله، فاخرجوا أو ليكونن هذا لكم مثلا.

و قال لهم، أيضا، فيما قال: لم يخلق الله خلقا أولع من ذباب، ما خلاكم يا معشر العرب، ترون الهلاك و يدليكم فيه الطمع، و مثلكم فى هذا مثل الذباب إذا رأى العسل طار، و قال: من يوصلنى إليه و له درهمان حتى يدخله؟ لا ينهاه أحد إلا عصاه، فإذا دخله غرق و نشب، و قال: من يخرجنى و له أربعة دراهم؟ و ضرب للقوم أمثالا غير هذه نحوا منها.

قالوا: فتكلم القوم، فقالوا: أما ما ذكرت من سوء حالنا فيما مضى، و انتشار أمرنا، فلم نبلغ كنهه يموت الميت منا إلى النار، و يبقى الباقى منا فى بؤس، فبينا نحن فى أسواء ذلك، فبعث الله، عز و جل، فينا رسولا من أنفسنا إلى الإنس و الجن، رحمة رحم بها من أراد رحمته، و نقمة ينتقم بها ممن رد كرامته، فبدأ بنا قبيلة قبيلة، فلم يكن أحد أشد عليه و لا أشد إنكارا لما جاء به، و لا أجهد على قتله ورد ما جاء به من قومه، ثم الذين يلونهم، حتى طابقناه على ذلك كلنا، فنصبنا له جميعا، و هو وحده فرد ليس معه إلا الله تعالى فأعطى الظفر علينا، فدخل بعضنا طوعا و بعضنا كرها، ثم عرفنا جميعا الحق و الصدق لما أتى به من الآيات المعجزة، و كان مما أتى به من عند ربنا، عز و جل، جهاد الأدنى فالأدنى، فصرنا فى ذلك فيما بيننا، نرى أن الذى قال لنا و وعدنا لا نخرج عنه و لا ننقص منه، حتى اجتمعت العرب على هذا، و كانوا من الاختلاف فيما لا يطيق

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۴

الخلائق بالتفهم معه، ثم أتيناكم بأمر ربنا، نجاهد فى سبيله، و ننفذ لأمره، و نستنجز موعوده، و ندعوكم إلى الإسلام و أحكامه، فإن أجبتمونا تركناكم و رجعنا، و خلفنا فيكم كتاب الله، عز و جل، و إن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزاء، فإن فعلتم و إلا ـ فإن الله، عز و جل، قد أورثنا أرضكم و أبناءكم و أموالكم. فاقبلوا نصيحتنا، فو الله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم، و لقتالكم بعد أحب إلينا من صلحكم، و أما ما ذكرت من رثاثتنا و قلتنا فإن إرادتنا الطاعة، و قتالنا الصبر و أما ما ضربتم لنا من الأمثال، فإنكم ضربتم للرجال و للأمور الجسام و للجد الهزل، و لكنا سنضرب لكم مثلا، و إن مثلكم مثل رجل غرس أرضا، و اختار لها الشجر و الحب، و أجرى لها الأنهار، و زينها بالقصور، و أقام فيها فلاحين يسكنون قصورها، و يقومون على جناتها، فخلفه الفلاحون فى القصور بما لا يحب، و فى الجنان بمثل ذلك، فأطال نظرتهم، فلما لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم، استعتبهم فكابروه، فدعا إليهم غيرهم، فأخرجهم منها، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس، و إن أقاموا صاروا خولا لهم يملكونهم و يسومونهم الخسف أبدا، و الله لو لم يكن ما نقول لكم حقا، و لم تكن إلا الدنيا، لما كان لنا عما ضربنا به من لذيذ عيشكم، و رأينا من زبرجكم من صبر، و لقارعناكم أو نغلبكم عليه.

فقال رستم: أ تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقالوا: بل اعبروا إلينا، فخرجوا من عنده عشيا، فأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقفهم، و أرسل إليهم: شأنكم و العبور، فأرادوا القنطرة، فأرسل إليهم: لا و لا كرامة أما شىء قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم، تكلفوا معبرا غير القناطر، فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بأمتعتهم.

و ذكر المدائنى أن رستم وجه الجالينوس ليعبر القنطرة، فوقف بحيال زهرة بن جويه، و كان عليها، و قال: ليخرجن إلىّ الموكل بهذا الموضع، فخرج زهرة على فرس كميت أغر ذنوب، معه رمح معلوب، و سيف رث الجفن، فقال له الفارسى: إنك لم توضع هذا الموضع إلا و أنت ركن من أركان أصحابك، و أرى سيفك رث الجفن، قال: إن يكن رث المنظر فإنه حديد الضربة، و قرب إليه الفارسى بالصلح و لم يصرح، و مناه، و قال:

نحسن جواركم و نرفقكم فى معايشكم. فقال زهرة: إنا لم نأتكم نطلب الدنيا بغير آخرة، إنما أتيناكم ندعوكم إلى ديننا، فإن أبيتموه فدنياكم التى تعرضون علينا لنا إن شاء الله، فقال له الفارسى: فخلوا لنا الطريق فنعبر إليكم فنناجزكم، قال: لا، قال: و لم و أنتم تمنون لقاءنا قال: نكره أن نرد عليكم شيئا قد غلبناكم عليه، فرجع إلى رستم فأخبره، فأعظم ذلك، فانصرف الجالينوس، فجلس رستم يفكر

فيما أخبره، و غلبته عيناه فنام

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۵

فانتبه و يده فى كتف جارية قاعدة بين يدى فراشه، فقال: ما لك؟ قالت: مالت يدك فرفعتها، فقال: أشفقت أن سقطت من فراش ديباج على بساط ديباج؟ فكيف بها غدا إذا انعفرت فى التراب و وطئتها الخيل؟ قالت: و ما يضطرك إلى ذلك؟ و قد أعطوك ما لك فيه نصف و نجاة: إما أن تدخل فى دينهم فتكون مثلهم، و إما أن تفتدى منهم بشىء تعطيهم و يبقى لك أمرك، و إما أن تذهب إلى مأمنك من الأرض؟ فقال: إن فى عنقى حبلا أقاد به إلى مصرعى، لا أقدر على الامتناع.

و بات العاجم ليلتهم يسكرون العتيق بالقصب و التراب و البراذع حتى جعلوه طريقا، و استتم بعد ما ارتفع النهار من الغد.

قالوا: و رأى رستم من الليل أن ملكا نزل من السماء فأخذ قسى أصحابه فختم عليها، ثم صعد بها إلى السماء، فاستيقظ مهموما حزينا، فدعا خاصته و قصها عليهم، و قال: إن الله، عز و جل، ليعظنا، لو أن فارس تركونى أتعظ، أ ما ترى النصر قد رفع عنا و ترى الريح مع عدونا و أنا لا نقوم لهم فى فعل و لا منطق؟.

يوم أرماث

و لما تم السكر عبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق، و لما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم، و جلس رستم على سريره، و ضربت عليه طيارة، و عبأ فى القلب ثمانية عشر فيلا، عليها الصناديق و الرجال، و فى المجنبتين ثمانية و سبعة عليها الصناديق و الرجال، و أقام الجالينوس بينه و بين ميمنته و البيزران بينه و بين ميسرته، و بقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين و المشركين.

و أخذ المسلمون، أيضا، مصافهم، و كانت التعبئة التى تقدم بها سعد قبل انفصاله عن شراف بإذن عمر، رضى الله عنه، أن جعل على المقدمة زهرة بن الجوية، و على الميمنة عبد الله بن المعتم، و كان من أصحاب النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، و أحد التسعة الذين قاموا عليه فتممهم طلحة بن عبيد الله عشرة فى العرافة، و على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندى، و كان شابا قد قاتل أهل الردة على الردة، و وفى الله عز و جل، فعرف ذلك له، و على الساقة عاصم بن عمرو السعدى، و على الطلائع سواد بن مالك التميمى، و على المجردة سلمان بن ربيعة الباهلى، و على الرجال حمال بن مالك الأسدى، و على الركبان عبد الله بن ذى السهمين الخثعمى، فلما تصافوا يومئذ جعل سعد زهرة و عاصما بين عبد الله بن المعتم،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۶

و بين شرحبيل بن السمط، و وكل صاحب الطلائع بالطرد، و خلط بين الناس فى القلب و المجنبات، و نادى مناديه: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الاجتهاد فى أمر الله تعالى يا أيها الناس، فتحاسدوا و تغايروا على الاجتهاد.

و ذكر المدائنى أنه كان على الميمنة يوم القادسية شرحبيل بن السمط، و على الميسرة هاشم بن عتبة، و على الخيل قيس بن مكشوح، و على الرجل المغيرة بن شعبة، فالله تعالى أعلم.

و كان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب و لا يجلس، كان به عرق النسا و دماميل، و إنما هو على وجهه و فى صدره و سادة، و هو مكب عليها، مشرف على الناس من القصر، يرمى بالرقاع فيها أمره و نهيه إلى خالد بن عرفطة، و هو أسفل منه، و كان الصف إلى جانب القصر، و كان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدا مشرفا.

و قيل: بل استخلفه على الناس لأجل شكواه، فاختلف عليه الناس، فقال سعد:

احملونى، فأشرفوا به على الناس، فارتقوا به، فأكب مطلعا عليهم، و الصف فى أصل حائط قديس، حيث كان سعد يأمر خالدا فيأمر خالد الناس، و كان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس، فهم بهم سعد و شتمهم، و قال: أما و الله لو لا أن عدوكم بحضرتكم لجعلكم نكالا لغيركم فحبسهم فى القصر و قيدهم، منهم أبو محجن الثقفى.

و قال جریر یومئذ: أما أنی بایعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، علی أن أسمع و أطیع لمن ولی الأمر و إن کان عبدا حبشیا.

و قال سعد: و الله لا یعود أحد بعدها یحبس المسلمین عن عدوهم و یساغبهم و هم بإزائهم إلا سننت فیه سنة یؤخذ بها من بعدی.

و ذکر المدائنی أنه أتی رستما رجل من أهل الحیرة لیلا، فقال له: أمیر المسلمین وجع، و هو فی قصر العذیب مع العیال، و لو طرقته خیل لقتل لا یشعر به أصحابه، فانتخب رستم خمسمائة فارس، فوجههم، إلیه، فترفعوا عن العسکرین و قطعوا الوادی، و أخذوا فی خفض من الأرض، و جاء رجل من العجم إلی المسلمین مستأمنا، فأخبرهم، فانتدب حنظلة بن الربیع الأسیدی فی خمسمائة من تحت اللیل، فسار إلی العذیب، و قال لأصحابه: إنه لیطیب نفسی أن عبد الله بن سبرة عند سعد، فانتهی إلی سعد عند طلوع الفجر و لم تصل إلیهم الفرس، فأنذروه و أصبحوا فإذا الأساورة متحدرون من ناحیة وادی السباع، فتلقاهم عبد الله بن سبرة الواقفی، أحد بنی حرملة بن سعد بن مالک بن

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۶۷

ضبیعة بن قیس بن ثعلبة، فی سرعان الناس، معه عشرة فوارس و غلام له روی یقال له یزید، کان أصابه یوم الیرموک، و اتبعهم حنظلة فی أصحابه، فقتل عبد الله بن سبرة قبل أن تتام إلیه الخیل أساورین.

و قال مرة الهمدانیّ، و کان مع حنظلة: لما دنونا من معترکهم سمعنا صوتا منکرا شدیدا، فقال حنظلة: صوت ابن الکندیة و رب الکعبة، بعض هنات أبی قیس، فانتهینا إلیهم فإذا عبد الله بن سبرة یذمر أصحابه و هو یقول لغلامه: یا یزید ثکلتک أمک إن فاتک أحد، و قد انکسر رمحه، و هو یضربهم بعمود ما یضرب به رجلا إلا قتله، و لا دابة إلا عقرها، و إن غلامه لیذودهم علیه بالرمح، فلما غشیهم حنظلة و أصحابه انهزموا، فما تشاء أن تجد الخمسة و الستة من المسلمین یخفقون أسوارا بأسیافهم إلا وجدته، فقتل منهم ثلاثون، و یقال مائة، و أفلت الآخرون أکثرهم جریح، فرجعوا إلی رستم، فطلب الحیری لیقتله و ظن أنه عین دس له فلم یقدر علیه، و تحول سعد فنزل مع جماعة الناس.

و فیما حکاه سیف عن رجاله «۱»: أن سعدا، رحمه الله، بعد ما تهدم علی الذین اعترضوا علی خالد بن عرفطة خطب من یلیه یومئذ فحمد الله و أثنی علیه. و قال: إن الله و هو الحق، و قوله الحق، لا شریک له فی الملک، و لیس لقوله خلف، قال: وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصَّالِحُونَ [الأنبیاء: ۱۰۵]، إن هذا میراثکم و هو موعد ربکم، و قد أباحها لکم منذ ثلاث حجج، و أنتم تطعمون منها و تأکلون، و تقتلون أهلها، و تجبونهم و تسبونهم إلی هذا الیوم، بما نال منه أصحاب الأیام منکم، و قد جاءکم منهم هذا الجمع، و أنتم وجوه العرب، و أعیانهم، و خیار کل قبیلة، و عز من وراءکم، فإن تزهدوا فی الدنیا و ترغبوا فی الآخرة یجمع الله لکم الدنیا و الآخرة، و لا یقرب ذلک أحدا إلی أجله، و أن تفشلوا و تهنوا و تضعفوا تذهب ریحکم و توبقوا آخرتکم.

و کتب سعد إلی أهل الرایات: إنی قد استخلفت علیکم خالد بن عرفطة، و لیس یمنعنی أن أکون مکانه إلا وجعی الذی کان یعودنی، و ما بی من جبون، و إنی مکب علی وجهی و شخصی لکم باد، فاسمعوا له و أطیعوا، فإنه إنما یأمرکم بأمری، و یعمل برأیی. فقرئ علی الناس فزادهم خیرا، فانتهوا إلی رأیه، و قبلوا منه، و تحاثوا علی السمع و الطاعة، و أجمعوا علی عذر سعد و الرضا بما صنع.

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۳۱، ۵۳۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۶۸

قالوا: و أرسل سعد للذین انتهی إلیهم رأی الناس، و الذین انتهت إلیهم نجدتهم، و أصناف الفضل منهم إلی الناس، فقال: انطلقوا فقوموا فی الناس بما یحق علیکم و علیهم عند مواطن البأس، فإنکم من العرب بالمکان الذی أنتم به، و أنتم شعراء العرب و خطباؤهم و ذوو رأیهم و نجدتهم و سادتهم، فسیروا فیهم، و حرضوهم علی القتال.

فساروا فيهم.

فقال قيس بن هبيرة: أيها الناس، احمدوا الله على ما هداكم له و أبلاكم يزدكم، و اذكروا آلاء الله، و ارغبوا إليه فى عادته، فإن الجنة و الغنيمة أمامكم، و إنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء، و الأرض القفر، و الظراب الخشن، و الفلوات التى لا تقطعها الأدلة.

و قال غالب بن عبد الله الليثى: أيها الناس، احمدوا الله على ما أبلاكم، و سلوه يزدكم، و ادعوه يجبكم، يا معشر معد، ما علتكم اليوم و أنتم فى حصونكم، يعنى الخيل، و من لا يعصيكم معكم، يعنى السيوف؟ فاذكروا حديث الناس فى غد، فإنه بكم غدا يبدأ، و بمن بعدكم يثنى.

و قال ابن الهذيل الأسدى: يا معشر معد، اجعلوا حصونكم السيوف، و كروا عليهم كأسود الجم، و تربدوا إليهم تربد النمور، و ادرعوا العجاج، و ثقوا بالله تعالى و غضوا الأبصار، فإذا كلت السيوف فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه.

و قال بسر بن أبى رهم: احمدوا الله، و صدقوا قولكم بفعل، و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون، انصروا الله ينصركم، و لا يكونن شىء بأهون عليكم من الدنيا، فإنها تأتى من تهاون بها، و لا تميلوا إليها فتهرب منكم.

و قال عاصم بن عمرو: يا معشر العرب، إنكم أعيان العرب، و قد صمدتم لأعيان العجم، إنما تخاطرون بالجنة، و يخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم. لا تحدثن اليوم أمرا تكونون به شينا على العرب غدا.

و قال ربيع السعدى: يا معشر العرب، قاتلوا للدين و الدنيا، سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: ۱۳۳]، فإن عظم الشيطان عليكم الأمر، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل.

و تقدم كل واحد من أولئك الذين بعثهم سعد من وجوه الناس بمثل هذا الكلام، و تواثق الناس، و تعاهدوا، و اهتاجوا لكل ما ينبغى لهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۶۹

و فعل أهل فارس، فيما بينهم، مثل ذلك، و تعاهدوا و تواصوا، و اقترنوا بالسلاسل، و كان المقترنون ثلاثين ألفا.

و قال سعد للناس: الزموا مواقفكم، لا تحركوا شيئا حتى نصلى الظهر، فإذا صليتم الظهر فإنى مكبر تكبيرة فكبروا و استعدوا، و اعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم، و إنما أعطيتموه تأييدا، فإذا سمعتم الثانية فكبروا، و لتستتموا عدتكم، فإذا كبرت الثالثة فكبروا، و لينشط فرسانكم الناس ليبرزوا و يطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم، و قولوا: لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

و يروى أنه لما نادى منادى سعد بالظهر، نادى رستم: أكل عمر كبدى أحرق الله كبده علم هؤلاء حتى علموا.

و قيل: إن رستم قال نحوا من هذا عند ما نزل بين الحصن و العتيق، و قد أذن مؤذن سعد الغداة، و راى الناس يتخشخشون، فنادى فى أهل فارس: أن اركبوا، فقيل له: و لم؟

قال: أ ما ترون إلى عدوكم قد نودى فيهم فتخشخشوا لكم؟ فقال له رجل قد كان رستم بعثه قبل ذلك عينا إلى عسكر المسلمين فانغمس فيهم و عرف حالهم، و انصرف إليه: فأخبره أن ذلك تخشخشهم للصلاة. فقال رستم بالفارسية ما تفسيره: أتانى صوت عند الغداة، و إنما هو عمر الذى يعلم الكلاب العقل، فلما سمع الأذان بالصلاة قال: أكل عمر كبدى.

قالوا: و لما صلى سعد الظهر أمر غلاما كان عمر، رحمه الله، ألزمه إياه، و كان من القراء، بقراءة سورة الجهاد، و كان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها، فقرأها على الكتيبة التى تليه، و قرئت فى كل كتيبة، فهشت قلوب الناس و عرفوا السكينة مع قراءتها.

قال مصعب بن سعد: و كانت قراءتها سنة، يقرأها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، عند الزحف، و يستقرئها، فعمل الناس بذلك.

قالوا: و لما فرغ القراء، كبر سعد فكبر الذين يلونه، و كبر بعض الناس بتكبير بعض، فتخشخش الناس، ثم ثنى فاستتم الناس، ثم ثلث فبرز أهل النجدات فأنشبوا القتال، و خرج أمثالهم من فارس، فاعتوروا الطعن و الضرب، و خرج غالب بن عبد الله الليثى و هو يقول:

قد علمت واردة المسالحذات البنان و اللبان الواضح

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۰ أنى سمام البطل المشايحو فارج الأمر المهم الفادح فخرج إليه هرمز، و كان من ملوك الباب، و كان متوجا، فأسره غالب أسرا، فجاء به فأدخل إلى سعد، و انصرف غالب للمطاردة.

و ذكر المدائنى أن رستم أمر هرمز فتقدم فى كتيبة، فشد عليه غالب و زهرة بن جوية، فسبق إليه غالب فى خيل فقتله.

قالوا: و خرج عاصم بن عمرو و هو يقول:

قد علمت صفراء بيضاء اللببمثل اللجين يتغشاه الذهب

أنى أمر إمرار السببمثلى على مثلك يعديه الكثب فطارد رجلا من أهل فارس، فهرب منه و اتبعه، حتى إذا خالط صفهم و التقى بفارس معه بغل، فترك الفارس البغل، و اعتصم بأصحابه فحموه، و استاق عاصم البغل و الرحل، حتى آوى إلى الصف، و إذا الفارس خباز الملك، و إذا الذى كان معه لطف الملك:

الأخبصة و العسل المعقد، فنفل ذلك سعد أهل موقف عاصم، و بعث إليهم ليأكلوه و هم فى موقفهم.

و جال عمرو بن معدى كرب بين الصفين يحرض الناس، و يقول: إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى من فرسه فإنما هو تيس.

قال قيس بن أبى حازم: فبينا هو كذلك يحرضنا إذ خرج إليه رجل من الأعاجم، فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سية قوسه و هو متنكبها، فالتفت إليه ثم حمل عليه، فاعتنقه، ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه، فجاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه، ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه، ثم ألقاه. و قال: هكذا فافعلوا بهم. فقلنا:

من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع؟.

و قال بعضهم: و أخذ سواريه و منطقته و يلمق ديباج كانت عليه. ثم كتبت الكتائب من هؤلاء و هؤلاء.

و ذكر المدائنى أن رستم ظاهر يومئذ بين درعين، و قرب له فرس فنزا عليه، و لم يمسه بيده، و قال: اليوم ندق العرب دقا. فقال له رجل: قل إن شاء الله. قال: إن شاء و إن لم يشأ، و قدم كتيبة عليها الدروع و المغافر و الأداة الكاملة، فدفعوا إلى جعفى، و هم حديثو عهد بالشرك، فنازلوهم فلم تحك سيوفهم فى جنبهم، فظنوا أن الحديد لا يحك فيهم،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۱

حتى حمل رجل منهم على أسوار فطعنه فقتله، و نادى: يا آل جعفى، السلاح تنفد فيهم فشأنكم بهم، و نحو هذا قول عمرو بن معدى كرب فى ذلك اليوم، و قد رماه رجل من أهل العجم بنشابة، فوقعت فى كتفه، و عليه درع حصينة، فلم تنفد، و حمل هو على الرجل فعانقه ثم صرعه فقتله، و قال:

أنا أبو ثور و سيفى ذو النونأضربهم ضرب غلام مجنون

يا زيد إنهم يموتون

و لم يكن عمرو و لا قومه يجهلون أن القوم يموتون، و لكنه الشعر تحسن فيه هذه المآخذ، و يملح بهذه المقاصد.

و مثله قول الآخر:

القوم أمثالكم لهم شعرفى الرأس لا ينشرون إن قتلوا و يفوق هذا كله قول الله سبحانه، و لكتابه المثل الأعلى: وَ لا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً [النساء: ۱۰۴]. و قد بعدنا عما كنا بسبيله، فلنعد إليه.

قالوا: لما كتبت الكتائب بعد الطراد، و تزاحف الناس، صرفت الأعاجم فيولها نحو المسلمين، فوجهت إلى الوجه الذى فيه بجيلة ثلاثة عشر فيلا، و صفوا على سائر الناس سبعة عشر، و لما حمل أصحاب الفيلة تفرقت الكتائب، و ابذعرّت الخيل، و كادت بجيلة تؤكل، فرت خيلها نفارا، فأرسل سعد إلى بنى أسد: يا بنى أسد ذبوا على بجيلة و من لافها من الناس، فخرج طليحة بن خويلد، و حمال بن

مالک الأسدی و غالب بن عبد الله و الرفیل بن عمرو فی کتائبهم فباشروا الفیلة، حتی عزلها رکبانها، و إن علی کل فیل یومئذ عشرین رجلا.

و قال موسی بن طریف: قام طلیحة فی قومه حین استصرخهم سعد، فقال: یا عشیرتاه، إن المنوه باسمه، الموثوق به، أنتم، و إن هذا، یعنی سعدا، لو علم أن أحدا أحق بإغاثة هؤلاء منکم لاستغاثتهم، ابدءوهم الشدة، و أقدموا علیهم إقدام اللیوث الحربة، فإنما سمیتم أسدا لتفعلوا فعلهم، شدوا و لا تصدوا، و کروا و لا تفروا، لله در ربیعة أی فری یفرون و أی قرن یغنون هل یوصل إلی مواقفهم فأغنوا عن مواقفکم أعانکم الله، شدوا علیهم باسم الله. فقام المعرور بن سوید و شقیق، فشدوا و الله علیهم فما زالوا یضربونهم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷۲

و یطعنونهم حتی حبسنا الفیلة عنهم، و خرج إلی طلیحة عظیم منهم فبارزه، فما ألبثه طلیحة أن قتله.

قالوا: و قام الأشعث بن قیس، فقال: یا معشر کندة، لله در بنی أسد أی فری یفرون و أی هذ یهذون عن موقفهم منذ الیوم أغنی کل قوم ما یلیهم، و أنتم تنظرون من یکفیکم البأس، أشهد ما أحسنتم أسوة إخوانکم من العرب، و أنهم لیقتلون و یقتلون، و أنتم جثاة علی الرکب، فوثب إلیه منهم عشرة، فقالوا: عثر جدک إنک لتؤیسنا یا هذا، نحن أحسن الناس موقفا! فمن أین خذلنا قومنا العرب و أسأنا أسوتهم؟ فها نحن معک، فنهد و نهدوا، فأزالوا الذین بإزائهم.

و لما رأی أهل فارس ما تلقی من کتیبة بنی أسد رموهم بحدهم؛ و بدر المسلمون الشدة علیهم، و هم ینتظرون التکبیرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حلبة فارس، فیهم ذو الحاجب و الجالینوس، علی بنی أسد و معهم تلک الفیلة، و قد ثبتوا لهم، و کبر سعد التکبیرة الرابعة، فزحف إلیهم المسلمون و رحی الحرب تدور علی بنی أسد، و حملت الفیول فی المیمنة و المیسرة علی الخیول، فکانت الخیول تحجم عنها و تحید، و ألح فرسانهم علی الرجل، و جد المقاتلة مع الفیلة، فقال بعض الأسدیین: و الله لأموتن أو لأطعنن عینی بعض هذه الفیلة، فقصد لأعظمها فیلا فقاتل حتی وصل إلیه، و علی کل فیل قوم یقاتلون، فطعن فی عین ذلک الفیل بسیفه، و ضربه سائس الفیل بعمود فهشم وجهه، و أدبر الفیل فخبط من حوله، و اشتد القتال عند فیل منها، فقال حبیش الأسدی لبشر بن أبی العوجاء الطائی: أری القتال قد اشتد عند هذا الفیل، فتبایعنی علی الموت فنحمل علی حماته فنکشفهم أو نقتل دونه. قال: نعم، فحملا فضرب حبیش رجلا- من الفرس من حماة الفیل فقتله، و دنوا من الفیل، فضرب حبیش مشفره فرمی به و ضرب الطائی ساقه فبرک الفیل، و انطوت الفرس علی بنی أسد، فقتل حبیش.

و أرسل سعد إلی عاصم بن عمرو، فقال: یا معشر بنی تمیم، أ لستم أصحاب الإبل و الخیل؟ أ ما عندکم لهذه الفیلة من حیلة، قالوا: بلی و الله، ثم نادی عاصم فی رجال من قومه رماة و أخر أهل ثقافة، فقال: یا معشر الرماة، ذبوا رکبان الفیلة عنا، و یا معشر أهل الثقافة، استدبروا الفیلة فقطعوا وضنها، و خرج یحمیهم و الرحی دائرة علی بنی أسد، و قد جالت المیمنة و المیسرة غیر بعید، و أقدم أصحاب عاصم علی الفیلة، فأخذوا بأذنابها و ذباب توابیتها فقطعوا وضنها، فما بقی لهم یومئذ فیل إلا أعری، و قتل أصحابها، و تقاتل الناس و نفس عن بنی أسد، و ردوا عنهم الفرس إلی مواقفهم، فاقتتلوا حتی غربت

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۷۳

الشمس. ثم حتی ذهبت هدأة من اللیل، ثم رجع هؤلاء و هؤلاء، و أصیب من بنی أسد تلک العشیة خمسمائة، و کانوا ردءا للناس، و کان عاصم عادیة الناس و حامیتهم، فهذا یوم القادسیة الأول، و هو یوم أرمات.

و قال عاصم بن عمرو التمیمی فی ذلک:

أ لم یأتیک و الأنباء تسری بما لاقیت فی یوم النزال

و لما أن تزایل مقرفوهم عصینا القوم بالأسل الطوال

و عریت الفیول من التوابی و عطلت الخیول من الرجال

و لو لا ذبنا عمن يليناللج الجمع فى فعل الضلال

حمينا يوم أرمات حماناو بعض القوم أولى بالحمال و قال عمرو بن ساس الأسدى:

فلا و أبيك لا ينفك فينامن السادات حظ ما بقينا

أ لسنا المانحين لدى قديس جموع الفرس مرداة طحونا

و لسنا مثل من لا طرق فيهو لكن غثنا يلفى سمينا

و نحن إذا يريح الليل أمرايهم الناس عصمة من يلينا

و مرقصة منعناها إذا مارأت دون المحافظة التقينا

نذكرها إذا ولهت بنيهاو نحميها إذا نحمى بنينا

إذا افترش النواحى بالنواحىو كان القوم فى الأبدان جونا

إذا ثار الغبار كأن فيهإذا اصطفت عجاجته طحينا

و قد علمت بنو أسد بأنانضارب بالسيوف إذا غشينا

و نحن فوارس الهيجا إذا مارأيت الخيل مسندة عرينا و ذكر المدائنى خبر هذا اليوم، و قد أورد كثيرا مما أورده، فى تضاعيف الأخبار المتقدمة و فى بعض ما ذكره أن المسلمين هم الذين عبروا إلى الفرس، خلافا لما تقدم ذكره: أنه لما عزم الفريقان على اللقاء أرسل سعد إلى جرير و المغيرة و حنظلة، فقال:

إنكم قد أصبحتم فى دار قد أذل الله لكم أهلها، فأنتم تطئونهم منذ سنين، و قد أتوكم فى جمع لا أظنهم يريدون أن يزايلوكم حتى يفصل بينكم، و لستم و هم سواء فى دنيا تقاتلون عنها، و قد خلفوا مثلها، فإن فروا فروا إلى مثلها و أنتم تقاتلون عن دينكم، فإن فررتم فررتم عنه إلى فيافى لا خير فيها، و أنتم غرر قومكم، إنكم إن ظهرتم عليهم كان لكم أبناؤهم و نساؤهم، و إن تواكلتم لم يبقوا منكم باقية مخافة أن تعودوا عليهم،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۴

و الأرض من وراءكم قفر بسابس، ليس لكم فيها معقل و لا ملجأ، فاتقوا الله و اصبروا، و حضوا المسلمين و واسوهم و تنجزوا موعود الله، فإنه قال: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ [الأنبياء: ۱۰۵]، و قد وليت الحرب خالد بن عرفطة، فالزموا السمع و الطاعة، و لا تفشلوا فتذهب ريحكم، فخرجوا من عند سعد و قد استعد المشركون لقتالهم، و هم وقوف يهابون العبور و الإقدام، فأرسل سعد إلى الناس: لا تعبروا حتى آذن لكم، و قد أخذ الناس العدة للقتال، فوقفوا ينتظرون الإذن من سعد، و حض رؤساء القبائل عشائرهم، فلما طال وقوفهم و لم يأتهم إذن سعد، قال جرير بن عبد الله: أيها الناس، ما تنتظرون، أ ما تريدون أن تقاتلوهم إن لم يقاتلوكم، و عبر النهر فى بجيلة، فقال قيس بن مكشوح: يا معشر مذحج، قد تقدمكم إخوانكم فسابقوهم، فو الله لا يسبق أحد اليوم إلا أعطاه الله غدا على قدر سبقه فى الدنيا، و عبر قيس، و عبر بعده عمرو بن معدى كرب، و قال زهرة بن جوية: يا بنى تميم، ما تنتظرون و قد مضى إخوانكم، و عبروا، و اتبع الناس بعضهم بعضا. فقال سعد: اللهم إنهم عبروا و لم يستأمرونى فاقض لهم بالنصر، فصف المسلمون، على ميمنتهم شرحبيل بن السمط، و على ميسرتهم هاشم بن عتبة، و على الخيل قيس بن مكشوح، و على الرجالة المغيرة بن شعبة، و المسلمون عشرة آلاف، و يقال ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية، عامة جثهم براذع الرحال، قد عرضوا فيها الجريد يتسترون بها، و على رءوسهم أنساع الرجال، يطوى الرجل نسعة رحله على رأسه، و المشركون ستون ألفا، و قيل أكثر.

و ظاهر رستم بين درعين، و قدم كتيبة عليهم الدروع و المغافر و الأداة الكاملة، فدفعوا إلى جعفى، و قد تقدم خبرهم، و أخرج رستم بعد ذلك كتيبة فيها الجالينوس، فتقدم و قد اعتصب بعصابة ديباج، معه ترس مذهب، فتلقاه طليحة، و اختلفا ضربتين، فوقعت ضربة

الجالينوس فى جحفة طليحة، و وقع سيف طليحة فى رأس الجالينوس، فهشم البيضة و ندرت عن رأسه و قد جرحه، فولوا منهزمين إلى رستم، فعظموا أمر العرب ليعذرهم، و أخذ طليحة البيضة فنفلها، فكانت قيمتها أربعمائة مثقال، و أقبل قيس بن مكشوح، يومئذ، فوقف على المغيرة فقال: ما رأيت كاليوم عديدا و لا حديدا، فقال المغيرة: إن هذا زبد من زبد الشيطان، و الله جاعل بعضه على بعض، و حض المغيرة الناس و قال: إن الكلام عند القتال فشل، فالزموا الصمت، و لا يزولن أحد منكم عن مركزه، فإذا حركت رايتى فاحملوا، فقال له رجل: ما تنتظر؟ قال: اجلس، فقال رجل من بنى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۵

مجاشع: الله أكبر، إنى لأرى الأرض من خلل صفهم، فكبروا و احملوا، فقال له المغيرة:

اجلس، و أقبل المغيرة على قيس بن مكشوح فقال: احمل يا قيس فإنى حامل، و نكبنى خيلك، لا أعرفنك إذا غلبت رجالى فيهم إن تجاوزها خيلك، فإذا عضك السلاح رددتها على أعقابها فى وجوه رجالى، فيكون أشد عليهم من عدوهم، و هز المغيرة رايته، و حمل، و اتبعه قيس، فما وصلوا كتيبته حتى رجع فيهم طعنتين، فقال طليحة: يا بنى أسد، ما تستحيون، الناس يقاتلون و أنتم وقوف، فحمل فقالت امرأة من بنى أسد لبنيها و هم أربعة: يا بنى، و الله ما نبت بكم دار و لا أفحمتكم سنة، و لقد أسلمتم طائعين، و هاجرتم راغبين، و جئتم بأمكم عجوزا كبيرة فوضعتموها بين يدى أهل فارس، فقاتلوا عن دينكم و أمكم، فو الله إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، فاشهدوا أشد القتال، فحملوا، فقالت: اللهم احفظ فىّ بنى.

و روى الشعبى أن هذه المرأة كانت من النخع، و ذكر حديثها بنحو ما تقدم إلى قولها: كما أنكم بنو امرأة واحدة، و زاد هاهنا: ما خنت أباكم، و لا فضحت خالكم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال و آخره، فأقبلوا يشتدون، فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء و هى تقول: اللهم ادفع عن بنى، فرجعوا إليها و قد أحسنوا القتال، فما كلم رجل منهم كلما.

قال الشعبى: فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء، فيأتون أمهم فيلقونه فى حجرها، فترده عليهم، و تقسمه فيهم على ما يصلحهم.

و قد ذكر الزبير بن بكار نحو هذا عن الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية فى بنين لها أربعة شهدت معهم حرب القادسية، فقالت لهم من أول الليل: يا بنى، إنكم أسلمتم طائعين، و هاجرتم مختارين، و ذكرت من صونها لنسبهم نحو ما ذكر قبل، ثم قالت لهم: و قد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، و اعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، و بالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها و اضطرمت لظاها على سياقها و جللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها، و جالدوا رئيسها عند احتدام حميسها «۱»، تظفروا بالغنم و الكرامة فى دار الخلد و المقامة، فخرج بنوها قابلين لنصحها، فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم، و أنشأ أولهم يقول:

---

(۱) الحميس: أى التنور.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۶ يا إخوتى إن العجوز الناصحهقد نصحتنا إذ دعتنا البارحه

مقالة ذات بيان واضحهفباكروا الحرب الضروس الكالحة

و إنما تلقون عند الصالحةمن آل ساسان كلابا نابحه

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحهو أنتم بين حياة صالحه

أو موتة تورث غنما رابحه

و تقدم فقاتل حتى قتل، رحمه الله، ثم حمل الثانى و هو يقول:

إن العجوز ذات حزم و جلدو النظر الأوفق و الرأى السدد

قد أمرتنا بالسداد و الرشدنصيحة منها و برا بالولد

فباكروا الحرب حماة فى العددإما لفوز بارد على الكبد

أو ميتة تورثكم عز الأبدفى جنة الفردوس و العيش الرغد فقاتل حتى استشهد، رحمه الله، ثم حمل الثالث و هو يقول:

و الله لا نعصى العجوز حرفاقد أمرتنا حدبا و عطفا

نصحا و برا صادقا و لطفافبادروا الحرب الضروس زحفا

حتى تلفوا آل كسرى لفّاو تكشفوهم عن حمالكم كشفا فقاتل حتى استشهد، رحمه الله، و حمل الرابع و هو يقول:

لست لخنساء و لا لاخزمو لا لعمر و ذى السناء الأقدم

إن لم أرد فى الجيش جيش العجمماض على الهول خضم خضرم

إما لفوز عاجل و مغنمأو لوفاة فى السبيل الأكرم فقاتل حتى قتل، رحمة الله عليه و على إخوته، فبلغ الخبر أمهم، فقالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، و أرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته، فكان عمر، رضى الله عنه، يعطى الخنساء بعد ذلك أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتى درهم، حتى قبض، رحمه الله.

فهذا ما ذكره الزبير بن بكار، و الذى قبله ذكره المدائنى، رحمهما الله، و لعل الخبرين صحيحان، و الله أعلم أى ذلك كان. ثم ذكر المدائنى، بعد، من حسن بلاء بنى أسد و انطواء الفرس عليهم فى مجال الفيلة ما قد ذكرناه قبل فى موضعه.

و ذكر، أيضا، أن الأشعث بن قيس قال عند ما اشتد قتالهم: لله در بنى أسد، أى فرى يفرون، و أنتم تنظرون، يا معشر كندة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۷

و قال زهرة بن جوية: يا بنى تميم، قد صبر إخوانكم من بنى أسد، و أحسنوا فذودوا عنهم الفيلة و حماتها، فحمل زهرة فى بنى تميم، و جرير فى بجيلة، فكشفوا المشركين عن بنى أسد، و قد استشهد منهم خمسون رجلا، و تحاجزوا قريبا من العصر، فجمعوا بين الصلاتين ثم عاودوا القتال مطاردة و مشاولة حتى غابت الشمس.

و التقى حنظلة بن الربيع الأسيدى ذو الحاجب فاختلفا طعنتين، فصارا جميعا إلى الأرض، فضرب حنظلة ذا الحاجب على رأسه فصرعه، فحامت عنه الأساورة، حتى ركب، و حامى عن حنظلة القعقاع بن عمرو، أحد بنى يربوع، و ذريح، أحد بنى تيم اللات، حتى ركب، فقال ذريح:

لما رأيت الخيل شك نحورهارماح و نشاب صبرت جناحا

على الموت حتى أنزل الله نصرهو د جناح لو قضى فأراحا

كأن سيوف الهند حول لبانهبوارق غيث من تهامة لاحا قال: و أصيبت يومئذ عين المغيرة بن شعبة، و تحاجزوا حين أمسوا، فرجع المسلمون إلى عسكرهم، و رجع رستم إلى عسكره. هذا ما ذكره المدائنى.

و يقال: إن القعقاع لم يشهد يوم أرماث هذا، و إنما قدم من الشام بعد انقضائه، فشهد سائر الأيام و أبلى فيها، و سيأتى ذكر ذلك إن شاء الله.

و ذكر سيف عن بعض رجاله أن سعدا كان قد تزوج سلمى بنت خصيفة، امرأة المثنى بن حارثة، كما تقدم، فنزل بها القادسية، فلما كان يوم أرماث، و جال الناس، جعل سعد يتململ و يجول فوق القصر، و كان لا يطيق جلوسا إلا على بطنه، فلما رأت سلمى ما يصنع أهل فارس قالت: وا مثنياه و لا مثنى للخيل اليوم، و هى عند رجل قد أضجر ما يرى من أصحابه و من نفسه، فلطم وجهها، و قال: أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى!، يعنى أسدا، و عاصما، فقالت: أ غيرة و جبنا؟ قال: و الله لا يعذرنى أحد اليوم إذا أنت لم تعذرينى و أنت ترين ما بى، فالناس أحق ألا يعذرونى!.

فلما ظهر المسلمون لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه، و كان غير جبان و لا ملوم، رضى الله عنه.

و كانت القادسية فى شوال سنة خمس عشرة، و ابتداء أيامها يوم الاثنين لثلاث ليال خلون من شوال أو لأيام بقين منه، و قيل كانت فى المحرم سنة أربع عشرة، و الأول أصح و أولى بالصواب إن شاء الله تعالى.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۸

ذكر اليوم الثانى من أيام القادسية، و هو يوم أغواث

قالوا «۱»: و لما أصبح الناس من الغد، يعنون الغد من يوم أرماث، أصبحوا على تعبئة، و قد و كل سعد رجالا بنقل الشهداء إلى العذيب و نقل الرثيث. فأما الرثيث فأسلموا إلى النساء يقمن عليهم حتى يقضى الله فيهم قضاءه، و أما الشهداء فليدفنوهم هنالك على مشرق، واد بين العذيب و بين عين شمس فى عدوتيه جميعا، و فى ذلك يقول سعد، رحمه الله:

جزى الله أقواما بجنب مشرقغداة دعا الرحمن من كان داعيا

جنانا من الفردوس و المنزل الذىيحل به ذو الخير ما كان باقيا و انتظر الناس بالقتال حمل الرثيث و الأموال، فلما استقلت بهم الإبل موجهة نحو العذيب طلعت عليهم نواصى الخيل من نحو الشأم، و كان عمر، رضى الله عنه، قد أمر أبا عبيدة بن الجراح لما انقضى شأن اليرموك و فتح دمشق بصرف أهل العراق أصحاب خالد الذين قدم بهم عليه إلى العراق، و لم يذكر له عمر خالدا، فضن أبو عبيدة بخالد فحبسه، و قد قيل إن عمر أمر بحبسه، فأمسكه و سرح الجيش و هم ستة آلاف، ألف من أبناء العرب من أهل الحجاز، و سائرهم من ربيعة و مضر، و أمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص «۲»، و على مقدمته القعقاع بن عمرو، أى التميمى، فجعله أمامه، و جعل على إحدى مجنبتيه قيس بن مكشوح المرادى «۳»، و لم يكن شهد الأيام، و إنما أتاهم و هم باليرموك حين صرف أهل العراق فصرف معهم، و على المجنبة الأخرى الهزهاز بن عدى العجلى، فطوى القعقاع و تعجل، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث، و قد عهد إلى أصحابه أن ينقطعوا أعشارا، و هم ألف، فكلما بلغ عشرة مد البصر سرح فى آثارهم عشرة، و تقدم هو فى عشرة، فأتى الناس فسلم عليهم، و بشرهم بالجنود، و قال: يا أيها الناس، إنى قد جئتكم فى قوم، و الله لو كانوا بمكانكم، ثم أحسوكم لحسدوكم حظوتها، و حاولوا أن يطيروا بها دونكم، فاصنعوا كما أصنع، فتقدم ثم نادى: من يبارز؟ فسكن الناس إليه، و قالوا لقول أبى بكر الصديق، رضى الله عنه: لا يهزم جيش

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۴۲).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۸۹۳۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۳۲۸)، العبر (۱/ ۳۹)، طبقات خليفة (۸۳۱)، مروج الذهب (۳/ ۱۳۰)، تاريخ بغداد (۱/ ۱۹۶)، مرآة الجنان (۱/ ۱۰۱)، العقد الثمين (۷/ ۳۵۹)، شذرات الذهب (۱/ ۴۶).

(۳) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۷۳۲۹)، طبقات ابن سعد (۵/ ۵۲۵)، المحبر (۲۶۱)، معجم الشعراء (۱۹۸)، تهذيب الأسماء و اللغات (۲/ ۶۴)، شذرات الذهب (۱/ ۴۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۷۹

فيهم مثل القعقاع، فخرج إليه ذو الحاجب، فقال له القعقاع: من أنت؟ فقال: أنا بهمن جاذويه، فنادى: يا لثارات أبى عبيد و سليط و أصحاب يوم الجسر. فاجتلدا، فقتله القعقاع، و جعلت خيله ترد قطعا، و ما زالت ترد إلى الليل و تنشط الناس، و كأن لم تكن بالناس مصيبة، كأنما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبى و بلحاق القطع، و انكسرت الأعاجم لذلك.

و كان أول القتال قبل أن يقدم القعقاع المطاردة، فلما قدم قال: أيها الناس اصنعوا كما أصنع، فنادى: من يبارز؟ فبرز له ذو الحاجب فقتله، و آخر فقتله، و خرج الناس من كل ناحية، و بدأ الضرب و الطعان، و نادى القعقاع، أيضا: من يبارز؟ فخرج إليه رجلان، أحدهما البيزران و الآخر البندوان، فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان، أحد بنى تيم اللات، فبارز القعقاع البيزران، فضربه فأذرى

رأسه، و بارز ابن ظبيان البندوان، فضربه فأذرى رأسه، و حمل بنو عم القعقاع، يومئذ، عشرة عشرة من الرجال، على إبل قد ألبسوها، فهى مجللة مبرقعة، و أطافت بهم خيولهم، و أمروا أن تحمل تلك الإبل على خيل الفرس يشبهون بالفيلة التى أرسلت عليهم الفرس بالأمس، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل و لا لكثير إلا نفرت بهم خيلهم، و ركبتهم خيول المسلمين. فاستنوا بهم، فلقى أهل فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقى المسلمون من الفيلة يوم أرماث.

و لم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل، كانت توابيتها قد تكسرت بالأمس، و استأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان من الغد، و لم ير أهل فارس فى هذا اليوم شيئا يعجبهم، و أكثر المسلمون فيهم القتل.

و قالوا: قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين جملة، كلما حمل حملة قتل فيها، و آزر القعقاع، يومئذ، ثلاثة من بنى يربوع، و جعل القعقاع كلما طلعت قطعة كبر و كبر المسلمون و يحمل و يحملون، و قدم ذلك اليوم رسول لعمر، رضى الله عنه، بأربعة أفراس، و أربعة أسياف ليقسمها سعد فيمن انتهى إليه البلاء، إن كان لقى حربا، فدعا حمال بن مالك و الرفيل بن عمرو بن ربيعة الوالبيين و طليحة بن خويلد الفقعسى «۱»، و كلهم من بنى أسد، و عاصم بن عمرو التميمى «۲»، فأعطاهم الأسياف، و دعا القعقاع بن عمرو

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۴۳۰۹)، تاريخ خليفة (۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۲۶۴۱)، تهذيب الأسماء و اللغات (۱/ ۲۵۴، ۲۵۵)، دول الإسلام (۱/ ۱۷)، تاريخ الإسلام (۲/ ۴۱)، العبر (۱/ ۲۶)، شذرات الذهب (۱/ ۳۲).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۴۳۷۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۰

التميمى و اليربوعيين و هم: نعيم بن عمرو بن عتبان و عتاب بن نعيم بن عتاب، و عمرو ابن شبيب بن زنباع، أحد بنى زيد، فحملهم على الأفراس، فأصاب ثلاثة من بنى يربوع ثلاثة أرباعها، و أصاب ثلاثة من بنى أسد ثلاثة أرباع السيوف، فقال الرفيل فى قطعة يذكر السيوف:

لقد علم الأقوام أنى أحقهم‌إذا حصلوا بالمرهفات البواتر و قال القعقاع فى شأن الخيل:

و لم تعرف الخيل العرب سواءناعشية أغواث بجنب القوادس و ذكر المدائنى حرب هذا اليوم فخالف بعض ما تقدم، و قال: إن الناس لما أصبحوا غداة الثلاثاء عبر رستم إلى المسلمين بجنوده و فيلته من حين طلعت الشمس إلى قريب من نصف النهار، و أخذوا عدة الحرب، و صافهم المسلمون، و على الميمنة عبد الله بن المعتم، و على الميسرة هاشم بن عتبة، و على الخيل المغيرة بن شعبة، و على الرجالة سلمة بن حديم، فقال سعد بن عبيد الأنصارى: يا أيها الناس، إن الدنيا دار زوال و فتنة، و أنتم منقلبون إلى دار الجزاء، فلا يكونن شىء أحب إليكم من فراقها، فإن ما عند الله خير للأبرار، و تقدم أمام الناس، فبرز له شهريار السجستانى، فقتل كل واحد منهما صاحبه، ثم طاردت الفرسان و اقتتلوا حتى زالت الشمس، و تحاجزوا، و صلى المسلمون ثم عادوا إلى مصافهم، فنصل من عسكر المشركين رجل يسأل المبارزة، فبرز له زهرة بن جوية فقتله، و حمل فوارس من المشركين على زهرة فعقروا به، و ندر سيفه من يده، فقاتلهم راجلا يحثو فى وجوههم التراب حتى توافت إليه خيل المسلمين، فكشفوهم عنه، و قد ذهبوا بسيفه، فقال:

فإن تأخذوا سيفى فإنى محرب‌خروج من الغماء محتضر النصر

و إنى لحام من وراء عشيرتى‌أطاعن فيهم بالمثقفة السمر و قد روى غير المدائنى هذا الشعر و الخبر للأعرف بن الأعلم العقلى فى هذا اليوم.

و قال عمرو بن معدى كرب لقومه: يا بنى زبيد، إنى مخالط الجمع، فانظرونى قدر نحر جزور و تعسيرها، ثم اطلبونى، فإنكم تجدونى و سيفى فى يدى أقاتل به قدما لا- أزول، و فى رواية: فإن تأخرتم عنى فقد فقدتم أبا ثور، و أين لكم مثل أبى ثور، و حمل حتى خالطهم، فستره الغبار، فقال بعض الزبيديين: أيا بنى زبيد، علام تدعون صاحبكم و قد توسط جمع المشركين، و الله ما أرى أن

تدرکوه حیا، و إن فقدتموه فقد المسلمون

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۸۱

فارسهم، فحملوا و حمل الناس حملة واحدة فانتهوا إلیه و قد رمی فرسه بنشابة فسب فصرعه و عار، و أخر عمرا عنه المشرکون، و ذلک بعد ما طعنوه، و إن سیفه لفی یده یضاربهم به.

فلما رأی أصحابه أخذ برجل فرس أسوار فاحتبسه، و إن الفارسی لیضرب فرسه فما یتحرک، فلما غشیه الجمع رمی بنفسه و خلا فرسه فرکبه عمرو، و قال: أنا أبو ثور کدتم تفقدوننی، و ثبت عمرو یقاتل فارسا و راجلا، إذا قاتل راجلا شد مقود فرسه فی وسطه و قاتل.

و تزاحف الناس فقال رجل من المسلمین لرجل من الأنصار: أعرنی ترسک، قال: ما بی عنه غنی، و لکن أی أتراس العجم ترید أتیتک به إن شاء الله، فأشار له إلی ترس مذهب، فحمل فلم یزل یقاتل حتی خلص إلی صاحب الترس فقتله و استلب ترسه، فأتی به صاحبه، فقال: دونک.

و صار الناس إلی السیوف، فقاتلوا حتی اعتموا و تحاجزوا عند العتمة عن قتلی و جرحی کثیر فی الفریقین، و قتل یومئذ رجل من طیئ یکنی أبا کعب رجلا- من المشرکین، و أخذ قلنسوته فلبسها، و أقبل یعدو به فرسه و هو یقاتل، فنظر إلیه رجل من بجیلة یقال له مضرس، و هو یقاتل، فظن أنه من الفرس فطعنه، فقال: بسم الله، قتلتنی، فقال مضرس: إنا لله و عانقه، فقال: غفر الله لک یا أخی، فبکی مضرس و احتمل أبو کعب، فقال سعد: الشهادة لا تقاد، و لا کل میتة مظنون غیرها، و لکن من أحب أخذ الدیة، فکان مضرس یأتیه یعوده فیبکی حتی تبل دموعه لحیته، و یقول أبو کعب: غفر الله لک یا أخی.

و قال أبو کعب:

لعمری لقد ثارت رماح مضرس‌بعلج هوی فی الصف من آل فارس ثم مات أبو کعب بعد أیام من تلک الطعنة، و صفح ولیه عن الدیة.

و یروی أنه عرض مثل هذا بعینه لرجل آخر من طیئ، أیضا، یقال له: بجیر بن عمیرة، و کان أحمر شبیها بالعجم، فاستلب رجلا من أهل فارس رایته فأقبل بها، فبصر به رجل من کندة یدعی فروة، فحمل علیه فطعنه، فأصاب مقتله، فنادی بجیر: بسم الله، فاعتنقه فروة، فأتیا سعدا فقال لهما: إن الشهادة لا ثواب لها فی الدنیا، و لکن کفوا العجلات.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۸۲

و خرج یومئذ رجل من أهل فارس ینادی: من یبارز، فبرز له علباء بن جحش العجلی، فبعجه علباء، فأصاب سحره، و بعج الفارسی علباء فخرق أمعاءه، و خرا جمیعا، فأما الفارسی فمات من ساعته، و أما الآخر فانتثرت أمعاؤه، فلم یستطع القیام، فعالج ادخالها فلم یتأت له حتی مر به رجل من المسلمین فقال له: یا هذا أعنی علی بطنی، فأدخله له، فأخذ بصفاقیه ثم زحف نحو صف فارس ما یلتفت إلی المسلمین، فأدرکه الموت علی رأس ثلاثین ذراعا من مصرعه إلی صف فارس. فقال:

أرجو بها من ربنا الثواباقد کنت ممن یحسن الضرابا قالوا «۱»: و قاتلت الفرسان یوم الکتائب فیما بین أن أصبحوا إلی انتصاف اللیل، فکانت لیلة أرماث تدعی لیلة الهدأة، و لیلة أغواث تدعی لیلة السواد، و النصف الأول یدعی السواد، ثم لم یزل المسلمون یرون فی یوم أغواث الظفر علی فارس، و قتلوا فیه عامة أعلامهم، و جالت فیه خیل القلب، و ثبت رجلهم، فلو لا أن خیلهم کرت أخذ رستم أخذا، فلما ذهب السواد تفایأ الناس و باتوا علی مثل ما بات القوم علیه لیلة أرماث، و لم یزل المسلمون ینتمون لدن أمسوا إلی أن تفایئوا.

فلما أمسی سعد و سمع ذلک نام، و قال لبعض من عنده: إن تم الناس علی الانتماء فلا توقظونی، فإنهم أقویاء علی عدوهم، و إن سکتوا و لم ینتم الآخرون فلا توقظونی، فإنهم علی التساوی، فإن سمعتم ینتمون فأیقظنی، فإنما انتماؤهم من السوء.

قالوا «۲»: و لما اشتد القتال بالسواد، و کان أبو محجن قد حبس و قید، فهو فی القصر، صعد حین أمسی إلی سعد یستعفیه و یستقیله،

فزبره سعد و رده فنزل، و أتی سلمی بنت خصفة، فقال لها: یا بنت خصفة، هل لک إلی خیر؟ قالت: و ما ذاک؟ قال: تخلین عنی و تعیرننی البلقاء، فالله علیّ إن سلمنی الله أن أرجع إلیک حتی أضع رجلی فی قیدی، و إن أصبت و خشیت هذا فما أکثر من یفلت و یجرب صاحبه. فقالت: و ما أنا و ذاک فرجع یرسف فی قیوده و یقول:

کفی حزنا أن تردی الخیل بالقناو أترک مشدودا علیّ وثاقیا

إذا قمت عنانی الحدید و أغلقتمصاریع من دونی تصم المنادیا

و قد کنت ذا مال کثیر و إخوةفقد ترکونی واحدا لا أخا لیا

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۴۶، ۵۴۷).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۴۸- ۵۵۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۸۳ و لله عهد لا أخیس بعهدهلئن فرجت أن لا أزور الحوانیا «۱» فقالت سلمی: إنی استخرت الله و رضیت بعهدک، فأطلقته، و قالت: أما الفرس فلا أعیرها، و رجعت إلی بیتها، فاقتاد أبو محجن الفرس فأخرجها من باب القصر الذی یلی الخندق فرکبها، قیل بسرجها، و قیل: عریا، ثم ذبب علیها حتی إذا کان بحیال المیمنة کبر، ثم حمل علی میسرة القوم یلعب برمحه و سلاحه بین الصفین، ثم رجع من خلف المسلمین إلی المیسرة، فکبر و حمل علی میمنة القوم، یلعب بین الصفین برمحه و سلاحه، ثم رجع من خلف المسلمین إلی القلب فبرز أمام الناس، فحمل علی القوم یلعب بین الصفین برمحه و سلاحه، و کان یقصف الناس لیلتئذ قصفا منکرا و یعجب الناس منه و هم لا یعرفونه و لم یروه من النهار، فقال بعضهم: أوائل أصحاب هاشم بن عتبة أو هاشم نفسه. و جعل سعد یقول و هو مشرف علی الناس مکب من فوق القصر: و الله لو لا محبس أبی محجن الثقفی لقلت: إن هذا أبو محجن و هذه البلقاء. و قال بعض الناس: إن کان الخضر یشهد الحروب فنظن أن صاحب البلقاء الخضر، و قال آخرون: و الله لو لا أن الملائکة لا تباشر القتال لقلنا: ملک بیننا، و لا یذکر الناس أبا محجن و لا یأبهون له، لمبیته فی محبسه، فلما انتصف اللیل حاجز أهل فارس و تراجع المسلمون، و أقبل أبو محجن حتی دخل من حیث خرج، فوضع عن نفسه و عن دابته، و أعاد رجله فی قیده، و قال:

لقد علمت ثقیف غیر فخربأنا نحن أکثرهم سیوفا

و أکثرهم دروعا سابغاتو أصبرهم إذا کرهوا الوقوفا

و أنا وفدهم فی کل یومفإن عیوا فسل بهم عروفا

و لیلة قادس لم یشعروا بیو لم أشعر بمخرجی الزحوفا

فإن أحبس فذلکم بلائیو إن ترک أذیقهم الحتوفا فقالت له سلمی: فی أی شیء حبسک هذا الرجل؟ قال: أما و الله ما حبسنی لحرام أکلته و لا شربته، و لکنی کنت صاحب شراب فی الجاهلیة، و أنا امرؤ شاعر یدب الشعر فی لسانی، و ینبعث علی شفتی، فیساء لذلک ثنائی، فعلی ذلک حبسنی. قلت:

إذا مت فادفنی إلی جنب کرمةتروی عظامی بعد موتی عروقها

و لا تدفننی بالفلاة فإننی أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

---

(۱) انظر الأبیات فی: الأغانی للأصفهانی (۲۱/ ۱۳۹، ۱۴۰)، مروج الذهب للمسعودی (۱/ ۵۲۸- ۵۳۰)، الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (۲/ ۳۳۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۴۸۴

و لم تزل سلمی مغاضبة لسعد عشیة أرماث، و لیلة السواد، حتی إذا أصبحت أتته فصالحته و أخبرته خبرها و خبر أبی محجن، فدعا به

فأطلقته، و قال: اذهب فما أنا بمؤاخذک بشیء تقوله حتی تفعله، قال: لا جرم، و الله لا أجیب لسانی إلی صفة قبیح أبدا.

حدیث یوم عماس، و هو الیوم الثالث من أیام القادسیة

قالوا «۱»: و أصبح المسلمون من الیوم الثالث، و هم علی مواقفهم، و أصبحت الأعاجم کذلک، و بین هؤلاء و هؤلاء قدر میل فی عرض ما بین الصفین، و قد قتل من المسلمین ألفان بین رثیث و میت، و من المشرکین عشرة آلاف. و قال سعد: من شاء غسل الشهید المیت و الرثیث، و من شاء فلیدفنهم بدمائهم، و جعلهم المسلمون وراء ظهورهم، و أقبل الذین یحملونهم إلی القبور، یتبعون القتلی و یبلغون الرثیث إلی النساء، و کان النساء و الصبیان یحفرون المقابر فی الیومین: یوم أرماث و یوم أغواث، بعدوتی مشرق، و کان فی الطریق أصل نخلة بین القادسیة و العذیب، لیس بینهما یومئذ نخلة غیرها، فکان الرثیث إذا انتهی بهم إلیها و أحدهم یعقل سألهم أن یقفوا به تحتها یستروح إلی ظلها، فمر حاجب بن یزید، و کان علی الشهداء بتلک النخلة مع بعض الشهداء بتلک النخلة مع بعض الشهداء و ولاتهم، و رجل من الجرحی من طیئ یدعی یقول و هو مستظل بظلها:

ألا یا اسلمی یا نخلة بین قادس‌و بین العذیب لا یجاورک النخل و آخر من بنی ضبة أو من بنی ثور یدعی غیلان، و هو یقول:

ألاـ یا اسلمی یا نخلة فوق جرعة‌یجاورک الجمان و الرمث و الرغل قالوا «۲»: و بات القعقاع لیلته کلها یسرب أصحابه إلی المکان الذی فارقهم فیه بالأمس، ثم قال: إذا طلعت لکم الشمس، فأقبلوا مائة مائة، و کلما توارت عنکم مائة فلیتبعها مائة، فإن جاء هاشم فذاک و إلا جددتم للناس رجاء وجدا، ففعلوا، و لا یشعر بذلک أحد، و کان مکانهم مما صنع الله للمسلمین، فلما ذر قرن الشمس و القعقاع یلاحظ الخیل، طلعت نواصیها، فکبر و کبر الناس، و قالوا: جاء المدد.

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۵۰).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۵۱، ۵۵۲).

الاکتفاء، الکلاعی، ج۲،ص:۴۸۵

و قد کان عاصم بن عمرو أمر أن یصنع مثلها، فجاءوا من قبل خفان، فتقدم الفرسان و تکتبت الکتائب، فاختلف الطعن و الضرب، و مدد المسلمین متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتی انتهی إلیهم هاشم، و قد طوی فی سبعمائة، فأخبروه برأی القعقاع و ما صنع فی یومه، فعبأ أصحابه سبعین سبعین، فلما نجز آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم فی سبعین معه، فیهم قیس بن هبیرة المرادی، و هو ابن المکشوح، فأقبل هاشم حتی إذا خالط القلب، کبر و کبر المسلمون، و قد أخذوا مصافهم، و قال هاشم:

أول القتال المطاردة ثم المراماة، فأخذ قوسه، فوضع سهما ثم نزع فرفعت فرسه رأسها، فخل أذنیها، فضحک و قال: وا سوأتاه من رمیة رجل ینتظره کل من رآه، أین ترون سهمی کان بالغا؟ فقیل: العتیق. فنزقها و قد نزع السهم عن أذنیها، ثم ضربها حتی وقفت علی العتیق، ثم ضربها فأقبلت تخرقهم حتی عاد إلی موقفه، و قیل: إنه نزل عن فرسه و فعل ذلک راجلا، فالله أعلم.

و ما زالت مقانبه تطلع و قد بات المشرکون فی علاج توابیتهم حتی أعادوها علی الفیلة، فأصبحوا علی مواقفهم، و أقبلت الفیلة معها الرجالة یحمونها أن تقطع وضنها، و مع الرجالة فرسان یحمونهم، إذا أرادوا کتیبة دلفوا إلیها بفیل و أتباعه، لینفروا بهم خیلهم، فلم یکن ذلک منهم کما کان بالأمس؛ لأن الفیل إذا کان وحده لیس معه أحد کان أوحش، و إذا طافوا به کان آنس، فکان الفیل کذلک حتی عدل النهار.

و لما قدم قیس بن المکشوح مع هاشم، قام فیمن یلیه فقال: یا معشر العرب، إن الله، عز و جل، قد من علیکم بالإسلام، و أکرمکم بمحمد صلی اللّه علیه و سلم، فأصبحتم بنعمته إخوانا، دعوتکم واحدة و أمرکم واحد، بعد إذ أنتم یعدو بعضکم علی بعض عدو الأسد، و یختطف بعضکم بعضا اختطاف الذئاب، فانصروا الله ینصرکم، و تنجزوا من الله تعالی فتح فارس، فإن إخوتکم من أهل الشام

قد أنجز الله تعالى لهم فتح الشام، و انتثال القصور الحمر و الحصون الحمر.

و خرج يوم عماس رجل من العجم حتى إذا كان بين الصفين هدر و شقشق و نادى:

من يبارز؟ فخرج إليه رجل من المسلمين يقال له: شبر بن علقمة، و كان قصيرا دميما، فقال: يا معشر المسلمين، قد أنصفكم الرجل، فلم يجبه أحد، و لم يخرج إليه أحد، فقال:

أما و الله لو لا أن تزدرونى لخرجت إليه، فلما رأى أنه لا يمنع أخذ سيفه و جحفته، ثم تقدم، فلما رآه الفارسى هدر، ثم نزل إليه فاحتمله، فألقاه ثم جلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه، و مقود فرسه مشدود بمنطقته، فلما استل السيف حاص الفرس حيصة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۶

فجذبه المقود فقلبه عنه، فقام إليه و هو يسحب فافترسه، فجعل أصحابه المسلمون يصيحون به، فقال: صيحوا ما بدا لكم، فو الله لا أفارقه حتى أقتله ثم أسلبه، فذبحه و سلبه، ثم أتى سعدا بالسلب فنفله إياه، فباعه باثنى عشر ألفا.

قالوا «۱»: و لما رأى سعد الفيلة تفرق الناس، و عادت لفعلها يوم أرماث، سأل: هل لها مقاتل؟ فقيل له: نعم، المشافر و العيون لا تنتفع بها بعدها، فأرسل إلى القعقاع و أخيه عاصم: أن اكفيانى الفيل الأبيض، و كان بإزائهما، فأخذ القعقاع و عاصم رمحين أصمين لينين و دنوا فى خيل و رجل، و قالا: اكتنفوه لتحيروه، و فعل الآخران مثل ذلك، فلما اكتنف الفيلان نظر كل واحد منهما يمنة و يسرة و هما يريدان أن يتخبطا، فحمل القعقاع و عاصم و الفيل البيض متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما معا فى عينيه، و قبع و نفض رأسه فطرح سائسه و دلى مشفره، فنفخه القعقاع و رمى به و وقع لجنبه، و قتلوا كل من كان عليه، و قال حمال لصاحبه و قد قصدا إلى الفيل الأجرب: إما أن تضرب المشفر و أطعن فى عينه، أو تطعن فى عينه و أضرب مشفره، فاختار صاحبه الضرب، فحمل عليه حمال و هو متشاغل بملاحظة من اكتنفه، لا يخاف سائسه إلا على بطانه فطعنه فى عينه، فأقعى، ثم استوى فنفخه الآخر، فأبان مشفره، و بصر به السائس ففقر أنفه و جبينه بفأسه.

و يروى أن الفيلين صاحا عند ذلك صياح الخنزير، ثم ولى الأجرب الذى عور فوثب فى العتيق، فاتبعته الفيلة فخرقت صف الأعاجم، فعبرت العتيق فى أثره فبيتت المدائن فى توابيتها و هلك من فيها.

و قيل: إنه بقى منها الفيل الأبيض، لم يبق فى المعركة غيره، و إن الناس رشقوا مشافر الفيلة، فعند ذلك انبعث الفيل الآخر فلم تنته عن المدائن، و كانت تفعل بالناس الأفاعيل فاستقام للناس بعدها وجه القتال، و خلصوا بأهل فارس، فاجتلدوا على جرد بالسيوف حتى أمسوا و هم فى ذلك على السواء.

فكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديدا، العرب و العجم فيه على السواء، و لا يكون بينهم لفظة إلا تقاولها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد بالمدائن، إذ كان قد أمر رستم بأن يرتب الرجال على الطريق بينهما ليبلغه بالتنادى ما يطرأ فى العسكر من حينه، فيرسل إليهم أهل النجدات ممن بقى عنده فيتقوون بهم، و أصبحت عنده للذى

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۵۵، ۵۵۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۷

لقى بالأمس الأمداد على البرد، فلو لا الذى صنع الله للمسلمين فى الذى ألهم إليه القعقاع فى اليومين، و ما أتاح لهم بهاشم لكسر ذلك المسلمين.

و أصيب يومئذ مؤذن سعد بن أبى وقاص فتشاح الناس على الأذان، حتى كادوا يجتلدون بالسيوف، فأقرع بينهم سعد.

قالوا «۱»: و لما أمسى الناس من يومهم ذلك، و أطعنوا إلى الليل، و اشتد القتال فصبر الفريقان، فخرجا على السواء فلم يسمع إلا الغمائم من هؤلاء و هؤلاء، فسميت ليلة الهرير، و لم يكن بعدها قتال بليل فى القادسية.

و جدد المشركون فى تلك الليلة تعبئة، و أخذوا فى أمر لم يكونوا عليه فى الأيام الثلاثة، و بقى المسلمون على تعبئتهم، فخرج مسعود بن مالك الأسدى، و قيس بن هبيرة المرادى، و هو ابن المكشوح، و أشباههم فطاردوا القوم و حركوهم للقتال، فإذا هم فيه أمة لا يشهدون و لا يريدون إلا الزحف، فقال قيس بن مكشوح لمن يليه، و لم يشهد شيئا من لياليها إلا تلك الليلة: إن عدوكم قد أبى إلا المزاحفة، و الرأى رأى الأمير، و ليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرجال، فإن القوم إذا زحفوا و طاردهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم، و لم يطيقوا أن يقدموا عليهم، فتيسروا للحملة.

و قال دريد بن كعب النخعى، و كان معه لواء النخع: إن المسلمين قد تهيئوا للمزاحفة، فاسبقوا المؤمنين الليلة إلى الله و الجهاد، فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه، فنافسوهم فى الشهادة، و طيبوا بالموت أنفسا، فإنه لا نجاء من الموت إن كنتم تريدون الحياة، و إلا فالآخرة ما أردتم.

و قال الأشعث بن قيس: يا معشر العرب، إنه لا ينبغى أن يكون هؤلاء أجرأ على الموت و لا أسخى أنفسا عن الدنيا منكم، تنافسوا و لا تجزعوا من القتل فإنه أمانى الكرام، و منايا الشهداء، و ترجل.

و قال حنظلة بن الربيع «۲» و أمراء الأعشار: ترجلوا أيها الناس، و افعلوا كما نفعل، و لا

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۵۷).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۸۶۴)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۲۸۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۱۴۲)، الطبقات (۱/ ۴۳، ۱۲۹)، تهذيب الكمال (۱/ ۳۴۳)، الإكمال (۱/ ۷۳)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۱۶)، الجرح و التعديل (۳/ ۱۰۵۹)، تهذيب التهذيب (۳/ ۶۰، ۶۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۸

تجزعوا مما لا بد منه، فالصبر أنجى من الجزع. و فعل طليحة و غالب أهل النجدات من جميع القبائل مثل ذلك.

و قال أنس بن الجليس: شهدت ليلة الهرير، فكان صليل الحديد فيها كضرب القيون ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصبر إفراغا.

و بات سعد بليلة لم يبت بمثلها، و رأى العرب و العجم أمرا لم يروا مثله قط، و انقطعت الأصوات و الأخبار عن سعد و رستم، فبعث سعد فى تلك الليلة نجادا، و هو غلام، إلى الصف، إذ لم يجد رسولا، فقال: انظر ما ذا ترى من حالهم، فرجع إليه فقال: ما رأيت يا بنى؟ فقال: رأيتهم يلعبون، فقال: أو يجدون. فأقبل سعد على الدعاء، حتى إذا كان فى وجه الصبح، انتمى الناس فاستدل سعد بذلك على أنهم الأعلون، و أن الغلبة لهم.

قال بعضهم: أول شىء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدل به على الفتح فى نصف الليل الباقى صوت القعقاع بن عمرو و هو يقول:

نحن قتلنا معشرا و زائداأربعة و خمسة و واحدا

تحسب فوق البلد الأساوداحتى إذا ماتوا دعوت واحدا

الله ربى و احترزت جاهدا

فاستدل سعد بهذا، و بما سمع معه من غير القعقاع من الانتماء، و اتسع له الرجاء، فسمع عمرو بن معدى كرب يقول: أنا ابن أسلة، و طليحة يقول: أنا ابن ليلى، و سعد بن عمارة يقول: أنا ابن أروى، ثم سمع الانتساب من كل ناحية: خذها و أنا الغلام الجرمى من النخع، خذها و أنا الغلام المالكى من بنى أسد، خذها و أنا الغلام الأسعدى من عجل، فأصبحوا و الناس على مواقفهم متحاجزين، فصلى المسلمون الغداة و فضوا من شأنهم.

خبر اليوم الرابع من أيام القادسية

و هذا أ هو آخر أيامها، و يسمى من بينها: يوم القادسية، و فيه قتل الله رستم، و أتم الفتح للمسلمين.

قالوا «۱»: و أصبح الناس ذلك اليوم حسرى، لم يغمضوا ليلتهم كلها، فسار القعقاع

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۶۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۸۹

فى الناس، فقال: إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ اليوم، فاصبروا و احملوا، فإن النصر مع الصبر. فاجتمع إليه هلال بن علفة، و مالك بن ربيعة، و الكلج الضبى، و ضرار بن الخطاب، و ابن الهذيل، و غالب، و طليحة، و عاصم بن عمرو بن ذى البردين، و أمثالهم ممن اختصر ذكره، و معهم عشائرهم. ثم صمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح.

و لما رأت ذلك القبائل قام فيهم رجال منهم، فقالوا: لا يكونن هؤلاء أجد فى أمر الله تعالى، منكم، و لا أسخى نفسا عن الدنيا، تنافسوها. فحملوا مما يليهم حتى خالطوا الذين بإزائهم.

و قام فى ربيعة عتيبة بن النهاس، و فرات بن حيان، و المعنى بن حارثة، و سعيد بن مرة، فى أمثالهم، فقالوا: أنتم أعلم الناس بفارس و أجرؤهم عليهم فيما مضى، فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم.

و اقتتل الناس إلى أن انفرج قلب المشركين حين قام قائم الظهيرة، و قد ركد عليهم النقع، و اشتد الحر، و سقفتهم الشمس، فهبت ريح عاصف، فقلعت طيارة رستم عن سريره، فهوت فى العتيق، فانتهى القعقاع و أصحابه إلى السرير فعثروا به، و قد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قدمت عليه يومئذ بمال فهى واقفة، فاستظل فى ظل بغل منها و حمله، و ضرب هلال بن علفة العدل الذى على البغل الذى رستم تحته، فقطع حباله، فوقع عليه أحد العدلين، و لا يراه هلال و لا يشعر به، فأزال من ظهره فقارا، و يضربه ضربة فنفحت مسكا، و مضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، فاقتحمه عليه هلال، فتناوله و قد عام، فأخرجه ثم ضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم جاء به فرمى به بين أرجل البغال، و صعد السرير، ثم نادى: قتلت رستما و رب الكعبة، إلىّ إلىّ، فأطافوا به ما يحسون السرير و ما يرونه، و كبروا و تنادوا، و انبت قلب المشركون عندها و انهزموا، و قام الجالينوس على الردم، و نادى أهل فارس إلى العبور، و انسفى الغبار، فأما المقترنون فإنهم خشعوا فتهافتوا فى العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر، و هم ثلاثون ألفا.

و أخذ ضرار بن الخطاب «درفش كابيان»، راية كسرى، فعوض عنها ثلاثين ألفا، و كانت قيمتها ألف ألف و مائتى ألف، و قتلوا فى المعركة من الليل، يعنى ليلة الهرير، عشرة آلاف سوى من قتلوا فى تلك الثلاثة الأيام.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۰

و أكب المسلمون على من ثبت لهم و على من سفل منهم عن الردم و من ارتفع عنه فقتلوا منهم ستين ألفا، فقتلوا يوم القادسية مائة ألف سوى من قتلوا فى الأيام قبله.

قالوا: فلما انكشف أهل فارس، فلم يبق منهم بين الخندق و العتيق أحد، و طبقت القتلى ما بين قديس و العتيق أمر سعد زهرة بن جوية باتباعهم، فنادى زهرة فى المقدمات و ساروا، و أمر سعد القعقاع بمن سفل، و شرحبيل بمن علا، و أمر خالد بن عرفطة بسلب القتلى و بدفن الشهداء ليلة الهرير و يوم القادسية، ألفين و خمسمائة، و قيل: ثلاثة آلاف، من وراء العتيق بحيال مشرق، و دفن شهداء الأيام الثلاثة قبل ذلك على مشرق، و يقال:

كانوا ألفين و خمسمائة، و جمعت الأسلاب و الأموال، فجمع منها شىء لم يجمع قبله و لا بعده، و أرسل سعد إلى هلال بن علفة فدعا له، فقال: أين صاحبك؟ يعنى رستما. قال:

رميت به تحت بغل، فقال: اذهب فجئ به، فذهب فجاء به. فقال له سعد: جرده إلا ما شئت، فخذ سلبه، فلم يدع عليه شيئا، و يقال: إنه

باع الذى سلبه بسبعين ألفا، و كان قد تخفف حين وقع فى الماء، و لم توجد قلنسوته، و كانت قيمتها مائة ألف.

و جاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد، فرأوا رستما ببابه مطروحا، فقالوا: أيها الأمير، رأينا جسد رستم على باب قصرك و عليه رأس غيره، و كأن الضرب قد شوهه، فضحك سعد، و خرج زهرة فى آثار أهل فارس، فانتهى إلى الردم و قد تبعوه ليمنعوهم به من الطلب، فقال زهرة لبكير بن عبد الله الليثى، و هو الذى يقال له فارس أطلال، و هو اسم فرس له كان يعرف بها: يا بكير، أقدم، و كان يقاتل على الإناث، فضرب فرسه، و قال: ثبى أطلال، فتجمعت و قالت: وثبا و سورة البقرة ثم و ثبت و وثب زهرة، و كان على حصان، و تتابع ذلك ثلاثمائة فارس، فلحق زهرة بالقوم و الجالينوس فى آخرهم يحميهم، فشاوله زهرة، فاختلفا ضربتين، فقتله زهرة، و أخذ سلبه، و قتل أولئك الفرار ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف، و رجع زهرة فى أصحابه حين أمسوا، فباتوا بالقادسية، و لما رجع القعقاع و شرحبيل إلى سعد، قال لشرحبيل: اغد فى طلب القعقاع، و قال للقعقاع: اغد فى طلب شرحبيل فعلا هذا، و سفل هذا، حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية.

قال الشعبى: خرج القعقاع و أخوه و شرحبيل فى طلب من ارتفع و سفل، فقتلوهم فى كل قرية و أجمة و شاطئ نهر، و رجعوا، فوافوا صلاة الظهر، و هنأ الناس أميرهم، و أثنى على كل حى خيرا، و ذكره منهم.

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۱

و قال فى ذلك هلال بن علفة:

جدعت أنوف العجم يوم لقيتهمبرستم و الجمعان فى أشغل الشغل

فضضت به رض الصفوف فقوضتصفوفهم و الحرب جاحمة تغلى و قال الشماخ فى قصيدة يرثى بكير بن عبد الله، فارس أطلال، و يذكر ما كان من فرسه فى و ثبتها المذكورة قبل:

و غيب عن خيل بموقان أسلمتبكير بنى الشدّاخ فارس أطلال

غداة اقتحام القوم من بعد نطقهاو حلفتها عرض العتيق بإدلال و لما قتل زهرة الجالينوس و أخذ سلبه، جاء به إلى سعد، فعرفه الأسارى الذين كانوا عند سعد، و قالوا: هذا سلب الجالينوس، و كان سيدا من ساداتهم، و عظيما من عظمائهم، فقال سعد لزهرة: هل أعانك عليه أحد؟ قال: نعم. قال: من؟ قال: الله عز و جل. فنفله إياه.

و قيل: إنما جاء بالسلب و قد لبسه، فانتزعه منه سعد، و قال: ألا انتظرت إذنى، و كتب فيه إلى عمر، رضى الله عنه، فكتب إليه عمر: أن يمضى لزهرة ذلك السلب، و عاتب سعدا فى كتابه، و قال له: تعمد إلى مثل زهرة و قد صلى بما صلى به و بقى عليك ما بقى من حربك، تكسر قرنه و تفسد قلبه.

و يروى أن سعدا استكثر له السلب، فكتب فيه إلى عمر، فكتب إليه: إنى قد نفلت من قتل رجلا سلبه، فدفعه إليه سعد، فباعه بسبعين ألفا.

و قال زهرة فى قتل الجالينوس:

تبعنا جيوش الجالينوس و قد رأىبعينيه أمرا ذا إياس منكرا

لحقنا به نرمى الكرانيف سادراو يعجب إذ خلى الجموح و شمرا

فوليته لما التقينا مصمماأراه محيا الموت أحمر أصفرا و قال سيف «۱» عن رجاله: ثبت بعد الهزيمة بضع و ثلاثون كتيبة، استحيوا من الفرار، فصمد لهم بضعة و ثلاثون من رؤساء المسلمين، لكل كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين فأباد الله تلك الكتائب يومئذ.

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۶۹، ۵۷۰).

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۲

و قال سعيد بن المرزبان «۱»: أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم، قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه، و حتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به، و حتى إنه ليأمر أحد الرجلين منهم بقتل صاحبه.

و قال بعض من شهدها: أبصر سلمان بن ربيعة الباهلى أناسا من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها و جلسوا تحتها، و قالوا: لا نبرح حتى نموت، فحمل عليهم فقتلهم و سلبهم، و كان سلمان فارس الناس يوم القادسية، و أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت، و كذلك أخوه عبد الرحمن بن ربيعة، ذو النور، مال على آخرين قد تكتبوا و نصبوا للمسلمين، فطحنهم بخيله.

و قال الشعبى: كان يقال لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور.

و قال بعض بنى معرض: ما رأينا مثل أهل القادسية، هزمناهم فاتبعناهم و هم على خيولهم كأنها فى طين، و نحن على أرجلنا كأنا ظباء، و لقد أدركنا رجلا يعدو به فرسه فصحنا به، فلم يتحرك، فأخذناه أسيرا.

قال أبو وائل، و شهدها: لقد سمعت الفرس يقولون ما تقطع سيوفنا الشعر، و لقد نزع منا النصر.

و قال الأسود النخعى «۲»: شهدت القادسية، فلقد رأيت غلاما منا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلا من أبناء الأحرار، و أتى رجل سعدا فقال: تجعل لى ثلث ما أجيئك به؟ قال: نعم. فأتاه بأساورة قد أسرهم، فقال له سعد: كيف أخذت هؤلاء وحدك؟

قال: صحت بهم و هم منهزمون فوقفوا لم يمتنع منهم أحد، فجعل سعد يتعجب.

و كان سعد أجرأ الناس و أشجعهم، إنه نزل قصرا غير حصين يشرف منه على الناس و يرى قتالهم، و صف المسلمين إلى أصل حائط القصر، و لو أعراه الصف فواق ناقة أخذوا برمته. فو الله ما كربه هول تلك الأيام، و لا ـ أغلقه. و دخل إليه فى اليوم الرابع رجل من بجيلة فقال: أبا إسحاق إن الناس قد جبنوك و قالوا: لم يمنعك من الخروج الوجع، قال: ما أخاف ذلك على نفسى، أو ما ترى ما بى، و سأخرج، و كان به حبون و دماميل لا يستطيع أن يقر لها إلا مكبا على صدره، فركب فرسا فانتهى إلى باب القصر

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۶۹).

(۲) انظر: الطبرى (۳/ ۵۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۳

و قد تبوأ فيه حمام، فطرن فنفر الفرس فشب، فانفجر ما كان من قروحه و خرج، فوقف و حض المسلمون و قال: لا ـ تكون هذه الأعاجم أصبر على المقارعة منكم، و اعلموا أن القوم ملوا إن كنتم مللتم، فنشط الناس.

و فى حديث غير هذا أن جريرا البجلى قال فى ذلك اليوم:

أنا جرير كنيتى أبو عمروقد نصر الله و سعد فى القصر و قال رجل من المسلمين، أيضا:

نقاتل حتى أنزل الله نصره‌و سعد بباب القادسية معصم

فأبنا و قد أمت نساء كثيرةو نسوة سعد ليس فيهم أيم فلما بلغ ذلك من قولهما سعدا خرج إلى الناس فاعتذر إليهم و أراهم ما به من القروح فى فخذيه، فعذره الناس، و قال سعد يجيب جريرا من أبيات:

و ما أرجو بجيلة غير أنى‌أؤمل أجرهم يوم الحساب و فى حديث يروى عن قيس بن أبى حازم «۱»، و كان شهد تلك الحرب أن الفرس لما انهزموا لحقوا بدير قرة و ما وراءه، و نهض سعد بالمسلمين حين نزل بدير قرة على من هناك من الفرس، و قدم عليه بالدير عياض بن غنم فى ألف رجل من الشام مددا لهم، فأسهم لهم سعد مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسية، ثم إن الفرس هربت من دير قرة إلى المدائن يريدون نهاوند، و احتملوا معهم الذهب و الفضة و الديباج و الفرند و الحرير و السلاح و ثياب كسرى، و خلوا ما سوى ذلك، و أتبعهم سعد الطلب، فبعث خالد بن عرفطة و وجه معه عياض بن غنم فى أصحابه، و جعل على مقدمة الناس هاشم بن

عتبة، و على ميمنتهم جرير بن عبد الله و على الميسرة زهرة بن جوية، و تخلف سعد لما به من الوجع.

فلما أفاق من وجعه أتبع الناس بمن بقى معه من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة، فلما وضعوا على دلجة العسكر و الأثقال طلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها، حتى أتى سعدا علج من أهل المدائن فقال: أدلكم على طريق تدركونهم قبل أن يمنعوا، فخرج بهم على مخاضة بقطربل، فكان أول من خاضها هاشم، و أتبعه خيله، ثم جاز خالد بن عرفطة بخيله و تتابع الناس فخاضوا حتى جاوزوا، فزعموا أنه لم يتهد لتلك المخاضة بعد، ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم ساباط، فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو، فتردد الناس

---

(۱) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۷۱۶۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۴

و جبنوا عنه، فكان أول من دخله بجيشه هاشم، فلما جاز ألاح للناس بسيفه، فعرف الناس أن ليس به شىء يخافونه، فأجاز بهم خالد بن عرفطة، ثم لحق سعد بالناس حين انتهوا إلى جلولاء و بها جماعة من الفرس، فكانت وقعة جلولاء بها، فهزم الله الفرس و أصاب المسلمون بها أفضل مما أصابوا بالقادسية، و أصيبت ابنة لكسرى، يقال لها:

منجانة، و يقال: ابنة ابنه، و قال شاعر من المسلمين:

يا رب مهر حسن مطهميحمل أثقال الغلام المسلم

ينجو إلى الرحمن من جهنميوم جلولاء و يوم رستم

و يوم زحف الكوفة المقدمو يوم لا فى حتفة مهزم

و خر دين الكافرين للفم

و فى كتاب المدائنى عن أبى وائل قال: هزمناهم، يعنى يوم القادسية، حتى انتهوا إلى الفرات فقاتلونا عليه، فهزمناهم حتى انتهوا إلى الصراة فقاتلونا عليها، فهزمناهم حتى انتهوا إلى المدائن فدخلوها و نزل المسلمون دير السباع، فجعلنا نغاديهم فنقاتلهم، فقال المسلمون: هؤلاء فى البيوت و نحن فى الصحراء، اعبروا إليهم فعبرنا إليهم فحصرناهم فى الجانب الشرقى حتى أكلوا الكلاب و السنانير، فخرجوا على حامية معهم الأثقال و العيال حتى نزلوا جلولاء الوقيعة، و تبعناهم فقاتلوا بها قتالا شديدا عن العيال و الذرارى، فجال المسلمون جولة فناداهم سعد: يا معشر المسلمين، أين أين أ ما رأيتم ما خلفكم؟ أ تأتون عمر منهزمين فعطفوا، و هزم الله المشركين، و سميت جلولاء الوقيعة فتح الفتوح، و سيأتى ذكر فتح جلولاء و المدائن على التمام بعد انقضاء بقايا الأخبار عن شأن القادسية و مغانمها إن شاء الله تعالى.

قال الشعبى: بلغ الفىء بالقادسية ستمائة ألف ألف، و كان خمسها عشرين و مائة ألف ألف، و كان الملك يزدجرد بن كسرى قد حمل نصف الأموال إلى أهل فارس بالقادسية ليتوردوا بها بلاد العرب، و ليغزوا عمر، رضى الله عنه، فى داره و قراره، فعل مقتدر مغرور، و أمر الجنود أن يحضروا الحرب بأموالهم، و أن يختلفوا ليكون أجد لهم فى الامتناع و المخاطرة لدنياهم، فاجتمعت معهم من الأموال و الزين و الشارات على قدر أحسابهم ما لا يحصى، و كان سبب ذلك ما قضى الله عز و جل، للمسلمين، فساقه إليهم، و كان يزدجرد قد استبقى النصف من الأموال و أقره فى بيت المال على حاله، فأفاءه الله على المسلمين يوم المدائن.

و ذكر المدائنى أن المسور بن مخرمة أصاب يوم القادسية إبريق ذهب عليه ياقوت،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۵

فقال له بعض الفرس: آخذه منك بعشرة آلاف، فأبى و أتى به سعدا، فباعه بمائة ألف.

و قال مخنف بن سليم: إنى لفى طلب المشركين يومئذ إذ لحقت رجلين أحدهما على فرس و الآخر على بغل، ثم ذكر حديثا انتهى فيه إلى أن فاته صاحب الفرس و لحق بصاحب البغل فأخذه، قال: و أنا أريد أن آتى به سعدا و ما من رأى أن أنظر إليه، فجاء مولى

لى و أنا أصلى فحط الثقل و استخرج سفطا فنظر إليه و قال لى: أ تدرى ما معك؟

قلت: لا، قال: بعض كنوز كسرى، فنظرت فإذا ناقة ذهب عليها رجل ذهب و بطان ذهب و زمام ذهب، و إذا ذلك كله مكلل بالجوهر عليه مثال رجل من فضة، فأتيت بها سعدا، فقال: أبشر لأفضل منه من ثواب الله، و ولانى مغانم القادسية، و معى غيرى، فجاء رجل بسفط آخر فألقاه فى المغانم، و قال: أما و الله لو لا خوف الله ما أديته، فإذا الذى جئت به لا يقارب ما جاء به الرجل، فقلت: من أنت؟ قال: و الله ما أخبرك لتحمدنى أنت و لا أحد من الناس، و أصاب الناس رثة و متاعا كبيرا.

و قال طلحة بن مصرف: أمروا مما جدوا من الطيب للنساء ببعضه، فأصاب كل امرأة مع الناس ثلاثة و ثلاثون مثقالا من عنبر، و مثلها من مسك، و أشرك صبيان الذين استشهدوا فى ذلك، فأما الكافور فلم يعبئوا به شيئا، و بعضهم استبدل منه بالملح كيلا بكيل، و أصاب الرجل من المسلمين خمسة آلاف و نيف من سهمه، و صير الله، عز و جل، العدة و الأداة إلى المسلمين، فلم يبق أحد إلا أردى، و ركب، و فضل عنهم حتى جنبوا الجنائب.

و ذكر سيف عن رجاله قالوا: و قسم سعد الفىء بالقادسية على تسعة و ثلاثين ألفا أو يزيدون، و كان من شهدها أكثر من تسعة و ثلاثين ألفا و أقل من الأربعين، فأصيب منهم خمسة آلاف و مائتان، و قيل و خمسمائة، ثم لحق فى الأيام الثلاثة بعد الوقعة عدد من استشهد فقسم الفىء على تلك العدة التى هى أقل من أربعين ألفا. قالوا: و أعطى الناس المتاع بالقيمة فى سهم الرجل.

قال إبراهيم بن يزيد: كانوا ليقومون الشىء الثمين بالشىء اليسير.

و قال الشعبى: لم يقسم يومئذ لأكثر من فرسين، و لا يقسم لأكثر منهما، قالوا: فبلغ سهم الفرسين و صاحبهما سبعة و عشرين ألفا، للرجل خمس ذلك و للفرسين سائر ذلك، و للفرس الواحد بحساب ذلك عشرة آلاف و نيف، و سهم الرجل الواحد خمسة آلاف و نيف، و سهم الرجل الفارس ذى الفرس الواحد خمسة عشر ألفا و نيف، و كان القاسم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۶

بين الناس و المميز للخيل و الذى يلى الأقباض سلمان بن ربيعة الباهلى.

قال المدائنى: فجاء عمرو بن معدى كرب بفرسين يقودهما، فقال سلمان لأحد الفرسين: هذا هجين، فقال عمرو: الهجين يعرف الهجين، فأغلظ له سعد عند ذلك و هدده. فقال عمرو:

إذا قتلنا و لا يبكى لنا أحدقالت قريش ألا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نهلو لا سوية إذ تعطى الدنانير

و نح فى الصف قد تدمى حواجبنانعطى السوية مما أخلص الكير قالوا «۱»: و كتب سعد بالفتح إلى عمر، رحمه الله، و بعدة من أصيب من المسلمين جملة، و سمى له منهم من كان عمر يعرفه، و كان كتابه إليه:

أما بعد، فإن الله، عز و جل، نصرنا على أهل فارس، و منحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل و زلزال شديد، و قد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهوها فلم ينفعهم الله بذلك، بل سلبهموه و نفله عنهم إلى المسلمين، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم على الأنهار و على صفوف الآجام و فى الفجاج، و أصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ، و فلان و فلان، و رجال من المسلمين لا تعلمهم، الله بهم عالم، كانوا إذا جن عليهم الليل يدوون بالقرآن دوى النحل، و هم آساد من الناس لا تشبههم الأسود، و لم يفضل من مضى منهم على من بقى إلا بفضل الشهادة، إذ لم تكتب لهم.

و لما أتى عمر الكتاب بالفتح قام فى الناس فقرأه عليهم، و كان رضى الله عنه، لما أتاه الخبر بنزول رستم القادسية يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى بيته، فلما لقيه البشير سأله من أين جاء، فأخبره، فقال: يا عبد الله، حدثنى، قال: هزم الله العدو، و عمر، رضى الله عنه، يخب معه و يستخبره، و الآخر يسير على ناقته و هو لا يعرفه حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، فقال الرجل: فهلا أخبرتنى، رحمك الله، أنك أمير المؤمنين و جعل عمر يقول له: لا عليك يا

أخى.

و قال عمر للناس عند ما قرئ عليهم الفتح: إنى حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا حتى نستوى فى الكفاف، إنى

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۸۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۷

و الله ما أنا بملك فأستعبدكم، و لكنى عبد الله عرض علىّ الأمانة، فإن أبيتها و رددتها عليكم و أتبعتكم حتى تشبعوا و ترووا فى بيوتكم سعدت، و إن أنا حملتها و استتبعتكم إلى بيتى شقيت، ففرحت قليلا و حزنت طويلا، و بقيت لا أقال و لا أرد فأستعتب.

و كتب سعد، أيضا، إلى عمر فى ثلاثة أصناف من المسلمين اجتمعوا إليه يسأله عنهم، عمن أسلم بعد ما فتح الله تعالى، عليهم ممن كان له عهد و معونة، و عمن أعتق الجند من رقيقهم بعد الفتح، و عمن جاء بعد ما فتح الله عليهم و أخبره أنه ممسك عن القسم حتى تأتيه رأيه.

قالوا: و كانت طائفة من الديلم و رؤساء أهل المسالح قد استجابوا للمسلمين و اختاروا عهودهم على عهد فارس، و قاتلوا مع المسلمين على غير الإسلام، و كانوا حشوة فيمن أسلم منهم، فلما فتح الله تعالى على المسلمين قال أولئك الذين لم يكونوا أسلموا:

إخواننا الذين سبقونا دخلوا فى هذا الأمر من أول الشأن خير و أصوب رأيا، و الله لا يفلح أهل فارس بعد رستم إلا من دخل فى هذا الأمر منهم، فأسلموا، فهم الصنف الأول من الذين سأل عنهم سعد عمر، رضى الله عنهما، قالوا: و تتابع أهل العراق من أصحاب الأيام الذين شهدوا اليرموك و دمشق و رجعوا ممدين لأهل القادسية، فتوافوا بها من الغد و من بعد الغد جاء أولهم يوم أغواث و آخرهم من بعد الغد من يوم الفتح، و قدمت أمداد فيها و همدان و من أبناء الناس، فهذا الصنف الثانى ممن كتب فيهم سعد.

و أقام المسلمون فى انتظار أمر عمر، رضى الله عنه، يقومون أقباضهم، و يحزرون جندهم و يرمون أمورهم و يجددون حربهم، حتى جاءهم جواب عمر:

أما بعد، فالغنيمة لمن شهد الوقعة، و المواساة لمن أغاث فى ثلاث بعد الوقعة، فأشركوهم و من أعانكم فى حربكم من أهل عهدكم، ثم أسلم بعد الحرب فى ثلاث، و من شهد حربكم من مملوك ثم عتق فى ثلاث بعدها فأشركوا هؤلاء الأصناف الثلاثة فيما أفاء الله عليكم.

و كانوا كتبوا إليه، أيضا، يسألونه عمن احتلم بعد الوقعة ممن شهدها، فأجابهم عن ذلك:

أما بعد فمن أدرك الحلم ممن شهد الوقعة فى ثلاث بعدها فأشركوهم و ألحقوهم، و أقسموا لهم و لمن لحق فى ثلاث أو أسلم فى ثلاث، فإن الله لن يزيدكم بذلك إلا فضلا، و ليست فى الفيوء أسوة بعد الخمس إلا لهؤلاء الطبقات.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۸

و كتبوا إلى عمر، أيضا، أن أقواما من أهل السواد ادعوا عهودا، و لم يقم على عهد الأيام لنا و لم يف به أحد علمناه إلا أهل بانقيا و بسما و أهل أ ليس الأخيرة، و ادعى سائر أهل السواد أن فارس أكرهوهم و حشروهم، فلم يخالفوا إلينا، و لم يذهبوا فى الأرض.

و كتبوا إليه، أيضا، فى كتاب آخر: أن أهل السواد جلوا، فجاءنا من تمسك بعهده و لم يجلب علينا، فتممنا لهم على ما كان بين المسلمين و بينهم قبلنا، و زعموا أن أهل الأرض قد لحقوا بالمدائن، فأحدث إلينا فيمن أقام و فيمن جلا و فيمن ادعى أنه استكره و حشر فهرب و لم يقاتل، أو استسلم، فإنا بأرض رغيبة، و الأرض خلاء من أهلها، و عددنا قليل، و قد كثر أهل صلحنا، و إن أعمر لها و أوهن لعدونا تألفهم.

فلما انتهى ما كتبوا به إلى عمر، رضى الله عنه، قام فى الناس فقال: إنه من يعمل بالهوى و المعصية يسقط حظه و لا يضر إلا نفسه، و

من يتبع السنة و ينته إلى الشرائع و يلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل طاعته أصاب أمره و ظفر بحظه، و ذلك أن الله عز و جل يقول: وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً [الكهف: ۴۹]، و قد ظهر الأيام و القوادس بما يليهم، و جلا أهله، و أتاهم من أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره و حشر، و فيمن لم يدع ذلك و لم يقم و جلا، و فيمن أقام و لم يدع شيئا، و لم يجل، و فيمن استسلم.

فأجمعوا على أن الوفاء لمن أقام و كف، و أن من ادعى و صدق بمنزلتهم، و من كذب نبذ إليهم و أعادوا صلحهم، و أن يجعل أمر من جلا إلى المسلمين، فإن شاءوا و ادعوهم و كانوا لهم ذمة، و إن شاءوا أتموا على منعهم من أرضهم، و لم يعطوهم إلا القتال، و أن يخيروا من أقام و استسلم بين الجزاء و الجلاء، و كذلك الفلاح.

فكتب عند ذلك عمر، رضى الله عنه، جوابا عما كتبوا إليه فى ذلك.

أما بعد، فإن الله عز و جل أنزل فى كل شىء رخصة فى بعض الحالات إلا فى أمرين: العدل فى السيرة، و الذكر. فأما الذكر فلا رخصة فيه فى حالة، و لم يرض منه إلا بالكثير، و أما العدل فلا رخصة فيه فى قريب و لا بعيد، و لا فى شدة و لا رخاء، و العدل و إن رئى لنا، فهو أقوى و أطفأ للجور، و أقمع للباطل من الجور، و إن رئى شديدا فهو أنكس للكفر، فمن تم على عهده من أهل السواد و لم يعن عليكم بشىء فله الذمة و عليهم الجزية، و أما من ادعى أنه استكره ممن لم يخالفهم أو يذهب فى الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاءوا، و إن لم تشاءوا فانبذوا إليهم، و أبلغوهم

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۴۹۹

مأمنهم، و من أقام و لم يجل و ليس له عهد فلهم ما لأهل الذمة بمقامهم لكم و كفهم عنكم إجابة، و الفلاحون إذا فعلوا ذلك، و كل من ادعى شيئا فصدق فلهم الذمة. و إن كذبوا نبذ إليهم، و أما من أعان و جلا فذلك أمر جعله الله إليكم، فإن شئتم فادعوهم إلى أن يقوموا لكم فى أرضكم، و لهم الذمة و عليهم الجزية، فإن كرهوا ذلك فاقتسموا ما أفاء الله عليكم منهم.

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك و المسلمين عرضوا على من يليهم ممن جلا و تنحى من أهل السواد أن يتراجعوا، و لهم الذمة و عليهم الجزية، و تراجعوا و صاروا ذمة كمن تم و لزم عهده إلاـ أن خراجهم أثقل، و أنزلوا من ادعى الاستكراه و هرب منزلتهم، و عقدوا لهم، و أنزلوا من أقام منزلة ذى العهد، و كذلك الفلاحون، و لم يدخل فى الصلح ما كان لآل كسرى، و لا ما كان لمن خرج معهم، و لم يجب إلى الإسلام و لا إلى الجزية.

فصارت فيئا لمن أفاء الله عليه كالصوافى فى الأول، و سائر السواد لهم ذمة، و أخذوهم بخراج كسرى، و كان على رءوس الرجال و ما بأيديهم من الحصة و الأموال، و كان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى و من صوب معهم و عيالهم و عيال من قاتل معهم و ماله، و ما كان لبيوت النيران و الآجام و مستنقع المياه، و ما كان للسكك، فلم يتأت قسم ذلك الفىء الذى كان لآل كسرى و من صوب معهم؛ لأنه كان متفرقا فى كل السواد، فكان يليه لأهل الفىء من وثقوا به و تراضوا عليه.

قالوا: و أدلى جرير و بجيلة يوم القادسية بمثل ما كان عمر جعل لهم من ربع الخمس مما أفاء الله يوم البويب، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فاجابه: قد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين، إنى إنما كنت جعلت لهم ربع الخمس مما أفاء الله على المثنى حين أمددته بهم فى وجههم ذلك إلى البويب نفلا، فقد أخذوه أيام البويب، ثم لم يمضوا و لكن رجعوا إلى أرض العرب، فعنفهم بما ادعوا مما ليس لهم و لا لى و قل لهم: و الله و لو لا أنى قاسم مسئول لبلغت منكم.

فلما بلغ الكتاب سعدا أمر جريرا بجمع بجيلة، فجمعهم له، فقرأ عليهم سعد الكتاب، فقال جرير: صدق و الله عمر و أسأنا، و تتابع على ذلك قومه إلا امرأة يقال لها: أم كرز، فإنها قالت: كذبت و الله يا جرير، و جعل جرير يقول لها: حلا يا أم كرز، فتعود له بالتكذيب، فلا يزيد على أن يقول: حلا يا أم كرز.

و خالف المدائنى ما ذكره سيف فى قصة جرير و قومه، و قال: إن سعدا لما جمع الغنائم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۰

و عزل الخمس، و أراد قسمة الباقی، قال له جریر: إن أمیر المؤمنین جعل لنا الربع، و قال بعضهم: الثلث بعد الخمس من کل شیء، فبعث سعد بالخمس إلی عمر، و کتب إلیه بقول جریر، فقال عمر: صدق جریر، قد جعلت له و لقومه ما قال من السواد، فخیروهم، فإن شاءوا أعطوا و کان قتالهم للجعالة، و إن شاءوا فلهم سهم المسلمین و قتالهم، فخیرهم سعد فاختاروا سهام المسلمین. فالله أعلم أی ذلک کان.

و ذکر المدائنی، أیضا، أنه کان فیمن قدم علی عمر مع الخمس الأسدی الذی طعن الفیل فضربه سائسه علی وجهه فهشم وجهه، فقال له عمر: من أنت؟ و ما هذه؟ یعنی الضربة التی فی وجهه، قال: أصابنی قدر من قدر الله، فأخبر القوم عمر خبره، فعانقه عمر و قال: أبشر فهی نور لک یوم القیامة، فهل لک من حاجة؟ قال: تکتب إلی سعد یعطینی محتلما و فرسی، فکتب إلی سعد: أعطه محتلمین، ففعل ذلک سعد.

قال الشعبی: و أمر عمر، رضی الله عنه، فی الأعشار بخمسمائة فرس نفلا- من خیل فارس لتقسم فی أهل البلاء، فأصاب کل عشر خمسون فرسا، فأصاب النخع عشرون، و قیل: خمسة و عشرون، و أصاب سائرها، سائر مذحج.

قالوا: و کتب عمر، رحمه الله، إلی سعد: أنبئنی أی فارس کان یوم القادسیة أفرس، و أی راجل کان أرجل، و أی راکب کان أثبت. فکتب إلیه: إنی لم أر فارسا مثل القعقاع بن عمرو حمل فی یوم ثلاثین حملة، فقتل فی کل حملة کمیا، و لم أر راجلا مثل یعفور بن حسان الذهلی إنه جاء فی الیوم بخمسة فوارس، یختل الفارس منهم حتی یردفه، ثم یغلبه علی عنانه حتی یأتی به سلما، و لم أر راکبا مثل الحارث بن قرم البهزی، إنه جاء ببعیره یرفعه، ثم رکب الکرادیس ففرق بینها، فإذا نفر بالفارس انحط عنه فعانقه، ثم قتله، ثم یثب علی بعیره من قیام.

و کتب عمر إلی سعد، أیضا: أنبئنی من وجدت أصبر لیلة الهریر؟ فکتب إلیه: إن الحس سکن عنی، حتی إذا کان فی وجه الصبح سمعت انتماء فی مضر و انتماء فی ربیعة ثم انتسابا فی الیمن، فوجدت المنتمین من تمیم و أسد و قیس و المنتمین من بکر و حلفاؤها و المنتسبین فی أهل الیمن من مذحج و کندة.

و فی کتاب المدائنی أن عمر کتب إلی سعد یسأله: أی الناس کان أصبر بالقادسیة؟

فکتب إلیه سعد: إن الحرب رکدت لیلة، فلم أسمع إلا هماهم الرجال، و هریرهم، و وقع الحدید، فلما کان قبیل الفجر سمعت الانتماء من کل: أنا ابن معدی کرب، أنا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۱

الجذامیّ، أنا المالکی من أسد، أنا الأشعری، ثم صار الانتماء قصره فی جذیمة، فلما انجلت الحرب رأیت جماعة قتلی فی ربضة، فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: من جذیمة النخع، أصیبوا من آخر اللیل و هم ینتمون، فنفلهم عمر خمسة و عشرین فرسا، یعنی بنی جذیمة.

و حکی المدائنی عن الشعبی قال: کان السبی بالقادسیة و جلولاء مائة ألف رأس، و قد قیل: أقل من هذا، و قول الشعبی أکثر و أشهر.

و یروی أنه لما کان العطاء فضل من أهل البلاء بالقادسیة بخمسمائة خمسمائة فی أعطیاتهم خمسة و عشرون رجلا، منهم زهرة بن الجویة و عصمة الضبی و الکلح الضبی، و أما أهل البلاء قبلهم ففرض لهم العطاء علی ثلاثة آلاف، فضلوا علی أهل القادسیة.

و ذکر سیف بن عمر عن رجاله، قالوا: کانت العرب توقع وقعة العرب و أهل فارس فی القادسیة یرون أن ثبات ملکهم و زواله بها، و کانت فی کل بلدة مصیخة إلیها، تنظر ما یکون من أمرها، حتی أن کان الرجل لیرید الأمر فیقول: لا أنظر فیه حتی أری ما یکون من أمر القادسیة، فلما کانت وقعتها سارت بها الجن إلی ناس من الإنس فسبقت أخبار الإنس إلیهم، قالوا: فبرزت امرأة لیلا علی جبل بصنعاء، لا یدری من هی، و هی تقول:

حییت عنا عکرم ابنة خالدو ما خیر زاد بالقلیل المصرد

و حیتک عنی الشمس عند طلوعهاو حیاک عنی کل ناج مفرد

و حیتک عنی عصبة حنفیةحسان الوجوه آمنوا بمحمد

أقاموا لکسری یضربون جنودهبکل رقیق الشفرتین مهند و سمع أهل الیمامة مجتازا یغنی بهذه الأبیات:

وجدنا الأکثرین بنی تمیمغداة الروع أصبرهم رجالا

هم ساروا بأرعن مکفهرإلی لجب یوازنهم رعالا

بحور للأکاسر من رجال کأسد الغاب تحسبهم جبالا

هم ترکوا بقادس عز فخرو بالنجفین أیاما طوالا

مقطعة أکفهم و سوقبمردی حیث قابلت الجبالا و سمع أهل البحرین راکبا یقول:

ألا حییا أفناء بکر بن وائلفقد ترکوا جمع الأعاجم واجما

هم صدقوا یوم القوادس فارسابأسیافهم ضربا یبل القوائما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۲ أناخوا لهم فی عرصة الدار و انتمواإلی باذخ یعلو الذری و الجماجما و سمع سامع بعمان قائلا:

ألا إن عبد القیس کانوا بأسرهمغداة قدیس کالأسود الشداقم

و إذا هم من تغلب ابنة وائل کتائب تردی بالقنا و القوائم

هم فرقوا جمع الأعاجم و ابتنواقرارهم بالمقربات السواهم

فقولا لعبد الله أهلا و مرحباو تغلب إذ فضوا هوادی الأعاجم

و أشقوا رءوس العجم بالبیض و انتموالأکرم أنساب العریب الأکارم و ذکر الرواة أنهم سمعوا نحو هذا بالمدینة و مکة و نجران، و أنشدوا ما سمع فی کل موضع منها، ترکت ذکر ذلک اختصارا.

و مما قیل أیضا فی فتح القادسیة من الشعر الذی لم یزل العلماء قدیما یروونه، قول بشر بن ربیعة الخثعمی:

تذکر هداک الله وقع سیوفنابباب قدیس و المکر ضریر

عشیة ود القوم لو أن بعضهمیعار جناحی طائر فیطیر

إذا ما فرغنا من قراع کتیبةبرزنا لأخری کالجبال تسیر

تری القوم منها واجمین کأنهمجمال بأحمال لهن زفیر

و عند أبی حفص عطاء لراحلو عند المعنی فضة و حریر و قال القعقاع بن عمرو یذکر شدة ذلک الیوم و ما لقیت الفیول فیه و تأثیره فیها:

حضض قومی مضر حی بن یعمرفلله قومی حین هزوا العوالیا

و ما خام عنها یوم سادت جموعنالأهل قدیس یمنعون الموالیا

فإن کنت قاتلت العدو بنیةفإنی لألقی فی الحروب الدواهیا

فیولا أراها کالبیوت مغیرةأسمل أعیانا لها و مآقیا و قال حمال الأسدی فی مثل ذلک:

ألا هل أتاها یوم أعماس أننیأمارس آسادا لها و فیولا

أمارس فیلا مثل کعبة أبهرتری دونه رجراجة و خیولا

طعنت برمحی عینه فرددتهیرشح بولا خشیة و جفولا و قال الشماخ بن ضرار:

و یوم بجو القادسیة إذ سموافعجت بقصاب من الهند نافح

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۳ أجالدهم و الحی حولی کأنهمرجال تلاقوا بینهم بالسوافح

و إنی لمن قوم علی أن ذممتهمإذا أولموا لم یولموا بالأنافح

و أنک من قوم تحن نساؤهمإلی الجانب الأقصی حنین المنائح و قال أیضا:

فلیت أبا حفص رآنا و وقعنابباب قدیس بعد ما عدل الصف

حملنا علی الآساد آساد فارس کحملة هرماس یحربه الصرف و قال عاصم بن عمرو:

شاب المفارق و الأعراض فالتمعتمن وقعة بقدیس جرها العجم

جاب الکتائب و الأوزاع و انشمرتمن صکة دیانها الحکم

بینا بجیلة قد کدت سراتهمسالت علیهم بأیدی الناصر العصم

سرنا إلیهم کأنا عارض بردتزجی توالیه الأرواح و الدیم

کان العتیق لهم مثوی و معرکةفیها الفرائض و الأوصال و اللمم و قال أبو بجید، نافع بن الأسود یمدح قومه، و یذکرهم أثرهم فی الجاهلیة و الإسلام:

و قال القضاة من معد و غیرهاتمیمک أکفاء الملوک الأعاظم

هم أهل عز ثابت و أرومةو هم من معد فی الذری و الغلاصم

و هم یضمنون المال للجار ما ثویو هم یطعمون الدهر ضربة لازم

سدیف الذری من کل کوماء بازلمقیما لمن یعفوهم غیر جارم

فکیف تناحیها الأعاجم بعد ماعلوا لجسیم المجد أهل المواسم

و بذل الندی للسائلین إذا اعتفواو کب المتالی فی السنین الأوازم

و مدهم الأیدی إلی غایة العلیإذا أقصرت عنها أکف الألائم

و إرسالهم فی النائبات تلادهملفک العناة أو لکشف المغارم

وقودهم الخیل العتاق إلی العدیضواری تردی فی لجاج المخارم

مجنبة تشکو النسور من الوجییعاندن أعناق المطی الرواسم

لتنفض و ترا أو لتحوی مغنماکذلک قدماهم حماة المغانم

و کائن أصابوا من غنیمة قاهرحدائق من نخل بقران ناعم

و کان لهذا الحی منهم غنیمةکما أحرزوا المرباع عند المقاسم

کذلک کان الله شرف قومنابها فی الزمان الأول المتقادم

و حین أتی الإسلام کانوا أئمةو قادوا معدّا کلها بالخزائم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۴إلی هجرة کانت سناء و رفعةلباقیهم فیهم و خیر مراغم

إذا الریف لم ینزل عریف بصحبهو إذ هو تکفیه ملوک الأعاجم

فجاءت تمیم فی الکتائب نصرةیسیرون صفا کاللیوث الضراغم

علی کل جرداء السراة و ملهببعید مدی التقریب عبل القوائم

علیهم من الماذی زعف مضاعفله حبک من شکة المتلازم

فقیل لکم مجد الحیاة فجاهدوافأنتم حماة الناس عند العظائم

فصفوا لأهل الشرک ثم تکبکبواو طاروا علیهم بالسیوف الصوارم

فما برحوا یعصونهم بسیوفهمعلی الهام منهم و الأنوف الرواغم

لدن غدوة حتى تولوا تسوقهم رجال تميم ذحلها غير نائم

من الراكبين الخيل شعثا إلى الوغى بصم القنا و المرهفات القواصم

فتلك مساعى الأكرمين ذوى الندى تميمك لا مسعاة أهل الألائم

ذكر فتح المدائن «۱» و ما نشأ بينه و بين القادسية من الأمور

و المدائن على مسافة بعض يوم من بغداد، و يشتمل مجموعها على مدائن متصلة مبنية على جانبى دجلة شرقا و غربا، و دجلة تشق بينها، و لذلك سميت المدائن. فالمدينة الغربية منها تسمى بهرسير، و المدينة الشرقية تسمى العتيقة، و فيها القصر الأبيض الذى لا يدرى من بناه، و يتصل بهذه المدينة العتيقة المدينة الأخرى التى كانت الملوك تنزلها و فيها الإيوان، إيوان كسرى العجيب الشأن، الشاهد بضخامة ملك بنى ساسان، و يقال: إن سابور ذا الأكتاف منهم هو الذى بناه، و هو من أكابر ملوكهم، و قد بنى ببلاد فارس و خراسان مدنا كثيرة ذكرها أبو بكر بن ثابت الخطيب فى صدر كتابه فى تاريخ بغداد «۲».

قال: و كان الإسكندر أجل ملوك الأرض، و قيل: إنه ذو القرنين الذى ذكره الله فى كتابه، فقال: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۶۱۹)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۵۲- ۳۶۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۶۱، ۶۴- ۶۹)، الروض المعطار للحميرى (ص ۵۲۶- ۵۲۹)، معجم البلدان لياقوت (۵/ ۷۵).

(۲) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۱/ ۱۲۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰۵

[الكهف: ۸۴، ۸۵]، حتى بلغ مشارق الأرض و مغاربها، و له فى كل إقليم أثر، فبنى بالمغرب الإسكندرية، و بخراسان العليا على ما يقال سمرقند، و مدينة الصغد، و بخراسان السفلى مرو و هراة، و بناحية الجبل جىّ و مدينة أصبهان، و بنى مدنا أخرى كثيرة فى نواحى الأرض و أطرافها، و جال الدنيا كلها و وطئها، فلم يختر منها منزلا سوى المدائن فنزلها، و بنى بها مدينة عظيمة، و جعل عليها سورا أثره باق، و هى المدينة التى تسمى الرومية فى جانب دجلة الشرقى، و أقام بالإسكندرية راغبا عن بقاع الأرض كلها و عن بلاده و وطنه.

و ذكر بعض أهل العلم أنها لم تزل مستقرة منذ نزلها حتى مات بها، و حمل منها فدفن بالإسكندرية لمكان والدته، فإنها كانت إذ ذاك باقية هناك.

و قد كان ملوك الفرس لهم حسن التدبير و السياسة و النظر فى الممالك و اختيار المنازل، فكلهم اختار المدائن و ما جاورها لصحة تربتها و طيب هوائها و اجتماع مصب دجلة و الفرات بها.

و يذكر عن الحكماء أنهم كانوا يقولون: إذا أقام الغريب على دجلة من بلاد الموصل تبين فى بدنه قوة، و إذا أقام بين دجلة و الفرات بأرض بابل تبين فى عقله زيادة و فى فطنته ذكاء وحدة، و ذلك الذى أورث أهل بغداد الاختصاص بحسن الأخلاق و التفرد بجميل الأوصاف، و قل ما اجتمع اثنان متشاكلان، و كان أحدهما بغداديا إلا كان هو المقدم فى لطف الفطنة، و حسن الحيلة، و حلاوة القول، و سهولة البذل، و وجد ألينهما جانبا، و أجملهما معاشرة.

و كان حكم المدائن إذ كانت عامرة آهلة هذا الحكم، و لم تزل دار مملكة الأكاسرة، و محل كبار الأساورة، و لهم بها آثار عظيمة، و أبنية قديمة، منها الإيوان الذى لم ير فى معناه أحسن منه صنعة، و لا أعجب عملا، و قد أحسن فى وصفه أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى فى قصيدة له على روى السين يقال إنه ليس للعرب سينية مثلها، و وصف أيضا معه القصر الأبيض، و ما كان مصورا فيه من

الصور العجیبة و التماثیل البدیعة و الصنائع الغریبة فأبدع فی وصف ذلک و أحسن ما شاء، فقال:

حضرت رحلی الهموم فوجهت إلی أبیض المدائن عنس

أتسلی عن الحظوظ و آسی لمحل من آل ساسان درس

أذکرتنیهم الخطوب التوالی و لقد تذکر الخطوب و تنس

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۶ و هم خافضون فی ظل عال مشرف یحسر العیون و یخس

حلل لم تکن کأطلال سعدی فی قفار من البسابس ملس

و مساع لو لا المحاباة منی لم تطقها مسعاة عنس و عبس

لو تراه علمت أن اللیالی جعلت فیه مأتما بعد عرس

و هو ینبیک عن عجائب قوم لا یشاب البیان فیهم بلبس

و إذا ما رأیت صورة أنطاکیة ارتعت بین روم و فرس

و المنایا مواثل و أنو شروان یزجی الصفوف تحت الدرفس

فی اخضرار من اللباس علی أصفر یختال فی صبیغة ورس

و عراک الرجال بین یدیه فی خفوت منهم و إغماض جرس

من مشیح یهوی بعامل رمح و ملیح من السنان بترس

تصف العین أنهم جد أحیاء لهم بینهم إشارة خرس

یغتلی فیهم ارتیابی حتی تتقراهم یدای بلمس

حلم مطبق علی الشک عینی أم أمان غیرن ظنی و حدس

و کأن الإیوان من عجب الصنعة جوب فی جنب أرعن جلس

یتظنی من الکآبة إذا یبدو لعینی مصبح أو ممس

مزعجا بالفراق عن أنس إلف عز أو مرهقا بتطلیق عرس

عکست حظه اللیالی و بات المشتری فیه و هو کوکب نحس

فهو یبدی تجلدا و علیه کلکل من کلاکل الدهر مرس

لم یعبه أن بز من بسط الدیباج و استل من ستور الدمقس

مشمخر تعلو له شرفات رفعت فی رءوس رضوی و قدس

لابسات من البیاض فما تبصر منها إلا جلائل برس

لست تدری أصنع إنس لجن صنعوه أم صنع جن لإنس

غیر أنی أراه یشهد أن لم یک بانیه فی الملوک بنکس و لا أعلم أحدا من الشعراء وصف القصر الأبیض و هذا الإیوان بأبدع من هذا الوصف و لا أشجی و لا أوقع.

و یروی أن أبا جعفر المنصور، رحمه الله، لما أفضت إلیه الخلافة هم بنقض هذا الإیوان، و استشار فی ذلک جلساءه و ذوی الرأی عنده من رجاله، فکلهم وافقه علی رأیه و أشار علیه بما یطابق هواه إلا خالد بن برمک، فإنه قال له: لا تفعل یا أمیر المؤمنین

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۰۷

فإنه آیة الإسلام، و إذا رآه من یأتی فی مستقبل الزمان علم أن أصحاب مملکته لم یغلبوا علیه إلا بأمر من عند الله و بتأیید أمده به المسلمین الذین قهروهم، و بقاؤه فخر لکم و ذکر، و مع هذا فالمؤونة فی هدمه أکثر من العائد علیه، فاستغشه المنصور فی ذلک، و

قال له: يا خالد، أبيت إلا ميلا مع العجمية، ثم أمر بنقض الإيوان، فبلغت النفقة فى نقض الشىء اليسير منه مبلغا عظيما، فكتب إليه بذلك فعزم على تركه، و قال لخالد بن برمك: قد صرنا إلى رأيك، فقال له خالد: إن رأيى الآن أن تبلغوا به الماء، فقال له المنصور: و كيف ذلك؟ قال: لأنى آنف لكم أن يكون أولئك بنوا بناء تعجزون أنتم عن هدمه و الهدم أسهل من البناء. ففكر المنصور فى قوله فعلم أنه قد صدق، ثم نظر فإذا هدمه يتلف الأموال فأمر بالإمساك عنه. و كان بعد يقول: لقد حبب إلىّ هذا البناء أن لا أبنى إلا بناء جليلا يصعب هدمه.

و قد بشر رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أصحابه بالاستيلاء على مملكة فارس و وعدهم بافتتاح المدائن، فضرب يوم الخندق بمعول أخذه صخرة عظيمة اعتاصت عليهم فى الخندق، فكسر ثلثها بضربة، و قال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، و الله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة»، ثم ضرب الثانية فكسر ثلثها الثانى و قال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، و الله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض»، ثم ضرب الثالثة فكسر بقية الحجر و قال:

«الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، و الله إنى لأرى أبواب صنعاء من مكانى هذا الساعة» فصدق الله وعده و أنجز لمحمد صلى اللّه عليه و سلم ما بشرهم به و استأصل بهم مملكة فارس، و فتح عليهم المدائن فى زمان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر سيف بن عمر عمن سماه من رجاله «۱» و ربما زدت فى تضاعيفه من حديث غيره، قالوا: عهد عمر، رضى الله عنه، إلى سعد حين أمره بالمسير إلى المدائن أن يخلف النساء و العيال بالعتيق، و يجعل معهم كثفا من الجند ففعل، و عهد إليه أن يشركهم فى كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم قالوا: و كان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين فى مكاتبة عمر، رضى الله عنه، فى العمل بما ينبغى، فقدم سعد زهرة بن جوية نحو اللسان، و هو لسان البحر الذى أدلعه فى الريف، و عليه الكوفة اليوم، و كانت عليه قبل اليوم الحيرة، و كان النخيرجان معسكرا به فأرفض و لم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه، و لحق بأصحابه. ثم أمر سعد عبد الله بن المعتم أن يتبع زهرة و أمر شرحبيل بن السمط أن يتبع عبد الله ثم أتبعهم هاشم بن عتبة و ولاه خلافته التى كان

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۶۱۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۰۸

عليها قبل خالد بن عرفطة، و جعل خالدا على الساقة، ثم ارتحل سعد يتبعهم بعد فراغه من أمر القادسية كله، و كل المسلمين فارس مؤد قد نقل الله، عز و جل، إليهم ما كان فى عسكر فارس من سلاح و كراع و مال، فسار زهرة حتى ينزل الكوفة، و الكوفة كلها حصباء و رملة حمراء مختلطين، ثم نزل عليه عبد الله و شرحبيل، فارتحل زهرة عند ذلك نحو المدائن.

فلما انتهى إلى برس لقيه بها بصبهرى فى جمع فناوشهم زهرة فهزمهم، و هربوا إلى بابل و بها فالة القادسية و بقايا رؤسائهم، و كان زهرة قد طعن بصبهرى يوم برس فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل، و أقبل عند ذلك بسطام دهقان برس فاعتقد من زهرة و عقد له الجسور، و أتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل. و قدموا على أنفسهم الفيرزان، فكتب بذلك زهرة إلى سعد فأتاه الخبر و قد نزل بالكوفة على من بها مع هاشم بن عتبة، فقدمهم ثم أتبعهم حتى نزل برس فقدم منها زهرة و أتبعه الآخرين، ثم أتبعهم حتى نزلوا على الفيرزان ببابل فاقتتلوا فهزموا المشركين فى أسرع من لفت الرداء فانطلقوا على وجهين، و لم تكن لهم همة إلا الافتراق، فخرج الهرمزان نحو الأهواز، و خرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند، و بها كنوز كسرى، فأخذها و أكل الماهين، و صمد النخيرجان و مهران الرازى للمدائن، حتى عبرا بهرسير إلى جانب دجلة الآخر، ثم قطعا الجسر و خلفا شهريار دهقانا من دهاقين الباب فى جمع بكوثى، فقدم سعد، زهرة بن جوية ثم أتبعه الجنود، فساروا إليه.

فلما التقى بأطراف كوثى جيش شهريار و أوائل خيل المسلمين، خرج شهريار فنادى: أ لا رجل، أ لا فارس منكم شديد عظيم يخرج

إلىّ حتى أنكلكم به، فقال زهرة و كايده: لقد أردت أن أبارزك، فأما إذ سمعت قولك، فإنى لا أخرج إليك إلا عبدا، فإن أقمت له قتلك و إن فررت منه فإنما فررت من عبد، ثم أمر أبا نباتة نائلا- الأعوجى و كان من شجعان بنى تميم، فخرج إليه، مع كل واحد منهما الرمح، و كلاهما وثيق الخلق، إلا أن شهريار مثل الجمل، فلما رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه، و ألقى نائل الرمح ليعتنقه، و انتضيا سيفيهما فاجتلدا، ثم اعتنقا فخرا عن دابتيهما، فوقع شهريار على نائل كأنه بيت، فضغطه بفخذه، و أخذ الخنجر و أراد حل أزرار درعه ليذبحه، فوقعت إبهامه فى فم نائل، فمضغها فحطم عظمها و أحس منه فتورا، فثاوره فجلد به الأرض، ثم قعد على صدره، و أخذ خنجره فكشف درعه عن بطنه، فطعن فى بطنه و جنبه حتى مات، فأخذ فرسه و سواريه و سلبه، و انكشف أصحابه، فذهبوا فى البلاد، و أقام زهرة بكوثى

الاكتفاء، الكلاعى، ج۲،ص:۵۰۹

حتى قدم عليه سعد، فغنم سعد نائلا ذلك السلب كله، و قال له: عزمت عليك يا نائل إلا لبست سواريه و قباءه و درعه و ركبت دابته، فانطلق فتدرع سلبه ثم أتاه فى سلاحه على دابته، فقال له سعد: اخلع سواريك إلا- أن ترى حربا فالبسهما، و كان أول رجل من المسلمين سور بالعراق.

قالوا: فأقام سعد بكوثى أياما و أتى المكان الذى حبس فيه إبراهيم، عليه السلام، بكوثى، و البيت الذى كان فيه محبوسا فنظر إليه و صلى على رسول الله و على إبراهيم و على أنبياء الله، صلوات الله على جميعهم، و قرأ: وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ [آل عمران: ۱۴۰]، ثم إن سعدا قدم زهرة إلى بهرسير فمضى من كوثى فى المقدمات و تبعته المجنبات، و خرج هاشم، و خرج سعد فى أثره، و قد فل زهرة كتيبة كسرى التى كانت تدعى بوران حول المظلم، مظلم ساباط، و كان رجالها يحلفون كل يوم بالله لا يزول ملك فارس ما عشنا.

و لما انتهى هاشم إلى مظلم ساباط وقف لسعد حتى لحق به، فلما نزل قاله: أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ [إبراهيم: ۴۴]، و وافق ذلك رجوع المقرط، أسد كان كسرى قد ألفه و تخيره من أسود المظلم، فبادر المقرط الناس حتى انتهى إليهم سعد، فنزل إليه هاشم فقتله، فقبل سعد رأسه، و قبل هاشم قدميه.

و قال المدائنى: فنظر هاشم إلى الناس و قد أحجموا و وقفوا فقال: ما لهم؟ فقيل له:

أسد قد منعهم، ففرج هاشم الناس و قصد له فثاوره الأسد و ضربه هاشم فقطع موصله كأنما اجتلم به غصنا، و وقعت الضربة فى خاصرته، و قال بعضهم: على هامته، فقتله.

قالوا: و قدم سعد هاشما إلى بهرسير ثم ارتحل سعد فنزل على البأس بها و جعل المسلمون المتقدمون إليها كلما قدمت عليهم خيل وقفوا ثم كبروا حتى نجز آخر من كان مع سعد، و لما نزل سعد على بهرسير بث الخيول، فأغار على ما بين دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات، فأصابوا مائة ألف فلاح، فقال شيرزاد، دهقان ساباط، و كان قد تلقى زهرة فى طريقه بالصلح و تأدية الجزية، فقال لسعد عند ما أتى بالفلاحين فخندق لهم: إنك لا تصنع بهؤلاء شيئا، إنما هؤلاء علوج لأهل فارس فدعهم إلىّ حتى يفرق لك الرأى فيهم، فكتب عليه بأسمائهم، و دفعهم إليه، فقال لهم شيرزاد: انصرفوا إلى قراكم.

و كتب سعد إلى عمر رحمهما الله: إنا وردنا بهرسير بعد الذى لقينا بين القادسية و بهرسير، فلم يأتنا أحد لقتال، فبثثت الخيول فجمعت الفلاحين من القرى و الآجام،

الاكتفاء، الكلاعى، ج۲،ص:۵۱۰

فرأيك. فأجابه عمر: إن من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو أمانهم، و من لم يأتكم و لم يهرب فهو أمانهم، و من هرب فأدركتموه فشأنكم به.

فلما جاء سعدا الكتاب خلى عنهم. و راسله الدهاقين، فدعاهم إلى الإسلام أو الجزاء و لهم الذمة و المنعة، فرضوا بالجزية و المنعة، و

لم یبق فی غربی دجلة إلی أرض العرب سوادی إلا أمن و اغتبط بملک الإسلام و استقبلوا الخراج.

و أقام سعد بالناس علی بهرسیر یرمونهم بالمجانیق و یدبون إلیهم بالدبابات، و یقاتلونهم بکل عدة.

قال بعضهم: و کان سعد عند ما نزلها و علیها خنادقها و حرسها و عدة الحرب استصنع شیرزاذ المجانیق فنصب علی أهلها عشرین منجنیقا فشغلهم بها، و کان الأعاجم و العرب مطیفین بهم، و ربما خرجوا یمشون علی المسنیات المشرفة علی دجلة فی جماعتهم و عدتهم لقتال المسلمین، فلا یقومون لهم، فکان آخر ما خرجوا فی رجالة و ناشبة، و تجردوا للحرب، و تتابعوا علی الصبر، فقاتلهم المسلمون فکذبوا و تولوا، و کانت علی زهرة بن الجویة یومئذ درع مفصومة، فقیل له: لو أمرت بهذا الفصم فسرد فقال: و لم؟ فقالوا: إنا نخاف علیک منه، فقال: إنی لکریم علی الله، أن ترک سهم فارس الجند کلهم ثم أتانی من هذا الفصم حتی یثبت فیّ، فکان أول رجل من المسلمین أصیب یومئذ بنشابة، فثبتت فیه من ذلک الفصم، فقال بعضهم: انزعوها عنه، فقال: دعونی، فإن نفسی معی ما دامت فیّ، لعلی أن أصیب فیهم بطعنة أو بضربة أو خطوة، فمضی نحو العدو، فضرب بسیفه شهربراز من أهل اصطخر، فقتله، و أحیط به فقتل و انکشفوا.

و سیأتی بعد من أخبار زهرة بن الجویة و آثاره فی الوقائع التی لا شک فی کونها بعد هذه ما یوهن خبر قتله المذکور آنفا، و الأولی بحسب هذا إن شاء الله أن یکون غیر زهرة هو صاحب هذه القصة؛ إذ قد ذکر المدائنی أن هاشم بن عتبة قال لزهیر بن سلیم الأزدی، قال: و یقال لغیره، و رأی فی درعه فصما، إنی لا آمن أن تصیبک نشابة فی هذا الموضع، فلو سردته قال: لئن ترکت نشابة الفارسی جسدی کله إلا هذا الموضع إنی إذا لسعید، ثم ذکر نحو ما تقدم، فالله أعلم.

و قال أنیس بن الحلیس «۱»: بینا نحن محاصرون بهرسیر بعد زحفهم و هزیمتهم، أشرف علینا رسول فقال: إن الملک یقول لکم: هل لکم إلی المصالحة علی أن لنا ما یلینا من

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۱

دجلة و جبلها، و لکم ما یلیکم من دجلة إلی جبلکم؟ أ ما شبعتم لا أشبع الله بطونکم؟

فبدر الناس أبو مفرز الأسود بن قطبة، و قد أنطقه الله، عز و جل، بما لا یدری ما هو و لا نحن، فأجابه بالفارسیة و لا یعرف منها شیئا هو و لا نحن، فرجع الرجل و رأیناهم یقطعون إلی المدائن، فقلنا: یا أبا مفرز ما قلت له؟ قال: لا و الذی بعث محمدا بالحق ما أدری ما هو، و إلا أنی علتنی سکینة، و أرجو أن أکون أنطقت بالذی هو خیر، و انتاب الناس یسألونه حتی سمع بذلک سعد، فجاءنا فقال: یا أبا مفرز ما قلت له؟ فو الله إنهم لهراب، فحدثه بمثل حدیثه إیانا، فنادی فی الناس، ثم نهد بهم، فما ظهر علی المدینة أحد و لا خرج إلینا إلا رجل نادی بالأمان فأمناه، فقال: ما بقی أحد فیها فما یمنعکم، فتسورها الرجال، و افتتحناها، فما وجدنا فیها شیئا و لا أحدا، إلا أساری أسرناهم خارجا منها، فسألناهم و ذلک الرجل: لأی شیء هربوا؟ فقال: بعث إلیکم الملک یعرض علیکم الصلح، فأجبتموه أنه لا یکون بیننا و بینکم صلح أبدا حتی نأکل عسل أفریذون بأترج کوثی، فقال الملک: وا ویلة أ لا أری الملائکة تکلم علی ألسنتهم، ترد علینا و تجیبنا عن العرب، و و الله لئن لم یکن کذلک، ما هو إلا شیء ألقی علیّ فی هذا الرجل لننتهی، فأرزوا إلی المدینة القصوی.

قالوا: و لما دخل سعد و المسلمون بهرسیر أمر بها فثلمت و تحول العسکر إلیها و لاح لهم و ذلک فی جوف اللیل القصر الأبیض، فقال ضرار بن الخطاب: الله أکبر، أبیض کسری هذا ما وعد الله و رسوله، و تابعوا التکبیر حتی أصبحوا.

و قال القعقاع بن عمرو:

أ لم یأتیک و الأخبار تنمیو تصعد فی الململعة الفیاف

توافينا و منزلنا جميعاأمام الخيل بالسمر الثقاف

قسمنا أرضهم قسمين حتى‌نزلنا مثل منزلهم كفاف

دعاء ما دعونا آل كسرى‌و قد هم المرازب بانصراف

و ما أن طبهم جبن و لكن‌رميناهم بداعية ذعاف

فتحنا بهرسير بقول حق‌أتانا ليس من سجع القوافى

و قد طارت قلوب القوم مناو ملوا الضرب بالبيض الخفاف و لما نزل سعد بهرسير، و هى المدينة الدنيا من المدائن، طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى منها، فلم يقدر على شيء، و وجدهم قد ضموا السفن، فأقاموا أياما يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين، و دجلة قد طما ماؤها يتدفق جانباها،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۲

فيروى أنه بينا سعد و المسلمون كذلك إذ سمعوا ليلا قائلا يقول: يا معشر المسلمين، هذه المدائن قد غلقت أبوابها و غيبت السفن و قطعت الجسور فما تنتظرون، فربكم الذى يحملكم فى البر هو الذى يحملكم فى البحر، فندب سعد الناس إلى العبور، فأتاه قوم من العجم ممن قد اعتقد منه ذمة فقالوا: ندلك على موضع أقل غمرا من هذا، فدلوه على ديلمايا «۱».

و قيل «۲»: إن سعدا رأى رؤيا كأن خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرتها، و قد أقبلت من المد بأمر عظيم، فعزم على تأويل رؤياه على العبور، و فى سنة جود صيبها متتابع، فجمع الناس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه، و هم يخلصون إليكم إذا شاءوا، فيناوشونكم فى سفنهم، و ليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، فقد كفاكموهم أهل الأيام، و أعطوا ثغورهم، و أفنوا ذادتهم، و قد رأيت من الرأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصدكم الدنيا: ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعا: عزم الله لنا و لك على الرشد فافعل، فقال: من يبدأ و يحمى لنا الفراض حتى يتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم الخروج؟

فانتدب له عاصم بن عمرو أول الناس، و انتدب معه ستمائة من أهل النجدات، و استعمل عليهم عاصما، فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة فقال: من ينتدب معى لنمنع الفراض من عدوكم حتى تعبروا؟ فانتدب له ستون فجعلهم نصفين على خيول إناث و ذكور، ليكون أسلس لعوم الخيل، ثم اقتحموا دجلة و اقتحم بقية الستمائة على أثرهم و قد شدوا على خيولهم حزمها و ألبابها و قرطوها أعنتها و شدوا عليهم أسلحتهم، فلما رأتهم الأعاجم و ما صنعوا أعدوا للخيل التى تقدمت خيلا مثلها، فاقتحموا إليهم دجلة، فلقوا عاصما فى السرعان، و قد دنا من الفراض، فقال: الرماح الرماح أشرعوها و توخوا العيون، فالتقوا، فاطعنوا فى الماء، و توخى المسلمون عيونهم، فتولوا نحو البر و المسلمون يشمسون بهم خيلهم حتى ما يملكون منها شيئا، فلحقوا بهم فى البر فقتلوا عامتهم، و نجا باقيهم عورانا. و نزلت بالمسلمين خيولهم حتى انتقضت على الفراض، و تلاحق باقى الستمائة بأوائلهم الستين غير متعتعين.

و يروى أن أولئك الستين خرجوا يومئذ من دجلة منقطعين زمرا، الزمرة الأولى تسعة فيهم عاصم، و الثانية ثمانية عشر، و الثالثة ثلاثة و ثلاثون، و يومئذ سميت كتيبة عاصم هذه كتيبة الأهوال، لما رأى منهم فى الماء و الفراض.

---

(۱) ديلمايا: موضع بالعراق على دجلة. انظر الخبر و التعريف فى: الروض المعطار (ص ۲۴۹).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۹، ۱۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۳

و لما رأى سعد عاصما على الفراض و قد منعها، أذن للناس فى الاقتحام، و قال: قولوا نستعين بالله، و نتوكل على الله، حسبنا الله و نعم الوكيل، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، و تلاحق عظم الجند فركبوا اللجة، و اعترضوا دجلة و إنها لمسودة تزخر، لها حدب

یقذف بالزبد، فکان أول من اقتحم سعد بن أبی وقاص، ثم اقتحم الناس، و قد قرنوا أنثی بکل حصان یتحدثون علی ظهورها کما یتحدثون علی الأرض، و طبقوا دجلة خیلا و دواب و رجالا حتی ما یری الماء من الشاطئ أحد، و سلمان الفارسی یسایر سعدا یحدثه، و الماء یطفو بهم، و الخیل تعوم، فإذا أعیا فرس استوی قائما یستریح کأنه علی الأرض، فقال قیس بن أبی حازم: إنی لأسیر فی دجلة فی أکثر مائها إذ نظرت إلی فارس و فرسه کأنه واقف ما یبلغ الماء حزامه.

و قال بعضهم: لم یکن بالمدائن أمر أعجب من ذلک، فقال سعد: ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ [فصلت: ۱۴].

و فی روایة أنه قال لسلمان و هو یسایره فی الماء: و الله لینصرن الله ولیه، و لیظهرن الله دینه، و لیهزمن عدوه، إن لم یکن فی الجیش بغی أو ذنوب تغلب الحسنات، فقال سلمان: یا أبا إسحاق، الإسلام جدید، ذلل الله لکم البحر کما فرقه و ذلّله لبنی إسرائیل، و الذی نفس سلمان بیده، لتخرجن منه أفواجا کما دخلتموه أفواجا، فخرجوا منه کما قال سلمان، لم یفقدوا شیئا، و لم یغرق فیه أحد.

قال أبو عثمان النهدی «۱»: إلا رجلا من بارق یدعی غرقدة، زل عن ظهر فرس له شقراء، کأنی أنظر إلیها عریا تنفض عرفها، و الغریق طاف، فثنی القعقاع بن عمرو عنان فرسه إلیه، فجره حتی عبر، فقال البارقی: و کان من أشد الناس: أعجزت الأخوات أن یلدن مثلک یا قعقاع و کانت للقعقاع فیهم خئولة.

و قال بعض رجال سیف بن عمر «۲»: إنه لم یذهب للمسلمین یومئذ فی الماء شیء إلا قدح کانت علاقته رثة، فانقطعت، فذهب به الماء، فقال الرجل: الذی کان یعاوم صاحب القدح «۳» معیرا له: أصابه القدر فطاح، فقال: إنی لأرجو و الله أن لا یسلبنی الله قدحی من بین أهل العسکر، و إذا رجل من المسلمین ممن تقدم لیحمی الفراض قد سفل

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۰).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۱۲).

(۳) هو: مالک بن عامر، حلیف لقریش من عنزة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۱۴

حتی طلعت علیه أوائل الناس، و قد ضربت الریاح و الأمواج القدح حتی وقع إلی شاطئ، فتناوله برمحه، فجاء به إلی العسکر فعرّفه، فعرفه صاحبه فأخذه، و قال لصاحبه الذی کان یعاومه: أ لم أقل لک؟ فیروی أن عمر، رحمه الله، بلغه ما کان قال له صاحبه أولا، فأنکره و أرسل إلیه: أنت القائل أصابه القدر فطاح؟ تفجع مسلما!.

و قال الأسود بن قطبة أبو مفزر یرتجز یومئذ:

یا دجل إن الله قد أشجاکهذی جنود الله فی قراک

فلتشکری الذی بنا حباکو لا تروعی مسلما أتاک و قال عاصم بن عمرو فی ذلک:

ألا هل أتاها أن دجلة ذللتعلی ساعة فیها القلوب تقلب

ترانا علیها حین عبّ عبابهاتباری إذا جاشت بموج تصوب

نفینا بها کسری عن الدار فانتوی لأبعد ما ینوی الرکیک الموقب قال: و فجأ المسلمون أهل فارس من هذا العبور بأمر لم یکن فی حسبانهم، فأجهضوکم و أعجلوهم عن حمل أموالهم، و خرجوا هرابا، و قد کان یزدجرد خرج قبلهم إلی حلوان فنزلها بعد أن قدم إلیها عیاله حین أخذت بهرسیر و خرجوا معهم بما قدروا علیه من حر متاعهم و خفیفه، و بالنساء و الذراری و ما قدروا علیه من بیت المال، و ترکوا فی الخوائن من الثیاب و المتاع و الآنیة و الألطاف و الأدهان ما لا یدری ما قیمته، و خلفوا ما کانوا أعدوا للحصار من البقر و الغنم و کل الأطعمة و الأشربة، فدخل المسلمون المدائن و استولوا علی ذلک کله فکان أول من دخلها کتیبة الأهوال، ثم تبعتها الخرساء، کتیبة سعد، فأخذوا فی سککها لا یلقون أحدا و لا یحسونه إلا ما کان فی القصر الأبیض، فأحاطوا بهم و دعوهم

فاستجابوا لسعد على الجزاء و الذمة، و يرجع إليها أهل المدائن على مثل عهدهم، ليس فى ذلك ما كان لآل كسرى و من خرج معهم.

و نزل سعد القصر الأبيض و سرح زهرة فى آثار القوم إلى النهروان فانتهى إليها، و سرح مقدار ذلك فى طلبهم من كل وجه.

و قال حبيب بن صبهان «۱»: لما عبر المسلمون دجلة، جعل أهل فارس و هم ينظرون إليهم يعبرون يقول بعضهم لبعض بالفارسية ما تفسيره بالعربية: إنكم و الله ما تقاتلون الإنس و إنما تقاتلون الجن.

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۵

قالوا: و ما زالت حماة أهل فارس يقاتلون على ماء الفراض يمنعون المسلمين من العبور، حتى ناداهم مناد: علام تقتلون أنفسكم؟ فو الله ما فى المدائن من أحد، فانهزموا و اقتحمتها الخيول عليهم، و لما دخلها سعد فرأى خلوتها و انتهى إلى إيوان كسرى أقبل يقرأ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ [الدخان: ۲۵، ۲۸]، و صلى فيه صلاة الفتح، و لا تصلى جماعة، فصلى ثمانى ركعات لا يفصل بينهن، و اتخذ الإيوان مسجدا، و فيه تماثيل الجص رجال و خيل، فلم يمتنع هو و لا المسلمون، يعنى من الصلاة فيه، لأجلها، و تركوها على حالها، و أتم سعد الصلاة يوم دخلها لأنه أراد المقام بها. و بالمدائن كانت أول جمعة جمعت بالعراق فى صفر سنة ست عشرة. و وكل سعد بالإقباض من يجمعها «۱»، و أمره بجمع ما فى القصر و الإيوان و منازل كسرى و سائر الدور، و إحصاء ما يأتيه به الطلب، و قد كان أهل المدائن تأهبوا عند المدائن للغارة، ثم طاروا فى كل وجه، فما أفلت أحد منهم بشىء و لا بخيط، ألح عليهم الطلب فتنفذوا ما فى أيديهم، و رجعوا بما أصابوا من الأقباض، فضموها إلى ما قد جمع.

و قال حبيب بن صبهان: دخلنا المدائن، فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالا مختمة بالرصاص، فما حسبناها إلا طعاما، فإذا هى آنية الذهب و الفضة و قسمت بعد بين الناس.

قال: و لقد رأيت الرجل يطوف و يقول: من معه بيضاء بصفراء؟ و أتينا على كافور كثير فما حسبناه إلا ملحا، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته فى الخبز.

و عن الرفيل بن ميسور «۲» قال: خرج زهرة، يعنى ابن الجوية، فى المقدمة يتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهروان و هم عليه، فازدحموا فوقع بغل فى الماء و عجلوا عنه ثم كلبوا عليه، فقال زهرة: أقسم بالله إن لهذا البغل لشأنا، ما كلب القوم عليه و لا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك بعد ما أرادوا تركه إلا لشىء، فترجل حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه فاحتملوا البغل بما عليه حتى أدوه إلى الأقباض ما يدرون ما عليه، و إذا الذى عليه حلية كسرى، ثيابه و خرزاته و وشاحه و درعه التى كان فيها الجوهر، و كان يجلس فيها للمباهاة.

---

(۱) هو: عمرو بن عمرو بن مقرن.

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۶

و قال الكلج الضبى: كنت فيمن خرج للطلب، فإذا أنا ببغالين قد ذبا الخيل عنهما بالنشاب، فما بقى معهما غير نشابتين، فالتظظت بهما، فاجتمعا، و قال أحدهما لصاحبه: ارمه و أحميك، أو أرميه و تحمينى، فحمى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بهما. ثم إنى حملت عليهما فقتلتهما، و جئت بالبغلين ما أدرى ما عليهما، حتى بلغتهما صاحب الأقباض، فإذا هو يكتب ما يأتيه به الرجال و ما كان فى الخزائن و الدور، فقال:

على رسلك حتى ننظر ما معك فحططت عنهما، فإذا سفطان على أحد البغلين فيهما تاج كسرى مفسخا، و كان لا ـ تحمله إلا أسطوانتان، و فيهما الجوهر، و على الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التى كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر و غير الديباج منسوجا منظوما.

قالوا «۱»: و خرج القعقاع يومئذ فى الطلب، فلحق بفارسى يحمى الناس، فاقتتلا فقتله القعقاع، و إذا معه جنيبة عليها عيبتان و غلافان فى أحدهما خمسة أسياف و فى الآخر ستة، و فى العيبتين أدراع، درع كسرى و مغافره و ساقاه و ساعداه، و درع هرقل، و درع النعمان، و درع داهر، و درع سياوخش، و درع بهرام شوبين، و كانوا استلبوا ما لم يرثوا منها، مما استلبوا أيام غواتهم خاقان و هرقل و داهر، و أما النعمان و بهرام فحين هربا و خالفا كسرى. و فى أحد الغلافين سيف كسرى و هرمز و كسوتى قباذ و فيروز، و فى الآخر سيوف سائر من نسبت إليه دروع من تلك الدروع، فجاء القعقاع بذلك كله إلى سعد، فقال له: اختر أحد هذه الأسياف، فاختار سيف هرقل، و أعطاه إياه معه درع بهرام، و نفل سعد سائر ذلك فى الخرساء، كتيبته، إلا ـ سيف كسرى و النعمان، فإنه بعث بهما إلى عمر فى الأخماس مع حلى كسرى و تاجه و ثيابه، ليرى ذلك المسلمون، و لتسمع به العرب، لمعرفتهم بها.

و قال عصمة الضبى «۲»: خرجت فيمن خرج يطلب، فأخذت طريقا مسلوكا فإذا عليه حمّار، فلما رآنى حث حماره فلحق آخر قدامه، فمالا ـ و حثا حماريهما، فانتهينا إلى جدول قد كسر جسره، فثبتا حتى أتيتهما، ثم تفرقا، و رمانى أحدهما فألظظت به حتى قتلته، و أفلت الآخر، فرجعت إلى الحمارين، فأتيت بهما صاحب الأقباض، فنظر فيما على أحدهما، فإذا سفطان فى أحدهما فرس من ذهب مسروج بسرج من فضة على ثغره و لببه الزمرد و الياقوت منظومين على الفضة، و لجام كذلك، و فارس من فضة مكلل

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۸).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۸، ۱۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۷

بالجوهر، و إذا فى الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب، و بطان من ذهب و زمام من ذهب، و كل ذلك منظوم بالياقوت، و إذا عليها رجل من ذهب مكلل بالجوهر، كان كسرى يضعهما إلى أسطوانتى التاج.

و عن أبى عبيدة العنبرى «۱» قال: لما هبط المسلمون بالمدائن، و جمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال هو و الذين معه، لما نظروا إلى ما فيه: ما رأينا مثل هذا قط، ثم قالوا له: هل أخذت منه شيئا؟ فقال: لا و الله لا أخبركم لتحمدونى، و لا غيركم ليقرظونى، و لكنى أحمد الله و أرضى بثوابه. فأتبعوه رجلا حتى أتى إلى أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس.

و يروى أن سعدا، رحمه الله، قال حين رأى ما رأى من ورع الناس و كونهم لم يتعلق على أحد منهم بغلول فيما جمعوا من الغنائم: و الله إن هذا الجيش لأهل أمانة، و لو لا ما سبق لأهل بدر ما فضلتهم عليهم، و لقد نالت الدنيا من رجال من أهل بدر حين أصابوها.

و قال جابر بن عبد الله: و الله الذى لا إله إلا هو، ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة.

قال بعضهم: و لقد كانوا يخافون قيس بن مكشوح، و عمرو بن معدى كرب، و طليحة بن خويلد، و أشباههم على الغلول، فما تعلق على أحد منه بشيء يكرهونه و لا أرادوا الدنيا.

و لما قدم على عمر، رحمه الله، بسيف كسرى و منطقته و زبرجه، قال: إن أقواما أدوا هذا لذووا أمانة. فقال على، رضى الله عنه: إنك عففت فعفت الرعية.

قالوا: و لما اجتمعت الغنائم، و تراجع الطلب قسم سعد بين الناس فيئهم بعد ما خمسه، فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا، و كلهم كان فارسا ليس فيهم راجل، و كانت الجنائب فى المدائن كثيرة، و يقال: كانوا بين أهل الأيام و أهل القادسية الذين لم يشهدوا الأيام، و بين من لحق بهم فى ثلاث من غير أهل الأيام بالقادسية، و بين أهل الروادف ستين ألفا، و قسم سعد دور المدائن بين الناس، و

أوطنوها، و كان الذى ولى القبض عمرو بن عمرو المزنى، و الذى ولى القسم سلمان بن ربيعة.

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۸

و قال الشعبى «۱»: بعث سعد إلى العيالات فأنزلهم الدور لما قسمها و فيها المرافق، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء و حلوان و تكريت و الموصل، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد.

قالوا: و جمع سعد الخمس، و أدخل فيه كل شيء أراد أن يعجب به عمر، من ثياب كسرى و حلية و سيفه و نحو ذلك، و نفل من الأخماس فى أهل البلاء، و لم يجهدها، و فضل بعد القسم بين الناس، و إخراج الخمس، القطف فلم يعتدل، فقال للمسلمين: هل لكم فى أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه، و نبعث به إلى عمر فيضعه حيث يرى، فإنا لا نراه يتفق: و هو بيننا قليل، و هو يقع من أهل المدينة موقعا؟ فقالوا: نعم، فبعث به على ذلك الوجه، و القطف هو بهار كسرى ثقل عليهم أن يذهبوا به، فتركوه بالمدائن، فأصابه المسلمون، و كان بساطا واحدا ستين ذراعا فى ستين ذراعا فيه طرز كالسور و فصوص كالأنهار، و فى خلال ذلك كالدير، فى حافاته كالأرض المزروعة و الأرض المبقلة بالنبات فى الربيع من الحرير على قضبان الذهب و نواره بالذهب و الفضة و أشباه ذلك. و كانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياحين، فكان إذا أرادوا الشراب شربوا عليه، فكأنهم فى رياض، و كانت العرب تسميه القطف، فبعث به سعد مع الأخماس إلى عمر، رضى الله عنه، مع بشير بن الخصاصية، فلما قدم عليه نفل من الخمس أناسا، و قال: إن الأخماس ينفل منها من شهدها و من غلب من أهل البلاء فيما بين الخمسين، و لا أرى القوم جهدوا الخمس، ثم قسم الخمس فى مواضعه، ثم قال: أشيروا علىّ فى هذا القطف. فأجمع ملؤهم على أن قالوا: قد جعلوا ذلك لك، فراء رأيك، إلا ما كان من على، رضى الله عنه، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، الأمر كما قالوا: و لم يبق إلا التروية، إنك إن تقبله اليوم على هذا لم تعدم فى غد من يستحق به ما ليس له، قال: صدقتنى و نصحتنى.

و فى رواية أن عمر، رضى الله عنه، استشارهم فيه، فمن بين مشير بقبضه، و آخر مفوض إليه، و آخر مرفق، فقام على، رضى الله عنه، حين رأى عمر تأنى حتى انتهى إليه، فقال: لم تجعل علمك جهلا، و يقينك شكّا إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فامضيت، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفنيت. قال: صدقتنى، فقطعه فقسمه بين الناس، فأصاب عليا قطعة منه، فباعها بعشرين ألفا، و ما هى بأجود تلك القطع.

و ذكر المدائنى أن عمر حين قال له على: إن بلته لم تعدم بعدك من يستحق مأثما

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۲۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۱۹

بك، صرفه إلى سعد، و كتب إليه: أن بعه و اقسم ثمنه على من أفاءه الله عليهم.

قال رجال سيف «۱»: و لما أتى عمر بحلى كسرى و زيه فى المباهاة، و فى غير ذلك، و كانت له عدة أزياء لكل حالة زى، قال: علىّ بمحلم، و كان أجسم عربى يومئذ بأرض المدينة، فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب، و صب عليه أوشحته و قلائده و ثيابه، و أجلس للناس، فنظر إليه عمر، و نظر إليه الناس، فرأوا أمرا عظيما من أمر الدنيا و فتنتها، ثم قام عن ذلك، فألبس زيه الذى كان يلبسه، فنظروا إلى مثل ذلك فى غير نوع، حتى أتى على الأزياء كلها، ثم ألبسه سلاحه، و قلده سيفه، فنظروا إليه فى ذلك، ثم وضعه ثم قال: و الله إن أقواما أدوا هذا لذووا أمانة، و نفل سيف كسرى محلما، هكذا وقع ذكر محلم فى هذا الحديث، و لا أعرف و لا أعلم فى ذلك الصدر من اسمه محلم إلا محلم بن جثامة، و يقال: إنه توفى على عهد رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و قصته فى الدم

الذى أصابه، و العفو عند وجوب القود، و دعاء النبىّ صلى اللّه عليه و سلم لما مثل بين يديه، قصة مشهورة.

و قد قيل: إنه عاش بعد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فالله أعلم.

و كذلك قيل: إن الذى ألبسه عمر سوارى كسرى هو سراقة بن مالك المدلجى.

و روى سفيان بن عيينة عن أبى موسى، عن الحسن أن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال لسراقة بن مالك «۲»: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟» «۳» قال: فلما أتى عمر بسوارى كسرى و منطقته و تاجه دعا سراقة فألبسه إياهما، و كان سراقة رجلا أزب كثير شعر الساعدين، و قال له: ارفع يديك فقل: الحمد لله، الله أكبر، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول: أنا رب الناس، و ألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيا من بنى مدلج، و رفع بها عمر صوته.

و ذكر أبو الحسن المدائنى فى فتوح العراق خبر المدائن، فخالف فيه كثيرا مما تقدم و زاد و نقص، و سأذكر من ذلك ما يحسن ذكره على سبيل الاختصار و التوخى لحذف ما يكون ذكره تكرارا إلا ما يعتاض فضله من الحديث للحاجة إليه.

---

(۱) انظر: الطبرى (۲۲، ۲۳).

(۲) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۳۱۲۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۱۹۵۵)، الثقات (۳/ ۱۸۰)، تجريد أسماء الصحابة (۱/ ۲۱۰)، تقريب التهذيب (۱/ ۲۸۴)، تهذيب التهذيب (۳/ ۴۵۶)، تهذيب الكمال (۱/ ۴۶۶)، الجرح و التعديل (۴/ ۱۳۴۲)، شذرات الذهب (۱/ ۳۵)، العبر (۱/ ۲۷)، العقد الثمين (۴/ ۵۲۳).

(۳) انظر الحديث فى: إتحاف السادة المتقين للزبيدى (۷/ ۱۸)، الشفاء للقاضى عياض (۱/ ۶۷۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۰

فمن ذلك أن يزدجرد لما غلب سعد على مدينة نهرسير و اعتقد أهل غربى دجلة منه الذمة نقل خزائنه و أمواله و دواوينه إلى حلوان، و أقام فى الإيوان فى مقاتلته، و سعد و المسلمون فى دير المنازل، فبينما هم به و دجلة قد طماها ماؤها يتدفق جانباها، إذ سمعوا ليلا قائلا يقول: يا معشر المسلمين، هذه المدائن غلقت أبوابها، و غيبت السفن، و قطعت الجسور، فما تنتظرون، فربكم الذى يحملكم فى البر يحملكم فى البحر؟ فندب سعد الناس إلى العبور، ثم ساق الحديث فى ركوبهم دجلة على ظهور خيلهم نحوا مما تقدم، ثم قال: و نظر ضرار بن الخطاب و المسلمون فرأوا بناء أبيض، فقال ضرار: الله أكبر، أبيض المدائن و رب الكعبة، و هرب أهل المسالح حين عبر المسلمون، و اعروها و قالوا: هؤلاء من السماء، و خرج أهل الرومية و من كان فيها من الأساورة معهم الفيلة فقاتلهم المسلمون، فكانت الفيلة تهم فى وجوه الخيل، و المسلمون قليل ليست لهم رجالة تقاتل عن خيلهم، فكانت الخيل تنفر، فأتى رجل سعدا فقال: تؤمننى على نفسى و أهلى و مالى و أدلك على ما ترد به الفيلة؟ قال: نعم. قال: الخنازير. قال: و أنى لى بها؟ قال: أنا أجيئك بها، فجاءه بخنازير فضربت فجعلت تقيع فى وجوه الفيلة، فولت و انهزم المشركون. فوقف رجل يحميهم و اعترض الطريق فلما دنا منه المسلمون ضرب فرسه ليقدم عليهم، فاعتاص و ضربه ليهرب، فاعتاص فطعنه رجل من المسلمين فقتله، و دخل الآخرون الرومية، و مضى الأساورة إلى يزدجرد بالإيوان، فهرب هو و أساورته و مقاتلته، و سمعوا صوتا من ورائهم علاء تقتلون أنفسكم و قد ذهبت مدة ملككم.

و مضى سعد إلى المدينة العتيقة، فمر المسلمون بمجلس لكسرى كان يسمى بهشت إيوان، فوقفوا ينظرون إليه و قد تقدم سعد فانطوى عليه، فظن أنهم اقتطعوا، فسأل عنهم، فأخبر، فقال لبعض من معه من العجم: ما هذا المجلس؟ قالوا: بهشت إيوان.

قال: و ما تفسيره؟ قالوا: الجنة. فأرسل سعد قوما فأحرقوه، و خرج أهل المدائن إلى سعد فتلقوه بجامات الذهب و الفضة مملوءة دنانير و دراهم يسألونه الأمان على أن يعطوا الجزية، فقبل ذلك منهم، و نزل القصر الأبيض، و أمر أهل المدائن فعقدوا الجسر، فعبر المسلمون جميعا و أثقالهم و إبلهم، و تحول سعد فعسكر فى مكانين على الناقوس و على نهر أبغش، بين العسكرين ميل، و كان أكثر

العسكرين أهلا الذين على نهر أبغش، و اتخذ سعد مسجدا على الناقوس فهو إلى اليوم يسمى مسجد العسكر، و صلى فيه على بن أبى طالب حين قدم المدائن و هو يريد صفين.

و لم يأخذ سعد من المدينة و من أهلها إلا ما كان للملك و أهل بيته و لمن هرب،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۱

و أصابوا فى خزائنهم ما عجزوا عن حمله من المتاع و صنوف الأطعمة ما لا يوصف كثرة، فأمر سعد بجمع ذلك، فجمع و ولاه النعمان بن مقرن ثم تلا:

أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [إبراهيم: ۴۴، ۴۵].

و كتب سعد إلى عمر بفتح المدائن و بهرب ابن كسرى، فكتب إليه عمر:

أوصيك بتقوى الله الذى بتقواه سعد من سعد و بترك تقواه شقى من شقى، و قد عرفت بلاء الله عندنا أيها الرهط أنه استنقذنا من الشرك و أهله، و أخرجنا من عبادة أوثانهم، و هدانا من ضلالتهم، و عرفت مخرجنا من عندهم، كيف خرجنا، و أن الرهط على بعير عليه أنفسهم و زادهم يتعاور اللحاف الواحد العدة منا من بلغ مأمنه منا بلغ مجهودا، و من أقام فى أرضه أقام مفتونا فى دينه معذبا فى بدنه، أشد أهله عليه أقربهم منه، و رسول الله صلى اللّه عليه و سلم يقسم بالله لتأخذن كنوز كسرى و قيصر، يعجب من ذلك من سمعه، فأبقاك الله حتى وليت ذلك بنفسك، فأعرض عن زهرة ما أنت فيه، حتى تلقى الخماص الذين ذهبوا فى شمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم و بين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا، و لم يغتروا بها، فاقتدوا بهديهم، و لا تضللن أنفسكم، و كونوا الأمة الممدوحة المباركة التى قال الله تبارك و تعالى: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ [الأنبياء:

۷۳].

قال: و حصر سعد الرومية تسعة أشهر حتى أكل السنانير و الكلاب بعضهم، فأتى سعدا رجل مستأمن، فسأله الأمان لنفسه و أهله، على أن يدله على عورة المدينة، فأمنه فدله على مجرى الماء إلى المدينة، و كان يأتيهم الماء فى قناة من دجلة، فغورها المسلمون فارتحل أهل الرومية حين انقطع الماء عنهم من ليلتهم، و حملوا ما خف من أموالهم، و خرجوا على حامية معهم أثقالهم، فأخذوا طريق خراسان، فأتت امرأة منهم سعدا فسألته الأمان فأمنها، فقالت لم يبق فى المدينة أحد من المقاتلة و لا عيالاتهم، بقى قوم ضعفاء، فدخلها سعد، فأصابوا متاعا كثيرا و سلاحا و سبيا قليلا، فبعث بخمس ما أصاب من الرومية، و ما صالح عليه أهل المدائن إلى عمر مع بشير بن الخصاصية.

و ذكر من حديث البساط الذى مر ذكره نحوا مما تقدم.

و ذكر، أيضا، عن حرملة بن صدقة بإسناده إليه قال: غزوت خراسان فرأيت رجلا

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۲

من العجم يشبه الروم فسألنى عن مسكنى، فقلت: المدائن، قال: أيها؟ قلت: الرومية.

قال: فأين منزلك منها؟ فوصفته له، قال: هذه دارى، إنى أحدث أصحابى عنها و عن حالى، و ما كنت فيه فيكذبوننى، و لقد دفنت حين حصرنا العرب فى الدكان التى على باب الدار عشرة آلاف درهم و آنية ذهب و فضة كثيرة، فأغضيت على ما قال، و استأذنت أميرى فى القفل، فأذن لى، فقدمت فاحتفرت ذلك الموضع فأصبت ما قال على ما قال، فأحرزته و رجعت إلى مركزى.

قال المدائنى: و اقتسم المسلمون الرومية أرباعا فنزلوها، و نسبت الأرباع إلى قبائل، و معهم فيها غيرهم، غير أنه قيل: ربع عبد القيس و ربع بجيلة و أسد و ربع خزاعة و ربع بقى على ما كان يسمى فى الجاهلية، طسوج هندوان.

و كان كسرى أنزله قوما من الزط فهو يسمى بذلك الاسم إلى اليوم، و اتخذ آل صوحان مسجدا بالرومية، و اختطت القبائل فيما حول

الإیوان، و نزلوا المدینة العتیقة، و لم ینزلوا إلا ما کان للملک و لأهل بیته و لمن هرب مما لم یصالح علیه، فاختط حول الإیوان و الرومیة تمیم و سلیم و عبس و بکر و مزینة و جهینة و همدان و ثقیف و الأنصار و مراد، و نزل بنو أسد الفارقین، و نزل المسلمون الإیوانات و بیوت النیران و المرابط و السکک و دور الضرب و الدواوین، و صار بستان الملک الذی کان یدخله إذا فرغ من الزمزمة مقابر للمسلمین، و نزل حذیفة مربط یزدجرد، و نزل سعد القصر الأبیض و المسجد الذی یجتمعون فیه مسجد العسکر على الناقوس، فلم یزل المسلمون بالمدائن و ما حولها حتى تحولوا إلى الکوفة، فترکوا خططهم على حالها تعرف بهم، و أقام قوم اتخذوا الضیاع بالسواد، فلم یتحولوا، و کان مقامهم بعد الحرب سنتین.

و ذکر أیضا أن سعد بن أبی وقاص کان حین سار إلى المدائن خلف قوما بأرض الکوفة، فقسم لهم مع من شهد المدائن حین فتحها، فقام إلیه رجل من هذیل فقال له:

عمدت إلى فیئنا فأعطیته من لم یشهد، و رکب إلى عمر فشکا سعدا، فأرسل عمر، عمار بن یاسر و عبد الله بن مسعود، فقال: إن وجدتماه بالکوفة فلا تبیتن بها، و إن وجدتماه خارجا عن الکوفة فلا تدعاه یدخلها و خذا الخاتم من یده، فلقیاه بفیین فأخذ أحدهما الخاتم من یده، فنظر إلى الآخر، فقال: أمر بذلک، فقال سعد:

خذینی فجرینی ضباع و أبشری بلحم امرئ لم یحضر الیوم ناصره قال: دعونی أدخل الکوفة، قالا: لا، فقطعا به الفرات من دیر الأعور، فلما قدم على

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۲۳

عمر قال: أین الهذلی؟ فقام، فقال: ما یقول هذا؟ قال سعد: صدق، قال: ارجع فخذه منهم ثم أقسمه.

و ذکر عن عبد الله بن سلیم و غیره، قالوا: اجتمع الأساورة بحلوان عند یزدجرد، فذکروا العرب و رثاثة سلاحهم و سوء عدتهم و ظهورهم علیهم، فتلاوموا و قالوا: أسلمنا ملکنا و ما کنا فیه إلى عصابة لم تکن فی الأرض أمة أصغر أمرا عندنا منهم، فقال بعضهم: لا تعجبوا من هذا، فإنها دولة جاءت قوما، و مدة انقضت عنکم، و هذا أمر أراده الله، و الله لا یغلب. فقال رجل منهم: ارفعوا لی کرة، فرفعوها فرماها بنشابات فلم یخطئها، قال: هذا ما ترون من رمی، و لقد رأیتنی مرة فی بستان أرمی الزنانیر بجلاهق فما أخطأت بواحدة، فقدم العرب فهربت و اتبعنی رجل فرمیته بخمس نشابات فما أصبته، و دعا رجل بقوسه فرمى بنشابة فی حائط لبن فغیبها إلى قریب من الریش، ثم اعترض ساقا من شجرة بسیف فاجتمه، ثم قال: ترون رمی و ضربی؟ قالوا: نعم، قال:

فإنی رمیت رجلا، یعنی من المسلمین، لیس علیه سلاح و لا ثوب یقیه، فأصبت بطنه فما خدشه، و لقد ضربت رجلا حاسرا أصلع بسیفی هذا، فخرج من رأسه شبه الدقیق، و حدث بعض العجم قال: کنت فیمن انهزم عن العرب، فإنی لأسیر فی عشرة من الأساورة إذ انتهینا إلى نهر و رجل من العرب یسقی فرسه، فلما رآنا شد حزام فرسه و ألجمه و رکبه و حمل علینا فولینا، و انفردت من أصحابی دهشا و طمع فیّ فاتبعنی حتى صرت فی مؤخر النهر و فرسی أقوى من فرسه، فزجرت فرسی، فطغى بی النهر، و وقف ینظر إلیّ لا یقدر على العبور، فالتفت إلیه، فقال: أولى لک، فلم أدر ما قال لی حتى سألت بعد و علمت، فما خرج رعب تلک الکلمة من قلبی.

و ذکر بإسناد له إلى عبد الله بن معقل بن مقرن المزنی قال: اصطفى عمر من مال العجم أصنافا، مال من هرب و من قتل، و کل مال لکسرى أو لأحد من أهل بیته، و کل مسیل ماء، و کل دیر برید، فکان خراج ما اصطفى سبعة آلاف ألف حتى کان یوم دیر الجماجم أحرق الدیوان، فأخذ کل قوم ما یلیهم.

قال المدائنی: و کان المغنم بالمدائن و الرومیة قریبا من مغنم القادسیة.

و مما قیل فی ذلک من الشعر قول أبی بجید، نافع بن الأسود التمیمی یفخر بقومه:

بنو تمیم عتاد الحرب قد علموا الناهضون إذا فرسانها رکبوا

و الحاملون إذا ما أزمة أزمت ثقل العشائر إن جمعوا و إن ندبوا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۲۴ و الفاصلون إذا ما خطة جهلت‌عند الجموع و فیهم تفصل الخطب

و المانعون من الأعداء دارهم‌عند الهیاج إذا ما اهتزت الطنب

و الواردون علی کسری مدائنه‌قسرا و من دونها بحر له لجب

نحوی نهابهم و الخیل مشعلة‌وسط الدیار و منها حولهم عصب

شعث علیها لیوث ما یهجهجها‌عند الصیاح بها عجم و لا عرب

شمس بأیدیهم سمر مثقفة‌و کل عضب له فی متنه شطب

إذا جلوها علی الأعداء فی فزع‌لاحت کأن فوق أیدیهم بها شهب و قال أیضا:

و نحن صبحنا یوم دجلة أهلها‌سیوفا و أرماحا و جیشا عرمرما

نراوح بالبیض الرقاق رءوسهم‌إذ الرمی أغری بیننا فتضرما

أذقناهم یوم المدائن بأسنا‌صراحا و أسعطنا الألائم علقما

سقیناهم لما تولوا إلی الردی‌کئوسا ملأناهن صابا و شبرما

أبیتم علینا السلم ثم رجعتم‌وإلی السلم لما أصبح السلم محرما

و یوم یطیر القلب من نعراته‌ربطنا له جأشا و هجنا به دما

دعونا إلیه من تمیم معاشرا‌یجیبون داعیهم و إن کان مجرما

یحلون فی الیوم الشدید قیامه‌عن الشمس و الآفاق أغبر مظلما

ألا أیها ذا السائل عن عشیرتی‌ستخبر عنهم إن سألت لتعلما

فمهما عقدنا جاز فی الناس حکمنا‌و ننقضه منهم و إن کان محکما و قال أیضا:

أیّ یوم لنا کیوم قدیس‌قد ترکنا به القنا مرفوضا

کم سبینا من تاج ملک و أسوار تری فی نطاقه تفضیضا

و قربنا خیر الجیوش شتاء‌و ربیعا مجملا و غریضا

و نفرنا فی مثلهم عن تراض‌لم نعرض و لم نذق تغمیضا

ثم سرنا من فورنا نحو کسری‌ففضضنا جموعه تفضیضا

و أملنا علی المدائن خیلا‌بحرها مثل برهن أریضا

و انتثلنا خزائن المرء کسری‌یوم ولی و حاص منا جریضا و قال النابغة الجعدی من کلمة یذکر أیامهم تلک مع کسری و غیره:

فمضت کتائبنا إلیه عنوة‌حتی حللنا حیث ینخرق الصبا

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۲۵ نرمی مدینته و نحطم جمعه‌و نصک رأس عموده حتی انشطا

و لقیصر أخری رمینا رمیة‌قطعت قرینته کما انقطع السدا

و الخیل تخفق بین دجلة عنوة‌بالسفح من أقر إلی وادی القری

لا قیصر أبدا و لا کسری بهاقضی الحدیث و کان شیئا فانقضی

حدیث «۱» وقعة جلولاء «۲»

ذکر سیف «۳» عن قیس بن أبی حازم قال: أقمنا بالمدائن حین هبطنا و اقتسمنا ما فیها، فأتانا الخبر بأن مهران قد عسکر بجلولاء، و خندق علیه، و أن أهل الموصل قد عسکروا بتکریت، فکتب سعد بذلک إلی عمر، فأجابه: أن سرح هاشم بن عتبة إلی جلولاء فی

اثنى عشر ألفا، و اجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو.

و روى من سماه سيف من رجاله: أن عمر كتب، أيضا، إلى سعد: لئن هزم الله الجندين: جند مهران و جند الأنطاق، فقدم القعقاع حتى يكون على حد سوادكم، بين السواد و الجبل.

قالوا: و كان من حديث جلولاء أن الأعاجم لما انتهوا إليها بعد الهرب من المدائن، و تفرقت الطرق بأهل أذربيجان و الباب و بأهل الجبال و فارس تذامروا و قالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبدا، و هذا مكان يفرق بيننا، فهلموا فلنجتمع به للعرب و لنقاتلهم، فإن كان لنا فهو الذى نريد، و إن كانت الأخرى كنا قد قضينا ما علينا، و أبلينا عذرا. فاحتفروا الخندق، و اجتمعوا فيه على مهران، و نفذ يزدجرد إلى حلوان فنزل بها، و رماهم بالرجال، و خلف فيهم الأموال، فأقاموا فى خندقهم، و قد أحاطوا به الحسك من الخشب إلا طرقهم. ففصل هاشم بالناس من المدائن فى اثنى عشر ألفا، فيهم وجوه المهاجرين و الأنصار و أعلام العرب، فسار إلى جلولاء أربعا، حتى قدم عليهم، فحاصرهم و أحاط بهم، فطاولهم أهل فارس، و جعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا، و زاحفهم المسلمون ثمانين زحفا، كل ذلك يعطيهم الله الظفر على المشركين، و غلبوهم على حسك الخشب، فاتخذوا حسك الحديد.

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۲۴- ۳۵)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۶۱- ۳۶۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۶۹- ۷۱)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۱۰۲، ۱۰۳).

(۲) أشار صاحب الروض المعطار إلى أن جلولاء بالعراق فى أول الجبل، و هى مدينة صغيرة عامرة بها نخل و زرع، و منها إلى خانقين سبعة و عشرون ميلا (ص ۱۶۷).

(۳) انظر: الطبرى (۴/ ۲۴، ۲۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۲۶

و عن بعض الرواة أن هاشما لما نزل على مهران بجلولاء جعل يقوم فى الناس، و يقول:

إن هذا منزل له ما بعده، و جعل سعد يمده بالفرسان حتى إذا كانوا أخيرا قال بعضهم لبعض: أبلوا الله بلاء حسنا يتم لكم عليه الأجر و المغنم، و اعملوا لله فإنكم ردء المسلمين، فالتقوا فاقتتلوا، و بعث الله عليهم ريحا أظلت عليهم البلاد، و لم يستطيعوا إلا المحاجزة، فتهافتت فرسانهم فى الخندق، فلم يجدوا بدا من أن يجعلوا فرضا مما يليهم، تصعد منه خيلهم، فأفسدوا حصنهم، و بلغ ذلك المسلمين، فنظروا إليه، فقالوا: ننهد إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه، فلما نهدوا الثانية خرج القوم، فرموا حول الخندق مما يلى المسلمين بحسك الحديد لكيلا تقدم عليهم الخيول، و تركوا للمجال وجها، فخرجوا منه على المسلمين، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله و لا ليلة الهرير إلا أنه كان أكمش و أعجل، و انتهى القعقاع فى الوجه الذى زحف منه إلى باب خندقهم، فأخذ به، و أمر مناديا فنادى: يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل خندق القوم فأقبلوا إليه، و لا يمنعكم من بينكم و بينه من دخوله. و إنما فعل القعقاع ذلك ليقوى المسلمين، فحملوا حملة لم يقم لها شىء، حتى انتهوا إلى باب الخندق، و لا يشكون أن هاشما به، فإذا هو بالقعقاع قد أخذ به، و أخذ المشركون فى الهزيمة يمنة و يسرة عن المجال الذى بحيال خندقهم، فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين فعقرت دوابهم، و عادوا رجالة، و اتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا من لا يعد، و قتل الله منهم يومئذ مائة ألف، فجللت القتلى المجال و ما بين يديه و ما خلفه، فسميت جلولاء لما جللها من قتلاهم، فهى جلولاء الوقيعة.

و قال بعضهم: كان أشقى أهل فارس بجلولاء أهل الرى، كانوا بها حماة أهل فارس، ففنى أهل الرى يوم جلولاء.

و فى حديث عن محفز بن ثعلبة، و كان شهدها: أن أهل فارس لما رأوا أمداد المسلمين بادروا بقتالهم فى عددهم، ثم وصف من شدة قتالهم. قال: حتى أنفذوا النبل، و قصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف و الطبرزينات و كانوا بذلك صدر نهارهم إلى الظهيرة، و لما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء، حتى إذا كان بين الصلاتين خنست كتيبة من كتائب المشركين و جاءت أخرى فوقفت

مکانها، فأقبل القعقاع علی الناس، فقال:

أهالتکم هذه؟ قالوا: نعم، نحن مکلون و هم مریحون، و الکال یخاف العجز إلا أن یعقب، فقال: إنا حاملون حملة علیهم و مجادوهم و غیر کافین عنهم و لا مقلعین عنهم حتی یحکم الله بیننا، فاحملوا حملة رجل واحد حتی تخالطوهم، و لا یکذبن أحد منکم. فحمل

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۲۷

فانفرجوا فما نهنه أحد عن باب الخندق، و ألبسهم اللیل رواقه، فأخذوا یمنة و یسرة، و نادی منادی القعقاع: أین تحاجزون و أمیرکم فی الخندق فحمل المسلمون، فأدخل الخندق، فأتی فسطاطا فیه مرافق و ثیاب، و إذا ترس علی إنسان فأنبشه، فإذا امرأة کالغزال فی حسن الشمس، فأخذها و ثیابها، فادیت الثیاب، و طلبت الجاریة حتی صارت إلیّ فاتخذتها أم ولد.

قالوا «۱»: و أمر هاشم القعقاع بالطلب، فطلبهم حتی بلغ خانقین، و أدرک بها مهران فقتله، و أدرک الفیرزان فنزل، فتوقل فی الظراب و خلی فرسه، و أصاب القعقاع سبایا، فبعث بهن إلی هاشم، فکن مما اقتسم، و اتخذن، فولدن فی المسلمین، فذلک السبی ینسب إلی جلولاء، و منه کانت أم الشعبی، و یقال من القادسیة.

و یروی أن عمر، رضی الله عنه، قال و قد بلغه ما أصیب من هؤلاء السبایا: اللهم إنی أعوذ بک من أبناء الجلولیات.

قالوا: و لما بلغت الهزیمة یزدجرد سار من حلوان نحو الجبل، فنزل القعقاع بحلوان فی جند فلم یزل إلی أن تحول سعد بالناس من المدائن إلی الکوفة، فلحق به.

قالوا: و کتبوا إلی عمر بفتح جلولاء و بنزول القعقاع حلوان، و استأذنوه فی اتباعهم، فأبی، و قال: لوددت أن بین السواد و الجبل سدا لا یخلصون إلینا و لا نخلص إلیهم، حسبنا من الریف السواد، إنی آثرت سلامة المسلمین علی الأنفال.

و ساق المدائنی خبر جلولاء مساقا بینه و بین ما تقدم بعض اختلاف و أسنده عن جماعة سمی منهم، قال: و بعضهم یزید علی بعض، فسقت حدیثهم: أن یزدجرد هرب إلی حلوان، فلما فتح سعد الرومیة کتب إلی عمر یستأذنه فی البعثة إلی ابن کسری، فکتب إلیه: «الحمد لله الذی أذل ابن کسری و شرده، فأقم بمکانک و احذر علی من معک من المسلمین» فأقام سعد بالمدائن سنتین لم یوجه أحدا، و کتب ابن کسری إلی الجبال فجمع المقاتلة فوجههم إلی جلولاء، و أمر الأساورة و الجنود فنزلوها، فاجتمع بها جمع عظیم علیهم خرزادین خرمهر، فکتب سعد إلی عمر بجمعهم، فکتب إلیه: أقم بمکانک و وجه إلیهم جیشا، فإن الله ناصرک و متم وعده الذی وعد نبیه صلی اللّه علیه و سلم فعقد سعد لهاشم بن عتبة و ندب الناس، فانتدب معه أربعة آلاف فیهم طلیحة بن خویلد، و عمرو ابن معدی کرب و فرسان المسلمین، فسار.

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۲۸

فلما کان بمهروذ أتاه دهقانها فصالحه علی أن یفرش له جریبا دراهم، فقبل منه و مضی إلی جلولاء، فقدم علی قوم قد أعدوا عدة عظیمة، و تحرزوا بالخنادق، فقاتلوهم قتالا شدیدا عن العیال و الذراری، و کتب هاشم إلی سعد یستمده، و أتی المشرکون أهل أذربیجان مددا فعاجلوهم القتال، و کثروهم، فجال المسلمون و انکشفوا، فناداهم هاشم:

یا معشر المسلمین أین؟ أ ما رأیتم ما خلفتم؟ أ تأتون عمر منهزمین؟ فعطف الناس، و علی المیمنة حجر بن عدی، و علی المیسرة عمرو بن معدی کرب، و علی الخیل زهرة بن جویة، و علی الرجال طلیحة بن خویلد، فاشتد القتال بینهم حتی مضی وقت الظهر فصلی المسلمون یومئون إیماء، و ألح المشرکون علیهم، و طلعت کتیبة للمشرکین حامیة فجازت الخندق، ثم طلعت أخری، فقال طلیحة و عمرو بن معدی کرب: یا معشر الفرسان، الأرض و اقرنوا خیولکم، ففعلوا و جثوا و أشرعوا الرماح فرجعت الخیل عنهم، و رموهم بالنشاب، فتترسوا، فمکثوا بذلک ملیا، و أشفق المسلمون فحضهم طلیحة و زهرة و عمرو، فبینا هم علی ذلک إذ سمعوا تکبیرا

للمسلمین وراءهم، فإذا قیس بن مکشوح قد جاءهم فی ألف و أربعمائة فارس و ستمائة راجل، فانهزم المشرکون قبل أن یصل إلیهم، و هاجت ریح شدیدة أظلمت لها الأرض، فتهافت المشرکون فی الخندق، و اتبعهم المسلمون فانتهوا إلی خنادقهم و قد انجلت عنهم الظلمة فرکبوا أکتافهم، فقتلوا منهم مقتلة عظیمة و حووا عسکرهم، فأصابوا شیئا لم یصیبوا مثله من الأموال و السلاح و المتاع و السبایا و الدواب، فجمع ذلک کله إلی هاشم، فجاء رجل من آل خارجة بن الصلت بتمثال ناقة من ذهب موشحة بالدر و ألقاها فی المغنم، و جاء مجفر بن ثعلبة بجاریة، و جاء کل رجل بما صار فی یدیه، فحمل هاشم ذلک کله إلی سعد، فکتب سعد إلی عمر بالفتح و بما أصاب من السبایا و استأذنه فی اتباع العجم و المسیر إلی الجبال، فکتب إلیه عمر، رحمه الله: أقم مکانک عامک هذا حتی ننظر، و احذر علی المسلمین، و اترک أهل الجبال ما ترکوک، فوددت أن بیننا و بین الجبال سدا من نار لا یخلصون إلینا و لا نخلص إلیهم، حسبنا من الریف السواد، فأقم و لا تطلب ما سوی ذلک عامک هذا إلا أن ینزل عدو بقربک، و اقسم بین المسلمین ما أفاء الله علیهم.

و کانت الغنائم ثمانیة عشر ألف ألف، فبلغت السهام ثلاثة آلاف، للفرس سهمان و للراجل سهم، و قال قوم: کانت الغنائم ستة و ثلاثین ألف ألف، و کانت السهام ستة آلاف و ثمانیة من الدواب، للفرس سهمان و للراجل سهم، فحمل سعد الخمس مع زیاد ابن أبی سفیان.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۲۹

و فی کتاب سیف «۱» عمن سمی من رجاله قالوا: و نفل سعد من أخماس جلولاء من أعظم البلاء ممن شهدها، و من أعظمه ممن کان ثابتا بالمدائن، و بعث بالأخماس مع قضاعی بن عمرو الدؤلی من الذهب و الورق و الآنیة و الثیاب، و بعث بالسبی مع أبی مفزر الأسود بن قطبة. قال بعضهم: و بعث بالحساب مع زیاد بن أبی سفیان، و کان الذی یکتبه للناس و یدونهم، فلما قدموا علی عمر کلم زیاد عمر فیما جاء به و وصف له، فقال له عمر: هل تستطیع أن تقوم فی الناس بمثل الذی کلمتنی به؟ فقال: و الله ما علی الأرض شخص أهیب فی صدری منک، فکیف لا أقوی علی هذا فی غیرک؟ فقام فی الناس بما أصابوا و بما صنعوا، و بما یستأذنون فیه من الانسیاح فی البلاد، فقال عمر، رضی الله عنه: هذا الخطیب المصقع، فقال زیاد: إن جندنا أطلقوا بأفعالهم لسانی.

و عن أبی سلمة قال «۲»: لما قدم علی عمر، رحمه الله، بالأخماس من جلولاء، قال عمر: و الله لا یجنه سقف بیت حتی أقسمه. فبات عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن أرقم یحرسانه فی صحن المسجد، فلما أصبح جاء فی الناس و کشف عنه جلابیبه، و هی الأنطاع، فلما نظر إلی یاقوته و زبرجده و جوهره بکی، فقال له عبد الرحمن: ما یبکیک یا أمیر المؤمنین؟ فو الله إن هذا إلا موطن شکر. فقال عمر: و الله ما ذاک یبکینی، و تالله ما أعطی الله هذا قوما إلا تحاسدوا و تباغضوا، و لا تحاسدوا إلا ألقی باسهم بینهم. ثم دعا الحسن فیما ذکر المدائنی فحثا له، ثم دعا الحسین فحثا له، ثم قال: ما تری؟ أنحثی لهم حثیا أم نکیل بالصاع. قال: بل احث لهم، ففعل، ثم دون الدواوین و فرض و قسم.

و ذکر المدائنی، أیضا، أن سعدا کتب إلی عمر، رحمه الله، مع زیاد یستأذنه فی اتباع المشرکین و یصغر أمرهم عنده، فکتب إلیه عمر: جاءنی کتابک تستأذننی فی اتباع المشرکین، و سیأتی فیهم أمری، و ذلک من حق إمامک علیک، و إنما حق المسلم علی المسلم بحق الله، و إن أعظم أهل الإسلام حقا علیهم إمامهم، و ذلک أنه لا تجد أحدا من الناس صلاح أهل الأرض فی صلاحه إلا نبی أو خلیفة، فالأمر إلیک فی اتباعهم تغریر بالمسلمین، و انظر ما أجلب الناس به علیک فی العساکر من مال أو کراع أو سلاح أو متاع، فاقسمه بین من حضر، و اترک الأرضین و الأنهار فتکون فی أعطیة المسلمین، فإنک إن قسمتها بین من حضرک لم یکن لمن بعدهم شیء و لا توطن ولدا من والده، و لا تمسن أنثی من السبی حتی یطیب رحمها، و لا تتخذن مشرکا أمینا علی المسلمین، فإنهم

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۲۹).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۳۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص: ۵۳۰

یأخذون الرشوة فی دینهم و لا رشوة فی دین الله، و ادع الناس فمن استجاب لک و أسلم قبل القتال فهو رجل من المسلمین و له سهم فی الإسلام، و من أسلم بعد القتال و بعد الهزیمة فهو رجل من المسلمین و ماله لأهل الإسلام، و الأسیر إذا أسلم فی أیدی المسلمین فقد أمن علی دمه، و هو فیء للمسلمین، و أقر الفلاحین علی حالهم إلا من حاربک أو هرب أو ترک أرضه و خلاها، فهی لکم فإن رجع فقبلتم منه الجزیة فهو ذمة.

و ذکر سیف «۱» عن رجاله قالوا: کان صلح عمر الذی صالح علیه أهل الذمة، أنهم إن غشوا المسلمین لعدوهم برئت منهم الذمة، و إن سبوا مسلما أن ینهکوا عقوبة، و إن قاتلوا مسلما أن یقتلوا، و علی عمر منعهم، و برئ عمر إلی کل ذی عهد من معرة الجیش.

قال بعضهم: فکان الفلاحون للطرق و الجسور و الأسواق و الحرث، و الدلالة مع الجزی عن أیدیهم علی قدر طاقتهم، و کانت الدهاقین للجزیة عن أیدیهم و العمارة، و علی کلهم الإرشاد و ضیافة ابن السبیل من المهاجرین.

قال المدائنی: و شهد عبد الله بن عمر جلولاء، و اشتری من المغنم متاعا بأربعین ألفا، فلما قدم المدینة أتاه عمر فی منزله، فقال لامرأته: یا صفیة احتفظی بما جاء به عبد الله و لا یصلن منه إلی شیء، ثم قال لعبد الله: یا عبد الله اشتریت من غنائم المسلمین؟

فقالوا: ابن عمر و صاحب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فلأن یرخصوا علیک بمائة أحب إلیهم من أن یغلوا علیک بدرهم، لک فیما اشتریت ربحا لدرهم درهم، فدعا عمر التجار فعرضه علیهم و قال: اشتروا فإنه للمسلمین، فتزایدوا حتی بلغ مائة ألف، فباعه، و أعطی عبد الله ثمانین ألفا، و بعث بالباقی إلی سعد، و کتب إلیه: اقسمه فیمن شهد سنة تسع عشرة.

و عن رجال سیف «۲» قالوا: و لما رجع أهل جلولاء إلی المدائن نزلوا قطائعهم، و صار السواد ذمة لهم إلی ما أصفاهم الله به من مال الکاسرة، و من لج معهم.

و قال القعقاع بن عمرو یذکر نزوله بجلولاء:

من مبلغ عنی القبائل مالکاو قد أحسنت عند الهیاج القبائل

فلله جاهدنا و فی الفرس بغیؤو نحن علی الثغر المخوف نساجل

و أنتم عتاد إن ألمت ملمؤو جلت علینا فی الثغور الجلائل

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۳۲).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۳۳).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۳۱ و هل تذکرونا إن نزلنا و أنتممنازل کسری و الأمور حوائل

فصرنا لکم ردءا بحلوان بعد مانزلنا جمیعا و الجموع نوازل

فنحن الأولی فزنا بحلوان بعد ماأرنت علی کسری الإما و الحلائل و قال أبو بجید فی ذلک:

و یوم جلولاء الوقیعة أصبحت کتائبنا تردی بأسد عوابس

فضضت جموع الفرس ثم أنمتهمفتبا لأجساد المجوس النجائس

و أفلتهن الفیرزان بجرعؤو مهران أردت یوم حز القوانس

أقاموا بدار للمنیة موعدو للترب تحثوها خجوج الروامس «۱»

حدیث یوم تکریت «۲»

و کان سعد، رحمه الله، لما کتب إلی عمر، رضی الله عنه، بأمر جلولاء، و أجابه بما ذکر قبل، کتب إلیه أیضا باجتماع أهل الموصل

إلى الأنطاق و إقباله بهم إلى تكريت حتى نزل بها، و خندق عليه ليحمى أرضه، فأمر عمر سعدا أن يسرح عبد الله بن المعتم إلى الأنطاق، و عين لمقدمته و ميمنته و ميسرته و ساقته رجالا سماهم له، ففصل على ذلك عبد الله من المدائن فى خمسة آلاف، فسار إلى تكريت حتى ينزل على الأنطاق، و معه الروم و إياد و تغلب و النمر، و قد خندقوا، فحصرهم أربعين يوما و تزاحفوا أربعة و عشرين زحفا، فى كلها هزم المشركون و لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم.

فلما رأت الروم ذلك تركوا أمراءهم، و نقلوا متاعهم إلى السفن، و قد كان عبد الله ابن المعتم و كل بالعرب ليدعوهم إليه و إلى نصرته على الروم رجالا- من تغلب و إياد و النمر، فكانوا لا يخفون عليه شيئا، فأقبلت إليه العيون منهم بما فعلت الروم و سألوه للعرب السلم و أخبروه أنهم قد استجابوا، فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين فاشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، و أقروا بما جاء به من عند الله، ثم اعملوا بما نأمركم، فردوا إليه رسلهم بالإسلام، فأرسل إليهم: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التى تلينا لندخل عليهم منها، فخذوا بالأبواب التى تلى دجلة، و كبروا و قاتلوا و اقتلوا من قدرتم عليه.

---

(۱) انظر الأبيات فى: الطبرى (۴/ ۳۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۷۱).

(۲) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۳۵- ۳۷)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۶۴- ۳۶۶)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۷۱، ۷۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۲

فانطلقوا حتى واطئوهم على ذلك، و نهد عبد الله و المسلمون لما يليهم و كبروا و كبرت تغلب و إياد و النمر، و قد أخذوا بالأبواب، فحسب القوم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم، فابتدروا الأبواب التى أمامهم، فأخذتهم سيوف المسلمين مستقبلتهم، و سيوف الربعيين الذين أسلموا ليلتئذ من خلفهم، فلم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من تغلب و إياد و النمر.

قال سيف «۱»: و كان عمر، رضى الله عنه، قد عهد إلى سعد، إن هزم أهل تكريت أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ربعى بن الأفكل العنزى إلى الحصنين، و ربعى هو الذى كان عمر رسم أن يكون على مقدمة عبد الله فى هذا الوجه، فسرحه عبد الله إلى الحصنين، و قال له: اسبق الخبر، و سر ما دون القيل، و أحى الليل، و سرح معه تغلب و إياد و النمر، فقدمهم و عليهم عتبة بن الوعل، أحد بنى سعد بن جشم و ذو القرط و أبو وداعة ابن أبى كرب و ابن ذى السنينة قتيل الكلاب و ابن الحجير الأيادى و بشر بن أبى حوط متساندين، فساروا يسبقون إلى الحصنين خبر الهزيمة ليغزوا أهلها.

فلما كانوا قريبا منها، قدموا عتبة بن الوعل فادعى الظفر و النفل و القفل، ثم الرجال المسلمون آنفا واحدا بعد آخر، كلما وصل واحد منهم ذكر مثل ما ذكر عتبة، فوقفوا بالأبواب و قد أخذوا بها، و أقبلت سرعان الخيل مع ربعى بن الأفكل، حتى اقتحمت الحصنين على أهلهما، فكانت إياها، فنادوا بالإجابة إلى الصلح، فأقام من استجاب، و هرب من لم يستجب، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم، فدعا من لج و هرب، و وفى لمن أقام، فتراجع الهارب و اغتبط مع المقيم، و صارت لهم جميعا الذمة و المنعة، و اقتسم المسلمون بتكريت ما أفاء الله عليهم على أن لكل سهم ألف درهم للفارس ثلاثة آلاف و للراجل ألف، و بعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان «۲»، و بالفتح مع الحارث بن حسان «۳»، و ولى حرب الموصل ربعى بن الأفكل، و الخراج عرفجة بن هرثمة.

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۳۶).

(۲) انظر ترجمته فى: الثقات (۳/ ۳۳۳)، الإكمال (۲/ ۳۲۵)، الطبقات الكبرى (۶/ ۴۰)، تهذيب الكمال (۲/ ۱۰۹۲)، الجرح و التعديل (۷/ ۴۴۹، ۴۵۰)، الإصابة ترجمة رقم (۶۹۸۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۴۲۰۵).

(۳) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (۱۴۰۰)، أسد الغابة ترجمة رقم (۸۶۹)، الثقات (۳/ ۷۵)، تقريب التهذيب (۱/ ۱۴۰)، الجرح و التعديل (۳/ ۳۲۵)، تهذيب التهذيب (۲/ ۱۳۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۳

ذكر يوم ماسبذان «۱» و يوم قرقيسيا «۲»

ذكروا «۳» أنه لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن، بلغ سعدا أن آذين بن الهرمزان جمع جمعا، فخرج بهم إلى السهل، و أن أهل الجزيرة بعثوا جندا إلى هيت، فكتب سعد بذلك إلى عمر، فكتب إليه أن يبعث ضرار بن الخطاب فى جند إلى ابن الهرمزان، و يبعث عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند إلى هيت، و رسم لكلا الجندين صاحب مقدمته و مجنبتين و ساقة و سماهم، فخرج ضرار فى الجند، و قدم صاحب مقدمته حتى انتهى إلى سهل ماسبذان، فالتقوا بمكان يدعى بهندف، فاقتتلوا به، فأسرع المسلمون فى المشركين، و أخذ ضرار آذين بن الهرمزان سلما، فأسره فانهزم عنه جيشه، فقدمه فضرب عنقه، ثم خرج فى الطلب حتى انتهى إلى السيروان، فأخذ ماسبذان عنوة، فتطاير أهلها فى الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، و أقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه، فنزل الكوفة و استخلف على ماسبذان، و كانت إحدى فروج الكوفة.

و خرج عمر بن مالك فى جنده سائرا نحو هيت «۴»، و قدم الحارث بن يزيد العامرى، و هو المعين لمقدمته، حتى نزل بهيت و قد خندقوا عليهم، فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم استطال أمرهم، فترك الأخبية على حالها و خلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم، و خرج فى نصف الناس يعارض الطريق حتى جاء قرقيسيا فى عرة، فأخذها عنوة، فأجاب أهلها إلى الجزاء، و كتب إلى الحارث فى أهل هيت: إن هم استجابوا فخل عنهم و إلا فخندق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيى، فسمحوا بالاستجابة، و انضم الجند إلى عمر بن مالك و الأعاجم إلى أهل بلدهم.

و قال ضرار بن الخطاب يذكر ملتقاهم بهندف:

و لما لقينا فى بهندف جمعهم تنادوا و قالوا يا صبر و ايال فارس

فقلنا جميعا نحن أصبر منكمو أكرم فى يوم الوغى و التمارس

---

(۱) ماسبذان: أحد فروج الشام بالقرب من هيت. انظر: الروض المعطار (ص ۵۱۹).

(۲) قرقيسيا: كورة من كور ديار ربيعة، كانت فى الجانب الشرقى من الفرات. انظر: الروض المعطار (ص ۴۵۵).

(۳) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۳۷، ۳۸)، الكامل لابن الأثير (۲/ ۳۶۶، ۳۶۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۷۲، ۷۳).

(۴) هيت: مدينة بين الرحبة و بغداد، و هى على شاطئ الفرات. انظر: الروض المعطار (ص ۵۹۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۴ ضربناهم بالبيض حتى إذا انثنت أقمنا لها ميلا بضرب القوانس

فولوا سراعا نحو دار أبيهمو قد خوموا يوم الوغا بالوساوس

فما برحت خيلى تقص طريقهمو تقتلهم بين اشتباك الخنادس

ذكر الحديث عن تمصير الكوفة و البصرة و تحول سعد بن أبى وقاص عن المدائن إلى الكوفة و ما يندرج مع ذكر البصرة من فتح الأبلة «۱»

ذكروا «۲» أنه جاء عمر، رضى الله عنه، فتح جلولاء، و ما ذكر بعدها، و نزول المسلمين حيث ذكر قبل نزولهم منها، و لما قدمت الوفود بذلك عليه، أنكرهم حين رآهم، و قال: و الله ما هيئتكم بالهيئة التى بدوتم بها، و لقد قدمت وفود القادسية و المدائن و إنهم لكما بدوا، فما غيركم؟ قالوا: و خومة البلاد، فنظر فى حوائجهم، و عجل سراحهم، و كتب إلى سعد: أنبئنى ما الذى غير ألوان العرب و لحومهم؟.

فكتب إليه: إن العرب خددهم و غير ألوانهم و خومة المدائن و دجلة، فكتب إليه عمر:

إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث سلمان رائدا و حذيفة، و كانا رائدى الجيش، فليرتادا منزلا بريا بحريا، ليس بينى و بينكم فيه بحر و لا جسر، و لم يكن بقى من أمر الجيش شىء إلا و قد أسنده عمر إلى رجل، فبعث سعد حذيفة و سلمان.

فخرج سلمان حتى أتى الأنبار، فسار فى غربى الفرات لا يرى شيئا، حتى أتى الكوفة، و خرج حذيفة فى شرقى الفرات لا يرضى شيئا، حتى أتى الكوفة، فأتيا عليها و فيها ديارات ثلاث: دير حرقة، و دير أم عمرو، و دير سلسلة، و أخصاص خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة، فنزلا فصليا، و قال كل واحد منهما: اللهم رب السماوات و ما أظلت، و رب الأرضين و ما أقلت، و رب الريح و ما أذرت، و النجوم و ما هوت، و البحار و ما جرت، و الشياطين و ما أضلت، و الخصاص و ما أجنت، بارك لنا فى هذه الكوفة، و اجعله منزل ثبات، فرجعا إلى سعد بالخبر.

و ذكر المدائنى أن الناس اجتووا المدائن بعد أن رجعوا من جلولاء، فشكوا ذلك إلى

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۴۰)/ فتوح البلدان للبلاذرى (ص ۳۳۸- ۳۵۴، ۴۲۵- ۴۵۸)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۶۷- ۳۷۱).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۴۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۵

عمر، فقال عمر: هل تصبر بها الإبل؟ قالوا: لا؛ لأن بها بعوضا، قال: فإن العرب لا تصبر ببلاد لا تصبر بها الإبل، اخرجوا فارتادوا منزلا.

قال أبو وائل: فخرجنا فأردنا أن ننزل الحيرة، فقال رجل من أهلها: يا معشر المعذبين، أ لا أدلكم على ما ارتفعت عن البعوضة و تطأطأت عن الثلجة و طعنت فى البرية و خالطت الريف؟ قلنا: بلى، فدلنا على الكوفة، فاختط الناس و نزلوا الكوفة، فكتب إلى عمر بذلك.

و ذكر سيف «۱» عمن سماه من رجاله قالوا: مصر المسلمون المدائن و أوطنوها، حتى إذا فرغوا من جلولاء و تكريت و أخذوا الحصنين، كتب عمر إلى سعد أن ابعث عتبة بن غزوان «۲» إلى فرج الهند فليرتد منزلا يمصره، و ابعث معه سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، و ابعث بعده عرفجة بن هرثمة، و اجعل مكانه الحارث بن حسان، و ابعث عاصم بن عمرو، و حذيفة بن محصن، و مجزأة بن ثور، و الحصين بن القعقاع، فخرج عتبة فى سبعمائة من المدائن و اتبعه عرفجة فى سبعمائة، ثم عاصم ثم حذيفة ثم مجزأة ثم الحصين، كل واحد منهم فى سبعمائة، ثم سعد بن سلمى فى سبعمائة، فساروا حتى أتوا على البصرة اليوم فنزلوها و ثبتوا بها، و البصرة كل أرض حجارتها جص.

قالوا «۳»: و لما نزل أهل الكوفة الكوفة، و استقرت بأهل البصرة الدار، عرف القوم أنفسهم، و ثاب إليهم ما كانوا فقدوا، ثم إن أهل المصرين استأذنوا فى بنيان القصب، فقال عمر، رضى الله عنه: العسكرة أجد لحربكم و أذكى لكم، و ما أحب أن أخالفكم، و ما القصب؟ قالوا: العكرش إذا روى قصب فصار قصبا، قال: فشأنكم، فابنوا بالقصب، ثم وقع الحريق فى المصرين، و كانت الكوفة أشدهما حريقا، فاحترق ثمانون عرشا، و لم يبق فيها قصبة، فبعث سعد نفرا منهم إلى عمر يستأذنونه فى البنيان باللبن، و يخبرونه عن الحريق و ما بلغ منهم، و كانوا لا يدعون شيئا و لا يأتونه إلا أمروه فيه، فقال: ابنوا، و لا يزدن أحد على ثلاثة أبيات، و لا تطاولوا فى البنيان، و الزموا السنة تلزمكم الدولة، فرجع القوم بذلك إلى الكوفة.

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۴۳).

(۲) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۶۹)، التاريخ الكبير (۶/ ۵۲۰، ۵۲۱)، المعارف (۲۷۵)، الجرح و التعديل (۶/ ۳۷۳)، تاريخ بغداد (۱/ ۱۵۵- ۱۵۷)، تهذيب التهذيب (۷/ ۱۰۰)، شذرات الذهب (۱/ ۲۷)، الإصابة ترجمة رقم (۵۴۲۷)، أسد الغابة ترجمة

رقم (۳۵۵۶).

(۳) انظر: الطبرى (۴/ ۴۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۶

و كتب عمر إلى عتبة و أهل البصرة بمثل ذلك، و عهد عمر إلى الوفد، و تقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنيانا فوق القدر، قالوا: و ما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السرف، و لا يخرجكم من القصد.

فأول شيء خط بالكوفة، و بنى حين عزموا على البناء المسجد، فاختط ثم قام رجل شديد النزع، فرمى عن يمينه و من بين يديه و من خلفه و عن شماله، و أمر من شاء أن يا بنى وراء مواقع تلك السهام، و بنوا لسعد دارا بحياله، بينهما الطريق، و جعل فيها بيوت الأموال، و هى قصر الكوفة اليوم، و بنى سعد فى الذى خطوا للقصر قصرا بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم، و جعل فيه بيت المال، و سكن ناحيته، ثم إن بيت المال نقب عليه منه، فأخذ منه المال.

و كتب سعد بذلك إلى عمر، و وصف له موضع الدار و بيوت المال من الصحن، فكتب إليه عمر: أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جانب الدار، و اجعل الدار قبالته، فإن للمسجد أهلا بالنهار و بالليل، و فيهم حصن لمالهم، فنقل المسجد و أراع بنيانه، فقال له دهقان من أهل همذان، يقال له روزبه بن بزرجمهر: أنا أبنيه لك، و أبنى لك قصرا و أصلهما، و يكون بنيانا واحدا، فخط قصر الكوفة على ما خط عليه، ثم أنشأه من بعض آجر قصر كان للأكاسرة فى ضواحى الحيرة على مساحته اليوم، و وضع المسجد بحيال بيوت الأموال، و كان بنيانه على أساطين من رخام، كانت لكنائس لكسرى بغير مجنبات، فلم يزل على ذلك حتى بنى زمن معاوية بنيانه اليوم على يدى زياد.

و لما أراد زياد بناءه دعا بنائين من بنائى الجاهلية، فوصف لهم موضع المسجد و قدره و ما يزيد من طوله فى السماء، و قال: أشتهى من ذلك شيئا لا ـ أقع على صفته، فقال له بناء قد كان بنى لكسرى: لا يجىء هذا إلا بأساطين من جبال الأهواز، تنقر ثم تثقب، و تحشى بالرصاص و بسفافيد الحديد، فترفعه ثلاثين ذراعا فى السماء ثم تسقفه، ثم تجعل له مجنبات و مواخر، فيكون أثبت له، فقال: هذه الصفة التى كانت نفسى تنازعنى إليها و لم تعبرها.

قال عطاء مولى إسحاق بن طلحة: كنت أجلس فى المسجد الأعظم من قبل أن يبنيه زياد، و ليست له مجنبات و لا مواخر، فأرى منه دير هند و باب الجسر.

و ذكر الطبرى «۱» عن المدائنى أن عمر بن الخطاب وجه عتبة بن غزوان إلى البصرة

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۵۹۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۳۷

سنة أربع عشرة، و ذكر عن الشعبى قال: قتل مهران فى صفر سنة أربع عشرة، فقال عمر لعتبة: قد فتح الله على إخوانكم الحيرة و ما حولها، و قتل عظيم من عظمائها، و لست آمن أن يمدهم إخوانهم من أهل فارس، فأنا أريد أن أوجهك إلى أرض الهند، و البصرة يومئذ تدعى أرض الهند، لتمنع أهل ذلك الحيز من إمداد إخوانهم على إخوانكم و تقاتلهم، لعل الله أن يفتح عليكم، فسر على بركة الله، و اتق الله ما استطعت، و احكم بالعدل، و صل الصلاة لوقتها، و أكثر ذكر الله.

فأقبل عتبة فى ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا، و ضوى إليه قوم من الأعراب و أهل البوادى، فقدم البصرة فى خمسمائة، يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا.

و ذكر من طريق آخر «۱» أنه رقمها فى ثلاثمائة، فلمّا رأى منبت القصب، و سمع نقيق الضفادع قال: إن أمير المؤمنين أمرنى أن أنزل أقصى البر من أرض العرب، و أدنى أرض الريف من أرض العجم، فهذا حيث وجب علينا طاعة إمامنا، فنزل الخريبة.

و فی حدیث الشعبی «۲»: و لیس بها، یعنی بالبصرة، یومئذ إلا سبع دساكر، فكتب إلی عمر، و وصف له منزله، فكتب إلیه عمر: أجمع الناس موضعا واحدا و لا تفرقهم، و أقام عتبة أشهرا لا یغزو و لا یلقی أحدا.

و فی حدیث آخر «۳»: أن عتبة أقبل بمن كان معه حتی إذا كانوا بالمربد وجدوا هذا الكذان، قالوا: هذه البصرة، فساروا حتی بلغوا حیال الجسر الصغیر، فإذا حلفاء و قصب نابتة، فقالوا: هاهنا أمرتم، فنزلوا دون صاحب الفرات، فأتی فقیل له: إن هاهنا قوما معهم رایة، و هم یریدونك، فأقبل فی أربعة آلاف أسوار، فقال: ما هم إلا ما أری، اجعلوا فی أعناقهم الحبال، و أتونی بهم، فجعل عتبة یوجل و یقول: إنی شهدت القتال مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، یعنی فكان لا یقاتل حتی تزول الشمس و تهب الریاح و ینزل النصر، حتی إذا زالت الشمس، قال عتبة لأصحابه: احملوا، فحملوا علیهم فقتلوهم أجمعین، إلا صاحب الفرات، أخذوه أسیرا، فقال عتبة: ابغوا لنا منزلا هو أنزه من هذا، و كان یوم عكاك، فرفعوا له منبرا، فقام یخطب، فقال: إن الدنیا قد آذنت بصرم و ولت حذاء، و لم یبق منها إلا صبابة الإناء، ألا و أنكم منتقلون منها إلی دار القرار، فانتقلوا بخیر ما

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۴).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۱).

(۳) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۱، ۵۹۲).

الاکتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۵۳۸

بحضرتكم، و لقد ذكر لی: أن صخرة ألقیت من شفیر جهنم هوت سبعین خریفا، و لتملأنه، أ فعجبتم! و لقد ذكر لی أن ما بین مصراعین من مصاریع الجنة مسیرة أربعین عاما، و لیأتین علیه یوم و له كظیظ من الرخام، و لقد رأیتنی و إنی لسابع سبعة مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم ما لنا طعام إلا ورق السمر، حتی تقرحت أشداقنا، و التقطت بردة فشققتها بینی و بین سعد، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا و هو أمیر مصر من الأمصار، و ستجربون الأمراء بعدنا.

و فی بعض ما ذكره الطبری «۱» من الأحادیث عن مقدم عتبة البصرة، و أنه نزل الخریبة، قال: و بالأبلة خمسمائة من الأساورة یحمونها، و كان مرفأ السفن من الصین و ما دونها، فسار عتبة، فنزل دار الإجانة، فأقام نحوا من شهر، ثم خرج إلیه أهل الأبلة فناهضهم عتبة، و جعل قطبة بن قتادة السدوسی، و قسامة بن زهیر المازنی فی عشرة فوارس، و قال لهما: كونا فی ظهورنا، فتردا المنهزم، و تمنعا من أرادنا من ورائنا، ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جزر جزور و قسمها، حتی منحهم الله أكتافهم، و ولوا منهزمین، حتی دخلوا المدینة، و رجع عتبة إلی عسكره فأقاموا أیاما و ألقی الله فی قلوبهم الرعب فخرجوا عن المدینة، و حملوا ما خف لهم، و عبروا إلی الفرات، و خلوا المدینة، فدخلها المسلمون فأصابوا متاعا و سلاحا و سبیا و عینا، فاقتسموا العین، فأصاب كل رجل منهم درهمان، و ولی نافع بن الحارث أقباض الأبلة، فأخرج خمسه ثم قسم الباقی بین من أفاء الله علیه، و كتب بذلك مع نافع بن الحارث.

و قال داود بن أبی هند: أصاب المسلمون بالأبلة من الدراهم ستمائة درهم، فأخذ كل رجل درهمین، ففرض عمر لأصحاب الدرهمین فی ألفین من العطاء.

و قال الشعبی «۲»: شهد فتح الأبلة مائتان و سبعون، فیهم أبو بكرة، نفیع بن الحارث، و شبل بن معبد، و المغیرة بن شعبة، و مجاشع بن مسعود، و أبو مریم البلوی.

و فی حدیث یروی عن عمرة ابنة قیس «۳»: أنه لما خرج الناس لقتال أهل الأبلة، و كانوا حیالها، قالوا للعدو: نعبر إلیكم أو تعبرون إلینا؟ قال: اعبروا إلینا، فأخذوا خشب العشر فأوثقوه، و عبروا، فقال المشركون: لا تأخذوا أولهم حتی یعبر آخرهم،

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۴).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۵).

(۳) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۳۹

فلما صاروا على الأرض کبروا تکبیرة، ثم کبروا الثانیة، فقامت دوابهم على أرجلها، ثم کبروا الثالثة، فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض، و جعلنا ننظر إلى رءوس تندر، ما نرى من یضربها، و فتح الله على أیدیهم المدینة.

و قال سلمة بن المحبق «۱»: شهدت فتح الأبلة، فوقع فی سهمی قدر نحاس، فلما نظرت إذا هی ذهب فیها ثمانون ألف مثقال، و کتب فی ذلک إلى عمر، فکتب: أن تصبر یمین سلمة بالله لقد أخذها یوم أخذها و هی عنده نحاس، فإن حلف سلمت إلیه، و إلا قسمت بین المسلمین. قال: فحلفت فسلمت لی.

قال المثنى بن موسى بن سلمة: فأصول أموالنا الیوم منها.

و قال عبایة بن عبد عمرو «۲»: شهدت فتح الأبلة مع عتبة، فبعث نافعا إلى عمر، و جمع لنا أهل دست میسان، فقال عتبة: أرى أن نسیر إلیهم، فسرنا فلقینا مرزبان دست میسان، فقاتلناه، فانهزم أصحابه و أخذ أسیرا، فأخذ قباؤه و منطقته فبعث بها عتبة مع أنس بن حجیة الیشکری.

قال أبو الملیح الهذلی: فسأله عمر: کیف المسلمون؟ قال: انثالت علیهم الدنیا، فهم یهیلون الذهب و الفضة، فرغب الناس فی البصرة فأتوها.

و عن علی بن زید قال: لما فرغ عتبة من الأبلة جمع له مرزبان دست میسان، فسار إلیه عتبة من الأبلة فقتله، ثم سرح مجاشع بن مسعود إلى الفرات و بها مدینة، و وفد عتبة إلى عمر، و أمر المغیرة بن شعبة أن یصلی بالناس حتى یقدم مجاشع من الفرات، فإذا قدم فهو الأمیر، فظفر مجاشع بأهل الفرات، و رجع إلى البصرة، و جمع المیلکان، عظیم من عظماء الأعاجم، للمسلمین، فخرج إلیه المغیرة، فلقیه بالمرغاب «۳»، فظفر به، فکتب إلى عمر بالفتح، فقال عمر لعتبة: من استعملت على البصرة؟ فقال: مجاشع بن مسعود، قال: تستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدر؟ تدری ما حدث؟ قال: لا، فأخبره بما کان من أمر المغیرة، و أمره أن یرجع إلى عمله، فمات عتبة فی الطریق، و استعمل عمر المغیرة. الاکتفاء، الکلاعی ج ۲ ۵۳۹ ذکر الحدیث عن تمصیر الکوفة و البصرة و تحول سعد بن أبی وقاص عن المدائن إلى الکوفة و ما یندرج مع ذکر البصرة من فتح الأبلة ..... ص : ۵۳۴

فی روایة أن أهل میسان هم الذین جمعوا، فلقیهم المغیرة، و ظهر علیهم قبل قدوم مجاشع من الفرات، و بعد أن شخص عتبة إلى عمر أثر ما قتل مرزبان دست میسان.

---

(۱) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۶).

(۲) انظر: الطبری (۳/ ۵۹۵).

(۳) المرغاب: موضع نهر بالبصرة. انظر: معجم البلدان (۵/ ۱۰۷).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۴۰

و ذکر الطبری بسنده عن قتادة قال: جمع أهل میسان للمسلمین، فسار إلیهم المغیرة، و خلف الأثقال، فلقیهم دون دجلة، فقالت أردة بنت الحارث بن کلدة: لو لحقنا بالمسلمین فکنا معهم، فاعتقدت لواء من خمارها، و اتخذ النساء من خمرهن رایات، و خرجن یردن المسلمین، فانتهین إلیهم، و المشرکون یقاتلونهم، فلما رأى المشرکون الرایات مقبلة، ظنوا أن مددا أتى المسلمین فانکشفوا، و اتبعهم المسلمون، فقتلوا منهم عدة.

أردة بنت الحارث بن کلدة: هذه کانت تحت شبل بن معبد البجلی، و کانت أختها صفیة عند عتبة بن غزوان، فلما ولی عتبة البصرة،

انحدر معه أصهاره، أبو بكرة و نافع و شبل، و انحدر معهم زياد، فلما فتحوا الأبلة لم يجدوا قاسما يقسم بينهم، فكان زياد قاسمهم، و هو ابن أربع عشرة سنة، له ذؤابة، فأجروا عليه كل يوم درهمين.

قال الطبرى: و كان ممن سبى من ميسان يسار أبو الحسن البصرى، و أرطبان جد عبد الله بن عون بن أرطبان.

و الأخبار فى شأن هذين المصرين يوهم ظاهرها الاختلاف المتباين فى وقت عمارة المسلمين لهما، فأكثرها على أن ذلك كان بعد المدائن، و بعد جلولاء، و قد ذكرنا ما ذكر الطبرى فى بعض ما أورده، أن عمر وجه الناس مع عتبة إلى البصرة فى سنة أربع عشرة، و هذا يقتضى أنه قبل القادسية، فضلا عن المدائن، و كذلك ذكر المدائنى من حديث حميد بن هلال، أن خالد بن عمير العدوى حدثه قال: لما كان أيام القادسية، كتب إلينا أهل الكوفة يستمدوننا، فأمدهم أهل البصرة بألف و خمسمائة راكب، كنت فيهم، فقدمنا على سعد بالقادسية و هو مريض، و ذكر بقية الحديث.

و لعل نزول المسلمين بهذين الموضعين كان متقدما على تمصيرهما و بنيانهما بزمان، و مع ذلك فلا يرتفع الخلاف فى ذلك بين الأخبار كل الارتفاع، و الله تعالى أعلم.

و كان عمر، رضى الله عنه، قد أمر سعدا بعد ما وجهه إلى العراق أن يجعل الناس أعشارا، فلما كان بعد ذلك رجح الأعشار بعضهم بعضا رجحانا كثيرا، فكتب سعد إلى عمر فى تعديلهم، فكتب إليه: أن عدلهم، فأرسل سعد إلى قوم من نساب العرب و عقلائهم و ذوى الرأى منهم، كسعيد بن نمران، و مشعلة بن نعيم، فعدلوهم أسباعا، فلم يزالوا كذلك عامة إمارة معاوية حتى ولى زياد فربعهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۱

ذكر الجزيرة، و ذكر السبب الذى دعا عمر إلى الأمر بقصدها «۱»

و ذلك أن هرقل أغزى حمص فى البحر بعد أن غلب عليها المسلمون، و استمد أهل الجزيرة على أبى عبيدة و من فيها من المسلمين، فأجابوه، و بلغت أمداد الجزيرة ثلاثين ألفا، سوى أمداد قنسرين من تنوخ و غيرهم، فبلغوا من المسلمين كل مبلغ، فضم أبو عبيدة مسالحه، و عسكروا بفناء مدينة حمص، و خندقوا عليها، و كتبوا إلى عمر و استصرخوه، و كان عمر، رضى الله عنه، قد اتخذ فى كل مصر على قدرها خيولا من فضول أموال المسلمين، عدة لما يعرض، فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس يشتيها فى قبلة قصر الكوفة و ميسرته، بمكان يسمى لأجل ذلك الآرى، و يربعها فيما بين الفرات و الأبيات من الكوفة، مما يلى العاقول، فسمته الأعاجم: آخر الشاهجان، يعنون معلف الأمراء.

و كان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلى فى نفر من أهل الكوفة، يصنع سوابقها، و يجريها فى كل يوم، و بالبصرة نحو منها، و قيمه عليها جزء بن معاوية، و فى كل مصر من الأمصار على قدره، فلما وقع إلى عمر كتاب أبى عبيدة يستصرخه، كتب إلى سعد بن أبى وقاص: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو، و سرحهم من يومهم الذى يأتيك فيه كتابى إلى حمص، فإن أبا عبيدة قد أحيط به، و تقدم إليهم فى الجد و الحث.

و كتب إليه أيضا: أن سرح سهيل بن عدى إلى الجزيرة فى الجند، و ليأت الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، و إن أهل قرقيسيا لهم سلف، و سرح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين، ثم لينفضا حران و الرها، و سرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة و تنوخ، و سرح عياض بن غنم، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا إلى عياض، فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم الذى أتاهم فيه الكتاب نحو حمص، و حديثهم مذكور فى أمر حمص من فتح الشام، و إنما أعيد منه هنا هذا القدر تطريقا لحديث الجزيرة و تمهيدا له.

و خرج عياض بن غنم، و أمراء الجزيرة، فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض و غيرها، فتوجه كل أمير إلى الكورة التى أمّر عليها، و لما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن الجنود قد خرجت من الكوفة، و لم يدروا، الجزيرة يريدون أم حمص؟

(۱) انظر الخبر فی: الطبری (۴/ ۵۰)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۷۶)، الکامل لابن الأثیر (۲/ ۳۷۲- ۳۷۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۴۲

تفرقوا إلی بلدانهم خوفا علیها، و خلوا الروم، فأتی سهیل بن عدی حتی انتهی إلی الرقة، و قد حصر فیها أهلها الذین ارفضوا عن حمص، فنزل علیهم، و أقام محاصرهم حتی صالحوه، و ذلک أن قالوا فیما بینهم: إنکم بین أهل العراق و أهل الشام، فما بقاؤکم علی حرب هؤلاء و هؤلاء؟ فبعثوا إلی عیاض، و هو فی منزل واسط بالجزیرة، فقبل منهم و عقد لهم عن أمرة سهیل بن عدی.

و خرج عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فسلک علی دجلة حتی انتهی إلی الموصل، عبر إلی بلد ثم أتی نصیبین، فلقوا بالصلح، و صنعوا کما صنع أهل الرقة، و خافوا مثل الذی خافوا، فعقد لهم عبد الله عن أمر عیاض، و أجروا ما أخذوه عنوة من الرقة و نصیبین، ثم أجابوا مجری أهل الذمة، و لما أعطی أهل الرقة و نصیبین الطاعة، ضم عیاض سهیلا و عبد الله إلیه، فسار بالناس إلی حران، فأخذ ما دونها، فلما انتهی إلیهم اتقوه بالإجابة إلی الجزیة، فقبل منهم، و أجری من أجاب بعد غلبته مجری أهل الذمة، ثم سرح سهیلا و عبد الله إلی الرها، فاتقوهما بالإجابة إلی الجزیة، فقبل ذلک عیاض منهم، و أجری من دونهم مجراهم، فکانت الجزیرة أسهل البلدان أمرا و أیسره فتحا.

و قال سهیل بن عدی فی ذلک:

و صادمنا الفرات غداة سرناإلی أهل الجزیرة بالعوالی

و لم نثن الأعنة حین سرنابجرد الخیل و الأسل النهال

فأجهضنا الأولی قادوا لحمصو قد منوا أمانی الضلال

أخذنا الرقة البیضاء لمارأینا الشهر لوح بالهلال

و أزعجت الجزیرة بعد خفضو قد کانت تخوف بالزوال

و صار الخرج صافیة إلینابأکناف الجزیرة عن تغال و قال فی ذلک عبد الله بن عتبان:

ألا من مبلغ عنی بجیرافما بینی و بینک من بعاد

فإن تقبل تلاق العدل فیناو تنسی ما عهدت من الجهاد

و إن تدبر فما لک من نصیبنصیبی فیلحق بالعباد

و قد ألقت نصیبین إلیناسواد البطن بالخرج السداد

لقد لقیت نصیبین الدواهیبدهم الخیل و الجرد الوراد

و نفست الجیاد عن أهل حمصجنود الروم أصحاب الفساد

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۴۳ و عاین عامر منهم عدیداو دهما مثل سائمة الجراد و خرج الولید بن عقبة «۱» حتی قدم علی بنی تغلب و عرب الجزیرة، فنهض معه مسلمهم و کافرهم إلا أیاد بن نزار، فإنهم ارتحلوا بکلیتهم، فاقتحموا أرض الروم، فکتب الولید بذلک إلی عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، فکتب إلی ملک الروم: إنه بلغنی أن حیا من أحیاء العرب ترک دارنا و أتی دارک، فو الله لتخرجنه أو لننبذن إلی النصاری، ثم لنخرجنهم إلیک. فأخرجهم ملک الروم، فتم منهم علی الخروج أربعة آلاف، و خنس بقیتهم، فتفرقوا مما یلی الشام و الجزیرة من بلاد الروم، فکل أیادی فی أرض العرب من أولئک الأربعة آلاف، و أبی الولید أن یقبل من بنی تغلب إلا الإسلام، و کتب فیهم إلی عمر، فأجابه: إنما ذلک لجزیرة العرب لا یقبل منهم فیها إلا الإسلام، فدعهم علی أن لا ینصروا ولیدا، و أقبل منهم إذا أسلموا، فقبل منهم علی أن لا ینصروا ولیدا، و لا یمنعوا أحدا منهم من الإسلام، و أبی بعضهم إلا الجزاء، و رضی منهم بما رضی به من العباد و تنوخ.

و فی حدیث عن أبی سیف التغلبی «۲»: أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم کان عاهد وفد بنی تغلب علی أن لا ینصروا ولیدا، فکان ذلک الشرط علی الوفد و علی من وفدهم، و لم یکن علی غیرهم، فلما کان زمان عمر قال مسلموهم: لا تنفروهم بالخراج فیذهبوا، و لکن أضعفوا علیهم الصدقة التی تأخذونها من أموالهم، فإنهم یغضبون من ذلک الجزاء علی أن لا ینصروا ولیدا إذا أسلم آباؤهم، فخرج وفدهم فی ذلک إلی عمر، رحمه الله.

و لما بعث الولید إلیه برءوس النصاری و بدیانیهم، فأمرهم عمر بأداء الجزیة، قالوا له:

أبلغنا مأمننا، فو الله لئن وضعت علینا الجزاء لندخلن أرض الروم، و و الله لتفضحنا من بین العرب، فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسکم، و خالفتم أمتکم، و الله لتؤدنها و أنتم صغرة قمأة، و لئن هربتم إلی الروم لأکتبن فیکم، ثم لأسبینکم. قالوا: فخذ منا شیئا و لا تسمیه جزاء، فقال: أما نحن فنسمیه الجزاء، و سموه أنتم ما شئتم. فقال له علی بن أبی طالب و أصغی إلیه عمر: یا أمیر المؤمنین، أ لم یضعف علیهم سعد بن مالک الصدقة؟ قال: بلی،

(۱) انظر ترجمته فی: طبقات ابن سعد (۶/ ۲۴)، الجرح و التعدیل (۹/ ۸)، تاریخ ابن عساکر (۱۷/ ۴۳۴)، تذهیب التهذیب (۴/ ۱۳۸)، البدایة و النهایة (۸/ ۲۱۴)، العقد الثمین (۷/ ۳۹۸)، تهذیب التهذیب (۱۱/ ۱۴۲)، أسد الغابة ترجمة رقم (۵۴۷۵)، الإصابة ترجمة رقم (۹۱۶۷).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۵۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۴۴

قال: فرضی به منهم جزاء و رضی القوم بذلک، فبنو تغلب تسمی جزیتهم صدقة، و أما تنوخ فلم تبال أی ذلک کان، فهم یسمونها الجزیة، و کان فی بنی تغلب عز و امتناع، فلا یزالون ینازعون الولید فیهم بهم و یقول:

إذا ما عصبت الرأس منی بمشوذفغیک منی تغلب ابنة وائل و بلغت عمر، رحمه الله، فخاف أن یخرجوه و أن یضعف صبره فیسطو علیهم، فعزله و أمر علیهم فرات بن حیان و هند بن عمرو الجملی.

ذکر فتح سوق الأهواز و مناذر و نهرتیر «۱»

ذکر سیف عن شیوخه، قالوا «۲»: لما انهزم الهرمزان بالقادسیة، جعل وجهه إلی أمته، فملکهم و قاتل بهم من أرادهم، فکان یغیر علی میسان و دست میسان من وجهین، من مناذر و نهرتیر، فاستمد عتبة بن غزوان سعدا، فأمده بنعیم بن مقرن و نعیم بن مسعود، و أمرهما أن یکونا بین أهل میسان و دست میسان و بین نهرتیر، و وجه عتبة، سلمی بن القین و حرملة بن مریطة الحنظلیین، فنزلا علی حدود أرض میسان و دست میسان، بینهم و بین مناذر، و دعوا بنی العم بن مالک، فخرج إلیهم غالب الوائلی و کلیب بن وائل الکلبی، فترکا نعیما و نعیما، و أتیا سلمی و حرملة، و قالا: أنتما من العشیرة، و لیس لکما منزل، فإذا کان یوم کذا فانهدوا للهرمزان، فإن أحدنا یثور بمناذر، و الآخر بنهرتیر، فنقتل المقاتلة، ثم یکون وجهنا إلیکم، فلیس دون الهرمزان شیء إن شاء الله.

فلما «۳» کانت لیلة الموعد، خرج سلمی و حرملة صبیحتها فی تعبئة، و أنهضا نعیما، و نعیم و سلمی علی أهل البصرة، و نعیم بن مقرن علی أهل الکوفة، فالتقوا هم و الهرمزان بین دلث و نهرتیر فاقتتلوا، فبینا هم فی ذلک أقبل المدد من قبل غالب و کلیب، و أتی الهرمزان الخبر بأخذ مناذر و نهرتیر، فکسر الله فی ذرعه و ذرع جنده، و هزمه و إیاهم، فقتل المسلمون منهم ما شاءوا و أصابوا ما شاءوا، و اتبعوهم حتی وقفوا علی شاطئ دجیل، و أخذوا ما دونه، و عسکروا بحیال سوق الأهواز، و قد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز، و أقام بها، و صار دجیل بینه و بین المسلمین، و رأی الهرمزان ما لا طاقة له به،

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۷۲- ۷۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۸۲، ۸۳).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۷۲، ۷۳).

(۳) انظر: الطبرى (۴/ ۷۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۵

فطلب الصلح و كتبوا إلى عتبة يستأمرونه فيه، و كاتبه الهرمزان، فأجاب عتبة إلى ذلك على الأهواز كلها و مهرجان قذق، ما خلا نهرتير و مناذر، و ما غلبوا عليه من سوق الأهواز، فإنا لا نرد عليهم ما تنقذنا.

و جعل عتبة على مناذر سلمى بن القين مسلحة و أمرها إلى غالب، و حرملة على نهرتير، و أمرها إلى كليب، فكانا على مسالح البصرة، و هاجرت طوائف بنى العم، فنزلوا البصرة، و جعلوا يتبايعون على ذلك، و كتب عتبة بذلك إلى عمر، رحمه الله، و وفد وفدا منهم سلمى و حرملة، و أمرهما أن يستخلفهما على عمليهما و غالب و كليب، و وفد يومئذ من البصرة وفودا، فأمرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم، فكلهم قال: أما العامة فأنت صاحبها، فلم يبق إلا خواص أنفسنا، فطلبوا لأنفسهم، إلا ما كان من الأحنف بن قيس، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، إنه لكما ذكروا، و لقد يغرب عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة، و إنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخير، و يسمع بآذانهم، و إنا لم نزل ننزل منزلا بعد منزل حتى أرزنا إلى البر، و إن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا فى مثل حدقة البعير الغاسقة، من العيون العذاب، و الجنان الخصاب، فتأتيهم ثمارهم غضة، لم تخضد، و إنا معاشر أهل البصرة نزلنا بسبخة هشاشة زعقة نشاشة، طرف لها فى الفلاة، و طرف لها فى البحر الأجاج، يجر إليها ما جر فى مثل مرئ النعامة، دارنا مفعمة، و وظيفتنا ضيقة، و عددنا كثير، و أشرافنا قليل، و أهل البلاء فينا كثير، و درهمنا كبير، و فقيرنا صغير، و قد وسع الله علينا، و زادنا فى أرضنا، فوسع علينا يا أمير المؤمنين، و زدنا وظيفة، تطوف علينا، و نعيش بها.

فنظر عمر إلى منازلهم التى كانوا بها، إلى أن صاروا إلى الحجر، فنفلهموها، و أقطعهم إياها، و كان ذلك مما كان لآل كسرى، فصار فيئا فيما بين دجلة و الحجر، فاقتسموه، و كان سائر ما كان آل كسرى فى أرض البصرة على حال ما كان فى أرض الكوفة ينزلونه من أحبوا، و يقتسمونه بينهم، لا يستأثرون به على بدء و لا ثنى، بعد ما يرفعون خمسه إلى الوالى. فكانت قطائع أهل البصرة نصفين، نصفها مقسوم، و نصفها متروك للعسكر و للاجتماع، و كان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف، و كانوا بالكوفة ثلاثين ألفا، فألحق عمر أعدادهم بأهل البصرة، حتى ساواهم بهم، ألحق جميع من شهد الأهواز، ثم قال: هذا الغلام سيد أهل البصرة، يعنى الأحنف، و كتب إلى عتبة أن يسمع منه، ورد سلمى و حرملة و غالبا و كليبا إلى مناذر و نهرتير، فكانوا عدة فيها لما يعرض.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۶

حديث فتح الأهواز و مدينة سرق

و اتصل ما بين أهل البصرة و بين أهل ذمتهم، على ما ذكر، إلى أن وقع بين الهرمزان و بين غالب و كليب فى حدود الأرضين اختلاف، فحضر سلمى و حرملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالبا و كليبا محقين، و الهرمزان مبطلا، فحالا بينه و بينهما، فكفر الهرمزان، و منع ما قبله، و استعان بالأكراد، فكثف جنده، و كتبوا ببغيه و كفره إلى عتبة، فكتب بذلك إلى عمر، فأمدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدى، و كانت له صحبة، و أمره على القتال، و على ما غلب عليه. فنهدوا معه، و نهد الهرمزان بمن معه حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز عبر الهرمزان فوق الجسر، بعد أن خيرهم، فقالوا له: اعبر، فاقتتلوا هنالك، فهزم الله الهرمزان، و وجه نحو رامهرمز، و افتتح حرقوص سوق الأهواز، فأقام بها، و نزل الجبل، و اتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر، و وضع الجزية، و كتب بالفتح و الأخماس إلى عمر، فحمد الله، و دعا له بالثبات و الزيادة.

و كان عمر، رضى الله عنه، قد عهد إلى حرقوص: إن فتح الله عليهم أن يبعث جزء بن معاوية فى أثر الهرمزان، و هو متوجه إلى رامهرمز، فما زال يقاتلهم حتى انتهى إلى قرية الشغر، و أعجزهم بها الهرمزان، فمال منها جزء إلى دورق، و مدينة سرق فيها قوم لا يطيقون منعها، فأخذها صافية، و دعا من هرب إلى الجزاء و المنعة، فأجابوه، و كتب بذلك كله إلى عمر و إلى عتبة، فكتب عمر، رحمه الله، إلى جزء و إلى حرقوص بلزوم ما غلبا عليه، و المقام حتى يأتيهما أمره، ففعلا، و استأذنه جزء فى عمران ما دثر، فأذن له، فشق الأنهار، و عمر الموات.

و لما نزل الهرمزان رامهرمز و ضاقت عليه الأهواز بالمسلمين، طلب الصلح و راسل فيه حرقوصا و جزءا، فكتب فيه حرقوص إلى عمر، فكتب إليه و إلى عتبة، يأمر بقبول صلح الهرمزان على ما لم يفتتحوا من البلاد، على رامهرمز و تستر و السوس و جندىسابور و البنيان و مهرجان نقذق، فقبل ذلك الهرمزان، و أجابهم إليه، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم عمر، و أقام الهرمزان على صلحه يجبى إليهم و يمنعونه، و إن غاوره أكراد فارس أعانوه و ذبوا عنه.

و كتب عمر إلى عتبة أن يوفد عليه عشرة من صالحاء جند البصرة، فوفد إليه منهم عشرة، فيهم الأحنف بن قيس، فلما قدموا عليه، قال للأحنف: إنك عندى مصدق، و قد رأيتك رجلا، فأخبرنى: أظلمت الذمة، أ لمظلمة نفروا، أم لغير ذلك؟ فقال: بل لغير مظلمة، و الناس على ما تحب، قال: فنعم إذا انصرفوا إلى رحالكم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۴۷

و كتب عمر إلى عتبة: أن اصرف الناس عن الظلم، و اتقوا الله، و احذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، و قد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم، فأوفوا بعهد الله، و قوموا على أمره يكن لكم عونا و ناصرا.

و بلغ عمر، رحمه الله، أن حرقوصا نزل جبل الأهواز و الناس يختلفون إليه، و الجبل كئود يشق على من رامه، فكتب إليه: بلغنى أنك نزلت منزلا كئودا لا تؤتى فيه إلا على مشقة، فأسهل و لا تشقن به على مسلم و لا معاهد، و قم فى أمرك على رجل تدرك الآخرة و تصف لك الدنيا، و لا تدركنك فترة و لا عجلة، فتكدر دنياك و تذهب آخرتك.

ذكر غزو المسلمين أرض فارس «۱»

قالوا «۲»: و كان المسلمون بالبصرة و أرضها يومئذ سوادها، و الأهواز على ما هم عليه، ما غلبوا عليه منها ففى أيديهم، و ما صلحوا عليه ففى أيدى أهله يؤدون الخراج، و لا يدخل عليهم، و لهم الذمة و المنعة، و عميد الصلح الهرمزان. و قد قال عمر، رحمه الله: حسبنا أهل البصرة سوادهم و الأهواز، وددت أن بيننا و بين فارس جبلا من نار لا نصل إليهم منه و لا يصلون إلينا، كما قال لأهل الكوفة: وددت أن بينهم و بين الجبل جبلا من نار لا يصلون إلينا منه و لا نصل إليهم.

و كان العلاء بن الحضرمى على البحرين، رده إليها عمر بعد أن عزله عنها بقدامة بن مظعون، و كان العلاء يناوئ سعد بن أبى وقاص لصدع صدعه القضاء بينهما، فطار العلاء على سعد فى الردة بالفضل، فلما ظفر سعد بالقادسية، و أزاح الأكاسرة، و استعلى بأعظم مما كان جاء به العلاء، أسر العلاء أن يصنع شيئا فى الأعاجم، و رجاء أن يدال كما قد كان أديل، و لم يقدر العلاء، و لم ينظر فيما بين فضل الطاعة و فضل المعصية و عواقبها، فندب أهل البحرين إلى أهل فارس، فتسرعوا إلى ذلك، ففرقهم أجنادا، على أحدها الجارود بن المعلى، و على الآخر السوار بن همام، و على الآخر خليد بن المنذر بن ساوى، و هو مع ذلك على جماعة الناس، فحملهم فى البحر إلى فارس بغير إذن عمر،

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۷۹- ۸۳)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۷۶- ۲۷۹).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۷۹).

و كان عمر، رحمه الله، لا يأذن لأحد فى ركوبه غازيا، يكره التغرير بجنده استنانا بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و بأبى بكر، إذ لم يغزيا فيه أحدا.

فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا فى اصطخر، و بإزائهم أهل فارس، قد اجتمعوا على الهربذ، فحالوا بين المسلمين و بين سفنهم، فقام خليد فى الناس، فقال: إن الله إذا قضى لأحد أمرا جرت به المقادير حتى يصيبه، و إن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم لحربهم، و إنما جئتم لمحاربتهم، و السفن و الأرض لمن غلب، وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ [البقرة: ۴۵].

فأجابوه، فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا فى موضع يدعى طاوس، و جعل السوار يحض و يذكر قومه عبد القيس حتى قتل، و قتل الجارود، و يومئذ ولى عبد الله بن المسور و المنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا. و جعل خليد بن المنذر يقول للمسلمين: انزلوا، فنزلوا فقاتلوا القوم فقتل أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها، ثم خرج المسلمون يريدون البصرة إذ غرقت سفنهم، و لم يجدوا إلى الرجوع فى البحر سبيلا، فوجدوا شهرك قد أخذ عليهم الطرق فعسكروا و امتنعوا.

و لما بلغ عمر، رحمه الله، ما صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش فى البحر، يعنى قبل أن يبلغه ما عرض لهم، ألقى فى روعه نحو من الذى كان، فاشتد غضبه على العلاء و كتب إليه بعزله و توعده و أمره بأثقل الأشياء عليه، و أبغض الوجوه عليه، بتأمر سعد عليه، و قال: الحق بسعد بن أبى وقاص فيمن قبلك، فخرج نحوه بمن معه.

و كتب عمر إلى عتبة بن غزوان: أن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين، فأقطعهم أهل فارس، و عصانى، و أظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم ألا ينصروا و أن يغلبوا و ينشبوا، فاندب الناس إليهم، و اضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا، فندب عتبة الناس، و أخبرهم بكتاب عمر، فانتدب عاصم بن عمرو و عرفجة بن هرثمة و حذيفة بن محصن و مجزأة بن ثور و الأحنف بن قيس و صعصعة بن معاوية و آخرون من رءوس المسلمين و فرسانهم، فخرجوا فى اثنى عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل، و عليهم أبو سبرة بن أبى رهم، أحد بنى مالك بن حسل بن عامر بن لؤىّ، و المسالح على حالها بالأهواز و الذمة، و هم ردء الغازى و المقيم، فسار أبو سبرة بالناس، و ساحل لا يلقاه أحد، و لا يعرض له حتى التقى بخليد و أصحابه بحيث أخذ عليهم الطريق.

و كان أهل اصطخر حيث أخذوا عليهم الطريق و أنشبوهم، استصرخوا عليهم أهل

فارس كلهم، فضربوا إليهم من كل وجه و كورة، فالتقوا هم و أبو سبرة، و قد توافت إلى المسلمين أمدادهم و إلى المشركين أمدادهم، و على المشركين شهرك، و هو الذى كان أخذ عليهم الطريق غب وقعة القوم بطاوس، فاقتتلوا، ففتح الله على المسلمين، و قتل المشركون و أصاب المسلمون منهم ما شاءوا، و هى الغزاة التى شرفت بها نابتة البصرة، فكانوا أفضل المصرين نابتة، ثم انكفأوا بما أصابوا، و قد عهد إليهم عتبة و كاتبهم بالحث و قلة العرجة، فانضموا إليه بالبصرة، فرجع أهلها إلى منازلهم منها، و تفرق الذين تنقذوا من أهل هجر إلى قبائلهم، و الذين تنقذوا من عبد القيس فى موضع سوق البحرين.

و لما أحرز عتبة الأهواز و أوطأ فارس، استأذن عمر فى الحج، فأذن له، فلما قضى حجه استعفاه، فأبى أن يعفيه، و عزم عليه ليرجعن إلى عمله، فدعا الله ثم انصرف، فمات فى بطن نخلة، فدفن بها، و مر به عمر زائرا لقبره، فقال: أنا قتلتك، لو لا أنه أجل معلوم و كتاب مرقوم، و أثنى عليه بالفضل. و مات عتبة و قد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبى رهم و عماله على حالهم، و مسالحه على نهرتير و مناذر و سوق الأهواز و سرق. و أمّر عمر أبا سبرة على البصرة بقية السنة التى مات فيها عتبة، ثم عزله، و استخلف عبد الرحمن بن سهل، ثم استعمل المغيرة بن شعبة، فعمل عليها بقية تلك السنة التى ولاه فيها و السنة التى تليها، لم ينتقض عليه أحد فى عمله، و كان

مرزوق السلامة.

ذكر فتح رامهرمز و السوس و تستر و أسر الهرمزان «۱»

ذكر سيف «۲» عن أصحابه قالوا: لم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفا على ما خرج عنهم، فكتب إليهم و هو بمرو، يذكرهم الأحقاد و يؤنبهم، أن قد رضيتم يا أهل فارس أن غلبتكم العرب على السواد و ما والاه، و على الأهواز، ثم لم يرضوا بذلك حتى يوردوكم فى بلادكم و عقر داركم، فخرجوا و تكاتبوا هم و أهل الأهواز، و تعاهدوا و تواثقوا على النصرة، و جاءت الأخبار حرقوص بن زهير و جزءا و سلمى و حرملة عن خبر غالب و كليب، فكتبوا إلى عمر و إلى المسلمين بالبصرة، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثا كثيفا مع النعمان بن مقرن و عجل، و ابعث سويد بن مقرن، و عبد

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۸۳)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۱۸۷، ۱۸۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۸۵- ۸۹).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۸۳، ۸۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۰

الله بن ذى السهمين، و جرير بن عبد الله الحميرى، و جرير بن عبد الله البجلى، فلينزلوا بإزاء الهرمزان حتى يتيقنوا أمره.

و كتب إلى أبى موسى، و هو على البصرة: أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا، و أمر عليهم سهيل بن عدى، و ابعث معه البراء بن مالك، و عاصم بن عمرو، و مجزأة بن ثور، و كعب بن سور، و عرفجة بن هرثمة، و حذيفة بن محصن، و عبد الرحمن بن سهل، و الحصين بن معبد، و على أهل الكوفة و البصرة جميعا أبو سبرة بن أبى رهم، و كل من أتاه فمدد له.

و خرج النعمان بن مقرن فى أهل الكوفة، فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان، ثم أخذ البر إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، و انتهى إلى نهرتير فجازها، و جاز مناذر، ثم شق الأهواز، و خلف حرقوصا و سلمى و حرملة، ثم سار نحو الهرمزان، و هو برامهرمز، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره، و رجا أن يقتطعه، و قد طمع فى نصر أهل فارس، و قد أقبلوا نحوه، و نزلت أوائل أمدادهم بتستر، فالتقى النعمان و الهرمزان بأزبك، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم إن الله هزم الهرمزان، و أخلى رامهرمز و لحق بتستر، و سار النعمان بن أزبك حتى نزل برامهرمز، ثم صعد لإيذج، فصالحه عليها تيرويه، فقبل منه و تركها، و رجع إلى رامهرمز، فأقام بها.

و جاء سهل فى أهل البصرة حتى نزلوا سوق الأهواز، فأتاهم بها خبر الوقعة التى أوقعها النعمان بالهرمزان حتى لحق بتستر، فمالوا نحوه من سوق الأهواز، فكان وجههم منها إلى تستر، و مال النعمان إليها من رامهرمز، و خرج سلمى و حرملة و حرقوص و جزء، فنزلوا جميعا على تستر، و بها الهرمزان و جنوده من أهل فارس و أهل الجبال و أهل الأهواز فى الخنادق، فكتبوا بذلك إلى عمر، رحمه الله، و استمده أبو سبرة فأمده بأبى موسى، فساجلوهم، و على أهل الكوفة النعمان، و على أهل البصرة أبو موسى، و على الفريقين أبو سبرة، فحاصروهم أشهرا، و أكثروا فيهم القتل.

و قتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مبارزة مائة، سوى من قتل فى غير المبارزة، و قتل مجزأة بن ثور مثل ذلك، و قتل كعب بن سور و أبو تميمة كل واحد منهما مثل ذلك، و هؤلاء فى عدة من أهل البصرة، و فعل مثل ذلك من الكوفيين رجال، منهم حبيب بن قرة، و ربعى بن عامر، و عارم بن عبد الأسد، و كان من الرؤساء، فى ذلك، ما ازدادوا به إلى ما كان منهم، و زاحفهم المشركون فى أيام

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۱

تستر ثمانين زحفا تكون عليهم مرة و لهم أخرى، حتى إذا كان فى آخر زحف منها و اشتد القتال، قال المسلمون: يا براء، أقسم على ربك ليهزمنهم لنا، فقال البراء بن مالك: اللهم اهزمهم لنا و استشهدنى، فهزمهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم، فأرزوا

إلی مدینتهم، فأحاط المسلمون بها.

فبینا هم علی ذلک و قد ضاقت المدینهٔ بهم، و طالت حربهم، خرج رجل إلی النعمان فاستأمنه علی أن یدله علی مدخل یوصل منه إلی المدینهٔ، و یکون منه فتحها، فأمنه النعمان، فقال: انهدوا من قبل مخرج الماء، و رمی رجل آخر غیر ذلک الرجل فی ناحیهٔ أبی موسی بسهم یستأمنهم فیه علی أن یدلهم علی ذلک، فأمنوه فی نشابهٔ، فرمی إلیهم بأخری، و دلهم علی مخرج الماء، فندب الأمیران أصحابهما، فانتدب لأبی موسی کعب ابن سور و مجزأهٔ بن ثور و بشر کثیر.

و انتدب للنعمان أیضا بشر کثیر، منهم: سوید بن المثعبهٔ، و عبد الله بن بشر الهلالی، فنهدوا، فالتقوا هم و أهل البصرهٔ علی ذلک المخرج، و قد تسرب سوید و عبد الله، فاتبعهم الفریقان، حتی إذا اجتمعوا فیها، و الناس علی رجل من خارج، کبروا فیها، و کبر المسلمون من خارج، و فتحت الأبواب، فاجتلدوا فیها، فأناموا کل مقاتل، و أرز الهرمزان إلی القلعهٔ فأطاف به الذین دخلوا من مخرج الماء، فلما عاینوه و أقبلوا قبله، قال لهم: ما شئتم، قد ترون ضیق ما أنا فیه و أنتم، و إن معی فی جعبتی مائهٔ نشابهٔ، و و الله لا تصلون إلیّ، ما دامت معی نشابهٔ، و ما یقع لی سهم إلا فی رجل، و ما خیر أساری إذا أصبت منکم مائهٔ بین قتیل و جریح، قالوا: فترید ما ذا؟ قال: أن أضع یدی فی أیدیکم علی حکم عمر یصنع بی ما شاء، قالوا: فذلک لک.

فرمی بقوسه، و أمکنهم من نفسه، فشدوه وثاقا، و اقتسموا ما أفاء الله علیهم، فکان سهم الفارس ثلاثهٔ آلاف، و الراجل ألفا. و جاء الرجل الذی خرج بنفسه إلی النعمان، و الآخر الذی رمی بالسهم فی ناحیهٔ أبی موسی، فقالا للمسلمین: من لنا بالأمان الذی طلبنا علینا و علی من مال علینا؟ قالوا: و من مال معکم؟ قالوا: من أغلق علیه بابه مدخلکم، فأجازوا ذلک لهم، و قتل لیلتئذ من المسلمین ناس کثیر، منهم مجزأهٔ بن ثور، و البراء بن مالک، قتلهما الهرمزان.

و خرج أبو سبرهٔ من تستر فی أثر الفل، و قد قصد السوس، و أخرج معه النعمان و أبا موسی الهرمزان، حتی نزلوا علی السوس، و کتبوا بذلک إلی عمر، فکتب إلی أبی موسی

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۲

برده علی البصرهٔ، فانصرف علیها، و أمر عمر علی جند البصرهٔ المقترب، و هو الأسود بن ربیعهٔ، و کتب إلی زر بن عبد الله بن کلیب الفقیمی أن یسیر إلی جندیسابور، فسار حتی نزل علیها، و کان الأسود و زر من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم من المهاجرین إلیه، الوافدین علیه، فقال له الأسود لما وفد علیه: جئت لأقترب إلی الله بصحبتک، فسماه المقترب، و قال له زر: یا رسول الله، فنی بطنی، و کثر إخوتنا، فادع الله لنا، فقال:

«اللهم أوف لزر عمارته»، فتحول إلیهم العدد.

و وفد أبو سبرهٔ وفدا، فیهم أنس بن مالک، و الأحنف بن قیس، و أرسل الهرمزان معهم، فقدموا مع أبی موسی البصرهٔ، ثم خرجوا نحو المدینهٔ، حتی إذا دخلوها هیئوا الهرمزان فی هیئته، فألبسوه کسوته من الدیباج، و وضعوا علی رأسه تاجا مکللا بالیاقوت، کیما یراه عمر و المسلمون فی هیئته، ثم خرجوا به علی الناس یریدون عمر فی منزله فلم یجدوه، فسألوا عنه، فقیل لهم: جلس فی المسجد لوفد قدموا علیه من الکوفهٔ، فانطلقوا یطلبونه فی المسجد فلم یروه.

فلما انصرفوا مروا بغلمان یلعبون، فقالوا لهم: ما تلددکم تریدون أمیر المؤمنین؟ فإنه نائم فی میمنهٔ المسجد، متوسد برنسه، و کان عمر، رحمه الله، قد جلس لوفد الکوفهٔ فی برنس، فلما فرغ من کلامهم و ارتفعوا عنه، و أخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام، فانطلقوا و معهم النظارهٔ، حتی إذا رأوه جلسوا دونه، و لیس فی المسجد نائم و لا یقظان غیره، و الدرهٔ فی یده، فقال الهرمزان: أین عمر؟ قالوا: هو ذا، و جعل الوفد یشیرون إلی الناس أن اسکتوا عنه، فقال لهم الهرمزان: أین حرسه و حجابه؟ فقالوا: لیس له حارس و لا حاجب، و لا کاتب و لا دیوان، فقال: ینبغی له أن یکون نبیا، قالوا: بل یعمل عمل الأنبیاء، و کثر الناس، فاستیقظ عمر، رحمه الله، بالجلبهٔ، فاستوی جالسا، ثم نظر إلی الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم، فتأمله و تأمل ما علیه، و قال: أعوذ بالله من النار، و أستعین بالله، ثم قال: الحمد لله

الذی أذل بالإسلام هذا و أشباهه، یا معشر المسلمین، تمسکوا بهذا الدین، و اهتدوا بهدی نبیکم، و لا تبطرنکم الدنیا فإنها غرارة.
فقال الوفد: هذا ملک الأهواز فکلمه، فقال: لا، حتی لا یبقی علیه من حلیته شیء، فرمی عنه بکل شیء إلا شیئا یستره، و ألبسوه ثوبا صفیقا، فقال عمر: هی یا هرمزان، کیف رأیت وبال الغدر و عاقبة أمر الله؟ فقال: یا عمر، إنا و إیاکم فی الجاهلیة کان الله قد خلی بیننا و بینکم، فغلبناکم إذ لم یکن معنا و لا معکم، فلما کان معکم غلبتمونا، فقال عمر: إنما غلبتمونا فی الجاهلیة باجتماعکم و تفرقنا، ثم قال عمر: ما

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۳

عذرک و ما حجتک فی انتقاضک مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلنی قبل أن أخبرک، قال: لا تخف ذلک. و استسقی ماء، فأتی به فی قدح غلیظ، فقال: لو مت عطشا لم أستطع أن أشرب فی مثل هذا، فأتی به فی إناء یرضاه، فجعلت یده ترعد، و قال: إنی أخاف أن أقتل و أنا أشرب، فقال عمر: لا بأس علیک حتی تشربه، فأکفأه.
فقال عمر: أعیدوا علیه، و لا تجمعوا علیه القتل و العطش، فقال: لا حاجة لی فی الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال عمر: إنی قاتلک، فقال: قد أمنتنی، قال: کذبت، قال أنس: صدق یا أمیر المؤمنین، قد أمنته، قال: ویحک یا أنس، أنا أؤمن قاتل مجزأة و البراء ابن مالک، و الله لتأتین بمخرج و إلا عاقبتک. قال: قلت له: لا بأس علیک حتی تخبرنی، و قلت له: لا بأس علیک حتی تشربه، و قال له من حوله مثل ذلک، فأقبل الهرمزان، و قال: خدعتنی، و الله لا أنخدع إلا أن تسلم، فأسلم ففرض له علی ألفین و أنزله المدینة.
و یروی أن المغیرة بن شعبة کان الترجمان یومئذ بین عمر و بین الهرمزان إلی أن جاء المترجم، و کان المغیرة یفقه من الفارسیة شیئا، فقال له عمر: ما أراک بها حاذقا، ما أحسنها أحد منکم إلا خب، و لا خب إلا دق، إیاکم و إیاها، فإنها تنقص الإعراب.

ذکر فتح السوس

و الأخبار التی نذکرها بعد ذلک شدیدة الخلاف لبعض ما تقدم، و کذلک قال أبو جعفر الطبری «۱»: إن أهل السیر اختلفوا فی أمرها.
قال: فأما المدائنی فإنه قال: لما انتهی فل جلولاء إلی یزدجرد و هو بحلوان، دعا بخاصته و بالموبذ، فقال: إن القوم لا یلقون جمعا إلا فلوه، فما ترون؟ قال الموبذ: نری أن نخرج فننزل اصطخر، فإنها بیت المملکة، و تضم إلیک خزائنک، و توجه الجنود، فأخذ برأیه، و سار إلی أصبهان و دعا سیاه، فوجه ثلاثمائة فیهم سبعون من عظمائهم، و أمره أن ینتخب من کل بلدة یمر بها من أحب، فمضی سیاه و اتبعه یزدجرد، حتی نزلوا اصطخر و أبو موسی محاصر سوس، فوجه سیاه إلی السوس، و الهرمزان إلی تستر، فنزل سیاه منزلا تحول عنه حین سار أبو موسی إلی تستر.
فنزل سیاه بینها و بین رامهرمز، و دعا الرؤساء الذین کانوا خرجوا معه من أصبهان، و قد عظم أمر المسلمین عنده، فقال: قد علمتم أنا کنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۸۹).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۴

الشقاء و البؤس سیغلبون علی هذه المملکة، و تروث دوابهم فی إیوانات اصطخر و مصانع الملوک، و یشدون خیولهم بشجرها، و قد غلبوا علی ما رأیتم، و لیس یلقون جندا إلا فلوه، و لا ینزلون بحصن إلا فتحوه، فانظروا لأنفسکم. قالوا: رأینا رأیک، قال: فلیکفنی کل رجل منکم حشمه و المنقطعین إلیه، فإنی أری أن ندخل فی دینهم.
فوجهوا شیرویه فی عشرة من الأساورة إلی أبی موسی، فقدم علیه، فقال: إنا قد رغبنا فی دینکم، فنسلم علی أن نقاتل العجم معکم، و إن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منهم، و ننزل حیث شئنا، و نکون فیمن شئنا منکم، و تلحقونا بأشرف العطاء، و یعقد لنا بذلک الأمیر

الذى هو فوقك، فقال أبو موسى: بل لكم ما لنا، و عليكم ما علينا، فقال:

لا نرضى.

و كتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بأمرهم، فأجابه: أعطهم ما سألوك، فكتب لهم أبو موسى، فأسلموا، و شهدوا معه حصار تستر، فلم يكن أبو موسى يرى منهم جدا و لا نكايهٔ، فقال لسياه: يا أعور، ما أنت و أصحابك كما كنا نرى، قال: لسنا مثلكم فى هذا الدين، و لا بصائرنا كبصائركم، و ليس لنا فيكم حرم نحامى عنهم، و لم تلحقونا بأشرف العطاء و لنا سلاح و كراع و أنتم حسر. فكتب أبو موسى إلى عمر فى ذلك، فكتب إليه: أن ألحقهم على قدر البلاء فى أفضل العطاء و أكثر شىء أخذه أحد من العرب. ففرض لمائة منهم فى ألفين ألفين، و لستة منهم فى ألفين و خمسمائة، لسياه و خسرو و ابنه مقلاص و شهريار و شهرويه و أفريذون، و إياهم عنى الشاعر بقوله:

و لما رأى الفاروق حسن بلائهمو كان بما يأتى من الأمر أبصرا

فسن لهم ألفين فرضا و قد رأى ثلاثمائين فرض عك و حميرا قال: فحاصروا حصنا بفارس، فمشى سياه فى آخر الليل فى زى العجم حتى رمى بنفسه إلى جانب الحصن، و نضح ثيابه بالدم، و أصبح أهل الحصن، فرأوا رجلا فى زيهم صريعا، فظنوا أنه رجل منهم أصيبوا به، ففتحوا باب الحصن ليدخلوه، و ثار فقاتلهم حتى دخلوا عن باب الحصن و هربوا، ففتح الحصن وحده و دخله المسلمون، و قوم يقولون: فعل هذا الفعل سياه بتستر، و حاصروا حصنا آخر، فمشى خسرو إلى الحصن، فأشرف عليه رجل منهم فكلمه، فرماه خسرو بنشابهٔ فقتله.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۵

أما سيف «۱»، فإنه ذكر بإسناد له قال: لما نزل أبو سبرهٔ فى الناس على السوس، و أحاط المسلمون بها، و عليهم شهريار أخو الهرمزان، ناوشهم مرات، كل ذلك يصيب أهل السوس من المسلمين، فأشرف عليهم الرهبان و القسيسون، فقالوا: يا معشر العرب، إن مما عهد إلينا علماؤنا و أوائلنا، أنه لا يفتح السوس إلا الدجال، أو قوم فيهم الدجال، فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها، و إن لم يكن معكم فلا تعنوا بحصارنا، و جاء صرف أبى موسى إلى البصرهٔ، و عمل مكانه على جندها الذين بالسوس المقترب، و النعمان على أهل الكوفهٔ، فحاصر السوس مع أبى سبرهٔ.

فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهاوند لاجتماع الأعاجم بها، فتهيأ للمسير، ثم استقبل فى تعبئته، فناوش أهل السوس قبل مضيه، فعاد الرهبان و القسيسون، و أشرفوا على المسلمين، و غاظوهم، و صاف ابن صياد يومئذ مع النعمان فى خيله، فأتى باب السوس غضبان فدقه برجله، و قال: انفتح، فتقطعت السلاسل، و تكسرت الأغلاق، و فتحت الأبواب، و دخل المسلمون، فألقى المشركون بأيديهم، و نادوا: الصلح الصلح، فأجابهم المسلمون إلى ذلك، بعد ما دخلوها عنوهٔ، و اقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افترقوا.

فتح جندى‌سابور

قالوا «۲»: و لما فرغ أبو سبرهٔ من السوس خرج فى جنده حتى ينزل على جندى‌سابور، و زر بن عبد الله محاصرهم، فأقاموا عليها يغادونهم و يراوحنهم القتال، فلم يفجأ المسلمين يوما إلا و أبوابها تفتح، ثم خرج السرح، و خرجت الأسواق، و انبث أهلها، فأرسل إليهم المسلمون: أن ما لكم؟ قالوا: رميتم لنا بالأمان فقبلناه، و أقررنا لكم الجزاء، على أن تمنعونا، فقال المسلمون: ما فعلنا، فقال أهل جندى‌سابور: ما كذبنا، فسأل المسلمون فيما بينهم، فإذا عبد يدعى مكنفا كان أصله منها، هو الذى كتب لهم أمانا، فرمى به إليهم من عسكر المسلمين، فقالوا: إنما هو عبد، فقال المشركون: إنا لا نعرف حركم من عبدكم، و قد جاءنا أمان، فنحن عليه قد قبلناه، و لم نبدل، فإن شئتم فاغدروا، فأمسكوا عنهم، و كتبوا بذلك إلى عمر، فأجابهم: إن الله عظيم الوفاء، فلا

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۹۱، ۹۲).

(۲) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۹۳، ۹۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۸۹)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۳۸۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۶

تكونون أوفياء حتى توفوا، ما دمتم فى شك أجيزوهم، وفوا لهم، ففعلوا و انصرفوا عنهم.

و قال عاصم بن عمرو فى ذلك:

لعمرى لقد كانت قرابة مكنفقرابة صدق ليس فيها تقاطع

أجارهم من بعد ذل و قلةو خوف شديد و البلاء بلاقع

فجاز جواز العبد بعد اختلافناورد أمورا كان فيها تنازع

إلى الركن و الوالى المصيب حكومةفقال بحق ليس فيه تخادع

فلله جندى ساهبور لقد نجتغداة منتها بالبلاء اللوامع

حديث وقعة نهاوند «۱»

و الاختلاف فيها بين أهل الأخبار كثير، و لكن الذى ذكره أبو الحسن المدائنى من حديثها أحسن ما وقفت عليه من الأحاديث منساقا، و أطوله اقتصاصا، فلذلك آثرت الابتداء به، و ربما أدرجات فى تضاعيفه من حديث غيره ما يحسن إدراجه فيه، ثم أذكر بعد انقضائه ما اختار ذكره من الأخبار التى أوردها سواه عن هذه الوقعة إن شاء الله.

ذكر المدائنى «۲» عن رجال من أهل العلم، يزيد بعضهم على بعض: أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، شاور الهرمزان، فقال له: أما إذا فتنى بنفسك فأشر علىّ، أ بفارس أبدأ أم بالجبال: أذربيجان و أصبهان؟ قال: فارس الرأس و الجبال جناحان، فاقطع الجناحين فلا يتحرك الرأس، قال عمر: بل أقطع الرأس فلا يقوم جسد و لا جناح. فكتب عمر إلى عثمان بن أبى العاص و هو بتوج: أن سر إلى اصطخر، و قدم عليه أبو موسى، فأمره أن يرجع إلى البصرة، و يسير إلى ابن كسرى مع عثمان بن أبى العاص، و قال: كل واحد منكم أمير على جنده، فقدم أبو موسى البصرة، فسار إلى يزدجرد باصطخر، و سار إليه عثمان من توج.

فلما ألحوا على يزدجرد كتب إلى أهل الرى و أهل الجبال: أصبهان و همدان و قومس،

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۲۲)، فتوح البلدان للبلاذرى (ص ۳۷۱- ۳۷۶)، معجم البلدان لياقوت (۵/ ۳۱۳، ۳۱۴)، العبر للذهبى (۱/ ۲۵)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۰۵)، مرآة الجنان لليافعى (۱/ ۷۷).

(۲) انظر الرواية فى: الطبرى (۴/ ۵۳۴- ۵۳۶)، الأخبار الطوال للدينورى (ص ۱۳۳- ۱۳۸).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۷

أن العرب قد ألحوا علىّ فاشغلوهم عنى، و ردوهم إلى بلادهم، فكتب بعضهم إلى بعض:

أن صاحب العرب الذى جاء بدينهم و أظهر أمرهم هلك، و ملك بعده رجل لم يلبث إلا قليلا حتى هلك، و إن صاحبهم هذا عمر و طال سلطانه، و أغزى جنوده بلادكم، فليس بمنته حتى تخرجوه من بلادكم و تغزوه فى بلاده، فأجمعوا على ذلك و تمالوا عليه و تعاقدوا، و أنفذوا أن يجتمعوا بنهاوند، و بلغ ذلك أهل الكوفة، فكتبوا به إلى عمر، فخرج يمشى حتى قام على المنبر، فقال: أين المسلمون؟ أين المهاجرون و الأنصار؟

فاجتمع الناس، فحمد الله و أثنى عليه، و قال: إن عظماء أهل الرى و أهل أصبهان و أهل همذان و أهل نهاوند و أهل قومس و أهل حلوان، أمم مختلفة ألوانها و ألسنتها و أديانها و مللها، و قد تعاهدوا أن يخرجوا إخوانكم من بلادهم و أن يغزوكم فى بلادكم،

فأشيروا علىّ و أوجزوا و لا تطنبوا، فتفشغ بكم الأمور.

فقام طلحة، و كان من خطباء قريش و ذوى رأيهم و من علية أصحاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم، فقال: يا أمير المؤمنين، قد حنكتك الأمور، و جربتك الدهور، و عجمتك البلايا، و أحكمتك التجارب، فأنت ولى ما وليت، لا ينبثر فى يديك، و لا يحل عليك، فمرنا نطع، و احملنا نركب، و قدنا ننقد، فإنك مبارك الأمر، ميمون النقيبة، و قد أخبرت و خبرت و جربت، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار.

قال: تكلموا، فقال عثمان: اكتب إلى أهل الشام أن يسيروا من شامهم، و إلى أهل اليمن فليسيروا من يمنهم، و سر نفسك فى أهل الحرمين إلى أهل المصرين، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين، فيتعال فى عينك ما قد كثر عندك، و تكون أعز منهم، إنك لن تستبقى من نفسك باقية بعد العرب، و لن تمتنع من الدنيا بعزيز، و لا تلوذ منها بحريز، و هذا يوم له ما بعده، فاحضرهم برأيك، و اشهدهم بمقدرتك.

قال: تكلموا، فقال على بن أبى طالب: يا أمير المؤمنين، إن كتبت إلى أهل الشام فساروا من شامهم أغارت الروم على بلادهم، و إن سار أهل اليمن من يمنهم خلفتهم الحبش فى عيالاتهم، و إن سرت بأهل الحرمين انتقضت الأرض عليك من أقطارها، حتى يكون ما تخلفه من العورات فى العيالات أهم إليك مما بين يديك، و أما ما ذكرت من مسيرهم فالله لمسيرهم أكره، و هو أقدر على تغيير ما كره، و أما كثرتهم فإنا لم نكن نلق عدونا بالكثرة، و لكنا كنا نلقاهم بالصبر، إنك إن نظر إليك الأعاجم قالوا: هذا أمير العرب، فكان أشد لحربهم و كلبهم، و لكن اكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا على ثلاث فرق، فلتقم فرقة فى ديارهم، و فرقة فى أهل عهدهم، و تسير فرقة إلى إخوانهم بالكوفة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۵۸

قال: هذا رأى، و قد كنت أحب أن أتابع عليه، لعمرى لئن سرت بأهل الحرمين و نظر إلىّ الأعاجم لتنقضن الأرض و ليمدنهم من لم يمدهم، و ليقولن: أمير العرب إن قطعناه قطعنا أصل العرب، فأشيروا علىّ برجل أوليه و اجعلوه عراقيا، قالوا: أنت أفضل رأيا و أعلم بأهل العراق، و هم عمالك و قد وفدوا عليك و عرفتهم، قال: لأولينها رجلا يكون لأول أسنة يلقاها، النعمان بن مقرن. و كان النعمان بكسكر قد كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، إنما مثلى و مثل كسكر مثل شاب عند مومسة تلون له كل يوم و تعطر، و إنى أذكرك الله إلا بعثتنى فى جيش إلى ثغر غازيا، و لا تبعثنى جابيا.

فندب عمر أهل المدينة، فانتدب منهم جمع، فوجههم إلى الكوفة، و كتب إلى عمار بن ياسر أن يستنفر ثلث أهل الكوفة، و أن يسيروا إلى العجم بنهاوند، فقد وليت عليهم النعمان بن مقرن المزنى، و كتب إلى أهل الكوفة بذلك، و كتب إلى أبى موسى أن يستنفر ثلث أهل البصرة إلى نهاوند، و كتب إلى النعمان: إنى وجهت جيشا من أهل المدينة و أهل الكوفة و أهل البصرة إلى نهاوند، فأنت على الناس و معك فى الجيش طليحة بن خويلد و عمرو بن معدى كرب، فأحضرهما الناس و شاورهما فى الحرب، فإن حدث بك حدث، فأمير الناس حذيفة، فإن قتل فجرير بن عبد الله، فإن قتل فالمغيرة بن شعبة، فإن قتل فالأشعث بن قيس، و ذكر الأشعث فى هذا غريب، فإن المعروف من عمر، رضى الله عنه، أنه لم يستعمل أحدا ممن ارتد، و لكن هذا وقع فى هذا الحديث، و الله أعلم.

و بعث عمر بالكتاب مع السائب بن الأقرع بن عوف، و قال له: إن سلم الله ذلك الجند فقد وليتك مغانمهم و مقاسمهم، فلا ترفعن إلىّ باطلا و لا تمنعن أحدا حقه، و إن هلك ذلك الجند فاذهب فلا أرينك أبدا، فقدم السائب الكوفة فيمن نفر من أهل المدينة، و بعث بكتاب أهل البصرة مع عمرو بن معدى كرب فاستنفرهم أبو موسى فنفر ثلثهم، و خرجوا إلى الكوفة عليهم مجاشع بن مسعود، و على أهل الكوفة حذيفة بن اليمان، ثم ساروا جميعا مع من قدم من أهل المدينة إلى نهاوند، و سار النعمان بن مقرن فتوافوا بنهاوند، و الأعاجم بها ستون ألفا عليهم ذو الفروة، و هو ذو الحاجب، و هم بمكان يقال له: الاستفيذهان بقرية يقال لها: فيديسجان، دون مدينة نهاوند بفرسخين، و قد خندق الأعاجم و هالوا فى الخندق ترابا قد نخلوه، فبعث النعمان طليحة بن خويلد و بكير بن الشداخ، فارس

أطلال، لیعلما علم القوم.

فأما بکیر فانصرف، فقیل له: ما ردک؟ قال: أرض العجم، و لم یکن لی بها علم

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۵۹

فخفت أن یأخذ علیّ مضیق أو بعض جبالها، و مضی طلیحة فأبطأ حتی ساء ظن الناس به، فعلم علمهم ثم رجع فلم یمر بجماعة إلا کبروا، فأنکر ذلک منهم، و قال: ما لکم تکبرون إذا رأیتمونی؟ قالوا: ظننا أنک فعلت کفعلتک. قال: لو لم یکن دین لحمیت أن أجزر العرب هذه الأعاجم الطماطم، و أخبر الناس بعدة القوم و کثرتهم، فقالوا: حسبنا الله و نعم الوکیل.

و أقام النعمان أیاما حتی استجم الناس أنفسهم و ظهرهم، فلما کان یوم الأربعاء من بعض تلک الأیام دنا من عسکر المشرکین، و قال: إن أمیر المؤمنین کتب إلیّ أن لا أقاتلهم حتی أدعوهم، فمن رجل یأتیهم بکتابه؟ و معه فی عسکره ممن قدم من المدینة عبد الله ابن الزبیر و عبد الله بن عمر أو الزبیر و ابنه عبد الله، فتواکل الناس، فقام المغیرة بن شعبة یتذیل فی مشیته، و کان آدم طویلا ذا ضفیرتین أعور، فأخذ الکتاب فأتاهم، فقال: القوا إلیّ شیئا، فألقوا له ترسا فجلس علیه، فقال الترجمان: ما أقدمکم؟ فذکر ما کانوا فیه من ضیق المعیشة، و قال: کنا أهل جهد و جفاء بین شوک و حجر، و مدر وحیة و عقرب، یغیر بعضنا علی بعض، فأتینا بلادکم فأصبنا مطعما طیبا و شرابا عذبا و لبوسا لینا و طلا باردا، فلسنا براجعین إلی ما کنا فیه حتی نصیب حاجتنا أو نموت.

فنظر بعضهم إلی بعض و قالوا: صدق، فقالوا: إنکم معشر العرب أرجاس أنجاس، و إنما غرکم مناخر نبذ جوی الأهواز، و عوران المدائن الذین لقوکم، و إنه لیس ممن تری إلا فارسی محض أسوار، و لو لا فساد الأرض لقتلناکم، فما حاجتکم التی تریدون أن تصیبوها؟ فقرأ علیهم المغیرة کتاب عمر: إنا ندعوکم إلی ما دعاکم الله إلیه و رسوله، أن تدخلوا فی السلم کافة، فإن فعلتم فأنتم إخواننا، لکم ما لنا و علیکم ما علینا، فإن أبیتم الإسلام فالجزیة، فإن أبیتم الجزیة استنصرنا الله علیکم.

قالوا: الآن حین نقرنکم فی الجبال، فرجع المغیرة، فقال للنعمان: حبست الناس حتی طمحت أبصارهم، أما و الله إن لو کنت صاحبها؟ قال: ربما کنت، فلم یخزک الله و لم تخب. و نهض المسلمون للحرب، فأقبل ذو الحاجب علی برذون أمام العجم، فقالوا:

انزلوا بالطائر الصالح الذی نصرتم به علی الأمم، و تهزمون به العرب، فبرز له رجل من المسلمین فقتله ذو الحاجب، و تهایجوا و اقتتلوا حتی کثرت بینهم القتلی و الجرحی، ثم تحاجزوا، و غدا المشرکون غداة الخمیس من غد یجرون الحدید و یسحبون الدروع، و غدا المسلمون علی رایاتهم فتقدم رجل من العجم قد أعلم بعصابة فیها جواهر أمام أصحابه، فحمل علیه أوفی بن سبرة القشیری فقتله و سلبه، فنفله النعمان سلبه، و حمل المشرکون

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۰

فتلقاهم المسلمون فاقتتلوا حتی صبغت الدماء ثنن الخیل و تحاجزوا عند السماء، فبات المسلمون یوقدون النیران، و یعصبون بالخرق، لهم أنین من الجراح، و دوی بالقرآن کدوی النحل، و بات المشرکون فی المعازف و الخمور و بهم من الجراح مثل ما بالمسلمین.

و أصبحوا یوم الجمعة، فأقبل النعمان معلما ببیاض، علی برذون قصیر، علیه قباء أبیض مصقول و قلنسوة بیضاء مصقولة، فوقف علی الرایات فحضهم، و قال: یا معشر المسلمین، إن هؤلاء قد أخطروا لکم أخطارا و أخطرتم لهم أخطارا، أخطروا لکم دنیا، و أخطرتم لهم الإسلام، فالله الله فی الإسلام أن تخذلوه، فإنکم أصبحتم بابا بین المسلمین و المشرکین، فإن کسر الباب دخل علی الإسلام لیشغل کل امرئ منکم قربه و لا یخلفه علی صاحبه، فإنه لوم و خذلان و وهن و فشل، إنی هاز الرایة فإذا هززتها فلیأخذ الرجال همایینها فی أحقیتها و شسوعها فی نعالها، و لیتعهد أصحاب الخیل أعنتها و حزمها، فإذا هززتها الثانیة فلیعرف کل امرئ منکم مصوب رمحه و موضع سلاحه و وجه مقاتله، فإذا هززتها الثالثة و کبرت فکبروا و استنصروا الله و اذکروه، فإذا حملت فاحملوا.

فقال رجل من أهل العراق: قد سمعنا مقالتک أیها الأمیر، فنحن واقفون عند قولک، منتهون إلی رأیک، فأی النهار أحب إلیک؟ أوله أم آخره؟ قال: آخره حین تهب الریاح، و تحل الصلاة و ینزل النصر لمواقیت الصلاة، فأمهل الناس حتی إذا زالت الشمس، هز الرایة

فقضى الناس حوائجهم و شدت الرجال مناطقها، و نزع أصحاب الخيل المخالى عن خيلهم و قرطوها أعنتها و شدوا حزمها و تأهبوا للحرب، ثم أمهل حتى إذا كان فى آخر الوقت هزها فصلى الناس ركعتين و جال أصحاب الخيل فى متونها و صوبوا رماحهم فوضعوها بين آذان خيولهم، و أقبلت الأعاجم على براذينهم عليهم الرايات المدبجة، و المناطق المذهبة، و وقف ذو الحاجب على بغلة، فلقد رأى الأعاجم و هم فى عدتهم و إن لأقدامهم فى ركبهم لزلزلة، و إن الأسوار ليأخذ النشابة فما يسدد الفوق للوتر و ما يتمالك أن يضعها على قوسه.

فقال النعمان: يا معشر المسلمين، إنى هاز الراية و حامل فاحملوا، و لا يلوى أحد على أحد، و إن قيل قتل النعمان، فلا يلوين علىّ أحد، و أنا داع بدعوة فعزمت على كل رجل منكم إلا أمن، ثم قال: اللهم اعط النعمان اليوم الشهادة فى نصر المسلمين، و افتح عليهم، ثم نثل درعه، و هز الراية و كبر، فكبر الأدنى فالأدنى ممن حوله حتى غشيهم التكبير من السماء، و صوب رايته كأنها جناح طائر، و حمل و حمل الناس، فكان أول

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۱

صريع رحمه الله، و مر به معقل بن يسار فذكر عزمته: أ لا يلوى أحد علىّ، فجعل علما عنده، و مر أخوه سويد بن مقرن أو نعيم، فألقى عليه ثوبا لكى لا يعرف، و نصب الراية و هى تقطر دما، قد قتل بها قبل أن يصرع، و سقط ذو الحاجب عن بغلته فانشق بطنه، و انهزم المشركون، فاتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا.

فقال بعض من حضر ذلك اليوم: إنى لفى الثقل فثارت بيننا و بين القوم عجاجة قسطلانية، فجعلت أسمع وقع السيوف على الهام، ثم كشفت، فإذا المسلمون يتبعونهم كالذباب يتبع الغنم، فاتبعتهم طائفة من المسلمين حتى دخلوا مدينتهم، ثم رجعوا، و حوى المسلمون عسكرهم، و رجع معقل بن يسار إلى النعمان بعد انهزام المشركين و معه أدواة فيها ماء فغسل التراب عن وجهه، فقال: من أنت؟ قال: معقل بن يسار، قال: ما فعل الناس؟ قال: فتح الله عليهم، قال: الحمد لله، اكتبوا بذلك إلى عمر.

و فاضت نفسه، فاجتمع الناس و فيهم ابن الزبير و ابن عمر، فأرسلوا إلى أم ولده، فقالوا:

أعهد إليك عهدا؟ فقالت: هاهنا سفط فيه كتاب، فأخذوه فإذا كتاب عمر إلى النعمان:

إن حدث بك حدث فالأمير حذيفة، فإن قتل ففلان، فإن قتل ففلان.

فتولى أمر الناس حذيفة، فأمر بالغنائم فجمعت، ثم سار إلى مدينة نهاوند و قد حملت الغنائم إلى عسكرهم، و حصر أهل المدينة و قاتلوهم، فبيناهم يطاردونهم إذ لحق سماك بن عبيد عظيما من عظمائهم يقال له: دينار، فسأله الأمان، فأمنه و أدخله على حذيفة، فصالحه عن البلد على ثمانمائة ألف و شىء من العسل و السمن، و قال: إن لكم لوفاء بالعهد، و أخاف عليكم خمسة أشياء: الخب و البخل و الغدر و الخيلاء و الفجور، و أخاف أن يأتيكم الخب من قبل النبط، و الخيلاء من قبل الروم، و البخل من قبل فارس، و الفجور و الغدر من قبل أهل الأهواز، و أتى السائب بن الأقرع دهقان و قد جمعت الغنائم، فقال له: أ تؤمننى على دمى و دماء قرابتى و أدلك على كنز النخيرجان؟ ثم تجلبوا عليه فى الحرب فيقسم و تجرى عليه السهام، و لم يحرزوه بجزية أقاموا عليها، و إنما هو دفين دفنوه و فروا عنه، فتأخذه لصاحبكم، يعنى عمر رضى الله عنه، تخصه به.

قال: أنت آمن إن كنت صادقا، قال: فانهض معى، فنهض معه فانتهى به إلى قلعة، فرفع صخرة و دخل غارا فاستخرج سفطين، فإذا قلائد منظومة بالدرر و الياقوت و قرطة و خواتم و تيجان مكللة بالجوهر، فأمنه ثم أتى به حذيفة فأخبره، فقال: اكتمه، فكتمه حتى قسم الغنائم بين الناس و عزل الخمس، ثم خرج السائب مسرعا فقدم على عمر، فقال له عمر: ما وراءك؟ فو الله ما نمت هذه الليلة إلا تغررا، و ما أتت علىّ ليلة بعد الليلة

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۲

التى أصبح فيها رسول الله صلى اللّه عليه و سلم ميتا أعظم من هذه الليلة، قال: أبشر بفتح الله و حسن قضائه لك فى جنودك، ثم

اقتص الخبر حتى انتهى إلى قتل النعمان، فقال: إنا لله، يرحم الله النعمان، ثم مه، قال: ثم و الله ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه، قال: لا أم لك و لا أب، قتل الضعفاء الذين لا يعرفهم عمر ابن أم عمر، و أكب طويلا و بكى، ثم قال:

أصيبوا بمضيعة؟ قال: لا، و لكن أكرمهم الله بالشهادة، و ساقها إليهم، فقال: ويحك، أ غلبتم على أجساد إخوانكم أم دفنتموهم؟ قال: دفناهم، قال: فأعطيت الناس حقوقهم؟

قال: نعم.

قال: فنهض عمر فأخذ السائب بثوبه و قال: حاجة، قال: ما حاجتك إذ أعطيت الناس حقوقهم؟ قال: حاجة لك و إليك، فجلس، فجر السائب الغرارة فأخرج السفطين ففتحهما و نظر إلى ما فيهما كأنه النيران يشب بعضها بعضا، فقال عمر: ما هذا؟

فأخبره، فدعا عليا و عبد الله بن أرقم و غيرهما، فختموا على السفطين و قال له: اختم معهم، فختمه، و قال لعبد الله بن أرقم: ارفعه، و رجع السائب، فرأى عمر ليالى كالحيات يردن نهشه، فسرح رجلا، و كتب إلى السائب: إن صادفك رسولى فى الطريق فلا تصلن إلى أهلك حتى تأتينى، و إن وصلت إلى أهلك فعزمة منى إليك إذا قرأت كتابى أن تشد على راحلتك و تقبل إليّ، و كتب إلى عمار: لا تضعن كتابى حتى ترحل إليّ السائب، و أمر الرسول أن يعجله، فقدم الرسول، فقال له السائب: أبلغه عنى شيء أم به عليّ سخطة؟ قال: ما رأيت ذلك و لا أعلمه، بلغه عنك خير و لا شر.

و ركب فقدم على عمر، فقال له: يا ابن أم مليكة، يا ابن الحميرية، ما لى و لك أم ما لك ولى، ثكلتك أمك، ما الذى جئتنى به؟ فلقد بت مما جئتنى به مروعا أظن الحيات تنهشنى، أخبرنى عن السفطين، فقال: و الله لئن أعدت عليك الحديث فزدت حرفا أو نقصت حرفا لأكذبن، قال: إنك لما انصرفت فأخذت مضجعى لمنامى أتتنى الملائكة، فأوقدوا عليّ سفطيك جمرا و دفعوهما فى نحرى و أنا أنكص و أعاهدهم أن أردهما فأقسمهما على من أفاءهما الله عليه، فكاد ابن الخطاب يحترق، ثم لم أزل مروعا أظن الحيات تنهشنى، فاردد هذين السفطين فبعهما بعطاء الذرية و المقاتلة أو بنصف ذلك، و أقسم ثمنها على من أفاءهما الله عليه.

و قال بعضهم: قال له: بعهما و اجعل ثمنهما فى أعطية المسلمين بالبصرة و الكوفة، فإن خرج كفافا فذاك، و إن فضل فاجعله فى بيت مال المسلمين.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۳

فقدم السائب بهما فاشتراهما عمرو بن حريث بعطاء الذرية و المقاتلة. و قال بعضهم:

اشتراهما بأعطية أهل المصرين، فباع أحدهما من أهل الحيرة بما أخذهما به، و استفضل الآخر. و قال بعضهم: استفضل مائة ألف دينار، فكان أول مال اعتقده.

قال: و كان النخيرجان تحصن فى قلعة من قلاع نهاوند و معه مائة امرأة من نساء الأساورة و معه حلية كثيرة من كنز كسرى، فصالحه حذيفة على ما كان معه، و افتتح حذيفة رساتيق مما يلى أصبهان.

و كان أهل نهاوند قد حفروا خندقا و هالوا فيه ترابا متحولا، فلما انهزموا جعلوا يسقطون فى ذلك الخندق و يغرقون فى ذلك التراب.

و كان يقال لفتح نهاوند: فتح الفتوح.

و ذكر المدائنى أيضا، عن موسى بن عبيدة، عن أخيه، قال: قدمت البصرة فرأيت بها شيخا أصم، فقلت: ما أصابك؟ قال: أنا من أهل نهاوند، فنزل المسلمون، يعنى عند ما نزلوا عليها، فكبروا تكبيرة ذهب سمعى منها.

و ذكر الطبرى «۱» فيما ذكره من الأخبار المختلفة فى هذه الوقعة، عن سيف، عن أبى بكر الهذلى نحوا من هذا الحديث، و زاد فيه أشياء و خالفه فى أماكن منه، منها أن النعمان بن مقرن عند ما أمّره عمر، رضى الله عنه، على هذه الحرب فى هذا الوجه كان يومئذ بالبصرة و معه قواد من قواد أهل الكوفة قد أمدّ بهم عمر، رحمه الله، أهل البصرة عند انتقاض الهرمزان، فافتتحوا رامهرمز و ايذج، و أعانوهم على تستر و جندى‌سابور و السوس، فكتب إليه عمر: إنى قد وليتك حربهم، يعنى الأعاجم الذين اجتمعوا بنهاوند، فسر من

وجهک هذا حتی تأتی ماه، فإنی قد کتبت إلی أهل الکوفة أن یوافوک بها، فإذا اجتمع إلیک جندک فسر إلی الفیرزان و من تجمع إلیه من الأعاجم من أهل فارس و غیرهم، و استنصر الله، و أکثر من لا حول و لا قوة إلا بالله، و إن حدث بک حدث فعلی الناس نعیم بن مقرن.

و فی حدیثه: أنه لما استحث أهل الکوفة کان أسرعهم إلی ذلک الوجه الروادف لیبلو فی الدین و لیدرکوا حظا، و أن حذیفة بن الیمان خرج بأهل الکوفة أمیرا علیهم بأمر عمر حتی ینتهی إلی النعمان، و خرج معه نعیم بن مقرن حتی قدموا علی النعمان بالطرز، و جعلوا بمرج القلعة خیلا علیها النسیسر، و کتب عمر، رحمه الله، إلی سلمی بن القین

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۲۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۴

و حرملة بن مریطة، و زر بن کلیب و المقترب بن ربیعة، و القواد الذین کانوا بین فارس و الأهواز أن اشغلوا فارس عن إخوانکم، و حوطوا بذلک أمتکم و أرضکم، و أقیموا علی حدود ما بین فارس و الأهواز حتی یأتیکم أمری، و بعث مجاشع بن مسعود إلی الأهواز، و قال له: أفصل منها علی ماه، ففعلوا ما أمرهم به، و قطعوا بذلک علی أهل نهاوند أمداد فارس.

و فیه «۱» أن النعمان لما أتاه طلیحة بخبر نهاوند و أعلمه أنه لیس بینه و بینها أحد و لا شیء یکرهه، و قد توافی إلیه أمداد المدینة، نادی عند ذلک بالرحیل، و بعث إلی مجاشع أن یسوق الناس، و سار النعمان علی تعبئته، و علی مقدمته أخوه نعیم، و علی مجنبتیه أخوه سوید و حذیفة بن الیمان، و علی المجردة القعقاع، و علی الساقة مجاشع، فانتهوا إلی الأسبیذهان و الفرس به وقوف علی تعبئتهم و أمیرهم الفیرزان، و قد توافی إلیه نهاوند کل من غاب عن القادسیة و الأیام من أهل الثغور و أمرائها و أعلام من أعلامهم لیسوا بدون من شهد الأیام و القوادس.

فلما رآهم النعمان کبر ثلاثا و کبر الناس معه، فزلزلت الأعاجم، و أمر النعمان و هو واقف بحط الأثقال، و بضرب الفسطاط، فضرب و هو واقف، و ابتدره أشراف أهل الکوفة و أعیانهم، فسبق إلیه عدة منهم سابقوا أکفاءهم فسبقوهم، و هم أربعة عشر رجلا: حذیفة بن الیمان، و عقبة بن عمرو، و المغیرة بن شعبة، و بشیر بن الخصاصیة، و حنظلة بن الربیع الکاتب، و ابن الهدیر، و ربعی بن عامر، و عامر بن مطر، و جریر بن عبد الله الحمیری، و جریر البجلی، و الأشعث بن قیس، و الأقرع بن عبد الله الحمیری، و سعید بن قیس الهمدانیّ، و وائل بن حجر، فلم یر بناة فسطاط بالعراق کهؤلاء.

و أنشب النعمان القتال، فاقتتلوا یوم الأربعاء و یوم الخمیس، و الحرب بینهم فی ذلک سجال، ثم انحجزوا فی خنادقهم یوم الجمعة، و حصرهم المسلمون، فأقاموا علیهم ما شاء الله و الأعاجم بالخیار، لا یخرجون إلا إذا أرادوا الخروج، فاشتد ذلک علی المسلمین و خافوا أن یطول أمرهم، و أحبوا المناجزة، فتجمع أهل الرأی من المسلمین، و أتوا النعمان فی ذلک فوافقوه و تروی فی الذی رووا فیه، فقال: علی رسلکم، لا تبرحوا، ثم بعث إلی من بقی ممن لم یأته من أهل النجدات و الرأی فی الحرب، فتوافوا إلیه، فتکلم النعمان، فقال: قد ترون المشرکین و اعتصامهم بالحصون من الخنادق و المدائن، و أنهم لا یخرجون إلا إذا شاءوا، و لا یقدر المسلمون علی انغاضهم و انبعاثهم قبل مشیئتهم، و هم

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۲۸).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۵

یرون ما المسلمون فیه من التضایق، فما الرأی الذی به نحمشهم و نستخرجهم إلی المناجزة؟.

فقال بعض المسلمین: التحصن علیهم أشد من المطاولة علیکم، فدعهم و طاولهم و قاتل من أتاک منهم.

فردوا جميعا عليه رأيه، و قالوا: إنا لعلى يقين من إنجاز ربنا موعده، فما لنا و للمطاولة حتى لا نجد منها بدا؟.

و تكلم «۱» عمرو بن معدى كرب، يومئذ، فلم يوافقهم قوله الذى قال، و ردوه عليه.

و قال طليحة: أما أنا فأرى أن نبعث خيلا مؤدية، فيحدقوا بهم، ثم يراموهم ليحمشوهم و ينشبوا القتال، فإذا استحمشوا و اختلطوا بهم أرزت إلينا خيلنا تلك استطرادا، فإنا لم نستطرد لهم فى طول ما قاتلناهم، و إنا إذا فعلنا و رأوا ذلك منا طمعوا فى هزيمتنا و لم يشكوا فيها، فخرجوا فجادونا و جاددناهم، حتى يقضى الله فينا و فيهم ما أحب.

فأمر «۲» النعمان القعقاع، صاحب المجردة، بذلك ففعل، و أنشب القتال، فأنغضهم فلما خرجوا نكص، ثم نكص، ثم نكص، فاغتنمتها الأعاجم، ففعلوا كما ظن طليحة و خرجوا، فلم يبق أحد إلا من يقوم لهم على الأبواب، و جعلوا يركبون القعقاع حتى أرزا إلى الناس، و انقطع القوم من حصنهم بعض الانقطاع، و النعمان و المسلمون على تعبئتهم فى يوم الجمعة و فى صدر النهار، و قد عهد النعمان إلى الناس عهده، و أمرهم أن يلزموا الأرض و لا يقاتلوهم حتى يأذن لهم، ففعلوا و استتروا بالحجف من الرمى، و أقبل المشركون عليهم يثفنونهم حتى أفشوا فيهم الجراحات، و شكا الناس ذلك بعضهم إلى بعض، ثم قالوا للنعمان: أ لا ترى ما نحن فيه؟ أ لا ترى ما لقى الناس؟ فما تنتظر بهم؟

ائذن للناس فى قتالهم، فقال النعمان: رويدا رويدا، تروا أمركم، فقال المغيرة: لو أن هذا الأمر إلىّ علمت ما أصنع، فقال النعمان: رويدا ترى أمرك، فقد كنت تلى الأمر فتحسن، و لا يخذلنا الله و إياك، و نحن نرجو فى المكث مثل الذى ترجو فى الحث.

و جعل النعمان ينتظر بالكتائب أحب الساعات كانت إلى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم فى القتال أن يلقى فيها العدو، و ذلك عند الزوال و تفيؤ الأفياء و مهب الأرواح. فلما كان قريبا من

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۳۰).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۳۰، ۱۳۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۶۶

تلك الساعة تحشحش النعمان و سار فى الناس على برذون أحوى قريب من الأرض، فجعل يقف على كل راية فيحمد الله عز و جل و يثنى عليه و يقول: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين و ما وعدكم من الظهور، و قد أنجز لكم هوادى ما وعدكم و صدوره، و إنما بقيت أعجازه و أكارعه، و الله منجز وعده، و متبع آخر ذلك أوله، و اذكروا ما مضى إذ أنتم أذلة، و ما استقبلتم من هذا الأمر و أنتم اليوم عباد الله حقا و أولياؤه، و قد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، و الذى لهم فى ظفركم و عزكم، و الذى عليهم فى هزيمتكم و ذلكم، و قد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم، و ما أخطرتم و ما أخطروا لكم، فأما ما أخطروا لكم فهذه الزينة و ما ترون من هذا السواد، و أما ما أخطرتم لهم فدينكم و بيضتكم، و لا سواء ما أخطرتم و أخطروا، فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم، و أتقى الله عبد صدق الله و أبلى نفسه فأحسن البلاء، فإنكم بين خيرين تنتظرون إحدى الحسنيين، من بين شهيد حى مرزوق، أو فتح قريب و ظفر يسير، فكفى كل رجل ما يليه و لم يكل قرنه إلى أخيه، فإذا قضيت أمرى فاستعدوا، فإنى مكبر ثلاثا، فإذا كبرت الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ، فإذا كبرت الثانية فليجمع عليه رداءه، و ليشد عليه سلاحه و ليتأهب للنهوض، فإذا كبرت الثالثة فإنى حامل إن شاء الله، فاحملوا معا، اللهم أعز دينك، و انصر عبادك، و اجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك و نصر عبادك.

و فى رواية «۱» إنه قال: اللهم إنى أسألك أن تقر عينى بفتح يكون فيه عز الإسلام و ذل يذل به الكفار، ثم اقبضنى بعد ذلك على الشهادة، أمنوا يرحمكم الله، فأمنا و بكينا.

فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف رجع إلى موقفه، فكبر الأولى و الثانية و الثالثة، و الناس سامعون مطيعون مستعدون للمناهضة ينحى بعضهم بعضا عن سننه، و حمل النعمان و حمل الناس، و راية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب، فالتقوا

بالسیوف فاقتتلوا قتالا شدیدا لم یسمع السامعون بوقعة یوم قط کانت أشد منها قتالا، فقتلوا فیها من أهل فارس فیما بین الزوال و الإعتام ما طبق أرض المعرکة دما، یزلق الناس و الدواب، و أصیب فرسان من فرسان المسلمین فی الزلق فی الدماء، منهم النعمان أمیرهم، زلق فرسه فی الدماء فصرعه، فأصیب عند ذلک، رحمه الله، و تناول الرایة منه قبل أن تقع أخوه نعیم بن مقرن، و سجی النعمان بثوب، و أتی حذیفة بالرایة فدفعها إلیه، و کان اللواء مع حذیفة.

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۳۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۷

و قال المغیرة: اکتموا مصاب أمیرکم حتی ننظر ما یصنع الله فینا و فیهم؛ لئلا یهن الناس، فاقتتلوا حتی إذا أظلم اللیل علیهم انکشف المشرکون و ذهبوا، و المسلمون ملظون بهم، فعمی علی المشرکین قصدهم، فترکوه و أخذوا نحو اللهب و هو الخندق الذی کانوا أنزلوا دونه، فوقعوا فیه، فمات فیه منهم مائة ألف أو یزیدون، سوی من قتل منهم فی المعرکة، و هم أعداد الذین هووا، و لم یفلت إلا الشرید، و نجا الفیرزان من بین الصرعی فی المعرکة، فهرب نحو همدان فی ذلک الشرید، فتبعهم نعیم بن مقرن، و قدم القعقاع فأدرکه حین انتهی إلی ثنیة همدان، و الثنیة مشحونة من بغال و حمیر موقورة عسلا، فحبسه علی أجله، فقتله علی الثنیة بعد ما امتنع، لم یزل یتوقل فی الجبل لما غشیه إذ لم یجد مساغا، و توقل القعقاع فی أثره حتی أخذه، و استاق العسل و ما خالطه من سائر الأحمال، فأقبل به، و سمیت تلک الثنیة بذلک: ثنیة العسل. و قال القعقاع فی ذلک:

قولا لأصرام بأکناف الجبلبأن لله جنودا من عسل

تقتل أحیانا بأسیاف الأجل

و مضی الفلال حتی انتهوا إلی مدینة همدان فدخلوها و الخیل فی آثارهم، فنزلوا علیها و حووا ما حولها، فلما رأی ذلک خسروشنوم استأمنهم علی أن یضمن لهم همدان و دستی، و أن لا یؤتی المسلمون منهم، فقبل المسلمون ذلک و أجابوا إلیه، و آمنوهم فأقبل کل من کان هرب، و لما بلغ الخبر أهل الماهین بأن همدان قد أخذت، و نزلها نعیم بن مقرن و القعقاع بن عمرو اقتدوا بخسروشنوم، فراسلوا حذیفة فأجابهم إلی ما طلبوا، فأجمعوا علی إتیانه، فخدعهم دینار، و کان ملکا إلا أنه کان دون أولئک الملوک، و أتی إلی المسلمین فی الدیباج و الحلی، فأعطاهم حاجتهم و احتمل لهم ما أرادوا، فعاقدوه علیهم، و لم یجد الآخرون بدا من متابعته و الدخول فی أمره، فقیل لأجل ذلک: ماه دینار، فنسبت إلیه، و ذهب حذیفة بها، و کان النعمان بن مقرن قد عاهد بهراذان علی مثل ذلک، فقیل: ماه بهراذان، فنسبت إلیه لأجل ذلک، و وکل النسیر بن ثور بقلعة قد کان لجأ إلیها قوم فحاصرها فافتتحها، فنسبت إلی النسیر.

و فی غیر هذا الحدیث «۱» أن أهل نهاوند خرجوا ذات یوم علی المسلمین فلم یلبثهم المسلمون أن هزموهم، و تبع سماک بن عبید العنسی رجلا منهم معه نفر ثمانیة علی أفراس لهم، فبارزهم فلم یبرز له أحد منهم إلا قتله حتی أتی علیهم، ثم حمل الفارسی الذی کانوا معه فأسره سماک و أخذ سلاحه، و وکل به رجلا، فقال: اذهبوا بی إلی

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۳۵، ۱۳۶).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۶۸

أمیرکم حتی أصالحه علی هذه الأرض و أؤدی إلیه الجزیة، و اسألنی أنت عن أسارک ما شئت، و قد مننت علیّ إذ لم تقتلنی، و إنما أنا عبدک الآن، و إن أدخلتنی علی الملک فأصلحت ما بینی و بینه وجدت لی شکرا، و کنت لی أخا، فخلی سبیله و آمنه، و قال: من أنت؟ قال: أنا دینار، و البیت یومئذ فی آل قارن، فأتی به حذیفة فحدثه دینار عن نجدة سماک و ما قتل، و صالحه علی الخراج، فنسبت إلیه ماه، فکان بعد یواصل سماکا و یهدی له، و یوافی الکوفة، فقدمها فی إمارة معاویة مرة، فقال للناس: یا معشر أهل الکوفة،

إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس، فعمرتم بـذلك زمان عمر و عثمان، ثم تغيرتم و فشت فيكم خصال أربع: بخل و خب و غدر و ضيق، و لم تكن فيكم واحـدة منهن، فرمقتكم، فـإذا ذلـك فی مولـديكم، فعلمت من أين أتی ذلـك، و إذ الخب من قبـل النبط، و البخل من قبل فارس، و الغدر من قبل خراسان، و الضيق من قبل الأهواز.

و قسم حذيفـة لمن خلفوا بمرج القلعـة و غيره، و لأهل المسالح جميعا من فیء نهاوند مثل الذی قسم لأهل المعركة؛ لأنهم كانوا ردءا للمسلمين، و كان سـهم الفارس يوم نهاونـد سـتة آلاف، و سـهم الراجل ألفين، و نفل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء، و دفع ما بقی منها إلی السائب، فخرج بها إلی عمر، و تململ عمر، رضـی الله عنه، تلك الليلـة التی كان قدر لملاقاتهم، و جعل يخرج و يلتمس الخبـر، فبينا رجـل من المسلمين قـد خرج فی بعض حوائجه، فرجع إلی المدينـة ليلاـ لحق به راكب فی الليلـة الثالثـة من يوم نهاوند يريد المدينة، فقال له الرجل: يا عبد الله، من أين أقبلت؟ فقال: من نهاوند، فقال: الخبر؟ قال: فتح الله علی النعمان و استشـهد، و اقتسم المسـلمون فیء نهاونـد، فأصـاب الفـارس منه سـتة آلاف، و طواه الراكب حتی انغمس فی المدينـة، فلما أصـبح الرجل تحـدث بحـديثه، و نمی الخبر حتی بلغ عمر، رحمه الله، و هو فيمـا هو فيه، فأرسـل إليه، فسأله فأخبره، فقال: صـدق و صـدقت، هـذا غيثم بريد الجن، و قد رأی بريد الإنس، فقدم بعد ذلك عليه بالفتح طريف بن سهم، أخو ربيعة بن مالك، و قدم السائب علی أثره بالأخماس.

و ذكر من حديث السفطين قريبا مما تقدم فی الحديث الآخر، إلا أنه ذكر فيه أنه صرف معه السفطين من فوره و قال له: النجاء النجاء، عودك علی بدئك حتی تأتی حذيفة فيقسمهما علی من أفاءهما الله عليه، و أنه أصاب الفارس منهما لما باعهما حذيفة و قسم ثمنهما أربعة آلاف.

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۵۶۹

و فی بعض مـا ذكره الطبری «۱» عن سـيف عن شـيوخه أن انبعاث الأعاجم للاجتماع بنهاوند كان بدؤه فی زمان سـعد بن أبی وقاص بالكوفة، و إليه بلغ الخبر فأعلم به عمر، ثم انبری لسعد قوم تشكوا منه ظالمين له إلی عمر، أحدهم الجراح بن سنان الأسدی، فاستقدمه عمر مع محمد بن مسـلمة، بعد أن وجه محمدا لسؤال أهل الكوفة عنه، و الطواف به علی مساجدها، فكلهم يقول إذا سئل: لا نعلم إلا خيرا، و لا نشتهی به بدلا، إلا الجراح و أصـحابه فإنهم كانوا يسكتون، يتعمدون ترك الثناء، و لا يسوغ لهم قول الشر، حتی انتهوا إلی بنی عبس، فقال محمد: أنشد الله رجلا علم حقا إلا قاله.

فقال أسامـة بن قتادة: اللهم إذ نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية، و لا يعدل فی الرعية، و لا يغزو فی السـرية. فقال سـعد: اللهم إن كان قالها كاذبـا ريـاء و سـمعة فأعم بصـره، و أكثر عياله، و عرضه لمضـلات الفتن. فعمی، و اجتمع عنـده عشـر بنات، و كان يسـمع بخبر المرأة فيأتيها حتی يجسها، فإذا غير عليه يقول: دعوة سعد الرجل المبارك.

ثم أقبل سـعد يـدعو علی أولئك النفر الذين انبروا له و خرجوا إلی عمر متشـكين به، فقال: اللهم إن كانوا خرجوا أشـرا و بطرا و كذبا فأجهـد بلاءـهم، ففعل الله ذلك بهم، فقطع جراح بالسـيوف يوم ثاور الحسن بن علی ليغتاله بساباط، و شـدخ قبيصـة بالحجارة، و قتل أربـد بالوجء و بنعال السـيوف. و قال سـعد: و الله إنی لأول رجل هراق دما فی المشـركين، و لقد جمع لی رسول الله صـلی اللّه عليه و سلم أبويه، و ما جمعهما لأحـد قبلی، و لقد رأيتنی خمس الإسـلام، و بنو أسد تزعم أنی لا أحسن أصـلی و أن الصـيد يلهينی. و خرج محمد بن مسلمة به و بهم حتی قدموا علی عمر، فقال: يا سعد، ويحك! كيف تصلی؟ فقال: أطيل الأوليين، و أحذف الأخريين، فقال: هكـذا الظن بـك، ثم قال: لو لا الاحتياط لكان سبيلهم بيننا، ثم قال: من خليفتك يا سعد علی الكوفة؟ فقال: عبـد الله بن عبـد الله بن عتبان، فأقره عمر و استعمله.

قال «۲»: فكان سبب نهاوند و بدء مشورتها و بعوثها فی زمان سعد، و أما الوقعة ففی زمان عبد الله.

و كـان من حـديثهم أنهم نفروا لكتاب يزدجرد، فتوافوا إلی نهاونـد مائـة و خمسـين ألف مقاتل، و اجتمعوا علی الفيرزان، و إليه كانوا توافوا، ثم قالوا: إن محمدا الذی جاء العرب بالدين لم يغرض غرضا، يريدون النبیّ صـلی اللّه عليه و سلم، قالوا: ثم ملكهم أبو بكر من

بعده فلم یغرض

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۲۰).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۱۲۲).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۷۰

غرض فارس، إلا فی غارة تعرض لهم فیها، و إلا فیما یلی بلادهم من السواد، ثم ملک عمر فطال ملکه و غرض، حتی تناولکم و انتقضکم السواد و الأهواز و أوطأها، ثم لم یرض حتی أتی أهل فارس فی عقر دارهم، و هو آتیکم إن لم تأتوه، و قد أخذ بیت مملکتکم فاقتحم بلاد ملککم، و لیس بمنته حتی تخرجوا من فی بلادکم من جنوده و تقلعوا هذین المصرین، ثم تشغلوه فی بلاده و قراره، فتعاهدوا علی ذلک و تعاقدوا، و کتبوا بینهم به کتابا.

و بلغ الخبر سعدا، فکتب به إلی عمر، ثم لقیه بالخبر مشافهة لما شخص إلیه، و قال:

إن أهل الکوفة یستأذنوک فی الانسیاح إلیهم و مبادرتهم الشدة، و کان عمر منعهم من الانسیاح فی الجبل، ثم کتب إلیه عبد الله بن عبد الله بمن اجتمع منهم، و قال: إن جاءونا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة و قوة، و إن نحن عاجلناهم کان لنا ذلک علیهم، و بعث بکتابه مع قریب بن ظفر العبدی.

فلما قرأ عمر الکتاب قال للرسول: ما اسمک؟ قال: قریب، قال: ابن من؟ قال: ابن ظفر، فتفاءل إلی ذلک، و قال: ظفر قریب إن شاء الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله، و نودی فی الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، و حینئذ وافاه سعد، فتفاءل أیضا إلی سعد بن مالک، و قام عمر علی المنبر خطیبا، فأخبر الناس الخبر، و استشارهم، و قال: هذا یوم له ما بعده من الأیام، ألا و إنی قد هممت بأمر و إنی عارضه علیکم، فاسمعوه ثم أجیبونی و أوجزوا و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ریحکم، و لا تکثروا و لا تطلبوا، فتفشغ بکم الأمور، و یلتوی علیکم الرأی، أ فمن الرأی أن أسیر فیمن قبلی و من قدرت علیه حتی أنزل منزلا واسطا بین المصرین، فأستنفرهم ثم أکون لهم ردءا حتی یفتح الله علیهم و یقضی ما أحب؟.

فقام عثمان و طلحة و الزبیر و عبد الرحمن بن عوف فی رجال من أهل الرأی من أصحاب رسول الله صلی اللّه علیه و سلم، فقالوا: لا نری ذلک، و لکن لا یغیبن عنهم رأیک و أمرک، و بإزائهم وجوه العرب و فرسانهم و أعلامهم و من قد فض جموعهم و قتل ملوکهم و باشر من حروبهم ما هو أعظم من هذا، و إنما استأذنوک و لم یستصرخوک، فأذن لهم، و اندب إلیهم، و ادع لهم، فقام علی بن أبی طالب، رضی الله عنه، فقال: أصاب القوم یا أمیر المؤمنین الرأی، و فهموا ما کتب به إلیک، و إن هذا الأمر لم یبن نصره و لا خذلانه لکثرة و لا لقلة هو دینه الذی أظهر، و جنده الذی أعز و أمده بالملائکة حتی بلغ ما بلغ، و نحن علی موعود من الله سبحانه، و الله منجز وعده، و ناصر جنده، و مکانک منهم مکان

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۷۱

النظام من الخرز یجمعه و یمسکه، فإن انحل تفرق ما فیه و ذهب، ثم لم تجتمع بحذافیره أبدا، و العرب الیوم و إن کانوا قلیلا فهم کثیر عزیز بالإسلام، فأقم و اکتب إلی أهل الکوفة، فهم أعلام العرب و رؤساؤهم، و من لم یحفل بمن هو أجمع من هؤلاء و أحد و أجد فلیأتهم الثلثان و لیقم الثلث، و اکتب إلی أهل البصرة أن یمدوهم ببعض من عندهم.

فسر عمر، رحمه الله، بحسن رأیهم، و أعجبه ذلک منهم. و قام سعد فقال: خفض علیک یا أمیر المؤمنین، فإنهم إنما جمعوا لنقمة نازلة بهم.

و بالوقوف علی ما أثبتناه من الأخبار عن هذه الوقعة یعرف ما اتفقت علیه و ما اختلفت فیه، و قد حذفنا منها ما قدرنا الاستغناء عن إیراده مما لعل فی بعضه زیادة فی الخلاف.

و ذكر المدائنى أن وقعة نهاوند كانت فى سنة إحدى و عشرين، و ذكر الطبرى «۱» أنها كانت فى أول سنة تسع عشرة لست سنين من إمارة عمر، رضى الله عنه.

و ذكر أيضا عن سيف «۲» عن شيوخه ما كتب به النعمان بن مقرن من الأمان لأهل ماه بهراذان، و حذيفة لأهل ماه دينار، و كلا الكتابين موافق للآخر لفظا و معنى، و كتاب النعمان:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى نعمان بن مقرن أهل ماه بهراذان، أعطاهم الأمان على أنفسهم و أموالهم و أراضيهم، لا يغيرون على ملتهم، و لا يحال بينهم و بين شرائعهم، و لهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة إلى من وليهم، على كل حالم فى ماله و نفسه على قدر طاقته، و ما أرشدوا ابن السبيل، و أصلحوا الطرق، و قروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يوما و ليلة، و وفوا و نصحوا، فإن غشوا و بدلوا، فذمتنا منهم بريئة. شهد عبد الله بن ذى السهمين، و القعقاع بن عمرو، و جرير بن عبد الله، و كتب فى المحرم سنة تسع عشرة.

قالوا: و ألحق عمر، رضى الله عنه، من شهد نهاوند من الروادف فأبلى بلاء حسنا فاضلا فى ألفين، ألحقهم بأهل القادسية.

و قال القعقاع بن عمرو فى ذلك:

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۱۴).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۳۶، ۱۳۷).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۲ جذعت على الماهات آناف فارس‌لكل فتى من صلب فارس حادر

هتكت بيوت الفرس لما لقيتهمو ما كل من يلقى الحروب بثائر

حبست ركاب الفيرزان و جمعه‌على فتر من حرها غير فاتر

هدمت به الماهات و الدرب بغتةإلى غاية أخرى الليالى الغوابر و قال أبو بجيد فى ذلك:

لو أن قومى فى الحروب أذلةلأخنث عليهم فارس فى الملاحم

و لكن قومى أحرزتهم سيوفهم‌فآبوا و قد عادوا حواة المكارم

أبينا فلم نعط الظلامة فارساو لكن قبلنا عفو سلم المسالم

و نحن حبسنا فى نهاوند خيلنالشر ليال أنتجت للأعاجم

نتجن لهم فينا و عضل سخلهاغداة نهاوند لإحدى العظائم

ملأنا شعابا فى نهاوند منهم‌رجالا و خيلا أضرمت فى الضرائم

و أركضهن الفيرزان على الصفافلم ينجه منا انفساح المخارم

ذكر الانسياح فى بلاد فارس، و عمل المسلمين به بإذن عمر رضى الله عنه، فيه بعد منعه إياهم، و ما تبع ذلك من الفتوح فى بقية خلافته و قتال الترك و الديلم و غيرهم «۱»

و لم يزل عمر، رضى الله عنه، ينهى المسلمين عن الانسياح فى بلاد فارس، و يأمرهم بالاقتصار على ما فى أيديهم، و الجد فى قتال من قاتلهم، نظرا للإسلام و احتياطا على أهله و إشفاقا، و لا يزال أهل فارس يجهدون بعد كل نيل منهم و هزيمة تأتى على جموعهم فى انبعاث جموع أخر، رجاء الاستدراك لما قد أذن الله فى إقامته، و الإبقاء من أمرهم لما سبقت المشيئة بزواله و استيلاء الإسلام عليه و على سواه، تتميما لنوره، و إنجازا لموعود رسوله الذى أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون.

و كان بعض أهل الذمة الذين قهرهم الإسلام على الصلح و أقرهم على الجزية ينتقضون عند تحرك أهل فارس، فسأل عمر بن

الخطاب، رضى الله عنه، وفد أهل البصرة عن ذلك، و هل يفضى المسلمون إلى أهل الذمة بأذى أو بأمور لها ينتقضون؟ فقالوا: لا نعلم إلا وفاء و حسن ملكة، قال: كيف هذا؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئا يشفيه و يبصر

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۹۴- ۱۳۸)، فتوح البلدان للبلاذرى (ص ۴۷۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۳

به ما يقولون، إلا ما كان من الأحنف بن قيس، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد، و أمرتنا بالاقتصار على ما كان فى أيدينا، و أن ملك فارس حى بين أظهرهم، و أنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم، و لم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه، و قد رأيت أنا لم نأخذ شيئا بعد شىء إلا بانبعاثهم، و أن ملكهم هو الذى يبعثهم، و لا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فنسيح فى بلادهم حتى نزيله عن فارس و نخرجه من مملكته و عن أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس.

فقال: صدقتنى و الله و شرحت لى الأمر عن حقه، و أذن عمر عند ذلك فى الانسياح، و انتهى إلى رأى الأحنف، و عرف فضله و صدقه، و رأى أن يزدجرد يبعث عليه فى كل عام حربا إن لم يأذن للناس فى الانسياح فى أرض العجم، و رأى أن يزدجرد على ما كان فى يدى كسرى، فوجه عمر، رضى الله عنه، الأمراء من أهل البصرة و من أهل الكوفة، و أمر على كلا المصرين أمراء، أمرهم بأمره، و أذن لهم فى الانسياح، فانساحوا و بعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى حليف بنى عبد الأشهل، فقدم سهيل البصرة بالألوية، فدفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، و لواء أردشير خره و سابور إلى مجاشع ابن مسعود السلمى، و لواء اصطخر إلى عثمان بن أبى العاص، و لواء فسا و درابجرد إلى سارية بن زنيم الكنانى، و لواء كرمان مع سهيل بن عدى، و لواء سجستان إلى عاصم بن عمرو، و لواء مكران إلى الحكم بن عمرو التغلبى، فعسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور، و ذلك فى سنة سبع عشرة فى بعض ما ذكره الطبرى عن سيف عن شيوخه. قالوا: فلم يستتب مسيرهم حتى دخلت سنة ثمان عشرة.

و ذكر الطبرى أيضا، عن سيف أن إذن عمر فى الانسياح إنما كان بعد فتح نهاوند، و هذا لا يكون إلا فى سنة تسع عشرة أو بعدها، على ما ذكرنا من الاختلاف فى فتح نهاوند.

و ذكر أيضا أنه قدمت الألوية من عند عمر، رحمه الله، إلى نفر بالكوفة، فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن، و أمره بالمسير نحو همدان، و كان أهلها كفروا بعد الصلح الذى تقدم ذكره بعد هزيمة فارس بنهاوند، و قال له: إن فتح الله عليك فما وراءك لك، فى وجهك كذلك إلى خراسان، و بعث عقبة بن فرقد و بكير بن عبد الله، و عقد لهما على أذربيجان و فرقها بينهما، و أمر أحدهما أن يأخذ إليها من حلوان على ميمنتها، و الآخر أن يأخذ إليها من الموصل على ميسرتها، فتيامن هذا عن صاحبه، و تياسر هذا، و بعث إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان بلواء، و أمره أن يسير إلى أصبهان، و كان شجاعا بطلا،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۴

من أشراف الصحابة، و من وجوه الأنصار، و أمده بأبى موسى من البصرة، و أمّر مكانه على البصرة عمر بن سراقة، و كان عبد الله خليفة سعد على الكوفة عند ما توجه إلى عمر، فأقره عمر مستعملا عليها، ثم صرفه عنها بزياد بن حنظلة، و كتب إليه عند ما أراد توجيهه إلى أصبهان أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن، فاندبهم و لا تنتخبهم، ثم اكتب إلىّ بذلك، فلما أتى عمر انبعاث عبد الله، بعث حينئذ زياد بن حنظلة على الكوفة، فلما أتاه انبعاث الجنود و انسياحهم، أمّر عمار بن ياسر على الكوفة، و قرأ قول الله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ [القصص: ۵].

و يروى أن زيادا ألح على عمر فى الاستعفاء بعد أن عمل قليلا فأعفاه و ولى عمارا، و كان زياد من المهاجرين.

و لما بعث عمر، رضى الله عنه، عمارا على الكوفة بعث عبد الله بن مسعود ليعلم الناس، و كتب إلى أهل الكوفة: إنى بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا، و جعلت عبد الله ابن مسعود معلما و وزيرا، و هما من النجباء من أصحاب محمد صلى اللّه عليه و سلم.

و فى رواية: و وليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة و ما وراءها، و وليت عثمان بن حنيف الفرات و ما سقى.

و سنذكر إن شاء الله الجهات و الكور التى عقد عليها عمر، رضى الله عنه، الألوية لمن ذكر قبل من أمرائه جهة جهة و بلدا بلدا، غير متقلدين فى ذلك تاريخا و لا متبرئين فيه من عهدة الخطأ فى تقديم مؤخر أو تأخير مقدم، لكثرة ما بين أهل الأخبار فى ذلك من الاختلاف الذى لا يتحصل معه حقيقة سوى المقصود من صنع الله لأوليائه فى إظهار كلمة الإسلام و نصره إياهم على كل من ناوأهم من الأمم تتميما لأمره و إنجازا لموعوده و تصديقا فى كل زمان و مكان لقوله: وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [التوبة: ۴۰].

ذكر الخبر عن أصبهان «۱»

فأما أصبهان، فإن عبد الله بن عبد الله بن عتبان خرج إليها بأمر عمر، رضى الله عنه، و على مقدمته عبد الله بن ورقاء الرياحى، و على مجنبتيه عبد الله بن بديل بن ورقاء

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۳۹- ۱۴۱)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۸، ۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۵

الأسدى، و ليس الخزاعى، و عصمة بن عبد الله، و سار عبد الله فى الناس نحو جىّ و قد اجتمع أهل أصبهان عليهم الاستندار، و على مقدمته شهربراز جاذويه، شيخ كبير فى جمع عظيم، فالتقى المسلمون و مقدمة المشركين برستاق من رساتيق أصبهان، فاقتتلوا قتالا شديدا، و دعا الشيخ إلى البراز، فبرز له عبد الله بن ورقاء، فقتله و انهزم أهل أصبهان، و سمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ، فما زال ذلك اسمه بعد.

و دعى عبد الله من يليه فسارع الاستندار إلى الصلح، فصالحه عبد الله، ثم سار من رستاق الشيخ نحو جىّ فانتهى إليها، و بها يومئذ ملك أصبهان الفاذوسفان فى جمعه، فحاصرهم عبد الله، و خرجوا إليه، فلما التقوا، قال له ملكهم: لا- تقتل أصحابى و لا- أقتل أصحابك، و لكن ابرز إلىّ، فإن قتلتك رجع أصحابك، و إن قتلتنى سالمك أصحابى، و إن كان أصحابى لا تقع لهم نشابة إلا فى رجل، فبرز له عبد الله، و قال: إما أن تحمل علىّ، و إما أن أحمل عليك، فقال: أحمل عليك، فوقف له عبد الله، فحمل عليه الفاذوسفان، فطعنه، فأصاب قربوس السرج فكسره، و قطع اللبد و الحزام، و زال اللبد و السرج، فوقع عبد الله قائما، ثم استوى على الفرس عريا، و قال له: اثبت، فحاجزه و قال: ما أحب أن أقاتلك، فإنى قد رأيتك رجلا كاملا، و لكن ارجع معك إلى عسكرك فأصالحك و أدفع المدينة إليك على أن من شاء أقام و أدى الجزية و قام على ماله، و على أن تجرى مجراهم من أخذتم ماله عنوة و يتراجعون، و من أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء و لكم أرضه.

فقال له عبد الله: لكم ذلك، فرجع القوم إلى جىّ، إلا ثلاثين رجلا من أصبهان خالفوا قومهم، فخرجوا فلحقوا بكرمان، و دخل عبد الله و أبو موسى حيا، مدينة أصبهان، و إنما وصل إليه أبو موسى من ناحية الأهواز بعد الصلح، و اغتبط من أقام، و ندم من شخص.

و كتب عبد الله بالفتح إلى عمر، فأمره أن يلحق بسهيل بن عدى فيجتمع معه على قتال من بكرمان، و أن يستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع، ففعل عبد الله ما أمره به، و خرج فى جريدة خيل فلحق بسهيل قبل أن يصل إلى كرمان، و سيأتى ذكر فتحها بعد إن شاء الله.

و الكتاب الذى كتبه عبد الله لأهل أصبهان:

بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من عبد الله للفاذوسفان و أهل أصبهان و ما حواليها،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۶

إنكم آمنون ما أديتم الجزية، و عليكم من الجزية على قدر طاقتكم كل سنة تؤدونها إلى الذى يلى بلادكم عن كل حالم، و دلالة المسلم و إصلاح طريقه و قراه يوما و ليلة، و حملان الراجل إلى مرحلة، و لا تسلطوا على مسلم، و للمسلمين نصحكم و أداء ما عليكم، و لكم الأمان ما فعلتم، فإذا غيرتم شيئا أو غيره مغير منكم و لم تسلموه فلا أمان لكم، و من سب مسلما بلغ منه، فإن ضربه قتلناه. و كتب و شهد عبد الله بن قيس، و عبد الله بن ورقاء، و عصمة بن عبد الله.

ذكر فتح همذان ثانية و قتال الديلم «۱»

و قد كان حذيفة اتبع فالة نهاوند نعيم بن مقرن و القعقاع بن عمرو، فبلغا همذان فصالحهم خسروشنوم على همذان و دستبى، فرجعوا عنه، ثم إن أهل همذان كفروا بعد و نقضوا ذلك الصلح، فكتب عمر، رحمه الله، إلى نعيم بن مقرن: أن سر حتى تأتى همذان، و ابعث على مقدمتك سويد بن مقرن، و على مجنبتيك ربعى بن عامر و مهلهل بن زيد، هذا طائى، و ذاك تميمى، فخرج نعيم فى تعبئته فسار حتى نزل مدينة همذان و قد تحصنوا، فحاصرهم و أخذ ما بينها و بين جرميذان، و استولى على بلاد همذان كلها.

فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح، على أن يجريهم و من استجاب له مجرى واحدا، ففعل، و قبل منهم الجزاء على المنعة، و فرق دستبى بين النفر من أهل الكوفة، بين عصمة بن عبد الله الضبى، و مهلهل بن زيد الطائى، و سماك بن عبيد العبسى، و سماك ابن مخرمة الأسدى، و سماك بن خرشة الأنصارى، فكان هؤلاء أول من ولى مسالح دستبى و قاتل الديلم.

فبينا نعيم فى مدينة همذان فى توطئتها فى اثنى عشر ألفا من الجند تكاتب الديلم و أهل الرى و أهل أذربيجان، ثم خرج موثا فى الديلم حتى ينزل بواجالروذ، و أقبل أبو الفرخان فى أهل الرى، حتى انضم إليه، و أقبل أخو رستم فى أهل أذربيجان حتى انضم إليه، و تحصن أمراء مسلح دستبى و بعثوا إلى نعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس، و خرج إليهم فى الناس حتى نزل عليهم بواجالروذ، فاقتتلوا بها قتالا شديدا، و قتل القوم مقتلة عظيمة لم تكن دون وقعة نهاوند، و لا قصرت ملحمتهم عن الملاحم الكبار، و قد

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۴۶- ۱۴۹)، الكامل لابن الأثير (۳/ ۷، ۸)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۲۰- ۱۲۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۷

كانوا كتبوا إلى عمر، رحمه الله، باجتماعهم، ففزع عمر و اهتم لحربهم، و توقع ما يأتيه عنهم، فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة، فقال: أ بشير؟ فقال: بل عروة، فلما ثنى عليه:

أ بشير؟ فهم عنه ما أراد، فقال: بشير، فقال عمر: رسول نعيم؟ قال: رسول نعيم، قال:

الخبر؟ قال: البشرى بالفتح و النصر، و أخبره الخبر، فحمد الله، و أمر بالكتاب فقرئ على الناس، فحمد الله تعالى، ثم قدم عليه بالأخماس سماك بن مخرمة، و سماك بن عبيد، و سماك بن خرشة فى نفر من أهل الكوفة، فنسبهم، فانتسبوا له، فقال: بارك الله فيكم، اللهم أسمك بهم الإسلام و أيدهم بالإسلام، ثم كتب إلى نعيم:

أما بعد، فاستخلف على همذان و آمد بكير بن عبد الله بن سماك بن خرشة، و سر حتى تقدم الرى فتلقى جمعهم، ثم أقم بها، فإنها أوسط تلك البلاد و أجمعها لما تريد.

فأقر نعيم يزيد بن قيس على همذان، و سار بالناس من واجالروذ إلى الرى.

و قال نعيم يذكر قتالهم فى واجالروذ من أبيات:

صدمناهم فى واجروذ بجمعناغداة رميناهم بإحدى القواصم

فما صبروا فى حومة الموت ساعةلجد الرماح و السيوف الصوارم

أصبنا بها موثا و من لف جمعهو فيها نهاب قسمها غير عاتم

تبعناهم حتى أووا فى شعابهمنقتلهم قتل الكلاب الحوائم

كأنهم عند انثياب جموعهمجدار تشظى لبنه للهوادم و قال سماك بن مخرمة الأسدى بعد تلك الأيام «۱»:

برزت لأهل القادسية معلماو ما كل من يلقى الكريهة يعلم

و قومى بنو عمرو بن نصر كأنهمأسود بتوج حين شبوا و أسلموا

و يوم بأكناف النخيلة قبلهالججت فلم أبرح أدمى و أكلم

و أقعص منهم فارسا بعد فارسو ما كل من يغشى الكريهة يسلم

فنجانى الله الأجل و جرأتىو سيف لأطراف المآرب مخذم

و حولى بنو ذودان لا يبرحوننىإذا سرحت صاحوا بهم ثم صمموا

و أيقنت يوم الديلميين أنهمتى ينصرف قومى عن الناس يهزم

محافظة إنى امرؤ ذو حفيظةإذا لم أجد مستأخرا أتقدم

---

(۱) انظر الأبيات فى: الطبرى (۴/ ۱۴۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۲۱).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۸

فتح الرى «۱»

و خرج نعيم بن مقرن إلى الرى فلقيه أبو الفرخان مسالما، و مخلفا بالرى يومئذ سياوخش بن مهران بن بهرام، و كان سياوخش قد استمد أهل دنباوند و طبرستان و قرمس و جرجان، و قال: قد علمتم أن هؤلاء إن حلوا بالرى، إنه لا مقام لكم، فاحتشدوا له، فناهد بهم المسلمين، فالتقوا بسفح جبل الرى الذى إلى جانب مدينتها فاقتتلوا به.

و قد كان أبو الفرخان قال لنعيم: إن القوم كثير و أنتم فى قلة، فابعث معى خيلا أدخل مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، و ناهدهم أنت، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لك. فبعث معه نعيم من الليل خيلا عليها ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم المدينة، و لا يشعر القوم، و بيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا و صبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم، فانهزموا، فقتلوا مقتلة عدوا فيها بالقصب، و أفاء الله على المسلمين بالرى نحوا من فىء المدائن، و صالح أبو الفرخان نعيما على أهل الرى، فلم يزل بعد شرف الرى فى آله، و سقط آل بهرام، و أخرب نعيم مدينة الرى، و هى التى يقال لها العتيقة، و أمر أبا الفرخان فبنى مدينة الرى الحدثاء، و كتب لهم نعيم كتابا أعطاهم فيه الأمان لهم و لمن كان معهم من غيرهم، على أن على كل حالم من الجزية طاقته فى كل سنة، و على أن ينصحوا و لا يغلوا و لا يسلوا، و يدلوا المسلم و يقروه يوما و ليلة، و يفخموه، فمن سب مسلما أو استخف به نهك عقوبة، و من ضربه قتل، و من بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعته.

و راسل عند ذلك نعيما مردانشاه مصمعان نهاوند فى الصلح على شىء يفتدى به من غير أن يسأله النصر و المعونة، ففعل ذلك نعيم، و كتب له به و لأهل موضعه كتابا على أن يتقى من ولى الفرج بمائتى ألف درهم فى كل سنة.

و قال أبو بجيد فى يوم الرى:

ألا هل أتاها أن بالرى معشراشفوا سقما لما استجاشوا و قتلوا

لها موطنان عاينوا الهلك فيهمابأيد طوال لم يخنهن مفصل

و خيل تعادى لا هوادة عندهاو زاد و كمت تمتطى و محجل

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۵۰، ۱۵۱)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۲۱، ۱۲۲)، نهاية الأرب للنويرى (۱۹/ ۲۶۴- ۲۶۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۷۹ و دهم و شقر تنشر البلق بينهاإذا ناهبت قوما تولوا و أوهلوا

قتلناهم بالسفح مثنى و موحداو صار لنا فيها مداد و مأكل

قتلنا سيا و خشا و من مال ميلهو لم ينج منهم بالسفوح مؤمل

جزى الله خيرا معشر عصبوهمو أعطاهم خير العطاء الذى ولوا و قال أيضا:

و بالرى إن سألت بنا أم جعفرفمنا صدور الخيل و الخيل تنفر

إذا حذر الأقرام منهن قارح تفخمه فى الموت أغيد أزهر

أخو الهيج و الروعات إن زفرت بهأناخ إليها صابرا حين يزفر

فتسفر عنها الحرب بعد انصبابهاو فينا البقايا و الفعال المسهر

قتلنا بنى بهرام لما تتابعواعلى أمر غاويهم و غاب المسور

و بالسفح موتى لا تطير نسورهالها فى سواء السفح مثوى و مغبر

و لو لا اتقاء القوم بالسلم أقفرت بلادهم أو يهربون فيعذروا

خلفناهم بالرى و الرى منزل له جانب صعب هناك معور

ذكر فتح قومس و جرجان

فأما قومس، فإن عمر، رحمه الله، كان كتب إلى نعيم بن مقرن حين أعلمه بفتح الرى: أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس، ففصل إليها سويد من الرى فى تعبئته، فلم يقم له أحد، فأخذها سلما، و عسكر بها، و كاتب الذين لجئوا إلى طبرستان منهم، و الذين أخذوا المفاوز يدعوهم إلى الصلح و الجزاء، و كتب لهم بذلك كتابا «۱».

و أما جرجان، فإن سويدا سار إليها فكاتبه ملكها، و بدأه بالصلح على أن يؤدى له الجزاء و يكفيه حرب جرجان، فإن غلب أعانه، فقبل سويد ذلك منه، ثم تلقاه قبل أن يدخل جرجان، فدخلها معه، و عسكر سويد بها حتى جبى إليه خراجها، و سمى فروجها، فسدها بترك دهستان، و رفع الجزاء عمن أقام بمنعها، و أخذ الخراج من سائر أهلها، و كتب سويد بذلك كتابا لملكها رزبان صول و أهل دهستان و سائر أهل جرجان «۲».

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۵۱، ۱۵۲)، الروض المعطار (ص ۴۸۵).

(۲) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۵۲، ۱۵۲)، تاريخ جرجان (ص ۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۰

ذكر فتح طبرستان

و راسل الأصبهذ سويدا فى الصلح على أن يتوادعا، و يجعل له شيئا على غير نصرة و لا معونة على أحد، فقبل ذلك منه، و كتب له: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان اصبهذ خراسان على طبرستان و جبل جيلان، إنك آمن بأمان الله على أن تكف نصرتك و أهل حواشى أرضك، و لا تؤوى لنا بغية و تتقى من ولى فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك، فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك، و لا أن يتطوف أرضك، و لا يدخل عليك إلا بإذنك، سبيلنا عليكم بالإذن آمنة، و كذلك سبيلكم، و لا تسألون لنا إلى عدو و لا تغلون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا و بينكم «۱».

فتح أذربیجان

و لما «۲» افتتح نعیم همذان ثانیة، و سار إلى الری کتب إلى عمر: أن یبعث سماک بن خرشة الأنصاری، و لیس بأبی دجانة، ممدا لبکیر بن عبد الله بأذربیجان، و کان عمر قد فرق أذربیجان بین بکیر و بین عتبة بن فرقد، و أمر کل واحد منهما بطریق غیر طریق صاحبه، فسار بکیر حین بعث إلیها حتى إذا طلع بحیال جرمیذان، طلع علیه اسفندیاذ بن الفرخزاد مهزوما من واجروذ، فکان أول قتال لقیه بکیر بأذربیجان، فاقتتلوا، فهزم الله جند اسفندیاذ و أخذه بکیر أسیرا، فقال له: الصلح أحب إلیک أم الحرب؟ فقال بکیر: بل الصلح، قال: فأمسکنی عندک، فإن أهل أذربیجان إن لم أصالح علیهم و أراضی لم یقیموا لک، و جلوا إلى الجبال التی حولها من القبج و الروم و من کان فی حصن تحصن إلى یوم ما، فأمسکه عنده، و صارت البلاد إلیه إلا ما کان من حصن، و قدم سماک على بکیر و اسفندیاذ فی إساره، و قد افتتح ما یلیه، و افتتح عتبة بن فرقد ما یلیه.

و تشوفت نفس بکیر إلى المضی قدما، فقال لسماک: إن شئت کنت معی، و إن شئت أتیت عتبة، فإنی لا أرانی إلا تارککما و طالبا وجها هو أکره من هذا. فاستأذن عمر، فکتب إلیه بالإذن على أن یتقدم نحو الباب، و أمره أن یستخلف على عمله، فاستخلف

---

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۱۵۳).

(۲) انظر الخبر فی: الطبری (۴/ ۱۵۳- ۱۵۵)، البدایة و النهایة لابن کثیر (۷/ ۱۲۲)، تاریخ ابن خلدون (۲/ ۱۱۹، ۱۲۰).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۵۸۱

عتبة على ما افتتح منه، و دفع إلیه اسفندیاذ، فأمر عتبة سماکا على ما استخلفه علیه بکیر، و جمع عمر، رحمه الله، أذربیجان کلها لعتبة بن فرقد، و کان بهرام بن الفرخزاد قد أخذ بطریق عتبة، و أقام له فی عسکره حتى لحق عتبة فاقتتلوا، فهزمهم عتبة، و هرب بهرام، فلما بلغ الخبر اسفندیاذ و هو بعد فی إسار بکیر قال: الآن تم الصلح، و طفئت الحرب، فصالح بکیر، و أجاب إلى ذلک جمیعهم، و عادت أذربیجان سلما، و کتب عتبة بینه و بین أهلها کتابا إذ جمع له عمل بکیر إلى عمله:

بسم الله الرحمن الرحیم: هذا ما أعطى عتبة بن فرقد، عامل عمر بن الخطاب أمیر المؤمنین، أهل أذربیجان، سهلها و جبلها، و حواشیها و شعاریها، و أهل ملکها کلهم من الأمان على أنفسهم و أموالهم و ملتهم و شرائعهم، على أن یؤدوا الجزیة على قدر طاقتهم، لیس ذلک على صبی و لا على امرأة و لا زمن لیس فی یده من الدنیا شیء، و لا متعبد متخل لیس فی یدیه من الدنیا شیء، لهم ذلک و لمن سکن معهم، و علیهم قرى المسلم من جنود المسلمین یوما و لیلة و دلالته، و من حشر منهم فی سنة رفع عنه جزاء تلک السنة، و من أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلک، و من خرج فله الأمان حتى یلجأ إلى حرزه.

حدیث فتح الباب «۱»

و بعث عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، سراقة بن عمرو إلى الباب بعد أن رد أبا موسى مکانه إلى البصرة، و کان سراقة یدعى ذا النور، و جعل عمر على مقدمته عبد الرحمن بن ربیعة، و کان أیضا یدعى ذا النور، و جعل على إحدى مجنبتیه حذیفة بن أسید الغفاری، و سمى للأخرى بکیر بن عبد الله اللیثی، و کان بإزاء الباب قبل قدوم سراقة علیه، و کتب إلیه: أن یلحق به، و جعل على المقاسم سلمان بن ربیعة، فقدم سراقة عبد الرحمن، و خرج فی الأثر، حتى إذا خرج من أذربیجان نحو الباب، قدم علیه بکیر فی أدنى الباب، فاستدفأ ببکیر، و دخل بلاد الباب على ما عباه عمر، رحمه الله، و کان ملک الباب یومئذ شهربراز، رجل من آل شهربراز الملک الذی أفسد بنی إسرائیل و أعرى منهم الشام.

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۵۵– ۱۶۰)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۱۴)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۲۲، ۱۲۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۲

فلما أطل عليه عبد الرحمن بن ربيعة بالباب كاتبه شهربراز و استأمنه على أن يأتيه، فأمنه عبد الرحمن على ذلك، فأتاه فقال: إنى بإزاء عدو كلب و أمم مختلفة، لا ينسبون إلى أحساب، و ليس ينبغى لذى العقل و الحسب أن يعين أمثال هؤلاء و لا يستعين بهم على ذوى الأحساب و الأصول، و ذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان، و لست من الفتح فى شىء و لا من الأرض، و إنكم قد غلبتم على بلادى و أمتى، فأنا اليوم منكم يدى مع أيديكم، و صبرى معكم، فمرحبا بكم، و بارك الله لنا و لكم، و جزيتنا إليكم، و لكم النصر و القيام بما تحبون، و لا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم.

فقال عبد الرحمن: فوقى رجل قد أظلك فسر إليه، فجوزه، فسار إلى سراقة، فلقيه بمثل ذلك، فقال له سراقة: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه، و لا بد من الجزاء على من يقيم و لا ينهض، فقبل ذلك شهربراز، و صارت سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين، و فيمن يستنفر من أهل الجزية، فتوضع عنه جزية تلك السنة التى استنفر فيها.

و كتب سراقة إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بذلك، فأجازه و حسنه، و ليس فى تلك البلاد التى فى ساحة الجبال نبك لم يقم الأرمن بها إلا على أوفاز، و إنما بها سكان ممن حولها و من الطراء استأصلت الغارات نبكها من أهل القرار، و أرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم، و جلوا عن قرار أرضهم، فكان لا يقيم بها إلا الجنود و من أعانهم أو تجر إليهم.

و اكتتبوا من سراقة بن عمرو كتابا بالأمان لشهربراز و سكان أرمينية و الأرمن، على أنفسهم و أموالهم و ملتهم، لا يضارون و لا ينتقضون، و على أهل أرمينية و الأبواب، الطراء منهم و التناء و من حولهم، فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة، و ينفروا لكل أمر رآه الوالى صلاحا، ناب أو لم ينب، على أن توضع على من أجاب إلى ذلك الجزاء، و من استغنى منهم فقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء و الدلالة و النزول يوما كاملا، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، و إن تركوا أخذوا به.

ثم إن سراقة بن عمرو وجه بعد ذلك بكير بن عبد الله و حبيب بن مسلمة، و كان عمر أمد به سراقة، و حذيفة بن أسيد و سلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بإرمينية، فوجه بكيرا إلى موقان، و حبيبا إلى تفليس، و حذيفة إلى من بجبال اللان، و سلمان إلى وجه آخر.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۳

و كتب سراقة بالفتح و بالذى وجه فيه هؤلاء إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فأتى عمر أمر لم يكن يرى أنه يستتم له على ما خرج عليه سريعا بغير مئونة، و كان فرجا عظيما به جند عظيم، إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها.

فلما استوثقوا و استحلوا عدل الإسلام مات سراقة، رحمه الله، و استخلف عبد الرحمن بن ربعة، و قد مضى أولئك القواد الذين بعثهم سراقة، فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكيرا فإنه فض موقان، ثم تراجع أهلها على الجزية، فقبل منهم و كتب لهم بها و بأمانهم عليها.

و لما بلغ عمر، رحمه الله، موت سراقة و استخلافه عبد الرحمن أقره عمر و أمره بغزو الترك، فخرج بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهربراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر، فقال شهربراز: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من وراء الباب، فقال عبد الرحمن:

لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم فى ديارهم، و بالله إن معنا لأقواما لو يأذن لنا أميرنا فى الإمعان لبلغت بهم الردم، قال: و ما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دخلوا فى هذا الأمر بنية، و كانوا أصحاب حياء و تكرم فى الجاهلية، فازداد حياؤهم و تكرمهم و لا يزال هذا الأمر دائما لهم، و النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، و حتى ينقلوا عن حالهم.

فغزا عبد الرحمن بلنجر غزاة فى زمان عمر، رضى الله عنه، لم تئم فيها امرأة و لم ييتم صبى، و بلغت خيله فى غزاته البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم، ثم غزا غزوات فى زمان عثمان، رضى الله عنه، ثم أصيب عبد الرحمن حين تبدل أهل الكوفة فى

إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتد استصلاحا لهم، فلم يصلحهم ذلك و زادهم فسادا، أن سادهم من طلب الدنيا، و عضلوا بعثمان، رضى الله عنه و رحمه، حتى جعل يتمثل:

و كنت و عمرا كالمسمن كلبهفخدشه أنيابه و أظافره و قال سلمان بن ربيعة «۱»: لما دخل عبد الرحمن بن ربيعة عليهم، يعنى على الترك، حال الله بينهم و بين الخروج عليه، و قالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا و معهم الملائكة تمنعهم من الموت، فتحصنوا منه، فرجع بالغنم و الظفر، و ذلك فى إمارة عمر، ثم لما

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۵۸، ۱۵۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۴

غزاهم غزوات فى زمان عثمان ظفر بهم كما كان يظفر، حتى إذا تبدل أهل الكوفة، و ذكر بعض ما تقدم من استعمال من ارتد، و غزاهم بعد ذلك تذمرت الترك و قالوا:

انظروا، و كانوا يقولون إنهم لا يموتون. قال: فاختفوا لهم فى الغياض، فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله، و هرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك، فاقتتلوا فاشتد قتالهم، و نادى مناد من الجو: صبرا آل عبد الرحمن موعدكم الجنة فقاتل حتى قتل عبد الرحمن و انكشف المسلمون، و أخذ سلمان بن ربيعة الراية، فقاتل بها، و نادى مناد من الجو: صبرا آل سلمان، فقال سلمان: أو ترى جزعا؟ ثم خرج بالناس و خرج سلمان الفارسى و أبو هريرة الدوسى على جيلان، فقطعوها إلى جرجان، و اجترأ الترك بعدها و لم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن، فما زالوا بعد يستسقون به.

و جعل عثمان، رحمه الله، يغزيها مع حبيب بن مسلمة.

و حدث مطر بن ثلج التيمى قال: دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب و شهربراز عنده، فأقبل رجل عليه شحوب حتى جلس إلى شهربراز، فتساءلا، ثم إن شهربراز قال لعبد الرحمن: أيها الأمير، أ تدرى من أين جاء هذا الرجل؟ إنى بعثته منذ سنتين نحو السند لينظر لى ما حاله و من دونه، و زودته مالا عظيما، و كتبت له إلى من يلينى، و أهديت له، و سألته أن يكتب إلى من وراءه، و زودته لكل ملك هدية، ففعل ذلك بكل ملك بينى و بينه، حين انتهى إليه، حتى انتهى إلى الملك الذى السد فى ظهر أرضه، فكتب له إلى عامله على ذلك البلد، فأتاه فبعث معه بازياره و معه عقابه. فذكر أنه أحسن إلى البازيار و قال: فتكشر لى البازيار.

فلما انتهينا إذا جبلان بينهما سد مسدود، حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما، و إذا دون السد خندق أشد سوادا من الليل لبعده، فنظرت إلى ذلك و تفرست فيه، ثم ذهبت لأنصرف، فقال لى البازيار: على رسلك، أكافئك، إنه لا يلى ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا، فيرمى به فى هذا اللهب، فشرح بضعة لحم معه، فألقاها فى ذلك الهوى، و انقضت عليها العقاب، و قال: إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء، و إن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء، فخرجت علينا العقبان باللحم فى مخالبها، و إذا فيها ياقوتة، فأعطانيها، و هى هذه. فتناولها منه شهربراز و هى حمراء فناولها عبد الرحمن، فنظر إليها ثم ردها إليه، فقال شهربراز: لهذه خير من هذه البلد، يعنى الباب، و ايم الله لأنتم أحب إلىّ ملكة من آل كسرى، و لو كنت فى سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها منى، و ايم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم أو وفى ملككم الأكبر.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۵

فأقبل عبد الرحمن على الرسول و قال: ما حال الردم و ما شبهه؟ فقال: هذا الثوب الذى على هذا الرجل، و أشار إلى مطر بن ثلج، و كان عليه قباء برود يمنية أرضة حمراء و وشيه أسود أو وشيه أحمر و أرضه سوداء، فقال مطر: صدق و الله الرجل، لقد نفذ و رأى، قال عبد الرحمن: أجل، و وصف صفة الحديد و الصفر و قرأ: آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ إلى آخر الآية [الكهف: ۹۶]، و قال عبد الرحمن لشهربراز: كم كانت هديتك؟

قال: قيمة مائة ألف فى بلادى هذه، و ثلاثة آلاف ألف و أكثر فى تلك البلدان.

ذكر مسير يزدجرد إلى خراسان و دخول الأحنف إليها غازيا «۱»

ذكروا أن يزدجرد لما انهزم أهل جلولاء خرج يريد الرى، و قد جعل له محمل يطيق ظهر بعيره، و كان إذا سار نام و لم يعرس بالقوم، فانتهى به إلى مخاضة و هو نائم فى محمله، فأنبهوه ليعلم، و لئلا يفزع إن هو استيقظ إذا خاض البعير به، فعنفهم على إنباهه و قال: بئس ما صنعتم، و الله لو تركتمونى لعلمت ما مدة هذه الأمة، إنى رأيت أنى و محمدا، يعنى النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، تناجينا عند الله تعالى فقال له: أملككم مائة سنة، فقال: زدنى، فقال: عشرا و مائة، فقال: زدنى، فقال: عشرين و مائة سنة، فقال: زدنى، فقال: لك. و أنبهتمونى، و لو تركتمونى لعلمت.

فلما انتهى إلى الرى، وثب عليه آبان جاذويه، و كان على الرى، حينئذ، فأخذه، فقال له يزدجرد: يا آبان جاذويه، تغدر بى! فقال: لا و لكن قد تركت ملكك و صار فى يدى غيرك، فأحببت أن أكتتب على ما كان لى من شىء، و ما أردته من غير ذلك، و أخذ خاتم يزدجرد و وصل الأدم، و اكتتب الصكاك و سجل السجلات بكل ما أعجبه، ثم ختم عليها ورد الخاتم، ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شىء فى كتابه.

و لما صنع آبان جاذويه بيزدجرد ما صنع خرج يزدجرد من الرى إلى أصبهان و كره جوار آبان و لم يأمنه، ثم عزم على كرمان، فأتاها و معه النار، فأراد أن يضعها فى كرمان، ثم عزم على خراسان، فأتى مرو فنزلها و قد نقل النار، فبنى لها بيتا و اتخذ بستانا، و بنى أزجا فرسخين من مرو إلى البستان، فاطمأن فى نفسه و أمن أن يؤتى، و كاتب من مرو من بقى من الأعاجم حيث لم يفتتحه المسلمون، فدانوا له، حتى إذا ثار

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۶۶- ۱۷۳)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۱۲۰- ۱۲۲).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۶

أهل فارس و الفيرزان فنكثوا، و ثار أهل الجبال و الفيزران فنكثوا، و صار ذلك داعية إلى إذن عمر، رضى الله عنه، فى الانسياح، فانساح أهل البصرة و أهل الكوفة حتى أثخنوا فى الأرض، فخرج الأحنف إلى خراسان، فأخذ على مهرجان نقذف، ثم خرج على أصبهان، و أهل الكوفة محاصرو جىّ، فدخل خراسان من الطبسين، فافتتح هراة عنوة، و استخلف عليها صحار بن فلان العبدى، ثم سار نحو مرو الشاهجان، و أرسل إلى نيسابور، و ليس دونها قتال، مطرف بن عبد الله بن الشخير، و إلى سرخس الحارث بن حسان.

فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مرو الروذ حتى نزولها، و نزل الأحنف مرو الشاهجان، و كتب يزدجرد إلى خاقان و ملك الصغد و صاحب الصين يستمدهم و يستعين بهم، و خرج الأحنف من مرو الشاهجان، و استخلف عليها حارثة ابن النعمان الباهلى بعد ما لحقت به أمداد الكوفة، على أربعة أمراء: علقمة بن النضر النضرى، و ربعى بن عامر التميمى، و عبد الله بن أبى عقيل الثقفى، و ابن أم غزال الهمدانىّ، و بلغ يزدجرد خروج الأحنف سائرا نحوه فخرج إلى بلخ، و نزل الأحنف مروالروذ، و قدم أهل الكوفة فساروا إلى بلخ، و اتبعهم الأحنف، و التقى أهل الكوفة و يزدجرد ببلخ، فهزمه الله بهم، و توجه فى أهل فارس إلى النهر فعبروا، و لحق الأحنف بأهل الكوفة و قد فتح الله عليهم، و تتابع أهل خراسان ممن شذ و تحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان، و عاد الأحنف إلى مروالروذ فنزلها، و استخلف على طخارستان ربعى بن عامر، و هو الذى يقول له النجاشى و نسبه إلى أمه، و كان من أشراف العرب:

ألا رب من تدعو فتى ليس بالفتىألا إن ربعى بن كأس هو الفتى

طويل قعود القوم فى قعر بيتهإذا شبعوا من ثقل جفنته سقى و كتب الأحنف بفتح خراسان إلى عمر، رحمه الله، فقال: لوددت أنى لم

أكن بعثت إليها جندا، و لوددت أنه كان بيننا و بينها بحر من نار، فقال على، رضى الله عنه: و لم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن أهلها سينقضون ثلاث مرات، فيجتاحون فى الثالثة، فكان أن يكون ذلك بأهلها أحب إلىّ من أن يكون بالمسلمين.

و كتب عمر إلى الأحنف: أما بعد، فلا تجوزن النهر و اقتصر على ما دونه، و قد عرفتم بأى شىء دخلتم خراسان، فدوموا على الذى دخلتم به يدم لكم النصر، و إياكم و إياكم أن تغيروا فتنقضوا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۷

و لما بلغ رسول يزدجرد إلى خاقان لم يستتب له إنجاده حتى عبر إليه النهر مهزوما، و قد استتب له ذلك، و الملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك، فأقبل فى الترك، و حشر أهل فرغانة و الصغد، ثم خرج بهم، و خرج يزدجرد راجعا إلى خراسان حتى عبر النهر إلى بلخ، و عبر معه خاقان، فأرز أهل فارس إلى الأحنف بمروالروذ، و جاء المشركون حتى نزلوا بها عليه، و كان حين بلغه عبورهم قاصدين له، خرج ليلا فى عسكره يتسمع فى ليلة مظلمة هل يسمع برأى ينتفع به؟ فمر برجلين ينقبان علفا، إما تبنا و إما شعيرا، و أحدهما يقول لصاحبه: لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا و بين عدونا خندقا، و الجبل فى ظهورنا لئلا يأتونا من خلفنا، و كان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله عز و جل. فرجع الأحنف و اجتزأ بها.

فلما أصبح جمع الناس و قال: إنكم قليل و إن عدوكم كثير، فلا يهولنكم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، و الله مع الصابرين، ارتحلوا من مكانكم هذا فأسندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه فى ظهوركم، و اجعلوا النهر بينكم و بين عدوكم، و قاتلوهم من وجه واحد، ففعلوا، و قد أعدوا ما يصلحهم، و الأحنف فى عشرة آلاف من أهل البصرة، و أهل الكوفة نحو منهم، و أقبلت الترك و من اجتلبت حتى نزلوا بهم، فكانوا يغادونهم و يراوحونهم، و يتنحون عنهم بالليل ما شاء الله.

و طلب الأحنف علم مكانهم بالليل حتى علم علمهم، ثم خرج ليلة طليعة لأصحابه حتى كان قريبا من عسكر خاقان فوقف، فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه و ضرب طبله، ثم وقف من العسكر موقفا مثله، فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف فقتله، و هو يرتجز:

إن على كل رئيس حقاأن يخضب الصعدة أو تندقا

إن لها شيخا بها ملقاسيف أبى حفص الذى تبقى ثم وقف موقف التركى و أخذ طوقه، ثم خرج آخر من الترك، ففعل فعل صاحبه، ثم وقف دونه، فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله و هو يرتجز:

إن الرئيس يرتبى و يطلعو يمنع الخلاء إذا ما أرتعوا ثم وقف موقف التركى الثانى، و أخذ طوقه، ثم خرج ثالث من الترك، ففعل فعل صاحبه، و وقف دون الثانى منهما، فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين، فطعنه الأحنف فقتله و هو يرتجز:

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۸ جرى الشموس ناجزا بناجزمحتفلا فى جريه مشارز ثم انصرف الأحنف إلى عسكره، و لا يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله و استعد.

و كان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء، كلهم يضرب بطبله ثم يخرجوا بعد خروج الثالث، فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث، فأتوا على فرسانهم مقتلين، فتشاءم خاقان و تطير، و قال: قد طال مقامنا، و قد أصيب هؤلاء بمكان لم يصب بمثله قط أحد منا، فما لنا فى قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا، فكان وجههم راجعين، و ارتفع النهار للمسلمين و لا يرون شيئا، فأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ، فقال المسلمون للأحنف: ما ترى فى اتباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم و دعوهم.

و كان يزدجرد لما نزل بمروالروذ خرج إلى مرو الشاهجان فتحصن منه حارثة بن النعمان و من معه، فحاصرهم و استخرج خزائنه من مواضعها، و خاقان ببلخ مقيم له، فلما جمع يزدجرد ما كان فى يديه مما وضع بمرو، فأعجل عنه و أراد أن يستقل منها، إذا أمر عظيم من خزائن أهل فارس، فقال له أهل فارس: أى شىء تريد أن تصنع؟ فقال:

أريد اللحاق بخاقان، فأكون معه أو بالصين، فقالوا له: مهلا، فإن هذا رأى سوء، إنك إنما تأتى قوما فى مملكتهم و تدع أرضك و

قومك، و لكن ارجع إلى هؤلاء القوم، يعنون المسلمين، فنصالحهم، فإنهم أوفياء و أهل دين، و هم يلون بلادنا، و إن عدوا يلينا فى بلادنا أحب إلينا ملكه من عدو يلينا فى بلاده لا دين لهم و لا ندرى ما وفاؤهم، فأبى عليهم و أبوا عليه، فقالوا: فدع خزائننا نردها إلى بلادنا و من يليها، و لا تخرجها من بلادنا إلى غيرها، فأبى، فقالوا: إنا لا ندعك.

فاعتزلوه و تركوه فى حاشيته، فاقتتلوا، فهزموه و أخذوا الخزائن و استولوا عليها، و كتبوا إلى الأحنف بالخبر، فاعترضهم المسلمون و المشركون يثفنونه، فقاتلوه، و أصابوا فى آخر القوم، و أعجلوه عن الأثقال، و مضى مزايلا حتى يقطع النهر إلى فرغانة و الترك، فلم يزل مقيما بقية زمان عمر، رضى الله عنه، يكاتبهم و يكاتبونه، أو من شاء الله منهم، إلى أن كان زمن عثمان، رضى الله عنه، فكفر أهل خراسان، فأقبل حتى نزل مرو، فكان من أمره إلى حين مقتله ما نذكره بعد فى موضعه إن شاء الله.

و أقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه، و دفعوا إليه تلك الخزائن و الأموال، و تراجعوا إلى بلدانهم و أموالهم على أفضل ما كانوا فى زمان الأكاسرة، فكانوا كأنهم فى ملكهم، إلا أن المسلمين أوفى لهم و أعدل عليهم، فاغتبطوا، و أصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۸۹

و لما سمع خاقان و هو و الترك ببلخ ما لقى يزدجرد، و أن الأحنف خرج مع المسلمين من مروالروذ نحوه، ترك بلخ و عبر النهر، و أقبل الأحنف حتى نزل بلخ، و نزل أهل الكوفة فى كورها الأربع، ثم رجع إلى مروالروذ فنزل بها، و كتب بالفتح الذى صنع الله فى خاقان و يزدجرد إلى عمر، رحمه الله، و بعث إليه بالأخماس، و وفد الوفود.

و لما عبر خاقان النهر، و عبرت معه حاشية آل كسرى، أو من أخذ نحو بلخ منهم مع يزدجرد، لقوا رسول يزدجرد الذى كان بعثه إلى ملك الصين، و أهدى إليه معه، و معه جواب كتاب يزدجرد من ملك الصين، فسألوه عما وراءه، فقال: لما قدمت عليه بالكتاب و الهدايا كافأنا بما ترون، و أراهم هديته، و أجاب يزدجرد بهذا الكتاب بعد أن كان قال لى: قد عرفت أن حقا على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لى صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإنى أراك تذكر منهم قلة و كثرة منكم، و لا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذى تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا لخير عندهم و شر فيكم، فقلت: اسألنى عما أحببت، فقال: أ يوفون بالعهد؟ قلت: نعم، قال: و ما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزية و المنعة، أو المنابذة.

قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت: أطوع قوم لمرشدهم، قال: فما يحلون و ما يحرمون؟ فأخبرته، فقال: أ يحرمون ما حلل لهم، أو يحلون ما حرم عليهم؟ قلت: لا، قال:

فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبدا حتى يحلوا حرامهم و يحرموا حلالهم، ثم قال: أخبرنى عن لباسهم، فأخبرته، و عن مطاياهم، فقلت: الخيل العراب، و وصفتها، فقال: نعمت الحصون هذه، و وصفت له الإبل، بركها و انبعاثها بحملها، فقال: هذه صفة دواب طوال الأعناق.

و كتب معه إلى يزدجرد: إنه لم يمنعنى أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو و آخره بالصين الجهالة بما يحق علىّ، و لكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها، و لو خلى سربهم أزالونى ما داموا على ما وصف، فسالمهم و أرض منهم بالسلامة، و لا تهيجهم ما لم يهيجوك.

فأقام يزدجرد و آل كسرى بفرغانة على عهد من خاقان، و لما وقع الرسول بالفتح و الوفد بالخبر و معهم الغنائم لعمر بن الخطاب، رضى الله عنه، من قبل الأحنف، جمع الناس و خطبهم، و أمر بكتاب الفتح فقرئ عليهم، و قال فى خطبته: إن الله تبارك و تعالى

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۰

ذكر رسوله و ما بعثه به من الهدى، و وعد على اتباعه من عاجل الثواب و آجله خير الدنيا و الآخرة، فقال عز و جل: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ

رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التوبة: ۳۳]، فالحمد لله الذى أنجز وعده، و نصر جنده، ألا و إن الله قد أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أبناءهم، لينظر كيف تعملون، ألا و إن المصرين اليوم من مسالحها كأنتم و المصرين فيما مضى من البعد و قد و غلوا فى البلاد، و الله بالغ أمره، و منجز وعده، و متبع آخر ذلك و أوله، فقوموا فى أمره على رجل يوف لكم بعهده و يؤتكم وعده، و لا تغيروا فيستبدل الله بكم قوما غيركم، فإنى لا أخاف على هذه الأمة أن يؤتوا إلا من قبلكم.

و سيأتى بعد إن شاء الله ما كان من انتقاض خراسان و غيرها فى خلافة عثمان، رضى الله عنه.

و نذكر الآن بقية فتوح أهل البصرة الذين عقد لهم عمر، رضى الله عنه، عند الإذن لهم فى الانسياح على ما تقدم.

فتح توج

قالوا «۱»: و خرج أهل البصرة الذين وجهوا أمراء على فارس، و معهم سارية بن زنيم و من بعث معهم إلى ما وراء ذلك، و أهل فارس مجتمعون بتوج، فلم يصمدوا بجمعهم، و لكن قصد كل أمير منهم قصد إمارته و كورته التى أمر بها، و بلغ ذلك أهل فارس، فتفرقوا إلى بلدانهم ليمنعوها كما تفرق المسلمون فى القصد إليها، فكانت تلك هزيمة أهل فارس، تشتت أمورهم و تفرقت جموعهم، فتطيروا من ذلك كأنما ينظرون إلى ما صاروا إليه، فقصد مجاشع بن مسعود فيمن معه من المسلمين لسابور و أردشير خره، فالتقوا بتوج مع أهل فارس، فاقتتلوا ما شاء الله عز و جل، ثم إن الله عز و جل سلط المسلمين على أهل توج فهزموهم و قتلوهم كل قتلة، و بلغوا منهم ما شاءوا، و غنمهم ما فى عسكرهم فحووه.

و هذه توج الآخرة، لم يكن لها بعدها شوكة، و الأولى التى تنقذ فيها جنود العلاء بن الحضرمى أيام طاوس، و الوقعتان متساجلتان.

ثم دعوا بعد هزيمتهم هذه الآخرة إلى الجزية و الذمة، فتراجعوا و أقروا و خمس مجاشع

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۷۴، ۱۷۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۱

الغنائم، و بعث بخمسها، و وفد وفدا، و قد كانت البشرى و الوفود يجازون و تقضى لهم حوائجهم، لسنة جرت بذلك من رسول الله صلى اللّه عليه و سلم.

و حدث عاصم بن كليب، عن أبيه قال: خرجنا مع مجاشع غازين توج، فحاصرناها و قاتلناهم ما شاء الله، فلما افتتحناها حوينا نهبا كثيرا، و قتلنا قتلى عظيمة، فكان علىّ قميص قد تخرق، فأخذت إبرة و سلكا، فجعلت أخيط قميصى بها، ثم إنى نظرت إلى رجل من القتلى عليه قميص فنزعته، فأتيت به الماء، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه، فلبسته، فلما جمعت الرثة، قام مجاشع خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أيها الناس لا تغلوا، فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة، ردوا و لو المخيط، فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته فى الأخماس.

و فى ذلك يقول مجاشع «۱»:

و نحن ولينا مرة بعد مرةبتوج أبناء الملوك الأكابر

لقينا جنود الماهيان بسحرةعلى ساعة تلوى بأيدى الخطائر

فما فتئت خيلى تكر عليهمو يلحق منها لاحق غير جائر

لدن غدوة حتى أتى الليل دونهمو قد عولجوا بالمرهفات البواتر

و كان كذاك الدأب فى كل كورةأجابت لإحدى المنكرات الكبائر

حديث اصطخر

قالوا «۲»: و قصد عثمان بن أبى العاص لاصطخر، فالتقى هو و أهلها بجور فاقتتلوا ما شاء الله، ثم فتح الله على المسلمين جور و اصطخر، فقتلوا ما شاء الله، و تفرق من تفرق، ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء و الذمة، فراسلوه و راسلهم، فأجابه الهربذ و كل من هرب أو تنحى، فتراجعوا و باحوا بالجزاء، و جمع عثمان حين هزمهم ما أفاء الله عليهم فخمسه و بعث بالخمس إلى عمر، رحمه الله، و قسم الباقى فى الناس، و عف الجند عن النهاب، و أدوا الأمانة، و استدقوا الدنيا، فجمعهم عثمان ثم قام فيهم، و قال: إن هذا الأمر لا يزال مقبلا و أهله معافون مما يكرهون ما لم يغلوا، فإذا غلوا رأوا ما ينكرون و لم يسد الكثير مسد القليل اليوم.

---

(۱) انظر الأبيات فى: الروض المعطار (ص ۱۴۳).

(۲) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۷۵- ۱۷۷)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۲۰، ۲۱)، تاريخ ابن خلدون (۲/ ۱۲۲، ۱۲۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۲

و عن الحسن قال: قال عثمان بن أبى العاص يوم اصطخر: إن الله عز و جل إذا أراد بقوم خيرا كفهم و وفر أمانتهم، فاحفظوها، فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، فإذا فقدتموها جدد لكم فى كل يوم فقدان شىء من أموركم.

ثم إن شهرك خلع فى آخر إمارة عمر أو أول إمارة عثمان، رحمهما الله، و نشط فارس و دعاهم إلى النقض، فوجه إليه عثمان بن أبى العاص ثانية، و بعث معه جنودا أمد بهم عليهم عبيد الله بن معمر، و شبل بن معبد، فالتقوا بفارس، فقال شهرك لابنه و هو فى المعركة، و بينهم و بين قرية لهم تدعى رىشهر ثلاثة فراسخ، و كان بينهم و بين قرارهم اثنا عشر فرسخا: يا بنى، أين ترى أن يكون غداؤنا هنا أو بريشهر؟ فقال: يا أبت، إن تركونا فلا يكون غداؤنا هنا و لا بريشهر، و لا يكون إلا فى المنزل، و لكن و الله ما أراهم يتركوننا. فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال، فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل فيه شهرك و ابنه و قتل من المشركين مقتلة عظيمة، و ولى قتل شهرك الحكم بن أبى العاص أخو عثمان بن أبى العاص.

و ذكر الطبرى عن أبى معشر: أن اصطخر الآخرة كانت سنة ثمان و عشرين، و ذلك فى وسط إمارة عثمان بن عفان، رضى الله عنه.

و ذكر أيضا بسنده إلى عبيد الله بن سليمان قال: كان عثمان بن أبى العاص أرسل إلى البحرين، فأرسل أخاه الحكم فى ألفين إلى توج، و كان كسرى قد فر عن المدائن، و لحق بجور من أرض فارس.

قال الحكم: فقصد إلى شهرك، و كان كسرى أرسله، فهبطوا من عقبة، عليهم الحديد، فخشيت أن تغشى أبصار الناس، فأمرت مناديا فنادى: أن من كانت له عمامة فليلقها على عينه، و من لم يكن له عمامة فليغمض بصره، و ناديت: أن حطوا عن دوابكم. فلما رأى شهرك ذلك حط أيضا، ثم ناديت: أن اركبوا، و صففنا لهم، و ركبوا، فجعلت الجارود العبدى على الميمنة، و أبا صفرة، يعنى أبا المهلب، على الميسرة، فحملوا على المسلمين فهزموهم حتى ما أسمع لهم صوتا، فقال لى الجارود: أيها الأمير، الجند! فقلت: إنك سترى أمرك، فما لبثنا أن رجعت خيلهم، ليس عليهم فرسانهم، و المسلمون يتبعونهم يقتلونهم، فنثرت الرءوس بين يدى، و أتيت برأس ضخم، و كان معى بعض ملوكهم فارق كسرى و لحق بى، فقال: هذا رأس الازدهاق، يعنون شهرك، فحوصروا فى مدينة سابور، فصالحهم الحكم، و كان ملكهم آذربيجان، فاستعان به الحكم على قتال أهل اصطخر.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۳

و قال يزيد بن الحكم بن أبى العاص يذكر اصطخر الآخرة:

أنا ابن عظيم القريتين كليهمانمتنى إلى العليا الفروع الفوارع

لنا مجد بطحاوى ثقيف و غالبإذا عد بطحاواهما والد سائع

لنا الحسب العود الذى لا تنالهعيون العدى و الحاسدات الدواسع

أبى سلب الجبار بيضة ملكهفخر و أطراف الرماح شوارع

بمعترك ضنك به قصد القنىو هام و أيد تختليها القواطع

بأيدى سراة كلهم باع نفسهفأوفوا بما باعوا و أوفى المبايع

هم المؤمنون الواردو الموت فى الوغىكما ترد الماء العطاش النوائع

نجاهد فى نصر لخير شريعةإذا ذكرت يوم الحساب الشرائع

سمونا لزحف المشركين بوقعةبها رد مال الجزية المتتابع

تركنا من القتلى نثارا تعودهانسور تراماها الضباع الجوامع

جثى من عظام المشركين كأنهاتلوح من الرأى البعيد صوامع

تركنا سباع الأرض و الطير منهمشباعا و ما فيها إلى الحول جائع

حديث فسا و دارابجرد «۱»

قالوا «۲»: و قصد سارية بن زنيم لفسا و دارابجرد حتى أفضى إلى عسكرهم، فنزل عليهم و حاصرهم ما شاء الله، ثم إنهم استمدوا، فتجمعوا و تجمعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم و جمع كثير، فرأى عمر، رضى الله عنه، فى تلك الليلة معركتهم و عددهم فى ساعة من النهار، فنادى من الغد، الصلاة جامعة، حتى إذا كان فى الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج إليهم، و كان أريهم و المسلمين بصحراء، و إن أقاموا فيها أحيط بهم و إن أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد، ثم قام فقال: أيها الناس، إنى رأيت هذين الجمعين، و أخبر بحالهما، ثم قال: يا سارية، الجبل الجبل، ثم أقبل عليهم، فقال: إن لله عز و جل جنودا، و لعل بعضها أن يبلغهم، و لما كان تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية و المسلمون على الإسناد إلى الجبل، ففعلوا و قاتلوا القوم من وجه واحد، فهزمهم الله لهم، و كتبوا بذلك إلى عمر، رحمه الله، و باستيلائهم على البلد و دعاء أهله و تسكينهم.

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۷۸، ۱۷۹)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۳۰- ۱۳۲)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۲۱، ۲۲).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۱۷۸، ۱۷۹).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۴

و عن رجل من بنى مازن قال: كان عمر، رحمه الله، قد بعث سارية بن زنيم الدؤلى إلى فسا و دارابجرد فحاصرهم، ثم إنهم تداعوا فأصحروا له، و كثروه و أتوه من كل جانب، فقال عمر، رضى الله عنه، و هو يخطب فى يوم جمعة: يا سارية بن زنيم، الجبل الجبل.

و فى غير هذا الحديث: ثم عاد عمر فى خطبته فعجب الناس لندائه سارية على بعده، فقضى الله سبحانه أن كان سارية و أصحابه فى ذلك الوقت موافقين للمشركين، و قد ضايقهم المشركون من كل جانب، و إلى جانب المسلمين جبل، إن لجئوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فسمعوا صوتا يقول: يا سارية بن زنيم، الجبل الجبل، كما قال عمر، رضى الله عنه، و فى ذلك الوقت بعينه، فلجئوا إلى الجبل، فنجوا و هزموا عدوهم و أصابوا مغانم كثيرة.

قال المازنى فى حديثه: إن سارية أصاب فى المغانم سفطا فيه جوهر، فاستوهبه المسلمون لعمر، فوهبوه له، فبعث به و بالفتح رجلا، و قال له: استقرض ما تبلغ به و ما تخلفه فى أهلك على جائزتك، و كان الرسل و الوفد يجازون، فقدم الرجل البصرة ففعل، ثم خرج فقدم على عمر، رحمه الله، فوجده يطعم الناس، و معه عصاه التى يزجر بها بعيره، فقصده، فأقبل عليه بها، فقال: اجلس، فجلس حتى إذا أكل انصرف عمر، و قام الرجل فاتبعه، فظن عمر أنه رجل لم يشبع، فقال حين انتهى إلى باب داره: ادخل، فلما جلس فى البيت أتى بغذائه، خبز و زيت و ملح و جريش، فوضع له، ثم قال للرجل: ادن فكل، فأكلا.

حتى إذا فرغ قال له الرجل: رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين، فقال: مرحبا و أهلا، ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته، ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن سارية، فأخبره، ثم أخبره بقصة الدرج، فنظر إليه ثم صاح به و قال: لا و لا كرامة حتى تقدم على ذلك الجيش فتقسمه بينهم، و طرده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنى قد أنضبت إبلى و استقرضت على جائزتى، فأعطنى ما أتبلغ به، فما زال عنه حتى أبدله بعيرا ببعيره من إبل الصدقة، و أخذ بعيره فأدخله فى إبل الصدقة، و رجع الرجل مغضوبا عليه محروما حتى قدم البصرة، فنفذ لما أمره به عمر، رحمه الله، و قد كان أهل المدينة سألوه عن سارية و عن الفتح، و هل سمعوا شيئا يوم الوقعة؟ فقال: نعم سمعنا: يا سارية، الجبل الجبل. و قد كدنا نهلك، فلجأنا إليه ففتح الله علينا.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۵

حديث فتح كرمان

قالوا «۱»: و قصد سهيل بن عدى إلى كرمان، و لحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان، و على مقدمته سهيل بن عدى النسير بن عمرو العجلى، و قد حشد له أهل كرمان، و استعانوا بالقفس، فاقتتلوا فى أدنى أرضهم، ففضهم الله تعالى، فأخذوا عليهم بالطريق، و قتل النسير مرزبانها، و دخل سهيل من قبل طريق القرى إلى جيرفت، و عبد الله بن عبد الله من مفازة شير، فأصابوا ما شاءوا من بعير أو شاة، فقدموا الإبل و الغنم فتحاصوها و أخروا البخت لعظم البخت على العرب، و كرهوا أن يزيدوا. و كتبوا إلى عمر، فأجابهم: إن البعير العربى إنما قوم ببعير اللحم، و ذلك مثله، فإذا رأيتم أن للبخت فضلا فزيدوا.

و ذكر المدائنى أن الذى فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فى خلافة عمر بن الخطاب، ثم أتى الطبسين من كرمان، ثم قدم على عمر، رضى الله عنه، فقال:

يا أمير المؤمنين، إنى افتتحت الطبسين فاقطعنيهما، فأراد أن يفعل، فقيل لعمر: إنهما رستاقان عظيمان، فلم يقطعه إياهما، و هما بابا خراسان.

فتح سجستان

قالوا «۲»: و قصد عاصم بن عمرو لسجستان، و لحقه عبد الله بن عمير، فالتقوا هم و أهل سجستان فى أدنى أرضهم، فهزموهم ثم اتبعوهم، حتى حصروهم بزرنج و مخر المسلمون أرض سجستان ما شاء الله، ثم إنهم طلبوا الصلح على زرنج و ما احتازوا من الأرضين، فأعطاهم ذلك المسلمون، و كان فيما اشترطوا من صلحهم أن فدافدها حمى، فكان المسلمون إذا خرجوا تناذروها خشية أن يصيبوا منها فيخفروا. فتم أهل سجستان على الخراج، فكانت سجستان أعظم من خراسان شأنا، و أبعد فروجا، يقاتلون القندهار و الترك و أمما كثيرة، و كانت فيما بين السند إلى نهر بلخ.

فلم تزل أعظم البلدين و أصعب الفرجين، و أكثرها عددا و جندا حتى كان زمن معاوية، فهرب الشاه من أخيه، رتبيل، إلى بلد فيها يدعى آمل، و دانوا لسلم بن زياد و هو يومئذ على سجستان، ففرح بذلك و عقد لهم، و أنزلهم تلك البلاد، و كتب إلى

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۱۸۰).

(۲) انظر الخبر فى: (۴/ ۱۸۰، ۱۸۱)، الروض المعطار (ص ۳۰۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۶

معاوية بذلك يرى أنه قد فتح عليه، فقال معاوية: إن ابن أخى ليفرح بأمر إنه ليحزننى و ينبغى له أن يحزنه، قالوا: و لم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن آمل بلدة بينها و بين زرنج صعوبة و تضايق، و هؤلاء قوم غدر نكر، فيضطرب الجبل غدا، فأهون ما يجىء منهم أن

يغلبوا على بلاد آمل بأسرها.

و تم لهم على عهد ابن زياد، فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه، و خلت آمل، و خافه أخوه فاعتصم منه بمكانه الذى هو به، و لم يرضه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع فى زرنج فغزاها، فحصرهم حتى أتتهم الأمداد من البصرة.

قالوا: و سار رتبيل و الذين جاءوا معه فنزلوا تلك البلاد شجا لم ينتزع إلى اليوم، و قد كانت البلاد مذللة إلى أن مات معاوية، رحمه الله.

فتح مكران

قالوا «۱»: و قصد الحكم بن عمرو التغلبى لمكران، حتى انتهى إليها، و لحق به شهاب بن مخارق بن شهاب، فانضم إليه، و أمده سهيل بن عدى، و عبد الله بن عتبان بأنفسهما، فانتهوا إلى دوين النهر، و قد انفض أهل كرمان إليه حتى نزلوا على شاطئه، فعسكروا، و عبر إليهم راسل ملكهم، ملك السند، فازدلف بهم يستقبل المسلمين، فالتقوا فاقتتلوا بمكان من مكران من النهر على أيام، فهزم الله راسلا و سلبه، و أباح المسلمين عسكره، و قتلوا فى المعركة من المشركين مقتلة عظيمة، و اتبعوهم يقتلونهم أياما، حتى انتهوا إلى النهر.

ثم رجعوا فأقاموا بمكران، و كتب الحكم إلى عمر بالفتح، و بعث بالأخماس مع صحار العبدى، و استأمره فى الفيلة، فقدم صحار على عمر، رحمه الله، فسأله عن مكران، و كان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذى يجىء منه، فقال: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، و ماؤها وشل، و تمرها دقل، و عدوها بطل، و خيرها قليل، و شرها طويل، و الكثير بها قليل، و القليل بها ضائع، و ما وراءها شر منها، فقال عمر، رحمه الله:

أسجاع أنت أم مخبر؟ فقال: بل مخبر، فقال: لا و الله، لا يغزوها لى جيش ما أطعت، و كتب إلى الحكم و إلى سهيل: أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما، و اقتصر على ما دون النهر، و أمره ببيع الفيلة بأرض الإسلام و قسم أثمانها على من أفاءها الله عليه.

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۸۱، ۱۸۲)، الروض المعطار (ص ۵۴۳، ۵۴۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۷

حديث بيروذ

قالوا «۱»: و لما فصلت الجنود إلى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الأكراد و غيرهم، و كان عمر، رحمه الله، قد عهد إلى أبى موسى حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير حتى ينتهى إلى حد ذمة البصرة، كى لا يؤتى المسلمون من خلفهم، و خشى أن يستلحم بعض جنوده أو ينقطع منهم طرف أو يخلف فى أعقابهم، فكان الذى حذر من اجتماع أهل بيروذ و قد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا، فخرج أبو موسى حتى ينزل ببيروذ على الجمع الذى تجمع بها، و ذلك فى رمضان، فنزل على جمع لهم منعة، فالتقوا بين نهرى تيرى و مناذر، و قد توافى إليها أهل النجدات من أهل فارس و الأكراد ليكيدوا المسلمين، أو ليصيبوا منهم عورة، و لم يشكوا فى واحدة من اثنتين.

فقام المهاجر بن زياد و قد تحنط و استقل فقال لأبى موسى: أقسم على كل صائم إلا رجع فأفطر، فرجع أخوه فيمن رجع لإبراء القسم، و ذلك الذى أراد المهاجر أن يرجع أخوه لئلا يمنعه من الاستقتال، و تقدم فقاتل حتى قتل، رحمه الله، و فرق الله عز و جل المشركين حتى تحصنوا فى قلة و ذلة، و أقبل الربيع بن زياد، أخو المهاجر، فاشتد حزنه عليه، و رق له أبو موسى للذى رآه دخله من مصاب أخيه، فخلفه عليهم، و خرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان، فلقى بها جنود أهل الكوفة محاصرين جىّ، ثم انصرف إلى البصرة و قد فتح الله على الربيع بن زياد أهل بيروذ من نهرتيرى، فهزمهم و جمع السبى و الأموال، فتنقى أبو موسى ستين غلاما من أبناء الدهاقين و

عزلهم، و بعث بالفتح إلى عمر، رحمه الله، و وفد وفدا، فجاءه رجل من عنزة يقال له: ضبة بن محصن، فقال: اكتبنى فى الوفد، فقال: قد كتبنا من هو أحق منك، فانطلق مغاضبا مراغما، و كتب أبو موسى إلى عمر بقصة الرجل. فلما قدم الكتاب بالفتح و الوفد على عمر قدم العنزى فأتى عمر فسلم عليه، فقال: من أنت؟ فأخبره، فقال: لا مرحبا و لا أهلا، فقال: أما المرحب فمن الله، و أما الأهل فلا أهل، فاختلف إليه ثلاثا، يقول هذا و يرد عليه هذا، حتى إذا كان اليوم الرابع فدخل عليه، فقال له: ما نقمت على أميرك؟ فقال: تنقى ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه، و له جارية تدعى عقيلة، تغذى جفنة و تعشى جفنة، و ليس منا رجل يقدر على ذلك، و له قفيزان، و له خاتان، و فوض إلى زياد، و كان زياد هو ابن أبى سفيان، يلى أمور البصرة، و أجاز الحطيئة بألف.

---

(١) انظر: الطبرى (۴/ ۱۸۳- ۱۸۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۸

فكتب عمر، رحمه الله، كل ما قال، و بعث إلى أبى موسى، فلما قدم حجبه أياما، ثم دعا به، و دعا ضبة بن محصن، و دفع إليه الكتاب، فقال: اقرأ ما كتبت، فقرأ: أخذ ستين غلاما لنفسه، فقال أبو موسى: دللت عليهم، و كان لهم فداء ففديتهم، فأخذته فقسمته بين المسلمين، فقال ضبة: و الله ما كذب و لا كذبت، و قرأ: له قفيزان، فقال أبو موسى:

قفيز لأهلى أقوتهم به، و قفيز فى أيديهم للمسلمين، يأخذون به أرزاقهم، فقال ضبة:

و الله ما كذب و لا كذبت، فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى و لم يعتذر، و علم أن ضبة قد صدقه.

قال: و زياد يلى أمور الناس و لا يعرف هذا ما يلى، قال أبو موسى: وجدت له نبلا و رأيا، فأسندت إليه عملى. قال: و أجاز الحطيئة بألف. قال: سددت فمه بمالى أن يشتمنى، فقال: قد فعلت ما فعلت، فرده عمر، رحمه الله، و قال: إذا قدمت فأرسل إلىّ زيادا و عقيلة، ففعل، فقدمت عقيلة قبل زياد، و قدم زياد فأقام بالباب، فخرج عمر و زياد بالباب قائم و عليه ثياب بيض كتان، فقال: ما هذه الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانها؟

فأخبره بشىء يسير، و صدقه، فقال له: كم عطاؤك؟ قال: ألفان، قال: ما صنعت بأول عطاء خرج لك؟ فقال: اشتريت به والدتى فأعتقتها، و اشتريت فى الثانى ربيبى عبيدا فأعتقته، فقال: وفقت، و سأله عن الفرائض و السنن و القرآن، فوجده فقيها، فرده، و أمر أمراء البصرة أن يستعينوا برأيه، و حبس عقيلة بالمدينة.

و قال عمر، رضى الله عنه: ألا- إن ضبة بن محصن غضب على أبى موسى فى الحق أن أصابه، و فارقه مراغما أن فاته أمر من أمور الدنيا، فصدق عليه و كذب، فأفسد كذبه صدقه، فإياكم و الكذب، فإن الكذب يهدى إلى النار.

و كان الحطيئة قد لقيه فى غزاة بيروذ، و كان أبو موسى ابتدأها فحاصرهم حتى فلهم ثم جازاهم و وكل بهم الربيع، ثم رجع إليهم بعد الفتح فولى القسم.

و من مدح الحطيئة فى أبى موسى:

و غارة كشعاع الشمس مشعلةتهوى بكل صبيح الوجه بسام

قب البطون من التعداء قد علمت‌أن كل عام عليها عام الجام

مستحقبات رواياها جحافلهايسمو بها أشعرى طرفه سامى

لا يزجر الطير إن مرت به سنحاو لا ياض له قسم بأزلام

جمعت من عامر فيها و من أسدو من تميم و ذبيان و من حام

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۵۹۹ و ما رضيت لهم حتى رفدتهممن وائل رهط بسطام بإصرام

فى متلف طائعا لله محتسبايرجو ثواب كريم العفو رحام

غزوة سلمة بن قيس الأشجعى الأكراد

ذكر الطبرى «۱» من طريقين، كلاهما ينمى إلى سليمان بن بريدة، و اللفظ فى الحديثين متقارب، و ربما كان فى أحدهما زيادة على الآخر، و أحدهما عن سيف بن عمر، و فيه: أن سليمان بن بريدة قال: لقيت رسول سلمة بن قيس الأشجعى، فقال:

كان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، إذا اجتمع له جيش من العرب، بعث عليهم رجلا من أهل العلم و الفقه، فاجتمع إليه جيش، فبعث سلمة بن قيس، فقال: سر باسم الله، قاتل فى سبيل الله من كفر بالله، فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال: ادعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا و اختاروا دارهم فعليهم فى أموالهم الزكاة، و ليس لهم فى فىء المسلمين نصيب، و إن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذى لكم و عليهم مثل الذى عليكم، و إن أبوا فسلوهم الخراج، فإن أعطوكموه فقاتلوا عدوكم من ورائهم، و فرغوهم لخراجهم، و لا تكلفوهم فوق طاقتهم، فإن أبوا فقاتلوهم، فإن الله ناصركم عليهم، و إن تحصنوا منكم فى حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله و رسوله فلا تعطوهم على حكم الله و رسوله، فإنكم لا تدرون ما حكم الله و رسوله فيهم، و إن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله و رسوله فلا تعطوهم ذمة الله و ذمة رسوله، و أعطوهم ذمم أنفسكم، فإن قاتلوكم فلا تغلوا و لا تغدروا و لا تمثلوا، و لا تقتلوا وليدا.

قال: فلقينا عدونا من المشركين من الأكراد، فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين من الإسلام، فأبوا، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا، فقاتلناهم، فنصرنا عليهم، فقتلنا المقاتلة و سبينا الذرية و جمعنا الرثة، فوجد فيها سلمة حقى جوهر، فجعلهما فى سقط، ثم قال:

إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا، فإن طابت أنفسكم به لأمير المؤمنين بعثت به إليه، فإن له بردا و مؤونة، فقالوا: نعم، قد طابت أنفسنا، فبعثنى سلمة، يعنى بالخبر و السفط، إلى أمير المؤمنين.

قال: فدفعت إليه ضحى و الناس يتغدون و هو متكئ على عصا كهيئة الراعى فى غنمه يطوف فى تلك القصاع يقول: يا يرفاء، زد هؤلاء لحما، زد هؤلاء خبزا، زد هؤلاء

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۱۸۶- ۱۹۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۳۲، ۱۳۳)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۲۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰۰

مرقة، فلما دفعت إليه قال: اجلس، فجلست فى أدانى الناس، فإذا طعام فيه خشونة و غلظ، طعامى الذى معى أطيب منه، فلما فرغ الناس قال: يا يرفاء، ارتفع قصاعك، ثم أدبر و اتبعته، فدخل داره ثم دخل حجرته، فاستأذنت و سلمت، فأذن لى، فإذا هو جالس على مسح متكئ على وسادتين من أدم محشوتين ليفا، فنبذ إلىّ إحداهما، فجلست عليها، فقال: يا أم كلثوم، غداءنا، فجاءوا إليه بقصعة فيها خبز و زيت فى عرضها ملح لم يدق، فقال لى: كل، فأكلت قليلا، و أكل حتى فرغ، ما رأيت رجلا أحسن أكلا منه، ما يتلبس طعامه بيده و لا فمه، ثم قال: اسقونا، فجاءوا بغس، فقال: اشرب، فشربت قليلا، شرابى الذى معى أطيب منه، فأخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته، و قال: إنك لضعيف الأكل و الشرب، ثم قال: الحمد لله الذى أطعمنا فأشبعنا، و سقانا فأروانا.

قال: قلت: قد أكل أمير المؤمنين فشبع، و شرب فروى، حاجتى يا أمير المؤمنين، قال:

و ما حاجتك؟ قلت: أنا رسول سلمة بن قيس، فقال: مرحبا بسلمة و برسوله، و كأنما خرجت من صلبه، قال: حدثنى عن المهاجرين، كيف هم؟ قلت: كما تحب من السلامة و الظفر على العدو، قال: كيف أسعارهم؟ قلت: أرخص أسعار، قال: كيف اللحم فيهم؟ فإنه شجرة العرب و لا تصلح العرب إلا بشجرتها، قلت: البقرة بكذا، و الشاة بكذا، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين، فدعوناهم إلى ما أمرتنا به من الإسلام فأبوا، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة و سبينا

الذریة، و جمعنا الرثة، و خرج له عن الحدیث کله حتى انتهى إلى السقط و أخرجه إلیه.
قال: فلما نظر إلى تلک الفصوص من بین أحمر و أصفر و أخضر، وثب و جعل یدیه فى خاصرتیه، و قال: لا أشبع الله إذا بطن عمر! و ظن النساء أنى قد اغتلته، فکشفن الستر، فقال: یا یرفاء، جأ عنقه، فوجأ عنقى و أنا أصیح، فقال: النجاء، و أظنک ستبطئ، أما و الذى لا إله غیره لئن تفرق الناس إلى مشاتیهم قبل أن یقسم هذا فیهم لأفعلن بک و بصاحبک فاقرة، قلت: یا أمیر المؤمنین، ابدع بى فاحملنى، قال: یا برفاء، اعطه راحلتین من الصدقة، فإذا لقیت أفقر إلیهما منک فادفعهما إلیه، قلت: نعم، و ارتحلت حتى أتیت سلمة، فقلت: ما بارک الله لى فیما اختصصتنى به، اقسم هذا فى الناس قبل أن أفضح و الله و تفضح. قال: فقسمه فیهم قبل التفرق إلى مشاتیهم، و الفص یباع بخمسة دراهم و ستة دراهم، و هو خیر من عشرین ألفا.
الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۶۰۱
و قد تقدم قبل فى فتح فسا و درابجرد خبر لرسول ساریة بن زنیم شبیه بهذا الخبر، فالله تعالى أعلم.
و ذکر الطبرى غزوة سلمة بن قیس هذه فى سنة ثلاث و عشرین، و هى السنة التى قتل عمر، رضى الله عنه، فى آخرها، على ما نذکره إن شاء الله تعالى.

ذکر الخبر عن إحرام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه إلى حین مقتله

لم یزل عمر، رضى الله عنه، قائما على أمر الله، مجتهدا فیه، مجاهدا لأعدائه متعرفا منه سبحانه، من المعونة و التأیید و جمیل الکفایة و العنایة و الصنع ما وطأ له البلاد و دوخ الممالک، و ألقى إلیه مقالید الأمم من الفرس و الروم و الترک و الأکراد و غیرهم من الأمم و الأجیال الذین تقدم ذکرهم، و أنجز الله فى مدة خلافته معظم ما وعد به رسوله صلى اللّه علیه و سلم من الفتوح، و جمع إلیه أکثر ما زواه له من الأرض، و تغلغلت جنوده فى الآفاق عند ما أذن لها فى الانسیاح، حتى أمرهم آخر إمارته بالإقصار، و الکف احتیاطا على المسلمین و نظرا للإسلام، و أقبل عند ما أذن لهم فى ذلک على الدعاء، و تتبع آثار العمال بالعیون و النصحاء فى السر و العلانیة، و تفقد الناس فى الشرق و الغرب، إلى أن أتته منیته المحتومة، بالشهادة المقدرة له فى مصلاه، على ما یأتى الذکر له إن شاء الله تعالى.
و قد ورد فى غیر موضع من الآثار ذکر رسول الله صلى اللّه علیه و سلم لاستشهاده مخبرا و داعیا، و هو الداعى المجاب، و الصادق المصدوق، صلوات الله و برکاته علیه.
و روى عن عوف بن مالک الأشجعى أنه رأى فى المنام على عهد أبى بکر، رحمه الله تعالى، کأن الناس جمعوا، فإذا فیهم رجل قد علاهم، فهو فوقهم بثلاثة أذرع، قال:
فقلت: من هذا؟ قالوا: عمر، قلت: و لم؟ قالوا: لأن فیه ثلاث خصال: لا یخاف فى الله لومة لائم، و إنه خلیفة مستخلف، و شهید مستشهد، قال: فأتى أبا بکر فقصها علیه، فأرسل أبو بکر إلى عمر لیبشره، قال: فجاء، فقال لى أبو بکر: اقصص رؤیاک، فلما بلغت: خلیفة مستخلف، زبرنى عمر و انتهرنى، و قال: اسکت، تقول هذا و أبو بکر حى.
قال: فلما کان بعد و ولى عمر، مررت بالشام و هو على المنبر، فدعانى فقال: اقصص
الاکتفاء، الکلاعى ،ج۲،ص:۶۰۲
رؤیاک، فقصصتها، فلما قلت: إنه لا یخاف فى الله لومة لائم، قال: إنى لأرجو أن یجعلنى الله منهم، فلما قلت: خلیفة مستخلف، قال: قد استخلفنى، فأسأله أن یعیننى على ما ولانى، فلما ذکرت: شهید مستشهد، قال: أنّى لى الشهادة و أنا بین أظهرکم تغزون و لا أغزو؟ ثم قال: بلى، یأتى الله بها أنّى شاء، یأتى الله بها أنّى شاء.
و کان عمر، رحمه الله، ملازما للحج فى سنى خلافته کلها، و کان من سیرته أن یأخذ عماله بموافاته کل سنة فى موسم الحج لیحجزهم بذلک عن الرعیة، و یحجر علیهم الظلم، و یتعرف أحوالهم فى قرب، و لیکون للرعیة وقت معلوم ینهون إلیه شکاویهم فیه.

فلما كانت السنة التى قتل منسلخها، رضى الله عنه، خرج إلى الحج على عادته، و أذن لأزواج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم فخرجن معه، فلما وقف عمر، رحمه الله، يرمى الجمرة أتاه حجر فوقع على صلعته فأدماه، و ثم رجل من بنى لهب، قبيلة من الأزد، تعرف فيها العيافة و الزجر، و إياها عنى القائل:

تيممت لهبا أبتغى العلم عندهمو قد رد علم العالمين إلى لهب فقال اللهبى عند ما أدمى عمر، رحمه الله: أشعر أمير المؤمنين لا يحج بعدها.

و يروى عن عائشة، رضى الله عنها، و حجت مع عمر تلك الحجة: أنه لما ارتحل من الحصبة أقبل رجل متلثم، قالت: فقال و أنا أسمع: أين كان منزل أمير المؤمنين؟ فقال قائل: هذا كان منزله، فأناخ فى منزل عمر، ثم رفع عقيرته يتغنى:

عليك السلام من أمير و باركت يد الله فى ذلك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحى نعامةليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدهابوائق فى أكمامها لم تفتق قالت عائشة: فقلت لبعض أهلى: اعلموا لى من هذا الرجل، فذهبوا، فلم يجدوا فى مناخه أحدا، قالت عائشة: فو الله إنى لأحسبه من الجن، فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشماخ بن ضرار أو لأخيه مزرد.

و قال سعيد بن المسيب: لما صدر عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، من منى أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة بطحاء، ثم طرح عليها رداءه و استلقى، ثم مد يديه إلى السماء، فقال: اللهم كبرت سنى، و ضعفت قوتى، و انتشرت رعيتى، فاقبضنى إليك غير مضيع و لا مفرط، ثم قدم المدينة، فخطب الناس فقال: أيها الناس، قد سنت لكم السنن، و فرضت لكم الفرائض، و تركتم على الواضحة، إلا أن تضلوا بالناس يمينا و شمالا، و ضرب بإحدى يديه على الأخرى.

الاکتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰۳

قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل، رحمه الله.

و روى عن عمر، رحمه الله، أنه لما انصرف من حجته هذه التى لم يحج بعدها و انتهى إلى ضجنان، وقف فقال: الحمد لله و لا إله إلا الله، يعطى من يشاء ما يشاء، لقد كنت بهذا الوادى أرعى إبلا للخطاب، و كان فظا غليظا يتعبنى إذا عملت، و يضربنى إذا قصرت، و قد أصبحت و أمسيت و ليس بينى و بين الله أحد أخشاه، ثم تمثل:

لا شىء مما ترى تبقى بشاشتهيبقى الإله و يودى المال و الولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنهو الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

و لا سليمان إذ تجرى الرياح لهو الإنس و الجن فيما بينها برد

أين الملوك التى كانت نوافلهامن كل أوب إليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذبلا بد من ورده يوما كما وردوا ثم إن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، بعد أن قدم المدينة من حجه خرج يوما يطوف بالسوق، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، و كان نصرانيا، فقال: يا أمير المؤمنين، أعدنى على المغيرة، فإن علىّ خراجا كثيرا، قال: و كم خراجك؟ قال: درهمان فى كل يوم، قال: و أيش صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حداد، قال: فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال، قال: و بلغنى أنك تقول: لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح لفعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لى رحا، قال: لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق و المغرب، ثم انصرف عنه، فقال عمر: لقد توعدنى العلج آنفا، ثم انصرف عمر إلى منزله.

فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد، فإنك ميت فى ثلاثة أيام، قال: و ما يدريك؟ قال: أجده فى كتاب الله، التوراة، فقال عمر: آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟ قال: اللهم لا، و لكن أجد صفتك و حليتك، بأنه قد فنى

أجلك، و عمر لا يحس وجعا و لا ألما، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب يوم و بقى يومان، ثم جاء من بعد الغد فقال: ذهب يومان و بقى يوم و ليلة، و هى لك إلى صبحها، فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، و كان يوكل بالصفوف رجالا، فإذا استوت أخبروه فكبر، و دخل أبو لؤلؤة فى الناس فى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه، فضرب به عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته، هى التى قتلته، فلما وجد عمر حر السلاح سقط، و قال: دونكم الكلب فإنه قتلنى، و ماج الناس و أسرعوا إليه، فجرح منهم ثلاثة عشر رجلا، حتى جاء رجل منهم فاحتضنه من خلفه،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰۴

و قيل: ألقى عليه برنسا، فقيل: إنه لما أخذ قتل نفسه. و قال عمر، رضى الله عنه، عند ما سقط: أ فى الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، هو ذا، قال: تقدم فصل بالناس. قال: فصلى عبد الرحمن بن عوف، و حمل عمر إلى منزله، فدعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: إنى أريد أن أعهد إليك، قال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، أ تشير علىّ بذلك؟ قال: اللهم لا، قال: و الله لا أدخل فيه أبدا، قال: فهبنى صمتا حتى أعهد إلى النفر الذين توفى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و هو عنهم راض، ادع لى عليا و عثمان و الزبير و سعدا، قال: و انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا، فإن جاء و إلا فاقضوا أمركم، أنشدك الله يا على إن وليت من أمر الناس شيئا أن تحمل بنى هاشم على رقاب الناس، و أنشدك يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بنى أبى معيط على رقاب الناس، و أنشدك يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل أقاربك على رقاب الناس، قوموا فتشاوروا، ثم اقضوا أمركم، و ليصل بالناس صهيب، و أمرهم أن يحضر معهم عبد الله بن عمر على أن لا يكون له فى الأمر شيء.

ثم دعا أبا طلحة الأنصارى، فقال: قم على بابهم لا تدع أحدا يدخل إليهم، و أوصى الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوؤا الدار و الإيمان، أن يحسن إلى محسنهم، و أن يتجاوز عن مسيئهم، و أوصى الخليفة من بعدى بالعرب، فإنها مادة الإسلام، أن تؤخذ صدقات أغنيائهم فتوضع فى فقرائهم، و أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى اللّه عليه و سلم أن يوفى لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت، تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة، يا عبد الله بن عمر، اخرج فانظر من قتلنى، فقال: يا أمير المؤمنين، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة، يحاجنى بلا إله إلا الله، يا عبد الله، إن اختلف القوم فكن مع الأكثر، و إن كانوا ثلاثة و ثلاثة فاتبع الحرب الذى فيه عبد الرحمن بن عوف، يا عبد الله، ائذن للناس، فجعل يدخل عليه المهاجرون و الأنصار فيسلمون عليه، و يقول لهم: أ عن ملأ منكم كان هذا؟

فيقولون: معاذ الله، و دخل فى الناس كعب، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

و أوعدنى كعب ثلاثا أعدهاو لا شك أن القول ما قاله كعب

و ما بى حذار الموت إنى لميتو لكن حذار الذنب يتبعه الذنب فقيل له: لو دعوت الطبيب، فدعى له طبيب من بنى الحارث بن كعب، فسقاه نبيذا فخرج مشكلا، فقال: اسقوه لبنا، فخرج اللبن أبيض، فقال له الطبيب: لا أرى أن تمسى، فما كنت فاعلا فافعل. و فى رواية أنه قيل له عند ذلك: يا أمير المؤمنين، اعهد،

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۰۵

قال: قد فرغت، و قال لعبد الله ابنه: يا عبد الله، اذهب إلى عائشة، فاسألها أن تأذن لى أن أدفع مع النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و أبى بكر. و فى رواية أنه قال له: اذهب إلى عائشة فقل لها: إن عمر يستأذن أن يدفن مع صاحبيه، و لا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم بأمير المؤمنين، فذهب إليها عبد الله فوجدها تبكى، فذكر لها ذلك، فقالت: نعم، قد كنت أردته لنفسى و لأوثرنه اليوم على نفسى، فرجع إليه عبد الله و هو متطلع إليه، فقال: ما قالت لك؟ قال: أذنت، قال: الحمد لله، ما كان علىّ أمر أهم من هذا، فإذا أنا مت فاغسلنى، ثم احملنى، و أعد عليها الاستئذان، فإذا أذنت و إلا فاصرفنى إلى مقابر المسلمين.

فلما توفى، رحمه الله و رضى عنه، خرجوا به، فصلى عليه صهيب، و دفن فى بيت عائشة، رضى الله عنه و عنها.

و یروی أنه لما احتضر قال و رأسه فی حجر ابنه عبد الله، رضی الله عنهما:

ظلوم لنفسی غیر أنی مسلمأصلی الصلاة کلها و أصوم و کان مقتله لأربع بقین من ذی الحجة من سنة ثلاث و عشرین، و قیل: لثلاث بقین منه، و قیل: إن وفاته کانت غرة المحرم من سنة أربع و عشرین.

و نزل فی قبره عثمان و علی و عبد الرحمن بن عوف و الزبیر و سعد بن أبی وقاص، و قیل: صهیب و ابنه عبد الله بن عمر عوضا من الزبیر و سعد.

و اختلف فی مبلغ سنه یوم توفی، و أشهر ما فی ذلک أنه توفی ابن ثلاث و ستین سنة، و أنه استوفی عدة خلافته سن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم التی توفی لها، و سن أبی بکر الصدیق، رضی الله عنهما.

و یروی عن عامر الشعبی أنه لما طعن عمر، رضی الله عنه، دخل علیه عبد الله بن عباس، فقال: یا أمیر المؤمنین، أبشر بالجنة، فقال: ما تقول؟ قال: اللهم نعم، أسلمت حین کفر الناس، و قاتلت مع رسول الله صلی اللّه علیه و سلم حین خذله الناس، و مات نبی الله صلی اللّه علیه و سلم و هو عنک راض، و لم یختلف فی خلافتک رجلان، ثم قتلت شهیدا، فقال عمر: و الله إن من تغرونه لمغرور، و الله لو أن لی ما طلعت علیه الشمس من صفراء و بیضاء لافتدیت به من هول المطلع.

و عن ابن عباس أیضا قال: لما وضع عمر فی أکفانه، اکتنفه الناس یصلون علیه

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۶

و یدعون، فإذا أنا برجل قد زحمنی من خلفی، فنظرت، فإذا علی بن أبی طالب، رضی الله عنه، فقام فدعا له و ترحم علیه، ثم قال: و الله ما أصبح أحد أحب إلیّ من أن ألقی الله بمثل صحیفته منک، و إنی لأرجو أن یجعلک الله مع صاحبیک؛ لأنی کثیرا ما سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول: «خرجت أنا و أبو بکر و عمر»، و دخلت أنا و أبو بکر و عمر، و فعلت أنا و أبو بکر و عمر» «۱»، فإنی أرجوا أن یجعلک الله مع صاحبیک.

و ذکر عبد الله بن مسعود یوما عمر، رضی الله عنه، فهملت عیناه و هو قائم حتی بل الحصی، ثم قال: إن عمر کان حائطا کثیفا یدخله المسلمون و لا یخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحائط فهم یخرجون و لا یدخلون، و ما من أهل بیت من المسلمین لم تدخل علیهم مصیبة من موت عمر إلا أهل بیت سوء، فإذا ذکر الصالحون فحیّ هلا بعمر.

و روی أنس، عن أبی طلحة أنه قال: و الله ما أهل بیت من المسلمین إلا و قد دخل علیهم لموت عمر، رضی الله عنه، نقص فی دینهم و فی دنیاهم.

و عن أبی وائل قال: خرج حذیفة إلی المدائن و هم یذکرون الدجال، فأخبرنا مسروق أنه سأله عن ذلک، فقال: نجب تجیء من هاهنا تنعی عمر.

و عن حذیفة أیضا قال: کان الإسلام کالرجل المقبل لا یزداد إلا قربا، فلما قتل عمر، رضی الله عنه، کان کالرجل المدبر، لا یزداد إلا بعدا.

و قالت عاتکة ابنة زید بن عمرو بن نفیل، امرأة عمر بن الخطاب، رضی الله عنه، ترثیه:

و فجعنی فیروز لا در درهبأبیض تال للکتاب منیب

رءوف علی الأدنی غلیظ علی العداأخی ثقة فی النائبات نجیب

متی ما یقل لا یکذب القول فعلهسریع إلی الخیرات غیر قطوب و مما ینسب إلی الشماخ بن ضرار، و إلی أخیه مزرد بن ضرار أنه قال فی عرم بن الخطاب، و یروی عن عائشة أن الجن بکت به علی عمر، رحمه الله، قبل أن یقتل بثلاث، و قد تقدم ذکر بعض هذا الشعر:

أبعد قتیل بالمدینة أظلمتله الأرض تهتز العضاة بأسوق

جزی الله خیرا من إمام و بارکتید الله فی ذاک الأدیم الممزق

(۱) انظر الحدیث فی: صحیح البخاری (۵/ ۱۴).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۷ و ما کنت أخشی أن تکون وفاته‌بکفی سبنتی أزرق العین مطرق و قبل هذا البیت بیتان قد تقدما قبل، فلذلک حذفناهما الآن هنا اختصارا.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۸

ذکر خلافة ذی النورین أبی عمرو عثمان بن عفان أمیر المؤمنین، رضی الله عنه و مبایعة أهل الشوری له بعد وفاة عمر، رضی الله عنه

و لما مضی عمر، رحمه الله، لسبیله، تفاوض أهل الشوری فیما بینهم ثلاثا بعد وفاته، و انصرف أمر جمیعهم إلی عبد الرحمن بن عوف، رضی الله عنه، فبائع لعثمان، رحمه الله، فبایعه بقیة أهل الشوری، و کافة الصحابة، رضی الله عن جمیعهم، و ذلک یوم السبت غرة المحرم من سنة أربع و عشرین.

و ذکر سیف «۱» بإسناد له، أنه لما بایع أهل الشوری عثمان، رحمه الله، خرج و هو أشدهم کآبة، فأتی منبر النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فخطب الناس، فحمد الله و أثنی علیه، و صلی علی نبیه صلی اللّه علیه و سلم، ثم قال: إنکم فی دار قلعة، و فی بقیة أعمار، فبادروا آجالکم بخیر ما تقدرون علیه، فلقد أتیتم صبحتم أو مسیتم، ألا و إن الدنیا طویت علی الغرور، فَلا تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیاةُ الدُّنْیا وَ لا یَغُرَّنَّکُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ [لقمان: ۳۳]، اعتبروا بمن مضی، ثم جدوا و لا تغفلوا، فإنه لا یغفل عنکم، أین أبناء الدنیا و إخوانها الذین آثروها و عمروها و متعوا بها طویلا أ لم تلفظهم؟ ارموا بالدنیا حیث رمی الله بها، و اطلبوا الآخرة، فإن الله ضرب لها مثلها، و الذی هو خیر، فقال: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَیاةِ الدُّنْیا کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِیماً تَذْرُوهُ الرِّیاحُ وَ کانَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ مُقْتَدِراً الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِینَةُ الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ الْباقِیاتُ الصَّالِحاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَواباً وَ خَیْرٌ أَمَلًا [الکهف: ۴۴، ۴۵].

و ذکر سیف «۲» أن أول کتاب کتبه عثمان، رضی الله عنه، إلی عماله:

أما بعد، فإن الله عز و جل أمر الأئمة أن یکونوا رعاة، و لم یتقدم إلیهم فی أن یکونوا جباة، و إن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، و لم یخلقوا جباة، و لیوشکن أئمتکم أن یصیروا جباة و لا یکونوا رعاة، فإذا عادوا کذلک انقطع الحیاء و الأمانة و الوفاء، ألا و إن أعدل السیرة أن تنظروا فی أمور الناس و فیما علیهم، فتعطوهم ما لهم، و تأخذوهم بما علیهم،

(۱) انظر: الطبری (۴/ ۲۴۳).

(۲) انظر: الطبری (۴/ ۲۴۴، ۲۴۵).

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۰۹

ثم تثنوا بالذمة، فتعطوهم الذی لهم، و تأخذوهم بالذی علیهم، ثم العدو الذی تنتابون، فاستفتحوا علیهم بالوفاء.

قال «۱»: و أول کتاب کتبه إلی أمراء الجنود فی الفروج:

أما بعد، فإنکم حماة المسلمین و ذادتهم، و قد وضع لکم عمر، رحمه الله، ما لم یغب عنا، بل کان عن ملأ منا، فلا یبلغنی عن أحد منکم تغییر و لا تبدیل فیغیر الله بکم و یستبدل بکم غیرکم، فانظروا کیف تکونون؟ فإنی أنظر فیما ألزمنی الله النظر فیه و القیام علیه.

و کتب، رحمه الله، إلی عمال الخراج:

أما بعد، فإن الله تعالی خلق الخلق بالحق، و لا یقبل إلا الحق، خذوا الحق و أعطوا الحق به، و الأمانة الأمانة، قوموا علیها، و لا تکونوا أول من سلبها، فتکونوا شرکاء من بعدکم إلی ما اکتسبتم، و الوفاء الوفاء، لا تظلموا الیتیم و لا المعاهد، فإن الله و رسوله خصم لمن ظلمهم.

و كان كتابه إلى العامة:

أما بعد، فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء و الإتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، و بلوغ أولادكم من السبايا، و قراءة الأعراب و الأعاجم القرآن، فإن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم قال: «الكفر فى العجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا و ابتدعوا».

و زاد عثمان، رضى الله عنه، الناس فى أعطياتهم مائة مائة، و هو أول خليفة زاد الناس فى العطاء، و كان عمر، رحمه الله، يجعل لكل نفس منفوسة من أهل الفىء فى رمضان درهما فى كل يوم، و فرض لأزواج النبىّ صلى اللّه عليه و سلم درهمين درهمين، فقيل له: لو وضعت لهم طعاما فجمعتهم عليه، فقال: أشبع الناس فى بيوتهم، فأقر عثمان الذى صنع عمر، و زاد فوضع طعام رمضان للمتعبد الذى يبيت فى المسجد و لابن السبيل و للمثوبين بالناس فى رمضان.

و كان فى مدة خلافته، رحمه الله، فتوح عظام فى البر و البحر، و هو أول من أغزى فيه، و قد تقدم ذكر كثير من ذلك كإفريقية و غزوة ذات الصوارى فى البحر على يدى

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۲۴۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۰

عبد الله بن سعد، و غزوة قبرس على يدى معاوية بن أبى سفيان، و غير ذلك مما سلف فى هذا الكتاب.

و نذكر الآن من ذلك ما تيسر ذكره إن شاء الله تعالى مما لم نذكر قبل، و أكثر من ذلك مما كان قد افتتح على عهد عمر، رحمه الله، و انتقض بعد وفاته، فوجه إليه عثمان، رحمه الله، فاسترده، حتى استوثق الأمر، و انتظمت الفتوح.

ذكر غزوة الوليد بن عقبة أذربيجان و أرمينية لمنع أهلها ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر بن الخطاب «۱»

و يقال: إنها كانت فى السنة التى بويع فيها عثمان، و قيل: فى سنة خمس و عشرين بعدها، و قيل: فى سنة ست، ذكر ذلك كله الطبرى.

و حكى «۲» أيضا عن أبى مخنف، عن قرة بن لقيط الأزدى ثم العامرى: أن مغازى أهل الكوفة كانت الرى و أذربيجان، و كان بالبحرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة، ستة آلاف بأذربيجان، و أربعة آلاف بالرى، و كان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل، و كان يغزو هذين المصرين منهم عشرة آلاف كل سنة، فكان الرجل تصيبه فى كل أربع سنين غزوة، فغزا الوليد بن عقبة فى أزمانه على الكوفة فى سلطانه عثمان أذربيجان و أرمينية، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلى، فبعثه أمامه مقدمة له، و خرج الوليد فى جماعة الناس يريد أن يمعن فى أرض أرمينية، فمضى حتى دخل أذربيجان، فبعث عبد الله بن شبل بن عوف الأحمسى فى أربعة آلاف، فأغار على أهل موقان و الببر و الطيلسان، فأصاب من أموالهم و غنم، و سبى سبيا يسيرا، و تحرز القوم منه، فأقبل بذلك إلى الوليد.

ثم إن الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم، و ذلك هو الصلح الذى كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان أيام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ثم حبسوها بعد وفاته، فلما وطئهم الوليد بالجيش، انقادوا و طلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك صلح ففعل، و قبض منهم المال، و بث الغارات فيمن حولهم من أعداء الإسلام، فبعث سلمان ابن ربيعة إلى أرمينية فى اثنى عشر ألفا، فسار فى أرضها، فقتل و سبى، و غنم و انصرف

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۲۴۶، ۲۴۷)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۴۹، ۱۵۰)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۲/ ۴۳، ۴۴).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۲۴۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۱

مملوء اليدين إلى الوليد، فانصرف الوليد و قد ظفر و أصاب حاجته. فلما دخل الموصل راجعا أتاه كتاب من عثمان، رحمه الله: أما بعد، فإن معاوية بن أبى سفيان كتب إلىّ يخبرنى أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع كثيرة عظيمة، و قد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابى هذا فابعث رجلا ممن ترضى نجدته و بأسه و شجاعته و سخاءه و إسلامه فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذى يأتيك فيه رسولى، و السلام.

فقام الوليد فى الناس، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإن الله قد أبلى المسلمين فى هذا الوجه بلاء حسنا، فرد عليهم بلادهم التى كفرت، و فتح بلادا لم تكن افتتحت، و ردهم سالمين غانمين مأجورين، و الحمد لله رب العالمين. و قد كتب إلىّ أمير المؤمنين أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى ثمانية آلاف، تمدون إخوانكم من أهل الشام، فإنهم قد جاشت عليهم الروم، و فى ذلك الأجر العظيم، و الفضل المبين، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة، فانتدب الناس، فلم يمض ثلاثة أيام حتى خرج فى ثمانية آلاف من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، فشنوا عليهم الغارات، و أصابوا ما شاءوا من سبى، و ملأوا أيديهم من المغانم، و افتتحوا بها حصونا كثيرة.

و كان على أهل الشام حبيب بن مسلمة، و سلمان على أهل الكوفة، و زعم الواقدى أن سعيد بن العاص هو الذى أمد حبيبا بسلمان، و أن سبب ذلك أن عثمان، رضى الله عنه، أمر معاوية بإغزاء حبيب فى أهل الشام و أرمينية، فوجهه إليها معاوية، فبلغ حبيبا أن الموريان الرومى قد توجه نحوه فى ثمانين ألفا من الروم و الترك، فأعلم بذلك معاوية فكتب معاوية إلى عثمان، فكتب عثمان إلى سعيد بإمداد حبيب، فأمده بسلمان فى ستة آلاف، و كان حبيب صاحب كيد، فأجمع على أن يبيت الموريان، فسمعته امرأته، أم عبد الله بنت يزيد الكلبية، يذكر ذلك، فقالت له: فأين موعدك؟ قال: سرادق الموريان أو الجنة، ثم بيتهم، فقتل من اشرأب له، و أتى السرادق فوجد امرأته قد سبقت، فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق، ثم مات عنها حبيب، فخلف عليها الضحاك ابن قيس الفهرى، فهى أم ولد.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۲

ذكر انتقاض فارس، و مسير عبد الله بن عامر إليها و فتحه إياها «۱»

و لما ولى عثمان، رحمه الله، أقر أبا موسى الأشعرى على البصرة ثلاث سنين، و عزله فى الرابعة، و أمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، و على سجستان عبيد الله بن عمير الليثى من بنى ثعلبة، فأثخن فيها إلى كابل، و أثخن عمير فى خراسان حتى بلغ فرغانة، فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها، و بعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمى، فأثخن فيها حتى بلغ النهر، و بعث على كرمان عبيد الله بن عنبس، و بعث إلى فارس و الأهواز نفرا، و أبو موسى فى كل ذلك على البصرة.

فلما كان فى السنة الثالثة كفر أهل ايذج و الأكراد، فنادى أبو موسى فى الناس، و حضهم، و ذكر من فضل الجهاد فى الرجلة، حتى حمل نفر على دوابهم، و أجمعوا على ألا يخرجوا إلا رجالة، ثم نشأ بينه و بين أهل البصرة فى هذا الاستنفار ما نفرهم عنه، و طلبوا إلى عثمان أن يديلهم عنه، فدعا عثمان عند ذلك عبد الله بن عامر، فأمره على البصرة و صرف عبيد الله بن معمر إلى فارس، و استعمل مكانه عمير بن عثمان بن سعد، و استعمل على خراسان أمين بن أحمر اليشكرى، و على سجستان عمران بن الفضل البرجمى، و على كرمان عاصم بن عمرو، فمات بها.

فجاشت فارس فانتفضت بعبيد الله بن معمر، و اجتمعوا له باصطخر، فالتقوا على بابها، فقتل عبيد الله، و بلغ الخبر عبد الله بن عامر، فاستنفر أهل البصرة إليهم، و خرج فى الناس و على مقدمته عثمان بن أبى العاص، فالتقى هو و أهل فارس باصطخر، فقتل منهم مقتلة

عظيمة لم يزالوا منها فى ذل، و كتب بذلك إلى عثمان بن عفان، فكتب إليه يأمره أن يولى على كور فارس نفرا سماهم له، و فرق خراسان بين ستة نفر، منهم الأحنف بن قيس على المروين.

ذكر مقتل يزدجرد «۱»

قال الطبرى «۲»: اختلف فى سبب قتله، كيف كان؟ فذكر عن ابن إسحاق أن يزدجرد هرب من كرمان فى جماعة ليسير إلى مرو، فسأل مرزبانها مالا فمنعه، فخافوا على أنفسهم، فأرسلوا إلى الترك يستنصرون بهم عليه، فأتوه فبيتوه، و قتلوا أصحابه، و قيل: بل أهل مرو هم الذين بيتوه لما خافوه، و لم يستجيشوا عليه الترك، فقتلوا أصحابه، و خرج هاربا على رجليه، معه منطقته و سيفه و تاجه، حتى أتى إلى منزل نقار على شط المرغاب، فلما غفل يزدجرد، و قيل: لما نام، قتله النقار و أخذ متاعه، و ألقى جسده فى المرغاب، فأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره، حتى خفى عليهم عند منزل النقار، فأخذوه لهم بقتله، و أخرج متاعه، فقتلوا النقار و أهل بيته، و أخذ متاعه و متاع يزدجرد و أخرجوه من المرغاب فجعلوه فى تابوت خشب، فزعم بعضهم أنه حمل إلى اصطخر فدفن بها فى أول سنة إحدى و ثلاثين.

و كان يزدجرد قد وطئ امرأة بمرو، فولدت منه بعد مقتله غلاما ذاهب الشق، فسمى المخدج، و عاش حتى ولد له أولاد بخراسان، فوجد قتيبة حين افتتح الصغد أو غيرها جاريتين فقيل له: إنهما من ولد المخدج، فبعث بهما أو بإحداهما إلى الحجاج بن يوسف فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت له يزيد بن الوليد بن عبد الملك الناقص.

و ذكر عن المدائنى أن يزدجرد أتى خراسان، و معه خرزادمهر أخو رستم، فقال لمرزبان مرو و اسمه ماهويه: إنى قد أسلمت إليك الملك، ثم أقام بمرو و هم بعزل ماهويه، فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بمكانه و عاهدهم على المؤازرة عليه و خلى لهم الطريق،

---

(۱) انظر الخبر فى: الطبرى (۴/ ۲۹۳- ۳۰۰)، البداية و النهاية لابن كثير (۷/ ۱۵۸، ۱۵۹)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (۳/ ۵۹- ۶۱).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۲۹۳، ۲۹۴).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۵

فأقبلوا إلى مرو و خرج إليهم يزدجرد فى أصحابه، فقاتلهم و معه ماهويه فى أساورة مرو، فأثخن فى الترك حتى خشى ماهويه أن ينهزموا، فتحول إليهم فى أساورة مرو، فانهزم جند يزدجرد و قتلوا، و عقر عند المساء فرس يزدجرد، فمضى ماشيا هاربا حتى انتهى إلى بيت فيه رحى على شط المرغاب، فمكث فيه ليلتين، فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه إلى أن دخل صاحب الرحى بيته فى اليوم الثانى، فرأى يزدجرد، فقال: ما أنت؟ إنسى أم جنى؟ قال: إنسى، فهل عندك طعام؟ قال: نعم، فأتاه به، فقال: إنى مزموم، فأتنى بما أزمزم به.

فذهب الطحان إلى بعض الأساورة، فطلب منه ما يزمزم به، قال: و ما تصنع به؟

فقال: عندى رجل لم أر مثله قط، و قد طلب هذا منى، فجاء الأسوار بالطحان إلى ماهويه، فأخبره فقال: هذا يزدجرد، اذهبوا فجيئونى برأسه، فقال له الموبذ: ليس ذلك إليك، قد علمت أن الدين و الملك مقترنان، لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر، و متى فعلت انتهكت الحرمة العظيمة، و تكلم الناس فأعظموا ذلك، فشتمهم ماهويه و قال للأساورة:

من تكلم فاقتلوه، و أمر عدة فذهبوا مع الطحان ليقتلوا يزدجرد، فانطلقوا، فلما رأوه كرهوا قتله، و تدافعوا ذلك، و قالوا للطحان: ادخل فاقتله، فدخل عليه و هو نائم و معه حجر فشدخ به رأسه، ثم اجتزه فدفعه إليهم، و ألقى جسده فى المرغاب، فخرج قوم من أهل مرو فقتلوا الطحان و هدموا أرحاءه.

و ذكر الطبرى «۱» حديثين مختلفين مطولين، و أحدهما أطول من الآخر يتضمن ضروبا من الاضطرابات تقلب فيها، و أنواعا من الدوائر دارت عليه، حتى كانت منيته آخرها، و فيه أن رجال ماهويه الذين وجههم لطلب يزدجرد و أمرهم بقتله لما انتهوا إلى الطحان،

فسألوه عنه، فأنكره، فضربوه ليدل عليه فلم يفعل، فلما أرادوا الانصراف قال أحدهم:
إنى أجد ريح المسك، و نظر إلى طرف ثوب من ديباج فى الماء، فاجتذبه، فإذا هو يزدجرد، فسأله ألا يقتله و لا يدل عليه، و جعل له سواره و خاتمه و منطقته، فأبى عليه إلا أن يعطيه دراهم و يخلى عنه، و لم يكن ذلك عند يزدجرد، فقال: قد كنت أخبر أنى سأحتاج إلى أربعة دراهم، و قال للرجل: ويحك، خاتمى لك، و ثمنه لا يحصى، فأبى و أنذر أصحابه، فأتوه، فطلب إليهم يزدجرد ألا يقتلوه، و قال: ويحكم، إنا نجد فى كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا، مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلونى و ائتوا بى إلى الدهقان، أو سرحونى إلى العرب، فإنهم يستحيون مثلى من

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۲۹۸)، الأخبار الطوال (ص ۱۳۹، ۱۴۰).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۶

الملوك، فأخذوا ما كان عليه من الحلى، فجعلوه فى جراب و ختموا عليه، ثم خنقوه بوتر، و طرحوه فى نهر مرو.
و فى آخر الحديث «۱»: أنه لما بلغ مقتله رجلا من أهل الأهواز كان مطرانا على مرو، جمع من كان قبله من النصارى، و قال لهم: إن ملك الفرس قد قتل، و هو ابن شهريار بن كسرى، و لهذا الملك عنصر فى النصرانية، و إنما شهريار ولد شيرين التى قد عرفتم حقها و إحسانها إلى أهل ملتها فى غير وجه، مع ما نال النصارى فى مملكة جده كسرى من الشرف، و قبل ذلك فى مملكة ملوك من أسلافه، حتى بنى لهم بعضهم البيع، و سدد لهم بعضهم، يعنى للنصارى، ملتهم فينبغى لنا أن نحزن لقتل هذا الملك و نظهر من كرامته بقدر ما كان من إحسان سلفه وجدته إلى النصارى، و قد رأيت أن أبنى له ناووسا، و أحمل جثته فى كرامة حتى أواريها.
فقال له النصارى: أمرنا لأمرك تبع، و نحن لك على رأيك هذا مواطئون، فأمر المطران ببناء ناووس فى جرف بستان المطارنة بمرو، و مضى بنفسه و معه نصارى مرو حتى استخرج جثة يزدجرد من النهر و كفنها و جعلها فى تابوت و حملها هو و أولئك النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذى بنى له و واروه فيه، و ردموا بابه، فكان ملك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين فى دعة و ست عشرة فى تعب من محاربة العرب إياه.
و كان آخر ملك من آل أردشير بن بابك، و صفا الملك بعده للعرب، فسبحان ذى العظمة و الملكوت، الملك الحق الدائم الذى لا يموت، لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم و إليه ترجعون.

ذكر فتح أبرشهر، و طوس، و بيورد، و نسا، و سرخس، و صلح مرو

ذكر الطبرى «۲» أن ابن عامر لما فتح فارس قام إليه أوس بن حبيب التميمى، فقال:
أصلح الله الأمير إن الأرض بين يديك، و لم تفتح من ذلك إلا القليل، فسر فإن الله ناصرك، قال: أو لم نأمرك بالمسير؟ و كره أن يظهر له أنه قبل رأيه.
و ذكر فى بعض ما ذكره عن المدائنى أن ابن عامر لما فتح فارس رجع إلى البصرة

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۳۰۰).

(۲) انظر: تاريخ الملوك و الرسل للطبرى (۳/ ۳۰۰- ۳۰۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۷

و استعمل على اصطخر شريك بن الأعور الحارثى، فدخل على ابن عامر رجل من بنى تميم يقال له: الأحنف، و قيل غيره، فقال له:
إن عدوك منك هارب، و لك هائب، و البلاد واسعة، فسر فإن الله ناصرك و معز دينه.

فتجهز ابن عامر و أمر الناس بالتجهيز للمسير، و استخلف على البصرة زيادا، و سار إلى كرمان، ثم أخذ إلى خراسان.

قال: و أشياخ كرمان يذكرون أنه نزل العسكر بالسيرجان، و سار إلى خراسان، و استعمل على كرمان مجاشع بن مسعود، و أخذ ابن عامر على مفازة رابر، و هى ثمانون فرسخا، ثم سار إلى الطبسين يريد أبرشهر، و هى مدينة نيسابور، و على مقدمته الأحنف ابن قيس، فأخذ إلى قهستان، و خرج إلى أبرشهر فلقيته الهياطلة فقاتلهم الأحنف فهزمهم، ثم أتى ابن عامر نيسابور، و افتتح ابن عامر مدينة أبرشهر، قيل: صالحا، و قيل:

عنوة، و فتح ما حولها: طوس و بيورد و نسا و حمران و سرخس.

و يقال: إنه بعث إلى سرخس عبد الله بن خازم ففتحها، و أصاب جاريتين من آل كسرى.

و يروى أن أهل أبرشهر لما فتحها ابن عامر صالحا فى قول من قال ذلك، أعطوه جاريتين من آل كسرى.

و عن أشياخ من أهل خراسان: أن ابن عامر سرح الأسود بن كلثوم، من عدى الرباب، إلى بيهق، و هى من أبرشهر، بينهما ستة عشر فرسخا، ففتحها، و قتل الأسود، و كان فاضلا فى دينه و من أصحاب عامر بن عبد قيس، و كان عامر يقول بعد ما خرج من البصرة: ما آسى من العراق على شىء إلا على ظماء الهواجر و تجاوب المؤمنين، و إخوان مثل الأسود بن كلثوم.

و يروى أن ابن عامر لما غلب على من بنيسابور أرسل إله أهل مرو يطلبون الصلح، فبعث إليهم حاتم بن النعمان، فصالح مرزبان مرو على ألفى ألف و مائتى ألف. الاكتفاء، الكلاعى ج ۲ ۶۱۷ ذكر فتح أبرشهر، و طوس، و بيورد، و نسا، و سرخس، و صلح مرو ..... ص : ۶۱۶

قال مقاتل بن حيان: على ستة آلاف ألف و مائتى ألف.

قال الطبرى «۱»: و فى سنة اثنتين و ثلاثين كانت غزوة معاوية بن أبى سفيان مضيق القسطنطينية، و معه زوجته عاتكة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف،

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۰۴، ۳۰۵).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۸

و قيل: فاختة. و استعمل سعيد بن العاص، سلمان بن ربيعة على فرج بلنجر، و أمد الجيش الذى كان به مقيما مع حذيفة بأهل الشام، عليهم حبيب بن مسلمة.

و كان عثمان، رحمه الله، قد أمر سعيدا بإغزاء سلمان، فيما ذكره سيف عن بعض رجاله، و كتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة، الذى يقال له: ذو النور، و هو على الباب: أن الرعية قد أبطر كثيرا منها البطنة، فقصر و لا تقتحم بالمسلمين، فإنى خاش أن يبتلوا، فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته، فغزا فى السنة التاسعة من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر حصرها و نصب عليها المجانيق و العرادات، فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعنتوه أو قتلوه، و أسرعوا فى الناس.

ثم إن الترك اتعدوا يوما، فخرج أهل بلنجر، و توافى إليهم الترك فاقتتلوا فأصيب عبد الرحمن، ذو النور، فانهزم المسلمون و تفرقوا.

و قد تقدم ذكر مقتله قبل، و أن المشركين احتازوه إليهم فجعلوه فى سفط، فكانوا يستسقون به بعد و يستنصرون به.

و ذكر سيف من بعض طرقه «۱»: أنه لما تتابعت الغزوات على الخزر تذامروا و تعايروا و قالوا: كنا أمة لا يقوم لها أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة فصرنا لا نقوم لها، فقال بعضهم: إنهم لا يموتون، و لو كانوا يموتون لما افتتحوا علينا. ثم كمنوا فى الغياض ليجربوا، فرموا بعض من مر بهم فى ذلك الكمين من جند المسلمين فقتلوهم، فعند ذلك تداعوا إلى الحرب و تواعدوا يوما، فاقتتلوا فقتل عبد الرحمن و تفرق الناس فرقتين، فرقة نحو الباب فحماهم سلمان الفارسى حتى أخرجهم، و فرقة نحو الخزر، فطلعوا على جيلان و جرجان، فيهم سلمان الفارسى و أبو هريرة.

و قال بعضهم: غزا أهل الكوفة ثمان سنين من إمارة عثمان، رضى الله عنه، لم تئم فيهن امرأة، و لم ييتم فيهن صبى من قتل حتى كان، يعنى فى السنة التاسعة، فكان ما ذكر من قتل عبد الرحمن بن ربيعة و من أصيب معه.

ذكر فتح مروالروذ و الطالقان و الفارياب و الجوزجان و طخارستان

ذكر الطبرى «۲» بإسناده عن ابن سيرين قال: بعث ابن عامر، الأحنف بن قيس إلى

---

(۱) انظر: الطبرى (۳/ ۳۰۵، ۳۰۶).

(۲) انظر: الطبرى (۴/ ۳۱۰- ۳۱۳).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۱۹

مروالروذ، فحصر أهلها، فخرجوا إليهم فقاتلوهم، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصونهم، فأشرفوا عليهم، فقالوا: يا معشر العرب، ما كنتم عندنا كما نرى، لو علمنا أنكم كما نرى لكاتب لنا و لكم حال غير هذه، فأمهلونا ننظر فى يومنا، و ارجعوا إلى عسكركم، فرجع الأحنف.

فلما أصبح غاداهم و قد أعدوا له، فخرج من المدينة رجل من العجم معه كتاب، فقال: إنى رسول فأمنونى، فأمنوه، فإذا هو ابن أخى مرزبان مرو و معه كتابه إلى الأحنف، و إذا فيه: إلى أمير الجيش، إنا نحمد الله الذى بيده الدول، يغير ما شاء من الملك، و يرفع من شاء بعد الذلة، و يضع من شاء بعد الرفعة، إنى دعانى إلى مصالحتك و موادعتك ما كان من إسلام جدى، و ما كان رأى من صاحبكم من الكرامة و المنزلة، فمرحبا بكم فأبشروا، و أنا أدعوكم إلى الصلح على أن أؤدى إليكم خراجنا ستين ألف درهم، و أن تقروا بيدى ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبى حيث قتل الحية التى أكلت الناس و قطعت السبيل من الأرض و القرى بما فيها من الرجال، و لا تأخذوا من أحد من أهل بيتى شيئا من الخراج، و لا تخرجوا المرزبة من أهل بيتى إلى غيرهم، فإن جعلت ذلك لى خرجت إليك، و قد بعثت إليك ابن أخى ماهك ليستوثق منك بما سألت.

فكتب إليه الأحنف:

بسم الله الرحمن الرحيم، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مروالروذ و من معه من الأساورة و الأعاجم، سلام على من اتبع الهدى و آمن و اتقى، أما بعد، فإن ابن أخيك ماهك قدم علىّ، فنصح لك جهده، و أبلغ عنك، و قد عرضت ذلك على من معى من المسلمين، و أنا و هم فيما عليك سواء، و قد أجبناك إلى ما سألت، و عرضت علىّ أن تؤدى عن كورتك و فلاحيك و الأرضين ستين ألف درهم إلىّ و إلى الوالى بعدى من أمراء المسلمين، إلا ما كان من الأرضين التى ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطعها جد أبيك، و الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، و إن عليك نصرة المسلمين و قتال عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحب المسلمون ذلك، و إن لك على ذلك نصر المسلمين على من يقاتل من ورائك من أهل ملتك، جار لك بذلك منى كتاب يكون لك بعدى، و لا خراج عليك و لا على أحد من أهل بيتك من ذوى الأرحام، و إن أنت أسلمت و اتبعت الرسول كان لك ما للمسلمين من العطاء و المنزلة و الرزق و أنت أخوهم، و لك بذلك ذمتى و ذمة أبى و ذمة المسلمين و ذمم آبائهم.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۲۰

و عن مقاتل بن حيان: أن ابن عامر صالح أهل مرو، و بعث الأحنف فى أربعة آلاف إلى طخارستان، فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مروالروذ، و جمع له أهل طخارستان، و أهل الجوزجان، و الطالقان، و الفارياب، و كانوا ثلاثة زحوف، ثلاثين ألفا، و أتى الأحنف خبرهم، فاستشار الناس فاختلفوا، فمن قائل: نرجع إلى مرو، و قائل:

نرجع إلى أبرشهر، و قائل: نقيم و نستمد، و قائل: نلقاهم فنناجزهم.

قال: فلما أمسى الأحنف خرج يمشى فى العسكر، و يسمع حديث الناس، فمر بأهل خباء و رجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن، و هم يتحدثون و يذكرون العدو، فقال بعضهم:

الرأى للأمير إذا أصبح أن يسير حتى يلقى القوم حيث لقيناهم، فإنه أرعب لهم، فنناجزهم، فقال صاحب الخزيرة أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ، أ تأمرونه أن يلقى حد العدو مصحرا فى بلاده، فيلقى جميعا كثيرا بعدد قليل، فإن جالوا جولة اصطلموا؟

و لكن الرأى له أن ينزل بين المرغاب و الجبل، فيجعل المرغاب عن يمينه و الجبل عن يساره فلا يلقاه من عدوه و إن كثروا إلا عدد أصحابه، فرجع الأحنف و قد اعتقد ما قال، فضرب عسكره، و أقام فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه، فقال: إنى أكره أن أستنصر بالمشركين، فأقيموا على ما أعطيناكم، فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم، و إن ظفروا بنا و قاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم.

قال: فوافوا المسلمين صلاة العصر، فعاجلهم المشركون، فناهضوهم و قاتلوهم فصبر الفريقان حتى أمسوا، و الأحنف يتمثل:

أحق من لم يكره المنيةحزور ليست له ذرية و فى غير حديث مقاتل أن الأحنف لقيهم فى المسلمين ليلا فقاتلوهم حتى ذهب عامة الليل، ثم هزمهم الله، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رسكن، و هى على أثنى عشر فرسخا من قصر الأحنف، و كان مرزبان مروالروذ قد تربص بحمل ما كان صالح عليه، لينظر ما يكون من أمرهم، فلما ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان، و أمرهما أن لا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا، فعلم أنهما لم يصنعا ذلك به إلا و قد ظفروا، فحمل ما كان عليه.

و بعث الأحنف إلى الجوزجان الأقرع بن حابس فى جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الزحوف التى هزمهم الأحنف، فقاتلهم الأقرع بخيله، فجال المسلمون جولة، فقتل بعض فرسانهم، ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم و قتلوهم، و أولئك القتلى من فرسان

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۲۱

المسلمين عنى أبو كثير النهشلى إذ قال:

سقى مزن السحاب إذا استهلتمصارع فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق خوطأقادهم هناك الأقرعان و هى طويلة.

ذكر جرى الصلح بين الأحنف و بين أهل بلخ «۱»

قال المدائنى بإسناده عن إياس بن المهلب: سار الأحنف من مروالروز إلى بلخ، فحاصرهم، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف، فرضى بذلك منهم، و استعمل ابن عمه أسيد بن المتشمس على أخذها منهم، و مضى إلى خوارزم، فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فقال لأصحابه: ما ترون؟ فقال له حصين: قد قال عمرو بن معدى كرب:

إذا لم تستطع شيئا فدعهو جاوزه إلى ما تستطيع فأمر الأحنف بالرحيل، ثم انصرف إلى بلخ، و قد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه، و وافق مهرجانهم و هو يجبيهم، فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب و الفضة و دنانير و دراهم و متاع و دواب، فقال أسيد: هذا لم نصالحكم عليه، قالوا: لا، و لكن هذا شىء نصنعه فى هذا اليوم لمن ولينا، نستعطفه به، قال: ما أدرى ما هذا؟ و إنى لأكره أن أرده، و لعله من حقى، و لكنى أقبضه و أعزله حتى أنظر، و قدم الأحنف، فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا مثل ما قالوا له، فقال الأحنف: آتى به الأمير، فحمله إلى ابن عامر و أخبره عنه، فقال:

اقبضه يا أبجر، فهو لك، قال: لا حاجة لى فيه، فقال ابن عامر: ضمه إليك يا مسمار، قال: فضمه القرشى، و كان مضما.

و ذكر المدائنى بإسناد آخر: أن ابن عامر حين صالح أهل مرو، و صالح الأحنف أهل بلخ بعث خليد بن عبد الله الحنفى إلى هراة و إلى باذغيس، فافتتحهما، ثم كفر العدو بعد ذلك فكان مع قارن.

و قال: و لما رجع الأحنف قال الناس لابن عامر: ما فتح على أحد ما فتح عليك، فارس، و كرمان، و سجستان، و عامة خراسان، فقال: لا جرم، لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أخرج معتمرا من موقفى، فأحرم بعمرة من نيسابور، فلما قدم على عثمان، رضى الله عنه، لامه

على إحرامه من خراسان، و قال له: ليتك تضبط الميقات الذى يحرم

---

(۱) انظر: الطبرى (۴/ ۳۱۳، ۳۱۶).

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۲۲

منه الناس. قال: استخلف ابن عامر على خراسان حين خرج منها سنة اثنتين و ثلاثين قيس بن الهيثم، فجمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطبسين و أهل باذغيس و هراة و قهستان، فأقبل فى أربعين ألفا، فقال قيس لعبد الله بن حازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلى البلاد فإنى أميرها، و معى عهد من ابن عامر، إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها، و أخرج كتابا قد افتعله، فكره قيس مشاغبته، فخلاه و البلاد، و أقبل إلى ابن عامر، فلامه ابن عامر، و قال: تركت البلاد حربا و أقبلت؟ قال: جاءنى بعهد منك.

قال: و سار ابن خازم إلى قارن فى أربعة آلاف، و أمر الناس فحملوا الودك، فلما قرب من عسكره أمر الناس أن يدرج كل واحد منهم على زج رمحه ما كان من خرقة أو قطن أو صوف، ثم يوسعوه و دكا من سمن أو زيت أو دهن أو إهالة. و قدم مقدمته ستمائة، ثم أتبعهم، و أمر الناس فأشعلوا النيران فى أطراف الرماح، و جعل بعضهم يقتبس من بعض، و انتهت مقدمته إلى عسكر قارن نصف الليل، و لهم حرس، فناوشوهم، و هاج المشركون على دهش، و كانوا آمنين على أنفسهم من البيات، و دنا ابن خازم منهم، فرأوا النيران يمنة و يسرة، و تتقدم و تتأخر، و تنخفض و ترتفع، و لا يرون أحدا فهالهم ذلك، ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين، و مقدمته تقاتلهم، فقتل قارن و انهزم العدو، فاتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا، و أصابوا سبيا كثيرا، و أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه، و كتب بالفتح إلى ابن عامر، فرضى و أقره على خراسان، فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل.

و قد روى أنه لما جمع قارن هذا الجمع للمسلمين، ضاق المسلمون بأمرهم، و استشار قيس، عبد الله بن خازم فى ذلك، فقال له: إنك لا تطيق كثرة من أتانا، فاخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة من جمعوا لنا، و نقيم نحن فى هذه الحصون نطاولهم حتى تقدم و يأتينا مددكم، فخرج قيس، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهدا، و قال: قد ولانى ابن عامر على خراسان، فسار إلى قارن و ظفر به، و كتب بالفتح إلى ابن عامر، فأقره على خراسان، فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان، فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة، فكانوا كذلك حتى كانت الفتنة، فالله أعلم أى ذلك كان.

فتح عمورية و انتقاضها

و عن سعيد بن عبد العزيز: أن عثمان رضى الله عنه ائتمّ بأبى بكر و عمر رضى الله

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۲۳

عنهما فى أثرة المجاهدين و تقويتهم بالأموال، و لقد زاد عثمان أهل العطاء مائة مائة، و تابع إغزاءهم أرض الروم، حتى ذلت عمورية و ما دونها من مدائن ضاحية الروم على أداء الجزية، و على إنزال جماعة من المسلمين مدينة عمورية يقاتلون من خلفها، فلم يزل المسلمون بها حتى بلغ أهل عمورية قتل عثمان رضى الله عنه قبل أن يبلغ ذلك من كان بها من المسلمين، فقتلوهم على فرشهم، و انتقض ذلك الصلح.

و تمت الفتوح بعثمان رضى الله عنه و رحمه فلم تفتح بعده بلدة إلا صالحا، كان كفر أهلها، أو أرض مما افتتح، عيال على ما افتتح عمر، لا يقوى عليها الجنود إلا بالفىء الذى أفاء الله عز و جل على عمر رضى الله عنه.

مقتل عثمان رضى الله عنه

و قتل عثمان رضى الله عنه بالمدينة فى الثامن عشر لذى الحجة سنة خمس و ثلاثين، و قيل فى وسط أيام التشريق، و قيل يوم التروية،

و قیل غیر ذلک، و لا خلاف بینهم فی أنه قتل فی ذی الحجة، و إنما الخلاف فی أی یوم منه قتل، و کانت خلافته إحدی عشرة سنة و أحد عشر شهرا و أیاما، و سنه یوم قتل مختلف فیها أیضا علی ما قیل فی ذلک أنه کان ابن تسعین سنة، و قیل: ابن ثمان و ثمانین سنة، و قیل: ابن ست و ثمانین سنة، و قیل: ابن اثنتین و ثمانین، و قیل، ابن ثمانین.

و قتل رحمه الله و رضی عنه ظلما و تعدیا، بمقدمات فتن نشأت علی عهده، و قد کان رسول الله صلی اللّه علیه و سلم أنذر بها، و أخبر ان الحق مع عثمان رحمه الله و رضی عنه فیها.

و روی مرة البهزی أن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم قال: «إنها ستکون فتن کأنها صیاصی بقمر»، فمر علینا رجل متقنع فقال: هذا و أصحابه علی الحق، فذهبت فنظرت إلیه، فإذا هو عثمان بن عفان رضی الله عنه.

و حدیث عائشة رضی الله عنها أنها سمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول له: «إن الله ملبسک قمیصا تریدک أمتی علی خلعه فلا تخلعه»، قال: فلم أدر ما هو حتی رأیت عثمان قد أعطی کل شیء سأله إلا الخلع، فعلمت أنه علی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم الذی سمع منه.

و فی حدیث آخر عنها: أنها رأت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یسار عثمان، و لون عثمان یتغیر،

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۲۴

فلما حصر قیل له، أ لا تقاتل؟ قال: لا إن رسول الله صلی اللّه علیه و سلم عهد إلی عهدا فأنا صابر نفسی علیه.

و ضایق الناس عثمان رضی الله عنه و انبسطوا علیه، و آذوه، و هو صابر علی عهد رسول الله صلی اللّه علیه و سلم راض بقضاء الله فیه، آمر بکف الأسلحة و الأیدی، کل من انبعث لنصره، واق للمؤمنین بنفسه.

حدث عبد الله بن ربیعة أنهم کانوا معه فی الدار، فلما سمع أنهم یریدون قتله قال:

ما أعلم أنه یحل دم المؤمن إلا الکفر بعد الإیمان، و الزنا بعد الإحصان، أو قتل نفس بغیر حق، و أیم الله، ما زنیت فی جاهلیة و لا إسلام، و ما ازددت للإسلام إلا حبا، و لا قتلت نفسا بغیر حق، فعلام تقتلوننی؟ ثم عزم علینا أن نکف أیدینا و أسلحتنا، و قال: إن أعظمکم غناء أکفکم لیده و سلاحه.

و قال أبو هریرة لأهل الدار و هو معهم فیها: أشهد لسمعت رسول الله صلی اللّه علیه و سلم یقول:

«تکون بعدی فتن و أمور»، قلنا: فأین الملتجأ منها یا رسول الله؟ قال: «إلی الأمین و حزبه»، و أشار إلی عثمان. فقام الناس فقالوا: قد أمکنتنا البصائر، فإذن لنا فی الجهاد، فقال عثمان: أعزم علی من کانت لی علیه طاعة أن لا یقاتل.

و مما ینسب إلی کعب بن مالک یذکر هذه الحال من عثمان بعد قتله رضی الله عنه و قال مصعب: هی لحسان، و قال ابن أبی شبة: هی للولید بن عقبة:

فکف یدیه ثم أغلق بابهو أیقن أن الله لیس بغافل

و قال لأهل الدار لا تقتلوهمعفا الله عن ذنب امرئ لم یقاتل

فکیف رأیت الله ألقی علیهم العداوة و البغضاء بعد التواصل

و کیف رأیت الخیر أدبر بعدهعن الناس إدبار السحاب الحوامل و قال ابن عمر لبعض من وقع عنده فی عثمان: أما و الله ما تعلم عثمان قتل نفسا بغیر حق، و لا جاء من الکبائر شیئا، و لکن هو هذا المال إن أعطاکموه رضیتم، و إن أعطاه ذوی قرابته سخطتم، إنما تریدون أن تکونوا کفارس و الروم، و لا یترکون أمیرا إلا قتلوه، و فاضت عیناه من الدمع، و قال: اللهم إنا لا نرید ذلک.

و حسب عثمان، رضی الله عنه، من الفضل العظیم، و الحظ الجسیم، إلی ما له فی الإسلام من الآثار الکرام و النفقات التی بیضت وجه النبیّ علیه السلام قوله صلوات الله علیه: أنت ولیی فی الدنیا و الآخرة.

الاکتفاء، الکلاعی ،ج۲،ص:۶۲۵

و يروى أنه لما قتل سقطت من دمه قطرات على المصحف فصادفت قول الله تعالى:

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ [البقرة: ۱۳۷]، و يقال: إن الذى تولى قتله من الذين دخلوا عليه رجل من أهل مصر يقال له جبلة بن الأيهم، و كذلك كان جمهور الداخلين عليه من أهل مصر. فيروى عن يزيد بن أبى حبيب، و هو من جملة المصريين أنه قال: بلغنى أن عامة النفر الذين ساروا إلى عثمان بن عفان جنوا.

و عن أبى قلابة قال: كنت فى فندق بالشام، فسمعت مناديا ينادى: يا ويلة، النار النار، فقمت فإذا أنا برجل مقطوع اليدين من المنكبين، مقطوع الرجلين من الحقوين، أعمى، منكب لوجهه ينادى: يا ويلة، النار النار، فقلت: ما لك؟ قال: كنت فيمن دخل على عثمان يوم الدار، و كنت فى سرعان الناس، أو من أول الناس وصل إليه، فلما دنوت منه صاحت امرأته فلطمتها، فنظر إلى عثمان فتغرغرت عيناه بالدموع، و قال: ما لك سلب الله يدك و رجليك و أعمى بصرك و أدخلك جهنم، قال: فأخذتنى رعدة شديدة، و لا و الله ما أحدثت شيئا غير هذا.

فخرجت و ركبت راحلتى، حتى إذا صرت بموضعى هذا ليلا أتانى آت، و إله ما أدرى إنسى هو أم جنى، ففعل بى الذى ترى، و قد استجاب الله دعوته فى يدى و رجلى و بصرى، فو الله إن بقى إلا النار. قال أبو قلابة: فهممت أن أطأ برجلى، ثم قلت: بعدا و سحقا.

و كان مع عثمان رحمه الله و رضى عنه فى الدار جماعة من الصحابة و أناء الصحابة، يدرءون عنه، و قاتلوا عنه يوم الدار حتى أخرج منهم يومئذ أربعة من شباب قريش محمولين مضرجين بالدم، و هم الحسن بن على، و عبد الله بن الزبير، و محمد بن حاطب، و مروان بن الحكم، و لما أخبر على بقتله قال للذين أخبروه: تبا لكم آخر الدهر، و سمع يومئذ ضجة، فسأل عنها، فقيل: عائشة تلعن قتلة عثمان، و الناس يؤمنون، فقال على:

اللهم العن قتلة عثمان، اللهم العن قتلة عثمان.

و قال سعيد بن زيد: لو أن أحدا انقض لما فعل بعثمان لكان حقيقا أن ينقض.

و قال ابن العباس: لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمى قوم لوط.

و قال عبد الله بن سلام: لقد فتح الناس على أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا ينغلق عنهم إلى يوم القيامة.

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۲۶

و فى ذلك يقول بعضهم:

لعمر أبيك و لا تكذبينلقد ذهب الخير إلا قليلا

لقد سفه الناس فى دينهمو خلى ابن عفان شرا طويلا و ذكرت عائشة رضى الله عنها قتله و قتلته فقالت: اقتحم عليه النفر الثلاثة حرمة البلد الحرام و الشهر الحرام و حرمة الخلافة، و لقد قتلوه و إنه لمن أوصلهم للرحم و أتقاهم لربه.

و قال أيمن بن خريم:

ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ضحىفأى ذبح حرام ويلهم ذبحوا

و أى سنة كفر من أولهمو باب شر على سلطانهم فتحوا

ما ذا أرادوا أضل الله سعيهمبسفك ذاك الدام الذاكى الذى سفحوا و قال على بن حاتم: سمعت يوم قتل عثمان صوتا يقول:

أبشر يا ابن عفان بروح و ريحانأبشر يا ابن عفان برب غير غضبان

أبشر يا ابن عفان بغفران و رضوان

قال: فالتفت فلم أر أحدا.

و الأخبار و الأشعار فى هذه المعنى كثيرة، أعجلتنا عن الإكثار منها محاولة الخاتمة، فنسأل الله أن يجعلها جميلة، و يتقبلها قربة إليه و إلى رسوله و وسيلة.

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۶۲۷

الخاتمة

و قد انتهى و الحمد لله ما عملنا عليه فى هذا الكتاب، من قصد الاستيفاء لمغازى رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و مغازى الثلاثة الخلفاء، و لم يقع فى خلافة رابعهم فى تقلدها المحتوم بأيام محتوم أمدها، أبى الحسن على بن أبى طالب، رضى الله عنه و عنهم، من أمثال هذه الفتوح ما نثبته معها، و نجرى فى إيراده على الطريقة التى سلكنا مهيعها، لاستقباله بخلافته، رضى الله عنه، من مكابدة الفتن المارجة، و محاربة الفئة الباغية، و الفرقة الخارجة، ما أشتهر عند أهل الإسلام، و أغنى العلم به عن الإعلام، و لو كان لاغتنمنا به زيادة الإمتاع، و إفادة القلوب و الأسماع، لأن هؤلاء الخلفاء الأربعة، رضى الله عنهم، هم بعد نبيهم، صلوات الله عليه، خير الأمة، و الراشدون من الأئمة، و أولى من صرف إلى تقييد أخبارهم و تخليد آثارهم عنان الهمة، و أحق من اعتلق من حبهم، و الإيواء إلى شعبهم، و الثناء عليهم، و الانضواء إلى حزبهم بأوثق أسباب العصمة و أمتن ذرائع الحرمة و الرحمة، و كل صحابة المصطفى أهل منا لذلك، و الموفق من سلكك فى حبهم هذه المسالك.

و ما فضل أصحاب النبىّ و قومهلمن رام إحصاء له بمحسب

و لكنه أجر و زخر أعدهو أجعله أمنى و حصنى و مهربى

سأقطع عمرى بالصلاة عليهمو أدأب فى حبى لهم كل مدأب

إليك رسول الله منها وسيلةتناجيك عن قلب بحبك مشرب

يزورك عن شحط الديار مسلماو يلقاك بالإخلاص لم يتنكب تم كتاب الاكتفاء من مغازى سيدنا رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و مغازى الثلاثة الخلفاء، رضى الله عنهم، و حشرنا معهم، و ربنا المحمود لا إله غيره، و لا مرجو إلا بركته و خيره. برسم الفقير إلى الله تعالى جمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن السابق الحنفى الحموى، لطف الله تعالى به، على يد الفقير لعفو ربه القدير محمد بن خليل بن إبراهيم الحنفى، عامله الله بلطفه الخفى، و فرغ من كتابته فى اليوم المبارك نهار الأربعاء السادس من صفر سنة ستين و ثمانمائة، أحسن الله عقبتها، آمين، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

الاكتفاء، الكلاعی ،ج۲،ص:۶۲۹

فهرس محتويات الجزء الثانى

ذكر بعث رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى الملوك، و كتابه إليهم يدعوهم إلى الله و إلى الإسلام ۳ ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى قيصر، و ما كان من خبر دحية معه ۴ ذكر توجه عبد الله بن حذافة إلى كسرى بكتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم و ما كان من خبره معه ۱۰ ذكر إسلام النجاشى، و كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إليه مع عمرو بن أمية الضمرى ۱۲ كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المقوقس صاحب الإسكندرية مع حاطب بن أبى بلتعة ۱۳ ذكر كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى المنذر بن ساوى العبدى مع العلاء بن الحضرمى بعد انصرافه من الحديبية ۱۵ ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى جيفر و عبد ابنى الجلندى الأزديين، ملكى عمان، مع عمرو بن العاص ۱۷ كتاب رسول الله صلى اللّه عليه و سلم إلى هوذة بن على مع سليط بن عمرو العامرى، و ما كان من خبره معه ۱۹ ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى مع شجاع بن وهب ۲۲ ذكر كتاب النبىّ صلى اللّه عليه و سلم إلى فروة بن عمرو الجذامىّ ثم النفاتى، و ما كان من تبرعه بالإسلام هداية من الله عز و جل له ۲۶

ذكر حجة الوداع و تسمى أيضا حجة التمام، و حجة البلاغ ۳۰ ذكر مصيبة الأولين و الآخرين من المسلمين بوفاة رسول الله صلى اللّه

عليه و سلم و على آله أجمعين ۳۶ بيعة أبى بكر رضى الله عنه و ما كان من تحيز الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة و منتهى أمر المهاجرين معهم ۵۰ ذكر غسل رسول الله صلى اللّه عليه و سلم و دفنه، و ما يتصل بذلك من أمره صلوات الله عليه و سلامه و رحمته و بركاته ۵۸ ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه و ما حفظ عن رسول الله صلى اللّه عليه و سلم من الإيماء إليها و الإشارات الدالة عليها مع ما كان من تقدمه صلى اللّه عليه و سلم إلى الإنذار بالفتن الكائنة بعده و ما صدر عنه من الأقاويل المنذرة بالردة ۸۵ ذكر بدء الردة بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و ما كان من تأييد الله لخليفة رسوله عليه السلام فيها ۸۸ وصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه، خالد بن الوليد حين بعثه فى هذا الوجه ۹۷ ذكر مسير خالد بن الوليد رضى الله عنه، إلى بزاخة و غيرها ۱۰۱ ذكر رجوع بنى عامر و غيرهم إلى الإسلام ۱۰۵

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص: ۶۳۰

قصة مسيلمة الكذاب و ردة أهل اليمامة ۱۱۲

ذكر تقديم خالد بن الوليد الطلائع أمامه من البطاح ۱۱۹

ذكر ردة بنى سليم ۱۴۴

ردة البحرين ۱۴۸

ذكر ردة أهل دبا و أزد عمان ۱۵۴

ذكر ردة صنعاء ۱۵۶

ذكر ردة كندة و حضرموت ۱۵۹

ذكر بدء الغزو إلى الشام و ما وقع فى نفس أبى بكر الصديق رضى الله عنه، من ذلك و ما قوى عزمه عليه ۱۶۶

وقعة أجنادين ۲۰۱

وقعة مرج الصفر ۲۰۶

ذكر الخبر عن وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه، و ما كان من عهده إلى عمر بن الخطاب، جزاهما الله عن دينه الحق أفضل الجزاء ۲۰۸

استخلاف عمر بن الخطاب ۲۱۲

ذكر الخبر عما صار إليه أمر دمشق من الفتح و الصلح بعد طول الحصار فى خلافة عمر بن الخطاب، على نحو ما ذكره من ذلك أصحاب فتوح الشام ۲۱۸

ذكر بيسان ۲۲۳

ذكر طبرية ۲۲۳

حديث مرج الروم من رواية سيف أيضا ۲۲۴

وقعة فحل حسبما فى كتب فتوح الشام ۲۲۶

فتح حمص فيما حكاه أصحاب فتوح الشام ۲۴۳

حديث حمص آخر ۲۴۸

فتح قنسرين ۲۵۰

جمع الروم للمسلمين ۲۵۱

وقعة اليرموك على نحو ما حكاه أصحاب كتب فتوح الشام ۲۵۹

قصة صلح إيلياء و قدوم عمر رضى الله عنه الشام ۳۰۱

ذكر ما وعدنا به قبل من سياقة فتح قيسارية حيث ذكرها أصحاب فتوح الشام خلافا لما أوردناه قبل ذلك عن سيف بن عمر، مما لا يوافق هذا مساقا و لا زمانا، حسب ما يوقف عليه فى الموضعين إن شاء الله تعالى ۳۱۸

ذكر فتح مصر ۳۲۲

ذكر فتح أنطابلس ۳۵۴

فتح أطرابلس ۳۵۵

ذكر انتقاض الإسكندرية فى خلافة عثمان رضى الله عنه ۳۵۶

ذكر غزو إفريقية و فتحها ۳۵۸

ذكر صلح النوبة ۳۶۲

ذكر البحر و الغزو فيه ۳۶۳

غزو معاوية بن أبى سفيان قبرس ۳۶۴

غزوة ذات الصوارى ۳۶۶

ذكر فتح العراق و ما والاه على ما ذكره سيف بن عمر و أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى عنه و عن غيره ۳۶۸

أخبار الأيام فى زمان خالد بن الوليد رضى الله عنه ۳۷۲

حديث الثّنى و المذار ۳۷۶

حديث الولجة و هى مما يلى كسكر من

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۳۱

البر ۳۷۸

حديث ألّيس، و هى على صلب الفرات ۳۷۹

حديث أمغيشيا و كيف أفاءها الله بغير قتال ۳۸۲

حديث يوم المقر و فم فرات بادقلى مع ما يتصل به من حديث الحيرة ۳۸۲

حديث الأنبار و هى ذات العيون ۳۹۰

حديث عين التمر ۳۹۱

حديث دومة الجندل و ما بعدها من الأيام بحصيد و الخنافس و مصيخ و البشر و الفراض ۳۹۲

حديث المثنى بعد خالد ۳۹۸

ذكر ما كان من خبر العراق فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ما كان من أمر المثنى بن حارثة معه، و ذكر أبى عبيد بن مسعود، على ما فى ذلك كله من الاختلاف بين رواة الآثار ۴۰۰

حديث وقعة الجسر ۴۰۷

حديث البويب و وقعة مهران ۴۱۵

حديث غارة المثنى على سوقى الخنافس و بغداد ۴۲۶

حديث السرايا من الأنبار ۴۲۸

ذكر ما هيج حرب القادسية على ما ذكره سيف عن أشياخه ۴۲۹

تأمير عمر، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص على العراق و ذكر الخبر عن حرب القادسية ۴۳۱

يوم أرماث ۴۶۵

ذكر اليوم الثانى من أيام القادسية، و هو يوم أغواث ۴۷۸

حديث يوم عماس، و هو اليوم الثالث من أيام القادسية ۴۸۴

خبر اليوم الرابع من أيام القادسية ۴۸۸

ذكر فتح المدائن و ما نشأ بينه و بين القادسية من الأمور ۵۰۴

حديث وقعة جلولاء ۵۲۵

حديث يوم تكريت ۵۳۱

ذكر يوم ماسبذان و يوم قرقيسيا ۵۳۳

ذكر الحديث عن تمصير الكوفة و البصرة و تحول سعد بن أبى وقاص عن المدائن إلى الكوفة و ما يندرج مع ذكر البصرة من فتح الأبلة ۵۳۴

ذكر الجزيرة، و ذكر السبب الذى دعا عمر إلى الأمر بقصدها ۵۴۱

ذكر فتح سوق الأهواز و مناذر و نهرتير ۵۴۴

حديث فتح الأهواز و مدينة سرق ۵۴۶

ذكر غزو المسلمين أرض فارس ۵۴۷

ذكر فتح رامهرمز و السوس و تستر و أسر الهرمزان ۵۴۹

ذكر فتح السوس ۵۵۳

فتح جندى‌سابور ۵۵۵

حديث وقعة نهاوند ۵۵۶

ذكر الانسياح فى بلاد فارس، و عمل المسلمين به بإذن عمر رضى الله عنه، فيه بعد منعه إياهم، و ما تبع ذلك من الفتوح فى بقية خلافته و قتال الترك و الديلم و غيرهم ۵۷۲

ذكر الخبر عن أصبهان ۵۷۴

الاكتفاء، الكلاعى ،ج۲،ص:۶۳۲

ذكر فتح همذان ثانية و قتال الديلم ۵۷۶

فتح الرى ۵۷۸

ذكر فتح قومس و جرجان ۵۷۹

ذكر فتح طبرستان ۵۸۰

فتح أذربيجان ۵۸۰

حديث فتح الباب ۵۸۱

ذكر مسير يزدجرد إلى خراسان و دخول الأحنف إليها غازيا ۵۸۵

فتح توج ۵۹۰

حديث اصطخر ۵۹۱

حديث فسا و دارابجرد ۵۹۳

حديث فتح كرمان ۵۹۵

فتح سجستان ۵۹۵

فتح مكران ۵۹۶

حديث بيروذ ۵۹۷

غزوة سلمة بين قيس الأشجعى الأكراد ۵۹۹

ذكر الخبر عن إحرام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه إلى حين مقتله ۶۰۱ ذكر خلافة ذى النورين أبى عمرو عثمان بن عفان أمير المؤمنين، رضى الله عنه و مبايعة أهل الشورى له بعد وفاة عمر، رضى الله عنه ۶۰۸

ذكر غزوة الوليد بن عقبة أذربيجان و أرمينية لمنع أهلها ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر بن الخطاب ۶۱۰

ذكر انتقاض فارس، و مسير عبد الله بن عامر إليها و فتحه إياها ۶۱۲

ذكر انتقاض خراسان، و خروج سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر إليها و ذكر طبرستان و استيلاء سعيد عليها ۶۱۲

ذكر مقتل يزدجرد ۶۱۴

ذكر فتح أبرشهر، و طوس، و بيورد، و نسا، و سرخس، و صلح مرو ۶۱۶

ذكر فتح مروالروذ و الطالقان و الفارياب و الجوزجان و طخارستان ۶۱۸

ذكر جرى الصلح بين الأحنف و بين أهل بلخ ۶۲۱

فتح عمورية و انتقاضها ۶۲۲

مقتل عثمان رضى الله عنه ۶۲۳

الخاتمة ۶۲۷

الفهرس ۶۲۸

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – في تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذي قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، في سَنةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّي الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدةِ جمعٍ من خِرّيجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثّقلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التّحرّي الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم

الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهرانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التّجاريّة و المَبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥(٠٣١١)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجم المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩